

# تاريخ الأدب العربي

الجزء السادس

الأدب في المغرب والأندلس

من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة  
(أوائل القرن الثالث عشر إلى أواسط القرن السادس عشر للميلاد)

تأليف

مفروق

عضو مجمع اللغة العربية في دمشق

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة

عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

عضو المجمع العلمي العراقي في بغداد

# دار العلم للملايين

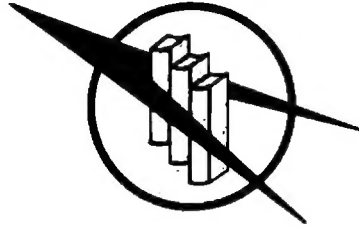
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شمارع مسار الياسر - خلف مكتبة الخليل

صوب ١٠٨٥ - تلفون : ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩

برقيا : ملايين - تليكس : ٢٣١٦٦ ملايين

بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

حزيران (يونيو) ١٩٨٣

تأليف الأديب العربي





## الكلمة الأولى

سيكون الفصل الأول من هذا الجزء السادس طويلاً جداً، ذلك لأنه سيعرضُ صورةَ العصر في الأندلس أيام بني نصرٍ أو بني الأحمر (٦٢٩-٨٩٧ هـ) ثم في المغرب كُلِّه: في أيام بني مرين في فاس (٥٩٢-٩٥٧ هـ) وبني زيان في تِلْسان (٦٣٣-٩٦٢ هـ) والدولة الوطاسية في بادية الجزائر (٦٣٣-٩٦١ هـ) والدولة الحفصية في تونس (٦٢٥-٩٨٢ هـ)؛ وتلك حِقْبَةٌ تمتدُّ أربعة قرونٍ كواملٍ.

ولطول هذا العصر سببان رئيسان: طول ذلك العصر نفسه من حيث الزمن ثم الحاجة إلى شيء من التوسُّع في السَّعي لردِّ التَّهمة عن ذلك العصر بأنَّه عصرُ انحطاطٍ، مع العلم بأنَّ الحياة العُمرانيَّة والحياة الثقافيَّة ثم الحياة السياسيَّة نفسها - في المغرب خاصَّة - كانت كُلُّها مُزدهرةً.

إنَّ الضَّعْفَ السياسيَّ في الأندلس (في سلطنة غرناطة الضَّيِّقَةِ الرُّقْعَةِ والخاصَّةِ للنُّفوذِ النَّصرانيِّ) قد أدَّى - كما يُتَنظَرُ في مِثْل هذه الحال - إلى ضَّعْفٍ في الأدب عامَّة وفي الثقافة أيضاً. غير أنَّ هذه القاعدة العامَّة قد خَرَقَها في الأندلس، وفي ذلك الحين، نهضةٌ عُمرانيَّة من البناء ومن الزُّخرف لم يَسبقها نهضةٌ مِثْلُها ولا لَحِقَها نهضةٌ مِثْلُها. إنَّ قصورَ الحمراء في غرناطة معالِمٌ من فنِّ البناء وفنِّ الزُّخرف وعُنوانٌ لِحَضارةٍ لم تَرَقَّ إليها حضارةٌ أخرى. ولهذه الآثارُ العربيَّة في الأندلس (إسبانيَّة اليوم) قيمةٌ اقتصاديَّة تقوم عليها حياةُ الإسبان، أولئك الإسبان الذين كانت صدورُ كُبراءِهِم قد ضاقتْ بالإسلام وبالمُسلمين، فقاتلوا المُسلمين - بِقيادةِ البابويَّة - ثم أخرجوهم من ديارِهِم بوخشيَّة لم يَعْرِفها إلَّا عصرُنا الحاضرُ في فلسطين وفي غيرِ فلسطين أيضاً، بالأمرِ القريب.

لَيْسَ من المعقولِ، ولا من المألوفِ، أن نَصِفَ بالانحطاطِ الفكريِّ أو الانحطاطِ

الأدي عصرًا كان فيه القُرطبيّ المُفسّر (ت ٦٧١ هـ) ثمّ ابنُ أبي عُصفور الإشبيليّ (ت ٦٦٩ هـ) وابنُ مالكٍ (ت ٦٧٢ هـ) النّحويّان الكبيران ثمّ ابنُ البَناء العدديّ (ت ٧٢١ هـ) والقَلّاديّ (ت ٨٩١ هـ) الرّياضيّان ثمّ تلك الكوكبة من علماء التاريخ والجغرافية والآجتماع المُوسِعين (وبعضهم يقول: المُوسوعيّون): عبدُ الواحدِ المراكشيّ (ت ٦٤٥ هـ) وأبو المطرّف بن عَميرة (ت ٦٥٨ هـ) وحازمُ القرطاجيّ (ت ٦٨٤ هـ) وابنُ الأَبّار القُضاعيّ (ت ٦٨٥ هـ) وبنو سعيدِ العنسيّ الذين ملأوا القرنَ السابع ثمّ ابنُ عبدِ الملكِ المراكشيّ (ت ٧٠٢ هـ) وابنُ منظورٍ (ت ٧١١ هـ) صاحبُ قاموسِ «لسانِ العرب» ثمّ ابنُ خاتمة (ت ٧٧٠ هـ) وابنُ أبي حَجَلَة (ت ٧٧٦ هـ) ولسانُ الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) وابنُ بطوطة الرحالة (ت ٧٧٩ هـ) ويحيى بن خَلدونٍ (ت ٧٨٠ هـ) وأبو حَمَو الثاني (ت ٧٩١ هـ) وآلُ مرزوقيّ الذين ملأوا القرنَ الثامنَ بالِفقه والأدب ثمّ الكوكبُ الوضّاء عبدُ الرحمن بنُ خَلدونٍ (ت ٨٠٨ هـ) مؤسّسُ علمِ التاريخ ومُوجدُ علمِ الآجتماع في العالم كُله ثمّ الوُثريسيّ (ت ٩١٤ هـ) صاحبُ كتابِ «المِيار»، وقد جَمَعَ فيه آراء طيبة في الإدارة وفي التربية والتعليم.

وإذا نحنُ نسينا في هذه الصورة الزاهية - مِنَ الحُكّام - بني نصرٍ أو بني الأحمر ملوك غرناطة - معَ أنّهم تركوا لنا في الحضارة العُمرانية أثرًا لا يُنسى - فلا يجوزُ لنا أن ننسى المنصورَ المرينيّ يَعقوبَ بنَ عبدِ الحقّ (٦٥٦ - ٦٨٦ هـ) ويحيى بنَ عبد الواحدِ الحَفْصيّ (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) وأبا حَمَو موسى الثاني (٧٦٠ - ٧٩١ هـ).

الأُمَم كُلُّها تمرُّ في أدوارٍ من الرُّقيِّ ومن الانحطاط مرّةً بعدَ مرّةٍ. وأرى أن المسلمين لم يَمُروا في ماضيهم في مثْلِ هذا الانحطاطِ الذي يَمُرونَ به في عصرهم الحاضر، لأنّهم يَفْقِدون في عصرهم الحاضر هذا رجالَ دولةٍ من أمثال الذين عدَدناهم في الأسطر السالفة. فَصَيَّ أن يبعثَ اللهَ فينا من يَرُدُّ لنا تلك المَكانة التي كانت لنا من قبل. إنّه على كُلِّ شيءٍ قدير.

الأحد في ٢٠ من صفر ١٤٠٣ = ١٩٨٢/١٢/٥.

عمر فروخ

★ صورة العصر في المغرب وفي الأندلس ٢٥ - ٥١

دولة بني الأحمر - الأسر الحاكمة في المشرق والمغرب ٢٨ -  
الحفصيون في تونس ٢٩ - بنو مرين ٣١ - أبو عنان ٣٢ - بنو  
وطّاس ٣٣ - ليبيا ٣٥ - السودان الغربي (أو المغربي) ٣٦ -  
حوض النكار (النيجر) وحوض السنغال ٣٧ - مالي أو مالي  
٤٠ - غانة ٤٣ - كانم: برنو ٤٥ - الصوصو (صو)؟ كوكو في  
كياك (كانياغا) ٤٧ - امبراطورية سنغي (صغاي) ٤٨ - ودّاي  
٥٠ .

★ الحياة الثقافية في هذا العصر ٥٢ - ١٣٤

العلوم الدينية ٥٢ - علوم الحديث ٥٥ - علوم الفقه ٥٩ - أصول  
الدين وعلم الكلام ٧١ - التصوّف ٧٤ - التاريخ والجغرافية  
٨٠ - علوم التعاليم (الرياضية) - العلوم الطبيعية - رثاء البلدان  
أدب المولد - (الثقافة في السودان الغربي).

السنة  
الهجرية

١٣٤	أبو البقاء البلنسي	٦١٦
١٣٥	ابن غياث الشريشي	٦٢٠
١٤٠	أبو عبد الله بن عسكر	٦٣٦
١٤٤	محمد بن أحمد الأستجي	٦٣٩
١٤٨	موسى بن سعيد الغنسي	٦٤٠
١٥٣	الأعلم البطليوسي	٦٤٢
١٥٤	طلحة بن حزم الأموي	٦٤٣
١٥٧	عنان بن جابر	٦٤٥

١٥٩	ابن سفر المرّي	
١٦١	أبو عليّ الثلويّني	٦٤٥
١٦٤	عبد الواحد المراكشي	٦٤٥
١٦٧	أبو بكر بن البناء الإشبيلي	٦٤٦
١٧٠	أبو الحسن الدبّاج الإشبيلي	٦٤٦
١٧١	يحيى بن عبد الواحد الحفصي	٦٤٧
١٧٤	ابن سهل الإشبيلي	٦٤٩
١٨٣	التيفاشي القفصي	٦٥١
١٨٨	حميد الأنصاري	٦٥٢
١٨٩	أبو الخطّاب السكوني	٦٥٢
١٩٢	أبو الحجّاج البيّاسيّ	٦٥٣
١٩٤	محمّد بن عبد الله المرسّي	٦٥٥
١٩٦	ابن الجنّان الأنصاريّ	٦٥٥
٢٠٤	أبو الحسن الشاذليّ	٦٥٦
٢١٠	ابن الأبار القضاعيّ	٦٥٨
٢١٧	أبو المطرّف بن عميرة	٦٥٨
٢٢٤	ابن عربيّة (عريّة؟)	٦٥٩
٢٢٧	أحمد اللّلياني	٦٥٩
٢٢٩	ابن سيّد الناس	٦٥٩
٢٣٣	ابن عبدون المكناسيّ	٦٥٩
٢٣٥	ابن سراقّة الشاطبي	٦٦٢
٢٣٧	أبو الحسن بن محمّد الجيّانيّ	٦٦٣
٢٤٠	ابن الفخّار الرعيني	٦٦٦
٢٤٦	أبو الحسن الثّثري	٦٦٨
٢٤٨	ابن عصفور الإشبيلي	٦٦٩
٢٥٢	الدرجيني	٦٧٠

٢٥٣	ابن أبي الحسين	٦٧١
٢٥٥	القرطبي صاحب التفسير	٦٧١
٢٦٠	ابن مالك النحوي	٦٧٢
٢٧١	محمد بن الحسن القلمي	٦٧٣
٢٧٣	ابن الجنان الشاطبي	٦٧٥
٢٧٧	ابن الناظر القرشي	٦٧٩
٢٧٧	سعيد بن حكم القرشي	٦٨٠
٢٨٣	ابن معمر الهواري	٦٨٢
٢٨٤	محمد بن موسى المزالي	٦٨٣
٢٨٦	أبو البقاء صالح بن شريف الرندي	٦٨٤
٢٩١	حازم القرطاجني	٦٨٤
٣١٢	علي بن موسى بن سعيد العنسي	٦٨٥
٣١٧	إبراهيم بن أبي بكر التلمساني	٦٩٠
٣١٩	ابن السمّاط المهدوي	٦٩٠
٣٢٣	ابن عتيق المرسّي	٦٩٠
٣٢٥	ابن الفخّار البلنسي	
٣٢٧	حافي رأسه	٦٩٣
٣٢٩	عبد العزيز الملوزي	٦٩٧
٣٣١	بدر الدين بن هود	٦٩٩
٣٣٤	ابن فرّح الإشبيلي	٦٩٩
٣٣٥	مالك بن المرحّل	٦٩٩
٣٤٠	يحيى بن علي اليفرني	٧٠٠
٣٤١	ابن عبد النور المالقي	٧٠٢
٣٤٦	ابن عبد الملك المراكشي	٧٠٣
٣٥٣	الغبريني صاحب الدراية	
٣٥٧	أبو العبّاس العزفي	٧٠٧

٣٥٨	أبو جعفر بن الزبير	٧٠٨
٣٦١	ابن خميس التلمساني	٧٠٨
٣٦٥	ابن الحكيم الرندي .....	٧٠٨
٣٦٨	أبو عبد الله محمد الغالب بالله	٧١٠
٣٦٩	ابن منظور صاحب لسان العرب	٧١١
٣٧٤	أبو العباس الملياني	٧١٥
٣٧٦	التجاني صاحب الرحلة	٧١٨
٣٨٢	ابن رُشيد السبتي	٧٢١
٣٨٨	ابن البناء العدديّ	٧٢١
٣٩٣	ابن آجروم	٧٢٣
٣٩٩	ابن الفخّار الجذامي	٧٢٣
٤٠١	العبدري صاحب الرحلة	٧٢٥
٤٠٤	ابن عذاري المراكشيّ	
٤٠٦	ابن أبي زرع	٧٢٦
٤٠٩	ابن الزيّات الكلاعيّ	٧٢٨
٤١١	القيجاطي	٧٣٠
٤١١	ابن هاني السبتي	٧٣٣
٤١٤	ابن القوبع التونسيّ	٧٣٨
٤١٩	ابن عمر الملكيشيّ	٧٤٠
٤١٠	محمد بن أحمد بن جزيّ .....	٧٤١
٤٢٦	أبو حيّان الغرناطي	٧٤٥
٤٣٠	الطويجين الساحلي	٧٤٧
٤٣٦	أبو بكر بن شبرين	٧٤٧
٤٣٨	ابن الجيّاب الغرناطي	٧٤٩
٤٤١	ابن جابر الوادي آشي	٧٤٩
٤٤٥	عبد المهيمن الحضرمي	٧٤٩

٤٤٩	الجزنائي الفاسي الكرياني	٧٤٩
٤٤٢	ابن الصائغ المغربي	٧٤٩
٤٥٥	أبو العلاء بن سمالك	٧٥٠
٤٥٧	ابن ليون التجيبي	٧٥٠
٤٦٠	محمد البدري	٧٥٠
٤٦١	ابن المراجع	٧٥٠
٤٦٥	ابن هذيل الغرناطي	٧٥٣
٤٦٨	أبو عبد الله بن جزّي الكلي	٧٥٧
٤٧١	المقري الجدّ	٧٥٩
٤٧٧	أبو القاسم السبتي الغرناطي	٧٦٠
٤٨٠	أبو جعفر بن صفوان	٧٦٣
٤٨٣	ابن الحاجّ النميري الغرناطي	٧٦٨
٤٨٩	ابن خاتمة الأنصاري	
٤٩٦	منديل بن آجروم	٧٧٣
٤٩٨	أبو البركات بن الحاجّ البلفيقيّ	٧٧٣
٥٠٣	لسان الدين بن الخطيب	٧٧٦
٥١٧	ابن أبي حجلة	٧٧٦
٥٢١	ابن بطّوطة	٧٧٩
٥٢٨	أبو جعفر الغرناطي الرعيني	٧٧٩
٥٣٠	ابن جابر الأندلسي	٧٨٠
٥٣٣	محمد بن يوسف الثغري التلمساني	٧٨٠
٥٤٠	يحيى بن خلدون	٧٨٠
٥٤٦	ابن مرزوق الخطيب	٧٨١
٥٥٥	أبو سعيد بن لبّ	٧٨٢
٥٥٨	أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزّي	٧٨٥

٥٦١	محمّد الطريف التونسي	٧٨٧
٥٦٣	أبو جعفر بن زرقاله	
٥٦٥	ابن عبّاد الرندي	٧٩٢
٥٦٩	ابن زمرك	٧٩٥
٥٧٦	ابن فرحون	٧٩٩
٥٧٩	أبو زيد المكوّديّ	٨٠٧
٥٨٦	ابن خلدون	٨٠٨
٦١٠	ابن قنفذ القسنطيني	٨٠٩
٦١٥	ابن الأحمر صاحب «ثير الجمان»	٨١٠
٦٢١	يوسف بن يوسف بن الأحمر	٨١٩
٦٢٣	ابن جابر الغساني المكناسي	٨٢٧
٦٢٥	أبو بكر بن عاصم	٨٢٩
*٦٣٤	ابن مرزوق الحفيد	٨٤٢
*٦٣٣	أبو يحيى بن عقيبة	٨٦٠
٦٤١	أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم	٨٦٠
٦٤٨	ابراهيم التازي	٨٦٦
٦٥٣	ابن عبد المنعم الحميري	
٦٥٧	الجزولي السملالي	٨٧٠
*٦٦٥	القلصاديّ	٨٩١
*٦٦١	القاضي ابن الأزرق	٨٩٦

\* إن التّراجم مرّبة في هذا الكتاب كلّ على سنوات الوفيات. ولكنّ اتّفق هنا، حيث وضع على رقم الصفحة نجم صغير «(\*)»، أن تأخّرت ترجمة مرتبة واحدة، وكان حقّها أن تتقدّم (أو تقدّمت وكان حقّها أن تأخّر). وهذا ينطبق على التّراجم الّت المثبتة على هذه الصفحة وعلى الصفحة التالية.



٦٧١	عبد الكريم الفرناطي	٨٩٨
٦٧٣	زروق البرنسي	٨٩٩
٦٨٠	ابن عبد الجليل التنسي	٨٩٩
٦٨٥	شهاب الدين (بن) الخلوف	٨٩٩
٦٨٨	أبو العباس الوشرسي	٩١٤
٦٩٥	ابن غاز المكناسي	٩١٩
*٧٠٣	ابراهيم الفجيحي	٩١٠
*٦٩٨	محمد بن العربي العقيلي	٩١٨
٧٠٥	محمود بن عمر أقيت التنبكتي	٩٥٥



## مقدمة

هذا الجزء يَصِلُ بنا إلى الفتح العثماني في المغرب (أي إلى نحو سنة ٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م). غير أن نقرأ من الذين أذركم الفتح العثماني قد بقوا مدةً بعد ذلك الفتح، فدخل نفرٌ منهم في نطاق هذا الجزء.

وهذا الجزء السادس الحاضر تنتهي السلسلة التي عَمِلْتُ في وَضْعِهَا جِلاً كاملاً من الدهر (١٣٧٠ - ١٤٠٣ هـ = ١٩٥١ - ١٩٨٣ م) (\*). وقد كنت جمعت في تلك الأثناء ألوفاً من البطاقات. فربما كان الأديبُ مُقِلاً أو ربّما كانت معرفتنا بأخباره ضئيلة جداً، فيكون له بطاقةٌ واحدةٌ من هذه البطاقات. وربّما كانت مصادر أخباره ومراجعتها كثيرة، وعددُ مصنّفاته كبيراً، فيكون له عشرُ بطاقاتٍ أو عشرون أو أكثر.

ولم يكن بالإمكان أن يدخلَ كلُّ اسمٍ على بطاقةٍ (أو على عددٍ من البطاقات) في متنِ هذا الكتاب. لقد كان لي طريقةٌ في قبولِ الأديبِ أو الشاعر أو العالم في سِلْكِ تراجمِ هذا الكتاب. هذه الطريقة تقوم على ثلاثة أُسُسٍ: (أ) أن يكونَ للشخص المختارِ نصوصٌ على مُستوى ما من الجودة، و(ب) أن يكونَ له تاريخٌ وفاءٌ دقيقٌ أو قريبٌ من الدقّة، و(ج) أن يكونَ له أثرٌ ثقافي أو لفتةٌ بارعة.

وقد كان اختيارُ التراجمِ مُضنياً. كنتُ أُرْجِعُ إلى كلِّ بطاقةٍ ثم أعودُ إلى المصادر والمراجع التي على تلك البطاقات صفحةً صفحةً. فإذا لم أجِدْ نصّاً صالحاً لأن تبني عليه ترجمةً مستقلةً، وضعت البطاقة المتعلقة به جانباً. ثم أُرْجِعُ إلى تلك البطاقات التي وُضِعَتْ جانباً فأَنْظُرُ فيها مرّةً ثانية، فقد أجدها تصلحُ لِتكونَ إضافةً إلى صورة العصر الذي أعالجه. فإذا لم تصلحُ لذلك أيضاً أهملتها مرّةً واحدة. ولا شك في أن هذا العمل يقتضي وقتاً طويلاً. ومعَ هذا كلّهُ، فأنا لا أستطيعُ أن أزعمَ أن كلَّ ترجمةٍ تستحقُّ الدخولَ في هذا الكتاب قد دخلت فيه، كما لا أستطيعُ أن أقولَ أيضاً إنَّ كلَّ

(٣) الجيل ثلث قرن (نحو ثلاثة وثلاثين عاماً).

ترجمة قَبِلْتُهَا هي أفضلُ من كلِّ ما أهملته من التراجُم. إنَّ للجُهدِ الإنسانيِّ حدوداً من المكانِ وقُيُوداً من الزمانِ، ولا يُمكنُ عندَ النظرِ في كلِّ ترجمةٍ أنْ أعودَ إلى كلِّ جملةٍ تتعلَّقُ بتلكَ الترجمةِ في كلِّ كتابٍ بينَ يَدَيَّ أو في متناولِ يَدَيَّ من قُربٍ أو من بُعْدٍ.

وأريدُ أنْ أعودَ مرَّةً أُخرى إلى نَفَرٍ من الذين يُحقِّقونَ الكُتُبَ.

في هذا الجزءِ ترجمةٌ صاحبُها أبْنُ شُعيبِ الكرياني. لهذا الشاعرِ ترجمةٌ في «الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب. وقد جاء لهذا الشاعرِ مقطوعةٌ منها البيتُ التالي (مصر- شركة طبع الكتب العربية- ١٣١٩ هـ، الجزء الأول، ص ١٤٣):

كان اللقاء فكان حظِّي ناظري وسطا الفراق فصار حظِّي مسمي.  
وفي عام ١٩٥٥ للميلاد (بعد الطبعة الأولى (بستةٍ وعشرينَ عاماً أو تزيدُ) أصدرت دارُ المعارفِ في مصرَ طبعةً جديدةً من «الإحاطة» على صفحةِ الغلافِ منها: «حقَّقه وقَدَّمْ له مُحَمَّدُ عبدَ اللهِ عِنَّانٍ». وقد جاء فيها هذا البيت (٢٨٥: ١) على الشكل التالي:

كان (اللقا) فكان حظِّي ناظري (وسطاً) الفراق فصار حظِّي (مسمع).  
ولم ينسَ محققُ طبعةِ دارِ المعارفِ أنْ يَضَعَ سكُوناً على السينِ وفتحةً على الطاءِ في كلمة «وسط». وكذلك حذفَ الهمزةَ من كلمةِ اللقاءِ (ويَحْتَلِّ وزنَ البيتِ بذلك) ثمَّ حذفَ أيضاً الياءَ من القافيةِ «مسمي» (والياءُ هنا ضميرٌ)، فأصبحَ حقٌّ «مسمع» أنْ تصبحَ «مسمعا» (والمعنى يَجِيزُ ذلك، ولكن القافية لا تجيزه).

فأين التحقيق؟

ورجعةٌ جديدةٌ إلى «نفع الطيب» في موضعٍ واحدٍ من مواضعٍ كثيرة. في قصيدةِ ابنِ الأَبَرِ المتعلِّقةِ بالاستنجادِ بسلاطينِ المغربِ لإِيقاظِ الأندلسِ هذا البيت (٤: ٤٥٧ هـ) وقد جاء على هذا الشكل:

يا للجزيرةِ أضْحَى أهلها جَزَراً للحادثاتِ وأمْسى جَدُّها تَعِياً.  
وقد ضبطَ المحقِّقُ كلمةَ «تعا» بفتحِ التاءِ وكسرِ السينِ فصارَ المعنى أنْ الجَدَّ

(بفتح الجيم: الحظّ، السعد) أصبح تاعساً. وهذا غير مقبول في المنطق، فنحن لا نقول: إنّ الخير أصبح شراً. بل نقول: إنّ الحال أَتَقَلَّبَتْ من الخير إلى الشر. وكذلك الأندلسُ (في بيت ابن الأبار) قد تبدّلت بِجِدِّها (محظّها) تَعَسّاً (بفتح التاء والسين).

إنّ الذي ضَبَطَ كَلِمَةَ «تَعَسَ» في هذا البيت يجب أن يكون قريباً في مُناقلة الحديث من عَوَّامِ الناس. إنّ العامّة هم الذين يقولون: «فلانُ حظُّه تَعَسَ» فيُخْطِئُون مرتين: مرّة حين يَتَوَهَّمُونَ أن «الحظّ» ذاته يُصبح تَعَسّاً، وأنّ الخير نفسه يُصبحُ شراً، وأنّ الغنى يُصبح فقراً. ثم هم يُخْطِئُون مرّة ثانية حين يقولون: «تَعَسَ» على وزنِ فَعِيلٍ، مَكَانَ تَعَسٍ أو تاعَسٍ.

نحن نقرأ في الكتاب المُنزَل (٢: ١٠٨، سورة البقرة): «..... وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ».

غير أنّنا نَسْتَطِيعُ في بابِ البلاغة أن نقول: «أضحى غِناءُ فقراً» (لأنّ فلاناً أساء استعمالَ المالِ فَوَضَعَهُ في غيرِ مَوَاضِعِهِ فأضاعه ولم يَنْتَفِعْ به). وكذلك نَسْتَطِيعُ أن نقول: «أصبحَ خيرُهُ شراً» (لأنّه أَتَبَعَ الخيرَ الذي صَنَعَهُ إلى بعضِ الناسِ مَنّاً أو أذى). ونَسْتَطِيعُ أن نقول (في بابِ البلاغة) أيضاً: «إنّ جَدّه قد أَمْسَى تَعَسّاً» (لأنّه أَضَاعَ الفُرْصَةَ السَّاحَةَ للقيام بعمله في الوقت المناسب). وكلُّ هذا ليس من بابِ قولِ ابنِ الأبار في شيء.

وفي «نفع الطيب» أيضاً حاشيةٌ مؤلّفة (٥: ١٩)، فقد ذَكَرَ المحقّق أنّ أبا بكر بن عاصمٍ قد تَوَلَّى القضاءَ سَنَةِ ٨٨٨ (ثمانٍ وثمانينَ وثمانمائةً)، مَعَ أن أبا بكرٍ هذا قد تُوُفِّيَ سَنَةَ سَعَةِ وعشرينَ وثمانمائةً (راجع تقويم ذلك في ترجمة أبي يحيى بن عاصم: ابن أبي بكر بن عاصم) المتوفى سنة ٨٦٠ للهجرة في الأغلب. ولقد تنبّه خير الدين الزركلي إلى أن هذا التاريخ ٨٨٨ «خطأ مطبعي» (راجع الأعلام الطبعة الرابعة، ٧: ٤٨ في حاشية العمود الأوّل).

ومرّة أخرى إلى «أزهار الرياض». لهذا الكتاب - وهو مطبوعٌ في ثلاثة أجزاء - فهارسٌ مستقلةٌ بكلِّ جزء (وهذا غيرُ مقبولٍ - إلّا إذا كان المحقّقون الكبارُ،

وهم ثلاثة، قد دُفِعَتْ لهم أجورُ التحقيق على أساسِ العملِ منفردين، فتناولَ كلُّ واحدٍ منهم جزءاً). ولقدِ آهَمَ المُحَقِّقونَ الثلاثةَ بالفهارسِ، ولكنَّ على دَرَجاتٍ مختلفة: ففي الجزء الأول من الفهارس هذه التي تلي، وعلى الترتيب التالي أيضاً: فهرس الأعلام - فهرس الشعراء - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس القوافي - فهرس الموضوعات. وفي الجزء الثاني تفصيلٌ أكثرُ للفهارسِ: فهرس الشعراء (قبل فهرس الأعلام) - فهرس الأعلام - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس الأيام (المعارك) - فهرس الأمثال - فهرس القوافي - فهرس الموشحات والأزجال - فهرس أنصافِ الأبيات - فهرس الموضوعات. وأمَّا الجزء الثالث ففيه: فهرس الأعلام - فهرس الشعراء - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس القوافي - فهرس الموضوعات.

ولا أريدُ الآنَ أن أشغلك بترتيب الأسماء في كلِّ فهرس وفي كلِّ جزء، فإنَّ ذلك يطول. ولقدِ أَحَبَبْتُ أن أُشيرَ إلى ذلك هنا لِيُعْلَمَ. مقدارُ ذلك التَّعَبِ الذي يُعَانِيهِ المؤلِّفُ الجادُّ في الاستفادة من كثيرٍ من الكتب. إنَّ ذلك المؤلِّفَ الذي أعْنِيهِ مُضْطَرٌّ إلى أن يكونَ مُحَقِّقاً لعددٍ كبيرٍ من الكتب التي يُوَضَّع على غِلافِها أنها بَتَحْقِيقِ فلانٍ أو بَتَحْقِيقِ فلانٍ وفلانٍ أو بَتَحْقِيقِ فلانٍ وفلانٍ وفلانٍ.

ثم إنِّي لا أدفعُ نفراً من المؤلِّفين عن حَقِّهم بالأهتمام بأقطارِهِمُ المُختلفة في التاريخ وفي الأدب. إنَّ هذا المنحى قديمٌ جدًّا، وأكثرُ ما يلجأ إليه المؤلِّفون في هذا الباب تفصيلُ أخبارِ أقطارِهِم. غيرَ أنَّي أعتقدُ أن هذا العملَ، وإن كانت له فائدةُ التفصيلِ، فإنَّه لا يَصوِّرُ الحقيقةَ. لقدِ اضْطُرَرْتُ في تألِيفي المدرسيِّ - في التاريخ وفي الأدب وفي الجغرافية أيضاً - إلى أن أَحْصِيَ «لُبْنَانَ» بكتبٍ خاصَّةٍ في ذلك. ولكن الذي يُطالِعُ هذه الكتبَ المدرسيةَ التي أَلْفَتُها أو شاركتُ في تألِيفِها يرى أنَّني كنتُ دائماً أرسمُ إطاراً للثقافة العربية في إطارٍ من الثقافة الإنسانية حولَ الموضوع اللبْنانيِّ الذي أعالِجُه بِحَسَبِ المنهج اللبْنانيِّ للتعليم. إنَّ التاريخَ - كما ذكرتُ في كتابي «تجديد التاريخ»، مثلاً - لا يجري في مجارٍ مُنفصلة. ومثلُ ذلك الأدبُ في كلِّ أمةٍ، فإنَّه لا يُمكنُ أن يخلُصَ من آثارِ الآداب الأخرى، فلا بدَّ في تاريخِ الأدب العربي الحديثِ من

إشارات واضحة إلى الآداب الأجنبية شرقية وغربية. لا الأدب العربي خلص، في تاريخه الحديث، من آثار فرنسية وإنكليزية أو ألمانية أو هندية، أو إفريقية أو أميركية، ولا هذه الآداب كلها قد خلصت، في تاريخها الحديث وفي تاريخها الوسيط أيضاً، من الآثار العربية. ولكن هذا موضوع ليس هنا مكان تفصيله.

قد يستغرب نفر من القراء إذا رأوا أنني ضمنت إلى كتاب في تاريخ الأدب تراجم لفُقهَاء ولِعُلَمَاء في السياسة والتاريخ والرياضيات. إن أولئك النفر يجب ألا يستغربوا ذلك، ذلك لأن التعبير البارع عن الفكر الفقهى والفكر الفلسفى والفكر السياسى والفكر الرياضى أوجه من وجوه الأدب. أضف إلى ذلك كله أن الأديب الحق هو الذي يُشارك في عدد من فنون المعرفة الإنسانية. ثم يجب أن نحيل قول ابن خلدون (المقدمة، بيروت - دار الكتاب اللبناني - ١٩٦١ م، ص ١١٠٧): «ولهذا كان شيوخنا، رَحِمَهُمُ اللهُ، يعيبون... المتنبي والمعرى بَعْدَ النَّسَجِ على الأساليب العربية.. فكانَ شِعْرُهُما كلاماً منظوماً نازلاً عن طَبَقَةِ الشَّعْرِ. والحالُ في ذلك هو الذَّوْق»، على مَحْمَلِ التَّشْدِيدِ في التعريف - وإلاَ فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ على المَعْرِي «طَبَقَتَهُ السَّامِيَةَ في الشعر» حينما يَقْتَضِ مِثْلَ هذا المعنى ثم يُجْريه في هذا اللفظ السهل والتشبيه البارع فيأتي بهذا الوصف المُبْتَكَر للبرق في اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاء (الدويان، مصر - مطبعة هندية - ١٣١٩ هـ، ص ٢١):

إذا ما أحتاجَ أَحْمَرَ مُسْتَطِيراً حَبِيتَ اللَّيْلَ رَنْجِيًّا جَرِيحاً.  
إنَّ هذا وَصْفٌ يَعْجِزُ عن مِثْلِهِ المُبْصِرُونَ.

## المصادر والمراجع

في كل ترجمة في هذا الكتاب مقطع يَسبقُه الرقم « ٤ ». المقصود أن يأتي بعد هذا الرقم ما لصاحب الترجمة من الكُتب أو ما كُتب عنه من الكتب أو في الكتب.

كان المفروض أن استخدم طبعة واحدة من «الدياج المذهب» مثلاً. ولكن، برغم حجم مكتبي الخاصة، فإن هنالك كتباً لا أملكها، فأنا أستيرها من مكتبة الجامعة الأميركية أو من مكتبة الجامعة العربية (في بيروت). وفي عدد من الأحيان لا يكون كتاب من هذه الكتب معي فأضطر إلى استخدام طبعة أحصل عليها (وفي أحيان كثيرة أشير إلى ذلك). وربما يكون الكتاب معي، فحتاج إليه المكتبة العامة فأرده إليها (نهائياً أو مؤقتاً) فيغيب هذا الكتاب من قائمة المراجع (بعد الرقم « ٤ ») أحياناً.

ولا أستطيع أن أقول إن كل كتاب أثبتته قد رأيتُه بعيني رأسي، وإلا فما الفائدة من عمل أولئك الذين يعملون في «تأليف قوائم المطبوعات»؟

ثم إن هذا المقطع الرابع - ذا الرقم « ٤ » - دليل للقارئ إذا هو أحب أن يتوسّع في آثار صاحب الترجمة المميّنة. وفي كثير من المراجع دليل آخر إلى مصادر ومراجع ليست مذكورة في كتابي. أنا لم أذكر المقالات التي كُتبت في أبي العلاء المَعري أو في عبد الرحمن بن خلدون، ولكنني أثبت في ترجمة أبي العلاء «مَرَجِعاً من تأليف يوسف أسعد داغر» فيه معظم المقالات التي نُشرت في المجلات وكانت تتناول حياة أبي العلاء المَعري أو خصائصه وآثاره، كما ذكرت - في ترجمة عبد الرحمن بن خلدون - كتاباً لعبد الرحمن بدوي فيه مثل ذلك عن عبد الرحمن ابن خلدون.



## فهرس هذا الجزء

لقد كان ترتيبُ هذا الفهرس في هذا الجزء السادس عملاً شاقاً لعدد من الأسباب أولها أنَّ الأسماء في هذا الجزء كثيرةٌ جداً (راجع ص ٧١٢ وما بعدها)؛ ثمَّ إنَّ التداخلَ في أنساب الرجال في هذا الجزء خاصةً كان كثيراً (كما نلاحظ مثلاً في سلاسل النسب لبني الأحمر أو لآل مرزوق)، فحينما يكونُ في نسبِ أبي يحيى بن عاصم (ص ٦٤١) خمسةُ أسماؤهم «محمد» في نسَبٍ واحدٍ مُتتابعٍ يصبح من الصعب الكلامُ على الأبِ وعلى الأخِ وعلى الابنِ بوضوح. (راجع مثلاً ترتيب أسماء «ابن الأحمر» وترتيب أسماء «ابن مرزوق».)

لقد رتبتُ أسماء بني الأحمر على النسبِ ثمَّ جعلتُ بين أهلةٍ كبارٍ أرقاماً. إنَّ كلَّ رقمٍ يدلُّ على مرتبةٍ صاحبه في توليِّ عرضِ غرناطة. أمّا بنو مرزوق فأتبعتُ في سرد أسماؤهم ترتيباً أقربُ إلى التاريخ.

وكان منشأ الصعوبة، هنا وفي الأجزاء الباقية، حُبُّ الرواية للاختصار: فربما أكنفى الراوي للأخبار أو المؤلفُ للكذب بقوله: وكان ابنُ الأحمر، قال ابنُ مرزوق، وأخذ فلانُ العلمَ على ابنِ مرزوق وما يقربُ من ذلك.

ولقد حاولتُ أن أتغلبَ على هذه الصعوبة في أثناء التأليفِ فكنتُ أحاولُ أن أُنْخِرَ، معَ كلِّ اسمٍ غامضٍ الدلالةِ أو كثيرِ الورودِ، من القرائنِ الدالةِ عليه (اسمه، كنيته، لقبه، تاريخ وفاته، صلته بأستاذه أو بتلميذه، إلخ). ولعلَّ القارئَ يعجبُ حينما يراني أثبتُ تاريخَ الوفاةِ لرجلٍ مرتين أو ثلاثاً في الصفحة الواحدة. غير أنني لم أنقلُ كلَّ هذه التفاصيل في الفهرس، ولكنني كنتُ أستشيرُ بها في أثناء ترتيبِ هذا الفهرس.

ومَعَ هذا كُلِّهِ فَإِنِّي لَا أُحِيلُ أَنْ يَكُونَ قَدْ بَقِيَ فِي هَذَا الْفَهْرَسِ شَيْءٌ مِنَ الْخَطَأِ أَوْ التَّدَاخُلِ أَوْ السَّهْوِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَضَعْتُ أحياناً إِلَى جَانِبِ عِدَدٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَإِلَى جَانِبِ عِدَدٍ مِنْ أَرْقَامِ الصَّفَحَاتِ عِلَامَةً اسْتَفْهَامٍ أَوْ كَلِمَةً «رَاجِعْ» كَيْ يَكُونَ الْقَارِئُ مُتَنَبِّهاً عِنْدَ مُحَاوَلَةِ الاسْتِدْلَالِ بِرَقْمِ الصَّفْحَةِ عَلَى الْأَسْمِ الْمَطْلُوبِ.

## هذه السلسلة

بهذه الجزء السادس من تاريخ الأدب العربي «تنتهي هذه السلسلة بحسب المنهج الذي كنت قد وضعته لها حينما بدأت جمع المواد لتأليفها، منذ آثني وثلاثين عاماً. لم أكن في ذلك الحين أفكر في المضي بها إلى أبعد من الفتح العثماني. ذلك لأنني كنت أدرك أن التأليف المنظم يحتاج إلى وقت طويل. ولو أنني أحسبت الآن أن أبدأ ملحقاً لتاريخ الأدب العربي في العصر الحديث (على المنهج الذي سرت عليه في الاجزاء الستة الماضية) لاحتجت إلى ربع قرن جديد. وهذا أمر مستحيل عليّ ووراء المستحيل أيضاً.

في هذه السلسلة منهج متبع لم يختلف في ترجمة من التراجم إلا على منهج آخر، وذلك في التراجم التي ليس فيها «مختارات». وبما أن هذه السلسلة وضعت على «النسق التاريخي»، فقد كان من الصعب أن أقدم إلى ترجمة (عند الطبع خاصة) إلا بعد استيفاء الكلام الضروري في التراجم السابقة. لقد وقّع في يدي كُتب في تاريخ الأدب (وفي غير تاريخ الادب أيضاً)، ولم يكن فيها منهج: كانت كُتباً من عمل الخواطر (مقالات مفردة تُسمى استبداداً «تاريخ الأدب»: يأتي فيها المتأخر قبل المتقدم، ويأتي آخر الموضوع قبل أوله، وينسى المؤلف جانباً من البحث بعد أن يكون قد انتقل إلى عددٍ من البحوث الأخرى فيرجع إلى ما كان فيه، أو من عمل التعليق) يبدأ المؤلف بقطعة من الإنشاء الكلامي البليغ ثم يورد مرة بعد مرة عدداً من الأبيات أو من الأسطر - وأكثر التأليف الذي أقصده هنا بهذه الكلمة يكون في الشعر عادة - ثم إنك لا ترى «الشكل» الكافي (أو الضروري) أحياناً، ولا الشرح المفيد (مقيداً بالتاريخ أو بالمصدر أو بالقاموس على الأقل). لقد كنت أنا أرجع إلى القاموس وإلى القواميس (عند محاولة شرح كلمة كنت أعرفها من قبل) وربما كنت أرجع إلى الكلمة الواحدة التي وردت مرتين في صفحة واحدة إلى القاموس مرتين أو أكثر من

مرتين (ذلك لأنني كنت أريد أن أرى ما يقصده الشاعر أو الكاتب منها لا ما شاع من معناها أو ما كنت أنا قد عرّفته من معناها). وكثيراً ما يلاحظ القارئ (في جميع أجزاء هذه السلسلة) أنني أقول أحياناً «ليست هذه الكلمة في القاموس» - وأعني بالقاموس هنا «القاموس المحيط» للفيروزآبادي - أو ليست هذه الكلمة في القاموس بالمعنى الملموح هنا، أو أنني كنت لا أضع التفسير وراء قاطعة (:)، بل في أهلة كبار (.....)، كل ذلك كي أترك للقارئ أيضاً إمكان النظر في المعاني المقصودة أو المقبولة أو القريبة من الصّحة.

ولهذا الجزء السادس من هذه السلسلة قصة أخرى:  
بدأت بإعداد هذا الجزء (بعد الانتهاء من تأليفه) للطبع (بعدد من الإصلاحات هنا وهناك) في أوائل عام ١٩٨٢ (اثنين وثمانين) وقدمت نصفه الأول للمطبعة. ثم بدأ الطبع والتصحيح. ولما بدأ الاجتياح الإسرائيلي (وعانت مدينة بيروت ذلك القصف المروع من الأرض والبحر والجو) كان نصف الكتاب في المطبعة والنصف الآخر معي في البيت. أمّا النصف الذي كان في المطبعة فقد سلمت فيه أمري إلى الله (ولم ينفعني في ذلك إلا ذلك). وأمّا النصف الثاني الذي كان معي فقد كنت - بعد اتكالي على الله وتسليم الأمر في كل شيء إليه وحده من قبل ومن بعد - أحرص عليه أكثر من حرصي على كل شيء آخر: تركت بيني ثلاثة أشهر، فكانت «بقية ذلك الجزء» معي. وكنت إذا نزلت (في أثناء القصف إلى الملجأ - أو ما كان يسمى ملجأ) أخذت هذه البقية معي (لا أريد أن أقول أنا لك سبب ذلك، ولعلك تدرك سبب ذلك).

وغادرت بيروت إلى الجبل فكانت بقية هذا الجزء معي في السيارة إلى جانبي (بينما كان هنالك أغراض كثيرة في صندوق السيارة). - ولم يحفظني ويحفظ هذه البقية إلا الله.

كنت دائماً أقول في نفسي: لو تلفت هذه البقية من الجزء السادس، فماذا يكون مصير السلسلة - وهي مبتورة من آخرها؟ - . ولكن الله سلم.

وفي ختام هذه الكلمة أحمّد الله على أن تفضّل عليّ - إلى جانب أفضاله الكثيرة - بإتمام هذه السلسلة على هذا الوجه، وأرجو أن أكون قد أدّيتُ بها رسالةً أحبّبتُ أن أوّدّيها: استخراج صورةٍ وافيةٍ للأدب العربيّ، قدر الأماكن، مجموعةً في كتابٍ واحدٍ.

«ولا تقولنّ لشيءٍ: إني فاعلٌ ذلك غداً، إلّا أن يشاء الله» (\*).  
والحمد لله أولاً وآخراً وبين ذلك كثيراً.

بيروت، الاربعاء

في الرابع من جمادى الأولى ١٤٠٣،

١٦/٢/١٩٨٣ م.

ع.ف

---

(\*) القرآن الكريم ١٨ (سورة الكهف) ٢٣.

\* إنني الآن أحاول أن أضع تمةً لهذه السلسلة في جزء واحد، أو أكثر من جزء واحد في الأغلب، بعنوان «معالم الأدب العربي في العصر الحديث» ولكنّي سأترك الحواشي الكثيرة التعميد ثمّ استيفاء المصادر والمراجع (والحواشي الكثيرة التعميد واستيفاء المصادر والمراجع كانا محتاجين إلى الجانب الأوفر من اعداد كلّ ترجمة) فمضى أن يمين الله على ذلك.

## صورة العصر في المغرب والأندلس

### - في أيام بني الأحمر -

سيكون هذا الفصل التمهيدى طويلاً جداً لطول المدة التي يحاول وصفها في تلك البقاع الواسعة المترامية التي يجري فيها تاريخ هذه المدة: من برقة شرقاً إلى شنيقطة (موريتانيا: بلاد البيضان) على البحر الأخضر أو بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) ثم من جبال البرانس (الفاصلة بين فرنسة وإسبانية) في الشمال إلى خط الاستواء (من قارة إفريقيا جنوباً)<sup>(١)</sup>.

### دولة بني الأحمر (أو بني نصر)

في مطلع القرن السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد) كان لا يزال في الأندلس - إلى جانب الحكم الموحدى - ظل من الحكم المحلي لبني غانية في الجزائر

---

(١) كان تحقيق الأسماء (أسماء الأشخاص وأسماء القبائل والبلاد - وخصوصاً فيما يتعلق بالمغرب ثم ببلاد السودان الغربي علي الأخص) صعباً جداً: كنت أود أن أصل إلى اللفظ المحلي مع إثبات اللفظ العربى أيضاً. لقد اعتمدت «تاريخ السودان» (السودان الغربي) لعبد الرحمن بن عبد الله السعدي (أنجي ١٨٩٨ م) وتاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس لمحمود كمت بن الحاج المتوكل كمت التنبكي (باريس ١٩٦٤ م).

ولقد كنت اجتهدت في تحقيق هذه الأسماء بالرجوع إلى عدد من المراجع العربية والأجنبية (كدائرة المعارف الإسلامية) ثم اتفق أن لقيت نفراً من الأصدقاء فصَحَّحوا لي عدداً من الأسماء. ولقد أحببت ألا أذكر أسماءهم كيلا يُنسب ما بقي من الأسماء بلا تحقيق إلى تساهلهم. وبعد، فإنني قد اعتمدت في ذلك كله أجتاهدي، راجياً ألا يكون الخطأ في ذلك كثيراً. وسأكون شاكراً لكل من يتفضل فينبهني إلى تصحيح ما بقي من خطأ، في هذا الباب وفي غيره أيضاً.

الشرقية (جزائر البليار: ميورقة ومنورقة ويابسة) ولبنى مردانيس في شرقي الأندلس.

ولما ضَعَفَ الموحِّدون في المَغْرِبِ جعلُوا لَآئِهِمْ في الأندلس يَتَنَازَعُونَ، فثَارَ عَلَيْهِمُ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ هُوْدٍ (من أَعْقَابِ بَنِي هُوْدٍ ملوكِ الطوائفِ في سَرَقُشْطَةَ) ودخلَ مَدِينَةَ مُرْسِيَّةَ (٦٢٥ هـ = ١٢٢٧ م) ثُمَّ أَمْتَدَّ سُلْطَانُهُ، في جَنُوبِ الأندلس، على شَاطِئَةِ قُرْطُبَةَ وإشبيلية وجبل طارقِ ثُمَّ على مَرَقَا سَبْتَةَ في المَغْرِبِ.

وَتَصَدَّى لِمُنَافَسَةِ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ بْنِ هُوْدٍ على حُكْمِ بَقَايَا الأندلس رجلٌ من قُرْطُبَةَ أَسَمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ نَصْرِ (بنِ الأحمر) بَعْدَ أَنْ أَسْتَبَدَّ بِحُكْمِ غَرْنَاطَةَ (٦٢٩ هـ = ١٢٣٢ م). ثُمَّ أَشَدَّتِ المُنَافَسَةُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ وجعلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَسْتَنْجِدُ بِالطَّاغِيَةِ (فرديناند الثالث ملك قشتالة) وَيَبْذُلُ لَهُ الحِصُونَ والمُدُنَ الإسلاميَّةَ حَتَّى يُعِينَهُ على خَصْمِهِ. وفي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَتْ أَرْضُ المُسْلِمِينَ في الأندلس تَقْلُصُ من غَيْرِ أَنْ يَسْتَفِيدَ المُنَافِسَانِ شَيْئاً. ولجَأَ آيْنُ الأحمرَ مَرَّةً إلى فرديناند الثالث لِيُعِينَهُ على ثَائِرٍ صَغِيرٍ في إشبيلية، ثُمَّ سَارَ آيْنُ الأحمرَ وفرديناندُ لِحِصَارِ إشبيلية. وبعْدَ عَامَيْنِ سَقَطَتْ إشبيليةُ وَلَكِنْ في يَدِ فرديناندَ لَا في يَدِ آيْنِ الأحمرَ (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م).

وَجَازَ يَعْقُوبُ المَنْصُورُ المَرْيَنِيُّ إلى الأندلس مَرَاراً وحَارِبَ الإِسْبَانِ وَأَنْتَصَرَ عَلَيْهِمُ، وَكَانَ في كُلِّ مَرَّةٍ يَتْرَكُ الغَنَائِمَ والأَسْلَابَ لِبَنِي الأحمرَ لِيَقْوُوا بِهَا على أَعْدَائِهِمْ. وَلَكِنْ بَنِي الأحمرَ كَانُوا قَلِيلِي الوَفَاءِ لِبَنِي مَرْيَنٍ قَصِيرِي النَظَرِ في مَا يَتَعَلَّقُ بِالصَالِحِ لَهُمْ، فَكَانُوا مَرَّةً يَتَأَمَّرُونَ مَعَ الطَّاغِيَةِ على بَنِي مَرْيَنٍ وَمَرَّةً يُحَرِّضُونَ الدُّوِلَاتِ البَرْبَرِيَّةَ في المَغْرِبِ وَيُسَاعِدُونَهَا على قِتَالِ بَنِي مَرْيَنٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَنْتَصَرَ يَعْقُوبُ المَنْصُورُ المَرْيَنِيُّ على الإِسْبَانِ في مُعْظَمِ المَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا في الأندلس. وَبَلَغَتْ مَهَابَةُ يَعْقُوبَ المَنْصُورِ المَرْيَنِيِّ في قُلُوبِ الإِسْبَانِ إِلَى (أَنْ طَلَّبَ شَانْجَهَ الرَّابِعُ مَلِكُ قِشْتَالَةَ مِنَ المَنْصُورِ عَقْدَ مَعَاهِدَةٍ لِلصُّلْحِ. فَعَقِدَتِ المَعَاهِدَةُ على مَا أَمْلَأَهُ المَنْصُورُ المَرْيَنِيُّ. وَبعْدَ عَقْدِ الصُّلْحِ حَضَرَ شَانْجَهَ الرَّابِعُ بِنَفْسِهِ وَقَابَلَ المَنْصُورَ المَرْيَنِيَّ على مَقَرَّبَةٍ من وَادِي لَكَّه (في جَنُوبِ الأندلس) وَأَرَادَ أَنْ يَقْدِمَ إِلَى المَنْصُورِ هَدِيَّةً، فَطَلَبَ المَنْصُورُ مِنْهُ «كُتُبَ الإِسْلَامِ الَّتِي

كان الإسبانُ يَسْتَوْلُونَ عليها عندَ آسْتِلائِهم على المُدُنِ الإسلاميّة. فَبَعَثَ شَانْجُه إلى المنصورَ قَدْرًا عَظِيمًا من تلك الكُتُبِ وَعَدَدًا مُهِمًّا من المَصاحف الكريمة. فَنَقَلَ المنصورُ هذه الكُتُبَ والمصاحفَ إلى مَدِينَةِ فاسَ ووَفَّقَهَا على طَلَبَةِ العلمِ .

وَبِرْغَمِ العداوَةِ التي كان بنو الأحررِ يُضْمِرُونَهَا وَيُظْهِرُونَهَا لبني مرينٍ، فَإِنَّ بني مرينٍ لم يَنْقُطُوا عن الجوازِ إلى الأندلسِ والدفاعِ عن المسلمين. وفي سَنَةِ ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) جازَ أَبُو الحَسَنِ المَرِينِيُّ إلى الأندلسِ، وَلَكِنِ القِشَالِيّينَ والبرتغاليّينَ أَجْتَمَعُوا على حَرْبِ المسلمين في مَعْرَكَةٍ قُرْبَ مَصَبِّ نهرِ سالادو على المُحيطِ الأطلسيِّ وهزموهم. وبعدَ أن آسَتولى أَلْفونسُ الحادي عَشَرَ مَلِكُ قِشَالَةَ على عِدَدٍ من المَدَنِ الإسلاميّة مَنَحَ أبا الحجاجِ يوسُفَ المُوَيْدَ باللهِ مَلِكَ غَرْنَاطَةَ هُذَنَّةً مَدَاهَا عَشْرُ سَنَوَاتٍ.

كُلُّ هذا وبنو الأحررِ في غَرْنَاطَةَ يَتَنَازَعُونَ فيما بَيْنَهم ويُعادون بني مَرِينٍ ويُوَالُونَ الإسبانَ حيناً بعدَ حينٍ. ولم يَسْتَطِعِ الإسبانُ أن يَسْتَوْلُوا على ما بَقِيَ في يدِ المسلمين من الأندلسِ لأنَّهم هم أيضاً كانوا في هذه الحِقْبَةِ مُخْتَلِفِينَ فيما بَيْنَهم، فقد كانت أَسْرَةُ أَرغونَ تُحَارِبُ أَسْرَةَ قِشَالَةَ. وَلَكِنِ في عام ١٤٦٩ م (٨٧٣ - ٨٧٤ هـ) تَزَوَّجَ فَرْدِينَانْدُ الحامِسُ مَلِكُ أَرغونَ إِسَابِلَ أُخْتِ هَنري الرابعِ مَلِكِ قِشَالَةَ. وتوفي هَنري الرابعِ (١٤٧٤ م) وخَلَفَ ابْنَةُ قاصِرَةٍ فَنَصِبَتِ إِسَابِلُ على العرشِ فَاتَّحَدَ بِذلك عَرشُ أَرغونَ وعَرشُ قِشَالَةَ.

زَالَ الخِلافُ الذي كان بين أَسْرَةِ أَرغونَ وأَسْرَةِ قِشَالَةَ فَسَارَتْ إِسَابِلُ على رَأْسِ جَيْشٍ وحاصرتْ غَرْنَاطَةَ بِنَفْسِهَا - وكان مَلوكُ غَرْنَاطَةَ لا يَزَالُونَ مُتَخاضِمينَ يَكِيدُ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ. وجاءَ شتاءُ قاسٍ، وَضَيَّقَ الإسبانُ الحِصارَ على غَرْنَاطَةَ - ولم يَكُنْ قد بَقِيَ للمسلمين من جَمِيعِ مَلِكِ الأندلسِ سِوَاهَا - فَاضْطُرُّ أَهْلُهَا إلى الأَسْتِسلامِ (٨٩٧ هـ = ١٤٩١ م) على أن يَبْقَى من أَهلِ غَرْنَاطَةَ في غَرْنَاطَةَ مَنْ شَاءَ وأن يَخْرُجَ مِنْهَا مَنْ شَاءَ. وكان في مَعَاهِدَةِ الأَسْتِسلامِ سَبْعَةٌ وَسِتُّونَ شَرْطًا لَمْ يَفِ الإسبانُ للمسلمين بِشَرْطٍ مِنْهَا.

## \*\*\* للمقارنة بالأسر الحاكمة في المشرق القريب

- في بلاد الروم (آسية الصغرى: في أماكن مختلفة منها):  
السلالة الترك ٤٦٤ - ٨٨٨ هـ (١٠٧٢ - ١٤٨٣ م).
- في مصر:  
بقايا من الأيوبيين ٥٦٤ - ٦٥٠ هـ (١١٦٨ - ١٢٥٢ م)  
المماليك البحرية ٦٤٨ - ٧٩٢ هـ (١٢٥٠ - ١٣٩٠ م)  
المماليك البرجية ٧٨٤ - ٩٢٢ هـ (١٣٨٢ - ١٥١٦ م)
- في الشام (سورية):  
الباطنيون (الإسماعيلية - جبال النصيرية: في الغرب)  
٥٥٧ - ٦٧١ هـ (١١٦٢ - ١٢٧٢ م)  
بقايا من الأيوبيين في مدن مختلفة (في الشمال خاصة)  
٥٧٤ - ٩٣٠ هـ (١١٧٨ - ١٥٢٤ م)
- في اليمن (في أماكن مختلفة من جنوبي شبه جزيرة العرب):  
٥٩٣ - ٩٢٣ هـ (١١٩٧ - ١٥١٧ م)

### بنو عُثمَانَ (الأتراك العثمانيون)

- في بلاد الروم (آسية الصغرى) ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) وما بعد.
- فتح القسطنطينية ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)
- الفتح العثماني في المشرق ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م)
- الحكم العثماني في الجزائر ٩٣١ هـ (١٥٢٤ م).



## الصورة السياسية في أيام بني نصر (بني الأحمر) في غرناطة:

بنو مرين (من زناتة) في فاس	٥٩٢ - ٩٥٧ هـ (١١٩٦ - ١٥٥٠ م)
بنو هود في مرسية	٦٢٠ - ٦٦٨ هـ (١٢٢٣ - ١٢٧٠ م)
بنو حفص في تونس	٦٢٥ - ٩٨١ هـ (١٢٢٨ - ١٥٧٣ م)
بنو نصر في غرناطة	٦٢٩ - ٨٩٧ هـ (١٢٣١ - ١٤٩٢ م)
بنو زيان بن عبد الواحد بتلمسان	٦٣٣ - ٩٥٧ هـ (١٢٣٥ - ١٥٥٠ م)
بنو مزني في بسكرة (الجزائر)	٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) وما بعد.

## الحفصيون في تونس

كان الحفصيون فرعاً من الموحدين، وهم ينتسبون إلى أبي حفص يحيى بن عمر الهنتاتي. وكان أبو حفص هذا من الأنصار الأقوياء الذين ثبتوا حكم الموحدين في المغرب. ثم إنَّ الناصر الموحدي نصبَ أبا محمد عبد الواحد الحفصي، سنة ٦٠٣ (١٢٠٧ م) نائباً عنه في مدينة تونس. وكانت هذه النيابة وراثية في الحفصيين.

ولما جاء إلى نيابة تونس، سنة (١٢٢٧ م)، ٦٢٦ هـ، أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد، كان الموحدون في مراكش قد ضعفوا ونشأ إلى جانبهم بنو مرين الذين جعلوا ينافسونهم على حكم المغرب. فانتَهز أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد الفرصة وأعلن

أَسْتَقْلَالَهُ بِالْقُطْرِ التُّونِسِيِّ. وَاسْتَطَاعَ أَبُو زَكْرِيَا أَنْ يَمُدَّ مُلْكَهُ إِلَى الْقُطْرِ الْجَزَائِرِيِّ (حَتَّى مَدِينَتَيْ الْجَزَائِرِ وَتِلْغَمَانَ) وَإِلَى الْقُطْرِ الْمَغْرِبِيِّ (حَتَّى سِجِلْمَاسَةَ وَمِكْنَاسَةَ وَسَبْتَةَ وَطَنْجَةَ). وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو زَكْرِيَا حَاكِمًا عُمَرَانِيًّا بَنَى الْقَصْرَ فِي الْقَصَبَةِ (الْمَدِينَةُ الدَّاخِلِيَّةُ: الْقَلْعَةُ) وَبَنَى سَوْقَ الْعِطَّارِينَ (مَرْكَزَ الْحَيَاةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ فِي مَدِينَةِ تُونِسَ) وَبَنَى الْمَسَاجِدَ فَازْدَهَرَ الْقُطْرُ التُّونِسِيُّ فِي أَيَّامِهِ اِقْتِصَادِيًّا وَعُمَرَانِيًّا وَثَقَافِيًّا. وَبَنَى أَبُو زَكْرِيَا هَذَا مَكْتَبَةً ضَمَّتْ، فِيمَا قِيلَ، سِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفَ كِتَابٍ.

وَجَاءَ بَعْدَ أَبِي زَكْرِيَا ابْنُهُ مُحَمَّدٌ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ)، وَعُمُرُهُ نَحْوَ عِشْرِينَ سَنَةً، فَنَازَعَهُ الْعَرْشَ ابْنُ عَمِّهِ اللَّحْيَاثِيُّ ثُمَّ خَلَصَ الْعَرْشُ لِلْمُسْتَنْصِرِ. وَلَكِنْ فِي آخِرِ سَنَةِ ٦٦٨ (١١٧٠ م) هَاجَمَ مَلِكُ فَرَنْسَةِ لُويْسُ التَّاسِعُ - الْمَلَقَّبُ: الْقُدَيْسُ لُويْسُ - شِمَالِيَّ تُونِسَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ جُنْدِيٍّ فَطَالَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْمَلِكَيْنِ سِجَالًا نَحْوَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ. ثُمَّ فَشَا الطَّاعُونُ فِي تُونِسَ وَآمَدَ إِلَى الْجَيْشِ الْفَرَنْسِيِّ فَهَلَّكَ فِيهِ خَلْقٌ عَظِيمٌ فِيهِمْ الْمَلِكُ لُويْسُ نَفْسُهُ. فَاضْطُرَّتْ فَرَنْسَةُ إِلَى سَحْبِ جِيُوشِهَا وَعَقْدِ الصُّلْحِ وَدَفْعِ غَرَامَةِ كَبِيرَةٍ لَتُونِسَ. وَزَادَتِ الْحُضَارَةُ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ هَذَا حَتَّى بَلَغَتْ إِلَى التَّرَفِّ، فَكَانَ هَذَا التَّرَفُ إِيْذَانًا بِالسَّقُوطِ فِي التَّقَهُّقَرِ.

غَرِقَتْ تُونِسُ فِي النِّزَاعِ عَلَى الْعَرْشِ وَفِي الْفِتَنِ زَمَنًا طَوِيلًا، مِنْ سَنَةِ ٦٧٦ إِلَى سَنَةِ ٧٩٦ (١٢٧٧ - ١٣٩٣ م). ثُمَّ جَاءَ إِلَى عَرْشِ الْحَفْصِيِّينَ فِي تُونِسَ أَبُو فَارِسٍ عَزَّوَزُ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) بْنُ أَحْمَدَ (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) فَاسْتَرَدَّتْ تُونِسُ هُدُوءَهَا وَمَكَانَتَهَا وَقُوَّتَهَا وَأَزْدَهَارَهَا. وَلَكِنَّ الْمَرِينِيِّينَ أَصْحَابَ مَرَّاكُشَ نَاجَزُوهُ الْقِتَالَ فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ وَيَتَوَعَّلَّ فِي الْمَغْرِبِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ فَاسَ، فَجَنَحَ الْمَرِينِيُّونَ إِلَى الصُّلْحِ. وَكَانَ لِعَزَّوَزٍ هَيْبَةٌ وَسُلْطَةٌ فَعَظُمَتْ مَكَانَتُهُ فِي أَقْطَارِ الْمَغْرِبِ وَفِي الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا. وَكَانَ عَزَّوَزُ عُمَرَانِيًّا فَمَكَّنَتْهُ ثَرَوَةُ تُونِسَ يَوْمَئِذٍ مِنْ إِقَامَةِ الْقِلَاعِ وَالْمُسْتَشْفِيَّاتِ وَالْمَكْتَبَاتِ. غَيْرَ أَنَّ الدَّوْلَةَ الْحَقْصِيَّةَ كَانَتْ قَدْ هَرِمَتْ بِالنِّزَاعِ الدَّاخِلِيِّ وَبِالتَّرَفِ وَبِالزَّمَنِ أَيْضًا وَزَادَ طَمَعُ الْإِسْبَانِ فِيهَا فَهَيَّا اللَّهُ لَهَا مُجَاهِدَيْنِ هُمَا خَيْرُ الدِّينِ وَأَخُوهُ عَزَّوَجُ الْعُمَانِيَّانِ فَدَفَعُوا عَنْهَا خَطَرَ الْقَرَاصِنَةِ الْأُورُوبِيِّينَ<sup>(١)</sup>.

(١) الْقَرَّاصِنَةُ: لَصُوصُ الْبَحْرِ. وَالْقَرَّاصِنَةُ قَدِيمَةٌ جَدًّا عُرِفَتْ فِي أَيَّامِ الْفِينِيقِيِّينَ (أَوْ الْكَنْعَانِيِّينَ) الَّذِينَ =

ثم زاد هذا الخطر كثيراً فاستنجد أهل الشمال الإفريقي بالدولة العثمانية.

بنو مرين:

إنَّ الحفصيين خَلَفُوا الموحِّدين في تونسَ بالسِّلم، أما المرينيون فقد انتزعوا الحكم من الموحِّدين بالحرب. بدأتْ دولةُ بني مرين بالاستيلاء على مدينة فاس ثم على مدينة مراكش في آخرِ ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٦٦٧ (١٢٦٩/٨/٣٠ م). ولكن القتالَ لم يهدأ في المغرب، فإنَّ دولةَ الموحِّدين لم تَنقِرْضْ إلَّا في سَنَةِ ٦٧٤ (١٢٧٥ م) ثمَّ إنَّ القتالَ ظلَّ دائراً بين المرينيين وخصومهم من الطامعين بالملك في أقطارِ المغرب المختلفة.

يَرْجِعُ الفضلُ في نشأة دولة بني مرين إلى السُّلطان يعقوبَ بن عبدِ الحقِّ (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ) وكان قديراً حازماً لم تقتصرْ جُهوده على توحيدِ المغرب، بل امتدَّتْ جُهودُه إلى مساعدةِ أهلِ الأندلسِ أيضاً، فقد جاز إلى الأندلس أربعَ مرَّاتٍ في نحوِ عَشْرِ سَنَواتٍ (٦٧٤ - ٦٨٤ هـ) وأستطاع أن يَهْزُمَ الإسبانَ ويدفَعَ عن مُسلمي الأندلس شراً كثيراً. ولم يكنِ النصراري الإسبانَ وحدهم أعداءً للسُّلطان المريني، بل كان بنو الأحرارِ المُسلمينَ يخافون على مُلكِهِم الصغيرِ من المرينيين فكانوا في أكثرِ الأحيان يُثالثون الملكَ النصرانيَّ على السُّلطان المُسلم. ولكنَّ الإسبانَ اضْطَرُّوا بعدَ هزائمِهِم المُتواليةِ إلى طلبِ الصلحِ فعقدَ المنصورُ المريني مَعَهُم صلحاً وأخذ فيما أخذه في مُقابلِ هذا الصلحِ أحياناً من كتب العلمِ التي كان نصارى الأندلس قد سلبوها من

---

= كانت لهم سفن تطوف في البحار. وعرفها الإغريق (قدماء اليونان) - وقد ورد ذكرها في الأوديسة، وهي ملحمة منسوبة مع أختها الإلياذة إلى هوميروس من أحياء القرن التاسع قبل الميلاد). وقد بقيت هذه « اللصوصية » إلى العصر الحديث.

كان القراصنة جماعة من الفارين يسطون على السفن وعلى الشواطئ للسلب والنهب. وربما دمروا أيضاً. ومع أن نفراً من هؤلاء كانوا يقومون بمثل هذا العمل بدافع شخصي، فإنَّ عدداً من الدول الأوروبية في العصر الحديث (إنكلترة وفرنسة وهولندة وإسبانية والبرتغال وإيطالية) كان يستخدم هؤلاء في مهاجمة سفن المسلمين وفي الاعتداء على الشواطئ الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط (وخصوصاً في الحوض الغربي منه) وعلى الشواطئ الشرقية من المحيط الأطلسي (سواحل المغرب). وكانت حركة عروج وأخيه خير الدين بربروساً ردّاً على القرصنة الأوروبية للدفاع عن مراكب المسلمين وعن البلاد الإسلامية.

المدن الإسلامية. وكان عهد المنصور المريني عهدَ قوّة وأزدهارٍ اقتصاديٍّ وثقافيٍّ أيضاً.

وتُوفي المنصورُ المريني في الثاني والعشرين من المحرم من سنة ٦٨٥ (١٢٨٦/٣/٢٠ م). فخلفه أبْنُه يوسفُ الملقَّب بالناصر. فعاد الإسبان وبنو الأحمر إلى المقاومة. ولكنَّ الناصرَ استطاع أن ينتصر على الإسبان، سنة ٦٩١ (١٢٩٢ م) في معركةٍ بحريةٍ انتصاراً باهراً. وكذلك ثار على الناصرُ نفرٌ من الناقمين في المغرب نفسه وأستعانوا باليهود الساكنين في المغرب، فتغلَّب الناصر على هؤلاء جميعاً. ولكنَّ الناصر لم يَنجُ من المؤامراتِ فقدِ اغتاله أحدُ خِصيانِه، سنة ٧٠٦ (١٣٠٦ م).

وأمّتد بعدَ الناصرِ عصرٌ من الضَّعف طويلاً. ومعَ أن السلطانَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ عُثمَانَ (٧٣١ - ٧٥٢ هـ) يُعدّ في السلاطين الأقوياء الحازمين، فإنَّ أيامَ حكمه الطويلة كانت مملوءةً بالقلال الداخلية والخارجية. ولم يَعرِفِ المغربُ آنذاك عِزَّةً صحيحةً وأزدهاراً مُستقراً إلّا في أيام أبي عِنانٍ فارسٍ.

### أبو عنان

أشهر سلاطين بني مرين المتأخرين أبو عِنانٍ فارسُ بنُ الحسنِ (٧٥٢ - ٧٥٩ هـ)، فإنّه لما استتبَّ له الأمرُ استردَّ تِلْمِسانَ (٧٥٣ هـ) من يدِ سلطانها أبي سعيد الزنّاتيِّ أحدِ بني عبد الواد<sup>(١)</sup> الذين كانوا قد نازعوا بني مرين على جانبٍ من المغرب، ثم قتلَه. وصمد<sup>(٢)</sup> أبو ثابت الزعيمُ بنُ عبد الرحمن، بعدَ أبي سعيد الزنّاتيِّ، لبني مرين ولكنَّ أبا عِنانٍ هزمه فتمتَّ سيادةُ بني مرين على المغرب الأوسط (القطر الجزائري).

وكذلك استولى أبو عِنانٍ على جانبٍ من إفريقيا (المغرب الأدنى - القطر التونسي). ثم إنَّ عهدَ أبي عِنانٍ في الملك كان عهداً استبحرت فيه الحضارةُ واتَّسع

(١) في إحدى زوراتي للجزائر لحضور عدد من ملتقيات الفكر الإسلامي سألت عن هذا الاسم «عبد الواد». وقد قال لي مرّة الشيخ سليمان داوود بن يوسف - وهو من أفاضل المؤرّخين ومن علماء الأباضية - أن المفروض أن يكون أصل هذا الاسم «عبد الواحد». غير أنّه لم يشأ أن يقطع في ذلك.

(٢) صمد: قصد، هاجم (والعامة يستعملون هذا الفعل بمعنى «ثبت»).

العلم وعمّ العمرانُ وأرقتِ الثقافة، فَقَدْ بنى أبو عنانِ المدارسَ والزوايا- وأشتهرتِ المدرسة البوعنانية في فاسَ بما كان فيها من آثارِ العمرانِ والزُخُرفِ وبما ضَمَّتْ من الطّلابِ ومن مجاميع الكتب. ويكفيه فخراً أن العلّامة عبدَ الرحمن بنَ خلدونٍ اختار أن يَنزِلَ عنده لَمَّا بارحَ بلدَهُ تونسَ. ثم كتب «مقدّمته» الشهيرةَ وقَدّمها إليه.

غيرَ أنّ كلّ هذا الإحسانِ لم يُنقِذْ أبا عنانٍ من يدِ الطُغيانِ فقد قتله وزيرُهُ الحسنُ بنُ عمرَ الفودوديّ (٧٥٩ هـ = ١٣٥٨ م).

### بنو وطّاس

في ذلك الحينِ لم تكنِ الحدودُ ثابتةً بين القطرِ الجزائريّ والقطرِ المغربي (المغرب الأقصى). وكذلك لم يخلُصَ الحكمُ في المغرب لبني مرّين، فقد استبدَّ بنو عبدِ الواد (عبد الواحد؟)<sup>(١)</sup> - وهم فرعٌ من بني زِيّان - بالحكم في تِلِمْسانَ (٦٣٣ - ٧١٨ هـ) ثم عاد الحكمُ في تلمسانِ إلى المرينيين مُدَّةً. ثم عاد فرعٌ آخرُ من بني زِيّان إلى الحكم، سنَّة ٧٦٠ (١٣٥٩ م).

ولمّا انقرضتْ دولة بني مرّين عاد الأمرُ كُلُّهُ إلى فرعٍ من بني مرّين يعرفون ببني وطّاس. ولم يكن في أيام بني وطّاسِ سوى النزاع الداخلي الذي فَسَحَ المجالَ أمامَ البرتغاليين للاستيلاء على مُعْظَمِ شواطئِ المغرب. لقد بلغ المغرب في أيام الدولة الوطّاسية ذرَكَ النزاعِ والفساد. وفي سنَّة ٨٩٧ (١٤٩٢ م) سقطتْ غرناطةُ آخرُ بلادِ المسلمين في الأندلس، فانتقلَ جماعاتٌ من المسلمين من الأندلس إلى المغرب.

وعاشت الدولة الوطّاسية - معَ كلّ ما كان فيها من القلاقلِ والفِتَنِ - إلى سنَّة ٩٦١ (١٥٥٤ م) لما انبسطَ الحكمُ العُثماني على الجزائر.

### القطر الجزائري

كلُّ بلادٍ تَوَلَّفَ دولةً تَتَبَعُ في أسمها وفي إدارتها كُرسِيَّ (العاصمة) فيها. وبما أن

(١) راجع، فوق، الصفحة السابقة، الحاشية الأولى.

الأقطار المَغربية كان فيها كُرسيَّان للحكم (عاصمتان) إحداهما مدينة تُونسَ في المغرب الأدنى (القُطر التونسي) والثانية منها مَرَّاكُشُ في المغرب الأقصى، فإنَّ القُطرَ الجزائري كان، في الواقع، مقسوماً بين تَنينكَ العاصمتين، ولم يكن في القُطر الجزائري دولةً عامّة - برُغمَ ما نشأ فيه، بينَ الحين والحين، من الدُولاتِ الخاصّة - مرّةً تزيدُ حصّةَ تونس منه ومرّةً تزيدُ حصّةَ مَرَّاكُش.

من أجل ذلك كانت أقسامٌ مختلفةٌ من القُطر الجزائري تُتبعُ مرّةً حكمَ الحَفَصيّين في تونس ومرّةً حُكْمَ المَرينيّين في مَرَّاكُش.

ومَعَ أن اعتداء الإفرنج (من الإيطاليّين والفرنسيّين والإنكليز وغيرهم) كان كثيراً على طولِ الشواطئ المغربية، فإن شواطئ القُطر الجزائري نالها من ذلك الاعتداء نصيبٌ أكبرُ لوقوعِ القُطر الجزائري في وَسَطِ تلك الشواطئ.

ولقد شارك أبناءُ القُطر الجزائري في هزيمةِ الحملة الصليبية التي قادها القديسُ لويسُ على قَرطاجَة (شَالِيّ مدينة تونس) مُشاركةً فعّالة، سَنَة ٦٦٩ (١٢٧٠ م).

وعانت شواطئُ القُطر الجزائري من القَرصنة الأوروبيّة شراً كثيراً. وكان القراصنة الأوروبيون يُغيرون على الشواطئ ويخطفون الذين يتفق وجودهم هناك. كان القراصنةُ يَحْمِلون أولئك المخطوفين إلى أقطارِ أوروبة وبييعونهم رقيقاً مُستعَبدين. ولم يكن في القَرصنة عنصرٌ اقتصاديٌّ تجاريٌّ فحسبُ، بل كان فيه عنصرٌ دينيٌّ صليبيٌّ أيضاً. ولما طال شرُّ القَرصنة على الشواطئ من القُطر التونسي خاصة، نشأت هناك حركةٌ إسلاميّةٌ للجِهاد تولّاها المجاهدان العُثمانيان خير الدين وأخوه عروُج. والقَرصنة الأوروبية لم تكن مشاريعَ فرديةً شعبيّةً، بل كانت حركةً دوليةً جماعيّةً ولكن يتولاها في الظاهر أفراد. إن الدُولَ الأوروبيّة (إيطالية وإسبانية والبرتغال خاصة) كانت بينَ الحين والحين، حينما تستطيع، تحتلُّ عدداً من المدن الساحلية في القُطر التونسي أو القُطر المغربي أو القُطر الجزائري. وفي سَنَة ٩١٠ (١٥٠٤ م) احتلَّ الإسبانُ المَرسى الكبيرَ في وَهران. ولم يبقَ الجِهادُ الفرديُّ قادراً على أن يدفعَ الاعتداءَ الدوليَّ، فاستنجدَ أهلُ الجزائرِ بالعُثمانيين فجاء العُثمانيون

لِنَجْدَتِهِمْ وِبدَأُوا فِي الْمَغْرِبِ حُكْمًا إِدَارِيًّا اِمْتَدَّ فِيهَا بَعْدُ إِلَى تُونِسَ وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى.

أَمَّا عَلَى الصَّعِيدِ الْدَاخِلِيِّ فَإِنَّ زَيَّانَ بْنَ أَبِي حَمَّوٍ الثَّانِي تَوَلَّى تِلِمْسَانَ سَنَةَ ٧٩٦ (١٣٩٣ م) وَقَطَعَ دَعْوَةَ الْمَرِينِيِّينَ. مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ جَانِبًا مِنَ الْجَزَائِرِ قَدْ أَصْبَحَ لَهُ شَكْلٌ دَوْلِيٌّ خَاصٌّ. هَذَا الشَّكْلُ الدَوْلِيُّ الْخَاصُّ الَّذِي نَشَأَ فِي تِلِمْسَانَ، بَعِيدًا عَنِ السَّاحِلِ، اسْتَمَرَّ مَدَّةً إِلَى مَا بَعْدَ الْحُكْمِ الْعُثْمَانِيِّ.

### لِيبِيَا

كَانَ تَارِيخُ لِيَبِيَا، فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ، مِنْذَ ٧٢٤ هـ = ١٣٢٤ م، يَدُورُ حَوْلَ طَرَابُلُسَ الْغَرْبِ فِي الْأَكْثَرِ. وَلَقَدْ تَوَلَّى طَرَابُلُسَ بَنُو ثَابِتِ بْنِ عَمَّارٍ غَيْرَ مُسْتَقْلِينَ بِهَا لِأَنَّ الْحَفْصِيِّينَ وَالْمَرِينِيِّينَ وَالْإِفْرَنْجَ كَانُوا يَتَنَازَعُونَهَا وَيَتَدَاوَلُونَ الْحُكْمَ عَلَيْهَا. وَلَمْ يَكُنْ فِي مَقْدُورِ وِلَايَتِهَا مِنْ بَنِي عَمَّارٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَرْضَوْا بِالدَّوْلَةِ الَّتِي تَسِيطِرُ عَلَيْهِمْ أَوْ أَنْ يَسْتَظْهَرُوا بِالْعَرَبِ (الْبَدُو) عَلَى مَقَاوِمَةِ الدَّوْلِ مَقَاوِمَةً مَحْدُودَةً.

وَفِي سَنَةِ ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) اسْتَوْلَى تُجَّارُ جَنُودَةِ الْإِيطَالِيِّينَ عَلَى طَرَابُلُسِ الْغَرْبِ فَتَكَاتَفَ عَلَى اقْتِدَائِهَا نَفَرٌ مِنَ السَّلَاطِينِ وَالْأَمْراءِ وَالنَّاسِ مِنْهُمْ أَبُو عِنَانِ الْمَرِينِيُّ الْمَشْهُورُ، وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَكِّيٍّ صَاحِبُ قَابِسَ (وَقَابِسَ مَدِينَةُ سَاحِلِيَّةٌ فِي جَنُوبِ الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ) وَبَعْضُ أَهْلِ الْحَامَةِ وَالْجَرِيدِ ( فِي جَنُوبِ الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ أَيْضًا).

وَمَعَ أَنَّ آلَ ثَابِتِ بْنِ عَمَّارٍ كَانُوا فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِمْ خَاضِعِينَ لِلدَّوْلَةِ الْحَفْصِيَّةِ فِي تُونِسَ، فَقَدْ أَدْرَكَ أَبُو فَارِسٍ عَزَّوَزٌ (عَبْدُ الْعَزِيزِ الْحَفْصِيِّ) أَنَّ آلَ عَمَّارٍ لَيْسُوا قَادِرِينَ عَلَى حِمَايَةِ طَرَابُلُسَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ فَسَارَ إِلَيْهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا فَانْقَرَضَتْ بِذَلِكَ وِلَايَةُ بَنِي عَمَّارٍ بْنِ ثَابِتٍ (٨٠٣ هـ = ١٤٠١ م).

وَلَمَّا بَدَأَ الضَّعْفُ يَدِبُّ فِي الدَّوْلَةِ الْحَفْصِيَّةِ عَادَتْ الْقَلَاقِلُ إِلَى طَرَابُلُسَ فَطَمَعَ الْإِسْبَانِيُّونَ بِهَا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا (٩١٦ هـ = ١٥١٠ م). وَأَضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ فِي لِيَبِيَا حَتَّى أَنْقَذَهَا الْحُكْمُ الْعُثْمَانِيُّ، سَنَةَ ٩٥٨ هـ = ١٥٥١ م، مِنْ ذَلِكَ الْأَضْطِرَابِ.

## السودان الغربي (أو المغربي) (\*)

السُّودَانُ هو المِنطَقَةُ الممتدَّة في قارَّة إفريقيا (جَنُوبَ مِصْرَ وليبيا والقَطَرِ الجزائريِّ والقَطَرِ المَغْرِبِي) من البحرِ الأحمرِ شرقاً إلى بحرِ الظُّلُمَاتِ (المحيطِ الأطلسي: الأطلسنطيقِي) غرباً. وهذه المِنطَقَةُ تقعُ، عِنْدَ الجُغرافِيَّينَ العربِ، شَمالَ خطِّ الِأَسْتِواءِ، ذلكَ لأنَّ قُدماءَ الجُغرافِيَّينَ مُنْذُ أيامِ اليونانِ قد ظنُّوا أنَّ ما وراءَ (جَنُوبَ) خطِّ الِأَسْتِواءِ بِحارٌّ أو قِفَارٌ أو غاباتٌ كثيفةٌ تَمَلُّأُها الوُحُوشُ الضاريةُ والهوامُ المَهْلِكَةُ، وأنَّها لا تَصْلُحُ لِسُكْنَى البَشَرِ.

ولمَّا قَسَمَ القُدَمَاءُ «الرُّبْعَ المَعْمُورَ» (الجانبَ المَسْكُونِ) من الأرضِ (ما بينَ خطِّ الِأَسْتِواءِ والقُطْبِ الشَّالِي) جَعَلُوهُ سبعةَ أَقَالِيمَ (أو مُناخاتٍ) وجَعَلُوا السُّودَانَ في الأَقْلِيمِينِ الأوَّلِ والثاني وعدَّوْها «مُنْحَرِفَيْنِ عَنِ الِإِعْتِدالِ» لِشِدَّةِ الحَرِّ فِيها، ثُمَّ لِقِلَّةِ مُوافَقَتِها لِلسُّكْنَى وَلِنِشْأَةِ الحضارةِ.

وهذا السُّودَانُ قِسْمَانِ شرقيٌّ وغربيٌّ. والقِسْمُ الشرقيُّ منه يُعرَفُ اليومَ بِاسْمِ السُّودَانِ المِصرِيِّ (مُحْكَمِ الجِوَارِ) - وَهُوَ جُمهُورِيَّةُ السُّودَانِ - وفي السُّودَانِ الشرقيِّ كينيا (جَنُوبَ جُمهُورِيَّةِ السُّودَانِ) وأوغندة وجَانِبٌ من حَوْضِ نهرِ الكونغو (وإن كانَ حَوْضُ نهرِ الكونغو أَحقُّ أَنْ يُنسَبَ إلى أواسطِ إفريقيا. ولا صِلَةٌ كَبِيرَةٌ لَهُ الآنَ بِيَحْيِنَا لأنَّ الإِسْلَامَ دَخَلَ إلى حَوْضِ الكونغو في زَمَنِ متَأخِّرٍ عَنِ العَصْرِ الَّذِي نعالِجُه).

وأَمَّا القِسْمُ الغَرْبِيُّ من السُّودَانِ فيَمْتَدُّ من الحدودِ الغَرْبِيَّةِ لْجُمهُورِيَّةِ السُّودَانِ اليَومِ إلى الشِوَالِيَّةِ الواقعةِ على المُحيطِ الأطلسي من الغَرْبِ ومن الجَنُوبِ. ويدخُلُ فِيهِ (في السُّودَانِ الغَرْبِيِّ: غَرْبِيٌّ إفريقياً) شادٌ وبلادُ النِّكَارِ (النِّيجِرِ) ومالي والسَّنْغَالِ وبلادُ غانَّةِ وساحلُ العاجِ وما يُجاوِرُ هذه كُلَّها من الأقسامِ السِّياسِيَّةِ الحديثةِ.

بدأ دُخُولُ الإِسْلَامِ إلى السُّودَانِ الغَرْبِيِّ مُنْذُ القَرْنِ الرَّابِعِ لِلهِجْرَةِ (العاشِرِ

(\*) راجع الحاشية على الصفحة ٢٥ والمتعلقة بضبط الأعلام الجغرافية وأسماء الأشخاص والقبائل في هذا الفصل، وخصوصاً فيما يتعلّق بالسُّودَانِ الغَرْبِيِّ.



للميلاد) من طريق التجار المترددين على المناطق المختلفة. ثم زاد انتشار الإسلام مع قيام حركة المرابطين في القرن التالي. ولقد كان لدولة المرابطين (٤٤٨ - ٥٤١ هـ) خاصة ثم لدولة الموحدين (٥٢٤ - ٦٦٧ هـ) أثر كبير في ازدياد انتشار الإسلام.

والبحت في جغرافية السودان الغربي وتاريخه معقد جداً لأسباب منها أسماء الأمكنة التي ترد على صور مختلفة باختلاف لهجات السكان الكثيرة. ثم إن هذه الأسماء قد تكون أحياناً أسماء قبائل. أضف إلى ذلك كله أن هذه الأسماء نفسها لا تطلق عادة على أماكن متحيزة، ذلك لأن مساكن القبائل تتداخل ثم تتسع وتضيق بحسب امتداد سلطة رؤساء القبائل أو تقلص تلك السلطة.

وبعد ذلك تأتي الروايات التاريخية المتضاربة والمختلطة بالخرافات وما تنسأه الذاكرة الإنسانية من الأحداث ثم ما تضيفه من الأحداث إلى ذلك القصص الشعبي القائم على النقل الشفوي من جيل إلى جيل.

ثم إن معالجة الحياة السياسية في السودان الغربي لا يمكن أن تكون على أساس الوحدات السياسية (الدول) التي نعهد لها في أيامنا، بل على أنها مساحات من الأرض تضيق أو تتسع بحسب قوة المتغلبين عليها من أرباب الأسر ورؤساء القبائل.

### حوض النكار وحوض السنغال

يبدأ نهر النيل الغربي (النكار)، تمييزاً له من نهر النيل الشرقي أو نيل مصر<sup>(١)</sup> من غربي إفريقيا، متجهاً نحو الشمال الشرقي حتى يصل إلى نقطة عند طرف الغابات الاستوائية على الحدود الجنوبية من الصحراء الكبرى، ثم يعطف نحو الجنوب ويستمر على سفته (في اتجاهه) إلى أن يصب على مقربة من خليج فرناندو اليوم.

وأما نهر السنغال فيقع في الطرف الجنوبي الغربي من السودان الغربي: يبدأ في منطقة فوتا جالون (بلاد فوٲ) ثم يتجه شمالاً. وبعد أنحناء شديد يتجه غرباً ليصب

(١) في مقدمة ابن خلدون (٩٢/٥٤): ..... ويسمى نيل السودان، ويذهب إلى البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة أوليك (٩). وعلى هذا النيل مدينة سلا (قرب الرباط، في المغرب) وتكرور وغانة - وكلها لهذا العهد في مملكة ملك مالي.

في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) شال العاصمة دكار، عند بلدة جديدة هي سان لويس. ومع أن كلمة تكرر تطلق، عند المسلمين، على مُعظم السودان الغربي، فإنها أكثر أنطباقاً على ذلك الجزء الغربي الذي يُسمى بعضه (على بحر الظلمات) « السنغال ».

## الإسلام في السودان الغربي

إنَّ انتشارَ الإسلامِ في السودانِ يَرْجِعُ إلى جهودِ جماعة من البربر يحسن الكلام على نفر منهم هنا.

البربر أو السكّان الذين كانوا في المغرب عند الفتح الإسلامي قِسمانِ رئيسان: البرانس والبُتر. ومن البرانس: صنهاجة وكُتامة. «وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي إلى السبعين منهم لمتونة وكدالة (بكاف معقودة) ومسوفة..... وتحت هذه القبائل بطون وأفخاذ تقوّت الحصر..... ومن صنهاجة «الملثمون».... وموطن هؤلاء الملثمين أرضُ الصحراء والرّمال الجنوبيّة فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان.... وكان دينُ صنهاجة أهل اللثام المجوسيّة فدخلوا في الإسلام بعد فتح الأندلس (٩٢ للهجرة = ٧١١م). وكانت الرّئاسة فيهم للمتونة. وثبت ملك لمتونة واطال فجاهدوا أمم السودان ودعّوها إلى الإسلام، فدان بالإسلام كثير من أهل السودان.

ثم أفترق أمر لمتونة بعد ذلك وأصبح ملكهم طوائف وأصبحت رئاستهم شيعاً، مدّة من الزمن - نحو مائة وعشرين سنة - إلى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت اللمتوني فاجتمعوا عليه وبايعوه.

ولما توفّي محمد بن تيفاوت قام بأمر صنهاجة يحيى بن إبراهيم الكدالي، وكان بنو صنهاجة يسكنون الصحراء التي تليها من الجنوب غابات بلاد السودان وليها من الغرب البحر المحيط. وكان آبن تيفاوت يتابع الجهاد في بلاد السودان للدفاع عن قبيلته صنهاجة ولنشر الإسلام.

وفي سنة ٤٢٧ للهجرة (١٠٣٥م) ذهب يحيى بن إبراهيم إلى الحج. ولما رجع مرّ

بالْقَيْرَوَانِ فَلَقِيَ فِيهَا أَبَا عِمْرَانَ مُوسَى بْنَ عِيسَى الْغَفْجُومِيَّ الْفَاسِيَّ. وَخَاطَبَهُ فِي أَمْرِ  
الْبُرْبَرِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي جَنُوبِ الْمَغْرِبِ وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى عِلْمٍ كَافٍ بِأُمُورِ الْإِسْلَامِ.  
فَكَتَبَ أَبُو عِمْرَانَ رِسَالَةً إِلَى أَحَدِ أَتْبَاعِهِ وَاجَاغَ بْنَ زُلُو<sup>(١)</sup> اللَّمَّطِيَّ (وَكَانَ يَسْكُنُ فِي  
بَلَدَةِ نَفِيسٍ، عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ سِجِلْمَاسَةَ - جَنُوبَ جِبَالِ الْأَطْلَسِ عِنْدَ الْحُدُودِ الشَّالِيَةِ  
لِلصَّحْرَاءِ) وَأَعْطَاهَا لِيَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ. فَأَشَارَ وَاجَاغُ عَلَى أَحَدِ تُلَّابِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
يَاسِينَ الْجَزُولِيِّ<sup>(٢)</sup> بِأَنْ يُرَافِقَ يَحْيَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ. وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٣٠  
(رَبِيعِ عَامِ ١٠٣٩ م)<sup>(٣)</sup>.

وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ أَنَّ أَفْضَلَ الْوَسَائِلِ لِنَتَشِثَةِ جِيلٍ يَقُومُ بِالْجِهَادِ وَيَحْمِلُ  
الدَّعْوَةَ إِلَى الْإِسْلَامِ إِقَامَةُ رِبَاطٍ (أَوْ رِبَاطَةٍ) فِي نَهْرِ النَّيْلِ الْغُرِّيِّ (النَّيْجَرِ) يَرْبِي فِيهِ  
أَتْبَاعُهُ تَرْبِيَةً خَالِصَةً مَقْطُوعَةً مِنْ مَشَاكِلِ الْبَيْئَةِ الْأَجْتَمَاعِيَّةِ الْعَامَّةِ.

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ تُوُفِّيَ يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَدَّالِيُّ فَأَخْتَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ مِنْ  
قَبِيلَةِ لَمْتُونَةَ أَمِيرًا عَلَى فُرُوعِ قَبِيلَةِ صِنْهَاجَةَ هُوَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ اللَّمْتُونِيُّ، وَظَلَّ عَبْدُ  
اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ صَاحِبَ دَعْوَةِ الْمُرَابِطِينَ (نِسْبَةً إِلَى الرِّبَاطَةِ الَّتِي كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ  
قَدْ أَقَامَهَا فِي نَهْرِ النَّيْلِ الْغُرِّيِّ). غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَاسِينَ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ الْحَاكِمَ  
الْفِعْلِيَّ مِنْ وَرَاءِ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ.

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ لَمْ يَكْتَفِ بِالدَّعْوَةِ بِالْكَلِمَةِ الْحَسَنَةِ، بَلْ جَعَلَ يُجَاهِدُ قِبَائِلَ  
الْبُرْبَرِ فِي جَنُوبِ الْمَغْرِبِ حَتَّى حَمَلَهَا جَمِيعًا عَلَى الطَّاعَةِ وَنَشَّأَهَا عَلَى الدِّينِ الْخَالِصِ  
(السلوك الخالي من شوائب الوثنية) وجعلها قوّة سياسيّة مرهوبة الجانب.

تَمَّ تُوُفِّيَ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ اللَّمْتُونِيِّ، سَنَةَ ٤٤٧ للهجرة فَقَدَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ لِرِثَاسَةِ  
صِنْهَاجَةَ أَخَا لِيَحْيَى بْنِ عُمَرَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَرَ، فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٤٤٨ (أَوَّلِ  
أَيَّامِ الرَّبِيعِ مِنْ عَامِ ١٠٥٦ لِلْمِيلَادِ).

(١) زُلُو (يزاي ساكنة).

(٢) قَبِيلَةُ كَزُولَةَ (بِكَافٍ مَعْقُودَةٍ سَاكِنَةٍ، تَلْفُظُ كَمَا يَلْفُظُ أَهْلُ الْقَاهِرَةِ الْجِيمَ: كَزُولَةُ). أَمَّا حَرَكَةُ هَذِهِ الْجِيمِ  
فَتَكُونُ بِالْفَتْحِ (وَهُوَ أَشْهُرُ) وَتَكُونُ بِالضَّمِّ.

(٣) كَانَتْ وَفَاةُ أَبِي عِمْرَانَ الْفَاسِيِّ سَنَةَ ٤٣٠ هـ.

وفي سنة ٤٥١ للهجرة (١٠٥٩ م) تُوِّفِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ، ورَأَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَرَ أَنَّ الْعِبَةَ أَثْقَلُ مِنْ أَنْ يَحْمِلَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَهَدَ إِلَى ابْنِ عَمِّ لَهُ هُوَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّمْتَوِيِّ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ جَانِباً مِنَ الْأَمْرِ السِّيَاسِيِّ وَمِنْ الْجِهَادِ فِي قِبَائِلِ الْبَرَبِرِ الْقَرِيبَةِ مِنْ شَمَالِي الْمَغْرِبِ وَبَقِيَ هُوَ يُجَاهِدُ فِي الْجَنُوبِ قَرِيباً مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ. وَلَكِنْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٥٣ (مطلع عام ١٠٦١ م). نَظَّمَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ بِإِمْرَتِهِ، وَكَانَ - كَمَا بَدَأَ فِيهَا بَعْدَ - يُرِيدُ الْإِسْتِقْلَالَ بِالْحُكْمِ. وَلَقَدْ كَانَتْ رَغْبَةُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عُمَرَ فِي الْجِهَادِ وَالِدَعْوَةِ فِي بِلَادِ السُّودَانِ أَكْبَرَ عِنْدَهُ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي الْحُكْمِ السِّيَاسِيِّ، فَلَمْ يُقَاوِمِ عَمَلَ يَوْسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ.

وظَلَّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَرَ يُجَاهِدُ فِي الْجَنُوبِ وَيَدْعُو حَتَّى أَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ، سَنَةَ ٤٨٠ للهجرة (١٠٨٧ م). فِي ذَلِكَ الْحِينِ كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ اتَّسَعَ أَنْتَشارُهُ فِي بِلَادِ السُّودَانِ وَبَدَأَتْ تَنْهَضُ فِي السُّودَانِ دَوْلٌ مُسْلِمَةٌ.

### مَالِي أَوْ مَالِي<sup>(١)</sup>:

عَلَى ضِفَافِ نَهْرِ النِّيلِ الْغَرْبِيِّ هَذَا مُدُنٌ مُهِمَّةٌ (زَالَ عَدَدٌ مِنْهَا مِنْذُ زَمَنِ). مِنْ هَذِهِ الْمُدُنِ كُلُّهَا (أَبْتَدَأَ مِنْ مَنَاجِزِ النِّيجَرِ): جَارِبُ، كَانْكَابَا، بَرْمُكُو<sup>(٢)</sup>، نِيَانِي (مَالِي الْقَدِيمَةِ)، جِنَّةٌ، دِيَا، ثُمَّ (قَبْلَ أَنْعَاطِهِ جَنُوباً) بَامْبَا. وَعَلَى مَسَافَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ هَذَا الْمُنْعَطَفِ (إِلَى الشَّالِ الْغَرْبِيِّ) تَقُومُ مَدِينَةٌ تَنْبُكْتُ (تَمْبُكْتُو)، ثُمَّ بَعْدَ أَنْعَاطِهِ مَدِينَةُ كَاو. (كَأَو).

وَالْمَدِينَةُ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِ مَالِي بُنِيَتْ عَلَى هَضْبَةٍ تَكْثُرُ فِيهَا الزَّرَاعَةُ، بَنَاهَا أَحَدُ شِيُوخِ جَمَاعَاتِ مَنَدَةِ فِي زَمَنِ لَا نُحَقِّقُهُ، وَلَكِنْ - عَلَى كُلِّ حَالٍ - قَبْلَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ (الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ). وَالْعَاصِمَةُ الْأُولَى لِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ كَانَتْ جَارِبُ فِي أَعْلَى

(١) بِلَادُ مَالِي (الْيَوْمَ) كَانَتْ تُعْرَفُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ بِاسْمِ بِلَادِ التَّكْرُونِ (بِالنُّونِ فِي آخِرِهَا) وَيُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ «التَّكْرُور» (بِالْراءِ). وَكَانَ هَذَا الْاسْمُ يُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى مَعْظَمِ بِلَادِ السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ (غَرَبِي) أَفْرِيْقِيَّةً.

(٢) بَرْمُكُو (فِي الْمَصَادِرِ الْأَجْنِبِيَّةِ وَفِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ): بَامَاكُو.

نهر النّگار (النّيجر قريباً من منابعه) في مِنطقة كانشاما. ودَخَلَ الإسلام إلى كانشاما وعَمَّها مُنْذُ القرن الرابع للهجرة (الحادي عَشَرَ للميلاد).

ومالي دَخَلها الإسلام من طريق التّجّار، في نحو ٤٠٠ للهجرة (١٠١٠ م)، وفي سَنَةِ ٤٤٢ للهجرة (١٠٥٠ م) أَعْتَنَقَ مَلِكُها باراماندانا<sup>(١)</sup> الإسلام. وأدّى هذا الملك فَرِيضَةَ الحجّ، فكان بذلك قُدوةً لجميع ملوك مالي الذين جاءوا بعده.

ومرّ من الزمن قرنان كان - في أثنائها - تاريخُ مالي القائم على الروايات الشعبيّة (مثل غيره من تاريخ بلاد السودان) كثير الغُموض. في هذه الحقبة، ونحو سَنَةِ ٤٩٥ للهجرة (١١٠٠ م)، كان المَلِكُ موسى كَتَعَ - والمُلَقَّب: عَلّا كُي (كُي بِضَمّ فسكون: الرئيس) - قد أدّى فَرِيضَةَ الحجّ أربع مرّات، فيما قيل. غير أنّ التاريخ السياسيّ الواضح لِمَمْلَكَةِ مالي يبدأ بمجيء ملكٍ اسمه سُنْ دياتا.

إلى الشّال الغربي من مِنطقة مالي كانت تقوم بلدة صوصو (وربّما كانت «صوصو» \* اسماً لِمقاطعة وَلِلْفَةِ أيضاً). ففي سَنَةِ ٦٢١ للهجرة (١٢٢٤ م)، أو بعد ذلك بقليل، استولى سومان غورو سيّدُ صوصو على ماندنغ<sup>(٢)</sup> (اسم مالي القديم) وأخذ أبناء مَلِكِها الاثني عَشَرَ وقَتَلَهُمْ إلّا واحداً كان كسيحاً (مُقْعِداً) يُدعى سُنْ دياتا (السّيّد الأسود).

استطاع سُنْ دياتا، برُغم عاهته، أن يهرُبَ من أسر سومان غورو وأن يجمَعَ حوله أنصاراً ويقاتلَ بهم ثم يستعيدَ ماندنغ من يدِ سومان غورو، سَنَةِ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م). وأحبَّ سومان غورو أن يَسْتَرِدَّ ما فَقَدَهُ في حربِ سُنْ دياتا، فَنَشِبتَ بينَ المَلِكَيْنِ معركةٌ في كيريني، عند مدينة كوليكورو (شالَ برمكو)<sup>(٣)</sup>، فَانْهَزَمَ سومان غورو وسَقَطَ في المعركة قتيلاً. وتابَعَ سُنْ دياتا فَتُوحَهُ حتّى اسْتَطاعَ أن يُلْحِقَ إمبراطوريّة صوصو كلّها بِمَمْلَكَتِهِ. ونحو سَنَةِ ٦٣٨ للهجرة (١٢٤٠ م) اسْتَوَلَى على غانة وخرَّبها.

(١) برما (أو باراما) ثم ندنا (أو ندانا) بإدغام النون في الدال. ولعل له صيغاً أخرى.

(٢) ماندنغا (اسم قبيلة). \* أو «كوكو» أيضاً.

(٣) في الكتب الحديثة: باماكو.

ولما آتست مملكة سُن دياتا أصبحت عاصمتها جاربُ (في مقاطعة كانغابا) في أعالي حوض النيجر متطرفة جداً: مَوْغلة في الغابات الاستوائية وبعيدة عن طريق القوافل، فبنى مدينة - على نحو مائتين وثلاثين كيلومتراً شمال جارب - سماها، على الأرجح، نيامي. أما قبائل الفولاني<sup>(١)</sup> (في الغرب) فيقولون فيها: مالي وميلي (بإمالة الياءين)، والبربر يقولون: ميل وميليت (بإمالة الياءين الأوليين). والعرب يقولون: ماليل وميليل (بإمالة الياءات الثلاث). أما الهوسا (وهم جماعات لغوية لا عرقية) فيقولون: ونكر.

وبعد سنة ٦٣٨ للهجرة لم يقيم سُن دياتا بحملات جديدة، ولكن قواده استطاعوا أن يوسعوا رقعة الإمبراطورية. وفي النصف الثاني من القرن السابع للهجرة (والنصف الثاني من القرن الثالث عشر للميلاد) بلغت إمبراطورية مالي أقصى اتساعها وذروة عظمتها.

وفي مدى جيل من الدهر (٦٧٠ - ٧٠٧ للهجرة) بعد سُن دياتا، توالى على عرش مالي خمسة ملوك أو يزيدون لم يكن فيهم من يستحق لقب ملك سوى مولى (عبد رقيق أعتقه سيده) يدعى سبكورا أو سكورا (٦٨٤ - ٧٠٠ هـ) أغتصب العرش ولكن رد إلى مالي شيئاً من عظمتها.

ثم جاء أشهر ملوك مالي في صفحات التاريخ: منسا موسى أو الملك موسى (٧١٢ - ٧٣٨ هـ) فزاد في اتساع رقعة الإمبراطورية. واشتهر منسا موسى بقيامه بالحج سنة ٧٢٤ للهجرة (١٣٢٤ م)، فإنه حمل معه مالا كثيراً وأصطحب حاشية وفيرة وتصدق بأموال كثيرة.

ولما عاد منسا موسى إلى السودان أصطحب نفراً من العلماء والأدباء، يحسن أن نذكر منهم هنا الشاعر القرناطي إبراهيم بن محمد الساحلي المشهور بالطوئجين<sup>(٢)</sup>، وكان مهندساً أيضاً أدخل البناء بالطابوق أو القرميد (الطين

(١) فلأتا (بالفاء وشدة على اللام ثم تاء مشناة من فوقها) إسم قبيلة. والفلاقي (بفتح الفاء وتشديد اللام وتاء قبل الياء الأخيرة) والفلاقي (بضم الفاء وتشديد اللام ثم نون قبل الياء).

(٢) في الإحاطة (١: ٣٣٧ وما بعد): دخل إلى بلد السودان فأتصل بملكها واستوطنها زماناً طويلاً. كانت وفاته ٧٤٧ هـ (راجع ترجمته في هذا الجزء).

المطبوح) وبنى عدداً من المساجد في تُنْبُكْتُ وكاشو، على الطريقةِ الهَرَمِيَّةِ (بسطوح عالية مَخْرُوطَة تنتهي بنقطة) ممَّا يساعد على تخفيف الحرِّ عن المصلِّين.

وبعدَ منسا موسى هذا بدأ آنحدارُ إمبراطوريَّةِ مالي.

## غانة

غانةُ، في الأصل، لَقَبٌ للملوكِ الذين حكموا تلك البلادَ التي عُرِفَتْ فيما بعدُ بِأَسْمِ غانة. ثم أُطْلِقَ هذا الأسمُ «غانة» على عاصمةِ المملكةِ وعلى البلادِ الداخلةِ في حُكْمِ تلك المملكة. ويبدو أنَّ عاصمةَ إمبراطوريَّةِ غانة كانت في وعكري أو في قُنْبَ (قُنْبَ صالح، وهي الآن خرائبٌ على نحوِ مَائَتَيْ ميل - ثلاثمائة كيلومترٍ شَالَ بَرْمَكُو)<sup>(١)</sup>.

وقيمةُ غانةُ في التاريخ تَرْجِعُ إلى مَعْدِنِ الذهبِ الكثيرِ في أرضها. ثم هي مملكةٌ قديمةٌ عَرَفَهَا التاريخُ منذُ القرنِ الثاني قبلَ الميلاد. وقد كانت أكبرَ ممالكِ السودانِ في غربي إفريقيا.

في أواسطِ القرنِ الثاني للهجرة (نحو ٧٧٠م) كانت تحمُ غانةُ أسرةً سودانيةً من السُّنْفِي<sup>(٢)</sup>، وكان النزاعُ بينَ هذه الأسرةِ وبينَ قبائلِ البربرِ في الشَّالِ شديداً. وفي سَنَةِ ٣٨٠ للهجرة (٩٩٠م) أَحْتَلَّتْ قَبِيلَةُ لَمْتُونَةَ مدينةَ أوداغُشتَ (أو أوداغُستَ)، وجعلتها مركزاً تجارياً كبيراً. هذه المدينةُ قد زالتِ الآن، ولا نَعْرِفُ مَوْقِعَهَا بالتدقيق. غيرَ أنَّ ذلك لم يَمْنَعْ الأسرةَ السُّنْفِيَّةَ من البقاءِ في الحكمِ ومن مَدِّ حُدُودِها ما بين تُنْبُكْتُ والبحرِ المُحيط (الأطلسي) ما بين نهرِ النيلِ الغربي (النيجر) ونهرِ السنغال. وذلك في القرنِ الخامس للهجرة (الحادي عَشَرَ للميلاد).

(١) راجع، فوق، ص ٤٠، الحاشية الثانية.

(٢) تلفظ «صفاي» (بصاد مضمومة ثم غين كأنها قاف ثم نون خفيفة كأنها مضمرة: مدغمة في الياء). ولعل معناها: السُّنْفِي، نسبة إلى سَنَةِ رسول الله (ﷺ).

في سَنَةِ ٤٦٩ للهجرة (١٠٧٦ م) اسْتَوْلَى أَبُو بَكْرُ بْنُ عُمَرَ عَلَى مَدِينَةِ قُنْب عَاصِمَةِ غَانَةَ وَدَخَلَ جَانِبٌ كَبِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ فِي الْإِسْلَامِ. غَيْرَ أَنَّ جِهَادَ أَبِي بَكْرِ بْنِ عُمَرَ فِي قِبَائِلِ الْبَرَبِ لَمْ يُمَكِّنْهُ مِنَ الْإِحْتِفَاطِ بِعَاصِمَةِ غَانَةَ طَوِيلًا، إِذْ أَضْطُرَّ إِلَى الْإِنْسِحَابِ مِنْهَا ثُمَّ قُتِلَ فِي إِدْرَارَ (جِبَالِ الْأَطْلَسِ)، سَنَةَ ٤٨٠ للهجرة (١٠٨٧ م) وَهُوَ يُقَاتِلُ الْبَرَبِ.

وَبَعْدَ سَنَةِ ٤٨٠ للهجرة أَخَذَتْ قُوَّةُ مُلُوكِ غَانَةَ السُّنْفِي فِي التَّرَاجُعِ حَتَّى اقْتَصَرَتْ مَمْلَكَتُهُمْ عَلَى بُقْعَةٍ إِلَى غَرْبِ نَهْرِ الْكَارِ فِيهَا بَسِّيكَونُو عَلَى مَقَرِّبَةٍ مِنَ النَّهْرِ ثُمَّ وَعُكْرِي الْمُوَغْلَةُ غَرْبًا. أَمَّا الْمَنَاطِقُ الْآخَرَى الَّتِي كَانَتْ خَاضِعَةً لِمَمْلَكَةِ غَانَةَ فَقَدْ أَصْبَحَتْ مَمَالِكَ مُسْتَقْلَةٍ.

وَفِي سَنَةِ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م) اسْتَوْلَتْ مَالِي عَلَى مَدِينَةِ غَانَةَ. وَبَعْدَ خَمْسِ سَنَاتٍ دُمِّرَتْ مَدِينَةُ غَانَةَ.

وَلَقَدْ كَانَ لُغَانَةُ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ، فَإِنَّ الْأَسْرَ الَّتِي كَانَتْ تَحْكُمُ فِيهَا وَالْقِبَائِلُ الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُهَا وَتَعْمَلُ فِي الرِّعْيِ - وَفِي الزَّرَاعَةِ أَيْضًا - وَهِيَ فِي الْأَغْلَبِ قِبَائِلُ سُنْفِي (صَغَاي)، ثُمَّ هِيَ مُخْتَلِفَةٌ الْأَصُولِ مُخْتَلِفَةُ الْمَسَاكِنِ. وَبِمَا أَنَّ هَذِهِ الْقِبَائِلُ كَانَتْ كَثِيرَةً الْعَدَدِ مُتَفَرِّقَةً فِي الْمَنَاطِقِ فَقَدْ اتَّسَعَ انْتِشَارُ الْإِسْلَامِ عَلَى يَدَيْهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَطْرَافِ الْغَابَاتِ الْأَسْتَوَائِيَّةِ - جَنُوبَ الصَّحْرَاءِ الْكُبْرَى.

لَيْسَ لَنَا عِلْمٌ بِالتَّارِيخِ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ انْتِشَارُ الْإِسْلَامِ فِي السُّودَانِ الْمَغْرِبِيِّ. وَلَيْسَ نَمْتَّ مَا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ يَكُونَ انْتِشَارُهُ قَدْ بَدَأَ مِنْذُ مَجِيءِ الْعَرَبِ إِلَى الْمَغْرِبِ، مِنْذُ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ لِلْهِجْرَةِ، مِنْ طَرِيقِ التِّجَارَةِ وَمِنْ طَرِيقِ دُعَاةِ مُتَطَوِّعِينَ. وَيَذْكُرُ لُويْسُ مَاسِينِيون فِي تَقْوِيمِهِ «الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ» (بِالْفَرَنْسِيَّةِ، طَبْعَةُ ١٩٥٤ بَارِي) أَنَّهُ كَانَ فِي كَانَم<sup>(١)</sup> (شَادَ الْيَوْمَ) شَيْءٌ دَوْلَةٌ يَسْكُنُهَا مُسْلِمُونَ مِنْذُ الْقَرْنِ التَّاسِعِ لِلْمِيلَادِ (الثَّالِثِ لِلْهِجْرَةِ) فِي الْأَغْلَبِ (ص ٣٥٩).

(١) كَانَم (بِفَتْحِ النُّونِ وَبِضَمِّهَا أَيْضًا) وَتَشَادُ أَوْ «شَاد» (بِلَا تَاءٍ فِي أَوَّلِهَا).



غَيْرَ أَنَّ مِنْ الثَّابِتِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ انْتِشَارًا وَاسِعًا فِي مُعْظَمِ أَرَاضِي  
إِفْرِيقِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ (السُّودَانِ الْمَغْرِبِيِّ) مِنْذُ مَطْلَعِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ لِلْهِجْرَةِ (الْحَادِي  
عَشَرَ لِلْمِيلَادِ). وَلَكِنْ إِذَا نَحْنُ اسْتَعْرَضْنَا «الْدِيَاكِ الْمَذْهَبَ» لِأَبْنِ فَرْحَوْنَ  
الْيَعْمُورِيِّ (ت ٧٩٩ هـ) - وَهُوَ مَغْرِبِيُّ الْأَصْلِ - ثُمَّ كِتَابَ «نَيْلِ الْآبْتِهَاجِ بِتَطْرِيزِ  
الْدِيَاكِ لِأَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَقْبَسِ الْمَعْرُوفِ بِلَقَبِ بَابَا التُّنْبُكْتِي  
(ت ١٠٣٦ هـ) - وَهُوَ مِنْ تَنْبُكْتِ (تَنْبُكْتُو) الْمَرْكَزِ الْأَكْبَرِ لِلثَّقَافَةِ فِي السُّودَانِ  
الْمَغْرِبِيِّ (أَوْ الْمَغْرِبِيِّ) - لَمْ نَرَهُمَا ذَكَرَا أَحَدًا مِنَ الْأَدْبَاءِ أَوْ الْعُلَمَاءِ أَوْ الْفُقَهَاءِ قَبْلَ  
الْقَرْنِ التَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ، ثَمَّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَنْشَأْ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ أَحَدٌ مِنْ ذَوِي  
التَّقَدُّمِ وَالشُّهُرَةِ فِي هَذِهِ الْفُنُونِ قَبْلَ ذَلِكَ التَّارِيخِ.

### كَانَم - بُرْنُو<sup>(١)</sup>

مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ مَنْ يُعَالِجُ تَارِيخَ كَانَمَ مُسْتَقْلَالًا عَنْ تَارِيخِ بُرْنُو، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسَوِّقُ  
تَارِيخَهَا فِي سَرْدٍ وَاحِدٍ. وَأُظُنُّ أَنَّ الْمَنْهَجَ الثَّانِي أَدْعَى إِلَى الْإِخْتِصَارِ.

وَكَانَمُ - فِي الْأَصْلِ - اسْمُ مَدِينَةٍ ثُمَّ أُطْلِقَ هَذَا الْاسْمُ عَلَى دَوْلَةٍ. وَكَانَمُ هَذِهِ  
كَانَتْ تَقَعُ إِلَى الشَّرْقِ الشَّامِلِي مِنْ بَحِيرَةِ شَاد، وَهِيَ الْيَوْمَ مَقَاطِعَةٌ فِي جُمْهُورِيَّةِ  
تَشَاد. أَمَّا بُرْنُو فَهِيَ مَقَاطِعَةٌ إِلَى غَرْبِ بَحِيرَةِ شَاد. وَكَانَ سَكَّانُ  
الْمَقَاطِعَتَيْنِ - كَانَمَ وَبُرْنُو - أَخْلَاطًا مِنَ الْقِبَائِلِ.

يَبْدُو أَنَّ تَأْسِيسَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ كَانَ عَلَى يَدِ قَبِيلَةِ زُوَاغَةَ الْبَرْبَرِيَّةِ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ  
بَدْوِيَّةٌ كَانَتْ تَسْكُنُ إِلَى الشَّامِلِ مِنْ كَانَمَ، وَكَانَ انْتِشَارُهَا فِي تِلْكَ الْأَصْقَاعِ  
وَاسِعًا. وَقَدْ بَدَأَ دُخُولُ الْإِسْلَامِ إِلَى كَانَمَ مِنْذُ الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ (الْعَاشِرِ  
لِلْمِيلَادِ) عَلَى يَدِ التَّجَّارِ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهَا مِنْ لِيْبِيَا وَمِصْرَ، أَوْ يَمْرُونَ  
بِهَا. وَلَمَّا بَدَأَ الْقَرْنُ السَّادِسُ لِلْهِجْرَةِ (٥٠١ هـ = ١١٠٨ م) كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ اتَّسَعَ  
انْتِشَارُهُ ثُمَّ اسْتَقَرَّ. وَلَكِنْ يَبْدُو أَيْضًا أَنَّ الْحُكْمَ كَانَ، إِلَى ذَلِكَ الْحِينِ، «مَشِيخَةً  
بَدْوِيَّةً» ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى دَوْلَةٍ مَلَكِيَّةٍ، فِيمَا بَعْدُ.

(١) بُرْنُو (الْأَصْلُ فِي الْبَاءِ أَنَّ تَكُونُ سَاكِنَةً، وَهِيَ هُنَا شَبْهُ مَفْتُوحَةٍ، مَعَ مِيلٍ إِلَى ضَمِّهَا).

وفي الرواية أَنَّ أَوَّلَ الملوك المسلمين في هذه الدولة حومي أو أومي (٤٧٨-٤٩٢ هـ)، ثم يضطرب سياق الملوك لأنَّ اسم حومي (محمَّد؟) يكثرُ فيهم. ولَمَّا جاء دونغا بنُ حومي (نحو ٤٩٠-٥٤٥ هـ=١٠٩٧-١١٥٠ م) استطاع، في أثناء رئاسته الطويلة الأمد أن يُؤيِّدَ سلطة قبيلته في كامل. وقد حجَّ مرتين ثم غرَّق، في المرَّة الثالثة، في البحر الأحمر.

ويأتي في هذه السلسلة حومي آخرُ أو محمَّد بنُ عبد الجليل الملقَّب سَلْمَى (سالم؟)، وقد حكم من سَنَةِ ٥٩٠ إلى سَنَةِ ٦١٨ للهجرة (١١٩٤-١٢٢١ م) فوسَّع المملكةَ وسيطر على قبيلة زغاوة (التي كانت هيَ مسيطرةً على كامل وما حولها). وفي أيامه أيضاً بدأ زوالُ الوثنية. ثم أصبحت جيمي (نجمينا)<sup>(١)</sup> عاصمةً للدولة.

وبعدَ السلطان محمَّد بن عبد الجليل جاء أبْنُه دونغا (ت ٦٤٩ هـ=١٢٥١ م) فكان عهده مملوءاً بالحروب. ولكنه حرصَ على إقامة صِلاتٍ بالحفصيين أصحاب تُونِسَ فأرسلَ إلى السلطان الحفصيَّ المُستنصر (أبي عبد الله محمَّد بن يحيى) هدايا نفسيَّة كان فيها زُرافةٌ (وكان دونغا يدعى في ذلك الحين سلطان بُرنو، وكانت عاصمته مدينة كوكه أو جاجا أو كاكّا- بكاف عربية أو بكاف معقودة). ويبدو أن برنو كانت مُنفردة بحُكم نفسها ولكنها كانت تابعةً لمملكة كانم. ثم يُمرُّ قرنٌ أو يزيدٌ قليلاً فنرى كأنم نفسها تابعةً لسلطان بُرنو، ويُرسِلُ سلطانها أبو عمرو عُثان بنُ إدريس، سَنَةَ ٧٩٤ للهجرة (١٣٩١ م) رسولاً إلى الظاهر بَرْقوق سلطانٍ مِصْرَ يشكو إليه غاراتٍ على أرضه ذَهَبَ فيها أخوه وسَلَفه في الحُكم عمرو (أو عُمَرُ) بنُ إدريس بنِ إبراهيم،، إلى جانب عددٍ كبيرٍ من الرعايا سقطوا قتلًا أو أسرى في يَدِ المُغيرين.

وبعدَ جيلٍ من الدهر (نحو ٨٤٣ هـ=١٤٤٠ م) أصبحت مملكة بُرنو على

(١) هذه اللفظة «نجمينا» تشويه من الاسم الذي يرجع في أصله إلى العربية: إن جمنا (استرخا) والعامة يقولون جَمِينَا (إن جَمِينًا نكتب كلمة واحدة: النَجْمِينَا).

جانب من القوة فأخذَ جيرانها يُدارونها، وربّما دَفَعُوا لها الجزى. ثم بعدَ جيلٍ آخرَ جاءَ إلى عرش بُرنو الغازي علي بن دونّا (٨٨١-٩٠٩ هـ) فقضى على المنازعات على العرش ونظّم مرافقَ الدولة ثم بني، إلى الغرب من بُحيرة شادّ، سَنَةَ ٨٨٩ للهجرة (١٤٨٤ م)، عاصمةً جديدةً سَمّاها «غِسْرَغَمُو» (قصرغمو أو بَرْنُونُ بَرْنُو<sup>(١)</sup>: حصن بُرنو) وبسطَ سُلطته على مَنْ كان مجاوره شرقاً وغرباً.

وجاء بعدَ عليّ هذا سُلطانٌ هو إدريسُ كَتَع كُرُمِي (؟) فحكم من سَنَةِ ٩٠٩ إلى سَنَةِ ٩٣٢ للهجرة (١٥٠٣-١٥٢٦ م)، فعادتْ كاتُم إلى الخضوع للمملكة بُرنو وبقيتْ قبائلُ بولالا شبة مُستقلّة (تَعيشُ في تلك المملكة ولكن تدفع جزية).

### امبراطورية الصوصو (صو) في كِيَاك (كانياغا)

جاءت جماعاتٌ من التَّكُور (حوض نهر السنغال)، في القرن السادس للهجرة (الثاني عَشَرَ للميلاد) وأستبدّت بالسيطرة على كِيَاك: كانياغا (إلى الغرب من أواسط نهر النيجر). وفي سَنَةِ ٥٧٦ للهجرة (١١٨٠ م) نهَضَ جُنْدِيٌّ وَعَكْرِيٌّ (سلنكي: نسبة إلى مدينة سيلّا من مدن السنغال) يدعى ديارا كنتي (؟) - وكان هذا الأسمُ يُطلقُ أيضاً على الأسرة الحاكمة وعلى البلد. وقد كانت تلك الأسرةُ الحاكمةُ وثنيّةً.

وجاء (٢) بعدَ ديارا كنتي أبْنُه صوماغورو (صوماهورو) كنتي (نحو ١٢٠٠-١٢٣٥ م: ٥٩٨-٦٣٣ هـ) وأحتلّ ماندنغ (في أعالي حوض النيجر)، فشجّع ذلك على أن يحتلّ جاربَ (كانغابا) في الجنوب ثم غانة في الشّمال.

غيرَ أنّ هذا النصرَ كان خاوياً فإنّ النهبَ والقتلَ اللذين سادا بعد هذا الاحتلال حملاً التُّجَّارَ المسلمين (في غانة خاصّة) على الهجرة إلى ولاتن (إلى

(١) برنن برنو أصلها برنو (مدينة، حصن) برنو (مضاف ومضاف إليه: برنو برنو - وفي لغتهم تدخل النون بين المضاف والمضاف إليه فيصبح التركيب الإضافي: برنن برنو.

(٢) راجع، فوق، ص ٤٠ «تاريخ مالي».

الشَّمال الشرقي من بلدة غانة، على الحدود بين مِنطَقة الغابات ومنطقة الصحراء) وعلى إنشاء محطّة تجارية في ولاتن أخذت، على طريق القوافل، مكانَ غانة، وذلك نحو سَنَةِ ٦٢١ للهجرة (١٢٢٤ م).

ويقال إنّ صوماغورو لما احتلّ ماندنغ قتل أحدَ عشرَ أبناً للملك ماندنغ. غيرَ أن واحداً من هؤلاء الأبناء - وأسمُهُ: صندياتا<sup>(١)</sup>، وكان كسيحاً - نجا من القتل. ثمّ إنّه جمع أنصاراً له، وفي سَنَةِ ٦٣٣ للهجرة قاتل صوماغورو، فأنهزم صوماغورو وقتل، فعادتْ فلولُ أتباعه إلى التكرور؛ وعادت ماندنغ إلى حكم صندياتا.

### اميرطوريّة سنغي (صُغاي)

تطلق كلمة سنغي على قبائل من أصول مختلفة كانت تسكن في الحوض الأدنى للنّكار (في منتصف الطريق بين آنخائه في الشّمال ومَصَبِه في الجنوب). وفي نحو ٢٦٠ للهجرة (٨٧٢ م) كانت مملكتهم كوكو\* (بضمّ الكافين أو بفتحها) أكبر ممالك السودان. في ذلك الحين كان يسكنُها جماعاتٌ من البربر. ففيها وُلِدَ أبو يزيد مَخلدُ بنُ كَيّداد الرّناقي النّكاري (نسبة إلى النيجر؟) الإباضي الذي ثار على الفاطميين (أصحاب تونس).

وفي نحو سَنَةِ ٣٧٠ للهجرة (٩٨٠ م) كان حُكّام كوكو مسلمين. وبعدَ قرنٍ من الزمنِ آتتْهم أسرة «زا» (جا، ديا: الجاءون: الذين جاءوا من اليمن) الإسلام. ولكن يبدو أن السكّان الأصليين (من السودان) ظلّوا على الوثنيّة زماناً طويلاً.

ثمّ دخلتْ مملكة سُنْغِي، سَنَةِ ٦٤٨ للهجرة (١٢٥٠ م) في حكم مالي. وفي سَنَةِ ٦٧٥ للهجرة (١٢٧٥ م) أسّس علي كولون أسرة سي أو شي، أو شيا (الجباة، الخلفاء: خلفاء جا؟). وفي نحو ذلك الزمنِ آتتْ عاصمة سُنْغِي إلى مدينة كوكو.

ويبدو أن حُكّام مالي كانوا، بين حينٍ وآخر، يَسُطّون سُلْطَتَهُم على بلادٍ

(١) راجع، فوق، ص ٤١.

\* صوصو

سُنِّي هذه. وبين سَنَةِ ٧٢٦ وسَنَةِ ٧٣٧ (١٣٢٥ - ١٣٣٥ م) كانت كوكو وما يَتَبَعُهَا داخِلَةً فِي سُلْطَان مَالِي. وَقَدْ زَارَ مُوسَى صَاحِبَ مَالِي، سَنَةَ ٧٢٦ (مَدِينَةَ) كوكو.

ثُمَّ إِنَّ أَسْرَةَ الْجَائِينَ اسْتَعَادَتْ اسْتِقْلَالَهَا. وَفِي سَنَةِ ٨٧٠ لِلْهِجْرَةِ (١٤٦٤ م) أَقَامَ عَلِيُّ الْكَبِيرُ إِمْرَاطُورِيَّةَ سُنِّي. وَمِنْ ذَلِكَ الْحِينِ عُرِفَتْ هَذِهِ الْأُسْرَةُ بِأَسْمِ سُنِّي. وَجَاءَ سُنِّي عَلِيٌّ إِلَى الْعَرْشِ (نَحْوَ ٨٧٠ - ٨٩٩ هـ) فَاسْتَطَاعَ اسْتِرْدَادَ تَنَبُكَتْ، سَنَةَ ٨٧٤ لِلْهِجْرَةِ (١٤٦٩ م)، بَعْدَ أَنْ كَانَ الطَّوَارِقُ قَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا، سَنَةَ ٨٣٧.

وَيُقَالُ إِنَّ سُنِّيَ عَلِيًّا هَذَا كَانَ يَهْتَمُّ بِأَغْرَاضِهِ الشَّخْصِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ أَهْتَامِهِ بِنَا سِوَى ذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ حُكْمُهُ فِي تَنَبُكَتْ صَالِحًا فَهَجَرَهَا الرُّعَاءُ مِنْ أَهْلِهَا وَهَجَرَهَا تُجَارُهَا إِلَى وَلَا تُنْ. وَفِي سَنَةِ ٨٩٨ لِلْهِجْرَةِ (١٤٩٢ م) مَاتَ سُنِّي عَلِيٌّ فَبَجَاءَ بَعْدَهُ بَارُو (أَبُو بَكْرٍ دَاوُ). وَلَكِنْ فِي الْعَامِ التَّالِيِ اسْتَطَاعَ أَحَدُ الْقَوَادِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْحُكْمِ، وَكَانَ مُسْلِمًا مُخْلِصًا، فَارْتَقَى الْعَرْشَ بِأَسْمِ اسْكِيَا مُحَمَّدٍ الْأَوَّلِ فَنَظَّمَ الْإِدَارَةَ وَأَنْشَأَ جِيشًا نِظَامِيًّا وَأَقَرَّ الْأَمْنَ فَعَادَتْ تَنَبُكَتُ مَرْكَزًا لِلثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَسَّسَ أُسْرَةَ حَكَمَتْ قَرْنًا كَامِلًا مِنَ الزَّمَنِ. مِنْ سَنَةِ ٩٠٠ إِلَى سَنَةِ ١٠٠٠ لِلْهِجْرَةِ (١٤٩٣ - ١٥٩١ م).

وَفِي سَنَةِ ٩٣٥ لِلْهِجْرَةِ (١٥٢٨ م) كُفِّ بَصْرُ مُحَمَّدٍ وَأُصِيبَ بِالْعَجْزِ فَاسْتَبَدَّ بِالْمُلْكِ مَكَانَهُ ابْنُهُ مُوسَى. وَلَكِنْ وَقَعَ التَّنَافُسُ عَلَى الْحُكْمِ بَيْنَ نَفَرٍ مِنَ الْقَوَادِ وَنَفَرٍ مِنَ الْمُغَامِرِينَ وَأَضْطَرَبَ الْأَمْرُ حَتَّى جَاءَ اسْكِيَا إِسْحَاقُ، سَنَةَ ٩٤٦ لِلْهِجْرَةِ (١٥٣٩ م) فَتَغَلَّبَ عَلَى خُصُومِهِ وَقَتَّلَهُمْ. وَجَاءَ بَعْدَ اسْكِيَا إِسْحَاقُ أَخُوهُ دَاوُودُ (سَنَةَ ٩٥٦ هـ). وَلَقَدْ تَابَعَ إِسْحَاقُ وَأَخُوهُ دَاوُودُ سِيَاسَةَ أَبِيهِمَا اسْكِيَا مُحَمَّدٍ الْأَوَّلِ فِي نَشْرِ الْإِسْلَامِ<sup>(١)</sup>.

(١) هَذِهِ الْأَحْدَاثُ وَالَّتِي تَلِيهَا وَقَعَتْ بَعْدَ الْحَقْبَةِ الَّتِي يَعْالِجُهَا هَذَا الْجُزْءُ، وَلَكِنْ الِاسْتِمْرَارُ قَلِيلًا فِي سَرْدِهَا يَجْعَلُ الصُّورَةَ التَّارِيخِيَّةَ لِتِلْكَ الْبِلَادِ الَّتِي يَغِيبُ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنْ تَارِيخِهَا أَكْثَرَ وَضُوحًا ثُمَّ يَدُلُّ عَلَى اتِّصَالِ مَجْرَى الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ مِنَ الْأَرْضِ.

ولما مات داوود، سَنَ ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) عادَ الاضطرابُ إلى البلاد، ولم يَسْتَطِعِ ابنه مُحَمَّدُ الثالثُ أن يُدارِيَ الأحداثَ التي كانت في أيامه.

في ذلك الحين كان على عَرشِ المغربِ سُلطانٌ قويٌّ قديرٌ هو أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ مُحَمَّدٍ المعروفُ بالمنصور الذهبي، وقد حَكَمَ من سَنَ ٩٨٦ إلى سَنَ ١٠١٢ للهجرة (١٥٧٨ - ١٦٠٣ م). ولا رَيْبَ في أن المنصورَ لما نَظَرَ إلى قُوَّتِهِ وإلى ضَعْفِ الممالكِ السودانية كان قد داخَلَهُ الطَّمَعُ في الاستيلاء على مناجمِ المِلْحِ ومناجمِ الذهبِ في بلادِ السودان. وكان بينَ المنصورِ سُلطانِ المغربِ وإسحاقَ الثاني مَلِكِ كاغو مفاوضاتٍ سياسيةٍ لم تُثْمِرْ، فأرْسَلَ المنصورُ إلى السودانِ جيشاً كبيراً بقيادة قائِدٍ أَسْمُهُ جُوْذِر. ومعَ أن الجيشَ المغربيَّ لم يَصِلْ مِنْهُ إلى أرضِ السودانِ إلَّا أَقلُّه - لِطولِ الطريقِ ومَشَقَّةِ التحرُّكِ في الصحراء - فَإِنَّ الجيشَ المَغْرِبِيَّ قد تَغَلَّبَ، بما كان لديه من المدافع، على جيشِ القبائلِ السودانية (التي زادتْ على مِائَةِ أَلْفٍ من الرجال) لأنَّها كانت تُحَارِبُ بِأدواتٍ بدائيةٍ من النُّبالِ والرِّماح. كان ذلك في أواخرِ سَنَ ٩٩٩ للهجرة (١٥٩١ م). وقد فرَّ أسْكيا<sup>(١)</sup> إسحاقُ الثاني (غرباً) عَبْرَ نَهْرِ النِّكَارِ (النيجر). ويبدو أنَّ شَيْئاً من المُقاومة للمَغاربة قدِ اسْتَمَرَّ في أرضِ السودان، ولكنَّ تلكَ المُقاومةَ أَنتَهَتْ في العامِ التالي وأنقرضتْ بِأنتهائِها إمبراطوريَّةُ سُنْغِي.

### ودَّاي

ودَّايُ مِنطَقَةٌ تَتَّصِلُ بِها بِاجِرْمَةُ ودارفورُ، غَرْبُ بُحيرةِ شاد (بَحيرةِ لامي)، وَهِيَ أَحَقُّ أن تكونَ من أواسطِ السودانِ أَكْثَرَ مِنْها من غَرْبِهِ.

وقد تَأَخَّرَ دُخولُ الإسلامِ إلى ودَّاي حَتَّى القرنِ العاشرِ للهجرة (السادسَ عَشَرَ للميلاد). قِيلَ دَخَلَهَا الإسلامُ على يَدِ رَجُلٍ أَسْمُهُ صالِحٌ. من أَجلِ ذلكَ

---

(١) أسْكيا: الشيخ (؟). - «أسْكيا»: الذي ليس هو، الآخر (غير الذي كان من قبل). هذه ملاحظة أبداها الزميل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة الدكتور عبد الله الطيّب (المخرطوم).

تُعرَفُ «ودّاي» بِأَسْمِ دارٍ صالحٍ أو دارٍ صُليحٍ أيضاً. أمّا الأَسْمُ «ودّاي»  
فيُقال فيه إنّه آتٍ من «ودّاعة». وأهلُ المِنطقة يفضّلون على أَسْمِ «ودّاي» أَسْمَ بُركو  
(بضمّ الباء).

أمّا الأحداثُ التي دارتُ في ودّايَ فمتأخّرةٌ عن العصر الذي نُقصّ تاريخه  
في هذا الكتاب.

## الحياة الثقافية - في أيام بني الأحمر -

سألجأ في تصوير هذا العصر إلى إيراد عددٍ وافٍ جداً من الكتب في فنون العلم المختلفة. ومع أنّ عدداً كبيراً جداً من هذه الكتب لا يُعدُّ في نطاق الأدب، فإنّه يدلُّ على رُقْيِ الحياة الثقافية بلا ريب. ثمّ إنّنا نرى في هذه الكتب ميلاً كبيراً إلى الموضوعات الدينية، ممّا يتفقُ عموماً حينما تضعفُ القوةُ السياسية في الأمة، فالدينُ ملاذٌ وملجأ في أيام الحزن والضعف.

وسببُ الإطالة في هذا الفصل لصورة هذا العصر حِرْصٌ مِنّا على أن نُوقِنَ أن هذا العصر الذي لم يكن وضاءً في السياسة، قد كان وضاءً جداً في الثقافة. وسيرى القارئ أن عدداً كبيراً من الأسماء - من أسماء الكتب ومن أسماء مؤلفي الكتب - يَدْفَعُ عن هذا العصر «تُهْمَةُ الانحطاط» التي أرادَ نفرٌ من الأغيار ومنا أيضاً أن يُلصِقوها به.

### العلوم الدينية:

من أوائل الذين يُشارُ إليهم في هذا الباب، وفي العلوم الدينية، محمدُ بنُ عبدِ الله المُرسِي (٥٧٠ - ٦٥٥ هـ) له: رِيُّ الظَّمَانِ أو التفسيرُ الكبير (في أكثر من عشرين جزءاً) - التفسيرُ الأوسط (في عشرة أجزاء) - التفسيرُ الأصغرُ (ثلاثة أجزاء). ومنهم المُقرئ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ حَسَنِ الفاسِي (٥٨٩ - ٦٥٦ هـ) في الأغلب له اللآلئُ الفريدة في شرحِ القصيدة الشاطبية. ثمّ منهم ابنُ عَبْدُونِ المكناسي (ت ٦٥٩ هـ) (\*\*). ومنهم المفسرُ الكبير أبو بكرِ القُرْطُبِي (ت ٦٧١ هـ) (\*\*).

(\*) لأصحاب الأسماء من الذين أُشير إليهم بنجمين تراجع مستقلة في هذه السلسلة (يبتدى إليها بسنوات وفياتهم).



ومنهم أيضاً أحمد بن محمد بن خضير الشاطبي (ت ٦٧٤ هـ) له: قواعد الخط - كتابان في قراءة ورش<sup>(١)</sup>. وكذلك منهم عبد السلام بن علي الزواوي ولي قضاء المالكية في دمشق وأنتهت إليه رئاسة الإقراء فيها له: عدد الآي - التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات (في القراءات). ثم يأتي هنا الشاعر مالك بن المرحل (ت ٦٩٩ هـ) (\*\*). ثم أبو جعفر بن الزبير الفرناطي (ت ٧٠٣ هـ) (\*\*). صنف: البرهان في ترتيب سور القرآن - ملك التأويل تمتع لكتاب «درة التنزيل وغررة التأويل» لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)<sup>(٢)</sup> أو رد عليه.

ويأتي هنا أيضاً عبد الواحد بن محمد المالقي (ت ٧٠٥ هـ) له: الدر النثير والعذب النмир في شرح كتاب التيسير لأبي عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤ للهجرة (\*\*). ثم هنالك ميمون الفخار (ت ٧١٦ هـ) له: التحفة في القراءات - الدرّة - المورد. وكان لأبي عبد الله محمد بن محمد الحراز الشريشي (ت ٧١٨ هـ) إمام القراء في فاس: أرجوزة مورد الظمان في رسم القرآن - عمدة البيان في رسم القرآن - الحصرية في القراءات - شرح العقيلة<sup>(٣)</sup> في القراءات - شرح ابن بري<sup>(٤)</sup> - الدرر اللوامع في أصل مقراً نافع. وذكر عبد الله كنون (النبوغ المغربي ٢١٦)<sup>(٥)</sup> كتباً في علوم القرآن لابن البناء العددي (ت ٧٢١ هـ) منها: تفسير الباء في البسمة - تفسير الاسم (باسم الله الرحمن الرحيم) في البسمة - تفسير سورة الكوثر - تفسير سورة العصر - حاشية على الكشف - الدليل في مرسوم خط التنزيل - المتشابه اللفظ في القرآن - تسمية الحروف وخاصة وجودها في أوائل السور.

ولابن آجرؤم (\*\*). (ت ٧٢٣ هـ): البارغ في قراءة نافع - شرح حيز الأمان (في القراءات) للشاطبي. وهنالك «الأجوبة» (في التفسير) لابن البقال (ت ٧٢٥ هـ). ثم هنالك أحمد بن الحسن بن الزيات الكلاعي له: لذة السمع في القراءات السبع - قصيدة

(١) عثمان بن سعيد (لقبه ورش) من القراء المشهورين، مولده ووفاته في مصر (١١٠ - ١٩٧ هـ).

(٢) للفخر الرازي ترجمة في الجزء الثالث من هذه السلسلة.

(٣) عقيلة أتراب القصاصد؟ (لشاطبي).

(٤) ابن بري: علي بن محمد بن الحسين الرباطي (ت ٧٣١ هـ) عالم بالقراءات.

(٥) له ترجمة في هذا الجزء.

على نَمَط الشاطبية (حِرَز الأمازي). ثم هنالك لأبي الحسن علي بن محمد ابن برّي الرباطي (ت ٧٢٥ هـ) وكان من أهل تازة ورئيس ديوان الإنشاء فيها: أرجوزة في مخارج الحروف - أرجوزة مشهورة هي « الدرر اللوامع في أصل مقراء الإمام نافع »، مطبوعة (الأعلام للزركلي ٥: ١٥٦) وعليها شروح ولها مختصرات منها: المختار من الجوامع في مُحَاذَاة الدُرَر اللوامع لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (ت ٨٧٥ هـ) صنّفه سنة ٧٤٢ (الجزائر ١٣٢٤ هـ).

وكان أحمد بن محمد العشّاب القرطبي وزيراً في تونس، له تفسير (للقرآن) مختصر. ولاين القوّبح التونسي (ت ٧٣٨ هـ) (\*\*\*) تفسير سورة ق. ولاين جزي مرتّب رحلة ابن بطّوطة (ت ٧٤١ هـ) (\*\*): البارغ في قراءة نافع - التسهيل لعلوم التنزيل (مطبوع، راجع الأعلام للزركلي ٦: ٢٢١). وكذلك لإبراهيم بن محمد الصفاقسي (٦٩٧ - ٧٤٢ هـ) « المجيد في إعراب القرآن المجيد » (ألفه مع أخيه محمد). ولحمد ابن عليّ البَلَنَسِيّ العَنَسِيّ (ت ٧٤٦ هـ) « صِلَة الجمع وعوائد التذيل لمَوْصُول كِتَابِي الإِعلام والتكميل لمُبَهَمَاتِ القرآن ».

ولمحمد بن عليّ بن عابد الفاسي (ت ٧٦٢ هـ) اختصار الكشاف (للمخشي) أزال عنه صِبْغَة الاعتزال. وكذلك لأبي القاسم السلوي (من أحياء القرن التاسع) تفسير للقرآن. وللجاذريّ أو الجاديريّ (ت ٨١٨ هـ): النافع في أصول حَرْفِ نافع<sup>(١)</sup> - شرح ضَبْط القيسيّ - شرح ابن برّي<sup>(٢)</sup>. ولحمد بن يحيى بن جابر الضّاني المكناسي (ت ٨٢٧ هـ) كتاب في رسم القرآن. ولأحمد بن محمد المسيلي (ت ٨٣٠ هـ) تفسير للقرآن.

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (بالتصغير) المدني المتوفى في المدينة، سنة ١٥٩ هـ (٧٧٥ م) على الأصح (وفيات الأعيان ٥: ٣٦٨ - ٣٦٩)، وفي الأعلام للزركلي (الطبعة الرابعة ٨: ٥) سنة ١٦٩ هـ، وهو أحد القراء السبعة.

(٢) ابن برّي النحوي أبو محمد عبد الله بن برّي المتوفى ٥٨٢ هـ (له ترجمة في الجزء الثالث من هذه السلسلة). ولعل المقصود بابن برّي هنا: أبو الحسن علي بن محمد التازي (ت ٧٣١ هـ) من الماهرين في العلوم العربية والقراءات (النبوغ المغربي ٢٠٩).

ومن المُكثَرين في التَّأليفِ أبو زيد عبدُ الرحمن بنُ مُحَمَّدٍ الثَّعالِي<sup>(١)</sup> الجزائريّ (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ) له: الجواهرُ الحِسانُ في تفسِيرِ القرآن (الجزائر ١٣٢٧ هـ) - المُختار من الجوامع في مُعَاذَةِ الدَّرَرِ اللّوامع في أصل مُقرأ الإمامِ نافعٍ (الجزائر ١٣٢٤ هـ، راجع سركيس ٦٦١؛ بروكلمان، الملحق ٢: ٣٥٠، السطر العشرين). - نفائسُ الرُّجَانِ في قِصَصِ القرآن. وكذلك لأبي عبدِ الله الحِسنِ (أو الحِسين) بنِ عليّ الشّوشاوي السِّمْلَالِيّ (ت ٩٠٠ أو ٨٩٩ هـ): إِيْعَانَةُ المُبْتَدِئِينَ (في القِرَاءَات) - الفوائدُ الجميلةُ على الآياتِ الجليّة - شرحُ مُوردِ الظَّمانِ في رسم القرآن. ويأتي هنا مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الكَرِيمِ المَغِيلِيّ التِّلِمَسَانِيّ (ت ٩٠٩ هـ) له البدرُ المنير في علومِ التفسير. ثم هنالك لابن غازٍ المِكناسيّ (ت ٩١٩ هـ) (\*\*\*) نَظْمُ قِرَاءَةِ نافع.

..... علوم الحديث

يَحْسُنُ البَدْءُ هنا بعليّ بنِ إِبْرَاهِيمَ الأُمَيّيّ الشَّرِيشِيّ (٥٦١ - ٦٤٢ هـ) كان عليه مَدَارُ الفُتْيَا في وقته، وله تَأْلِيفٌ في الحديثِ والفقه. ومن المُؤَلِّفِينَ في الحديثِ القاسمُ أبْنُ مُحَمَّدٍ بنِ الطَّيْلَسَانِ القُرْطُبِيّ (٥٧٥ - ٦٤٢ هـ) له: الجواهرُ المِفْصَلَاتِ في المُسَلْسَلَات - غرائبُ أخبارِ المُسَنِّدِينَ<sup>(٢)</sup> - ما وَرَدَ من الأمرِ في شُرْبِ الخمر - بيانُ المِنَنِ على قَارِئِ الكِتَابِ والسُّنَنِ<sup>(٣)</sup>. ثم هنالك مُحَمَّدُ بنُ عَتِيقٍ اللاردي (٥٦٣ - ٦٣٧ هـ) له: أنوارُ الصّباح في الجمعِ بين الكُتُبِ السِّتَةِ الصّحاح<sup>(٤)</sup> - مطالعُ الأنوار في شمائلِ المُختار (رسول الله). ثم هنالك أيضاً مُحَمَّدُ بنُ يوسُفَ بنِ مسدي (بفتح الميم أو بضمّها) الغَرْنَاطِيّ (ت ٦٦٣ هـ)، له: المُسَنَدُ الغَرِيب (جمع فيه مذاهبَ علماء

(١) راجع، في الثَّعالِيّ هذا، تاريخُ الجزائر العام ٢: ٢٦٢ - ٢٦٤، سركيس (معجم المطبوعات العربية) ٦٦١.

(٢) السند (بضمّ فسكون ففتح) - والتي تجمع جمع مذكر سالماً: الحافظ لحديث رسول الله والمونوق في روايته.

(٣) الكتاب (القرآن الكريم) والسُنن (المقصود: أحاديث رسول الله عامّة).

(٤) والصّحاح: صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ) - صحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ) ثم كتب السنن: لابن ماجة (ت ٢٧٣ هـ) - وأبي داوود الجِسْنَانِيّ (ت ٢٧٥ هـ) - والترمذي (ت ٢٧٩ هـ) - والنسائي (ت ٣٠٢ هـ).

الحديث) - المُسَلَّات - الأربعون (حديثاً) المختارة في فضل الحجّ والزّيارة (زيارة المدينة) - مُعْجَم (ترجم فيه لشيوخه). وهنالك أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ أَحَدَ الْعَرَفِيِّ (بفتح ففتح) السَّبْتِي (٦٠٧ - ٦٧٧ هـ) أَكْمَلَ نَظْمَ « الدُّرِّ الْمُنَظَّمِ فِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ الْمُعْظَمِ » (من تأليف والده أَحَدٌ). ومن المُؤَلِّفِينَ فِي الْحَدِيثِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي جَمْرَةَ الْأَنْدَلِسِيِّ (ت ٦٩٩ هـ فِي الْأَغْلَبِ) لَهُ جُمُعُ النِّهَايَةِ (اِخْتَصَرَ فِيهِ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ) - بِهَجَةِ النُّفُوسِ (شرح جمع النِّهَايَةِ)، وَالْكِتَابَانِ مَطْبُوعَانِ.

وهنالك مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْيَقُورِيُّ الْأَنْدَلِسِيُّ (ت ٧٠٧ هـ) لَهُ إِكْمَالُ الْإِكْمَالِ (لِلْقَاضِي عِيَاذٍ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ). وَكَانَ ابْنُ رُشَيْدٍ السَّبْتِي (ت ٧٢١ هـ) (\*\*\*) صَاحِبُ الرِّحْلَةِ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ، لَهُ: تَرْجُمَانُ التَّرَاجِمِ (فِي وَجْهِهِ مَنَاسِبَةٌ تَرَاجِمُ الْبُخَارِيِّ) - إِفَادَةُ النَّصِيحِ بِأَسْنَادِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ - السَّنَنُ الْأَبِينُ وَالْمُورِدُ الْأَمْنُ فِي الْمَحَاكِمَةِ بَيْنَ الْإِمَامَيْنِ (الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ فِي الْحَدِيثِ الْمُنْعَنِ<sup>(١)</sup>). وَلَايْنُ الشَّاطِطُ الْقَاسِمُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْإِسْبِيلِيُّ (ت ٧٢٥ هـ) كَتَابُ التَّعْرِيفِ بِرِجَالِ الْبُخَارِيِّ - حَاشِيَةٌ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ. وَلَأَيُّ الْقَاسِمِ التَّجِييِ السَّبْتِي (ت ٧٣٠ هـ) «أَرْبَعُونَ حَدِيثًا فِي الْجِهَادِ».

وَمِنْ أَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ فِي الْحَدِيثِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ الْيَعْمُورِيُّ (٦٧١ - ٧٣٤ هـ) أَصْلُهُ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ وَلَكِنَّهُ وَلَدَ ثُمَّ تَوَفَّى فِي الْقَاهِرَةِ. لَهُ: عُيُونُ الْأَثَرِ فِي غَزَوَاتِ سَيِّدِ رِبْعَةٍ وَمُضَرٍّ<sup>(٢)</sup> وَفِي شَمَائِلِهِ إِذْ هِيَ أَشْرَفُ شَمَائِلِ الْبَشَرِ (عُيُونُ الْأَثَرِ فِي فُنُونِ الْمَغَازِي وَالشَّمَائِلِ وَالسِّيَرِ) (الْقَاهِرَةُ ١٣٥٦ هـ، دِمَشْقُ ١٣٥٨ هـ) - بُشْرَى اللَّيِّيبِ بِذِكْرِ الْحَبِيبِ (مَجْمُوعُ قِصَائِدٍ فِي مَدْحِ الرُّسُولِ مَرْتَبَةً عَلَى الشُّعْرَاءِ) مَطْبُوعٌ (سْتِرَالَنْدُ فِي شِمَالِي شَرْقِيٍّ أَلْمَانِيَةِ ١٨١٥ م) - الْمَقَامَاتُ الْعَلِيَّةُ فِي الْكِرَامَاتِ الْجَلِيلَةِ (مَدَائِحُ فِي الرُّسُولِ) - النَّفْحُ الشَّدِيدِيُّ شَرْحُ جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ - عُدَّةُ الْمَعَادِ فِي عَرَوَضِ «بَانَتْ سَعَادُ» (لِكَعْبِ بْنِ زَهَيْرٍ فِي مَدْحِ الرُّسُولِ) - مَنَحُ الْمَدْحِ (قِصَائِدُ لِلصَّحَابَةِ

(١) الحديث المنعني: السند إسناده متصلاً: حدثنا فلان عن فلان عن فلان الخ (حتى يصل إلى رسول الله).

(٢) ربيعة ومضر (قبيلتان كبيرتان قويتان ومعظم عرب الشمال). والمقصود بسيد ربيعة ومضر هنا «محمد رسول الله». الأثر (هنا: أحاديث رسول الله).

رجالاً ونساء) - تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة.

وهناك علّم الدين القاسم بن محمد البرزالي (٦٦٥ - ٧٣٩ هـ) الإشبيلي، نسبة إلى برزالة (قبيلة من البربر، كان أصل أهلها من إشبيلية، وكان مولده في دمشق، له: ثلاثيات مُسنَد أحمد بن حنبل - العوالي المُسنَدة - تأليف في طبقات المُحدّثين - مُعْجَم شيوخه. ثم هناك عائشة بنت علي الصنهاجية كانت عالمة بالحديث.

ولابن جزي (ت ٧٤١ هـ) (\*\*\*) مرتّب رحلة ابن بطّوطة: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مُسلم.

وصنّف أبو بكر الكتّاني، سنة ٧٤٣، الإلّام لذوي النهى والأحلام. ولعيسى بن مسعود الزواوي (٦٦٤ - ٧٤٣ هـ) إكمال الإكمال. وهناك كذلك عبد المهيمن الحضرمي (ت ٧٤٩ هـ) (\*\*\*) السبتي، كان له تقدّم في علم الحديث وضبط رجاله. صنّف مشيخة (ثبّتاً بأسماء شيوخه احتوت على ألف شيخ). وكان محمد بن جابر الوادي آشي (٦٧٣ - ٧٤٩ هـ) واسع المعرفة بالحديث قليل البضاعة في الفقه نعتّه ابن خلدون بإمام المُحدّثين في تونس، له «أربعون حديثاً» (تدُلُّ بروايتها عن رجال مُتباعدين في الأوطان على اتّساع رحلته). وله تعاليق وأسانيد في الفقه.

ويذكرُ عبد الله كنون (ص ٢١٦، ٢١٧) أبا عبد الله الكرسبوطي الفاسي المولود سنة ٦٩٠ ثم يذكر الكرسبوطي الفاسي (لعلّها واحد، واختلاف التهجئة من خطأ الطبع) ويورد مع ذكرها عدداً من كتب الحديث والفقه. كما يذكر كنون أيضاً (ص ٢١٦) أبا القاسم بن عمران الحضرمي السبتي ويورد له «الشافي في اختصار التيسير والكافي» في فضل علوم القرآن والحديث. وهناك عبد الله بن محمد بن فرحون (٦٩٣ - ٧٦٩ هـ)، أصله من تونس ومولده ومنشؤه ووفاته في المدينة (لم يخرج منها إلا إلى مكة)، له: الدرّ المُخلّص من النقصي والمُلخّص (جمع فيه أحاديث الكتابين) - كشف المُعطى في شرح مختصر الموطأ (شرح للكتاب السابق كما في الديباج ١٤٥، الأسطر ٦ - ٨).

ولمحمد بن محمد النذرومي التلمساني (ت بعد ٧٧٧ هـ) ثبّت (ذكر فيه ما أخذه عن معاصريه من علماء الحديث). وكان أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الأندلسي

الفاسي (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) فقيهاً مُحدثاً (نفع الطيب ٢ : ٥٦٠) له تُحفة الناظر في غرائب الحديث. ولعلَّ كُتبه: تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الجامع المفيد - الاعتدال في الجهاد، قد كانت في الحديث.

ولابن مرزوقي (ت ٧٨١ هـ) (\*\*\*) شرحُ عمدة الأحكام عن سيّد الأنام - المسند الصحيح الحَسَن في مآثر مولانا أبي الحسن (!).

وكان في هذه الحِقبة سراجُ الدين عمرُ بنُ نور الدين الأنصاريُّ الأندلسيُّ (٧٢٣ - ٨٠٣ هـ)، جَلَسَ للإقراء في دِمَشقَ والقاهرة، له: أَسْمُهُ رجالُ الكتب الستة - طبقاتُ الأولياء (تاريخ الفكر الأندلسي ٤٠٠). ومن كبارِ علَماءِ الحديثِ سراجُ الدين عمرُ بنُ عليٍّ المعروفُ بابنِ المُلَقَّن (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) أصله من وادي آش ومولده ووفاته بالقاهرة له كتبٌ كثيرةٌ جدًّا منها: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال - التذكرة في علوم الحديث - إيضاح الارتباب في معرفة ما يَشْتَبُه وَيَتَصَحَّفُ من الأسماء والأنساب - الإعلام بفوائد عمدة الأحكام - التوضيح لشرح الجامع الصحيح (للبخاري) - المقنع في علم الحديث - خصائص أفضل المخلوقين - غاية السؤل (السؤال) في خصائص الرسول - شرح عمدة الحكام - التُّكْتُ اللطاف في بيان الأحاديث الضعاف المُخرَجة في مُستَدْرَكِ الحافظِ أبي عبد الله الحاكم النِّسَابوري - البدرُ المنير في تخرِيج أحاديث الشرح الكبير - «خلاصة البدر المنير» (في تخرِيج أحاديث شرح الوجيز للرافعي!) - طبقات المُحدثين - شرح زوائد مسلم على البخاري - شرح الجامع الصغير - مختصر شُعَبِ الإيمان - ثلاثة شروح على المنهاج (وهو شَرَحٌ على صحيح مسلم للنَّووي).

ثم هنالك يحيى بنُ أحمدَ التَّنْزِي السَّراجُ الرُّنديُّ الفاسيُّ (ت ٨٠٥ هـ) الذي أُنْتَهت إليه رئاسةُ الحديث في بلدِه ووقته، له تقييد أو «مشيخة». ولأبي القاسم قاسمُ بنُ عليٍّ التَّيْنَمَلِّي الفاسيُّ المَالَقِي (٧٤٣ - ٨١١ هـ) «برنامج» في مَنْ أخذ عنهم، خرَّج له الصلاح الأقفهسيُّ جزءاً من مَروياته سماه «تُحفة القادم من فوائد الشيخ أبي القاسم». وهنالك مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ المِنتوريُّ (ت ٨٣٤ هـ) الغَرْنَاطِيّ الأصلِ المَغْرِبِي الدَّارِ له: فِهْرِسْتُ (يشتمل على مَروياته) - الأُمالي في الأحاديث العوالي.

ولمحمّد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد (\*\*\*)  
 (٧٦٦ - ٨٤٢ هـ): أنواع الزراري في مكررات البخاري - المتجر الربيع في شرح  
 الصحيح (للبخاري) رَجَزٌ في علم الحديث - روضة الإعلام بأنواع الحديث السام  
 (السامي). ولأبي القاسم السلوي من أحياء القرن التاسع: شرح صحيح مسلم. ولأبي  
 زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي الجزائري (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ): الأنوار (في المعجزات  
 النبوية). وفي نحو سنة ٨٧٥ صَنَّفَ أحمد بن زكريّا المغربي «مُعَلِّمَ الطَّلَّابِ بما للحديث  
 من الألقاب» (طبقات الحديث: صحيح، حسن، مرفوع، مُرْسَل.....، ضعيف  
 الخ).

وكان محمد بن يوسف السنوسي (٨٣٢ - ٨٩٥ هـ) متعدّد نواحي الشخصية كثير  
 التأليف له في الحديث: مكمل إكمال الإكمال - شرح مشكلات البخاري - مختصر  
 الزركشي على البخاري - مختصر الروض الأنف (للسهلي) - مختصر الأبي<sup>(١)</sup> على  
 (صحيح) مسلم. ومن الأسماء المشهورة في هذا الباب أبو عبد الله محمد بن القاسم  
 التلمساني المعروف بابن الرصاع (ت ٨٩٤ هـ)، كان قاضياً وإماماً في جامع الزيتونة  
 في تونس الحاضرة، له: تحفة الأخيار في الصلاة على النبي المختار - تذكرة المحبين في  
 أسماء سيّد المرسلين - الهداية الكافية. ومن علماء الحديث في هذه الحقبة أحمد بن  
 زروق (ت ٨٩٩ هـ) (\*\*\*)، له كتب في الحديث والفقه والتصوّف. وابن غازي المكناسي  
 (ت ٩١٩ هـ) (\*\*\*) : إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب - الفهرسة المباركة  
 (فهرس لمحدثي فاس ولآثارهم).

..... علوم الفقه:

وكانت الرغبة في الفقه دائماً شديدة. فمن فقهاء هذه الحقبة عبد السلام بن غالب  
 المسراقي المعروف بابن غلاب (ت في القيروان ٦٤٨ هـ) له: الوجيز في الفقه. ومنهم  
 راشد بن الوليد الفاسي (ت ٦٧٥ هـ) له: كتاب «الحلال والحرام» - حاشية على  
 المدونة. ومنهم عبد الله بن سعد بن أبي جَمْرَة (حزرة) الأندلسي (ت ٦٩٩ هـ في

(١) الأبي (بالضم) هو محمد بن خلفه (بالكسر) بن عمر من بلدة أبة (بينها وبين القيروان ثلاثة أيام) من  
 علماء الحديث ومن الفقهاء، توفي سنة ٨٣٧ هـ (١٤٢٤ م).

الأغلب) له: المُقنع في الأحكام.

ومن فقهاء هذه الحِقة أيضاً الزَّناقي (ت ٧٠٢ هـ) له: شرحٌ على الموطأ - شرح المدونة (ص ٢١٦، ٢١٧). ومنهم أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَرَّاكُشِيِّ (\*\*\*) له: الجمعُ بين كتابي ابنِ القُطَّانِ الفاسي وابنِ المَوَاقِيّ الغرناطيّ على «كتاب الأحكام» لعبدِ الحقِّ الإشبيليّ (ص ٢١٧).

ومن كبارِ الفقهاء ابنُ الحُسَيْنِ الصغِيرُ (بالتصغير في الأغلب) عليُّ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ الزَّروِيلِيّ (ت ٧١٩ هـ) قاضي فاسَ له: الدرُّ النثِيرُ في النوازل والأحكام - تَقْيِيدٌ على المَدُونَةِ (في عدَّة مجلِّدات) - فتاوى - تقييد على الرسالة (لابن أبي زيد) - تقييد على التهذيب.

ولابنِ الفَخَّارِ الجُدَّامي المالقي (ت ٧٢٣ هـ) (\*\*\*) شرح الرسالة - تحريم الشُّطْرُنَج - شرح المختصر (؟). ولابنُ الشَّاطِطِ القاسم بن عبيد الله الإشبيلي (ت ٧٢٥ هـ): غُنْيَةُ الرَّاثِضِ في علم الفرائض. ولحمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَاشِدِ الْقَفْصِي (ت بعد ٧٣١ هـ): لُبَّابُ اللُّبَابِ فيما تَضَمَّنَهُ الكِتَابُ مِنَ الْأَرْكَانِ والشُّرُوطِ والمَوَاقِعِ والأسباب (في فروع الفقه، تونس ١٣٤٦ هـ) - الشَّهَابُ الثَّاقِبُ في شرح مختصر ابنِ الحَاجِبِ (في الفروع) - الْمُدْهَبُ في ضَبْطِ قَوَاعِدِ الْمَذْهَبِ - الفاتقُ في معرفة الأحكام والوثائق - النِّظْمُ البَدِيعُ في اختصار التفرُّيع - نُحْفَةُ اللَّيْلِ في اختصار كتابِ آبنِ الخطيب (؟). ثم هنالك لِحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جُزْيٍ (٦٩٣ - ٧٤١ هـ): القَوَانِينُ الْفِقْهِيَّةُ: قَوَانِينُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ومَسَائِلُ الْفُرُوعِ الْفِقْهِيَّةِ (تونس ١٣٤٤ - ١٣٤١ هـ) - الْأَنْوَارُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَلْفَاظِ السَّنِيَّةِ (؟). ولعبدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَلْمُونِ الْكِتَابِيّ الْغَرْنَاطِيّ (٦٦٩ - ٧٤١ هـ) الشافي في تحرير ما وقع من الخلاف بين التبصرة والكافي - وثائق. ثم هنالك لِعِيسَى بْنِ مَسْعُودِ الزَّوَاوِيِّ (٦٦٤ - ٧٤٣ هـ): شرحُ جامعِ الْأُمَّهَاتِ - مناقبُ مالِكٍ (بهامش تزوين المالك للسيوطي، القاهرة ١٣٢٥ هـ). وكذلك لعزِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ الْهَوَارِيِّ الْمُنَسْتِيرِيِّ (٦٧٦ - ٧٤٩ هـ) قاضي الجماعة في تُونِسَ: شرح جامعِ الْأُمَّهَاتِ (لأبنِ الحَاجِبِ) - شرح مختصر آبنِ الحَاجِبِ - تَقَايِيدُ على مختصر آبنِ الحَاجِبِ (؟). ديوان



فَتَاوَى. وهنالك عبد الرحمن الجَزُولِيّ (ت ٧٤١ هـ) له تقييدٌ على الرسالة (لأبن أبي زيد القيرواني!).

وهنالك أيضاً أَبْنُ أَبِي يَحْيَى التَّسْلَوِيّ (ت ٧٤٩ هـ) له: تقييدٌ على المدوّنة - شرح الرسالة - شرح التهذيب - شرح الأجوبة (ص ٢١٧). ثم يأتي السَّطِّيّ (ت ٧٥٠ هـ) له: تعليقٌ على المدوّنة - تعليقٌ على مختصر ابن شاسِر (عبد الله بن محمد المصري المالكيّ المتوفى ٦١٦ هـ؟) - شرحُ الحَوْفِيّة (عليّ بن إبراهيم الحَوْفِيّ المصري المتوفى ٤٣٠ هـ) (ص ٢١٨).

ويجسّن قطعُ الكلام هنا للتأكيد على قيمة «التوثيق» في الفقه. اهتَمَّ المغاربةُ والأندلسيون بالوثائق (العُقود التي تُنظّم بين المتعاملين لدى الكاتب العدل) وآلَفُوا فيها. من هؤلاء جميعاً عبدُ الله بنُ عليّ بن سَلْمُونِ الغَرْنَاطِيّ (ت ٧٤١ هـ) وأبو إسحاق إبراهيم بن يحيى الغَرْنَاطِيّ (ت ٧٥١ هـ) وأبو القاسم بن سَلْمُونِ بن عليّ البيّاسيّ الغَرْنَاطِيّ (ت ٧٦٧ هـ) له: العِقدُ المُنظَّم للحُكّام فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام. وآلَفَ فيها محمد بنُ أحمد الفِشْتَالِيّ (ت ٧٧٧ هـ). ثم هنالك القاضي أبو عبد الله محمد بنُ أحمد بن عبد الملك بن شُعَيْبِ الفاسيّ (ت ٧٧٧ هـ) أو ٧٧٩ هـ) له الفائقُ في (علم التّأليف ب) - الوثائق. ولأبي عمران موسى بن عيسى المَغِيلِيّ (ت ٧٩١ هـ) المَهْدَبُ الرّائِقُ في تدبير النّاشئ من القضاة وأهلِ الوثائق - قِلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود.

ثم استمر الاهتمام بذلك طويلاً، فلأحمد بن يحيى الوَشْرَيْسيّ التلمساني (ت ٩١٤ هـ): الفائق في الأحكام والوثائق.

ونعودُ إلى المجرى الرئيس العامّ في فروع الفقه.

كان من كبار الفقهاء والقضاة، في العلم والإقراء والقضاء، الشريف الغرناطيّ (ت ٧٦٠ هـ) (\*\*\*) له: حصر مشارب (?) القضاة بالأدلة.

وليوسف بن عَمَرَ الأنفاسيّ (٦٦١ - ٧٦١ هـ) إمام جامع القَرَوَيْنِ بفاس تقييدٌ على رسالة ابن أبي زيد تداوله الناسُ في أيامه. ولمحمد بن محمد الربيعي التونسي (٦٨١ - ٧٦٣ هـ) «مَشِيخَة» خرّجت له. ولمحمد بن الحسن المالقي (ت ٧٧١ هـ) شرحُ

مُختصر ابن الحاجب. ثم لأبي عمران العبّدوسي (ت ٧٧٦ هـ): تقييدٌ على المدوّنة - تقييد على الرسالة - تقييد على التهذيب (ص ٢١٧).

ومن كبار الفقهاء الإمام الحافظ أبو العبّاس أحمد بن قاسم الفاسي المعروف بالقَبّاب (ت ٧٧٩ هـ) له: اختصار أحكام ابن القطّان - شرح قواعد القاضي عياض - بيوع ابن جماعة - فتاوى (ص ٢٠٥، ٢١٨). ومن الفقهاء محمد بن أحمد الشريشي (٦٩٤ - ٧٧٩ هـ) له: شرح المنهاج (للنووي، أربعة أجزاء) - زوائد الحاوي الصغير على المنهاج - اختصار الروضة.

وهناك أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الأندلسي الفاسي (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) الفقيه المحدث (نفح الطيب ٢: ٥٦٠) له: اختصار المقدمات (لابن رشد) - الأسئلة والأجوبة - القواعد الخمس - المقدمات (?) - شرح المقدمات - الجامع المفيد - تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الروضة البهية في البسمة والتصلية - المهاد في الجهاد (ص ٢١٧).

ومن كبار الفقهاء محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني (٧١٠ - ٧٨١ هـ) (\*\*) له تأليفٌ عديدةٌ في فنون كثيرة (راجع الديباج، القاهرة، ص ٣٠٥ - ٣٠٩). أمّا الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) (\*\*) فشهرته بالأصول أكبر من شهرته في الفروع.

ومن كبار الفقهاء ومشهورهم الإمام الشاطبي (\*\*) المشهور أبو اسحاق إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠ هـ). كان مفسراً ومحدثاً وفقياً وأصولياً نظاراً<sup>(١)</sup> ولغوياً ونحوياً وبيانياً له استنتاجاتٌ جليّةٌ وبحوثٌ محرّرة<sup>(٢)</sup> وقواعدٌ محقّقةٌ وكان حريصاً على اتباع السنّة مُجانِباً للبدع وأهلها. وكان شاعراً ناثراً، قال لما أبتلي بأهل البدع: بليت، يا قوم، والبلوى مُنوّعةٌ بن أداريه حتى كاد يُردني<sup>(٣)</sup>. دفع المصرة لا جلبٌ لمصلحة<sup>(٤)</sup>: فحسبي الله في عقلي وفي ديني!

(١) النظّار: المناظر (الذي يحاول نصر رأيه بالبراهين) وخصوصاً في العقائد الدينية.

(٢) محرّرة (مصحّحة، مضبوطة).

(٣) أردى فلان فلاناً: أهلكه، أماته.

(٤) غايي دفع الضرر لا الاستفادة الماديّة. في قواعد الفقه أنّ دفع الضرر عن الناس مقدّم على جلب المصلحة لهم.

ومن أقواله: «أما من تعسفَ وطلبَ المُحتملات والغَلَبَةَ بالمُشكلات وأعرضَ عن الواضحات فيخاف عليه التشبُّه بمن ذمَّه (ذمَّهم) الله في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ﴾<sup>(١)</sup> منه آبتغاء الفتنَة وآبتغاء تأويله<sup>(٢)</sup>. وما يعلمُ تأويله إلاَّ الله. والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كلٌّ من عند ربنا. وما يذكر إلاَّ أولو الألباب»<sup>(٣)</sup>.

وكان لا ينظر في كتب المتأخِّرين (القريبين من عصره) قال في مقدِّمة «الموافقات»:

... وأما ما ذكرتم من عدم اعتيادي على<sup>(٤)</sup> التآليف المتأخِّرة فليس ذلك مني محض رأي، ولكن أعتدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخِّرين. وأعني بالمتأخِّرين (نفراً) كابن بشير وابن شاس وابن الحاجب<sup>(٥)</sup> ومن بعدهم، ولأنَّ بعض مَنْ لقيته من العلماي بالفقه أوصاني بالتحامي<sup>(٦)</sup> عن كتب المتأخِّرين....

ومن كتب الإمام الشاطبي: الموافقات أو عنوان التعريف بأصول التكليف (في أصول الفقه يتوسَّط فيه بين مالك وأبي حنيفة) - المجالس (شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري) - الاعتصام (في التوحيد، وقد تكلم فيه على البدع وتعريفها ومآخذها وأحكامها) - البدع والحوادث<sup>(٧)</sup> - أصول النحو - عنوان الاتفاق في علم

(١) الزيج: الميل (بالتفتح) والانحراف عن الحق والهدى. تشابه الأمران: أشبه كل واحد منها الآخر (الأمر المتشابه: الذي يحتمل معنيين أو أكثر).

(٢) التأويل: الخروج (في التفسير) عن ظاهر الكلام.

(٣) اللَّبَّ (بالضم): العقل. هذه الآية في المتن من سورة آل عمران (٣: ٦ أو سبعة، بحسب التعداد في المصحف).

(٤) «على» زائدة (راجع السطر التالي).

(٥) لم أهدت إلى ابن بشير هذا إلا في مقدِّمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦١، ص ٨٠٧، ١٠٢١) وهو من الشراح المتأخِّرين على «المدونة» (في الفقه المالكي) - ابن شاس هو عبد الله بن محمد (ت ٦١٦ هـ) شيخ الفقهاء المالكية في عصره في مصر. - وابن الحاجب هو عثمان بن عمر (ت ٦٤٦ هـ) من كبار علماء العربية (النحو)، وله كتب في الفقه أيضاً. ولد في مصر، وسكن الشام مدة، وتوفي في الإسكندرية.

(٦) العلماي (؟): الكثير العلم. التحامي عن الشيء: اجتنابه، تركه.

(٧) البدعة (الجديد في الدين) كما لم يفعله السلف. الحوادث (جمع حادثة): ما أحدثه الناس مما لا يقرُّه الدين.

الأشتقاق - شرحٌ على الخلاصة<sup>(١)</sup> (في النحو) - الإفادات والإنشادات (فيه طُرفٌ ومُلحٌ أدبيّات وإنشادات، أي مقاطعٌ من الشعر).

ومن الذين شهدوا القرنين الثامن والتاسع محمد بن عبد الرحمن الفهري المراكشي، صنّف سنة ٨٠١ كتاب «إسماع الصمّ في إثبات الشرف من قبل الأم»<sup>(٢)</sup>. ومنهم ابن عَرَفة الورغمي التونسي (ت ٨٠٣ هـ) شيخ الإسلام في المغرب، له: المختصر في الفقه - الطرق الناصحة في عمل الناصحة<sup>(٣)</sup> - المبسوط في الفقه - مختصر الفرائض<sup>(٤)</sup> - شرح الفرائض الخوفية<sup>(٥)</sup> - الحدودُ الفقهية. وكذلك منهم ابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ)، وإن كان أكثرُ كُتبه شروحاً ومختصرات، له: الإعلام بفوائد عمدة الحكم - خلاصة الفتاوي في تسهيل أسرار الحاوي<sup>(٦)</sup> - تصحيح الحاوي - شرح الحاوي الصغير - عَجالة المحتاج على المنهاج (للنووي) - شرحٌ منهاج النووي (في فروع الفقه الشافعي) - العقد المذهب في طبقات حملة المذهب (=؟) العقد المذهب في طبقات الشافعية (نُزهة النُّظار في قُضاة الأمصار - كلامٌ على سنة الجمعة القبليّة والبعدية<sup>(٧)</sup>) (الهند ١٣١٤ هـ، في مجموعة) - شرح تنبيه الشيرازي (بروكلمان ٢: ١١٣، الملحق ٢: ١٠٩؛ الزركلي ٥: ٢١٨؛ سركيس ٢٥٢).

ولسعيد بن محمد التّجيّبيّ العبّانيّ التّلمسانيّ (٧٢٠ - ٨١١ هـ) شرح الخوفية (في

(١) الخلاصة: ألفية ابن مالك.

(٢) المفروض أن يكون النسب المعتمد من جانب الأب. فعند العرب قول خاطيء هو أن الأم وعاء (أي لا يرث الطفل شيئاً من خصائصها، وهذا طبعاً خطأ). ويبدو أن هذا الكتاب محاولة لنقض هذا الرأي الخاطيء.

(٣) تناصح الرجلان: نصح كلّ واحد منها الآخر. وناصح فلان نفسه في التوبة: كان مخلصاً فيها وصادقاً.

(٤) الفرائض (هنا) تقسم الإرث.

(٥) أبو القاسم أحمد بن محمد بن خلف الحوفي القلاعي الإشبيلي (ت ٥٨٨ هـ) أصله من خوف مصر، كان قاضياً في إشبيلية ومن البارعين في الفرائض (تقسيم الإرث) له فيها «تصانيف كبير ومتوسط ومختصر، وكلّ ذلك تما بلغ في إجادته الغاية» (ابن فرحون ٥٣ - ٥٤؛ بروكلمان ١: ٤٨٠، الملحق ١: ٦٦٣ - ٦٦٤).

(٦) الحاوي (٩).

(٧) في صلاة السنة قبل صلاة الجمعة وبعد صلاة الجمعة أقوال للفقهاء.

الفرائض) - شرح الجمل للخونجي (محمّد بن نامارو المتوفى ٦٤٦ هـ). وهنالك عبد الرحمن بن يحيى الأصنوني الغيلي صنف، سنة ٨١٦، شرح التلمسانية.

وكان محمد بن أحمد الوائوغي التونسي (٧٥٩ - ٨١٩ هـ) متعدّد نواحي الشخصية واسع الإلمام بكثير من فنون المعرفة الدينية والطبيعية حتّى قال هو عن نفسه: «أعرف ثلاثين علماً لا يعرف أهل عصري أسماً لها»! وتألّفه كثيرة، وربّما كرّر التأليف في الموضوع الواحد مراراً. (راجع شذرات الذهب ٧: ١٣٨ - ١٤١؛ بغية الوعاة ١٣).

وهنالك الفقيه المشهور أبو بكر بن عاصم (ت ٨٢٩ هـ) (\*\*) الفرناطي، له: تحفة الحكّام في نكّت العقود والأحكام (أرجوزة في قواعد القضاء)، ويُقال لها العاصمية وتحفة عاصم أيضاً (الجزائر ١٨٨٣، باريس ١٨٨٣ (٢)، الجزائر ١٨٩٢ - ١٨٩٣ م؛ الجزائر ١٢٨١ - ١٢٨٣ هـ، فاس ١٢٨٩ هـ)؛ عليها شروح: لأبي عبد الله محمد ابن أحمد ميسرة (ت ١٠٧٢ هـ) (القاهرة ١٣١٤ هـ)؛ لعليّ بن عبد السلام التسولي (بلاق ١٢٥٦، القاهرة).

ومن الفقهاء أبو موسى الجنّاقي (ت ٨٣٠ هـ) له تقييدٌ على المدوّنة. (ص ٢١٧). والغالب على تصانيف تقيّ الدين محمد بن أحمد الفاسي (٧٧٥ - ٨٣٢ هـ) التاريخ، ولكن له: إرشاد الناسك إلى معرفة المناسك (في الحج). ولقاسم بن عيسى القيرواني (ت ٨٣٧ هـ): شرح المدوّنة - شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (مصر ١٣٣٠ هـ) - خلاصة من غاية التحصيل وترك التعليل والتزويل (التأويل!) للبرذعي (راجع نهاية التحصيل.... بروكلمان ٢: ٣١١، سطر ١٩، الملحق ٢: ٣٣٧، السطر ٤ من أسفل). - شرح التهذيب (مختصر من المدوّنة) لابن البراذعي المتوفى سنة ٣٧٢ هـ (١).

وهنالك يوسف بن إبراهيم الوائوغي (ت بعد ٨٣٨ هـ) له: كفاية الناسك في علم المناسك.

ومن الفقهاء البارعين في الأدب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن الشّرّان الفرناطي، كان لا يزال حياً في سنة ٨٣٧، له تصانيف منها: الأرجوزة المنظومة في

الفرائض (تقسيم الإرث). وقد شرحها الحاسب المشهور القلصادي المتوفى سنة ٨٩١. جاء في مقدّمة هذه الأرجوزة (نيل الابتهاج ٣١١-٣١٢):

دوامُ حالٍ من المحالِّ واللفظ موجود على كلّ حال<sup>(١)</sup>.  
وعادة الأيام معهودّة: حرب وسلم والليالي سجال<sup>(٢)</sup>.  
منّ لليليّ بآتلاف؟ وم الشمس بعد الغيم تُجلى، كما من اعتبارٍ في اختلاف الليال<sup>(٣)</sup>! والنصر بالصبر مُحلّى الطُّبّا، للغيث من بعد القنوط أنهال.  
وما على الدهر انتقادٌ على والجَدّ بالجَدِّ مَرِيشُ النَّبال<sup>(٤)</sup>.  
والسيف قد يصدأ في غمده، حال، فإنّ الحال ذاتُ انتقال.  
والفرَج الموهوبُ تجري به ثمَّ يُجَلِّي صَفْحَتَيْهِ الصِّقال.  
فصابِر الدهرَ بِجَالِنِسِهِ من لطائفٍ لم تَجِر يوماً بِبال.  
فما له<sup>(٥)</sup> صبرٌ على حالة. حُلُوٍّ ومُرٍّ وأعتدا وأعتدال<sup>(٥)</sup>.  
ولا يَضِيقُ صدْرُكَ من أزمَةٍ وإنّا الصبرُ حُلِيُّ الرِّجال.  
ضاقَتْ، فصنَع اللهُ رَحْبُ المَجال.

والواضح أنّ هذه الأبيات من مقدّمة الأرجوزة قبل الوصول إلى معالجة تقسيم الإرث.

وَأَبْنُ مَرْزُوقِ الحَفِيدُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ (ت ٨٤٢ هـ) (\*\*\*) من المشاهير، له: أغتنام الفرصة في محادثة عالم قَفْصَةِ (ابن يحيى بن عقيبة، في التفسير والفقه) - شرح مختصر خليل - الأمل في شرح الجمل (للخونجى). وهنالك أحمد بن محمد البرزليّ

- 
- (١) اللطف (لطف الله بعباده): رعاية الله للبشر بدفع المكروه عنهم.
  - (٢) معهودّة (جرت العادة بأنها سيئة). سجال: متداول (مرة يكون النصر لهؤلاء ومرة لأولئك).
  - (٣) اعتبار = عبرة (درس ذو مغزى). اختلاف الليالي (تنقلها خيراً وشرّاً).
  - (٤) الظبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف (لا ينفع الضرب بالسيف إلّا مع الصبر والثبات في القتال). مريش النبال (يوضع للسهم ريش في مؤخرته حتّى يستقيم سيره في الهواء): يصيب هدفه.
  - (٥) صابر الخصم خصمه: باراه في الصبر (في طول الصبر) وغلبه (صبر أكثر منه).
  - (٦) للدهر

(٧٤١-٨٤٤ هـ)، وقد طال عمره كثيراً، وكان إمام جامع الزيتونة في تونس، له: جامع مسائل الأحكام فيما نزل من القضايا بالفتن والحكام. وهنالك محمد بن محمد القرناطي (٧٨٢-٨٥٣ هـ) له: انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك. ولقاسم ابن سعيد العقباتي التلمساني (ت ٨٥٤ هـ) تعليق على ابن الحاجب (في الفقه! راجع الزركلي ٦: ١٠). ثم هنالك لإبراهيم بن فائد الزواوي الجزائري (٧٩٦-٨٥٧ هـ): تسهيل السبيل لمقتطف أزهار خليل- فيض النيل في شرح مختصر خليل- تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق.

وفي سنة ٨٦٤ صنّف محمد بن محمد بن منصور القيسي الأندلسي فتوى في حقوق المرأة المطلقة.

وذكر خير الدين الزركلي اثنين بأسم محمد العقباتي أثبت مؤتها سنة ٨٧١: أحدهما محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد من أهل تلمسان له «تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر» (٦: ٢٣١)؛ وثانيهما محمد بن العباس بن محمد بن عيسى التلمساني النحوي أورد له «فتاوى» وعدداً من كتب النحو (٧: ٥٣). وقد ذكر بروكلمن الأول منها (الملحق ٢: ٣٤٦). وذكر بروكلمن «العقباني» مجرداً وأورد له حاشية على كتاب ابن الحاجب: منتهى السؤال (السؤل) والأمل في علمي الأصول والمجدل (الملحق ١: ٥٣٨، السطر ١١).

وهنالك القوري (ت ٨٧٢ هـ) له: شرح مختصر خليل (في ثمانية مجلدات) - المنهل المورود شرح المقصود الحمود لابن الجنان (من أحياء القرن الثامن) - شرح وثائق القرناطي (ص ٢١٦، ٢١٧). ولأبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف الجزائري (٧٨٦-٨٧٥ هـ): جامع الأمهات في أحكام العبادات - الإرشاد إلى مصالح العباد - شرح على مختصر خليل بن إسحاق - شرح على مختصر ابن الحاجب (في فروع الفقه، جمع فيه نخب كلام ابن رشد وابن عبد السلام وابن هارون و خليل بن إسحاق وأبن عرفة).

ونسب بروكلمن (٢: ٣١٩ مرتين، الملحق ٢: ٣٤٧، ٣٤٨) «الدرر المكنونة في نوازل المازونة» إلى أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت ٧٩١ هـ) وإلى

أَبْنَهُ أَبِي يَحْيَى زَكَرِيَّا (ت ٨٨٣ هـ)، مع أَنَّ الفَرْقَ بَيْنَ سَنَتَيْهِ وَفَاتَيْهَا تُحِيلُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَبْنًا لِلأَوَّلِ (ولعل المازونة هذه رسالة أو أرجوزة. ومازونة في الأصل فَرَعٌ من قَبِيلَةٍ مَغِيلَةٍ).

وهناك عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ اللَّمَطِيُّ الْمِكنَاسِيُّ (ت ٨٨٠ هـ) من أَهْلِ فَاسَ لَهُ تَقَايِيدُ عَلَى مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ (ص ٢٢٠). ثُمَّ هُنَاكَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُشَذَّالِيُّ (ت ٨٦٦ هـ) لَهُ: تَكْمَلَةٌ حَاشِيَةٌ أَبِي مَهْدِي الْوَانُوعِيِّ عَلَى الْمُدَوَّنَةِ - مُخْتَصَرِ الْبَيَانِ لِابْنِ رِشْدٍ (رَتَّبَهُ عَلَى نَسَقِ مَسَائِلِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَجَعَلَهُ شَرْحًا لَهُ وَرَدَّ كُلَّ مَسْأَلَةٍ إِلَى مَوْضِعِهَا مِنَ الْإِحَالَاتِ، فَجَاءَتْ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالتَّيْسِيرِ؛ وَتَرَكَ مِنْ مَسَائِلِهِ مَا لَا تَعَلَّقَ لَهُ أَصْلًا بِكَلَامِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَلَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ بَوَاجِهُ) - أَخْتَصَارُ أَجْمَاجِ ابْنِ عَرَفَةَ (فِي مُخْتَصَرِ ابْنِ عَرَفَةَ لَتِلْكَ الْمَسَائِلِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكَلَامِ ابْنِ شَاسٍ وَابْنِ الْحَاجِبِ. ثُمَّ شَرَحَ هَذِهِ مَعَ زِيَادَةِ شَيْءٍ يَسِيرٍ تَمَّا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ ابْنُ عَرَفَةَ). ثُمَّ هُنَاكَ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْعِلْمِيُّ الْقُسْنُطِينِيُّ (ت ٨٨٨ هـ) لَهُ: تَقَايِيدُ عَلَى الْمُدَوَّنَةِ - مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ - الرَّسَالَةِ. وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُؤَلِّفِينَ الْإِمَامَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ السَّنُوسِيِّ (ت ٨٩٥ هـ) لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا: شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابْنِ عَرَفَةَ - مَكْمَلُ إِكْمَالِ الْإِكْمَالِ - نُصْرَةُ الْفَقِيرِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الصَّغِيرِ (بِالتَّصْفِيرِ!) - شَرْحُ الْوَعْلِيَّةِ - نَظْمٌ فِي الْفَرَائِضِ - تَعْلِيقٌ عَلَى (مُخْتَصَرِ!) ابْنِ الْحَاجِبِ - شَرْحٌ عَلَى الْحَوْفِيَّةِ (فِي الْفَرَائِضِ). وَلِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْأَزْرَقِ (ت ٨٩٦ هـ) (\*\*\*) شَفَاءُ الْغَلِيلِ فِي شَرْحِ مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ. وَهُنَاكَ أَحَدُ بْنُ زَكَرِيَّ التَّلْمَسَانِيِّ (ت ٨٩٩ هـ) لَهُ مَسَائِلُ الْقَضَاءِ وَالْفُتْيَا.

وهناك أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحَدَ السَّقَطِيِّ الْمَالَقِيِّ، كَانَ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ، لَهُ كِتَابٌ فِي الْحِسْبَةِ. وَمِنْ فُقَهَاءِ هَذِهِ الْحِقْبَةِ مُحَمَّدُ بْنُ (مُحَمَّدِ بْنِ) يُوسُفَ الْمَوَاقِ (ت ٨٩٧ هـ)، عَالِمُ غَرْنَاطَةِ فِي وَقْتِهِ، لَهُ: شَرْحُ مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ. ثُمَّ يَأْتِي هُنَا أَحَدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَعْرُوفُ بِزُرَّوقٍ (ت ٨٩٩ هـ) لَهُ: شَرْحٌ عَلَى رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ (مِصْرَ ١٣٣٢ هـ). وَقَدْ أوردَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ كُنُونُ (ص ٢١٨) عِدَدًا مِنَ الْكُتُبِ فِي الْفِقْهِ وَأَصُولِ الْفِقْهِ وَالتَّصَوُّفِ لَمْ يُمَيِّزْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ (رَاجِعْ أَيْضًا شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٧: ٣٦٣).

وَأَبُو سَالِمٍ إِبْرَاهِيمَ بْنُ هَلَالٍ (ت ٩٠٣ هـ) شَيْخٌ سَجَلَسَاةٌ وَمُفْتِيهَا: كِتَابُ



المناسك (فاس ١٣١٨ هـ) - فتاوى (ص ٢١٧ ثم بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٨).

وكان محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت ٩٠٩ هـ) من القائمين بنشر الإسلام وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المغرب نفسه ثم في بلاد السودان فدخل بلاداً أهر وبلاداً كنو وكشن ثم رحل إلى بلاد التكرور فوصل إلى بلدة كاغو وأجتمع بسطانها ساسكي محمد الحاج؛ له تصانيف منها: مغني النبيل شرح مختصر خليل - إكليل المغني (حاشية على مختصر خليل) - أحكام أهل الذمة. وكان له شعرٌ يسيرٌ عادي عليه جفافٌ لغة العلماء (راجع في ذلك كله نيل الابتهاج ص ٣٣٠ - ٣٣٢). من هذا الشعر في إنكار صحة المنطق والاكْتفاء بقول الشرع (وقد كتبت بذلك إلى الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١):

سَمِعْتُ بِأَمْرِ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ؛	وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أَصْلِهِ <sup>(١)</sup> .
أَيَكُنْ أَنَّ الْمَرْءَ فِي الْعِلْمِ حُجَّةٌ	وَيَنْهَى عَنِ الْفُرْقَانِ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ <sup>(٢)</sup> ؟
هَلِ الْمُنْطَقُ الْمَغْنِيُّ إِلَّا عِبَارَةٌ	عَنِ الْحَقِّ أَوْ تَحْقِيقُهُ حِينَ جَهْلِهِ <sup>(٣)</sup> .
مَعَانِيهِ فِي كُلِّ الْكَلَامِ؛ وَهَلْ تَرَى	دَلِيلًا صَحِيحًا لَا يُرَدُّ لَشَكْلِهِ <sup>(٤)</sup> ؟
خِذِ الْحَقَّ حَتَّى مِنْ كُفُورٍ، وَلَا تُقِمْ	دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبٍ مِثْلِهِ <sup>(٥)</sup> .
عَرَفْنَا بِمِثْلِهِ بِالْحَقِّ، لَا الْعَكْسُ، فَاسْتَبِينَ	بِهِ لَا يَبْهَمُ، إِذْ هُمْ هُدَاةٌ لِأَجْلِهِ <sup>(٦)</sup> .

وفي سنة ٩٠٩ هـ صنف يوسف دليلى البرغماوي بن محمد العجيزي الحنفي كتاب

- (١) الحديث (القول المروي عن رسول الله) أو كل قول آخر. حكمه حكم أصله (تكون مرتبته في الصحة كمنزلة راويه (أو قائله) من الصدق والثقة.
- (٢) الفرقان: القرآن الكريم. ينهى عن الفرقان في بعض قوله (يجعل أقوال الرسول - في بعض الأمور - فوق قول القرآن، كالذين يقولون إن السنة أو أقوال الرسول وأفعاله، تسخ بعض ما جاء في القرآن).
- (٣) المنطق « طريق » للوصول إلى الحق أو لاستخراج المجهول من المعلوم.
- (٤) معاني المنطق (أحكامه) مأخوذة من الكلام المألوف (ولكن مرتبة على منهج مخصوص). والدليل الصحيح (على صحة حكم) يقاس بدليل آخر قام على صحة حكم آخر.
- (٥) لا تحكم على إنسان بمسلك شخص آخر (ولو كانا رفيقين أو جارين أو من أتباع دين واحد).
- (٦) نحن نعرف مكانة كل إنسان بما في قوله من الصواب، ولا نعرف صواب القول من منزلة قائله عندنا. لأجله = لأجل الحق.

المهمّات في العبادات (في الفقه الحنفي). ولأبي الحسن علي بن القاسم الشجبي الزقاق (ت ٩١٢ هـ): المنهج المنتخب إلى أصول المذهب - لامية (في واجبات القاضي). وعلى هذين المصنّفين شروح كثيرة معظمها مطبوع (بروكلمان ٢ : ٣٤١ - ٣٤٢، الملحق ٢ : ٣٧٦، الزركلي ٥ : ١٣٧ = ٤ : ٣٢٠).

ومن مشاهير الفقهاء أحمد بن يحيى التلمساني الونشريسي (ت ٩١٤ هـ) له: إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك - المنهج الفائق والمنهل الرائق في أحكام الوثائق (في آداب المؤتّق - طبع فاس ١٢٩٨ هـ؛ في نشرة المراسلات الافريقية بالفرنسية ١٨٨٤ م) - المعيار المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب (فاس ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ؛ الوثائق المراكشية بالفرنسية، باريس ١٩٠٨ م) - أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يُهاجر وما يترتب عليه من العقوبة والزواج (منشأ بألمانية ١٨٦٦ م) - كتاب الأفضية (نشره مركز الدراسات العليا في المغرب، المجلد الثامن، ١٩٣٧ م).

وفي هذه الحقة يأتي محمد بن عبد الله اليفرّئي المكناسي (ت ٩١٧ هـ) قاضي فاس، له المجالس (في الفقه) - التنبيه والإعلام فيما قضى به القضاة وأفق به الحكم من الأوهام (ص ٢١٨). ولابن ميمون الإدريسي (٩١٧ هـ) رسالة الإخوان من أهل الفقه وحلة القرآن (ص ٢١٧). ومن الفقهاء والمكثّرين في التأليف محمد بن أحمد بن غاز الفاسي المكناسي (٨٤١ - ٩١٩ هـ) (\*\*\*)، له في الفقه: تحرير المقالة في نظائر الرسالة (رسالة آبن أبي زيد القيرواني) وهي منظومة - الكلّيات الفقهية. ولإبراهيم الفجيجي (ت ٩٢٠ هـ) (\*\*\*) المفيد في الفقه. وفي هذه الحقة أيضاً ممّن لا نعرف رمتهم بالدقة أبو منصور المغراوي السجلماسي، له المسائل الفقهية المنوطة بالأحكام الشرعية. ثم هنالك عبد النور العمراني، له تقييد على المدونة - فتاوى. وربّما دخل في هذه الحقة القاضي محمود كعت بن المتوكّل كعت الكرمي داراً التنبكّتي مسكناً الوعكري الصنهاجي (٨٦٥ - ٩٥٥ هـ)، ولعله قد بلغ أشده في سنة ٩٢٥ هـ، له تقييد على مختصر خليل. وربّما دخل فيها أيضاً محمد بن محمد الرعيّني الخطّاب

(\*\*) له ترجمة في هذا الجزء.

الصغير (٩٠٢ - ٩٥٤ هـ)، أصله من المغرب ومولده ومشوؤه في مكّة ووفاته في طرابلس (ليبيا)، وهو فقيه مالكيّ من علماء المتصوّفين، له: مواهب الجليل في شرح مُختصر خليل - إرشاد السالك المحتاج إلى بيان المُعتمِر والحاجّ - هداية السالك المُحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاجّ (أوردَ بركلمان ٢: ٥٢٦، هذين العُنوانين على أنها كتابان مستقلّان) - تحريرُ الكلام في مسائل الالتزام (فاس ١٣٠٥ هـ) - شرحُ نظائر رسالة ابن أبي زيد (لاين غز) - مواهب الجليل في شرح مُختصر أبي الضياء سيدي خليل (مصر: مطبعة السعادة ١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ؛ المطبعة الميمنية ١٣٣١ هـ).

ومن فقهاء الإباضية أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطاليّ، من جيطال في جَبَل نفوسة (جنوب غربيّ ليبيا اليوم) له قناطرُ الخيرات (يصف فيه مرورَ المؤمنين على مقاماتٍ سبعٍ عشرةً من قناطرِ الصراط حتّى يصلوا إلى الجنان؛ (القاهرة ١٣٠٧ هـ) - قواعدُ الإسلام (القاهرة، بلا تاريخ) مع شرحٍ لعبد الله بن محمد الكسي. ثمّ هنالك أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرّاديّ الدماريّ تلميذُ أبي سكن عامرٍ الشماخيّ. صنّف البرّاديّ، سنة ٨١٠ هـ؛ «الجواهر المنتقاة من إتمام ما أُخِلّ (أُخِلّ) الدارجيني به (في) كتاب طبقات المشايخ (راجع ترجمة الدارجيني، ت ٦٧٠). ثمّ يأتي أشهرُ مصنّفَي الإباضية أبو العبّاس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخيّ اليفرنيّ العامري (ت ٩٢٨ هـ)، له: كتاب السّير (مختصرٌ ثمّ تكملةٌ لكتاب السّير (\*) لأبي زكريّا يحيى بن أبي بكر الورجلانيّ الإباضي المتوفى سنة ٤٧١ هـ ومن كتاب طبقات المشايخ للدرجيني المتوفى سنة ٦٧٠ ومن كتاب الجواهر المنتقاة للبرّادي) - سرد الحُجّة على أهل النّفلة. وهنالك مصنّف إباضيّ آخرٌ، لعلّه من هذه الحِقبة، هو سالم بن سعيد الصائفي (أو الصائفي؟) له: «لُبَابُ الآثار الواردة عن مشايخ (المشايخ؟) المتأخّرين الاخيار (في الأديان).

## أصول الدين وعلم الكلام

وفي الفقهاء من يَغلبُ عليه عِلْمُ الكلام (في تخرّيج الأدلّة أو في سياقة الجدال، وفي

الدفاع عن الرأي المُتَقَدِّ أو الرَّدُّ على آراء المُخالفين في الاعتقاد) أو يَغْلِبُ عليهم التصوُّف (من إقامة الأحوال الروحية مكانَ الأسباب المادية). من هؤلاء جميعاً عبدُ الحكيم بن برَّاجان الأندلسي له «شرحُ الأسماء الحسنى». ومنهم مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلِ التُونِسِيِّ السَّكُونِي (ت ٧١٦ هـ) له «لحنُ العوَامِّ فيما يتعلَّق بعلم الكلام». ومنهم المتصوِّفُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ فَرْحُونٍ (ت ٧٤٦ هـ) له: الزاهر (ديوان شعره) - التصدير والتعجيز (أو التذييل) : وكذلك منهم أبو إسحاق إبراهيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ المُرْسِيِّ الأندلسي (ت ٧٥١ هـ) له «زهرُ الكِجَامِ في قصَّة يوسفَ عليه السلام» (وهي مقاماتٌ فيها شواهدٌ من القرآن الكريم والحديث ومن التأمل والأخلاق وأشياء من القصص، شعراً ونثراً مسجوعاً). وقد كان لهذه القصَّة شهرةً (طُبعت في بودابست سنة ١٨٨١ م؛ القاهرة سنة ١٢٢٧، ١٣٠٦، ١٣٤١ هـ).

ويبدو أنَّ كُتِبَ الأصول (أصول الدين وأصول الفقه) كانت في هذه الحِقبة قليلةً. ففي هذا الباب يدخل مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بن البِقَالِ (ت ٧٢٥ هـ) من أهل تازة ثم سكن فاس. وكان مُلِمّاً بعددٍ من فنون العلم ولكنه اشتهر بالأصول، له «الأجوبة في التفسير والأصول». وهناك مُعاصره ابنُ الشاطِّ الإشبيلي (ت ٧٢٥ هـ) له «أنوارُ البروق في تعقُّب القواعد والفُروق». وفي هذه الحِقبة أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ بن مُحَمَّدٍ بن عُثْمَانَ الرُّعَيْنِيِّ (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) الأندلسي الأصلِ الفاسيُّ الدارِ مولداً ووفاةً، له: اختصار المُقَدِّماتِ المُمهِّداتِ (لابنِ رشِدٍ) - اختصارُ حدود الشيرازي - الأسئلة والأجوبة - تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الجامع المفيد - الاعتماد في الجهاد. وكذلك لعبسَدِ الرِّحْمَنِ بنِ أَحْمَدَ الوغليسي (ت ٧٨٦ هـ): المُقَدِّمَةُ (أو العقيدة) الوغليسية - رسالة في الإيمان والإسلام.

وقد مرَّ الكلامُ على الإمام المشهور أبي إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) عندَ الكلامِ على الفقه.

وتبرزُ الإشارة هنا إلى أنسلمو تورميذا الذي وُلِدَ في جزيرة ميورقة وتعلَّم في لاردة (إسبانية) وبولونيا (إيطالية) وأصبحَ راهباً فرنسيسكانياً. وكان قد صنَّفَ مُناظرة بالغة الكاتالانية (لهجة شَمَالِيّ شرقيّ إسبانية) اسمُها «الجِدَالُ بين الحِجار

والفرنسيسكاني أنسلمو تورميذا». وقد نَصَحَهُ الأسقفُ نقولا مارتل بأن يعتنقَ الإسلام - وكان الأسقفُ مارتل نفسه مسلماً في قلبه. فانتقل أنسلمو إلى تونس سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) - قبل خروج العرب من الأندلسِ باثنين وسبعين عاماً - واعتنق هنالك الإسلامَ وتسمّى عبد الله بن عبد الله، وعُرف بالترجمان الميورقي<sup>(١)</sup>، ثم صَنَّف رسالةً عنوانها: تُخفّة الأريب (أو اللبيب) في الردّ على أهل الصليب.

وهناك أيضاً يحيى بن إبراهيم بن عمَرَ الرقيليّ من أحياء القرن التاسع له: تجريد المِلَّة (في الردّ على اليهود) - كتابُ المُجادلة مع اليهود والنصارى.

ومن علماء الكلام في القرن التاسع أبو حفصٍ عمرُ بنُ جامعة الإياضيّ له كتاب في العقيدة عليه عددٌ من الشروح. ثم هنالك عبدُ العزيز بن عبد العزيز اللَّمطي المكناسي (ت نحو ٨٨٠ هـ) له نظمٌ في المنطق وفي الأصول وفي الفقه. وله تقايد على «مختصر خليل» (في الفقه).

ولأحمد بن عبد الله الجزائري الزواويّ (٨٠٠ - ٨٨٤ هـ) قصيدةٌ في التوحيد (علم الكلام) تُلَفّى بعنوانين مُختلفة: المنظومة الجزائرية - القصيدة - كفاية المريد (وهي نيفٌ وأربعُمائة بيتٍ شَرَحَها كثيرون). ومن المُكثَرين في التأليفِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسيّ المعروفُ بزروق (٨٤٦ - ٨٩٩ هـ) من أهل فاس، ولكنه توفّي في تكرين بجوار طرابُلُس (ليبيا)، له كُتُبٌ منها: شرحُ مختصر خليل - شرح رسالة أبي زيد القيرواني - الجَنَّة للمعتصم من البدع بالسُّنة<sup>(٢)</sup> - شرح العقيدة القدسيّة، الخ. ولأبي العباس أحمد بن محمد الفاسيّ (٩)

(١) يذكر عبد الله بن عبد الله الترجان الميورقي في هذه الرسالة بلده ومنشأه ثم رحلته ودخوله في الإسلام في أيام الأمير الحفصي (في تونس) أبي العباس أحمد (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ) وأيام ابنه أبي فارس عزّوز (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) وبين مقصود الرسالة في تسعة أبواب (ست وثمانين صفحة): وقد طبعت هذه الرسالة في لندن بلا تاريخ. وطبعت في تونس ١٢٩٠ هـ وفي مصر ١٨٩٥ م و١٩٠٤ م (راجع بروكلمان ٢: ٣٢٢ - ٣٢٣، الملحق ٢: ٤٣٥٢ معجم المطبوعات العربية ٦٣٠ عن كشف الظنون).

(٢) الجَنَّة (بالضم): الوقاية. البدعة: الأمر المحدث في الدين بما لا يتفق مع المروي في الدين (وإن كان هنالك بدعة حسنة لا ضرر منها ثم بدعة سيئة). السُّنة: قول رسول الله وعمله.

أرجوزة « في أن اللغة فضيلة الإنسان » (في المنطق!) صنّفها سنة ٩٠٠ هـ. ثم هنالك أحمد بن محمد بن زكري التلمساني (ت ٩٠٦ هـ) أو قبل ذلك بقليل (راجع الأعلام للزركلي، ط ٤، ١: ٢٣١ والهاشية التي معه). ولابن زكري هذا: مُوصل المقاصد (أرجوزة) - بُغية الطالب - المسائل العشر المسماة ببغية المقاصد وخلاصة المراصد (بروكلمن، الملحق ٢: ٢٥٧).

## التصوف

وحينا تضعف السلطة السياسية أو تحتل الحياة الاجتماعية تتسع الأحوال الصوفية، لأن الذين يعجزون حينئذ عن القيام بالإصلاح الاجتماعي أو يقصرون في دفع عجلة القوة المادية يعتزلون الحياة العامة ويسترون عجزهم بالتظاهر بحياة التقوى والتوكل.

ففي أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن كان ابن الرقام شمس الدين أبو الفضل القاسم بن سعيد السبكي التونسي (ت ٧٠٥ هـ)، له: اصطلاح الصوفية والتنبيه على مقاصدهم الجزئية والكليّة - تكملة الأنوار من علوم المحرّبين الأبرار. وكذلك كان محمد بن أبي القاسم الحيميري (بروكلمن ٢: ٣٢٧) المعروف بابن الصباغ، له درة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي (تونس ١٣٠٤ هـ).

وفي هذه الحقبة ابن الحاج الفاسي أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري القيرواني التلمساني (ت القاهرة ٧٣٧ هـ) له: شمس الأنوار وكُنوز الأسرار (الكبرى: سحر وطلاسم) طبع في مصر ١٢٩٧ هـ ثم ١٣٢٩ هـ. - المدخل أو مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة، كشف فيه عن معائب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها أكثرها مما يُنكر وبعضها مما يُحتمل (طبع في الاسكندرية ١٢٩٧ هـ والقاهرة ١٣٢٠ هـ) - بلوغ القصد والمُنَى في خواص أسماء الله الحسنى.

ونجد في القرن الثامن أبا عبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي، عاش في النصف الأول من القرن الثامن، له: كنز الأسرار ولواقح الأفكار - التحفة الظرفية في الأسرار الشريفة. وكذلك نجد لعلّي بن عمر الهواري التونسي « مناقب الصالح عياد

الزيّات». ونجد أيضاً عمَرَ الجزائريّ الرشيدِيّ، جاء إلى تُونِسَ سَنَةَ ٧٥٧ هـ، وصنّف ابتسام العروس ووَشَيّ الطُّروس في مناقبِ أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ عروس (تونس ١٣٠٣ هـ) - قَمَعَ النفوس من كلامِ آيِنِ عروس - ديوان (القاهرة ١٨٨٠ م).

وفي هذه الحِقْبَةِ كان جمالُ الدين أبو الحسن يوسفُ بنُ عليّ الندروميّ (من ندرومة قرب وهران بالجزائر اليوم) له قَبَسُ الأنوار وجمَعُ الأسرار (في معاني الحروف في أسماء النبات والحيوان) صنّفه سنة ٧٨٦. وفيها الفقيهُ الخطيبُ العارفُ المحقّق أبو عبد الله محمدُ بنُ إبراهيم بنِ عبّادٍ (\*\*\*) النّفزيّ الرُنديّ (٧٣٣ - ٧٩٢ هـ).

وكان فيها أيضاً أبو العبّاس أحمدُ بنُ يوسفَ التّجيبِيّ بنِ البناء السّرْقُسطيّ الفاسيّ (توفيّ في فاس قُبيل مبدأ القرن التاسع) نظم في التّصوّف، له: المباحث الأصلية عن جملة الصوفية. وفيها أحمدُ التادليّ المتوفّي في تُونِسَ بُعيدَ القرن الثامن، له: مناقبُ الصالحة عائشة بنتِ عمران المنويّ. ثمّ هنالك محمدُ بنُ محمدٍ بنِ يعقوبَ الكوميّ التّونسيّ، صنّف بُعيدَ ٨١٠ هـ «تيسير المطالب ورغبة الطالب».

ومن المتصوّفة المشهورين الكثيرين من التّأليف شهابُ الدين أبو العبّاس أبو الفضل أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ بنِ عيسى بنِ زَرّوقِ الحضار البرنسي الفاسي (ت ٨٩٩ هـ)، له: الكِنَاش (أصول الحقيقة والطريقة، مطبوعاً مع شرح بقلم محمد بن أحمد الخروبيّ وبعنوان: قواعد التّصوّف، القاهرة ١٣١٨ هـ) - النصيحة الكافية لمن خصّه الله بالعافية (القاهرة ١٢٨١ هـ) - المَقْصِدُ الأسمى فيما يتعلّق بمقاصد الأسماء (الأسماء الحسنی) - المَقْصِدُ الأسنی في شرح الأسماء الحسنی - الوظيفة<sup>(١)</sup> الزرّوقيّة - وظيفة - دعاء - دعاء الصباح ودعاء المساء - نصائح - مفاتيح العزّ والنصر في التنبیه على بعض ما يتعلّق بحزب البحر<sup>(٢)</sup>: سفينة النجا (النجاة) فيمن إلى الله التجا (التجاء) - شرح حزب البحر - عمدة (عدّة) المرید الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر خواصّ الوقت - شرح القصيدة النونية<sup>(٣)</sup> - شرح عقيدة

(١) الوظيفة: أدعية دينية معبّنة يقرأها صاحبها في أوقات راتبة (بأستمرار في أوقات معلومة).

(٢) «حزب البحر» لأبي الحسن عليّ بن عبد الله الشاذلي (ت ٦٥٦ هـ).

(٣) يذكر بروكلمن «شرح القصيدة النونية» هذه، الملحق ٢٦٢:٢ ثمّ يُحيل (للقصيدة النونية) على ١: =

الغزاليّ - أرجوزة في عيوب النفس - تمهيد (تأسيس) عقائد التصوّف وأصوله (أعاد صوغه وحرّره عليُّ بنُ حسام الدين المتقي الهنديّ بعنوان: قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة) - مكاتبة إلى كافّة الفقهاء (في الشروط الخمسة للقبول في الطريقة) - الذِكر (الحقيقي) - السدّر المنتخبة في الأدوية (الأدعية؟) المُجرّبة - الجامع لجُمَل من الفوائد والمنافع - المواهب السنيّة - المباحث السنيّة في خواصّ منظومة نور الدين الدميّاطيّ (نظم أسماء الله الحُسنى) - الكشف - شرح الحكم العطائية<sup>(١)</sup> - شرح المقدّمة الوغليسيّة<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٨٣٠ هـ صنّف محدّد المفضل بن الهادي بن أحمد بن عزّوز «كشف الران»<sup>(٣)</sup> عن فواید مانع الزيارة ومدّعي تفضيل الوظيفة على القرآن والدليل (على ذلك) والبرهان. وفي سنة ٨٦٠ هـ صنّف عليُّ بن عيسى بن سلامة البُسكريّ «اللوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار».

وفي هذه الحِقبة أيضاً إبراهيم التازيّ الوهراني (ت ٨٦٦ هـ) له: النصح التامّ للخاصّ والعامّ (قصيدة في المواعظ والحكم) - المرادية<sup>(٤)</sup>. وله في هذا الجزء ترجمة مفردة. ومن المتصوّفة المشهورين أبو عبد الله محدّد بن سُلَيْمان الجزولي (ت ٨٧٠ هـ) صاحب «دلائل الخيرات» (بروكلمن ٢: ٣٢٧) له ترجمة مفردة.

وهناك محدّد بن محمد بن يعقوب الكومي التونسي (ت بعد ٨٨٠ هـ) له: تيسير المطالب ورغبة الطالب (في أسرار الحروف) - الإيماء إلى علم الأسماء (بروكلمن ٢:

---

= ٤٨٤ (الترقيم للطبعة الأولى) أو ٦٣٧-٦٣٨ (الترقيم للطبعة الثانية). ثم وقعت في بروكلمن، الملحق ١: ٤٨٤ على «القصيدة النونية» لأبي الحسين عليّ بن عبد الله الششتريّ المتصوّف (ت ٦٦٨ هـ). وفي نفح الطيب (٢: ١٨٦-١٨٧): وقال (الششتري)، وهي من أشهر ما قال: «أرى طالباً منّا الزيادة لا الحسنى.....»، وهي طويلة مشهورة في الشرق والغرب، وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا (كذا ثلاث مرّات) العارف بالله تعالى سيدي أحمد زروق.

(١) الحكم العطائية لأحمد بن محمد بن عطاء الله الاسكندري (ت ٧٠٩ هـ) المتصوّف.

(٢) المقدّمة الوغليسيّة (في الأصول: أصول الدين) لأبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (ت ٧٨٦ هـ).

(٣) الران: الفطاء والحجاب الكثيف. الزيارة (لقبر الرسول في المدينة). الوظيفة (راجع الحاشية على الصفحة السابقة). على القرآن (على قراءة القرآن).



٣٢٨؛ وفي سنة ٨٩١ هـ صَنَّفَ أبو النجم ركن الدين الخطيب المغربي «عقائد الحقائق».

ومن أكابر رجالِ التَّصَوُّفِ الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي (نسبة إلى قبيلة من المغرب) التِّلِمَسَانِي الحَسَنِي (٨٣٢ - ٨٩٥ هـ) كان متعدِّدَ نواحي الشخصية مُلِمًا بعددٍ كبيرٍ من علوم الدين ومن علوم الدنيا حتَّى أيساغوجي (المُدخل إلى المنطق) والفلسفة والطِّبَّ وعِلْم الجبر والمَقَابَلَة وعِلْم الأسطرلاب (الفلك). ولكنَّه اُتِفِرِدَ بعِلْمِ الباطن (التَّصَوُّف) وفاقَ به أهلَ بلدهِ وزمنه. ومن أقواله:

« من الغرائبِ في زماننا هذا أن يُوجدَ عالمٌ جُمعَ له علمُ الظاهر (الفقه) والباطن (التَّصَوُّف) على أكملِ وجهٍ بحيثُ يُنتَفَعُ به في العِلْمين. فوجودُ مثلهِ في غايةِ النُّدُورِ. فَمَنْ وَجَدَهُ فقد وجدَ كنزاً عظيماً دُنْيَاً وأُخْرَى فَلْيَشُدَّ عليه يَدُهُ لئلاَّ يَضِيعَ عن قريبٍ فلا يَجِدَ مثلهُ شرقاً وغرباً أبداً - الوليُّ الحَقِيقِيّ من لو كُشِفَتْ له الجَنَّةُ وَحُورُها ما أَتَفَتَ إليها ولا رَكَنَ لغيرِهِ تعالى. فهذه حقيقة العارف. - حقيقة العبودية امتثالُ الأمرِ واجْتِنَابُ النَّهيِ مَعَ كِهالِ الذَّلَّةِ والخُضُوعِ ».

وللإمام السنوسي من الكتب: شرح الفاتحة - شرح صحيح البخاري - مَكْمَلُ إِكْمالِ الإِكْمالِ (شرح على صحيح مسلم) - شرح الفرائض الحَوْفِيَّة - المَقَرَّبُ المستوفي في شرح فرائض الحَوْفِي - شرح كَلِمَتِي الشَّهادة - الدليل على أن الشهادتين تجمعان جميع صفات الله ورسوله - شرح أسماء الله الحُسنى - العقيدة الكبرى = عقيدة أهل التوحيد والتسديد المُخْرِجة من ظلمات الجهل ورَبْقَة (رَبَقَات) التقليد المُرْغمة أَنْفَ كُلِّ مُبتَدِعٍ عَنِيدٍ، القاهرة ١٣٠٦ - شَرَحُها للسنوسي نفسه (أعمدة أهل التوفيق والتسديد في عقيدة أهل التوحيد) مصر ١٣١٧ هـ. - العِقدُ الفريد (المنهاج السديد)؟ - العقيدة الوسطى (السنوسية الوسطى = الجمل = المرشدة) مَعَ شَرَحٍ لها للسنوسي - حاشية عليها لمحمود المقدسي، تونس ١٣٢١ هـ. - العقيدة الصغرى = عقيدة أهل التوحيد الصغرى = أمّ البراهين في العقائد (مختصر محتو على عقائد التوحيد)، ليبسك ١٨٤٨ م، الجزائر ١٨٩٦ م، فاس (مراراً)، فاس (في مجموعة) ١٣١٧ هـ، جاوى ١٣١٨ هـ، مصر ١٢٧١، ١٢٧٣، ١٢٨٨، ١٢٩٧،

١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٢٣ هـ - شَرْحُ عَلَيْهَا لِلْسَّنُوسِي: توحيد أهل  
العِرْفان ومعرفة الله ورسوله والبرهان (بالبرهان)، تراني (قرب باري في إيطالية)  
١٩١٤م - مع شرح لها باللغة الملاوية لزين العابدين مُحَمَّد بَتَّاني،  
بنائع ١٣١٠ هـ - شرح (بالأردو)؟ لِمُحَمَّد زَيْن بن جلال الدين ( )  
بومباي ١٣١٠ هـ - (نشره غابرييلي)، تراني (قرب باري في إيطالية)  
١٩١٤م - (نشرها هورتن في «نصوص قديمة» رقم ٣٩) بون (ألمانية)  
١٩١٦م - (نشرها لوشيان في المجلة الإفريقية وعلّق عليها باللغة الفرنسية) الجزائر  
١٨٩٦م (راجع معجم المطبوعات العربية ١٠٥٨، قارنه ببروكلمن، الملحق ٢: ٣٥٣:  
المجلة الإفريقية، رقم ٤٢، عام ١٨٩٨م) - حاشية لِمُحَمَّد بن أحمد الدسوقي (ت  
١٢٣٠ هـ)، بولاق ١٢٨١، ١٢٩٧، القاهرة ١٢٩٠، ١٢٩٥، ١٣٠٥، ١٣٠٦،  
١٣١٤، ١٣١٥، ١٣٣١ الخ - حاشية لإبراهيم الباجوري (١١٩٨ - ١٢٧٧ هـ)،  
بولاق ١٢٧٢، ١٢٧٧، ١٢٨٠، ١٢٨٣، ١٢٨٩، ١٢٩٣، ١٢٩٨، ١٣٠٠، ١٣٠١،  
١٣٠٢، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣١٠، ١٣٣٠ (مع شرح أحمد  
الأجهوري على الهامش) ثم (طبع حجر) القاهرة ١٢٧٩، ١٢٨٣، ١٢٨٩، ١٢٩٨،  
١٣٠٧، ١٣١٠، ١٣١٨ هـ - حاشية لعبد الله بن حجازي الشرقاوي (ت ١٢٢٧ هـ)،  
القاهرة ١٢٩٢ هـ - حاشية لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي العريف (ت  
١٠٩٦ هـ) في مجموعة، فاس ١٣٠٦ - ١٣٠٨ هـ - حاشية: ذريعة اليقين إلى أم  
البراهين لِمُحَمَّد بن عمر النوويّ الجاويّ، القاهرة ١٣١٣ هـ، مَكَّة ١٣١٧ هـ - حاشية  
لِمُحَمَّد زَيْن، الاستانة ١٣٠٢ هـ - حاشية: سراج الهدى لِمُحَمَّد زَيْن السمباوي (باللغة  
الملاوية)، مَكَّة ١٣٠٣ هـ.

وللإمام السنوسي أيضاً: المقدمة (في الفلسفة: الإلهيات والتوحيد، نشرها  
لوشيانو) الجزائر ١٩٠٨م - شرح المقدمة (شرحها السنوسي) - مختصر المقدمة  
(المواهب الربانية، شرحها إبراهيم بن الحسن البنّاني السرقسطي) مطبوعة على هامش  
«العقيدة الصغرى»، القاهرة ١٣٠٤، ١٣٢٢ هـ - نصره الفقير = نصره أهل الدين  
وأهل اليقين على من تعرّض في التطريق (؟) (في الردّ على أبي الحسن الصغير،

بالتصغير؟، المكناسي) - عمدة ذوي الألباب - كتاب الحقائق - جواب عمّن (؟) سألَه عن وزن الأعمال - صلوات - رسالة (بلا عنوان) - جواب عن سؤال عن أبيات لبعض الصوفية - ترجمة (؟) المقامة النبوية - جواب على سؤال أُلقيَ على بعض الأخيار في النوم - المُجَرَّبَات (الحلِّي بالمجربَات)، بولاق ١٢٧٩ هـ، مصر ١٢٩٦، ١٣١٦ هـ؛ (بهامش مجربَات الديري) القاهرة ١٣١٨ هـ - شرح كتاب ايساغوجي (شرح الايساغوجي) - مختصر علم المنطق (مع حاشية الباجوري على شرح السنوسي على مختصر السنوسي في علم المنطق)، ضمن مجموعة، مصر ١٢٩٢ هـ - مختصر المنطق مع شرحه للسنوسي نفسه، حاشية على الشرح لمحمد بن الحسن البنائي السرقسطي (ت ١١٩٤ هـ)، فاس ١٣٠٢ هـ - حاشية على مختصر المنطق للباجوري، القاهرة ١٢٩١، ١٣٢١ هـ - الطب النبوي = تفسير ما تضمنته كلمة (١) خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبيّة - شرح على حديث «المعدة بيت الداء».

ومن المؤلّفين في التصوّف، في هذه الحِقبة بركاتُ بن أحمد بن محمد العروسي النجّار القسنطينيّ، كان في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر، له: وسيلة المتوسّلين في الصلاة على سيّد المرسلين - تذكرة الغافل وتبصرة الجاهل.

ومن الذين أَلّفوا في التصوّف أبو عبد الله محمد بن محمد بن السكّاك المكناسيّ (ت قبيل ٩١٤ هـ) له استنزال اللطائف الرضوانيّة - نُصح ملوك الإسلام بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام - أسلوبٌ من الكلام على «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله». ويأتي في هذه الحِقبة أبو عبد الله محمد بن محمد الصبّاغ قاضي القضاة في القلعة (في القطر الجزائريّ) كان في أوائل القرن العاشر، وقد صنّف بُستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الرشيد (دفن مِلْيَانَة بالقطر الجزائري نحو سَنَة ٩٢٠) - شفاء الغليل - شرح على الذّكر - وله أقوالٌ نشرها رينيه باسّ، باريس ١٨٩٠ م.

ثمّ هنالك الفقيه الصوفي محمد بن أحمد بن صغدير التلمساني<sup>(١)</sup> (ت مصر ٩٠١ هـ)

(١) راجع بروكلن، المحق ٢: ٣٦٢، وفيه بن سعد (خطأ في الطبع)، ثم الأعلام للزركلي ٢٣١: ٥؛ (٣٣٥).

تلميذ السنوسي، له: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب - روضة النُسرِين في مناقب الأربعة المتأخرين (الهواري)، وإبراهيم التازي والحسن أبركان وأحمد بن الحسن الفخاري) - مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبي عليه السلام.

وعاش في النصف الأول من القرن العاشر برهان الدين إبراهيم بن محمود الشاذلي (ت نحو ٩٠٦ هـ) له: أصول مقدّمات الوصول - حزب المغرب - التفريد بضوابط قواعد التوحيد.

### التاريخ والجغرافية

يَلِي آتَسَاعُ التَّأْلِيفِ فِي الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ، فِي عَصْرِ بَنِي نَصْرٍ، اتَّسَاعُ التَّأْلِيفِ فِي التَّارِيخِ لِأَنَّ التَّارِيخَ مِنَ الْفُنُونِ الَّتِي يَتَأَسَّى بِهَا النَّاسُ فِي أَيَّامِ ضَعْفِهِمْ. فَمِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ أَشْتَغَلُوا بِكِتَابَةِ التَّارِيخِ فِي هَذَا الْعَصْرِ يَوْسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبِيَّاسِيُّ (ت ٦٥٤ هـ)، لَهُ الْإِعْلَامُ بِالْحُرُوبِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ. وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَبَارِ الْقُضَاعِيُّ (\*\*) (ت ٦٥٨ هـ) الَّذِي كَثُرَتْ تَصَانِيفُهُ فِي التَّارِيخِ السِّيَاسِيِّ وَالتَّرَاجِمِ وَفِي تَارِيخِ الْأَدَبِ. ثُمَّ يَأْتِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ سَعِيدٍ الْعَنْسِيُّ (\*\*) (ت ٦٨٥ هـ) آخِرُ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي تَأْلِيفِ كِتَابِ «الْمَغْرِبِ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ»، لَهُ «كِتَابُ الْجُغَرَفِيَّةِ» (بيروت - المكتب التجاري ١٩٧٠ م). وَلِعَبِدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَلْزُوزِيِّ (\*\*) (ت ٦٨٥ هـ) كِتَابٌ فِي تَارِيخِ الْمَغْرِبِ لَا نَعْرِفُ لَهُ عُنْوَانًا خَاصًّا. ثُمَّ يَأْتِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَبْدِيُّ الْبَلَنْسِيُّ (\*\*) صَاحِبُ «الرَّحْلَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ» الَّتِي بَدَأَ الْقِيَامَ بِهَا سَنَةَ ٦٨٨ لِلْهِجْرَةِ.

فَإِذَا آتَنَقَلْنَا إِلَى الْقَرْنِ الثَّامِنِ وَجَدْنَا أبا الْعَبَّاسِ الْغُبَرِيَّ (\*\*) (ت ٧١٤ هـ) صَاحِبَ «عُنْوَانِ الدِّرَايَةِ فِيمَنْ عُرِفَ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْمِائَةِ السَّابِعَةِ بِبِجَايَةِ» (فِي الْقَطْرِ الْجَزَائِرِيِّ الْيَوْمِ)، وَهُوَ كِتَابُ تَرَاجِمٍ؛ ثُمَّ وَجَدْنَا أَبْنَ عِذَارِيَّ (\*\*) (ت ٧٢٥ هـ لِلْهِجْرَةِ، فِي الْأَغْلَبِ)، وَلَهُ «الْبَيَانُ الْمَغْرِبِي فِي أَخْبَارِ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ»، سَرَدَ فِيهِ أَوَّلًا تَارِيخَ الْمَغْرِبِ ثُمَّ تَارِيخَ الْأَنْدَلُسِ. وَهَنَالِكَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (أَوْ أَبْنِ مُحَمَّدٍ) الْفَاسِيَّ (\*\*) (ت ٧٢٦ هـ) لَهُ «الْأَنيسُ الْمُطَرَّبُ بِرَوْضِ الْقِرْطَاسِ فِي أَخْبَارِ مُلُوكِ

المغرب وتاريخ مدينة فاس . وهناك قاضي غرناطة أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي بكر (قُتِلَ شهيداً في وقعة طريف ، ٧٤١ هـ) له « التمهيد والبيان في فضل الشهيد عثمان بن عفان » - وكأنه نظرَ عند تأليف هذا الكتاب إلى موته هو شهيداً . ولأبي البقاء خالد بن عيسى البلوي (\*\*) رحلة (٧٣٦ - ٧٤٠ هـ) سمّاها « تاج المفرق بتحلية علماء المشرق » وقد ملأها بالسجع . ويأتي هنا أيضاً أبو الحسن عليّ الجزنائي (\*\*) (ت ٧٤٩ هـ) له « زهر الآس » (في بناء مدينة فاس) . وفي هذا العصر المؤرخ الموسمي لسان الدين بن الخطيب (\*\*) (ت ٧٧٦ هـ) والرحالة ابن بطوطة (\*\*) (ت ٧٧٩ هـ) ، وشهرتهما في فنونها واسعة . ولأبي زكريّا يحيى بن محمد بن خلدون (\*\*) (قُتِلَ بيلمسان ، سنة ٧٨٠ هـ) ، له « بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد » . ثم هناك لعبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت ٧٩٢ هـ) « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » .

ومن كبار المؤرخين مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع عبد الرحمن ابن خلدون (\*\*) (ت ٨٠٨ هـ) . ويأتي هنا أبو الفضل أبو القاسم إبراهيم البرادي تلميذ الشيخ عامر الشماخي (ت ٧٩٢ هـ) . وقد صنّف البرادي ، سنة ٨١٠ هـ ، كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات (القاهرة ١٣٠٢ هـ) . وكتاب الطبقات المشار إليه هنا ، هو « طبقات المشايخ » (في حياة الرسول والصحابة والأئمة الرُستُميين وعلماء الإباضية) لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرّجيني ، ألفه الدرّجيني بُعيد سنة ٦٢٦ للهجرة .

ومن أسرة بني نصر (أو بني الأحمر) في غرناطة أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد (\*\*) (ت ٨١٠ هـ ، في الأغلب) له عددٌ من كُتُب التاريخ : نشرُ الجُمان في شعر مَنْ نظمَ وإياهُ الزمان - نثرُ أفراد (؟) الجُمان في نظم فحول الزمان (من أحياء المائة الثامنة) - مشاهير بيوتات فاس - حديقة النُسر في أخبار بني مرين . ولأبي العباس أحمد بن الحسين (أو الحسن) بن عليّ بن قنّذ (ت ٨١٠ هـ) « كتاب الوفيات » مُرتباً على السنين ، وهو على غاية من الإيجاز . ثم يأتي القاسم بن عيسى بن الناجي القيرواني (ت ٨٣٧ هـ) القاضي ، وخطيب جامع الزيتونة ، له « معالم

الإيمان» (في أقسام): وصف المساجد القديمة، تاريخ بناء القيروان، وتراجم نفر من المشاهير). وبعد أمد نجد محمد بن علي الشاطبي المغربي الذي صنف، في تازة (في المغرب الأقصى)، سنة ٨٧٠ للهجرة، «عقود الجمان في مختصر أخبار الزمان». ثم هنالك محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت ٨٩٩ هـ)، له «نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان».

ويأتي أخيراً أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غاز (\*\*\*) (ت ٩١٩ هـ)، له «الروض المتون في أخبار مكناسة الزيتون». ثم يأتي في أعقاب هذا العصر أبو العباس أحمد ابن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي اليفرنى العامري المتوفى في جبل نفوسة (جنوب غربي ليبيا اليوم) في جمادى الأولى من سنة ٩٢٨ (نيسان - إبريل ١٥٢٢ م)، له كتاب «السيرة» اختصره من كتاب أبي زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني (ت ٤٣١ هـ) وعنوانه: «السيرة وأخبار الأئمة» (تاريخ أئمة الإباضية في مزاب بجنوبي الجزائر) ومن كتاب الطبقات للدرجيني ومن الجواهر المنتقاة للبرادي (راجع في الدرجيني والبرادي، فوق، ص ٨١) ثم زاد على هذه الكتب تراجم (إلى قريب من زمنه).

والسياسة العامة شديدة الصلة بالتاريخ. ولقد مررنا شيئاً من ذلك في الكلام على أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (\*\*\*) (ت ٥٢٠ هـ) ويحسن هنا مد الكلام قليلاً في أبي حمو موسى (الثاني) بن أبي يعقوب يوسف بن أبي زكريا يحيى بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان. ويغمراسن بن زيان (٦٠٣ - ٦٨١ هـ) هذا استقل بمدينة تلمسان (القطر الجزائري) بعد ضعف دولة الموحدين وأنشأ سلطنة فرع زيان من بني عبد الواد.

وولد أبو حمو موسى بن يوسف، سنة ٧٢٣ للهجرة (١٣٢٣ م)، في غرناطة (الأندلس) حيث كان أبوه مبعداً. وفي أواخر سنة ٧٣٦ للهجرة (أواسط ١٣٣٦ م) استولى المرينيون على تلمسان وأزالوا ملك بني زيان. ثم إن أبا حمو موسى بن يوسف استطاع بعد أمد، في صفر من سنة ٧٦٠ (كانون الثاني - يناير ١٣٥٩ م)، وفي حديث طويل، أن يدخل تلمسان ويعيد ملك بني زيان. وجعل أبو حمو موسى

(الثاني) هذا لدولة بني زِيَّان قُوَّةً وأُبْهَةً. غير أنَّ الدهرَ لَمْ يَصْنَفْ لأبي حَمَّو فَنَازَعَهُ أولادُهُ ثُمَّ قُتِلَ هُوَ فِي مَعْرَكَةِ الْغَيْرَانِ (على نِصْفِ يَوْمٍ من تَلَمَّسان - في محاربة أبنِهِ عبدِ الرَّحْمَنِ - في رَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ من سَنَةِ ٧٩١ (٢٣ / ١١ / ١٣٨٩ م).

وكان أَبُو حَمَّو موسى بْنُ يُوسُفَ حَازِماً حَكِيماً وإِدَارِيّاً عُمَرَانِيّاً وَمُثَقِّفاً مُصَنِّفاً وَصَلَ إلَيْنَا مِنْهُ كِتَابٌ قِيمٌ فِي السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ أَسَمَهُ <sup>(١)</sup> «وَاسِطَةُ السُّلُوكِ فِي سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ»، أَلْفُهُ بَيْنَ ٧٧١ وَ ٧٧٧ لِلْهِجْرَةِ (١٣٣٩ - ١٣٧٥ م) وَجَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَقْصَامٍ: فِي قَوَاعِدِ الْمُلْكِ وَالْوَصَايَا وَالْآدَابِ وَالْحُكْمِ الْمُرْشِدَةِ إِلَى طُرُقِ الصَّوَابِ (فِي الْحُكْمِ) - فِي قَوَاعِدِ الْمُلْكِ وَأَرْكَانِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ فِي قِوَامِ سُلْطَانِهِ - فِي الْأَوْصَافِ الَّتِي هِيَ نِظَامُ الْمُلْكِ وَكَمَالِهِ وَبَهْجَتُهُ وَجَبَالِهِ - فِي الْفِرَاسَةِ (مَعْرِفَةِ خَفَايَا النَّاسِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى وُجُوهِهِمْ وَمِنْ كَلَامِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ) وَهِيَ خَاتَمَةُ السِّيَاسَةِ.

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ أَبَا حَمَّو قَدْ اعْتَمَدَ عِدْداً مِنَ الْمَصَادِرِ اسْتَقَى مِنْهَا أَحْكَامَهُ وَأَمْثَلَتَهُ أَبْرَزُهَا أَثْراً فِي كِتَابِهِ: سِرَاجُ الْمُلُوكِ لِلطَّرُطُوشِيِّ (ت ٥٢٠ هـ) - كِتَابُ الْعِقْدِ لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ (ت ٢٢٨ هـ) - الْمَنْهَجُ الْمَسْلُوكُ فِي سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ <sup>(٢)</sup> - سُلُوانُ الْمُطَاعِ فِي عُدْوَانِ الْإِتِّبَاعِ لِحَمْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ظَفَرِ الْمَالِكِيِّ (ت ٥٦٥ هـ).

(١) الأسطر التالية المتعلقة بأبي حَمَّو موسى (الثاني) الزَيَّاني مستقاة من البحث التالي: النظرية السياسية للسلطان أبي حَمَّو الزَيَّاني الثاني لوداد القاضي - في مجلة «الأبحاث» (مجلة يصدرها مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط: كلية الآداب والعلوم - الجامعة الأميركية، رئيس التحرير: إحسان عباس - الجامعة الأميركية في بيروت) السنة ٢٧ (١٩٧٨ - ١٩٧٩ م).

(٢) هو جلال الدين أبو النجيب أبو الفضائل عبد الرحمن بن نصر (الله) بن عبد الله بن نصر بن عبد الله الشيزري (نسبة إلى شيزر - قرب حماة في شمالي الشام: سورية) التبريزي العدوي النبراوي (بفتح ففتح فيها)، عاش مدة طويلة في حلب وكان كاتباً عند صلاح الدين الأيوبي، وتولَّى القضاء في طبرية. ثم كانت وفاته سنة ٥٨٩ للهجرة (١١٩٣ م). وكان عبد الرحمن بن نصر هذا مصنفًا له: المنهج السلوك (أو نهج السلوك) في سياسة الملوك (ألفه لصلاح الدين الأيوبي) ثم خلاصة الكلام في تأويل الأحلام (راجع بروكلمن ١: ٦٠٣، الملحق ١: ٨٢٢ - ٨٢٣). وقد اضطرب يوسف اليان سركيس في فهرسته الجامع «معجم المطبوعات العربية والمعربة» فأورد اسمه في أمكنة مختلفة، قال: أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الله الشيرازي نبغ في حلب (سنة) ٥٦٥، له خلاصة الكلام في تأويل الأحلام، باريس ١٨٦٤ (ص ١١٧٥)؛ وقال: الشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، توفي ٥٨٩، له «المنهج =

وتحاول وداد<sup>(١)</sup> القاضي صُنْعَ نظريّةٍ سياسيّةٍ لأبي حوّ تُقيمها على الأسس التالية: خُلِقَ الْمَلِكُ: القاعدةُ الرُّباعيّةُ (الفضائل الأربعة: العقل والشجاعة والعدل ثمّ الكرم والحِلْمُ والعَفْوُ كأنّها شيءٌ واحدٌ، حتّى يُصنِّحَ العدَدُ هنا أربعةً). وأما الأساس الثاني فهو رعيّةُ الملك (وتُسمّيها صاحبةُ المقال: القاعدةُ البيروقراطية)، أي مرافقُ الدولة أو خُطَطُها أو مناصبها والموظفون مِنَ الذين يقومون بالعمل في هذه المناصب. والأساس الثالث: مال الملك (القاعدة الاقتصادية) أو الجباية وإنفاقُ مالِ الدولة وحُسْنُ القيام على هذا المال في جبايته وفي إنفاقه. والأساس الرابع: جيشُ الملك (القاعدة العسكرية) حُسْنُ معاملَةِ الجُنْدِ والتفطُّنُ لمقاصِدِ العدوّ ولحركاته. والأساس الخامس: فَراسةُ الملك (القاعدة السيكلوجيّة). ولقد أولى أبو حوّ هذا الأساس أهمّاماً كبيراً فيما يتعلّق برجاله وأعدائه وبما يتعلّق بمُحْصوميه وأعدائه.

ولا ريب في أن هذا الكتاب - واسطة السلوك في سياسة الملوك (كما يظهر من مقال وداد القاضي) - نصائح شخصيّة جمعها أبو حوّ من طريق حياته (من قراءته في الكتب ومن اختباره في الإدارة والحرب). ويبدو أن أبا حوّ قد حاول أن يبوّها تبويباً عاقلاً نافعاً.

ولا يغيب عن المطالع في مقال وداد القاضي أن أبا حوّ قد آستفاد من كتاب «كليّة ودمنة»، كما استفاد من المأثورات عن أفلاطون والواردة في الكتب العربيّة. إنّ ما سمّته وداد القاضي: خُلِقَ الْمَلِكُ أو القاعدةُ الرُّباعيّة - وهي العقل والشجاعة والعدل... والحِلْمُ... - إنّما هي الفضائل الأربع عند أفلاطون (ت ٩٧٠ قبل الهجرة = ٣٤٧ ق. م.)، وإن كان أبو حوّ قد جمع في كتابه كلّ الأقوال التي

---

= السلوك في سياسة الملوك، بولاق ١٨٤١ م (١٢٥٧ هـ)، مصر ١٣٠٦ و ١٣٢٦ هـ (ص ١٢٧٧). وبعد سطرين ذكر عبد الرحمن بن نصر الشيرازيّ وأحال على الشيرازي. راجع أيضاً الأعلام للزركلي (الطبعة الرابعة) ٣: ٣٤٠. وقد قبلت وداد القاضي عنواناً للكتاب «المنهج السلوك...» (ص ٧٩). وهناك أيضاً «المنهج السلوك في سياسة الملوك» ليوسف بن أيوب بن يحيى (بروكلن الملحق ٢: ١٠١٧).

(١) هي (الآنسة الدكتور) وداد بنت عفيف بن حسن بن يحيى الدين القاضي من أسر بيروت الكريمة المعروفة (ولدت في بيروت ٢٢ / ١١ / ١٩٤٣ م).



توافق مقصده من غير أن يوزعها بين مصادرها . ولقد أشارت وداد القاضي إلى مثل ذلك .

وفي هذا الباب من السياسة العامة يأتي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأصبحي المعروف بابن الأزرق الأندلسي ، تولّى القضاء في غرناطة ثم غادر الأندلس إلى تلمسان (في العُدوة المغربية)<sup>(١)</sup> - لما استولى الإسبان على غرناطة - ويبدو أن وفاته كانت بعيد ذلك (قُبيل آنتهاء القرن الهجري التاسع والقرن الميلادي الخامس عشر) . وأحبّ ابن الأزرق هذا أن يسلك سبيل ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) في فهم التاريخ فهماً اجتماعياً ، فوصل إلينا من كتبه : الإبريز المسبوك في كيفة آداب الملوك (صنّفه سنة ٨٨٣ هـ) - تحبير الرياسة وتحذير السياسة - بدائع السلك في طبائع الملوك ، قال فيه أحمد بن أحمد بابا التنبكي (ت ١٠٣٦ هـ) (نيل الابتهاج ٣٢٤) : « ... بدائع السلك في السياسة السلطانية ، كتاب حسن مفيد في موضوعه ، لخص فيه (ابن الأزرق) كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه وغيره مع زوائد لا يستغنى بوجه عنها » (لا يستغنى عنها بوجه) .

ومن المتأخرين في هذا الدور محمد بن عبد الكريم المغيلى التلمساني<sup>(٢)</sup> ، له « تعريف فيما يجب على الملوك » ، وقد طُبِع بعنوان « تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين » (بيروت ١٩٣٢ م) - « أحكام أهل الذمة » .

ومن السياسة الخاصّة (سياسة الإنسان نفسه) النكاح . وقد وصل إلينا من

---

(١) في نيل الابتهاج (ص ٣٢٤) : الفرناطي وقاضي الجماعة في غرناطة ... كان حيّاً في حدود التسعين وثمانائة ، ارتحل لتلمسان لما استولى العدو على بلده ثم للشرق . ولم أقف على وفاته . - راجع أيضاً بروكلمن ٢ : ٣٤٣ ، الأعلام للزركلي ٧ : ١٨١ (٦ : ٢٨٩ ، مع الحاشية الطويلة المفيدة) . وقد قدر الزركلي تاريخ وفاة ابن الأزرق فكانت عنده ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م) . ومن الصواب أن تؤخّر بضع سنوات أخرى .

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلى - نسبة إلى مغيل (بفتح فكسر) بلد قرب فاس (القاموس ٤ : ٥١) - التلمساني مفسر وفقه ونحوي ومنطقي ومن العارفين بالاجتماع والسياسة (راجع نيل الابتهاج ٣٣٠ - ٣٣٢ ، بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٦٣ ، الأعلام للزركلي (ط ٤ ، ٦ : ٢١٦) . وكانت وفاته ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م) .

تصنيف أبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني<sup>(\*)</sup> صاحب الرحلة والمتوفي نحو سنة ٧١٧ للهجرة (١٣١٧ م) «تحفة العروس<sup>(١)</sup> ونزهة النفوس». وكذلك وصل إلينا من تصنيف أبي عبد الله عمر بن محمد النفزاوي<sup>(٢)</sup> كتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر = المطبوع بعنوان «تنوير البطاح في معرفة كيفية النكاح» (القاهرة: بلا تاريخ، فاس ١٣١٠ هـ؛ تونس ١٩٢٨ م. ثم هو منقول ومطبوع في اللغات الفرنسية والإنكليزية والألمانية).

## علوم التعاليم

علوم التعاليم هي العلوم التي تجري في الأعداد كثيراً أو قليلاً، أو هي العلوم الرياضية والطبيعية في تصنيف المعارف الإنسانية عندنا اليوم. وهنا موضع ملاحظة يحسن أن تتكرر مرة بعد مرة: إن «العلم» ليس فقط مفردات المعارف القائمة على القواعد الدقيقة كالحساب والفلك والموسيقى، ولكن «نعت» العلم ينطبق أيضاً على كل فن من فنون المعرفة الإنسانية كالفلسفة والأدب والتاريخ إذا نحن سِرنا فيه على منهج معين.

وعصر بني نصر في الأندلس كمصر بني مرين في المغرب لم يخل من علوم التعاليم. أما قلة هذه العلوم في الأندلس فلأن العرب لم يكن لهم في الأندلس، في تلك الحقب، سوى مدينة غرناطة وما حولها، فلا يُنتظر أن يكون فيها «علم» كثير وإن كثرت فيها الفنون الأدبية واللغوية والدينية، لأن ههذه الفنون أقرب إلى العاطفة - والعاطفة تقوى في أيام الضعف السياسي. أما قلة علوم التعاليم في المغرب في ذلك الحين فترجع في رأي عبد الله كنون (النبوغ المغربي، ص ١٩٨، راجع ١٩٩) إلى أن سلاطين المرينيين لم يشجعوا هذه العلوم كما شجعها الموحدون في

(١) العروس تقال للرجل والمرأة.

(٢) كتب النفزاوي هذا لأبي عوانة الزواوي وزير السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز الذي تولى من سنة ٧٩٦ إلى سنة ٨٣٧ للهجرة (١٣٩٤ - ١٤٣٣ م). ويبدو أن الزواوي كان في أول هذه المدة (راجع بروكلمن ٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٨ - ٣٦٩).

بعض أدوارهم ، وخصوصاً في أيام يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

★ ★ ★

يبرز في هذا العصر ثلاثة من علماء الرياضيات أولهم في تاريخ الوفاة محمد بن إبراهيم بن الرقام المرسي الأندلسي (ت ٢١ صفر ٧١٥) وكان مشاركاً في الرياضيات والفيزياء وعلم النبات وفي الطب، له كتاب في علم الظلال (فيزياء : بصريات ؟) وفي المساحة (الهندسة المستوية) في كتاب له عنوانه «التكسير» ، أوله : «التكسير صناعة يُنظرُ فيها في مساحة الأشكال» (راجع الأعلام للزركلي ، ط ٤ ، ٥ : ٢٩٧ ، بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٧٨).

وأما الشمس المشرقة في الرياضيات ، في هذا العصر ، فكان أبا العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي (٦٤٩ - ٧٢١ هـ) ، صنّف كتباً كثيرة في الحساب والجبر والهندسة والفلك والتنجيم والجغرافية والنبات. وتقوم شهرته على كتابه المعروف بعنوان «تلخيص أعمال الحساب»<sup>(١)</sup>. ويبدو أن اهتمام ابن البناء - بالإضافة إلى إحاطته بفروع هذا العلم - كان منصباً على تيسير الحسبان على الناس<sup>(٢)</sup>.

ثم يأتي يعيش بن إبراهيم بن يوسف بن سمالك (ت نحو ٧٧٣ هـ) له : مراسم الانتساب في علم الحساب - رفع الإشكال في مساحة الأشكال (في الهندسة المستوية) - علم القبان (فيزياء - علم الحيل : ميكانيك) وغيرها في موضوعات أخرى<sup>(٣)</sup>.

(١) حققه وترجمه (نقله إلى الفرنسية) وعلق عليه الدكتور محمد السويبي ، تونس (منشورات الجامعة التونسية) ١٩٦٩ م.

(٢) راجع تمهيد محمد السويبي لكتاب «تلخيص أعمال الحساب» (الحاشية السابقة)؛ تراث العرب العلمي لقدرى طوقان ، الطبعة الثالثة ، ٤٢٩ - ٤٣٢ ؛ بروكلمن ٢ : ٣٣٠ - ٣٣١ ، الملحق ٢ : ٣٦٣ - ٣٦٤ ؛ النبوغ المغربي ٢٢٠ - ٢٢١ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢١٣ - ٢١٤ (٢٢٢).

(٣) راجع الأعلام للزركلي ٩ : ٢٧١ (٨ : ٢٠٥ - ٢٠٦) ؛ ووفاته في بروكلمن (٢ : ٣٤٤) قبل سنة ٧٧٤ هـ. ثم يذكره بروكلمن (الملحق ٢ : ٣٧٩) باسمه وينسب إليه الكتب التي ذكرها له من قبل ولكن يجعل وفاته سنة ٨٩٥ هـ = ١٤٨٩ م.

ولعلّ من علماء هذا العصر (وفي القرن الثامن للهجرة؟) أبا عبد الله بن هلال ، قال فيه عبد الله كنون (النبوغ المغربي ١٩٨): إمامُ التعاليم وأتّ شَرَحَ كتابَ المِجَسْطِي لِبطليموسَ القلُوديّ .

ويبدو أنّ علم الفلك والحُسابانَ الفلكيّ كانا على مستوى صالحٍ من الرقيّ ، فإنّ أبا عليّ الحسن بن عمَرَ المراكُشيّ (ت نحو ٦٦٠) كان له كتابُ «جامعِ المبادئ والغايات في علم المِيقَاتِ» (بروكلمن ١ : ٦٢٥ ، الملحق ١ : ٨٦٦) .

ومن البارعين في علم الفلك في هذا العصر مُحبي الدين أبو الفتح يحيى بن مُحمّد ابن أبي الشُّكر (أو شُكر) المعروف بالحكيم المَغْرِبِيّ (ت بين ٦٨٠ و ٦٩٠ هـ) ، كان من أهل قُرطُبة ثمّ رَحَلَ إلى المشرق وعَمِلَ معَ نصيرِ الدين الطوسيّ في مرصد مَرَاغة<sup>(١)</sup> . ولاين أبي الشُّكر كُتِبَ كثيرةٌ في الرياضيات والفلك منها (في الهندسة والمثلثات): تحرير أقليدس في أشكال الهندسة - كتاب المَخروطات (تحرير المخروطات لأبولونيوس) - إصلاح كتاب منالوُس في الأشكال الكُرَيَّة - تهذيب كتاب ثيودوسيوس في الأَكْر - رسالة في آستخراج الجيوب الواقعة في الدائرة - رسالة فيما تفرَّعَ عن الشكّل القَطَّاع من النَّسَبِ على سبيل الإيجاز . ثمّ له (في الفلك والحُسابان الفلكيّ): الحُكم على قرائن (قران)<sup>(٢)</sup> الكواكب في البروج الاثني عشر - مقالات تتعلّق بمحركات الكواكب - مقالة في آستخراج تعديل النهار وساعات المشرق (شروق الشمس) ، والدائر من الفلك بطريق الهندسة - مُلَخَّص المِجَسْطِيّ (?) من نقل أبي الفرج غريغوريوس المَلَطِيّ المتوفى ٦٨٥ للميلاد) - زِيحٌ (جدولٌ وتفسيرٌ لهذا الجدول) لتقوم الكواكب يشتمل على مائتين وواحدٍ وأربعين فَنّا من الحساب - تسطيح الأسطراب - أربعُ مقالات في النجوم - رسالة الخطأ والإيغور<sup>(٣)</sup> . وكذلك

(١) مراغة في آذربيجان الفارسية (في منطقة جبلية في أقصى الشمال - جنوب تبريز) . وكان فيها مرصد من أكبر المراصد القديمة . اجتمع في هذا المرصد نفر كثيرون من علماء الفلك المسلمين .

(٢) القران (بالكسر): وجود نجمين على مر واحد من خطّ البصر .

(٣) الخطأ: (بناء معجزة مفتوحة وطاء مهملة مفتوحة وألف): كاتاي - قبائل من الترك كانوا يعيشون شمال نهر جيحون ، في أواسط آسية وكانوا على الوثنية ، وساكتم كانت في مناطق تابعة للصين (راجع في تحقيق ذلك تاريخ ابن الأثير ٩ : ٢٩٧ ، ١١ : ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ثم راجع فهرس الأعلام (في تاريخ =

له كتب في التنجيم<sup>(١)</sup>.

ويأتي هنا شمسُ الدين أبو العباسِ مُحَمَّدُ (أحمدُ) بنُ مسعودٍ الخزرجي السَّبْتي (من أهل سَبْتَة) المغربي (ت ٦٩٨ هـ)، قيل فيه إنَّه مخترعُ علمِ الزايرجة<sup>(٢)</sup>.

ثمَّ يأتي أبو مَقَرَّعٍ (بفتح فسكون ففتح: النبوغ المغربي ٢٢١ مرتين) أو أبو مَقَرَّة (نفع الطيب ٢ : ٦٩٣، السطر السادس من أسفل) البطوي<sup>(٣)</sup> له رجز في التقويم والتنجيم<sup>(٤)</sup>.

ولشمسِ الدين مُحَمَّدُ الْجَزُولِيُّ (ت نحو ٧٤٥ هـ): كتاب العمل بالأسطرلاب - رسالة في العمل بالجَيْبِ الغائب (٩) - رسالة في رُبْعِ المساترة (٩) - رسالة في ثَمَنِ الدائرة (بروكلمن ٢ : ٣٣١ - ٣٣٢، الملحق ٢ : ٣٦٤ ابن الجزولي).

ومن علماء الفلك أبو زيد اللِّجَائِيُّ الفاسي (ت ٧٧٣ هـ) اخترع اسطرلاباً مُلصقاً بالجدار والماء يدير شبكته (٩) على الصفحة، فيأتي الناظر فينظر إلى ارتفاع الشمس كم هو وكم مضى من النهار، أو ينظر ارتفاع الكواكب في الليل

ثمَّ نَجِدُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الزُّبَيْرِ (ت ٧٩٠ هـ) تذكرة ذَوِي الألباب في استيفاء العمل بالأسطرلاب (بروكلمن ٢ : ٣٤٤). ثمَّ يأتي في هذا النَّسَقِ أبو الحسن عليُّ بنُ موسى بن عبدِ الله بن مُحَمَّدِ بْنِ حَيْدُورٍ<sup>(٥)</sup>، له: الاعتباراتُ النظرية في الأحكام

---

= ابن الآثير لا تمام التحقيق: والايغور أيضاً من الترك. - طريقة الحساب الفلكي عند هاتين الأمتين.

(١) راجع في الحكيم المغربي: الأعلام للزركلي ٩ : ٢١٠ (٨ : ١٦٦)، بروكلمن ١ : ٦٢٦، الملحق ١ : ٨٦٨ - ٨٦٩، تراث العرب العلمي لقنيري طوقان ٤٢٤.

(٢) في تاج العروس (الكويت ٦ : ٢٥): الزايرجة صورة مربعة أو مدورة تعمل لموضع (مواضع) الكواكب في الفلك لينظر (فيها) في حكم المولد (مولد الشخص من حيث السعد والنحس) في عبارة المنجمين. - راجع في ابن مسعود السبتي بروكلمن ١ : ٦٥٥، الملحق ١ : ٩٠٩ - ٩١٠.

(٣) يمكن أن يكون اسمه الكامل: أبو محمد عبد الحق بن علي البطوي (نسبة إلى بطوية في الريف، شمال المغرب) الوريزي الجمولي المروجشي السوسي، له رجز في التقويم والتنجيم (لعله: «بروج القمر عند العرب» الذي حرره موتيلنسكي وطبعه (الجزائر ١٨٩٩ م) - راجع النبوغ المغربي ٢٢١ بروكلمن ٢ : ٣٣١، الملحق ١ : ٣٦٤).

(٤) راجع في اللجائي النبوغ المغربي ٢١٤ - ٢١٥، تراث العرب العلمي ٤٣٧.

(٥) في النبوغ المغربي، ص ٢٢١، السطر الخامس: هيدور (بالهاء). راجع أيضاً بروكلمن الملحق ١ : ٣٦٥ - (بالحاء).

النجومية - شرح تلخيص أعمال الحساب لأبن البناء العدديّ.

ثمّ يأتي الجاديريّ (بالباء بعد الدال ، النبوغ المغربي ١٩٩ ، ٢٢١) أو الجادريّ (بكسر الدال وفتح الدال : راجع بروكلمن ، الملحق ٢ : ٢١٧) وهو أبو زيد عبد الرحمن المؤقت في مسجد القرويين في فاس (ت ٨١٦ هـ) ، له روضة الأزهار في علم الليل والنهار .

ثمّ يأتي محمد بن أحمد بن يحيى بن الحباك (ت ٨٦٧ م) ، له : بُغْيَةُ الطُّلَّابِ في علم الأسطرلاب - شَرَحُ رَوْضَةِ الْأَزْهَارِ في علم الليل والنهار (للجاديري) - تُحْفَةُ الطُّلَّابِ في عددِ السنين والحساب (راجع بروكلمن ٢ : ٣٣٢ ، الملحق ٢ : ٣٦٥ ؛ نيل الابتهاج ٣٣٣ فاس).

ومن الفنون التي تأخذ من الرياضيات ومن الفيزياء الموسيقى . في نحو سنة ٧٠٠ للهجرة صنّف محمد بن إبراهيم الصِّلَاحيُّ للناصر لدين الله المرينيّ (٦٨٥ - ٧٠٦ هـ) أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق<sup>(١)</sup> كتاباً في آلات الموسيقى أثبت بروكلمن (٢ : ٣٣٣) عنواناً له : « الإمتاع والانتفاع »<sup>(٢)</sup> .

وفي العلم الطبيعيّ على الحَصَر (الفيزياء) يأتي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي<sup>(\*\*)</sup> التونسيّ (ت ٦٥١ هـ) ، له : أَزْهَارُ الْأَفْكَارِ في جواهر الأحجار - مطالعُ البدور ومنازلُ السرور (في المعادن) - فصلُ الخطاب في مدارك الحواسِّ الخمس لأولي الألباب - الأحجار التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء وغيرها . ثمّ هنالك أبو الحسن بن يوسف المديونيّ الحكيم (في نحو هذا العصر) له الدَوْحَةُ الْمُشْتَبِكَةُ في ضوابط دار السكّة (النبوغ المغربي ٢٢١) لِسَكِّ الْعِمْلَةِ ، وفي هذا العمل جانب من الفيزياء .

ومع أن الصنعة (الكيمياء القديمة) قد عاشت في المشرق والمغرب مدة طويلة ثمّ

(١) يورد بروكلمن عادة أسماء الأعلام مختصرة . وقد وردت جملة بروكلمن كما يلي : للمرينيّ أبي يعقوب بن يحيى بن عبد الحق .

(٢) لعلّ العنوان الكامل : الإمتاع والانتفاع بآلات السماع .

إنَّهَا آسَمَرَتْ فِي أوروْبَةِ إِلَى نَصْفِ الْقَرْنِ الْمَاضِي ، فَإِنَّ الْعَصْرَ الَّذِي نَبَحَثُ فِي أَعْلَامِهِ  
الآنَ لَمْ يَجْمَعْ مِنْ عِلْمَاءِ الْكِيمِيَاءِ مَنْ كَانَ ذَا أَثَرٍ بَارِزٍ . هُنَاكَ مِثْلًا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ  
عُمَرَ الزَّوَاوِيُّ النِّجَّارُ الْبِجَائِي (مِنْ أَحْيَاءِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ فِي الْقَطْرِ الْجَزَائِرِيِّ) لَهُ فَصْلٌ  
فِي الْكِيمِيَاءِ ثُمَّ تُخَفُّ النَّظَرُ وَتُزْهِهَ الْمَنَاطِرُ (بِفَتْحِ الْمِيمِ - بَرُوكْلَمَنْ ، الْمُلْحَقُ ٢ :  
٣٦٧) ، وَعُنْوَانُهُ لَا يَدُلُّ عَلَى مَوْضُوعِهِ .

كَانَ حَظُّ الْعَصْرِ الْمَرِينِيِّ مِنَ الطِّبِّ أَوْفَرَ مِنْ حَظِّهِ مِنَ الْكِيمِيَاءِ . كَانَ فِيهِ (النَّبُوغُ  
الْمَغْرِبِيُّ ٢٠٠) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الشَّيْخِ الطَّبِيبِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ الْعَنْسِيِّ الْمَرَاكُشِيِّ  
(وَفِي آسَمِهِ شَيْءٌ مِنَ الْخِلَافِ) ، وَقَدْ كَانَ مُشَارِكًا فِي عَدِيدٍ مِنَ الْعُلُومِ الْكُونِيَّةِ ، لَهُ فِي  
الطِّبِّ : الْأَمْرَاضُ السَّرِيَّةُ وَعِلَاجُهَا - الْأَذْكَمَةُ (٩٩) وَصِفَاتُهَا وَمَا يُطَلَّبُ أَنْ يُتَجَنَّبَ  
فِيهَا . ثُمَّ لَهُ : النِّسَاءُ وَمَا يُحْمَدُ أَوْ يُذَمُّ مِنْهُنَّ ، وَضَعَهُ بِرَسْمِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرِينِيِّ  
(٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) .

وَيَبْدُو أَنَّ مِنَ الْبَارِعِينَ فِي الطِّبِّ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ أَحْمَدَ بْنَ شُعَيْبِ الْجَزْنَائِيِّ (★★)  
(ت ٧٤٩ هـ) ، وَكَانَ كَاتِبًا وَشَاعِرًا وَطَبِيبًا جَعَلَهُ السُّلْطَانُ أَبُو سَعِيدٍ الْمَرِينِيُّ  
(٧١٠ - ٧٣٢ هـ) فِي جُمْلَةِ الْكُتَّابِ ، وَلَكِنْ أُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقٌ (مُرْتَبٌ) الْأَطْبَاءِ  
لِتَقْدِيمِهِ فِي الطِّبِّ ، فَكَانَ كَاتِبُهُ وَطَبِيبُهُ . وَكَذَلِكَ فَعَلَ السُّلْطَانُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَرِينِيُّ  
(٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) بَعْدَ ذَلِكَ (النَّبُوغُ الْمَغْرِبِيُّ ٢٠٠) .

وَمِنَ الْمُؤَلِّفِينَ فِي الطِّبِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ اللَّخْمِيُّ الشُّقُورِيُّ (نِسْبَةٌ إِلَى بَلَدَةِ  
شُقُورَةٍ ، مِنْ نَوَاحِي جَبَّانَ) الْأَنْدَلُسِيِّ ، صَنَّفَ سَنَةَ ٧٤٩ هـ لِلْهِجْرَةِ : تَحْقِيقَ النَّبَأِ عَنْ أَمْرِ  
الْوَبَاءِ (فِي طَاعُونِ سَنَةِ ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) أَوْ الْمَوْتِ الْأَسْوَدِ (الطَّاعُونِ الْكَبِيرِ) الَّذِي  
أَنْتَشَرَ فِي أوروْبَةِ سَنَةِ ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) وَآسَمَرَّ إِلَى سَنَةِ ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ثُمَّ  
عَادَ إِلَى أوروْبَةِ ١٣٦١ - ١٣٦٢ وَ ١٣٦٩ لِلْمِيلَادِ (٧٦٢ وَ ٧٧١ - ٧٧٢ لِلْهِجْرَةِ) .  
وَلَهُ أَيْضًا مُجَرَّبَاتٌ فِي الطِّبِّ (رَاجِعَ بَرُوكْلَمَنْ ٣ : ١٢٧٩ ، السُّطْرُ ٢٨ وَمَا بَعْدَ ،  
الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ ، ط ٤ ، ٦ : ٢٨٥) .

وَمِنَ الْبَارِزِينَ فِي التَّطْبِيبِ وَفِي التَّالِيفِ فِي الطِّبِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ الْقِرْبَلْيَانِيِّ (نِسْبَةٌ إِلَى قِرْبَلْيَانَةٍ أَوْ كَرَابِلْيَانَتِهِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ أَوْرِيُولَةٍ ، شَرْقُ

مُرْسِيَّةً ، في الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ) . كَانَ عَالِماً بِالْأَعْشَابِ وَطَبِيباً جَرَّاحاً سَكَنَ مَرَاكُشَ مُدَّةٍ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَتَوَفَّى فِي غَرْنَاطَةِ (سَنَةِ ٧٦١ هـ) . وَلِلْقُرْبَلَيَّانِيِّ هَذَا كِتَابٌ فِي الْأَعْشَابِ (النباتات المُسْتخدَمة في تركيب الأدوية) ثُمَّ كِتَابُ «الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام» أَلْفُهُ لِلسُّلْطَانِ أَبِي الْجَيُوشِ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّصْرِيِّ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْحُكْمِ سَنَةَ ٧١١ هـ لِلهَجْرَةِ ثُمَّ خُلِعَ سَنَةَ ٧١٣ هـ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي وَادِي آشَ (قَرَبَ غَرْنَاطَةِ) سَنَةَ ٧٢٢ هـ (راجع بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٦٦ ؛ الأعلام للزركلي ، ط ٤ ، ٦ : ٢٨٥) .

وَفِي أَيَّامِ الْمُرِينِيِّينَ (وَرُبَّمَا فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْهَجْرِيِّ الثَّامِنِ) كَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ الشَّيْخِ الْكَاتِبِ الْوَجِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجِيَّارِ الْمُحْتَسِبِ<sup>(١)</sup> فِي مَدِينَةِ سَبْتَةِ فِي شَالِي الْمَغْرِبِ . زَادَتْ سِنُهَا عَلَى السَّبْعِينَ ، وَكَانَتْ عَارِفَةً بِالطَّبِّ وَبِالْعَقَاقِيرِ ، بِصِيرَةٍ بِالْمَاءِ (النَّظَرِ إِلَى بَوْلِ الْمَرِيضِ) وَبِعِلَامَاتِهِ (راجع النبوغ المغربي ٢١٥) .

وَمِنَ الْمَذْكُورِينَ فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ الشَّرِيفُ الصِّقْلِيُّ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ التُّونِسِيِّ ، كَانَ فِي أَيَّامِ أَبِي فَارَسٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَفْصِيِّ (٧٩٦-٨٣٧ هـ) وَصَنَّفَ لَهُ كِتَابُ الْأَطْبَاءِ (أَوْ كِتَابُ حِفْظِ الصَّحَّةِ) الْمَعْرُوفَ بِالطَّبِّ الشَّرِيفِ . وَلَهُ شَرْحٌ عَلَى أَلْفِيَةِ ابْنِ سِينَا (بروكلمن ٢ : ٣٣٣ ، الملحق ٢ : ٣٦٧) .

وَفِي سَنَةِ ٨٩٧ هـ لِلهَجْرَةِ صَنَّفَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحَسَنِي الْمَصْنُودِيُّ مِنْ أَهْلِ تِلْمَسَانَ كُتُباً جَعَلَهَا بَرُوكْلَمَن (٢ : ٣٣٤ ، الملحق ٢ : ٣٦٧) فِي فَصْلِ الْكِيمِيَاءِ وَعِلُومِ الْجَفْرِ ، هِيَ : تُحْفَةٌ مَنْ صَبَرَ عَلَى تَطْهِيرِ الْحَجَرِ (وَهُوَ عُنْوَانٌ شَدِيدُ اللَّصُوقِ بِالْكِيمِيَاءِ ، فَالْمَقْصُودُ بِالْحَجَرِ هُنَا حَجَرُ الْفَلَّاسِفَةِ الَّذِي تُحَكُّ بِهِ الْمَعَادِنُ الْحَسِيسَةُ فَتُصْبِحُ ذَهَباً ، فِي ظَنِّهِمْ) - الْوَاقِي فِي تَدْبِيرِ الْكَافِي - الْمَحْنَةُ الْمَنْكِيَّةُ (٢) لِمَبْتَدِئِ الْقِرَاءَةِ الْمَكِّيَّةِ .

وَيَأْتِي فِي أَوَاخِرِ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ التُّونِسِيُّ ، صَنَّفَ سَنَةَ ٨٩٩ هـ

(١) الْمُحْتَسِبُ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى الْحِسْبَةَ (فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ) : مَرَاقِبَةُ السُّوقِ (مَرَاقِبَةُ الْأَسْوَارِ وَالْأَخْلَاقِ الْعَامَّةِ وَالبُضَائِعِ وَالْأَطْعَمَةِ) .



للهجرة كتابَ الطَّبِّ في تدبير المسافرين ومَرْضَى الطاعونِ (بروكلمن، الملحق ٢ : ٣٦٧).

### رثاء البلدان:

الدُّنْيَا دُولٌ - والدَّوْلَةُ: اُنْتَقَالُ الْأَمْرِ مِنْ جَمَاعَةٍ إِلَى جَمَاعَةٍ، مَرَّةً يَكُونُ لِهَؤُلَاءِ وَمَرَّةً يَكُونُ لِأُولَئِكَ؛ وَرَبِّمَا كَانَ لِقَوْمٍ ثُمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهِمْ - والقاعدةُ أَنَّ كُلَّ دَوْلَةٍ (بِمَعْنَى مُلْكٍ أَسْرَةٍ أَوْ فَرْدٍ جَمَاعَةٍ \* مِنْ النَّاسِ أَوْ رُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَبِمَعْنَى حَيَاةِ الْإِنْسَانِ ثَرْوَةً أَوْ تَمَتُّعٍ فَرْدٍ بِجَاهٍ) لَا تَعِيشُ إِلَى الْأَبَدِ، بَلْ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ عُمُرٍ طَبِيعِيٍّ تَحْتِيا فِي مَدَاهُ ثُمَّ تَسْقُطُ لِيَقُومَ غَيْرُهَا مَكَانَهَا، كَمَا يَقُولُ آيْنُ خَلْدُونِ. وَلَقَدْ كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ جِدًّا أَنْ يَحْزَنَ أَهْلُ كُلِّ دَوْلَةٍ عَلَى زَوَالِ دَوَلَّتِهِمْ أَوْ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَزُولَ دَوْلَتُهُمْ حِينَ يَبْدَأُ انْحِدَارُهَا نَحْوَ الزَّوَالِ الْأَكِيدِ.

ولقد أَرَادَ الْإِسْلَامُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِي زَوَالِ الدُّوَلِ وَالْأَمَمِ عِبْرَةٌ فَلَا يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَا يَأْتُوا بِمَا يُعَجِّلُ زَوَالَهُمْ أَوْ يُجَعِّلُ زَوَالَهُمْ شَدِيدَ الْأَلَمِ لَهُمْ - مَا دَامَ ذَلِكَ الزَّوَالُ أَمْرًا لَا مَفْرَجَ مِنْهُ - أَوْ سَيِّئًا الْعَوَاقِبِ عَلَيْهِمْ وَقَوْمِهِمْ. وَكَفَيْتُنَا هُنَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ؟ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا. أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ (١٢: ١٠٩، سورة يوسف). وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا؟ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٢٢: ٤٦، سورة الحج).

وَمِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ يَحْسُنُ الِاسْتِشْهَادُ بِهِمْ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ (ت ٧٥ هـ) الْأَمْوِيُّ قَالَ فِي قَصِيدَتِهِ الْهَمْزِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ (رَاجِعِ الْجُزْءِ الْأَوَّلَ مِنْ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ) يَخَافُ عَلَى دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةِ الْقُرَشِيَّةِ أَنْ تَزُولَ بِالْإِنْزَاعِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ الطَّامِعِينَ فِي الْحُكْمِ (وَقَدْ سَقَطَتِ الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ، سَنَةَ ١٣٢ لِلْهِجْرَةِ - عَامَ ٧٤٩ لِلْمِيلَادِ):

\* «جماعة» (بالنصب): مفعول به من المصدر «ملك» مضافاً إلى فاعله (أسرة أو فرد).

حَبَّذا الْغَيْشُ حِينَ قَوْمِي جَمِيعاً      لَمْ تُفَرِّقْ أُمُورَهَا الْأَهْوَءُ؛  
 قَبْلَ أَنْ تَطْمَعَ الْقِبَائِلُ فِي مُدِّ      لِكَ قُرَيْشٍ وَتَشْمَتَ الْأَعْدَاءُ.  
 أَهْلِهَا الْمُشْتَهَى فَنَاءً قُرَيْشٍ؛      يَبْدِ اللَّهُ عُمْرَهَا وَالْفَنَاءُ.  
 إِنْ تَوَدَّعَ مِنَ الْبِلَادِ قُرَيْشٌ      لَا يَكُنْ بَعْدَهُمْ لِحَيٍّ بَقَاءُ.

كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيْاتِ يَخْشَى عَلَى مُسْتَقْبَلِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ. أَمَّا الْبُحْتَرِيُّ، فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، فَقَدْ جَاءَ إِلَى الْعِرَاقِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي تَمَّامٍ (٢٣٢ هـ = ٨٤٦ م) لِيُجَرِّبَ حَظَّهُ فِي التَّكْسِبِ بِالشَّعْرِ. لَمْ يَلْقَ الْبُحْتَرِيُّ النَّاشِئُ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّاعِرِ الرَّاسِخِ الْمَكَانَةَ تَوْفِيقاً، فَذَهَبَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَى الْمَدَائِنِ - وَهِيَ مَشْهُدٌ لِمَدِينَةٍ قَدِيمَةٍ، عَلَى نَحْوِ عَشْرِينَ مَيْلاً شَرْقَ بَغْدَادَ - وَوَقَّفَ عِنْدَ إِيْوَانِ كِسْرَى يُعَزِّي نَفْسَهُ (الْحَائِبَةُ فِي التَّكْسِبِ بِالشَّعْرِ) بِزَوَالِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ بَنَتْ ذَلِكَ الْإِيْوَانَ (الْمَقَرَّ الْمَلَكِيَّ) ثُمَّ زَالَتْ، فَقَالَ (رَاجِعِ الْجُزْءَ الثَّانِي مِنْ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ) قَصِيدَتُهُ السَّيْنِيَّةُ: «صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي». فَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

حَضَرْتُ رَحْلِي الْهُمُومُ فَوَجَّهَهُ      سَتُ إِلَى أَبِيضِ الْمَدَائِنِ عَنَسِي<sup>(١)</sup>،  
 أَتَسَلَّى عَنِ الْهُمُومِ وَأَسَى      لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ<sup>(٢)</sup>.  
 ذَكَرْتَنِيهِمُ الْخُطُوبُ التَّوَالِي،      وَلَقَدْ تَذَكَّرُ الْخُطُوبُ وَتُنْسِي<sup>(٣)</sup>.  
 فَكَأَنَّ الْجِرْمَانَ مِنْ عَدَمِ الْأُنْ      سِ وَإِخْلَالِهِ بَنِيَّةَ رَمْسِ<sup>(٤)</sup>.  
 لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي      جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَمًا بَعْدَ عُرْسِ.

(١) الرحل: البيت، السكن؛ نزلت عليَّ الهموم في بلدي فافترت وجئت إلى العراق. العنس: الناقة القويَّة. أبيض المدائن: المدائن (بلدة على نحو عشرين ميلاً شرق بغداد).

(٢) أسي (بفتح فكسر ففتح) فلان على فلان: حزن عليه وأشفق. آل ساسان: ملوك الفرس. درس: دارس، محو العالم.

(٣) الخطب (بالفتح): المصيبة.

(٤) الجرماز: بناء عظيم كان عند أبيض المدائن، وقد عني (أعنى) أثره (تاج العروس - الكويت ١٥: ٥٩). من عدم (فقدان) الإنس (بالكسر): الناس، السكَّان، وإخلاقه (ترك الناس له). البنية (بالفتح): كل ما يبنى. رمس: قبر.

وكانت الدواعي لِرِثاءِ المُدْنِ في الأندلس كثيرةً، بعدَ أن بدأ الإسبانُ النَّصارى يستولون على المُدْنِ الإسلامية في تلك الحربِ الصليبية التي سَبَقَتْ الحربَ الصليبيةَ في المشرق.

في نَفْحِ الطَّيِّبِ (٤: ٣٥٢، راجع ٣٥٤، ٣٥٥؛ راجع وفيات الأعيان ٥: ٢٧):  
 أَنَّ مِنْ أَوَّلِ المَدَنِ العَظِيمَةِ الَّتِي اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الإسبانُ مَدِينَةَ طُلَيْطَلَةَ، أَخَذَهَا  
 أَلْفونسو السادسُ، سَنَةَ ٤٧٨ للهجرة، من يَدِ القادرِ بِحْيى بنِ إِسماعيلَ بنِ ذي النون.  
 فقال بعضُ الشعراءِ يَرِثُها (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٤: ٤٨٣ - ٤٨٦) بقصيدةٍ لَيْسَتْ من عيونِ  
 الشعرِ، وَلَكِنَّ فِيها عاطِفَةٌ قَوِيَّةٌ مِنَ التَّعْبِيرِ وَكَشْفاً عَنِ أسبابِ ضَعْفِ الأَمْرِ. من هذه  
 القصيدةِ الطويلة:

طُلَيْطَلَةُ أَباحَ الكُفْرَ مِنْها	حِجَاهَا. إِنَّ ذَا نَبَأٍ كَبِيرُ.
فليس مِثَالُها إِيوانُ كِسرى،	ولا مِنْها الحَوْرَنُقُ والسَّديرُ <sup>(١)</sup> .
ألم تَكْ مَعْقِلًا لِلدِّينِ صَغْبًا	فذلَّلَه كَمَا شاءَ القَدِيرُ <sup>(٢)</sup> ؟
وكانتْ دَارَ إِيْمَانٍ وَعِلْمٍ	مَعَالِمُها الَّتِي طُمِسَتْ تُنِيرُ <sup>(٣)</sup> ،
فمادتْ دَارَ كُفْرٍ مُصْطَفَاةً	قَدِ اضْطَرَبَتْ بِأَهْلِها الأُمُورُ <sup>(٤)</sup> :
مساجِدُها كَنائِسُ، أَيُّ قَلْبٍ	على هَذَا يَقَرُّ ولا يَطِيرُ؟
أناَمُنُ أَنْ يَحِلَّ بِنَا أَتْتَقَامُ	وفينا الفِئقُ أَجْعُ والفُجُورُ*؟
وأكلٌ لِلْحَرَامِ، ولا اضْطَرارُّ	إِلَيْهِ؟ فَيَسْهُلُ الأَمْرُ العَسيرُ.
يَزُولُ السُّرُّ عَنْ قَوْمٍ إِذَا ما	على العِصْيَانِ أُرْخِيتِ السُّتُورُ.
خُذُوا ثَأَرَ الدِّيانَةِ وَأَنْصُرُوها،	فقد حامتْ على القَتْلِ النُّسُورُ.

(١) إِيوان كِسرى لا يشبهها. ولا مِنْها (وليس من نوعها أو مكائنها) الحَوْرَنُقُ والسَّدير (قصران في جنوبي العراق من أيامِ المَناذرة).

(٢) القَدِيرُ: الله تعالى.

(٣) معالِمُها (مدارسها ومساجدها الخ التي طُمِسَتْ أو مَحِيتِ الآنَ كانت من قبل تُنِيرُ).

(٤) مُصْطَفَاةً (مختارة): اختار الإسبانُ أَخَذَها (الآن) دونَ غيرها. مُصْطَفَاةً (أيضاً): مأخوذة. - اصْطَفَى فلان مالَ فلان: أَخَذَهُ كُلَّهُ (القاموس ٤: ٣٥٢، السطر التاسع من أسفل).

(\*) أَجْعُ (بالضَّمِّ) توكيدٌ للفِئقِ (فينا جميع أنواع الفِئق). ثم «أَجْعُ (بالفتح) حال من «فينا» (فينا جميعاً فِئق).

ولا تهنوا، وسلّوا كُلَّ عَضْبٍ  
لقد صَمَّ السَّمِيعُ، فلم يُعَوِّنْ  
تُجَاذِبُنَا الْأَعَادِي بِأَصْطِنَاعِ  
فَبَاقٍ فِي الدِّيَانَةِ تَحْتَ خِزْيٍ  
وَأَخْرُ مَارِقٌ هَانَتْ عَلَيْهِ  
كَفَى حَزَنًا بَأَنَّ النَّاسَ قَالُوا:  
أَتَرَكُ دُورَنَا وَنَفَرُ عَنْهَا  
لَقَدْ ذَهَبَ الْيَقِينُ فَلَا يَقِينُ،  
فَلَا دِينَ وَلَا دُنْيَا، وَلَكِنْ

تَهَابُ مَضَارِباً مِنْهُ النَّحُورُ<sup>(١)</sup>.  
عَلَى نَبَأٍ، كَمَا عَمِيَ الْبَصِيرُ<sup>(٢)</sup>.  
فَيَنْجَذِبُ الْمُخَوَّلُ وَالْفَقِيرُ<sup>(٣)</sup>:  
تُثَبِّطُهُ الشُّوْبَةُ وَالْبَعِيرُ<sup>(٤)</sup>،  
مَصَائِبُ دِينِهِ، فَلَهُ السَّعِيرُ<sup>(٥)</sup>.  
إِلَى أَيْنَ التَّحَوُّلُ وَالْمَسِيرُ؟  
وَلَيْسَ لَنَا وَرَاءَ الْبَحْرِ دُورٌ؟  
وَعَرَّ الْقَوْمَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ<sup>(٦)</sup>.  
غُرُورٌ بِالْمَعِيشَةِ مَا غُرُورُ<sup>(٧)</sup>.

وَكَثُرَ رِثَاءُ الْمُدُنِ وَالْدُّوَلِ فِي الْأَنْدَلُسِ. وَمِنْ أَشْهَرِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةُ ابْنِ  
عَبْدُونِ (ت ٥٢٩ هـ، راجع ترجمته في الجزء الخامس): «الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ  
بِالْأَثَرِ».

وجرت بين ملوك المغرب وملوك الأندلس مكاتبات، فكانت رسائلهم في  
ذلك - في البكاء على أحوال المسلمين في الأندلس وفي استنهاض بعض أولئك  
الملوك همم بعضهم الآخر - مثل تلك القصائد.

- 
- (١) لا تهنوا: لا تضعفوا. العضب: السيف. تهاب (تحاف). النحر (أعلى الصدر): المكان الذي ينحر أو  
يذبح منه البعير.
- (٢) كانت الأخبار تأتي بالخطر على طليطلة فلم يلق الأمراء بالآ إلى ذلك.
- (٣) الاصطناع: تقريب الناس إليك بشيء من المغام المادّية. المخول: الذي خوله الله (أعطاه) ملكاً أو  
خيراً كثيراً.
- (٤) تُثَبِّطُهُ (تعوّقه عن الحرب أو الهجرة) الشوْبة (الشاة الصغيرة) أو البعير (الحيوان الكبير): يخاف أن  
يحارب أو يهاجر فيخسر شيئاً (صغيراً أو كبيراً) يملكه.
- (٥) السعير: نار جهنم (في الآخرة). مارق: خارج من الإسلام (كافر).
- (٦) اليقين: الإيمان الثابت. الغرور (بالفتح): إيليس. راجع القرآن الكريم (٣١: ٣٣، سورة لقمان):  
﴿..... فَلَا تَفْرَنْكُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَلَا يَفْرَنْكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.
- (٧) ليس لهؤلاء دين، ولا هم يفهمون ما الدنيا (الحياة الكريمة)، ولكنهم مغرورون (مفتنون، متعلقون)  
بالمعيشة المادّية. غرور ما غرور (اهتمام بشيء قليل جداً من أسباب الحياة).

إن أسباب الخوف على مستقبل المسلمين في الأندلس كانت كثيرة منذ أيام ملوك الطوائف حينما بدأ تنازع ملوك الطوائف ثم استيلاء الإسبان النصارى على البلدان وعلى الحصون من أيدي الحكام المسلمين. ففي سنة ٤٨٨ للهجرة - لما استولى السيد القمبيطور على بلنسية قال ابن خفاجة (٤٥٠ - ٥٣٣ هـ) يأسى لحالها (نفع الطيب ٤: ٤٥٥):

عائتُ بساحتِكِ الطُّبَا، يا دارُ، ومحا محاسِنَكِ البِلَى والنَّارُ<sup>(١)</sup>؛  
فإذا تردَّدَ في جنابِكِ ناظرٌ طالَ اعتبارُ فيكِ واستِعبارُ<sup>(٢)</sup>.  
أرضٌ تقاذفتِ الخطوبُ بأهلِها، وتمخَّضتْ بخرابِها الأقدارُ<sup>(٣)</sup>.  
كَبِيتُ يَدُ الحَدَثَانِ في عَرَصَاتِها: (لا أنتِ أنتِ ولا الديارُ ديارُ)<sup>(٤)</sup>.  
وقال القاضي أبو بكر بن العريبي لما جرت معركة ٥٢٧ للهجرة (١١٣٣ م) - عند إشبيلية (٥) - حينما جاء إلى تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، الآية (٩):  
٤١، سورة التوبة) ما يلي (نفع الطيب ٤: ٤٧٦ - ٤٧٧):

ولقد نَزَلَ بنا العدوُّ - قَصَمَهُ اللهُ تعالى - سَنَةً سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةَ فَجَاسَ دِيَارُنَا<sup>(٥)</sup> وَأَسَرَ جَيْرَنَا وَتَوَسَّطَ بِلَادَنَا ..... فقلتُ للوالي والمُؤَلَّى عليه<sup>(٦)</sup>: هذا عدُوُّ اللهِ قد حَصَلَ في الشَّرِكِ والشَّبَكَةِ<sup>(٧)</sup>، فَلْتَكُنْ عِنْدَكُم بَرَكَةٌ، وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ إِلَى نُصْرَةِ

- (١) عاث: أفسد، أتلّف، أهلك. الطبّا (بالضم) جمع طبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف. وفي نفع الطيب: طبّا (بالكسر) يقصد طبّاء جمع طبية (غزال)، وهو خطأ. البلى: القدم (بكسر ففتح): تقادم الزمن والتهرؤ والهلاك.
- (٢) فإذا تردّد (نقل البصر من مكان إلى مكان) في جنابك (أطرافك، أقسامك) ناظر (عين). الاعتبار: الاتّعاظ بالمصائب. استعبار: بكاء (حزن).
- (٣) الخطب (بالفتح): المصيبة. تقاذفت الخطوب بأهلها (شردت المصائب أهلها من مكان إلى مكان). تمخّضت (تمركت ثم أغلجت) الأقدار (جمع قدر - بفتح ففتح: وقوع ما كان الله تعالى قد قضاه أو حكم به في سابق علمه) عن خرابها.
- (٤) الحدّثان (مفرد): كناية عن الليل والنهار. والحدّثان أيضاً: المصائب. «لا أنت أنت ولا الديار ديار» مطلع قصيدة لأيّ نّام يمدح بها القائد العبّاسيّ أبا سعيد محمّد بن يوسف الثّغري.
- (٥) جاس بلادنا: وطئها، جاء إلّها.
- (٦) للوالي على البلد (إشبيلية؟) وللمؤلّى عليه: لأهل البلد (لنّاس كلهم).
- (٧) في الشّرك والشّبكة (أصبح بين أيديكم بعيداً عن مراكز تمويّنه ومحاطاً برعيّتك).

الدين الْمُتَعَيَّنَةِ عَلَيْكُمْ<sup>(١)</sup> حَرَكَةٌ: فَلْيَخْرُجْ إِلَيْهِ جَمِيعُ النَّاسِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ (إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ) فَيُحَاطَ بِهِ<sup>(٢)</sup>، فَإِنَّهُ هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ إِنْ يَسْرُكُمُ اللَّهُ لَهُ. فَغَلَبَتِ الذُّنُوبُ وَرَجَفَتِ بِالْمَعَاصِي الْقُلُوبُ، وَصَارَ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ثَقَلْبًا يَأْوِي إِلَى وَجَارِهِ<sup>(٣)</sup>، وَإِنْ رَأَى الْمَكِيدَةَ بِجَارِهِ ★★. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

- فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٥٦٤ نَظَّمَ الشَّاعِرُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكِنَانِيُّ الْوَقْشِيَّ قَصِيدَةً فِي مَدْحِ السُّلْطَانِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (ثَانِي سَلَاطِينَ الْمُوَحِّدِينَ) وَقَالَ فِيهَا يَصِفُ حَالَ الْأَنْدَلُسِ وَيَحُثُّ عَلَى الْجِهَادِ (الذِّيلُ وَالتَّكْمِلَةُ ١: ١٩٧ - ١٩٩):

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يُعِدُّ لِي الْمَدَى	فَأُبْصِرَ حَفَلَ الْمُشْرِكِينَ طَرِيدًا <sup>(٤)</sup> ؟
وَهَلْ، بَعْدُ، يُقْضَى فِي النَّصَارَى بِنُصْرَةٍ	تُغَادِرُهُمَ لِلْمُرْهَفَاتِ حَصِيدًا <sup>(٥)</sup> ؟
وَيَغْزُو أَبُو يَعْقُوبَ فِي شَانَتِ يَاقِبٍ	يُعِيدَ عَمِيدَ الْكَافِرِينَ عَمِيدًا <sup>(٦)</sup> ؟
وَيَفْتِكُ مِنْ أَيْدِي الطُّغَاةِ نَوَاعِمًا	تَبْدُلُنَ مِنْ نَظْمِ الْحُجُولِ قُبُودًا <sup>(٧)</sup>
وَعَفَرَ مِنْهُمْ التُّرَابُ تَرَائِبًا	وَحَدَّدَ مِنْهُمْ الْهَجِيرُ خُدُودًا <sup>(٨)</sup> ؟

(١) الْمُتَعَيَّنَةُ عَلَى الْوَالِي وَعَلَى النَّاسِ: الْوَاجِبَةُ عَلَيْهِمْ.

(٢) يُحَاطَ بِهِ: يَصْبَحُ مَحْصُورًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

(٣) الْوَجَارُ شَقٌّ فِي الْأَرْضِ يَدْخُلُهُ الْحَيَوَانَاتُ كَالثَّعَالِبِ وَالْأَرَانِبِ.

(★★) .... مَعَ أَنَّهُ يَرَى اسْتِيلَاءَ الْعَدُوِّ عَلَى أَرْضِ جَارِهِ أَوْ يَرَى أَنَّ الْعَدُوَّ يَقْتُلُ جَارَهُ.

(٤) يَدُّ لِي الْمَدَى (الْمَسَافَةُ): يَطُولُ عَمْرِي. الْحَفْلُ: الْاجْتِمَاعُ. طَرِيدٌ: مَطْرُودٌ، مُشَرَّدٌ.

(٥) الْمُرْهَفُ: السِّيفُ. حَصِيدٌ: مَحْصُودٌ (مَقْتُولٌ).

(٦) أَبُو يَعْقُوبُ: السُّلْطَانُ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ. شَانَتُ يَاقِبَ (سَانَتُ يَاقُو، الْيَوْمُ) بَلَدٌ فِي أَقْصَى الشَّامِ الْغَرْبِيِّ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ. عَمِيدُ الْكَافِرِينَ: رَئِيسُ الْإِسْبَانِ. عَمِيدٌ: مَمْعُودٌ (مَضْرُوبٌ عَلَى رَأْسِهِ بِالْعُمُودِ) مَقْتُولٌ (وَيُزُولُ مُلْكُهُ).

(٧) الطُّغَاةُ جَمْعُ طَاغِيَةٍ (وَكَانَ الْعَرَبُ يَطْلُقُونَ كَلِمَةَ طَاغِيَةٍ عَلَى كُلِّ مُلْكٍ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْبَانِ). نَوَاعِمُ جَمْعُ نَاعِمَةٍ (فَتَاةٌ شَابَةٌ، أَمْرَأَةٌ فَتِيَّةٌ). الْحَجَلُ (بِالْكَسْرِ): الْخَلْخَالُ (بِالْفَتْحِ). بَدَلًا مِنْ أَنْ يَتَأَنَّقْنَ فِي لِبْسِ الْخُلَاخِيلِ فِي أَرْجُلِهِنَّ لِلزَّيْنَةِ أَصْبَحَتِ الْقُبُودُ تَوْضِعَ فِي أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ فِي الْأَسْرِ وَالسَّجَنِ.

(٨) عَفَرَ فَلَانُ الشَّيْءِ: مَرَعَهُ فِي الْغُبَارِ أَوْ أَدْخَلَهُ فِي التُّرَابِ. التَّرِيَّةُ: الْجَانِبُ الْأَعْلَى مِنَ الصَّدْرِ. حَدَّدَ: شَقَّقَ. الْهَجِيرُ: حَرٌّ نَصَفَ النَّهَارَ (كُنَايَةٌ عَنِ الْعَمَلِ وَقْتُ الظُّهْرِ) حِينَ يَسْتَرِيحُ النَّاسُ عَادَةً بِالْقِيلُولَةِ (بِالنَّوْمِ بَعْدَ الظُّهْرِ).

ولما عظم خطر الإسبان على بلنسية قبل سقوطها<sup>(١)</sup> جاء من أهلها وفد إلى السلطان أبي زكريا الحفصي صاحب تونس، في رجب من سنة ٦٣٦. وكان في الوفد ابن الأبار القضاعي<sup>(٢)</sup> فأنشد قصيدته السينية «أذكر بخيلك خيل الله أندلسا» بين يدي السلطان الحفصي.

وفي هذا الوقت نفسه، قبيل سقوط بلنسية، وجه بعض الشعراء إلى السلطان الحفصي أبي زكريا نفسه قصيدة مطلعها «نادتك أندلس قلب نداءها»<sup>(٣)</sup> جاء فيها (نفع الطيب ٤: ٤٧٩ - ٤٨٣):

تلک الجزيرة لا بقاء لها، إذا	لم يضمن الفتح القريب بقاءها <sup>(٤)</sup> .
أشقى على طرف الحياة ذماؤها،	فأستبق للدين الحنيف ذماءها <sup>(٥)</sup> .
حاشاك أن تنفى حشاشتها، وقد	قصرت عليك نداءها ورجاءها.
إيه، بلنسية، وفي ذكراك ما	يمري الشؤون دماءها لا ماءها <sup>(٦)</sup> .
كيف السبيل إلى احتلال معايد	شب الأعاجم دونها هيناءها <sup>(٧)</sup> .
بأي مدارس كالطلول دوارس	نسخت نواقيس الصليب نداءها <sup>(٨)</sup> .

وأشهر القصائد في هذا الباب قصيدة أبي البقاء صالح بن يزيد الرندي (ت ٦٨٤ هـ): «لكل شيء إذا ما تم نقصان» (راجع ترجمة الرندي هذا في هذا الجزء). ومع أن هذه القصيدة قد عرفت باسم «رثاء الأندلس»، فإنها قد نظمت

- (١) استولى الإسبان عليها ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م).
- (٢) ابن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨ هـ؛ راجع ترجمته في هذا الجزء).
- (٣) لبي: أجاب.
- (٤) إذا لم تنقذها أنت قريباً، فإن الإسبان سيتولون عليها.
- (٥) أشقى: قرب، اقرب. الذماء: بقية الحياة. الدين الحنيف: الإسلام.
- (٦) مري يري (مسح): يري الحالب ضرع (بالكسر) النعجة ليسيل اللبن منه. الشأن (بالفتح، وجمعه شؤون): مجرى الدمع من العين. يري الشؤون: يجعلنا نبكي حزناً.
- (٧) احتلال: سكنى. المعهد (المزل الذي ألفه الإنسان). شب: أوقد. الأعاجم (هنا): نصارى الإسبان الذين لا يتكلمون العربية. دونها (دون رجوعنا أو وصولنا إليها). الهيناء: الحرب.
- (٨) مدارس (هنا) مآذن، مساجد (لأن المسجد في الإسلام مكان الدراسة والعلم). الطلل: بقايا البناء بعد تهدمه (الأصح: المكان الذي زال منه البناء). دوارس (جمع دارس: محو).

قبل سقوطِ الأندلس بقرنين كاملين.

وكان بين أبي المطرف أحمد بن عبد الله بن عُمَيْرَة (٥٨٢ - ٦٥٨ هـ) وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي (٥٩٥ - ٦٥٨ هـ) صداقة ومكاتبات. فلما سقطت بلنسية وردَّ على ابن عُمَيْرَة رسالة من ابن الأبار (في شأنِ بلنسية، فيما يبدو، وبعدَ انقطاعِ المكاتبَةِ بينهما زمنًا)، فردَّ عليها ابن عُمَيْرَة برسالة طويلة من النثر والنظم جاء فيها (نفع الطيب ٤: ٤٩٠ - ٤٩٦):

..... وأعودُ من حيثُ بدأ الأخ الذي أبَّته شوقي وأنطعمُ حلاوةَ عشرتهِ باقيةً في حاسّةِ ذوقِي، طارَحَني حديثَ مَورِدٍ جفَّ وقطينَ خَفَّ<sup>(١)</sup>. فيا - الله - لأترابٍ دَرَجوا<sup>(٢)</sup> وأصحابٍ عنِ الأوطانِ خَرَجوا. قُصَّتِ الأجنحةُ وقيل: طيروا، وإنَّا هو القتلُ أو الأسرُ أو تسيروا. فتفرَّقوا أيدي سِبا وانتشروا ملءَ الوهادِ والرُّهى<sup>(٣)</sup>. ففي كلِّ جانبٍ عويلٌ وزفرةٌ، وبكلِّ صدرٍ غليلٌ وحسرةٌ<sup>(٤)</sup>. ولكلِّ عينٍ عبرةٌ لا ترقأ من أجلِّها عبرةٌ<sup>(٥)</sup>. داءٌ خامرَ بلادنا حينَ أتاها، وما زال بها حتَّى سَجَى<sup>(٦)</sup> على مَوَناها، وشَجَا<sup>(٧)</sup> ليومِها الأطولَ كهلَّها وفتاها. وأنذَرَ بها في القومِ بُحرانُ أنيعة<sup>(٨)</sup> يومَ أثاروا أَسَدَها المهيجةَ، فكانت تلكَ الحُطْمَةُ طَلَّ الشُّوبوبُ<sup>(٩)</sup> وباكورةَ البلاءِ

(١) طارح فلان فلاناً حديثاً: حاوره مجدِّث. المورِد: مكان شرب الماء. القطين: الساكن. خَفَّ: ارتحل.

(٢) التراب (بالكسر) - تراكب من كانت سنة مثل سنك. درج: ذهب (مات). النداء (هنا): الأذان (النداء إلى الصلاة).

(٣) تفرَّقوا أيدي سِبا (في كلِّ مكان)، كما تفرَّق أهل اليمن بعد انفجار سدِّ مارب. الوهدَة (بالفتح): ما انخفض من الأرض.

(٤) الغليل: شدَّة العطش وحرارته (والحزن).

(٥) عبرة (بالكسر): عظة، درس، مغزى، (وبالفتح): دمة، بكاء. رقأ: جفَّ (الدمع) واتقطع.

(٦) سَجَى الميت (يفتح فسكون): غطاه.

(٧) شجا الأمر فلاناً (جمله مجزن).

(٨) كان قد سبق سقوط بلنسية معركة أنيعة (أو أنيشة) التي دلت على ضعف المسلمين هنالك. البحران: شدَّة الحرِّ (ودخول المريض في الهذيان من شدَّة الحمى). الحطمة (بضم فتح): النار الشديدة. الناقة التي تضرب الأرض بحفها ضرباً شديداً، الحادث العنيف. الطل: أول المطر، المطر الخفيف.

(٩) الشُّوبوب: الدفء (بالضم): الكبيرة من المطر. سقوط أنيعة (وهي بلدة صغيرة) كان البدء لسقوط المدن الكبيرة (مثل بلنسية).



المصنوب. أُنْكَلْنَا إِخْوَاناً<sup>(١)</sup> أَبْكَانَا نَعِيْهُمْ.....

في نفح الطيب (٤: ٣٨٥ وما بعد):

ولم يَزَلْ بنو مَرِيْن يُعِينُونَ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ بِالْمَالِ وَالرَّجَالِ، وَتَرَكُوا مِنْهُمْ حُصَّةً مُعْتَبَرَةً<sup>(٢)</sup> مِنْ أَقَارِبِ السُّلْطَانِ بِالْأَنْدَلُسِ غَزَاةً. فَكَانَتْ لَهُمْ وَقَائِعٌ فِي الْعَدُوِّ مَذْكُورَةٌ وَمَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ. وَكَانَ عِنْدَ ابْنِ الْأَحْمَرِ<sup>(٣)</sup> مِنْهُمْ جَاعَةٌ بِفَرْنَاطَةَ وَعَلَيْهِمْ رَئِيسٌ مِنْ بَيْتِ مُلْكِ بَنِي مَرِيْن يُسَمُّونَهُ «شَيْخَ الْغَزَاةِ». وَلَمَّا أَفْضَى الْمُلْكُ إِلَى السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ أَبِي الْحَسَنِ الْمُرَيْنِيِّ، وَخَلَّصَ لَهُ الْمَغْرِبُ وَبَعْضُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، أَمَرَ بِإِنْشَاءِ الْأَسَاطِيلِ الْكَثِيرَةِ بِرَسْمِ الْجِهَادِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْتَمَّ بِذَلِكَ غَايَةَ الْإِهْتِمَامِ.

فَقَضَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ اسْتَوْلَى الْإِفْرَنْجُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ تِلْكَ الْمَرَاقِبِ بَعْدَ اخْتِزَامِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ، وَكَانَ الْإِفْرَنْجُ قَدْ جَمَعُوا جُمُوعاً كَثِيرَةً بِرَسْمِ الْأَسْتِيلَاءِ عَلَى مَا بَقِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ. فَاسْتَنْفَرَ<sup>(٤)</sup> أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ السُّلْطَانُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَذْكُورَ، فَجَاءَ بِنَفْسِهِ إِلَى سَبْتَةَ - فُرْضَةِ الْمَجَازِ<sup>(٥)</sup> وَمَحَلُّ أَسَاطِيلِ الْمُسْلِمِينَ - فَإِذَا بِالْإِفْرَنْجِ جَاءُوا بِالسُّفُنِ الَّتِي لَا تُحْصَى وَمَنْعَوْهُ مِنَ الْعُبُورِ وَإِغَاثَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ حَتَّى اسْتَوْلَوْا عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ<sup>(٦)</sup> وَأَنْكَوَهُ فِي مَرَاقِبِهِ أَعْظَمَ نِكَايَةٍ<sup>(٧)</sup>، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ.

وَقَدْ أَفْصَحَ عَنْ ذَلِكَ كِتَابُ صَدَرٍ مِنَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَذْكُورِ إِلَى سُلْطَانِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ بْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَلِكِ النُّصُورِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيِّ الْأَلْفِيِّ<sup>(٨)</sup>.....

- (١) أَنْكَلْنَا (أَفْقَدْنَا بِالْمَوْتِ). النَّمِي (بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ): الَّذِي يَمُنُ بِخَبَرِ الْمَوْتِ.
- (٢) حُصَّةٌ (قِسْمٌ) مُعْتَبَرَةٌ (وَأَقِيَّةٌ، كَثِيرَةٌ): جَاعَةٌ مِنْ جُنُودِ بَنِي مَرِيْنِ.
- (٣) ابْنُ الْأَحْمَرِ لَقِبٌ لِكُلِّ سُلْطَانٍ مِنْ سُلْطَانِيْنِ بَنِي نَصْرٍ فِي غَرْنَاطَةَ.
- (٤) اسْتَنْفَرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ: دَعَاهُمْ (وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ) أَنْ يَسِيرُوا لِلْحَرْبِ.
- (٥) الْفُرْضَةُ: الْخَلِيجُ (عَلَى النَّهْرِ أَوْ الْبَحْرِ) تَرَسُو فِيهِ السُّفُنُ. الْمَجَازُ (بَحْرُ الْمَجَازِ) الَّذِي يَجُوزُ (يَنْتَقِلُ) فِيهِ النَّاسُ بَيْنَ بَرِّ الْمَغْرِبِ وَبَرِّ الْأَنْدَلُسِ.
- (٦) الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ: الْغَرْبُ الْأَقْصَى مِنْ جَنُوبِي جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ، وَمَدِينَةُ هُنَاكَ أَيْضاً.
- (٧) أَنْكَوَهُ (فِي الْقَامُوسِ: نَكَوَهُ - بَفَتْحٍ فَفَتْحٍ فَسُكُونٍ): غَلَبُوهُ، قَهَرُوهُ..... أَغْرَقُوا كَثِيراً مِنْ مَرَاقِبِهِ.
- (٨) الْمَلِكُ النُّصُورُ قَلَاوُونَ (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ) الصَّالِحِيُّ (لَأَنَّ الْمَلِكَ الصَّالِحَ نَجَّمَ الدِّينَ أَيُّوبَ قَدْ أَعْتَقَهُ سَنَةَ ٦٤٧ لِلْهَجْرَةِ) (الْأَلْفِيُّ، لِأَنَّ سَيِّدَهُ كَانَ قَدْ اشْتَرَاهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ).

وَبَعْدَ خَمْسِ صَفَحَاتٍ مِنْ دِيبَاجَةٍ فِي التَّمَدُّحِ وَالْمَدِيحِ وَبَثَّ الْأَشْوَاقَ وَذَكَرَ  
المفاخر تَبْدَأُ رِسَالَةً أَبِي الْحَسَنِ الرَّبِيعِيِّ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ (٤: ٣٩١ وما بعد):

.... لَّمَّا وَصَلْنَا مِنَ الْأَنْدَلُسِ الصَّرِيخُ<sup>(١)</sup>، وَنَادَى مُنَادٍ لِلجِهَادِ عَزْمًا لِمِثْلِ نِدَائِهِ  
يُصِيخُ<sup>(٢)</sup>، أَنْبَأَنَا أَنَّ الْكُفَّارَ قَدْ جَمَعُوا أَحْزَابَهُمْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ<sup>(٣)</sup>، وَحَتَمَ عَلَيْهِمْ  
بَابَهُمْ اللَّعِينُ التَّنَاصُرَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ<sup>(٤)</sup>، وَأَنْ تَقْصِدَ طَوَائِفُهُمُ الْبِلَادَ الْأَنْدَلُسِيَّةَ  
بِإِجَافِهَا وَتَنْقُصَ بِالْمُنَازِلَةِ أَرْضَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا<sup>(٥)</sup> لِيَمْنَحُوا كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ مِنْهَا وَيُقْلِّصُوا  
ظِلَّ الْإِسْلَامِ عَنْهَا. فَقَدَمْنَا مَنْ يَشْتَغِلُ بِالْأَسَاطِيلِ مِنَ الْقَوَادِ، وَسَرْنَا عَلَى أَثَرِهِمْ إِلَى  
سَبْتَةِ مُنْتَهَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَبَابِ الْجِهَادِ. فَمَا وَصَلْنَاهَا إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ أَخَذَهُ الْعَدُوُّ  
الْكَافِرُ، وَسَدَّتْ أَجْفَانُ الطَّوَاعِيتِ<sup>(٦)</sup> عَلَى التَّعَاوُنِ مَجَازَ الْعُبُورِ.... لَكُنَّا - مَعَ  
أَنْسَادِ تِلْكَ السَّبِيلِ..... - حَاوَلْنَا إِمْدَادَ تِلْكَ الْبِلَادِ بِحَسَبِ الْجُهْدِ،  
وَأَصْرَحْنَاهُمْ<sup>(٧)</sup> بِمَنْ أَمَكْنَ مِنَ الْجُنْدِ..... وَأَمَرْنَا لَصَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمَالِ بِمَا  
يُجَهِّزُ بِهِ حَرَكَةَ لِمُدَانَةِ مَحَلِّ حِزْبِ الضَّلَالِ<sup>(٨)</sup>..... وَقَدْ كَانَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ حِينَ  
قَضَى بِأَخْذِ هَذَا الثَّغْرِ<sup>(٩)</sup>، أَنْ قَدَّرَ لَنَا فَتْحَ جَبَلِ طَارِقٍ<sup>(١٠)</sup> مِنْ أَيْدِي الْكُفْرِ وَهُوَ الْمُطِلُّ

(١) الصرّيح: الاستغاثة.

(٢) عزمًا (مفعول به من نادى). يصيخ: يميل (بسمعه). - كان عزمنا في الاستجابة لندائه أكيداً غلصاً  
مثل استغاثته بنا.

(٣) لَمَّا وَصَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ الصَّرِيخُ.... أَنْبَأَنَا (أخبرنا). صوب: جهة.

(٤) حتم: أوجب، فرض. لَمَّا كُتِبَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ، سَنَةَ ٧٤٥ لِلْهِجْرَةِ (١٣٤٥ م) كَانَ الْبَابُ فِي رُومِيَّةِ  
كَلِيمَتِ السَّادِسِ (١٣٤٢ - ١٣٥٢ م). الْأَوْبُ: الْجَهَّةُ وَالنَّاحِيَةُ.

(٥) الإِجَافُ: السَّرْعَةُ (الاستيلاء على الأراضي بلا حرب). تَنْقُصُ (فعل متعدّد) طَوَائِفُ الْإِسْبَانِ (فاعل)  
بِالْمُنَازِلَةِ (القتال، المِبارزة في القتال) الْأَرْضَ (مفعول به) مِنْ أَطْرَافِهَا (جوانبها). رَاجِعِ الْقُرْآنَ  
الْكَرِيمَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (١٣: ٤١، سورة الرعد).

(٦) الْأَجْفَانُ جَمْعُ جَفْنٍ (بِالْفَتْحِ): مَرْكَبٌ حَرِّيٌّ (٤). الطَّوَاعِيتُ (جمع طاغوت: الشيطان) كِتَابَةٌ عَنْ  
الْإِسْبَانِ.

(٧) أَصْرَحْنَا: أَغَاثْنَا، سَاعَدْنَا.

(٨) لِمُدَانَةِ مَحَلِّ حِزْبِ الضَّلَالِ (لِلْإِقْتِرَابِ مِنَ الْإِسْبَانِ الْمُهَاجِمِينَ بِمِيشْ: لِلْحِيلُولَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ احْتِلَالِ  
الْمَدِينِ).

(٩) الثَّغْرُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَخْشَى مِجْيَاءَ الْعَدُوِّ مِنْهُ (بَرًّا أَوْ بَحْرًا).

(١٠) جَبَلُ طَارِقٍ: رَأْسُ صَخْرِيٍّ مُشْرِفٍ عَلَى الْبَحْرِ عِنْدَ طَرَفِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ جَنُوبًا.

على هذه المدرة<sup>(١)</sup>، والفرصة منها - إن شاء الله - متيسرة<sup>(٢)</sup>.... وعُدنا لحضرتنا<sup>(٣)</sup> فاس لتستريح الجيوش من وعناء السفر<sup>(٤)</sup> وترتبط الجياد وتنتخب العدد<sup>(٥)</sup> لوقت الظهور المنتظر وتكون على أهبة<sup>(٦)</sup> الجهاد.....

وعند عودنا من تلك المحاولة، تيسر الركب الحجازي<sup>(٧)</sup> موجهاً إلى هنالكم رواجه<sup>(٨)</sup>، فأصدرنا إليكم هذا الخطاب.... واعتقادنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديده من البلاء<sup>(٩)</sup>. وما لكم من غرض بهذه الأنحاء فموقى قصده على أكمل الأهواء<sup>(١٠)</sup>... والبلاد باتحاد الود متحدة، والقلوب على ما فيه مرضاة الله - عز وجل - منعقدة. جعل الله ذلكم خالصاً لرب العباد مذخوراً ليوم التناد<sup>(١١)</sup> مسطوراً في الأعمال الصالحة يوم المعاد<sup>(١٢)</sup>..... والسلام الأتم بحضكم كثيراً أثيراً<sup>(١٣)</sup> ورخمة الله وبركاته. وكُتب يوم الخميس السادس والعشرين من صفر المبارك من عام خمسة

(١) المدرة: القرية (المدينة) المبنية بالطين (أي مدينة الجزيرة الخضراء التي بنيت هناك لتكون مكاناً لتجمع الجيوش).

(٢) ... متيسرة (سهلة) لمهاجرة الإسبان.

(٣) الحضرة: العاصمة.

(٤) وعناء السفر (شدته والتعب الذي يقاسيه المسافر).

(٥) ارتباط الجياد (الخيل): إعدادها للحرب. العدة (بالضم): آلة الحرب.

(٦) الأهبة: العدة (بالضم) الوسيلة، الاستعداد.

(٧) الركب الحجازي: القافلة المتوجهة إلى الحجاز للحج.

(٨) الراحلة: الحيوان (البعير، الحصان، الخ) الذي يسافر الناس عليه.

(٩) نحن نعتقد أنكم إذا دُعيتُم إلى مثل هذه المساعدة في الدفاع عن المسلمين في الأندلس، «لا يخشى جديده من البلاء» (الاختبار): أنتم معروفون أن أعمالكم الماضية كانت للدفاع عن الإسلام والمسلمين (وهذا ملموح في ثانيا الرسالة)، فلن يكون موقفكم الجديد إلا كمواقفكم القديمة.

(١٠) وما لكم (ما ترغبون فيه) من غرض (حاجة أو رغبة) بهذه الأنحاء (في بلادنا: المغرب) فموقى (نقوم لكم به) على أكمل الأهواء (على أحسن ما ترغبون).

(١١) مذخوراً: مدخراً، محفوظاً. التناد = التنادي (يوم القيامة)، إذ يكثر فيه تنادي الناس: ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة (يستغيثون بهم لشيء من الماء مثلاً) وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار (ليذكروهم بأن أعمالهم - أعمال أصحاب النار - في الدنيا لم تكن صالحة).

(١٢) يوم المعاد: يوم القيامة (عودة البشر كلهم إلى ربهم للحساب).

(١٣) الأثير: الفاضل، الكريم.

وأربعين وسبعمائة<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٧٥٠ للهجرة (١٣٥٠ م)، أو بعدها بقليل كتب لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف النيار بن إسماعيل (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) «رسالة إعلامية» (من الدعاية الرسمية) يُشدّد فيها عزائم الرعية على شيء من الصبر على الضيق النازل بغرناطة ويُمْنِيهِمْ<sup>(٢)</sup> بفرجٍ أوسع مدًى. في هذه الرسالة (نصح الطبيب ٤: ٤٤٢ - ٤٤٤):

.... فقد علمتم، ما كانت الحال آلت<sup>(٣)</sup> إليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية<sup>(٤)</sup> الذي جرى في ميدان الأمل جري الجموح<sup>(٥)</sup>، ودارت عليه خمرة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبح<sup>(٦)</sup>، حتى طمح بسكر اعتزازه. و (قد) مُحْصَ<sup>(٧)</sup> المسلمون على يده بالوقائع التي تُجاوزُ منتهى مقداره<sup>(٨)</sup>، وتوجّهت إلى استئصال الكلمة<sup>(٩)</sup> مطامع أفكاره، ووثق بأنه يُطفئ نور الله بناره. ونازل جبل الفتح فشدّ مُحْنَقُ حصاره<sup>(١٠)</sup>.... وساءت الظنون في هذا القطر الوحيد<sup>(١١)</sup> المنقطع بين الأمة الكافرة والبحور الزاخرة والمرام البعيد. وإننا صابرون بالله<sup>(١٢)</sup> تعالى تيار سيله واستضأنا بنور التوكل عليه في جنح هذا الخطب ودجنة ليله<sup>(١٣)</sup>، ولجأنا إلى

(١) يوافقه في التقويم الميلادي ١٣٤٤/٧/٩.

(٢) يجعل لهم أمنية: أملاً مقيلاً.

(٣) آلت: رجعت، صارت (وصلت).

(٤) كان المسلمون في الأندلس يطلقون على ملوك إسبانية لقب «الطاغية» (الظالم المتجبر).

(٥) الجموح: الحصان النشيط النافر الذي لا يكاد يمكن أحداً من ركوبه.

(٦) خرة (الصواب: خر). الخيلاء: التكبر. الهامة، التعاطف، التكبر. الغبوق: شرب الخمر مساء. الصبح: شرب الخمر صباحاً.

(٧) مُحْصَ: طهر، اختبر، نفى الكدر والثواب من المعادن. مُحْصَ (القتال) الناس: نفى منهم من لا يصلح (أهلك أكثرهم).

(٨) قتل من المسلمين أكثر مما كان هو قادراً على قتله (لضعف المسلمين وتحاذلهم).

(٩) استئصال: اقتلاع. الكلمة (كلمة التوحيد).

(١٠) جبل الفتح: جبل طارق.... اشتدّ عليه الحصار.

(١١) الوحيد (هنا) المنفرد بنفسه والمنقطع عن إخوانه المسلمين..

(١٢) صابرون بالله (استعنا بالله ليكون صبرنا على القتال أكثر من صبر عدونا).

(١٣) الجنح: الجانب من الليل. الدجنة: الظلام.

مَنْ بِيَدِهِ نَوَاصِي الْخَلَائِقِ <sup>(١)</sup>.... وَفَسَحْنَا مَجَالَ الْأَمَلِ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ الْمُتَضَاقِقِ....  
وَلَمْ نُقَصِّرْ - مَعَ ذَلِكَ - فِي إِبْرَامِ الْعَزْمِ وَاسْتِشْعَارِ <sup>(٢)</sup> الْحَزْمِ وَإِمْدَادِ الثُّغُورِ بِأَقْصَى  
الْإِمْكَانِ وَبَعَثِ الْجِيُوشَ إِلَى مَا يَلِينَا عَلَى الْأَحْيَانِ <sup>(٣)</sup>. فَرَحِمَ اللَّهُ انْقِطَاعَنَا إِلَى كَرَمِهِ  
وَالْتَجَاءَنَا إِلَى حَرَمِهِ <sup>(٤)</sup>، فَجَلَّى <sup>(٥)</sup> بِفَضْلِهِ، سُبْحَانَهُ، ظُلْمَ الشَّدَّةِ وَمَدَّ عَلَى الْحَرَمِ  
وَالْأَطْفَالِ ظِلَالَ رَحْمَتِهِ الْمُنْتَدَةِ.....

وَبَيْنَمَا شَفَقْنَا عَلَى جَبَلِ الْفَتْحِ تُقِيمُ وَتُقْعِدُ، وَكَلَبُ <sup>(٦)</sup> الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ يُبْرِقُ  
وَيُرْعِدُ، وَالرَّجَاءُ وَالْيَأْسُ خَصَنَانِ: هَذَا يُقَرِّبُ وَهَذَا يُبْعِدُ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا الْبَشِيرُ  
بِانْفِرَاجِ الْأُزْمَةِ وَحَلِّ تِلْكَ الْعَزْمَةِ وَمَوْتِ شَاهِ تِلْكَ الرُّقْعَةِ <sup>(٧)</sup> وَإِبْقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى  
تِلْكَ الْبُقْعَةِ <sup>(٨)</sup>، وَأَنَّهُ، سُبْحَانَهُ - أَخَذَ الطَّاعِيَةَ <sup>(٩)</sup> أَكْمَلَ مَا كَانَ أَغْتَرَارًا وَأَعْظَمَ  
أَنْصَارًا.... وَأَنَّ مَنْ بِيَدِهِ الْأَمْرُ طَرَقَهُ بِحَتْفِهِ <sup>(١٠)</sup> وَأَهْلَكَهُ بِرُغْمِ أَنْفِهِ، وَأَنَّ مَحَلَّتَهُ  
عَاجِلَهَا التَّبَابُ وَالتَّبَارُ <sup>(١١)</sup>، وَعَاشَتْ فِي مَنَازِلِهَا النَّارُ <sup>(١٢)</sup>.... وَأَنَّ حُمَاتَهَا <sup>(١٣)</sup> يَخْرُبُونَ

- 
- (١) إِلَى مَنْ بِيَدِهِ.. (إِلَى اللَّهِ). النَّاصِيَةُ: مَقْدَمُ الرَّأْسِ أَوْ شَرُّ مَقْدَمِ الرَّأْسِ.  
(٢) اسْتِشْعَارُ (لِبْسِ) الْحَزْمِ (الْبَتُّ فِي الْأُمُورِ): تَطَاهَرْنَا بِذَلِكَ.  
(٣) الثُّغُرُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَخْشَى بِحِيٍّ الْعَدُوَّ مِنْهُ. يَلِينَا: يَكُونُ إِلَى جَانِبِنَا، عَلَى مَقَرَّةٍ مَنَّا. عَلَى الْأَحْيَانِ:  
حِينَئِذٍ بَعْدَ حِينَ (٤).  
(٤) الْحَرَمُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَحْمِيهِ صَاحِبُهُ. حَرَمَ اللَّهُ: الْمَكَانَ الَّذِي لَا يَجُوزُ فِيهِ الْقِتَالُ.  
(٥) جَلَّى: كَشَفَ.  
(٦) الْكَلْبُ (بِفَتْحٍ فَفَتْحٍ): شِدَّةُ الْأَذَى.  
(٧) الْأُزْمَةُ: الشَّدَّةُ. الْعَزْمَةُ: الْإِرَادَةُ. شَاهِ (مَلِكٌ) الرُّقْعَةُ: رُقْعَةُ الشُّطْرَنْجِ (بِالْكَسْرِ): كُنَايَةُ عَنْ مَلِكِ  
الْإِسْبَانِ أَلْفُونْسُو الْحَادِي عَشَرَ الَّذِي تَوَفَّى فِي أَثْنَاءِ حَصَارِ جَبَلِ طَارِقَ، عَامَ ١٣٥٠ لِلْمِيلَادِ  
(٧٥١ هـ). - التَّمْبِيرُ «شَاهِ تِلْكَ الرُّقْعَةُ» مَاخُذٌ مِنَ الْمَقَامَةِ الْمُضْيِرَّةِ لِبَدِيعِ الزَّمَانِ الْمُهْذَابِيِّ (ت  
٣٩٨ هـ).  
(٨) تِلْكَ الْبُقْعَةُ (الَّتِي كَانَتْ قَدْ بَقِيَتْ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ).  
(٩) أَخَذَ الطَّاعِيَةَ: أَمَاتَهُ.  
(١٠) طَرَقَهُ (أَتَاهُ بِحَتْفَةٍ) بِحَتْفِهِ (بِهَلَاكِهِ).  
(١١) التَّبَابُ وَالتَّبَارُ: الْهَلَاكُ.  
(١٢) عَاشَتْ: أَفْسَدَ.  
(١٣) الْحَمَاةُ: الْجُنُودُ (الْمُدَافِعُونَ، الْأَبْطَالُ).

بيوتهم بأيديهم وينادي بشتات<sup>(١)</sup> الشمل مُناديهم. وتلاحق الفرسان<sup>(٢)</sup> من جبل الفتح (ذلك) المعقل<sup>(٣)</sup> الذي عليه من عناية الله تعالى رواقٌ مضروب، والرباط<sup>(٤)</sup> الذي من حاربته فهو المحروب<sup>(٥)</sup>. فأخبرت بانفراج الضيق وارتفاع العائق لها عن الطريق.... وأن النصرى - دمرها الله تعالى - جدت في ارتحالها<sup>(٦)</sup> وأسرعت بجيفة طاغيتها<sup>(٧)</sup> إلى سوء مآلها<sup>(٨)</sup> وحالها، وسمحت للنار والنهب بأسلابها وأموالها<sup>(٩)</sup>. فبهرنا هذا الصنع الآلهي الذي مهد الأقطار بعد رجفانها<sup>(١٠)</sup> وأنام العيون بعد سُهاد أجفانها.... ورأينا سِرَّ اللطائف الحفيّة كيف سريانه في الوجود وشاهدنا بالعيان أنوار اللطائف الإلهية والوجود. وقلنا: إنها هو الفتح الأول شفع بثنان، وقواعد الدين الحنيف أيدت من صنع الله بينيان<sup>(١١)</sup>. اللهم، لك الحمد على نعيمك الباطنة والظاهرة ومينك<sup>(١٢)</sup> الوافرة. إنك وليّنا<sup>(١٣)</sup> في الدنيا والآخرة.

وهناك رسائل أخرى بهذا المعنى لا تخرج عن هذا الإطار - من ضعف المسلمين حيناً وتخاذل أمرائهم حيناً آخر، ومن تناصر الدول النصرانية في أوروبا على إخراج المسلمين من الأندلس. وكانت البابوية تتزعم هذه الحركة - مما لا حاجة إلى الاستشهاد بها. إن ما ذكرته يُجزئ عمّا لم أذكره. وفي هذه الصفحات الكثيرة التي

(١) الشتات: التفرق.

(٢) تلاحق الفرسان: لحق بعضهم بعضاً (فرّوا، هربوا، انهزموا).

(٣) المعقل: الحصن (بالكسر).

(٤) الرباط: المكان الذي يكون فيه مدافعون على حدود الدولة الإسلامية.

(٥) المحروب: الملوب (الخاسر).

(٦) جدت في ارتحالها: أسرعت في سفرها (رجوعها إلى بلادها).

(٧) جيفة (جثة) طاغيتها (ملكها: ألفونس الحادي عشر).

(٨) إلى سوء مآلها: مرجعها، مصيرها (مرجع الملك بعد الموت إلى جهنم).

(٩) سمحت للنار والنهب بأسلابها وأموالها<sup>(٩)</sup>.

(١٠) مهد (بلا تشديد وبتشديد): عمل على تسهيل الأمر وتهيئته (تسكينه).

(١١) الفتح الأول (موت الطاغية ألفونسو الحادي عشر؟). الفتح الثاني (انسحاب الإسبان وتركهم محاصرة المسلمين؟). قواعد (أسس) الدين الحنيف (الإسلام) أيدت (قويت، زاد، رسوخا) بينيان (بدعائم، بكال).

(١٢) المنن جمع منة (بالكسر): نعمة.

(١٣) الولي: الذي يتولى أمر الناس (الصاحب، النصير، الخليف، الكفيل، الخ).

مَرَّتْ نَوْعٌ مِنَ الْأَدَبِ (أَدَبِ التَّفَجُّعِ) وَغَاذِجٌ وَافِيَةٌ لِأُسْلُوبِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ .

- وَمِنْ رِسَالَةِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ ، بَعْدَ أَنْ وَرَدَ خَبْرٌ بِأَنْ بَنِي مَرِينٍ كَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى إِنْجَادِ غَرْنَاطَةَ ثُمَّ جَاءَ خَبْرٌ ثَانٍ بِأَنْهُمْ عَدَلُوا عَنْ ذَلِكَ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٤ : ٤١١-٤١٥) :

.... وَنَحْنُ مِمَّا شُدَّ الْمُخَنَّقُ بِكُمْ نَسْتَنْصِرُ ، أَوْ تَرَاخَى فِيهِ وَدُّكُمْ نَسْتَبْصِرُ ، أَوْ فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَبْوَابَكُمْ نَهْنِيءُ وَنُبَشِّرُ . وَقَرَّرْنَا عِنْدَكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ تَوَقَّفَ عَنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ تَصِلْ مِنْهُ إِلَيْهَا سَرِيَّةٌ<sup>(١)</sup> ، وَلَا بَطِشَتْ لَهُ (فِيهَا) يَدٌ جَرِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> ... وَلَا نَدْرِي الْمَكِيدَةَ تُدَبِّرُ .... أَوْ لَشَاغِلٍ فِي الْبَاطِنِ لَا يَظْهَرُ<sup>(٣)</sup> ؟ وَبَعْدَ ذَلِكَ ، وَرَدَتْ عَلَى بَابِنَا مِنْ بَعْضِ كِبَارِهِمْ وَزُعَمَاءِ أَقْطَارِهِمْ مُخَاطَبَاتٌ يَنْدُبُونَ فِيهَا إِلَى جُنُوحِهَا لِلسَّلَامِ فِي سَبِيلِ النَّصْحِ<sup>(٤)</sup> ... فَلَمْ يَخَفَ عَنَّا أَنَّهُ أَمْرٌ دُبِّرَ بِلَيْلٍ<sup>(٥)</sup> ... فَوَجَّهْنَا إِلَيْهِ ... لِنَعْتَبِرَ مَا لَدَيْهِ<sup>(٦)</sup> ... فَتَأْتَى ذَلِكَ وَجَرَ مَفَاوِضَ أَعَدْنَا (فِي الْحَاشِيَةِ : أَعَدَدْنَا) لِأَجْلِهَا الرِّسَالَةَ<sup>(٧)</sup> وَاسْتَشْعَرْنَا الْبَسَالَ<sup>(٨)</sup> .... وَنَحْنُ نَرْتَقِبُ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مُهَادَنَةٍ تَحْصُلُ بِهَا الْأَقْوَاتُ الْمُهَيَّاةُ لِلْإِنْتِسَافِ<sup>(٩)</sup> ، وَتَسْكُنُ (فِي الْحَاشِيَةِ : تَسْكِينٌ) مَا سَاءَ الْبِلَادَ الْمُسْلِمَةَ مِنْ هَذَا الْإِرْجَافِ<sup>(١٠)</sup> .... أَوْ حَرْبٍ يَبْلُغُ الْإِسْتَبْصَارَ فِيهَا غَايَتَهُ<sup>(١١)</sup> .... وَلَمْ

(١) السَّرِيَّةُ (فِي الْأَصْلِ) : جَيْشٌ يَذْهَبُ لِلْجِهَادِ وَلَا يَكُونُ فِيهِ عَمْدُ رَسُولِ اللَّهِ . وَهَذَا : حَلَّةٌ عَسْكَرِيَّةٌ فَقَطْ .

(٢) جَرِيَّةٌ = جَرِيئَةٌ (وَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ لِلْمُوَافَقَةِ فِي السَّجْعِ مَعَ «سَرِيَّةٍ»).

(٣) ... لَشَاغِلٍ فِي الْبَاطِنِ : لِمَشَاكِلٍ دَاخِلِيَّةٍ (فِي بِلَادِ الْإِسْبَانِ).

(٤) .. يَطْلُبُونَ مِنَّا أَنْ نَخْجِشَ (نَمِيلَ) إِلَى السَّلَامِ (الصَّلَاحِ) فِي سَبِيلِ النَّصْحِ (اقْرَأْ : عَلَى سَبِيلِ النَّصْحِ) : حَبًّا بِفَائِدَتِنَا نَحْنُ (الْمُسْلِمِينَ) .

(٥) أَمْرٌ دُبِّرَ بِلَيْلٍ (مَكِيدَةٌ ، خَدَاعٌ) .

(٦) تَظَاهَرْنَا أَنَّنَا قَبْلَنَا اقْتِرَاحَ الْإِسْبَانِ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ مَفَاوِضِينَ .

(٧) الرِّسَالَةُ (هَذِهِ الرِّسَالَةُ) .

(٨) اسْتَشْعَرَ الرَّجُلُ : لَبَسَ الشَّعَارَ (ثَوْبَ يَلْبَسُ مَلَاصِقًا لِلْبَدَنِ) . اسْتَشْعَرْنَا الْبَسَالَ (الشَّجَاعَةَ) : تَظَاهَرْنَا بِالْقُوَّةِ (بَيْنَا كُنَّا نَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ لِنَسْتَفِيتَ بِكُمْ) .

(٩) فَعَلْنَا ذَلِكَ (قَبْلَنَا الْمُدَنَةَ) خَوْفًا عَلَى الْمَوَاسِمِ الَّتِي قَرُبَ حِصَادُهَا وَنَخْشَى إِذَا جَاءَ الْإِسْبَانُ بِمُحْمَلَةٍ عَلَيْهَا أَنْ يَنْتَسِفُوهَا (يَقْتُلُوهَا) : يَتْلَفُوهَا .

(١٠) الْإِرْجَافُ : نَشْرُ الْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ (الْتِهَادِيدِ بِالْحَرْبِ) .

(١١) حَرْبٌ يَبْلُغُ الْإِسْتَبْصَارَ (حَسَنَ النَّظَرِ) فِيهَا غَايَتَهُ (تَمَامَهُ) : حَرْبٌ لَيْسَتْ لِمُصَالَحَتِنَا .

نَجْعَلُ سَبَبَ الْاعْتِزَالِ فِيما أَرَدْنَا وَشُمُوحَ الْأَنْفِ فِيما أَصْدَرْنَا إِلَّا ما أَشْعَنَا مِنْ عَزَمِكُمْ <sup>(١)</sup> عَلَى نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَأَرْتِقَابِ خُفُوقِ الْأَعْلَامِ <sup>(٢)</sup>.... ثُمَّ اتَّصَلَ بِنَا الْخَبْرُ الْكَارِثُ <sup>(٣)</sup> بِمَا كَانَ مِنْ حَوَرِ الْعِزَائِمِ الْمُؤَمَّنَةِ بَعْدَ كَوْرِهَا <sup>(٤)</sup>، وَتَسْوِيفِ مَوَاعِيدِ النُّصْرَةِ بَعْدَ فَوْرِهَا <sup>(٥)</sup> وَأَنَّ الْحَرَكَةَ مُعَمَّلَةً إِلَى مَرَاكُشَ <sup>(٦)</sup> الْجِهَةِ الَّتِي فِي يَدَيْكُمْ زِمَامُهَا..... فَسُقِطَ فِي الْأَيْدِي الْمَمْدُودَةِ <sup>(٧)</sup>... وَخَسِيتِ الْأَبْصَارُ الْمُرْتَقِبَةَ <sup>(٨)</sup> وَسَاءَتِ الظُّنُونُ وَذَرَفَتِ الْعُيُونُ. وَأَكْذَبَ الْفُضْلَاءُ الْخَبَرَ وَنَفَوْا أَنْ يُعْتَبَرَ. وَقَالُوا: هَذَا لَا يُمَكِّنُ حَيْثُ الدِّينُ الْحَنِيفُ وَالْمُلْكُ النُّبِيَّ <sup>(٩)</sup> وَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى مِيثَاقَهُمْ وَحَمَلَ النُّصِيحَةَ أَعْنَاقَهُمْ <sup>(١٠)</sup>. وَهَذَا الْمُفْتَرَضُ <sup>(١١)</sup> يَا أَبَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَالْإِسْلَامُ، وَتَأْبَاهُ الْعُلَمَاءُ وَالْأَعْلَامُ، وَتَأْبَاهُ الْمَآذِنُ وَالْمَنَابِرُ، وَتَأْبَاهُ الْهَمَمُ الْأَكَابِرُ. فَبَادَرْنَا نَسْتَطْلِعُ طَلَعَ هَذَا النَّبَأِ الَّذِي إِنْ كَانَ بَاطِلًا فَهُوَ الظَّنُّ، وَلِلَّهِ الْمُنُّ <sup>(١٢)</sup>. وَإِنْ كَانَ خِلَافَهُ لِرَأْيِي تَرَجَّحَ.... فَنَحْنُ نُؤَفِّدُ كُلَّ مَنْ يَقْدُمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَذَا الْقَطْرِ فِي شَفَاعَةٍ وَيَدُّ إِلَيْهِ كَفَّ ضَرَاعَةٍ وَمَنْ يُوسِّمُ <sup>(١٣)</sup> بِصَلَاحٍ وَعِبَادَةٍ.... يَتَطَارَحُونَ عَلَيْكُمْ فِي نَقْضِ مَا أُبْرِمَ وَنَسْخِ

(١) أَشْعَنَا: أَدْعَنَا، أَعْلَنَّا.

(٢) ارْتِقَاب (انتظار) خُفُوقِ (تَوَجُّعِ) الْأَعْلَامِ (الرايات): مَجِيئُكُمْ لِمَاعِدَتِنَا.

(٣) الْكَارِثُ: الشَّدِيدُ الْوَقْعُ عَلَى النَّفْسِ (الْمُنْذِرُ بِكَارِثَةٍ).

(٤) الْحَوَرُ: الرَّجُوعُ (عَنِ الْعِزْمِ)، نَقْضُ مَا كَانَ الْإِنْسَانُ قَدْ عَزَمَ عَلَيْهِ. الْكُورُ: لَفًّا لِلشَّيْءِ عَلَى الْجِسْمِ (إِحْكَامُ الرِّبَاطِ، تَأْكِيدُ الْأَمْرِ). الْفَوْرُ (الْإِسْرَاعُ فِي الْعَمَلِ).

(٥) إِنْ الْجِيُوشُ الَّتِي كَانَتْ مَتَّجِهَةً مِنْ مَرَاكُشِ (عَاصِمَةِ الْمَغْرِبِ) إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِقِتَالِ الْإِسْبَانِ، هِيَ الْآنَ مَعْمَلَةٌ (مُسْرَعَةٌ) نَحْوِ مَرَاكُشِ (بِسَبَبِ الزَّعَاجِ بَيْنَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَنِيِّ عَلِيِّ بْنِ عُثْمَانَ وَأَبِي عَنَانَ فَارِسَ، سَنَةِ ٧٥١ لِلْهَجْرَةِ، عَلَى الْعَرْشِ - رَاجِعِ الْاسْتِقْصَا ٢: ٨٥).

(٦) سَقَطَ فِي الْأَيْدِي الْمَمْدُودَةِ (الطَّالِبَةِ لِلْمَعُونَةِ): تَحَيَّرَتْ وَاضْطَرَبَتْ.

(٧) خَسِيتْ: ضَعُفَتْ (فَقَدَتِ الْقُدْرَةَ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ). الْمُرْتَقِبَةُ: الْمُنْتَظَرَةُ.

(٨) الدِّينُ الْحَنِيفُ: الْإِسْلَامُ. الْمُنِيفُ: الْعَالِي (الثَّابِتُ الْقَوِيُّ).

(٩) الْعُلَمَاءُ مَسْؤُولُونَ عَمَّا يَصِيبُ أُمَّتَهُمْ.

(١٠) الْمُفْتَرَضُ = الْمَفْرُوضُ (رَجُوعُ بَنِي مَرْيَنٍ عَنْ وَعْدِهِمْ بِنُصْرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَمُحَارَبَةِ الْإِسْبَانِ).

(١١) نَسْتَطْلِعُ طَلَعَ النَّبَأِ: نَبِيحُ عَنْ صَحَةِ الْخَبَرِ. الْمُنُّ: النِّعْمَةُ، الْإِنْعَامُ عَلَى النَّاسِ.

(١٢) يُقَدِّمُ (٩). الضَّرَاعَةُ: السُّؤَالُ (مِنْ اللَّهِ) بِتَذَلُّلٍ وَخُضُوعٍ. وَسَمَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ): صَارَ لَهُ عَلَامَةٌ. - ...

نُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَفْرَادًا تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُمْ عِنْدَكُمْ (٩) وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ كَيْ تَقْبَلُوا مِنْهُ (٩).



ما أَحْكِمَ<sup>(١)</sup>، فَإِنَّكُمْ<sup>(٢)</sup> تَجْنُونَ بِهِ عَلَى مَنْ أَسْتَخِرُكُمْ عَكْسَ مَا قَصَدَ.... وَهَبِ الْعُذْرَ يُقْبَلُ فِي عَدَمِ الإِعَانَةِ وَضُرُورَةِ الْإِسْتِعَانَةِ وَالْأَسْتِكَانَةِ، أَيْ عُذْرُ يُقْبَلُ فِي الْأَطْرَاحِ وَالْإِعْرَاضِ الصَّرَاحِ<sup>(٣)</sup>. كَأَنَّ الدِّينَ غَيْرُ وَاحِدٍ<sup>(٤)</sup>، كَأَنَّ هَذَا الْقَطْرَ لِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ جَاحِدٌ، كَأَنَّ ذِمَامَ<sup>(٥)</sup> الْإِسْلَامِ غَيْرُ جَامِعٍ.... فَنَحْنُ نَسْأَلُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ<sup>(٦)</sup>، وَنَأْنِفُ لَكُمْ مِنْ هَذَا الْإِحْجَامِ. وَتَتَطَارَحُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتْرَكُوا حَظَّكُمْ فِي أَهْلِ تِلْكَ الْجِهَةِ<sup>(٧)</sup> حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ الَّذِي يَتَكَالَبُ عَلَيْنَا بِإِذْ بَارِكُمْ بَعْدَمَا تَضَاءَلْ لِاسْتِنْفَارِكُمْ<sup>(٨)</sup>.... وَمَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ لَا يَفُوتُ<sup>(٩)</sup>..... إِنَّا الْفَائِتُ مَا وَرَاءَكُمْ مِنْ حَيْثُ تَأْنِفُ مِنْ سَمَاعِهِ أَوْ دَاوُكُمْ<sup>(١٠)</sup> وَدِينٌ يَشْمَتُ بِهِ أَعْدَاؤُكُمْ<sup>(١١)</sup>. فَاسْعِفُوا بِالشَّفَاعَةِ فِيمَنْ يَتِلَّكَ الْجِهَةِ الْمَرَاكُشِيَّةَ قَصْدَنَا<sup>(١٢)</sup>، وَحَاشَا إِحْسَانَكُمْ أَنْ يَرْضَى فِيهِ رَدُّنَا.....

- (١) يَتَطَارَحُونَ: يَتَبَادَلُونَ الْأَرَاءَ فِي أَمْرِ مَا (هنا: يَلْقَوْنَ بَأَنْفُسِهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِذَلَّةٍ). فِي نَقْضِ مَا أُبْرِمَ (فِي) إِبْطَالِ مَا كُنْتُمْ أَقْرَرْتُمُوهُ) وَفِي نَسْخِ مَا أَحْكَمَ (تَبْدِيلِ مَا كَانَ قَدْ جُعِلَ فَرْضاً وَاجِباً).
- (٢) فَإِنَّكُمْ (إِقْرَأُوا: وَإِلَّا فَإِنَّكُمْ - فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَإِنَّكُمْ).
- (٣) اطَّرَاحَ الْأَمْرَ: تَرَكَهُ جَلَّةً وَإِهَالَهُ. الْإِعْرَاضُ (الْإِلْتِفَاتُ عَنِ الْأَمْرِ، تَرْكُ الْإِهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ) الصَّرَاحُ (الْوَاضِحُ الَّذِي لَا تَرَدَّدُ فِي تَفْسِيرِهِ).
- (٤) كَأَنَّ دِينَنَا غَيْرُ دِينِكُمْ.
- (٥) الذِّمَامُ: الْعَهْدُ، الْحَقُّ، الْحَرَمَةُ (وَجُوبُ الدِّفَاعِ عَمَّا يَتَّصِلُ بِالْإِنْسَانِ).
- (٦) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (٤: ١، سُورَةُ النَّسَاءِ): خَافُوا اللَّهَ. تَسَاءَلُونَ = تَسَاءَلُونَ بِهِ بَيْنَكُمْ (حِينَ يَقُولُ أَحَدُكُمْ لِلْآخَرِ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ - بِأَتْنِي وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا) وَاتَّقُوا (خَافُوا عَلَى) الْأَرْحَامِ (الْقَرَابَةِ الَّتِي بَيْنَنَا فِي الدِّينِ، وَفِي النَّسَبِ أَيْضًا) أَنْ تَقْطَعُوهَا وَتَتْرَكُوا نَصْرَنَا فَيَسْتَوْلِيَ عَلَيْنَا الْعَدُوُّ الْكَافِرُ.
- (٧) اِتْرَكُوا الْآنَ الْخِلَافَ الَّذِي بَيْنَكُمْ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ (مَرَاكُشٍ - مِنَ الْخِلَافِ عَلَى تَوَلَّى الْعَرْشِ) إِلَى أَنْ تَتَّقِنُوا مِنَ الْعَدُوِّ (الْإِسْبَانِ) الَّذِي يَتَكَالَبُ (يَعْلَنُ الْعِدَاوَةَ لَنَا ثُمَّ يَسْبُ عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) بِإِذْ بَارِكُمْ (إِذَا رَأَى أَنَّكُمْ تَتَخَلَّفُونَ عَنْ نَصْرَتِنَا).
- (٨) اسْتِنْفَارِكُمْ: الْاسْتِفَاتَةُ بِكُمْ.
- (٩) مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ (حَلَّ) مُشْكَلَةُ الْخِلَافِ عَلَى الْعَرْشِ لَا يَفُوتُ (لَا يَمُضِي زَمَنُهُ، يُمْكِنُ أَنْ تَعَالِجُوهُ بَعْدَ مَدَّةٍ). إِنَّا الْفَائِتُ (الَّذِي تَحْصِرُونَهُ ثُمَّ لَا تَتَّقِنُونَهُ) مَا وَرَاءَكُمْ (مَا تَرَكْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ: لَا تَهْتَمُّونَ بِهِ، أَيْ ضِيَاعُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ).
- (١٠) الْوَادِ: الْمَهَبُ.
- (١١) وَدِينٌ (أَيِ الْإِسْلَامِ) يَشْمَتُ بِهِ أَعْدَاؤُكُمْ - إِذَا زَالَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ.
- (١٢) ابْعَثُوا إِلَى سَاعِدَتِنَا أُولَئِكَ الْجُنُودَ الَّذِينَ رَدَدْتُمُوهُمْ إِلَى مَدِينَةِ مَرَاكُشٍ.

## أدب المولد (\*)

المَوْلِدُ، هنا، ذِكْرُ ميلادِ مُحَمَّدٍ رسولِ الله - في ثاني عَشَرَ ربيعِ الأوَّلِ من العام ٥٢ قبلَ الهجرة (٥٧٠ م) - والاحتفالُ بهذه الذِّكْرِ بِدَعَةٍ (شيءٍ لم يكن في أيامِ رسولِ الله ولا في أيامِ الصَّحابة). غيرَ أنَّ هذه البِدعةَ إذا اتَّصَلَتْ بالتقوى (من صلاةٍ وذكرِ لله) وبالأعمالِ الصالحة (من خِدْمَةِ المجتمع: بالصدقةِ والوعظِ والتحدثِ بمآثرِ الإسلامِ وزيارةِ بعضِ المسلمينَ بعضاً تأكيداً للمودةِ بينهم) فإنَّها تُصْبِحُ حينئذٍ بِدعةً حَسَنَةً محمودةً. أمَّا هذا الذي يفعله اليومَ جماعاتٌ من المسلمين عادةً (من إقامة الزينة من الورقِ الملَوَّن وإطلاق الرصاص والركُض في الشوارع واستغلالِ المناسبةِ الكريمة في سبيلِ أغراضٍ دُنْيَوِيَّةٍ مُختلفةٍ - سياسيَّةٍ أو غيرِ سياسيَّةٍ) فإنَّها هُوَ جاهليَّةٌ ووثنِيَّةٌ أيضاً. وعلى هذا قال الإمامُ شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨ هـ).

«.... وأما اتِّخَاذُ مُوسِمٍ غيرِ المَواسِمِ الشرعيَّةِ<sup>(١)</sup> كِبَعْضِ ليالي شهرِ ربيعِ الأوَّلِ التي يُقالُ إنَّها ليلةُ المولدِ<sup>(٢)</sup>، أو بعضِ ليالي رَجَبٍ<sup>(٣)</sup> أو ثامنِ عَشَرَ ذِي الحِجَّةِ<sup>(٤)</sup> أو

(\*) للدكتور محسن جال الدين كتاب في ثمان وأربعين صفحة، على صفحته الأولى: في رياض الأندلس: احتفال الموالد النبوي في الأشعار الأندلسية والمغربية والمهجريّة، الطبعة الأولى، بغداد (مطبعة دار البصري) ١٩٦٧ م. - ومع أن هذا الكتاب يتناول أشياء كثيرة لا صلة لها بالمولد: دخول الإسلام إلى المغرب والأندلس (ص ٨ - ١٤) ثم اهتمام العلماء والأمراء والخلفاء في ميلاد الرسول الأعظم (ص ١٤ - ١٩)، وهو فصل في نفر من علماء المغرب والأندلس ليس فيه ذكر للمولد. ثم يأتي فصل: الشخصيات الأندلسية والمغربية التي زارت المشرق أو دخلت الأماكن المقدسة (ص ١٩ - ٢٠). وابتداء من الصفحة العشرين (أو الحادية والعشرين على الأصح) يأتي الكلام على الاحتفال للمولد النبوي. ولا شك في أن الصديق محسن جال الدين قد نبّه الأفكار بكتابه الموجز إلى موضوع يستحقّ عناية وافية.

(١) في الإسلام موسمان شرعيان: أوَّلُ شَوَّال (عيد الفطر: لخروج المسلم من صيام رمضان على طاعة) ثم العاشر من ذِي الحِجَّةِ (عيد الأضحى: لقيام المسلم المستطيع بفرصة الحج).

(٢) لا خلاف في أن مُحَمَّدًا رسول الله قد ولد في شهر ربيع الأوَّل؛ ولكنَّ هنالك خلافاً في اليوم الذي ولد فيه من شهر ربيع الأوَّل.

(٣) لعلّ في ذلك إشارة إلى ليلة الإِسراء. إنَّ الحادث التاريخي: إِسراءِ الرسول صَلَّى الله عليه وسلم (في السابع والعشرين من رجب) ثابت. ولكنَّ الاحتفال بهذه الليلة من كلِّ عام لم يكن معروفاً في أيام الصحابة.

(٤) في الثامن عشر من شهر ذِي الحِجَّةِ (من السنة العاشرة للهجرة) كان الرسول راجعاً من حِجَّةِ الوداع. فلَمَّا =

أَوَّلِ جُمُعَةٍ مِنْ رَجَبٍ أَوْ ثَمَنِ شَوَّالٍ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجُهَّالُ عِيدَ الْأَبْرَارِ، فَإِنَّهَا مِنْ الْبِدْعِ الَّتِي لَمْ يَسْتَحِبَّهَا السَّلَفُ وَلَمْ يَفْعَلُوهَا (١) .

أَمَّا الْأَحْتِفَالُ بِذِكْرِ الْمَوْلِدِ وَبَذِكْرِ أَيَّامِ وَلِيَالٍ مُخْتَلِفَاتٍ فَبَدَأَ فِي أَيَّامِ الْفَاطِمِيِّينَ (فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ = الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ)، فَقَدْ أَرَادَ الْفَاطِمِيُّونَ أَنْ يَجْعَلُوا لِحُكْمِهِمُ السِّيَاسِيَّ وَجَاهَةً فَاتَّخَذُوا عِدَدًا مِنَ الْمُنَاسِبَاتِ الْمَشْهُورَةِ وَتَأَلَّفُوا بِهَا عَوَامَ النَّاسِ بِإِقَامَةِ الْمَادِبِ الْعَامَّةِ وَبِإِقَامَةِ مَعَالِمِ الزِينَةِ بِالْأَنْوَارِ وَبِقِرَاءَةِ السَّيْرَةِ (النَّبَوِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ السَّيْرِ). وَأَحَبَّ الْعَامَّةُ ذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْتِفَالَاتِ ضَرَرٌ (إِذَا كَانَتْ لِلتَّقْوَى وَلِفَائِدَةِ النَّاسِ)، وَلَكِنَّهَا - عَلَى كُلِّ حَالٍ - لَيْسَتْ فَرَضًا عَلَى النَّاسِ.

وَأَحَبَّ نَفَرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَيْضًا وَضَعَ سِيرَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِرَاءَةَ تِلْكَ السَّيْرَةِ عَلَى النَّاسِ فِي عِدَدٍ مِنَ الْمُنَاسِبَاتِ الْعَامَّةِ أَوْ الْخَاصَّةِ (شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى شِفَاءِ مَرِيضٍ أَوْ نَجَاحٍ مَشْرُوعٍ أَوْ مَا يُشَبِّهُ ذَلِكَ).

وَبَيْنَمَا كَانَ عَوَامُ النَّاسِ وَنَفَرٌ مِنَ الرُّعَلَاءِ السِّيَاسِيِّينَ يَخْرِصُونَ عَلَى الْأَحْتِفَالِ بِذِكْرِ الْمَوْلِدِ، كَانَ هُنَالِكَ مَقَاوِمَةٌ لِهَذَا الْأَحْتِفَالِ عَلَى أَنَّهُ بِدْعَةٌ. أَمَّا صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ فَقَدْ كَانَ يُشَجِّعُ هَذِهِ الْأَحْتِفَالَاتِ لِأَغْرَاضٍ دِفَاعِيَّةٍ. كَانَ الْإِفْرَنْجُ الصَّلِيبِيُّونَ يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَوَاسِمِ النَّصْرَانِيَّةِ، فَإِذَا رَأَوْا غُرَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَاجَوْهُمْ. فَدَعَا صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى إِقَامَةِ مَوَاسِمَ إِسْلَامِيَّةٍ فِي أَيَّامِ الْمَوَاسِمِ النَّصْرَانِيَّةِ بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَخْتَرَعَ عِدَدًا مِنْ مِثْلِ تِلْكَ الْمَوَاسِمِ أَيْضًا ثُمَّ جَعَلَ لِلْمَوْسَمِ الْوَاحِدِ (فِي يَوْمٍ مَا مِنْ الْأَيَّامِ) أَسْمَاءً مُخْتَلِفَةً فِي الْأَمَاكِنِ الْمُخْتَلِفَةِ (٢).

---

= وَصَلَ إِلَى غَدِيرِ خَمٍّ نَزَلَ (لِاسْتِرْجَاعِهِ)، لِأَنَّ السَّفَرَ الْقَدِيمَ كَانَ مَرَاحِلَ. فَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ أَخَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. الْحَدِيثُ تَارِيخِيٌّ فَيَا بَيْدُو. وَلَكِنَّ الْأَحْتِفَالَ بِذِكْرِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ بِدْعَةٌ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ عِيدًا شَرْعِيًّا.

(١) فتاوى ابن تيمية (القاهرة ١٣٢٦ هـ) ١: ٣١٢.

(٢) كَانَتْ هَذِهِ الْمَوَاسِمُ (الْأَعْيَادُ الشَّعْبِيَّةُ) تَحْمِلُ مَعْنَى دِينِيًّا وَغَايَةَ سِيَاسِيَّةً حَرْبِيَّةً. مِنْ هَذِهِ مَوْسَمِ النَّبِيِّ نُوَسَّى فِي الْقُدْسِ وَمَوْسَمِ النَّبِيِّ رُوبَيْنَ فِي يَافَا (فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟.....؟) وَأَرْبَعَاءُ أَيُّوبَ فِي بَيْرُوتَ، وَخَمِيسَ الْمَشَايِخِ (خَمِيسَ الدَّعْسَةِ) فِي حِمصَ، الْخ. وَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الْمَوَاسِمُ تَنْسَى الْآنَ.

وكانت غاية صلاح الدين من ذلك أن يكون من المسلمين جماعاتٌ مجتمعةٌ متأهبةٌ في أيامِ آجتاعِ النصارى في أعيادهم لئلا يُهاجمَ الإفرنجُ الصليبيون بلدةً مُسلمةً والمسلمون فيها أو حولها غافلون عن ذلك. وانتشرت هذه المواسم في الشام ومِصرَ والعراقِ ثم عاشَ عددٌ منها بعدَ ذلك زماناً طويلاً.

يُخبرنا ابنُ جُبَيْرٍ في «رحلته» أنه شهدَ احتفالاً بذكرى مولدِ الرسولِ في مَكَّةَ، في أواخرِ القرنِ السادسِ للهجرة (أواخر القرن الثالث عشر للميلاد).

وفي مطلع القرن السابع للهجرة كان مظفرُ الدين كوكبوري صهرُ صلاح الدين الأيوبي (زوجُ أخته) يُقيم احتفالاتٍ لذكرى المولد في ولايته، في إربل، بالعراق. وقد نظمَ ابنُ دحية الكلبيُّ المتوفى سنةَ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م) لكوكبوري «مولداً» (سيرة لرسولِ الله: التنوير في مولدِ السَّراج المنير).

ومن الشام ومِصرَ انتقل هذا الاحتفالُ بذكرى مولدِ الرسولِ إلى المغرب والأندلس، ثم إلى الهند أيضاً. قال السَّخاويُّ (ت ٩٠٢ هـ = ١٤٩٧ م) في كتابه «التبَرُّ المسبوكُ في نصيحة الملوك» (ص ١٣ - ١٤): «ولا (يزال) أهلُ الإسلامِ يَحْتَفِلُونَ بِشَهْرِ مولده، صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: يَعمَلُونَ الولائمَ لذلك ويتصدَّقون في لياليه بأنواعِ الصَّدقاتِ ويُظهِرون السرورَ ويزيدون في المَبَرَّاتِ وَيَتَغَنَّوْنَ بِقِراءَةِ مولده الكريم... وأكثرهم بذلك عنايةً أهلُ مِصرَ والشام. وللسلطانِ في تلك الليالي مقامٌ يقومُ فيه... فلقد حَضَرَتْ ليلةَ مولدِ من سنة ٧٨٥ (\*) عندَ الظاهرِ برقوق».

والبديعياتُ (مدحُ رسولِ الله) فنٌ قديمٌ جدًّا بدأه كعبُ بنُ زُهَيرٍ بنِ أبي سُلَيمٍ (ت ٢٦ هـ = ٦٤٥ م) في أيامِ الرسولِ (راجع الجزء الأول من هذه السلسلة). ثم اتَّسعَ القولُ في ذلك. وخرَجَ هذا الفنُّ من المدحِ المألوفِ إلى التَغَنِّيِ به في المناسبات، وفي ذِكْرِ مولدِ رسولِ الله، صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، من كُلِّ عام. فعينَ الذين وَضَعُوا

(\*) ليلة المولد (بالحسبان العربي): العرب يحسبون اليوم من غروب الشمس إلى غروبها في اليوم التالي، فالليلة عندهم قبل النهار. فليلة المولد، إذن، هي الثاني عشر من شهر ربيع الأول (من سنة ٧٨٥ للهجرة: ١٦ / ٥ / ١٣٨٣ م). أمَّا في حسابنا اليوم (في الرِّزْنامة) فليلة المولد في تلك السنة كانت (عندنا اليوم) أولَ ليلِ الحادي عشر من ربيع الأول ٧٨٥ هـ (١٥ / ٥ / ١٣٨٣ م).

« مَوَالِدَ » لِيَتْلَى أَوْ لِيَتُنَشَّدَ فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ كُلِّ عَامٍ (فِي الْمَشْرِقِ): أَبْنُ الْمَغْرَبِيِّ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (ت ٤١٨ هـ) لَهُ قَصِيدَةٌ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٨٨ - ٤٨٩) ثُمَّ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ (٥٩٧ هـ) وَعَبْدُ الرَّحِيمِ الْبَرْعِيُّ الْيَمَنِيُّ (ت ٨٠٣ هـ) وَالسَّخَاوِيُّ صَاحِبُ الضَّوِّ اللَّامِعِ (ت ٩٠٢ هـ) وَعَائِشَةُ الْبَاعُونِيَّةُ (ت ٩٢٢ هـ) وَابْنُ الدَّيْنَمِيَّةِ الشَّيْبَانِيُّ (ت ٩٤٤ هـ) وَأَبْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ (٩٧٤ هـ).

وَقَالَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ كَثِيرًا فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْشَدُوا الْمَدَائِحَ فِيهِ فِي الْمُنَاسِبَاتِ (وَفِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ خَاصَّةً). وَفِي هَذَا الْفَصْلِ الطَّوِيلِ لَمَحَاتٌ مِنْ ذَلِكَ. وَسِيرَى الْقَارِئِ أَنِّي لَوْ أَرَدْتُ اسْتِعْرَاضَ كُلِّ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُنَا لَبَلَّغَ هَذَا الْفَصْلُ نِصْفَ هَذَا الْجُزْءِ.

فَمِنْ الَّذِينَ نَظَّمُوا فِي « مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ » خَاصَّةً أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ الصَّوْقِيُّ (ت ٥٣٦ هـ)، لَهُ عِدَدٌ مِنَ الْمَدَائِحِ فِي الرَّسُولِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٩٧ - ٤٩٩). مِنْ ذَلِكَ مِثْلًا:

وَحَقُّكَ، يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ قَلْبِي	بِحُبِّكَ قُرْبَةً نَحْوَ الْإِلَهِ. (١)
جَرَّتْ أَمْوَاهُ حُبِّكَ فِي فُؤَادِي	فَهَامَ الْقَلْبُ فِي طَيْبِ الْمِيَاهِ.
فَصِيرْتُ أَرَى الْأُمُورَ بَعَيْنِ حَقٍّ،	وَكُنْتُ أَرَى الْأُمُورَ بَعَيْنِ لَا هِيَ. (٢)
إِذَا شُغِفَ الْفُؤَادُ بِهِ وَدَادَا،	فَهَلْ يَنْهَاهُ عَنْ ذِكْرِهِ نَاهِي؟ (٣)

وَلَا بِنِ الْعَرِيفِ أَيْضًا « صَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ » تُشَبِّهُ « دَلَائِلَ الْخَيْرَاتِ » (أَيِ إِيرَادَ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ فِي جُمْلٍ مُتَقَارِبَةٍ فِي اللَّفْظِ). مِنْ ذَلِكَ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٩٨ - ٤٩٩):

صَلَّى الْإِلَهِ عَلَى النَّبِيِّ الْهَادِي	مَا لَازَتْ الْأَرْوَاحُ بِالْأَجْسَادِ. (٤)
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَسَوَدَ الدُّجَى	فَكَسَا مُحْيَا الْأُفُقِ ثَوْبَ حِدَادٍ.

(١) قُرْبَةٌ: تَقَرُّبًا. وَسِيلَةٌ لِلْقُرْبِ. - أَنَا أَحْبَبُّكَ لِيَقْرَبَنِي حَبِّي لَكَ مِنْ اللَّهِ.

(٢) الْإِلَهِ: الَّذِي يَسْهُو، يَغْفُلُ عَنِ الْأُمُورِ.

(٣) ذِكْرَاهُ: ذَكَرَى الرَّسُولَ.

(٤) لَازَتْ: التَّجَا - وَهُوَ يَقْصِدُ مَا دَامَ فِي الْأَجْسَادِ أَرْوَاحُ (مَا دَامَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا).

صَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُحَمَّدٍ مَنَ خَصَّهُ بِالنُّورِ وَالْإِشْرَادِ.  
 صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى رَسُولٍ فَاتِحٍ فَتَحَ الظُّلَامَ بِنُورِهِ الْوَقَادِ.  
 صَلَّى عَلَيْهِ مَنَ أَرَاهُ جَلَالَهُ وَأَنَالَهُ مِنْ ذَاكَ كُلِّ مُرَادٍ<sup>(١)</sup>.

وهذه القصيدة في نفح الطيب واحدٌ وثلاثون بيتاً على هذا النوعِ مِنَ السَّردِ.

فإذا نحن انتقلنا إلى الأندلس وجدنا بعضهم ينسبُ بديعاً إلى القاضي عياضِ  
 ابنِ موسى بنِ عياضِ (ت ٥٤٤ هـ). ولكنَّ المَقَرِّي يقول (نفح الطيب ٧:  
 ٣٢٣ - ٣٢٤):

هنالك قصيدة « في التَّوْرِيَّةِ بِسُورِ الْقُرْآنِ وَ (في) مدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ ... وَهِيَ مِنْ غُرَرِ الْقَصَائِدِ. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَنْسِبُهَا لِلْقَاضِي الشَّهِيرِ عَالِمِ  
 الْمَغْرِبِ أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضٍ. وَكُنْتُ أَنَا فِي أَوَّلِ الْأَشْتَغَالِ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ صِحَّةَ هَذِهِ  
 النَّسْبَةِ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى الْبَدِيعَةِ الْمَوْصُوفَةِ لِرَفِيقِهِ أَبِي جَعْفَرٍ<sup>(٢)</sup>، فَإِذَا هِيَ مَنْسُوبَةٌ  
 لِلنَّازِمِ ابْنِ جَابِرٍ<sup>(٣)</sup> ».

غير أنَّ القولَ في « البديعيات » عامةٌ وفي « المولدياتِ » خاصةٌ قد اتَّسعَ في زَمَنِ  
 لاحِقٍ وَكَثُرَ حَتَّى أَصْبَحَ يَعْنِيَا عَلَى الْحَصْرِ.

أما الرَّحَّالَةُ ابْنُ جُبَيْرٍ (ت ٦١٤ هـ) فَقَدْ وَصَفَ طَرَفًا مِنَ الْأَحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

(١) جلاله: عظمته (عظمة الله) - لعلَّ في هذا البيت إشارة إلى المراج (حينما وصل رسول الله إلى قرب  
 عرش الرحمن).

(٢) في كل « فاتحة » للقول معتبره حقَّ الثناء على المبعوث به « البقرة ».   
 الفاتحة هي السورة الأولى في المصحف، والبقرة هي السورة الثانية.

(٣) أبو جعفر الفرناطي أو الإلبيري (ت ٧٧٩ هـ) رفيق ابن جابر الضرير (ت ٧٨٠ هـ) - راجع ترجمتهما  
 في هذا الجزء. في هذا النص من « نفح الطيب » انقطاع في السرد أو نقص في الكلام. أن أبا جعفر  
 الفرناطي هذا (ت ٧٧٩ هـ) لا يمكن أن يكون رفيقاً للقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ). ولعلَّ الكلام يستقيم  
 إذا قلنا: ... حَتَّى وَقَعْتُ عَلَى هَذِهِ الْبَدِيعَةِ الْمَوْصُوفَةِ (في كلام يتناول ابن جابر الاندلسي الهواري)  
 لرفيقه أبي جعفر، فإذا هي منسوبة للناظم ابن جابر.

(٤) راجع الحاشية السابقة.

في مكة. وصل ابن جبير إلى مكة في ثانيَ عَشَرَ ربيعِ الآخر (يوم ذكرى المولد ★) فنظم قصيدة منها (نفع الطيب ٢: ٤٩٢ - ٤٩٤):

بلغتَ المنى وحللتَ الحرمَ      فعادَ شباؤُكَ بعدَ الهرمِ.<sup>(١)</sup>  
 فأهلاً بِمَكَّةَ، أهلاً بِها،      وشُكراً لِمَنْ شُكْرُهُ يُلتَزَمُ...<sup>(٢)</sup>  
 نبيُّ شفاعته عِصمةٌ،      فيومَ التَّنَادي به يُعْتَصَمُ،<sup>(٣)</sup>  
 ويَزْعَى لزُواره في غَبَدٍ      ذِمَّاماً، فما زال يَرعى الذِّمَّ...<sup>(٤)</sup>  
 عليه السلامُ، وطوبى لمن      أَلَمَ بِتُرْبَتِهِ فَاسْتَلَمَ<sup>(٥)</sup>

ثُمَّ إِنَّ لَابْنَ جُبَيْرٍ أَشْعَاراً كَثِيرَةً فِي الْحِجَازِ وَفِي مَدَحِ الرَّسُولِ. فَمِنْ هَذِهِ الْأَشْعَارِ مَا يَقْرُبُ مِنْ أَدَبِ الْمَوْلِدِ قَوْلُهُ (نفع الطيب ٢: ٤٩٣):

أَحِبُّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَأَبْنِ عَمِّهِ      عَلِيّاً وَسِبْطِيهِ وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ.<sup>(١)</sup>  
 هُمْ أَهْلُ بَيْتٍ أَذْهَبَ الرَّجْسُ عَنْهُمْ؛      وَأَطْلَعَهُمْ أَفَقُّ الْهُدَى أَنْجُمُ زُهْرَا.<sup>(٢)</sup>  
 مُوالاتُهُمْ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ،      وَحُبُّهُمْ أَسْنَى الذِّخَائِرِ لِلْأُخْرَى.<sup>(٣)</sup>

(★) وصل ابن جبير إلى مكة يوم الخميس الثالث عشر لربيع الأول ٥٧٩ هـ، وهو الرابع من شهر آب - أغسطس، عام ١١٨٣ م (راجع «رحلة ابن جبير» بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م، ص ٥٨، راجع ص ٤٤ و ٤٩).

(١) الحرم: الحرم المكي (المساحة المحيطة بالكعبة).

(٢) .... شكراً لله.

(٣) يوم التنادي: يوم القيامة.

(٤) في غد (يوم القيامة). الذمة والذمام: العهد، الأمن، الكفالة.

(٥) تربته (قبر الرسول). استلم: قبل.

(٦) المصطفى (المختار من جميع الناس). علي: علي بن أبي طالب. سبطاه = سبطا رسول الله (الحسن والحسين أبنا علي بن أبي طالب). فاطمة الزهراء (البیضاء) ابنة الرسول وزوج الإمام علي.

(٧) أهل البيت هنا (رسول الله وفاطمة وعلي والحسن والحسين). وأهل البيت في القرآن الكريم (٣٣: ٣٣، سورة الأحزاب): نساء النبي: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، إنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس، أهل البيت، ويظهركم تطهيرا. أطلعهم (جعلهم). زهرا = بيضا (لامعة). - أفق فاعل «أطلع».

(٨) الذخيرة: ما يجنبه الإنسان ويعدّه (ليستعين به في المستقبل). الأخرى: يوم القيامة.

وما أنا للصَّحْبِ الْكِرَامِ بِمُبْغِضٍ ، فَإِنِّي أَرَى الْبَغْضَاءَ فِي حَقِّهِمْ كُفْرًا .<sup>(١)</sup>  
 هُمْ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ : وَهُمْ نَصَرُوا دِينَ الْهُدَى بِالْطَّبَاطُبِ أَنْصَرًا .<sup>(٢)</sup>  
 عَلَيْهِمْ سَلَامُ اللَّهِ مَا دَامَ ذِكْرُهُمْ لَدَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَأَكْرِمَ بِهِ ذِكْرًا .<sup>(٣)</sup>

ويبرز هنا أبو العباس محمد بنُ أحمدَ العَرَفِيُّ السَّبْتِيُّ المَغْرِبِيُّ ، فقد أُلِفَ (نحو سنة ٦٣٣ هـ) « الدَّرُّ الْمُنتَظَمُ فِي مَدَحِ النَّبِيِّ الْمُعْظَمِ » (راجع نفح الطيب ٢ : ٣٦) :  
 أَهْلُ الْحَدِيثِ عِصَابَةُ الْحَقِّ فَازُوا بِدَعْوَةِ سَيِّدِ الْخَلْقِ .<sup>(٤)</sup>  
 فَوُجُوهُهُمْ زَهْرٌ مُنْضَرَّةٌ لِأَوَّلِهَا كَتَأْتَقِي الْبَرْقِ .<sup>(٥)</sup>  
 يَا لَيْتَنِي مَعَهُمُ فَيُذَكِّرَنِي مَا أَذْكُرُهُ بِهَا مِنْ السَّبَقِ .<sup>(٦)</sup>  
 ولأبي زيدٍ الفَارَازِيُّ (ت ٦٣٧ هـ) عددٌ من القصائد في مدحِ الرسول (نفح الطيب ٧ : ٥٠٧ - ٥١٢) ، منها (٧ : ٥٠٨) :

أَيُّ نَوْرِ كَشَفَ اللَّهُ بِـهُ سُدَفَ الْبَاطِلِ عَنَّا أَجْمَعِينَ .<sup>(٧)</sup>  
 خَتَمَ اللَّهُ بِـهُ أَنْوَارَهُ عِنْدَمَا أَكْمَلَ سِنَّ الْأَرْبَعِينَ .<sup>(٨)</sup>  
 وَأَتَانَا بِدَلِيلٍ بَيِّنٍ عَجَزَتْ عَنْهُ دَوَاعِي الْمُدَّعِينَ .<sup>(٩)</sup>  
 فَأَعِذْ أَنْبَاءَهُ فَهِيَ<sup>(١٠)</sup> مُنَى أَنْفُسِ الْقَائِلِ وَالْمُسْتَمْعِينَ .<sup>(١١)</sup>

وهنا يأتي أيضاً ابنُ عَرَبِيٍّ (ت ٦٣٨ هـ) ، وَلَعَلَّ في « الصلاة الأَكْبَرِيَّة »<sup>(١٢)</sup> له ما

- 
- (١) الصحب: اصحاب رسول الله .  
 (٢) الطبّا جمع طبة (بضم ففتح): حد السيف .  
 (٣) الملأ الأعلى: العالم العلوي (الإلهي) مع الملائكة .  
 (٤) أهل الحديث: الذين يشتغلون برواية أحاديث رسول الله . عصابة: جماعة على رأي واحد . سيد الخلق: محمد رسول الله . فازوا (نجحوا) لما استجابوا لدعوة رسول الله والاهتمام بأقواله وأفعاله .  
 (٥) زهر جمع أزهر: أبيض ، لامع ، طاهر ، نقيّ . المنضرة: الجمال والانشراح (في الوجه) التأتق لللمعان .  
 (٦) من السبق إلى الخير والأجر .  
 (٧) السدفة (بالضم): الظلمة .  
 (٨) لما بلغ محمد عليه الصلاة والسلام سنَّ الأربعين بعثه الله رسولاً وجعله خاتم (آخر) الأنبياء .  
 (٩) في الأصل كذا: دواعي . لعلها: دعاوى .  
 (١٠) أنباءؤه: أخبار (رسول الله) .  
 (١١) راجع سركيس ١٧٨ .



يقرب إلى «أدب المولد». ومع إدريس بن محمد بن محمد بن موسى الأنصاري القرطبي  
(ت آخر سنة ٦٤٧ هـ) نقرب في مُحَمَّسَتِهِ من «أدب المولد» (نفع الطيب ٧):  
(٤٤١ - ٤٤٤):

أَهْلًا بِكُمْ، يَا أَهْلَ هَذَا النَّادِي، أَهْلَ أَعْتِقَادِ الْوَعْدِ وَالْمِيعَادِ<sup>(١)</sup>،  
أَهْدُوا الصَّلَاةَ إِلَى النَّبِيِّ الْهَادِي وَصِلُوا السَّلَامَ لَهُ مَعَ الْآبَادِ<sup>(٢)</sup>  
يَنْدَى نَسِيبًا مُذَكِّرًا تَسْنِيًا<sup>(٣)</sup>.  
أَوْصَافُهُ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ أَهْجُ: الْعَرَفُ يَنْفَحُ وَالسَّنَا يَتَبَلَّجُ<sup>(٤)</sup>،  
فَتَأَرَّجُ الْأَرْجَاءُ مِنْهُ وَتَبْهَجُ. فَاقَ الزَّوَاهِرَ نَوْرُهَا يَتَوَهَّجُ<sup>(٥)</sup>  
وَالزَّهْرَ نَفَّاحَ النَّسِيمِ وَسِيمًا<sup>(٦)</sup>

وفي مُوشَحَةٍ لآبِنِ سَهْلٍ الْإِشْبِيلِيِّ (ت ٦٤٩ هـ) نَفَسٌ قَرِيبٌ جِدًّا مِنْ «التَّوَشِيحِ»  
الذي يُقْرَأُ عَادَةً فِي الْمَوَالِدِ مَعَ عُذُوبَةٍ وَطَلَاوَةٍ عُرِفَ آبِنُ سَهْلٍ بِهَا وَنَفَقِدُ جَانِبًا كَبِيرًا  
مِنْهَا فِي شِعْرِ غَيْرِهِ. وفي ترجمة آبِنِ سَهْلٍ جَانِبٌ وَافٍ مِنَ الْمَوْشَحَةِ الْمَذْكُورَةِ.

وآبِنُ الْجَنَّانِ الْأَنْصَارِيِّ (ت بُعِيدَ ٦٥٢ هـ) عَالِمٌ وَأَدِيبٌ مَتَرَسِّلٌ وَشَاعِرٌ وَمِنْ الَّذِينَ  
أَكْثَرُوا الْقَوْلَ تَبَرُّكًا بِمَدِيحِ رَسُولِ اللَّهِ. وَلَهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ تَرْجَمَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ. ثُمَّ لَهُ مَوْشَحَةٌ  
بَارِعَةٌ فِي مَوْلِدِ الرَّسُولِ مَطْلَعُهَا (نفع الطيب ٧: ٤٣٢):

اللَّهُ زَادَ مُحَمَّدًا تَكْرِيمًا  
وَحَبَابَهُ فَضْلًا مِنْ لَدُنْهُ عَظِيمًا<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) .... الذين يؤمنون بالوعد (النشر من القبور) والميعاد (اجتماع الناس في الآخرة للحساب).  
(٢) الآباد جمع أبد: دهر (مدة لا تنتهي).  
(٣) يندى (يصدر منه هواء رطب بارد) يذكر الناس بوصف التسنيم (والتسنييم عين ماء في الجنة).  
(٤) أهج: أكثر نضارة (حسناً وتألقاً). العرف: الرائحة الطيبة. نفع الطيب (المسك، مثلاً): انتشرت رائحته. السنا: الضوء. تبلج الصبح: ظهر وأثار.  
(٥) تتأرجح الأرجاء (نواحي البلاد): تكتسب رائحة (طيبة). الزواهر: الزهر (بالضم) جمع أزهر: نجم مضيء. توهج: زاد اتقاداً أو اشتعالاً (نوراً).  
(٦) نفع النسيم: تحرك. نفع الطيب: انتشرت رائحته.  
(٧) إن كلمة «لَدُنْهُ» مشكولة (نفع الطيب ٧: ٤٣٢، السطر ١١) بكسرة على الهاء. ولا يمكن أن يكون =

## وَأَخْتَصَّهُ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيماً

ذَا رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً<sup>(١)</sup> صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيماً.

وفي ترجمة ابن الجنان جانب من هذه الموشحة.

ولا بن الجنان أيضاً عددٌ من القصائد في مدح الرسول. وله أيضاً «رَمَضَانِيَّةٌ»

(الإحاطة ٢: ٢٥٧ - ٢٥٨)، وهي تدخلُ في هذا الباب مادامَ الجامعُ بينَ الرَّمْضَانِيَّةِ

والميلادية مديحُ رسولِ الله. ومطلعُ هذه الرَّمْضَانِيَّةِ:

مضي رَمَضَانٌ أَوْ كَأَنِّي بِهِ مَضَى      وَغَابَ سَنَاهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَوْمَضَا.<sup>(٢)</sup>

فِيَا عَهْدَهُ قَدْ كَانَ أَكْرَمَ مَفْهَدٍ؛      وَيَا عَصْرَهُ أَغْزَزَ عَلَيَّ أَنْ أَنْقَضَى<sup>(٣)</sup>

أَلَمْ بَنَا كَالضَيْفِ فِي الطَّيْفِ زَائِراً      فَخَيَّمَ فِينَا سَاعَةً ثُمَّ قَوَّضَا.<sup>(٤)</sup>

فِيَا لَيْتَ شِعْرِي، إِذْ نَوَى غُرْبَةَ النَّوَى،      أَلِلسُّخْطِ عَنَّا قَدْ تَوَلَّى أَمِ الرُّضَا.<sup>(٥)</sup>

ثُمَّ قَالَ مُشِيراً إِلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ<sup>(٦)</sup>:

= هذا من عمل محقق الكتاب، بل من مساعد أو من مترجع. إن هذه الكلمة «لدنه» ترد في القرآن الكريم مرتين (٤: ٤٠، سورة النساء): «... وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْراً عَظِيماً» ثم (١٨: ٢، سورة الكهف): «لَيَنْزِلَنَّ بَاساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهِ». والنون في «لدن» مبنية على السكون، فإذا أضيف «لدن» إلى الهاء (ضمير الغائب) كانت الهاء مضمومة. فهي شبيهة «عن»، فنحن نقول: عنه (بضم الهاء لا بكسرها)، وكذلك نقول: «لدنه» بسكون النون وضم الهاء.

(١) في القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة): «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ (يعزُّ عليه: يؤله أن تلقوا مشقة أو مكروها)، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ».

(٢) كَأَنِّي بِهِ مَضَى (مضى منذ زمن يسير جداً. سناه: نوره. أومض: لمع لمعاناً خفيفاً) (رأى الشاعر أن رمضان لم يطل كثيراً = إن تقوى الشاعر وجهه للصيام جعله يشعر أن هذا الشهر كان قصيراً).

(٣) أَغْزَزَ عَلَيَّ أَنْ أَنْقَضَى: قد شقَّ عليَّ أَنْ يَنْقَضِيَ (لم أكن مسروراً بانتهاؤه).

(٤) أَلَمْ: زار زيارة خفيفة. الطيف: الحلم (بالضم)، المنام. خيَّم: نزل، حلَّ، سكن. قَوَّض: رفع الخيمة، رحل، سافر.

(٥) اذْ (لَا) نَوَى (قصد رمضان) غربة النوى (الفراق - ليمود الينا بعد أحد عشر شهراً). تَوَلَّى: ذهب.

(٦) ليلة القدر تكون في ليلة وتُر من العشر الليالي الأخيرة من رمضان: ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧ أو ٢٩ - من أحيا هذه الليلة (سهر فيها إلى الصبح ثم اتفق أن دعا دعاء صالحاً، فإن الله يستجيب هذا الدعاء).

وإن قُضِيَتْ قَبْلَ التَّفَرُّقِ وَقَفَّةٌ  
فِيَا حُسْنَهَا مِنْ لَيْلَةٍ جَلَّ قَدْرُهَا،  
وَقَالَ: أَطْلُبُوهَا تَسْعَدُوا بِطِلَابِهَا  
جَزَاهُ إِلَهُ الْعَرْشِ خَيْرُ جَزَائِهِ  
وَصَلَّى عَلَيْهِ مِنْ نَبِيِّ مُبَارَكٍ  
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا أَتَهَلَ سَاكِبٌ  
فَمَقْضِيَّتُهَا مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا قُضِيَ (١).  
وَحَضَّ عَلَيْهَا الْهَاشِمِيُّ وَحَرَّضَا (٢).  
فَحَرَّكَ أَرْبَابَ الْقُلُوبِ وَأَنْفَضَا (٣).  
وَأَكْرَمَنَا بِالْعَفْوِ مِنْهُ وَبِالرِّضَا؛  
رَوْوْفٍ رَحِيمٍ لِلرَّسَالَةِ مُرْتَضَى.  
وَذَهَبَ مُوشِي الرِّيَاضِ وَفَضَّضَا (٤).

وَلِأَبِي الْحَجَّاجِ يُونُسَ بْنِ مُوسَى الْمُتَشَاقِرِيِّ (القرن الثامن<sup>(٥)</sup>) فِي أَدَبِ  
الْمَوْلِدِ شِعْرٌ مِنْهُ مُسَدَّسَةٌ (٦) ثُمَّ مِنْهُ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ (٦٥ بَيْتًا) جَاءَ فِيهَا (نَفْحُ

- (١) يبدو أن الشاعر قد طلب ليلة القدر (سهر أملاً في أن يراها، فلم يرها).
- (٢) الهاشمي: محمد رسول الله. حضَّ عليها وحرَّضَا: حثَّ المسلمين على السهر في الليالي العشر الأواخر من رمضان في التقوى والعبادة.
- (٣) أرباب (أصحاب) القلوب: الذين يذهبون في العبادات مذهباً روحياً (يدركون الجانب الظاهر والمعنى الخفي من العبادة). أنفض: أخذ الأمر بالجدِّ (بالكسر) وجهد في تنفيذه؛ حرَّك، دفع.
- (٤) أنهل ساكب (هطل مطر كثير). وذهب موشِي الرِّياض وفضَّضَا: أنبت في الأرض نباتاً مذهباً (بضم الميم وفتح الهاء: بلون الذهب) وفضَّضَا.... (بلون الفضة).
- (٥) من نفح الطيب: كان المتشاقري هذا فقيهاً (٧: ٥١٢) قاضياً في رندة ومن شيوخ (أساتذة) لسان الدين بن الخطيب (٥: ٦٠٥)، ولكن لسان الدين نفسه يذكر أنه لقي المتشاقري مدة قصيرة جداً (٦: ١٣٩). وكانت بينها مراسلة (راجع ٦: ١٣٥ - ١٣٨). وتألّف المتشاقري كثيرة (٦: ١٤٥). ولما انتهى لسان الدين بن الخطيب من تأليف كتاب «الإحاطة بأخبار غرناطة»، سنة ٧٧١ للهجرة (راجع الإحاطة ١: ٦٨، مقدّمة عبد الله عنّان) كان المتشاقري لا يزال حياً (٦: ١٤٥).
- (٦) وصف المقرّي المسدّسة (القصيدّة المسمّطة: ذات الاختلاف في قوافيها) والتي يتألّف كلّ بيت (كلّ مجموع من ستّة أشطر) من أربعة أشطر بقافية مستقلّة ثمّ شطرين هما قفلة لكلّ بيت بقافية ثابتة (هي الميم في شطري القفلة). وقد قال المقرّي في وصفها (٧: ٥١٣ - ٥١٤): «وترتيبها على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب، فيما عدا الروي (يقصد الحرف الأساسي في قافية القفلة) فإنه على حرف الميم. وكذا آخر الشطر الذي قبله فإنه ميم أيضاً». وهذا نصّه (نصّ التسديس: المسدّسة بحروفه، ما عدا حرف الواو فلا في لم أجده وكمّلته على منواله). وترتيب الأجدية عند أهل المغرب، كما يبدو في هذا التسديس: من الألف إلى الزاي (أخت الراء) كترتيب المشاركة. ثمّ تستمرّ الأحرف على النسق التالي: ط، ظ، ك، ل، م (والميم غائبة من الأبيات لأنها في قافية القفلة) ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هاء، واو، ي (ألف مقصورة: ي بلا نقط)، ي (بنقطتين تحتها).

حَبِّي وَمَذْحِي أَحَدَ الْهَادِي الَّذِي  
أَسْمَى الْوَرَى فِي مَنْصِبٍ وَبِمَنْسَبِ  
الْحَقِّ أَظْهَرَهُ عَقِيبَ خَفَائِهِ،  
وَنَفَى هُدَاهُ ضَلَالَةً مِنْ جَائِرِ  
سُبْحَانِ مُرْسِلِهِ إِلَيْنَا رَحْمَةً  
وَالْمُعْجَزَاتُ بَدَتْ بِصِدْقِ رَسُولِهِ  
كَالظُّبِيِّ فِي تَكْلِيمِهِ، وَالْجِدْعُ فِي  
وَالنَّارِ إِذْ خَمَدَتْ بِنُورِ وِلَادَةِ،  
فَوَزُ الْأَنَامِ يَصْحُ فِي تَصْدِيقِهِ (١).  
مِنْ هَاشِمٍ زَاكِي النَّجَارِ عَرِيقِهِ (٢).  
وَالدِّينُ نَظَّمَهُ لَدَى تَفْرِيقِهِ (٣).  
مُسْتَوْتِقِي بِيْعُوْتِهِ وَيَعُوْقِهِ (٤).  
يَهْدِي، وَيُهْدِي الْفَضْلُ مِنْ تَوْفِيقِهِ (٥).  
وَحَقِيقَتُهُ بِالْمَأْتِرَاتِ خَلِيقِهِ (٦).  
تَخْنِينُهُ وَالْبَدْرُ فِي تَشْقِيقِهِ (٧).  
وَأُجَاجٌ مَلَكٌ قَدْ حَلَا مِنْ رَيْقِهِ (٨).

- (١) أحمد الهادي: محمد رسول الله. - فوز الإنسان (في الآخرة بدخول الجنة) يمكن إذا صدق الإنسان برسول الله) وعمل بما جاء به رسول الله.
- (٢) المنصب (هنا): المقام (مقام الرسالة). المنسب: النسب. زاكى: طاهر. النجار: الأصل. العريق: الكريم الأصل.
- (٣) محمد رسول الله أظهر الحق بعد أن كان الحق خافياً (بين الناس)، ثم نظم الدين بعد أن كان الدين (بين الناس) فوضى.
- (٤) هُده (هدى الرسول). الضلال والضلالة: السير في طريق الباطل. الجائر: الظالم، الحائد عن الطريق المستقيم. مستوق: معتقد، متمسك. يفوت ويعوق من الأصنام التي عبدتها جماعات من عرب الجاهلية.
- (٥) هو يهدي (بالبناء للمعلوم) الناس. ويهدي (بالبناء للمجهول) الفضل (نائب فاعل مرفوع): (زيادة الخير عما عند الآخرين) من توفيقه (من موافقة الناس لما جاء الرسول به؟). - ويجوز «يهدى» (بالبناء للمعلوم) الفضل (مفعول به زيادة الخير فيه عما عند غيره)..... المعنى، على كل حال، غامض لضعف التركيب.
- (٦) دلت معجزات رسول الله على صدق رسول الله. المأثرة: العمل الكريم. وحقيقته بالمأثرات خليقه (؟) وبحقيقته: بما عرف عنه من الأعمال الكريمة) خليقه (لا وجه لإعرابها بالجر): إِنَّ صدق الرسول المعروف والمشهور جملة خليقاً: مستحقاً، قادراً وأهلاً للمعجزات التالية؟)
- (٧) كلمه الظي وحنّ الجذع لفقده (راجع موشحة ابن سهل الإشبيلي، ت ٦٤٩ هـ). وأشار مرة إلى البدر فانشقّ البدر قسمين.
- (٨) يوم مولد رسول الله انطفاأت النار في فارس (وكانت تلك النار في الهيكل في ذلك الحين مشتلة منذ ألف سنة بلا انقطاع). في التاريخ: إن النار انطفاأت (في نحو ذلك الزمن). الأجاج: الماء الشديد اللوحة.

والزادُ قَلَّ، فزادَ من بَرَكَاتِهِ فكفى الجيوشَ بَتَمَرِهِ وَسَوِيْقِهِ (١).  
غيرَ أنَّ «مُسَدَّسَةَ الْمُنتَشَاقِرِيِّ» (نفع الطيب ٧: ٥١٢ - ٥١٧) أَعْلَى نَفْساً وَأَحْسَنُ  
مَعَانِي وَأَقْرَبُ إِلَى الْجَوِّ الرُّوحِيِّ لِلنُّبُوَّةِ. قال المنتشاقرِيُّ:

حَلَّ فِي طَيِّبَةِ رَسُولٍ كَرِيمٍ      فعليه الصلاة والتسليم (٢).

★ ★ ★

صَفْوَةُ الْخَلْقِ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ،      مُرْشِدُ النَّاسِ لِلطَّرِيقِ السَّوَاءِ،  
وَالْعِمَادُ الْمَسْلَاذُ فِي الْأَوَاءِ      وَشَفِيعُ الْعُصَاةِ يَوْمَ الْجَزَاءِ (٣)؛  
يَوْمَ يَبْدُو لَدَيْهِ جَاءٌ عَظِيمٌ      فعليه الصلاة والتسليم.

★ ★ ★

أَذْهَبَ الْغَيِّ نَوْرُهُ وَالْغِيَا هِيبَ      فَأُضَاءَتْ مَشَارِقُ وَمَغَارِبُ (٤)،  
وَعَدَا الْحَقُّ غَالِباً لِلْأَكَاذِبِ      وَبَدَتْ مِنْهُ لِلْأَنَامِ عَجَائِبُ  
صِدْقِ أَقْوَالِهِ بِهَا مَعْلُومٌ      فعليه الصلاة والتسليم.

★ ★ ★

كُلُّ دِينٍ بِدِينِهِ مَنسُوخٌ (٥)؛      فَسَوَى مَا قَضَى بِهِ مَفْسُوخٌ.  
لِهُدَاةٍ بِكُلِّ قَلْبٍ رُسُوخٌ،      فَالْوَرَى مَادِحٌ لَهُ وَمُصِيخٌ (٦).  
كُلُّهُمْ فِي هَوَى النَّبِيِّ يَهِيمُ،      فعليه الصلاة والتسليم.

★ ★ ★

(١) السويق: نقيع الشعير.

(٢) طيبة: المدينة المنورة.

(٣) العِمَادُ (الذي يُعْتَمَدُ وَيُعْتَمَدُ عَلَيْهِ). الْمِلَازِدُ: الْمَلْجَأُ. الْأَوَاءُ: ضِيقُ الْمَعِيشَةِ وَشِدَّةُ الْمَرَضِ. يَوْمَ الْجَزَاءِ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٤) الْغَيِّ: الضَّلَالُ. الْغِيَا هِيبُ: الْغِيَابُ.

(٥) مَنْسُوخٌ: مَلْفُوحٌ. الدِّينُ لَا يَلْفُوحُ، وَإِنَّمَا الَّذِي نَسَخَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) هُوَ الشَّرِيعَةُ (نِظَامُ الْمَعَامَلَاتِ). الْإِسْلَامُ لَمْ يَلْغِ الدِّينَ كَمَا أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى وَعِيسَى. وَلَكِنْ النَّاسُ نَسُوا (بِضَمِّ السِّينِ) هَذَيْنِ الدِّينَيْنِ. ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِحَقِيقَةِ الدِّينِ وَأَبْطَلَ شَرِيعَةَ الدِّينَيْنِ السَّابِقَيْنِ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ تَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْأَزْمَانِ.

(٦) مُصِيخٌ: مَا نَلَّ بِسَمْعِهِ.

فَاقَ بِالْمَوْلِدِ السَّعِيدِ رَبِيعُ      أَنَّ فِيهِ بَدَا الْجَلالُ الرَّفِيعُ:  
مَنْ هُوَ الذُّخْرُ وَالْعِمَادُ الْمُنِيعُ،      فَمَلَأَ لِلْمُذْنِبِينَ شَفِيعُ  
وَرَوْفٌ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمٌ<sup>(١)</sup>      فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

★ ★ ★

قَدْ سَمَا قَدْرُهُ بِغَيْرِ تَنَاهِي<sup>(٢)</sup>      وَعَلَا جَاهُهُ عَلَى كُلِّ جَاءٍ:  
أَمِرٌ بِالتَّقَى، عَنِ الشَّرِّ نَاهٍ؛      مَنْ يُطِيعُهُ يَنْلُ ثَوَابَ الْإِلَهِ،  
وَلَهُ عِنْدَهُ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ<sup>(٣)</sup>.      فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

وفي هذا السِّلْكُ يأتي الإمامُ مالِكُ بْنُ الْمُرَحَّلِ الْمَالِقِيُّ السَّبْتِيُّ (الْأَنْدَلُسِيُّ الْمَغْرِبِيُّ) وَالمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٩٩ لِلْهِجْرَةِ فَيَزِيدُ عَلَى ابْنِ سَهْلٍ الْإِسْبِيلِيَّ فِي الصَّنَاعَةِ (رَاجِعْ تَرْجَمَةُ الشَّاعِرِينَ) وَلَمْ يُقَصِّرْ عَنْهُ فِي الطَّلَاوَةِ. غَيْرَ أَنَّ ابْنَ الْمُرَحَّلِ يَفْضَلُ ابْنَ سَهْلٍ فِي أَنَّهُ جَلَا الْكَلَامَ عَلَى الرَّسُولِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جَوْهِ الرُّوحِيِّ، بَيْنَمَا ابْنُ سَهْلٍ قَدْ مَدَّ الْقَوْلَ فِي تَشَابِيهِ مَادِّيَّةِ تَنْطَوِي عَلَى تَجْسِيمِ (رَاجِعْ نَفْحَ الطَّيِّبِ ٧: ٤٤٥ - ٤٤٩، مَوْشَحَةُ ابْنِ سَهْلٍ تَمَّ ٤٥٣ - ٤٥٩، مَوْشَحَةُ ابْنِ الْمُرَحَّلِ).

ولأبي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ التَّنَسِيَّ (مَنْ أَحْيَا الْقُرْنَ الثَّامِنَ لِلْهِجْرَةِ) كِتَابَانِ فِي تَارِيخِ الْمَغْرِبِ: «رَاحُ الْأَرْوَاحِ فِيمَا قَالَهُ الْمَوْلَى أَبُو حَمَّوٍ مِنَ الشَّعْرِ وَقِيلَ فِيهِ مِنَ الْأَمْدَاحِ وَمَا يُوَافِقُ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ الْإِقْتِرَاحِ» تَمَّ «نَظْمُ الدَّرِّ وَالْعِيقَانِ فِي شَرَفِ بَنِي زَيْيَانَ وَمُلُوكِهِمُ الْأَعْيَانِ» عَرَضَ فِيهَا لِأَدَبِ الْمَوْلِدِ وَلِاحْتِفَالِ الْمَغَارِبَةِ بِلَيْلَةِ الْمَوْلِدِ. جَاءَ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٦: ٥١٣ - ٥١٥):

وَكَانَ السُّلْطَانُ أَبُو حَمَّوٍ الْمَمْدُوحُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ<sup>(٤)</sup> يَحْتَفِلُ لَلَّيْلَةِ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَايَةَ الْإِحْتِفَالِ، كَمَا كَانَ مُلُوكُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ، فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ

(١) رَاجِعِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ (٩: ١٢٨، سُورَةُ التَّوْبَةِ).

(٢) التَّنَاهِي: بُلُوغُ الشَّيْءِ إِلَى نَهَايَةِ يَقِفُ عِنْدَهَا.

(٣) نَعِيمٌ مُقِيمٌ: دَائِمٌ.

(٤) «مَا عَلَى الصَّبِّ فِي الْهَوَى مِنْ جَنَاحٍ»، لِيَحْيَى بْنِ خَلْدُونَ.

وما قبله، (يفعلون). ومن احتفاله له<sup>(١)</sup> ما حكاه شيخُ شيوخِ شيوخنا الحافظُ سيدي أبو عبد الله التنسيُّ ثم التلمسانيُّ في كتابه «راح الأرواح....»، ونصُّه:

إنه<sup>(٢)</sup> كان يُقيمُ ليلةَ الميلادِ النَّبَوِيِّ - على صاحبه الصلاة والسلام - بمشورة<sup>(٣)</sup> من تلمسان المحروسة مدعاة حَفِيلَةٍ يُحْشَرُ فيها الناسُ خاصَّةً وعامَّةً، فما شئتَ من غارقٍ مصفوفةٍ وزرَّابِيٍّ مَبْثُوثَةٍ<sup>(٤)</sup> وبُسْطٍ مُوشَّاةٍ ووسائدٍ بالذهبِ مُغَشَّاةٍ<sup>(٥)</sup>، وشَمْعٍ كالأسطواناتِ وموائدٍ كالهالات، ومباخرٍ منصوبةٍ كالقبابِ يخالها المُبْصِرُ تَبْرًا مُذَاب<sup>(٦)</sup>. ويُفاضُ على الجميعِ أنواعُ الأطيعةِ كأنها أزهارُ الربيعِ المُنْعَمَةِ<sup>(٧)</sup> تشتهيها الأنفُسُ وتستلذها النواظرُ. ويخالطُ حُسنُ رِيَّاءِ الأرواحِ ويُخامرُ<sup>(٨)</sup>. رُتَّبُ الناسِ فيها على مراتبهم ترتيبَ احتفالٍ، وقد علَّتِ الجميعَ أبهةُ الوَقَارِ والإجلالِ.

وبعقب ذلك يَحْتَفِلُ السُّمِعُونَ<sup>(٩)</sup> بأمداحِ المُصْطَفَى عليه الصلاة والسلام، ومُكْفَرَاتٍ تُرْعَبُ في الإقلاعِ عن الآثامِ<sup>(١٠)</sup>، يَخْرُجُونَ فيها من فنٍّ إلى فنٍّ ومن أسلوبٍ إلى أسلوبٍ ويأتون من ذلك بما تَطَرَّبَ له النفوسُ وترتاحُ إلى سماعه القلوبُ. وبالقُرْبِ من السُّلْطَانِ - رضوانُ الله تعالى عليه - خِزانةُ المِنْجَانَةِ<sup>(١١)</sup> قد زُخِرَتْ

(١) الاحتفال: الاجتماع للقيام بتكريم إنسان أو حادثة.

(٢) \_أبو حو.

(٣) مشورة (هنا) يبدو أنها مكان أو بناء خاص أو جانب من بناء.

(٤) في القرآن الكريم (٨٨: ١٥ - ١٦، سورة الفاشية): ﴿..... وغارق مصفوفة وزرَّابِيٍّ مَبْثُوثَةٍ﴾. النمرق والنمرقة (بضم النون فيها): الوسادة (المخددة) الصغيرة يتكىُّ الجالس عليها. الزريَّة (بالفتح): ساط كفيف أو حصير (والعامَّة يقولون: «سجادة»). مَبْثُوثَةٌ: متفرقة في أماكن مختلفة.

(٥) الوشي: النقش في النسيج بأشكال مختلفة وألوان مختلفة (التزيين). مغشاة: مستورة (عليها تزيين كثير بجيوب الذهب).

(٦) حقّ «مذاب» النصب: مذاباً. في التجويد (قراءة القرآن) يمكن الوقوف على المرفوع والمجرور بالسكون، ولكنَّ المنصب يجب الوقوف عليه بالفتحة. ولكنَّ الكاتب هنا أراد أن يناسب بين «مذاب» و«كالثباب» في الجمع. وهذا خطأ.

(٧) المنعم: (هنا) المزخرف (المزِين) المرقش (بالألوان المختلفة).

(٨) الرِّيَا: الرائحة الطيبة. خامر: خالط.

(٩) المسمع: المغني. المصطفى: المختار (رسول الله).

(١٠) يبدو أن المكفَّرات (هنا) قصائد دينية تحثُّ على الإقلاع (ترك) عن الآثام (الذنوب).

(١١) المنجانة (بجيم فارسية): ساعة تدلُّ على الوقت.

كَأَنَّهَا حُلَّةٌ يَمَانِيَّةٌ لَهَا أَبْوَابٌ مُوجِفَةٌ<sup>(١)</sup> عَلَى عَدَدِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ الزَّمَانِيَّةِ. فَمَهْمَا مَضَتْ سَاعَةٌ وَقَعَ النَّقْرُ بِقَدْرِ حِسَابِهَا، وَفُتِحَ عِنْدَ ذَلِكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا وَبَرَزَتْ مِنْهُ جَارِيَةٌ صُورَتْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فِي يَدَيْهَا الْيُمْنَى رُقْعَةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَظْمٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِأَسْمِهَا مَسْطُورَةٌ قَتَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ بِلَطَافَةٍ، وَيُسْرَاهَا عَلَى فَمِهَا كَالْمُؤَدِّيَةِ بِالْبَايَعَةِ حَقَّ الْخِلَافَةِ. هَكَذَا حَالُهُمْ إِلَى أَنْ يَلَاجِ عَمُودُ الصَّبَاحِ وَنِدَاءُ الْمُنَادِي: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ<sup>(٢)</sup>.

وَيُنْقَلُ الْمُقَرَّرُ قِطْعَةً ثَانِيَةً فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ نَفْسِهِ مِنْ كِتَابِ التَّنْسِي: نَظْمُ الدَّرِّ وَالْعِقْيَانِ «...»، (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٥١٤: ٦ - ٥١٧). وَمَعَانِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ الثَّانِيَةِ هِيَ مَعَانِي الْقِطْعَةِ الْأُولَى مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي التَّعْبِيرِ وَمَعَ اخْتِصَارٍ يَسِيرٍ هُنَا وَتَفْصِيلٍ يَسِيرٍ هُنَاكَ. وَيَكْثُرُ التَّفْصِيلُ فِي وَصْفِ الْمِنْجَانَةِ مَعَ ذِكْرِ الْأَشْعَارِ الَّتِي تُقَالُ عِنْدَ كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ.

وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ لِلِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ (ت ٧٧٦ هـ) مِيلَادِيَّاتٌ (قِصَائِدُ طُوَالٍ قِيلَتْ فِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ). مِنْ ذَلِكَ مَثَلًا قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤٥١: ٦ - ٤٥٥):

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأَذْكُرُنِي نَجْدًا      وَهَاجَ يَ الشَّوْقَ الْمُبْرَحَ وَالْوَجْدَا<sup>(٣)</sup>.  
ثُمَّ يَقُولُ:

إِذَا أَنْتَ شَافَهْتَ الدِّيَارَ بِطَيِّبَةٍ      وَجِئْتَ بِهَا الْقَبْرَ الْمُقَدَّسَ وَاللَّحْدَا<sup>(٤)</sup>،  
وَأَنْسَبْتَ نَوْرًا مِنْ جَنَابِ مُحَمَّدٍ      يُجَلِّي الْقُلُوبَ الْغُلْفَ وَالْأَعْيُنَ الرُّمْدَا<sup>(٥)</sup>،

(١) موجفة: مغلقة (أوجف الباب: أغلقه).

(٢) نداء المنادي: أذان المؤذن. حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ (الأذان لصلاة الصبح: بين ظهور الفجر وطلوع الشمس).

(٣) تَأَلَّقَ (البرق): لمع. نَجْدِيًّا: مِنْ جِهَةِ نَجْدٍ (شَمَالِيٍّ شَبِهَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ). الْمُبْرَحَ: الْمَتَعَبَ، الْمُعَذِّبَ. الْوَجْدَا: الْحَبَّ.

(٤) شَافَهَ الرَّجُلَ الْمَكَانَ: اقْتَرَبَ مِنْهُ. طَيِّبَةٍ: الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ. الْقَبْرَ: قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ.

(٥) الْأَغْلَفُ: الَّذِي عَلَيْهِ غَطَاءٌ طَبِيعِي (قَلْبٌ أَغْلَفَ: لَا تَصِلُ إِلَيْهِ النَّصِيحَةُ أَوْ الْحَقِيقَةُ). الْعَيْنُ الرَّمْدَاءُ (الَّتِي أَصَابَتْ بِمَرَضِ الرَّمَدِ فَحَالَ ذَلِكَ دُونَ رُؤْيَيْهَا الْأَشْيَاءَ بوضوح).



فَنَبَّ عَنْ بَعِيدِ الدَّارِ فِي ذَلِكَ الْحِمَى  
 وَقُلْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَبْدٌ تَقَاصَرَتْ  
 وَلَمْ يَسْتَطِعْ، مِنْ بَعْدِ مَا بَعْدَ الْمَدَى،  
 تَدَارِكُهُ، يَا غَوَتْ الْعِبَادِ، بَرَحَةٍ؛  
 أَجَارَ بِكَ اللَّهُ الْعِبَادَ مِنَ الرَّدَى  
 حَمَى دِينِكَ الدُّنْيَا وَأَقْطَعَكَ الرِّضَا  
 تَقَدَّمْتَ مُخْتَاراً تَأَخَّرْتَ مَبْعَثاً؛  
 وَعِلَّةُ هَذَا الْكُونِ أَنْتَ؛ وَكُلُّ مَا  
 فَمَاذَا عَسَى يُثْنِي عَلَيْكَ مُقَصِّرٌ،  
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ، يَا كَاشِفَ الْعَمَى،  
 تَقْضَى زَمَانِي فِي «لَعَلَّ» وَفِي «عَسَى»  
 إِلَى أَنْ أَحْطَ الرَّحْلُ فِي تَرْبِكَ الَّذِي  
 لِمَوْلِدِكَ أَهْتَزُّ الْوُجُودُ فَأَشْرُقُ

قُصُورٌ يَبْصُرُ ضَاءَاتِ الْهَضْبِ وَالْوَهْدِ (١٢)

- (١) ناب فلان عن فلان: قام مقامه وفعل ما يجب عن الآخر. أذرى فلان الدمع: نثره (بكى). عفر (مَرَّ بالتراب)
- (٢) أضحى من أحبته فرداً: لم يبق له محب (٩).
- (٣) تعناد (بالبناء للمعلوم) = تعتاده (تعود إليه مرة بعد مرة).
- (٤) أجدى: أنفع. ما أجدى: ما أنفعه. ما أئدى كفك: ما أكثر نداها (كرمها).
- (٥) بوأ الله العبد مكاناً: أنزله فيه وأسكنه.
- (٦) اختارك الله للرسالة قبل جميع الأنبياء، ولكن جعلك آخرهم في الزمن.
- (٧) والله خلق هذا العالم من أجل أن تكون أنت رسولاً إليه. وكل شيء خلقه الله بعد ذلك كان أيضاً من أجلك. أبدأ: فعل الشيء ابتداء (للمرة الأولى). أعاد العمل: عمله ثانية وثالثة الخ.
- (٨) ألا يالو ألوأ: قصّر. الذكر (القرآن الكريم).
- (٩) الروع: الخوف. أربد: تغير لونه (أظلم، اشتد).
- (١٠) اللوعة: حرقة الحب أو الحزن.
- (١١) الندّ: (بالفتح): الرائحة الطيبة، (بالكسر): المشيل، الكفو.
- (١٢) اهتز الإنسان (طرب، فرح). لما ولد الرسول: أضاءت السماء وظهرت أقطار العالم واضحة، حتى إن المباني التي في بصرى (في الشام) رؤيت من مكة. الهضب: المكان العالي. الوهد: المكان المنخفض.

ومن رُغْبِهِ الْأَوْثَانُ خَرَّتْ مَهَابَةً،  
وَمِنْ هَوْلِهِ إِيْوَانُ كِسْرَى قَدْ أَنْهَدًا<sup>(١)</sup>.  
وَعَاظَ لَهُ الْوَادِي، وَصَبَحَ غِرَّهُ  
بُيُوتًا لِلنَّارِ الْفَرْسِ أَعْدَمَهَا الْوَقْدَا<sup>(٢)</sup>.  
رَعَى اللَّهُ مِنْهَا لَيْلَةً أَطْلَعَ الْهُدَى  
عَلَى الْأَرْضِ مِنْ آفَاقِهَا الْقَمَرَ السَّعْدَا.  
وَلِلَّسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ «مِلَادِيَّةٌ» بَارِعَةٌ رَقِيقَةٌ لَمْ يَحْفَظِ الْمَقْرِيُّ مِنْهَا سِوَى  
الْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٦: ٥٠٩ - ٥١٠):

مَا عَلَى الْقَلْبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُنَاحٍ  
أَنْ يُرَى طَائِرًا بِغَيْرِ جَنَاحٍ<sup>(٣)</sup>،  
وَعَلَى الشَّوْقِ أَنْ يَشَبَّ إِذَا هَبَّ  
سَبَّ بِأَنْفَاسِكُمْ نَسِيمُ الصَّبَاحِ<sup>(٤)</sup>.  
جِرَّةَ الْحَيِّ، وَالْحَدِيثُ شُجُونُ  
وَاللَّيَالِي تَلْسِينُ بَعْدَ الْجَبَاحِ<sup>(٥)</sup>،  
أَتَرُونَ السُّلُوَ خَامَرَ قَلْبِي  
بَعْدَكُمْ؟ لَا، وَفَالِقِ الْإِصْبَاحِ<sup>(٦)</sup>!  
وَلَوْ أَنِّي أُعْطِيَ اقْتِرَاحِي عَلَى الْـ  
لَيَّامِ مَا كَانَ بَعْدُكُمْ بِاقْتِرَاحِي.  
ضَايِقَتْنِي فِيكُمْ صُرُوفُ اللَّيَالِي  
وَأَسْتَدَارْتُ عَلَيَّ دَوْرَ الْوِشَاحِ<sup>(٧)</sup>؛  
وَسَقَتْنِي كَأْسَ الْفِرَاقِ دِهَاقًا  
فِي أَغْتَبَاقِ مُوَاصِلٍ وَأَصْطَبَاحِ<sup>(٨)</sup>.  
وَأَسْتَبَاحْتُ مِنْ جِدَّتِي وَفَتَاتِي  
حَرَمًا لَمْ أَخْلُهُ بِالْمُسْتَبَاحِ<sup>(٩)</sup>.  
يَا تُرَى - وَالنَّفُوسُ أَسْرَى الْأَمَانِي  
مَا لَهَا مِنْ وَثَاقِهَا مِنْ سَرَّاحٍ؟  
هَلْ يُبَاحُ الْوُرُودُ بَعْدَ ذِيَادٍ  
أَوْ يُتَاحُ اللَّقَاءُ بَعْدَ انْتِزَاحِ<sup>(١٠)</sup>؟

- (١) خر: سقط. إيوان كسرى: قصر شرق بغداد كان للملك الفرس. وقد انشق جانبه ليلة مولد الرسول وسقط عدد من شرفاته (وفي التاريخ ما يدلّ على حدوث ذلك في نحو ذلك الوقت).
- (٢) غاض الوادي (النهر): غار ماؤه وجفّ (في ذلك الحين غار الماء في بحيرة ساوة في فارس). العزّ: القوة والمجد. صبحنا الحادث: جاءنا صباحاً. - في ذلك الحين انطفعت النار في الهيكل الكبير بعد أن ظلت مشتعلة ألف عام بلا انقطاع.
- (٣) جناح (بالضم): لوم، ذنب.
- (٤) شبّ الشوق (الحبة): اشتعل، زاد. هبّ: جرى، قويّ.
- (٥) الشجن (بفتح فتح): الغصن. الحديث شجون (أنواع مختلفة ومتشعبة). الجباح: الشدة والعصيان.
- (٦) السلو: النسيان. خامر: خالط. فالق الإصباح (الله تعالى)، والواو للقسم.
- (٧) صروف الليالي: الأحداث والمصائب. واستدارت عليّ دور الوشاح (أحاطت بي من كل مكان).
- (٨) دهاقاً: مملوءاً. الاغتياق والاصطباح: شرب الخمر مساء وصباحاً.
- (٩) الجدة: الزهو والقوة. الفناء: الشباب.
- (١٠) الورد: شرب الماء. ذياود: طرد، منع. الانتزاح: البعاد.

وإذا أعوزَ الجُسمَ التلاقي، نابَ عنه تعارفُ الأرواح.

ويرى المقرئ، بحق، أنَّ أبا زكريّا يحيى بن خلدون (ت ٧٨٠ هـ) قد حاكى هذه القصيدة للسان الدين لما مدح السلطان أبا حمّو في مَوْلِدِ سَنَةِ ثَمَانِيَّةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ (في صيف عام ١٣٧٦ م) فقال (نفع الطيب ٦ : ٥١٠ - ٥١٣):

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُناح أن يُرى حِلْفَ عُبْرَةٍ وافتِضاح<sup>(١)</sup>.

(وفي ترجمة يحيى بن خلدون مختاراتٌ من هذه القصيدة).

ولابن زَمْرَكَ التَّوَقَّى سَنَةَ ٧٩٥ - أو بعدها بقليل (نفع الطيب ٧ : ١٧١ - ١٩٥) بَدِيعَاتٌ تجري في قصائد وموشحات. من هذه البديعات قصيدته التي أنشدّها في مَوْلِدِ سَنَةِ ٧٦٧ للهجرة (نفع الطيب ٧ : ١٧٩ - ١٨٣):

زارَ الحَيْسَالُ بِأَيْمَنِ الزُّوراءِ فجلا سَناءُ غياهبِ الظَّلَماءِ<sup>(٢)</sup>.

قال فيها:

يا ليتَ شِعْري، هل أرى أطوي إلى	قبرِ الرسولِ صحائفَ البَيِّداءِ
فَتَطِيبَ في تلكَ الرُّبوعِ مدائحي	ويَطُولَ في ذاكَ المَقامِ ثَوائي <sup>(٣)</sup> ؟
حيثُ النُّبُوَّةُ نورُها مُتَأَلَّقُ	كالشمسِ تُزْهِى في سَناءٍ وَسَاءٍ <sup>(٤)</sup> ؛
حيثُ الرِّسالةُ في ثَنِيَّةٍ قُدْسِها	رَفَعَتْ لِهَدْيِ الخَلْقِ خَيْرَ لَواءٍ <sup>(٥)</sup> ؛
حيثُ الضَّرِيحُ، ضَرِيحُ أَكْرَمِ مُرْسَلٍ،	فَخَرِ الوجودِ وشافعِ الشُّفَعاءِ؛
المُصْطَفَى والمُرْتَضَى والمُجْتَبَى	والمُنْتَقَى مِنْ عُنْصُرِ العَلِياءِ <sup>(٦)</sup> .

(١) الجناح (بالضم): اللوم، الذنب. العبارة: الدفعة (البكاء).

(٢) الزوراء: المكان الذي في الطريق إليه الخناء. والزوراء علم على مدينة بغداد لأن نهر دجلة ينعطف قبل الوصول إليها. السنا: النور. الغيب: الظلمة. الظلماء: الليل.

(٣) السناء: المكث (بالضم): الإقامة.

(٤) متألّق: لامع. تزهى (كذا في الأصل): تفتخر تتكبر. لعلّها «تزهو»: تضيء، تنير. السنا: النور. السناء (بالهمزة): العلو، الارتفاع.

(٥) ثنية (؟) قدسها (الطهارة، البركة، السمو والرفعة): قدسها الخالص التام الكامل.

(٦) المصطفى: المختار. المجتبى: المقرب.

وَبَلِيلَةَ الْمِيلَادِ كَمْ مِنْ رَحْمَةٍ  
 قَدْ بَشَّرَ الرُّسُلُ الْكِرَامُ بِبَعْثِهِ،  
 أَكْرَمَ بِهَا بُشْرَى عَلَى قَدَمِ سَرَتٍ  
 أَمْسَى بِهَا الْإِسْلَامُ يُشْرِقُ نَوْرُهُ،  
 هُوَ آيَةُ اللَّهِ الَّتِي أَنْوَارُهَا  
 وَالشَّمْسُ لَا تَخْفَى مَرْيَّةٌ فَضْلِهَا  
 يَا مُصْطَفَى - وَالْكَوْنُ لَمْ تَعْلَقْ بِهِ،  
 يَا مُظْهِرَ الْحَقِّ الْجَلِيِّ وَمُطْلِعَ النَّوْرِ  
 يَا مَلْجَأَ الْخَلْقِ الْمُشْفَعَ فِيهِمْ،  
 يَا آسِيَ الْمَرْضَى وَمُنْتَجَعَ الرِّضَا  
 أَشْكُو إِلَيْكَ، وَأَنْتَ خَيْرُ مُؤَمِّلٍ،  
 إِنْ كُنْتُ لَمْ أَخْلُصْ إِلَيْكَ، فَإِنَّمَا

- نَشَرَ الْإِلَٰهَ بِهَا - وَمِنْ نَعْمَاءِ .  
 وَتَقَدَّمَ الْكُفَّانُ بِالْأَنْبَاءِ .  
 فِي الْكَوْنِ كَالْأَرْوَاحِ فِي الْأَعْضَاءِ .  
 وَالْكَفْرُ أَصْبَحَ فَاحِمَ الْأَرْجَاءِ .  
 تَجَلَّوْا ظِلَامَ الشُّكِّ أَيَّ جَلَاءِ .  
 إِلَّا عَلَى ذِي الْمُقَلَّةِ الْعَنِيَاءِ .  
 مِنْ بَعْدُ، أُنْدِي الْخَلْقَ وَالْإِنْشَاءَ <sup>(١)</sup>،  
 نُورِ السَّيِّئِ السَّاطِعِ الْأَضْوَاءِ،  
 يَا رَحْمَةَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ،  
 وَمُؤَاسِي الْأَيْتَامِ وَالضُّعْفَاءِ <sup>(٢)</sup>  
 دَاءِ الذُّنُوبِ. وَفِي يَدَيْكَ دَوَائِي .  
 خَلَصْتَ إِلَيْكَ مَحَبَّتِي وَنِدَائِي <sup>(٣)</sup> .

ثم يستطردُّ آبنُ زَمَرَكَ إِلَى مَدْحِ مُحَمَّدٍ الْخَامِسِ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ مَلِكِ غَرْنَاطَةَ <sup>(٤)</sup>، مَعَ  
 الْإِشَارَةِ إِلَى الْإِحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ:

وَيَسْفِدِ مَوْلَايَ الْإِمَامَ مُحَمَّدٍ  
 يَا آبَنَ الْخَلَائِفِ مِنْ بَنِي نَصْرِ وَمَنْ  
 مِنْ كُلِّ مَنْ تَقِفُ الْمُلُوكُ بِبَابِهِ

تَعِدُّ الْأَمَانِي أَنْ يُتَاحَ لِقَائِي .  
 حَاطُوا ذِمَارَ الْمِلَّةِ السَّنْحَاءِ <sup>(٥)</sup>  
 يَسْتَمْطَرُونَ سَحَائِبَ النَّعْمَاءِ .

(١) الكون (هنا) العالم، الوجود. الإنشاء: الإيجاد من العدم. - اختاركَ الله (يا محمد) قبل أن يبدأ الله خلق هذا العالم.

(٢) الآسي: الطبيب، المداوي. منتجع الرضا (الذي يطلب الناس رضاءه). المؤاسي: الذي يساوي الآخرين بنفسه - الذي يؤاسي أو يحاول تخفيف آلام الآخرين.

(٣) خلص فلان إلى المكان: استطاع أن يصل إليه مختزلاً أزدحام الناس.

(٤) محمد (الغني بالله) بن يوسف ثامن سلاطين بني نصر في غرناطة (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) وخامس من كان اسمه محمداً منهم.

(٥) الذمار: الكيان والحرمة (ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه). الملة السحباء: الدين اللين السهل (لا تعقيد ولا تشدد فيه)، الإسلام.

قَوْمٌ إِذَا قَادُوا الْجُيُوشَ إِلَى الْوَعَى      فَالرُّغْبُ رَائِدُهُمْ إِلَى الْأَعْدَاءِ،  
وَالْعِزُّ مَجْلُوبٌ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ،      وَالنَّصْرُ مَعْقُودٌ بِكُلِّ لِوَاءٍ.  
يَا فخرَ أُنْدُلُسٍ وَعِصْمَةَ أَهْلِهَا،      يَجْزِيكَ عَنْهَا اللَّهُ خَيْرَ جَزَاءٍ،  
كَمْ خُضْتَ طَوْعَ صَلَاحِهَا مِنْ مَهْمَةٍ      لَا تَهْتَدِي فِيهِ الْقَطَا لِلْمَاءِ<sup>(١)</sup>.  
عَظُمْتَ مِلَادَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ      وَشَفَعْتَهُ بِاللَّيْلَةِ الْفَرَاءِ<sup>(٢)</sup>.  
أَخِيَّتَ لَيْلِكَ سَاهِرًا فَأَقْدَتْنَا      قُوتَ الْقُلُوبِ بِذَلِكَ الْإِحْيَاءِ<sup>(٣)</sup>.

وَلَا بِنِ زَمْرِكَ مُوشَعَةٌ فِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ (نفع الطيب ٧: ٢٨٠ - ٢٨١) مطلعها:

لَوْ تَرَجُّعُ الْأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهَابِ،      لَمْ تَقْدَحِ الْأَيَّامُ ذِكْرِي حَبِيبٍ<sup>(٤)</sup>.  
وَكُلُّ مَنْ نَامَ يَلِيلَ الشَّبَابِ      يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُبْحِ الْمَشِيبِ<sup>(٥)</sup>.

★ ★ ★

والبیتان الأخیران فیها<sup>(٦)</sup>:

(هل يُحْمَلُ الزَادُ لِدارِ الْكَرِيمِ)      الْمُصْطَفَى الْهَادِي شَفِيعُ مَطَاعٍ<sup>(٧)</sup>.  
فجَاهُهُ ذُخْرُ الْفَقِيرِ الْعَدِيمِ      وَحُبُّهُ زَادِي، وَنِعْمَ الْمَتَاعُ

- (١) المهمة: الأرض المقفرة (الخالية). القطا: طير قوي الحاسة للماء.
- (٢) الفراء: البياض (الباركة). الليلة الفراء (٤). لعلها ليلة عاشوراء (راجع، تحت، ص ١٣٠ - ١٣١).
- (٣) قوت القلوب: غذاء الروح. الإحياء: سهر الليل في العبادة. في الحاشية (نفع الطيب ٧: ١٨٣): إن الشاعر يورِي هنا (يشير) إلى كتاب «قوت القلوب» (لأبي طالب المكي) وكتاب «إحياء علوم الدين» (لأبي حامد الغزالي). هذا التعليل بعيد.
- (٤) قدحت الأيام في الشيء: أتلفت جانباً منه. لم تقدح الأيام ذكرى حبيب (لم تنسى حبيبي). - منها يَنْقُضُ عَلَى الْحَبِّ مِنَ الزَّمَنِ لَا يَنْسُ أَحِبَّاءَهُ (لقد شاخ الشاعر، ولكنه ما يزال يرجو الذهاب إلى الحج؟).
- (٥) إذا غفل الإنسان في أيام شبابه (عن بعض العبادة)، فإنه يعود (إلى ذلك الجانب من العبادة) حيناً تتقدّم به السن.
- (٦) البيت في الموشح (وفي المسمط) عدد من الأشطر يجمع بينها ترتيب معيّن في قوافيها.
- (٧) «هل يحمل الزاد لدار الكريم» شطر للفقير الزاهد أبي عبد الله أبي الحجاج يوسف المنصفي (نسبة إلى النصف، وهي قرية قرب بلنسية). وكان للمنصفي رحلة إلى المشرق. وسكن سبعة وهو من أحياء النصف الأول من القرن السابع للهجرة (راجع المغرب ٣: ١٣٥٤، نفع الطيب ١: ١٨١، ٣: ٣٣٦، ٤: ٥٩٥).

والله سَمَاءَ الرُّؤُوفِ الرَّحِيمِ، فجارُهُ المكفولُ ما إن يُضَاعَ (١).  
عسى شفيعُ الناسِ يومَ الحِسابِ وملجأُ الخلقِ لِرَفَعِ الكُروبِ (٢).  
يَلْحَقَنِي مِنْهُ قَبُولٌ مُجَابٌ يَشْفَعُ لِي فِي مُوَبِقَاتِ الذُّنُوبِ (٣).

★ ★ ★

يا مُصْطَفَى، وَالْخَلْقُ رَهْنُ الْعَدَمِ، وَالكَوْنُ لَمْ يَفْتَقِ كَيْامَ الْوُجُودِ (٤).  
مَزِيَّةٌ أُعْطِيَتْهَا فِي الْقِدَمِ بِهَا عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ تَسُودُ،  
مَوْلِدُكَ الْمَرْقُومُ لَمَّا نَجَمَ أَنْجَزَ لِلْأُمَّةِ وَعْدَ السُّعُودِ.  
نَادَيْتُ لَوْ يُسَمِّحُ لِي بِالْجَوَابِ شَهْرَ ربيعٍ، يا رَبِّيعَ الْقُلُوبِ،  
أُطْلَعْتَ لِلْهَدْيِ بِغَيْرِ احْتِجَابٍ شمساً، وَلَكِنْ مَا لَهَا مِنْ غُرُوبِ.

ويبدو أَنَّ من المناسبات التي كان أهلُ الأندلس (والمغرب) يَحْتَفِلُونَ لها ذِكْرَى عاشوراء (العاشِر من المُحَرَّم: الشهر الأول من السَّنَةِ الهِجْرِيَّة - وفي العاشِر من المُحَرَّم من سَنَةِ ٦١ = ١٠/١٠/٦٨٠ م) كانت مأساة عاشوراء ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنه. ولَا تَبْنَ زَمْرَكَ (نفع الطيب ٧: ٢٢١) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ مُحَمَّدٍ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ النَّصْرِيِّ يَذْكُرُ فِيهَا عاشوراء:

يا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي بَرَكَاتُهُ رَفَعَتْ لِيَوَاءَ لِلنَّدَى مَنشُوراً (٥)،  
لَكَ رَاحَةٌ تُزْجِي الْغَمَّ بِأَنْمَلٍ فَجَرَّتَ مِنْهَا بِالنَّوَالِ بُحوراً (٦).

(١) راجع القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة). ما أن يضاع: لا يضاع (دأن « زائدة).

(٢) يوم الحساب: يوم القيامة. الكرب: الحزن الشديد.

(٣) الذنب الموبق (المهلك، العظيم).

(٤) المصطفى: المختار للرسالة (محمد رسول الله). والخلق (الواو للحال: حينما كان البشر لا يزالون) رهن العدم (قبل وجودهم في هذا العالم). الكون (هنا): هذا العالم. الفتق: الثقب. الكأس: الأوراق الخضراء التي تغلف الزهرة قبل أن تتفتح الزهرة). - أن الله قضى أن يكون محمد رسولاً إلى هذا العالم قبل أن يخلق الله هذا العالم.

(٥) المولى: السيد (محمد رسول الله). الندى: الكرم.

(٦) تزجي: ترسل، تسيّر. الأنملة: طرف الإصبع (كناية عن سهولة تسيير الأمور). النوال: العطاء (الخير، الفائدة).

وَالْيَوْمَ مَوْسِمُ قُرْبَةٍ وَعِبَادَةٍ      وَغَدًا - ظَفِرْتَ بِأَجْرِهِ - عَاشُورَا<sup>(١)</sup>.  
 رَاعَيْتَ فِيهِ سُنَّةَ نَبَوِيَّةٍ      تَرَوِي الثَّقَاتُ حَدِيثَهُ الْمَشْهُورَا.  
 لَا زِلْتَ، عَامَكَ كُلَّهُ، فِي غِبْطَةٍ      لُقِيتَ مِنْهَا نَضْرَةً وَسُرُورَا<sup>(٢)</sup>.  
 وَلَا بَيْنَ زَمْرِكَ أَيْضًا قَصِيدَةً يَبْدُو أَنَّهُ مَدَحَ بِهَا الْغَنِيَّ بِاللَّهِ النَّصْرِيَّ وَوَرَدَ فِيهَا ذِكْرُ  
 عَاشُورَاءَ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٧: ١٧٦ - ١٧٧). مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

مُولَايَ، يَا أَبْنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْعُلَا      وَالرَّافِعِينَ لِوَاءِهَا الْمَشُورَا،  
 أَبْنَاءُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ      فِي الذِّكْرِ أَصْبَحَ فَخْرُهُمْ مَذْكُورَا<sup>(٣)</sup>؛  
 وَالْمُؤَثِّرُونَ - وَرَبُّنَا أَتَى بِهَا؛      فِي الْحَشْرِ خُلِدَ وَصَفُهُمْ مَسْطُورَا<sup>(٤)</sup>،  
 فَاضَتْ عَلَيْنَا مِنْ يَدَيْكَ غَمَائِمٌ      وَتَفَجَّرَتْ مِنْ رَاحَتَيْكَ بُحُورَا،  
 فِي مَوْسِمٍ لِلسِّدِّينِ قَدْ جَدَّدَتْهُ      وَأَقَمْتَ فِينَا عِيدَهُ الْمَشْهُورَا.  
 أَضْعَافَ مَا أَهْدَيْتَنَا مِنْ مِنَّةٍ      تُهْدِي إِلَيْكَ ثَوَابَهَا عَاشُورَا<sup>(٥)</sup>.

أَمَّا فِي السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ خَاصَّةً فَيَبْدُو أَنَّ الْأَهْتَامَ كَانَ بِالْفِقْهِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ؛ وَأَمَّا  
 النَّتَاجُ الْأَدَبِيُّ وَالتَّأْلِيفُ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ فَكَانَ فِي زَمَنِ مُتَأَخِّرٍ جِدًّا. ثُمَّ  
 إِنَّ هَذَا النَّتَاجَ كُلَّهُ لَمْ يَظْهَرْ بِالطَّبَعِ إِلَّا قَلِيلًا جِدًّا، كَمَا أَنَّ وَصُولَنَا إِلَى هَذَا  
 النَّتَاجِ - مَخْطُوطًا وَمَطْبُوعًا - كَانَ أَيْضًا صَعْبًا.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ هُنَاكَ بَضْعَةً نَفَرٍ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي «نَيْلِ الْإِبْتِهَاجِ»، مِنْهُمْ  
 عَبْدُ الْعَزِيزِ التَّكْوَرِيُّ الَّذِي رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ (ص ١٨٢).

(١) الْقُرْبَةُ: الْعَمَلُ الَّذِي يَسِّرُ الْآخَرِينَ وَيُقَرِّبُكَ مِنْهُمْ.

(٢) الْغِبْطَةُ: النِّعْمَةُ، حَسَنُ الْحَالِ، السُّرُورُ. فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١١: ٧٦)، سُورَةُ الدَّهْرِ: ﴿فَوَقَاهُمْ (صَرَفَ عَنْهُمْ) اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ (يَوْمَ الْحِسَابِ)، يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وَلَقَّاهُمْ (أَعْطَاهُمْ) نَضْرَةً (حَسَنًا وَإِضَاءَةً فِي وَجُوهِهِمْ) وَسُرُورًا.

(٣) فِي الذِّكْرِ (فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ).

(٤) الْمُؤَثِّرُونَ: الَّذِينَ يَفْضَلُونَ الْآخَرِينَ (بِفَتْحِ الْحَاءِ) عَلَى أَنْفُسِهِمْ. الْحَشْرُ (سُورَةُ الْحَشْرِ). فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (٥٩: ٩)، سُورَةُ الْحَشْرِ: ﴿وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حَاجَةٌ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي يَمْطُونَهُ لغيرهم.

(٥) الْمِنَّةُ: الْإِحْسَانُ، الْإِنْعَامُ.

ومنهم محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي (نحو ٨٧٠ - نحو ٩٣٦ م) والمشهور بلقب أَيْدٍ (١) أحمد رَحَلَ إلى تكدة فَلَقِيَ فيها المَغِيلِيَّ (ت ٩٠٩ هـ) وحَضَرَ دُرُوسَه. ثم رَحَلَ إلى المشرق وأَخَذَ عن نَفَرٍ من العلماء في مِصْرَ ومَكَّةَ. وأَجْتَهِدَ (في تخرِيج مسائل الفقه) وصار من مُحَصِّلِي العلماء مُحَدَّثًا ومُحَقِّقًا ومُتَفَنِّنًا في عددٍ من العلوم. ثم قَفَلَ إلى السودانِ ونَزَلَ في بلدةٍ كُشَنَ فأكرمه صاحبها غاية الإكرام وولاه قضاءها (ص ٣٣٥).

وأَخَذَ الفقيه الحافظ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي (تُوفِيَ بعد ٩٤٠ هـ) العِلْمَ (وكانت قد تقدّمت به السِنُّ) عن عبد الله بن عمر بن محمد أقيت في بلاد ولاتن ثم سافر للغرب (للمغرب) فأخذ عن ابن غازي (ت ٩١٩ هـ). بعدئذٍ دَخَلَ بلاد السودان، مثل بَلَدِ كند وبلدِ كُشَنَ وغيرها وأقرأ أهلها وجرى بينه وبين العاقب الأنصمي خلافٌ. ثم إنّه دخل تَبُوكَتَ ودرّس فيها. وعاد حيناً إلى مَرَّاكُشَ ثم رَجَعَ إلى بلاده (ص ٣٤٤).

وهناك أيضاً عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصريّ الفاسيّ السُفْيانيّ المعروف بلقب سقّين أبي محمد (نحو ٨٧٠ - نحو ٩٥٦ هـ) أَخَذَ عن زُرُوقٍ (ت ٨٩٩ هـ) وعن ابن غازي (ت ٩١٩ هـ). ثم إنّه رَحَلَ إلى الشرق (سَنَةَ ٩٠٩ هـ). ثم رَجَعَ إلى بلاد السودان ودَخَلَ كانو وغيرها وبَقِيَ هنالك مُدَّةً عادَ بعدها إلى فاس، سَنَةَ ٩٢٤ للهجرة وتولى الخطابة فيها في جامع الأندلس (٢). وبعد وفاة محمد بن محمد بن الإمام القوري (ت هـ) تولى الفتيا فيها أيضاً، مُدَّةً وجيزةً، فيما يبدو. فلما عُزِلَ عن الفتيا أكْبَّ على رواية الحديث وإقراءه إلى أن أذركته الوفاة (ص ١٧٦ - ١٧٧).

ثم يأتي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحيى الصنهاجي (٩٠٩ - ٩٧٣ هـ). ولما تُوفِّي والده (سَنَةَ ٩٥٥ للهجرة - راجع ترجمته) قاضي

(١) أيد، أيت: ابن.

(٢) في جامع عُدُوَّة الأندلسيين - الجانب الذي سكنه المهاجرون من الأندلس في مدينة فاس.



تَنَبَّكَتَ تَوَلَّى هُوَ الْقَضَاءُ بَعْدَهُ. وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْبَلَاغَةِ وَالْمَنْطِقِ، وَلَهُ تَعْلِيقٌ عَلَى رَجَزِ الْمَغِيلِي فِي الْمَنْطِقِ (ص ٣٤٠).

وَلَا بَدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ، قَبْلَ أَنْتَهَاءِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ لِلْهِجْرَةِ، إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَقْبَتَ التَّنَبُّكِيَّ (٩٣٢ - ٩٩١ هـ)، كَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ وَالْفِقْهِ، كَمَا كَانَتْ لَهُ «تَأْلِيفُ صِفَارٍ فِي التَّصَوُّفِ» وَغَيْرِهِ، مِنْهَا «مُعِينُ الضُّعْفَاءِ فِي الْقَنَاعَةِ» (ص ١٠٢). وَكَذَلِكَ تَحْسُنُ الْإِشَارَةُ إِلَى الْعَاقِبِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَقْبَتَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى التَّنَبُّكِيَّ (٩١٣ - ٩٩١ هـ)، كَانَ قَوِيَّ الْقَلْبِ صُلْبًا فِي الْحَقِّ مِقْدَامًا وَمُسَدَّدًا فِي أَحْكَامِهِ ثُمَّ جَسُورًا عَلَى السُّلْطَانِ وَعَلَى مَنْ دُونِهِ. وَلَهُ مَعَ جَمِيعِ هَؤُلَاءِ وَقَائِعُ كَانُوا يَخْضَعُونَ لَهُ فِيهَا. أَمَّا إِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فَكَانَ يَغْزِلُ نَفْسَهُ مِنَ الْقَضَاءِ وَيَلْزِمُ بَيْتَهُ، فَيُلَاطِفُونَهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَنْصِبِهِ. وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا. وَكَانَ الْعَاقِبُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا قَدْ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَأَدَّى فَرِيضَةَ الْحَجِّ وَاتَّصَلَ بِنَفَرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَأَجَاوَزَهُ (ص ٢١٨ - ٢١٩).

وَمِنَ الْفُقَهَاءِ الْعَاقِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَمِيِّ الْمَسُوفِيِّ (تُوُفِّيَ بَعْدَ ٩٥٠ هـ) مِنْ أَهْلِ أَكْدَسَ - وَهِيَ بَلَدٌ قَرِيبَةٌ مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ - أَخَذَ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَغِيلِيِّ التِّلْمَسَانِيِّ (ت ٩٠٩ هـ)، وَكَانَ الْمَغِيلِيُّ قَدْ رَحَلَ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ وَبِلَادِ التَّكْرُورِ. ثُمَّ رَحَلَ الْعَاقِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَأَخَذَ عَنْ جَلَالِ الدِّينِ السِّيُوطِيِّ (ت ٩١١ هـ) فِي مِصْرَ وَغَيْرِهِ، فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِهِ إِلَى الْحَجِّ. وَلِلْعَاقِبِ تَصَانِيفٌ مِنْهَا تَعْلِيقَةٌ عَلَى قَوْلِ خَلِيلٍ<sup>(١)</sup> - جُزْأٌ فِي وُجُوبِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فِي قَرْيَةِ أَصْمَنَ - الْجَوَابُ الْمَحْدُودُ عَلَى أَسْئَلَةِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ - أَجُوبَةُ الْفَقِيرِ عَنْ أَسْئَلَةِ الْأَمِيرِ، أَجَابَ فِيهَا السُّلْطَانُ أَسْكَي الْحَاجَّ مُحَمَّدَ (ص ٢١٧ - ٢١٨، رَاجِعْ ٣٤٤).

---

(١) خَلِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَنْدِيِّ (لَأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ ثِيَابَ الْجَنْدِ): فَنَقِيهِ مُلْكِي (ت ٧٧٦ هـ)، لَهُ كِتَابٌ فِي الْفِقْهِ مَشْهُورٌ بِمَنْوَانِ «مَخْتَصَرِ خَلِيلٍ».

## ابن أبي البقاء البلنسي

١ - هو الأستاذ أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان الأنصاري المعروف بأبي أبي البقاء، أصله من سرقسطة (ومسكنه في بلنسية). كانت وفاته سنة ٦١٦ للهجرة (١٢١٩ - ١٢٢٠ م).

٢ - كان ابن أبي البقاء البلنسي بارعاً في العربية (النحو) واسع العلم بها، وقد تصدّر لتعليمها، وكانت له عناية بتقييد الآثار (الحديث؟). ثم هو شاعر مجود، له رثاء وله وصف جيد وغزل.

### ٣ - مختارات من شعره

قال ابن أبي البقاء البلنسي من قصيدة له في الرثاء:

قد علّمتني الليالي أن ريقتها صاب، وإن قال قوم إنها عسل<sup>(١)</sup>.  
إن الذي كانت الآمال مشرقة به وعيش الأماني بردها خضل<sup>(٢)</sup>،  
أصاب صرف الليالي منه قطب حجى.  
يا من رأى الشهب أعيّت دونها السبل<sup>(٣)</sup>.

- وقال يصف السيف:

وذي رونق كالبرق، لكنّ وعده صدوق؛ ووعد البرق كذب. وربّها<sup>(٤)</sup>....

- 
- (١) الريقة: الريق (اللعب - بالضم - القليل): كناية عن السرور القليل الذي تحاول الدنيا أن تهيه للناس. الصاب: شجر له عصارة (بالضم) مرة.
- (٢) بردها (بالضم) ثوبها (وفي الأصل، ضبطت الكلمة بفتح الباء من البرد، ضدّ الحرّ، ولا معنى له). الحضل: المتلّ، الناعم.
- (٣) الحجى: العقل. قطب حجى (مركز العقل): المستند الذي يدور عليه العقل. صرف الليالي: المصائب. يا من رأى الشهب أعيّت دونها السبل (كانت المصيبة بموت هذا الرجل عظيمة إلى حدّ أن النجوم وقفت عن الدوران) لقد اضطرب كلّ شيء بعد موته.
- (٤) الرونق: الحسن (بالضم)، اللامعان. يبرق السيف إذا هرّه صاحبه ليضرب به. السيف يبرق وهو على وشك أن يصيب فيقتل. أمّا البرق (الذي في الغيم) فقد يظهر فيتبعه مطر أو لا يتبعه مطر. وربّها (فيها اكفاء): وربّها أمطر (الغيم بعد البرق).

عَقَدْتُ نِجَادِيهِ لِحَلِّ تَمَائِي      وقلتُ له: كُنْ لِلْمَكَارِمِ سُلْمًا<sup>(١)</sup>.  
 وساءَ الأعادي إذْ بَكَتْ شَفْرَاتُهُ،      وسرَّ ولاةَ الوُدِّ لَمَّا تَبَسَّ<sup>(٢)</sup>.  
 - وله في الغزل:

غَيْرُ خَافٍ عَلَى بَصِيرِ الْفَرَامِ      أَنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ يَوْمٌ حِيَامٌ<sup>(٣)</sup>:  
 عَبْرَاتُ تَصُدُّ عَنْ نَظَرَاتِ،      ونَشِيجٌ يَحُولُ دُونَ الْكَلَامِ<sup>(٤)</sup>،  
 وَدِمَاءُ تُرَاقٍ بِأَسْمِ دُمُوعِ،      وَنُفُوسٌ تُودِي بِرَسْمِ سَلَامِ  
 شَرِبْتُ، بَعْدَكَ، اللَّيَالِي حَيَاتِي      غَيْرَ أَوْشَالٍ لَوْعَتِي وَسَقَامِي<sup>(٥)</sup>.

٤-★★      الذيل والتكملة ١: ٢١٥ (رقم ١٤٣).

### ابن غِيَاثِ الشَّرِيشِيِّ

١- هو أبو عمرو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غِيَاثِ الْجُدَامِيِّ الشَّرِيشِيِّ، كان مولده سَنَةَ ٥٣٦ للهجرة (١١٤١-١١٤٢ م). كَتَبَ فِي شَبِيبَتِهِ عَنِ الْأَمِيرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (مِنْ وُلَاةِ الْمُوحِدِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ؟). ثُمَّ إِنَّهُ زَارَ مَرَّاكُشَ وَمَدَحَ أَمْرَاءَهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٦٢٠ (شباط - فبراير ١٢٢٣ م) فِي الْأَغْلَبِ: أَوْ ٦١٩ (الوافي ٤: ١٠).

(١) النجاد (بالكسر) ما يحمل به السيف فيعلق في العنق. التيممة: حجاب يعلق على الصبي لمنع إصابته بالعين (من خرافات العامة). عقدت نجاديه لحلّ تمائي: بدأت بحمل السيف (بالقتال والحرب) لما حلّت عني تمائي (لما جاوزت سن الطفولة): باكراً - وقلت ..... كن (في يدي: سأقاتل بك) في سبيل الوصول إلى معالي الأمور.

(٢) الشفرة: حديدة السيف التي تقطع. بكت شفرة السيف (سال عليها الدم من قتال الأعادي). تبسم السيف: كثر بريقه (لكثرة تحريكه للضرب به).

(٣) الحيام (بالكسر): الموت.

(٤) تكثر العبرات (الدموع) في العين حتى تعجز العين عن النظر. النشيج: إرتفاع الصوت بالبكاء.

(٥) بعدك (بعد فراقك). شربت الليالي حياقي (ذهبت من الحياة: بطلت بعدك قيمة الحياة). الوشل (بفتح ففتح): الماء القليل (بقية الشيء). اللوعة: حرقة يجدها الإنسان في نفسه من أثر حبّ أو ألم أو حزن. السقام: الضعف، المرض.

٢ - كان أبو عمرو بن غياث ذا مكانة في قومه، كما كان أديباً وكاتباً مُحسناً  
اتَّصلت المكاتباتُ بينه وبين نفرٍ من أدباء زمانه منهم مثلاً ابنُ مَرْجِ الكُحْل<sup>(١)</sup>،  
وكانت تلك المكاتباتُ تجري في نثرٍ وفي شعرٍ. وشعره كثيرٌ رقيقٌ جيدٌ. ويبدو أن  
مُعظَمَ شعره كان في مدحِ الملوكِ والرؤساء.

### ٣ - مختارات من آثاره

- لأبي عمرو بن غياث أبياتٌ في العتاب والنسيب، هي (نفع الطيب: ٢ :  
(٦٠٨):

أودع فؤادي حَسْرَةً أَوْ دَعِ،      نَفْسَكَ تُؤْذِي. أَنْتَ فِي أَضْلَعِي<sup>(٢)</sup>.  
أَمْسِكْ سِهَامَ اللَّحْظِ أَوْ فَارِمَهَا:      أَنْتَ بِمَا تَرْمِي مُصَابٌ مَعِي<sup>(٣)</sup>.  
مَوْقِعُهَا الْقَلْبُ، وَأَنْتَ الَّذِي      مَسْكُنُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ.  
- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرَّعِينِيُّ<sup>(٤)</sup>: لَقِيتُ (أَبْنَ غِيَاثٍ) سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةَ (وَسِتِّمِائَةَ)  
وَأَخَذْتُ عَنْهُ ثُمَّ اسْتَجَزْتُهُ<sup>(٥)</sup> سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ فَكَتَبَ إِلَيَّ مُجِيزاً:  
..... قَسماً بِمَا يَكُونُ بِهِ الْقَسْمُ<sup>(٦)</sup>، لَقَدْ اسْتَفْتَحْتَ بَاباً وَإِنَّهُ لَمُعْلَقٌ مِنْهُمْ<sup>(٧)</sup>؛  
وَأَسْتَنْطَقْتَ أَعْجَمِيًّا، وَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يُفْصَحَ الْأَعْجَمُ. وَنَفَخْتَ حَيْثُ لَا ضَرَمَ<sup>(٨)</sup>:

- 
- (١) ابن مرج الكحل (راجع الجزء الخامس، ص ٦٩١).
  - (٢) أودع (أجعل في) فؤادي حَسْرَةً أَوْ دَعِ (اترك وضعها). إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ (ووضعت حَسْرَةً فِي قَلْبِي) فَإِنَّكَ تُؤْذِي نَفْسَكَ أَيْضاً لِأَنَّكَ مَحْبُوبِي الَّذِي أَجْعَلُهُ أَنَا بَيْنَ أَضْلَعِي (فِي قَلْبِي).
  - (٣) إرم سهام اللحظ: أطلقها علي.
  - (٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ).
  - (٥) طلبت منه إجازة (شهادة) بما أخذته عنه من العلم والسماح لي بأن أعلم الناس ما تعلمته منه.
  - (٦) بما به يكون القسم (الحلف باليمين): بالله تعالى.
  - (٧) استفقت باباً (طلبت فتح باب): طلبت مني شيئاً (إجازة). وَأَنَّهُ (أَنَّ هَذَا الْبَابَ): إعطائي إجازات. وَأَنَّهُ لَمُعْلَقٌ (ليس لي عادة بإعطاء إجازات). الْمُبْهَمُ: الشيء الساذج (الذي لا علامات فيه)....
  - (٨) ونفخت حيث لا ضرم: لا مادة قابلة للاشتعال بالترويح (بنفخ الريح) عليها.

أَعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُّ<sup>(١)</sup>.

.....<sup>(٢)</sup> ولقد تركتُ مِنَ الْأَشْيَاخِ<sup>(٣)</sup> مَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ وَيَجِبُ أَنْ يُتِمَّنَ

بِهِ وَيُتَبَرَّكَ. غَيْرَ أَنَّ الْقِدَمَ وَالْهَرَمَ وَالْأَلَمَ<sup>(٤)</sup> صَرَفْتَنِي عَنِ الْإِسْهَابِ وَالتَّطْوِيلِ<sup>(٥)</sup>. وَمَا يُطِيلُ شَيْخٌ لَهُ بَعْدَ نَوَامَاتِ الْعُيُونِ بِاللَّيْلِ نَظْرَةً تَحْيِيلُ<sup>(٦)</sup>؛ وَكُتِبَهُ تَحْيِيلٌ وَعَيْشُهُ تَنْكِيلُ<sup>(٧)</sup>. وَقَدْ أَتَّضَحَ لَهُ مِنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّانِينَ السَّبِيلُ<sup>(٨)</sup>.

- وله أبياتٌ فِي الصَّبَا وَالشَّيْبِ:

صَبَوْتُ، وَهَلْ عَارٌّ عَلَى الْحُرِّ إِنْ صَبَا      وَقِيدَ بُعِيدَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الصَّبَا<sup>(٩)</sup>؟  
يَرَى أَنْ حُبَّ الْحُسْنِ فِي اللَّهِ قُرْبَةً      لِمَنْ شَاءَ بِالْأَعْمَالِ أَنْ يَتَقَرَّبَا.  
وَقَالُوا: مَشِيبٌ. قُلْتُ: وَاعْجَبَا لَكُمْ،      أَتُنْكِرُ نُورٌ قَدْ تَحَلَّلَ غَيْهَبَا<sup>(١٠)</sup>؟  
وَلَيْسَ مَشِيبًا مَا تَرَوْنَ، وَإِنَّا      كُمَيْتُ الصَّبَا مِمَّا جَرَى عَادَ أَشْهَبَا<sup>(١١)</sup>.

٤ - ★★      المغرب ١: ٣٥، برنامج الرعياني ٩٩ (رقم ٣٧)؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٩٥ - ٢٩٦  
(رقم ٧٨٠)، تحفة القادم ١٢٩؛ الوافي بالوفيات ٤: ١١؛ نفح الطيب ٢: ٦٠٨.

- 
- (١) البيت للمنتبّي. الشحم: مادةٌ يصبح بها الجسم سميناً. الورم: انتفاخ من مرض.
  - (٢) كان ابن غياث يريد أن يذكر نفرأ من شيوخه (أساتذته). وهم غير المذكورين في الأصل.
  - (٣) الأشياخ: الشيوخ (الأساتذة).
  - (٤) القدم (طول الزمن) يدعو إلى النسيان. الهرم (طول العمر) يدعو إلى الضعف. الألم (ذهاب الصحة) يدعو إلى قلة الصبر وقلة الاحتمال.
  - (٥) الإسهاب: إكثار التعابير للمعنى الواحد. التطويل: الإتيان بمعان كثيرة.
  - (٦) بعد نومات العيون (بعد أن ينام الناس في الليل). نظرة تحييل: تدلّ على الخبل (بفتح ففتح): الجنون أو فساد التفكير.
  - (٧) كتبه (كذا في الأصل). والكتب جمع كتاب بمعنى الحكم أيضاً. يقول: إن أحكامه من عمل الخيال لا صواب فيها. التنكيل: العقاب الشديد الذي يراد به ردع الآخرين عن أعمال السوء.
  - (٨) اتّضح (بان، ظهر).... السبيل (النهاية، الموت).
  - (٩) صبا: مال (إلى المحبوب). قاد: جرّ. الصبا: العشق (الجهل في أيام الشباب)..  
(١٠) الغيب: الظلام (هنا: سواد الشعر). في الوافي: «بدر» مكان «نور».
  - (١١) الكميت (الحصان الأحمر اللون). كميت الصبا (نشاط الشباب). أشهب (أبيض اللون).

## الرفاء المرسى

١ - هو الأستاذ أبو علي الحسن بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن موسى بن عبد الرحمن الكِنَائي المرسى، من أهل مُرْسِيَّة. أخذَ القِراءاتِ عن أبي جعفر (بن) (١) الحِصَّار. وماتَ الرفاءُ في بلدِهِ مُرْسِيَّةَ سَنَةِ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ - ١٢٣٦ م) في الأغلب.

٢ - كان الرفاءُ المرسىُّ مُقَرَّناً وَنَحْوِيّاً، وكان أديباً شاعراً مطبوعاً صاحبَ مُقَطَّعاتٍ، وفي شعرِهِ تكلُّفُ لزومٍ ما لا يلزُمُ. ويبدو أَنَّهُ كان يُكثِرُ من وَصْفِ المأكَلِ.

### ٣ - مختارات من شعره

- قال الرفاءُ المرسىُّ في المُجَبَّناتِ (نوعٍ من الحلوى: عَجِينٍ مَحْشُوٍّ بالجُبْنِ يُقلى بالسَّمْنِ وَيُغَمَّسُ في القَطَرِ، كالقَطائِف) (٢):

شُفِفْتُ بِحُبِّ أَبْكَارِ حَبَالِي، وَوَدَّيْ لَوْ بَنَيْتُ بِهَا عَرُوساً (٣).  
إِذَا لَاحَتْ بُدُوراً في المَقَالِي تَرَاءَتْ لِلْعَيُونِ بِهَا شُمُوساً (٤).

- وله في النسيب (من لزومٍ ما لا يلزُمُ بِكَلِمَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ):

أَتَلَى فَأَسَى كُلَّما كَلَّمَا، وَبِأَنَّ الْأَسَى كُلَّما كَلَّمَا (٥).

(١) في بغية الوعاة (ص ٢٢٣): أبو جعفر بن الحِصَّار. وفي نفح الطيب (٢: ٥٠) أبو جعفر الحِصَّار.

(٢) يمكن أن تغلى بالسيرج (بالسين المهملة المكسورة) أو الشيرج (بالشين المعجمة المفتوحة): دهن السمسم.

(٣) شقف الرجل (بالبناء للمجهول): أصيب شفاف (بالضم) قلبه (غلاف قلبه) من الحب. أبكار جمع بكر (بالكسر) كناية عن القطيفة (وجمعها قطائف) التي تكون مشيئة ومختومة الطرفين أو تكون من قطعتين أطبقت إحداها على الأخرى وختمت دائرتها. حبالى (كناية عن انتفاخ القطائف لكثرة ما في جوفها من الجبن). بنى الرجل بالمرأة (اتخذها زوجاً له) لأنه يبنى بيتاً (خيمة) تضمها معاً. ودّ (بالضم أو بالكسر أو بالفتح): الحب، الرغبة (بالفتح).

(٤) لاحت بدوراً (تكون بيضاء حيناً تكون عجيماً). المَقَالِي (هنا) جمع مقلاة (صفحة تغلى فيها الأطعمة). تراءت شُمُوساً (حيناً تغلى تصبح صفراء أو حمراء).

(٥) أسى: داوى. كَلَّمَا (بالضم): في كلِّ مرَّة. كَلَّمَ (بالفتح): جرح. بان: ابتعد، ذهب. الأسى: الحزن. كَلَّمَ (في القافية): خاطب. - إذا نظر المحبوب بعينه إلى المحبِّ، شعر المحبُّ بأنَّه قد جرح (قلبه). فإذا عاد المحبوب فخاطب المحب شعر المحبِّ بأنَّه قد شفي من جروح قلبه.

ورَوَى الْغَلِيلَ، وَمِنْ بَعْدِمَا شَفِي الصَّبُّ مَاءَ اللَّمَى آلاً<sup>(١)</sup>  
 وَتَلَّمَ مَا شَاءَ مِنْ قَرَبَةٍ وَزَادَ فَقَدْ نَلَّ مَا تَلَّمَ<sup>(٢)</sup>.  
 وَسَلَّ عَلَيْهِ حُصَامَ النَّوَى، وَمَنْ يَأْسُ مَا سَلَّ مَا سَلَّمَ<sup>(٣)</sup>.  
 وَضَرَمَ نَارَ الْجَوَى فِي حِشَاهُ فَأَلْحَفَهُ ضُرٌّ مَا ضَرَّمَا<sup>(٤)</sup>.  
 وَعَدَّمَهُ الصَّبْرَ مِنْ بَعْدِهِ يَرَى فُرْصَةً عَدَّ مَا عَدَّمَا<sup>(٥)</sup>.  
 أَعْيَنِيهِ، كُفَّاءٌ فَأَصْلُ الْبَلَا - إِذَا مَا أَعْتَرَى وَأَنْتَمَى - أَنْتُمْ<sup>(٦)</sup>.  
 وَيَا صَاحِبِيهِ، أَلَا عَذَّتْهَا، وَهَلَّا إِذَا عُدْتُمَا عُدْتُمَا<sup>(٧)</sup>؟  
 وَقَدْ قُلْتُهَا أَنْ سَيَقْضِي أَسَى، وَمِنْ قَبْلِهِ قُلْتُ مَا قُلْتُهَا<sup>(٨)</sup>.

٤ - \*\* تحفة القادم ١٥٨؛ الوافي بالوفيات ١٢: ٦٦ - ٦٧؛ بغية الوعاة ٢٢٣.

- (١) رَوَى الْغَلِيلَ (حَرَّ الْعَطَشِ، الْعَطَشُ الشَّدِيدُ): أَطْفَأَ الْعَطَشَ. الصَّبُّ: الْحَبُّ. مَاءَ اللَّمَى (سَمَرَةُ الشَّهَادَةِ) رَيْقٍ (الْمُحِبُّوبِ). آلمَ (أَدْخَلَ الْأَلَمَ عَلَى النَّفْسِ)، لِأَنَّ الْمُحِبَّوبَ حَجَبَ رَيْقَهُ (بَعْدُتْ) عَنِ الْحَبِّ.  
 (٢) الْبَيْتُ غَامُضٌ. تَلَّمَ: قَطَعَ، شَقَّقَ. (قَرَابَةُ نَسَبٍ؟) - فِي الْأَصْلِ «قَرَبَهُ» مُضْبُوطَةٌ بِضَمَّةٍ فَكُسِرَتْ. زَادَ (؟). تَلَّ: هَدَمَ.  
 (٣) النَّوَى: الْفَرَاقُ، الْبِعَادُ. يَأْسُو: يَدَاوِي. مَا سَلَّ: أَثَرُ الْحَسَامِ (السَّيْفِ). سَلَّمَ (؟): أَلْفَى السَّلَامَ، نَغَى، أَنْقَذَ..... (؟).  
 (٤) الْجَوَى: أَلَمُ الْحَبِّ. الْحِشَاءُ: الْبَاطِنُ، الْقَلْبُ. أَلْحَفَهُ: غَطَّاهُ (بِالْحَافِ). ضَرَّ: أَذَى، مَرَضَ. ضَرَمَ: أَشْعَلَ النَّارَ.  
 (٥) عَدَّمَهُ: أَعْدَمَهُ، أَفْقَدَهُ. الصَّبْرَ (مَفْعُولٌ بِهِ). مِنْ بَعْدِهِ (بِالضَّمِّ؟): فَرَاقَهُ، بَعَادَهُ. - يَرَى فُرْصَةً (مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ مَقْدَمٌ). عَدَّ (مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلُ مُؤَخَّرٍ). عَدَمَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ): فِي هَذِهِ الْفُرْصَةِ الَّتِي لَا يَرَى الْحَبَّ فِي أَثْنَائِهَا مُحِبُّوهُ يَسْتَطِيعُ الْحَبُّ أَنْ يَعْرِفَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي عَدَمَهَا (فَقَدْهَا لَمَّا ابْتَعَدَ مُحِبُّوهُ).  
 (٦) كُفَّاءٌ: تَوْقَفًا (عَنِ الدَّمْعِ، الْبُكَاءِ). أَعْتَرَى: أَصَابَ. أَنْتَمَى (انْتَسَبَ): إِنَّ ابْتِلَاءَ الْحَبِّ بِالْمَصَائِبِ رَاجِعٌ إِلَى أَنْ عَيْنِيهِ تَرِيَانُ الْمُحِبِّوبِ اعْتَرَى = أَنْتَمَى (؟).  
 (٧) وَيَا صَاحِبِيهِ (رَفِيقِيهِ). عَذَّتْهَا: التَّجَاوَعَتْ (احْتِمَيْتَا مِنْ أَنْ يَصِيبَكُمَا الْحَبُّ بِالْمَصَائِبِ). وَإِذَا كُنْتُمَا أَنْتُمَا قَدْ عَذَّتُمَا (وَنَجَّوْتُمَا) مِنَ الْحَبِّ، فَلَمَّا مَا عَدَّتُمَا (رَجَعْتُمَا) إِلَيْهِ (وَأَنْقَذْتُمَا تَمَّا هُوَ فِيهِ). عَدَّتُمَا (فِي الْأَصْلِ) بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ. وَقَاعِدَةُ لَزُومٍ مَا لَا يَلْزَمُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنْ تَكُونَ «عَذَّتُمَا» (بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ). عَذَّتُمَا (الثَّانِيَةِ) لَعَلَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فَعْلًا مُتَعَدِّيًا (وَلَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ بِهَذَا الْمَعْنَى) - يَقْصِدُ أَنْجِيَتَاهُ، أَنْقَذْتَاهُ.  
 (٨) قَضَى: مَاتَ. الْأَسَى: الْحُزْنُ. - وَأَنَا قَبْلَكُمْ قُلْتُ عَنْ هَذَا الْحَبِّ أَنَّهُ سَيَمُوتُ مِنَ الْحَبِّ (وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ لَا يَزَالُ حَيًّا).

## أبو عبد الله بن عسكر

١ - هو القاضي أبو عبد الله بن عسكر (المرقبة العليا ١٢٣) أو أبو عبد الله محمد ابن عسكر (نفع الطيب ٢ : ٣٥١) : محمد بن علي بن عبيد الله بن الحضير بن هارون الفسائي المالقي (الذيل والتكملة ٦ : ٤٤٩)، أصله من إحدى قرى مالقة، وكان مولده نحو سنة ٥٨٤ للهجرة (١١٨٨ - ١١٨٩ م).

تلقى أبو عبد الله بن عسكر العلم على نفر كثيرين في الأندلس وفي العُدوة (المغربية) وفي المشرق. وقد ولي قضاء مالقة نيابة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن النباهي<sup>(١)</sup> - عند انتقال الحكم في الأندلس من بني هود إلى بني الأحمر - (نحو ٦٣٠ هـ) ثم تولى قضاءها مستبداً (مستقلاً) إلى آخر حياته في ربيع جُمادى الآخرة من سنة ٦٣٦ (١٢/١/١٢٣٩ م).

٢ - كان أبو عبد الله بن عسكر مستقيم السيرة ماضي العزيمة عادلاً. وكان متوقفاً الذهن واسع المعرفة بالقراءة (للقرآن الكريم) وبالحديث والفقه والنحو والتاريخ. وكان مؤلفاً صنّف عدداً من الكتب منها: مقامة سمّاها «رسالة أدخار الصبر وأفتخار القصر والقبر»، وهي غريبة في بابها - المشرع الروي في الزيادة على غريبي الهروي<sup>(٢)</sup> - أربعون حديثاً (ألتم فيها اسم شيخه اسم الصحابي)<sup>(٣)</sup> - نزّه الناظر في مناقب عمّار بن ياسر<sup>(٤)</sup> - الجزء المختصر في السلو عن ذهاب البصر<sup>(٥)</sup> - الإكمال

(١) تولى القضاء بمالقة من سنة ٦٢٦ إلى سنة ٦٣٠ هـ في أيام الأمير محمد بن يوسف بن هود الذي كان مستبداً بما كان قد بقي للعرب في الأندلس قبل مجيء بني نصر أو بني الأحمر.

(٢) أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١ هـ) له كتاب غريب القرآن (الألفاظ القليلة الاستعمال في اللغة) وغريب الحديث.

(٣) اشترط أن يكون كلّ حديث من الأربعين حديثاً قد رواه صحابي اسمه كاسم أحد شيوخ أبي عبد الله ابن عسكر أو أن تكون الأربعون حديثاً رواها صحابة أسماؤهم كلّهم كاسم شيخ واحد من شيوخ ابن عسكر (٢).

(٤) عمّار بن ياسر (ت ٣٧ هـ) من الصحابة وأحد السابقين إلى الدخول في الإسلام، ومن الولاة والقادة الشجعان.

(٥) ألفه لأبي محمد بن أبي خرص (بضم الخاء) الضرير الواعظ.



والإيثار في صلة الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مائقة الكرام<sup>(١)</sup>.

ولأي عبد الله بن عسكرٍ نظمٌ جيدٌ يأتي فيه أحياناً بلزوم ما لا يلزم. وهو أديبٌ مُحسنٌ في النثر والنظم مع القدرة على وجوه البلاغة.

### ٣ - مختارات من آثاره

- لما كان أبو عمران موسى بن سعيد<sup>(٢)</sup> بالجزيرة الخضراء مُقدِّماً على أعمالها من قبل ابن هود<sup>(٣)</sup> وَصَلَ (إليه) كتابٌ من الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن عسكرٍ قاضي مائقة، مع أحد الأدباء، منه (نفع الطيب ٢: ٣٥١-٣٥٢):

أَفَاتِحُ مَنْ قَلْبِي بَعْلِيَاهُ وَاثِقُ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَبْصَارُ لَمْ تَنْسَخِ الْوُدَّ<sup>(٤)</sup>.  
وَقَفْتُ بِمَا لِي مِنْ ذِمَامٍ تَشْيُعِي بِأَلِ سَعِيدٍ فَأَبْتَغَيْتُ بِهِ السَّعْدَ<sup>(٥)</sup>.  
وَبِالْحَبِّ يَدْنُو كُلُّ مَنْ أَقْصَتِ النَّوَى بِرُغْمٍ حِجَابٍ لِلنَّوَى بَيْنَنَا مَدًّا<sup>(٦)</sup>.

يا سَيِّدِي الَّذِي حَمَلَنِي مَا أَمَالَ أَسْمَاعِي مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ أَنْ أَهْجُمَ عَلَى مُفَاتِحِهِ شَافِعاً فِي مُوَصِّلِهَا إِلَيْهِ، وَاثِقاً بِالْفَرْعِ لِعِلْمِ الْأَصْلِ<sup>(٧)</sup>، مُؤَمِّلاً لِلْإِفْضَالِ بِتَحْقِيقِ الْفَضْلِ<sup>(٨)</sup>. إِنَّ لَمْ تَقْضِ بِاجْتِمَاعِ بَيْنَنَا الْأَيَّامُ فَلَا<sup>(٩)</sup> تُجْزِيءُ مِنَ الْمُشَافَهَةِ بَيْنَنَا أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ وَيُوحِي بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِسُورِ الْوِدَادِ<sup>(١٠)</sup>. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْلَعَكَ فِي ذَلِكَ

(١) لهذا الكتاب اسم آخر، هو: مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مائقة من العلماء والرؤساء والأخيار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار. وأبو عبد الله بن عسكر مات قبل أن يكمل هذا الكتاب، فتولَّى كماله (إكماله) ابن أخته أبو بكر بن محمد بن خيس.

(٢) من آل سعيد العنسي (راجع الجزء الخامس، ص ٣٣٨).

(٣) محمد بن يوسف بن هود المستبد مجنوبي الأندلس باسم المتوكل (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).

(٤) أفاتح: أبدأ بمخاطبة... - الأبصار لم تَنْسَخِ الْوُدَّ (٤).

(٥) الذمام: العهد، الحرمة، الحق. التشيع: الانتفاء إلى قوم أو رأي.

(٦) أقصى: أبعد (فعل ماضٍ). النوى: البعاد، الفارقة، الفراق.

(٧) لعلم الأصل (لمعرفتي بمكانة آل سعيد وفضلهم).

(٨) الإفضال: الإحسان إلى الآخرين. تحقيق الفضل: الثقة بأن يحدث الإحسان الجديد (قياساً على ما عرف عن آل سعيد من الفضل السابق).

(٩) كذا في الأصل (المعنى يقتضي أن يقال: فلا أقل من أن تجزئ...).

(١٠) الوداد: المحبة. سور الوداد (بالحبة الكاملة، المحبة السامية).

الأفقي بذراً<sup>(١)</sup>، وأذنك من هذه الدارِ قَصِرْنَا لِقُرْبِ مَنْ يَرِدُ عَنْكَ لَا نَعْدَمُ لَكَ ذِكْرًا<sup>(٢)</sup>. فكلُّ يُثْنِي بالذي عَلِمْتَ سَعْدًا<sup>(٣)</sup> وَيَصِفُ من خِلَالِكَ مَا يَقْضِي (به) ذلك المجدَّ<sup>(٤)</sup>. ولَمَّا كَانَ إِحْسَانُكَ يُبَشِّرُ به الصَّادِرُ والواردُ وَيَحْرُصُ عَلَيْهِ الغَائِبُ والشَّاهِدُ<sup>(٥)</sup>، مَدَّ أَمْلَهُ نَحْوَكَ مُوَصِّلُ هَذِهِ الْمُفَاتِحَةِ، وَلَيْسَ لَهُ وَسِيلَةٌ وَلَا بِضَاعَةٌ إِلَّا الْأَدَبُ<sup>(٦)</sup>، وَهِيَ - عِنْدَ بَيْتِكَ الْكَرِيمِ - رَاجِحَةٌ. وَهُوَ مِنْ شَتَّى خُطُوبٍ هَذَا الزَّمَانِ شَمَلَهُ وَأَبَانَتْ نَوَائِبُهُ صَبْرَهُ وَفَضْلَهُ<sup>(٧)</sup>. وَمَا طَمَحَ بِبَصَرِهِ إِلَّا إِلَى أَفْقِكَ<sup>(٨)</sup>، وَلَا وَجَّهَ رَجَاءَهُ إِلَّا نَحْوَ طَرَفِكَ<sup>(٩)</sup>. وَالرَّجَاءُ مِنْ فَضْلِكَ أَنْ يَعُودَ وَقَدْ أَثْنَتْ حَقَائِبُهُ<sup>(١٠)</sup> وَأَعْنَقَتْ مِنْ الْحَمْدِ رَكَائِبُهُ<sup>(١١)</sup>. وَدُمْتَ غُرَّةً فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ<sup>(١٢)</sup> مَخْصُوصًا بِأَفْضَلِ التَّحِيَّةِ وَالتَّسْلِيمِ.

- ومن شعره في النسب، وفيه عاطفة فطرية من الطفولة-العذبة (نفع الطيب  
: ٣٥٢ : ٢)

- 
- (١) .... بذراً (معروفاً مشهوراً نافعاً).  
(٢) .... ذكرك عندنا لا ينقطع.  
(٣) إشارة إلى قول الشاعر: «وما قلت إلا بالذي علمت سعد» (أي بما هو معروف ومشهور).  
(٤) الخلال: الصفات، الخصال الحميدة. ذلك المجد (القديم الذي لقومك).  
(٥) الصادر (الذاهب من عندنا) والوارد (القادم علينا) والغائب (الذي ليس معنا الآن) والشاهد (الحاضر بيننا): جميع الناس.  
(٦) .... لا يجمع بينك وبينه إلا المعرفة بالأدب (بالشعر) مثلاً، وإلا فإنه ليس قريناً لك في الغنى أو الجاه أو المكانة.  
(٧) أبانت: أبعدت، قطعت. نوائبه (نواب الزمان: المصائب).  
(٨) أفقك: بلدك (المكان الذي أنت فيه).  
(٩) طرفك (الجانب من البلاد حيث أنت).  
(١٠) إشارة إلى قول الشاعر الأموي نصيب (بالتصغير) بن رباح (ت بين ١٠٥ و ١١٠ هـ):  
فاجوا فأتوا بالذي أنت أهلـه، ولو سكوا أثنت عليك الحقائق.  
(راجع الجزء الأول، ص ٦٢٣): ما كان في حقايقهم من الهدايا والعطايا.  
(١١) الركوبة: المطية يسافر الناس عليها. أعنقت: مدت أعناقها وهي تسير (مرعة). من الحمد (يحمدونك سروراً بما نالوا منك).  
(١٢) البهيم: الساذج، الغفل (بضم فسكون): الذي لا معالم فيه أو إشارات تهدي السائرين.

أهواك، يا بَذْرُ، وأهوى الذي      يَغْذِلُنِي فيك، وأهوى الرقيب<sup>(١)</sup>؛  
والجارَ والدارَ وَمَنْ حَلَّها      وَكُلَّ مَنْ مرَّ بها مِنْ قريبٍ؛  
وكلَّ مُبْدٍ شَبَهاً مِنْكُمْ،      وَكُلَّ مَنْ يَلْفِظُ بِاسْمِ الحبيبِ.

- وقال يصف رجلاً أحَدَبَ ويقارنه بشكلٍ هندسيٍّ مثَلث (الإحاطة ٢: ١٢٥):  
وأحَدَبٍ تحسَّبُ في ظهري      سفينةٌ في نهرٍ عاتمةٍ.  
مثَلثُ الخَلْقَةِ، لكنَّه      في ظهري زاويةٌ قائمةٌ.

- وصف البُلغة (والبُلغة حِذاءٌ خفيف مألوف في الشَّمال الإفريقي وفي الأندلس، وهي، في الأصل، تُتَخَذُ من الحُلَفاء<sup>(٢)</sup>). والبُلغة لا تزال معروفةً في المغرب إلى اليوم، وتُصنَعُ من جِلْدٍ عاديٍّ ذي لون أبيض أو أصفرَ في الأكثر). وهذه الأبيات من قصيدة قالها الشاعرُ في مدح السلطان المأمون أبي العلاء بن المنصورِ الموحِّديِّ (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ):

رَكِبْتُ إلى لُقْيَاكَ كُلَّ مَطِيَّةٍ      مُبرِّاةٍ أَنْ تَعْرِفَ الأبَّ والنَّسْلَ<sup>(٣)</sup>.  
إذا نَسَبوها فالتَّنَوُّةُ أُمُّها،      ووالِدُها ماءُ الغمامِ إذا أَنهَلَ<sup>(٤)</sup>.  
وما عَلِمْتُ يوماً غِذاءً، وإنَّا      أَعَارَ لها الأَعْضاءُ صَانِعُها فَتَلَا<sup>(٥)</sup>.  
وقد ضَمُرْتُ حتَّى أَغْتَدْتُ من نُسوعِها  
فلو عَرَّضْتُ للشمسِ ما أَسْقَطَتْ ظِلًّا<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) البدر: الحبوب الجميل الذي يشبه البدر. يغذل: يلوم. الرقيب: الذي يتابع أعمال المحبين لينقص عليهم حياتهم (ينعمهم من الالتقاء، يشي بهم، إلخ).  
(٢) الحلفاء: نبات ينبت على أطراف الماء له أوراق ليفية تشبه سعف النخيل تصنع منه حبال، ويشتمل أيضاً بسرعة وشدة.  
(٣) يشبه البلغة بالمطية (الدابة التي يسافر الناس عليها)، سوى أنها لا أبوان لها ولا نسل (أولاد) لها.  
(٤) التنوفة: الفلاة (الأرض الواسعة لا ماء فيها). أنهل: انهمر (هطل: سقط بكثرة).  
(٥) أعضاؤها (أقسامها) لم تأت من النمو بالغذاء، ولكن الذي صنع البلغة كان قد قتل أوراق الحلفاء على أشكال مختلفة.  
(٦) ضمرت: أصبحت نحيلة أو هزيلة. اغتدت (كذا في الأصل بالdal المهملة): أصبحت. النسع (بالكسر) سير عريض من جلد. اغتدت من نسوعها<sup>(٧)</sup>.

وما في قراها قدرُ مَقْعَدٍ رَاكِبٍ، وَلَكِنَّهَا سَاوَتْ مِسَاحَتَهَا الرَّجُلَا (١).  
لِتَبْلِيغِهَا الْمُضْطَرَّ تُدْعَى بِبُلْغَةٍ، وَإِنْ قِسَتْ بِالتَّشْبِيهِ شَبَّهَتْهَا نَعْلًا (٢).  
سَأَشْكُرُهَا جُهْدِي وَأُنْثِي بِفَضْلِهَا؛ فَقَدْ بَلَّغْتَنِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الرَّمْلَا (٣).  
مَلِيكًا كَأَنَّ الشَّمْسَ فَوْقَ جَبِينِهِ، وَلَيْثَ الشَّرَى فِي دِرْعِهِ حَامِيًا شَيْلًا (٤).  
إِذَا رَأَى أَمْرًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ «عَسَى»؛ وَإِنْ قَالَ: كُنْ، لَمْ يَخْشَ فِي غَرَضٍ مَوْلَى (٥).

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ فِي اللَّهِ هَمَّهُ

فَيُجْرِي لَهُ، فِي ذَلِكَ، الْقَوْلَ وَالْفِعْلَا (٦).

٤ - \*\* الذيل والتكملة ٦: ٤٤٩ - ٤٥٢ (رقم ١٢١٨)؛ المرقبة العليا ١٢٣، راجع ١١٢؛  
الإحاطة ٢: ١٢٢ - ١٢٥؛ نفح الطيب ٢: ٣٥١ - ٣٥٢، ٣: ٣١١،  
٤: ٣١١ - ٣١٢، ٥: ١٣٠.

### مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْإِسْتِجِيّ

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإِسْتِجِيّ، كان أسلافه من  
سُكَّانِ إِسْتِجَةَ ثُمَّ أَنْتَقَلَوْا إِلَى مَالَقَةَ.

وُلِدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْإِسْتِجِيّ فِي مَالَقَةَ وَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ  
يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحِمَيْرِيِّ الْقُرْطُبِيِّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَوْطٍ اللَّهِ وَأَبُو عَلِيٍّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ

(١) القرى (بالفتح): الظهر.

(٢) لتبليغها المضطر: للوصول بالاحتاج إلى السفر تسمى بلغة (تبليغه مقصده). - في عملها (خدمتها)  
لصاحبها تشبه المطية) أما شكلها فيشبه النعل.

(٣) جهدي: بأقصى طاقتي. أنثي بفضلها: أشكرها على فضلها.

(٤) الشري: الجبل. ليث (أسد) الشري يكون شديداً ضارياً. هم أسد الشري (شجعان أقوياء). - .... في  
درعه حامياً شَيْلًا (٥).

(٥) لم يكن فيه من «عسى»: لم يكن فيه تردد. المولى: السيد. لم يخش (يخف) في غرض (في أمر من  
أموره) مولى (سيداً فوقه ينعمه مما يريد).

(٦) .... كلّ هَمٍّ أَنْ يَرْضَى اللَّهَ بِأَعْمَالِهِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَجْرِي لَهُ اللَّهُ ذَلِكَ (يساعده الله على تنفيذ كلّ ما  
يريده من قول أو فعل).

المجيد الأزدي وأبو علي بن سيري<sup>(١)</sup>. ثم إنه أقرأ في بلده مالقة وهو بعُد في العشرين من العمر.

ويبدو أن الاستجوي هذا قد جاء إلى غرناطة<sup>(٢)</sup> في آخر عمره - سنة ٦٣٩ للهجرة - ومريض فيها ثم توفّي في أواخر سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤٢ م) في الأغلب.

٢ - كان محمد بن أحمد الاستجوي من حملة العلم والمُتغلبين بالحديث، ولكن الأدب غلب عليه. وله نثر وشعر ليسا في الغاية من الإجادة. ثم هو مُصنّف له: ظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز<sup>(٣)</sup> (شرح لديوان المتنبي) - شمس البيان في لمس البنان - الزهرة الفائحة في الزهرة اللائحة<sup>(٤)</sup> - نفح الكيّمات<sup>(٥)</sup> في شرح المقامات - اقتراح المتعلّمين في اصطلاح المتكلّمين - التصوّر والتصديق في التوطئة لعلم التحقيق (في المنطق؟) - رقم الحُلل في نظم الدول - مفتاح الإحسان في اصطلاح الإحسان<sup>(٥)</sup>، هذا بالإضافة إلى ما له من شعر ونثر وخطب ورسائل. وهذه الكتب الدالة على اتّساع نطاق معرفته لم يصل إلينا منها شيء.

وفي شعر أبي عبد الله الاستجوي شيء من العذوبة - برغم ما يبدو عليه من التقليد - فقد ذكر لسان الدين بن الخطيب للاستجوي مطلع قصيدة هو: « ما للنسيم لدى الأصيل عليلاً<sup>(٦)</sup>؟ » ثم أورد منها بيتاً واحداً هو:

حتّى النسيم إذا ألمّ بأرضهم خلّعوا عليه رقّة ونحوها<sup>(٧)</sup>.

### ٣ - مختارات من آثاره

- قال محمد بن أحمد الاستجوي على طريقة أهل التصوّف في ذكر الأماكن المقدّسة:

(١) .....

(٢) يبدو أنه انتقل من مالقة إلى غرناطة لحنة كانت قد وقعت عليه في مالقة.

(٣) الإعجاز (بالكسر): عجز بعض الناس عن فعل ما يقدر عليه بعضهم الآخر. الأعجاز (بالفتح) جمع عجز (يفتح فضع): الشطر الثاني من بيت الشعر. الصدور جمع صدر: الشطر الأول من بيت الشعر.

(٤) نفح: انتشار الرائحة، الكيامة: الأوراق الخضراء التي تضم الزهرة قبل أن تفتح الزهرة.

(٥) الإحسان .... الإحسان (٤).

(٦) الأصيل: منتصف الوقت بين الظهر والمغرب. العليل: الضعيف (القليل الحر).

(٧) ألمّ: مرّ (بأرضهم) أو نزل نزولاً خفيفاً (قليلاً).

قَفَوَانِي رُبِّي نَجْدٍ، فَنِي الْقَلْبِ مَرَسَاهُ؛ وَغَنُوا إِذَا أَبْصَرْتُمْ قَمَّ مَغْنَاهُ<sup>(١)</sup>.  
أَمَا هَذِهِ نَجْدٌ؟ أَمَا ذَا هُوَ الْحِمَى؟ فَهَلْ عَمِيَّتْ عَيْنَاهُ أَمْ صَمَّ أُذُنَاهُ<sup>(٢)</sup>؟  
دَعُوهُ يُؤَفِّي ذِكْرَهُ بِلِسَانِهِ دُيُونَ هَوَاهُ قَبْلَ أَنْ يَتَوَفَاهُ<sup>(٣)</sup>.  
وَيَا سَائِقَا عَيْسَ الْغَرَامِ بَلْوَمِهِ

- وَكُلُّ إِذَا يَفْشَاهُ فِي الْحُبِّ يَخْشَاهُ<sup>(٤)</sup> -

أَرْحَاهُ، فَقَدْ ذَابَتْ مِنَ الْوَجْدِ وَالسُّرَى، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَظْمُهَا وَبَقَايَاهُ<sup>(٥)</sup>.  
وَيَا صَاحِبِي، عُجِبْتُ عَلَى الْخَيْفِ مِنْ مَنِي؛ وَيَا ذَا التَّقَى، مَنْ لِي بِأَنِّي أَلْقَاهُ<sup>(٦)</sup>؟  
وَعَرَّجَ عَلَى وَادِي الْعَقِيقِ فَإِنِّي أَسْأَلُ عَمَّنْ كَانَ بِالْأَمْسِ سَكْنَاهُ<sup>(٧)</sup>.  
وَقُلْ لِلَّيَالِ قَدْ سَلَفْنَ بَعِيثَهُ وَعُمِّرَ عَلَى رُغْمِ الْعَذُولِ قَطْعَنَاهُ<sup>(٨)</sup>،  
هَلِ الْعَوْدُ أَرْجُوهُ أَمْ الْعُمُرُ يَنْقُضِي فَأَقْضِي وَلَا يَقْضِي الَّذِي أَتَمَّنَاهُ<sup>(٩)</sup>؟

- وَلَهُ مِنْ بَرَنَامَجٍ مَشِيخَتِهِ (وَفِيهِ تَكْلُفٌ كَثِيرٌ وَتَوَرِيَّاتٌ وَإِشَارَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ إِلَى الْأَدَبِ وَالنَّحْوِ وَالتَّارِيخِ):

مَا هَذِهِ الْأَنْوَارُ اللَّائِئَةُ وَالْأَنْوَارُ الْفَائِئَةُ<sup>(١٠)</sup>. إِنِّي لَا أَجِدُ رِيحَ الْحِكْمَةِ وَلَا أَفْنَدُ،

(١) المرسى: النزول، البقاء، السكى. المعنى: المكان المصور (الذي يسكنه الناس).

(٢) الحمى: المسكن الذي يجب علينا حمايته.

(٣) قبل أن يتوفاه الله (قبل أن يموت).

(٤) العيس جمع عيساء: الناقة. - يا أيها الذي يسوق النياق إلى نجد (مكان المهبوب) وهو ينشد لوم المهبوب. - وكلّ إنسان يرى هذا المهبوب يخاف منه (لتبدل جسمه بالنحول من أثر الحب)؟ -

(٥) أرحها: اترك العيس مدة بلا سير (بلا سفر) فلعلها تستريح قليلاً (لكثرة أسفار هذا المهبوب عليها ولبعد أسفاره). الوجد: شدة الحب أو ألم المهبوب. السرى: السير في الليل.

(٦) عاج: مال (إلى مكان لينزل فيه). الخيف ومنى في الحجاز (من مناسك الحج) يكنى بها عن مكان المهبوب.

(٧) ... عن المهبوب الذي كان يسكنه.

(٨) العذول: اللأم. سلفن (مضين - بفتح الضاد) بعيشه (بالعيش فيه؟).

(٩) العود: الرجوع إلى ذلك المكان. فأقضي (أموت). لا يقضي الذي أتمناه (لا يتاح لي ما أتمنى: زيارة المهبوب).

(١٠) الأنوار (الأولى) جمع نُور (بالضم): الضوء، الضياء. الأنوار (الثانية) جمع نُور (بالفتح): الزهرة. اللائئة: البادية للنظر. الفائئة: التي تنتشر منها الرائحة الطيبة.

وَأَرَادَ مَوْرَدَ النِّعْمَةِ وَلَا أَكْنَدَ<sup>(١)</sup>. أَسْنَكُ دَارِينَ يُنْهَبُ أَمِ الصَّنْدَلُ فِي الضَّرَامِ  
الْمُلْهَبِ<sup>(٢)</sup>؟ أَمْ تَفْتَحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَفَاحَ نَسِيمُهَا، وَتَوَضَّحَتْ أَسْبَابُ الْمِنَّةِ فَلَاحَ  
وَسِيمُهَا<sup>(٣)</sup>؟

(وَقَالَ فِي صُلْبِ هَذَا الْبَرْنَامَجِ فِي ذِكْرِ نَفَرٍ مِنْ شُيُوخِهِ):

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهُ الْأَجَلُّ الْعَالِمُ الْعَدْلُ الْمُحَدِّثُ<sup>(٤)</sup> الْأَكْمَلُ الْمُتَفَنِّنُ الْخَطِيبُ الْقَاضِي  
أَبُو مُحَمَّدٍ بْنِ حَوْطٍ اللَّهِ<sup>(٥)</sup>، سَمِعْتُ عَلَيْهِ كُتُباً كَثِيراً بِمَالَقَةٍ بِقِرَاءَةِ الْفَقِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ  
أَبْنِ غَالِبٍ<sup>(٦)</sup>، وَلَقِيْتُهُ بِقَرْطُبَةٍ - وَهُوَ قَاضِيهَا - وَحَدَّثَنِي عَنْ جَدِّي وَعَنْ جُمْلَةِ شُيُوخِهِ .  
وَلَهُ بَرْنَامَجٌ كَبِيرٌ . وَأَخُوهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ أَبُو سُلَيْمَانَ مِنْهُمْ .

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهُ الْأَجَلُّ الْعَالِمُ الْعَلَمُ الْأَوْحَدُ النَّحْوِيُّ الْأَدِيبُ الْمُتَفَنِّنُ أَبُو عَلِيٍّ عُمَرُ  
أَبْنُ عَبْدِ الْجَبِيدِ الْأَزْدِيِّ<sup>(٧)</sup>، قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ مُفْرَداً<sup>(٨)</sup>، وَكُتَابَ الْجُمَلِ  
وَالْإِبْضَاحِ وَسَيَبُوهِ<sup>(٩)</sup> تَفْقْهُا<sup>(١٠)</sup>. وَمَا زِلْتُ مُوَاطِئاً لَهُ إِلَى أَنْ تُوَفِّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) أَكْنَدَ (يُنْسَبُ إِلَى الْفَنَدِ) بَفَتْحٍ فَفَتْحٍ - : ضَمَفَ الرَّأْيَ (الْجُنُونَ). أَكْنَدَ (يُنْسَبُ إِلَى الْكُنُودِ: كَفَرَانِ  
النِّعْمَةِ أَوْ نَكَرَانِهَا). وَفِي ذَلِكَ اقْتِبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٢ : ٩٤، يُونُسُ): ﴿إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يُونُسَ  
لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون﴾ (٦٠ : ١٠٠، الْعَادِيَاتُ): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ .

(٢) دَارِينَ اسْمٌ لِمَكَانَيْنِ (فِي الْبَحْرَيْنِ وَفِي الشَّامِ: سُورِيَّةٌ) مَشْهُورَيْنِ بِالسَّكَنِ. نُهَبَ: أُتِيحَ لِجَمِيعِ النَّاسِ .  
الصَّنْدَلُ: مَادَّةٌ طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ تَلْقَى فِي النَّارِ فَتَفْجُوحُ رَائِحَتُهَا .

(٣) لَاحَ: ظَهَرَ . وَسِيمُهَا (شَبَحَهَا الْجَمِيلَ) .

(٤) الْعَدْلُ: الَّذِي تَقْبَلُ شَهَادَتُهُ أَمَامَ الْقَاضِي (تَقَالُ لِلْمَذْكُورِ وَلِلْمُؤَنَّثِ وَلِلْوَاحِدِ وَلِلْجَمْعِ) . الْمُحَدِّثُ: الْمُشْتَغَلُ  
بِالْحَدِيثِ (حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ) .

(٥) الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَوْطٍ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ الْمَالَقِيُّ (ت ٦١٢ هـ) تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي بِلْدَانِ  
عَدِيدَةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ وَافْرِيقِيَّةٍ . كَانَ فَقِيْهًا أَدِيبًا، وَلَهُ شُعْرٌ (الْمَرْقَبَةُ الْعَلِيَا ١١٢) . وَحَوْطُ اللَّهِ تَحْرِيفُ  
(فِيَا يَبْدُو) مِنْ حَوْتَلَلُو (حَوْت: سَمَكَةٌ، وَهَذَا أَلْفٌ) . عِلَامَةُ التَّصْفِيرِ فِي الْإِسْبَانِيَّةِ) .

(٦) لَعَلَّهُ الْفَقِيهُ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ غَالِبِ الْأَنْصَارِيِّ (ت نَحْوَ ٦٤٠ هـ أَوْ قَبِيلَ ذَلِكَ) .  
وَتَوَلَّى قَضَاءَ غَرْنَاطَةِ، فِي الْأَغْلَبِ (الْمَرْقَبَةُ الْعَلِيَا ١٢٤) .

(٧) .....

(٨) مُفْرَداً: بِرَوَايَةٍ (فِي الْقُرْآنِ) وَاحِدَةً (بِقِرَاءَةِ نَافِعٍ وَحَدَّثَهَا أَوْ بِقِرَاءَةِ وَرَشٍ وَحَدَّثَهَا إِبْنُ خَالٍ - رَاجِعْ ذَلِكَ  
فِي تَرْجَمَةِ الْقُرْطُبِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٠، فِي الْجُزْءِ الْخَاسِ) .

(٩) كُتَابُ الْجُمَلِ (لِلزَّجَّاجِيِّ) وَكُتَابُ الْإِبْضَاحِ (لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ) ثُمَّ سَيَبُوهِ = الْكِتَابُ .

(١٠) تَفْقْهُا: فَهَمًا وَمُنَاقَاةً وَنَقْدًا (كَانَ يَعْرِفُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ . وَهُوَ الْآنَ يَرِيدُ أَنْ يَزِدَّادَ مَعْرِفَةَ بِهِ) .

وكان فريده عصره في الذكاء، ولم يكن في طلبة الأستاذ أبي زيد السهيلي أنجب منه<sup>(١)</sup>.....

ومِنْهُمْ الفقيه الأجلّ العالم المحدثُ السيّد أبو محمد القرطبي<sup>(٢)</sup>، قرأتُ عليه القرآنَ بالرواياتِ مُفرداتٍ<sup>(٣)</sup>، وتَفَقَّهْتُ عليه في الجُمَلِ<sup>(٤)</sup> والأشعار. وأجازني جميعَ ما رَوَاهُ<sup>(٥)</sup>. وكذلك فَعَلَ كُلُّ واحدٍ مِنِّي تَقَدَّمَ.

٤-★★ الإحاطة ٢: ٢٤١-٢٥٠.

### موسى بن سعيد العنسي

١- هو أبو عمران موسى بن محمد (٥١٤ - ٥٨٩ هـ) بن عبد الملك (٤٢٦-٥٦٢ هـ) بن سعيد العنسي، وُلِدَ في (قلعة محصّب) \* في خامس رَجَبٍ من سَنَةِ ٥٧٣ للهجرة (٢٨ / ١٢ / ١١٧٧ م). ثم إنَّ موسى أذركَ الفيلسوفَ ابنَ رُشْدٍ (ت ٥٩٥ هـ) وتلقَى عليه شيئاً من العِلْمِ (المغرب ١: ١٠٤).

بدأ موسى بن سعيد حياته السياسية بأن تولّى الكتابةَ لعبدِ الواحدِ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمنِ (أخي المنصورِ الموحّديّ)، حينما كان عبدُ الواحدِ هذا والياً على الأندلسِ (إشبيلية؟). ويبدو أنَّ منافسةً شديدةً كانتُ بينَ عبدِ الواحدِ والمستنصرِ أبي يعقوبَ يوسفَ الثاني (حفيدِ يعقوبَ الأوّلِ المنصور) وسُلطانِ المغربِ (٦١١ - ٦٢٠ هـ). وأرادَ المستنصرُ أنْ يستميلَ موسى بنَ سعيدٍ فعرّضَ عليه الوزارةَ في مراكش، فلم يقبلْ موسى (نفح الطيب ١: ١٨٢ - ١٨٣).

(١) أبو زيد (أبو عبد الرحمن) السهيلي (ت ٥٨١ هـ) صاحب كتاب «الروض الأنف (بضم فضم).

(٢)

(٣) كل ختمة من القرآن (قراءة كاملة) برواية واحدة في القراءات (راجع الحاشية الثانية على هذه الصفحة).

(٤) الجمل = كتاب الجمل (للزجاجي)

(٥) سمح لي بأنْ أروي عنه (ما تعلمته منه): أعلمه لميري.

\* يحصّب (بضم الصاد أو بكسرها).



وَأَسْتَطَاعَ عَبْدُ الْوَاحِدِ أَنْ يَتَوَلَّى الْمُلْكَ فِي مَرَاكُشَ (٦٢٠ - ٦٢١ هـ) عَامًا وَاحِدًا ثُمَّ خُلِعَ وَقُتِلَ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤ : ٣٨٤). وَمَعَ أَنَّ مُوسَى بْنَ سَعِيدٍ لَمْ يَكُنْ فِي مَرَاكُشَ يَوْمَ تَوَلَّى عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُلْكَ، بَلْ كَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ يُهْنُئُهُ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢ : ٣٦٢)، فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى مَرَاكُشَ (المغرب ٢ : ٥٣) بَعْدَ ذَلِكَ.

ثُمَّ ثَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُودٍ، سَنَةَ ٦٢٥ لِلْهِجْرَةِ (١٢٢٨ م) عَلَى الْمُوَحِّدِينَ وَأَسْتَبَدَّ بِالصُّخَيْرَاتِ (قُرْبَ مُرْسِيَّةَ) وَأَتَّسَعَ مُلْكُهُ فِي جَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ، فَمَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْعَنْسِيُّ وَأَبْنَهُ مُوسَى (صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ) مَعَهُ إِلَى أَبِي هُودٍ وَنَقَضَا وِلَاءَهُمَا لِلْمُوَحِّدِينَ (كَمَا كَانَا قَدْ نَقَضَا مِنْ قَبْلُ وِلَاءَهُمَا لِلْمُرَابِطِينَ).

وَأَرَادَ أَبُو هُودٍ أَنْ يُكَافِيَءَ بَنِي سَعِيدٍ عَلَى نَصْرَتِهِمْ لَهُ فَوَلَّى مُوسَى عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ.

وَاتَّصَلَ أَسْتَبْدَادُ أَبِي هُودٍ بِجَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ عَشَرَ سِنِينَ ثُمَّ قَتَلَهُ أَحَدُ وَلَدَيْهِ، سَنَةَ ٦٣٥ لِلْهِجْرَةِ (فِي أَوَّلِ شَهْرِ عَامِ ١٢٣٨ م).

وَيَبْدُو أَنَّ مُوسَى بْنَ سَعِيدٍ قَدْ تَنَقَّلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُدَّةً فِي مَدُنِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ رَأَى أَنَّ مَقَامَهُ فِي الْأَنْدَلُسِ أَصْبَحَ كَثِيرَ الْأَضْطِرَابِ فَعَزَمَ عَلَى الرَّحْلَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ بِنِيَّةِ الْحَجِّ، غَيْرَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَذَلِكَ فِي ثَامِنِ شَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٦٤٠ (٣٠ / ١٢٤٣ م).

٢- كَانَ أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ سَعِيدٍ رَجُلًا سِيَاسِيًّا، وَدَوْلِيًّا مِثْلَ أَهْلِهِ. وَكَانَ كَاتِبًا مُتَرَسِّلًا وَشَاعِرًا، إِلَّا أَنَّهُ أَبْرَعُ فِي نَثْرِهِ مِنْهُ فِي شِعْرِهِ. وَالَّذِي يَبْدُو أَنَّ مَيَّزَتَهُ كَانَتْ فِي اتِّسَاعِ مَعْرِفَتِهِ بِالتَّارِيخِ وَبِالْأَدَبِ، وَهُوَ أَحَدُ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي تَأْلِيفِ كِتَابِ «الْمَغْرِبِ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ».

### ٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ فِي الْمُظَفَّرِ عَبْدِ الْمَلِكِ

العامري<sup>(١)</sup> (المغرب ٢ : ٣٠٢) إملاء (أرتجالاً):

مَلِكٌ لَمْ يَرِثِ الْإِمَارَةَ عَنْ كَلَالَةٍ وَبَذَرَ لَمْ يَطْلُعْ بِغَيْرِ هَالَةٍ<sup>(٢)</sup>، إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَتْ  
بِلَنْسِيَّةٍ رِثَاسَةً جَدَّهِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ<sup>(٣)</sup>، وَأَوَى مِنْهُ أَهْلُهَا - فِي تِلْكَ  
الْخُطُوبِ - إِلَى حِرْزِ حَرِيزِ<sup>(٤)</sup>. فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّيْتَلَ فِي الْمَخْبَرِ<sup>(٥)</sup> مِثْلُ الْأَسَدِ،  
فَقَلَّدُوهُ تِلْكَ الْقَلَائِدَ فَذَبَّ عَنْ نِظَامِهَا وَاجْتَهَدَ<sup>(٦)</sup>. فَهَزَمَ الْمُتَشَمِّينَ وَأَخْرَجَ عَنْ بِلَادِهِ  
أَمِيرَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ غَانِيَةَ. وَطَلَعَ عَلَى تِلْكَ الظُّلَمِ كَالصُّبْحِ الْمُبِينِ<sup>(٧)</sup>، إِلَّا أَنَّهُ صَادَفَ  
فِي شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ الْأَمِيرَ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ عِيَاضٍ أَسَدَ الْحُرُوبِ وَقُطِبَ الْخُطُوبِ<sup>(٨)</sup>، رَجُلٌ  
الشُّعْرُ<sup>(٩)</sup> شُهْرَةٌ وَشَجَاعَةٌ، وَقَدْ أُلْقِيَ جَمِيعُ تِلْكَ الْبِلَادِ لَهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. فَهَوَتْ قُلُوبُ  
أَهْلِ بِلَنْسِيَّةٍ إِلَيْهِ<sup>(١٠)</sup>. وَرَأَى أَنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ صَرَفَهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَتَارُوا عَلَيْهِ. فَخَضَعَتْ  
أَقْلَامُهُ لِلسُّيُوفِ<sup>(١١)</sup>، وَدَارَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْفِتَنِ صُرُوفُ<sup>(١٢)</sup>. فَلَمْ يَرَ إِلَّا الْفِرَارَ، قَائِلًا لَيْسَ

(١) من نسل المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) المستبدُّ بأمر الخلافة المروانية في أيام هشام بن الحكم  
المستنصر بن عبد الرحمن الناصر.

(٢) الكلالَة: الرجل يموت لا أولاد له ولا زوجة (ان المظفر لم يصبح ملكاً لأنَّه لم يكن هنالك ملوك، بل  
انتزع الملك من أصحابه). الهالة دائرة (مظلمة أو ملوَّنة) ترى حول الجرم المضيء بنفسه كالشمس  
والقنديل (وهي في الحقيقة ترى حول عين الراي - أو بين الجسم المضيء؛ وعين الراي حيناً يكون  
الهواء مشبعاً بالرطوبة على درجة معينة). وكانوا من قبل يعتقدون أن الهالة تدلّ على شيء من  
القداة.

(٣) هو حفيد المنصور بن أبي عامر.

(٤) الخطب: المصيبة، الحادث المؤذي. أوى: التجأ.

(٥) في القاموس (٣ : ٣٤١): التيتل (بالتاء المثلثة) الوعل المسنّ، نوع من بقر الوحش (الغزلان). المخبر:  
الاختبار (حقيقة الأمر).

(٦) قلدوه تلك القلائد (ولوّه - بفتح اللام - الحكم). ذبّ: دفع (دافع، حامى عن البلد).

(٧) المبين: الظاهر، الواضح.

(٨) صادف (يقصد: وافق، حدث). ابن عياض: ملك (مستبد) بشرق الأندلس (راجع نفع الطيب ٤ :  
٤٥٦). قطب الخطوب (سبب تلك الأحداث الكبار؟).

(٩) الثغر: المكان (براً أو بحراً) يحشى مجيء العدو منه يحكم منطقة قرية من بلاد الاسبان.

(١٠) هوت إليه القلوب (مالت).

(١١) انهزم أدبه (ورجال بلاطه الأدباء) أمام القوة.

(١٢) الصروف: المصائب.

على زار الأسد قرار<sup>(١)</sup>. فجاءت به المقادير إلى أن حصلت في يد عدوه عبد الله بن غانية، فسجنه في جزيرة ميورقة إلى أن يسر الله سراحه على يد الموحدين. فحلّ بمراكش تحت نعمة ضافية ملحوظة بعين الرعاية مُتَفَقِّداً من الأمر العزيز بأجزال جارية<sup>(٢)</sup>.

- قال موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد في نهر أندرش (المغرب ٢: ٢٣٥):

خَلَنِي فِي نَهْرٍ أَنْدَرَشٍ كَيْ أُرْوِي عَنْدَهُ عَطْشِي.  
مُدَّ مِنْهُ يَغْصَمٌ نَضِرٌ فِي بَسِيطٍ بِالرِّيَاضِ وَشِي<sup>(٣)</sup>.  
عِنْدَ مَا أَبْصَرْتُ بَهْجَتَهُ حِزْتُ مِنْ فِكْرٍ وَمِنْ دَهْشٍ<sup>(٤)</sup>

- وقال يُرد على من عاتبه<sup>(٥)</sup> بكثرة المطالعة والصبر عليها (المغرب ٢:

١٧٠ = نفح الطيب ٢: ٣٣٤):

يَا مُفْنِياً عُمَرَه فِي الْكَأْسِ وَالْوَتْرِ<sup>(٦)</sup> وَرَاعِياً فِي الدُّجَى لِلْأَنْجُمِ الزَّهْرِي<sup>(٧)</sup>  
يَيْكِي حَبِيباً جَفَاهُ أَوْ يُنَادِمُ مَنْ يَهْفُو لَدَيْهِ كَفْضُنِي بِاسْمِ الزَّهْرِ<sup>(٨)</sup>،  
مُنْعَماً بَيْنَ لَذَاتٍ يُمَحِّقُهَا وَلَا يُخَلِّدُ مِنْ فَخْرِ وَلَا سِيرٍ<sup>(٩)</sup>،

(١) يقول النابغة الذبياني:

أَنْبَيْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي، وَلَا قَرَارَ عَمَلِي زَارَ مِنَ الْأَسَدِ.  
لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَطْمَئِنَّ إِذَا كَانَ يَسْمَعُ صَوْتَ أَسَدٍ (إذا كان إلى جانبه ما يهدده).

(٢) المتفق الذي يعتني به أناس كثيرون. من الأمر العزيز (أمر الملك). أجزل (أكبر، أثنى) جارية: مرتب جار على الموظف أو المقرّب باستمرار.

(٣) نضر، ناضر: ريان، براق. وشي (المقصود: الفعل المجهول من وشى - بتشديد الشين - زين).

(٤) الدهش (بفتح أو يفتح ففتح): التحير، ذهاب العقل.

(٥) هو يرد بهذه الأبيات على ابنه علي (ت ٦٨٥ هـ) والمؤلف الأخير لكتاب المغرب (راجع نفح الطيب ٢: ٣٣٣ - ٣٣٤).

(٦) الكأس (شرب الخمر) والوتر (سماع الغناء): اللهو.

(٧) الزهر جمع أزهر: لامع، مشرق. راعياً للأنجم الزهر: ساهراً بلا عمل منتج.

(٨) جفاه: هجره. هفا إليه: مال، اشتاق. كفصن (حبيب معتدل القامة كالغصن).

(٩) يمحّقها (يضيعها سدى). السيرة: السمعة الحسنة أو التاريخ المكتوب.

وعاذل لي فيما ظلمت أكببه:

يُسدي التعجب من صبري ومن فكري<sup>(١)</sup>؛  
يقول: ما لك؟ قد أفنيت عمرك في  
حبر وطرس عن الأغصان والحبر<sup>(٢)</sup>  
وظلمت تسهر طول الليل في تعب  
ولا ترى أبد الأيام من ضجر<sup>(٣)</sup>.  
أقصر، فإنني أدرى بالذي طمحت  
لأفقه همتي، وأسأل عن الخير<sup>(٤)</sup>،  
من بعد ما صار مثل التراب، كالسور<sup>(٥)</sup>  
بعد المات، جمال الكتب والسير<sup>(٦)</sup>.  
(جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم،

٤ - \*\* المغرب (٢: ١٧٠ - ١٧١) ثم راجع ١: ٩٨ - ٩٩، ١٠٤، ١٠٥ - ١٠٧، ١١٠،  
١٤٢، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٥٨، ٣٢٠، ٣٣٤، ٤٢٣ - ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٤،  
٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٧، ٢: ٣٥، ٥٣، ٦٣، ٧٣، ٨١ - ٨٢، ٨٥، ١٠٣،  
١١٠ - ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٤٥، ١٤٨ - ١٥١، ١٥٣، ١٦٤، ١٨٥، ١٨٠،  
٢٠٦، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٣،  
٢٧٦، ٢٨٨، ٣٠١، ٣٠٨، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٦٢، ٣٧٨، ٣٨٤، ٤٠٦؛ نفخ  
الطيب (٢: ٣٣٣ - ٣٣٥) ثم ١: ١٥٤ - ١٥٥، ١٧٨ - ١٧٩، ١٨٢ - ١٨٣، ٢:  
٣٣٧، ٣: ١٨٣، ٣٥١، ٣٦٤ - ٣٦٦، ٤: ١٣٨ - ١٤٠.

## الأعلم البطليوسي

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن قاسم بن إسحاق الأعم البطليوسي<sup>(٧)</sup> النحوي،

- (١) العاذل: اللائم. ظلت (بالكسر) = ظلمت (بكر اللام الأولى وسكون الثانية).
- (٢) في حبر (مداد أسود يكتب به) وطرس (ورق): في الكتابة والتأليف. الأغصان والحبر (الثوب الجميل من الحرير الأسود) لعله يقصد النساء الجميلات (اللواتي قاماتهن معتدلة كالأغصان وأبشارهن أو ظاهر جلدهن ناعم كالحرير).
- (٣) إن كلمة ظلمت (في هذا البيت وفي البيت الرابع من هذه القطعة أيضاً) مضبوطة (في نفخ الطيب ٢: ٣٣٣) بفتح الظاء. أبد الأيام: كل الأيام (التي لا تنتهي).
- (٤) أقصر (اترك هذا الاعتراض).
- (٥) من بعد ما صار مثل التراب (بعد ما مات). تتلى محاسنه كالسور (محاسنه كريمة كالسور في القرآن الكريم - هذه مبالغة غير مستحبة).
- (٦) الواضح أن البيت مضمّن. السيرة (تاريخ رجل عظيم).
- (٧) هو غير الأعم الشنمري يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ). وفي سنة وفاة الأعم البطليوسي شيء من الخلاف.

وُلِدَ فِي بَطْلَيْوَسَ وَأَخَذَ النَحْوَ عَنِ الْأَسَازِ هُذَيْلٍ<sup>(١)</sup> مِنْ عِلْمَاءِ النَحْوِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَصَدَّرَ لِلإِقْرَاءِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، فِي عَدِيدٍ مِنَ الْفَنُونِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ - ١٢٤٥ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢- كَانَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلَيْوَسِيُّ رَجُلًا ضَيِّقَ الصَّدْرِ بِكُلِّ شَيْءٍ كَثِيرَ الشَّكْوَى مِنَ الزَّمَنِ وَمِنَ النَّاسِ، وَهَجَا حِمَصَ (إِشْبِيلِيَّةَ) وَلَمْ يَتَّفَقْ أَنْ هَجَاها أَحَدٌ قَبْلَهُ. وَكَانَ بَارِعًا فِي النَحْوِ خَاصَّةً. وَلَهُ تَصَانِيفٌ مِنْهَا: تَارِيخُ بَطْلَيْوَسَ - الْجَمْعُ بَيْنَ الصِّحَاحِ لِلْجَوْهَرِيِّ وَالْغَرِيبِ الْمَصْنُوفِ (رَاجِعْ بَغِيَّةَ الْوَعَاةِ ١٨٥). وَقَدْ بَلَّغَتْ تَصَانِيفُهُ خَمْسِينَ عَدَدًا (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٤٥١).

وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلَيْوَسِيُّ أَدِيبًا شَاعِرًا. وَكَانَ نَاقِدًا أَيْضًا (رَاجِعْ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٤٥١ - ٤٥٢، ٥٩٦، ٦: ٧ و ٧).

### ٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِلأَعْلَمِ الْبَطْلَيْوَسِيِّ فِي الشَّكْوَى مِنَ الدَّهْرِ وَالنَّاسِ:

★★ دَعِ الْأَيَّامَ تُنْصِفُ مِنْ أَنْاسٍ إِذَا صَارَتْ لَمْ حَقَرُوا الْكِرَامَا. (٢)  
وَلَا تَدْمَعْ جُفُونُكَ إِنْ تَفَانَوْا وَلَا تَقْرَأْ عَلَى أَحَدٍ سَلَامَا.  
وَنَكَّبْ عَنْ مَصَارِعِهِمْ جَزَاءً، وَلَا تَحْفَظْ لِمَذْمُومٍ ذِمَامَا. (٣)  
وَفَكَّرْ فِي صَنِيعِهِمْ - وُلَاةً - لِتَشْكُرَ فِي تَسْرُعِهِ الْجِهَامَا!  
صَحِبْتُ النَّاسَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ فَلَمْ أَرْ مِنْ أَوْدٍ لَهُ الْمَقَامَا.  
★★ يَا حِمَصُ، لَا زِلْتِ دَارًا، لِكُلِّ بَوْسٍ، وَسَاحَا.

(١) الْأَسَازِ هُذَيْلٍ (كَذَا غَيْرُ مَنْسُوبٍ) ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «بَغِيَّةِ الْوَعَاةِ» (ص ٤٠٨) نَقْلًا عَنِ الْمَغْرِبِ (١: ٢٦٥)، وَسَمَّاهُ الْمَقْرِي فِي «نَفْحِ الطَّيِّبِ» (٤: ١٢٧): «الْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ هُذَيْلُ الْإِشْبِيلِيِّ». رَاجِعْ أَيْضًا فِي «الْمَغْرِبِ» (١: ٢٦٥)، الْحَاشِيَةُ الْآخِرَةُ. وَفِي الْفُصُولِ الْيَانِمَةِ (ص ٦٩ - ٧١) شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِهِ وَمِنْ شَعْرِهِ.

(٢) إِذَا صَارَتْ لَمْ: إِذَا أَصْبَحَ لَمْ نَفُوزَ.

(٣) نَكَّبَ: تَجَنَّبَ، ابْتَعَدَ. الْمَرْعَى: الْمَقْتَلُ، الْهَلَاكُ. جَزَاءً: عِقَابًا (لَا تَعَاقِبِ الَّذِينَ يَقْتُلُكَ الدَّهْرَ).

ما فيك موضع راحة إلا وما فيه راحة<sup>(١)</sup>!

- ومن أقواله في النقد (من نفع الطيب): لِيَكُنْ مَحْفُوظُكَ مِنَ النِّظْمِ مِثْلَ قَوْلِ  
أَبْنِ الْقَبْطُرْنَةِ<sup>(٢)</sup>: «دَعَاكَ خَلِيلُكَ وَالْيَوْمُ طَلٌّ» (٣: ٥٩٦) - وقال إنه سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ  
أَبْنَ زُهْرٍ يَقُولُ: «كُلُّ الْوَشَّاحِينَ عِيَالٌ عَلَى عُبَادَةِ الْقَزَازِ فِيمَا اتَّفَقَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ:  
«بَذَرْتِمَ...»...وما حَدَّثْتُ قَطُّ وَشَّاحاً عَلَى قَوْلِ إِلَّا أَبْنُ بَقِيٍّ حِينَ وَقَعَ لَهُ: «أَمَا  
تَرَى أَحَدًا.... لَا يُلْحَقُ» (٧: ٧).

٤- \*\* المغرب ١: ٣٦٩؛ القدر المعلق ١٥٧؛ بغية الوعاة ١٨٥؛ نفع الطيب (راجع  
المتن)؛ أزهار الرياض ٣: ١٠٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٦٠ (٦٢).

### طلحة بن حزم الأموي

١- هو أبو محمد طلحة بن أبي بكر محمد (ت ٦١٩ هـ) بن طلحة بن محمد بن عبد  
المالك بن أحمد بن خلف بن الأسعد بن حزم الأموي اليابري الإشبيلي، أصله من  
يأبرة<sup>(٣)</sup> ثم انتقلوا إلى إشبيلية.

وُلِدَ طَلْحَةُ بْنُ حَزْمٍ الْأُمَوِيُّ، فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٦٠١ (مطلع كانون  
الثاني - يناير من عام ١٢٠٥ م).

وروى طلحة بن حزم الأموي عن أبيه أبي بكر وعمه أبي العباس ثم عن نفرٍ  
كثيرين منهم أبو بكر بن قسوم الزاهد (ت ٦٣٩ هـ) وأبو علي بن الشلوبين  
(ت ٦٤٥ هـ) وغيرهم. ولم يأخذ عن أبيه كثيراً لأنه كان قد عانى مرضاً شديداً في  
مطلع شبابه، ثم إن أباه توفي باكراً (سنة ٦١٩ هـ). غير أن هذا كله لم يمنعه من أن  
يَسْتَدْرِكَ كثيراً من العلم في وقتٍ قصير، فقد تصدّر لتدريس النحو وغيره باكراً ثم  
أجازَ لِنَفَرٍ مِنَ الَّذِينَ دَرَسُوا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُجَاوِزَ هُوَ الْعَشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ.

(١) موضع راحة (بقدر راحة اليد).

(٢) أبناء القبطنة ثلاثة أدباء شعراء (راجع تراجمهم في الجزء الخامس).

(٣) يأبرة في البرتغال اليوم (شرق لشبونة العاصمة).

وكانت وفاة طلحة بن حزم في إشبيلية سنة ٦٤٣ للهجرة (١٢٤٥ م) في الأغلب.

٢- كان طلحة بن حزم الأموي مقرأ للقرآن قديراً في صناعة التجويد، كما كان عارفاً بالحديث ونحوياً ماهراً ومُتبحراً في التاريخ. ثم كانت له عناية بالأدب، وربما نظم الشعر. وشعره عادي يميل إلى شيء من الضعف.

ثم هو مُصنّف له مُعْجَمُ شيوخه سَمَّاه «مُلْحَة الراوي وخِتَام عَيْبَةِ الحَاوِي»<sup>(١)</sup> (ألفه سنة ٦٢٠ هـ) ثم وَسَّعَ هذا المُعْجَمَ (سنة ٦٣٥ هـ) في بَرْنَامِجٍ سَمَّاه «نُفْبَةُ الوارد ونُخْبَةُ مُسْتَفَادِ الوافد»<sup>(٢)</sup> (وهو مشتمل على أسْمَاءِ مِثَاتٍ من الرجال والنساء). ثم إنَّه عمل فَهَارِسَ (لأسْمَاءِ الكُتُبِ؟) لِنَفَرٍ من أَشْيَاخِهِ كَأَبِي أُمَيَّةَ وَأَبِي الْوَلِيدِ بْنِ الْحَاجِّ وَغَيْرِهِمَا؛ وقد ظَهَرَ في ذلك كُلُّهُ جَوْدَةُ اخْتِيَارِهِ وَحُسْنُ تَرْتِيبِهِ وَفَضْلُ اقْتِدَارِهِ. وكذلك كان قد بدأ يَزِيدُ في «كِتَابِ الصَّلَةِ» لِأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بَشْكُوَالٍ، ولكن لم يَسْتَطِعْ إِيْتِمَامَ مَا بدأ به.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال طلحة بن حزم الأموي: كان أبو زكريا يحيى بن عاندي يُنشدنا في أواخر مجلس السَّهَّاعِ (تدريس الحديث):

مجالسُ أصحابِ الحديثِ حَدَائِقُ تَنْزَعُ<sup>(٣)</sup> فِيهَا أَعْيُنٌ وَقُلُوبُ.

ثم قال (طلحة بن حزم): وسألني صاحبنا وشيخنا أبو محمد بن قاسم الحريري تَذْيِيلَ هذا البيتِ .... فقلت:

---

(١) الملحة: ما يستحسن من الأحاديث. الراوي: راوي الحديث. العيبة: وعاء من خوص (جريد النخل).

الحاوي: الذي يرقى الأفاعي ويقبض عليها ويلاعبها. والحاوي (الشيء) يشتمل على أشياء كثيرة.

(٢) النخبة: الجرعة (بالضم) أو ملء الفم من الماء. الوارد: الآتي إلى الماء ليستقي (يشرب أو يملأ وعاء). الوافد: الآتي من مكان بعيد.

(٣) تنزه = تنزهه: سير في البساتين طالبة التفرج عن النفس (وهذا المعنى المقصود هنا خطأ شائع. والتنزه، في القاموس، الترفع عن الأمور التي لا تليق).

بِمَجَالِسُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ حَدَائِقُ  
تَفَجَّرَ يَنْبُوعُ الشَّرِيعَةِ وَسَطْهَا  
وَأُطْلِعَتِ الْأَفْئَانُ زَهْرَ فُنُونِهِ  
وَأَثَرَتِ الْأَزْهَارُ زَهْرَ فَوَائِدِ  
كَسَتِ شَمْسُ دِينَ الْمُصْطَفَى كُلَّ مَا بِهَا  
نَرَى طَالِي الْأَثَارِ فِي رَغْدِ عَيْشِهِمْ  
فَلِلْفِكْرِ قَطْفٌ ثُمَّ لِلنَّفْسِ نَعْشَةٌ،

- ومن نظم أبي محمد طلحة بن حزم:

مَنْ كَانَ فِي كَسْبٍ لَهُ مُسْتَهْلَأٌ،      ذَاكَ الَّذِي لَا رَيْبَ فِي تَنْقِصِهِ (٧).  
مَنْ لَا يَرِيكَ أَمْرُهُ فِي دِرْهَمٍ      فَهُوَ الَّذِي لَا شَوْبَ فِي تَخْلِيصِهِ (٨).  
حُكْمٌ لَهُ فِي حُكْمِهِ عَدْلٌ فَمَا      يَرْتَابُ فِي الْإِنْصَافِ فِي تَخْصِيصِهِ (٩).  
فَكَأَنَّ مَا حَكَمُوا بِهِ مِنْ حُكْمِهِ      عَنْهُ أَسْتَفَادُوهُ وَمِنْ تَمْحِيطِهِ (١٠).

٤- ★★      الذيل والتكملة ٤: ١٦١ - ١٧٠ (رقم ٣٠٣)، بغية الوعاة ٢٧٣.

- (١) أُنِيعَ الثمر: نضج (واستماله للفصن خطأ).
- (٢) الفن (بفتح ففتح): الفصن. الفنون (هنا) الأنواع. الصبا: ريح الشرق. النشر: الرائحة الطيبة.
- (٣) زهر، لعلها «زهر» (بالضم): نجوم (فوائد بارعة مشهورة). جنى يجني: قطف الآثار. جنى معنى: معان مختارة.
- (٤) دين المصطفى (محمد رسول الله): الإسلام. النور (بالفتح): الزهر الأبيض. روق (حسن منظر؟) لا يستقيم بها الوزن هنا.
- (٥) الآثار (هنا) الأحاديث (أحاديث رسول الله). رغد العيش: سعته ونعمته. والجملة: «جناب رحيب والحل خصيب» في محل نصب حال (؟).
- (٦) للفكر قطف (طالبو الآثار، أي دارسو الحديث، يقطفون من رواية الأحاديث آثاراً شهية مفيدة). النعشة (هنا): اغتنام الإنسان بعد فقر أو إنهاضه بعد عثرة، سرور.
- (٧) - من كان متساهلاً في إنفاق ما يكسبه، فذلك الذي يكسب ماله من وجه غير شرعي (بسهولة).
- (٨) - والذي لا تشك في أمره عند إنفاق ماله، فذلك لا شوب (لا خلط، لا سوء) في إخلاصه في جمع ماله.
- (٩) الحكم (هنا) الله. لا يرتاب في تخصيصه (في إعطاء بعض الناس أكثر من بعضهم الآخر).
- (١٠) فإذا وافق حكم الناس على فلان من الناس ما حكم به الله عليه، فأنهم يكونون قد استفادوا هذا الحكم الصحيح من نعمة الله عليهم، ومن التمهيص: البحث الدقيق في الأمور (؟؟؟).



## عنان بن جابر

١ - هو **عنان بن جابر بن جامع** زعيم قبيلة بني **مرداس بن سُلَيْم** - وكان بنو **مرداس** هؤلاء قد جاءوا مع القبائل التي سَرَّحَهَا الفاطميون من صَعِيدِ مِصْرَ إلى **إفريقية** (القطر التونسي) آتِقَاماً من الذين كانوا قد تَخَلَّوْا عن الدعوة الفاطمية (راجع الجزء الرابع). وقد كان ملوك بني **حَفْص** يُقَرِّبُونَ رجالات من بني **مرداس** وَيُغْدِقُونَ عَلَيْهِمُ العطايا لِيَسْتَعِينُوا بِهِم عِنْدَ الحاجة إليهم في مقاومة خُصُوم الحَفْصِيِّينَ.

وفي أيام **أبي زكريا يَحْيَى بن عبد الواحد الحفصي** (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) حَدَثَ خِلَافٌ بين بني **مرداس** و**يَحْيَى الحفصي**، فَأَلْقَى **يَحْيَى الحفصي** شيئاً من العداوة بين قبيلة بني **مرداس** وقبيلة بني **علاق**. فاستاء **عنان بن جابر** (شيخ بني **مرداس**) وَاَرْتَحَلَ مع قومه إلى المغرب الأوسط (القطر الجزائري). وكانت وفاة **عنان بن جابر** نحو سنة ٦٤٥ للهجرة (١٢٤٧ م).

٢ - **عنان بن جابر** شيخ **بَذَوِي** مُسْتَقِيمُ السيرة أَيْ النفس شُجَاعٌ. وشِعْرُهُ **بَذَوِي** الخصائص وعليه نفحة جاهلية، وفيه حماسة (وصف للقتال) وفخرٌ بالنفس. وشعره متينُ السبك ولكن يتخلله صيغٌ غريبة: **سالي** (سال)، **تخاير**، **ضرائر**<sup>(١)</sup>.

### ٣ - مختارات من شعره

- قال **عنان بن جابر** يفتخر ويذكر سببَ اَنتِقَالِهِ من **إفريقية** (تونس) إلى المغرب الأوسط (القطر الجزائري):

ولما رأيتُ الودَّ قد بانَ وأنقضى دَعَوْتُ، ونارُ الشوقِ تغزو ضمائرِي<sup>(٢)</sup>:

(١) **سالي** (بضمين على الباء) مكان **سَالٍ** (منقوص): الذي يسلو (ينسى)؛ **التخاير** (التنافس في الخير)، وهو يقصد بها الاختيار؛ **الضرائر** (جمع ضرة: ثاني زوجتي الرجل أو جمع ضرورة: ما يضطر الإنسان إلى فعله، الحاجة)، وهو يستعملها بمعنى الضرر.

(٢) **بان**: ابتعد.

ألا أيها الغادي على متنٍ ضامرٍ  
عليه غُلامٌ لا يَمَلُّ من السرى  
تَحْمَلُ إلى ترشيشٍ عني تحيةً  
بِلادٍ بها نِيطَتْ عَلَيَّ تَأمي،  
وبلَّغْ لِنَدْبِ أَرْجِي سَمِينِدِ  
بَعَثَتْ، أبا عبدِ الإله، بدائماً  
تُذَكِّرني الوُدَّ الذي كان بَيْننا  
لَيْالٍ وأَيَّامٍ نَعْمنا بوصلها  
وكُنَّا إذا ما الجَيْشُ صَفَّتْ جُنُودُهُ  
فلَمَّا بدا لي بعضُ ما كنتُ أَتَقِي  
وعادت عليَّ الأرضُ حَلَقَةً خاتِمِ  
رَأَيْتُ رِجالاً من رِياحٍ ومالكِ  
سليمِ القَرى عَبلِ الذَّرَاعَيْنِ فاطرِ<sup>(١)</sup>  
علِمٌ خَيْرٌ بالصَّوى والمخاطرِ<sup>(٢)</sup>،  
كما سَلَّمَ الأَحبابُ عِندَ التَّراوُرِ<sup>(٣)</sup>.  
وفيها نَمَّا عَقَلِي وَلَبِّي وخاطري<sup>(٤)</sup>.  
سلاماً يُؤدِّي عن عِنانِ بِنِ جابرِ<sup>(٥)</sup>  
مُحَبَّرَةً منظومةً كالجواهرِ<sup>(٦)</sup>،  
وتزَعُمُ أَنِّي سَالِيٌ غَيْرُ ذاكِرِ<sup>(٧)</sup>.  
على كَرَمٍ مِنَّا وحَفَظِ سرائِرِ<sup>(٨)</sup>.  
تَراننا على خيلٍ عِتاقٍ ضوامِرِ<sup>(٩)</sup>.  
وحانتُ أمورٌ ضَيِّقاتُ المِصادرِ<sup>(١٠)</sup>،  
بلا ذِلَّةٍ مِنِّي سِوى طَوَعِ آمِرٍ،  
وعَوَفٍ ودَبَّابٍ وزَغَبٍ وماجِرِ<sup>(١١)</sup>

- (١) الغادي: الذاهب باكراً. متن (ظهر) ضامر: حصان نخيل البطن (قادر على الجري السريع طويلاً).  
القرى: الظهر. عبل: سمين. فاطر: الذي فطر (شق)، أي شقت سته لحم اللثة وبرزت (في السنة الثانية من عمره؟): أصبح قوياً.  
(٢) السرى: السفر في الليل. الصوة (بضم الصاد وتشديد الواو): علامة توضع على جانب الطريق لمعرفة الاتجاه أو لقياس المسافات. المخاطر (يقصد الأماكن التي فيها خوف).  
(٣) ترشيش: تونس. التراور (تبادل الزيارات أو زيارة بعض الناس بعضاً).  
(٤) ناط: علق. التيممة: حرز (بالكسر): قطعة ورق تطوى طياً يجعلها مثلاً متساوي الساقين وتعلق على الصبي الصغير لدفع أذى العين والحسد (يقصد أنه ولد في تونس).  
(٥) النذب: الظريف والنحيب (الذكي، الفاضل) الأرجي: النشط، الحليم (الواسع الخلق)، الكريم.  
السديد: السيد، الكريم، الشجاع.  
(٦) بدائع محبرة (مزينة): أي قصيدة ذات معان جميلة.  
(٧) سالي: (أو سالي) يقصد «سال» (بكسرتين على اللام): الذي ينسى.  
(٨) سرائر جمع سريرة: ما يكتنه الإنسان أو سره (بضمه) في نفسه.  
(٩) الحصان العتيق: الكريم (المعروف النسب)، القادر على الركض. الضامر (النخيل البطن)، السريع.  
(١٠) اتقي: أخشى، أخاف (من العداوة). حان: اقترَب. أمر ضيق المصدر (لا خيار فيه؟) سىء العاقبة.  
(١١) رياح ومالك وعوف أسماء قبائل، ثم دباب وزغب (بالضم) اسمان. ويبدو أن ماجر أيضاً اسم بطن من قوم الشاعر.

لَهُمْ مَرْقَبٌ دُونِي وَقَدْ كُنْتُ فَوْقَهُمْ      بَسِيفِي وَرُحْمِي وَالْوَعْيُ وَعِشَائِرِي <sup>(١)</sup> ،  
 تَبَيَّنْتُ حَالًا لَا أُطِيقُ أَحْتَالَهَا      فَحُدْتُ بِنَفْسِي عَنْ عَدُوٍّ وَجَائِرٍ .  
 وَسَلَّمْتُ أَرْضَ الشَّرْقِ لَا عَنْ مَذَلَّةٍ ،      وَبِمَنْتُ أَرْضَ الْغَرْبِ لَا عَنْ تَحَايِرٍ <sup>(٢)</sup> ،  
 إِلَى بَلَدٍ لَا يَعْرِفُ الذَّلَّ أَهْلُهُ      كِرَامَ الْعَسَايَا مِنْ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ <sup>(٣)</sup> .

٤-★★ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٠٢-٢٠٥ : عنوان الأريب ٢٠٢-٢٠٥ .

### ابن سَفَرِ الْمَرْيِّ

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ (بن عبد الله) بن سَفَرِ الْمَرْيِّ <sup>(١)</sup> - منسوباً إلى  
 جَدِّهِ - أَصْلُهُ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَرْيَّةِ وَلَكِنَّهُ عَاشَ فِي إِسْبِيلِيَّةٍ . لَا نَعْلَمُ زَمَنَهُ بِالتَّحْدِيدِ ،  
 وَلَكِنْ يُنْتَظَرُ أَنْ يَكُونَ - أَسْتِنَاداً إِلَى وُرُودِ تَرْجُمَتِهِ فِي « تُحْفَةِ الْقَادِمِ » لِابْنِ الْأَبَارِ  
 الْمُتَوَفَّى فِي مَطْلَعِ سَنَةِ ٦٥٨ - مِنْ أَحْيَاءِ النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ السَّابِعِ (الثَّلَاثَ  
 عَشَرَ لِلْمِيلَادِ) .

٢- ابْنُ سَفَرِ الْمَرْيِّ أَدِيبٌ بَارِعٌ وَشَاعِرٌ رَقِيقٌ مَحْسُنٌ كَانَ شَاعِرَ الْمَرْيَّةِ فِي عَصْرِهِ ،  
 أَحْسَنُ شِعْرِهِ الْوَصْفُ ، وَوَصَفُهُ مِنْ أَبْدَعِ الْأَوْصَافِ فِي جِهَالِ الْأَنْدَلُسِ .

### ٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ سَفَرِ الْمَرْيِّ فِي وَصْفِ الْأَنْدَلُسِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ١ : ٢٠٩ - ٢١٠) :  
 فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ تُلْتَسَدُ نَعْمَاءُ      وَلَا يُفَارِقُ فِيهَا الْقَلْبَ سَرَاءُ <sup>(٥)</sup> .

(١) - كَانَ لَهُمْ مَكَانَةٌ دُونِي (تَحْتِي) ...

(٢) يَمُّ : قَصْدٌ . تَحَايِرٌ (يَقْصِدُ اخْتِيَارًا) .

(٣) كَرِيمُ الْعَشِيَّةِ : يَحَافِظُ عَلَى عِفَافِهِ <sup>(٤)</sup> . هِلَالُ بْنُ عَامِرٍ : جَدُّ قَبِيلَةٍ .

(٤) فِي الْمَغْرِبِ : أَبُو الْحُسَيْنِ . فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (١ : ٢٠٩) الْمَرْيِّ (وَهُوَ تَصْحِيفٌ) . وَفِي الْوَاقِعِ بِالْوُفَايَاتِ :  
 الْمَغْرَبِي . وَيَدْعَى أحياناً : ابْنُ صَفَرٍ (بِالضَّادِ) .

(٥) النِّعْمَاءُ : الْخَفِضُ وَالِدَعَةُ (الْعَيْشُ فِي أَمْنٍ وَاطْمَئْنَانٍ) . السَّرَاءُ : النِّعْمَةُ وَالرِّخَاءُ (سَعَةُ الْعَيْشِ) وَالْمُسْرَةُ .

وليس في غيرها بالعيش مُتَنَفِّعٌ،  
وَأَيْنَ يُعَدَّلُ عن أرضٍ تَحُضُّ بها  
وكيفَ لا يُنْهَجُ الأبصارَ رؤيتها  
أنهارها فِضَّةً، والمِسْكُ تُرْبَتُها،  
وللهواء بها لُطْفٌ يَرِقُّ به  
ليسَ النسيمَ الذي يهفو بها سَحَرًا،  
وإنَّما أَرَجَ النَّدَّ استَنَارَ بها  
وأَيْنَ يَبْلُغُ منها ما أَصَنَّفَه،  
قَدُمِيزَتْ من جِهاتِ الأرضِ حينَ بدتْ  
دارتْ عليها نِطاقًا أَمَجْرٌ خَفَقَتْ  
لذاكَ يَنسِمُ فيها الزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ؛  
فِيها خَلَعَتْ عِذارِي ما به عِوَضٌ؛  
فَهِيَ الرِّياضُ وكُلُّ الأرضِ صَحراءُ<sup>(١)</sup>!

- (١) الصَّهَاءُ: الخمر. - حتَّى الخمر (إذا شربت في غير الأندلس) لا تحدث للإنسان أنساً (اشراحاً).  
والأنس في الأصل: حديث النساء.  
(٢) وأين يعدل عنها: إلى أين ينتقل الإنسان.  
(٣) الوشي: التزيين. صنعاء: عاصمة اليمن (مشهورة بالنسيج الجيد الجميل).  
(٤) الحَزْر: الحرير. الدر: اللؤلؤ. الحصباء: الحصى، صفار الحجارة.  
(٥) يرق به من لا يرق: إنَّ الجافي الطبع يصبح (بعد تنشق هوائها) رقيقاً لطيفاً. الأهواء جمع هوى: ميل النفس إلى العشق وما يتبعه.  
(٦ و ٧) هفت الريح: هبَّت وحرَّكت الأغصان. السحر: آخر الليل قبيل الفجر. في نفح الطيب (١: ٢١٠).  
«النسيم» (بالرفع: بضمة على آخره) وهذا لا يستقيم في الإعراب («فالذي» لا تعرب في المشهور خيراً) مع الاسم الظاهر في التواضع. وكذلك المعنى بذلك لا يستقيم. المقصود: ليس الذي يهبُّ في الأندلس (في آخر الليل) نسيماً (من الهواء)، ولا قطرات الماء المنتثرة (الشفرة) في الفصول من الطلِّ (الندى) ماء متجمّعاً، ولكنَّ ذلك كلُّه مزيج من الأريج (الرائحة الطيبة) ومن ماء الورد.  
(٨) يحيط بالأندلس (كالنطاق: الزنار، من كلِّ جانب) أَمَجْر (بحار وأنهار). وجداً بها: عشقاً لها. تبدَّت وهي (أي الأندلس).  
(٩) خلعت عذارِي: انغمست في اللهو. والأصح: قضيت كلَّ شبَّاءٍ (في التمتع باللهو أيضاً). ولا أجد عوضاً (بدلاً) من شبَّاءٍ.

- وقال في النسيب:

وواعدْتُها والشمسُ تَجْنَحُ للذَّجَى ،      بزورِها شمساً وبدرُ الذَّجَى يَسْرِي<sup>(١)</sup> .  
فجاءتْ كما يَمشي سَنَا الصُّبْحِ في الذَّجَى ،  
وطوراً كما      مرَّ النسيمُ على النهرِ<sup>(٢)</sup> ؛  
فمَطَرَتِ الآفاقَ حَولي فأشعَرَتِ      بمَقْدِمِها ، والعَرَفُ يُشعِرُ بالزَّهرِ<sup>(٣)</sup> .  
فتابعتُ بالتقبيلِ آثارَ سَعِيها      كما يَتَقَصَّى قارىءُ أحرفِ السطرِ<sup>(٤)</sup> .  
فبِتُّ بها ، والليلُ قد نام ، والهوى      تَنَبَّهَ بين الغُصْنِ والحَقْفِ والبَدْرِ<sup>(٥)</sup> .  
أعانقُها طوراً وألثمُ تارَةً      إلى أن دَعَتْنَا للثَّوى رايَةُ الفَجْرِ ،  
فَفَضَّتْ عُقوداً للتعانقِ بَيْنَنا .      فياليلةِ القَدْرِ ، اترُكي ساعةَ النَّفْرِ<sup>(٦)</sup> !

٤ - ★★ الوافي بالوفيات ٣ : ١١٤ ؛ المغرب ٢ : ٢١٢ - ٢١٣ ، نفح الطيب ١ : ١٥٧ ،  
٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٣ : ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢١٢ ، بالنشأ ١٢٩ - ١٣٠ .

## أبو عليّ الشلوّين

١ - هو أبو عليّ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ الْإِسْبِيلِيُّ المعروف  
بالشَّلَوْبِينَ وبالشَّلَوْبِينِي<sup>(٧)</sup> ، وَلِدَ في إِسْبِيلَةَ سَنَةَ ٥٦٢ للهجرة (١١٦٦ - ١١٦٧ م) .

(١) الشمس (الحقيقية) تَجْنَحُ (تَمِيلُ) للذَّجَى (الليل ، للغروب) . شمساً (فتاة جميلة) تزورني في الليل مع أَنَّ  
البدر ظاهر في سماء الليل .

(٢) كما يَمشي سَنَا (ضوء) :.... على مهل .

(٣) العَرَفُ : الرائحة الطيبة .

(٤) سَمِيها (إليّ) : عَجِثها ، سِرّها . كما يَتَقَصَّى :.... خطوة خطوة .

(٥) بَتَّ بها (معها) . نام الليل : غَفَلَ (طال) . الغُصْنُ (قوامها) والحَقْفُ : ما اعوجَّ من الرمل (وسط جسمها)  
والبدر : وجهها (أعانقها .... وأقبلها) .

(٦) فَفَضَّتْ :.... : أنهت لقاءنا . ليلة القَدْرِ (الليلة السابعة والعشرون من رَمَضان - وهي مباركة وخير من  
ألف شهر) . ساعة النفر : الوقت الذي ينحدر فيه الحجاج من عرفات (وهو المنسك الأساسي في  
الحج) . - يا ليتنا السعيدة لا تنتهي ! (هنا) ليلة القدر (كتابة عن الليلة التي قضّاها مع محبوبته) ، وليلة  
النفر (كتابة عن الصباح الذي اضطرَّ فيه إلى مفارقة مكان محبوبته) .

(٧) هنالك نحويّ يعرف بالشلوّين الصغير (نحو ٦٢٠ - ٦٦٠ هـ) هو أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ =

أخذ أبو عليّ الشلوبين عن جماعة وفيرة العدد من العلماء (راجع أسماءهم في «الذيل والتكملة» ٥: ٤٦١ - ٤٦٢). ثمّ تصدر للإقراء نحو سنة ٥٨٠ هـ واستمرّ في ذلك ستين عاماً. في هذه الأثناء كان منقطعاً إلى آل زهر. ثمّ إنّه زار مرّات في أيام المنصور الموحديّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانت وفاته (نفع الطيب ٤: ٤٧٢) في إشبيلية في منتصف صفر من سنة ٦٤٥ (١٢٤٧/٦/٢١ م).

٢- قال أبو جعفر أحمد بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ = ١٣٠٨ م) في «صلة الصلة» (٧٠ - ٧١): «وكان الأستاذ أبو عليّ (الشلوبين) رحمه الله إماماً في العربية غير مدافع، وهو آخر أئمة ذلك الشأن بالشرق والمغرب.... أقرأ نحواً من ستين سنة وعلا صيته واشتهر ذكره. وكان ذا معرفة بنقد الشعر وغيره بارعاً في التعليم ناصحاً (وبه أبقى الله ما بأيدي أهل المغرب من علم العربية. وقلّ متأدّب بالأندلس من أهل وقتنا لم يقرأ عليه أو نخوي لا يستند - ولو بواسطة - إليه).

ومن «نفع الطيب»: كان أبو عليّ الشلوبين من أعلام إشبيلية (٢: ٢٧١) سار في المشرق والمغرب ذكره (٣: ١٩٢) وهو إمام النحاة (٣: ٤٩٠). ولقد كان له نظم على منهج نظم العلماء مملوءة بالإشارات اللغوية والنحوية، متخلف (رديء). وكانت له مصنّفات منها: كتاب القوانين (في علم العربية: النحو) - كتاب

---

= إبراهيم الأنصاري المالقي، أخذ العربية (النحو) والقراءات عن عبد الله بن أبي صالح ولازم ابن عصفور مدة إقامة ابن عصفور في مالقة. وأقرأ الشلوبين الصغير القرآن والعربية في بلده (مالقة) مجّاناً، يقرئ الذين يحبون التزوّد بالعلم للعلم غير قاصدين التكبّب بما يتعلّمون. وكان يعيش من أملاك له. له شيء من التصنيف: شرح أبيات سيبويه شرحاً مفيداً وكملّ شرح شيخه ابن عصفور على الجزولية (بغية الوعاة ٧٩ - ٨٠). والشلوبي، في الغالب، نسبة إلى الشلوبينية (سالورينيا - وهي بلدة صغيرة في منتصف الساحل الجنوبي على البحر الأبيض. وهي تقع جنوب غرناطة تماماً، ولكن على شاطئ البحر). وهي قرية من قرى إشبيلية (إنباه الرواة ٢: ٣٣٢). وفي القاموس (٤: ٢٤٠): شلوبين أو شلوبينة (بفتح ففتح فيها) بلد بالمغرب منه أبو عليّ الشلوبيني النحوي. وفي نفع الطيب أيضاً (٣: ٤٩١) «... وهو منسوب إلى حصن شلوبينة» (في نسخة: شلوبينية). ولكن نفراً من المؤلفين في الموضوع يذكرون أن الشلوبين هو الأبيض أو الأشقر. وابن خلكان يقول (٣: ٤٥٢): «... هذه النسبة إلى الشلوبين، وهو بلغة الأندلس (نصارى الأندلس): الأبيض أو الأشقر. هكذا ذكروا. والله أعلم». ثمّ راجع الحاشية الثالثة، تعليقاً على قول ابن خلكان.

التوطئة على الجزولية، وهو مشهور (نفع الطيب ٣ : ١٨٤). والجزولية أرجوزة في النحو لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (ت ٦٠٧ هـ). وهذه « التوطئة » مختصر لكتاب القوانين. - شرح المقدمة الجزولية (شرحها شرحين: شرحاً كبيراً وشرحاً صغيراً) - تعليق على كتاب سيبويه.

### ٣ - مختارات من شعره

- وصل إلينا من أبي عليّ الشلوبينيّ أبياتٌ من الشعر (المغرب ٢ : ١٣٠، نفع الطيب ٣ : ٤٩١) يتغزل فيها بغلامٍ أسمه قاسمٌ كان يهواه، وهي:

ومّا شجا قلبي وفضّ مدامعي      هوى قدّ قلبي إذ كلّفتُ بقاسم<sup>(١)</sup>.  
تعثّته جهدي، فكان - لشقوتي      وطول عنائي - قاسياً غيرَ راحم\*.  
وكنْتُ أظنُّ الميمَ أصلاً، فلم تكن.      وكانت كميّ الحِقتُ بالزلاقم<sup>(٢)</sup>.

- ولأبي عليّ الشلوبين أيضاً (القدح المملّى ١٥٣):

لو لم تكن لي أعراقٌ لها كرمٌ،      ولم يكن في رجال الأزدي سلف<sup>(٣)</sup>،  
لكان في سيبويه الفخرُ لي، وكفى      بذاك فخرأ. فكيف العلم والشرف<sup>(٤)</sup>  
فالحمد لله حمداً لا أنصرامَ له.      فكلُّ ذي حسدٍ في مثلِ ذا يقف<sup>(٥)</sup>.

(١) شجا: حزن، أحزن. فضّ مدامعي: نثر دموعي (جعلها تتساقط بكثرة). قدّ: قطع. كلّفت بالشئ: أحبيته وتعلّقت نفسي به.

(\*) العناء (بالفتح): التعب.

(٢) .... الميم أصلاً (كنت أحسب أن اسمه، حقيقةً، قاسمٌ: يقسم بين نفسه ومحبه قسمة حق). ولكنّ.... الميم في اسمه زائدة (فهو قاس). الزلاقم: الحيات الزرق (من المغرب ونفع الطيب).

(٣) أعراق جمع عرق (بالكسر): أصل (من النسب). الأزدي (قبايل من عرب الجنوب).

(٤) سيبويه: عمرو بن عثمان الحارثي (ت ١٨٠ هـ) من أهل البصرة، فارسي الأصل، كان إمام النحاة. فكيف العلم والشرف: فكيف إذا أضيف إلى أصلي الكريم وإلى نسبي في قبائل الأزدي ما بلغت إليه أنا من العلم ومن الشرف (المكانة الاجتماعية)؟

(٥) أنصرام: انقطاع، انتهاء. فكلُّ ذي حسدٍ في مثلِ ذا يقف: لا أحد يحسدي في هذه الأمور لأنّه يعلم أنّه لا يستطيع أن يبلغ فيها إلى مثل ما بلغت أنا فيها.

٤- \*\* التكملة ٦٥٨ (رقم ١٨٢٩)؛ الذيل والتكملة ٥ : ٤٦٠ - ٤٦٤ ؛ صلة الصلة ٧٠ - ٧١ (رقم ١٢٨)؛ المغرب ٢ : ١٢٩ - ١٣٠ ؛ القدح العلوي ١٥٢ - ١٥٤ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٤٥١ - ٤٥٢ ؛ الذبيح المذهب ١٨٥ - ١٨٦ ؛ ابن قنفذ ٣١٧ ؛ بغية الوعاة ٣٦٤ ؛ نفح الطيب (راجع المتن) ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٣٢ - ٢٣٣ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٢٢٤ (٦٢) .

### عبد الواحد المراكشي

هو مُحْيِي الدين أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ الْمَرَاكُشِيُّ، وُلِدَ فِي السَّابِعِ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي مِنْ سَنَةِ ٥٨١ (١١٨٥/٧/١٠ م) فِي مَدِينَةِ مَرَّاكُشَ فِي أَسْرَةٍ كَانَتْ، فِيهَا يَبْدُو، غَنِيَّةٌ وَجِيهَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِالْبَيْتِ الْمَالِكِ اتِّصَالًا وَثِيقًا لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الْقَرَابَةِ.

لَقِيَ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَاكُشِيُّ الطَّبِيبَ الشَّاعِرَ أَبَا بَكْرٍ بْنَ زُهَيْرٍ، قِيلَ فِي مَرَّاكُشَ وَقِيلَ فِي فَاسَ، وَلَا نَعْلَمُ مَا مَبْلَغُ الْعِلْمِ الَّذِي أَخَذَهُ عَنْهُ إِذْ كَانَ مَوْلَدُ عَبْدِ الْوَاحِدِ سَنَةَ ٥٨١ وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ زُهَيْرٍ فِي سَنَةِ ٥٩٥ .

وَتَنَقَّلَ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَاكُشِيُّ كَثِيرًا فِي الْمَغْرِبِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَبَيْنَهُمَا، وَكَانَ وَثِيقَ الْإِتِّصَالِ بِالْأَمِيرِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ أَبِي يَوْسَفَ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ الْمُوَحِّدِيِّ - وَكَانَ حَاكِمًا لِإِشْبِيلِيَّةٍ فِي أَيَّامِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ النَّاصِرِ (٥٩٥ - ٦١١ هـ) - . وَفِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ سَنَةِ ٦١٣ هـ (٩ / ٤ / ١٢١٧ م) غَادَرَ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْأَنْدَلُسَ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ حَجَّ (آخِرَ سَنَةِ ٦٢٠ هـ = مَطْلَعُ ١٢٢٤ م) وَعَادَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مِصْرَ . وَلَعَلَّهُ زَارَ فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْمَدَّةِ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ .

وَيَبْدُو أَنَّ عَبْدَ الْوَاحِدَ الْمَرَاكُشِيَّ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْمَغْرِبِ . وَمَعَ أَتْنَا لَمْ نَسْمَعْ مِنْ أَخْبَارِهِ شَيْئًا بَعْدَ تَأْلِيفِ كِتَابِهِ « الْمَعْجَب » ، سَنَةَ ٦٢١ لِلْهِجْرَةِ ، فَإِنَّ وَفَاةَ كَانَتْ سَنَةَ ٦٤٥ (١٢٤٧ م) أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَامٍ أَوْ عَامَيْنِ .

٢- شَهَرَ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَاكُشِيُّ بِكِتَابِهِ الْمُعْجَبِ فِي تَلْخِيصِ أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ ، أَلْفَهُ



في المشرق بطلب من وزير عباسي كان قد «أصفاه وُدّه وأغدق عليه إحسانه» وفرغ من إملائه في رمضان من سنة ٦٢١ (أيلول - سبتمبر ١٢٢٤ م). ولعل ذلك الوزير كان مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي الذي تولى الوزارة للعباسيين في بغداد من أواخر سنة ٥٩٥ إلى سنة ٦٢٣ هـ (١١٩٨ - ١٢٢٦ م). ثم إننا لم نسمع شيئاً عن عبد الواحد المراكشي بعد الفراغ من إملاء كتابه المعجب. و«المعجب» كتاب طريف فيه تاريخ وفيه جغرافية وفيه أدب واجتماع، وخصوصاً من تلك المدّة التي شهدها المؤلف من عهد الدولة الموحدية فأثبت عدداً من الحوادث التي شهدها بنفسه أو رواها عن شهدائها.

### ٣ - مختارات من آثاره

- من مقدّمة كتاب «المعجب»:

.... وبعد، أيها السيّد الذي توالّت عليّ نِعْمُهُ وأخذَ بِضِيعِي من حَضِيضِي الفقر والحُمُولِ اعْتَنَاؤُهُ وَكَرَمُهُ.... فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي - يَوَّكَ اللهُ أَعْلَى الرُّتَبِ، كَمَا عَمَرَ بِكَ أُنْدِيَةَ الْأَدَبِ... - إملاء أوراقٍ تشتملُ على بَعْضِ أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ وَهَيْئَتِهِ وَحُدُودِ أَقْطَارِهِ وَعَلَى شَيْءٍ مِنْ سِيرِ مُلُوكِهِ، وَخُصُوصاً مُلُوكَ الْمَصَامِدَةِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ لَدُنْ أَبْتَدَاءِ دَوْلَتِهِمْ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا - وَهُوَ سَنَةُ ٦٢١ - وَأَنْ يَنْضَافَ إِلَى ذَلِكَ نُبْدَةٌ مِنْ ذِكْرِ مَنْ لَقِيْتُهُ أَوْ لَقِيْتُهُ عَنْهُ بِوَجْهِ مَا مِنْ وَجْهِ الرُّوَايَةِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَنْوَاعِ أَهْلِ الْفَضْلِ.

- شيء من سيرته (المعجب ٢٦٢ - ٢٦٣):

.... فَمَرَّ أَكْشُ آخِرُ الْمُدُنِ فِي الْمَغْرِبِ<sup>(١)</sup>..... وبهذه المدينة، أعني مراكش، مَسْقُطُ رَأْسِي. وَهِيَ أَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا<sup>(٢)</sup>. وَكَانَ مَوْلَدِي بِهَا لَسَعِ خَلَوْنٌ مِنْ ربيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ٥٨١، فِي أَوَّلِ أَيَّامِ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ

(١) في أبعد نقطة من المغرب إلى الجنوب.

(٢) «وأول أرض مسّ جلدي ترابها» شطر من الشعر (راجع نفع الطيب ١: ١٧٣) من شعر بعض الأعراب (راجع حاشية ٦، نفع الطيب ١: ١٧٢). وهو بيت مشهور (وفيات الأعيان ٤: ٢٥٤).

أَبْنِ عَلِيٍّ<sup>(١)</sup>. ثُمَّ فَصَلْتُ<sup>(٢)</sup> مِنْهَا وَأَنَا أَبْنُ تِسْعَةِ أَعْوَامٍ إِلَى مَدِينَةِ فَاسَ، فَلَمْ أَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَجُودَتُهُ وَرَوَيْتُهُ<sup>(٣)</sup> عَنْ جَمَاعَةٍ كَانُوا هُنَاكَ مُبَرِّزِينَ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ وَالنَّحْوِ. ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَرَاكُشَ فَلَمْ أَزَلْ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَدِينَتَيْنِ<sup>(٤)</sup>. ثُمَّ عَبَرْتُ إِلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٦٠٣ فَأَذْرَكْتُ بِهَا جَمَاعَةً مِنَ الْفُضَلَاءِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ شَأْنٍ<sup>(٥)</sup> فَلَمْ أَحْصِلْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا مَعْرِفَةَ أَسْمَائِهِمْ وَمَوَالِدِهِمْ وَوَفَايَتِهِمْ وَعُلُومِهِمْ، وَأَنْفَرَدُوا دُونِي بِكُلِّ فَضِيلَةٍ. وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ<sup>(٦)</sup>.

- إِشْبِيلِيَّةُ (المعجب ٢٧١):

.... وإِشْبِيلِيَّةُ هَذِهِ هِيَ حَاضِرَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي وَقْتِنَا هَذَا<sup>(٧)</sup>. وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَهُمْ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ حِمَصَ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِنُزُولِ أَجْنَادٍ حِمَصَ إِيَّاهَا حِينَ أَفْتَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْأَنْدَلُسَ<sup>(٨)</sup>. وَقَدْ زَادَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ عَلَى صِفَةٍ كُلِّ وَاصِفٍ وَأَتَى فَوْقَ نَعْتِ كُلِّ نَاعِتٍ. وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ عَظِيمٍ يَنْصَبُ مِنْ جِبَالِ شُقُورَةٍ، وَتَنْصَبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ، فَلَا يَصِلُ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ إِلَّا وَهُوَ خِضَمٌّ<sup>(٩)</sup> تَصْنَعْدُ فِيهِ السُّفُنُ الْكِبَارُ مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ<sup>(١٠)</sup> سَبْعِينَ مِيلًا - وَذَلِكَ مَرَّحَلَتَانِ<sup>(١١)</sup> - . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ كَانَتْ

(١) هو النصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

(٢) فصل الرجل من البلد: غادرها، سافر منها.

(٣) رويته (رويت قراءاته وأحكام قراءته والناسخ والمنسوخ فيه، إلخ).

(٤) متردداً بين هاتين المدينتين (هنا: انتقل بينهما).

(٥) كلُّ شَأْنٍ (كلُّ فرع من فروع المعرفة).

(٦) بِمَحْتَصَنِ بَرَحَتِهِ..... ﴿القرآن الكريم ٣: ٧٤، آل عمران، راجع ٢: ١٠٥، البقرة﴾.

(٧) الحاضرة: العاصمة. في وقتنا هذا (زمن المؤلف: عبد الواحد المراكشي): القرن السابع للهجرة (الرابع عشر للميلاد).

(٨) إشبيلية سميت حمصاً لشبهها بمدينة حمص بالشام (سوريا). أما الأجناد (المحاربون الذين نزلوا فيها فهم الذين جاءوا في عصر الولاة مع بلنج بن بشر (راجع ذلك في الجزء الرابع - اطلب بلج بن بشر في الفهرس).

(٩) الخضم: البحر الواسع.

(١٠) البحر الأعظم: المحيط الأطلسي (الاطلانطيكي).

(١١) المرحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في يوم (نحو ٣٠ كيلومتراً). والكاتب يجعل المرحلة خمسة وثلاثين ميلاً (رومانياً) أو اثنين وخسين كيلومتراً.

قاعدة<sup>(١)</sup> مُلْكِ بَنِي عَبَّادٍ، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ، ثُمَّ صَيَّرَهَا الْمَصَامِدَةُ<sup>(٢)</sup> مَنْزِلًا لَهُمْ أَيَّامَ كَوْنِهِمْ بِالْأَنْدَلُسِ، مِنْهَا يَنْفُذُ أَمْرُهُمْ وَفِيهَا يَسْتَقِرُّ مُلْكُهُمْ. وَبَنَوْا بِهَا قُصُورًا عَظِيمَةً وَأَجْرُوا فِيهَا الْمِيَاهَ وَغَرَسُوا الْبَسَاتِينَ فَزَادَ ذَلِكَ فِي حُسْنِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ.

٤ - المعجب... (دوزي)، ليدن ١٨٤٧ م ثم ١٨٨١ م؛ (محمد هاشم الكتيبي)، دمشق ١٣٢٤ هـ؛ مصر (مطبعة السعادة) ١٣٣٤ هـ؛ مصر (المطبعة الجاهلية) ١٣٣٢ هـ؛ (محمد الفاسي)، فاس ١٩٣٨؛ (صححه.... محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي)، القاهرة (مطبعة الاستقامة) ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م.

★★ صلة الصلة ٧٠ - ٧١، التكملة (رقم ١٨٢٩)، الديباج المذهب ١٩٠، مقدّمة المعجب (في طبعة دوزي وفي طبعة العريان)؛ دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٩٤؛ بروكلمن ١ : ٣٩٢ - ٣٩٣، الملحق ١ : ٥٥٥؛ المكتبة العربية الصقلية ٣١٨ - ٨٢١؛ النبوغ المغربي ١٥٤ - ١٥٥؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٣٢٦ (١٧٦)؛ سركيس ١٧٢٤ - ١٧٢٥؛ بالنشيا ١١٨ - ١١٩، ٢٤٨ - ٢٥٠؛ الأدب المغربي ٣٩٠ - ٣٩٤.

## أبو بكر بن البناء الإشبيلي

١ - هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العبيدي الإشبيلي المعروف بابن البناء، فقد كان أبوه بناءً في إشبيلية، ويبدو أنه قد تأثر بصنعة أبيه فنشأ على كثير من الجِدِّ والهِمَّةِ والمُتَابَرَةِ. كان مولده في إشبيلية سَنَةَ ٥٨١ للهجرة (١١٨٥ - ١١٨٦ م).

تلقَّى أبو بكر بن البناء العِلْمَ على نفرٍ منهم أبو الحسن بن عَطِيَّة (ت هـ) وأبو بكر بن طَلْحَةَ (ت ٦١٨ هـ) وأبو الحسن بن جابر بن الدَّبَّاج (ت ٦٤٥ هـ) وأبو عليّ ابنُ الشُّلُوبِينَ (ت ٦٤٥ هـ).

وعَمِلَ أبو بكر بن البناء الإشبيلي كاتباً لِنَفَرٍ مِنَ الْوَلَاةِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ خَصَّ نَفْسَهُ بِوَلَاةِ الْمُوَحِّدِينَ عَلَى إشبيلية. وفي آخرِ مُدَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي إشبيلية أَسْتَبَدَّ بِحُكْمِهَا

(١) قاعدة (عاصمة): مدينة مهمة.

(٢) مصوودة قبيلة بربرية ينتمي إليها سلاطين دولة الموحدين.

حيناً. ثم لما استولى عليها الإسبان (رَمَضَانَ ٦٤٦) أُنْتُقِلَ مِنْهَا إِلَى سَبْتَةِ (في المُدَوَّةِ الْمَغْرِبِيَّةِ)، وَفِيهَا تُوفِّيَ وَشِكَاً فِي السَّادِسِ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٩/١/٢٢ م).

٢- كان ابنُ البَنَاءِ الإِسْبِيلِيُّ أديباً كاتباً ومُتَرَسِّلاً مُكثِراً وشاعراً. وقد ذَكَرَ المؤرِّخونَ لِحَيَاتِهِ أَنْ تَرَسَّلَهُ كَانَ عَادِيًّا وَأَنْ شِعْرَهُ كَانَ قَلِيلَ الرَوْنَقِ. وَلَكِنَّهُ يَبْدُو وَاسِعَ الثَّقَافَةِ، فَقَدْ كَانَ مُوَلِّعاً بِأَقْتِنَاءِ نَفَائِسِ الْكُتُبِ كَمَا كَانَ مُوَلِّعاً أَيْضاً بِنَسْخِ الْكُتُبِ النَّفِيسَةِ وَبِتَقْيِيدِ الْأَقْوَالِ وَالنُّكْتِ الْبَارِعَةِ، حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ لَمَّا غَادَرَ إِسْبِيلِيَّةَ حَمَلَ مَعَهُ خَمْسِمِائَةَ كِتَابٍ بِخَطِّ يَدِهِ.

وكان ابنُ البَنَاءِ الإِسْبِيلِيُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّنَاقُضِ فِي طَبْعِهِ: كَانَ يَظْهَرُ مُتَدَيِّناً بَيْنَمَا كَانَ جَرِيئاً عَلَى سَفْكِ دِمَاءِ خُصُومِهِ. وَكَانَ يَبْدُو مُتَوَاضِعاً وَهُوَ يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ النَّاسِ جَمِيعاً. وَكَانَ رَفِيقاً فِي مَعَامِلَةِ الْوَلَاةِ: كَانَ يَخْدِمُهُمْ مَدَّةً ثُمَّ إِذَا أَرَادَ الْإِنْفِصَالَ عَنْهُمْ فَعَلَ ذَلِكَ بِيُسْرٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجِدَ أَوْلَثَكَ الْوَلَاةَ طَرِيقاً إِلَى لَوْمِهِ.

### ٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- كَانَ السَّيِّدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُوحَّدِيِّ وَالِيّاً عَلَى بَلَنْسِيَّةَ (فِي شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ) ثُمَّ أَصْبَحَ وَالِيّاً عَلَى إِسْبِيلِيَّةَ (فِي غَرْبِي الْأَنْدَلُسِ). فَاتَ فِي إِسْبِيلِيَّةَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْبَنَاءِ يَرِثِيهِ (الْمَغْرِبُ ١: ١٤٩) رَاجِعَ اخْتِصَارِ الْقَدَحِ الْمَعْلَى (١١٩):

كَأَنَّكَ مِنْ جِنْسِ الْكَوَاكِبِ كُنْتَ، لَمْ تَفَارِقْ طُلُوعاً حَالَهَا وَتَوَارِيَا<sup>(١)</sup>.  
تَحَلَّيْتَ مِنْ شَرْقٍ يَرُوقُ تَلَالُؤاً، فَلَمَّا أَنْتَحَيْتَ الْغَرْبَ أَصْبَحْتَ هَاوِيَا<sup>(٢)</sup>.

(١) كَأَنَّكَ مِنْ جِنْسِ الْكَوَاكِبِ (مِثْلُ الْكَوَاكِبِ: مُضِيءٌ، مَنِيرٌ) لَمْ تَفَارِقْ حَالَهَا (الْإِضَاءَةَ، النُّورَ). التَّوَارِيَا: الْإِخْفَاءُ، الْغُرُوبُ. أَنْتَ مِثْلُ الْكَوَكِبِ مُضِيءٌ دَائِماً (سِوَاءِ أَكُنْتَ ظَاهِراً فِي السَّمَاءِ أَمْ غَائِباً عَنِ السَّمَاءِ) وَلَكِنْ النَّاسُ لَا يَرُونَكَ.

(٢) تَحَلَّى الرَّجُلُ: اتَّخَذَ أَوْ لَبَسَ حُلِيَةً أَوْ زِينَةً. يَرُوقُ (يَجْسُنُ فِي النَّظَرِ). انْتَحَى: اتَّجَهَ إِلَى نَاحِيَةِ. الْهََاوِي: السَّاقِطُ وَرَاءَ الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ (لِيَغِيبَ كَالشَّمْسِ).

- كان « الباجي » رجلاً ثائراً استبدَّ بإشبيلية حيناً وانتزعها من ابنِ هودٍ (في أوائلِ عشرِ الثلاثين من القرنِ الهجريِّ الرابع). وقد مدَّحه أبو بكرٍ بنُ البناءِ ومدَّحَ معه نفرًا من أهلِهِ وأنصارِهِ فقال فيهم جميعاً - والأبيات التالية من الشعر الجيد (اختصار القدح المعلّى ١١٩):

أَنْتُمْ وَلَاةُ الْأَمْرِ رُغْمًا عَلَى      أَنْفِ أَعْدَاءِ وَحُسَادٍ (١).  
 فِي ضِضْضٍ الْمَدِّ أَشْرَكْتُمْ وَفِي      بُجْبُوحَةِ الرَّأْيِ لَدَى النَّادِي (٢).  
 ثَلَاثَةٌ مِثْلُ الْأَثَانِي عَلَى الرَّأْيِ      الَّذِي يَمْدُو عَلَى الْعَادِي (٣).  
 هَزُّوا بِمَا أُعْطِيتُمْ قُبَّةَ الدِّارِ      قَصْرَ وَهَزُّوا قُبَّةَ الْوَادِي (٤).

- في الذيل والتكملة (٥ : ٦٨١) أن بعضَ خواصِّ ابنِ البناءِ جَمَعَ له جانباً من رسائله في أربعةِ مُجلَّداتٍ ضخمة. قيل: فلَمَّا أَطْلَعَ ابْنُ الْبَنَاءِ عَلَيْهَا كَتَبَ بِحَظِّهِ عَلَى أَوَّلِهَا يَتَيَّنُ مِنَ الشَّعْرِ مِنْ نَظْمِهِ هـَا:

إِنِّي تَأَمَّلْتُ فَلَمْ أُسْتَجِدْ      أَكْثَرَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَرْضَهُ (٥).  
 وَرُمْتُ بِالْإِحْسَانِ فَوَزَا فَلَإِ      سَمَاءٍ نِلْتُ وَلَا أَرْضَهُ (٦).  
 وَهَذَانِ أَيْضاً يَتَيَّنُ جَيْدَانِ مِنْ لُزُومِ مَا لَا يِلْزَمُ (بِأَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ).

٤ - \*\*      الذيل والتكملة ٥ : ٦٨١ - ٦٨٢ (رقم ١٢٨٣)؛ اختصار القدح المعلّى ١١٨ - ١١٩؛ المغرب ١ : ٢٤٩.

- (١)      أَنْف = أنوف (جمع أنف).
- (٢)      الضِضْضَى: الأصل. البجوبة: وسط الدار (المكان الواسع). النادي: مجلس كبار القوم ذوي المكانة والنفوذ.
- (٣)      الأنفة (بالضم) إحدى حجارة ثلاث ينصب عليها القدر فوق النار. إنَّ الشكل ذا الزوايا الثلاث يكون أثبت من كلّ شكل آخر ذي أربع زوايا أو خمس أو ست، إلخ. العادي: المعتدي، المهاجم، العدو. أنتم على رأي واحد لا يتزعزع.
- (٤)      بما أعطيتمو. (من القوة ومن حسن الرأي). قبة القصر.... قبة الوادي.... - أنتم بقوتكم تحيرون قصر الموحدين في مراكش وقصر الوادي (النهر الكبير الذي عليه مدينة اشبيلية مقرّ الوالي على الأندلس من طرف الموحدين).
- (٥)      استجد الشيء: وجده جيداً. أرضه (من الرضا).
- (٦)      رام يروم: قصد. فلا سماءه نلت ولا أرضه (لم أنل منه شيئاً لا كبيراً ولا صغيراً).

## أبو الحسن الدبّاج الإشبيلي

١- هو أبو الحسن عليُّ بن جابر بن عليٍّ بن عليٍّ بن يحيى اللَّخميُّ الإشبيليُّ المعروفُ بابن الدبّاجِ أو ابن الدَّبِيج (بغية الوعاة ٣٣١)، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٦ هـ (١١٧٠-١١٧١ م).

أَخَذَ ابنُ الدبّاجِ عن أبي بكرٍ بن طَلْحَةَ وأبي الحسن بن خَرُوفٍ وأبي ذَرِّ الحُشني وغيرهم. ثُمَّ تَصَدَّرَ لِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ بِالْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ولِتَدْرِيسِ النُّحُو (من كتاب سِيَوِيَّهِ) والأدب (في الكامل للمبرِّد ونوادر القالي وغيرها) نحوَ خَمْسِينَ سَنَةً. وكانت وفاته في ٢١ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٨/١٢/٩ م).

٢- كان أبو الحسن الدبّاجُ رجُلًا عالمًا صالحًا زاهدًا من أعلام القُرَّاء والنحويين والأدباء في زمانه، وكان شديد الذكاء ظريف الدُّعابة. وله مقطعاتٌ من الشعر الرصين الصحيح وموشحات (القدح المعلّى ١٥٦).

### ٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن الدبّاجُ الإشبيليُّ في الغزل:

لَمَّا تَبَدَّتْ وَشَمْسُ الْأَفْقِ بَادِيَةً      أَنْصَرْتُ شَمْسَيْنِ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعْدٍ.  
من عادةِ الشمسِ تُعْشِي عَيْنَ نَاطِرِهَا،      وهذه نورُها يَشْفِي مِنَ الرَّمَدِ<sup>(١)</sup>.

- وقال يَصِفُ مُجَبَّنَاتٍ (قَطَائِفَ مَحْشُوءَةً بِالْجُبْنِ وَمَقْلُوءَةً بِالسَّمَنِ، تُنْفَسُ فِي الْقَطْرِ)<sup>(٢)</sup>:

أَحْلَى مَوَاقِعِهَا إِذَا قَرَّبَتْهَا      وَبُخَارُهَا فَوْقَ الْمَوَائِدِ سَامِي.  
إِنْ أَحْرَقْتَ لَفْسًا فَإِنَّ أَوَارَهَا      فِي دَاخِلِ الْأَحْشَاءِ بَرْدُ سَلَامٍ<sup>(٣)</sup>!

- وقال في ظاهر الأمور وباطنها:

- 
- (١) تُعْشِي: تُضَعِفُ الْبَصَرَ (وخصوصاً في الليل).  
(٢) القطر: سَكَّرَ محلول بقليل من الماء يغلي على النار حتّى يكسب كثافة معيّنة. ويضاف إليه قليل من الحمض (المادة الحامضة كيلا يتبلور).  
(٣) الأوار: حرّ الشمس والنار.

ما جاء عَفْوَاً فَخُذْهُ      وما أبى فَتَجَنَّبْ.  
ولا تَرُدْ كُلَّ مرعى      ولا تَرُدْ كُلَّ مشرب<sup>(١)</sup>.  
فربما لَـذَّ طعم      وفيه سمٌ مُقَشَّب<sup>(٢)</sup>.

- وقال في القناعة بالعيش:

رَضِيتُ كَفَافِي رُبَّةً وَمَعِيشَةً      فَلَسْتُ أُسَامِي مُوسِراً وَوَجِيباً(\*)  
وَمَنْ جَرَّ أَثْوَابَ الزَّمَانِ طَوِيلَةً      فلا بُدَّ يوماً أَنْ سَيَعْرِثُ فيها!

- وقال في مرّ الأيام بِسُرْعَةٍ:

مَا لِي أَرَى أَيَّامَنَا      تَمُرُّ مَرّاً مُسْرِعَةً؟  
إِذْ حَسَبْتُ أَشْهُراً      حَسِبْتُهُنَّ جُمُعَةً<sup>(٣)</sup>.  
وَلَمْ نَكُنْ نَعْنَى بِأَنْ      تُبْطِئَ أَوْ أَنْ تُسْرِعَا<sup>(٤)</sup>،  
لَوْ لَمْ تَكُنْ أَعْمَارُنَا      وَهْنٌ يَذْهَبَنَّ مَعَنَا!

٤- \*\* برنامج الرعي ٨٨-٨٩؛ التكملة ٦٨٣ (رقم ١٩١٠)؛ الذيل والتكملة ٥:  
١٩٨-٢٠١؛ صلة الصلة ١٣٧؛ المغرب ١: ٢٥٥-٢٥٦؛ القدر الملقى  
١٥٥-١٥٦؛ بغية الوعاة ٣٣١؛ شذرات الذهب ٥: ٢٣٥-٢٣٦؛ نفح الطيب  
٢: ٩٥، ٣: ٤٦١، ٤٧٨-٤٧٩.

### يحيى بن عبد الواحد الحفصي

١- هو أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ، وَلِدَ سَنَةَ

- (١) راد يرود: طلب، بحث عن. ورد يرد: ذهب إلى الماء ليشرب.
- (٢) وفيه سمٌ مُقَشَّب (مزوج به) - صواب التركيب: طعام مُقَشَّب (مزوج بسم أو بما يفسده).
- (\*) الكفاف: ما كان مقدار الحاجة بلا زيادة ولا نقصان. رتبة: في المكانة الاجتماعية (من الناحية المعنوية).  
معيشة: فيما يتعلق بالطعام والشراب واللباس (من الناحية المادية). سامى فلان فلانا: ناهه للبلوغ حتى  
يلغ إلى مثل مكاته (العلمية أو الاجتماعية....). الموسر: الغني.
- (٣) حسب يحسب (يفتح السين في الماضي وضمها في المضارع): عدّ. وحسب يحسب (بكر السين في الماضي  
وفتحها في المضارع): ظنّ. جمعة: أسبوع.
- (٤) نعنّى: نهتمّ، نشغل (يفتح الغين) بالنّا.

٥٥٩ هـ (١١٦٣ - ١١٦٤ م). كان الحكّام الذين سبقوه في حاضرة تونس ولاةً للموحّدين. فلما آلت الولاية إلى أبي زكريّا هذا (٦٢٦ هـ) كان الموحدون قد ضعُفوا جدّاً فأعلن استقلاله عنهم. ثم اضطدّم يحيى بن غانية الميورقي (وكان بنو غانية لا يزالون أنصاراً للمرابطين الذين خلفهم الموحدون في المغرب) فقاتله يحيى وتغلّب عليه وقتلّه (٦٣١ هـ). ثم تغلّب أيضاً على قبيلة هواره التي ثارت عليه.

وعمل أبو زكريّا على توسيع رقعة ملكه فانتزع من الموحدّين عدداً من المدن (تِلْسانَ وسِجِلْسانَ في الجزائر اليوم إلى جانب سبتة وطنجة ومكناسة في المغرب اليوم).

وكانت وفاة يحيى بن عبد الواحد الحفصي في بونة (أرض الجزائر اليوم)، في جمادى الآخرة من سنة ٦٤٧ (مطلع الحزيف من عام ١٢٤٩ م).

٢- يُعَدُّ يحيى بن عبد الواحد المؤسس للدولة الحفصية في تونس. وقد كان عظيم الهيبة شديد الرأي، كما كان تقيّاً عادلاً متواضعاً ومُحبّاً للرعية. وكان ملكاً عُمَرائياً أنشأ جامع القصبَة (القلعة القديمة) وصومعته (مئذنته) البديعة العجيبة (ولمّا اكتمل بناؤها في غرة رمضان من سنة ٦٣٠ بدأ الأذان فيها هو نفسه). وبنى سوق العطارين (ولا تزال سوق العطارين إلى اليوم تحمل الطابع التونسي القديم) وعدداً من المدارس وأنشأ مكتبة كبيرة. وكذلك كان أديباً ناثراً وناظماً.

### ٣- مختارات من آثاره

- من وصية يحيى بن عبد الواحد الحفصي لابنه ووليّ عهده أبي عبد الله محمد المنتصر:

اعلم - سَدَدَكَ اللهُ وأرشدَكَ، وهذاكِ لِيأ يرضيك وأسعدَكَ، وجعلكَ محمودَ السيرة مأمونَ السريرة<sup>(١)</sup> - أن أولَ ما يَجِبُ على مَنْ أَسْرَعَاهُ اللهُ في خَلْقِهِ وجعله مسؤولاً عن رعيته، في جُلِّ أمرهم ودِقِّه<sup>(٢)</sup>، أن يُقَدِّمَ رضا الله في كلِّ أمرٍ يُحاولُه، ويكونَ عمله

(١) سَدَدَكَ اللهُ (جعل سيرك مستقيماً). السريرة: الطوّة، الباطن (ما يكتمه الإنسان في نفسه).

(٢) الجُلُّ الكبير، العظيم (العامّ الجمل). الدقّ: الدقيق، الصغير (المفصّل).



وسميه وذبه<sup>(١)</sup> عن المسلمين بعد التوكل عليه. ومتى فاجأك أمرٌ مُقْلِقٌ أو وردَ عليك همٌّ مرهِقٌ فريض لُبَّكَ وسكَنَ جَأَشَكَ<sup>(٢)</sup>.... ولا تُقَدِّمَ إقدامَ الجاهل، ولا تُحْجِمَ إحجامَ الأخرق<sup>(٣)</sup>. المتكاسل. واعلم أن الأمر إذا ضاق مجالُه وقَصَرَ عن مقاومته رجالُه، فمِفْتَاحُه الصبرُ والحِزَامَةُ<sup>(٤)</sup> وأخذُ الرأي من عُقلاء الدولة ورؤسائها وذوي التجارب من نُبَهائِها<sup>(٥)</sup>، ثم الإقدام عليه بعد التوكل على الله فيما لَدَيْهِ..... وعليكَ بِتَفَقُّدِ أحوالِ الرعيَّة: فلا تنم عن مصالحهم ولا تُسامحَ أحداً فيهم.... واتخذ ثِقَاتٍ صادقِينَ مُصَدِّقِينَ لهم في جانبِ الله أوفر نصيب، وفي رفعِ مسائلِ خلقه إليك أسرعُ مُجيب.

- وقال يَصِفُ روضةً أنشأها قُربَ تونسِ العاصمة:

وسالَ نَمِيرُ الماءِ بَيْنَ أَخْضَارِهَا      فجاءَ كَمَثَلِ الْفَرْقِ بَيْنَ الذَّوَانِبِ<sup>(٦)</sup>،  
وإِلَّا كَمَا شَقَّ الْكَنْهَوْرَ بَارِقٌ،      وإِلَّا كَمَثَلِ الصُّبْحِ بَيْنَ الْغِيَاهِبِ<sup>(٧)</sup>.  
قَدْ اطَّرَدَتْ فِيهِ الْمَذَانِبُ دَائِماً،      ولم تَرَ حُسناً كَاطِّرَادِ الْمَذَانِبِ<sup>(٨)</sup>.  
وَاللِّيَّاسِمِينَ الْغَضَّ فِي خُضْرِ بُسْطِهَا      ناثِرُ دُرٍّ أَوْ سَبَائِكِ سَاكِبِ<sup>(٩)</sup>.  
مُعْطَرَّةُ الْأُرْدَانِ يُنْعِمُ نَفْعُهَا

يُحْيِيكَ عَرَفُ الطَّيِّبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ<sup>(١٠)</sup>.

(١) ذَبَّ عَنْ شَيْءٍ: دَافَعُ عَنْهُ.

(٢) اللَّبُّ: الْعَقْلُ. الْجَأَشُ: النَّفْسُ، الْقَلْبُ.

(٣) أَحْجَمَ: تَأَخَّرَ (خَافَ مَبَاشَرَةَ الْعَمَلِ). الْآخَرَقُ: الْأَحْقُ وَالْمُتَحَيِّرُ الَّذِي لَا يَدْرِي مَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ.

(٤) الْحِزَامَةُ: الْفَصْلُ فِي الْأُمُورِ.

(٥) النُّبَهَاءُ: الْأَشْرَافُ ثُمَّ ذَوُو الْفِطْنَةِ (جَوْدَةُ الْفَهْمِ).

(٦) النَمِيرُ: الطَّيِّبُ النَّافِعُ فِي الرِّيِّ (سَقَى الْمَزْرُوعَاتِ). الْفَرْقُ (فَصَلَ شَعْرَ الرَّأْسِ جَانِبَيْنِ). الذَّوَابِ (بِالضَّمِّ): ضَفِيرَةُ الشَّعْرِ - سَالَ غَيْرُ الْمَاءِ (يَقْصَدُ: النَّهْرَ) بَيْنَ أَخْضَارِهَا (نَبَاتِ الْأَرْضِ الْأَخْضَرِ) كَأَنَّهُ فَرْقٌ: خَطٌّ أَبْيَضٌ (لَأَنَّ الْفَرْقَ فِي الشَّعْرِ يَكْشِفُ عَنْ جِلْدِ الرَّأْسِ) بَيْنَ الذَّوَانِبِ (الضَّفَائِرِ السُّودِ - وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْأَسْوَدِ أَخْضَرًا).

(٧) الْكَنْهَوْرُ: قَطْعُ السَّحَابِ الْعَظِيمَةِ (وَالْمَلْمُوحِ هُنَا أَنَّهَا السُّودَاءُ - فَإِنَّ الْغَيُومَ إِذَا كَثُفَ فِيهَا بَخَارُ الْمَاءِ بَدَتْ سُودَاءً). الْغِيَهْبُ: الظُّلْمَةُ (بِالضَّمِّ)، اللَّيْلُ الشَّدِيدُ السَّوَادُ.

(٨) اطَّرَدَتْ الْأَشْيَاءُ (كَانَتْ مُتَتَابِعَةً). الْمَذْنَبُ (بِالْكَسْرِ): سَيْلُ الْمَاءِ (الْمَاءُ الْمَجْرُورُ مِنْ نَهْرٍ أَوْ مِنْ حَوْضٍ).

(٩) الْغَضُّ: الطَّرِيْقُ النَّاصِرُ (الَّذِي فِيهِ لَيْنٌ وَلِعَانٌ وَجَالٌ). الدَّرُّ: اللَّوْلُؤُ. السَّبِيكَةُ: قِطْعَةُ الْمَعْدَنِ (بِكَسْرِ الدَّالِ) الَّتِي أُذْيِيَتْ (فَأَصْبَحَتْ صَافِيَةً خَالِيَةً مِنَ الْمَوَادِّ الْفَرِييَةِ) ثُمَّ أُعِيدَ سَبْكُهَا.

(١٠) الرَّدَنُ (بِالضَّمِّ): طَرَفُ الثَّوبِ. نَفَحَهَا: مَا تَرْسَلُهُ مِنْ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ. أَنْعَمْتَ الرِّيحُ: هَبَتْ هَيْئَةً.

٤ ★★ أزهار الرياض ٣ : ٢٠٨ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٤٠٠ - ٤٠١ ؛ المجلد في تاريخ الأدب التونسي ١٨٦ - ١٩٠ ؛ خلاصة تاريخ تونس ١٠٧ - ١٠٨ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ١٩٣ - ١٩٤ (٨ : ١٥٥).

## ابن سهل الإشبيلي

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل، وُلِدَ في إشبيلية، نحو سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م)، على اليهودية فكان يُعرفُ بابن سهل اليهودي أو الإسرائيلي. ثم لما اهتدى إلى الإسلام، بعد أن بلغ مبلغ الشباب، أصبح يُدعى ابن سهل الإشبيلي والإسلامي. غير أن نقرأ من مؤرخي الأدب كانوا يشكون في صحة إسلامه (راجع نفح الطيب ٣ : ٥٢٣ - ٥٢٤).

يبدو أن ابن سهل بدأ تلقّي العلم وقراءة القرآن قبل أن يدخل في الإسلام. وقد درس على أبي علي الشلوبيني (ت ٦٤٥ هـ) وعلى أبي الحسن الدبّاج (ت ٦٤٦ هـ). وتطوّف ابن سهل بشعره بين بلاطات الأمراء، فلقد كان في قرطبة (وله وصف في نهرها: الوادي الكبير)، كما مدح صاحب مرسية محمد بن يوسف بن هود (٦٢١ - ٦٣٥ هـ). ثم انتقل إلى إشبيلية، منقطراً رأسه، وسكنها إلى أن استولى الإسبان عليها، سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م). فانتقل إلى العُدوة الإفريقية (المغرب). وسكن سبتة وأصبح كاتباً لواليتها أبي علي بن خلاص. وكانا مرة في البحر معاً، في عرض سبتة، ففرقا، سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) في الأغلب.

٢ - ابن سهل الإشبيلي شاعرٌ مقلِّ مُحسن له قصيدٌ وموشحاتٌ منوعةٌ أكثرها في الغزل، وأكثر غزله في غلام يهودي اسمه موسى. وغزله رقيقٌ جداً، قيل لأنه «اجتمع فيه دُلائن ذلك العشق وذلك اليهودية». وكذلك له وصفٌ بارع. وأما موشحاته فهي منوعةٌ. وجميع شعره سلسٌ عذبٌ. وله بديعةٌ (في مدح الرسول)، قيل نظمها قبل أن يُسلم.

- قال ابن سهل الإشبيلي في النسيب، وهو من شعره الرقيق المشهور:

سَلَّ فِي الظَّلَامِ أَخَاكَ الْبَدْرَ عَنْ سَهْرِي؛      تَدْرِي النُّجُومُ، كَمَا يَدْرِي الْوَرَى، خَبْرِي.  
أَبَيْتُ أَهْنِفُ بِالشَّكْوَى وَأَشْرَبُ مِنْ      دَمْعِي وَأَنْشِقُ رِيًّا ذِكْرَكَ الْعَطِيرَ<sup>(١)</sup>؛  
حَتَّى أُخَيِّلَ أَفِي شَارِبٌ ثَمِلٌ      بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْكَأْسِ وَالْوَتَرِ<sup>(٢)</sup>.  
- وقال يصف نهرًا يَحْتَرِقُ مَرَجًا:

الْأَرْضُ قَدْ لَيْسَتْ رِدَاءً أَخْضَرًا،      وَالطَّلُّ يَنْثُرُ فِي رُبَاهَا جَوْهَرًا<sup>(٣)</sup>.  
هَاجَتْ فَخَلَّتْ الزَّهْرَ كَافُورًا بِهَا؛      وَحَسِنَتْ فِيهَا التُّرْبُ مِسْكَأً أَذْفَرًا<sup>(٤)</sup>.  
وَكُنَّ سَوْسَنَهَا يُصَافِحُ وَرَدَهَا      ثَغْرًا يُقْبَلُ مِنْهُ خَدًّا أَحْمَرًا<sup>(٥)</sup>.  
وَالنَّهْرُ مَا بَيْنَ الرِّيَاضِ تَخَالُهُ      سَيْفًا تَعْلَقُ فِي نِجَادٍ أَخْضَرًا<sup>(٦)</sup>.  
- وَمِنْ بَدِيعَةٍ لَهُ يَمْدَحُ فِيهَا الرَّسُولَ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ:

وَرَكِبَ دَعَتْهُمْ نَحْوَ طَيِّبَةِ نِيَّةٍ      فَمَا وَجَدَتْ إِلَّا مُطِيعًا وَسَامِعًا<sup>(٧)</sup>.  
تُضِيءُ مِنَ التَّقْوَى خَبَايَا صُدُورِهِمْ      وَقَدْ لَيْسُوا اللَّيْلَ الْبَهِيمَ مَدَارِعًا<sup>(٨)</sup>.  
تَكَادُ مُنَاجَاةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ      تَنْمُ بِهِمْ مِسْكَأً عَلَى الشَّمِّ ذَائِعًا<sup>(٩)</sup>.

(١) هتف فلان: صاح وهو يمدّ صوته. نشق (يفتح فكسر): شَم. الرِّبَا: الريح الطيبة.

(٢) أُخَيِّلَ: أبدو (للتناظرين إلَيَّ). الثمل: الذي أثرت فيه الحمر.

(٣) الطل: نقاط الماء المتجمعة من برد الليل على الأغصان. الجواهر: اللؤلؤ.

(٤) الكافور: طيب أبيض اللون. المسك: طيب أسود اللون. الأذفر: الشديد الرائحة (طيبة تلك الرائحة كانت أو كريهة - والمقصود هنا: الرائحة الطيبة).

(٥) السوسن: الزنبق الأبيض. يشبه الفم (الأسنان) بالزنبق الأبيض، والخد (لاحمراره: دليل صحته وجماله) بالورد.

(٦) النجاد: حالة (بالكسر): سيران من جلد أو نسيج يعلّق بها السيف إلى العنق.

(٧) الركب: الجماعة على الإبل (بكسر فكسر) يسافرون معاً. طيبة (بالفتح): المدينة المنورة.

(٨) البهيم: الذي لا علامة ظاهرة فيه (شديد السواد). المدرع (بكسر فكون ففتح): الدِّرَاعَة (بالضمّ وتشديد الراء): ثوب من صوف. - لبسوا الليل مدارع: استعانوا على برد الليل بثياب من صوف ثم تابعوا سيرهم.

(٩) المناجاة: الخاطبة سرّاً من قرب (أو في الضمير). ثم: انتشر. ذائع: منتشر.

تَلَاقَى عَلَى وَرْدِ الْيَقِينِ قُلُوبُهُمْ      خَوَافِقُ يُذَكِّرْنَ الْقَطَا وَالْمَشارِعَا (١):  
 قلوبٌ عَرَفْنَ الْحَقَّ فَهِيَ قَدِ انْطَوَتْ      عَلَيْهَا جُنُوبٌ مَا عَرَفْنَ الْمَضَاجِعَا (٢).  
 - وَلَا بِنِ سَهْلٍ هَذِهِ الْمَوْشَعَةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي كَثُرَ تَقْلِيدُهَا فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ:  
 هَلْ دَرَى ظَنِّي الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى      قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهَ مِنْ مَكْنَسٍ (٣).  
 فَهَوَ فِي حَرٍّ وَخَفَسْتِي مِثْلًا      لَعَبَتِ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ (٤).

★ ★ ★

يَا بُدُورًا أَشْرَقْتَ يَوْمَ النَّوَى      غُرَّرًا تَسْلُكُ فِي نَهَجِ الْغَرَزِ (٥).  
 مَا لِنَفْسِي فِي الْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى      مِنْكُمْ الْحُسْنَى وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرِ (٦).  
 أَجْتَنِي اللَّذَاتِ مَكْلُومَ الْجِوَاءِ      وَالتَّدَانِي مِنْ حَبِيبِي بِالْفِكْرِ (٧).  
 كُلُّمَا أَشْكُوهُ وَجَسَدِي بَسَا      كَالرُّبَى بِالْعَارِضِ الْمُنْبَجِسِ (٨).

(١) الورد (بالكسر): مكان الماء (ذهب الناس إلى الماء للشرب). تلاقى - تلاقى. القطا جمع قطاة (طائر سريع الطيران). المشرعة: الشريعة (مكان شرب الماء). - يجتمع المسلمون الذاهبون إلى طيبة (المدينة المنورة، لزيارة قبر الرسول) بيقين (بإيمان ثابت) خوافق (قلوبهم تحفق من فرحة اللقاء أو الوصول إلى المدينة). يذكرون (يذكرون - بالضم والكاف المشددة المكسورة) الناس (بالنصب) بالقطا والمشارع (بطيور القطا وهي مسرعة في طيرانها إلى أماكن الماء).

(٢) قلوبهم موجودة بين جنوب (جمع جنب) ما عرفن المضاجع: الاستلقاء في الفراش (النوم).  
 (٣) الحمى: ما يجب على الإنسان حمايته. ظني الحمى (أجل أهل الحمى والذي يحميه أهله من أن تمتد إليه عين الحب). حمى: منع. الصب: الحب المشتاق إلى المحبوب. قلب صبَّ حله (المحبوب الذي حلّ: نزل، ملأ) قلب الحب. المكسس (بفتح فسكون ففتح): الكناس (بالكسر): المكان تأوي إليه الطباء (هنا: النساء الجميلات) وغيرها من الوحوش.

(٤) الصبا: ريح الشرق. القبس: النار القليلة المحمولة (ولها لبيب) في عود دقيق.  
 (٥) النوى: البعاد (بالضم)، الفراق. الفرّة (بالضم): مقدّم الجبين (كناية عن البياض والجمال). - كلّ محبوب من هؤلاء المحبوبين غرة (كل شيء فيه جيل). نهج: طريق. الفرر (بفتح ففتح): الضلال.  
 (٦) منكم الحسنى (مؤنث أحسن): فيكم أحسن (أجل) ما في جميع الناس.  
 (٧) أجتني: أجنى: أقطف، أنال (القليل من اللذات). مكلوم: مجروح. الجوا (يقصد: الجواء جمع جؤ): داخل الشيء): القلب. التداني: القرب. - لذتي الوحيدة أتنى أفكر في حبيبي (لأنني لا أستطيع لقاءه).

(٨) الوجد: الحزن (من الابتعاد عن المحبوب). بسم: ابتسم (انفرجت شفتاه فظهرت أسنانه الجميلة - من غير أن يحدث صوتاً). الربوة: الراية (الأرض المرتفعة قليلاً تسقى بماء وافر وتعرض للريح وللشمس =

إِذْ يُقِيمُ الْقَطْرُ فِيهَا مَأْتًا، وَهِيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرْسٍ (١).

\* \* \*

غَالِبٌ لِي غَالِبٌ بِالثَّوْدَةِ؛ بَأْيٍ أَفْدِيهِ مِنْ جَافٍ رَقِيقٍ (٢).

مَا عَلِمْنَا مِثْلَ ثَغْرِ نَضْدَةٍ أَفْخُونًا عَصِرَتْ مِنْهُ رَحِيقٌ (٣).

أَخَذْتُ عَيْنَاءَ مِنْهُ الْعَرَبِيدَةِ؛ وَفُؤَادِي سِكْرُهُ مَا إِنْ يُفِيقُ (٤).

فَاجِئِ اللَّمَّةَ مَعْسُولُ اللَّمَى سَاحِرُ الْغُنْجِ شَهْيَ اللَّسِّ (٥).

وَجْهَهُ يَتَلَوُ «الضُّحَى» مُبْتَسِمًا، وَهُوَ مِنْ إِعْرَاضِهِ فِي «عَبَسَ» (٦).

\* \* \*

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ جُرْمِي لَدَيْهِ، لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهُوَ الْمَذْنَبُ.

أَخَذْتُ شَمْسَ الضُّحَى مِنْ وَجْنَتَيْنِ مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبٌ (٧).

= فيكثر نباتها وزهرها). العارض: النغم المقبل (المملوء بالمطر). المنبجس: المنفجر (المتدفق) بالماء. - شكواي إليه تجعله يبتسم وتظهر أسنانه فيزداد جمالاً، كما أن المطر يُنبِت في الربوة أنواع النبات والأزهار فتزداد بذلك جمالاً.

(١) نزول القطر (المطر) كأنه دموع المأتم (اجتماع النساء عند الميت - بفتح فسكون). وهي (أي الربي) من بهجتها (من جمالها وفرحها - بما فيها من أنواع الزهر .....).

(٢) الثوودة: التأتّي (أنا شديد الحب له ولسرعة لقاءه، وهو يضرب لي المواعيد البعيدة أو يتفاضى عن رغبتى). الجافي: الفليظ القاسي.

(٣) نضد: رتب، نسق. الأفخوان زهر له بتلات بيض (تشبه بها الأسنان السليمة الجميلة) وقلبه أصفر. الرحيق (السائل الحلو في الزهر تشربه النحل ثم تتجّه من فيها فيكون منه العسل). والشاعر يقصد بالرحيق «الحمر».

(٤) عينا المحبوب سكرت من رحيق فمه (راجع الحاشية السابقة). العربدة: السكر الذي يؤدي به السكران من حوله. وفؤادي سكره ما إن (إن هنا زائدة) يُفِيق (وفؤادي لا يفيق من سكره - من نظري إلى جمال فمه ومعرفتي بما في فمه - من غير أن أكون قد ذقته).

(٥) فاجم: أسود. اللمة (بالكسر): الشعر المجاور للأذن (سواد الشعر كناية عن الشباب). اللمى: سمره في الشفة (كنية عن الشفاه، وعن الريق). الغنج الدلال، جمال العينين. اللس: سواد قليل في باطن الشفة (كناية أيضاً عن الريق).

(٦) مطلع السورة الثالثة والتسعين في المصحف: ﴿والضحى﴾ (أول ارتفاع النهار وامتداد الضياء) والليل إذا سجي (هبط بهدوء وسكن)، ما ودّعك ربك (تركك، يا محمد) وما قلى ﴿أبفض، أبفضك﴾. ومطلع السورة الثمانين: ﴿عيس وتولى أن جاءه الأعمى﴾.

(٧) مشرق للشمس (كناية عن بياض وجهه) فيه (في وجهه) مغرب للشمس (كناية عن حمرة خدوده، كالحمرة التي تتركها الشمس على الأفق الغربي إذا هي غربت).

ذهبَ الدمعُ بأشواقِي إِلَيْهِ؛ وَلَهُ خَذٌ بَلَحْظِي مُذْهَبٌ<sup>(١)</sup>؛  
يَنْبُتُ الْوَرْدُ بَلَحْظِي كُلًّا لَا حَظَّتْهُ مُقْلَتِي فِي الْخُلْسِ<sup>(٢)</sup>.  
لَيْتَ شِعْرِي، أَيُّ شَيْءٍ حَرَّمَا ذَلِكَ الْوَرْدَ عَلَى الْمُفْتَرَسِ<sup>(٣)</sup>؟

\* \* \*

كُلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حُرْقِي غَادَرَتْنِي مَقْلَتَاهُ دَنِفًا<sup>(٤)</sup>.  
تَرَكْتُ الْحَاظِلَةَ مِنْ رَمَقِي أَثَرَ النَّمْلِ عَلَى صُمِّ الصَّفَا<sup>(٥)</sup>.  
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِي مَا بَقِيَ، لَسْتُ أَلْهَاهُ عَلَى مَا أَتْلِفَا<sup>(٦)</sup>.  
فَهَوَّ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا؛ وَعَذُولِي نُطْقُهُ كَالْخُرْسِ<sup>(٧)</sup>.  
لَيْسَ لِي فِي الْأَمْرِ حُكْمٌ بَعْدَمَا حَلَّ مِنْ نَفْسِي مَحَلَّ النَّفْسِ.

\* \* \*

أَضْرَمَ النَّارَ بِأَحْشَائِي ضِرَامٌ تَتَلَطَّى كُلَّ حِينٍ مَا تَشَاءُ.  
هِيَ فِي خَدَّتَيْهِ بَرْدٌ وَسَلَامٌ، وَهِيَ ضُرٌّ وَحَرِيقٌ فِي الْحَشَا<sup>(٨)</sup>.  
أَتَّقِي مِنْهُ عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ أَسَدًا وَزَدًا وَأَهْوَاهُ رَشَا<sup>(٩)</sup>.

- (١) فني دمعي وجفّ من كثرة بكائي (لأنّ حبّي له شديد وهو معرض عنّي). خذّه مذهب (في احرار من خجله كلّما نظرت إليه).
- (٢) يجمّر خذّه (من الخجل) كلّما نظرت إليه في الخلس (جمع خلسة بالضمّ) مرّة بعد مرّة في غفلة من الدين حولنا.
- (٣) أنا الذي أزرع الورد في خدوده (أجعلها تحمّر من نظري إليها) ثم هي حرام عليّ (لا أستطيع أن أقطف منها ما زرعت فيها: أن أقبلها).
- (٤) الدنف: المريض القريب من الهلاك (التلف، الموت).
- (٥) الرمق: بقية الروح (في الجسد). الصفا جمع صفاة: الصخرة الملساء الصلبة. الصمّ جمع أصمّ وصماء. الشيء إلأصمّ: الصلب المصمت (المملوء جوفه). - إنّ مسير النملة على الصخر لا يترك أثراً.
- (٦) أشكره في (على). ما بقي (في) من حياة وقوّة. ألّاه (من لحي، يلحي: ذمّ، لمن).
- (٧) العذول: الذي يلوم المحبّ على حبّه. كلام عذولي وسكوته سيّان (أنا لن أسمع لوماً في محبوبي من أحد).
- (٨) هذه الحمرة التي تشبه النار هي برد وسلام في خديّه (لا تضرّه)، وهذا اقتباس من القرآن الكريم (٢١: ٦٩، سورة الأنبياء): ﴿فلنا: يا نار، كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾. الحشا: القلب (قلبي).
- (٩) أتقي: أخاف، أجنب. الورد: الأحمر (الأسد الورد: الشديد الضراوة والاقتراس). رشاً: غزال

قلتُ، لَمَّا أَنْ تَبَدَّى مُعْلَمًا، وَهُوَ مِنَ الْحَاضِظَةِ فِي حَرَسٍ (٢):  
أُتِيهَا الْآخِذُ قَلْبِي مَفْنًا اجْعَلِ الْوَصْلَ مَكَانَ الْحُسْنِ (٣)!

- من نفع الطيب (٧: ٤٤٥ وما بعد): « من ذلك قولُ أبي اسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيليّ الإشبيليّ (موشحة، ولكن) بعضاً ذكر أنّها من قوله لَمَّا أَظْهَرَ الإسلامَ، وَهِيَ لَا تَقْتَضِي رَفْعَ الرِّبَةِ عَنْهُ وَالْإِتِّهَامَ (٤):

جَعَلَ الْمُهْنِمِينَ حُبًّا أَحْمَدَ شَيْمَةَ (٥)  
وَأَتَى بِهِ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيمَةَ (٦)،  
فَقَدَا هَوَاهُ عَلَى الْقُلُوبِ تَمِيمَةَ (٧)؛

= صغير - أنا أحبه كأنه غزال جميل بريء ثم أخافه (أخاف نتائج هجرانه) كأنه أسد كربه المنظر شديد الضراوة.

- (١) تبدّي: ظهر لي (لَمَّا رَأَيْتُهُ). الْمُعْلَمُ: الفارس الشجاع القوي الذي لا يتلثم في أثناء المعارك (ولا في غير المعارك) لأنّه لا يخاف من خصومه، بل هم يخافونه. الحَاضِظَةُ الفتاة (كالسيف والرماح) تحرسه.
- (٢) أنت أخذت كل قلبي (سلبتني القدرة على أن أحب محبوباً آخر)، تصدق علي بوصلك (بالاقتراب منك). مكان الخمس (في الجهاد توزع أربعة أخماس الغنائم المنقولة بين الأحياء من الذين اشتركوا في المعركة)، ويتبقى الخمس الخامس فيكون لآل بيت الرسول (إذ لا يجوز لهم أن يأكلوا من الزكاة والصدقات) وللمحتاجين من سائر المسلمين. وهنا إشارة إلى آية من القرآن الكريم (٨: ٤١، سورة الأنفال): ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّا غَنِمْنَا مِنْ شَيْءٍ (في الحرب) فَإِنَّ اللَّهَ خُسَّهُ (للتصدق على المحتاجين) وللرسول (لنفقة الرسول ونفقة أهل بيته) ولذي القربى (لأقارب الرسول) واليتامى والمساكين (الذين يكسبون مالاً لا يكفيهم لحياتهم) وابن السبيل﴾ (المنقطع عن وطنه لا يملك ما يتابع به طريقه).
- (٣) لم يكن المقرّي صاحب نفع الطيب على حقّ في إعلان الارتياح بصحة إسلام ابن سهل، ذلك لأنّ الإيمان شيء بين الإنسان وخالقه، ولا يجوز لنا إذا قال إنسان إنّه مسلم أن نردّ قوله، ما لم يكن لنا دليل على أنّ عملاً من أعماله مخالف للإسلام جهاراً. ولا شكّ في أن الإيمان في الناس على مراتب، فهناك أفراد إيمانهم أعلى من إيمان أفراد آخرين. غير أن الحكم في ذلك لله وحده. ولقد كان في أيام الرسول، صلى الله عليه وسلم، جماعة صحّ الارتياح بإيمانهم فسأهم الله « منافقين »، ولم يقل إنهم كفّار أو غير مسلمين.

- (٤) قال إحسان عباس في (نفع الطيب ٧: ٤٤٥، الحاشية ٢): لم أجد هذه الحمسة (الموشحة) منسوبة لابن سهل الإسرائيلي إلّا في النسخ، ولم ترد في ديوانه (طبع صادر ١٩٦٧).
- (٥) المهيم (من أسماء الله الحسنى). أحمد (محمد رسول الله). شيمّة: خلق (بضمّ فضمّ)، العادة (الجميلة).
- (٦) كريمة: جوهرة (لؤلؤة) نفيسة (ثمينة، غالية)، فهو خير المرسلين وآخر المرسلين.
- (٧) التميمية: الحجاب (ما يعلّق على الأطفال لردّ العين عنهم ومنع الأذى).

وَعِدَا هُدَاهُ لَهُذِهِمْ تَتَمِيَا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا<sup>(١)</sup>.

★ ★ ★

أَبْدَى جَبِينُ أَبِيهِ شَاهِدَ نَوْرِهِ<sup>(٢)</sup>،

سَجَعَتْ بِهِ الْكُفَّانُ قَبْلَ ظُهُورِهِ<sup>(٣)</sup>،

كَالطَّيْرِ غَرَّدَ مُغْرِبًا بِصَفْسِيرِهِ

عَنْ وَجْهِهِ إِصْبَاحٌ يُطِلُّ نَسِيًا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا<sup>(٤)</sup>.

★ ★ ★

اللَّهُ أَوْضَحَ فَضْلَـهُ فَتَوَضَّحَا،

وَاللَّهُ بَيْنَ حُبِّهِ فِي «الضُّحَى»<sup>(٥)</sup>،

وَالْجِذْعُ حَنَّ لَهُ هَوًى فَتَرَنَّحَا<sup>(٦)</sup>،

وَالْمَاءُ فَاضٌ يَكْفِي تَسْنِيًا<sup>(٧)</sup>. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

(١) الهُدَى (بالضَّمِّ) كَالْهُدَى (بِالْفَتْحِ). فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (٥٦: ٣٣)، سُورَةُ الْأَحْزَابِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(٢) فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (وَالدَّهْدَنَ مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ) كَانَ فِي جَبِينِهِ نَوْرٌ يَتَلَأَلُ (وَصَلَ إِلَى اللَّهِ مِنْ النُّورِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ فِي آدَمَ). ثُمَّ إِنَّ امْرَأَةً (فِي الْجَاهِلِيَّةِ) كَانَتْ تَرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ هُوَ يَأْبَى ذَلِكَ (وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْحِينِ زَوْجُ أَمْنَةَ وَالِدَةِ مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ). وَيَقُولُونَ (وَهَذَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الظَّاهِرَةِ أَوْ الْخَفِيَّةِ) إِنَّهُ بَعْدَ مَدَّةٍ (وَكَانَتْ أَمْنَةُ قَدْ حَبِلَتْ بِمُحَمَّدٍ) مَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَرَأَتْ أَنَّ النُّورَ الَّذِي كَانَ يَتَلَأَلُ فِي جَبِينِهِ قَدْ اخْتَفَى (انْتَقَلَ إِلَى الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أَمْنَةَ) فَلَمْ تَرْغَبْ فِيهِ.

(٣) سَجَعٌ: غَنَى، أَكْثَرَ الْكَلَامِ (فِي الشَّيْءِ).

(٤) «نَسِيًا» (كَذَا فِي الْأَصْلِ) وَلَا مَعْنَى لَهَا هُنَا. يَجِبُ أَنْ تَكُونَ «وَسِيًا» (جَمِيلًا). ثُمَّ إِنْ هَذِهِ الْقَافِيَةُ (نَسِيًا) تَأْتِي فِي آخِرِ مَخْمَسٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوْشَعَةِ.

(٥) حُبُّهُ (حُبُّ الرَّسُولِ). الضُّحَى (السُّورَةُ الثَّلَاثَةُ وَالتَّسْعُونَ فِي الْمَصْحَفِ) وَهِيَ: ﴿الضُّحَى﴾ (أَوَّلُ النَّهَارِ. وَالْوَاوُ لِلْقَسَمِ) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (نَزَلَ، خِيمَ). مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ (تَرَكَكَ، يَا مُحَمَّدُ). وَمَا قُلَى (أَبْغَضَكَ). وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا). أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى؟... الخ.

(٦) الْجَذْعُ جُزْءٌ مِنْ سَاقِ شَجَرَةٍ كَانَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ يَقِفُ عَلَيْهِ لِيُخَاطَبَ. فَجَعَلَ جَمَاعَاتٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ هَذَا الْجَذْعَ يَحْنُ (يَتَنَزَّعُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ). فَقَطَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ هَذَا الْجَذْعَ.

(٧) وَفِي الْإِثْرِ أَنَّ الْجَيْشَ عَطَشَ مَرَّةً وَلَمْ يَجِدْ مَاءَ قَفَاضٍ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ الرَّسُولِ مَاءً شَرِبَ مِنْهُ الْجَيْشُ حَتَّى =



اَحْتَثَّ فِي السَّبْعِ الطَّبَاقِ بُرَاقَهُ،  
والأَرْضُ واجْفَةُ تَخَافُ فِرَاقَهُ<sup>(١)</sup>.  
سُبْحَانَ مَنْ أَدْنَى سُرَاهُ فَسَاقَهُ  
شَخْصاً عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ كَرِيماً<sup>(٢)</sup>. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

فَأُشِمَّ رِيحَانُ الْقُلُوبِ الطَّيِّبِ—  
وَدَنَا فَأُسْمِعَ: « يَا مُحَمَّدُ، مَرْحَباً<sup>(٣)</sup>.  
إِنِّي جَعَلْتُكَ جَارَ عَرْشِي الْأَقْرَبِ،  
إِنْ كُنْتُ قَبْلَكَ فَدَجَعَلْتُ كَلِيماً<sup>(٤)</sup> ». صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

يَا لَيْلَةَ يَجْرِي الزَّمَانُ فَتَسْبِقُ،  
الْمُجْتَبِ فِيهَا وَالْأَرَائِجُ تُفْتَقُ<sup>(٥)</sup>.  
مَا كَانَ مِنْكَ اللَّيْلُ قَبْلَكَ يَعْبَقُ.

- 
- = أَرْتَوَى. تسنيم: عين في الجنة (ماء عذب).  
(١) أَحْتَثَّ الدابة: حَثَّهَا (حَضَّهَا عَلَى الْإِسْرَاعِ). السبع الطباقي (السموات السبع). البراق: دابة أكبر من  
الحمار وأصفر من الحصان عظيمة السرعة، إذ تجعل، في كل خطوة، حافرها حيث ينتهي بصرها.  
وعلى البراق كان الإسراء بالرسول من بيت المقدس. الواجف: الخائف المضطرب.  
(٢) ملك الملوك: الله سبحانه وتعالى.  
(٣) أُشِمَّ (بالبناء للمجهول) أدنى منه (جعله الله) يشم (بضم الشين) ريحاناً (نباتاً ذا رائحة طيبة). ريحان  
القلوب (ينعش القلب؟). دنا (أقرب من عرش الرحمن). فأسمع (بالبناء للمجهول: جعله الله يسمع).  
(٤) ...إِذَا كُنْتُ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلْتَ مُوسَى يَكَلِّمُنِي (وهو لا يراني)، فقد جعلتك الآن جاراً قريباً جداً  
لعرشي (تسمع وترى).  
(٥) المجتب جمع حجاب (دون عرش الرحمن) تفتق (تشقَّ ليبصر الراي من خلال فتوقها: شقوقها).  
الأرائج جمع أريج وأريجة (رائحة طيبة). تفتق: بفتح وعاوها أول مرة (شم الرسول في الإسراء  
رائحة لا عهد للإنسان بها).

بُشْرَى، مُحَمَّدٌ اسْتَفَادَ نِسَاءً<sup>(١)</sup>. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

حَتَّى إِذَا أَقْتَمَدَ الْبُرَاقَ لِيَنْزِلَا،

نَادَتْهُ أَسْرَارُ السَّمَوَاتِ الْعُـلَا<sup>(٢)</sup>:

«يَا رَاحِلًا وَدَعْتُهِ لَا عَنْ قَلْبِي،

مَا كَانَ عَهْدُكَ بِالْغُيُوبِ ذَمِيًا<sup>(٣)</sup>». صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

- ٤ - ديوان ابن سهل ..... القاهرة ١٢٧٩، ١٢٨٩، ١٢٩٢، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٢٨ هـ؛  
فاس (طبع حجر) ١٣٢٤ هـ؛ (أبو حسين القرني)، القاهرة ١٣٤٤ هـ = ١٩٦٦ م؛  
بيروت ١٨٨٥ م (١٣٠٢ - ١٣٠٣ هـ)؛ القاهرة (المكتبة العربية) ١٩٢٦ م. (قدّم له احسان  
عبّاس)، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٣ م ثم ١٩٦٧ م.  
- مختارات من ابن سهل، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥٣.  
\*\* المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل، تأليف محمد الإفرائي المغربي، فاس  
١٣٢٤ هـ = ١٩٠٩ م.

- ابن سهل الأندلسي، تأليف عارف تامر.  
المغرب ١: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ فوات الوفيات ١: ٢٩ - ٣٥؛ الوافي بالوفيات ٦: ٥ - ١١؛  
القدح المعلّى ١٤٠ - ١٤١؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ نفح الطيب ٢:  
٣٠٧ - ٣٠٨، ٣: ٥٢٢ - ٥٢٧، ثم هنالك موشحات لابن سهل ومعارضاتها ٧: ١١،

(١) عيب (بفتح فكسر): ظهرت رائحته. مسك الليل (ظلام الليل كلّهُ، لأنّ المسك أسود): كان الليل كلّهُ

يفوح برائحة طيّبة.... استفاد نسياً (أصبح له هو أيضاً رائحة طيّبة تفوح في العالم).

(٢) أقتعد فلان الدابة: ركبها. اقتعد الرسول البراق (لينزل إلى الأرض). أسرار السماوات (كائنات في

السما لا يعرفها الناس). القلى: البفض.

(٣) ما كان عهدك بالغيوب (جمع غيب: وجودك في عالم الغيب، في طبقات السماء) ذمياً (مذموماً): لقد

كنت في عالم الغيب كأنك في الأصل من أهله. أو: لقد أسرى بك إلى السماء لأنك مبرأ من كل عيب

(سلوكك بالغيوب، في السرّ، سلوكك الظاهر في العلن). - راجع القرآن الكريم: ﴿أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ

فَقُولُوا: يَا أَبَانَا، إِنَّ أَبْنَاءَكَ سَرَقُوا. وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا، وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (١٢: ٨١، سورة

يوسف)، ثم ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم.

فالصالحات (من النساء) قانتات (مطيعات لأوامر الله ولأزواجهن) حافظات للغيب (محافظات على

سلوكهن في أثناء غيبة أزواجهن) بما حفظ الله﴾ (بما كان الله قد وصّى)..... ثم ﴿ذلك ليعلم أنّي لم أخنه

بالغيوب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ (١٣: ٥٣، سورة يوسف).

٦١-٦٥، ٦٩، ٢٤٦ وما بعد، ٤٤٥-٤٧٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:  
٩٢٥-٩٢٦؛ بروكلمن ١: ٣٢٢-٣٢٣، الملحق ١: ٤٨٣؛ نيكل ٣٤٤-٣٤٥؛  
مختارات نيكل ٢٠٩-٢١٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٦ (٤٢)؛ سركيس ١٢٣.

## التيفاشي القفصي

١- هو شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون  
ابن حجّاج<sup>(١)</sup> القيسي التيفاشي، نسبة إلى تيفاش<sup>(٢)</sup>. وُلِدَ في مدينة قفصة (في غربي  
القطر التونسي)، سنة ٥٨٠ (١١٨٤ م) وبدأ تعلّمه فيها على أبي العباس أحمد بن أبي  
بكر بن جعفر المقدسي. ثم انتقل إلى تونس الحاضرة وتابع دراسته في جامع الزيتونة.  
بعدئذ رحّل إلى مصرَ وقرأ على عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩) ثم انتقل إلى  
دمشق وقرأ فيها على تاج الدين الكندي.

وعاد التيفاشي إلى تونس فولّاه أبو زكريّا يحيى الحفصي (٦٢٦-٦٤٧ هـ)  
القضاء في قفصة. ولكنه ارتحل ثانية إلى المشرق. وفي رحلته الثانية ماتت امرأته.  
ثم انكسر به المركب مرة (بعد موت زوجته) ففرّق أبنائه الثلاثة وضاع ما كان معه  
من المال.

وتجول التيفاشي في المشرق: زار العراق وفارس ثم جاء إلى القاهرة نحو سنة  
٦٣٠ (١٢٣٢-١٢٣٣ م) وعرفَ نفراً من كبارها منهم محيي الدين محمد بن ناضي<sup>(٣)</sup>  
وأبو الحسن علي بن سعيد العنسي (وقد أجاز له رواية كتاب «المغرب في محاسن  
المغرب») ومكرم بن منظور (ت ٦٥٤) والد صاحب «لسان العرب» وكانت وفاة  
التيفاشي القفصي في القاهرة، سنة ٦٥١ (١٢٥٣-١٣٥٤ م).

٢- كان التيفاشي القفصي واسع الإحاطة بفنون من الأدب والعلم وشاعراً

(١) في «الديباج المذهب» سلسلة نسب أطول. في بروكلمن ١: ٦٥٢، الملحق ١: ٩٠٤؛ شهاب الدين.

(٢) تيفاش قرية من قرى قفصة (الديباج المذهب ٧٥). وذكر حسن حسني عبد الوهاب أن تيفاش  
(الورقات ١: ٤٤٨) في شاليّ عمالة (مقاطعة) قسنطينة في شالي القطر الجزائري.

(٣) وفي «الورقات» (ص ٤٥٠، ٤٥٥) «ابن ندى».

يَنْهَجُ مِنْهَجَ أدبِهِ عصره في تكلف أوجه البلاغة؛ غير أن شِعْرَه نازل على المرتبة المقبولة. أما شِعْرَتُهُ ومكانته فتقومان على مؤلفاته العديدة، وإن كان أكثرها وثيق الصلة جداً بالناحية الجنسية الصريحة. وللتيفاشي كتبٌ منها: فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب<sup>(١)</sup> - الدرّة الفائقة في محاسن الأفارقة (التونسيين) - أزهار الأفكار في جواهر الأحجار (لعلّه الأحجار الملوكية، ولعلّه في الأصل من كتاب فصل الخطاب) - سجع الهديل في أخبار النيل - الديباج الخُشرواني في شرح شعر ابن هاني - درّة اللآلي من عيون الأخبار ومستحسن الأشعار - نزهة الألباب في ما لا يوجد في كتاب (نوادير وأشعار تتعلق بالجنس) - مطالع البدور في منازل السرور - قادمةُ الجَنَاح (في معاشرَة النساء) - رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه - رسالة في ما يحتاج إليه الرجال والنساء في استعمال الباه بما يضرّ وينفع.

### ٣ - مختارات من آثاره

- من تاريخ الموسيقى في المغرب:

.... كان غناء أهل الأندلس في القديم إمّا بطريقة النصارى \* وإمّا بطريقة حُدَاة العرب<sup>(٢)</sup>. ولم يكن عندهم قانونٌ يعتمدون عليه إلى أن قامت الدولة الأموية، وكانت مُدَّةُ الحُكْمِ الرِّبَضيّ<sup>(٣)</sup>، فوفد عليه من المشرق ومن إفريقية التونسية من يُحسِن صَنَعَةَ التلاحين المدنية<sup>(٤)</sup> وأخذ الناس عنهم، إلى أن وفد الإمام المُقَدَّم في

(١) هذا الكتاب يقع في أربعين جزءاً (نحو ثمانية آلاف صفحة)، وهو مُوسِعة (موسوعة: دائرة معارف) مبنية على الأنواع التي تتناول المعارف الإنسانية المختلفة من مظاهر الطبيعة (الجماد والحيوان) ومن المدارك العلمية والعملية كالطب والموسيقى ومن الأحوال الاجتماعية والفكرية كتاريخ الأمم وعلومهم كالفلك وعلم الحجارة الكريمة. وقد اختصر هذا الكتاب ابنُ منظور مصنف «لسان العرب». ويمكن أن نعدّ هذا الكتاب سلسلة متوالية في التأليف لأن التيفاشي جعل لكلّ جزء عنواناً مستقلاً (راجع أيضاً «الورقات»، ص ٤٥٥ - ٤٥٧).

(٢) الحادي: الذي يسوق قوافل الإبل، يقصد بطريقة الحداة «الفناء البدوي».

(٣) الدولة الأموية: الدولة الرومانية في الأندلس. الحكم الرِّبَضي هو الحكم الأوّل (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) بن هشام بن عبد الرحمن الداخل.

(٤) المُدْنِيَة (بضمّ فضمّ؟): خلاف البدوية. \* نصارى الأندلس (الأسباك).

هذا الشأن عليُّ بنُ نافعِ الملقَّبُ بزِيَابَ غُلامُ إِسْحاقَ المَوْصِلِيِّ على الأميرِ عبدِ الرحمن الأوسط<sup>(١)</sup> فجاء بما لم تَعَهْدُهُ الأَسْمَاعُ واتَّخَذَ السُّلْطَانُ<sup>(٢)</sup> طَرِيقَتَهُ ونُسِيَ غَيْرُهَا إلى أن جاء ابنُ بَاجٍه الإمامُ الأعظمُ فاعتكفَ مُدَّةَ سِنِينَ مَعَ جَوَارِ مُحَسِّنَاتِ فَهَذَّبَ الاستِهْلَالَ<sup>(٣)</sup> والعَمَلَ ومزجَ غِنَاءَ النصارى بغِنَاءِ المشرقِ واختَرَعَ طَرِيقَةَ الأَجْدَالِ<sup>(٤)</sup> (٥) (٦) بالأندلس. وقد مال إليها طَبِيعُ أَهْلِهَا ورفضوا ما سواها. ثم جاء بعده ابنُ جودي وابنُ الحِمَارَةِ وغيرُهما فزادوا ألحانَه<sup>(٥)</sup> تهذيباً واختَرَعُوا ما قَدَرُوا عليه من الألحانِ المُطَرَّبَةِ. وكان خاتمةَ هذه الصَّنَاعَةِ أَبُو الحَسَنِ بنُ الحَاسِرِ المُرْسِيِّ<sup>(٦)</sup> فَإِنَّهُ أَذْرَكَ فِيهَا عِلْماً وَعَمَلًا ما لم يُذَرِكْهُ أَحَدٌ. وله في الموسيقى كتابٌ كبيرٌ في جُمْلَةِ أَسْفَارِ. وكلُّ تلحينٍ سُمِعَ بالأندلس والمغرب في شِعْرِ متأخِرٍ فَهُوَ من صَنَعَتِهِ.....

- يوم نعيم بين ليلين غير ذلك:

ويوم سَرَقْنَاهُ من الدهر خِلْسَةً؛      بلي الدهرُ أهداه لنا مُتَفَضِّلًا.  
أشْبَهَهُ بَيْنَ الظَّلَامِينَ غُرَّةً      لِحَسَنَاءٍ لَاحَتْ بَيْنَ فَرَعَيْنِ أَرْسِلَا<sup>(٧)</sup>!

- ذهاب الليل ومحجى الفجر:

(١) زِيَاب (راجع، فوق، ص ٨ في الجزء الرابع). تلميذ إِسْحاقَ المَوْصِلِيِّ. عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨ هـ).

(٢) السُّلْطَانُ: صاحب السلطة (الخليفة، الدولة) - يقصد الغناء الرسمي، في البلاط.

(٣) ابن بَاجٍه (راجع، فوق، ص ٢١٥ في الجزء الخامس). الاستِهْلَالُ: مطلع الغناء. العمل: منهج الغناء والسير فيه (٤).

(٤) الأَجْدَالُ (غير معروفة - وعلامة الاستفهام من الأصل المنقول عنه).

(٥) ابن جودي (٥). ابن الحِمَارَةِ (ضبطها حسن حسني عبد الوَّهَّاب (الورقات ١: ٤٥٤) بتشديد الميم. وتركها شوقي ضيف (المغرب ٢: ١٢٠) مهملة. وكذلك فعل إِحْسَانُ عَبَّاس (نفع الطيب ١: ٢٠٥، ٣: ٥٩٧، ٤: ١٣، ١٤٠)، وديدرينغ (الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٢). وابن الحِمَارَةِ الغرناطي تلميذ ابن بَاجٍه، برع في الألحان وفي نظم الشعر. ويرد هذا الاسم في نفع الطيب مرَّةً بكنية واسمها أَبُو الحَسَنِ عَلِيٌّ وثلاث مرَّات أَبُو عامر مَحْمَد. ولعلَّ الاثنين واحد..... في ألحانه (في ألحان ابن بَاجٍه).

(٦) أَبُو الحَسَنِ بن الحَاسِرِ المُرْسِيِّ (٤).

(٧) الفرع: الشَّعْر. لَاحَتْ بَيْنَ فَرَعَيْنِ: ظهر وجهها بين شيء من شعرها في كلِّ جانب.

نَبَّةٌ نَدِيمِكَ، إِنَّ الدِّيكَ قَدْ صَخَبَا  
والفجر في كَيْدِ اللَّيْلِ السَّقِيمِ حَكِي  
كَأَنَّهُ، بِظُلَامِ اللَّيْلِ مُتَزَجًّا،  
كَأَنَّا الْفَجْرُ زَنْدٌ قَادِحٌ شَرًّا  
كَأَنَّ أَوَّلَ فَجْرِ فَارِسٍ حُمِلَتْ  
كَأَنَّ ثَانِيَّ فَجْرِ غُرَّةٍ وَضَحَتْ

- وصف الزلزال:

أَمَا تَرَى الْأَرْضَ فِي زَلْزَالِهَا عَجَبًا  
أَضَحَتْ كَوَالِدَةٍ خَرَقَاءَ مُرْضِعَةٍ  
قَدْ مَهَّدَتْهُمْ مِهَادًا غَيْرَ مُضْطَرَبٍ  
حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتَ بَعْضَ الَّذِي كَرِهْتَ  
هَزَّتْ بِهِمْ مَهْدَهُمْ تَشَاءُ تُنْهِنُهُمْ  
فَصَكَّتِ الْمَهْدَ غَضْبِي فَهِيَ لَافِظَةٌ

وَاللَّيْلُ قَوْضٌ مِنْ تَخْيِيمِهِ الطُّنْبَا (١)  
سِرُّ الْمَتِيمِ عَنْ أَجْفَانِهِ غُلْبًا (٢)  
سَمَرَاءُ تَفْتَرُّ أَبْدَتْ مَنْسًا شَبَابًا (٣)  
فِي فَحْمَةِ اللَّيْلِ لَا قَى الْفَحْمِ فَالْتَهَبَا (٤)  
رَايَاتُهُ الْبَيْضُ فِي آثَارِهِ فَكَبَا (٥)  
تَسِيلُ فِي وَجْهِ طِرْفٍ أَذْهَمَ وَثْبَا (٦)

تَدْعُو إِلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ كُلُّ تَقِيٍّ  
أَوْلَادُهَا دَرٌّ تُذِي حَافِلِي غَدَقٍ (٧)  
وَأَفْرَشْتَهُمْ فِرَاشًا غَيْرَ مَا قَلَقٍ  
مِمَّا يَشُقُّ، مِنَ الْأَوْلَادِ، مِنْ خَلْقٍ (٨)،  
ثُمَّ اسْتَشَاطَتْ وَآلَ الطَّبِيعِ لِلْخَرَقِ (٩)  
بَعْضًا عَلَى بَعْضِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَنْقِ (١٠).

- (١) صخب: علا صوته واختلط بغيره (يقصد: صاح). الطنب: خشبات حول الخيمة تشد أطراف الخيمة إليها. قَوْض: هدم، قلع.
- (٢) المتيم: الذي أمرضه الحب. غلبا (كذا في الأصل)، لعلها «حجا».
- (٣) افتَرَّ: ابتسم فظهرت أسنانه. المنسم: الرائحة الطيبة (كذا يقصد الشاعر). الشنب: البارد! والشنب (يفتح ففتح): الجميل، الصافي.
- (٤) الزند: قطعة من الحديد تقدح (تستخرج) بها النار من الحجر. فحمة الليل: اشتداد سواده.
- (٥) أول فجر: الفجر الكاذب (أول ظهور نور الصباح من وراء الأفق) ويكون ضعيفا. كبا: عثر. - كَانَ الْفَجْرُ فَارِسَ (عَلَى حِصَانٍ أَسْوَدَ؟) تَنَالَتْ وَرَاءَهُ الرَّاياتُ الْبَيْضُ حَتَّى غَلَبَتْهُ وَغَطَّتْ عَلَيْهِ!.
- (٦) الفجر الثاني: الفجر الصادق (حينما يعمُّ النور وجه الأفق الشرقي ولكن قبل أن تستير الأرض. الغرّة: مقدّمة الوجه أو الرأس (وتكون بيضاء). تسيل: تمتدّ (تظهر ثابتة). الطُرف: الحصان الأدهم: الأسود.
- (٧) الخرقاء الحمقاء. الدرّ: اللبن. حافل: مملوء. غدق: كثير.
- (٨) شق: صعب (بضم العين)، أتعب.
- (٩) تشاء تنههم: تشاء أن تكفهم (تردعهم، تمنعهم) عن السلوك السيء. آل: رجّع. الخرق: الحق. - ..... غَضِبْتُ وَعَادَ طَبْعُهَا إِلَى الْاضْطِرَابِ (بَعْدَ الْمَدْوَةِ).
- (١٠) صكّ: ضرب.

- مَنَامٌ مُنْذِرٌ بِمُصِيبَةٍ:

وجرى لي في المنام أمرٌ عجيبٌ في السَّراجِ . وذلك أني رأيتُ<sup>(١)</sup> كأنني جالسٌ وبينَ يَدَيَّ ثلاثةُ سُرُجٍ موقودة<sup>(٢)</sup>، وإلى جَنِيّ زوجتي وهي تنفُخُ على أحدِ السُّرُجِ لِتُطْفِئَهُ . فأذركني عليها غَيْظٌ شديدٌ ونَهَيْتُهَا عن ذلك، فَأَلَحَّتْ في النفخِ عليه . فاضطربتُ وَقُلْتُ لها: إن أطفأتِه فَأَنْتِ طالقٌ! فقامتُ فَفَنَفَخَتْ في السرجِ الثلاثةِ وأطفأتُها . ولم أَكُنْ قَبْلَ ذلك (قد) جرى على لِسَانِي للطلاقِ ذِكْرُ الْبَتَّةِ<sup>(٣)</sup>، ولا حَدَثُ نَفْسِي بَطْلَانِهَا قَطُّ . وكان لي منها ثلاثةُ بَنِينَ . وَاتَّفَقَ بَعْدَ هذه الرؤيا بِأَيَّامٍ أَنْ مَرَضَتْ فماتت . وَرَكِبْتُ أَنَا وَأَوْلَادِي الثلاثةُ الْبَحْرَ وَمَعِيَ مَالٌ طَائِلٌ . فَعُطِبَتِ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ وَغَرِقَ الْبَنُونَ الثلاثةُ وَالْمَالُ جَمِيعُهُ . وَنَجَوْتُ عَلَى لَوْحٍ مُسْلُوباً<sup>(٤)</sup> مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ .

٤ - أزهار الأفكار في جواهر الأحجار (بيشيا)، فلورانس ١٨١٨ م؛ حققه يوسف حسن ومحمود بسيوني (المطبعة العامة للكتاب ١٩٧٧ م).

- نثار الأزهار في الليل والنهار (جزء من «أزهار الأفكار» - اختصره ابن منظور)، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ.

- كتاب الباء في رجوع الشيخ إلى صباه (رجوع الشيخ إلى صباه من القوة على الباء)، بولاق ١٣٠٩، القاهرة ١٣١٦.

- الأحجاز التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء (راجع الأعلام للزركلي).

- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس (هذه ابن منظور - حققه إحسان عباس)، بيروت (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ١٩٨٠ م.

★ ★ الوافي بالوفيات ٨: ٢٨٨ - ٢٩١؛ الديباج المذهب ٧٤ - ٧٥؛ الورقات لحسن حسني عبد الوهّاب، ص ٤٤٨ - ٤٦٠ (راجع له أيضاً: مجلّة الفكر - جوان ١٩٥٩ م - ص ٤ - ١٠؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٠٥ - ٢٠٨؛ مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٩: ١٢؛ (لعبد القادر زمامة)، المجلّة الآسيوية ١٨٢٨ م، ص ٥ وما بعد؛ بروكلين ١: ٦٥٢،

(١) أي رأيت فيما يرى النائم.

(٢) كذا في الأصل. والصواب: موقدة (من أوقد): مشتعلة.

(٣) البتّة: أبداً، قط، مطلقاً.

(٤) مسلوباً: مجرداً عما أملك.

## حُمَيْدُ الْأَنْصَارِيِّ

١ - هو أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحُسنِ بنِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ القُرطُبِيُّ الملقَّبُ ، أصلُ أهلِه من قُرطُبَةٍ وقد انتقلَ جدُّه لأبيه - الحُسنُ بنُ أحمدَ - إلى مالَقَةِ . وولِدَ حُمَيْدُ الأنصاريُّ في مالَقَةِ سَنَةَ ٦٠٧ للهجرة (١٢١٠ - ١٢١١ م) .

سَمِعَ حُمَيْدُ الأنصاريُّ من أبي الحُسنِ بنِ مُحَمَّدٍ الشَّارِيِّ<sup>(١)</sup> . وسمع من كثيرين غيره في الأندلسِ والمغربِ والمشرقِ . وكان قبلَ رَحلتِهِ (نحو ٦٤٩ هـ) قد تصدرَّ في بلدِهِ مالَقَةَ للتدريس فأقرأ القرآنَ وحدثَ ودرَّسَ الفقهَ والعربيةَ (النحو) .

وَرَحَلَ حُمَيْدُ الأنصاريُّ إلى المشرقِ بِنِيَّةِ الحجِّ . ويبدو أَنَّهُ وَصَلَ أَوَّلًا إلى الشامِ (سورية) ثمَّ انتقلَ إلى مِصرَ ، ولكنه مَرَضَ في مِصرَ ثمَّ تُوُفِّيَ في الثاني والعشرين من ربيعِ الأوَّلِ من سَنَةِ ٦٥٢ (١٢٥٤/٥/١١ م) .

٢ - كان حُمَيْدُ الأنصاريُّ ورِعاً زاهداً مُتَقَشِّفاً . وقد كان مُقرئاً للقرآنِ مجوداً ومُحدثاً حافظاً وفقهياً ومأهراً في علمِ العربيةِ (النحو) . ثمَّ هو كاتبٌ وشاعرٌ ، وشِعْرُهُ كثيرٌ عاديٌّ قاصرٌ على الزُّهدِ والحِكمِ .

### ٣ - مختارات من شعره

- قال حُمَيْدُ الأنصاريُّ في الناسِ وأحوالِهِم :

مَطَالِبُ النَّاسِ فِي دُنْيَاكَ أَجْناسُ فَأَقْصِدْ فَلَا مَطْلَبَ يَبْقَى وَلَا ناسُ<sup>(٢)</sup> .

(١) تُوُفِّيَ في رمضان من سنة ٦٤٩ . وفي الديباج المذهب (ص ٤٦) : أبو الحُسنِ بنِ مُحَمَّدٍ الشَّارِقِي (وتكرار « الشَّارِي » في الذيل والتذكرة يمكن أن يدلَّ على أَنَّ الشَّارِي أَصَحُّ) .

(٢) أقصد : اعتدل .



وَأَرْضَ الْقَنَاعَةِ مَالًا وَالتَّقَى حَسَبًا،  
وإنَّ عِلَّتَكَ رُؤُوسٌ وَأَزْدَرَّتَكَ، ففِي  
فَمَا عَلَى ذِي تَقَى مِنْ دَهْرِهِ بَاسٌ<sup>(١)</sup>.  
بَطْنِ الثَّرَى يَتَسَاوَى الرَّجُلُ وَالرَّاسُ.

- وَقَالَ فِي الدُّنْيَا وَأَحْوَالِهَا:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ بَيْنَ صُبْحِهِ  
أَقَمْتُ عَلَى نَفْسِي فَنَاءً دَلِيلُهَا،  
وَقَالَتْ: «تَمَتَّعْ مِنْ زَمَانِكَ سَاعَةً،  
وَبَادِرْ إِلَى لَذَاتِ ذَاتِكَ وَأَغْتَنِمْ  
وَعَرَّتْ وَمَا بَرَّتْ، وَلَكِنْ أَجَبْتُهَا:  
وَلَيْلَ شَبَابِي قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ<sup>(٢)</sup>،  
فَصِرْتُ بُوْجِهِ مُعْرِضٍ عَنْ دَلِيلِهِ<sup>(٣)</sup>.  
وَلَا تَبْكِينَ الْهَوْلَ قَبْلَ نَزْوِلِهِ<sup>(٤)</sup>؛  
طُلُوعَ مُحْيَا الْبَدْرِ قَبْلَ أَفْوَلِهِ<sup>(٥)</sup>.  
«وَكَمْ نَاصِحٍ لِي مَا أَصْغَتْ لِقِيلَةَ<sup>(٦)</sup>»!

٤- \*\* الذيل والتكملة ١: ١٣٨-١٤٣ (رقم ٢١٤)؛ الديباج المذهب ٤٦؛ بغية الوعاة  
١٣٥؛ نفح الطيب ٢: ٣٧٨-٣٧٩.

## أَبُو الْخَطَّابِ السُّكُونِي

١- هُوَ أَبُو الْخَطَّابِ مُحَمَّدٌ<sup>(٧)</sup> بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَلِيلِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ  
خَلْفِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السُّكُونِيِّ، أَصْلُهُ أَهْلُهُ مِنْ لَبْلَةٍ (فِي جَنُوبِي الْبَرْتَغَالِ  
الْيَوْمَ-غَرْبَ إِسْبِيلِيَّةٍ). وَكَانَ مَسْكَنُهُ فِي إِسْبِيلِيَّةٍ، ثُمَّ غَادَرَهَا لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهَا

(١) بِأَسْ: مَشَقَّةٌ، ضَرَرٌ.

(٢) بَيْنَ: ظَهَرَ. لَيْلُ شَبَابِي (شَعْرِي الْأَسْوَدَ، شَبَابِي).

(٣) ..... فَنَاءً دَلِيلُهَا (٩).

(٤) الْهَوْلُ: الْمَصِيبَةُ الْخَفِيفَةُ (الْمَوْتُ؟).

(٥) الْبَدْرُ (الْحُبُوبُ). الْأَفْوَلُ: الْمَغِيبُ.

(٦) غَرَّتْ (أَيِ الدُّنْيَا أَوْ النَّفْسِ): خَدَعَتْ. بَرَّتْ: وَفَتْ بِمَا وَعَدَتْ، صَدَقَتْ بِمَا قَالَتْ. أَصْغَتْ: أَمَلَتْ  
سَمِعِي إِلَيْهِ، سَمِعَتْ مِنْهُ. الْقِيلُ: الْقَوْلُ.

(٧) جَاءَ فِي الذَّيْلِ وَالتَّكْمِلَةِ ذِكْرُ ثَلَاثَةِ إِخْوَةٍ لِأَبِي الْخَطَّابِ السُّكُونِيِّ اسْمُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ «مُحَمَّدٌ» أَيْضًا. هُمْ  
أَبُو الْحَكَمِ (٥: ٦٣٠، رَقْمُ ١١٩٩) وَأَبُو عَمْرٍ (٥: ٦٣٥، رَقْمُ ١٢٠١) وَأَبُو الْفَضْلِ (٥: ٦٣٦، رَقْمُ  
١٢٠٢).

النصارى (٦٤٦ هـ). روى أبو الخطاب السُّكُونِيُّ قُنُوناً من العلم عن نفرٍ من أهلِهِ ثم عن نفرٍ آخرينَ منهم: أبو عبدِ الله بنُ زَرْقُونٍ (ت ٥٨٦ هـ) وأبو جعفرِ بنِ مَضْلَعٍ (ت ٥٩٢ هـ) وأبو عمرانَ المارْتَلِيَّ الزَاهِدُ (ت ٦٠٤ هـ) وعبدُ الملِكِ بنِ بَذْرُونٍ (ت ٦٠٨ هـ) وأبو عَمَرَ بنِ عاتٍ (٥٤٢ - ٦٠٩ هـ) وأبو الحسنِ بنِ خَرُوفٍ (ت ٦١٠ هـ) وأبو مُحَمَّدٍ بنِ حَوْطِرِ الله (ت ٦١٢ هـ) وأبو بكرِ بنِ طَلْحَةَ الإِسْبِيلِيَّ (ت ٦١٨ هـ).

وَكَتَبَ أبو الخطاب السُّكُونِيُّ، في أيامِ شبابه لِبَعْضِ الأَمراءِ ثم تَرَكَ ذلك. وكانت وفاته عن سِنٍّ عاليةٍ، في العَشرِ الأَواخرِ من شَعْبَانَ من سَنَةِ ٦٥٢ (النصف الثاني من آبٍ - أغسطس من عام ١٢٥٤ م).

٢ - كان أبو الخطاب السُّكُونِيُّ حافظاً للحديثِ وفقيهاً وعارفاً بالتاريخ، كما كان مُبرِّزاً في علوم اللُّغة. وكان فصيحاً بليغاً يَخْطُبُ رَوِيَّةً وَآرْتِجَالاً بَيْنَ يَدَيِ المُلُوكِ وفي المَهافِلِ الجُمهُورِيَّةِ. وله شِعْرٌ. غيرَ أنَّ شِعْرَهُ الواصلَ إلينا عاديٌّ وَيَنُوءُ بأشياءَ من الضَّعْفِ.

وكان أيضاً مُصَنِّفاً صَنَعَ بَرَنامِجاً سَمَّاهُ «التَّذَكُّرَةُ» ضَمَّنَهُ التَّعْرِيفَ بِشُيُوخِهِ وِعِدَارِكِهِمُ العِلْمِيَّةِ وبأَحْوالِهِم وبطُرُقِ أَخْذِهِ عَنْهُمْ، وقد عَدَّ مِنْهُمْ نِيفاً وَتِسْعِينَ شَيْخاً. وكان هذا البرنامجُ ضَخْماً وَلَكِنَّهُ ضَاعَ لَمَّا غَادَرَ أبو الخطابُ إِسْبِيلِيَّةَ.

وله أيضاً قَصِيدَةٌ سَمَّاهَا «ناظِمَةُ الفرائض»<sup>(١)</sup> في عَقْدِ العَقَائِدِ - الحُجُجِ الإِقْناعِيَّةِ في المَحْجُورِ إِذَا اسْتَعْمَلَ في الخُطَطِ الشَّرْعِيَّةِ - النَّفْحَةُ الدَّارِيَّةِ وَاللَّمْحَةُ البُرْهَانِيَّةِ في العَقِيدَةِ السُّنِّيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الإِيمَانِيَّةِ. وقد جُمِعَت جُمْلَةُ من رَسَائِلِهِ الإِخْوانِيَّةِ خَاصَّةً وَمِنْ أَشْعَارِهِ في كِتَابِ عُنْوَانِهِ «الغُرُرُ والدُّرَرُ» (جَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بنِ أَخِيهِ أَبِي عُمَرَ).

(١) في حاشية الصفحة ٦٣٢ (الذيل والتكملة، السفر الخامس): كذا في الأصل. ولعلها «الفرائد» (إذ الملموح أن هذه القصيدة في العقائد الإيمانية من علم الكلام، بينما «الفرائض»: في الموارث. والفريدة: اللؤلؤة الثمينة النادرة).

- قال أبو الخطاب محمد بن أحمد السكوني صاحب هذه الترجمة في السأم من الأسفار ومن أحوال الزمن وأحوال البشر:

أشكو إلى الله ما لا قيت من زمن في غربة عارضت في مآلف الوطن<sup>(١)</sup>.  
إذا تنكر لي حالا (؟) تنكر لي أبساؤه وأثاروا نائرا الإحني<sup>(٢)</sup>.  
أستغفر الله، كم لله من مني! لمت الزمان، ولا لوم على الزمن<sup>(٣)</sup>.  
فالأمر لله في الحالات أجمعها، والكل لولاه لم يوجد ولم يكن.  
هو الذي خلق الأشياء مخترعا فالملح بلامحة الألباب والفطن<sup>(٤)</sup>.  
وكن مع الله في علم وفي أدب مستوضحا سنن القرآن والسني<sup>(٥)</sup>.

- وله في شيء من الجدال الكلامي (علم الكلام):

بمدرك العقل كل الخلق مطلوب كسبا، ولكن لرب الخلق منسوب<sup>(٦)</sup>.  
مشيئة الحق في الأكوان كائنة علما قديما، وسر الغيب محبوب<sup>(٧)</sup>.  
وكل شيء فمقدور بقدرته، وهو المسبب، ما للغير تسبب<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) عارضت في مآلف الوطن: حالت دون استقرار في وطني.  
(٢) حالا (كذا في الأصل). لعل المقصود: إذا تنكر لي وطني (في حال من أحواله) تنكر لي (أيضا) أبناء وطني. الصواب أن يقال: حال. ولعل «حالا» خطأ من النسخ (في الأصل المخطوط) أو في أثناء التصحيح (عند الطبع) أو من الإهمال.  
(٣) المنة: المعروف، الفضل (بلا مقابل).  
(٤) .... مخترعا (على غير مثال سابق ومن غير مادة موجودة من قبل) .... فاعرف ذلك بمقلك.  
(٥) السن (بفتح ففتح): الطريقة، المثال. السن جمع سنة (بالمضم فيها): عمل رسول الله.  
(٦) كل الناس مطالبون بأن يعملوا أعمالهم بعد تفكير (وإرادة)، مع العلم بأن الله تعالى هو الذي يجعل الإنسان قادرا على أعماله (هذا الرأي يرجع في علم الكلام إلى أن أعمال الإنسان مكتوبة عليه منذ الأزل، ومع ذلك فهو يباشرها بإرادته (أو على الأقل يكون راضيا بها).  
(٧) - كل ما يحدث الآن وبعد الآن في العالم هو بإرادة الله القدية.....  
(٨) إن الله وحده قادر على كل شيء، وهو مسبب (موجد) الأشياء كلها. ولا يستطيع أحد غيره أن يوحده شيئا.

فَسَلَّمَ الأَمْرَ للأَحْكَامِ وَأَرْضَ بِهَا ، فَكُلُّ حُكْمٍ بَصَفَحِ اللُّوحِ مَكْتُوبٌ<sup>(١)</sup>.

٤- \*\* الذيل والتكملة ٥ : ٦٣٠-٦٣٥ (رقم ١٢٠٠).

## أبو الحجاج البيهقي

١- هو جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البيهقي، وُلِدَ في بَيْيَاسَة من كورة جَيَّانَ في ١٤ من ربيع الأول من سَنَةِ ٥٧٣ (١١٧٧/٩/١٠ م). وقد تَنَقَّلَ في البلاد: زارَ إشبيلية والجزيرة الخضراء وغيرها ثم انتقل إلى تونسَ وَلَزِمَ بَلَاطَ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى الحَفْصِيِّ (٦٢٦-٦٤٧ هـ) ونال عنده حُظُوَّةً فَأَجْرَى أَبُو زَكَرِيَّا لَهُ رَاتِباً شَهْريّاً. وألَّفَ البيهقي لأبي زكريا كتابَ الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام. وكانت وفاته في الرابع من ذي القعدة من سَنَةِ ٦٥٣ (١٢٥٥/١٢/٥ م) في مدينة تونس.

٢- كان أبو الحجاج البيهقي أديباً بارعاً مُطَّلِعاً على أقسام الكلام من النظم والنثر، عارفاً بأيام العرب وأشعارها في الجاهلية والإسلام كثيرَ الحِفْظِ والرواية يحفظُ النوادرَ والفكاهات المروية عن الأندلسيين ممَّا جعله ندياً للملوك. وكان أيضاً عالماً في اللغة. ثم هو من أشياخ المؤرخين ومؤرِّخِ الأندلس (المغرب ١ : ٢٠٥، ٤٢٧، ٧٣ : ٢). وهو مصنّف له كتاب الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام (من مقتل عُمَرَ بن الخطّاب إلى ثورة الوليد بن طريف الخارجي على هُرُونِ الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية). - ذيل على تاريخ ابن حيّان - الحماسة المغربية (انتهى من تأليفها في مدينة تُونِسَ، في آخِرِ شَوَالٍ من سَنَةِ ٦٤٦). وله ذيلٌ على كتاب «المتين» (في التاريخ)، لأبي مَرْوَانَ حَيَّانَ بنِ خَلْفِ بنِ حَيَّانَ (ت ٤٦٩ هـ)، وكان ابن حيّان قد ألَّفَ هذا الكتابَ في عشرة أجزاء وجعلَه قاصراً على أحداثِ عصره (نفع الطيب ٣ : ١٨١).

(١) كن راضياً بالأحكام (بما يحكم عليك الله به في هذه الدنيا)، إذ لا فائدة من الاعتراض عليها فإنها مكتوبة (عليك) في صفحة اللوح المحفوظ (في السماء، منذ خلق الله السماء والأرض).

- من مقدمة كتاب الحماسة المغربية:

..... أما بعد، فإنني قد كنتُ في أوَانِ حَدَاتِي وزمانِ شَبِيبِي ذا وَلُوعٍ بالأدب ومحبةٍ في كلامِ العرب. ولم أزل مُتَتَبِعاً لِمَعَانِيهِ ومُفْتَشّاً عن قواعده ومَبَانِيهِ إلى أن حَصَلْتُ لي جُمْلَةٌ منه لا يَسَعُ الطالبُ المُجْتَهِدُ جَهْلُهَا، ولا يَصْلُحُ الناظرُ في مِثْلِ هذا العلمِ إلّا أن يكونَ عنده مِثْلُهَا. وحَمَلْتُني المحبةُ في ذلك العلمِ والولوعُ به على أن جَمَعْتُ ممَّا آخَرْتُهُ وَأَسْتَحْسَنْتُهُ من أشعار العرب جاهليِّها ومُخَضَّرِمِها وإِسْلَامِيَّها ومُوَلَّدِها<sup>(١)</sup> ومن أشعار المُحدَثين من أهلِ المشرق والأندلس وغيرهم ما تَحْسُنُ به المُحاضرة وتَجْمَلُ عليه المناظرة<sup>(٢)</sup>.

ثم إنني رأيتُ أن بقاءها دونَ أن تَدْخَلَ تحتَ قانونِ يَجْمَعُها وديوانِ يُؤَلِّفُها مُؤَدِّنٌ بِذَهايِها ومُؤَدِّ إلى فسادِها. فرأيتُ أن أضُمَّ مُختارَها وأَجْعَلَ مستحسنِها تحتَ أبوابِ تَقْيِيدٍ نافرِها وتَضُمُّ نادرِها. فنظرتُ في ذلك فَلَمْ أَجِدْ أَقْرَبَ تبويماً ولا أحسنَ ترتيباً ممَّا بَوَّبه ورَتَّبَه أبو تَمَّامٍ حَبِيبُ بنُ أوسٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى في كتابِهِ المعروف بكتابِ الحماسة ولا أحسنَ من الاقتداء به والتَّوَخِّيَ لمذهبه لِتَقْدِيمِهِ في هذه الصَّنَاعَةِ وَأَنفِرَادِهِ منها بأوفرِ حظٍّ وَأَنفَسِ بِضَاعَةٍ. فَاتَّبَعْتُ في ذلك مَذْهَبَهُ ونَزَعْتُ مَنْزِعَهُ، وقرئتُ الشُّعْرَ بما يُجَانِسُهُ ووَصَلْتُهُ بما يُنَاسِبُهُ. ونَقَّحْتُ ذلكَ وآخَرْتُهُ على قَدْرِ اسْتَطَاعَتِي وبلوغِ طاقتي وجهدي....

- وله هجاء فيه مُجونٌ في غُلامٍ يُحِبُّه كان يقرأُ عليه ثم شبَّ، قاله يخاطب آخرَ:  
قد سَلَوْنَا عن الذي تَذْرِيه وَجَفَوْنَاه إِذْ جَفَا بِالتَّيِّهِ؛

(١) الشعر المضموم هو الذي نظمته شاعر عاش في الجاهلية والإسلام. والشعر المولَّد هو الشعر العباسي لأنَّ عدداً كبيراً من الشعراء العباسيين كانوا مولودين بين أب عربي وأم غير عربية، أو لأنَّ معانيه كانت مولدة (مبتكرة أو منظورة) فيها إلى المعاني التي كانت عند غير العرب.

(٢) المحاضرة كلام القوم الذين يحضرون مجلساً واحداً ويتناول الحاضرون فيه كلاماً وأخباراً ممَّا يحضُرهم ومن مُتناول أيديهم وذكريتهم. والمناظرة: المباحثة في أمر بالحاجة (بإقامة المُجَجِّج) ومحاولة كلِّ مناظر أن يتغلب بالحجة على مناظره.

وَتَرَكْنَاهُ صَاغِرًا لِأَنْوَاسٍ خَدَعُوهُ بِالزُّورِ وَالتَّمْوِيهِ:  
لِمُضِلٍّ يَهْدِيهِ نَحْوَ مُضِلٍّ وَفِيهِ يَقُودُهُ لِسَفِيهِ!

٤-★★ المغرب ٢: ٧٣؛ القدح الملقى ٩٤-٩٥؛ وفيات الأعيان ١: ٢٣٣، ٧:  
٢٣٨-٢٤٤ (وفيها مختارات كثيرة من كتاب الحاسة المغربية)؛ نفح الطيب ٣:  
١٨١، ٣١٦-٣١٧؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦٢؛ بروكلمن ١: ٤٢٤، الملحق  
١: ٥٨٨-٥٨٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٩-٣٣٠ (٨: ٢٤٩).

### محمد بن عبد الله المرسى

١- هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي  
المرسى، وُلِدَ في مُرْسِيَّة في أَوَّلِ سَنَةِ ٥٧٠ (صيف ١١٧٤) أو آخِرِ ٥٦٩. قرأ القرآن  
على أبي الحسين محمد بن غلبون المرسى، وسمع النحو من أبي الحسن علي بن يوسف بن  
شريك الدائى والطيب بن محمد بن الطيب والشلوبين وتاج الدين الكندي، وسمع  
الموطأ في المغرب من الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله الحجري.

وبعد أن تطوَّفَ في الأندلس والمغرب في طلب العلم رَحَلَ، سَنَةَ ٦٠٧ وَحَجَّ  
وتطوَّفَ في الحجاز والشام والعراق ومِصْرَ وخُرَاسَانَ يَزِدَادُ عَلِمًا أو يتصدَّرُ  
للتدريس<sup>(١)</sup>. وفي سَنَةِ ٦٢٤ انتقل إلى مِصْرَ. وقد كانت وفاته في عَرِيشِ مِصْرَ، وَهُوَ  
مُتَوَجِّهٌ إِلَى دِمَشْقَ، في خَامِسَ عَشَرَ ربيع الأول من سَنَةِ ٦٥٥ (١٢٥٧/٤/١ م)<sup>(٢)</sup>.

٢- كان مُحَمَّدُ بن عبد الله المرسى مُفسِّراً ومُحدِّثاً وفقيهاً، كما كانت له مُشاركةٌ  
في شيء من المَهندِسةِ المُستوية<sup>(٣)</sup> وفي عِلْمِ الكلام. وكذلك كان أديباً ناثراً وناظماً

(١) راجع معجم الأدباء ١٨: ٢١٠، ٢١١؛ بغية الوعاة ٦١.

(٢) في بروكلمن (الملحق ١: ٥٤٦): في ٣/ ٤ / ١٢٥٧ م.

(٣) في معجم الأدباء (١٨: ٢١١، راجع بغية الوعاة ٦١): «وكان نبيلاً ضريراً يجلّ بعض مشكلات  
أقليدس». وهذا مستغرب لأنّ الأعمى لا يستطيع معالجة المسائل القائمة على الأشكال (إلا إذا كانت  
كلمة «ضريراً» خطأ في النسخ). ومع أن الصفدي قد ترجم له في الوافي بالوفيات (٣: ٣٥٤-٣٥٥)  
فإنّه لم يذكره في نكت الهميان في نكت العميان.

وعالماً بالنحو. وكانت له تصانيف كثيرة ورَدَ له منها: رَيِّ الظَّهَانِ في تفسير القرآن (كبير جداً في عشرين جزءاً، قَصَدَ منه أن يَرْبِطَ عند التفسير بين الآيات) - التفسير الأوسط (عشرة أجزاء) - التفسير الصغير (ثلاثة أجزاء) - مختصر صحيح مُسلم - كتابٌ في أصول الفقه والدين - كتاب في البديع والبلاغة - الإملاء على المُفَصَّل (للزَمَخْشَرِي) - الضوابطُ النحوية في علم العربية - الكافي في النحو - تعليقٌ على الموطأ. وله عددٌ من التعليقات أيضاً في فنون مختلفة.

### ٣ - مختارات من شعره

- قال محمد بن عبد الله المُرْسِي في الثِّقَةِ بعَفْوِ الله:

قالوا: محمد، قد كَبُرَتْ - وقد أتى داعي النون - وما اِهْتَمَمْتَ بِزَادٍ (١) !  
قلت: الكريم - من القبيح لضيِّفه عند القُدومِ مَجِيئُهُ بالزاد.

- وقال في الغزل:

قالوا: فلانٌ قد أزال بهاءَهُ ذاك العِذارُ، وكان يَذَرُ تَمامَ (٢).  
فأَجَبْتُهُمْ: بل زادَ نورُ بهائِهِ، ولذا تَصَاعَفَ فيه قَرطُ غَرامي.  
واستَقْصَرَتْ الحَاطِظُ فَتَكَاتِهَا فَأتى العِذارُ يُمِدُّها بِسِهامِ (٣).

- وقال في أَنَّ النَجاةَ (يومَ القيامة) تكونُ بِاتِّباعِ كتابِ الله وَسُنَّةِ رَسولِهِ:

من كان يَربُغُ في النجاة فما له غيرُ اتِّباعِ المُصْطَفَى فيما أتى (٤).  
ذاك السَّبيلُ المُستَقِيمُ؛ وغيرُهُ سُبُلُ الغَوايَةِ والضلالَةِ والرَّدَى (٥).

(١) محمد (منادى: يا محمد). النون: الموت. الزاد (هنا): التقوى والأعمال الصالحة التي تنفع الإنسان في الآخرة. في القرآن الكريم (٢: ١٩٧، البقرة): ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

(٢) بهاءه: جماله. العِذار: الشعر النابت في الوجه. كان بدر تمام: كان وجهه قبل أن ينبت شعر وجهه أبيض كله (يشبه البدر)...

(٣) - مع تقدّمه في الشباب خَفَّ السَّحَرُ في عينيه فَمَوَّضَ من ذلك السَّحَرِ الذي يبدأ فينبِت في وجهه (وكانوا يَرَوْنَ أَنَّ بدءَ نَباتِ الشعرِ في الوجه يَزيدُ في الجِمالِ).

(٤) المصطفى: محمد رسول الله. فيما أتى به محمد رسول الله.

(٥) الردى: الموت، الهلاك.

فَاتَّبَعَ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي صَحَّتْ فَذَاكَ إِذَا اتَّبَعْتَ هُوَ الْهُدَى<sup>(١)</sup>  
وَدَعَ السُّؤَالَ بِكُمْ وَكَيْفَ؟ فَإِنَّهُ بَابٌ يَجْرُ ذَوِي الْبَصِيرَةِ لِلْعَمَى<sup>(٢)</sup>.  
الدينُ مَا قَالَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ مَنَاهِجَهُمْ قَفَا<sup>(٣)</sup>.

٤-★★ معجم الأدباء ١٨: ٢٠٩ - ٢١٣؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٥٤ - ٣٥٥؛ بغية الوعاة ٦٠ - ٦١؛ نفح الطيب ٢: ٢٤١ - ٢٤٢؛ بروكلمن، الملحق ١: ٥٤٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٠ (٦: ٢٣٢).

## ابن الجنان الأنصاري

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القيسي المعروف بابن الجنان<sup>(٤)</sup> الأنصاري من أهل المريّة. أخذ آبن الجنان الأنصاري العلم عن نفرٍ منهم: أبو الحسن سهل بن مالك وأبو بكرٍ عزيز بن عبد الملك القيسي الرُسيّ (ت ٦٣٦ هـ) والمعروف بابن خطاب النّحوي (نفح الطيب ١: ٢٢٢) ثم عبد الله بن عبد الحق بن قطرّال المتوفى أيضاً سنة ٦٣٦ للهجرة (راجع نفح الطيب ٥: ٢٥٦ و ٧: ٤١٦) ثم أبو الربيع بن سالم وأبو عيسى بن السّداد ثم أبو عليّ الشّلوّيني (ت ٦٤٥ هـ).  
واتّصل آبن الجنان الأنصاريّ بالمتوكّل محمد بن يوسف بن هود صاحب مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ). فلما استولى الإسبان على مرسية (٦٤٠ هـ) انتقل إلى أوريولة. ثم جاءته دعوة من ابن خلاص صاحب سبّنة (المغرب) فانتقل إلى سبّنة. ثم انتقل إلى

- 
- (١) كتاب الله: القرآن الكريم. السن (جمع سنة): العمل الذي كان الرسول يقوم به، والأحاديث التي كان يقولها.  
(٢) في الحياة أمور مفيدة (وراء الحسن الإنساني) لا فائدة من محاولة معرفتها والبحث عن أسبابها وكيفياتها يزيد في غموضها وفي حيرة الباحث.  
(٣) الصحب والصحاب: الذين عاشوا في زمن الرسول وعرفوه وصحبوه. التابعون: الذين لم يروا الرسول، ولكن رأوا صحبه. قفا يقفو: تبع.  
(٤) اختار خير الدين الزركلي أن يسمي ابن الجنان هذا (الأعلام ٧: ٢٥٦ و ٧: ٢٩) ابن الجيّان بالياء بنقطين تحتها. راجع تعليقه.



بِجَايَةٍ. وَفِي بِيَايَةِ مَرَضٍ ثُمَّ تُؤَفِّيَ نَحْوَ ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م).

٢- كان ابنُ الجنانِ الأنصاريُّ من العلماء بالحديث والفقه، كما كان أديباً وخطيباً بارعاً وكاتباً مترسلاً وشاعراً مُحسناً. وفنونُ شعره الزُّهد والمواعظ والبديعيات (القصائدُ في مدح الرسول) والألغاز. والسهولة والعذوبة تغلبان على شعره. ونثره متينٌ حسنُ الصِّناعة. وله موشحات.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ الجنانِ الأنصاريُّ (في مرضه الذي تُؤَفِّيَ فيه) يَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ:

جَهْلَ الطَّيِّبِ شِكَايَتِي؛ وَشِكَايَتِي      أَنْ الطَّيِّبَ هُوَ الَّذِي هُوَ مُعْرِضِي<sup>(١)</sup>.  
فَإِنْ أَرْضِي بُرِّي تَدَارِكُ فَضْلُهُ،      وَإِنْ أَرْضِي سَقَمِي رَضِيَتْ بِمَا رَضِي.  
مَا لِي اعْتَرَضْتُ بِالَّذِي يَقْضِي بِهِ،      لَكِنْ لِرَحْمَتِهِ جَعَلْتُ تَعْرِضِي<sup>(٢)</sup>.

- وقال في الشفاعة برسولِ الله:

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ لَمْ أَكْفُرْ ذَنْبَهُ      بِذِكْرِ شَفِيعٍ فِي الذُّنُوبِ مُشَفَّعٍ<sup>(٣)</sup>.  
وَلَمْ أَقْضِ فِي حَقِّ الصَّلَاةِ فَرِيضَةً      عَلَى ذِي مَقَامٍ فِي الْحِسَابِ مُرْفَعٍ<sup>(٤)</sup>.  
أَرْجِي لَدَيْهِ النَّفْعَ فِي صِدْقِ حُبِّهِ،      وَمَنْ يَرْتَجِ الْمُخْتَارَ لَا شَكَّ يُنْفَعُ<sup>(٥)</sup>.  
وَأَهْدِي إِلَى مِثْوَاهِ مَنِّي تَحِيَّةً      إِذَا قَصَدْتَ بَابَ الرِّضَا لَمْ تُدْفَعْ.

---

(١) الطَّيِّبُ (فِي الشَّرِّ الْأَوَّلُ): الْحَكِيمُ الَّذِي يَدَاوِي النَّاسَ. الشَّكَايَةُ: الْمَرَضُ. الطَّيِّبُ (فِي الشَّرِّ الثَّانِي): اللَّهُ.

(٢) - مَعَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى أَحْكَامِ اللَّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْبَغُ مِنْ أَنْ يَعْتَرِضَ (يَتَصَدَّى، يَتَوَجَّه) الْإِنْسَانُ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ مِنْ اللَّهِ.

(٣) الشَّفِيعُ الْمَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ (وَلَكِنَّهُ يَشْفَعُ بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ). فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (٣٢: ٤، سُورَةُ السَّجْدَةِ): ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ (مَنْ دُونَ اللَّهِ) مَنْ وَلِيَ وَلَا شَفِيعَ﴾ ثُمَّ (٢: ٢٥٥، سُورَةُ الْبَقَرَةِ): ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ (عِنْدَ اللَّهِ) إِلَّا بِإِذْنِهِ؟﴾.

(٤) ذُو مَقَامٍ فِي الْحِسَابِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) مُرْفَعُ (عَالِي الْمَقَامِ): مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

(٥) الْمُخْتَارُ (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ).

- الموشحة المشهورة.

هذه الموشحةُ بديعةٌ في مدحِ الرسولِ وذكرِ فضائلهِ ومُعْجَزاَتِهِ. وهي مشهورةٌ جداً لا تزالُ إلى اليوم تُسمَعُ في المناسباتِ الدينية. ولقد كانتْ شُهرُتُها منذُ أيامِهِ هو واسعةٌ جداً عارضُها أو قلَّدها شعراءُ كثيرون<sup>(١)</sup>. من هذه الموشحة.

الله زادَ مُحَمَّدًا تَكْرِيمًا  
وَجَبَاهُ فَضْلًا مِنْ لَدُنْهُ عَظِيمًا<sup>(٢)</sup>  
وَاخْتَصَّصَهُ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيمًا  
ذَا رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا<sup>(٣)</sup>.

★ ★ ★

حَازَ الْحَامِسُ الدَّ وَالْمَادِحَ أَحْمَدًا<sup>(٤)</sup>،  
وَزَكَّتْ مَنَاسِبُهُ وَطَابَ الْمَحْتَبَدُ<sup>(٥)</sup>.  
وَتَأَثَّلَتْ عَلَيْهِ آوُهُ وَالسُّودْدُ<sup>(٦)</sup>  
مَجْدًا صَمِيمًا حَادِثًا وَقَدِيمًا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا<sup>(٧)</sup>.

★ ★ ★

فَخَرُّ لَادَمَ قَدَّ تَقْصَادَمَ عَصْرُهُ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُذَرَى وَيَجْرِي ذِكْرُهُ.  
سِرُّ طَوَاهِ الطُّبَّاءِ فَهُمْ نَشْرُهُ

(١) راجع نفع الطيب ٧: ٤٣٢ - ٥١٩ (في أماكن كثيرة متتالية ومتفرقة).

(٢) حباه: أعطاه. من لدنه: من عنده (لا يقال إلا في الله).

(٣) راجع التعليق في ترجمة ابن سهل الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ) على «صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً».

(٤) أحد (محمد رسول الله).

(٥) زكا: طاب، طهر. المنسب (القراية). والمناسب: أصول الفرد وآبؤه. المحدث: الأصل (الكرم) والطبع (السلام).

(٦) تأثَّل: ثبت، عظم. السُّودد (والسودد، أيضاً): السيادة.

(٧) الصميم: وسط الشيء، الخالص النقي من كل شيء (خيراً أو شراً).

معنى السجود لآدم تفهيماً<sup>(١)</sup>. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

★ ★ ★

آيَاتُهُ بَهَرَتْ سَنَاءً وَسَنَاءً<sup>(٢)</sup>

وَأَفَادَتْ الْقَمَرِينَ مِنْهُ ضِيَاءً<sup>(٣)</sup>

وَعَلَّاتُ بَاعِلَامِ الظُّهُورِ لَوَاءً<sup>(٤)</sup>

فَهَدَى بِهِ اللَّهُ الصِّرَاطَ قَوِيماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

★ ★ ★

دَنَسَتْ النُّجُومُ الزُّهْرُ يَوْمَ وَلادَتِيهَ،

وَرَأَتْ حَلِيمَةً آيَةً لِسَيَادَتِيهَ.

وَتَحَدَّثَتْ سَعْدٌ بِذِكْرِ سَعَادَتِيهَ

فَتَفَاءَلُوا، نِعَمَ الْيَتِيمِ يَتِيماً<sup>(٥)</sup>. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

★ ★ ★

مَا زَالَ بُرْهَانُ النَّبِيِّ يُلَوِّحُ:

يَفْدُو بِهِ الْإِعْجَازُ ثُمَّ يَرُوحُ،

---

(١) في الأخبار المروية أنّ «محمداً» (صلّى الله عليه وسلّم) كان موجوداً قبل آدم أبي البشر. وفي هذه الخمسة أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم (راجع القرآن الكريم، مثلاً، ٢: ٣٤، سورة البقرة) لأنّ «النطفة» التي نشأ منها «محمّد» كانت موجودة في آدم منذ ذلك الحين (وهذه أقوال مخالفة لما ورد في القرآن الكريم، في أماكن كثيرة).

(٢) الآية: العلامة، المجزة التي يختصّ الله بها بعض خلقه دون بعض (انقلاب المصاحفة كان آية لموسى). بهر: أدهش، حير، غلب، ستر (الأشياء المائلة). السنا: ضوء البرق. السناء: العلو، الرفعة.

(٣) القمران: الشمس والقمر.

(٤) العلم: الجبل. الظهور جمع ظهر: رأس الجبل. اللواء: الراية (يسير بها الرجل فيتبعه الناس). وعلت.... فاق (محمّد) برسالته جميع الذين جاءوا قبله.

(٥) دنا: اقترّب. الزهر: اللامعة. حليلة السعدية: مرضعة رسول الله. سعد (بنو سعد: قبيلة حليلة السعدية) - في هذه الأشرطة علامات ينسبها الشاعر (كما نسب نفر كثيرون مثلها) إلى ولادة الرسول (وليست من الأخبار الصحاح - وقد قال الرسول: أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد: اللحم المجفّف).

حَتَّى أَتَاهُ بِمَدِّ ذَاكَ الرُّوحِ<sup>(١)</sup>  
يُوحِي لَهُ وَخَى الْآلِهَ حَكِيماً. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

بَرَكَاتُهُ أَزَلَّتْ عَلَى التَّغْدَادِ<sup>(٢)</sup>  
كَمْ أَطْعَمَتْ مِنْ حَاضِرِينَ وَبَادِ  
مِنْ قَصَصَةٍ أَوْ حَثِيَّةٍ مِنْ زَادِ  
رِزْقاً كَرِيماً لِلْجِيُوشِ عَمِيماً<sup>(٣)</sup>! صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

وَالْجِذْعُ حَنَّ لَهُ حَنِينَ الْوَالِدِ<sup>(٤)</sup>،  
يُبْدِي الَّذِي يُخْفِيهِ مِنْ بَلْبَالِهِ<sup>(٥)</sup>.  
أَفْلا يَحِنُّ مُتِّمٌ بِجَمَالِهِ<sup>(٦)</sup>  
يَشْتَاقُ وَجْهاً لِلنَّبِيِّ وَسِيماً<sup>(٧)</sup>? صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

ذَاكَ الشَّفِيعُ مَقَامُـهُ مَحْمُودُ،

- 
- (١) برهان النبي... ما عهده معاصروه من صدقه وأمانته واهتمامه بخير قومه. الروح: جبريل.  
(٢) أربى: زاد. الحاضر: الساكن في المدينة. البادي: الساكن في البادية. القصعة: وعاء صغير يوضع فيه الطعام. الحثية (ليست في القاموس). الحثي: ما يؤخذ (من الأشياء) باليد: مقدار كفاً (شيء قليل).  
(٣) العميم: الجمع الكثير.  
(٤) كان في صدر مسجد الرسول في المدينة جذع (قطعة من ساق شجرة ضخمة) كان الرسول يقف عليه ليخطب في المسجد. فبعد وفاة الرسول أخذ نفر من الناس يأتون إلى هذا الجذع للتبرك به ثم يقولون إنهم يسمعون منه حينئذٍ (صوتاً يدل على الشوق والحزن) كحنين الوالد (الشديد الحزن، المتحير). فقطع عمر بن الخطاب هذا الجذع لأنه قدّر أن سلوك نفر من الناس عند هذا الجذع يدل على الوثنية.  
(٥) البلبال: اضطراب العقل وتحير به بأفكار مختلفة تخطر له.  
(٦) المتيم: الذي أمرضه الحب.  
(٧) الوسم: الجميل.

وَلِوَاؤُهُ يَبِيدُ الْعُتْلَى  
فَإِذَا تَوَافَسَتْ لِحَابُ وفود<sup>(١)</sup>،  
قَالُوا: تَقَدَّمَ بِالْأَنَامِ زَعِيمَا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

فَيَقُومُ بِالْبَابِ الْعَلِيِّ وَيَسْجُدُ،  
وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ، أِنَّ الْمَوْعِدَ<sup>(٢)</sup>.  
فِيْجَابُ: قُلْ يُسْمِعْ إِلَيْكَ، مُعَمِّدًا  
وَنُزَيْكَ مِنَّا نَضْرَةً وَنَعِيًا<sup>(٣)</sup>. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

أَعْظِمُ بَعِزَّ مُحَمَّدٍ وَبِجَاهِهِ.  
أَكْرِمُ بِهِ مَتَوَسِّلًا لِإِلَهِهِ<sup>(٤)</sup>.  
شَرِبْتَ كِرَامُ الرُّسُلِ فَضْلَ مِيَاهِهِ<sup>(٥)</sup>  
فَقَدَتِ تَعْظُمُ حَقَّهُ تَعْظِيمًا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

يَا سَامِعِي أَخْبَارِهِ وَمَفَاخِرِهِ  
وَمُطَالَعِي آثَارِهِ وَمَاثِرَةِ<sup>(٦)</sup>  
وَمُؤَمِّلِي وَافِي الثَّوَابِ وَوَاغِيهِ،  
إِنَّ شَيْئًا فَوْزًا بِذَلِكَ عَظِيمًا، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

- 
- (١) للحساب: ليوم الحساب (يوم القيامة) وفود الأمم المختلفة (من أتباع الأنبياء).  
(٢) فيقوم (يقف) بالباب العليّ (بين يدي الله). أن: قرب، حلّ. الموعد: الوعد (وعد الله بتفضيل أمة محمد على غيرها من الأمم، ففي القرآن الكريم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ - بِالْبَنَاءِ لِلْمَجْهُولِ - لِلنَّاسِ﴾).  
(٣) النضرة (هنا) تَلَأُوْا الوجه من نشاط أو سرور.  
(٤) توسّل الرجل: طلب شيئاً (تمنّ هو فوقه) مع الرجاء.  
(٥) شربت الرسل فضل مياهه (إنائه): كانت رسالاتهم جزءاً من رسالته  
(٦) المأثرة (بضمّ التاء المثلثة): المكرمة (العمل الكريم) المتوارثة.

- من وصية كتبها ابن الجنان الأنصاري على لسان ابن هود<sup>(١)</sup> إلى أولاده وعماله الموظفين في دولته).

.... إنا - والله المرشد - لنَعْلَمُ أَنَّ الأمرَ الذي قَلَدْنَا اللهُ تعالى منه ما قَلَدَهُ، وأَسْنَدَهُ إلينا مِنْ أمورٍ خلقه ما أَسْنَدَهُ، قد أَلَزَمَنَا مِنْ حَقُوقِهِ الواجبةِ وفُرُوضِهِ الراتبةِ ما لا يُسْتَطَاعُ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ أَدَاؤُهُ<sup>(٢)</sup>، ولا يَسْتَتِبُ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ تعالى انتهاؤه وابتدأؤه. فَهُوَ المشكورُ عَزَّ وَجَلَّ على نِعْمَتِهِ والمُسْتَعَانُ على ما يُدِينِي مِنْ رِضاهِ وَيُقَرِّبُ مِنْ رَحْمَتِهِ. وَإِنَّ كُلَّ امْرِئٍ بِشَأْنِهِ مشغولٌ، وعن خُوصِيصَةٍ<sup>(٣)</sup> نفسه مسؤول. ونحن بما اسْتَرْعَانَا اللهُ تعالى مشغولون، وعن الكبير والصغير مسؤولون. وعلينا النصيحةُ لله في عبادِهِ وبلادِهِ، والنظرُ لهم بُنْتَهَى جِدِّ المُجْتَهِدِ واجْتِهَادِهِ. ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ عليه تَوَكَّلْنَا، وبِهِ إِلَيْهِ تَوَسَّلْنَا<sup>(٤)</sup>. فَعَيْنُنَا تَسْهَرُ لِتَنَامَ لِلرَّعِيَّةِ عِيُونُهُمْ، وَتَحْرُكُنَا يَتَّصِلُ لِيَحْصَلَ لَهُمْ سُكُونُهُمْ. وَأَمَلْنَا أَلَّا نُقَرَّرَ فِيهِمْ بِحَوْلِ اللهِ تعالى ظُلْمًا ولا هَضْبًا<sup>(٥)</sup>، ولا نَخْرِمُ لَهُمْ فِي إِقَامَةِ حَقُوقِ اللهِ ما اسْتَطَعْنَا نَظْمًا. وَأَنَّى<sup>(٦)</sup> يَنْصَرِفُ، عن هذا الْقَصْدِ بِعَمَلِهِ وَنِيَّتِهِ، مَنْ يَعْرِفُ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ لا يُجَوِّزُ ظُلْمَ ظالِمٍ فِي بَرِيَّتِهِ<sup>(٧)</sup>. وَلَعَلَّ اللهُ الذي حَمَلَنَا ما حَمَلْنَا، واسْتَعْمَلَنَا بِمَشِيئَتِهِ فيما اسْتَعْمَلَنَا، أَنْ يَهَبَ لَنَا تَوْفِيقَهُ وَيَسْلِكَ بِنَا إِلَى هُدَاهِ طَرِيقَهُ.

- دَمَّ الدنيا (من خطبة لابن الجنان الأنصاري):

.... فَبُيِّسَتْ الدَّارُ دَارًا لا تُدَارِي، ولا تُقِيلُ لِعَاثِرِهَا عِثَارًا<sup>(٨)</sup>، ولا تَقْبَلُ

(١) المتوكل بن هود صاحب مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).

(٢) الراتب: المتكرر على نسق واحد. أداؤه: القيام به.

(٣) الخويصة تصغير الخاصية التي هي نسبة إلى الخاصة (ما يخص نفسك دون غيرك).

(٤) نستعين بالله في طلبنا شيئاً من الله.

(٥) الهضم: أن يكون لأحد عندك حق فتعطيه جزءاً منه فقط (والظلم أن تلبه كل حق).

(٦) أنى: كيف؟

(٧) البرية: الخلق (بالفتح) جميع الناس.

(٨) الدار: هذه الدنيا. لا تقبل لعائر عثاراً (لا ترفع ساقطاً من سقطته): لا تغفر ذنباً (جاء به أحد خطأ).

لِمُعْتَذِرٍ أَعْتَذَاراً، وَلَا تَقِي مِنْ جَوْرِهَا<sup>(١)</sup> حَلِيفاً وَلَا جَاراً. وَلَيْسَ لَهَا مِنْ عَهْدٍ وَلَا ذِمَامٍ: كَمْ فَتَكَّتْ بِقَوْمٍ غَافِلِينَ عَنْهَا نِيَامٍ، كَمْ نَازَلَتْ بِنَوَازِلِهَا مِنْ قِبَابٍ وَخِيَامٍ<sup>(٢)</sup>، كَمْ بَدَلَتْ مِنْ سَلَامَةٍ بِدَاءٍ وَمِنْ صِحَّةٍ بِسَقَامٍ.. كَمْ أَبَادَتْ طَوَارِقَ حَوَادِثِهَا مِنْ شَيْخٍ وَكَهْلٍ وَغُلَامٍ. لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ، وَلَا تَرْثِي لَوَالِدٍ وَلَا وَلَدٍ، وَلَا تُخَلِّدُ سُرُوراً فِي خَلَدٍ<sup>(٣)</sup>، وَلَا يَمْتَدُّ فِيهَا لِأَمَلٍ أَمَدٌ. بَيْنَمَا يُقَالُ قَدْ وُجِدَ، يُقَالُ قَدْ فَقِدَ! بَعْدَ لَهَا قَدْ طُبِعَتْ عَلَى نَكَدٍ وَكَمَدٍ، فَالْفَرْحُ فِيهَا تَرَحُّ، وَالْحَبْرَةُ عَبْرَةٌ<sup>(٤)</sup>، وَالضَّحِكُ وَالْأَبْتَسَامُ بُكَاءٌ وَأُدْمُعُ سِجَامٍ<sup>(٥)</sup>. تَفَرِّقُ الْأَحِبَّةَ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ، وَتُسْكِنُ الْوَحْشَةَ مُؤْنَسَ رِبَاعِهِمْ<sup>(٦)</sup>، وَتُبَيِّحُ بِالْحِمَامِ<sup>(٧)</sup> حِمَى الْأَعْزَةِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى امْتِنَاعِهِمْ، وَتَسْتَحِثُّ رُكَّائِبَ الْخَلَائِقِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَارْتِجَاعِهِمْ<sup>(٨)</sup>، فَيَسِيرُونَ طَوْعَ الزَّمَامِ<sup>(٩)</sup>، وَيُلْقُونَ مَقَادَةَ التَّنْذِيلِ وَالِاسْتِسْلَامِ، حَتَّى يَلْجَأُوا بِالرُّغَامِ وَيَنْزِلُوا بِطُيُونِ الرَّجَامِ وَيَحِلُّوا الْوَهْدَ بَعْدَ الْمَقَامِ السَّامِ<sup>(١٠)</sup>. فَلَا نَاجٍ مِنْ خَطْبِهَا الْعَظِيمِ وَلَا سَلِيمٌ<sup>(١١)</sup>: يَتَسَاوَى فِي حُكْمِ الْمَنِيَّةِ الْأَغْرُ وَالْبَهِيمِ

- 
- (١) وثى، بقي: حى، دافع عن. الجور: الظلم، الحيد عن طريق الحق.
- (٢) نازلت: حاربت، اعتدت. النازلة: المصيبة. قباب (أهل القباب). القبة: خيمة كبيرة من جلد يسكنها الرؤساء والأغنياء. والخيمة تكون (في العادة صغيرة من شعر أو صوف أو نسيج آخر ويسكنها عامة الناس). الدنيا عدو لجميع الناس.
- (٣) لا تترثي لفلان: لا ترحمه. لا تخلد: لا تبقي، لا تديم. ثم اقرأ: ولا تخلد سروراً ولا في خلد (في بال): لا يخطر ببال أحد أن الدنيا تدوم لأحد.
- (٤) ترح: حزن. الحبرة: السرور. عبرة: دموع (حزن، أسف).
- (٥) السجام مصدر سجم: سال (كثيراً أو قليلاً). وابن الجنان (هنا) يصف الدموع بالمصدر «سجام» والمصدر (إذا جعلناه صفة) يلزم الأفراد أكان الموصوف مفرداً أو جمعاً.
- (٦) الرباع جمع ربيع (بالفتح): المكان المسكون.
- (٧) الحمام (بالكسر): الموت.
- (٨) تحت: تحترق وتحت على السرعة (تسوق بعنف). الركائب جمع ركوبة: دابة تركب في السفر. إلى الله (أي بالموت). ارتجاع (الخلق إلى الله: ردّ الناس إلى الله (يوم القيامة) لحسابهم.
- (٩) الزمام: لجام الدابة، رهنها.
- (١٠) الرغام: التراب. الرجام جمع رجة (بالفتح): حجر ينصب على القبر. الوهد: الأرض المنخفضة، الحفرة. السام (حقاً أن تكون: السامي): العالي (لأن المنقوص تلزمه الياء في التعريف والإضافة: هو سام، ولكنّه سامي المقام والسامي في المقام.
- (١١) الخطب: المصيبة. الخطب العظيم: الموت. سلم معطوفة على ناج.

٤- \*\* عنوان الدراية ٣٠٢-٣٠٦، الإحاطة (١٣١٩ هـ) ٢: ٢٥٦-٢٦٤، نفح الطيب ٧: ٤٠٦-٤٣٨، ٤٤٠-٤٤١، ٥٠١-٥٠٢، ٥٠٦-٥٠٧، الأعلام للزركلي ٧: ٢٥٦ (٢٩).

## أبو الحسن الشاذليّ

١- هو نور الدين أبو الحسن عليُّ بن عبد الله بن عبد الجبار الشريف<sup>(٢)</sup> الزرّويّ الشاذليّ، وُلِدَ في قرية غُمارَة قرب سَبْتَة<sup>(٣)</sup>، سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٦ م) ونشأ فيها وتلقّى علومه الأولى.

تاقت نفسُ أبي الحسن إلى التصوّف منذ مَطْلَعِ شبابه فانتقل إلى زَرْوِيلَة<sup>(٤)</sup>. ثمّ إنّه جاء إلى فاسَ فلقِيَ نفراً من أتباع الصوفيّ المشهور أبي القاسم الجُنيد البغداديّ (ت ٢٩٧ هـ) ومن أتباع أبي مدين، أشهرهم عبد السلام بن مَشِيش (ت ٦٢٥ هـ) وأبو عبد الله محمد بن حِرْزِهِم المعروف بابن حَرَاظِم وبأبي حِرْزَم (ت ٦٣٣ م) وأخذ عنهم مُعْظَمَ معارفه وطريقة سلوكه في التصوّف.

(١) النية: الموت. الأغرّ: الأبيض (الكريم الأصل). البهم: الأسود (المجهول الأصل). ويقال للشيء إذا لم يكن واضحاً في جودته أو في رداءته: لا أغرّ ولا بهيم. المضم (بالفتح): الدليل.

(٢) أبو الحسن الشاذلي من البربر أهل المغرب الأقصى كما يدلّ على ذلك مولده في قرية غمارَة وتقلّبه في المغرب في مطلع حياته - في زرويلة وفاس. ولكن أتباعه المتأخرين رفعوا نسبه إلى العلويين عامّة مرّة، وإلى الإدارة مرّة ثانية خاصّة - ومن هنا أطلقوا عليه لقب الشريف. ويحسن أن نلاحظ أيضاً أن هؤلاء المؤرخين لحياته جعلوه يلتقي من مشاهير الصوفيّين والعلماء نفراً لم يجمع بينه وبينهم مكان ولا زمان - جرياً على عادة نفر من المؤرخين الذين لا يحكمون قوانين المنطق وطبيعة العمران ومجاري العادة عند التأريخ. - ومعظم الذين أرخوا لأبي الحسن الشاذلي شغلوا أنفسهم بالكرامات (شبه المعجزات) وبالروايات الخيالية والمنامات أكثر ممّا رجّعوا إلى التاريخ وإلى ضبط أحداث حياة الشاذليّ بالتواريخ.

(٣) سبته مرفأ المغرب الأقصى على البحر الأبيض المتوسط.

(٤) زرويلة بلدة كانت عند شفاون، قرية من تطوان (في الجانب الشمالي من المغرب الأقصى).



بعدئذٍ أُنْتَقَلَ إلى تُونِسَ وتَلَقَّى على نَفَرٍ من علمائها التفسيرَ والحديثَ والفِقهَ والنحوَ والأدبَ وَلَقِيَ فيها المتصوِّفَ أبا سعيدٍ الباجيَّ (ت ٦٢٨ هـ).

ولعلَّ عبدَ السلامَ بنَ مشيشٍ كان قد أشار على أبي الحسن الشاذلي بالتوجَّه إلى تُونِسَ توسيعاً لطريقةِ التَّصَوُّفِ فَأُنْتَقَلَ أبو الحسن إلى تُونِسَ وَاتَّخَذَ رِبَاطاً<sup>(١)</sup> في جبل زَغْوَانَ وأَخَذَ يَنْشُرُ دَعْوَتَهُ في بلدةٍ شاذِلَةٍ قَرِيباً من رِبَاطِهِ . وَكَثُرَ أَتْبَاعُ أبي الحسن في تُونِسَ وَعَظُمَ نَفوذُهُ فَسَعَى به أبو القاسمِ بنُ البراء قاضي الجَمَاعَةِ بتونسَ إلى السلطان أبي زكريَّا الحَفْصِيِّ (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) فَتَعَرَّضَ أبو الحسن لشيءٍ من الاضطهادِ ثُمَّ نَفِيَ عن تُونِسَ فجاء إلى مِصْرَ، ولعلَّه في هذهِ الفترةِ ذهب إلى العِراقِ ولقي في بغدادَ أبا الفتحِ الواسطيَّ (ت ٦٣٢ هـ).

وعاد أبو الحسن الشاذليُّ إلى تُونِسَ سَنَةَ ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م)، ولكنَّه أُرْجِعَ عنها من جديدٍ فَرَجَعَ إلى مِصْرَ (٦٤٢ هـ) وَمَعَهُ نَفَرٌ من خَاصَّةِ أَتْبَاعِهِ أَشْهُرُهُم أبو العباسُ المُرْسِيُّ<sup>(٢)</sup>. واستقرَّ الشاذليُّ وأتباعُهُ في الاسكندريةِ وَاتَّسَعَت دَعْوَتُهُ هناك فَتَعَرَّضَ لشيءٍ من الاضطهادِ . ثُمَّ كُفَّ بَصْرُهُ - أو ضَعُفَ كَثِيراً - سَنَةَ ٦٤٦ هـ . وَيُقَالُ إِنَّهُ أَشْتَرَكَ في تلكِ السَّنَةِ نَفْسَهَا في مَعْرَكَةِ المَنْصُورَةِ الَّتِي نَشِبَتْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَبَيْنَ الحَمَلَةِ الصَّلِيبِيَّةِ السَّادِسَةِ الَّتِي كان يَقودُهَا لُويْسُ التَّاسِعُ مُلْكُ فَرَنْسَا وَالَّتِي أُسِرَ فِيهَا لُويْسُ نَفْسُهُ .

وسار أبو الحسن الشاذليُّ في نَفَرٍ من أَتْبَاعِهِ إلى الحِجِّ - بعدَ أن كان قد حَجَّ مراراً من قبلُ - فَأَصَابَتْهُ وَعَكَةٌ في قَرْيَةِ حُمَيْتَرَةٍ<sup>(٣)</sup> بِصَحْرَاءِ عِيْذَابَ من صَعِيدِ مِصْرَ، فَتَوَفَّى في شَهْرِ شَوَّالٍ من سَنَةِ ٦٥٦ (تشرين الأوَّل - أكتوبر ١٢٥٨ م) فَتَوَلَّى أبو العباسُ المُرْسِيُّ دَفْنَهُ .

(١) الرِّبَاطُ: محلُّ ربطِ الخيلِ، وهو مكانٌ تنزلُ فيه جماعاتٌ من المَجاهِدِينَ لصدِّ العَدُوِّ عن تخومِ البلادِ الإسلاميَّةِ . ثُمَّ أَصْبَحَ الرِّبَاطُ دالًّا على بناءٍ صَغيرٍ ذي قَبَّةٍ يقيمُ فيه رَجُلٌ أو نَفَرٌ من الرِّجَالِ لِلزَّهْدِ والتَّصَوُّفِ، أو لِلعِبَادَةِ .

(٢) أبو العباسُ المُرْسِيُّ: هو شهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ عمرٍ (ت ٦٨٦ هـ) .

(٣) حُمَيْتَرَةُ (بالتَّصْفِيرِ) وَبَنَاءُ (ثالثُ حُرُوفِ الهِجَاءِ مَنْقُوطَةٌ بِنَقْطَتَيْنِ من فَوْقِهَا) عِلْمٌ (بِفَتْحٍ فَتَحَتْ) في صَحْرَاءِ عِيْذَابَ، من صَعِيدِ مِصْرَ (رَاجِعِ القَامُوسَ ٢: ١٤ ثُمَّ تَاجُ العُرُوسِ - الكُوَيْتُ ١١: ٩٤) .

٢- أبو الحسن الشاذلي من كبار أصحاب الطرق<sup>(١)</sup> الصوفية ومن أشهرهم. وكان الشاذلي قد تأثر بعدد من كتب التصوف المشهورة منها: المواقف والمخاطبات لمحمد بن عبد الجبار النيفري (ت ٣٥٤ هـ) - قوت القلوب لأبي طالب المكي (ت ٣٨٧ هـ) - الرسالة البينانية لأبي القاسم القشيري (٤٦٥ هـ) - إحياء علوم الدين للغزالي (ت ٥٠٥ هـ). ومع أنّ الشاذلي من أصحاب التصوف المعتدل في التفكير والسلوك، فإنّ الجانب السلبي بارز في حياته جدّاً: إنّ تصوّفه يقوم على أربع دعائم: الذكّر وبساطة العمل الصالح، التفكير وبساطة الصبر، الفقر وبساطة الشكر، الحبّ وبساطة بغض الدنيا وأهلها، وثمره ذلك محاولة الاتّصال بالمحبوب (الله). ويبدو أنّ الشاذلي كان في أول حياته أكثر ميلاً إلى الكيفاح والجهاد والعمل الاجتماعي، ولكن لم يُحرز نجاحاً في كيفاحه في المغرب الأقصى وتونس ومصر ثمّ ناله من محاولة العمل الإيجابي اضطهاد مستمرّ، فأثر الإخلاق إلى الوجه السلبي من التصوف.

وكان للشاذلي نظم.

والشاذلي مُصنّف له: عمدة السالك على مذهب الإمام مالك في العبادات وغير ذلك - المقدمة العزّية للجماعة الأزهرية (مختصر الكتاب السابق) - كتاب الإخوة - الرسالة الحوذية - التسلي والتصور على ما قضاه الله من أحكام أهل التجبر والتكبر - خميس رائية أبي مدني - ديوان - مجموع أشعار<sup>(٢)</sup> - رسالة الأمين - الاختصاص من الفوائد القرآنية والخواص (السّرّ الجليل في خواصّ حسبنا الله ونعم الوكيل). وللشاذلي أحزاب<sup>(٣)</sup> كثيرة منها: حزب البرّ (أو الحزب الكبير) - حزب البحر - حزب الإخفاء - حزب النصر - حزب الطمّس على عيون الأعداء - حزب اللطف - حزب الفتح (أو حزب الأنوار) - حزب الضحى - حزب

(١) الطرق جمع طريقة: أسلوب للحياة الصوفية يقوم على الاقتداء بشيخ صوفي معيّن مع اتّخاذ مسلك معيّن وقراءة أحزاب معيّنة (الحزب: راجع حاشية تالية).

(٢) لعلّ هذا المجموع هو الديوان.

(٣) الحزب: الورد (بكسر الواو): ترتيب لآيات وأقوال على وجه مخصوص يقرأها المتصوّف (أو المتعبّد عامّة) في أوقات معيّنة (راجع نموذج من ذلك في المختارات من آثار الشاذلي).

صلاة الفتح والمغرب - حزب الحمد - حزب التفریح - الحزب الأول - الحزب الثاني - دعاء .

### ٣ - مختارات من آثاره

- من حزب البرّ المعروف بالحزب الكبير:

أعوذُ بالله من الشيطان الرَّجيم<sup>(١)</sup>. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ<sup>(٢)</sup> ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ: إِنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سَوْءٍ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ؛ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً؛ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ. وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.....  
اللَّهُمَّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي بِالْجَهَالَةِ مَعْرُوفٌ. وَأَنْتَ بِالْعِلْمِ مُوصُوفٌ، وَقَدْ وَسَّعْتَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ جَهَالَتِي بِعِلْمِكَ فَسَّعَ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ كَمَا وَسَّعْتَهُ بِعِلْمِكَ. وَاعْفِرْ لِي، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.....

يا الله، يا عظيم، يا علي، يا كبير: نَسْأَلُكَ الْفَقْرَ مِمَّا سِوَاكَ<sup>(٥)</sup> وَالْفَنَى بِكَ حَتَّى لَا نَشْهَدَ إِلَّا إِيَّاكَ<sup>(٦)</sup>. وَالطُّفَّ بِنَا فِيهَا لُطْفًا عَلِمْتَهُ يَصْلُحُ لِمَنْ وَالَاكَ، وَاكْسُنَا جَلَابِيبَ الْعِصَةِ فِي الْأَنْفَاسِ وَاللَّحَظَاتِ، وَاجْعَلْنَا عَبِيدًا لَكَ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ، وَعَلَّمْنَا مِنْ

---

(١) القرآن الكريم (١٦: ٩٢، سورة النحل): ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

(٢) في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة تبدأ بمائة وثلاث عشرة سورة منها بالآية: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». أمّا السورة التاسعة (سورة التوبة) فلا تبدأ بهذه الآية لأنها نزلت في الحرب وفي «براءة» الله ورسوله من المشركين الذين كانوا لا يزالون إلى ذلك الحين على الوثنية. ومطلع السورة التاسعة: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.....﴾. ولذلك تعرف أيضاً بسورة «براءة». ثمَّ إِنَّ الآية «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ترد في سياق سورة النمل (٢٧: ٣٠) فيكون عدد مرات البسملة في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة بعدد السور.

(٣) القرآن الكريم ٦: ٥٤ (سورة الأنعام).

(٤) القرآن الكريم ٦: ١١١ (سورة الأنعام).

(٥) هذه الجملة يجب أن تعني ما يلي: نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا أَغْنِيَاءَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاكَ، فَقَرَاءَ (محتاجين) إِلَيْكَ وَحْدَكَ وَأَنْ نَغْنَى (نصبح أغنياء بك: بمطائلك أنت).

(٦) حَتَّى لَا يَكُونَ أَمَامَ أَبْصَارِنَا وَبَصَائِرِنَا غَيْرُكَ.

لَدُنْكَ عِلْمًا نَصِيرُ بِهِ كَامِلِينَ فِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ.....

اللَّهُمَّ، نَسْأَلُكَ إِيمَانًا دَائِمًا، وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا خَاشِعًا، وَنَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَنَسْأَلُكَ يَقِينًا صَادِقًا، وَنَسْأَلُكَ دِينًا قَيِّمًا. وَنَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ، وَنَسْأَلُكَ تَهَامَ الْعَافِيَةِ<sup>(١)</sup>، وَنَسْأَلُكَ الشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ. وَنَسْأَلُكَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ.....

- من مقدمة المقدمة العزّية ومن خاتمتها:

.... هذه مقدّمة في مسائل العبادات وغير ذلك على مذهب الإمام مالك بن أنس، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، لِيَنْتَفِعَ بِهَا الْوُلَدَانُ وَنَحْوُهُمْ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - لَخَصَّتْهَا مِنْ كِتَابِي الْمُسَمَّى بِـ «عُمْدَةِ السَّالِكِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ فِي الْعِبَادَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ». وَسَمَّيْتُهَا بِـ «الْمُقَدِّمَةِ الْعِزِّيَّةِ لِلْجَمَاعَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ» مُشْتَمِلَةً عَلَى أَحَدَ عَشَرَ بَابًا.....

يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَلَّا يُرَى إِلَّا مُحَصِّلًا حَسَنَةً لِمَعَادِهِ أَوْ دِرْهَمًا لِمَعَاشِهِ، وَيَتْرُكُ<sup>(٢)</sup> مَا لَا يَعْنِيهِ وَيَخْتَرِسُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَقِفُ عِنْدَ مَا أَشْكَلَ وَيُنْصِفُ جَلِيسَهُ وَيُلِينُ لَهُ جَانِبَهُ وَيَصْفَحُ عَنْ زَلَّتِهِ وَيَلْزَمُ الصَّبْرَ. وَإِنْ نَظَرَ عَالِمًا نَظَرَ إِلَيْهِ بَعِينَ الْإِجْلَالِ، وَيُنْصِتُ لَهُ عِنْدَ الْمَقَالِ. وَإِنْ رَاجَعَهُ رَاجَعَهُ تَفْهَمًا وَلَا يَعَارِضُهُ فِي جَوَابِ سَوَالِ سَأَلِهِ. وَمَنْ نَاطَرَ فِي عِلْمٍ فَيَسْكِينُهُ وَوَقَارٍ وَتَرَكَ الْاسْتِيلَاءَ وَبَحْسَ التَّائِي وَجَمِيلِ الْأَدَبِ، فَإِنَّهَا مُعِينَانِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ.....

٤- الشرح (أو الأنس أو السر) الجليل في خواص «حسبنا الله ونعم الوكيل»<sup>(٣)</sup>، القاهرة (طبع حجر) بلا تاريخ؛ القاهرة ١٢٩٧ هـ.

- حزب البحر (في مجموع لطيف)، القاهرة (طبع حجر) ١٨٦٥ م (١٢٨٢ هـ)؛ قازان ١٨٩٧ م (١٣١٤ - ١٣١٥ هـ)؛ مع أحزاب أخرى وأشعار وترجمة فارسية تتخلل السطور في مجموع عنوانه «لوح محفوظ»، لمحمد محفوظ الحق، أَرَا (؟) ١٣٠٩ هـ؛ مع أحزاب أخرى بمقدمة هندستانية وترجمة تتخلل السطور، لمحمد عبد القيم، كاونبور

(١) العافية من كلّ بليّة: الإعفاء (الحماية) من كلّ مصيبة. تمام العافية: تمام الصحة.

(٢) السياق النحوي يقتضي أن يكون الفعل «ترك» والأفعال التي بعده معطوفة عليه «منصوبة»، ولكن المعنى حينئذ يضطرب ويصبح «وَأَلَّا يَتْرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ: أَي يَهْتَمُّ بِمَا لَا يَعْنِيهِ».

(٣) في القرآن الكريم (٣: ١٧٣)، سورة آل عمران: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ (إِنَّ اللَّهَ يَكْفِينَا مَكَائِدَ أَعْدَائِنَا وَيُدْفَعُ تِلْكَ الْمَكَائِدَ عَنَّا) وَنَعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (وهو الذي نفوض إليه أمرنا في كلّ شيء).

١٨٩٦ م؛ مع ترجمة إلى لغة التاميل (في جنوب الهند) في مجموع «نفحة الأنبار (٩)»، لنوح عليّ القادري، بومباي ١٣٢٠ هـ.

- المقدمة العزّيّة للجماعة الأزهرية، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاه) بعد ١٣٣٢ هـ.

- مجموع الأحزاب، القاهرة ١٣١٧ هـ.

★★ شرح حزب البحر:

- شرح.... لأحمد بن أحمد زروق<sup>(١)</sup> (على هامش دلائل الخيرات)، مدراس ١٩٠٨ م.

- اللطيفة المرضية، لابن ماهلا (٩)، القاهرة ١٩٣٥ م.

- فيض الرحمن (حاشية) لحسن العدوي، القاهرة ١٢٨١ هـ.

- خلاصة الزهر.... لمحمد خليل القاوجي<sup>(٢)</sup>، القاهرة ١٣٠٤ هـ.

شرح حزب البرّ (أو الحزب الكبير):

- تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير، للمرئى الزبيدي<sup>(٣)</sup>، القاهرة (مطبعة

السعادة) ١٣٣٣ هـ.

- شرح حزب البرّ أو الحزب الكبير، تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي<sup>(٤)</sup> (مع

«تنبيه العارف»)، القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) ١٩٦٩ م.

- الجواهر المضيّة (٩) في شرح العزّيّة، لصالح بن عبد السميع الآي الأزهرى، القاهرة (دار

إحياء الكتب العربية) ١٣٣٢ هـ.

- درّة الأسرار ونخفة الأبرار، تأليف محمد بن أبي القاسم الصبّاغ الحميري، تونس

١٣٠٤ هـ.

- مجموعة آراء سنيّة للسادة الشاذلية (تحرير محمد الطيّب الجزائري)، دمشق ١٣٠١ هـ.

- ابن عطا الله ونشأة الطريقة الشاذلية: تحقيق «الحكم العطائية» - لبولس نونا،

المفاخر العلّية في المآثر الشاذلية، تأليف محمد بن محمد عيّا.....

- أبو الحسن الشاذلي، بقلم علي سالم عمّار، الجزء الأول، مصر، (مطبعة دار التأليف)

١٩٥١ م.

- أبو الحسن الشاذلي الصوفي والعارف بالله، بقلم الدكتور عبد الحليم محمود (أعلام العرب،

رقم ٧٢)، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر) ١٩٦٧ م.

---

(١) أحمد بن أحمد بن زروق (ت ٨٩٩ هـ)، له ترجمة في هذا الجزء.

(٢) محمد بن خليل المشيشي القاوجي الطرابلسي (ت ١٣٠٥ هـ)، راجع بروكلمن، الملحق ١: ٧٧٦.

(٣) محمد بن محمد المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) صاحب القاموس العظيم «تاج العروس».

(٤) عبد الرحمن الفاسي (ت ١٠٣٦ هـ).

نكت الهميان ٢١٣؛ ابن قنفذ ٣٢٣؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٧٨ - ٢٧٩؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ٢٤٦ - ٢٤٩؛ بروكلمن ١ : ٥٨٣ - ٥٨٤، الملحق ١ : ٨٠٤ - ٨٠٦؛ النبوغ المغربي ٣٥٧ - ٣٦٥؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٢٠ (٤ : ٣٠٥)؛ مجلة العربي ٦ / ١٩٦٤ و ٧ / ١٩٦٤؛ سركيس ١٠٨٨ - ١٠٨٩.

## ابن الأَبَارِ القُضَاعِيّ

١ - هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦١٩ هـ) بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر بن الأَبَارِ القُضَاعِيّ البَلَنْسِيّ، وُلِدَ في بَلَنْسِيَّةَ في أحد الربيعين من سنة ٥٩٥ (أوائل ١١٩٩ م) ونشأ فيها.

بدأ أبن الأَبَارِ تلقّي العلم على والده ثم سَمِعَ من نفرٍ كثيرين منهم: عبد الله بن أيّوب بن نوح الغافقي السَّرْقُسْطِيّ (ت ٦٠٨ هـ) ومحمد بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري (ت ٦١٠) وقد أخذ عنه النحو والأدب. ومن شيوخه أبو سليمان داوود بن سُلَيْمَانَ بن حَوْطِ الله (نفع الطيب ٤ : ٣٣٥) المتوفى سنة ٦٢١ للهجرة - وكان من المشتغلين بالتاريخ؛ ومنهم أبو الخطاب أحمد بن محمد بن واجب القيسي (ت ٦١٤ هـ) أخذ عنه التاريخ. ومن أكبر شيوخه أبو الربيع سُلَيْمَانُ بن موسى بن سالم بن حسان الكَلَاعِيّ (ت ٦٢٤ هـ) وكان بارعاً في الحديث والتاريخ مع العلم بالبلاغة والأدب كما كان له عددٌ من الكتب. وقد لازمه أبن الأَبَارِ عشرين سنةً وتخرّج على يديه وتعلّم منه صناعة الكتابة ومن شيوخه أيضاً أبو جعفر بن الحصار، وكان عارفاً بالقراءات (نفع الطيب ٢ : ٥٠).

وفي سنة ٦٢٥ هـ دخل ابن الأَبَارِ في خدمة الدولة فكتب لأبي عبد الله محمد بن حفص الموحدي والي بَلَنْسِيَّةَ ثم لابنه السيد أبي زيد ثم لزيّان بن مردانيش، في السنة التالية. ولما حاصر دون جاقمة صاحب بَرْجَلُونَة (برشلونة) مدينة بَلَنْسِيَّةَ (رَمَضانَ ٦٣٥) ذهبَ ابن الأَبَارِ في وفدٍ إلى سُلْطَانِ تُونِسَ أبي زكريا يحيى للاستنجاد به على الفرنجة. وأنشد ابن الأَبَارِ يومذاك مِدْحَتَهُ في أبي زكريا «أَذْرِكْ بِحَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُسًا». وأرسل أبو زكريا أسطولاً لِنَجْدَةِ بَلَنْسِيَّةَ، ولكنَّ الأسطولَ وَصَلَ بعدَ فواتِ

الأوان. ولما استولى الفرنجة على بلنسية (صفر ٦٣٦) خرج ابن الأبار منها بأسرته مع الجالين عن المدينة. وانتقل إلى تونس واستقر فيها. وتقلب الأحوال بين الأبار في تونس فكتب للسلطان أبي زكريا (٦٣٦ هـ) ثم وُزِّرَ للمستنصر (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ)، كما غضب المستنصر عليه مراراً ورَضِيَ مراراً. وفي العشرين من المحرم من سنة ٦٥٨ (١٢٦٠/٦/٦ م)، في الأغلب، أمر المستنصر بقتله، بعد أن بلغ خصومه في الدس عليه الغاية.

٢ - كان ابن الأبار القضاعي عارفاً بالتاريخ بصيراً بطبقات الرجال ملماً بفنون كثيرة من العلم والأدب، أديباً ناثراً مترسلاً وشاعراً مُحَسِّناً. وكان من فنونه المدح والاعتذار والوصف والغزل والنسيب والمجون. وله ترسلٌ كثيرٌ التكلف.

وكذلك كان ابن الأبار مُصَنِّفاً له من الكتب: كتابُ تَكْمِلَةِ الصِّلَةِ (وهو تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال، وقد حثّه على وضع هذا الكتاب شيخه أبو الربيع بن سالم) - تحفة القادم (تراجم شعراء)<sup>(١)</sup> - إعتابُ الكتاب (تراجم لنفر عديدين من الكتاب المشاركة والمغاربة) - الحُلَّةُ السَّيْرَاءُ في أشعارِ الأمراء - المُعْجَمُ في أصحاب القاضي الإمام أبي عليّ الصَّدْفِي - درر السُّمَطِ في خبر السُّبُطِ (الحسين بن عليّ!) - إيماض البرق في أدباء الشرق - إفادة الوفادة (في ذكر الوافدين على الأندلس) كتاب التاريخ - قطع الرياض (في أشعار مختارة) - معادن اللُّجَيْنِ في مراثي الحسين - هداية المعترف في المؤلف والمختلف.

### ٣ - المختار من آثاره:

- قال ابن الأبار القضاعي يمدح أبا زكرياً يحيى الحفصي سلطان تونس

---

(١) كتاب «تحفة القادم» مفقود. ولكن أبا إسحاق البليغي كان قد صنع منه «المقتضب من كتاب تحفة القادم» (بتحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٥٧ م). والبليغي هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي إسحاق (إبراهيم؟) بن الحاج. أصل البليغي من مراكش ولكن مولده ومنشأه في الأندلس وهو ينتسب إلى بليغ (بفتح الباء، وتروى أيضاً بفتح الفاء مع كسر اللام المشددة) وهي حصن قرب المريّة. ولعلّ وفاة أبي إسحاق البليغي كانت في مراكش في أواخر القرن الثامن للهجرة.

ويستنصره على الإفرنج لإنقاذ بلنسية (نفع الطبيب، ٤: ٤٥٧-٤٦٠):

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدُلْسَا،      إِنَّ السَّيْلَ إِلَى مَنَاجِيهَا دَرَسَا<sup>(١)</sup>.  
وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا تَمَسَّتْ؛      فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَا.  
يَا لِلْجَزِيرَةِ! أَضْحَى أَهْلُهَا جَزْرًا      لِلْحَادِثَاتِ، وَأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسَا<sup>(٢)</sup>.  
فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلْمَامٌ بَارِقَةٌ      يَعُودُ مَاتَمُّهَا عِنْدَ الْعِدَا عُرْسَا<sup>(٣)</sup>.  
تَقَاسَمَ الرُّومُ لَا نَالَتْ مُقَاسِمَهُمْ      إِلَّا عَقَائِلُهَا الْمَحْجُوبَةُ الْأُنْسَا<sup>(٤)</sup>.  
وَفِي بَلَنْسِيَّةٍ مِنْهَا وَشَاطِبِيَّةٍ      مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا<sup>(٥)</sup>.  
مَدَائِنٌ حَلَّهَا الْإِشْرَاكُ مُبْتَسَا      جَذْلَانِ، وَارْتَحَلَ الْإِيمَانُ مُبْتَسَا.  
فَمِنْ دَسَاكِرَ كَانَتْ دُونَهَا حَرَسَا،      وَمِنْ كَنَائِسَ كَانَتْ قَبْلَهَا كُنْسَا<sup>(٦)</sup>.  
يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعِدَا بَيْعَا،      وَلِلنَّدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَسَا<sup>(٧)</sup>.

- (١) - أسرع بإنقاذ الأندلس. درس: امحى (فقد الأمل بنجاتها).  
(٢) يا للجزيرة: كان الله في عون جزيرة الأندلس وأنقذها من بليتها! جزراً: ذباح. الجذ (بفتح الجيم): الحط. التمس: البؤس والشقاء.  
(٣) في كل شارقة = عند طلوع كل شمس: كل يوم. البارقة: السيوف (القاموس ٣: ٢١١، الطر ١٩). الإلمام: النزول، الإصابة، الزيارة. إلمام بارقة: قتل بالسيوف. العدى: الإسبان الإفرنج. وفي طبعة بيروت (٤: ٤٥٧): باثقة (داهية).  
(٤) البيت غامض. - الروم: نصارى الأندلس. تقاسم الروم: توزعوا الغنائم بينهم. العقائل جمع عقيلة: المرأة المصونة الكريمة. المحجوبة: الحجة عن عيون الأجانب. الأنس جمع أنوس: (اللطيف العشرة، المؤانس). - الملموح في معنى البيت: يتقاسم الإسبان (بعد كل هجمة على العرب) الغنائم إلا النساء (فإنهن يقتلن....) فلا نال (تهدأ) مقاسم (بضم الميم: صاحب السهم أو النصيب في القسمة) شيء من تلك الغنائم!  
(٥) ما ينسف (يدك، يهدم، يقتلع الشيء من أصله) أو ما ينزف (ينزع، يلاشي، يفرغ) النفس = ما يقتل، ما يهلك.  
(٦) الدسكرة: المزرعة. كانت تلك الدساكر حماية لتلك المدن التي سقطت في يد الإسبان (فذهبت المدن والدساكر معها). الكنس جمع كناس (بكسر الكاف): بيت الطهي (ساكن للنساء الجميلات).  
(٧) البيعة (بكسر الباء): الكنيسة، معبد النصارى. النداء: الأذان، دعوة المسلمين إلى الصلاة من المآذن.



كانتْ حَدائِقَ لِلأَخْدَاقِ مُونِقَةً      فَصَوَّحَ النَّصْرُ مِنْ أَذْوَاحِهَا وَعَسَا<sup>(١)</sup>  
فَأَيْنَ عَيْشٌ جَنِينَاهُ بِهَا خَضِرًا؟      وَأَيْنَ عَصْرٌ جَلِينَاهُ بِهَا سَلَسًا<sup>(٢)</sup>؟  
مَحَا مَحَاسِنَهَا طَاغِرٌ أَتَيْحَ لَهَا،      مَا نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينًا وَلَا نَعَسًا<sup>(٣)</sup>.  
صَلَّ حَبْلُهَا، أَتُهَا الْمَوَلَى الرَّحِيمُ، فَمَا      أَبْقَى الْمِرَاسُ لَهَا حَبْلًا وَلَا مَرَسًا<sup>(٤)</sup>  
وَأَخِي مَا طَمَسَتْ مِنْهَا الْعُدَاةُ كَمَا      أَحْيَيْتَ مِنْ دَعْوَةِ الْمَهْدِيِّ مَا طُمَسَا<sup>(٥)</sup>،  
أَيَّامَ صِرْتَ لِنَصْرِ الْحَقِّ مُسْتَبِقًا      وَبَتَّ مِنْ نَوْرِ ذَاكَ الْهَدْيِ مُقْتَسِبًا؛  
وَقُمْتَ فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ مُنْتَصِرًا      كَالصَّارِمِ أَهْتَزَّ أَوْكَالَ عَارِضِ انْتَبَجَسَا<sup>(٦)</sup>  
هَذَا رَسَائِلُهَا تَدْعُوكَ مِنْ كَثَبٍ،      وَأَنْتَ أَفْضَلُ مَرْجُوٍّ لِمَنْ يَسَا  
تَوَّمُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي      حَفْصٍ مُقْبِلَةً مِنْ تَرْبِهِ الْقُدْسَا؛  
مَلِكٌ تَقَلَّدَتْ الْأُمْلَاكُ طَاعَتَهُ      دِينًا وَدُنْيَا فَنَشَّاهَا الرُّضَا لِسَا  
مِنْ كُلِّ غَادٍ عَلَى يُمْنَاهُ مُسْتَلِمًا،      وَكُلِّ صَادٍ إِلَى نِعْمَاهُ مُلْتَمِسًا<sup>(٧)</sup>.  
مُؤَيَّدٌ لَوْ رَمَى نَجْمًا لِأَثْبَتَتِهِ،      وَلَوْ دَعَا أَفْقًا لَبَّى وَمَا اخْتَبَسَا<sup>(٨)</sup>.  
مَاضِي الْعَزِيمَةِ وَالْأَيَّامُ قَدْ نَكَلَتْ،      طَلَّقُ الْمُحْيَا وَوَجْهَ الدَّهْرِ قَدْ عَبَسَا<sup>(٩)</sup>.

- (١) للأحداق (اللعيون) مونقة (جيلة): تسرّ الناظرين. صوّح = يس. النصر: الأخضر الريان. الدوح والأدواح جمع دوحة: الشجرة الكبيرة. عسا، يعسو: يس.
- (٢) جليناه (جلوناها): أبرزناه، جعلناه. سلساً: ليناً، رائقاً، مطاوعاً لنا.
- (٣) الطاغى: الظالم. وكان مؤرّخو العرب يسمّون كلّ ملك من ملوك الإسبان «طاغية». الهضم: انتزاع جزء من الحقّ من صاحبه. نص: مال إلى النوم (غفل).
- (٤) صل حبْلُها: اجعلها من أهلك ودافع عنها. المراس: شدّة (العدوّ عليها)، كثرة حروبها. ما أبقي المراس لها حبلاً (صلة، قرابة بأحد = تخلّى جميع الناس عنها) ولا مرسة (قوة على القتال).
- (٥) طمس: محَا. المهديّ بن تومرت (ت ٥٢٤ هـ) مصلح عظيم، وهو صاحب دعوة الموحّدين ومؤسّس دولتهم (راجع ص ٣٥٩ من الجزء الخامس).
- (٦) الصارم: السيف. اهْتَزَّ: تحرّك، تمايل نصله) استعداداً للضرب به أو في أثناء الضرب به). العارض: الغيم المقبل يحمل مطراً. انتبجس: تخرّق، هطل منه المطر.
- (٧) يناء مستلماً = مقبلاً يده اليمنى. صاد: عطشان.
- (٨) - لو رمى سهمه النجم لأصابه ولو دعا الغيم في السماء إلى أن يطر لأمطر.
- (٩) نكل عن الأمر: جبن عنه وتأخّر.

كَأَنَّهُ الْبَدْرُ - وَالْعَلِيَاءُ هَالَتْهُ -  
تدبيره وَسِعَ الدُّنْيَا وَمَا وَسِعَتْ،  
قَامَتْ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ دَوْلَتُهُ  
مُبَارَكٌ هَدْيُهُ، بِإِدِّ سَكِينَتِهِ؛  
قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى بَصِيرَتَهُ،  
وَرَبِّ أَصِيدَ لَا تُلْفِي بِهِ صَيْدًا،  
إِلَى الْمَلَائِكِ يُنْهَى وَالْمُلُوكِ مَعَا  
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ، أَنْتَ لَهَا  
وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَنْبَاءُ أَنَّكَ مَنْ  
طَهَّرَ بِلَادَكَ مِنْهُمْ، إِنَّهُمْ نَجَسٌ،  
وَاضْرِبْ لَهَا مَوْعِدًا بِالْفَتْحِ تَرْقُبُهُ.  
- وَمِنْ نَثَرِهِ مَا كَتَبَهُ فِي تَرْجُمَةِ أَسْتَاذِهِ أَبِي الرَّيِّعِ بْنِ سَالِمٍ<sup>(١)</sup> فِي كِتَابِ إِعْتَابِ

- (١) المألة: ضياء يحيط (في رأي العين) بالقمر عادة. تحف: تحيط. القنا جمع قناة: القصبه، الرمح. شهب القنا: النصال المركبة في رؤوس الرماح (كناية عن كثرة الأسلحة ومضائها).
- (٢) تدبيره: حكمه. عرف (رايحة) معروفه (خيره): القليل من معروفه وعطائه. وسع الدنيا وما وسعت: آدرا، نظم الدنيا وكل ما فيها (كل ما وسعته الدنيا). واسى: عزى، أحسن إلى. الورى: جميع الناس. أسا: طيب، شفي.
- (٣) أنشرت: بعثت من الموت. «وجود» في الأصل، ولعلها «وجوه»: أنواع. رمس: قبر.
- (٤) - لا يبالى إذا نزلت المصيبة فجأة (لأنه مستعد لجميع المفاجآت).
- (٥) الأصيد: المائل العنق تجبراً (لأنه ملك عظيم). الأشوس: الذي ينظر بمؤخرة عينه من التكبر والغيظ (طلباً للانتقام). - قد يتظاهر بعض الناس بالقدرة والشجاعة وليس له شيء منها.
- (٦) - هو في سلوكه وأخلاقه مثل الملائكة، وفي نسبه من الملوك. النبعة: عدد كبير من سيلات القمع أو من القصب أو النخل تنبت من أصل واحد (كناية عن الأسرة العظيمة النبيلة). ما غرسا (بالبناء للمجهول أو للمعلوم).
- (٧) - الشائع بين جميع الناس أنك وحدك الذي تستطيع أن تتغلب على ملوك الصفر (الروم، الإيبان الإفرنج) وتنقذ الأندلس.
- (٨) ترقبه: تنتظره (الأندلس).
- (٩) راجع ٥: ٦٩٣.

شَيْخِي الَّذِي أَوْرَثَنِي هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَرَضِيَّ اتَّخَاذَهَا لِي بِضَاعَةً، وَضَمِنَ أَنْ لَا إِضَاقَةً (فِي امْتِنَانِهَا) وَلَا إِضَاعَةً؛ جَاعِلًا قَوْلَ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ <sup>(١)</sup> شَاهِدًا فِي الْإِعْتِلَاقِ بِهَا وَالِاتِّصَالِ: «مَنْ جَمَعَ بِلَاغَةً وَخَطًّا لَمْ يَخْشَ فِي دَوْلَةِ الْأَفْضَلِ حَطًّا». فَاسْتَرْجَحْتُ حَصَاتِهِ <sup>(٢)</sup> وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهَا قَابِلًا وَصَاتِهِ غَيْرَ مُسْتَبْدِلٍ بِهِ خُطَّةً وَلَا مُتَبَوِّئًا دُونَهَا خُطَّةً لِكَيْلًا أَنْقُضَ مَا أُبْرِمَ وَأُرْتَبِطَ خِلَافَ مَا اسْتَكْرَمَ <sup>(٣)</sup>. وَكَانَ هُوَ - قَدْسَ اللَّهِ أَشْلَاهُ وَأَجْزَلَ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ جَزَاءَهُ <sup>(٤)</sup> - قَدْ عُنِيَ بِي فِي شَيْبَتِهِ، فَعَتَبَ عَلَيْهِ وَالِي بَلَنْسِيَّةَ حِينَئِذٍ وَحَجَبَهُ رَائِحًا عَلَيْهِ وَغَادِيًا وَالزَّيْمَةَ مَكَانًا قَاصِيًا كَانَ بِهِ قَاضِيًا <sup>(٥)</sup>. فَخَاطَبَهُ مُسْتَعْطَفًا بِرِسَالَةٍ مِنْهَا:

وَبَعْدُ، فَكَتَبَ الَّذِي قَصَرَ، ثُمَّ عَايَنَ قَصْدَهُ وَأَبْصَرَ <sup>(٦)</sup>؛ وَأَقْتَرَفَ فَأَعْتَرَفَ، وَاجْتَرَحَ <sup>(٧)</sup> فَلَمْ يَجِدْ أَجْدَى مِنْ أَنْ قَرَعَ بَابَ الْمَغْفِرَةِ وَاسْتَفْتَحَ. وَفِي عِلْمِ الْمَوْلَى أَنَّ الْعَبِيدَ أَهْلَ الْخَطَا وَمُظَنَّةَ السَّعْيِ الْمُسْتَبْطِ <sup>(٨)</sup>. إِنْ اغْرَقُوا النَّزْعَ عَنْ قَوْسِ الْاجْتِهَادِ <sup>(٩)</sup>

(١) شَيْخِي: أَسْتَاذِي وَمُعَلِّمِي. إِضَاقَةٌ: ضَيْقٌ ذَاتُ الْيَدِ، فَقَرَأَ ابْنُ أَبِي الْخِصَالِ: أَدِيبٌ شَاعِرٌ (رَاجِعْ ص ٢٦١ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ).

(٢) الْخَطُّ: حَسَنُ الْخَطِّ، الْكِتَابَةُ الْحَسَنَةُ لَصُورِ الْأَحْرَفِ. الْخَطُّ: الْإِغْطَاطُ، الْغُزُولُ عَنِ الرَّتْبَةِ الْعَالِيَةِ. اسْتَرْجَحْتُ حَصَاتِهِ (عَقْلَهُ): وَجَدْتُهَا رَاجِحَةً (صَحِيحَةً، مُصِيبَةً).

(٣) الْوَصَاةُ: الْوَصِيَّةُ، النَّصِيحَةُ. الْخُطَّةُ (بِضَمِّ الْخَاءِ): الطَّرِيقَةُ فِي الْعَمَلِ، الْمُنْهَاجُ. الْخُطَّةُ (بِكَسْرِ الْخَاءِ) الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ. تَبَوَّأَ: نَزَلَ (فِي مَكَانٍ)، سَكَنَ. نَقَضَ: حَلَّ، أَبْطَلَ. أُبْرِمَ: أَحْكَمَ، قَرَّرَ. ارْتَبَطَ (الْخَيْلُ) اقْتَنَى (خَيْلًا) اسْتَكْرَمَ (الْخَيْلُ، الْمَرْأَةُ، الْخَلْجُ): وَجَدَهَا كَرِيمَةً الْأَصْلَ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ (لَمْ أَرَأْ أَنْ أَفْعَلَ إِلَّا مَا كَانَ هُوَ يَفْعَلُ).

(٤) قَدْسٌ: بَارِكْ. أَشْلَاهُ: الْقَطْعُ مِنْ جَسَدِهِ (لَأَنَّهُ كَانَ قَدْ مَاتَ شَهِيدًا فِي الْمَعْرَكَةِ). أَجْزَلَ: أَكْثَرَ. النِّعَمِ الْمُقِيمِ (الدَّائِمِ): الْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ. جَزَاؤُهُ: ثَوَابُهُ.

(٥) عَنِي بِي: اِهْتَمَّ بِي وَسَهَرَ عَلَى تَأْدِيبِي. حَجَبَهُ: مَنَعَهُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلَاطِهِ. رَائِحًا عَلَيْهِ وَغَادِيًا... (١) الزَّيْمَةُ مَكَانًا قَاصِيًا (بَعِيدًا) أَجْبَرَهُ عَلَى السَّكْنِ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ. كَانَ بِهِ قَاضِيًا: هُوَ، أَيُّ الْوَالِي، اخْتَارَهُ هُنَاكَ لِلْقَضَاءِ (٢)

(٦) الَّذِي قَصَرَ... (أَيُّ ابْنِ الْأَكْبَارِ).

(٧) اقْتَرَفَ (الذَّنْبَ): أَتَاهُ (أَذْنَبَ).

(٨) اجْتَرَحَ: اكْتَسَبَ ذَنْبًا، سَبَّ، شَتَمَ.

(٩) الْمَوْلَى: السَّيِّدُ. الْمُظَنَّةُ: مَوْضِعٌ، مَكَانٌ. مُظَنَّةُ السَّعْيِ الْمُسْتَبْطِ (الْمُتَأَخَّرِ) الْعَبِيدُ يَسْرِعُونَ فِي ارْتِكَابِ الْخَطَا

وأصابوا شاكلة المراد<sup>(١)</sup>، فكالسهم في قرطه مرامياها<sup>(٢)</sup>. وإن تنكبوا<sup>(٣)</sup> مُرتضى السني الحميد وتجنبوا مقتضى الرأي السديد، فغير نُكر (أن ذلك) من شيم العبيد. ومتى نوقشوا الحساب على كل زلة وعوقوا على كل ضلة<sup>(٤)</sup>، أفناهم العقاب سريعاً وأهلكهم التأديب<sup>(٥)</sup> جميعاً...

- ٤- التكملة لكتاب الصلة (تحرير فرنسيسكو كوديرا)، مدريد ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م.
- التكملة لكتاب الصلة (تحرير فنزالس بالنسيه)، مجريط ١٩١٥ م.
- كتاب التكملة لكتاب الصلة (القسم الأول المفقود من طبعة الشيخ قداره في مجريط عام ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م ومن طبعة غوثالث وبالنسيا، عام ١٩١٥ م) - (عني بطبعه وتعليق حواشيه ألفرد بل ومحمد بن أبي شنب)، الجزائر (المطبعة الشرقية) ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م؛ (نشره عزّة المطّار)، القاهرة ١٩٣٥ م؛ القاهرة (مكتبة الخانجي) وبغداد (مكتبة المثنى) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- فهارس تكملة الصلة، من عمل الاركون وبالنسيا، مدريد ١٩١٥ م.
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي (فرنسيسكو كوديرا إي زيدين)، مدريد (روخس)، ١٨٨٤ - ١٨٨٦ م؛ القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧؛
- الحلة البراء (قطع متفرقة نشرها دوزي)، ليدن ١٨٤٧ - ١٨٥١ م؛ ثم باريس ١٨٦٤، ثم ١٨٨٣ م؛ قطع أخرى (نشرها مولر) ١٨٨١ م؛ (حققه وعلّق حواشيه حسين مؤنس)، القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م.
- إعتاب الكتاب (حققه صالح الأشر)، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.
- المقتضب من كتاب تحفة القادم: اختيار وتقييد أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن إبراهيم البليغيني (بتحقيق إبراهيم الإبياري)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٧ م؛ (نشره ألفرد البستاني).....

ثم يتأخرون في التوبة وإصلاح أخطائهم. أعرقوا: بالغوا (٤). النزع: مدّ القوس (وضع سيّة القوس - مؤخرته - في وتر القوس ثم جذب الوتر لإطلاق السهم).

- (١) الشاكلة: الخاصرة. أصاب الشاكلة (قتل المصاب). أصاب شاكلة الأمر: أحسن العمل وأتقنه...
- (٢) في قرطه مرامياها (٤).
- (٣) تنكب (الطريق): ابتعد عنه.
- (٤) الضلة (بالكسر): الضلال، ضد الهدى، الخيرة، الغفلة عن الصواب.
- (٥) التأديب: القصاص، الضرب (في سبيل الإصلاح).

- معارضة « ملقى السبيل » لأبي العلاء المعري (مطبوع مع « فتوى في القيام والألقاب » لابن تيمية)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٣ م.
- ديوان ابن الأبار (تحقيق عبد السلام الهراس)....
- ★★- الحلة السراء (رسالة لعبد الله الطباع)، بيروت (دار النشر للجامعيين).
- ابن الأبار: حياته وكتبه، تطوان (معهد مولاي الحسن)
- المغرب ٢ : ٣٠٩-٣١٢؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣٥٥-٣٥٨؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٨٣-٢٨٤؛ الذيل والتكملة ٦ : ٢٥٣-٢٧٥ (رقم ٧٠)؛ القدح المعلق ١٩١-١٩٧؛ عنوان الدراية ٢٥٧-٢٦٢؛ ابن قنفذ ٣٢٤؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٩٥؛ نفح الطيب ١ : ٣١٥، ٢ : ١١٦، ٥٨٩-٥٩٤، ٥٩٧-٥٩٨، ٣ : ١٣٩، ١٤٤-١٤٥، ٤٦٧، ٦٠٣-٦٠٤ (٩)، ٤ : ٥٨-٥٩، ١١٩-١٢١، ٣١٩-٣٢٠، ٣٢٣-٣٢٤، ٤٥٧-٤٦٠، ٤٧٢-٤٧٣، ٤٩٠-٥٠٧؛ أزهار الرياض ٢ : ٢٠٤-٢٢٧؛ المكتبة العربية الصقلية ٣٢٧-٣٣٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٧٣؛ بروكلمن ١ : ٤١٦، الملحق ١ : ٥٨٠-٥٨١؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١١٠ (٦ : ٢٣٢)؛ تراجم إسلامية ٣٤٢-٣٥٣؛ نيكل ٣٣٢-٣٣٣؛ مختارات نيكل ١٩١.

## أبو المطرّف بن عميرة

- ١- هو أبو المطرّف أحمد بن عبد الله بن الحسن بن عميرة الخزومي<sup>(١)</sup>، أصله من جزيرة شقري (قرب بلنسية)<sup>(٢)</sup>.
- وُلِدَ أبو المطرّف في بلنسية، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٨٠ (كانون الأوّل - ديسمبر ١١٨٤ م) أو قبلَ ذلك بستَينِ \* . بدأ تلقّي العلم في الأندلس ثم رَحَلَ (في الأندلس والمغرب؟) فدرس الحديثَ والفِقهَ وعِلِمَ الكلامِ والأدبَ، ولكنَّ مِيلَهُ كان إلى اللغة:

- 
- (١) هو غير أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة (بفتح العين أيضاً) الضبي اللورقي القاري المحدث المتوفى ٥٧٧ هـ (نفح الطيب ٢ : ٦٠١). وغير أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة الضبي (ت ٥٩٩) صاحب بفية الملتس (راجع ترجمته). \* في الاحاطة (١ : ١٨٥) : ٥٨٢ هـ.
  - (٢) جزيرة شقر بليدة جنوب بلنسية وليست جزيرة. وإنّا قيل لها جزيرة لأنّ الماء (نهر شقر) يحيط بها (وفيات الأعيان، بيروت، ٥٧ : ١). راجع تحت (ص ٢١٩) قول أبي المطرّف بن عميرة: هل النهر عقد للجزيرة مثلاً عهدنا...؟ وشقر (بالفتح): جزيرة شرقها (تاج العروس - الكويت ١٢ : ٢٢٢). وهي في وفيات الأعيان (٥٧ : ١) بالضم: شقر.

أخذَ عن أَحْمَدَ بنِ هُرُونِ بنِ عاتٍ (٥٤٢ - ٦٠٩ هـ) وأبي الربيعِ بنِ سالمٍ وابنِ حَوْطٍ  
الله وأبي الخطَّابِ أحمدَ بنِ واجِبٍ (ت ٦١٤ هـ) وعن الشلوينِ (ت ٦٤٥ هـ).

وعاد أبو المطرّفِ فاستقرَّ في بلنسيةَ مدَّةً ثم تولَّى القضاءَ في شاطبةَ ثم في جزيرةِ  
ميورقةَ (٦٢٧ هـ)، وكان فيها لما استولى عليها الإسبانُ (آخرَ رجبٍ  
٦٢٨ = ١٢٣١/٦/٢ م). ثم إنَّه عاد إلى بلنسيةَ وشَهِدَ سقوطَها<sup>(١)</sup> أيضاً  
(٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م).

عندئذٍ جازَ إلى المغربِ فاستوطنَ بجايةَ مدَّةً وأقرأ بها. ثم إنَّ الرشيدَ الموحديَّ  
(٦٢٠ - ٦٤٠) استوزَّره. وتولَّى القضاءَ بعد ذلك في سلا ثم في مكناسَ ثم في سبتةَ.  
ولما استولى المرينيون على سبتةَ غادرها إلى تونسَ ودخل في خدمةَ الحفصيين فاتَّخذه  
المُستنصِرُ باللهِ الحفصيّ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) مُستشاراً.

وكانت وفاةُ أبي المطرّفِ بنِ عميرةَ في تُونِسَ ليلةَ الجمعةِ رابعَ ذي الحِجَّةِ من سَنَةِ  
٦٥٨ (١١/١١/١٢٦٠ م) في الأغلب.

٢- كان أبو المطرّفِ بنُ عميرةَ ناثراً وناظراً ومؤرخاً ومؤلفاً صنَّفَ كتاباً عن  
« كائنة ميورقة » (سقوط جزيرة ميورقة في أيدي الاسبان)، والكتاب مفقود. ويبدو  
أنَّ له كتاباً آخرَ « التَّبيان في علم الكلام ». ويأتي شعره مُطوَّلاتٍ ومُقطَّعاتٍ، وبعضُ  
مطوَّلاتِهِ أفضلُ من مقطعاتِهِ في البيتين والثلاثة ممَّا قاله في عددٍ من الأغراضِ  
العارضة وبنائها على تَوَرِّياتٍ قليلة التوفيق. وفنون شعره المدحُ والغزل والشكوى  
والإخوانيات (قصائدُ يتبادلها الشعراءُ كما يتبادل سائرُ الناسِ رسائلهم). ونثره  
نوعان: نوعٌ شديدُ التكلفِ كثيرُ الإشاراتِ حتَّى يغمُضَ على القارئ، ولو كان  
مثقفاً، ثم نوعٌ عاديٌّ سهلٌ مُرسلٌ ومطلق من الصَّناعة.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال أبو المطرّفِ بنُ عميرةَ يتشوّق إلى بلنسيةَ بعدَ سقوطِها ورحيلِ عنها:

(١) نفع الطيب: ٤: ٤٦٠.

ويندُبُ عهداً بالشَّقر فاللوى . وابن اللوى منه وأين الشَّقر<sup>(١)</sup> !  
تغيرَ ذاك العهدُ بعدي وأهله . ومن ذا على الأيام لا يتغيرُ ؟  
وأقفرَ رسمُ السدارِ إلّا بقيّة . لسائلها عن مثلِ حالي تُخبرُ .  
فلم تبقَ إلّا زفرةٌ إثرَ زفرةٍ ؛ ضلوعي لها تنقُدُ أو تنفطرُ<sup>(٢)</sup> ؛  
وإلّا اشتياقٌ لا يزالُ يهزّني ، فلا غايةً تدنو ولا هو يفتُرُ .  
أقولُ لساري البرق في جُحج ليلةٍ . كِلانا بها قد بات يبكي ويسهرُ<sup>(٣)</sup> ،  
تعرّضَ مُجتازاً فكان مُذكّراً . بعهد اللوى ؛ والشئُ بالشئ يُذكرُ .  
ألا ليت شعري ، والأمايُ ضِلّةٌ ؛ وقولي : « ألا يا ليت شعري » تحيّرُ .  
هلِ النهرُ عقْدٌ للجزيرةِ مثلاً . عهدنا ؟ وهل حصباؤه (بعدُ) جوهر<sup>(٤)</sup> ؟  
وهل للصِّبا ذيلٌ عليه تجرُّه . فيزورُ عنه موجُه المتكسر<sup>(٥)</sup> .  
وتلك المغاني ، هل عليها طلاوةٌ . بما راقَ منها أو بما رَقَّ تسحرُ ؟  
ملاعبُ أفراسِ الصِّبابة والصِّبا . تروحُ إليها تارة وتُبكرُ<sup>(٦)</sup> .  
وقبليّ ذاك النهرِ كانت معاهدُ . بها العيش مطلولُ الخميّة أخضر<sup>(٧)</sup> ،  
بحيث بياضُ الصُّبحِ أزرارُ جيبه . تطيبُ وأردانُ النسيم تُعطرُ<sup>(٨)</sup> .

- 
- (١) اللوى: ما استدار من الرمل: الشَّقر: حصن في شرقي بلاد العرب (والشاعر يكتفي بها عن وطنه جزيرة شقر).  
(٢) تنقُدُ: تنقطع. تنفطرُ: تتشقق.  
(٢) الساري: السائر في الليل. الجحج: الجزء من الليل. ساري البرق (البرق الذي يلمع ليلاً). كلانا بها (في تلك الليلة) يبكي (أنا أبكي بدموعي، والبرق يسقط في أثره المطر).  
(٤) الجزيرة: جزيرة شقر. هل النهر عقد للجزيرة (يحيط بها). الحصباء: الحصى.  
(٥) الصبا: ريح لطيفة تهبّ على شبه جزيرة العرب من جبال فارس مارةً فوق مياه خليج البصرة (والعرب يحبونها). والشعراء يذكرون الصبا ويعنون بها كلّ ريح محبوبة. ازور: مال.  
(٦) الصبابة: الحب. الصبا: الشباب. تروح (في المساء) وتُبكر (في الصباح): دائماً تهبّ عليها هذه الريح.  
(٧) القبلة: الجهة. وتستعمل عادة للجهة الجنوبية لأنّ اتّجاه المسلمين في صلاتهم انتقل في عهد الرسول من القدس (شمال المدينة) إلى الكعبة في مكّة (جنوب المدينة).  
(٨) الجيب: مدخل القميص في العنق (أعلى الثوب)، والأردان أطراف الثوب (أدنى الثوب). الريح الطيبة تعطر أجواء جزيرة شقر.

ليالِ بماءِ الوردِ ينضَحُ ثوبُها      وطيبُ هواٍ فيه مِنكُ وعنبر.  
جَنَابٌ بأعلاه بهارٌ ونرجس:      فأبيضُ مقترُّ الشنّايا وأصفر<sup>(١)</sup>.  
كذاك إلى أن صاحَ بالقومِ صائحٌ      وأنذرَ بالبَّينِ المُشتَّتِ مُنذر<sup>(٢)</sup>.  
وفرقَهم أيدي سِبا وأصابهم      على غرّةٍ منهم قضاءٌ مُقدّر<sup>(٣)</sup>.

- وقال أبو المطرّف يمدح الأميرَ أبا زكريّا يحيى بن عبدِ الواحدِ الحفصيَّ سلطانِ  
تُونِسَ (٦٤٦ - ٦٤٧ هـ) قبلَ أن ينتقلَ أبو المطرّف إلى تونس (وفي الأبيات التالية  
كثير من الجناس والطباق):

شاقَهُ غِيبُ الخيالِ الواردِ      بارقُ هاجٍ غرامَ الهاجدِ<sup>(٤)</sup>.  
لم يكن بعدَ السرى مُستَمَنعٌ      فيه للرائي ولا للرائدِ<sup>(٥)</sup>  
مَلِكٌ لولا حُلّاه الغُرُّ لم      يَجِرْ بالحمدِ لسانُ الحامدِ.  
فضله مثلُ سَنّا الشمسِ، وهل      لِسَنّا الشمسِ يُرى من جاحد؟  
قَهَرَ البَغْيَ بِجِدِّ صادِعِ      ما تعدّاه وجَدَّ صاعدِ<sup>(٦)</sup>.  
إنّا آلُ أبي حَفْصٍ هُدَى      للورى من غائبٍ أو شاهدِ.  
قَعَدُوا فوقَ النجومِ الزُّهرِ عن      هِمَمِ نَبْهَنَ عَزَمَ القاصدِ.  
وعنِ الإسلامِ ذادوا عندما      فلَّ طولُ العهدِ غَرْبَ الذائدِ<sup>(٧)</sup>.  
أَيُّ فخرٍ عُمَرِيُّ المُنتمى      ورثوه ماجدًا عن ماجدِ<sup>(٨)</sup>!  
مما الفتوحُ الغُرُّ إلّا لَهُم      بين ماضٍ بادى أو عائدِ.

- 
- (١) جناب: جانب من الأرض. أعلاه (تلاله). البهار: زهر الربيع (ويطلق عادة على الزهر الأصفر).  
(٢) صاح بالقوم صائح (يدعوهم إلى التفرّق أو الهلاك). البين: الفراق.  
(٣) أيدي سباً: في كلّ جهة. غرّة: غفلة. قضاء (حكم) مقدّر (محبوب، مكتوب على الناس).  
(٤) غيب: بعد. الخيال الوارد: الحلم (النّام). الهاجد: النائم؛ الذي يصلي بالليل.  
(٥) السرى: السير في الليل.....  
(٦) الجدّ: المجهود (بضمّ الجيم). لعلّها الحدّ (بالحاء المهملة). الصادع: الذي يصدع (يشقّ، يكرس). وصدع  
بالأمر: أعلنه. الجدّ (بالفتح): الخطّة.  
(٧) ذاد: دافع. الغرب: الحدّ (حد السيف). قلّ: نلّ، شقّق، كسّر.  
(٨) عمريّ المنتمى: يرجع إلى عمر (بن الخطّاب).



في مُحْيَا لاحق من سابق؛ وعلى المولود سيما الوالد.

- كان بين أبي المطرف بن عميرة وأبي عبد الله محمد بن محمد بن الجنان (توفي بعيد ٦٥٠ هـ) وأبي الحسن علي بن محمد الرعيني بن الفخار (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ) مراسلات. وكانوا جميعاً كثيري التكلف للصناعة في رسائلهم مع حشد الإشارات المختلفة من أدبية وتاريخية وجغرافية. وبما أن حرف النون موجود في اسم أبي الحسن الرعيني وابن الجنان، فقد كتب أبو المطرف رسالة التزم في كل كلمة منها حرف النون ثراً ونظماً. من هذه الرسالة (الذيل والتكملة ٥ : ٣٤٨ - ٣٤٩):

محاسن دُنْيَانَا تَبِينُ لَنَاظِرٍ يُنْقَبُ عَنْهَا مُسْتَبِينَا لَعِينَهَا<sup>(١)</sup>  
نَجِيبُ الرُّعَيْنِيِّينَ مَارُنْ أَنْفِهَا، وَنَذْبُ بَنِي الْجَنَّانِ إِنْسَانُ عَيْنِهَا<sup>(٢)</sup>.

البيان أنواع. وإن ظن أن يمينه صناع، فلنسجِه ناسٌ نعرفهم نقلاً وعيناً<sup>(٣)</sup>، ونعدّهم زماناً زماناً. فنجد مناقلهم نائية ونسبهم مُتَدَانِيَةٌ وَمَنَارِعُهُمْ عَنِ الْإِحْسَانِ وَانِيَّة<sup>(٤)</sup>: معانٍ عُونٌ وَغِيْطَانٌ وَحُزُونٌ، وَنَكْتُ تَنْدُرُ وَنُبْدُ عِيُونِ النَّقْدِ نَحْوَهَا تَنْظُرُ<sup>(٥)</sup>. وإننا الصناعة لناظمي جنانها ومتناولي عنانها<sup>(٦)</sup> اللذين يُنَوِّعَانِ الْإِنْشَاءَ وَيَضَعَانِ أُمُكِنَةَ النُّقْبِ الْهِنَاءِ<sup>(٧)</sup>..... إِنْ نَظَّمَا أُنْسِيَا فَنَدَّ زَمَانٌ وَنَابَغَةُ بَنِي ذُبْيَانَ وَابْنَ الْحُسَيْنِ عِنْدَ بَنِي حَمْدَانَ وَحُنْدُجَانَ وَنَسِيبَهُ بِالْحَسَنِ، وَابْنَ الْقَيْنِ وَنَصِيبَهُ مِنْ

(١) - محاسن الدنيا لا تبين (لا تظهر) إلا للنّاظر المتأمل الذي ينقب (يبالغ في البحث). عينها (هنا): حقيقتها، وجودها المادي.

(٢) النجيب: الفاضل على مثله. الرعينيون: بنو رعين (أفضل بني رعين). المارن: أعلى الأنف (كناية عن الرفعة والشرف). النذب: النجيب. إنسان العين: البؤبؤ (كناية عن أفضل الأشياء).

(٣) الصناع: الماهر، البارع. نقلاً (ساعاً عنهم) وعينا (مشاهدة لهم).

(٤) المنقل (بالفتح): الطريق المختصر. النقلة (بالفتح): أرض ذات حجارة. نائية (من نبأ أو من نبو): مرتفعة أو غير مستوية. مناقلهم نائية (٤). وانية: ضعيفة، مقصرة.

(٥) عون (جمع عونان): (هنا) مكرورة، معادة. الفوط والغيط (بالفتح فيها): أرض واسعة منخفضة ليثة. الحزن (بالفتح): أرض صلبة يصعب فيها السير. النكته: الفكرة الطريفة اللطيفة. النبذة (بالضم أو بالفتح): القطعة (المنبودة: القليلة القيمة!).

(٦) الهمنة (بالضم): اللؤلؤة الكبيرة. العنان: رسن الدابة.

(٧) النقبة (بالضم): الجرح أو النقرة (بالضم) من أثر الجرب. الهناء: القطران (يضعان الأمور مواضعها).

الإحسان<sup>(١)</sup>. وإن نثرأ فَمَنْ ساكنُ أَرْجَانِ ونائب ديوان الإنشاء ببغدان<sup>(٢)</sup> وأصناف<sup>(٣)</sup> كان من شأنهم وكان؟ يميناً بالرحمن والمثاني والقرآن والنور والسكينة والني ومكانه من المدينة<sup>(٤)</sup>، إنها للينتا بناء البيان وأنجب أبناء الزمان<sup>(٥)</sup>: نزل منزل الفرقدين وتناول أنواع المناقب باليدين<sup>(٥)</sup>. فمن نزاهة تَنَاطَحَ كيوان ونوال يُنسي معن بني شيبان<sup>(٦)</sup>.

- لما استولى الإسبان على بلنسية عَظُمَ الرُزُّ على المسلمين، فكتب أبو المطرف إلى الشيخ أبي جعفر بن أُمَيَّة (نفع الطيب ١ : ٣٠٥ - ٣٠٨):

ألا أيها القلبُ المَصْرَحُ بالوَجْدِ، أما لك من بادي الصَّبابة من بُدٍّ<sup>(٧)</sup>؟  
وهل من سُلُو يُرَجَى لِمُتِمٍّ له لَوَعَةُ الصَّادي وروعة ذي الصَدِّ<sup>(٨)</sup>؟  
يَحِنُّ إلى نجد. وهيهات! حَرَمَتْ صروفُ الليالي أن يعود إلى نجد<sup>(٩)</sup>.  
أمن بعدِ رُزٍّ في بَلَنَسِيَّةِ ثَوَى بأحنائنا كالنارِ مُضْمَرَةَ الوَقْدِ<sup>(١٠)</sup>،  
يُرَجَى أناسٌ جَنَّةً من مصائبِ تُطاعِنُ فيهم بالثَّقَفَةِ المُلْدِ<sup>(١١)</sup>؟

(١) الفيد الزماني والتابعة الديباني والحدجان (حندج: امرؤ القيس) شعراء جاهليون. ابن الحسين (المتنبي). بنو حمدان (قوم سيف الدولة). ابن القين (الحداد) يقصد به الفرزدق، لأن جريراً كان يعير الفرزدق بأنه من قوم حدادين (أي مدنيين).

(٢) بغداد = بغداد. ساكن أَرْجَانِ ونائب ديوان بغداد (؟؟).

(٣) المثاني: الآيات (تنسى: تقرأ ثانية وثالثة، إلخ، تكرر)، النور والسكينة معروفان والمقصود منها (هنا) غامض.

(٤) اللبنة: قطعة من الطين المطبوخ أو من الحجر تحمل في بناء الجدران.

(٥) الفرقدان: النجم القطبي (وهو نجم مزدوج). المنقبة: الفعل الكريم والمفخرة.

(٦) كيوان: كوكب زحل. معن بني شيبان هو معن بن زائدة (ت ١٥١ هـ) من الفصحاء والشجعان والكرماء.

(٧) الوجد والصباية: الحب.

(٨) المتيم الذي تيمه (أمرضه) الحب. اللوعة: التألم. الصادي: العطشان (المشتاق إلى المحبوب) الروعة: الهيبة. ذو الصدد: المائل عن يريده (المحبوب).

(٩) نجد (الأرض المرتفعة): مقاطعة في شمالي شبه جزيرة العرب (كتابة عن جزيرة شقر).

(١٠) أحنائنا: ضلوعنا (في قلوبنا).

(١١) جنة (بالضم): حماية. ستر. المثقف: الرمح. الأملد: الناعم اللين من الفصون (يقصد الرمح المستقيم الذي ينحني ولا ينكسر).

وهلْ أَذْنَبَ الْأَبْنَاءَ ذَنْبَ آبَائِهِمْ فَصَارُوا إِلَى الْإِخْرَاجِ مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ<sup>(١)</sup>؟

مَرْحَبًا بِالسَّحَاءَةِ<sup>(٢)</sup> وما أَعَارَتْ أَقْفِي مِنْ الْوَضَاءَةِ، وَوَرَدَتْ تَسَحَّرُ الشَّهَى  
وَتَسَعَّبُ ذَيْلًا عَلَى الشَّهَى<sup>(٣)</sup>..... بِلَاغَةً تَفْتِنُ كُلَّ لَبِيبٍ وَتَرْعَى رَوْضَ كُلِّ أَدِيبٍ  
وَتَغُضِّضَ عَلَى رُغْمِ الْعَدُوِّ مِنْ حَبِيبٍ<sup>(٤)</sup>..... وَأَجْرَيْتَ خَبَرَ الْحَادِثَةِ الَّتِي مَحَقَّتْ بَدْرَ  
التَّهَامِ وَذَهَبَتْ بِنِصَارَةِ الْأَيَّامِ. فَيَا مَنْ حَضَرَ يَوْمَ الْبَطْشَةِ وَعُزِّيَّ فِي أَنَسِهِ بَعْدَ تِلْكَ  
الْوَحْشَةِ، أَجَقًّا أَنَّهُ دَكَّتِ الْأَرْضُ وَنَزَفَ الْمَعِينُ وَالْبَرْضُ وَصَوَّحَ<sup>(٥)</sup> رَوْضُ الْمُنَى وَصَرَّحَ  
الْخَطْبُ وَمَا كُنَى؟ أَيْنَ لِي كَيْفَ فَقِدْتُ رَجَاحَةَ الْأَحْلَامِ وَعُقِدْتُ مَنَاحَةَ الْإِسْلَامِ.....  
أَحْلَمْ مَا نَرَى؟ بَلْ مَا رَأَى ذَاكَ حَالَمْ: طُوفَانٌ يُقَالُ عِنْدَهُ: لَا عَاصِمَ<sup>(٦)</sup>! مَنْ يُنْصِفُنَا  
مِنَ الزَّمَانِ الظَّالِمِ؟ اللَّهُ بِمَا يَلْقَى الْفَوَادُ عَالِمٌ.

- وَقَالَ فِي تَارِيخِ جَزِيرَةِ مَيُورَقَّةَ: اسْتِيلَاءُ الْإِسْبَانِ عَلَيْهَا (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤ :  
٤٦٩ - ٤٧٠) - وَقَوْلُهُ هُنَا مِنَ النَّثْرِ الْمُرْسَلِ.

إِنَّ سَبَبَ أَخْذِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ أَمِيرَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى  
كَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْمَاضِيَةِ أَحَدَ أَعْوَانِهَا، وَوَلِيَهَا سَنَةً سِتًّا وَسِتِّمِائَةً، وَاحْتِاجَ إِلَى الْخَشَبِ  
الْمَجْلُوبِ مِنْ يَابَسَةِ<sup>(٧)</sup>. فَانْفَذَ طَرِيدَةً بَحْرِيَّةً وَقِطْعَةً حَرَبِيَّةً<sup>(٨)</sup>. فَعَلِمَ بِهِ وَالِي طَرُوشَةَ  
فَجَهَّزَ إِلَيْهَا مِنْ أَخْذِهَا. فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْوَالِي وَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْفُرْزِ لِبِلَادِ الرُّومِ<sup>(٩)</sup>،

(١) ذَنْبَ آبَائِهِمْ (آدَمَ).

(٢) السَّحَاءَةُ: الْقِيَمَةُ، السَّحَابَةُ (١). تَسَحَّبُ ذَيْلًا (تَفْتَخِرُ).

(٣) الشَّهَى وَالشَّهَى: نَجْمٌ خَفِيَ (لِبَعْدِهِ وَعَلَوْهُ).

(٤) غَضَّ مِنْهُ: حَطَّ مِنْ قَدَرِهِ. حَبِيبٌ (أَبُو تَمَامِ الشَّاعِرِ).

(٥) أَجْرَيْتَ خَبَرَ الْحَادِثَةِ (ذَكَرْتَ سَقُوطَ بِلَنْسِيَّةَ). مَحَقَّتْ بَدْرَ التَّهَامِ (ذَهَبَتْ بَنُورُهُ، أَعَادَتْهُ مَظْلَمًا). دَكَّتِ  
الْأَرْضُ دَكًّا: تَهَدَّتْ، سَقَطَ كُلُّ مَا عَلَيْهَا. نَزَفَ: فَنِيَ، نَفَدَ. الْمَعِينُ: الْمَاءُ الْكَثِيرُ الْجَارِي. الْبَرْضُ:  
الْبُحْرُ الْقَلِيلَةُ الْمَاءِ. صَوَّحَ: بَيَّسَ.

(٦) لَا عَاصِمَ: لَا مَانِعَ، لَا حَافِ. (لَيْسَ ثَمَّةُ شَيْءٍ يَمْنَعُ الْمَصِيبَةَ).

(٧) يَابَسَةُ: جَزِيرَةٌ صَغِيرَةٌ فِي أَرْخَبِ الْبَلْيَارِ (شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ).

(٨) طَرِيدَةٌ (يَبْدُو أَنَّهَا قِطْعَةٌ بَحْرِيَّةٌ).

(٩) طَرُوشَةُ: فِي شَالِ شَرْقِيَّ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ (فِي مَنَاصِفِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ بِلَنْسِيَّةَ وَبِرْشُلُونَةَ). وَالِي طَرُوشَةَ  
الْإِسْبَانِي. بِلَادُ الرُّومِ (إِسْبَانِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ يَحْكُمُهَا النِّصَارِيُّ - وَالْعَرَبُ كَانُوا، فِي الْأَنْدَلُسِ، يَطْلُقُونَ اسْمَ  
الرُّومِ عَلَى كُلِّ طَوَائِفِ النِّصَارِيِّ).

وكان ذلك رأياً مشؤوماً. وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّومِ \* . وفي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بَلَغَهُ أَنَّ مُسْطَحًا مِنْ بَرَشْلُونَةَ<sup>(١)</sup> ظَهَرَ عَلَى يَابِسَةٍ وَ(أَنَّ) مَرْكَبًا آخَرَ مِنْ طَرُوشَةَ انْضَمَّ إِلَيْهِ. فَبَعَثَ وَلَدَهُ فِي عِدَّةٍ قِطْعٍ إِلَيْهِ حَتَّى نَزَلَ مَرْسَى يَابِسَةَ. وَوَجَدَ فِيهِ لِأَهْلِ جَنَوَةِ<sup>(٢)</sup> مَرْكَبًا كَبِيرًا، فَأَخَذَهُ وَسَارَ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمُسْطَحِّ فَقَاتَلَهُ وَأَخَذَهُ. وَظَنَّ أَنَّهُ غَالِبُ الْمُلُوكِ، وَغَابَ عَنْهُ أَنَّهُ أَشْأَمُ مِنْ عَاقِرِ النَّاقَةِ<sup>(٣)</sup>. وَإِنَّ الرُّومَ، لَمَّا بَلَغَهُمُ الْخَبَرُ، قَالُوا لِمَلِكِهِمْ وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ أَذْفُونَشٍ<sup>(٤)</sup>: كَيْفَ يَرْضَى الْمَلِكُ بِهَذَا الْأَمْرِ وَنَحْنُ نَقَاتِلُ بِنَفْسِنَا وَأَمْوَالِنَا؟<sup>(٥)</sup>....

٤- \*\* أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، تأليف محمد بن شريفة، الرباط (جامعة محمد الخامس) ١٩٦٥ م.

المغرب ٢: ٣٦٣-٣٦٤؛ الوافي بالوفيات ٧: ١٣٣-١٣٥؛ القدح المعلي ٤٢-٥٢؛ تحفة القادم ١٤٥-١٥٠؛ الذيل والتكملة ١: ١٥٠-١٨٠ (رقم ٢٣١)؛ أعمال الأعلام ٢٧٣-٢٧٤؛ الإحاطة ١: ١٧٩-١٨٦؛ الديباج المذهب ٤٦-٤٧؛ جذوة الاقتباس ٧٢؛ عنوان الدراية ٢٥٠-٢٥٣؛ بغية الوعاة ١٣٧-١٣٨؛ نفح الطيب ١: ٣٠٥-٣١٧، ٣: ١٤٥-١٤٧، ٤٨٧-٤٨٨، ٤٦٩-٤٧١، ٤٩٠-٤٩٦، ٥٠٦-٥٠٧، ٦: ٢٤٦ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٤-٧٠٨؛ بروكلمن ١: ٣٨١، الملحق ١: ٥٤٦؛ الأعلام للزركلي ١٥٢-١٥٣ (١٥٩)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٠-١٩٤.

### ابن عربيّة<sup>(٦)</sup>

١- هو أبو عمرو عُثْمَانُ بْنُ عَتِيقٍ بْنِ عُمَانَ الْقَيْسِيُّ المعروفُ بِأَبْنِ عَرَبِيَّةٍ وَلِدَ فِي

- (١) مسطح: يبدو أنه نوع من المراكب. برشلونة: مرفأ كبير مهم في شالي شرقي جزيرة الأندلس.
- (٢) جنوة. مرفأ في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة إيطالية. \*..... (كذا).
- (٣) قالوا اسمه: قدار (بالضم)، عقر (ذبح) الناقة التي أرسلها الله اختباراً لقبيلة ثمود قوم النبي صالح، فغضب الله على ثمود وهدم بلادهم.
- (٤) الأذفونش في الأصل اسم علم على شخص (كان في إسبانية عدد من الملوك يحملون هذا الاسم). ثم أصبح هذا الاسم كاللقب للملوك إسبانية النصارى، كما كان كسرى لقباً للملوك الفرس وقيصر لقباً للملوك الروم والرومان.
- (٥) وهذه الرسالة تمة تصف تشتت آراء المسلمين وتحاذلهم في القرن الأخير من حياتهم في الأندلس.
- (٦) يرد هذا الاسم: عربية (بفتح فتحة) عُرَبِيَّة (بتقديم الياء وبالتصغير). وقد اخترت القراءة الأولى.

المهديّة، سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ - ١٢٠٤ م)، ونشأ بها. ثمّ إنّه انتقل إلى تونس الحاضرة وأتصل بأبي زكريا يحيى بن عبد الواحد (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) فولّاه القضاء في تبرسق. وكانت وفاته في تبرسق، ٢٨ المحرم ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م).

٢ - كان ابن عربيّة عالماً بالحديث وبالفقه وبعدي من فنون الأدب، غير أنّ شهرته كانت في الشعر. وهو شاعرٌ مُجيد يُقلّد المشاركة من الإسلاميين والمُحدثين (الأمويين والعباسيين). وأغراضه وجدانيّة في النسيب والعتاب والوصف. وربّما تكلف استعمال الغريب من الألفاظ. وهو من الذين خَسّوا القصيدة الشقراطيسية لعبد الله بن يحيى الشقراطيسي (ت ٤٦٦ هـ) في مدح الرسول. ثمّ هو مُصنّف، له: جوامع الكلم النبويّة - آثار السحابة في شعراء الصحابة - قصائد المدح ومصابد المَنح (وهي ديوانه). ثمّ له عدد من الكتب في الحديث والفقه.

### ٣ - مختارات من شعره

- قال ابن عربية في النسيب والعتاب:

ألا، فرعى الله الحمى ونسيمة، وإن جلّ ما ألقاه من ساكني الحمى<sup>(١)</sup>،  
وتيمّم، يا أهل نجد. فإنّي أراكم تلمون المشوق المتيمّم<sup>(٢)</sup>.  
هَجَعْتُمْ. ومن لي بالهَجوع؟ فرُبّما أَلَمَّ به منكم خيالٌ فسَلِمًا<sup>(٣)</sup>.  
أبطرقُ جَفْنًا باتَ مِنِّي ساهراً ويتركُ أجفاناً لكم يَتَنَ نُومًا<sup>(٤)</sup>؟  
ولما استطارَ البرقُ قُلْتُ لصاحبي: أقلي هفا أم تُغرّه قد تبسّا<sup>(٥)</sup>؟  
أعارَ وميضَ البرقِ حُسْنَ ابتسامِهِ وماذا عليه لو أعارَ له اللَّمى<sup>(٦)</sup>؟

(١) جلّ: عظم، كثر، اشتدّ. ما ألقاه (من العذاب في البعد عن محبوبي في الحمى).

(٢) تيمّم الحبّ الرجل: اشتدّ عليه فأمرضه.

(٣) أَلَمَّ (مرّ، زار) به (فيه: في المَجوع، الإغفاء، النوم). في الأصل «سَلِمًا» (ولا وجه لها). اقرأ: فسَلِمًا.

(٤) طرق: زار ليلاً. - أنا سهران لا أرى حبيبي في نومي (ولا في اليقظة - بفتح ففتح). وأنتم تنامون ملء جفونكم، ولكن لا ترونه في منامكم (لأنكم لا تفكرون به ولا تعرفون مكانته ولا تدركون جماله).

(٥) استطار: انتشر. أقرب المعاني للفعل «هفا» هنا: حنّ، اشتاق.

(٦) اللّمي: السمرة في الشفاء.

أَوِ الْبَرَدَ الْعَذْبَ الَّذِي لَنْ تُذَيِّبَهُ      حَرَارَةُ أَنْفَاسِ إِمْرِي قَبْلَ الْمَاءِ (١) ؟  
تَعْلَمُ مِنْهُ خَلْبُ الْبَرَقِ خُلْفَهُ ؛      فَمِنْ أَيُّهَا بَرَقَ تَرَاهُ تَعْلَمُ (٢) ؟  
- وقال في الحنين إلى الوطن (وقد تكلف فيه الغريب من الألفاظ):  
أَقُولُ لِرُكْبٍ قَافِلٍ مِنْ مُعَرَّسٍ      بِجَمَّةٍ، تَرْدِي بِالْحُمُولِ مَشَاجِئُ (٣) ؛  
لَكَ اللَّهُ، أُمْتِعْنَا عَنِ الْبَلَدِ الَّذِي      أَكَابَرُهُ أَسْلَافُنَا وَأَبَالِجُهُ (٤) ؛  
وَعَنْ وَطَنِ، لَوْلَا الْعُلَى وَطِلَابُهَا      لَمَرَّ عَلَى مَتَوَايَ أَنِّي خَارِجُهُ (٥)  
وَعَنْ رَسْمِ إِيوَانٍ تَدَاعَتْ عِرَاصُهُ      وَدُكَّتْ حَنَائِيَاهُ وَخَرَّتْ مَعَارِجُهُ (٦) ؛  
وَمَا صَنَعَ الْقَصَّةُ الْعُبَيْدِيُّ وَالْحِمَى      وَسُورُ الْمُصَلَّى وَالْكُثَيْبُ وَعَالِجُهُ (٧) ؟

- (١) البرد: قطرات الماء التي تجمد بعد سقوطها من الحباب (كناية عن أسنان محبوب).  
(٢) البرق الخلب (الذي يبرق ويرعد ثم ينقشع غيمه من غير أن يطر). الخلف (بالضم): إخلاف الوعد. - هذا المحبوب تعلم قلة الوفاء بالوعد من هذا البرق الذي نراه في سائنا، فمن أي برق أخذ لون أسنانه البيض وعذوبة ريقه؟  
(٣) الركب جماعة (على إيل) في سفر. قافل: راجع. المعرس: المكان الذي ينزل فيه المسافرين في أثناء سفرهم ثم يتابعون السفر بعد ذلك. الجمّة: مكان يجتمع فيه ماء كثير. وجّة (هنا) بلد (في تونس؟). تردي الخيل: تضرب الأرض بجوافرها ضرباً من سرعة جريها. الحمول جمع حمل (بالفتح): الهودج على الجمل (شبه بيت تركب فيه النساء). مشاحج (؟). المشحج (بالكسر): الغراب. - لعله يقصد البغال التي تحمل النساء والأحمال.  
(٤) أمتعنا: حدّثنا حديثاً ممتعاً (يسرنا). الأبالج (؟) - الأبلج: الأبيض، الجميل، الكريم الأصل، الجواد، وجمعها بلج (بالضم).  
(٥) خارجه: خارج منه (بعيد عنه). - خارج: خير «إن» وليست «ظرفاً متعلقاً بالخبر المحذوف (؟).  
(٦) الرسم: أثر البناء بعد زواله. الإيوان: البناء العظيم لمجلس الملك. تداعى: تهدّم. العرصة (بالفتح): المكان الواسع بين البيوت لا بناء فيه (والاستعمال هنا خطأ).  
دك (بالبناء للمجهول) القصر: هدم كله. الحنيّة: القنطرة المعقودة. خرّ: سقط. المعراج (بالكسر): المصعد (بالفتح): الطريق يصعد فيها السائر. والشاعر يقصد بالمعراج السلام جمع سلم (بضم ثم لام مشددة مفتوحة).  
(٧) القصر العبيدي: (القصر الذي كان ينزل فيه أئمة العبيدين (الفاطمين) في المهديّة (في القطر التونسي). الحمى (المكان المحروس: مسكن النساء، والقلعة). الكثيب: الرمل المستطيل المحدود. عالج: الرمل المتداخل المتراكب. لعل الشاعر يقصد بالكثيب وعالج مكانين للنزهة (راجع البيت التالي).

وشاطِئُهُ أَنَّى تَنَوَّعَ حُسْنُهُ ، وَخَضِرُمُهُ أَنَّى تَدَقَّعَ مَائِجُهُ (١) ؟  
سلام على المَهْدِيَّيْنِ ففِيهِمَا أَبُ بَنْتُ عَنْهُ قَاصِرُ الْخَطْوِ هَادِجُهُ (٢) .

٤ - \*\* رحلة التجاني ٣٧٥ - ٣٨٠ ، مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٧ - ١٩٩ ، الأعلام  
للزركلي ٤ : ٣٧١ (٢٠٩) .

## أحمد اللّليانيّ

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ إبراهيم اللّليانيّ - نِسْبَةً إِلَى لَلْيَانَةِ قُرْبِ الْمَهْدِيَّةِ ، فِي الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ - انْتَقَلَ بِهِ أَبُوهُ إِلَى تُونِسَ الْحَاضِرَةِ (العاصمة) ، وَفِيهَا لَازِمَ الْإِمَامِ أَبَا زَكَرِيَّا الْبَرْقِيِّ .

تَوَلَّى أَحْمَدُ اللَّليَانِيُّ عِدَدًا مِنْ أَعْمَالِ الدَّوْلَةِ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ الْأَوَّلِ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) . وَكَانَتْ لَهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ صِلَاتٌ تِجَارِيَّةٌ بِفَرَنْسَةٍ وَإِيطَالِيَّةٍ فَجَمَعَ مِنْ ذَلِكَ ثَرَوَةً كَبِيرَةً كَانَتْ سَبَبًا لِحَسَدِهِ عَلَيْهَا ثُمَّ مُصَادَرَتِهَا . وَلَمْ يَشَفِ ذَلِكَ غِلًّا السُّلْطَانُ لَهُ فَقَتَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْمَحْرَمِ مِنْ سَنَةِ ٦٥٩ (فِي آخِرِ شَهْرِ ١٢٦٠ م) .

٢ - كَانَ أَحْمَدُ اللَّليَانِيُّ فَقِيهًا وَشَاعِرًا مَشْرِقِيًّا الدِّيَابِجَةِ مَشْرِقِيًّا الْأَغْرَاضِ مَتِينًا السَّبَكِ صَحِيحَ التَّعْبِيرِ . وَفَنُونَ شَعْرِهِ الْغَزْلُ وَالْعِتَابُ . وَدَالِيَّتُهُ الَّتِي تَأْتِي فِي « مُخْتَارَاتٍ مِنْ شَعْرِهِ » تُذَكِّرُنَا بِالْيَتِيمَةِ : « هَلْ بِالطَّلُولِ لِسَائِلٍ رَدُّ؟ » (رَاجِعَ ٢ : ١٩٧) .

## ٣ - مُخْتَارَاتٍ مِنْ شَعْرِهِ

- كَانَ أَحْمَدُ اللَّليَانِيُّ بَعِيدَ الطَّمُوحِ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ (بِالْوُصُولِ إِلَى السُّلْطَةِ مَثَلًا) . وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ يَقُولُ :

---

(١) أَنَّى : كَيْفَ . الْخَضِرُمْ : الْبَحْرُ الْعَظِيمُ .  
(٢) الْمَهْدِيَّيْنِ : ... (٩) . الْمَهْدِيَّةُ : بِلَدٍ فِي مَنَاصِفِ السَّاحِلِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ . بَنْتُ عَنْهُ : ابْتَعَدْتُ (مِنْ بَانَ يَبِينُ) . قَاصِرُ الْخَطْوِ (ضَعِيفٌ عَاجِزٌ عَنِ الْمَشْيِ) . الْهَادِجُ : الَّذِي يَمْشِي بِصُعُوبَةٍ أَوْ بَارْتِعَاشٍ .

في أمّ رأسي حديثٌ      لسامعٍ ليس يُنصِرُ<sup>(١)</sup>.  
 فإنّ تطاولَ عُمري      وساعَدَ الجَدُّ يَظْهَرُ<sup>(٢)</sup>.  
 أرى جُموعاً صِاحِاحاً،      ومذهبي أن تُكسّرَ<sup>(٣)</sup>.  
 - وله في الغزل:

شادنٌ في القلبِ مرتعُهُ      خَصَّه بالحُسنِ مُبدِعُهُ<sup>(٤)</sup>.  
 لامي فيه أخو سَفَهِ      بكلامٍ لست أسمعُهُ<sup>(٥)</sup>.  
 ردّ لي قلبي لِتَغْذُلِهِ،      فهو في كَفِّهِ أَجْمَعُهُ<sup>(٦)</sup>.  
 هل يُرى دهرٌ يجودُ به      بعدَ ما قد كان ينعُه.  
 وشقيقِ النفسِ يُتَحِفُنِي      بحديثٍ جَلَّ مَوْقِعُهُ<sup>(٧)</sup>،  
 لفظُسه دُرٌّ يُساقِطُسه،      وبَناني السَّمْعُ يجمَعُهُ<sup>(٨)</sup>.  
 - وقال أحمدُ اللّياثي في العتاب:

هذي العذيبُ، وهذه نَجْدُ!      أين الذي يَقْضِي بهِ الوَجْدُ<sup>(٩)</sup>؟

- 
- (١) أمّ الرأس: الدماغ. لسامعٍ ليس يبصر (يسمع كلامي ولكن لا يتبيّن معناه ولا يدرك ما يجنبّه له المستقبل).
- (٢) الجدّ (بالفتح): الخطّ.
- (٣) في البيت توريثان. الجمع الصحيح (جمع الأسماء جمعاً مذكراً سالماً أو مؤنثاً سالماً ثم، جماعات من الناس: أهل الدولة مثلاً). تكسير الجمع من الكلام جمعه على غير نسق معلوم: جمع نائر نائرون (جمعاً سالماً) ونوّار (جمع تكسير). وتكسير الجمع (من الناس) تفريقه.
- (٤) الشادن: الغزال الصغير (المحبوب). في الأصل: خصّه في الحسن أبدعه. المبدع: الخالق (الله).
- (٥) السفه: النقص في العقل.
- (٦) عدل: لام. - إذا أردت أن أسمع لَوَمَكَ في حبيبي حتّى أهجره فاعملْ أوْلاً على أن تردّ إليّ قلبي الذي هو أسير في يدي محبوبي.
- (٧) شقيق النفس: الذي هو عندك بمنزلة نفسك (روحك، حياتك). المحبوب. جلّ موقعه: عظم وقعه (تأثيره في نفسي).
- (٨) - كلام محبوبي درّ (جهر، لؤلؤ) يلقي به وهو يتكلّم، وأنا أصغي إليه بانتباه كأنّي ألتقط اللؤلؤ بيناني (أطراف أصابعي) من الأرض.
- (٩) العذيب: نبع ماء (وماؤه قليل ولكن حلو) قرب ينبع (نهر المدينة المنورة). هذي العذيب..... هاهي قريبة مني. الوجد: الحبّ. الذي يقضي به الوجد أن يزور الحبّ أرض حبيبه.



ما هكذا حالُ المُحِبِّ إذا      أعلامُ رُبْعٍ حبيبهِ تبدو<sup>(١)</sup>.  
سَرَّخَ دُمُوعَ العَيْنِ مُتَبَدِّراً      وبِذِكْرِ ماضِي عَهْدِهِمْ فَاشِدُ<sup>(٢)</sup>.  
وَأَلْثِمَ عَلَى شَفَفِ مَوَاطِنِهِمْ،      إنَّ عَاقَ عَنْ مَقْصُودِكَ الْبُعْدَ.  
لَمْ أُنْسَ يَوْمَ وَدَاعِهِمْ سَحَرًا،      والدمعُ أَسْلَمَ دُرَّةَ الْعِقْدِ<sup>(٣)</sup>.  
فَعَسَى اللَّقَاءُ يَكُونُ مُقْتَرِنًا      إنَّ أَنْجَدَتْ كَلْفًا بِهِ نَجْدُ<sup>(٤)</sup>.  
وَلَعَلَّ مَا نَرْجُو تَجُودُ بِهِ      كَفُّ الزَّمَانِ وَيُسَعِدُ الْجَدَّ<sup>(٥)</sup>.

٤ - \*\*      جمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٥ - ١٩٧؛ عنوان الأريب ١: ٧٣ - ٧٤.

### أبو بكر بن سيّد الناس

١ - هو أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَقِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ (٥٦١ - ٦١٨ هـ) بن عبد الله (٥١١ - ٥٩١ هـ) بن مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ<sup>(١)</sup> بن سيّد الناس اليَعْمُرِيُّ الإِسْبِيلِيُّ، أصلُ أهله من مُنْجٍ قُرْبَ حَلَبَ (في الشام)، وأصلُ أهله الأقربين من أْبَدَةَ من عَمَلِ جِيَّانَ.  
يذكرُ أبو بكرٍ بن سيّد الناس عن نفسه أَنَّهُ وَلِدَ لَعَشْرِ لَيَالٍ بَقِيَتْ من شهر أْكَتُوبِرِ الأعجميِّ في صدر سَنَةِ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ<sup>(٧)</sup>. فعلى هذا يكونُ مولدُهُ في عَاشِرِ المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٥٩٧ (١٢٠٠/١٠/٢١ م)، في الحُجَيْرَةِ من قُرَى إِسْبِيلِيَّةَ، وبدأ تلقّي العلم على

- (١) الأعلام: الجبال، الأماكن العالية البارزة. الربع: المسكن. - لا يفعل أحد مثل فعلي: يرى أرض حبيبه ثم لا يذهب إليها.
- (٢) ابتدرت العين: سال دمعها. المتدر (الذي يبكي كثيراً؟). شدا: غنى - كان ماضي عهدي معهم سعيداً.
- (٣) أسلم دره العقد: انقطع سلكه وتفرقت حبات لؤلؤه (كناية عن كثرة بكائه).
- (٤) أجدت: ساعدت (نجد على إتاحة الفرصة لزيارتها).... مقرباً (١).
- (٥) الجدّ (بالفتح): الخطّ.
- (٦) ساق الرواة نسب أبي بكر بن سيّد الناس سياقة أطول، مع شيء من الاختلاف (راجع «عنوان الدراية» و«الذيل والتكملة».
- (٧) سنة سبع وتسعين وخمسة. أكتوبر المعجمي (تشرين الأوّل) والشهر العاشر من السنة الشمسيّة في الحسبان الحديث.

أبيه ولازمه خمس عشرة سنة، وعلى جدته لأبيه أم العفاف نزهة بنت سليمان اللخمي ولازمها ست سنوات ونصف سنة. ثم يذكر نقرأ كثيرين من الذين قال إنه تلقى العلم عليهم، منهم: أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر السلمي (ت ٦٠٣ هـ) وأبو ذر مصعب بن محمد الحشني (ت ٦٠٤ هـ) وأبو الحسن بن خروف النحوي (ت ٦٠٩ هـ) وابن جبير الرحالة (ت ٦١٤ هـ) وأبو القاسم محمد بن عبد الواحد الملاح (ت ٦١٩ هـ) وغيرهم كثير، حتى قال ابن عبد الملك المراكشي (الذيل والتكملة: ٥: ٦٥٧): «وشيوخه كثيرون يتعذر إحصاؤهم ويدعو إلى السأم استقصاؤهم»، مع أنه قد سرد من أسائهم ما ملأ أربع صفحات (٥: ٦٥٤-٦٥٨). ويبدو أن ابن سيد الناس كان مبالغاً في عدد الذين تلقى عنهم العلم وفي العلم الذي تلقاه أيضاً، حتى (الذيل والتكملة: ٥: ٦٥٨) «أنكر كثير من الناس عليه ذلك وسبوه إلى آدعائه ما لم يرويه (من العلم) ولقاء من لم يلقه (من الشيوخ) على الوجه الذي زعمه».

وأكتب أبو بكر بن سيد الناس (أي جعل الناس يكتبون عنه ما يلقي من فروع العلم) بحضن القصر (قرب إشبيلية) مدة - وفي الإكتاب أذهب معظم عمره في الأندلس - ثم فصل عنها وأكتب القرآن في قرية خاملة من قرى شريش (من أقصى الجنوب الغربي من الأندلس) تدعى بونينة. ثم فصل (نرح) من بونينة، بعد سنة ٦٤٠ للهجرة، إلى سبتة (في أقصى الشمال من المغرب، على البحر المتوسط)، بعدئذ انتقل إلى بجاية (في القطر الجزائري اليوم) فتولى الإمامة والخطابة بجامعها.

وفي حدود سنة ٦٥٤ للهجرة (١٢٥٦م)، دعاه المستنصر<sup>(١)</sup> الحفصي (٦٤٧-٦٧٥ هـ) إلى تونس الحاضرة وولاه الإمامة والخطبة بجامعه. وقد كانت وفاته بحاضرة تونس، في جمادى الأخيرة<sup>(٢)</sup> من سنة ٦٥٩ للهجرة

(١) في عنوان الدراية المستنصر (ص ٢٤٧) مرتين. وفي الحاشية: تخطئة لنيل الابتهاج لأنه قال المنتصر (راجع نيل الابتهاج ٢٢٩). وفي «خلاصة تاريخ تونس» لحسن حني عبد الوهاب «المنتصر (ص ١٠٨-١٠٩) أربع مرات، وفي الصفحة ١٢٥ «المنتصر». وفي زامباور (ص ١١٥): «المنتصر» وفي الحاشية المستنصر.

(٢) في «عنوان الدراية (ص ٢٤٩): وكانت وفاته يوم الثلاثاء، الثالث والعشرين جمادى الآخرة، سنة تسع =

(١٢٦١ للميلاد). وَلَحِقَهُ قُبَيْلَ موته مَرَضٌ فِي عَيْنَيْهِ (راجع نفع الطيب ٤ : ١١٠).

٢- كان أبو بكر بن سَيِّدِ النَّاسِ بارعاً في القِراءات حافِظاً للحديث عارفاً برجاله وبأسمائهم وبتاريخ وفياتهم ومبَلِّغَ أعمارهم. وكان يَقُومُ على البُخاري<sup>(١)</sup> قِياماً حَسَنًا. وكان إذا قرأ الحديث يُسَنِّدُهُ (إلى رُواته) حَتَّى يَنْتَهِيَ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ إِذَا أَنْتَهَى الإسنادُ (رُجوعاً إلى الرسول) عادَ إلى ذِكْرِ رجاله من الصَّحابة والتابعين فَمَنْ بَعْدَهُمْ واحداً واحداً يُعَرِّفُهُمْ نَسَباً وأَسْماً وَصِفَةً (حَتَّى يَنْتَهِيَ نُزولاً) إلى شيخه..... ثُمَّ يَذْكُرُ لُغَةَ الحديث وَفَقْهَهُ والخِلَافَ العَالِي<sup>(٢)</sup> ودَقائِقَهُ ورقائِقَهُ والمُسْتَفادَ منه (راجع عنوان الدراية ٢٤٦-٢٤٧ ونيل الابتهاج ٢٢٩).  
ثُمَّ هو خَطِيبٌ وَلُغَوِيٌّ وتاريخيٌّ وشاعرٌ.

وقيل في أبي بكر بن سَيِّدِ النَّاسِ (الذيل والتكملة ٥ : ٦٥٨-٦٥٩): «وتصدَّى لإسماع الحديث وغيره مُتظاهراً بِسَعَةِ الرِّوَايَةِ والإكثار عن<sup>(٣)</sup> الشيوخ... فأنكر كثيرٌ من الناس عليه ذلك.... وعلى الجُملة، فقد كان قاصراً عمّا تعاطاه من ذلك شديد التَّجاسُرِ عليه، مُتأَيِّداً بما ناله من الجاه والحُظوة عند الأمير بِتُونِسَ».

### ٣- مختارات من آثاره

- قال أبو بكر بن سَيِّدِ النَّاسِ يَتَشَوَّقُ إلى زيارة البيتِ الحرامِ (الكعبة المُشَرَّفَةِ في مكة):

أيا سائراً نحو الحِجَازِ، وقَصْدُهُ إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ، بَلَّاغٌ<sup>(١)</sup>.  
ومِنْهُ إلى قَبْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ يكونُ له بالروَضَتَيْنِ مَراغٌ<sup>(٥)</sup>.

= وخين وستائة. وفي «الذيل والتكملة» ٨ أو ٧ جمادى الثانية، وفي «نيل الابتهاج»: ثالث عشر جمادى الأخيرة ٦٥٧. توفي بتونس في رجب (شذرات الذهب ٥ : ٢٩٩).

(١) كتاب «الجامع الصحيح» (في أحاديث رسول الله) لِمُحَمَّدِ بْنِ إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ).

(٢) الخلاف العالِي = الخلاف في الأحاديث العوالي التي يروها أفراد معاصرون للرسول (٢).

(٣) مُدْعِياً أَنَّهُ تَلَقَّى العِلْمَ على شيوخ كثيرين.

(٤) قصده (نَيْتَهُ) بَلَّاغٌ (تَبَلَّغَهُ مرَّاه وتوجب له الأجر وإن لم يصل) (٤). أو أُرْجُو أن تَبَلَّغَ سلامي.

(٥) الروضة الشريفة (مكان قبر الرسول). المِراغ والمِراغة: المكان الذي يَتَمَرَّغُ فيه الشَّخْصُ (يَتَقَلَّبُ على التراب ليحك جسمه بالأرض أو للتذلل أو لليأس، الخ).

فِيَا أَسَفًا، كَمْ قَدْ تَمَنَيْتُ قَصْدَهُ  
وَقَصَّرَ بِي جَدِّي، إِذِ الْأَمْرُ فِي يَدِي  
(وَذَا) الْآنَ قَدْ خَطَّ الْمَشِيبُ بِمَفْرِقِي،  
أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْمُنَى، وَتُصَدِّقُنِي  
عَسَى تَوْبَةً قَبْلَ الْمَمَاتِ وَزَوْرَةٍ  
وَأَلْقَى شُبُوحًا يُؤْنِسُ الْمَرْءَ مِنْهُمْ

فَأُذْفِعُ عَنْ قَصْدِي لَهُ وَأُرَاغُ<sup>(١)</sup>.  
جَمِيعٌ، وَعِنْدِي ثَرَوَةٌ وَفَرَاغُ<sup>(٢)</sup>.  
وَكُلَّلَ رَأْسِي مِنْ حُلَاهُ صِبَاغُ<sup>(٣)</sup>،  
ذُنُوبٌ لَهَا عِنْدَ الْفِرَاقِ مَصَاغُ<sup>(٤)</sup> (٥).  
فَيُنْضَحُ مِنْ شَيْنِ الذُّنُوبِ رِذَاغُ<sup>(٥)</sup>،  
أَحَادِيثُ صِدْقٍ تُجْتَلَى وَتُصَاغُ<sup>(٦)</sup>.

- ومن رسالة بخط أبي بكر بن سيد الناس يقول فيها (الذيل والتكملة ٥ :

٦٥٩ - ٦٦١):

أَمَّا أَصْلُنَا فَمِنْ مَنَبِجِ الشَّامِ. وَخَرَجَ سَلَفُنَا غُرَاةً فِي طَالِعَةِ بَلَجٍ<sup>(٧)</sup> وَاسْتَوْتُونَا أَبْدَةً  
جَيَّانَ - وَيُقَالُ إِنَّهَا شَبِيهَةٌ بِلَدِّهِمْ فِي خِصْبِهَا وَأَسَاعِ خَيْرِهَا - كَذَا رَأَيْتُهُمْ وَسَمِعْتُهُمْ  
يَتَلَفَّظُونَ بِهَا، بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ. وَفِي أَخْبَارِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ، إِذْ ذَاكَ، تَكَلَّمُوا  
فِيهَا بِالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ... وَمَوْلُدُ جَدِّي الْفَقِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ بِأَبْدَةِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمِيسَاءَةٍ.  
وَتُوفِّيَ فِي إِسْبِيلِيَّةَ عَامَ (مَعْرَكَةِ) الْأَرْكَ سَنَةِ إِحْدَى وَتَسْعِينَ<sup>(٨)</sup>. وَمَوْلُدُ أَبِي يَاسْبِيلِيَّةَ فِي

- (١) « ادفع » حقها النصب بأن مضرة بعد فاء السببية (بعد فعل التمني). ولكن يجب حينئذ نصب « أراغ » فيحدث إقواء (عيب: نصب بدل الرفع في القافية). أراغ: أبعد (عن الطريق السوي).
- (٢) الجد (بالفتح): الخط. في الأصل « إذا » (الصواب إذ). - أنا مستطيع أن أذهب إلى الحج، ولكن حظي سيء فلم تنح لي فرصة بعد للذهاب.
- (٣) خط: كتب (بدأ الشيب في رأسي). كلل رأسي: أحاط برأسي صباغ (لون أبيض: شيب) من حلاه: زينته. - كان لون مشيبه جميلاً.
- (٤) ذنوب لها عند الفراق مصاغ (٥): تنحرف بي عن قصدي.
- (٥) زورة (للمدينة، لقبر الرسول). الشين: العيب. نضح: غسل بالماء. الرذاغ: الوحل. أرجو إذا زرت مكة والمدينة أن تصل تلك الزورة (مع التوبة) ما علي من عيب الذنوب.
- (٦) شيوخ (أساتذة). أحاديث صدق: أحاديث صادقة (ثابتة، صحيحة). تجتلى: يطلب الإنسان اجتلاءها (النظر إليها). وتصاغ (تجعل زينة لما يحفظه الإنسان من فنون العلم).
- (٧) بلج بن بشر القشيري (ت ١٢٤ هـ) قائد جيش جاء من الشام لإخضاع الثائرين في إفريقية (تونس) ثم دخل الأندلس وشارك في القتال. راجع أخباره مفصلة في الجزء الرابع من هذه السلسلة (ص ٤٣ وما بعد).
- (٨) سنة ٥٩١ هـ. ومعركة الأرك انتصر فيها الموحدون على الإيبان في الأندلس وخففوا وطأة الإيبان عن المسلمين هناك. راجع في هذه السلسلة الجزء الخامس (ص ٣٦٠).

جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةً إِحْدَى وَتَسْعِينَ (وخمسمائة)، وَتُوْفِّيَ بِهَا فِي مُنْتَصَفِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةً ثَمَانِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةً. وَمَوْلَدِي بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى إِشْبِيلِيَّةٍ تُسَمَّى الْحُجْبِيرَةَ، خَرَجَ أَبُوَايَ لَهَا فِي غَلَّةِ الزَّيْتُونِ لِضَمِّ فَائِدٍ<sup>(١)</sup> أَمْلَاكِهِمْ - وَكَانَا مُتَحَابِّينِ لَا يَضُرُّ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، فَخَرَجَا جَمِيعًا إِلَيْهَا - فَكَانَتْ وَلَادَتِي بِهَا لِضَرْ لَيَالٍ بَقِيَتْ مِنْ شَهْرِ أُكْتُوبَرِ<sup>(٢)</sup> الْعَجَمِيِّ، وَلَا أَدْرِي مَا وَافَقَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْعَرَبِيَّةِ لِتَلَفِّ تَقْيِيدَاتِي وَتَقْيِيدَاتِ سَلَفِي فِي ضَيْعَةٍ<sup>(٣)</sup> كُنْتُي. إِلَّا أَنَّ وَالِدَتِي كَانَتْ تَقُولُ: كُنْتُ لَيْلَةَ مَوْسَمِ يَنْبَرٍ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً<sup>(٤)</sup>، وَإِلَّا مَا تَحَقَّقَتْهُ بِآخِرَةٍ<sup>(٥)</sup> مِنْ وَجْهِهِ (مَنْ) أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي صَدْرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ، قَبْلَ السَّيْلِ الْكَبِيرِ بِأَشْهُرٍ.

٤- ★★ الذيل والتكملة ٥: ٦٥٣ - ٦٦٢ (رقم ١٢٤٥)؛ عنوان الدراية ٢٤٦ - ٢٤٩؛ نيل الابتهاج ٢٢٩ - ٢٣٠؛ شذرات الذهب ٥: ٢٩٨ - ٢٩٩.

### ابن عبدون المكناسي

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي المكناسي، من أهل مكناس، كانت وفاته في العشر الأول من ذي القعدة من سنة ٦٥٩ (خريف ١٢٦١ م) في الأغلب.

٢- ابن عبدون المكناسي شاعر متين السبك جزل المعاني على شعره نفحة مشرقية بارزة. وفنونه الغزل والعتاب ووصف الطبيعة ينحو فيها المنحى الوجداني. ويبدو أنه كانت له مشاركة في القراءات والفقه.

(١) غلة الزيتون = موسم الزيتون (في الخريف). الفائذ = الفائذة (٢): محصول أراضيهم.

(٢) أكتوبر (راجع مطلع ترجمة أبي بكر بن سيد الناس).

(٣) ضيعة = ضياع (بالفتح: فقدان).

(٤) ..... (٥).

(٥) الفضان العظيم.

### ٣- مختارات من شعره

- قال ابن عبدون المكناسي في الشيب:

لَمَّا تَرَأْتِ لِلْمَشِيبِ بِمَفْرِقِي      شُهْبٌ أَغْرَنَ عَلَى شَبَابِي الْأَذْهَمَ<sup>(١)</sup>،  
أَبْدَى التَّجَهُمَ مَنْ أَحَبُّ.      أَمَّا دَرَى أَنَّ الدِّيَاجِيَّ حُسْنُهَا بِالْأَنْجُمِ<sup>(٢)</sup>؟

- وقال في فاس ومكناس:

إِنْ تَقْتَحِرْ فَاسٌ بِمَا فِي طَيْهَا      وَبَأْتَهَا فِي زَيْهَا حَسَاءُ<sup>(٣)</sup>،  
يَكْفِيكَ مِنْ مِكنَاسَةٍ أَرْجَاؤُهَا      وَالْأَطْيَانِ: هَوَاؤُهَا وَالْمَاءُ<sup>(٤)</sup>!

- وقال في العتاب:

يَا جِيرَتِي وَمَنْ أَسْتَجَرْتُ بِهِمْ      مِنْ جَوْرِ عِزِّهِمْ عَلَى ذُلِّي<sup>(٥)</sup>،  
عَلَّقْتُ حَبْلَ مَحَبَّتِي بِكُمْ.      بِحَيَاتِكُمْ، لَا تَقْطَعُوا حَبْلِي.  
مَا كَانَ أُنْدَى ظِلِّ عَيْشَتِنَا      إِذْ كَانَ مُنْتَظِمًا بِكُمْ شَنْلِي؛  
إِذْ نَجَّيْتَنِي ثَمَرَ الْمُنَى ذُلًّا      فِي رَوْضِ أُنْسٍ وَافِرِ الظِّلِّ<sup>(٦)</sup>،  
عُودُوا إِلَى عَادَاتِ وَصْلِكُمْ:      لَا تَحْرِمُونِي لَذَّةَ الْوَصْلِ.  
حَاشَاكُمْ، وَالْفَضْلُ شَيْئُكُمْ،      أَنْ تُعْقِبُوا الْإِخْصَابَ بِالْحُلِّ<sup>(٧)</sup>،  
وَإِذَا أَبَيْتُمْ غَيْرَ جَوْرِكُمْ،      فَالْجَوْرُ مِنْكُمْ غَايَةُ الْعَذْلِ.  
إِنْ شِئْتُمْ قَتْلِي، فَهَا أَنَا ذَا.      لَا تَحْذَرُوا مِنْ طَالِبِ دَحْلِي<sup>(٨)</sup>!

(١) الفرق المكان الذي يفصل فيه الإنسان بين شعره. شهب: نجوم (شعرات بيض).

أغرن = هجمن - الأذهم: الأسود. - كثر الشعر الأبيض في شعري الذي كان شديد البواد.

(٢) تجهم فلان فلانا: استقبله بوجه عابس كرهه.

(٣) بما في طيها: داخلها (ماضيها من الآثار الجلييلة والمكانة الرفيعة).

(٤) الأرجاء جمع رجا: الناحية.

(٥) الجور: الظلم (الاستبداد).

(٦) ذلل جمع ذلول: سهل. يسهل الوصول إليه.

(٧) الشيعة: العادة (الجميلة). المحل (بالفتح): القحط. - (أعيدكم من أن تقطعوني بعد أن كنتم تحنون إلي).

(٨) الدحل: الثأر.

٤- \*\* نفع الطيب ٦: ٢١٢، النبوغ المغربي ١٧٠-١٧١، ٧٢٤-٧٢٥، ٧٦٣-٧٦٤؛  
الأعلام للزركلي ١٣٦: ٧ (٥٦: ٦).

### ابن سُرَاقَة الشاطبيّ

١- هو أبو عبد الله (ويُكنى أيضاً : أبا بكرٍ وأبا القاسم) مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ<sup>(١)</sup> بْنِ مُحَمَّدٍ  
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَنْصَارِيِّ الشَّاطِبِيِّ المعروفُ بِابْنِ سُرَاقَة. وُلِدَ فِي شَاطِبَةَ فِي رَجَبٍ  
مِنْ سَنَةِ ٥٩٢ (حزيران - يونيو ١١٩٦ م). وَقَدْ سَمِعَ مِنْ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقَرْطُبَةَ أَبِي  
الْقَاسِمِ (أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ بَقِيٍّ (ت ٦٢٥ هـ).

وَرَحَلَ ابْنُ سُرَاقَة فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ رِحْلَتُهُ فِي زَمَنِ  
بَاكِرٍ جِدًّا حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ أَبِي الْحَاسَنِ بْنِ شَدَّادٍ (ت ٦٣٢ هـ)، فِي بَغْدَادٍ أَوْ  
فِي أَثْنَاءِ رِحْلَةٍ ابْنِ شَدَّادٍ إِلَى حَلَبَ. وَكَذَلِكَ سَمِعَ فِي الْعِرَاقِ مِنْ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ  
السُّهْرَوَرْدِيِّ (ت ٦٤٣ هـ) وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْجَوَالِقِيِّ وَأَبِي حَفْصٍ الدِّينَوْرِيِّ وَآخَرِينَ.

وَتَوَلَّى ابْنُ سُرَاقَة دَارَ الْحَدِيثِ الْبَهَائِيَّةَ فِي حَلَبَ (مُدَّةَ سِيرَةٍ، فِيمَا يَبْدُو)، إِذْ أَنَّهُ  
أَنْتَقَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَتَوَلَّى بِهَا دَارَ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةَ، مِنْ سَنَةِ ٦٤٢ لِلْهِجْرَةِ إِلَى حِينَ  
وَفَاتِهِ سَنَةِ ٦٦٢ (١١٦٣ - ١١٦٤ م).

٢- كَانَ ابْنُ سُرَاقَة الشَّاطِبِيِّ أَحَدَ الْأَثَمَةِ الْمَشْهُورِينَ بِالْعِلْمِ وَأَحَدَ الشُّيُوخِ الْمَعْرُوفِينَ  
بِالتَّصَوُّفِ؛ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ، وَقَدْ تَوَلَّى نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْقَضَاءِ. ثُمَّ هُوَ شَاعِرٌ  
عَلَى مَذْهَبِ الْقَوْمِ (التَّصَوُّفِينَ). وَشِعْرُهُ سَهْلٌ وَاضِحٌ، وَلَكِنَّهُ يَغْمُضُ عَلَى الْقَارِئِ الْعَادِيِّ  
أَحْيَانًا بِمَعَانِيهِ الصُّوفِيَّةِ أحياناً. وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ أَلَّفَ كُتُبًا فِي التَّصَوُّفِ.

### ٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ سُرَاقَة الشَّاطِبِيُّ أُبَيَاتًا فِيهَا مَعَانٍ صُوفِيَّةٌ، فِيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهَا:

---

(١) فِي نَسْقِ نَسَبِهِ خِلَافَ. رَاجِعْ حَاشِيَةَ فِي الْأَعْلَامِ لِلزَّرْكَلِيِّ.

نَصَبْتُ، ومثلي للمكارم ينصب،  
وحاولت إحياء النفوس بأسرها  
وأتعِبُ إن لم تمنح الخلق راحة،  
مرادِي شيء، والمقادير غيره.  
\* إلى كم أمني النفس ما لا تناله  
وقد مرّ لي خمس وعشرون حجة  
وأعلم أنني - والثلاثون مُدَّتِي -  
فماذا عسى في هذه الخمس أرتجي  
- وقال في الصديق المخلص:

وصاحب كالزلزال يحو  
لم يخص إلا الجميل مني،  
صفاؤه الشك باليقين.  
كانه كاتب اليمين<sup>(٧)</sup>.

- (١) نَصَبَ يَنْصِبُ (يكسر الصاد في الماضي وفتحها في المضارع): جدّ وسمى وصمّد (أتجه إلى الشيء). ومثلي للمكارم ينصب (يقصد أن يرقى إلى المكارم). رام: أراد. غرّب (بتشديد الراء): اتجه نحو الغرب، أمعن في سفره (بالغ في عمله). ورمّت شروق الشمس وهي تغرب: أردت أن تظلّ الشمس مشرقة، بينما هي من عاداتها أن تشرق وتغرب (أردت خلاف ما تعودّه البشر).
- (٢) وحاولت إحياء النفوس (بالعلم) بأسرها (كلّها)، وقد غرغرت (تردّدت الروح عند الموت في الحلق = وقد أوشكت نفوس البشر أن تموت من الجهل لمعرفة الحقيقة).
- (٣) .... إن لم تمنح (يا ربّ العالمين؟) .... وغيري إن لم يتعب الخلق يتعب<sup>(٤)</sup>.
- (٤) المراد: البغية (بالضمّ)، المطلوب. المقادير (ما قضاه الله على عباده وأرادهم أن يفعلوه أو ما كتب عليهم من الحوادث).
- (٥) كان الشاعر يظنّ أنّه سيعيش ثلاثين سنة فقط. وكان لما قال هذه المقطوعة في الخامسة والعشرين من العمر (راجع البيت السابق) - في هذه السنّ (بين الخامسة والعشرين والثلاثين) يكون الإنسان ميالاً إلى الذهاب إلى مفاتي (أماكن) الله، ومع ذلك فأنا أرفض اللهو (في هذه السنّ) رفضاً باتاً. حر (بفتح الحاء وبلا شدّة على الراء): خليق، أهل، يستحق.
- (٦) في هذه الخمس (في السنوات الخمس الباقية من عمري). وجدي: حيّ، شوقي (ميل نفسي إلى اللهو) إلى أوب (رجوع) من العشر (عشر سنوات). أفضى: أدّى، وصل. - أنا الآن أشعر بالميل إلى اللهو كآتي لا أزال ابن عشر سنين<sup>(٤)</sup>.
- (٧) ... لا يذكر إلا أفعالي الجميلة الحسنة الصالحة. - على كَيْفِي كلّ فرد من الناس مكان (بفتح ففتح):



٤-★★ فوات الوفيات ٢: ١٨٥-١٨٦؛ الوافي بالوفيات ١: ٢٠٨-٢٠٩، شذرات الذهب ٥: ٣١٠-٣١١؛ نفح الطيب ٢: ٦٣-٦٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٧ (٥: ٣٢٢).

## أبو الحسن بن محمد الجيّاني

١- هو أبو الحسن علي بن محمد بن حسن الأنصاري الإشبيلي الجيّاني، أخذ النحو عن أبي الحسن بن الدبّاج وأبي علي بن الشلوين. ثم إنه تصدر للتدريس وتولّى القضاء مدّة بخصن القصر (قرب إشبيلية). بعدئذ نزل في مراكش، وقد استكتبه الرشيد الموحدي (٦٣٠ - ٦٤٠ هـ) حيناً. وكانت وفاته سنة ٦٦٣ هـ (١١٦٤ هـ = ١١٦٥ م).

٢- يبدو أنّ أبا الحسن بن محمد الجيّاني قد وقف جميع آثاره على مدح الرسول. ومع أنّ آثاره هذه عادية في معانيها وفي المعجزات التي سردها من تلك الخارقة للعادة والخارقة للطبيعة، فإنّا نلمح فيها عاطفة دينية مشوبة ورغبة ملحّة في زيارة قبر الرسول خاصّة. ويبدو أن هذه الفرصة لم تتح له قط. من أجل ذلك كتب رسالة طويلة بهذا المعنى وأرسلها لتوضع على قبر الرسول. وبعض شعره أكثر عذوبة من نثره.

### ٣- مختارات من آثاره:

- من بديعياته (في مديح الرسول)<sup>(١)</sup>:

كيف لا أندبُ عهداً بالحمي عن جفوني طارق النوم حمي<sup>(٢)</sup>؟  
نزعست شوقاً إليه مهجة لم يدغ منها الهوى غير ذما<sup>(٣)</sup>.

اثنان من الملائكة يُحصى الذي على الكتف اليمنى منها الأعمال الصالحة التي يأتي بها ذلك الفرد، ويحصى الآخر أعمال الفرد السيئة.

(١) أسماء الأماكن في هذه القصيدة ليست أعلاماً جغرافية معيّنة. بل رموز للمكان الذي يتشوّق إليه المتصوّف أو المتفرّج.

(٢) الطارق: الآتي ليلاً. طارق النوم: النوم الطبيعي.

(٣) نزعست: مالت، تشوّقت. مهجة: دم القلب (القلب). الذماء (بالفتح): بقية الروح في الجسم.

يا ليلينا بذي الغور، أما  
وعهوداً باللوى قد سَلَفَتْ  
يا حُدَاةَ العيس، رِفْقاً! إِنِّهَا  
أَوْهَنَ الْوَحْدُ قُوهَنَ، فَإِنْ  
مَدَّتِ الْأَعْنَاقَ لَمَّا رَمَلَتْ  
هَادِيَاتٍ بِالْهُوَادِي، كُلَّمَا  
جَنَّبُوهَا مَوْرِدَ الْمَاءِ، فَقَدْ  
وَعِدَاهَا بَعْدَاهَا ظَفَرًا  
إِنِّهَا قَدْ حَمَلَتْ شُعْنًا، إِذَا  
شَرَبُوا الدَّمْعَ حَمِيًّا وَأَرْتَوُوا،  
مَنْ عَذِيرِي مِنْ زَمَانٍ قَدْ مَضَى  
حَسْرَتَا إِنْ لَمْ أُبَلِّغْ أَمَلِي  
إِنَّ حَنِيَّ فِي غَدٍ أَنْ أَغْتَدِي  
النَّبِيَّ الْأَبْطَحِيَّ الْمُجْتَبَى

يَتَسَلَّى الْقَلْبُ عَنْكَ أَمَا  
لَمْ أَزَلْ أَبْكِي عَلَيْكَ دَمًا.  
شَكَتِ الْجَهْدَ وَبُعْدَ الْمُرْتَمَى<sup>(١)</sup>.  
لَا حَ نَجْدُ خِلْتَ فِيهَا لَمَّا<sup>(٢)</sup>.  
بَنَّا الرَّمْلَ وَأَكْنَفِ الْجَمِي<sup>(٣)</sup>،  
ضَلَّ حَادٍ جَاذِبَتَهُ الْخَطَا<sup>(٤)</sup>.  
حَرَمْتُهُ أَوْ تَزُورَ الْحَرَمَا<sup>(٥)</sup>.  
وَسُرُورًا يَوْمَ تَأْتِي الْمَوْسَا<sup>(٦)</sup>.  
مَا بَكُوا قُلْتَ غَمًّا سَجَا<sup>(٧)</sup>.  
وَلِذَا عَافُوا الزَّلَالَ الشَّبَا<sup>(٨)</sup>.  
أَقْرَعُ السَّنَّ عَلَيْهِ نَدَمًا.  
قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الرَّدَى مُخْتَرِمًا<sup>(٩)</sup>.  
لَا إِذًا بِالْمُصْطَفَى مُخْتَرِمًا<sup>(١٠)</sup>.  
سَيِّدِ الْخَلْقِ الْكَرِيمِ الْمُتَنَمَّى<sup>(١١)</sup>.

- (١) يا حداة (سائقي) العيس (النياق). الجهد: التعب. المرتى: الطليعة (الذي يبر في مقدمة القوم) - والشاعر يقصد المراد (المكان الذي يؤدّ الذهاب إليه).
- (٢) أوهن: أضعف. الوحد: السير (السريع المتوالي)، ومع ذلك فلما اقتربنا من نجد (من المكان الذي نشاق إليه) ظن أن بهالماً (جنوناً) لكثرة ما أسرعت من جديد.
- (٣) «رمل» يقصد بها هنا: غرقت قوائمها في الرمل وعجزت عن السير (وهذا معنى ليس في القاموس)، مدّت أعناقها لتصبح أقرب إلى المكان المقصود ببيضة أصابع، هرول.
- (٤) الهادية: الناقة التي تسير في مطلع القافلة (لأنها تعرف الطريق). الخطام (بالكسر): اللجام. - شوقها يجعلها تعرف الطريق الصحيح أكثر من الهادي (السائق).
- (٥) لا تحاولوا أن تسقوها ماء في أثناء الطريق، لأنها عزمتم على ألا تشرب ماء قبل وصولها إلى مكة.
- (٦) عداها (فعل أمر للمثنى من «وعد») العدا: الأعداء. الموسم: اجتماع الناس في الحج.
- (٧) الأثمت: الذي أغبر وجهه وتشتت شعره من طول السفر وغبار الطريق. سجم: سال بكثرة.
- (٨) الحميم: الحار. الزلال: الماء الصافي. الشم: البارد.
- (٩) اخترم الموت الرجل: أخذه (قبل أوأانه).
- (١٠) حسي: كفاية لي. لا ئذ: ملتجئ. المصطفى: رسول الله. مخترمًا = متحرماً: لا ينالني أحد بسوء.
- (١١) الأبطحى: من بطحاء مكة (أشرف بقاعها وأعزها). المجتبى (الختار المقرب). المتنمى: الأصل.

الرسول الساطع النور الذي قد جلا نور هُداة الظلما.

- وله من رسالة طويلة كُتِبَ بها لتُؤخذَ إلى قبرِ رسولِ الله:

إلى سيّدِ المرسلينَ ورسولِ ربِّ العالمينَ، الذي جُعِلَتْ له الأرضُ مَسْجِداً وطهوراً<sup>(١)</sup>، وكان ولم يَزَلْ مُتَنَقِّلاً من صُلبِ آدَمَ نوراً<sup>(٢)</sup>. من يَلْجأُ إليه يومَ الفَرَعِ الأكبرِ النَّبِيُّونَ<sup>(٣)</sup>، ويرجو مَذْخُورَ شَفَاعَتِهِ في غَدِ المِيسُوثونَ. ذُؤَابَةُ بني هاشمِ المُتَجَشِّمِ في ذاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ أَصْعَبَ المَهاشِمِ<sup>(٤)</sup>. .... الميمونُ النقيبة والطليعة<sup>(٥)</sup>، المُشِيرُ إلى الأصنامِ فَخَرَّتْ صَريعةً<sup>(٦)</sup>. حبيبُ اللهِ وخليئته ومن أُنْزِلَ عليه تحرُّمُهُ وتحليلُهُ، وقام على صِدْقِهِ بُرْهانُ الحقِّ الواضحِ ودليلُهُ. الذي أعْجَزَ البُلغَاءَ وَهُمْ أَوْفَرُ الناسِ في وقتهِ عَدَدًا<sup>(٧)</sup>، ولو أَتَّخَذُوا البحرَ مِدَاداً والأشجارَ مَدَدًا<sup>(٨)</sup> فَضَحَّهْمُ بِبَاهِرِ آيَاتِهِ وَمَا فَجَرَهُمُ الكاذِبُ سَطُوعُ آيَاتِهِ<sup>(٩)</sup>، الذي جُمِعَتْ له شَتَى الفضائلِ وضُرُوبُهَا....

٤- ★★ الذيل والتكملة ٥: ٢٨٧ - ٣٠١ (رقم ٥٧٩)؛ الأعلام للزركلي (٤: ٣٣٣).

- (١) في الحديث «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» (في الإسلام تجوز الصلاة في كل مكان من غير ضرورة إلى بناء مخصوص أو لباس معين).
- (٢) انتقل النور من آدم إلى أبنائه واحداً بعد واحد، في نسب متصل مستقيم، حتى وصل إلى محمد رسول الله.
- (٣) يوم الفرع الأكبر: يوم القيامة. مذكور الشفاعة: الشفاعة المدخرة لتكون يوم القيامة من حق محمد رسول الله.
- (٤) الذؤابة: أعلى القوم. المتجشم: الذي لاقى في سبيل الدعوة إلى الله أشد المصاعب.
- (٥) الميمون: المبارك. النقيبة: الطليعة. (طلائع الجيوش التي قامت بالجهاد!).
- (٦) لما كان فتح مكة، سنة ٨ (٦٣٠ م) صعد الرسول إلى ظهر الكعبة وبيده قضيب كان يدفع به الأصنام ويلقيها أرضاً وهو يتلو: ﴿قل: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً﴾ (سورة الإسراء، ٨١: ١٧). خرت: سقطت. صريعة: ملقاة أرضاً (لا فرق بينها وبين سائر الحجارة في الأرض).
- (٧) بلاغة الرسول (وكان أمياً لا يحط ولا يقرأ الخط) كانت معجزة ظاهرة في زمن اشتهر أهله بالبلاغة.
- (٨) المداد: الحبر. المدد: النجدة (لو جعلت جميع الأشجار تصلح لتكون أقلاماً).
- (٩) أول نور الفجر يكون ضعيفاً فيسمى الفجر الكاذب (لا تحين به صلاة الصبح) ثم ينتشر النور من وراء الأفق واضحاً فيسمى الفجر الصادق. السطوع: الضياء القوي. الآيات: العلامات، الدلائل، الضروب: الأنواع.

## ابن الفَخَّارِ الرُّعِينِي

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بن عليٍّ بن محمد بن عبد الرحمن بن هَيْصَمِ الرُّعِينِي المعروف بأَبْنِ الفَخَّارِ، وُلِدَ في إشبيلية في شَعْبَانَ من سَنَةِ ٥٩٢ (صيف ١١٩٦ م) وفيها نشأ وأخذ عن شيوخ عصره - وقد عدَّ منهم في «برنامجه» مائةً وأثني عشر - منهم: أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بن خروفِ النحويِّ (ت ٦٠٩ هـ) ومحمد بن عبد النورِ السبقيُّ المقرئ (ت ٦١٤ هـ) وأبو الحسين محمد بن محمد بن زرقونِ الفقيه المحدث (٥٣٩-٦٢١ هـ) وأبو القاسم عامر بن هشامِ الأزديُّ القرطبيُّ الشاعر (٥٥٣-٦٢٣ هـ) وأبو الحسن عليُّ بنُ محمدِ البلويِّ الفقيه (٥٥٤-٦٢٣ هـ) وأبو عبد الله محمد بن إدريس بن مرجِ الكُحْل (ت ٦٣٤ هـ).

جلس أبْنُ الفَخَّارِ الرُّعِينِيُّ للتدريس والإفادة منذ سَنَةِ ٦١٤ للهجرة. وكان كثيرَ التنقُّلِ في الأندلس والمغرب: في سنة ٦١٥ للهجرة كان قاضياً في مَورُور (من جنوب الأندلس بين شريش وقرمونة وإشبيلية). ثم رأيناه في مالقة (٦١٥ هـ) وإشبيلية وفي قرطبة (٦٢٥ هـ). وفي سبته بالمغرب (٦٢٩ هـ)، ثم في غرناطة (٦٣٦ هـ)، وتلمسان بالمغرب (٦٤٦ هـ). في هذه الأثناء كتبَ (في ديوان الإنشاء) لنفرٍ من ملوك الأندلس وملوك العُدوة الإفريقية. وفي آخرِ عُمُرِهِ استقرَّ في مَرَّاكُشَ حيثُ تُوُفِّيَ في الرابع والعشرين من رمضان سَنَةِ ٦٦٦ (٧ / ٦ / ١٢٦٨ م).

٢- ابنُ الفَخَّارِ الرُّعِينِيُّ فقيهٌ ومُحدثٌ وأديبٌ ناثِرٌ مُترسِّلٌ وناظمٌ، وكتابته تتصف بخصائص عصره من الميلِ الشديدِ إلى السجع وإلى أنواع البديع، فقد يُنشئُ رسالةً أو ينظمُ قصيدةً في كلِّ كلمةٍ من كلماتها حرفُ العينِ أو حرفُ السينِ، مثلاً (راجع «مختارات من آثاره»). وله شيءٌ من الشعرِ الوجداني ذي النَّفحةِ الدينية. ثم هو مُصنِّفٌ له: كتاب الإيرادِ لِنُبذةِ المستفاد من الرواية والإسناد بقاء حَمَلَةِ العلم في البلاد على طريق الاقتصاد والاقتصاد (وهو برنامج شيوخه: برنامج شيوخ الرُّعِينِي) - اقتفاء السَّنِ في انتقاء أربعين من السَّنِ (في الحديث) - شرح الكافي لابن شريح<sup>(١)</sup> - جَنَى

(١) كتاب الكافي (في القراءات....) لمحمد بن شريح بن أحمد الرُّعِينِي الإشبيليِّ المقرئ (٣٩٢-٤٧٦ هـ). =

الأزاهرِ النضيرة وسنا الزواهرِ المنيرة في صِلَةِ المَطْمَعِ والذَّخيرةِ تَمَّا وَلَدَتْهُ الخَوَاطِرُ مِنَ  
المحاسنِ في هذه المَدَّةِ الأخيرةِ (فيه المَخاطباتُ التي جرت بينه وبين الكتاب والشعراء).

### ٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن الفخَّار الرُّعَيْنِي (مع شرط التزام العين في كلِّ كلمة) <sup>(١)</sup>

عَلَكَ عَلَّتْ عُلُوَّ الشُّرَّيْنِ مُصَاعِدَةً لأَعْلَى المَطْلَعَيْنِ <sup>(٢)</sup>  
أَعَادَ عَلَى العُلَا عَصْرِي سَعُودِ بِرَيْعَانِ المَعَارِفِ مُنْزَعَيْنِ <sup>(٣)</sup>  
عُنَيْتَ بِمَنْزَعِي عَمَلِي وَعِلْمِي عِنَايَةً مُوَلِّعٍ بِالْمَنْزَعَيْنِ  
وَتَعْتَمِدُ العُقُولُ بِمُفْجِزَاتٍ أَشْعَثُهَا تَرُوعَ السَّاطِعَيْنِ <sup>(٤)</sup>

علاؤك مشعرٌ إعظامي ومفرغٌ اعتصامي <sup>(٥)</sup> وعُمْدَةٌ اعتالي وعِزَّةٌ أَعْتَادِي وَعُرَّةٌ  
أَعْتَادِي <sup>(٦)</sup> ومهيجٌ إشراعي ومربعٌ نزاعي <sup>(٧)</sup> ..... بِعُنَايَتِكَ أَعَالِي الرِّعَانِ وَأَتَعَاطَى  
الإِمْعَانِ <sup>(٨)</sup> وَادَّعَى الإِفْرَاعَ وَأَعْنَى الْبِرَاعَ <sup>(٩)</sup> وَأَدْفَعَ الْعِيَّ وَأَضَارَعَ الْأَلْمِيَّ <sup>(١٠)</sup> .....

= طبع كتاب الكافي بهامش كتاب « المكرر فيها تواتر من القراءات وتحرر » لأبي حفص عمر بن القاسم بن  
محمد الشار الأنصاري، مكة ١٣٠٦هـ؛ القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٣٢٦ هـ (راجع بروكلمن،  
الملحق ١: ٧٢٢؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٨؛ معجم المطبوعات العربية ١٧٧٦، ١٨٥٦).

(١) سيكون الشرح للقطعة التالية موجزاً يكاد يقتصر على الألفاظ. إنَّ المقصود من القطعة إبراز الجهد  
اللفظي، والمعاني كانت تبعاً لذلك.

(٢) الشعرى الباقية (الشعرى القميصاء من النجوم المشهورة المهمة).

(٣) ريمان كل شيء: أوله وأفضله. المرع: الخصب.

(٤) تروع: تعجب الناظر (مع الشعور بشيء من الخوف). الساطعان: الشمس والقمر.

(٥) المشعر: المنك (مكان العبادة). المفزع: الملجأ.

(٦) العزوة: الانتساب، القرابة. العروة: كل ما يستمسك به ويعتمد عليه أو يربط شيئاً بشيء.

(٧) المهيج: الطريق الواضح. المربع: المسكن. النزاع: النزوع (الميل والاشتياق).

(٨) عالي: باري في العلو. الرعن (بفتح فسكون): أنف الجبل وطره الشاخص (العالي). أتعاطى الإمعان:

أحاول التوغّل في الأمور.

(٩) الإفراع: علو الشرف في القوم. أعني: أتعب. البراع: القلم (١).

(١٠) أدافع العي: أبعد عن نفسي المعجز عن الكلام. أضارع: أشابه. الألمي: الخفيف الظريف. اليلمعي:  
الذكي.

- وقال (من غير اشتراط معين) يُجيب أبا المطرّف بن عميرة:

وافى الكتابُ وقد تقلّدَ جيدهُ      ما أنتَ مُحسِنُ نَظْمِهِ ومُجيدُهُ<sup>(١)</sup>.  
أبَا المطرّفِ، دعوةً من خالصٍ      لُملاكَ غائبٍ وُدّه وشَهِيدُهُ<sup>(٢)</sup>.  
أنتَ الوحيدُ بلاغةً وبراعةً      ولكَ البيانُ طَريقَهُ وتليدهُ:  
فالنثرُ أنتَ بديعُهُ وعِمادُهُ،      والنظمُ أنتَ حبيبُهُ ووَكيدُهُ<sup>(٣)</sup>.

إيه، أيها السيدُ الذي جَلَّتْ سيادَتُهُ وحَلَّتْ صَمِيمَ الفؤادِ ودادَتُهُ<sup>(٤)</sup>، دامتْ سعادته وهامتْ بما يَنفَعُ الناسَ عادَتُهُ. أَلْقِيَ إِلَيَّ كتابٌ كَرِمْ خَطَّتْهُ تلكَ اليمَنِ التي اليُمْنُ<sup>(٥)</sup> فيها تَخْطُهُ ونَسِقتْ جواهرُ بيانِهِ التي راقَ بها سِغَطُهُ<sup>(٦)</sup>. فلا تسألوا عني ابتهاجي لأعاجيبهِ وانتهاجي لأساليبيهِ وشِدَّةَ كَلْفِي بآلتِياحٍ وَسِيمِهِ وجِدَّةَ شَغْفِي باستِرواحِ نَسِيمِهِ<sup>(٧)</sup>.

أما أَنَّ القلبَ لو فَهِمَ حَقِيقَةَ البَيِّنِ قَبْلَ وَقوعِهِ وعِلْمَ قَدَرِ ما نُفِثَ من الرُّوعِ في رُوعِهِ<sup>(٨)</sup>، لَبالَغَ في اجْتِنابِهِ واعتَقَدَ المَعْنِيَّ عنه من قَبِيلِ المَعْنِي بِه<sup>(٩)</sup>. وَلَها<sup>(١٠)</sup> اللهُ الأَطْماعَ فَإِنَّها تَسْتَدْرِجُ المرءَ وَتَسْتَجِرُّهُ وتَسْتَخْرِجُ حينَ تَعْرِيه، ما يَسِرُّه<sup>(١١)</sup>، ما زالتْ تَقْتِلُ

(١) الجيد: العنق.

(٢) أبو المطرّف (راجع، فوق، ص ٢١٧.....). التهيد: الشاهد (الحاضر).

(٣) الطريف والتليد: الجديد والتقديم.

(٤) بديعهِ وعِمادُهُ وحبيبهِ ووليدُهُ: بديع الزمان المَهْذابي وعِماد الدين الأصفهاني وأبو تَمَّام والبحري.

(٥) الودادة (بالفتح): المودة.

(٦) أَلْقِيَ إِلَيَّ: وصل إليّ من شخصٍ عالي المرتبة. في القرآن الكريم (٢٧: ٣٠، النمل): ﴿إِنِّي أَلْقِي إِلَيَّ كتابَ كَرِمْ: إِنَّهُ من سليمان وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. اليمنى: اليد اليمنى. اليمن: البركة.

(٧) السط: الخيط الذي تنظم فيه اللآلئ ليكون منها عقد.

(٨) الكلف: شدة الحب. الوسيم: الوجه الجميل. الشغف: الحب الذي يصل إلى الشغاف (بفتح الشين: غلاف القلب).

(٩) البين: البعاد والفراق. نفث: نفخ. الروح (بالفتح): الخوف. الروح (بالضم): النفس.

(١٠) المعنى عنه (في الفقه والعبادة): الذنب اليسير (النَجَسُ القليل الذي لا يبطل وضوءاً). من قبيل المعنى به: الواجب معالجته (لأنه وإن كان يسيراً فإنه يؤدي إلى نتائج خطيرة).

(١١) لها: لمن.

(١٢) تستخرج (تزعج منه) حين تَعْرِيه (من النعم) ما (كان) يَسِرُّه. - أي تلبه النعم.

في الذروة والذروة وتختل<sup>(١)</sup> بالترغيب في الجاه والثروة حتى أنأت عن الأحباب  
الحبائب ورمت بالغريب أقصى المغارب<sup>(٢)</sup>.....

- وقال يحنُّ إلى الذهاب إلى الحجاز للحج:

حنيني إلى البيت العتيق شديد، وشوقي إلى وادي العقيق يزيد<sup>(٣)</sup>  
فيا ليت شعري، هل يُباح إلينا وصولٌ فيحطى بالوصالِ عميد<sup>(٤)</sup>؟  
ومن لي أن أذعن إلى حرَمي هدى؟ وهل لي على تلك البقاع وفود؟  
وهل نافع لي ماء زمزم غلة؟ لها بين أحناء الضلوع وقود<sup>(٥)</sup>؟  
وهل أنثني نحو الرسول لطينة وألصق خدي - من ضريح محمد -  
فما لي لا أسمى إليها مبادراً تحثُّ ركابي نحوها عزمة امرئ<sup>(٦)</sup>  
يهم فيلتي بين عينيه عزمة فأقضي ذمًا النفس في عرصاتها  
فأقضي ذمًا النفس في عرصاتها

(١) في القاموس (٤: ٢٨): ما زال (فلان) يقتل من فلان في الذروة والغارب: يدور من وراء خديعته (أي يحاول أن يكر به وينشه وهو يتظاهر بمحاولة نفعه). ختل زيد عمراً: خدعه (بعد أن وجد منه غفلة) فالتال هو الذي يخدع من يثق به.

(٢) أنأت: أبعد. الأحباب جمع حب (يكسر الحاء): الحب أو المحبوب. الحبائب جمع حبيبة. رمت به أقصى المغرب: نبذته، طرحته أبعدته إلى آخر المعمور من الأرض.

(٣) البيت العتيق: الكعبة. وادي العقيق في المدينة.

(٤) العميد أو المعمود هو الذي ضرب على رأسه بالعمود (الحب الذي كاد يهلكه الحب).

(٥) زمزم: بئر في مكة (في الحرم). الغلة: العطش. تقع الظمان (العطشان) من الماء أو بالماء: روي وزال عطشه.

(٦) وهل أنثني: أرجع (بعد الحج إلى مكة) لطيبة (للمدينة)....

(٧) إليها (إلى المدينة) مبادراً (مسرعاً). بقية عمر (في آخر عمري) بينا هذه البقية تنقضي (أوشكت أن تنتهي) وتبيد (تتلاشى، تهلك).

(٨) الركاب: الإبل المعدة للركوب. الحياة: الحياة. في ذات الآله: في سبيل الله.

(٩) هم: يعزم (على أمر). بين عينيه (أمامه!).

(١٠) الذماء: بقية الروح في الجسد. فأقضي ذمًا النفس: أموت. العرصة (بفتح فكون): فحة أمام الدار لا بناء فيها.

وإنَّ أَمْرًا يَقْضِي فَرِيضَةَ حَجِّهِ وَزُورَةَ قَبْرِ الْمُصْطَفَى لَسَعِيدٌ<sup>(١)</sup>!

- من مقدّمة برنامج شيوخ الرعيّني لأبي الحسن الرعيّني:

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ بَعْضَ الْأَصْحَابِ الْعَلِيَّةِ الْجَلَّةِ الْمَعْدُودِينَ<sup>(٢)</sup> - لَأَعْتَنَاهُمْ بِرِوَايَةِ الْعِلْمِ وَنَقْلِهِ فِي عُدُولِ الْمِلَّةِ<sup>(٣)</sup> - سَأَلَنِي أَنْ أَقِيدَ لَهُ مَا عُلِقَ بِالْخَاطِرِ مِنْ أَسْمَاءَ مَنْ لَقِيْتُهُ وَرَوَيْتُ عَنْهُ. فَتَوَقَّفْتُ فِي إِسْعَافِهِ وَاسْتَهْدَفْتُ لِسَهَامِ الْمَلَامَةِ فِي خِلَافِهِ<sup>(٤)</sup> سَتْرًا (لهذا) التَّزَرُّرِ الَّذِي أُوتِيْتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَاتَّقَاءٍ مِنْ مِثْلِي أَنْ يَطْوَرَ تِلْكَ الْمَسَالِكُ<sup>(٥)</sup>، إِلَى أَنْ غَيَّبَ أَفْقُ الثَّرَى شَبَابَهُ وَنَهَبَتْ يَدُ الْبَلَى إِهَابَهُ. وَادَّكَرْتُ بَعْدَ أُمَّةٍ<sup>(٦)</sup> وَحَذَرْتُ أَنْ أَرْهَقَ<sup>(٧)</sup> فِيهِ بِعَذْمَةٍ، فَأَثَرْتُ أَنْ أَسْتَدْرِكَ<sup>(٨)</sup> مَا فَاتَ مِنْهُ لِمَنْ طَلَبَهُ مِثْلُ طَلْبِهِ، وَأَنْ أُورِدَ مَنْ هُوَ مِنَ الشَّيْخَةِ وَمَا عِنْدِي مِنَ السَّمَاعِ بِحَسَبِهِ<sup>(٩)</sup>. فَأَثْبِتُ مَا لَمْ يُفْلِتْهُ ذِكْرِي، وَأُورِدْتُ مَا لَمْ يَرْتَبْ فِيهِ<sup>(١٠)</sup> فِكْرِي مِنْ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاخِ الَّذِينَ لَقِيْتُهُمْ وَأَخَذْتُ عَنْهُمْ وَالْإِفْصَاحِ بِبَعْضِ مَا اسْتَفَدْتُهِ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَتَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ مَا مُنِيَ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ النِّسْيَانِ وَذَهَبَ

(١) المصطفى من أسماء الرسول.

(٢) العلية (بالكسر) جمع «علي» (ذو المكانة الرفيعة في قومه). الجلّة (بالكسر) جمع جليل (العظيم، ذو المكانة السامية). المعدود (المذكور بين كبار القوم).

(٣) المدول (بالضم) جمع عدل (بالفتح): العادل الأمين الذي يرضي الناس بحكمه. الملة: الدين (الأمّة الإسلامية).

(٤) توقّف: أحجم، تردّد. في إسعافه (في إجابته إلى ما طلب). استهدف: تعرّض (أصبح ظاهراً مكشوفاً) للذي يريد مهاجمته.

(٥) التزر: القليل. اتقاء: شفقة، خوف. يطور: يحوم حول الشيء (يسير في) تلك المسالك: الطرق (الصعبة، المتعبة).

(٦) الثرى: التراب. البلى: الهلاك. الإهاب: الجلد. إلى أن غيَّب إلخ: إلى أن مات. اذكرت (تذكرت) بعد أمة (زمن طويل). - راجع القرآن الكريم (١٢: ٤٥، سورة يوسف): «وقال الذي نجا منها واذكر بعد أمة.....».

(٧) حذر: خاف، تجنّب. أرهق (بالبناء للمجهول) بعمّة: اتهم (بالبناء للمجهول) بأمر لا استحقّق التهمة به (لأنّي تركت عملاً أستطيع عمله).

(٨) أثر: فضّل. استدرك الرجل ما فاته: قام بعمل كان يجب عليه أن يعمل من قبل.

(٩) الشّيخة: كبار الأساتذة. السماع: تلقّي العلم من أفواه الرجال. بحسبه (بنسبة كل شيء تعلّمته إلى الشيخ الذي تعلّم ذلك الشيء منه).

(١٠) آرتاب: شكّ.



مُعْظَمُ الْمُقَيَّدِ وَالْمُسْتَفَادِ بِالْتَرَدِّ<sup>(١)</sup> فِي الْأَسْفَارِ وَالتَّحَوُّلِ عَنِ الْأَوْطَانِ....

- وله، في حديثٍ طويلٍ، رسالةٌ من (شعر ونثر) أَلْتَزَمَ فِيهَا حَرْفَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِهَا: وَفِيهَا يَلِي شَيْءٌ مِنْهَا:

أَعِيدَ التَّعْهُدُ لِلْعَمِيدِ بِعَظْفَةٍ تُعْنَى بِرَجْعَةِ عَهْدِكَ الْمَتْبَاعِ<sup>(٢)</sup>.

أَعْمَدْتُ عَقْدَ الْعَزْمِ عِنْدِي عَارِيًّا عَنْ رَعْيِ عَهْدِ مُعَاهِدٍ وَمُوَاعِدٍ<sup>(٣)</sup>؟

يَا عَلَمِي الْمَتَّبِعَ وَعَارِضِي الْمُنْتَجِعَ<sup>(٤)</sup> وَمُعْتَمِدِي الْمُطَاعَ الْمُتَنَبِّعَ<sup>(٥)</sup>، تَعَهَّدْتُكَ لِلنِّعَمِ هَمَّ عَهَادِهَا<sup>(٦)</sup>، وَرَعَيْتُكَ لِلْعَصْمِ شُرْعُ صِعَادِهَا<sup>(٧)</sup>، وَأَعْتَلَى السُّفْدُ بِإِعْلَانِكَ وَأَعْتَنَى الْعِلْمُ بِأَعْتِنَانِكَ، وَرُفِضَتِ الْأَعْيُنُ لِزَعَامَةِ إِبْدَاعِكَ.....

٤- برنامج شيوخ الرعيني (حققه إبراهيم شيوخ)- دمشق (وزارة الثقافة والإرشاد القومي: مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، رقم ٤)، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م.

★ الذيل والتكملة ٥ : ٣٢٣-٣٦٩ (رقم ٦٣٦)- وفيها نصوص لغيره؛ صلة الصلة ١٤٠-١٤١ (رقم ٢٨٣)؛ القدر المعلق ١٧٣؛ نفح الطيب ٥ : ٥٢-٥٣، راجع ١ : ٣١١؛ الأعلام للزركلي (٤ : ٣٣٣).

- 
- (١) المقيّد (في دفاتري من مفردات الملوّحات) والمستفاد (الذي تتقّف به عقلي من الاختبار ممّا يصعب تدوينه في وقته، بل يتذكّره الإنسان بعد مدّة). مني: أصيب. التردّد: كثرة الذهاب والجيء.
  - (٢) التعهد: الاعتناء، حسن المعاملة. العميد (المضروب بالعمود): الحبّ. تعني (تتعلّق) برجعة (عودة) عهدك (زمن إخوانك، صداقتك، حبّك) المتباعد (الذي مرّ عليه زمن طويل).
  - (٣) هل تذكر أنّي عزمّت مرّة على عمل لم يكن فيه وفاء لك (.... عن الوفاء بكلّ ما أنتظره مني صديقي أو ما وعدتّ به أحداً).
  - (٤) العلم: المكان العالي (المجبل)، الشارة الظاهرة. المتّبِع (الذي أقتدي به). العارض: السحاب الممطر. المنتجع: المكان الذي يذهب إليه الناس بعد أن يسقط عليه المطر (للشرب منه ولرعي أنعامهم).
  - (٥) المعتمد المطاع المنتع (الذي اعتمد عليه وأطيعه ثمّ هو لا يجيبني إلى ما أطلبه منه).
  - (٦) تعهّدتك (فعل طلب للدعاء) للنعم (حتّى تنال النعم) همّ (فاعل تعهّدتك؛ والهمّ جمع هامة: سحابة ممطرة). العهد: المطر المتتابع (والضمير «ها» في «عهادها» راجع إلى «النعم»).
  - (٧) رعتك (حتك، دافقت عنك) للعصم (٩): لحايتك. الصمّدة (وجعها: صعاد- بالكسر-): القصة المستوية المستقيمة، الرمح. الشرّع جمع شارعة (قناة- أي رمح- شارعة: مدّدة، موجهة نحو المدوّ).

## أبو الحسن الشُّشْتَرِيُّ

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ عبدِ الله النُّمَيْرِيُّ الفاسِيُّ الوادي آشيَّ، أصلُه من شُشْتَرٍ من عَمَلٍ (مِنْطَقَةٍ) وادي آشَ (قُرْبَ غَرْنَاطَةِ).

وُلِدَ الشُّشْتَرِيُّ نَحْوَ سَنَةِ ٦٠٢ هـ (١٢٠٥-١٢٠٦ م) وَتَتَلَّمَذَ لِلْقَاضِي مُخَيِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سُرَاقَةَ الْأَنْصَارِيِّ الشَّاطِئِيِّ (ت ٦٦٢ هـ)؛ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَلَقِيَ الْمُتَصَوِّفَ الشُّهُورَ عَبْدَ الْحَقِّ بْنِ سَبْعِينَ (٦١٤-٦٦٨ هـ) فَأَخَذَ عَنْهُ وَاقْتَدَى بِهِ (مَعَ أَنَّ ابْنَ سَبْعِينَ أَصْفَرُ سِنًا). ثُمَّ إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَطَوَّفَ بِهِ كَثِيرًا وَحَجَّ مَرَارًا.

وكانت وفاة الشُّشْتَرِيِّ فِي دِمِياطَ (مِصْرَ)، فِي ١٧ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ٦٦٨ (١٢٦٩/١٠/١٦ م).

٢- كان أبو الحسن الشُّشْتَرِيُّ مُجَوِّدًا لِلْقُرْآنِ عَارِفًا بِمَعَانِيهِ، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالْحِكْمَةِ وَبِطَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ. وَقَدْ أَثَّرَ التَّجَرُّدُ (الزُّهْدُ) وَالْعِبَادَةُ. وَلَهُ شِعْرٌ مِنْهُ قَصِيدٌ وَمِنْهُ مُوشَّحَاتٌ. وَشِعْرُهُ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ (الْمُتَصَوِّفَةِ). وَلَكِنْ يَظْهَرُ عَلَى شِعْرِهِ شَيْءٌ مِنَ الضَّعْفِ.

وَلِلشُّشْتَرِيِّ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى (فِي بَيَانِ السُّنَنِ وَإِحْصَاءِ الْعُلُومِ وَمَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْمَلَهُ وَيَعْتَقِدَهُ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ)- الْمَقَالِيدُ الْوُجُودِيَّةُ فِي أَسْرَارِ الصُّوفِيَّةِ- الرِّسَالَةُ الْقُدْسِيَّةُ فِي تَوْحِيدِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَالْمَرَاتِبِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِحْسَانِيَّةِ- دِيْوَانُ شِعْرِهِ.

### ٣- المختار من شعره

- لأبي الحسن الشُّشْتَرِيِّ مَقَاطِعُ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ (الْمُتَصَوِّفِينَ) مِنْهَا<sup>(١)</sup>:

(١) معاني هذه القطعة صوفية لا تفهم فيها دقيقاً إلا بالتأويل الذي ينفرد به المتصوفون. إن الألفاظ: التجرد، الفقر، الخلق، الأمر، الطي، النشر، إلخ ألفاظ صوفية معانيها عند المتصوفة غير معانيها المألوفة في القواميس.

لَقَدْ تَهَتُّ عُجْبًا بِالتَّجَرُّدِ وَالْفَقْرِ  
وَجَاءَتْ لِقَلْبِي نَفْحَةٌ قُدُسِيَّةٌ  
طَوَّيْتُ بِسَاطَ الْكَوْنِ، وَالطِّيَّ نَشْرُهُ،  
وَعَمَّضْتُ عَيْنَ الْقَلْبِ غَيْرَ مَطْلَقِي  
وَصَلْتُ لِمَنْ لَمْ تَنْفَصِلْ \* عَنْهُ لِحِظَةً  
وَمَا الْوَصْفُ إِلَّا دُونَهُ، غَيْرَ أَنِّي  
وَذَلِكَ مِثْلُ الصَّوْتِ أَيْقِظُ نَائِمًا  
فَقُلْتُ لَهُ: الْأَسْمَاءُ تَبْغِي بَيَانَهُ؛

- أَرَى طَالِبًا مَنَّا الزِّيَادَةَ لَا الْحَسَنَى  
وَطَالِبِينَ مَطْلُوبِنَا مِنْ وَجُودِنَا

- مَنْ لَامَنِي، لَوْ أَنَّهُ قَدْ أَبْصَرَ  
وَعَدَا يَقُولُ لَصَحْبِهِ: إِنْ أَنْتُمْ  
شَدَّتْ أُمُورُ الْقَوْمِ (٣) عَنْ عَادَاتِهِمْ،  
مَا ذُقْتُهُ أَضْحَى بِهِ مَتَحِيرًا،  
أَنْكَرْتُمْ مَا بِي أَتَيْتُمْ مُنْكَرًا.  
فَلِأَجْلِ ذَاكَ يُقَالُ: سِحْرٌ مُفْتَرِي!

٤- ديوان أبي الحسن الششتري (تحقيق علي سامي النشار)، الاسكندرية، ١٩٦٠ م.

★ عنوان الدراية ٢١٠-٢١٣؛ نيل الابتهاج ٢٠٢-٢٠٣؛ نفح الطيب ١٨٥-١٨٧،  
٢٠٥-٢٠٧؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٣٩٣؛ بروكلمن ١: ٣٢٣  
الملحق ١: ٤٨٣-٤٨٤؛ نيكل ٣٥٢-٣٥٣؛ مختارات نيكل ١٩٤-١٩٦؛ الأعلام  
للزركلي ٥: ١٢٠-١٢١ (٤: ٣٠٥).

(٥) لم تنفصل عَيْنُ الْقَلْبِ.

(١) عدن: الجنة.

(٢) الصق: الغياب عن الحس. عن: ظهر - أن مطلوبنا من حياتنا أن نصل إلى الله، فإن تحلى لنا غيبنا عن الحس.

(٣) القوم = المتصوفون.

## ابن عصفور الإشبيلي

١- هو الأستاذ (وفيات ابن قنفذ ٣٣١) العلامة (وفات الوفيات ٢: ١١٦) أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله بن عصفور الحضرمي الإشبيلي، وُلِدَ في إشبيلية سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠-١٢٠١ م).

تَلَقَّى ابنُ عصفور العلمَ على نفرٍ منهم أبو الحسن الدبّاج (٥٦٦-٦٤٦ هـ) وأبو علي الشّلوّين (٥٦٢-٦٤٥ هـ)، وقد لارَمَ الشّلوّينَ عَشْرَ سِنِينَ وقرأَ عليه كتابَ سيبويه. ثمّ جلسَ للإقراء في إشبيلية نفسها إلى أن حَدَّثَتْ بَيْنَهُ وبينَ الشلوّينِ مُنافرةٌ أدَّتْ إلى وَحْشَةٍ فمُقاطعةٍ (صلة الصلة ١٤٢) لِتَنافُسٍ في إعرابِ كَلِمَةٍ (راجع نفح الطيب ٢: ٢٠٩-٢١١). وكان الشلوّينُ أوسعَ وَجاهةً فاضطُرَّ ابنُ عصفورٍ إلى مُغادرةِ إشبيلية فتَنَقَّلَ بينَ شَرِيشَ وَشَدُونَةَ وَمالِقَةَ وَلورِقَةَ وَمُرْسِيَةَ يَدْرُسُ على نفرٍ من علمائها. ثمّ إنّه جلسَ للتدريس أشهراً في كلِّ بلدةٍ يُمْلِي فيها تَقاييدهَ (تعليقاته) على كتابِ الجَمَلِ للزّجاجي وكتابِ الإيضاح لأبي عليّ الفارسي وعلى الكراسية المنسوبة للجزولي وعلى كتاب سيبويه. وكان يُمْلِي هذه الكتبَ كلّها من حفظه.

ثمّ إنّ ابنَ عصفورٍ غادرَ الأندلسَ إلى تُونِسَ وتصدَّرَ فيها للتدريس مدّة يسيرة ثمّ انتقلَ إلى بجايةَ (في الجزائر اليوم) بانتقالِ مَخْدومه (المُحسِن إليه) الأميرِ أبي عبدِ الله محمدِ المستنصرِ الحَفْصِيِّ (قبلَ سنة ٦٤٧ هـ، في الأغلب، قبل أن يَلِيَ المستنصرُ الملك). بعدئذٍ عادَ ابنُ عصفورٍ إلى لورِقَةَ (جنوبَ شرقيّ الأندلس). ثمّ انتقلَ إلى غربيّ الأندلس.

ولم تَطُلْ إقامةُ ابنِ عصفورٍ في الأندلسَ فَرَجَعَ إلى المَغْرِبِ وَنَزَلَ في بلدةِ سَلا (قرب الرِّباط). في هذه الأثناء، فيما يبدو، كان المستنصرُ الحَفْصِيُّ قد جاءَ إلى العرشِ، سنة ٦٤٧ هـ فاستدعى ابنَ عصفورٍ فعادَ ابنُ عصفورٍ إلى تُونِسَ الحاضرةِ واستقرَّ فيها. وكانت وفاته في تُونِسَ غريباً في ذِي الحِجَّةِ من سنة ٦٦٩ في الأغلب (مطلع الصيف من عام ١٢٧١ م)،

٢- كان ابنُ عصفورٍ الإشبيليُّ بارِعاً في العربية (النحو) كَثُرَ طُلَّابُهُ وأقبلوا عليه من المَغْرِبِ والمَشْرِقِ، إذ «كان بقيّةَ الحاملين للواءِ العربية في المَغْرِبِ»، ثمّ أصبحت

عليه الإحالة (الرجوعُ إلى رأيه) من المشرق والمغرب (نفع الطيب ٣ : ١٨٤).  
وابنُ عُصفورٍ يَتَّبِعُ مذهبَ البصريين (في النحو) عموماً ويُقدِّمُ سيبويه (أشهرَ  
البصريين) خاصةً على كلِّ نحويٍّ. ثمَّ هو يتخيرُ أحياناً أشياءً من آراءِ الكوفيين  
والبغداديين.

ولابنِ عُصفورٍ أشياءٌ في تفسيرِ القرآنِ، ولكنَّ ذلكَ لم يكنْ مِنْ اختصاصه (راجع  
نفع الطيب ٥ : ٣٨٤).

وابنُ عُصفورٍ مُصَنِّفٌ مُكثِّرٌ له: المُقَرَّبُ (في النحو)، ويقالُ إِنَّ حدودَه (تعريفاته)  
كلَّها مأخوذة من الجزولية (فوات الوفيات ٢ : ١١٦) تأليف عيسى بن عبد العزيز  
الجزولي المغربي (ت ٦٠٧ هـ). وقد انتقدَ كثيرونَ مِنَ الأندلسيين وغيرهم ابنَ عُصفورٍ  
على هذا الكتاب (راجع نفع الطيب ٤ : ١٤٨). ولكنَّ لهذا الكتابَ قيمةً يَدُلُّ عليها  
كثرةُ الذين شَرَحُوهُ واختصروه<sup>(١)</sup>.

وله أيضاً: المُتَمِّعُ في التصريف (وأبوابه: الحروف الزوائد، أُنْبِيَةُ الأسماء، أُنْبِيَةُ  
الأفعال، أي الصِّيغُ التي تأتي عليها الأسماء والأفعال، نحو فَعَلَ، فُعِلَ، فُعِلَ، استفعل  
إلخ ؛ الإبدال، القلب والحذف والنقل، الإدغام، مسائل التمرين). والمقَرَّبُ كتابٌ  
يَدُلُّ على سَعَةِ مطالعاتِ ابنِ عُصفورٍ في كتب علماء النحو. ثمَّ إنه عاد فألف «شرح  
المقَرَّب».

وكذلكَ له شُروحٌ على عددٍ من كتب النحو: شَرْحُ كتابِ سيبويه (ت ١٨٠ هـ) -  
شرح كتابِ الجُمَلِ للزَّجَاجِي (ت ٣٣٧ هـ) شَرَحَهُ ثلاثةُ شُروحٍ كبيراً ووَسَطاً وصغيراً -  
إنارةِ الدياجي<sup>(٢)</sup> - الأزهارُ - الهلال أو الهلالية (البلغة ١٧٠) - السلك والعنوان  
ومرام اللؤلؤ والمرجان (بروكلمن، الملحق ١ : ٥٤٧) - المفتاح - شرح الإيضاح<sup>(٣)</sup> -

(١) راجع أسماء هؤلاء الشراح والمختصرين في «ابن عُصفور والتصريف» (ص ٥٣-٥٥).

(٢) يقول فخر الدين قباوي (ابن عُصفور والتصريف ٨٩، الحاشية ٤)، لَعَلَّ (إنارة الدياجي) أحدُ شُروحِ  
جَمَلِ الزَّجَاجِي.

(٣) يرى بروكلمن (١ : ٣٥٢، السطر ٢٨) أنَّ «الإيضاح» هو «إيضاح الشكل» للمطرزي (ت ٦١٠ هـ)؛  
وفي دائرة المعارف الإسلامية (٣ : ٩٦٢) أنَّ الإيضاح هو لأبي عليٍّ الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)؛ وفي بروكلمن =

مختصر المحتسب (في النحو لابن بابشاذ المصري المتوفى ٤٦٩ هـ) - البديع (شرح لمقدمة «الجزولية» في النحو للجزولي المتوفى ٦٠٧ هـ) - المقنع - مختصر الفرّة - منظومة في النحو. ثم له كتب ألصق باللغة والأدب: شرح الأشعار السيّة (دواوين امرئ القيس، النابغة، زهير، علقمة الفحل، طرفة، عنترّة) ولكن لم يتمّه - شرح الحماسة (ديوان الحماسة لأيّ تّمام) ولكن لم يتمّه - شرح ديوان المتنبي - مفاخرة السالف والعذار<sup>(١)</sup> - الضرائر (الضرورات التي تحمل الشاعر على مخالفة قواعد في اللغة أو في النظم) - سرقات الشعراء.

وكان لابن عصفور شيء من الشعر وشي من الكتابة الأنيقة.

### ٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن عصفور في وصف التّجمل بعد الجهل:

لَمَّا تَدَنَسْتُ بِالتَّفْرِيطِ فِي كِبَرِي      وَصِرْتُ مُغْرَى بِشُرْبِ الرَّاحِ وَاللَّسِّ<sup>(٢)</sup>  
رَأَيْتُ أَنَّ خِضَابَ الشَّيْبِ أُسْتُرُ لِي؛      إِنَّ الْبَيَاضَ قَلِيلُ الْحَمَلِ لِلدَّنَسِ<sup>(٣)</sup>!

- من مقدمة كتاب المقرّب:

.... فلَمَّا كان علمُ العربيّة (النحو) من أَجَلِّ العلوم قَدَرًا وَأَعْظَمِهَا خَطَرًا، إِذْ بِهِ تَقُومُ لِلإِنْسَانِ دِيَانَتُهُ فَتَتِمُّ صَلَاتُهُ وَتَصِحَّ قِرَاءَتُهُ؛ وَكَانَتْ أَكْثَرُ الْمَوْضُوعَاتِ فِيهِ لَا تَبْرُدُ غَلِيلًا<sup>(٤)</sup> وَلَا تُحَصِّلُ لَطَائِلِهِ مَأْمُولًا، وَأَنَّهَا بَيْنَ مُطَوَّلَةٍ قَدْ أُسْرِفَ فِيهَا غَايَةُ الإِسْرَافِ

= أَيْضًا (١: ٣٥٤، الطر الثاني) أَنَّ الإيضاح للسّكاكي (ت ٦٢٦ هـ) وَأَنَّ «شرح الإيضاح» للسّكاكي نفسه. وفي «ابن عصفور والتصريف» أَنَّ «الايضاح» (ص ٤٩) غير «شرح الإيضاح» (ص ٥١) وَأَنَّ الإيضاح لأيّ عليّ الفارسيّ.

(١) السالف للمرأة، والعذار للرجل.

(٢) الراح: الخمر. اللس: سواد مستحسن في باطن الشفة (المقصود: التقبيل)، الفزل - في «فوات الوفيات» (٢: ١١٦ س): التخليط في كبري.... برشف الراح واللس.

(٣) - أَنَّ أَقْلَ قَدَرٍ مِنَ الْوَسْخِ يُمْكِنُ أَنْ يَبْدُو عَلَى نَسِيجٍ أَيْضًا. إِنَّهُ صَبِغَ شَعْرَهُ حَتَّى إِذَا ظَهَرَ مِنْهُ هَفْوَةٌ لَمْ يَلْمَهُ النَّاسُ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ فِي السِّنِّ لَا يَجُوزُ مِنْهُ مِثْلُ ذَلِكَ الْعَمَلِ!

(٤) الخطر: (أهميّة قيمة). الغليل: شدّة العطش وحرارته. - لا تبرد غليلًا (لا تمنح الإنسان ما يطلبه).

وَمُخْتَصَرَةٌ أُخْجِفَ فِيهَا غَايَةُ الإِحْجَافِ أَشَارَ مِنَ النَّجَحِ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي آرَائِهِ وَالْيُمْنُ مُعْتَادٌ فِي مَذَاهِبِهِ وَأَنْحَائِهِ - مَالِكُ عِنَانِ الْعُلُومِ وَفَارَسُ مِيدَانِهَا وَمُخْرِزُ قَصَبِ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ رَهَانِهَا وَتَارِيخُ الْفَضَائِلِ وَعُنَاوُنُهَا وَحَدَقْتُهَا وَإِنْسَانُهَا - الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ الْأَوْحَدُ الْمُؤَيَّدُ الْأَسْعَدُ أَبُو زَكَرِيَّا ابْنُ الشَّيْخِ الْمُقَدَّسِ <sup>(١)</sup> الْمُجَاهِدِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الشَّيْخِ الْمُجَاهِدِ الْمُقَدَّسِ أَبِي حَفْصٍ <sup>(٢)</sup> أَدَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَأَنَارَ بَنُجُومِ السَّعْدِ سَمَاءَهُمْ - إِلَى وَضَعِ تَأْلِيفِ مُنَزَّهِ عَنِ الْإِطْنَابِ الْمُحِلِّ وَالِاخْتِصَارِ الْمُحِلِّ، مُخْتَوٍ عَلَى كَلِّيَّاتِهِ مُشْتَمِلٍ عَلَى فُصُولِهِ وَغَايَاتِهِ، عَارٍ عَنِ إِيرَادِ الْحِلَافِ <sup>(٣)</sup> وَالِدَلِيلِ، مُجَرَّدٌ أَكْثَرُهُ عَنْ ذِكْرِ التَّوْجِيهِ وَالتَّغْلِيلِ، لِيُسْرَفَ النَّاضِرُ فِيهِ عَلَى جُمْلَةِ الْعِلْمِ فِي أَقْرَبِ زَمَانٍ وَيُحِيطَ بِمَسَائِلِهِ فِي أَقْصَرِ أَوَانٍ. فَوَضَعْتُ فِي ذَلِكَ كِتَابًا صَغِيرَ الْحَجْمِ مُقَرَّبًا لِلْفَهْمِ، وَرَفَعْتُ فِيهِ مِنْ عِلْمِ النَّحْوِ شَرَائِعَهُ <sup>(٤)</sup> وَمَلَكَتُهُ عَصِيَّةً وَطَائِعَةً وَذَلَّلْتُهُ لِلْفَهْمِ بِحَسَبِ التَّرْتِيبِ وَكَثَّرْتُ التَّهْذِيبَ لِأَلْفَاظِهِ وَالتَّقْرِيبِ، حَتَّى صَارَ مَعْنَاهُ إِلَى الْقَلْبِ أَسْرَعَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى السَّمْعِ. فَلَمَّا أَتَيْتُ بِهِ عَلَى الْقَدَحِ تَمَنُّعًا عَلَى الْقَدَحِ <sup>(٥)</sup> مُشْبِهًا لِلْعَقْدِ فِي التَّثَامِ وَوُصُولِهِ وَانْتِظَامِ فُصُولِهِ، سَمَّيْتُهُ «بِالْمُقَرَّبِ» لِيَكُونَ أَسْمُهُ وَفَقَّ مَعْنَاهُ وَمُتَرَجِّمًا عَنْ فَخَوَاهُ...

٤ - المتع (نشره فخر الدين قباوي)، حلب ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م.

- المقرَّب (نشره أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري)، بغداد (رئاسة ديوان الأوقاف في الجمهورية العراقية - في سلسلة «إحياء التراث الإسلامي»)، الجزء الأول، بغداد (مطبعة العاني) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

★ ابن عصفور والتصريف، تأليف فخر الدين قباوي، حلب (دار الأَصْمِي) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

صلة الصلة ١٤٢ - ١٤٣ (رقم ٢٨٥)، فوات الوفيات ٢: ١١٦، الذيل والتكملة ٥: ٤١٣ - ٤١٤، وفيات ابن قنفذ ٣٣١، البلفة ١٦٩، عنوان الدراية ٢٦٦ - ٢٦٨، بغية الوعاة ٣٥٧، نفح الطيب ٢: ٢٠٩ - ٢١١، ٣: ١٨٤، راجع ٢: ٢٧١ - ٢٧٢، ٧٠١،

(١) المقدَّس (يكسر الدال): الذي يكثير من تقديس الله وتسيبِهِ.

(٢) هو أبو زكريَّا يحيى بن عبد الواحد الهنتاقي (٥٩٩ - ٦٤٧ هـ) جدُّ الخلفاء الحفصيين.

(٣) الخلاف: اختلاف النحاة في تحريج الإعراب، إلخ.

(٤) الشرائع، المفروض أنَّها جمع شريعة (طريقة!)؛ أو: شراعه: قلع (بالكسر) السفينة.

(٥) القدح (بفتح القاف): العيب. (وكسر القاف) الحقَّ (قلت فيه الحقَّ كيلا يستطيع أحد أن يعييه!).

٤ : ١٤٨ ، ٥ : ٣٨٢ ؛ شذرات الذهب : ٥ : ٣٣٠ ؛ بروكلمن ١ : ٣٨١ ، الملحق ١ :  
٥٤٦ - ٥٤٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٦٢ الأعلام للزركلي ٥ : ١٧٩ - ١٨٠ (٢٧) ؛  
معجم المؤلفين ٧ : ٢٥١ .

## الدَّرْحِينِي

١ - هو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن إنجلاف من تيجار في جبل نفوسة ومن أسرة كان لها نشاطٌ إباضيٌّ وعلم وفقه .

يبدو أن مولد الدَّرْحِينِي كان في السَّنات الأخيرة من القرن السادس . ودرس في مطلع شبابه في وَرَجَلَة (٦١٦ - ٦١٨ هـ) ثم رأيناه يتابع تلقي العلم (سنة ٦٣٣) في تَوَزَّرَ جَنْبَوِي تُونِسَ . وبعد ذلك عاش مُدَّة في جزيرة جَرْبَة . ولعلَّ وفاته كانت نحو ٦٧٠ (١٢٧٠ م) .

٢ - كان الدَّرْحِينِي فقيهاً إباضياً ومؤرخاً وشاعراً . ويبدو أن نشاطه الأدبي بدأ سَنَة ٦٢٦ (١٢٢٨ م) . اشتهر بكتابه « طبقات المشايخ » . وهذا الكتاب قسماً واضحاً أولهما (يبدو وكأنه منسوخٌ من « كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني » ، استعرض فيه أنتشار المذهب الإباضي في شَمَالِي إفريقيا وتأسيس الدولة الرُستَمِيَّة ثم ألحق به تراجم لنفر من فقهاء الإباضية المتقدمين من المغاربة . وأمّا ثاني القسمين فهو مجموع تراجمٍ لمشاهير الإباضية من فقهاء وغير فقهاء . ويتألف هذا القسم الثاني من اثنتي عشرة طبقة تتناول كل طبقة خمسين سَنَة . وقد خُصت الطبقات الأربع الأولى (في القرنين الأولين من الهجرة) بالفقهاء الإباضية من المشارقة ، والطبقات الثماني الباقية بالفقهاء الإباضية من المغاربة .

- طبقات المشايخ ، القاهرة ١٣٠٢ هـ .

★★ دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ١٤٠ - ١٤١ ؛ بروكلمن ١ : ٤١٠ ، الملحق ١ : ٥٧٥ .



## ابن أبي الحسين

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي الحسين<sup>(١)</sup> سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف الغنسي، من أهل القيروان، كان هو وأهله من أبناء الدولة (المقرّبين من السلطان). ويبدو من شعره أنّ أهله كانوا من البدو الذين قدّمهم الحفصيون على قوم عنان بن جابر (راجع، فوق، ص ). وقد تولّى محمد بن أبي الحسين الحجابة (الوزارة) في أيام أبي زكريّا يحيى (٦٢٥-٦٤٧ هـ) ثمّ في أيام ابنه محمد المستنصر (٦٤٧-٦٧٥ هـ)، فزاد ذلك في نفور عنان بن جابر وقومه فرحلوا عن تونس<sup>(٢)</sup>.

وكانت وفاة محمد بن أبي الحسين، سنة ٦٧١ للهجرة (١٢٧٢-١٢٧٣ م)، في تونس.

٢- كان محمد بن أبي الحسين رجلاً بعيداً الهمة ذا عزمٍ وحزمٍ في الأمور. وقد وصفه حسن حُسنِي عبد الوهاب بإتقان العلوم وبالمعرفة باللغة وبرقة الشعر والبراعة في الترسُّل. وفي شعره متانةٌ، وفيه وصفٌ وفخرٌ وشيءٌ من الحكمة. ثمّ هو مُصنّفٌ عني بكتاب «المُحكّم» لابن سيّدة (ت ٤٥٨ هـ) رتبه على أواخر الكلمات وسماه «ترتيب المُحكّم» ثمّ اختصره وجعل أسمه مُختصره «خلاصة المُحكّم».

### ٣- مختارات من شعره

- قال أبو عبد الله بن أبي الحسين بن سعيد قصيدة يحثُ فيها عنان بن جابر على العودة إلى تونس:

---

(١) هذا النسب الطويل من الأعلام (للزركلي). وقد اقتصر حسن حُسنِي عبد الوهاب على «محمد بن أبي الحسين بن سعيد (مكان: سعيد)، أبو عبد الله».

(٢) راجع البيت الرابع عشر من المختارات من شعر عنان بن جابر. يذكر حسن حُسنِي عبد الوهاب أنّ محمد ابن أبي الحسين قد تولّى الحجابة للمستنصر الحفصي. وفي بني حفص سلاطين تونس بضعة نفر تلقبوا بالمستنصر، ولكنهم كلّهم جاءوا بعد وفاة محمد بن أبي الحسين. والصواب أن يقال إنّ ابن أبي الحسين تولّى الحجابة للمستنصر الحفصي (٦٤٧-٦٧٥ هـ) وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد وأخو أبي زكريّا يحيى مؤسس الدولة الحفصية (راجع زامباور، ص ١١٥ و ١١٧).

سَلُوا دِمْنَةً بَيْنَ الْغَضَا وَالسَّوَاجِرِ  
وَدُونَكُمْ، يَا لِلرَّجَالِ، تَحِيَّةٌ  
فَتَى مَا دَعَتْهُ زَلَّةٌ فَأَجَابَهَا،  
وَقَدْ كَانَ يَتَنَّى، يَا عِنَانُ، وَبَيْنَكُمْ  
وَفِي كُلِّ عَامٍ كَانَ لِلْجَيْشِ وَقْعَةٌ  
فَتَحْتَالُ أَعْطَافٌ وَتَصِلُ سُمْرُنَا،  
تَشَاوَى عَلَى خَيْلٍ نَشَاوَى كَأَنَّا  
عَزِيزٌ عَلَيْنَا، يَا عِنَانُ، ضَلَالَةٌ  
تَبْصُرُ وَلَا تَحْمِلُ عَلَى النَّفْسِ غِيَّهَا؛  
فَدَيْتُكَ، لَا تَشْرِ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى؛

هَلِ آسَتَنَ فِيهَا وَاكْفَاتُ الْمَوَاطِرِ<sup>(١)</sup>؟  
يُخَصُّ بِهَا عِنَانُ بْنُ جَابِرٍ<sup>(٢)</sup>.  
فَكَيْفَ طَوَى كَشْحًا عَلَى نَفْسٍ غَادِرٍ<sup>(٣)</sup>؟  
بَوَاطِنُ صَنَاهَا بِحَفَظِ الظَّوَاهِرِ<sup>(٤)</sup>.  
نَجَرُ بِهَا أَذْيَالُنَا جَرَّ سَادِرٍ<sup>(٥)</sup>  
وَنَهَزَ كَالسُّمْرِ أَبْتِغَاءَ الْمَفَاخِرِ<sup>(٦)</sup>  
وَأَسْيَافُنَا لَمْ نَسْتَفِيقْ مِنْ تَسَاكِرِ<sup>(٧)</sup>.  
حَدَّثَ بِكَ لَا تَلْوِي عَلَى زَجَرٍ زَاجِرٍ<sup>(٨)</sup>.  
أُعِيدُكَ مِنْ كَرَّاتٍ دَهْرٍ جَوَاسِرٍ<sup>(٩)</sup>  
فَدَيْتُكَ، لَا تَشْرِ الْعَمَى بِالْبَصَائِرِ<sup>(١٠)</sup>.

- (١) الدمنة: آثار الدار (المكان الذي كان فيه دار مسكونة). الغضا: نوع من الشجر. السواجر: لعلها جمع سوجر - بالفتح -: نوع من الشجر (تاج العروس - الكويت ١١: ٥٠٧). آستن: هطل (فيها المطر دفعة - بالضم - واحدة وتايغ). الواكف: (المطر) السائل، الهاطل. المواطر جمع ماطرة (؟): غيمة ممطرة.
- (٢) دونكم: خذوا (اعلموا). يا للرجال (ما أحسنه من رجل).
- (٣) الكشح: الجانب (من جسم الإنسان). طوى كشحاً: أسر (حقدأ).
- (٤) صناها من صان: حفظ، حمى.
- (٥) جرّ فلان ذيله: مشى متبختراً (معجباً بنفسه). السادر (الذي لا يبالي بالواقب، المنطلق في هواه لا يفكر في شيء آخر).
- (٦) العطف (بالكسر) الجانب الأعلى من الجسم. تصل: تهنّأ. السمر جمع أسمر: الرمح. اهتزاز الرمح (في الذهاب إلى الحرب) كناية عن الثقة بالظفر.
- (٧) الشنوان: السكران (المسرور بما يملك). تساكّر (تظاهر المرء بالسكر وهو ليس سكران).
- (٨) عزيز علينا (أمر صعب علينا، ثقيل على نفوسنا، مسيء لنا). حدث بك: ساقطك، دفتك. لا تلوي: لا تلتفت (لا تسمع زجر زاجر: من يريد أن يردك عن الضلال).
- (٩) النّي: الضلال. كروة الدهر (هجمته بالأذى على الإنسان). جواسر (يريد بها جمع جاسرة: جريئة، شجاعة).
- (١٠) شرى: اشتري. البصائر جمع بصيرة: الفطنة وحسن الإدراك للأمور (ولعله يقصد العين الباصرة، من مقارنة البصائر بالعمى).

وما العربُ العرباءُ إِلَّا بِمَدِّهَا، فَمَنْ كَانَ أَوْفَى كَانَ أَوْلَ فَاخِرٍ<sup>(١)</sup>،  
فَكَمْ حَفِظْتَ مِنْ ذِمَّةِ قَوْسٍ حَاجِبٍ، وَكَمْ مِثْلٍ أَبْقَى السَّمَوَالُ سَائِرٍ<sup>(٢)</sup>،  
كَذَلِكَ كَانَ النَّاسُ يُوفُونَ، فَاتَّبَعُوا سَبِيلَ الْوَفَاءِ كَابِرًا إِثْرَ كَابِرٍ<sup>(٣)</sup>،  
وَمَنْ تَنَفَّعَ الذِّكْرَى تَلَافَى تَلَافَهُ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ مِنَ الرُّشْدِ سَافِرٍ<sup>(٤)</sup>،  
هَدَتْكَ الْهُوَادِي، يَا عَيْنَانُ، وَأَمْطَرَتْ ذُرَاكَ الْغَوَادِي بَيْنَ بَادٍ وَحَاضِرٍ<sup>(٥)</sup>.

٤- \*\* مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٩-٢٠١؛ الاعلام للزركلي ٦: ٣٣٤  
(١٠١-١٠٢).

### القرطبي صاحب التفسير

١- هو الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح  
الخزرجي الأنصاري من أهل قرطبة، ولد سنة ٥٧٨ للهجرة (١١٧٣ م). سمع من أبي  
العباس أحمد بن عمر القرطبي (٥٧٨-٦٥٦ هـ) وأخذ عن أبي عليّ الحسن بن محمد بن  
محمد البكريّ وعن أبي الحسن عليّ بن محمد بن علي بن حفص اليخضمي.

- (١) العرباء: الصريحة النسب. بمدّها: بمدّها (بكثرة عددها). أوفى: أكثر عدداً. أكثر وفاء بالعهد.
- (٢) حاجب بن زرارة (بالضم) سيّد بني تميم في الجاهلية (ت سنة ٣ هـ) كان قومه قد اعتدوا على بقعة من المراعي على ضفاف نهر الفرات لم تكن لهم. فغضب كسرى وأراد أن يمنع بني تميم من الرعي في جميع مناطق الفرات. فجاء حاجب إلى كسرى ووعده بالآل يعود بنو تميم إلى الرعي في مناطق ليست لهم وجعل قومه رهناً للوفاء بوعده. ووفى بنو تميم بالوعد. والسؤال بن عاديا، يقال فيه إنه كان وفياً بوعده. فكم حفظت من ذمة قوس حاجب (هذه القوس القليلة الثمن كانت ثمينة جداً لأنها حملت بني تميم على الوفاء بوعدهم ثم علمتهم الوفاء بالوعد في غير موقعهم مع كسرى).
- (٣) كابرًا إثر (بعد) كابر: إرثًا من سلف عظيم إلى خلف عظيم بعده.
- (٤) - والذي ينفعه تذكر ماضيه يتلافى (يتجنب) تلافه (هلاكه) ثم يكشف (يعرف، يتبر) وجهاً من أوجه الرشد (الصواب). سافر: واضح، ظاهر. ليس في «من» (هنا) معنى الشرط.
- (٥) الهادية: الدليل المتقدم في السير، الهادي الناصح. الذروة (بالكسر أو بالضم): المكان العالي (بيتك الرفيع، الشريف). الغادية: الغيمة الممطرة القادمة في الصباح. بين باد وحاضر: إذا كنت في البادية أو في الحضر (المدينة).

رَحَلَ الْقُرْطُبِيُّ إِلَى الْمَشْرِقِ وَاسْتَقَرَّ فِي مَنِيَّةِ بَنِي خَصِيبٍ، شَمَالَ أَسْوَطَ بَصْعِيدِ مِصْرَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ هُنَاكَ فِي تَاسِعِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٦٧١ (١٢٧٣/٣/٣١ م).

٢- كَانَ الْقُرْطُبِيُّ صَاحِبَ التَّفْسِيرِ رَجُلًا صَالِحًا مُتَعَبِّدًا زَاهِدًا وَمِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ مُتَبَحِّرًا فِي عَدِيدٍ مِنَ الْعُلُومِ، وَفِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ خَاصَّةً، كَمَا كَانَ مُلِيحَ النِّظَمِ.

وهُوَ مُصَنِّفٌ لَهُ: الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ لِمَا تَضَمَّنَهُ (الْقُرْآنُ) مِنَ السُّنَّةِ وَآيِ الْفُرْقَانِ (أَسْقَطَ مِنْهُ الْقِصَصَ وَالتَّوَارِيخَ وَأَثْبَتَ عَوَضًا عَنْهَا أَحْكَامَ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْبَاطَ الْأَدِلَّةِ وَذَكَرَ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِعْرَابَ وَالنَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ) - الْأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى - التَّذْكَارُ فِي أَفْضَلِ الْأَذْكَارِ - التَّذْكَرَةُ بِأَحْوَالِ الْمَوْتَى وَأَحْوَالِ (أُمُورِ) الْآخِرَةِ (= التَّذْكَرَةُ الْفَاخِرَةُ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ؟) - قِمَعُ الْحِرْصِ بِالزَّهْدِ وَالْقَنَاعَةِ وَرَذَلُ (ذَلِ) السُّؤَالِ بِالْكَفِّ (بِالْكَتَبِ) وَالشَّفَاعَةُ - شَرْحُ التَّقْصِي - أَرْجُوزَةُ (جَمَعَ فِيهَا أَسْمَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) - الْإِعْلَامُ بِمَا فِي دِينِ النَّصَارَى مِنَ الْفَسَادِ وَالْأَوْهَامِ وَإِظْهَارُ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَإِثْبَاتُ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (رَدُّ عَلَى كِتَابِ فِي الْجَدَلِ لِأَحَدِ نَصَارَى طُلَيْطَلَةَ) - كِتَابُ الْعَقِيدَةِ - الْمِصْبَاحُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَفْعَالِ (لِابْنِ الْقَطَّاعِ) وَالصَّحَاحُ (لِلْجَوْهَرِيِّ) (مَجْرَدًا مِنَ الشَّوَاهِدِ).

وَالْمَقْصُودُ بِكِتَابِهِ « الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ » أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِآيَاتِ الْقُرْآنِ. وَلَكِنْ هَذَا الْكِتَابُ لَيْسَ تَفْسِيرًا بِمَعْنَى « تَوْضِيحُ مَعْنَى الْآيَةِ بَعْدَ، الْآيَةِ »، بَلْ هُوَ « عَرْضٌ لِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ آيَةٍ مِنْ وَجْهِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ تَفْسِيرِ الْأَلْفَاظِ وَبَيَانِ إِعْرَابِهَا وَذَكَرَ مَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ أَوْجِهٍ الْبَلَاغَةِ وَمِنَ الشَّوَاهِدِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْهَا سِوَاءً أَكَانَتْ هَذِهِ الشَّوَاهِدُ مِنْ أَقْوَالِ الرِّجَالِ أَوْ مِنَ الْأَشْعَارِ أَوْ مِنَ الْأَحَادِيثِ أَوْ مِنَ الْآيَاتِ حِينَ تَوَافَقَ الْآيَةُ الْآيَةُ الْمَقْصُودَةُ بِالتَّفْسِيرِ. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ « الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ » يَنْكَشِفُ عَنْ سَعَةِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي كَانَ الْقُرْطُبِيُّ يَتَمَتَّعُ بِهَا وَعَنْ إِصَابَةِ الرَّأْيِ فِيهَا يَتَنَاوَلُ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مُفِيدٌ جَدًّا لِلْبَاحِثِ، إِذْ هُوَ يَجْمَعُ لِلْقَارِئِ مَعْظَمَ مَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ آيَةٍ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. وَلَكِنَّهُ يَشَوِّشُ الْأُمُورَ عَلَى الْقَارِئِ الْعَادِي حِينَ يَحَاوِلُ أَنْ « يَفْسِّرَ الْقُرْآنَ بِالْقُرْآنِ » (أَيَّ يَدُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ آيَةٍ مَا بَايِرَادُ مَا يَشَبْهُ تِلْكَ الْآيَةَ مِمَّا وَرَدَ

من آيات القرآن، فيختلط الأمر حينئذ على القارئ العادي بين الآية المقصودة بالتفسير في موضعها والآيات المستشهد بها. وهذه خُطّة تدعو إلى التطويل. لقد جاء تفسير الآية: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ (٢: ٤٤، سورة البقرة) في سبع صفحات (١: ٣١١-٣١٦) في نحو مائة وعشرة أسطر (نحو ألف وثلاثمائة كلمة) منها ستّة عَشَرَ بيتاً من الشعر.

وهناك مأخذ آخر على أسلوب القرطبي في التفسير حينما يفصل بين كلمات الآية الواحدة ثم يُورد في أثناء تفسير تلك الآية أقساماً من آيات توافق الآية المقصودة بالتفسير في المعنى وفي اللفظ. ففي تفسير الآية: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ. إِنَّا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢: ١٤)<sup>(١)</sup>. في أثناء شرح هذه الآية (١: ١٧٩-١٨١) يورد القرطبي أقساماً من آيات هي:

- وجزاء سيئة سيئة مثلها (٤٢: ٤٠، الشورى).
- فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ بِهِ (٢: ١٩٤، البقرة).
- ومكروا ومكر الله (٣: ٥٤، آل عمران).
- إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا (٨٦: ١٦، الطارق).
- يَخَادِعُونَ اللَّهَ، وَهُوَ خَادِعُهُمْ (٤: ١٤٢، النساء).
- فيسخرون منهم، سخر الله منهم (٩: ٧٩، التوبة).

إنَّ القارئ العادي لا يستطيع أن يَعْرِفَ (بالتأكيد) أن هذه الآيات الست مختلفة المواقع في المصحف وأنها ليست (في القراءة) من الآية المقصودة بالتفسير، والتي هي من سورة البقرة. ولكن هذه هُناك (مأخذُ سيرة) في «أسلوب» التفسير، وليست تمنع من أن نرى القرطبي في تفسيره هذا جيّد الفهم للمقصود حسن التخريج للأدلة.

### ٣- مختارات من آثاره

- ١- من مقدمة «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي المفسر (١: ٢-٣): وبعد، فلما

(١) راجع الجامع لأحكام القرآن ١: ٣١١ وما بعد.

كان كتابُ الله هو الكفيلَ بجميعِ علومِ الشرعِ الذي استقلَّ بالسُّنةِ والفَرَضِ، ونزل به أمينُ السماءِ إلى أمينِ الأرض<sup>(١)</sup>، رأيتُ أن اشتغل به مدى عُمري وأستفرغ به مُنِّي<sup>(٢)</sup> بأن أكتبُ فيه تعليقاً وجيزاً يتضمَّنُ نُكُتاً<sup>(٣)</sup> من التفسير واللُّغات والإعراب والقراءات و(من) الرَّدِّ على أهلِ الزَّيغِ والضَّلالاتِ<sup>(٤)</sup> و(من) أحاديثٍ كثيرةٍ شاهدةٍ لِمَا نذكرُه من الأحكام ونزولِ الآياتِ<sup>(٥)</sup> جامعاً بين معانيها ومُبَيِّناً ما أشكل<sup>(٦)</sup> منها (وذلك) بأقاويلِ السلفِ ومن تبعهم من الخلفِ.

وعَمَلَتُهُ تَذَكُّرةٌ لِنَفْسِي وذِخْرَةٌ لِيَوْمِ رَمْسِي وَعَمَلًا صالحاً بعدَ موتي. قال اللهُ تعالى: ﴿يُنَبِّأُ الْإِنسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾؛ وقال تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ﴾؛ وقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم: «إذا ماتَ الإنسانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُوهُ».

وشرطي في هذا الكتابِ إضافةُ الأقوالِ إلى قائلِها والأحاديثِ إلى مُصنِّفيها<sup>(٧)</sup>، فإنَّه يُقالُ: مِنْ بركةِ العِلْمِ أن يُضَافَ القولُ إلى قائله.

وكثيراً ما يحیی الحديثُ في كُتُبِ الفِقهِ مُبَهَّماً لا يَعْرِفُ مَنْ أَخْرَجَهُ<sup>(٨)</sup> إِلَّا مَنْ أَطَّلَعَ على كُتُبِ الحديثِ فيبقى مَنْ لا خِبْرَةَ له حائراً لا يَعْرِفُ الصَّحِيحَ من السَّقِيمِ<sup>(٩)</sup> - ومَعْرِفَةُ ذَلِكَ عِلْمٌ جَسِيمٌ<sup>(١٠)</sup> - فلا يُقْبَلُ منه الاحتِجاجُ به ولا الاستِدلالُ حتى

(١) أمينُ السماءِ: جبريل. أمينُ الأرض: مُحَمَّدٌ رسولُ الله.

(٢) المَنَّةُ (بالضَّمِّ): القُوَّةُ.

(٣) النُّكُتَةُ: النُقْطَةُ البارِزةُ، المسألةُ الدَّقِيقَةُ أو النادرة.

(٤) الزَّيْغُ: الحِيدُ أو الميلُ عن الطريقِ الصَّحِيحِ. الضَّلالةُ: الباطلُ، مخالفةُ الطريقِ المستقيمِ.

(٥) نزولِ الآياتِ (أسبابُ نزولها، تاريخها).

(٦) أشكلُ الأمرِ: اشْتَبَه، التبس (لم يمكن الجزم فيه برأي واضح).

(٧) مُصَنِّفُ الأحاديثِ: مرْتَبُ أحاديثِ رسولِ الله في أبوابها بحسبِ معانيها.

(٨) أخرج الحديث (بَيَّن طريق روايته).

(٩) الحديثُ الصَّحِيحُ: الثابتُ في روايته عن رسولِ الله. السَّقِيمُ من الحديثِ: ما كان في روايته عن رسولِ

الله شك أو جَرَحَ في أمانةِ رجاله (فهو ضعيف) أو ما لم يكن من أحاديثِ رسولِ الله (فهو موضوع، مكذوب).

(١٠) جَسِيمٌ: عَظِيمٌ، ضَمْبٌ.

يُضيفه إلى من خرّجه من الأئمة الأعلام والثقات المشاهير من علماء الإسلام . ونحن نُشيرُ إلى جُمْلٍ من ذلك في هذا الكتاب . والله الموقِّ للصواب .

(ثم إنني) أَضْرِبُ<sup>(١)</sup> عن كثير من قِصَصِ المُفَسِّرِينَ وأخبارِ المؤرِّخين، إلّا ما لا بُدَّ منه ولا غناء<sup>(٢)</sup> عنه للتَّبَيُّينِ . وَأَعْتَضْتُ من ذلك تَبَيُّينَ آيِ الأحكامِ بِمَسَائِلَ تُسْفِرُ عن معناها وتُرْشِدُ الطالبَ إلى مُقتضاها<sup>(٣)</sup> . فَضَمَنْتُ كُلَّ آيَةٍ تَتَضَمَّنُ حُكْمًا أو حَكْمَيْنِ فَمَا زَادَ مَسَائِلَ تُبَيِّنُ فيها ما تحتوي عليه من أسبابِ النُّزولِ والتفسيرِ والغريبِ والحُكْمِ<sup>(٤)</sup> ، فَإِنْ لَمْ تَتَضَمَّنْ حُكْمًا ذَكَرْتُ ما فيها من التفسيرِ والتأويلِ<sup>(٥)</sup> ، هَكَذَا إلى آخِرِ الكتابِ .

وَسَمَّيْتُهُ « الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان »<sup>(٦)</sup> ، جَعَلَهُ اللهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ ، وَ (أرجو) أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ وَوَالِدَيَّ بِهِ<sup>(٧)</sup> . إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ قَرِيبٌ مُجِيبٌ<sup>(٨)</sup> . آمِينَ .

- ٤ - الجامع لأحكام القرآن، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٣٣ - ١٩٥٠ م، الطبعة الثانية ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٣ م؛ القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧ م (نسخة مصورة) .
- أفضية الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة (البابي) ١٣٤٦ هـ .
- التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة<sup>(٩)</sup> (في مجموع، رقم ٤)، القاهرة (مكتبة الجمهورية العربية) بلا تاريخ؛ (صححه أحمد محمد مرسى)، القاهرة (مطابع مذكور وأولاده) بلا تاريخ .

- (١) أَضْرِبُ عن الشيء: رفض الأخذ به، ترك العمل به .
- (٢) الغناء (بالفتح): (هنا) الاستغناء . لا غناء عنه: ضروري .
- (٣) مقتضاها: وجوبها، الحاجة إليها، وجه العمل بها .
- (٤) الغريب (من الألفاظ): ما كان قليل الاستعمال . الحكم: الوجه الشرعي الذي يجب العمل به .
- (٥) تأويل الكلام: العدول به عن الحقيقة إلى المجاز، ترك المعنى الظاهر وطلب المقصود الباطن .
- (٦) الفرقان: القرآن الكريم (الذي يفرق بين الحق والباطل) .
- (٧) المن (بالفتح): النعمة، الفضل .
- (٨) في القرآن الكريم (٢: ١٨٦، البقرة): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾ (دعاني) .
- (٩) في بروكلمان (الملحق ١: ٧٣٧): بولاق ١٣٠٠؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٨، ١٣١٠ (لم يأت قبلها كلمة مطبوع) .

- التذكار في أفضل الأذكار: القرآن الكريم (خرج أحاديثه... أحمد بن محمد الفهاري)، القاهرة (الخانجي) ١٣٥٥ هـ.
- ★★- شرح التذكرة القرطبية (لأحمد بن أحمد بن محمد، المتوفى ٨٩٦ هـ)، بولاق ١٣٠٠ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٨، ١٣١٠ هـ.
- مختصر التذكرة بأحوال المتوفى النخ، لعبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣ هـ)، بولاق ١٣٠٠ هـ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ، ١٣٠٤ هـ؛ مصر (مطبعة عبد الرزاق) ١٣٠٣ هـ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ؛ مصر ١٣٢٠ هـ.
- مختار تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تصنيف توفيق الحكيم (?)، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٧ م.
- الوافي بالوفيات ٢: ١٢٢-١٢٣؛ الديباج المذهب ٣١٧-٣١٨؛ شذرات الذهب ٥: ٣٣٥؛ نفح الطيب ٢: ٤٨-٤٩، ٣: ٢٣٥-٢٣٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٥: ٥١٢ وما بعد؛ بروكلمن ١: ٥٢٩، الملحق ١: ٧٣٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٧-٢١٨ (٥: ٣٢٢)؛ سركيس ١٥٠٤، راجع ١١٣٣ (رقم ١٧).

### ابن مالك النحوي

- ١- هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي. وُلِدَ أبْنُ مالِكٍ في جَبَّانَ، سَنَةَ ٥٩٨ هـ (١٢٠٢ م) في الأغلب، ودرس فيها على ثابت بن خيار المتوفى سَنَةَ ٦٢٨ هـ (نفح الطيب ٧: ٢٨٧) وعلى أحمد بن نوارٍ وعلى أبي عبد الله محمد ابن مالك المُرْشَاقِيّ وعلى أبي علي الشلوبيني الصغير (ت ٦٦٥ هـ).
- وَرَحَلَ أبْنُ مالِكٍ في مطلعِ حياته فدرس في مِصْرَ على أبي عمرو عُثْمَانَ بنِ الحاجب (٥٧٠-٦٤٦ هـ) وأبي صادق بن الصباح (ت ٦٣٢ هـ). ثم جاء إلى دمشق فدرس على أبي الحسن بن السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) وأبي الفضل مكرم بن محمد (ت ٦٣٥ هـ). وانتقل إلى حَلَبَ فأخذ من ابنِ يَمِيشَ (ت ٦٤٣ هـ) ومن تلميذه أبْنِ عَمْرُونِ (ت ٦٤٣ هـ).

وتصدّر أبْنُ مالِكٍ للتدريس في دِمَشْقَ، وفي حماة مُدَّةً، وفي حَلَبَ أيضاً. وكانت وفاةُ ابنِ مالِكٍ في دِمَشْقَ في الثاني عَشَرَ من شَعْبَانَ من سَنَةِ ٦٧٢ (١٢٧٤/٢/٢٢ م).



٢- كان ابنُ مالكٍ إماماً في القراءات وفي اللُغة والنحو واسعَ الأَطلاعِ على أشعار العرب التي يُستشهدُ بها في اللغة والنحو: كانَ يأتي بالشاهد من القرآن الكريم، فإذا لم يجده في القرآن أخذَه من الحديث، فإذا لم يجده فيها أخذَه من أشعار العرب. ولاين مالِكِ النَّحويّ نظمٌ كثيرٌ يدورُ كُلُّه على جمع قواعدِ اللغة والنحو وعلى شوارِدِها. وهذا النوع من النظم يكون في العادة كثير التكلُّفِ قليل الروتقِ.

ولاين مالِكِ تصانيفُ كثيرةٌ منها: الفوائدُ (في النحو، وقد ضاع)- تسهيل الفوائد، (مختصر من الفوائد)- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (قيل: كتاب ضمَّنه ابنُ مالِكِ كتابَه «تسهيل الفوائد»)- شرحُ التسهيل - الموصَّل في نَظْمِ المُفصَّل (في النحو. والمفصَّل للزمخشري)- سبك المنظوم وفكَّ المختوم (نثرُ الكتاب السابق)- الكافيةُ الشافيةُ (وهي أرجوزة في ثلاثة آلاف بيتٍ مطَّعُها: قال ابنُ مالِكِ مُحَمَّدٌ وقد...)- الخلاصة (مختصر الكافية، وتُعرف عادةً بِاسْمِ الأَلْفِيَّةِ لأنَّها تتألَّفُ من نحو ألفِ بيتٍ، ومطَّعُها: قال مُحَمَّدٌ هو ابنُ مالِكِ)- شرح الكافية - إكمالُ الاعلام بمُثلَّثات الكلام - لاميةُ الأفعال - شرحُ لاميةِ الأفعال - فعل وأفعل - المقدِّمةُ الأُسدية (في النحو وضعها بِاسْمِ وَلَدِهِ تقيُّ الدين الأسد - عُدَّةُ اللاظِ وعُمدةُ الحافظ - النظم الأوجزُ في ما يُهمزُ - الاعتضاد في الظاء والضاد - نُحفةُ المودود في المقصور والممدود: وله أيضاً الداليةُ المرموزة (وهي تحتوي على ما تحويه ألفية الشاطبي<sup>(\*)</sup>) في القراءات السَّبع، وهي المعروفة بِاسْمِ «حِرزِ الأمانِي ووجه التَّهاني» أو بِاسْمِ الشاطبية اختصاراً. وفي الدالية أكثرُ ممَّا في الشاطبية - اعراب مُشكِـل البخاري.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال ابن مالِكِ النَّحويّ في مطلع «الألفيَّة»:

قال مُحَمَّدٌ هُوَ ابنُ مالِكِ: أَحْمَدُ ربي الله<sup>(١)</sup> خيرَ مالِكِ،

(\*) راجع ترجمة الشاطبي (ت ٥٩١ هـ)- في الجزء الخامس.

(١) لفظ الجلالة «الله»، هنا، مرَّقَى (بجعل الألف التي بعد اللام الثانية وقبل الهاء بين الفتح والكسر) لأنه جاء بعد كسرة (في «ربي»). وفي غير هذا الموضع (أي بعد الفتح أو الضم) يلفظ اسم الجلالة «الله» منفصلاً، نحو: قالَ اللهُ... أو هذا خَلَقَ اللهُ.

مُصْلِيًا عَلَى الرُّسُولِ الْمُصْطَفَى  
وَأَسْتَعِينُ اللَّهَ<sup>(٢)</sup> فِي أَلْفِيهِ  
تَقَرَّبُ الْأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوجَزٍ  
وَتَقْتَضِي رِضًا بِغَيْرِ سُخْطٍ  
وَهُوَ بِسَبْقِي حَائِزٌ تَفْضِيلًا  
وَاللَّهُ يَقْضِي بِهَيَّاتٍ وَافِرِهِ  
- وَمِنْ مَتْنِ الْأَلْفِيَّةِ (هَمْزَةُ «أَنَّ» - مَتَى تُكْسَرُ وَمَتَى تُفْتَحُ):

لِ «إِنَّ، أَنْ، لَيْتَ، لَكِنَّ، لَعَلَّ،  
«كَانَ» زَيْدًا عَالَمٌ بِأَنِّي  
وَرَاعَ ذَا التَّرْتِيبَ إِلَّا فِي الَّذِي  
وَهَمْزَ إِنَّ أَقْتَحَ لِسَدَّ مَصْدَرٍ  
كَأَنَّ «عَكْسُ مَا لَ «كَانَ» مِنْ عَمَلٍ<sup>(٧)</sup>؛  
كُفٍّ»، و«لَكِنَّ ابْنَهُ ذُو» ضِغْنٍ<sup>(٨)</sup>.  
كَلَيْتَ فِيهَا «أَوْ... هُنَاغَيْرِ الْبُذِيِّ»<sup>(٩)</sup>  
مَسَدَّهَا، وَفِي سَوَى ذَلِكَ أَكْثَرُ<sup>(١٠)</sup>:

(١) الشَّرْفَا: مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ بِالْفَتْحَةِ (لَا سَمَ الْفَاعِلُ الْحَلِيُّ بِاللَامِ - بِلَامِ التَّعْرِيفِ).

(٢) لَفْظُ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ» مَفْعُولٌ بِهِ.

(٣) تَحَاوَلُ (هَذِهِ الْأَلْفِيَّةُ) أَنْ تَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ وَجْهِهِ النُّحُو. الْأَقْصَى: الْأَبْعَدُ (التَّوَادُّ) أَيِ فِيهَا أَسْئَلَةٌ عَلَى الْقَوَاعِدِ وَعَلَى مَا يَشُدُّ أَيْضًا عَنْ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ. ثُمَّ تَبَسُّطُ (تَفْصِيلُ) الْبِذَلِ (الْعَطَاءِ): كَثْرَةُ وَجْهِهِ الْأَعْرَابِ، وَلَكِنْ بِإِيجَازٍ.

(٤) تَقْتَضِي (تَسْتَحِقُّ، تَطَالِبُ الْقَارِئُ الْمَتَعْلَمَ) رِضًا (سُرُورًا بِهَا مِنْهُ). السُّخْطُ: الْكُرْهُ وَالغَضَبُ. فَائِقَةُ: فَاضِلَةٌ (تَزِيدُ فِي قِيَمَتِهَا وَفِي نَفْعِهَا عَلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَعْطٍ - ت ٦٢٨ هـ - رَاجِعُ تَرْجُمَتِهِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ).

(٥) وَهُوَ (ابْنُ مَعْطٍ) مُسْتَحَقٌّ تَفْضِيلًا عَلَيَّ لِأَنَّهُ سَبَقَ فِي نَظْمِ أَلْفِيَّةٍ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ.

(٦) الْآخِرَةُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ. دَرَجَاتُ الْآخِرَةِ (يَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُحْسِنُونَ فِي الْجَنَّةِ فِي مَرَاتِبَ يَعْمَلُونَ بِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ بِحَسَبِ أَعْمَالٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا).

(٧) عَمَلُ الْأَحْرَفِ الشَّبَهَةِ بِالْفِعْلِ: (إِنَّ، أَنْ، لَكِنَّ، لَيْتَ، لَعَلَّ) تَنْصِبُ الْأَسْمَ وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ: إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ. وَعَمَلُ الْفِعْلِ النَّاقِصِ (كَانَ وَأَخَوَاتُهَا: ظَلَّ، مَا زَالَ، الْخ) تَرْفَعُ الْأَسْمَ وَتَنْصِبُ الْخَبَرَ: كَانَ زَيْدٌ قَائِمًا.

(٨) الضَّغْنُ: الْحَقْدُ. - فِي الْأَمْثَلَةِ (رَاجِعُ الْحَاشِيَةِ السَّابِقَةِ).

(٩) «رَاعَ» (فَعَلَ أَمْرًا مِنْ رَاعِي - بِرَاعِي) حَافِظٌ عَلَى تَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ فِي الْجُمْلَةِ: الْحَرْفُ الشَّبَهُ بِالْفِعْلِ (أَوْ الْفِعْلُ النَّاقِصُ) ثُمَّ اسْمُهُ ثُمَّ خَبَرُهُ: لَيْتَ زَيْدًا قَائِمًا. - أَمَّا إِذَا اتَّصَلَ بِالْخَبَرِ (أَوْ بِمَا يَقُومُ مَقَامَهُ) حَرْفُ جَرٍّ (أَوْ ظَرْفٍ)، فَحِينَئِذٍ يَتَقَدَّمُ الْخَبَرُ عَلَى الْأَسْمِ: لَيْتَ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ ثَمَرًا (ثَمَرًا) «اسْمُ «لَيْتَ» مُؤَخَّرٌ». كَانَ فِي الدَّارِ رَجُلٌ. لَيْتَ هُنَا غَيْرَ الْبُذِيِّ. الْبُذِيُّ: الَّذِي يَتَكَلَّمُ كَلَامًا قَبِيحًا.

(١٠) تَفْتَحُ هَمْزَةُ «أَنَّ» إِذَا كَانَتْ هِيَ وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا يُمْكِنُ تَأْوِيلُهَا بِمَصْدَرٍ يَكُونُ مَعْمُولًا لَهُ مَحَلٌّ مِنْ =

وَأَكْثَرُ فِي الْإِبْتِدَاءِ، وَفِي بَدْءِ صِلَةٍ،  
أَوْ حُكَيْتَ بِالْقَوْلِ، أَوْ حَلَّتْ مَحَلَّ  
وَكَسَرُوا مِنْ بَعْدِ فَعَلٍ عَلَّقَا  
بَعْدَ إِذَا فُجَاءَةً، أَوْ قَسَمَ،  
مَعَ تِلْوٍ «فَا الْجَزَا» - وَذَا يَطْرُدُ  
وَبَعْدَ ذَاتِ الْكَسْرِ تَصَحَّبُ الْخَبَرُ  
وَلَا يَلِي ذِي اللَّامِ مَا قَدْ نُفِيا  
وَحَيْثُ «إِنَّ» لِيَمِينٍ مُكْمَلَةٌ<sup>(١)</sup>،  
حَالٍ «كَزُرْتَهُ وَإِنِّي ذُو أَمَلٍ»<sup>(٢)</sup>،  
بِاللَّامِ «كَأَعْلَمُ إِنَّهُ لَذُو تُقَى»<sup>(٣)</sup>،  
لَا لَامَ بَعْدَهَا بِوَجْهَيْنِ نُمِي<sup>(٤)</sup>،  
فِي نَحْوِ: «خَيْرُ الْقَوْلِ إِنِّي أَحْمَدُ»<sup>(٥)</sup>،  
لَامُ ابْتِدَاءٍ، نَحْوِ «إِنِّي لَوَزَرَ»<sup>(٦)</sup>.  
وَلَا مِنْ الْأَفْعَالِ مَا كَ «رَضِيَا»<sup>(٧)</sup>،

= الإعراب: علمت أن زيدا قادم (علمت قدوم زيد - قدوم مفعول به) - العدل أن تنصف الناس من نفسك: العدل إنصافك الناس من نفسك (إنصاف خبر) الخ. وفي سوى ذلك من الأماكن تكسر همزة «أن».

(١) الهمزة في «أن» (من الأحرف المشبهة بالفعل) تأتي أحياناً مكسورة وأحياناً مفتوحة. تكون مكسورة: إذا جاءت في أول الكلام (إنَّ الله يحب المحسنين) - وفي بدء الجملة التي تكون صلة لاسم الموصول (جاء الذي إنَّ حديثه يعجبني) - وبعد القسم (والله، إنَّ العلم نافع).

(٢) حُكِيَتْ بالقول (جاءت بعد فعل القول): قال سعيد: إنَّ الجوّ بارد («إن» الجوّ بارد «جملة مقولة القول، وهي تصلح لأن تكون بدء الكلام»). «زرته وإِنِّي ذُو أَمَلٍ» «إِنِّي ذُو أَمَلٍ» جملة في محلِّ نصب حال (بعد واو الحال).

(٣) لو قلنا: اعلم أن العلم نافع (فهمزة «أن» تكون مفتوحة - لأنَّ «أَنَّ وما بعدها» يتأول بمصدر يقع مفعولاً به للفعل «علم». فإذا قلنا: اعلم إنَّ العلم نافع، كسرنا همزة «أن»).

(٤) إذا جاءت «أن» بعد «إذا» الفجاءة (وليس بعدها لام التوكيد): «سمعت صوتاً مطلقاً، فالتفت فإذا أنه ذئب يموي (هنا يجوز فتح همزة أن وكسرها). فإذا تلتها لام التوكيد «.....» فإذا إنه لذئب.....» (تعين كسر همزة «أن»). وكذلك في القسم: «أقسم بالله أنه بريء (يجوز الوجدان في «أن»). فإذا قلنا: «أقسم بالله إنه لبريء» (كانت همزة «ان» مكسورة). نعى ينمي: رفع، نسب (صحَّ عن المتقدمين).

(٥) إذا جاءت «أن» مسبوقه بفاء الجزاء (في جملة شرطية أو شبهة بالشرطية)، فهمزة «أن» تكون مكسورة: ومن يتبَّ من ذنوبه، فإنَّ الله غفور رحيم. يطرَّد: يأتي بلا شواذ.

(٦) إنَّ لام التوكيد تدخل على الخبر جوازاً: إِنِّي واثق - إِنِّي لواثق (ولكن همزة «أن» تكون في الحالين مكسورة).

(٧) ولام التوكيد هذه تدخل على الفعل المضارع إذا كان مشتبهاً. إنَّ الإنسان ليرضى عن الحسن في كل حين، أو إذا كان اسم فعل (بمعنى الفعل المضارع): إنَّ زيدا لنعم الرجل - ولنعم الرجل زيد. ولكنها لا تدخل على الفعل الماضي ولا على الفعل المضارع إذا جاء منفياً، فلا يقال: إن زيدا لرضي أو أن زيدا لا يرضى.

وقد يليها مَعَ قَدْ، «كَيْانَ ذَا» لقد سما «على العِدَا مُسْتَحْوَذاً»<sup>(١)</sup>.

٤- كنت أودّ أن أنسّق تآليفَ ابنِ مالكٍ وشروحَها وحواشيها نسقاً منطقيّاً - كما كنت قد فعلت بتآليفِ ابنِ هشامٍ الأنصاريّ (٣: ٧٨٣ - ٧٨٧) - ولكنّ يبدو أن الشروحَ والحواشيَ على تآليفِ ابنِ مالكٍ أكثرُ تعقيداً منها على شروحِ ابنِ هشامٍ. ثمّ أدركني زمنُ الطّباعة - وأنا في إعدادِ هذا الجزء للطبع (وإن كان وضعه بالتآليف والترتيب والنسخ قد تمّ منذ زمن بعيد). من أجل ذلك أثرتُ الطريقةَ التالية، وهي أهون عليّ. فعسى أن تُتاحَ فرصةٌ في الطّبعاتِ المقبلة فاستدركَ هنالك ما فاتني هنا.

ويرى القارئ أنّ الطّبعاتِ الحديثةَ هنا قليلةٌ (ولا أعتقدُ أنها في الأصل قليلةٌ). غير أنّني قد اعتمدتُ في جمعِ هذه الكتبِ مكتبةَ جامعةِ بيروتَ العربيّةِ (وكسبُ ابنِ مالكٍ فيها قليلةٌ جدّاً لا تتجاوز أربعةً) ومكتبةَ يافثَ في الجامعةِ الأميركيّةِ في بيروتَ (وكانتُ كسبُ ابنِ مالكٍ فيها قليلةً أيضاً) ثمّ معجمَ المطبوعاتِ العربيّةِ ليوسفَ إليان سركيس (مصر ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م) و«تاريخَ الأدبِ العربيّ» لكارل بروكلمن (خسة أجزاء، ليدن ١٩٣٧ - ١٩٤٩ م).

### كتب ابن مالك:

- ★ ألفتُ ابنَ مالكٍ، وتُعرف أيضاً بِاسمِ «الخلاصة»: - (شرح دى ساسي)، باريس ١٨٣٣ م (١٢٤٩ هـ).
- بولاق ١٢٥١، ١٢٥٣، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٢٩، ١٣٣٢ هـ. القاهرة (المكتبة التجارية) الطبعة الثالثة ١٩٣٢ م.
- (مع شرح لعبد الواحد)، كاونبور (الهند) ١٢٦٠ هـ.
- في مجموع «أمّهات الفنون» (مصر؟) ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٩٥ هـ (١٨٦٣ - ١٨٧٨ م).

---

(١) وتدخل هذه اللام على «قد» التي تسبق الفعل الماضي لتوكده أو على الفعل المضارع لتكسبه تأكيداً: لقد جاء سعيد مسروراً - ولقد يكون الحسن محبوباً.

- القاهرة (طبع حجر - مطبعة المدارس) <sup>(١)</sup> ١٢٩٠ هـ.
- قسنطينة (الجزائر) ١٨٨٧ م (١٣٠٥ هـ).
- (نشرها غوغيه) <sup>(٢)</sup>، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
- ؟ (مطبعة محمد أبي زيد) ١٣٠٦، ١٣٠٧ هـ.
- مصر (المطبعة البارونية) ١٣٠٨ هـ.
- طهران (طبع حجر) ١٢٨٨ (نيروزية: فارسية) = ١٣١٠ هـ.
- ؟ (في مجموع) ١٣١٠، ١٣١٣ هـ.
- (حررها محمد حسن علي)، لكنهو (طبع حجر) ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ).
- نشرها أنريكو فيتو <sup>(٣)</sup> - مع ترجمة وشرح) بيروت ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ).
- لاهور (الهند) ١٩٠٢ م (١٣٢٠ هـ).
- فاس ١٣٢٣ هـ.
- مصر (المطبعة الحسينية) ١٣٢٥ هـ.
- مصر (المطبعة اليمنية)، مراراً ثم ١٣٣٠ هـ.
- ★ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (للبخاري)، الهند ١٣١٩؛ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة (دار العروبة) ١٩٥٧ م.
- ★ أرجوزة في الثلاث <sup>(٤)</sup> (نشرها محمد الأمين الشنقيطي)، القاهرة ١٣٢٩ هـ.
- ★ سهيل الفوائد وتكميل المقاصد (تحقيق محمد كامل بركات)، القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧ م.
- ★ لامية الأفعال (المفتاح في أئنية الأفعال)، بطرسبورج ١٨٦٤ م (١٢٨١ هـ)؛ (مع الألفية)، بيروت ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
- ★ تحفة المودود في المقصور والممدود (تحرير إبراهيم البازجي)، القاهرة (مطبعة البيان) ١٨٩٧ م (١٣١٥ هـ)؛ (نشرها محمد بن الأمين الشنقيطي - مع أرجوزة الثلاث لابن مالك)؛ (مطبوع مع الاعلام)، مصر ١٣٢٩ هـ.
- ★ منظومة فيما ورد بالواو والياء (في مجموعة)، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ.
- ★★ شروح وحواش على كتب ابن مالك مباشرة:

(١) طبعة واحدة أو طبعتان (٢).

(٢) Goguyer.

(٣) E. Vitto.

(٤) يرد هذا الكتاب بعنوانين مختلفة: الاعلام أو اكمال الاعلام بثلاث الكلام (سركيس ٢٣٣) وأرجوزة في الثلاث - بيان ما فيه لغات ثلاث فأكثر - الثلاث ذو المعنى الواحد (بروكلمن ١: ٣٦٣، الملحق ٥٢٦).

(أ) على ألفية ابن مالك:

- شرح على ألفية ابن مالك لأبي زيد عبد الرحمن بن عليّ المكودي (ت ٨٠١ هـ)، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ ثم ١٣١٥، ١٣٢٠؛ فاس ١٢٩٤، ١٣١٨ هـ، ثم بلا تاريخ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٣٥٤ هـ.
- الدرة المضية..... لبدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٦٨٦ هـ)، بيروت ١٣٠٢؛ القاهرة ١٣٤٢ هـ؛
- منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، لأثير الدين أبي حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، (حرّره وقدم له سدي غليزر)، نيواغن (جمعية الاستشراق الأميركية) ١٩٤٧ م.
- شرح ألفية ابن مالك، لعبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، بولاق ١٢٥١، ١٢٥٣ هـ، ١٢٨١ هـ؛ القاهرة (دار الطباعة) ١٢٦٥ هـ؛ (نشرها ديتريشي)، ليسك ١٨٥١ م (١٢٦٨ هـ)؛ برلين ١٨٥٢ م بيروت (المكتبة العمومية) بلا تاريخ ثم ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ)؛ القاهرة ١٣٠٦ هـ؛ القاهرة (المكتبة التجارية)، الطبعة الثالثة ١٩٣٢، ١٩٥٨ م.
- شرح خطبة (مقدمة) ألفية ابن مالك، تأليف محمد الكردودي، فاس (بلا تاريخ).
- أوضح المسالك أو التوضيح لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦٢ هـ) (تحرير عبد الرحيم الصفيوري)، كلكتا ١٢٤٨ هـ = ١٨٣٢ م، ١٢٣٧ هـ (١٢٥٣ هـ)؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣١٢، ١٣١٦ هـ؛ بولاق ١٣١٠ هـ؛ (في مجموعة) ١٣٢٦ هـ؛ القاهرة (مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده)، الطبعة الثالثة ١٩٦٤؛ القاهرة (المكتبة التجارية)، الطبعة الرابعة ١٩٥٦ م؛ بيروت (دار إحياء العلوم) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
- المقاصد النحويّة في شرح شواهد الألفية (ويعرف بعنوان: الشواهد الكبرى)، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، القاهرة ١٢٩٧ هـ؛ (على هامش «خزانة الأدب» للبغدادي)، القاهرة ١٢٩٩ هـ.
- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، لملي بن محمد الأشمونيّ (ت نحو ٩٠٠ هـ)، (بهامش حاشية على شرح الأشموني)، بولاق ١٢٨٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣١٥ هـ؛ (حقّقه محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م.
- البهجة<sup>(١)</sup> المرصّية (شرح الألفية) لجلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١ هـ)، لكنهو ١٨٣١ م

(١) ربّما قرئت «النهجة» بالنون راجع سركيس، ص ١٠٧٦؛ بروكلن ١: ٣٦٢، الملحق ٢: ٥٢٤ (الكتاب رقم ١٥ فيها).

(١٢٤٧ هـ)، طهران (طبع حجر) ١٢٤٨، ١٢٦٨، ١٢٨٤ هـ؛ القاهرة ١٢٨٢ هـ؛ تبريز (طبع حجر) ١٢٨٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة المدارس) ١٢٩١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ؛ (بهامش الأزهار الزينية) بولاق ١٢٩٤ هـ (؟)؛ القاهرة ١٣١٩ هـ.

- تمرين الطلاب في صناعة الاعراب (على القسم النحوي من الألفية) لحالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٥٢، ١٢٩٢ هـ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٤، ١٢٨٩، ١٢٩٣ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة ١٣٠٨، ١٣١٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٢ هـ؛ القاهرة ١٣٣٥ هـ.

- موصل الطلاب إلى قواعد الاعراب لحالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)، (بهامش «تمرين الطلاب»، سنة ٩٠٥ هـ).

- الأزهار الزينية في شرح متن الألفية، تأليف أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)، بولاق ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٩ هـ.

#### (ب) شروح على لامية الأفعال:

- شرح بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ)، هلسنغفورس - فنلندة ١٨٥١ م (١٢٦٨ هـ)؛ (نشرها كلفرن)، هلسنغفورس ١٨٥٤ م (١٢٧١ هـ)؛ (نشرها كلفرن وفولك)، بطرسبورج ١٨٦٤ م (١٢٨١ هـ)؛ (نشرها فولك)، ليبسغ ١٨٦٦ م (١٢٨٣ هـ)، بيروت ١٣١٢ هـ (سركيس ٢٣٥).

- الهند ١٢٦١ هـ؛ (في «مجموع من مهمات الفنون»): القاهرة ١٢٧٣، ١٢٧٦، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٩٥، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٢٣ هـ؛ فاس ١٣١٧ هـ؛ تونس ١٣٢٩ هـ (؟).

- الشرح الكبير والشرح الصغير، لمحمد بن عمر بن بحرّ اليميني الحضرمي (ت ٩٣٠ هـ)، القاهرة ١٣٠٥ هـ؛ تونس ١٣٢٩ هـ.

- حاشية على «لامية الأفعال»: لأحمد الرفاعي المالكي الأزهرى، القاهرة ١٢٩٧، ١٣٠٤ هـ، ١٣٠٦ هـ.

- حاشية على الشرح الكبير والشرح الصغير (لابن بحرّ)، تأليف محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي الفاسي، فاس ١٢١٥ هـ؛ القاهرة ١٣١٨ هـ.

#### (ج) خلاصة ومعارضة:

- خلاصة الخلاصة (الألفية) لمؤلف مجهول، لكن هو (بلا تاريخ).  
- المعارضة على ألفية ابن مالك أو الاحرار (؟ بروكلن ١: ٣٦٢، السطر ٢٢، الملحق ١: ٥٢٣، رقم ٢٥، ٣: ١٢١٥، السطر الخامس)، لعبد الودود بن عليّ بن أحمد بن المختار

- الشنقيطي (ت بعد ١٣٠٠)، القاهرة ١٣٢٧ هـ.
- ★★ شروح وحواش على شروح وحواش (منسوقة بحسب وفيات مؤلفيها - والذين لم أعثر الآن على تواريخ وفياتهم ألحقوا بآخر هذه القائمة):
- حاشية على شرح ابن عقيل لعبد الرحمن بن صالح المكوذي (ت ٨٠١ هـ)، القاهرة ١٢٧٩ هـ، ١٣٠٥ هـ.
  - التصريح بمضمون التوضيح على أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، لخالد الأزهري (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٨٦، ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٤٤ هـ؛ طهران ١٢٨٦ ثم ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).
  - حاشية لابن زين الدين الحمصي (ت ١٠٦١ هـ) على شرح التوضيح لخالد الأزهري (بهامش «التصريح بمضمون التوضيح»)، مصر ١٣٠٥ هـ.
  - حاشية (على البهجة المرئية للسيوطي)، تأليف ياسين بن زين الدين عليم الحمصي العليمي (توفي في عاشر شعبان من سنة ١٠٦١ = ١٦٥٩/٧/٢٩ م)، فاس ١٣٢٧ هـ؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣١٣ هـ ثم (بهامش التصريح على التوضيح، تأليف خالد بن عبد الله الأزهري)، طهران ١٨٨١ م (١٢٩٩ هـ) و ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
  - حاشية على شواهد شرح ابن عقيل، لعبد النعم الجرجاوي (ت ١١٩٥ هـ)، بولاق ١٢٦٤ هـ؛ القاهرة ١٢٨٠، ١٢٩٥، ١٣٠١، ١٣٠٨، ١٣١١، ١٣٢٥ هـ.
  - حاشية الشيخ أبي العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الفتاح الجبري الملوحي (ت ١١٨١ هـ) على شرح المكوذي على ألفية ابن مالك، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ. ثم (بهامش شرح المكوذي)، القاهرة (؟) ١٣٠٥ هـ.
  - شرح شواهد ابن عقيل، تأليف عبد النعم الجرجاوي (ت ١١٩٥ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣١١ هـ.
  - زواهر الكواكب لبواهر المواكب، تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن سعيد التونسي (ت ١١٩٩ هـ)، وهي حاشية على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تونس ١٢٩٣ هـ، ١٢٩٨ هـ.
  - فتح الجليل على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك أو حاشية السجاعي، تأليف أحمد بن محمد السجاعي (ت ١١٩٧ هـ)، بولاق ١٢٧٠، ١٢٨٦، ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٦ هـ؛ (مع تقرير الشيخ محمد بن محمد الأنباري المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)، بولاق ١٣٠٣ هـ.



- حاشية على أوضح المسالك، للطيب بن عبد المجيد الكراني (؟) (المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ)، فاس ١٣١٥ هـ.
- حاشية لمحمد علي الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، بولاق ١٢٨٠، ١٢٨٥، ١٢٨٨؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣١٩، ١٣٢٣ هـ.
- نظم أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف أبي عبد الله محمد بن حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٤٧ هـ)، فاس ١٣١٨ هـ.
- شرح نظم أوضح المسالك.... تأليف ابن حمدون السلمي (مطبوع مع «نظم أوضح المسالك»).
- حاشية على شرح الأزهرية لخالد الأزهرى، تأليف حسن بن محمد العطار (ت ١٢٥٠ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ.
- حاشية حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٧٣ هـ) على شرح مجرق على لامية الأفعال لابن مالك، فاس ١٣١٥ هـ.
- كشف الخفاء والغطاء: حاشية على أوضح المسالك، للطالب بن حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٧٤ هـ)، فاس (؟) ١٣١٨ هـ.
- فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل، تأليف محمد بن عبد الرحمن الشهير بلقب قطّة العدوي (ت ١٢٨١ هـ)، بهامش حاشية الجرجاوي، بولاق ١٢٦٤ هـ؛ ثم (مستقلة) بيروت ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ) راجع بروكلمان ١: ٣٦١ (السطر العاشر)، الملحق ١: ٥٢٤ (السطر الثالث)؛ القاهرة ١٣٠٥ هـ؛ بهامش شرح شواهد ابن عقيل، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣١١ هـ.
- حاشية على شرح ابن عقيل، تأليف محمد الخضرى الدمياطي (ت ١٢٨٨ هـ)، القاهرة ١٢٧٢، ١٢٨٢، ١٢٨٧، ١٢٩١، ١٣٠٣، ١٣٠٥، ١٣١٧، ١٣٢٢، ١٣٤٥ هـ.
- حاشية نصر الموزيني (ت ١٢٩١ هـ) على «منهاج السالك» للأشموني، بولاق ١٢٩٤ هـ.
- حاشية الشيخ أحمد الرفاعي الأزهرى (ت بعد ١٣١٢ هـ) على شرح مجرق على لامية الأفعال لابن مالك، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٩٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤ هـ.
- تقرير العالم (حاشية على حاشية الصبان) لمحمد الأنباي (ت ١٣١٣ هـ)، بولاق ١٢٨٨ هـ.
- حاشية محمد علي بن سعيد على منهاج السالك، فارس (طبع حجر) ١٢٦٨ هـ (؟). تونس ١٢٠٠-١٢٠٨، ١٢٩٢-١٢٩٣ هـ.
- تقارير على حاشية السجاعي لمحمد بن محمد الأنباي (ت ١٣١٣)، بولاق (؟) ١٢٩٦، ١٣٠٣ هـ.

- تقرير على حاشية الصبان (على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، تأليف اسماعيل الحامدي (ت ١٣١٦ هـ)، مصر ١٣٠٥ هـ.
- شرح محمد المهدي بن محمد الوزاني (ت ١٣٤٢ هـ) على شرح المكودي على ألفية ابن مالك، فاس ١٣١٨ هـ.
- إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف عبد الحميد الشرنوبي (ت ١٣٤٨ هـ)، بولاق ١٣١٩ هـ.
- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة (الطبعة العاشرة).... الطبعة الحادية عشرة ١٩٦١ م.
- بغية السالك إلى أوضح المسالك، تأليف عبد المتعال الصعيدي (نحو ١٩٧٥ هـ؟).... شروح وحواش لم أستطع تحقيق مؤلفيها فسررتها بحسب تواريخ طبعتها:
- حاشية ميرزا أحمد طالب (على البهجة للسيوطي)، طهران ١٣٧٥ هـ.
- إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك، تأليف محمد بن مسعود الشرباطي العثماني، فاس ١٣١٥، ١٣٠٥ هـ.
- حاشية المهدي بن مصطفى القرشي (النقرشي؟) على ألفية ابن مالك، فارس-إيران ١٣٠٩ هـ.
- حاشية على شرح المكودي لأحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج، فاس (بلا تاريخ)؛ القاهرة (بها مش شرح المكودي)، ١٣١٥ هـ.
- حاشية..... على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك، فاس ١٣١٥ هـ، القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣١٨ هـ.
- حاشية على شرح المكودي، تأليف المهدي بن سليمان الصدري، فاس (؟) ١٣١٨ هـ.
- التوضيح أو تهذيب أوضح المسالك: حاشية ألفها محمد سالم علي وأحمد مصطفى المراغي، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م).
- الكواكب الدرية (شرح الألفية)، تأليف صالح بن عبد الصنوع الآبي الأزهرى، القاهرة ١٣٤٤ هـ.
- القواعد الأساسية للغة الغربية حسب منهاج شرح الألفية، تأليف.... القاهرة ( ) ١٣٥٤ هـ.
- فوات الوفيات ٢: ٢٨٤ - ٢٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٥٩ - ٣٦٤؛ ابن قنفذ ٣٣٢؛
- بغية الوعاة ٥٣ - ٥٧؛ شذرات الذهب ٥: ٣٣٩؛ فح الطيب ٢: ٢٢٢ - ٢٣٣، ٦؛
- ٢٤٦، ٧: ٣٧٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٦١ - ٨٦٢؛ نيكل ٣٥٧ - ٣٥٨؛
- مختارات نيكل ٢٠٤؛ بروكلمن ١: ٣٥٩ - ٣٦٣، الملحق ١: ٥٢١ - ٥٢٧؛ سركيس
- ٢٣٢ - ٢٣٤، راجع ١٧٨٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١١ (٦: ٢٣٣)؛ معجم المؤلفين ١٠: ٢٣٤؛ العربي ٩/ ١٩٧٢.

## مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَلَمِيِّ

١- هو أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مَيْمُونِ التَّمِيمِيِّ الْقَلَمِيِّ، نسبةً إلى قَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ (قَدَّ كَانَ جَدُّ أَبِيهِ مَيْمُونٌ قَاضِيًا فِيهَا). نَشَأَ فِي مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ وَأَخَذَ فِيهَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنَدَاسٍ. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى بَجَايَةِ وَاسْتَوطنَهَا، وَفِيهَا بَرَعَ وَاشْتَهَرَ. وَقَدْ تَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ فِي فُنُونِ الْعَرَبِيَّةِ - اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ - . وَتُوفِّيَ فِي بَجَايَةِ، سَنَةَ ٦٧٣ هـ (١٢٧٤ - ١٢٧٥ م).

٢- كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَلَمِيُّ مُشَارِكًا فِي عَدِيدٍ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ، فِي الْفِقْهِ وَالتَّارِيخِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ، بَارِعًا فِي عِلْمِ التَّصْرِيفِ مُحِبًّا لِلتَّعْلِيلِ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ جَنِّي<sup>(١)</sup>. كَمَا كَانَ شَاعِرًا عَلَى شَعْرِهِ نَفْحَةً دِينِيَّةً وَنَفْحَةً صُوفِيَّةً. وَكَانَ مُصَنِّفًا لَهُ: الْمَوْضِعُ فِي عِلْمِ النَّحْوِ - حَدَقُ الْعِيُونِ فِي تَنْقِيحِ الْقَانُونِ (نَحْو) - نَشْرُ الْحَقِيقِ فِي مُشْكَلَاتِ أَبِي عَلِيٍّ (الْفَارِسِيِّ فِي كِتَابِهِ: الْإِيضَاحُ فِي النَّحْوِ).

### ٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَلَمِيُّ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ:

أَمِنْ أَجَلٍ أَنْ بَانُوا فَوَادِكُ مُغْرَمٌ	وَقَلْبُكَ خَفَّاقٌ وَدَمْعُكَ يَنْجِمُ <sup>(٢)</sup> ؟
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ جِسْمَكَ مُنْجِدٌ	وَقَلْبُكَ مَعَ مَنْ سَارَ فِي الرِّكْبِ مُتِمُّ <sup>(٣)</sup> .
وَمِنْ قَائِلٍ فِي نَظْمِهِ مُتَعَجِّبًا:	أَجِسَّمُ بِلَا قَلْبٍ، فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ؟
وَلَا عَجَبٌ أَنْ فَارَقَ الْجِسْمَ قَلْبُهُ،	فَحَيْثُ نَوَى الْمَحْبُوبُ يَتَوَي الْمُتِمُّ <sup>(٤)</sup> !
عَسَاهُمْ، كَمَا أَبَدُوا صُدُودًا وَجُفُوءًا،	يَعُودُونَ لِلْوَصْلِ الَّذِي كُنْتُ أَعْلَمُ.

(١) ابن جَنِّي: أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) من أئمة النحو والأدب.

(٢) بانوا: ذهبوا، ابتعدوا. سجم الدمع: سال.

(٣) أنجد الرجل: جاء نجداً (المكان العالي). الركب: الجماعة المسافرون معاً. أنهم (بفتح فسكون) الرجل: نزل إلى تهامة (بالكس): ساحل الحجاز (المكان المنخفض). - يريد أن يقول: حاجات جسمي مختلفة من حاجات قلبي (نفسي، عقلي).

(٤) نوى: مكث. المتيم: الذي تيمه (ذللّه) الحب.

إليك، رسولَ الله، أرفعُ حاجتي؛  
فقد سارتِ الرُّكبانُ واغتنموا المنى،  
وهبني عَصِيَّتُ اللهَ جهلاً وَصَبُوءَ،  
وقد أثقلتُ ظَهري ذُنُوبٌ عَظِيمَةٌ،  
فأنتَ شفيعُ الخلقِ، والخلقُ هُمُ (١).  
وإنِّي من دونِ الخلائقِ مُحَرَّمٌ (٢).  
فمن يقبلُ الشُّكوى ومن يترحمُ (٣)؟  
ولكنَّ عَفوَ اللهَ أعلى وأعظم.

- وله من قصيدة يبدو عليها أثرُ ابنِ عبدون: «الدهر يفجعُ بعدَ العينِ  
بالأثر» (٤):

الخُبْرُ أصدقُ في المَرأى من الخَبَرِ.  
وخَلَّ عن زَمَنِ تخشى عواقِبَه،  
أين الألى جَنَّبوا خَيْلاً مُسَوِّمَةً  
تناقصَ الناسُ في الدنيا، وقد عَلِمُوا  
أودى بدارا وأودى بابنِ ذي يَزَنٍ  
فمَهْدِ العُذْرَ، ليسَ العينُ كالأثرِ (٥).  
إنَّ الزمانَ إذا فَكَّرَتِ ذُو غَيْرِ (٦).  
وشَيَّدوا إِرْماً خوفاً من القَدَرِ (٧)؟  
أَنَّ المُقامَ بها كاللَّمَحِ بالبَصَرِ:  
وفَلَّ غَرْبَ هِرْقَلٍ؛ إِنَّه لَحَرِي (٨)!

- (١) الهميم جمع هائم: الذي اشتدَّ عطشه، الذي اشتدَّ حبه، الذي سار على وجهه لا يدري إلى أين يذهب.  
(٢) المنية: ما يتناهى (يرغب فيه) الإنسان. اغتنموا (رجعوا) المنى: وصلوا إلى مكة والمدينة. محرم = محروم (من الذهاب إلى الحج).  
(٣) الصبوة: الميل إلى النساء.  
(٤) راجع الجزء الخامس، ص ١٩٢.  
(٥) مهد العذر (اجمل طريق اعتذاري إليك مهاداً: سهلاً في المير): اقبل عذري. العين: الشخص المائل (القائم أمام الراي من كل شيء).  
(٦) خلَّ عن زمن: أترك التذكُّر لزمن. غير (بكسر ففتح) الدهر: أحداثه وأحواله المتغيرة. ويجوز أن تكون جمعاً لكلمة «غيرة» (بكسر ففتح ففتح) راجع تاريخ العروس (الكويت ٣: ٢٨٧).  
(٧) جنب القوم خيلهم (جعلوها تسير مسرعة ملحمة إلى جنب إيلهم، استعداداً للقتال). السومة: المعدة (بضم ففتح ففتح) فداًل مشددة مفتوحة:، المهيأة. شيد: بنى بالحجارة الضخمة. إرم (بكسر ففتح) مدينة قديمة، قيل كانت سقوفها من النحاس (وقد سقاه ابن خلدون، في مقدمته، هذا القول. وقال: هي ارم ذات المعاد أو الأعمدة، أي البلدة التي يسكن أهلها في الخيام).  
(٨) أودى الدهر بالرجل (أهلكه). دارا ملك فارسي: ابن ذي يزن (ملك من ملوك اليمن العرب). فل: ثلم (قطع). الغرب: حدَّ السيف. هرقل: ملك من ملوك الروم. إنه لحري: إنه حري بذلك (جدير به، ينتظر منه ذلك: حري بالدهر أن يهلك كلَّ الناس، وحري بهرقل أن يهلك كما يهلك جميع الناس).

وَلْتَفْتَكِرْ فِي مُلُوكِ الْعَرَبِ مِنْ يَمَنِ، وَلْتَعْتَبِرْ بِمُلُوكِ الصِّينِ مِنْ مُضَرَ<sup>(١)</sup> :  
أَفْنَاهُمْ الدَّهْرُ أَوَّلَاهُمْ وَآخِرَهُمْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ سِوَى الْأَسْمَاءِ وَالسَّيْرِ..

٤- \*\* تعريف الخلف ٢ : ٣٥٩-٣٦٣ عنوان الدراية ٩٤-٩٩ تاريخ الجزائر العام  
٢ : ٦٠-٦٢ تاريخ أعلام الجزائر ١٤٨-١٤٩ : الأعلام للزركلي ٦ : ٣١٧  
(٨٦) : الطمار ٩٥-٩٨ : الأصالة ٤ : ١٩ (ص ٢٨٢).

## ابن الجنان الشاطبي

١- هو فخر الدين أبو الوليد محمد بن (الشريف، المشرف) سعيد بن هشام بن  
الجنان الشاطبي الحنفي، وُلِدَ في شاطبة سنة ٦١٥ للهجرة (١٢١٨-١٢١٩ م).  
قَدِمَ ابنُ الجنانِ الشاطبيُّ إلى الشامِ وَسَكَنَ دِمَشْقَ وَصَحِبَ فِيهِ كِمَالَ الدِّينِ عُمَرَ بْنَ  
أَحْمَدَ بْنِ الْعَدِيمِ (٥٨٨-٦٦٠ هـ) وابنه مجد الدين فانتقل في صحبتها من المذهب  
المالكي إلى المذهب الحنفي. وفي دمشق درس في المدرسة الإقبالية. وكانت وفاته سنة  
٦٧٥ هـ (١٢٧٦-١٢٧٧ م).

٢- كان ابن الجنان الشاطبي أديباً فاضلاً وشاعراً مُحَسَّناً على الطريقة الصوفية.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الجنان الشاطبي في الأغراض الصوفية:

أَفْنَانِي الْقَبْضُ عَنِّي حَتَّى تَلَاثِي وَجُودِي<sup>(٢)</sup>  
وَجَاءَ فِي الْبَسْطِ يُحْيِي رُوحِي بِفَضْلِ وَجُودِي<sup>(٣)</sup>

(١) ولتفتكر (فكر أنت في ما صار إليه أمر ملوك العرب). مضر: عرب الشمال. وملوك الصين، في التاريخ، لا صلة لهم بمضر.

(٢) القبض: حال يكون الصوفي فيها مجذوباً إلى الله (لا وجوداً شخصياً له).

(٣) البسط ضد القبض. يظل الصوفي في هذه الحال قريباً من لطف الله، ولكن الله يُبْقِي له وجوده الشخصي راحة بالناس كيلا يفزعهم أن الإنسان يمكن أن يصل إلى تلك المرتبة.

فَقُلْتُ لِلنَّفْسِ: شُكْرًا، لَذَاكَ بِالنَّفْسِ جُودِي<sup>(١)</sup>.  
وَقُمْتَ أَشْطَحَ سُكْرًا، فَعِثْتُ عَنْ ذَا الْوُجُودِ<sup>(٢)</sup>!

- وقال ابنُ الجَنَّانِ، على الطريقة الصوفية (القدح المعلقى ٢٠٧):

خَبِرْتُ بِأَنْفَاسِ الرِّيحِ مُعْطَرٌ      وَافَى شَذَاهُ فَظَلْتُ مِنْهُ أَسْكُرُ<sup>(٣)</sup>.  
لِلَّهِ مَا أَخْلَى شَمَائِلَهُ الَّتِي      جَاءَ النِّسِيمُ بِعَرَفِهَا يَتَبَخَّرُ<sup>(٤)</sup>.  
وَافَى وَمَا فِي الْقَوْمِ مِنْ يَذْرِي بِهِ      إِلَّا فَتَسَى فِي حُبِّهِ مُتَنَكِّرُ<sup>(٥)</sup>.  
تُسَلِّي أَحَادِيثُ الْغَرَامِ بِقَلْبِهِ،      وَلِسَانُهُ عَمَّا بِهِ يَسْتَخْبِرُ<sup>(٦)</sup>،  
حَتَّى إِذَا غَنَّى لَهُ الْحَادِي بِهِمْ،      وَسَرَى لَهُ مِنْ تَشْرِ لَيْلِي الْعَنْبَرِ<sup>(٧)</sup>،  
هَزَّ الْمَاعِطَفَ ثُمَّ رَاحَ مُوَلِّهًا      شَوَانَ فِي تِلْكَ الصَّبَابَةِ يَمُثِّرُ<sup>(٨)</sup>  
- مُتَهَنِّكًا فِي الْمَاشِقِينَ، كَمَا تَرَى -      يُبْدِي الَّذِي يُخْفِيهِ مِنْهُ وَيُضْمِرُ.

- ولابنُ الجَنَّانِ أَيْضًا مَقْطَعَاتٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ<sup>(٩)</sup>:

★ ذَكَرَ الْعُذِيبَ فَهَالَ مِنْ سُكْرِ الْهَوَى      صَبَّ عَلَى صُحُفِ الْغَرَامِ قَدَانُطَوَى<sup>(١٠)</sup>.

- (١) إذا وصلت إلى مثل تلك الحال هان عليّ بذل نفسي (الاستغناء عن الحياة في هذه الدنيا).
- (٢) الشطح: كلام على ظاهره رُعُونَة (خفة وحق وتصريح بما لا يجوز للعاقل أن يصرح به). السكر: غيبة تحصل للصوفي إذا جاءه لطف من الله أخرجه من شعوره بما حوله.
- (٣) الشذا: طيب الرائحة.
- (٤) الشائل جمع شال (بالكسر): الخلق، السجية، الصفة.
- (٥) وافى: جاء، وصل. فتى (يقصد الشاعر نفسه): الرجل الذي يعتمد عليه. في حبه متنكر: (يظنّ الناس أن حبه مثل حبهم - حبهم ذلّ للمحبوب، وحبه اعتزاز بالله).
- (٦) مع أنّ حبه في قلبه (قريب منه جدًا)، فإنه يتساءل عن هذا الحبّ (لأنّه مستغرب عند البشر).
- (٧) الحادي: سائق القافلة يغنيّ للمسافرين كيلا يملّوا من طول الطريق. سرى: سافر ليلاً. النشر: الرائحة المنتشرة (الطيبة). العنبر: مادة طيبة الرائحة. ليلي (كناية عن العزة الإلهية).
- (٨) المعطف (بالكسر): رداء واسع يلبس اتقاء للبرد. والشاعر يقصد العطف (بالكسر): الجانب الأعلى من الجسم). هزّ عطفه: افتخر وأعجب بنفسه (لأنّ الله أنعم عليه بتقريبه - راجع البيت السابق). المولّه: الذي يكاد يُجِنّ من شدّة الحبّ. شوان: سكران. الصباية: المحبة. يثمر من الصباية: إنّ المحبة (محبة الله) قد شغلته عن كلّ شيء حتّى أصبح يثمر (يقع) إذا مشى (أي غافلاً عن كلّ شيء آخر).
- (٩) المعاني في القطع التالية صوفية تحمل تأويلات مختلفة (راجع القطعة السابقة).
- (١٠) العذيب: نبع ماء قرب ينبع (بضمّ الباء). وينبع مرفأ المدينة المنورة.

يكي على وادي العقيق بمثله  
وبمُهْجَتِي معبودُ حُسنِ مِنْهُمُ،  
أوحى إلى قلبي الذي أوحى له.  
★ يا رعى الله عَيْشَنَا بينَ رَوْضِ  
تَحَسُّبُ النهرِ عِنْدَهُ يَتَشَنَّى  
★ لي حَيْبٌ عن حُبِّهِ لا أَحولُ.  
قال لي عاذلي: تَناسَ هواهُ.  
لو ضَلَلْنَا في قَتْرَةٍ من هواه  
ويميلُ من طَرَبٍ مُنْعَطِفِ اللوى<sup>(١)</sup>.  
فلذا على عَرْشِ القلوبِ قدَ اسْتوى<sup>(٢)</sup>.  
فَعَجِبْتُ كَيْفَ نَطَقْتُ فيه عن الهوى<sup>(٣)</sup>!  
حيثُ مالَ السرورُ فيه نَميلُ.  
وتخالُ الغُصونَ فيه تَميلُ.  
إنَّ شَرَحَ الغرامِ فيه يَطولُ.  
قُلْتُ: أنسى، يا عاذلي، ما تَقولُ؟  
لَهْدَانَا مِنْ مُقْلَتَيْهِ رَسولُ<sup>(٤)</sup>!

٤-★★ الوافي بالوفيات ١: ١٧٥-١٧٧؛ فوات الوفيات ٢: ١٩٥-١٩٨؛ القدح الملقى  
٢٠٦-٢٠٩؛ المغرب ٢: ٣٨٣-٣٨٤؛ بغية الوعاة ٤٥-٤٦؛ نفح الطيب ٢:  
١٢٠-١٢٣، ٣: ٣٥٣.

### ابن الناظر القرشي

١- هو أبو علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أبي الأحوص  
القرشي الفهري، أصله من بَلَنْسِيَّة ومولده في جَيَّان سَنَةِ ٦٠٣ (١٢٠٦-١٢٠٧ م)،  
طَلَّبَ العِلْمَ في عددٍ من بُلْدَانِ الأندلس: أَخَذَ في غَرْنَاطَةِ عن أبي مُحَمَّدٍ الكَوَّابِ وفي  
إشبيلية عن علي بن جابر الدبَّاج (ت ٦٤٦ هـ) ولازَمَ الثَّلَوِيْنَ (ت ٦٤٥ هـ) في الأدبِ

- 
- (١) وادي العقيق ومنعطف اللوى: مكانان (الأول منها قرب المدينة)، والثاني اسم عام.  
(٢) معبود حُسن (يقصد الله). وفي البيت إشارة إلى آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها (٢٠: ٥ سورة طه):  
﴿الرحمن على العرش استوى﴾.  
(٣) أوحى (الله) إلى قلبي.... هنا أيضاً إشارة إلى قوله تعالى في سورة النجم (٥٣: ٣-٤): في حقِّ مُحَمَّدٍ  
رسول الله: ﴿وما يَنطِقُ عن الهوى، إنَّ هو إلَّا وحيٌّ يوحى﴾.  
(٤) الفترة: المدة الفاصلة بين رسالتين. كان بين عيسى بن مريم ومُحَمَّدٍ رسول الله فترة (هدوء، مدة لم يعرف  
البشر فيها ديناً منزلاً).

والنحو وأخذَ عنه أكثرَ كتابِ سَيَّوِيهِ. وفي بَلَنَسِيَّةَ أخذَ عن أبي الربيعِ بنِ سالمٍ وفي مُرْسِيَّةَ عن أبي العباسِ بنِ عِيَّاشٍ وفي جزيرةِ شُقْرَ عن الخطيبِ أبي بكرٍ بنِ وَصَّاحٍ وفي مالَقَةَ عن الحاجِّ أبي مُحَمَّدٍ بنِ عَطِيَّةَ وأبي القاسمِ بنِ الطَّيْلَسَانِ.

أقرأ ابنُ الناظرِ القُرْشِيُّ القرآنَ والعَرَبِيَّةَ (النحو) والأدبَ في غِرْنَاطَةِ مُدَّةٍ ثُمَّ انتقلَ إلى مالَقَةَ وتصدَّرَ فيها للإقراء والتحديثَ وخطَبَ في جامعِها بِضْعاً وعشرينَ سَنَةً. ثُمَّ إِنَّهُ غادرَ مالَقَةَ إلى غِرْنَاطَةِ فوَلَّى القضاءَ في المَرِيَّةِ وبَسْطَةَ ومالَقَةَ (وهي تابعةٌ لِغِرْنَاطَةِ).

وكانت وفاةُ ابنِ الناظرِ القُرْشِيِّ في الرابعِ عَشَرَ من جُمادى الأولى من سَنَةِ ٦٧٩<sup>(١)</sup> (١٣/٨/١٢٨٠ م).

٢- كان ابنُ الناظرِ القُرْشِيُّ من أهلِ المَعْرِفَةِ والدَّرَايَةِ (العِلْمِ بالحديث) والروايةِ الواسعةِ (للحديث) ومن القُرَّاءِ والفُقهاءِ، كما كان نَحْوِيًّا أديباً وشاعراً. والقِطْعَةُ الواردةُ له هنا من لُزومٍ ما لا يلزَمُ، وفيها شيءٌ من الإحسان. ثُمَّ هو مُصَنَّفٌ له شرحُ المُتَصَنَّفِ (للإمامِ الغَزَّالِيِّ؟) وشرحُ الجُمَلِ (في النحو للزَّجَّاجِيِّ؟)، إلى جانبِ مُصَنَّفَاتٍ في القراءاتِ والحديثِ.

### ٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ الناظرِ القُرْشِيُّ في الدنيا والآخرة:

رَغِبْتُ عن الدنيا لِعِلْمِي أَنَّهَا	مَحَلُّ حَيَاةِ المَرءِ فِيهِ بَلَاغُ <sup>(٢)</sup>
وَقَدْ لَاحَ فِي فَوْدِي شَيْبٌ عَلَى الرَّدَى	دَلِيلٌ، فِيهِ - مَا أَرَدْتُ - بَلَاغُ <sup>(٣)</sup> .
وَأُمَلْتُ مِنْ مَوْلَايَ نِظْرَةَ رَحْمَةٍ	يَكُونُ بِهَا مِنِّي إِلَيْهِ بَلَاغُ <sup>(٤)</sup> ؛

(١) من بَفيَةِ الوعاة (ص ٢٣٤) وهي مُثَبَّتة بالأحرف. وفي المَرْقِبَةُ العَلِيَا (ص ١٢٧): ٦٩٩ (ولكِنَّها مَدُونَةٌ بالأَرْقام).

(٢) رَغِبْتُ عن الشيء: زَهَدْتُ فِيهِ وَتَرَكْتَهُ. بَلَاغُ كَفَايَةِ (ما يَتَبَلَّغُ بِهِ الإنسانُ كِي يَبْتِى حَيًّا).

(٣) الفَوْدُ: الشَّعْرُ فِي جَانِبِ الرَّأْسِ. الرَّدَى: المَوْت. بَلَاغُ: بَيَانٌ، انْذَارٌ.

(٤) مَوْلَايَ: رَبِّي (الله). بَلَاغُ: وَصُولٌ (إِلَى الجَنَّةِ).



فَأَحْظَى إِذَا الْأَبْرَارُ قِيلَ لَهُمْ غَدًا: هَلُمُّوا إِلَى دَارِ النِّعَمِ فَرَاغُوا<sup>(١)</sup>.  
رَأَيْتُ بَنِيهَا مَا رَمَتْهُمْ سِهَامُهَا فَطَاشَتْ، وَلَا حُمَّ الْحِمَامُ فَرَاغُوا<sup>(٢)</sup>.  
فَعُجِبْتُ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ بِهَمَّتِي، فَعِنْدِي عَنْهَا رَاحَةٌ وَفَرَاغُ<sup>(٣)</sup>.

٤ - \*\* المرقبة العليا ١٢٧ ؛ بغية الوعاة ٢٣٤ ؛ نفح الطيب ٢ : ٥٣٦ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٧٥ ؛  
الأعلام للزركلي ٢ : ٢٦٠ (٢٤١).

### سعيد بن حكم القرشي

١ - هو الأمير الرئيس أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبد  
العزيز بن حكم المَعَارِي الْقُرَشِيِّ الطَّبِيرِيِّ، أصله من طَبِيرَةَ<sup>(٤)</sup> - من غربي  
الأندلس - وبها مولده في سادسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ من سَنَةِ ٦٠١ (٢٩/١٩/١٢٠٥ م).

تَطَوَّفَ سَعِيدُ بْنُ حَكَمٍ فِي الْأَنْدَلُسِ مُدَّةً ثُمَّ اسْتَقَرَّ فِي مَدِينَةِ إشبيلية وقرأ فيها الموطأ  
على أبي الحسين (أبي الحسن؟) بن زَرْقُونٍ وعلى أبي عليّ الشلوين (ت ٦٤٥ هـ). ولكن  
يبدو أنه لم يكن على وفاقٍ مع والي إشبيلية من قبَلِ الموحدين فانتقل إلى المَدِينَةِ  
الْمَغْرِبِيَّةِ فجاء إلى سَبْتَةِ ثُمَّ جال في إفريقية (تونس) والمغرب. بعدئذٍ اسْتَقَرَّ مُدَّةً فِي  
تُونِسَ الْحَاضِرَةِ ثُمَّ جَاءَ إِلَى جَزِيرَةِ مَيُورْقَةَ<sup>(٥)</sup>، وذلك قبل أن يتعلَّبَ عليها الإسبانُ في  
مُنْتَصَفِ صَفَرٍ من سَنَةِ ٦٢٧ (١/٢/١٢٣٤ م). وقد كان له شيءٌ من الإشراف في

- 
- (١) هَلُمُّوا: تعالوا (بفتح اللام)، أسرعوا. دار النعيم: الجنة. راغ يروغ: مال، جاء إلى.  
(٢) بنوها (بنو الدنيا): الناس. طاش: حاد عن الهدف، أخطأ الهدف. سهامها (سهام الدنيا، سهام النية أو  
الموت). - كانت سهامها دائماً مصيبة (لم ينج أحد من الموت). حم: قرب. الحمام: الموت. راغ: حاد  
(نجا).  
(٣) عاج مال، قصد. دار البقاء: الآخرة (في مقابل دار الفناء: الدنيا). فراغ: خلاه البال.  
(٤) يذكر حين مؤنس (الحلّة السراء ٢ : ٣١٨، الحاشية) مدينتين باسم طَبِيرَةَ، إحداها على بعد كيلومترين  
من مصبِ نهر منديق في منتصف الساحل الغربي من البرتغال اليوم. والثانية قرب الساحل الجنوبي عند  
منتصفه. والذي يغلب على الظن أن هذه البلدة الثانية هي التي ولد فيها سعيد بن حكم.  
(٥) إلى الجنوب الشرقي من الأندلس أرخبيل فيه ثلاث جزر ذوات أحجام ظاهرة: ميورقة (الكبيرة)  
ومنورقة (الصغيرة) وبابسة.

جزيرة ميورقة. ثم إنه جاء إلى جزيرة منورقة عاملاً (أميراً على جمع الضرائب). وفي أيام دولته في منورقة استغل بالحديث على المحدث أبي الحسين يوسف بن مَفُوزٍ.

ولما اختل أمر الموحدين وأستولى الإسبان على ميورقة أستطاع سعيد بن حُكم أن يحول بينهم وبين الاستيلاء على منورقة بشيء من الإدارة وبدفع جزية سنوية. وكان النافذ في منورقة محمد بن أحمد بن هشام، وكان أمر الموحدين قد ضعف وأفترقت الكلمة - فاستبد سعيد بن حُكم بأمر الجزيرة في ثاني شَوالٍ من سنة ٦٣١ (١٢٣٤/٧/١ م) ثم استمر في حُكمها حُكماً عاقلاً صالحاً حتى كانت وفاته<sup>(١)</sup> في السابع والعشرين من رَمَضان من سنة ٦٨٠ (١٢٧٢/١/٩ م).

٢- كان سعيد بن حُكم القرشي حازماً في الإدارة شديد القسوة في العقوبة يقتل على شرب الخمر، عاتبه في ذلك أستاذه ابن مَفُوز، فردَّ عليه بقوله (أعمال الأعلام ٢٧٦): «يا فقيه! هذه الجزيرة كثيرة العنب. والناس يشربون الخمر بها ويسكرون فيضيعون الاحتراس فيظهر (يتغلب) علينا العدو». وكان مع ذلك مُحسناً إلى الأفراد وإلى الجماعات: يفك الأسرى ويتصدق على المحتاجين وينصر المظلومين.

وهو من العلماء والأدباء وذو حظ وافر من رواية الحديث. ثم هو أيضاً ناثراً شاعراً شديد الأخذ بالصناعة في نثره خاصة كثير الميل إلى الإلغاز في الأشياء المختلفة نظماً ونثراً. وفنون شعره النسيب والحكمة والمدح والوصف. وأبرز فنون نثره الترسل.

### ٣- مختارات من آثاره

- من رسالة كتب بها سعيد بن حُكم القرشي<sup>(٢)</sup>:

أَمَنَعَ اللَّهُ بِكَ، أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْكَرِيمُ الْوَفِيُّ الصَّمِيمُ الشَّرِيفُ أَبَا النِّيفُ حَسَباً وَصَنَعَ لَكَ وَبَلَغَكَ أَمْلَكَ. يَخْصُكَ بِالثَّنَاءِ - الطَّيِّبِ كَثَنَاتِكَ، الصَّيِّبِ كَوْفَاتِكَ - مُجَلِّكَ

(١) من زبائور (ص ٩٢)، وفي أعمال الأعلام (ص ٢٧٦): في حدود ٦٨٠.

(٢) يبدو أن سعيد بن حُكم كتب بهذه الرسالة إلى أحد أمراء الحفصيين في تونس: أبي زكريا يحيى (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) أو ابنه أبي عبد الله محمد (المتنصر) الأول (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ).

بالحقّ الواجب ومُحَلِّكَ مِنَ الْوُدِّ بَيْنَ التَّرَائِبِ <sup>(١)</sup> سَعِيدٌ بِنُ حَكَمٍ . ولا جَدِيدٌ إِلَّا عِنَايَةُ  
الله تعالى وَكِفَايَتُهُ وَوِقَايَتُهُ - سُبْحَانَهُ - (والتي) هي خَيْرٌ مِنْ دِفَاعِنَا - وَحَايَتِهِ <sup>(٢)</sup> .

وقد وَرَدَتِ الْحَدِيقَتَانِ الْأَنِيقَتَانِ وَالرَّوَضَتَانِ الْغَضَّتَانِ تَعْبَقَانِ إِذْ تُنَشِّقَانِ وَتَرُوقَانِ  
لَا <sup>(٣)</sup> تَرْمُقَانِ . وَالْحُسْنُ مِنْ مَرَّأَهَا يَنْفِرُ وَالذَّجْنُ يَنْجَلِي مِنْ سَنَاهَا إِذَا يُسْفِرُ <sup>(٤)</sup> . سَبَقَتْ  
أُولَاهَا كَالْبُشْرَى ، وَنُسِقَتْ بَعْدُ عَلَى أَثَرِهَا الْآخَرَى .... وَجَاءَتْهَا خَفِيفَتِي الْمَجْمَلِ  
لَطِيفَتِي الْمُجْمَلِ ... فَلِلَّهِ مُهْدِيهَا وَمُظْلِمُهَا نَيْرَتَيْنِ <sup>(٥)</sup> . لَقَدْ أَوْجَبَ بَرِّهَا حَقًّا كَبِيرًا ،  
وَحَمَلَ مِنْ شُكْرِهَا مَا يَثْقُلُ ثَبِيرًا <sup>(٦)</sup> . وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ وَيَحْفَظُهُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلْيِ مَا  
أُولَاهُ <sup>(٧)</sup> .

- وقال مُلْفِزًا فِي شَمْعَةٍ :

مَا جَمِيلَةُ الْمَرَاةِ صَقِيلَةُ كَالْمِرَاةِ مُنْتَصِبَةٌ كَالْقَنَاءِ <sup>(٨)</sup> مَرْتَقِبَةٌ مِنَ الْأَذَانِ بِالْعِشَاءِ  
لِلْأَدَاةِ <sup>(٩)</sup> . مَعَ الْإِسْتِمَالِ قَرِيبَةُ الْحَيَاةِ ، وَعَلَى الْعُظْلَةِ وَالْإِغْفَالِ بَعِيدَةُ الْوَفَاةِ <sup>(١٠)</sup> . مُنْهَلَةٌ  
وَلَيْسَتْ بِغَامَةٍ ، مُسْتَقَلَّةٌ وَلَكِنْ بِدِعَامَةٍ <sup>(١١)</sup> . وَمَعَ كَوْنِهَا تَهْمِي بِدُرَرٍ (فَلِنْهَا) تَرْمِي

- 
- (١) مَحَلُّكَ : مَحْتَرَمُكَ . مَحَلِّكَ : مَنْزِلُكَ (بِالضَّمِّ) . التَّرَائِبُ : عِظَامُ أَعْلَى الصَّدْرِ (بَيْنَ التَّرَائِبِ : فِي الْقَلْبِ) .
  - (٢) حَايَتُهُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى وَقَايَتِهِ .
  - (٣) هَذِهِ الرِّسَالَةُ شُكْرٌ عَلَى هَدِيَّةٍ : حَدِيقَتَانِ وَرَوَضَتَانِ (٤) . أَنْيَقٌ : جَمِيلٌ . غَضٌّ : طَرِيٌّ . عَبَقَ (بِفَتْحٍ فَكْسِرٍ)  
الطَّيِّبُ : ... ائْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ . رَاقَ يَرُوقُ : حَسَنٌ فِي الْعَيْنِ . رَمَقَ : نَظَرَ . لَمَّا (٤) : حِينَ (٤) .
  - (٤) يَسْفِرُ : يَظْهَرُ حَسَنُهُ وَجَاهُهُ . الذَّجْنُ : الْغَيْمُ (النَّهَارُ الَّذِي يَقْلُ فِيهِ النُّورُ لِكَثْرَةِ الْغَيْمِ) . السَّنَا : الضَّوُّ السَّاطِعُ .  
يَسْفِرُ : يَشْرُقُ . لَعَلَّ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ شَمْعَتَيْنِ .
  - (٥) الْمَجْمَلُ (بِالْجَمِّ) : الْجِسْمُ أَوْ الْحِجْمُ . نَيْرَتَيْنِ : مَضِيئَتَيْنِ .
  - (٦) بَرِّهَا : طَاعَتُهَا (الشُّكْرُ عَلَيْهَا) . يَثْقُلُ : يَزِيدُ فِي الثَّقَلِ عَلَى ثَبِيرٍ (اسْمُ جَبَلٍ) .
  - (٧) الْخَلْيُ : النِّعَمُ . مَا أُولَاهُ : أَسْنَخَ عَلَيْهِ (أَعْطَاهُ) مِنَ النِّعْمَةِ .
  - (٨) الْمَرَاةُ (بِفَتْحٍ مِيمٍ) : الْمَرَأَى ، الْمَنْظَرُ . (وَبِكَسْرِ الْمِيمِ) : صَفْحَةٌ مَصْقُولَةٌ مِنْ مَعْدَنٍ أَوْ صَفْحَةٌ مِنْ زَجَاجٍ مَفْشًى  
أَحَدُ وَجْهَيْهَا يَرَى النَّازِلَ فِيهَا نَفْسَهُ . الْقَنَاءُ : الْقَصْبَةُ ، الرِّمَحُ .
  - (٩) مَرْتَقِبَةٌ : مُنْتَظَرَةٌ . مِنَ الْأَذَانِ بِالْعِشَاءِ (قَبْلَ أَذَانِ الْعِشَاءِ !!) لِلْأَدَاةِ (٩) .
  - (١٠) إِذَا أَضَاءَهَا الْإِنْسَانُ كَثِيرًا ذَابَتْ بِسُرْعَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يَضُئْهَا كَثِيرًا طَالَتْ حَيَاتُهَا .
  - (١١) مُنْهَلَةٌ : يَتَسَاقَطُ مِنْهَا قَطَاطٌ كَالِدَمُوعِ (مِنْ الشَّمْعِ الذَّائِبِ بِحَرَارَةِ نُورِهَا) . مُسْتَقَلَّةٌ : نَاهِيَةٌ ، مُنْتَصِبَةٌ .  
بِدِعَامَةٍ (عَلَى دِعَامَةٍ : شَمْعَدَانٍ) .

بَشَرَّ<sup>(١)</sup>.... وليست من بيت النبوة وإن كان قد أوحى إلى آبائها<sup>(٢)</sup>.... تُرْضِعُ  
أَبْنًا لَمْ تَلِدْهُ ذَا عَقُوقٍ، يُسْرِعُ إِلَى أَذَانِهَا غَيْرَ فَرُوقٍ<sup>(٣)</sup>... تقومُ لَيْلَهَا تَهْجُدًا، وَتُريكَ  
ابْتِسَامًا دَائِمًا وَتَجْلِدًا<sup>(٤)</sup>.....

- وقال سعيد بن حكيم يصف عادة في الإحسان إلى الناس:

لَا تَمْنَعِ الْمَعْرُوفَ يَوْمَ      مَا مُعْرِضًا وَمُعْرِضًا<sup>(٥)</sup>.  
فَكِلَاهُمَا مِنْ حَقِّهِ      فِيهِ لَهُ أَنْ يُفْرِضَا<sup>(٦)</sup>;  
هَذَا تَزْرَعُ فَاسْتَحَقْ      قَدْ عَلَى نَزَاهَتِهِ الرِّضَا<sup>(٧)</sup>;  
وَالْآخِرُ اسْتَحْيَا مِنَ الذِّ      تَضْرِيحٍ فِيهِ فَعَرَّضَا.  
هَذَا الَّذِي مَا زِلْتُ أَفْ      مَلُّ أَوْ أَقُولُ مُحَرَّضَا.

- وله في الحقد:

الْحَقْدُ دَائِمٌ فِي الْقُلُوبِ،      وَالصَّفْحُ مِنْهُ هُوَ الطَّبِيبُ.  
فَاحْلُمْ عَنِ الْجَانِي فَقَدْ      يَدْعُوهُ حِلْمُكَ أَنْ يَتُوبَ.  
وَأَنْسَ الذَّنُوبَ، فَإِنَّا      ذِكْرُ الذَّنُوبِ مِنَ الذَّنُوبِ.

- وقال في النسيب:

إِنِّي لَأَكْلِفُ بِاسْمِهَا كَلْفِي بِهَا.      فَاَنْظُرْ، فَهَذَا لِلْعَفَافِ شِعَارٌ<sup>(٨)</sup>.

- (١) تهمي بدرر (يسيل من أعلاها نقاط كاللؤلؤ، كأنها نقاط ماء من المطر). ترمي بشرر: يصدر منها نور (يراه ضعيف البصر خيوطاً متجهة إلى كل جهة).
- (٢) يصنع الشمع الفاخر من المادة « الشمعية » التي تبيته النحل أقراصاً ذوات مسدسات لتخزن فيها الصل. وفي القرآن الكريم: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ (١٦ : ٦٨ سورة النحل).
- (٣) ترضع ابناً (تد أو تزود الفتيال الذي في وسطها بالمادة التي تمكته من الإضاءة. ذو عقوق (عصيان) لأن إضاءته يذيب جسمها (من الشمع) فكانه يقتلها. فروق: جاقف.
- (٤) تقوم (تسهر) الليل تهجداً (في العبادة). ابتساماً (من إشراق نورها) وتجلداً على احتال حرّ الاحتراق.
- (٥) المعرض: الذي يبدي إباء لأخذ الصدقة. المعرض (بتشديد الراء): الذي يشير من طرف خفي إلى طلب الصدقة.
- (٦) أن يفرض له (نصيب من الزكاة).
- (٧) تزعه: ترفع (عن طلب الصدقة).
- (٨) كلف (يفتح فكسر) بالشئ (تعلقت نفسه به).

وإذا أمرٌ بدارِها فكأنَّها  
 غابت فأبكي بعدها شوقاً لها،  
 تالله، ما لَمَحَتْ جفوني - مُذْ نأتُ -  
 بيضاء تحسبُ أنها من فضة،  
 مالت معاطفُها ولأنَ حديثُها؛  
 لو لم تُحلَّ، لكان حلياً تُغرُّها.  
 تخشى البريةُ مقتلَها غيرها.  
 - وقال يصف شمعاً:

وصفراء من غير ما علّة  
 تُطيلُ الوقوفَ على واحدٍ  
 تزيدُ على الشمسِ في نورِها  
 تُحاربُ دأباً جيوشَ الظلامِ  
 لها أذمُعٌ أبداً سائلة.  
 مدى ليلِها فترى ناحِلَه.  
 إذا ما غدتُ للدُّجى واصلَه.  
 فتُبصرُ مقتولَةً قاتلَه.

- (١) درّ: جرى. الوابل: المطر الشديد. المِدرار: الكثير الماء.
- (٢) تهمل (بتفتح التاء ثم كسر الميم أو ضمّها) تسقط بكثرة. إذا احتجبت الشمس بالغيوم كان ذلك بشارة بسقوط المطر.
- (٣) المهابة: البقرة الوحشية، الشمس (المعجم الوسيط ٨٩٧). وهل بعد المهابة (بعد غياب الشمس) يمكن أن يبقى النهار طالماً (أو النور موجوداً).
- (٤) خدّها أبيض كالفضّة ولكنّ حياءها (الذي أصبح عادة لها) يكسب وجهها حرّة كلون النضار (الذهب)، مع أن الذهب الخالص أصفر لا أحمر (ويجيء احمرار الذهب المألوف في الصلّة وفي الحليّ من مزجه بالنحاس).
- (٥) العطف (بالكسر) والمعطف (بكسر الميم وفتح الطاء): الطرف الأعلى من الجسم. الحمار: السكر. - هل يمكن الإنسان أن يسكر من نظرات المرأة الجميلة؟
- (٦) تحلى: تزوّج بالحلى. لكان ثغرها (أسنانها التي تشبه اللؤلؤ) ... التّوار: الزهر الأبيض. في الفصوص تورية (فروع الشجرة، والقوام المعتدل).
- (٧) البرية: مجموع البشر. غيرها: غير هذه المرأة (على الاستثناء). أيّهاب (أبحاف) سورة (شدّة) | نبله وسهامه الأسوار (الفارس).
- (٨) يقصد: أن نور الشمعة يكون أقوى من نور الشمس إذا اقتربت الشمس من مغيبيها.

- قال سعيد بن حكيم في الملوك الذين لا يحكمون حكماً صحيحاً عادلاً:

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ مُلُوكٍ أَصْبَحُوا      وَهُمْ مُوَالٍ أَعْبَدَ الشَّهَوَاتِ<sup>(١)</sup>.  
الْأَطْيَبَانِ مَرَادُهُمْ وَمُرَادُهُمْ:      أَرْبُ الْفُرُوجِ وَإِرْبَةُ اللَّهَوَاتِ<sup>(٢)</sup>.  
لَوْ وَفَّقُوا وَقَفُّوا اجْتَمَاعَهُمْ عَلَى      نَفْيِ الْهَوَى فَضْلاً عَنِ الْخَلَوَاتِ<sup>(٣)</sup>.  
مَرَّتْ سِنُونَ وَهُمْ مِلَاكٌ لِلْوَرَى.      يَا لَيْتَهُمْ مَرَّوْا مَعَ السِّنَوَاتِ<sup>(٤)</sup>!

- ومَرَّتْ به في أيام صباه امرأة جميلة، كان زوجها شرطياً، فقال:

وَجَنَّةٍ خَازِنُهَا مَالِكٌ،      يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَهَا مَالِكاً<sup>(٥)</sup>،  
أَسْجُدُ فِي مِحْرَابِهَا سَجْدَةً      نُسْكَاً؛ وَمِثْلِي لَمْ يَزَلْ نَاسِكاً<sup>(٦)</sup>.  
وَكَيْفَ أَرْجُو الْقُرْبَ مِنْهَا وَقَدْ      أَضْحَى حُسَاماً لَخْطُهَا فَاتِكاً<sup>(٧)</sup>!  
إِنَّ أَمَانِيَّ الْفَقِي ضِلَّةٌ      يُمْنِي بِهَا حَتَّى يُرَى هَالِكاً.  
مَنْ لِي بِهَا شَمْسَ الضُّحَى أَطْلَعَتْ      جُنْحَ دُجَى مِنْ شَعْرِهَا حَالِكاً<sup>(٨)</sup>.  
سَلَكْتُ سُبُلَ الْغَيِّ فِي حُبِّهَا،      وَلَمْ أَكُنْ قَبْلُ لَهَا سَالِكاً.

٤- ★★ المغرب ٢: ٤٦٩؛ القدح المعلق ٢٨-٤١؛ الوافي بالوفيات ١٥: ٢١٢-٢١٣؛

- (١) موال (جمع مولى): تابعون. أعبد جمع قلة من «عبد».
- (٢) الأطيبان: الطعام والنكاح. الأرب: الحاجة. الإربة: البغية، المطلب. اللهوات جمع «لهاة» (بفتح اللام): الهنة التي في أول الحلق. المقصود: الفم.
- (٣) لو كانوا ناجحين في الحكم لجعلوا همهم ترك هوى أنفسهم (أهواءهم الشخصية) وخصوصاً خلواتهم الصحيحة (كثرة الاهتمام بالنساء).
- (٤) مرّ زمن طويل وهم ملاك (قوام، وهم كلّ شيء في حياة الوري: الناس). يا ليتهم مرّوا كما مرّت السنوات (ماتوا).
- (٥) الجنة خازنها (بوابها) رضوان (بكسر الراء). ومالك خازن جهنم. ولكن هذه المرأة الجميلة، وهي جنة، لها خازن (زوج) هو مالك (لأنه شرطي موكل بعقاب الناس. يا ليتني كنت لها مالكا (زوجاً شرعياً).
- (٦) أسجد في محرابها.... (الكناية للملوحة واضحة، ولكن يمكن أن تكون قبيحة).
- (٧) ولكن الذي ينبغي من قربها ليس زوجها الشرطي، ولكن عيونها.....
- (٨) شمس يجوز فيها النصب (تيزياً) والجرّ (بدلاً من «ها»، والرفع (خبر لمبتدأ محذوف). المنح: قسم، مدّة من الليل. الدجى: الظلام. الحالك: الشديد البؤس. - هي شمس (بلونها الأبيض) تضيء النهار، ولكن شعرها الأسود يجعل من النهار جانباً مظلاً.

الحلّة السراء ٢: ٣١٨ - ٣٢٠؛ الذيل والتكملة ٤: ٢٨ - ٣٣؛ أعال الأعلام ٢٧٥ - ٢٧٦؛  
 بنية الوعاة ٢٥٥؛ نوح الطيب ٤: ٤٧١ - ٤٧٢؛ راجع أزهار الرياض ٣: ٢١٥ - ٢١٨؛  
 الأعلام للزركلي (٣: ٩٣).

## ابن معمر الهواري

١- هو أبو عليّ الحسن بن موسى بن مُعَمَّرِ الهواريّ الطرابُلُسيّ وُلِدَ في طرابُلُسَ،  
 سَنَةَ ٦٠٩ هـ (١٢١٢ - ١٢١٣ م). قرأ ابنُ مُعَمَّرٍ مدّةَ يسيرةٍ في طرابُلُسَ ثم رَحَلَ إلى  
 المَهديّة وقرأ على الفقيه أبي زكريّا يحيى البرقيّ (ت ٦٤٧ هـ). ثمّ إنّه انتقل إلى مدينةِ  
 تُوسَ في أيامِ المُستنصر بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). وقد تولّى القضاء في باجّة وبجايةِ  
 وغيرهما، كما تولّى خُطّة العلامة الكُبرى والنظرَ في خزانة الكُتب. ثمّ وقعت بينه وبينَ  
 المُستنصر وحشةٌ فنفاه المُستنصرُ إلى المَهديّة (من أواخر ٦٦٧ إلى آخر ٦٦٨ هـ). عادَ  
 بعدَ ذلك إلى تُوسَ وإلى رِثاسَةِ خزانةِ الكُتب. وكانت وفاته في تُوسَ، في جمادى  
 الآخرة (\*) من سَنَةِ ٦٨٢ هـ (أيلول - سبتمبر ١٢٨٣ م).

٢- كان ابنُ مُعَمَّرِ الهواريّ فقيهاً وخطيباً ومُناظراً، كما كان شاعراً رقيقاً يتوفّرُ  
 على الأغراضِ الوُجْدانية. وشِعْرُهُ سهلٌ واضحٌ صحيحُ التركيب.

### ٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ مُعَمَّرِ الهواريّ من قصيدةٍ له في النسيب:

لولا إحوارُ جُفونٍ أودِعتْ سَقاً      ما أمطرتْ سُحبُ أجفاني الدموعَ دَمًا<sup>(١)</sup>  
 ولا وَقَفْتُ أَصِيلاناً برَبِّعِكُم      ولا سَقَيْتُ رُباهَ مِنْ دَمِي دَمًا<sup>(٢)</sup>.  
 شَمَلُ السرورِ شَتِيتُ بعدَ بَيْنِكُم،      وظالما كان قبلَ اليومِ مُلتَمِّها<sup>(٣)</sup>.

\* في نفحات السرين والريحان (ص ٩٣): في التاسع من جمادى الأولى.

(١) الإحوار: شدة سواد العين مع شدة بياضها.

(٢) أصيلاناً = أصيلاً: قريباً من غروب الشمس. الدية: الغمامة المطرة.

(٣) البين: البعد، البعاد.

الْبَيْنُ يَقْطَعُ مِنْهُ كُلُّ مُتَّصِلٍ ، وَالشَّوْقُ يَنْثُرُ مِنْهُ كُلُّ مَا انْتَهَى .  
 يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى مَا جَلَّ مِنْ أَسْفَى ، هَذَا الْيَسِيرُ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كُنِيَ !  
 أَنْيَكُمُ أَنْنِي مِنْ يَوْمِ بَيْنِكُمْ ، مَا زِلْتُ لِلْسَّهْدِ وَالتَّذْكَارِ مُلتَزِمًا .  
 أَرْتَا حَإِنْ هَبَّ رِيحٌ مِنْ جَنَابِكُمْ ، أَوْ لَاحَ بَرْقٌ بِذَاكَ الْأَفْقِ وَابْتَسَمَا .  
 أَمَّا وَمَنْ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ مُقْتَدِرًا ، وَحُبَّكُمْ - وَكُنِيَ بِالْحُبِّ لِي قَسَا - (١)  
 مَا رَامَ قَلْبِي اصْطِبَارًا بَعْدَ بُعْدِكُمْ ، وَلَا تَأَخَّرَ لِي مِنْ وَجْدِهِ قَدَمًا (٢) !

- وَكَانَ ابْنُ مُعَمَّرٍ مَحْبُوسًا مَعَ صَدِيقِهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْفَضِيلِيِّ ثُمَّ أُطْلِقَ سَرَاحُهُ قَبْلَ الْفَضِيلِيِّ ، فَكُتِبَ إِلَى الْفَضِيلِيِّ بَيِّنَتَيْنِ :

لَيْتَنِي سَرَّيْتُ فَكُّ الْإِسَارِ مِنَ الْحَبْسِ ، لَقَدْ سَاءَ لِي فَقْدِي لَهَا فِيهِ مِنْ أَنْسَى .  
 وَلَوْ أَنَّني خَيْرْتُ فِيمَا أُرِيدُهُ ، لَأَثَرْتُ تَقْدِيمي سَرَاحَكَ عَنْ نَفْسِي .

٤- ★★ عنوان الأريب ٧٠-٧٢ ؛ نفحات النسرین والريحان ٩٢-٩٦ ؛ رحلة التجاني ٢٧٤-٢٨٠ ؛ أعلام من طرابلس ٧٥-٨٤ .

### مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْمَزَالِيِّ

١- هُوَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ النَّعْمَانِ الْمَزَالِيِّ التَّلْمِيسَانِيِّ الْفَاسِيِّ الْمَرَاكُشِيِّ الْهِنَتَانِيِّ الْإِشْبِيلِيِّ ، وَلِدَ فِي تِلْمَسَانَ ، سَنَةَ ٦٠٦ هـ (١٢٠٤-١٢٠٥ م) أَوْ سَنَةَ ٦٠٧ .

رَحَلَ الْمَزَالِيُّ إِلَى مِصْرَ فَسَمِعَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَّانِيِّ وَأَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْهِجْدِ الصَّفْرَاوِيِّ (٥٤٤-٦٣٦ هـ) وَسَمِعَ بِمِصْرَ (الْقَدِيمَةِ) مِنْ أَبِي

(١) وَمَنْ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ (الْوَاوُ: لِلْقِسْمِ . مَنْ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ : أَيِ اللَّهِ تَعَالَى) . حَبَّكُمْ (مَجْرُورَةٌ عَلَى أَنَّهَا قِسْمٌ ، أَوْ عَلَى أَنَّهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى قِسْمٍ) .

(٢) رَامَ: طَلَبَ . مِنْ وَجْدِهِ (مَنْ كَثُرَتْ حَبَّةُ لَكُمْ) . قَدَمًا: مَقْدَارَ قَدَمٍ .



حسن الصابوني وابن الطفيل وابن المقير. وكانت وفاته في مصر، سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ - ١٢٨٥ م).

٢- كان محمد بن موسى المزالي فقيهاً مالكيًا وزاهدًا عابدًا عارفًا (صوفيًا). وله شعرٌ على الطريقة الصوفية سهلٌ حسنٌ. وكان مُصنّفًا له كتاب «مِصباحُ الظلام في المُستغيثين بخير الأنام في اليَقظة والنام». (يبدو أنه ألفه سنة ٦٣٩ هـ).

### ٣- مختارات من شعره:

- قال محمد بن موسى المزالي في ليلي (العرّة الإلهية):

أَتَطْمَعُ أَنْ تَرَى لَيْلِي بَعِينٍ	وقد نَظَرْتُ إِلَى حَسَنِ سِوَاهَا <sup>(١)</sup> .
سِوَاهَا لَا يَرَوْقُ الطَّرْفَ حُسْنًا.	وأوصاف الجِمال لها حِياها <sup>(٢)</sup> .
حِياها مَنَزِلُ الْأَحْبَابِ قَدَمًا،	وإن كان الجِمالُ لها حَياها <sup>(٣)</sup> .
أَتَنْظُرُهَا بَعِينٍ بَعْدَ عَيْنٍ،	فتلك العَيْنُ تَمْنَعُهَا قَذاها <sup>(٤)</sup> .
قَذاها إِنْ أَرَدْتَ يَزُولُ عَنْهَا،	بَعِينِ الدَّهْرِ غَيْرَكَ لَا تَراها <sup>(٥)</sup> .

٤-★★ الوافي بالوفيات ٥: ٨٩، بروكلمن، الملحق ١: ٦٦٥.

- 
- (١) - لقد أعجبك في هذه الدنيا أشياء حسنة، ولذلك لن تستطيع أن ترى ليلي (العرّة الإلهية).  
(٢) - كل ما رأيته ليس جيلًا في الطرف (العين). وجمال ليلي العظيم (غير المألوف) حى لها (مانع من رؤيتها).  
(٣) حياها: منزلها هو منزل المحبوبين القدامى (الذين لا يجوز لأحد أن يحبّ أحداً بعدهم). وجمالها العظيم يحميا (يمنع أعين البشر) من رؤيتها.  
(٤) أتنظرها (أي ليلي: العرّة الإلهية) بعين (مادية، بعين جسمك) بعد عين (عين قلبك؟) فهذه العين الجسمية يجتمع فيها عادة قذى (وسخ) يمنعها أن ترى الألوهية).  
(٥) - إذا أردت أن يزول القذى (الوسخ، العمش) من عينيك لتستطيع أن ترى ليلي، فحينئذ لا ترى أحداً غيرك (لا ترى إلّا نفسك).

## أبو البقاء صالح بن شريف الرندي

١- هو أبو البقاء (أو أبو الطيّب)<sup>(١)</sup> صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف<sup>(٢)</sup> الرندي الأندلسي من أهل رُنْدَة (في الجزيرة الخضراء، بين مَالَقَة وشرِيش).

تلقّى أبو البقاء الرندي العلم على أبيه وعلى نَفَرٍ منهم أبو الحسن الدبّاج وابنُ الفَخَّارِ الشريشي وابنُ قطرَالٍ وأبو الحسن بن زَرْقُونٍ وأبو القاسم بن الجَدِّ التونسي. ويبدو أنّه كان مُنقطعاً إلى بني الأحمر كثيرَ التردّد على غرناطة، كما أنّه قد أقام حيناً في مَالَقَة. ولعلّ وفاته كانت في سنة ٦٨٤ (١٢٨٥-١٢٨٦م).

٢- كان أبو البقاء الرندي حافظاً للحديث وفقياً وفَرَضياً ومُشاركاً في الحساب ثمّ كان بارعاً في منظوم الكلام ومنثوره مجيداً في المدح والغزل خاصّة والزُهد والوصف. ولكنّ شهرته تَرَجَّع إلى قصيدته «لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان» وقد نظّمها بعد ضياع عددٍ من المُدُن الأندلسية منها: بَلَنْسِيَة (٦٣٠ هـ) وقرطبة (٦٣٦ هـ) وجيَّان (٦٤٤ هـ) وشاطِبة (٦٤٥ هـ) وإشبيلية (٦٤٦ هـ) ومُرْسِيَة (٦٦٨ هـ). هذه القصيدة تجمع بين العاطفة المكلّومة والسُهولة المتناهية والسرد المتطّفي.

وكان أبو البقاء الرندي مُصنّفاً آلفَ في الفرائض (تقسيم الإرث) نظماً ونثراً. وله أيضاً مقاماتٌ بديعة. ومن كُتبه: رُوحُ الأُنس ونُزهة النفس - مختصر في الفرائض - الوافي في نظم القوافي (في البلاغة والنقد وطبقات الشعراء وعمَل الشعر وفي فنون الشعر وخصائصها المُستحبة). ولكن يبدو أن الكتاب قليل الابتكار وأن غاية الرندي فيه كانت جمع الخصائص المشهورة من كتب النقد المختلفة. وكان اتكاؤه على

(١) في الإحاطة (مطبعة الموسوعات بصر ١٣١٩ هـ، ٣٠٣: ١، وفي طبعة محمد عبد الله عنان، مصر - دار المعارف، ١: ٤٨٤): الطيب (ببائن).

(٢) في سِياقة نسبه شيء من الخلاف. وقد جمعه محمد رضوان الداية (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس)، ص ٤٣٢: النَفَرِي (بنون مكسورة وفاء مشددة مفتوحة) نسبة إلى مدينة نَفَر في جنوبي العراق. والصواب النَفْزِي (بنون مفتوحة وفاء ساكنة وزاي منقوطة: اسم قبيلة مغربيّة)، هذا إذا كان، الرندي منسوباً إلى تلك القبيلة.

ابن رشيقي واضحاً).

وكتاب « الوافي في نظم القوافي » يجمع بين<sup>(١)</sup> النقد والبلاغة وشيء من الأخبار الأدبية الأندلسية وطائفة من شعر المؤلف، وهو أربعة أجزاء. الجزء الأول في فضل الشعر ومن تكلم به وأثاب عليه. ثم في الشعراء وطبقاتهم، ثم في عمل الشعر وآدابه ثم في أغراض الشعر من المديح والتهنئة والرثاء والاعتذار والعتاب والهجاء والوصف. والجزء الثاني في محاسن الشعر وبديعه ومعانيه من الابتداء والانتهاى والاستطراد والمطابقة وما يُناسِبها من المُقابلة ثم التشبيه والاستعارة والتجنيس والتضمين والمبالغة والتسليم (التقسيم والترتيب) والتسجيع والتسميط (الشبيه بالتوشيح). والجزء الثالث في عيوب الشعر من الإخلال أو سوء اللفظ وسوء التركيب والترتيب - عيوب السرقة - أكان الأخذ من شاعر آخر قصداً أو عفواً - ثم الضرورة (أو الرخص في الشعر) مما يدل على ضعف الشاعر في صناعة الشعر). والجزء الرابع في حد الشعر وفي العروض والقوافي وفي مجور الشعر الأصلية (الخمسة عشر) والبحور المهمة.

### ٣ - مختارات من آثاره

- رثاء الأندلس. قال أبو البقاء الرندي هذه القصيدة يستنصر أهل العدو الإفريقية من بني مرين، لما جعل ابن الأحمر (محمد الغالب بن يوسف أول سلاطين غرناطة) يتنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن استرضاء لهم وأملأ في أن يبقى له حكمه المقلقل على غرناطة:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ      فَلَا يُغَرِّ بِطَيْبِ الْعِيشِ إِنْسَانُ.  
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دَوْلٌ<sup>(٢)</sup>      مَنْ سَرَّهَ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَامَانُ.  
وَهَذِهِ الدَّارُ<sup>(٣)</sup> لَا تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ،      وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ:

(١) من « تاريخ النقد الأدبي في الأندلس » لمحمد رضوان الداية (ص ٤٣٥ وما بعد).

(٢) الدولة (بفتح الدال أو بضمها): انقلاب الأمر مرة بعد مرة (مرة لهؤلاء ومرة لأولئك).

(٣) هذه الدار: هذه الدنيا.

يُمَرِّقُ الدهرُ حَتَّى كُلِّ سَابِغَةٍ  
وَيُنْتَظَى كُلُّ سَيْفٍ لِلْفِئَاءِ ، ولو  
أَيَّنَ الملوكُ ذُوو التَّيْجَانِ من يَمَنِ ،  
وَأَيَّنَ مَا شَادَهُ شَدَادُ فِي إِرْمٍ ؟  
وَأَيَّنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ من ذَهَبٍ ؟  
أَتِي عَلَى الكَلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ  
وَصَارَ مَا كَانَ من مُلْكٍ ومن مُلْكٍ  
دَارَ الزَّمَانِ عَلَى دَارَا وَقَاتَلَهُ

إِذَا نَبَتْ مَسْرِفِيَّاتٌ وَخِرْصَانٌ <sup>(١)</sup> ؛  
كَانَ ابْنُ ذِي يَزَنٍ وَالْغَمْدُ غَمْدَانٌ <sup>(٢)</sup> .  
وَأَيَّنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتَيْجَانٌ <sup>(٣)</sup> ؟  
وَأَيَّنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانٌ <sup>(٤)</sup> ؟  
وَأَيَّنَ عَادٌ وَشَدَادٌ وَقَحْطَانٌ <sup>(٥)</sup> ؟  
حَتَّى قَصَّوْا فَكُنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا <sup>(٦)</sup> .  
كَمَا حَكَى عَنْ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانٍ <sup>(٧)</sup> :  
وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيْوَانٌ <sup>(٨)</sup> ؛

- (١) السابغة: الدرع. المشرقي: السيف (من صنع شارف الشام، كناية عن جودة حديدته وصنعه). الخرص (بالضم أو الكسر أو الفتح): الرمح. والجمع خرصان (بالضم أو الكسر) - إذا لم تتمرّق الدرع بالسيف والرمح فإنّها تتهرأ بمرور الزمن (من لم يقتل في الحرب مات بالدهر، بانقضاء أجله).
- (٢) انتضى الفارس السيف: سحبه من غمده. كلّ مدّخر، مها تحافظ عليه، يدركه البلى (بكسر الباء). سيف بن ذي يزن: ملك من عطاء ملوك اليمن. غمدان قصر في اليمن.
- (٣) أين الملوك....؟ - ذهبوا (ماتوا). الإكليل: التاج الصغير. وأين منهم أكاليل وتيجان: (هذه لم تدفع عنهم الموت).
- (٤) شاد: بنى. شدّاد بن عاد: ملك يمني قديم فتح فتوحاً كثيرة بعيدة. إرم ذات الحماد (الأعمدة): مدينة عظيمة تقول الخرافة إن جدرانها وسقوفها من الذهب والنحاس وأعمدتها من الزبرجد والياقوت. ساسان: مؤسس الدولة الساسانية (الفارسية المتأخرة).
- (٥) حازه: امتلكه. قارون: كان أغنى أغنياء العالم (كانت مفاتيح قصوره كثيرة إلى حدّ أنّ الرجل القوي لا يستطيع حملها كلها). عاد وشدّاد وقحطان من جدود العرب القدماء والأقوياء.
- (٦) أمر لا مردّ له (الموت).
- (٧) خيال الطيف: الحلم (بضمّ الحاء): المنام. الوسنان: الذي أخذه النعاس (أفاق من النوم ولم يزل نسان).
- (٨) دار الزمان: انقلب. دارا (داريوس) الأول فتح الهند وأخضع مقدونية (اليونان) ثم هُزم في ماراثون (باليونان). أمّ: قصد. كسرى: لقب ملوك الدولة الساسانية. والمقصود هنا كسرى أنوشروان العادل الواسع السلطان والغنى والوجاهة بين الأمم. الإيوان: قصر عظيم لكسرى في المدائن (على عشرين كيلومتراً شرق بغداد). آواه (حماه من الموت).
- أقرأ: وقاتله (فعل ماض) فذلك أحسن من حيث البيان. هذا مع العلم بأنّ دارا الثالث قد اغتاله بعض أتباعه، سنة ٣٣٠ ق.م. (بعد أن انهزم أمام الاسكندر المقدوني في معركة أربل، جنوب العراق). والملموح أنّ الرندي قد قصد المجانسة بين «دار» و«دارا»، ولم يلمح الفرق بين دارا الأول (ت ٤٩٠ ق.م.) ودارا الثالث!

كَأَنَّا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهُلْ لَهُ سَبَبٌ،  
فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعُ مُنَوَّعَةٌ،  
وَلِلْحَوَادِثِ سُلُوكٌ يَهْوُنُهُمَا،  
دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ  
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَارْتَزَأَتْ  
فَاسْأَلْ بِلَنَسِيَّةٍ: مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ؟  
وَأَيْنَ قُرْطُبَةُ دَارِ الْعُلُومِ فَكَمْ  
وَأَيْنَ حِمِصٌ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزْهِ  
قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ، فَمَا  
تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ،  
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ؛  
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا  
حَيْثُ الْمَحَارِبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ  
يَا غَافِلًا، وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ،  
وَمَا شَيْئًا مَرَحًا يُلْهِمُهُ مَوْطِنُهُ،  
تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْتَ مَا تَقْدَمُهَا،  
يَوْمًا، وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ (١).  
وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانٌ؛  
وَمَا لَهَا حَلٌّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوكٌ (٢)؛  
هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَانْهَدَّ ثَهْلَانُ (٣).  
حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ (٤):  
وَأَيْنَ شَاطِئَةٌ أَمْ أَيْنَ جِيَانٌ؟  
مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانٌ؟  
وَنَهَرُهَا الْعَذْبُ فَيَاضٌ وَمَلَّانٌ؟  
عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ (٥)؟  
كَمَا بَكَى لِغِرَاقِ الْإِلْفِ هَيْيَانُ (٦)،  
قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمْرَانُ:  
فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ؛  
حَيْثُ الْمَنَابِرُ تَرْتِي وَهِيَ عِيدَانُ (٧).  
إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالْدَهْرِ يَقْظَانُ (٨)؛  
أَبْعَدَ حِمِصٍ تَغْرُ الْمَرْءَ أَوْطَانُ؟  
وَمَا لَهَا مَعَ طَوَالِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ.

(١)

(٢) سلوان: شراب يجعل الناس ينون (يفتح الين) مصائبهم.

(٣) دهى: أصاب بداهية (مصيبة). الجزيرة (الأندلس). أحد (جبل قرب المدينة) ثهلان: جبل في بلاد العرب.

(٤) أصابها (أصابتها) العين (من الحمد). ارتزأ (أصيب برزء: مصيبة كبيرة).

(٥) القاعدة: العاصمة (مركز الدولة).

(٦) الحنيفية: الإسلام. الهيان: الحب الشديد الحب.

(٧) المهراب: تجويف في قبلة المسجد يقف فيه الإمام عند الصلاة (كناية عن المساجد). جامدة (من جماد،

ومع ذلك فهي تحسّ بالمصيبة). العود: غصن الشجرة (الحشب).

(٨) سينة (بكسر ففتح): العاس.

يا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبِيضَاءُ رَأَيْتُهُ،  
يا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً  
وَحَامِلِينَ سِوْفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً  
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعَاةٍ  
أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أَنْدَلُسٍ؟  
كَمْ يَسْتَعِثُّ بَنُو الْمُسْتَطْعَفِينَ، وَهُمْ  
مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ،  
أَلَا نُفُوسٌ أَيْيَاتٌ لَهَا هِمَمٌ!  
يَا مَنْ لِدَلَّةِ قَوْمٍ، بَعْدَ عِزَّتِهِمْ،  
بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ،  
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ  
وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهِمَ عِنْدَ بَيْنِهِمْ  
يَا رَبِّ أُمٍّ وَطِفْلٍ حَيْلَ بَيْنَهُمَا  
وَطِفْلَةٍ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ بَرَزَتْ،  
يَقُودُهَا الْعِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً  
لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ،  
أَدْرِكُ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الْكُفْرِ، لَا كَانُوا<sup>(١)</sup>.  
كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عُقْبَانُ<sup>(٢)</sup>،  
كَأَنَّهَا فِي ظَلَامِ النَّقْعِ نِيرَانُ<sup>(٣)</sup>،  
لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ<sup>(٤)</sup>،  
فَقَدْ سَرَى بِمَجْدِهِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ.  
أَسْرَى وَقَتْلَى، فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ!  
وَأَنْتُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِخْوَانُ!  
أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ!  
أَحَالَ حَالَهُمْ كُفْرٌ وَطُغْيَانُ.  
وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ.  
عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ؛  
لِهَالِكِ الْأَمْرِ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ.  
كَمَا تَفَرَّقُ أَرْوَاحُ وَأَبْـدَانُ؛  
كَأَنَّا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ،  
وَالْعَيْنُ بَاكِئَةٌ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ<sup>(٥)</sup>.  
إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ!

- عمل الشعر -

قال الرُّنْدِي<sup>(٦)</sup>: يَنْبَغِي لِمَنْ يَرُومُ عَمَلَ الشَّعْرِ أَنْ يَتَحَرَّى أَوْقَاتَ الْفَرَاغِ وَأَمَكْنَةَ

- (١) البِيضَاءُ رَأَيْتُهُ (كناية عن المجد والقوة والظفر).
- (٢) الْفَرَسُ الْعَتِيقُ: الْأَصِيل. الضَّامِرُ (النَّحِيلُ الْخَصِرُ) وَيَكُونُ عَادَةً سَرِيعًا. الْعَقَابُ (بِضَمِّ الْعَيْنِ): طَيْرٌ مِنَ الْكُؤَاسِرِ (كَالنَّسْرِ) تَتَّبِعُهُ الْخَيْلُ لِقُوَّةِ بَدَنِهِ وَسُرْعَةِ انْقِضَاضِهِ.
- (٣) مُرْهَفٌ: رَقِيقُ الْحَدِّ. النَّقْعُ: غَبَارُ الْحَرْبِ. - تَلْمَعُ سِوْفُهُمْ لَشِدَّةِ جَلَالِهَا وَصَفَائِهَا.
- (٤) رَتَعُ: عَاشَ فِي الْخَصْبِ وَالنَّعِيمِ كَمَا يَشَاءُ. وَرَاءَ الْبَحْرِ (فِي الْقَارَةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ). الدَّعَاةُ: السَّعَاةُ فِي الْعَيْشِ مَعَ الْأَطْمِنَانِ.
- (٥) الْعِلْجُ: الْكَافِرُ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ. الْمَكْرُوهُ: (الْفِعْلُ الْقَبِيحُ).
- (٦) مِنْ «تَارِيخِ النَّدَى الْأَدَبِيِّ فِي الْأَنْدَلُسِ لِحَمْدِ رِضْوَانِ الدَّايَةِ» (ص ٤٤٠ - ٤٤١).

الخلوة و(ألا) يعمل شيئاً من الشعر حتى يشتهي، فإن الشهوة نعم المعين. وإذا سئم فليرح نفسه ولا يكره طبعه. و(يحسن أن) يطالع من أشعار الناس ما يستجيده في المعنى الذي يريده، فإن من أمثالهم: الكلام من الكلام. وينبغي ألا يقبل كل ما يبعثه هاجسه وتنفض به وساوسه<sup>(١)</sup>، بل ينقح ويختار ولا يذهب إلى الاستكثار. وإذا فرغ من شعره تثبت في أمره فتأمله مرتين ورجع البصر فيه كرتين. فكثيراً ما سودت وجوه المبيضات (؟) بالتغير، وأدى العجل إلى الندم والتحير. و(كذلك) ينبغي أن يعرض كلامه على من يثق بمعرفته ونصيحته، فإن الإنسان لا يرى عيب نفسه، والمرء - كما قيل - يفتن<sup>(٢)</sup> بأبنه وشعره. وقد يعرض للشاعر أن يرتج عليه فيكهم حده ويصلد زنده<sup>(٣)</sup> ولا يستطيع أن ينظم شيئاً. وقد يتأتى له (من) حسن البديهة وجودة القريحة ما يعجب منه.

- ٤ - ★★ الذيل والتكملة ٤: ١٣٦ - ١٣٩ (رقم ٢٦٣)؛ نفح الطيب ٣: ٣٤٧، ٤: ٤٧، ٤٨٦ - ٤٩٠، أزهار الرياض ١: ٤٧ - ٤٩؛ بروكلمن، الملحق ١: ٨٦٠، ٢: ٩٢٥؛ نيكل ٣٣٧ - ٣٣٩؛ مختارات نيكل ٢٠٠ - ٢٠٢؛ الأعلام للزركلي (٣: ١٩٨)؛ تاريخ النقد الأدبي لمحمد رضوان الداية ٤٣٢ - ٤٤٠؛ تاريخ النقد العباسي لإحسان عباس ٥٣٨ - ٥٣٩؛ مجلة العربي (الكويت) ١٩٧٣/٧، ص ١٠٢؛ ١٩٧٤/٤ (لأكرم زعيتر) ص ٧.

## حازم القرطاجني

١ - هو أبو الحسن حازم بن محمد (سرقنطة ٥٥٤ - قرطاجنة ٦٣٢ هـ) بن حسن بن

- (١) الهاجس: الخاطر (ما يبدو في فكر من غير أن تقصده). نفث: نفخ. الوسواس: ما يحدث الإنسان به نفسه في أوقات فراغه (تألاً فائدة منه أو تأماً فيه خوف). والمقصود هنا حديث النفس عامة.
- (٢) يفتن (في الأصل بشدة على التو): أي يفتن أو يكثر من الفنون (ولا معنى له هنا). والمقصود يفتن (بالبناء للمجهول): أي يدخل عليه شيء من الزهو أو مجانبية الحق. وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (سورة التغاين، ٦٤: ١٥).
- (٣) أرّج (بالبناء للمجهول) على الشاعر: استغلق (استمصى) عليه الكلام. كهم السيف يكهم (بفتح الهاء فيها): كل، ضف (لم يقطع). صلد يصلد (بضم اللام فيها): صلب (بضم اللام). الزند: حديدة تفتح بها النار من الحجارة.

محمد بن خلف بن حازم الأوسي الأنصاري القرطاجني، نسبة إلى قرطاجنة التي بشرقي الأندلس، وفيها وُلِدَ سنة ٦٠٨ (١٢١١-١٢١٢ م).

بدأ حازم القرطاجني تلقي العلم في بلده على والده ثم لقي نفراً من شيوخ عصره. وتقل في طلب العلم بين مرسية وإشبيلية وغرناطة، ولقي في إشبيلية أبا علي الثلوبين فنصح له أبو علي بدرس الفلسفة القديمة (اليونانية)، فاطلع على أشياء منها.

ولما بدأ الإسبان بالاستيلاء على شرقي الأندلس - على بياسة (٦٣٢ هـ) وبكنسية (٦٣٦ هـ) وشاطبة ودانية (٦٣٨ هـ) - أثر حازم أن يرحل، فانتقل إلى المغرب وقضى في مراكش العاصمة حيناً من الزمن مدح في أثنائه السلطان الموحدي أبا محمد عبد الواحد الرشيد (٦٣٠ - ٦٤٠ هـ). ثم إنه انتقل إلى تونس الحاضرة وأخذها دار إقامة ومدح ملوكها الحفصيين: أبا زكريا الأول (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) والمستنصر (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) والواثق (٦٧٥ - ٦٧٨ هـ).

وكانت وفاة حازم القرطاجني في تونس في ٢٤ رمضان من سنة ٦٨٤ (١٢٨٥/١١/٢٤ م).

٢ - كان حازم القرطاجني رجلاً واسع الدراية بأوجه كثيرة من فنون المعرفة النظرية: في اللغة والنحو والبلاغة والشعر والفلسفة، ولكنه لم يتعرض لإفادة الناس بما كان يعلم. وكان أديباً ناثراً قديراً وشاعراً مجيداً طويل النفس ينطوي شعره على أغراض كثيرة. ويغلب على شعره استجماع المعاني والتأنيق البلاغي أيضاً. وكان ناقدًا بارعاً. ثم هو مُصنّفٌ له: سراجُ البلغاء أو منهاجُ البلغاء وسراجُ الأدباء (في البلاغة وفي المناهج الأدبية في النقد ونظم الشعر). ويبدو أنه قد تأثر - في جانب من هذا الكتاب - بالآراء اليونانية كما عرّضها أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م.). ومما عرّفه من كتاب الشفاء لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) من الجملة الأولى<sup>(١)</sup>: الفن الثامن (الخطابة) والفن التاسع (الشعر). ولحازم القرطاجني ديوان شعر - المقصورة (عارض فيها ابن

(١) الجملة الأولى (المجموعة الأولى: المجلد الأول).



دريد) - العروض - القوافي - التجنيس - شدّ الزيار على جحفلة الحمار<sup>(١)</sup>.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال حازم القرطاجني يمدح المستنصر الحفصي<sup>(٢)</sup>

أَحْيَيْتَ وَحَدَكِ بِالْجِبَالِ الْمُطْلَقِ؟      أَمْ قِيلَ إِذْ قَسِمَ الْجِبَالُ - لَكَ: انْتَقِ<sup>(٣)</sup>!  
فَلَقَدْ جَرَيْتَ مِنَ الْجِبَالِ لَغَايَةَ      أَصْبَحْتَ فِيهَا سَابِقاً لَمْ تُلْحَقِ.  
مَا عُدُّرُ مَنْ لَمْ يَسْلُ تَمَّا قَدْ جَنَّتْ      عَيْنَاكَ؟ بَلْ مَا عُدُّرُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ؟<sup>(٤)</sup>  
أَخَذَ الْهَوَى عَهْداً عَلَيَّ، فَلَمْ أُطِقْ      نَقْضاً لَهَا أَخَذَ الْهَوَى مِنْ مَوْثِقِ.  
وَبِمُهْجَتِي مِنْهَا الَّتِي - مَذْ مُلْكَتْ      رِقَّ الْقُلُوبِ لِحَاطِهَا - لَمْ تُغْتَسِقِ.  
عَقَّدَ الْجِبَالُ وَشَاحَهُ مِنْهَا عَلَى      خَصِرٍ بِالْحَاطِظِ الْعَيُونِ مُنْطَقِ<sup>(٥)</sup>.  
وَأَجَلْتُ فِي إِثْرِ الشَّبَابِ وَإِثْرَهَا      - لَمَّا نَأَتْ وَنَأَى - لَوَاحِظَ مُشْفِقِ<sup>(٦)</sup>.  
وَبَكَيْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ كَمَا بَكَى      حَسَّانُ أَيَّاماً حَسَنًا بِجِلْقِ<sup>(٧)</sup>.  
وَرَأَيْتُ أَيَّامَ النِّعَمِ قَدْ انْقَضَتْ      لَمَّا انْقَضَى شَرْخُ الشَّبَابِ الْمُوتِقِ<sup>(٨)</sup>.

(١) الزيار: شاق (بالكسر: حبل أو سير من جلد) يشدّ به البيطار جحفلة (شفة) الدابة لتقاد به وتذلّ إذا

استعصت على راكبها أو قائدها (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ٤٨٣ ثم راجع ٤٦٤)

(٢) هو المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن يحيى الحفصي سلطان تونس (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) كان عمرانياً

مشهوراً أرسل إليه أهل الحجاز كيعتهم بالخلافة فسرّ بذلك وتلقّب «أمير المؤمنين». وفي أيامه غزا

لويس التاسع ملك فرنسا (القديس لويس) تونس، ولكنّه هزم وقتل (٦٦٩ هـ - ١٢٧٠ م).

(٣) حبا: أعطى. انتق (من الانتقاء): فعل أمر (اختر، تخير).

(٤) سلا يسلو: نسي، تلى (عن مصيبة أو أذى سابق). جنى: أكرم، أذنب.

(٥) بالحاط العيون منطلق (عليه نطق: زنار): الشاق ينظرون إليه بكثرة حتّى كأنّ عيونهم قد أصبحت

كالزنار حول خصمه.

(٦) نظرت إلى شباي الماضي وجالها الحاضر لَمَّا نَأَتْ (ابتعدت هي عني) ونأى (شباي: مضت أيام شباي).

لواحظ مشفق (نظرات رجل حزين).

(٧) حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٥٤ هـ). حسن (كنّ حساناً). جلق (عاصمة الضاسنة في حوران). ولعلّ

الإشارة هنا إلى قول حسان:

لله درّ عصابة نادمهم      يوم بجلق في الزمان الأوّل!

(٨) شرح الشاب: عنفوانه وقوّته وفورته. الموتى: الذي يحسن مرآه في العين.

ثم ينتقل الشاعر إلى المديح:

بَسَدَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَبَجَّسَتْ  
كَمْ فَرَّقَتْ مِنْ شَمْلِ مَالٍ فِي النَّدَى  
وَلَكَمْ أَثَارَتْ خَيْلُهُ مِنْ عَارِضٍ  
سَبَتْ الْعِدَا حَتَّى غَدَوْا أَيْدِي سَبَا،  
قَادَ الْكُفَاةَ إِلَى الْعُدَاةِ، لِبُوسِهِمْ  
أَخْلِفَنَ اللَّهُ الَّذِي مَذَّ حَقَّقَتْ  
جَلَّيْتَ عَنَّا لَيْلَ كُلِّ ضَلَالَةٍ  
أَجْرَى أُمُورَ الْخَلْقِ عَدْلَكُمْ عَلَى  
أَذَكَيْتَ مِنْ طَرْفِ السَّنَانِ لِرَعِيهِمْ  
مَا زَالَ فِي حِفْظِ الرَعِيَّةِ سَاهِرًا

سُحِبُ الْمَكَارِمِ وَالسَّاحِ الْمَفْدِقُ<sup>(١)</sup>:  
مِنْهُ مَكَارِمٌ كَالسَّحَابِ الْفَيْدِقُ<sup>(٢)</sup>.  
صَخْبُ الرُّوَاعِدِ لِلْأَعَادِي مُصْعِقُ<sup>(٣)</sup>؛  
وَتَمَزَّقُوا فِي الْأَرْضِ كُلَّ مُمَزَّقٍ<sup>(٤)</sup>.  
بَيَضُ تَرَجَّرَجُ فَوْقَهُمْ كَالرُّنْبَقِ<sup>(٥)</sup>.  
أُمُوَالُهُ آمَالُنَا لَمْ تُخْفِقْ<sup>(٦)</sup>،  
بِهِدَايَةِ مِثْلِ الصَّبَاحِ الْمُشْرِقِ<sup>(٧)</sup>.  
شَرَعَ الصَّلَاحِ الشَّامِلِ الْمُسْتَوْسِقِ<sup>(٨)</sup>  
طَرَفًا بِهِ سِنَةُ الْكَرَى لَمْ تَعْلُقْ<sup>(٩)</sup>  
وَمُورَقًا لِنَيْمٍ كُلِّ مُورَقٍ<sup>(١٠)</sup>

- ومن غزلة في مطلع قصيدة في المديح:

- (١) الندى: الكرم. تبجس: تفجّر (جرى بكثرة). المفدق: الكثير (السحاب المفدق: ذو الماء الكثير).
- (٢) الفيدق: الواسع من العيش (الفروض أن يقول في هذا البيت: كالسحاب المفدق، وأن يقول في البيت الذي سبق: والسحاب الفيدق!).
- (٣) العارض: الغيم الكثير الذي يفترض (يبدأ) الأفق. صخب: شديد الصوت. مصعق: قاتل.
- (٤) سى: أسر. أيدي سبا: متفرقين متباعدين في الأرض.
- (٥) الكمي: الشجاع، البطل. لبوسهم (لباسهم، على أبدانهم) بيض (درع من حديد. بيض: جديدة) ترَجَّرَجَ (ترجرج، تتحرك أجزاءها بسهولة لينها، دلالة على جودتها).
- (٦) حققت أمواله آمالنا (كانت عطاياه لنا كثيرة كثيرة بلغنا بها كلّ ما نريد). أخفق: خاب.
- (٧) جليّت عنا: كشفت عنا.
- (٨) المستوسق: المجتمع والمنظم.
- (٩) أذكى: أوقد. السنان: حديدة في رأس الرمح. السنة (بكسر السين): النعاس، النوم. الطرف: العين. الكرى: النوم. - أنت ترعاهم بطرف (يسكون الرء: بعين) شديدة اليقظة (بفتح القاف) مثل طرف (بفتح الرء) السنان. به سنة الكرى لم تعلق: لم يمْ.
- (١٠) المورق (الذي هرب النوم عنه) - مورقاً (بإرادته) ليجعل المورق بحوادث الدهر) ينام (يزيل أسباب أرقه: يبدّل له حاجاته).

يا ظَبِيَّةَ الْعَفْرِ الْحَالِي مُؤَالِفَةً،  
ويا شَقِيقَةَ بَدْرِ التَّمِّ، لو أَمِنْتُ  
حاشا لِلْحَظِيكِ أَنْ يُعْزَى إِلَى رَشَا  
وَلَا بُتْسَامِكِ أَنْ يُعْزَى إِلَى زَهْرٍ  
مَا خِلْتُ قَبْلَكَ أَنْ أُرْنُو إِلَى قَمَرٍ  
سُلْطَانُ حُسْنِكَ مَذْ دَانَتْ بِطَاعَتِهِ  
يا عَاذِلِي فِي الْهُوَى، أَقْصِرْ فَلَسْتُ أَرَى  
إِنَّا، بَنِي الْحُبِّ، لَا نُضْغِي إِلَى عَذَلٍ  
وَأَعْلَمْتَنِي بِأَنَّ اللَّيْلَ مَوْعِدُنَا،  
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ أَخْفَى الشَّخْصَ غَيْبُهُ  
وَافَيْتُ مَنْزِلَهَا وَالنَّجْمُ يَرْمُقُنِي  
فَبِتَّ مُجْتَلِيَاً لِلْبَدْرِ مُجْتَنِيَاً  
حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ أَنْبَأَنَا بِطَلْعَتِهِ

من قَلَدَ الْحَلِيَّ أَرَاماً وَغِزْلَانَا؟  
- كَمَا أَمِنْتُ - بِدَوْرِ التَّمِّ نَقْصَانَا؟<sup>(٢)</sup>  
إِذَا تَلَقَّتْ نَحْوَ السَّرْبِ وَسَنَانَا؟<sup>(٣)</sup>  
إِذَا غَدَا بِسَقِيطِ الطَّلِّ رِيَانَا؟<sup>(٤)</sup>  
مُقَلِّدَاً أَنْجَمًا زُهْرًا وَشُهْبَانَا؟<sup>(٥)</sup>  
قُلُوبُ أَهْلِ الْهُوَى لَمْ تَتَوَّعِضِيَانَا!  
مَقْصَرًا فِي الْهُوَى عَنْ شَأْوِ غِيلَانَا؟<sup>(٦)</sup>  
وَلَا نُعْمِلُ إِلَى الْعُدَالِ آذَانَا؟<sup>(٧)</sup>  
فَظَلْتُ مُرْتَقِبًا مِيقَاتَ لُقْيَانَا،  
فَلَمْ يَكُنْ يُنْصِرُ الْإِنْسَانَ إِنْسَانَا؟<sup>(٨)</sup>  
حَتَّى لَكِدْتُ أَظُنُّ النَّجْمَ غَيْرَانَا؟<sup>(٩)</sup>  
مِنْ رَوْضَةِ الْحُسْنِ تَفَاحًا وَرُمَانًا؟<sup>(١٠)</sup>  
بَرْدُ السَّوَارِ فَأَذْكِي الْقَلْبَ نِيرَانَا؟<sup>(١١)</sup>

- (١) العفر: وجه الأرض، التراب. الحالي: المزمّن بالحلى (الجمال الطبيعي). الرّم: الغزال الأبيض.  
(٢) بدر التّم: القمر ليلة أربع عشرة. هو ينقص بعد تمامه، وأنت أمنت النقصان (تظّلين جميلة كما أنت الآن).  
(٣) يعزى: ينسب. رشاً: غزال صغير. السرب: قطع الغزلان. أنت أجل من جميع الغزلان.  
(٤) الطلّ الندى. سقيط الطلّ (الندى الذي يسقط في الليل). ريان: ندى، طري.  
(٥) أرنو (أنظر) إلى قمر (فتاة جميلة). الزهر: اللامعات. الشهبان جمع شهاب: حجر يخرج من مداره حول القمر، فإذا مرّ في جوّ الأرض اشتعل وأضاء....  
(٦) العاذل: اللام. أقصر: انته، توقف. مقصر: متأخر. شأو: الشوط، الغاية. غيلان مية ذو الرمة (ت ١١٧ هـ) شاعر أمويّ محبّ، قيل إنّه طاف بالمكان الذي تسكن فيه حبيبته مية عاماً كاملاً ثم رأى جاريتها فعاد مسروراً لأنه رأى من رآها!  
(٧) المنزل: اللوم.  
(٨) الغيب: الظلمة.  
(٩) وافى: جاء، وصل. رمق: نظر إلى.  
(١٠) مجتلياً: ناظرًا، مجتنيًا = جانيًا، قاطفًا. التفاح كناية عن الحدود. الرمان كناية عن الشدين.  
(١١) - شمر بأنّ الصبح طلع من شعورنا يبرد أجسامنا! أذكي: أشعل.

مالت تُودَّعُني والدمعُ يَغْلُبُها      على الكلامِ فلا تَسْطِيعُ تَبَيَّانَا.  
أدنى التعانقُ شَخْصِينَا وَضَمَّها      لَفَّ النواعِمِ بالأغصانِ أغصاناً<sup>(١)</sup>.  
فيا لها ليلةٌ ما كان أقصرَها      وقتاً، وأنصحَها في الحُسْنِ مِئدانا.

- وقال حازم القرطنجي يردُّ على أرسطو<sup>(٢)</sup> في زَعْمِهِ أَنَّ الْأَقَاوِيلَ الشِّعْرِيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا كاذِبَةً:

وإنَّا غَلَطَ في هذا - فظنَّ أَنَّ الْأَقَاوِيلَ الشِّعْرِيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا كاذِبَةً - قومٌ من الْمُتَكَلِّمِينَ<sup>(٣)</sup> لم يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِالشِّعْرِ، لَا مِنْ جِهَةِ مَزاولَتِهِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الطَّرْقِ الْمُوصِلَةِ إِلَى معرفته.

ولا مُعَرِّجَ على ما يَقُولُهُ في الشيء من لا يَعْرِفُهُ وَلَا التَّفَاتُ إِلَى رَأْيِهِ فِيهِ فَإِنَّمَا يُطَلَّبُ الشيءُ مِنْ أَهْلِهِ، وَإِنَّمَا يُقْبَلُ رَأْيُ المرءِ فِي ما يَعْرِفُهُ. وليس هذا جُرْحَةً لِلْمُتَكَلِّمِينَ وَلَا قَذْحاً فِي صِنَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ تَكَلُّفَهُمْ أَنْ يَتَعَلَّمُوا فِي طَرِيقَتِهِمْ ما ليسَ مِنْهَا شَطَطٌ. والذي يُوَرِّطُهُمْ<sup>(٤)</sup> في هذا أَنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْكَلَامِ فِي إعجازِ الْقُرْآنِ<sup>(٥)</sup> فيحتاجون إلى ماهِيَةِ الْفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ لَهُمْ عِلْمٌ بِذَلِكَ، فَيَفْزَعُونَ<sup>(٦)</sup> إِلَى مُطالعة ما تيسَّرَ لَهُمْ مِنْ كُتُبِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ. فإذا فَرَّقَ أَحَدُهُمْ بَيْنَ التَّجْنِيسِ وَالتَّرِيدِ، وَمَا زَ الاستعارةَ مِنَ الْأَوْصافِ<sup>(٧)</sup>، ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ فَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ فِي الْفَصَاحَةِ بما هُوَ مَحْضُ الْجَهْلِ.....

(١) لَفَّ النواعِمِ....: كما يلتف بعض الأغصان الناعمة ببعضها الآخر (بسهولة وانطباق تام).

(٢) أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م.). فيلسوف اليونان غير منازع وأكبر فلاسفة العالم بإطلاق، كان مثل أستاذه

أفلاطون (٤٢٩ - ٣٤٧ ق.م.). يرى أَنَّ الشعر من حيز الخيال والتقليد بعيداً عن الواقع.

(٣) المتكلمون: الذين يدافعون عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية (باستخدام الفلسفة).

(٤) الشطط: الجور (الظلم) في الحكم. يورطهم: يحملهم على الدخول فيها لا يريدونه.

(٥) إعجاز القرآن: مجيء المادة في القرآن الكريم والتعبير عنها بما يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

(٦) فزع إلى: لجأ.

(٧) التجنيس: الإتيان بكلمتين متفتحتين (أو متقاربتين) في اللفظ مختلفتين في المعنى، كقول أبي تمام: بيض

الصفائح (السيوف) لا سود الصفائح (الصفحات المكتوبة).... أمّا التريديد فهو المجيء بكلمة واحدة

مستعملة في الجملة مرتين في علاقيتين مختلفتين، كقول زهير بن أبي سلمى:

ومن هاب أسباب النايَا ينلنه، وإن يرق أسباب السمله بلم. =

- المناسبة بين فنون الشعر وأوزان الشعر (من منهاج البلغاء ، ص ٢٦٦):

..... ولما كانت أغراضُ الشعرِ شتى، وكان منها ما يُقصدُ به الجِدُّ والرصانة وما يُقصدُ به الهزلُ والرشاقة<sup>(١)</sup>، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير، وَجِبَ أَنْ تُحاكى تلك المقاصدُ بما يُناسِبُها من الأوزان ويُخَيِّلُها للنفوس. فإذا قَصَدَ الشاعرُ الفخرَ حاكى غرضَهُ بالأوزانِ الفخمةِ الباهيةِ الرصينة، وإذا قصد في موضعٍ قَصَداً هزلياً أو استخفافياً وقَصَدَ تحقيراً شيئاً أو العَبَثَ<sup>(٢)</sup> به حاكى ذلك بما يُناسِبُ من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كلِّ مَقْصِدٍ. وكانت شعراء اليونانيين تلتزم لكلِّ غرضٍ وزناً يليقُ به ولا تَعَدَّاهُ فيه إلى غيره<sup>(٣)</sup>.

وهذا الذي ذَكَرْتُهُ في تَخْيِيلِ الأغراضِ بالأوزانِ قد نَبَّهَ عليه ابنُ سينا في غير موضعٍ من كُتُبِهِ، ومن ذلك قَوْلُهُ في الشِّفاء<sup>(٤)</sup> في تعديدِ الأمور التي تجعلُ القولَ مُخَيِّلاً: منها أمورٌ تَتَعَلَّقُ بِزَمَانِ القولِ وَعَدَدِ زَمَانِهِ - وَهُوَ الْوَزْنُ - ومنها أمورٌ تَتَعَلَّقُ بِالْمَسْمُوعِ من القول، ومنها أمورٌ تَتَعَلَّقُ بِالْمَفْهُومِ من القول، ومنها أمورٌ تَرَدَّدُ بَيْنَ الْمَسْمُوعِ وَالْمَفْهُومِ.

- مكانة الفكر في الشعر (منهاج البلغاء ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢):

اعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ الشعرِ ما صَدَرَ عَنْ فِكْرٍ وَلَعَ بِالْفَنِّ وَالْغَرَضِ الَّذِي الْقَوْلُ فِيهِ مَرْتاحٌ

= الأسباب الأولى متعلقة بالنايا ومعناها (علل)، والأسباب الثانية متعلقة بالمعاني ومعناها (الحوال)، الفرق هنا بين الجنس والترديد أَنَّ الشاعر هو الذي أتى بالكلمة ثم استخدمها في وجهين (مع العلم بأن استعمال السبب في علاقته بالمعاني قد جاء في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر﴾ (الحج: ١٥: ٢٢). والاستعارة نسبة الفعل إلى غير صاحبه، نحو: وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ « فَإِنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ اسْتَعَارَ لَيْلَ سَدُولاً وَجَعَلَ لَهُ أَيْدِياً يَرْخِي بِهَا السَدُولَ وَيَرْفَعُهَا كَمَا يَفْعَلُ الْبَشَرُ ». والوصف (هنا) ما كان قريباً من التشبيه (لأنَّ الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه) كقول ابن الرومي مثلاً « ورازقيَّ محطف (بضم فسكون ففتح) المحصور »، فهو يصف نوعاً من الغيب محصوراً من أوسطه. هذا الوصف قريب من التشبيه ومن الاستعارة ولكن أركان التشبيه والاستعارة فيه غير واضحة .

(١) يقصد بالرشاقة: التظرف والتلحاح (ذكر أشياء تسر النفس ولكن لا جد فيها).

(٢) العبث: التلهي واللعب.

(٣) كان الشعراء اليونانيون (أو شعراء اليونانيين) يناسبون بين الغرض الذي يمالجونه والبحر الذي ينظمون أبيات ذلك الغرض عليه. وكذلك كان العرب أيضاً يفعلون.

(٤) الشفاء كتاب جامع لفلسفة ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م).

للجهة والمنحى الذي وَجَّهَ إليه كلامه لإقباله بكلِّيته على ما يقوله وتوفير نشاط الحاطر وحدته بالانصباب معه حيث مال به هواه<sup>(١)</sup>. ولهذا كان أفضل النسيب ما صدر عن نفس شجيّة وقريجة قريجة<sup>(٢)</sup>. وكذلك الإخوانيات<sup>(٣)</sup> والمراثي وما جرى هذا المجرى.

.... واعلم أن المنحى الشعريّ، نسيباً كان أو مدحاً أو غير ذلك، فإن نسبة الكلام المقول فيه إليه نسبة القلادة إلى الجيد<sup>(٤)</sup>. (ذلك) لأن الألفاظ والمعاني كالآلي، والوزن كالسبك، والمنحى الذي هو مناط الكلام وبه اعتلاقه كالجيد له. فكما أن الحلي<sup>(٥)</sup> يزداد حسنه في الجيد الحسن، فكذلك النظم إننا يظهر حسنه في المنحى الحسن. فلذلك وجب أن يكون من له قوة التشبيه<sup>(٦)</sup> المذكورة أكمل في هذه الصناعة ممن ليست له تلك القوة.

- من مقصورة حازم القرطاجني<sup>(٧)</sup>

هذه المقصورة ألف وستة أبيات، أورد منها، بعد قليل، مائة وخمسة وثلاثين بيتاً. والأصل في المقصورة أن تكون قوافيها صيفاً مشتقة من أفعال ناقصة (معتلة الآخر بالواو أو بالياء). وكان ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) - صاحب المقصورة التي عارضها حازم القرطاجني - قد لزم هذه القاعدة. وإذا كان ابن دريد قد جاء<sup>(٨)</sup> في مقصورته بكلمة

(١) إلى حيث تمل به عاطفته.

(٢) ... ما صدر (خرج) عن نفس شجيّة (حزينة) وقريجة (فكر) قريجة (مقروحة، مجروحة، معدبة).

(٣) الإخوانيات: رسائل يتبادلها الأصدقاء خاصة (نثراً أو شعراً).

(٤) القلادة: المقد. الجيد: العنق.

(٥) كذا منقوطة ومشكولة في الأصل. والمقصود الحلي (بفتح الحاء وسكون اللام وبالياء المنقوطة بنقطتين من تحتها): ما يزين به من مصوغات المعدنيات والحجارة (القاموس ٤: ٣١٩) وهي مفردة تناسب الضمائر المذكورة في النص. أما الحلي (بضم فكسر فتشديد)، (كما في الأصل) فهي جمع وتقتضي أن تكون الضمائر بعدها مؤنثة.

(٦) التشبيه (كما في الأصل). المقصود التخيل أو التشبيه.

(٧) حوليات كلية الآداب - جامعة إبراهيم (عين شمس) المجلد الثاني (١٩٥٣ م): مقصورة أبي الحسن حازم

القرطاجني - تحقيق النص للدكتور مهدي غلام، ص ١ - ١١٠.

(٨) شرح مقصورة ابن دريد، مصر (محمد علي صبيح) بلا تاريخ (راجع ص ١٠).

« سوي » (مكان « سواء »)، فإن له عذراً من جواز ذلك في اللغة (راجع القاموس ٤ : ٣٤٥، السطر ١١)، وإن كانت كلمة « سواء » أفصح وأشهر. أمّا حازم القرطاجي فقد تساهل أحياناً فأهمل الهمة في عددٍ من الألفاظ فقال، مثلاً، الظها، يُبتدا، السماء، الدواء، ابن ذكاء، طيبُ الثناء، منشور اللواء، رقا (ص ٢٣، ٢٦، ٥٩، ٧٣، ٨٢، ١٠٤)، مكان الظها، يُبتدا، السماء، الدواء، ابن ذكاء، طيب الثناء، منشور اللواء، رقا. وأبعد من ذلك كله في القافية المقصورة قوله « الهنا » (ص ٤٦) مكان « الهناة ». - وليست هذه الألفاظ التي تُشير إليها هنا من باب القوافي المقصورة.

نظم حازم القرطاجي هذه المقصورة في مديح المُستنصر بالله (أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى) خامس سلاطين الحفصيين في تونس (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). وذكر حازم نفسه أنه طوى مقصورته هذه على عددٍ من الفنون والأغراض (ص ١٦) من مدحٍ وغزلٍ وحكمةٍ ومثلٍ ومن وصفِ البلدان والرياض والأزهار والأزمان والبحار والصيّد والقنص والوعظ والقصص. ثم قال إنها قصيدةٌ من الرّجَز غيرُ مشطورية (أي تفاعيلها تامّة: مستعلن مستعلن مستعلن)، عارضتُ بها قصيدةَ أبي بكر بن دُرَيْدِ المقصورة.

ومدح حازم القرطاجي بمقصورته هذه المستنصر بالله الحفصي مدحاً كثيراً (ص ١٥ - ١٧، النخ). ولكن هذه المقصورة متفاوتة في الجودة: فيها أبياتٌ سائرة وأبياتٌ كثيرة الغريب كثيرة التكلف. ثم إن فنونها الكثيرة (مدحاً وغزلاً وخرأً ومجوناً وحكمةً وفخرأً وشكوىً وتاريخاً ووصفاً) جعلت تنظيمها مضطرباً، فهو في كثيرٍ من الأحيان يأتي إلى التاريخ ثم يُفادِرُهُ إلى فنٍ آخر ثم يعودُ إلى التاريخ. ومثل ذلك (في الفنون الأخرى) كثيرٌ أيضاً.

ولا شك في أن لحازم معرفةً بالغريب (الألفاظ القليلة الدوران على الألسنة) ومعرفةً باستعمالها. ثم إن إشارته إلى الأحداث التاريخية كثيرة. أما أبياته في الوصفِ والغزل والحكمة ففيها سلاسةٌ وطلاوةٌ.

وفيما يلي نخبَةٌ من هذه المقصورة:

لله ما قد هجّت، يا يومَ النوى،  
 لقد جمعتَ الظلمَ والإظلامَ، إذ  
 فإنَّ يطلُّ ليلى، فكم قصّرتُه  
 وكم تنعمتُ بوصلِ ناعمٍ  
 شفى فؤادي رشقه، من بعدِ ما  
 وعزّني وجندي بجودِ غرّني  
 فلو تجودَ قدرَ ما ضنّتُ حكّتُ  
 خليفة الله المسمى المكتنى  
 المرتقى من نسبة المجد التي  
 من نبوة أصولها ثابتة  
 ذاك أبو حفص الذي إلى علا  
 على فؤادي من تباريح الجوى<sup>(١)</sup>؛  
 وارتيت شمسَ الحسنِ في وقت الضحى<sup>(٢)</sup>؛  
 بقاصراتِ الطرفِ بيضَ كالدمى<sup>(٣)</sup>؛  
 وباقتناصِ باغمٍ مثلِ الطلّا<sup>(٤)</sup>؛  
 أشفى بقلبي طرّفه على شفا<sup>(٥)</sup>؛  
 عطفَ لها لأنَّ بقلبٍ قد قسا<sup>(٦)</sup>؛  
 جودَ أميرِ المؤمنين المرتجى<sup>(٧)</sup>؛  
 خيرَ الأسامي السامياتِ والكُنَى<sup>(٨)</sup>،  
 تسمو إلى الفاروقِ أعلى مرتقى<sup>(٩)</sup>؛  
 وفرّعها إلى السماء قد سما<sup>(١٠)</sup>؛  
 سميّه الهادي أبي حفصٍ غا<sup>(١١)</sup>؛

- (١) النوى: البعد، البعاد. يوم النوى: يوم الفراق. التباريح: الشدائد، المصائب. الجوى: ألم الحب.
- (٢) وارتيت: أخفيت. - لعل في الشطر الثاني إشارة إلى أن محبوبه للشاعر أو قرية له ماتت وهي في أول شبائها (٢).
- (٣) قاصرات الطرف (البصر) عين (جمع عيناء - بالفتح - الواسعة العينين): النساء الغنيات اللواتي يقصرن (يجسسن) أبصارهن على أزواجهن ولا يمددن بصرهن إلى رجال آخرين. راجع القرآن الكريم (٣٧: ٤٨، الصفات): ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين﴾. الدمية: التمثال الصغير (المرأة الجميلة).
- (٤) ناعم (فتاة ناعمة: فتية، صغيرة السن) الباغم: ذو الصوت الجميل (مثل صوت الغزال). الطلى (بالفتح والألف المقصورة): ولد الظبية.
- (٥) رشقه (شرب الريق من فمه). أشفى بقلبي طرّفه (نظره، عينه) على شفا: (كاد لحظه أن يتلف قلبي، أن يقتلني).
- (٦) عزني (غلبني) وجدي (شدة حيي، ألم الحب) بجود (امرأة جميلة) غرّني (خدعني). العطف: الجانب الأعلى من الجسم. - يتأيل عطفها للينه (فتاتها، جالها).
- (٧) ضن: بخل. أمير المؤمنين (المستنصر الحفصي المدوح بهذه المقصورة).
- (٨) خير الأسامي = محمد. خير الكني = أبو القاسم (كنية الرسول).
- (٩) يصل نسه إلى الفاروق أبي حفص عمر بن الخطاب.
- (١٠) راجع القرآن الكريم (١٤: ٢٤، إبراهيم): ﴿كشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾. النبعة: مجتمع جذور النبات (سكّة القمح تكون واحدة من مجموع كبير مجتمع).
- (١١) أبو حفص (الأولى): الجد الأعلى للأسرة الحفصية الحاكمة في تونس. أبو حفص (الثانية): عمر بن الخطاب. غا: ارتفع، انتسب.



وزادَ عبدُ الواحدِ الهادي ابنُه  
 ثم أتمَّ اللهُ نورَ هذِيهِ  
 ثم تجلَّتْ آيَةُ اللهِ التي  
 بنَجَلِهِمْ، بل نَجْمِهِمْ، بل بذَرِهِمْ،  
 محمَّدٍ سَليْسٍ يحْيى بنِ أبي  
 مُسْتَنْصِرٍ بالله منصورٍ به،  
 فرعٌ كريمٌ من أصولٍ كَرَمَتْ  
 إن أمرَ الدهرَ بنَفْعٍ يَأْتِرُ،  
 حَضَرَتْهُ أُمُّ الْبِلَادِ كُلِّهَا  
 كَجَنَّةِ الْخُلْدِ تَسُرُّ مَنْ رَأَى  
 حُسْنَ الْبِلَادِ كُلِّهَا مُجْتَمِعٍ  
 أَرْوَتْ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، سُحْبٌ  
 طَابَتْ بِهِ الْأَيَّامُ لِي حَتَّى لَقَدْ  
 فَيَا خَلِيلِي، أَسْقِيَانِي أَكْؤُسًا  
 بَلَّغْتَ أَرَابَ الْمُنَى فِي دَوْلَةٍ  
 فِي بُقْعَةٍ كَجَنَّةِ الْخُلْدِ الَّتِي  
 أَقْسَمَ الْأَيَّامَ بَيْنَ مَنْظَرٍ

معالَمِ التَّوْحِيدِ وَالْهَدْيِ عَلَا<sup>(١)</sup>.  
 بَنَجَلِهِ يحْيى الإمامِ الْمُرتَضَى.  
 بدا بها الحقُّ اليَقِينُ وَجَلَا.  
 بل شَمْسِهِمْ ذَاتِ السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَاتِ<sup>(٢)</sup>.  
 مُحَمَّدٍ نَجَلِ أَبِي حَفْصِ الرِّضَا.  
 مُؤَيَّدٌ بِعَوْنِهِ عَلَى الْعِدَا.  
 قَدِ اصْطَفَاهُ مِنْهُمْ مَنْ أَصْطَفَى.  
 وَإِنْ نَهَى الدَّهْرَ عَنِ الضَّرِّ أَتَتْهُ.  
 وَقُطِبُ مَا مِنْهَا دَنَا وَمَا قَصَا<sup>(٣)</sup>.  
 فَيَزْدُرِي الْخُلْدَ وَسِرٌّ مَنْ رَأَى<sup>(٤)</sup>.  
 لَهَا، وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا<sup>(٥)</sup>.  
 مِنْ جُودِكُمْ رَوْضَ الْأَمَانِي فَارْتَوَى.  
 ذَكَرْتُ - فِيمَا قَدْ خَلَا - عَيْشًا خَلَا.  
 تُسَكِّرُ مِنْ خَرِ الصَّبَا مَنْ قَدْ صَحَا.  
 أَوْلَتْ يَدِي أَسْنَى الْأَيَّادِي وَاللَّهَى<sup>(٦)</sup>.  
 يَرَى بِهَا كُلُّ فَوَادٍ مَا أَشْتَهَى.  
 وَمَسْمَعٍ يَسْنِي الْعُقُولَ وَالنُّهَى،

- (١) زاد (عبد الواحد) هذه المعالم علا (ارتفاعاً) فوق علاها.
- (٢) السناء: الرفعة والمكانة العالية. السنا: الضوء، النور. اللمان.
- (٣) الحضرة: العاصمة. أم البلاد (أصل كل البلاد، أكبرها). قصا: ابتعد.
- (٤) يزدري: يحتقر. الخلد: قصر الخلد في بغداد منذ أيام أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين. سر من رأي: مدينة على أربعين كيلومتراً شمال بغداد كانت عاصمة للخليفة المعتصم ثامن الخلفاء العباسيين.
- (٥) الفرا: حمار الوحش. «كل الصيد في جوف الفرا» مثل معناه أن صيد الفرا أفضل من جميع أنواع الصيد.
- (٦) الأرب: الحاجة، الغاية. أسنى: أعلى، أثنى. اليد (وجعها أيدي): العضو المعروف. اليد (وجعها أيادي): النعمة، العطية. الله جمع لهوة (بالضم فيها): العطية.

وَمَتَّعَ بِمَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ  
وَمَرَكَّبٍ لِأَنْاسٍ وَمَجْلِسٍ  
وَمَلْتَمٍ لِمَرْشَفٍ وَمَهْصَرٍ  
فَالْدَهْرُ عَبْدٌ وَاللَّيَالِي عُرْسٌ،  
مَنَازِلٌ لِلْحُسْنِ تُنْسِي جِلْقًا،  
ثُمَّ تَنَادَيْنَا بِقَصْدٍ مَنَزِلٍ  
وَأَتْرَعْتَ لِلشَّارِبِينَ أَكُوسٌ  
فَاجْتَمَعَ الْأَنْسُ بِجَمْعٍ فِتْيَةٍ  
حَارَبَتْ الْأَشْجَانَ عَنْهُمْ وَعَتَتْ  
فَلَمْ تَدْعَ هَمًّا عَنَّا، حَتَّى لَقَدْ  
غَنَيْتُ عَنْهَا بِكُؤُوسٍ أَدَبٍ  
وَأَثَرْتُ نَفْسِي عَلَيْهَا شَرْبَةً

يُرْضِي الْعُيُونَ وَالْأَنْوَفَ وَاللِّهَامَ<sup>(١)</sup>،  
فِي مَدْرَسٍ وَمَحْضَرٍ فِي مُنْتَدَى،  
لِيَمْطَفَ مِنْ أَهْيَفِ طَاوِي الْحَشَا<sup>(٢)</sup>،  
وَالْدَهْرُ أَحْلَامٌ كَأَحْلَامِ الْكَرَى<sup>(٣)</sup>،  
وَنَهْرُهَا السَّلَالُ يُنْسِي بَرْدَى<sup>(٤)</sup>،  
جَمَعْنَا فِيهِ السَّرُورَ وَنَدَى<sup>(٥)</sup>،  
مِمَّا حَلَا مَطْعُمُهُ وَمَا حَذَى<sup>(٦)</sup>،  
عَلَى عَجُوزٍ وَسَمُهَا وَسَمُ الْفَقَى<sup>(٧)</sup>،  
- مِنْ طَارِقِ الْهَمِّ - عَلَى مَنْ قَدَعْتَا<sup>(٨)</sup>،  
كَادَتْ تُسَبُّ كُلُّ هَمٍّ قَدْ عَتَا<sup>(٩)</sup>،  
تُسْقَى فَيُسْتَشْفَى بِهَا وَيُسْتَفَى<sup>(١٠)</sup>،  
مَنْ ضَرَبَ يُجْنَى وَرِسْلٍ يُمْتَرَى<sup>(١١)</sup>

- (١) اللها جمع لهوة (بالفتح فيها): الخلق (أقصى الفم).  
(٢) المرشف: الفم. ومهصر لمطف (أي: ضم الرجل امرأة إلى صدره). الأهيف: النحيف الجسم. طاوي (ضامر، نحيل) الحشا (البطن).  
(٣) ترد كلمة «الدهر» مرتين في هذا البيت. وأفضل أنا أن أجعل «الدهر» الثانية «العمر».  
(٤) منازل (في تونس) تنسى جلقاً (يلدأ في حوران - بين سورية وفلسطين اليوم - ويطلقها الثعراء عادة على دمشق). ونهر تونس (نهر مجردة) السلال: الماء العذب الصافي. بردى: نهر دمشق.  
(٥) ندى المطر الأرض «(بللها)». ندا يندو (جاد، سخا): كثر فيه السرور. «ندى» معطوفة على «جمعنا».  
(٦) أترعت: ملئت. هذا الشراب يحذو: قرص اللسان (بشدته أو مرارته).  
(٧) عجوز: خمر. وسماها: صفتها.  
(٨) الشجن (يفتح ففتح): الحزن (بالضم). عتا: ظلم، اشتد. الطارق: الآتي فجأة. يتوهم الشاعر أن شرب الخمر يذهب هموم شاربها.  
(٩) ترد كلمة «عتا» في بيتين متوالين (ص ٥٢، السطران الأولان). عتا (في البيت الثاني): كبير، عظم. «كادت تسب كل هَمٍّ قَدْ عَتَا» (كادت تحمل كل هَمٍّ عتي أو كبير هَمًّا شائباً أو صغيراً جديداً - ؟).  
(١٠) تركتُ شرب الخمر واستعصت بأحاديث الرجال. هذه الأحاديث يراد بها أيضاً نسيان الهوموم، وهي تنسى الهوموم أيضاً.  
(١١) آثر: فضل. الضرب (يفتح ففتح): الصل. الرسل (بالكسر): اللبن الحليب. يمتري: يحلب (حديثاً).

كَمْ زُرْتُ فِي تِلْكَ الْمَغَانِي الْغُرِّ مِنْ  
 لَمَّا غَلَا مَا أَرْخَصْتُ مِنْ وَصْلِهَا،  
 مَا حَكَمْتُ عَيْنِي عَلَى قَلْبِي لَهَا  
 فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَوَادُّ مَا رَعَى  
 إِنْ تَحَدَّرَ فِي وَصْفِهِ فَإِنَّهُ  
 وَنَاطِرٌ يَمْنَعُ كُلَّ نَاطِرٍ  
 وَمَبْسِمٌ يَزِدُّهُمُ الْبَرَقَ بِهِ  
 وَصَحْنٌ صَدِرَ مُنْبِتٌ رُمَاتَنِي  
 وَفَخِذَانِ آخِذَانِ فَوْقَ مَا  
 يَكَادُ يَبْدُو خَصْرُهُ مُنْخَذِلًا  
 نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرِ الصَّبَا يَحْبُبُهُ  
 ظَبْيٌ أَذَالَ اللَّيْثَ إِذْ أَدَّى لَهُ؛  
 غَانِيَةٌ تَنْظُرُ مِنْ عَيْنِي رَشَا<sup>(١)</sup>.  
 أَرْخَصْتُ مِنْ دُرِّ الدَّمُوعِ مَا غَلَا<sup>(٢)</sup>.  
 حَتَّى أُنَالَتَهَا بَعَيْنَيْهَا الرُّشَى<sup>(٣)</sup>  
 ذِمَّتَهُ ظَبْيٌ بِقَلْبِي قَدْ رَعَا<sup>(٤)</sup>.  
 بَدْرٌ عَلَى غُصْنٍ عَلَى دِعْصٍ نَقَا<sup>(٥)</sup>،  
 مِنْ وَرْدٍ خَدُّ نَاضِرٍ أَنْ يُجْتَنَى<sup>(٦)</sup>.  
 إِذَا أَنْبَرَى مَا بَيْنَ ظَلَمٍ وَلَمَى<sup>(٧)</sup>.  
 حُسْنٍ، وَبَطْنٌ مُنْطَوٍ طَيِّ الْمَلَا<sup>(٨)</sup>.  
 نَمَّا بِهِ مِنَ النِّعَمِ الْمُفْتَدَى<sup>(٩)</sup>  
 مِنْ رِدْفِهِ إِذَا تَمَشَّى الْخَيْزَلَى<sup>(١٠)</sup>.  
 نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرِ الدَّيَّانِ مَنْ نَجَا<sup>(١١)</sup>.  
 يَا مَنْ رَأَى ظَبِيًّا لِلَّيْثِ قَدْ أَدَّى<sup>(١٢)</sup>

- (١) المغنى: المكان السكون. الفرّ جمع أغرّ وغراء (أبيض، بيضاء): عظيمة، وجيهة. الغانية: المرأة الجميلة (المستغنية بجهاها عن الحلي). الرشا: ولد الظبية.
- (٢) الدر: اللؤلؤ. لَمَّا بَجَلْتُ عَلَى يَمَا جَادَتْ بِهِ عَلَى غَيْرِي بِكَيْتَ كَثِيرًا.
- (٣) الرشى جمع رشوة.
- (٤) أَحْبَبْتُهَا بِكُلِّ قَلْبِي فَلَمْ تَحْفَظْ لِقَلْبِي تَضَحِيَّتَهُ، فَمَاتَ قَلْبِي.
- (٥) وَجْهَهَا كَالْبَدْرِ، وَقَامَتُهَا كَالْفُصْنِ، وَأَرْدَافُهَا كَالدَّعْصِ (القطعة المستديرة من الرمل، الجانب من التلة) مِنْ نَقَا: رَمَل (أبيض).
- (٦) أَلْخَاطِطُهَا (الْقَاسِيَةُ) تَمْتَعُ كُلُّ نَاطِرٍ إِلَيْهَا (مَحَبَّةً لَهَا) أَنْ يَقْطِفَ وَرْدَ خَدَّهَا (أَنْ يَقْبِلَهَا).
- (٧) الْمَبْسَمُ: الْفَمُ. الْبَرَقُ (كَتَابَةِ عَلَى الْأَسْنَانِ الْبَيْضِ). أَنْبَرَى (بَدَأَ، ظَهَرَ). الظلم (بِالْفَتْحِ): بِرَيْقِ الْأَسْنَانِ وَمَاؤُهَا (نَضَارَتُهَا وَحَسَنَ لَوْنِهَا). اللَّمَى (بِالْفَتْحِ): السَّمَرَةُ فِي الثَّقَيْنِ.
- (٨) الْمَلَاةُ (بِالضَّمِّ): ثَوْبٌ يَلْفُ بِهِ الْجِسْمُ (وَجَمْعُهَا مَلَاءٌ - بِالضَّمِّ).
- (٩) النِّعَمِ الْمُفْتَدَى (مَنْ التَّفْعُذَى بِالْأَطْعَمَةِ الطَّيْبَةِ الْمَفِيدَةِ).
- (١٠) مُنْخَذِلٌ (لَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ) = مُنْخَذِلٌ: مُنْقَطِعٌ، مُنْقَطِعٌ خِطَابُهُ خَصْرُهُ وَعَظَمَ رِدْفُهُ يَخِيلَانِ إِلَى الرَّائِي أَنْ أَحَدَهُمَا سَيَنْفَضِلُ عَنْ الْآخَرِ). الْخَيْزَلَى: شَيْءٌ (بِالْكَسْرِ) فِيهَا تَنَاقُلٌ (بَطْءٌ).
- (١١) الدَّيَّانُ (بِالْفَتْحِ) وَعَاءُ الْخَمْرِ الْكَبِيرِ. - أَنْ الَّذِي يَبْصُرُهُ يَظُنُّهُ سَكْرَانٌ مِنَ الْخَمْرِ (بَيْنَمَا هُوَ سُكْرَانٌ مِنْ نَاطِئِ الثَّبَابِ).
- (١٢) أَذَالَ (؟) لَعَلَّهَا أَذَالَ (بِالدَّالِ غَيْرِ الْمَنْقُوطَةِ): نَصَرَ (شَخْصًا عَلَى آخَرٍ) غَلَبَ. أَدَّى: خَتَلَ (خَدَعَ) =

يا طيبةً حازتْ قُوداي ففدا  
يا ليتَ شعري، مَنْ سلبتْ قلبه  
لا تَظلمي إنسانَ عيني في الهوى،  
ظننتُ بأنَّ اللّومَ يُنسي\* خاطري  
وأستطرفتُ جُزبي يَمدانِ الصِّبا،  
وبسّينَ جَنبي قُوداً لم يرُغ  
وأعتاضَ ممّا قد أفاتَ دهره  
ظِلُّ أميرِ المؤمنينَ عنده  
فإنَّ ذوى رَوْضِ الصِّبا، فجودُه  
فلا تَظنّي أني آسى لِمَا  
قد مارستُ نفسيَ حالِي دهرها،  
وقلبتُ قلبي الليلي بينَ ما  
فلم يَطرُ لِمُؤنسٍ مَسرّةً،  
ولي قُوداً مُنصِيفٌ في حُكمه

قلبي من جسمي بعيد المتوى (١)،  
هل يَرَجُعُ السايي إليه ما سبى (٢)؟  
فليس للإنسان إلا ما سعى (٣).  
عن صَبوةٍ لسلوةٍ، فما أثنسى.  
لَمَّا رَأَتْ طِرْفَ الشَّبابِ قد كُبا (٤).  
جَنابَه شيبَ بَقُودَيَّ بدا. (٥).  
بما أفاد من يدٍ وما حبا (٦).  
أنعمُ من ظِلِّ الشَّبابِ والصِّبا.  
يُعيدُ غَضّاً ناعماً ما قد ذوى.  
قد بَرّني صَرَفُ الزمانِ وبَرا (٧).  
فلم يدُمُ سُرورُها ولا الأُسى (٨).  
قد لَانَ من خُطوبِها وما قسا.  
ولم يَطمِشْ لِمُوحِشٍ ولا نَزا (٩).  
مُتَّصِفٌ بالعدلِ فيما قد قضى.

- = الطريدة ليصطادها). - ظي غلب أصدأ (امرأة جميلة أسرت مجبها رجلاً قوياً). والعادة أن الأسد يتغلب على الظبي وأن القوى يخدع الضعيف.
- (١) المتوى: الشيء المقصود. حاز: استولى. - لا أستطيع أن أصل إلى قلبي (لا أستطيع أن أحكم عليه).
- (٢) رجع (بفتح ففتح) يرجع (بفتح فسكون فكسر) فعل لازم ومتعدّ: يرجع (هنا) يردّ الشيء إلى صاحبه.
- (٣) معنى النظر الأول (٤). «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى» (سورة النجم، ٣٧: ٥٣).
- (٥) لعلها: «يشني» (يرد، ينهي) مكان «ينسى».
- (٦) الفود: الشعر النابت في جانب الرأس. - الثيب الذي بدا (ظهر) في شعري لم يرعني (لم يحقني)، فما زلت أحبّ.
- (٧) الدهر قوت عليه أشياء كثيرة (شابه) فتعوض منها صحبة أمير المؤمنين (راجع البيت التالي)، بما ناله من العطايا (من السلطان المستنصر). حبا: أعطى.
- (٨) آسى: أحزن. برّ: غلب، سلب. صرف الزمان: شدائده ومصائبه. برا يبرزو: قهر، بطش.
- (٩) الأُسى: الحزن.
- (٩) طار (فرح). طاش السهم: انحرف. خفّ عقله واضطرب. نزا: وثب (اضطرب؟).

كَمْ دَمَّتِ الْخُلُقَ لِمَنْ فِي خُلُقِهِ  
 قَدْ وَاقَفْتَنِي أَرْمَنِي وَخَالَفْتَنِي،  
 وَلَمْ تُقَصِّرْ مُهْجَتِي فِي الْجِدِّ، بَلْ  
 لَمْ يَعْرِفِ الْأَيَّامَ عِرْفَانِي بِهَا  
 مَا يَقْطَعُ الْعَيْشَ إِلَّا حُلْمٌ،  
 وَكَيْفَ تَصِفُو لَأَمْرِي مَعِيشَةً،  
 وَإِنَّا الْآمَالُ فِيهَا صُورٌ  
 وَالْعَيْشُ مَحْبُوبٌ إِلَى كُلِّ أَمْرِي:  
 وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ فِي عَيْشِهِ  
 وَخَيْرُ عَيْشٍ الْمَرْءُ مَا سُرَّ بِهِ.  
 مِنْ أَقْنَعَ الْحِظُّ الْقَلِيلُ نَفْسَهُ،  
 وَإِنَّ أَغْنَى النَّاسِ عِنْدِي عَاقِلٌ  
 مَنْ أَبْتَغَى مَنْ لَمْ يُقَدَّرْ كَوْنُهُ  
 قَدْ يُدْرِكُ الْحَاجَةَ مَنْ لَمْ يَنْعَ فِي  
 مَنْ كَانَ سَعْدُ الْجَدِّ مِنْ أَعْوَانِهِ،  
 وَمَنْ يَحْتَنُ الْجَدُّ لَمْ يَنْهَضْ بِهِ

دَمَائَةً، وَكَمْ جَا لِمَنْ جَا<sup>(١)</sup>.  
 وَلَآنَ لِي عِطْفُ اللَّيَالِي وَعَسَا<sup>(٢)</sup>.  
 قَصَّرَ بِي جَدٌّ إِذَا شِئْتُ أُمِّي<sup>(٣)</sup>.  
 مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ وَعَافَ وَحَزَى<sup>(٤)</sup>  
 وَلَا مَرَاتِي الدَّهْرَ إِلَّا كَالرُّؤْيَى<sup>(٥)</sup>.  
 وَمُورِدُ الدُّنْيَا مَشُوبٌ بِالْقَذَى<sup>(٦)</sup>؟  
 تُخْلَعُ أحياناً وَحِيناً تُكْنَى  
 لَا فَرْقَ بَيْنَ الشَّيْخِ فِيهِ وَالْفَقِي.  
 نَفْعٌ إِذَا صَبَغَ الصَّبَا عَنْهُ نَضَا<sup>(٧)</sup>.  
 وَمَنْ يَقُلْ قَوْلًا سَوَى هَذَا هَذَى<sup>(٨)</sup>.  
 أَضْحَى عَنِ الْحِظِّ الْكَثِيرِ ذَا غِنَى.  
 أَبْدَى اقْتِنَاعاً بِالْقَلِيلِ وَأَكْفَى.  
 لَهُ، فَإِنَّ مُسْتَحِيلًا مَا أَبْتَغَى.  
 طَلَابِهَا، وَقَدْ تَقَوَّتْ مَنْ سَعَى.  
 أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِأَقْصَى مَا رَجَا<sup>(٩)</sup>.  
 جِدٌّ وَلَمْ يَظْفَرْ بِأَدْنَى مَا نَوَى.

- (١) دَمَّتْ: لَبِنَ. جَا: قَامَ، يَسُ. (٢) عِطْفُ الزَّمَانِ: جَانِبُ الزَّمَانِ (الزَّمَانِ). عَسَا: غَلَطَ، يَسُ.  
 (٣) الْجَدُّ (بِالْكَسْرِ): السَّيِّئُ، الْكَدُّ. الْجَدُّ (بِالْفَتْحِ): الْحِظُّ.  
 (٤) ... مِنْ اسْتَطْلَعَ الْغَيْبَ: بَزَجَرَ الطَّيْرَ (إِذَا رَأَى طَيْرًا يَطِيرُ مِنَ الْيَسَارِ إِلَى الْيَمِينِ تَقَاعُلَ، وَإِذَا رَأَاهُ يَطِيرُ  
 مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْيَسَارِ تَشَاءَمَ) وَبِالْعِيَاظَةِ (التَّفَاوُلُ أَوْ التَّشَاوُمُ بِأَسْمَاءِ الطَّيُورِ الَّتِي تَمُرُّ بِالْإِنْسَانِ أَوْ بِالْأَمَاكِنِ  
 الَّتِي تَقَعُ (تَحْتَ) عَلَيْهَا تِلْكَ الطَّيُورُ). حَزَى: (تَكُنْ) (حَاوِلْ مَعْرِفَةَ الْغَيْبِ).  
 (٥) الْمَرَأَى: الْمَظْهَرُ الْبَادِي لِلْعَيْنِ. الرُّؤْيَى جَمْعُ رُؤْيَا: النَّامُ، الْحُلْمُ.  
 (٦) مَشُوبٌ: مَخْلُوطٌ، مَمْزُوجٌ.  
 (٧) صَبَغَ (لَوْنًا) الصَّبَا (الثَّيَابَ): سَوَادَ الشَّعْرِ. نَضَا (فَعَلَ لَازِمًا وَمَتَعَدًّا): نَضَلَ (ذَهَبَ لَوْنُهُ)، أَيْضًا: خَلَعَ.  
 (٨) هَذَى يَهْذِي: تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ وَلَا مَعْقُولٍ (مَنْ مَرَضَ أَوْ جُنُنَ).  
 (٩) الْجَدُّ (بِالْفَتْحِ): الْحِظُّ.

وخير ما يدّخر المرء، وما  
والبعد مما لا يُفيدُ قُربُه  
وألفَةُ الناسِ يراها وحشةً  
من لم يكنْ مُتَمَيِّياً للخيرِ لم  
من صاحبِ الإنسانِ في العُسرِ كما  
من يُرَضُّ مخلوقاً بما لا يَرْضِي  
إِنَّ ثَوَاءَ المرءِ في أوطانِهِ  
لا تعتقِذْ أَنَّ لَخْلَقِ قُوَّةً،  
فأصغرُ الأشياءِ قد أثير في  
قد أهلكَ الأحبوشَ طيرٌ قد رمى  
وهَدَّ قَدَمًا هُذُودٌ نَبَأُ  
وقد أعادَ الفأرُ سدَّ مَآرِبِ  
وَأَلْقَتِ الثُّرُودَ من كُرْسِيِّهِ  
وقلَّ مُدَّ المَدَى لِمَنْ غدا  
وكيف لا يخافُ عُقْبَى البَغْيِ من  
قد حَفِظَ اللهُ نَظَامَ الخَلْقِ في

يُبقِيهِ في أعقابِهِ، طيبُ الثنا.  
فائدةٌ حَقِيقَةٌ أَنَّ تُقْتَنَى.  
مَنْ أَلِفَ الوَحْدَةَ عَنْهُمْ وَأَنْزَوَى.  
يُكْرَمُ، وَإِنْ كَانَ كَرِيمَ الْمُتَمَيِّ (١).  
صَاحِبَهُ فِي يُسْرِهِ فَقَدْ وَفَى.  
خَالِقُهُ، فَإِنَّهُ شَرُّ الْوَرَى.  
عِزٌّ، وَمَا الْغُرْبَةُ إِلَّا كَالْتَوَى (٢).  
إِلَّا إِذَا مَا اللهُ أَعْطَاهُ الْقُوَى.  
أَعْظَمُهَا بِالْعَوْنِ مِنْ رَبِّ الْعُلَا.  
جِيوشَهُمْ بِمَكَّةِ بِمَا رَمَى (٣).  
مَا كَانَ هَذَاذَ لِبَلْقَيْسَ أَبْتَنَى (٤).  
دَكَّا كَأَنَّ لَمْ يَبْنِهِ مَنْ قَدْ بَنَى (٥).  
بِعَوْضَةٍ عَدَّتْ عَلَيْهِ إِذْ عَدَا (٦).  
فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ مَمْدُودَ الْمَدَى.  
رَأَى عِقَابَ اللهِ فَيَمْنُ قَدْ بَغَى؟  
دُنْيَاهُمْ وَلَمْ يَدْعُ شَيْئاً سُدَى.

- (١) منتم: تابع، منتسب. كريم المنتمى: شريف الأصل، معروف الأجداد.  
(٢) الثواء: الملك، السكنى. التوى: الهلاك.  
(٣) الأحبوش: الأحباش. الطير المذكورة في سورة الفيل (رقم ١٠٥ في المصحف). جاءت على جيش أبرهة الحبشي أبيبيل (جماعات) من الطير وألقت حجارة من سجيل (بالكسر: طين مطبوخ) فأبادت الجيش وما كان معه من الفيلة.  
(٤) «نبأ» لعلها: بسأ (في اليمن). هدهاد بن شُرَحْبِيل (أبو بلقيس). هد عرشها أو ملكها (٤). راجع القرآن الكريم (٢٧: ٢٠ وما بعد، سورة النمل).  
(٥) دك الرجل البناء: هده. في الأساطير أن فأراً نقر حجارة سد مأرب.  
(٦) غرود من الجبابرة (تاج العروس - الكويت ٩: ٣٤٠)، كان ملكاً ظالماً. وفي الأساطير أن بعوضة دخلت في أنفه فوصلت إلى دماغه فكانت سبب موته. كرسيه (عرشه).

لَهَا هَوًى أَوْ رَاقِعٍ لَهَا وَهًى<sup>(١)</sup>:  
 هَادٍ وَإِمَّا مَلِكٍ عَدْلٍ رِضًا.  
 وَأَظْهَرَ الْخَيْرَ بِهِ حَتَّى بَدَأَ<sup>(٢)</sup>.  
 هَدَوْا إِلَى سَبِيلِهِ كَمَا هَدَى<sup>(٣)</sup>.  
 وَفَضَّلَهُمْ فِي الْهَاشِمِيِّ الْمُصْطَفَى<sup>(٤)</sup>.  
 بِهِدْيِهِمْ بَعْدَ هُدَاهُ يُقْتَدَى<sup>(٥)</sup>.  
 إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجْتَبَى<sup>(٦)</sup>:  
 جَزَاهُ بِالْإِحْسَانِ عَنْهُمْ مَنْ جَزَى.  
 لَصَوْتِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ نَدَى<sup>(٧)</sup>.  
 وَقَامَ مِيزَانُ الزَّمَانِ وَأَسْتَوَى  
 فَكُلُّهُمْ صَيَّرَهُمْ عَبْدَ الْعَصَا.  
 لِأَنْقَادٍ فِي طَاعَتِهِ وَمَا عَصَى<sup>(٨)</sup>.  
 بِهَا ثَنَاءٌ وَهُوَ مَكْسُورُ الْمَطَا<sup>(٩)</sup>.  
 لِسَامِهِ قَسْرًا بِهَا ضَرْبُ الْجِزَى<sup>(١٠)</sup>.  
 لَجَاءِهِ مُتَّبِعًا وَمَا أَبَى<sup>(١١)</sup>.

فَلَيْسَ يُخْلِي خَلْقَهُ مِنْ رَافِعٍ  
 إِمَّا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ بَوَحْيِهِ  
 قَدْ بَدَأَ اللَّهُ الْهُدَى بِآدَمَ  
 وَأَرْشَدَ الْخَلْقَ بِرُسُلِهِ بَعْدَهُ  
 وَجَمَعَ اللَّهُ جَيْسَعَهُ هَدْيِهِمْ  
 وَخَلَقْتُهُ فِي الْهُدَى خَلَائِفُ  
 ثُمَّ أَتَتْهُ كُلُّ رِشَادٍ بَعْدَهُمْ  
 خَلِيفَةُ أَحْسَنَ لِلنَّاسِ فَقَدْ  
 نَادَى إِلَى طَاعَتِهِ دَاعِي هُدًى  
 عَادَ بِهِ الدَّهْرُ رِيْعًا كُلَّهُ،  
 سَاقَ الْمُلُوكَ بَعْضًا سُلْطَانِهِ،  
 فَلَوْ أَرَادَ سَوْقَ خَاقَانَ بِهَا  
 وَلَوْ أَرَادَ سَوْقَ كِسْرَى فَارِسِ،  
 وَلَوْ سَمَا بِهَا لِضَرْبِ قَيْصَرِ،  
 وَلَوْ بِهَا أَرَادَ سَوْقَ تَبَّعِ،

(١) هوى: سقط. وهى: ضعف، استرخى، تشقق.

(٢) حتى (لعلها: حين).

(٣) كما هدى الله رسله (٩).

(٤) إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم (بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم) المصطفى (المختار).

(٥) الخلائف: الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

(٦) المجتبى: المقرب من الله، المختار. المقصود هنا: المستنصر الحفصي.

(٧) نديّ الصوت (القاموس ٤: ٣٩٤، السطر الأخير): الصوت القوي الذي يكون له صدى (أثر) بعيد.

(٨) خاقان: لقب ملوك الترك.

(٩) المطا: الظهر. ثناء: رده (عما يريد) مكسور المطا: مرغم. بها (بعضاه).

(١٠) سامه قسراً: أذله، قهره (وأرغمه على الانقياد لأمره). ضرب الجزى (رتب عليه جزية): أخضعه لحكمه.

(١١) تبّع: لقب ملوك اليمن.

قد فاض في الآفاق نور سَعْدِهِ،  
 وجعلتْ جُدودُهُ تُربي على  
 من كلِّ منصورِ الجنودِ ناشِرٍ  
 قَادُوا إلى أُنْدَلُسِ كَاتِباً  
 وصَبَّحُوا الأَرَكَ بجيشٍ غَطَّ في  
 ما زال يُملي المَلَوَانِ نصرَهُ،  
 طَاعَتُهُ من طاعةِ الله، فَمَنْ  
 ليس السعيدُ غيرَ مَنْ أَسْعَدَهُ  
 ولا السَّخِيُّ غيرَ مَنْ بذاته  
 يا أَيُّهَا الإنسانُ، إني ناصحٌ  
 لا تَغْتَرِرَ بِالْعُمَرِ وأَعْلَمُ أَنَّ ما  
 وَكُلُّ ما لا بُدَّ من إتيانِهِ  
 لا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ المرءُ إلى  
 فالْعُمَرُ ما بين وُجودَيْنِ، وَمَنْ

وَأَلْبَسَ الأَيَّامَ حُسْنًا وَكَسًا.  
 ما شَيَّدَتْ جُدودُهُ مِنَ البِنَى (١)  
 لِلْعَذَلِ فِي الآفاقِ منشورِ اللَّوَا  
 أَمَامَهَا النُّصْرُ العَزِيزُ قد قَدَى (٢).  
 آذِيَهُ أَذْفُنَشَ لَمَّا أَنْ غَطَّا (٣).  
 وَسِيفُهُ يَحْتَطُّ ما يُملي المَلَا (٤).  
 دَعَا إلى هَذي، إلى تِلْكَ دَعَا (٥).  
 إِلَهُهُ بِالْعَفْوِ عَنْهُ والرِّضَا.  
 قد جَادَ في ذاتِ الإِلَهِ وَسَخًا (٦).  
 فَاسْتَمِعَ النُّصْحَ وَكُنْ مِمَّنْ وَعَى.  
 لَمْ يَمُضْ مِنْ أَيَّامِهِ كَمَا مَضَى.  
 وَكَوْنُهُ فَإِنَّهُ كَمَا أَتَى.  
 ما قَدَّرَ اللهُ عَلَيْهِ وَقَضَى.  
 ظَنَّ الوُجُودَ واحِداً فَقَدَّ سَهَا (٧).

- (١) جدود جمع جدّ. الجدّ (بالكسر): الجهد والكدّ والعمل. والجد (بالفتح): الحظّ أو أبو الأب. البني جمع بنية (البناء القائم). لقد بنى بعمله هو وحده أكثر مما كان جميع جدوده قد بنوا (بفتح النون).  
 (٢) قدى: أسرع.  
 (٢) الأرك: بلدة في الأندلس بنواحي بَطْلَيْوس (عند منتصف الحدود بين اسبانية والبرتغال اليوم. حدثت عندها معركة (سنة ٥٩١ هـ) فهزم الموحدون الاسبان وردّوا عن المسلمين في الأندلس شيئاً من الأذى. ووجه المدح للحفصيين بالانتصار في هذه المعركة أن الموحدين أسلاف الحفصيين. الآذِي: الموج. الأذفُنش: لقب ملوك الاسبان. غطا يغطو: (الماء): ارتفع. غطّ: غمس.  
 (٤) المَلَوَان: الليل والنهار. يَملي (يتلو على الناس). يَملي (الثانية): يفرض، يوجب. المَلَا: رؤساء القوم (إشارة إلى عمله بالثوري، فهو لا يستبد في الحكم).  
 (٥) من دعا إلى طاعة المستنصر فإنه يدعو إلى طاعة الله.  
 (٦) في ذات الإله: في سبيل الله. سخا: جاد، بذل المال أو النفس، الخ.  
 (٧) الوجودان الدنيا والآخرة.



ولا تَحِذْ عن سَنَنِ السُّنَّةِ في حالٍ، وَكُنْ مِّنْ أَهْلِها اقْتَدَى<sup>(١)</sup>  
وَحُذْ من الآراءِ بالرَّأْيِ الَّذِي وافقَ قولَ اللَّهِ واتركَ ما عدا<sup>(٢)</sup>.  
نظمتُها فريسةً في حُسْنِها منظومةً نظمَ الفريدِ المنتقى<sup>(٣)</sup>.  
تَحَيَّرَ اللَّفْظَ الفَصيحَ خاطري لها، ولم يَخْفَلِ بِجَوْشِيِّ اللَّغَى<sup>(٤)</sup>.  
قَلَّدَها من الماني حليَّةً وزفَّها إلى المعالي وهَدَى<sup>(٥)</sup>.  
نظمتُها ابنَ حازِمٍ، وقد نَمَى نِسبتُها إلى ابنِ حِزامٍ من غمى<sup>(٦)</sup>.  
وقد عزا الإحسانَ في أمثالها لابنِ الحَسينِ أَحَدٍ مَّنْ قد عزا<sup>(٧)</sup>.  
بدأتُها باسمِ الَّذي خَتَمْتُها بِمَحمِدِهِ، جَلَّ الإلَهُ وعلا.  
فالبَدءُ باسمِ اللَّهِ أَوَّلَى ما به عِنْدَ افْتِتاحِ كُلِّ أمرٍ يُعْتَنَى.  
والحمدُ لِلَّهِ أَجَلُ غايَةٍ يُبَلِّغُ بالقولِ لها وَيُنْتَهَى.

- قال حازمُ القَرطاجيُّ يمدح رسولَ اللَّهِ ببيديَّةٍ يُنصَفُ فيها مُعلَقةُ امرئِ القيسِ  
(صُدورُ القصيدة من نظمِ حازمٍ وأعجازُها تضمينُ أعجازِ مُعلَقةِ امرئِ القيسِ).  
فمن أبياتِ هذه البيديَّةِ:

لَعَيْنِيكَ قُلْ، إِنَّ رُزْتَ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ: (قِفَا نَبْكَ من ذِكْرِي حبيبٍ ومَنْزِلٍ)<sup>(٨)</sup>.  
وفي طَيِّبَةٍ فَانْزِلْ، وَلَا تَعْشَ مَنْزَلاً (سِقْطِ اللَّوَى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ)<sup>(٩)</sup>.

(١) حاد: مال، انصرف، ابتعد عن الطريق السوي. النن: الطريق. السنة: أفعال رسول الله.

(٢) .... ما عدا (ما عداه): غيره.

(٣) منظومة: مرتبه كأنها في سلك (خيطة أو عقد). الفريد: اللؤلؤ الكبار.

(٤) الجَوْشِيُّ مِنَ الألفاظ: الوجيه (ما كان غريباً في المعنى وقبيحاً في اللفظ). اللغى جمع لغة.

(٥) زَفَّ النَّاسَ العروس (نقلوها إلى بيت زوجها).

(٦) ابن حزام شاعر جاهلي قديم، قبل امرئ القيس، قيل هو أول من وقف على الأطلال وبكى الديار.

والناس رفعوا هذه الأرجوزة فقالوا هي من الشعر القديم (الجيد). نى الحديث: رفعه، نسب.

(٧) أمثالها: الحكم التي فيها. أحد بن الحسين هو المتنبي. عزا: نسب.

(٨) أفضل مرسل: محمد رسول الله. المنزل: المكان الذي «تنزل» فيه قافلة مدة ثم تنابع سيرها. ويكون المنزل عادة عند الماء.

(٩) طيبة: المدينة المنورة. غشي الرجل المكان: أتاه، جاء إليه. سقط اللوى والدخول وحومل أسماء أمكنة.

وزُر روضةٌ قد طالما طاب نَشْرُها      (لَا نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وَشَمَالٍ) (١).  
 فِيا حَادِيِ الآبَالِ، سِرٌّ بِي وَلَا تَقُلْ:      (عَقَرْتُ بِعِيرِي، يَا أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ) (٢).  
 نَبِيٌّ هَدَى قَدْ قَالَ لِلْكَفْرِ نُورُهُ:      (أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلَا أَنْجَلِ) (٣).  
 لَأَمْدَاحِ خَيْرِ الْخَلْقِ قَلْبِي قَدْ صَبَا،      (وَلَيْسَ فَوَادِي عَنْ هَوَاهَا يَنْسَلِ) (٤).  
 يُنَادِي: إِلَهِي، إِنَّ ذَنْبِي قَدْ غَدَا      (عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي) (٥).  
 فَكُنْ لِي مُجِيرًا مِنْ شَيَاطِينِ شَهْوَةٍ      (عَلَيَّ حِرَاصٍ، لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي) (٦).  
 أَيَا سَامِعِي مَدْحَ الرَّسُولِ، تَشَقَّقُوا      (نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيًّا الْقَرْفُلُ) (٧).  
 وَيَا مِنْ أَبِي الْإِصْفَاءِ، مَا أَنْتَ مُهْتَدٍ،      (وَمَا إِنْ، أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَجَلِّي) (٨).

- وله أيضاً بديعية على مثال البديعية السابقة (يُنَصِّفُ فيها قصيدة لا مريء القيس أيضاً):

أَقُولُ لِعَزْمِي أَوْ لَصَالِحِ أَعْمَالِي:      (أَلَا عِمَّ صَبَاحًا، أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي) (١).  
 أَمَا وَاعْظِي شَيْبًا سَمَا فَوْقَ لِمَتِي      (سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ) (١٠).

- (١) الروضة: قبر رسول الله في المدينة المنورة. النشر: الرائحة (الطيبة). الجنوب (رياح الجنوب) والشمال (رياح الشمال). نسجتها (هنا): جمعت فيها آثاراً (وهذا غير المعنى المقصود في المعلقة). المعنى هنا: إن الجنوب والشمال قد جاءتا إلى هذه الروضة برائحة طيبة.
- (٢) الآبال جمع إبل (بكسر فكسر): الجبال (بالكسر). الحادي: سائق الإبل يغني ليخفف عن المسافرين في القافلة اللال من طول الطريق. عقر السرج البعير: أحدث فيه جرحاً.
- (٣) انجلي الليل أو الظلام: انجاب، انكشف.
- (٤) صبا: مال، اتجه. انلى (في شرح الزوزني): زال الحب من قلبه (رجع عن حبه).
- (٥) غدا: جاء باكراً. ليبتي: (ليختبرني).
- (٦) مجير: منقذ. حراص جميع حريص: شديد الرغبة. لويسرون مقتلي (لو يستطيعون أن يكتموا خير قتلي).
- (٧) الصبا: ريح الشرق (وتكون في نجد رطوبة باردة منعشة). الريا: الرائحة (الطيبة).
- (٨) إن (هنا) زائدة. الغواية = الغي: الضلال.
- (٩) «عم صباحاً» (تحية الصباح): الطلل: المكان الذي كان فيه خيمة ثم أزيلت وبقي أثرها في الأرض.
- (١٠) اللمة: الشعر الذي في جانب الرأس. حباب الماء: فقاقيع (أكر مملوءة هواء) تطفو (توم) على وجه الماء. حالاً على حال (مرة بعد مرة).

أَنَارَ بِهِ لَيْلُ الشَّبَابِ كَأَنَّهُ  
نَهَانِي عَنْ غَيٍّ وَقَالَ مُنْبَهًا:  
أَغَالِطُ دَهْرِي، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي  
وَمُؤْنِسُ نَارِ الشَّيْبِ يَقْبَحُ لَهْوُهُ  
أَشِيخًا وَتَأْتِي فِعْلٌ مَنْ كَانَ عُمْرُهُ  
إِلَّا إِنَّهَا الدُّنْيَا، إِذَا مَا أَعْتَبَرْتَهَا  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَقُولُ عَزَائِمِي  
فَأَنْزَلَ دَارًا لِلرَّسُولِ، نَزِيلُهُ—  
جَوَارُ رَسُولِ اللَّهِ مَجْدٌ مُؤْتَلٌّ،  
لَأَحَدٍ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ أُنْتَقِيَتْهَا  
وإِنَّ رَجَائِي أَنْ أُلَاقِيَهُ غَدًا  
فَأُذْرِكَ آمَالِي، وَمَا كُلُّ آمِلٍ

(مصاييحُ رُهبَانٍ تُشَبُّ لَقْفَالُ) (١).  
(أَلَسْتَ تَرَى السَّمَارَ وَالنَّاسَ أَخْوَالِي) (٢).  
(كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنَ اللَّهُ أَمْثَالِي) (٣).  
(بِأَنَسَةٍ كَأَنَّهَا خَطٌّ تَمَثَّلَ) (٤).  
(ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَخْوَالِ) (٥).  
(دِيَارٌ لِسَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي خَالِ) (٦).  
(لِخَيْلِي: كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ) (٧).  
(قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ) (٨).  
(وَقَدْ يُذْرِكُ الْحَمْدَ الْمُؤْتَلَّ أَمْثَالِي) (٩).  
(وَرَضْتُ، فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالَ) (١٠).  
(وَلَسْتُ بِمَقْلِي الْخَلَالِ وَلَا قَالَ) (١١).  
(بِمُذْرِكِ أَطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلَا آلِ) (١٢).

- (١) تشب: توقد، شعل. القفال (جمع قافل: راجع)، وهم المسافرون في القافلة سواء أكانوا ذاهبين إلى مكان أو راجعين إلى الوطن.
- (٢) السار جمع سامر: الساهر.
- (٣) «أن» مصدرية «(ولست ناصبة)... كبرت ولا يحسن اللهو أمثالي».
- (٤) مؤنس نار الشيب: الذي شاب شعره. أنس الرجل الشيب في رأسه: رآه. الآنسة (في العصر الجاهلي): المرأة التي يأنس الرجال بها. كأنها خط تمثال (جميلة فتية).
- (٥) ثلاثون شهرًا في ثلاثة أحوال (أعوام: سنة وثلاثون شهرًا؟). لم يتع بما أراد طويلًا (٤).
- (٦) إذا ما اعتبرتها: نظرت في أحوالها، تأملتها. ديار عافية (محوه الأثر). ذو خال: مكان. الحال: المكان لا أنيس فيه (راجع القاموس ٣: ٣٧٢).
- (٧) كَرِّي يَكْرِ: هجم. اجفال (الملموح هنا: الجبن، الخوف التباطؤ) - يريد أن يذهب إلى الحج وزيارة قبر الرسول بعد أن طال عليه الزمن ولم يفعل.
- (٨) الوجل: الخوف.
- (٩) مؤتل: أصيل، قديم، شريف.
- (١٠) أحد من أسماء رسول الله. انتقيت هذه القصيدة. ورضتها: مارستها طويلًا فذل (سهل عليّ) نظمها.
- (١١) القلي: البغض. القالي: المبغض. المقلي: المكروه. الخلال: الصفات.
- (١٢) بمذرك (بالغ، واصل إلى) أطراف الخطوب (أحداث الدهر ومصائبه) ولا آل (بمدة على الألف وكسرتين على اللام: مقصر، منته): لا يستطيع أن ينال ما يطلبه ولا هو يترك طلب الأمور البعيدة النال.

- ٤- ديوان حازم القرطاجني (تحقيق عثمان الكماك)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء (تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة) تونس (دار الكتب الشرقية) ١٩٦٦ م.
- ★★ رفع الحجب المستورة عن المقصورة، تأليف محمد بن أحمد الشريف السبي، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٤٤ هـ.
- القدح المعلقى ٢٠-٢١؛ الإحاطة ١: ٢٠٨؛ بغية الوعاة ٢١٤؛ شذرات الذهب ٥: ٣٨٧-٣٨٨؛ أزهار الرياض ٣: ١٧١-١٨٤؛ نفح الطيب ٢: ٢٠٨-٢٠٩، ٥٨٤-٥٨٩، ٣: ٦٠٤، ٤: ١٤٨، ٥: ١٨٩-١٩٠، راجع ١٩٨، ٤٨١، ٥١٩-٥٢٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٣٣٧-٣٣٨؛ بروكلمن ١: ٣١٧، الملحق ١: ٤٧٤؛ حوليات كلية الآداب (القاهرة- عين شمس، جامعة ابراهيم): بحث وتحقيق للدكتور مهدي علام: «تاريخ أبي الحسن حازم القرطاجني الشاعر النسي ونشأة فن المقصورة في الأدب العربي» (المجلد الأول، مايو- أيار- نوار ١٩٥١ م، ثم «مقصورة أبي الحسن حازم القرطاجني: تحقيق النص»، المجلد الثاني، ص ١- ١١٠)؛ الأعلام للزركلي ٢: ١٦٣ (١٥٩)؛ معجم المؤلفين ٣: ١٧٧؛ الداية (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس) ٤٧١-٥٣٦.

### علي بن موسى بن سعيد

- ١- هو نور الدين<sup>(١)</sup> أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد<sup>(٢)</sup> العنسي القرناطي الاندلسي المغربي، وُلِدَ في ٢٢ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦١٠ (١٢١٤/٢/٦ م) في الأغلب، في قلعة يَحْصِبَ.
- انتقل علي بن موسى إلى اشبيلية فدرس فيها على أبي علي الشلويني وأبي الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم. وفي سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) رَحَلَ مَعَ أَبِيهِ فوصلوا إلى الاسكندرية في العام التالي. وفي الثامن من شَوَّالٍ من سَنَةِ ٦٤٠ (٦٤٣ م) تَوَفَّى والده.
- وبقي علي بن موسى بن سعيد في الاسكندرية والقاهرة مدة. ثم اتَّفَقَ أن زار مصرَ كمال الدين بن العديم الحلبي فتابع علي بن موسى سفره مَعَ ابن العديم، سَنَةِ ٦٤٨ هـ،

(١) فوات الوفيات ٢: ١١٢؛ بروكلمن ١: ٤١٠.

(٢) راجع تمة النسب وجهود بني سعيد، في تأليف كتاب «المغرب»، فوق، ص.

إلى حَلَبَ. ثمَّ إِنَّه سافر إلى دِمَشْقَ فبغدادَ فالْبصرةَ فإلى أَرْجَانَ يَدْرُسُ على شيوخ الأدب والفقه.

وعادَ عليُّ بنُ موسى إلى المَغْرِبِ، سَنَةَ ٦٥٢، وطال مُكثه في تُونِسَ، إذ دخل في خِدْمَةِ المُسْتَنْصِرِ الحَفْصِيِّ (٦٤٧-٦٧٥ هـ). ولكنَّ المُسْتَنْصِرَ غَضِبَ عليه. ثمَّ إِنَّه سافر مرَّةً ثانيةً إلى المَشْرِقِ، سنة ٦٦٦ (١٢٦٧-١٢٦٨ م)، وزارَ هولاكُو<sup>(١)</sup> في أَرْمِينِيَّةَ ونَزَلَ ضيفاً عليه مُدَّةً من الزمن. بعدئذٍ أَسْتَعَدَّ للعودة إلى المَغْرِبِ، ولكنَّ تُوْفِيَّ في دِمَشْقَ في الأَغْلَبِ، سَنَةَ ٦٨٥ للهجرة (١٢٨٦ م).

٢- عليُّ بن موسى بن سعيد جُغرافيٌّ ومُؤرِّخٌ وأديبٌ ناقدٌ ناثِرٌ شاعرٌ. وشعره وَسَطٌ مَعَ أَنَّهُ يَتَسَمَّى بالخصائصِ الاندلسية من التفنُّن في الوصف والتأقُّق في التعبير. غيرَ أن شهرته راجعة إلى المصنَّفات التي نَعْرِفُ منها: الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد - الفرَّة الطالعة في شعراء المائة السابعة<sup>(٢)</sup> - القِدْحُ المَعْلَى في التاريخ المَحَلِّي - المَرْزُومَةُ - المَرْقِصُ المَطْرَبُ - المَقْتَطَفُ من أزاهر الطُرْف - عُدَّةُ المُسْتَنْجِزِ وعُقْلَةُ المُسْتَوْفِزِ - رايات المُبْرِزين وغايات المُمَيِّزين - ملوك الشعر - المَشْرِقُ في أخبار المَشْرِقِ - المَغْرِبُ في أخبار المَغْرِبِ؛ ولعلَّه المَغْرِبُ في حُلَى المَغْرِبِ.

أتمَّ عليُّ بنُ موسى بن سعيد تأليفَ كتاب المَغْرِبِ في حُلَى المَغْرِبِ. ولكتاب المَغْرِبِ منهاجٌ هو الإتيان بِنَقْرِ من الشعراء البارزين من بُلْدَانِ المَغْرِبِ (الأندلس ومِصْرُ والمَغْرِبِ) من طبقات المجتمع المختلفة (الرؤساء والوزراء والعلماء : علماء الفلسفة والتنجيم والموسيقى والطَّب) والشعراء، إلَّا أن له في تصنيف الشعراء وترتيبهم طريقةً معقَّدةً جدًّا. ولكن الذي لا ريب فيه أن هذا الكتاب جمع تراجمَ نادرةً ونماذجَ من الشعر والموشحات رائعةً طريفةً.

### ٣- المختار من آثاره

- قال عليُّ بنُ موسى بن سعيدٍ في ترجمة «أبي جعفرٍ أحمدَ بن عبد الملك بن سعيدٍ

(١) هولاكُو سلطان التتار، وهو الذي دَمَّرَ بغدادَ وقضى على الخلافة العباسية، سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م).

(٢) هو كتاب «الفصول الیانة» (راجع القدح المملی، ص ١٨٧).

(المغرب ٢ : ١٦٤):

هُوَ عَمَّ وَالِدِي وَأَحَدُ مُصَنِّفِي هَذَا الْكِتَابِ. كَانَ وَالِدِي كَثِيرَ الْإِعْجَابِ بِشِعْرِهِ مُقَدِّمًا لَهُ عَلَى سَائِرِ أَقَارِبِهِ. وَأَسْتَوَزَرَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مَلِكُ (والي) غرناطة.... وَأَنْضَافَ إِلَى ذَلِكَ أَشْتَرَاكُهُمَا فِي هَوَى حَفْصَةَ الشَّاعِرَةِ، وَكَانَ عُثْمَانُ أَسْوَدَ اللَّوْنِ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُ (١) قَالَ لَهَا: مَا تُحِبِّينَ فِي هَذَا الْأَسْوَدِ وَأَنَا أَقْدِرُ أَنْ أَشْتَرِيَ لَكَ مِنَ السُّوقِ بَعِثَرِينَ دِينَارًا خَيْرًا مِنْهُ! ثُمَّ إِنَّ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَرَّ إِلَى مَلِكِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ابْنِ مَرْدَنِشَ فَوَجَدَ عُثْمَانَ سَبَبًا إِلَى الْإِيقَاعِ بِأَبِي جَعْفَرٍ فَضَرَبَ عَنْقَهُ.

- وَقَالَ فِي تَرْجُمَةِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ (المغرب ٢ : ١٧٠): لَوْلَا أَنَّهُ وَالِدِي لَأَطْنَبْتُ فِي ذِكْرِهِ وَوَقَيْتُهُ حَقَّ قَدْرِهِ. وَلَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ؛ وَكَانَ أَشْفَقَهُمُ بِالتَّارِيخِ وَأَعْلَمَهُمْ بِهِ. وَجَالَ كَثِيرًا إِلَى أَنْ انْتَهَى بِهِ الْعُمُرُ فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَقَدْ عَاشَ سَبْعًا وَسِتِّينَ سَنَةً لَمْ أَرَهُ يَوْمًا يُخَلِّي مِنْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ أَوْ كَتَبَ مَا يَحُلُو، حَتَّى فِي أَيَّامِ الْأَعْيَادِ.

- وَمِنْ شِعْرِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى قَوْلُهُ فِي النَّهْرِ الَّذِي يَمُرُّ عَلَيْهِ النَّسِيمُ وَتَمِيلُ عَلَيْهِ الْغُصُونُ:  
كَأَنَّا النَّهْرُ صَفْحَةٌ كُتِبَتْ      أَسْطَرُّهَا وَالنَّسِيمُ مُنْشِئُهَا.  
لَمَّا أَبَانَتْ عَنْ حُسْنِ مَنْظَرِهِ      مَالَتْ عَلَيْهَا الْغُصُونُ تَقْرَأُهَا.  
- وَلَهُ قَصِيدَةٌ يَشَوِّقُ فِيهَا إِلَى الْمَغْرِبِ، فِي مَطْلَعِهَا:

هَذِهِ مِصْرُ، فَأَيْنَ الْمَغْرِبُ؟      مَذُنَايَ عَنِّي دُمُوعِي تَسْكُبُ.  
فَارَقْتُهُ النَّفْسُ جَهْلًا؛ إِنَّا      يُعْرِفُ الشَّيْءَ إِذَا مَا يَذْهَبُ.  
أَيْنَ حِمَصُ: أَيْنَ أَيَّامِي بِهَا؟      بَعْدَهَا لَمْ أَلَقَ شَيْئًا يُعْجِبُ (٢).  
- وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي التَّخْلِي (ترك الزَّوْاجِ):

أَنَا شَاعِرٌ أَهْوَى التَّخْلِي دُونَ مَا      زَوْجٍ لَكِيَّا تَخْلُصُ الْأَفْكَارُ.

(١) فَبَلَغَ إِلَى سَمْعِ عُثْمَانَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى قَالَ.

(٢) حِمَصُ = أَشِيلِيَّةُ.

لو كنتُ ذا زوجٍ لكنتُ منفصاً      في كلِّ حينٍ رزقها أمتاراً<sup>(١)</sup>.  
دعني أُرْخَ، طولَ التفرّبِ، خاطري      حتّى أعودَ ويستقرَّ قراراً<sup>(٢)</sup>.  
كم قائلٍ لي: «ضاع شرخُ شبابه!»      ما ضيّعتهُ بطالةٌ وعُقاراً<sup>(٣)</sup>.  
إذ لم أزلْ في العلمِ أجهدُ دائماً      حتى تأتتْ هذه الأبيكار.  
مها أُرْم من دون زوجٍ لم أكنُ      كلّاً، ورزقي دائماً مِدراراً<sup>(٤)</sup>.  
وإذا خرجتُ لفرجةٍ هُنْتُها؛      لا صنعةٌ ضاعتُ ولا تذكّاراً<sup>(٥)</sup>.

- وقال في طلب اللّهُ بالطرب في الحداثِ والجنانِ:

باكرِ اللّهُ؛ ومن شاءَ عَتَبَ.      لا يَلِدُ العيشُ إلّا بالطربِ.  
ما توافى من رأى الزهر زها      والصبا تَمَرَحُ في الروض خَبَبَ<sup>(٦)</sup>.  
- وقال في مثل ذلك:

وعشيّةً بَلَّغْتَ بنا أيدي النوى      منها محاسنَ جامعاتٍ للنُخبِ<sup>(٧)</sup>؛  
فحدائقُ ما بينها من جدولٍ      وبلابلٌ فوق الغصون لها طرب..  
والنخل أمثالُ العرائسِ لُبُها      خَزٌّ وحِلْيَتها قلائدُ من ذهبٍ<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) امتار الرجل لأهله: جلب لهم القوت من مكان بعيد.  
(٢) ما دمت مقرباً عن وطني فلا أريد أن أشغل (يفتح الغين) بالي بالاهتمام بامرأة وأولاد. فإذا أنا رجعت إلى الوطن واستقررت فيه، فلكل حادث حديث.  
(٣) شرخ الشباب: عنفوانه وقوّته. العقار: الخمر.  
(٤) رام يروم: أراد، طلب. الكلّ: العاجز.  
(٥) الفرجة: التخلص من الممّ. والفرجة (في الاستعمال الحاضر): الذهاب «للزّهة» وترويح البال في الأماكن التي فيها جمال للطبيعة أو اجتماع للناس.  
(٦) توافى: تكاسل، تأخّر. الصبا (بالفتح): ريح بليّة تهبّ على نجد (في بلاد العرب) من الشرق. خبب = خبيّاً: تسيّر بشيء من السرعة (كما تسيّر الخيل في أوّل ركضها). يقصد أن الهواء كان منعشاً.  
(٧) النوى: البعاد، الفراق (المقصود: أن الشاعر زار أرضاً بعيدة؟). النخبة: الشيء، المختار أو المنتقى (أجود ما في الأشياء).  
(٨) الخزّ: الحرير أو الثياب المنسوجة من حرير. القلادة (بالكسر): حلية (بالكسر) تلبس في العنق.

- ٤- عنوان المطربات المرقصات، القاهرة (مطبعة جمعية المعارف) ١٢٨٦ هـ؛ (نشره عبد القادر محداد)، الجزائر (كاربونل) ١٩٤٩ م.
- المعيون الدعج في حلّ بني طنج (القسم الخاصّ بالأخشيدين- في مصر- من كتاب «المغرب») (نشره تالوكيت)، ليدن ١٨٩٩ م.
- المغرب (قسم صقلية)، ليدن ١٨٩٨ م، بالرمو ١٩١٠ م.
- النجوم الزاهرة في حلّ حضرة القاهرة (القسم الخاصّ بالقاهرة من كتاب «المغرب».... (تحقيق حسين نصّار)، القاهرة (دار الكتب) ١٩٧٠ م.
- رايات البرزين وغايات المميزين (نشره أميليو غارثيا غومذ)، مدريد ١٩٤٢ م.
- المغرب في حلّ المغرب (حققه شوقي ضيف)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣-١٩٥٥ م.
- المغرب: قسم مصر (نشره زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيّدة كاشف)، القاهرة (مطبعة فؤاد الأول) ١٩٥٣ م.
- اختصار القدر المملّى (تحقيق ابراهيم الاياري) ١٩٥٩ م.
- الفصول البانعة في محاسن شراء المائة السابعة (بتحقيق ابراهيم الاياري)، مصر (دار المعارف) ١٩٦٧ م.
- كتاب الجغرافية (حقّقه اسماعيل العربي)، بيروت (منشورات المكتب التجاري) ١٩٧٠ م.
- مختصر جغرافية ابن سعيد (نشره ج. فيرنيه)، تطوان ١٩٥٨ م.
- ★★- ابن سعيد المغربي، تأليف محمد عبد الغني حسن ..... عام ١٩٧٠ م.
- فوات الوفيات ٢: ١١٢-١١٤؛ الذيل والتكملة ٥: ٤١١ وما بعد؛ القدر المملّى ١-١٢؛ الدياج المذهب ٢٠٨-٢٠٩؛ بغية الوعاة ٣٥٧؛ نفع الطيب ٢: ٢٦٢-٣٧٤ (يكثّر المقرّي من الكلام على ابن سعيد هذا وعلى نفر من أهله وينقل من «المغرب» كثيراً- راجع فهرس نفع الطيب ٨: ٦٧)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٦؛ نيكل ٣٦١؛ مختارات نيكل ٢٠٥-٢٠٧؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٧٩ (٢٦-٢٧)؛ سركيس ١١٨-١١٩؛ بالنشأ ١٣٥-١٣٧؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس لمحمد رضوان الداية ٣٩١-٣٩٨؛ تاريخ النقد العباسي لاحسان عباس ٥٣٢-٥٣٥؛ المكتبة العربية الصقلية ١٣٤-١٣٧؛ مجلّة المجمع العربي بدمشق ٣٣: ٣٠٢ (عام .....)، راجع ٥٢٥.

## ابن أبي الربيع القرشي

- ١- هو الإمام أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي



الأُمويّ العثمانيّ الإشبيليّ، وُلِدَ (في إشبيلية) في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٩٩ (ربيع ١٢٠٣ م)، أَخَذَ القِراءاتِ عن مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ التَّيْمِيِّ وَسَمِعَ (الحديث) من القاسم بن بَقِيٍّ وَقَرَأَ النَحْوَ على الشُّلُوبِينَ (ت ٦٤٥ هـ) والدَّبَّاج (٦٤٦ هـ)، وأُذِنَ لَهُ الشُّلُوبِينَ بالتصدّر لإقراء النحو.

ولَمَّا استولى الإسبانُ على إشبيلية، في أوَّلِ شَعْبَانَ من سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٨/١١/١٩ م) انتقل ابنُ أبي الربيعِ إلى سَبْتَةَ وأقرأ بها النحوَ مُدَّةً. ثمَّ إنَّه عاد إلى إشبيلية. وكانت وفاته فيها سَنَةَ ٦٨٨ (١٢٨٩ م).

٢- كان ابنُ أبي الربيعِ إمامَ النحوِ في عصره ومن المؤلفين فيه، له: المُلَخَّصُ في النحو- القوانين النحوية- الإفصاح في شرح الإيضاح (للفارسي المتوفى سَنَةَ ٣٧٧)- شرح الجُمَلِ (؟ للزجاجي المتوفى نحو سَنَةِ ٣٣٩، في عَشْرِ مُجلَّداتٍ)- شرح (كتاب؟) سَيَبَوَيْهِ- بَرَنامَج (شيوخه).

- \*\* بنية الوعاة ٣١٩؛ بروكلمن ١: ٣٨٢، الملحق ١: ٥٤٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٤٤ (١٩١).

### ابراهيم بن أبي بكر التلمساني

١- هو أبو اسحاق ابراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاريّ التلمسانيّ، أصله من وقش\* ومولده في تِلْمِسان، سَنَةَ ٦٠٩ (١٢١٢-١٢١٣ م). انتقل به أهلُه إلى الأندلس فسكنوا غرناطة ثلاثَ سَنَواتٍ ثمَّ تحوّلوا إلى مالقة وطال سكُنُهُم بها؛ وفيها تلقى ابراهيمُ مُعظَمَ معارفه. ثمَّ إنَّه انتقل إلى سَبْتَةَ واستقرَّ فيها بقيةَ عُمُرِه.

وقد تلقى ابراهيمُ ابنُ أبي بكرِ العِلْمَ على كثيرين منهم (الديباج ٩٠): أبو بكر بن مُحَرَّرٍ وأبو الحسن بن طاهر الدَّبَّاج (الإحاطة ١: ٣٣٥ الرِّبَاج) وأبو عليّ الشُّلُوبِينَ (ت ٦٤٥ هـ) وأبو العبّاس عليُّ بنُ عصفورِ الهواريّ وأبو المُطَرِّف بنُ عُميرة (ت ٦٨٥ هـ) وأبو يعقوبَ يوسف بنُ موسى الحاسني القاري (الإحاطة: الحساني الغماري).

(\*) وقش (بتشديد القاف المفتوحة): مدينة بالاندلس (تاج العروس- الكويت ١٧: ٤٥٥).

وكانت وفاة إبراهيم بن أبي بكر في سَنَةِ ٦٩٠ (١٢٩١ م).

٢- كان إبراهيم الأنصاري التلمساني مُبَرِّزاً في عِلْمِ العَدَد (الحِساب) والفرائض (تقسيم الإرث) وماهراً في كثير من العلوم والأعمال التي يُحاولها حاضِرُ الذَّهْنِ ذِكِيّاً. وكذلك كان لُغَوِيّاً وأديباً وشاعراً مُكثِراً ومُطِلاً. وشعره في المدح (وفي البديعيات: مدح الرسول) والأدب (الحِكْمَة)، كما كان له نظمٌ في عددٍ من فروع العلم. وقد كان مُصَنِّفاً له: نتيجة الحَيْرِ ومُزيلة الضَّرَرِ في نظم المغازي والسير<sup>(١)</sup> - الأرجوزة: المنظومة التِّلْسانِيَّة في الفرائض (تقسيم الإرث)، نَظَمَها نحو سَنَةِ ٦٣٥ للهجرة، وقد شَرَحَها كثيرون<sup>(٢)</sup> - المُعْشَرَات على أوزان العرب - مقالات في علم عَرُوض الدوبيت.

### ٣- مختارات من شعره

- بين يدينا من شعر إبراهيم بن أبي بكر التلمساني:

★★ الغدر في الناس شِيمَةٌ سَلَفَتْ	قد طال بين الوري تصرُّفُها <sup>(٣)</sup> .
ما كلُّ من قد سَرَتْ له نَعَمٌ	منك يرى قَدَرُها وَيَعْرِفُها.
بل ربِّيا أعقَبَ الجزاء بها	مَضْرَّةٌ عَزَّ عنك مَضْرُفُها <sup>(٤)</sup> .
أما ترى الشمسَ تَغْطِيفُ بال	نور على البدرِ وهو يَكْشِفُها <sup>(٥)</sup> !
★★ أَرَأَيْتَ من رَحَلُوا وزَمَوْا العِيسَا	ألا يزول على الطلول حَبِيسَا <sup>(٦)</sup> ؟

---

(١) المغازي جمع مغزاة (بفتح الميم): الغزوة (حرب يسير إليها المسلمون في أيام الرسول). السيرة: حياة الرسول والصحابة.

(٢) راجع بروكسن.

(٣) شِيمَة: خصلة، عادة. سلفت: مضت (هنا: قديمة في الناس). الوري: الناس. تصرُّفُها: تقلُّبُها بين الناس وأفعالها فيهم.

(٤) عَزَّ (صعب) مَضْرُفُها (دفعها عنك).

(٥) القمر يستمدُّ نوره من الشمس. وفي بعض الأحيان يعترض القمر بين الشمس والأرض فتكتشف الشمس (يحتجب نورها عن الأرض).

(٦) زَمَّ العيس (النفاق): جعل لها زمَماً (لجماً)، أي أعدها للرحيل. - يبدو أن الشطر الثاني تَمَّة لبيت آخر. الملموح ان الذي يعدُّ الرحلة للسفر، لا يبقى محبوباً (واقفاً على بقايا المنازل).

أَحْيَيْتَ سَوْفَ يَعُودُ نَسْفُ تَرَابِهَا ..... بِمَا يَشْفِي لَدَيْكَ نَسِيَا<sup>(١)</sup>.  
 هل مؤنسٌ ناراً بجانبِ طُورِها      لأنيسها أم هل تُحِسُّ حَيسا<sup>(٢)</sup>؟

٤ - \*\* الدياج المذهب ٩٠ - ٩١ : الإحاطة ٣٣٤ - ٣٣٧ : بروكلمن ١ : ٤٨٢ ، الملحق  
 ١ : ٦٦٦ ؛ معجم أعلام الجزائر ٩ - ١٠ : الطمار ٨٣ - ٨٤ (تقلاً عن الإحاطة).

### ابن السَّمَّاطِ المَهْدَوِيّ

١ - هو أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ عليّ بن عبد الملك بن السَّمَّاطِ البَكْرِيّ المَهْدَوِيّ، وَلَدٌ في المَهْدِيَّةِ (وهي مرفأً في منتصف الشاطئ الشرقي من القطر التونسي) سَنَةَ ٦١٣ هـ (١٢١٦ - ١٢١٧ م). ويبدو أَنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ بِهِ السِّنُّ انتَقَلَ إِلَى الاستغراق في التقوى والعبادة واشتدَّ الحنينُ بِهِ إِلَى الْحَجِّ إِلَى مَكَّةَ وَإِلَى الزَّيَارَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَكِنْ لَمْ يَتَسَيَّرْ لَهُ ذَلِكَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاسِطِ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٩٠ (أَوَائِلَ آب - أَوْغُسُطُس ١٢٩١ م).

٢ - كَانَ ابْنُ السَّمَّاطِ المَهْدَوِيّ فَقِيهاً وَأَدِيباً عَارِفاً بِاللُّغَةِ، وَكَانَ شَاعِراً قَصَرَ شِعْرَهُ (لَمَّا تَقَدَّمَ بِهِ السِّنُّ) عَلَى الْبَدِيعِيَّاتِ. وَشِعْرُهُ فَصِيحٌ الْأَلْفَاظُ صَحِيحٌ التَّرْكِيبُ فِيهِ شَيْءٌ سِيرٌ مِنَ الصَّنَاعَةِ وَلَكِنَّهُ أحياناً قَلِيلُ الرُّونَقِ. وَالْأَفْكَارُ فِيهِ كَثِيرَةٌ وَالْمَعَانِي تَغْلِبُ فِيهِ عَلَى الصِّيَاغَةِ.

(١) النقط تَمَثَّلُ نَقْصاً فِي الْأَصْلِ. النِّسْبُ: بَقِيَّةُ الرُّوحِ (النَّفْسِ). الْمَلْمُوحُ: هَلْ تَطَنُّ أَنْ شَمَّ تَرَابِ الْمَنَازِلِ يَنْعَشُ الْإِنْسَانُ.

(٢) هَلْ مُؤَنَسٌ نَاراً: أَهْناكَ مِنْ يُونُسَ (يَرَى) نَاراً: الطُّورُ: الْجَبَلُ. الْأَنِيسُ: السَّاكِنُ فِي الْمَكَانِ. - أَتَطَنُّ أَتُكُّ تَنَالُ مَرَاداً مِنَ الْوَقُوفِ فِي دَارِ خَالِيَةٍ أَوْ هَلْ تَطَنُّ أَنْ الدَّارَ الْخَالِيَةَ تَحْسُ بِأَنَّكَ وَاقِفٌ فِيهَا؟ - فِي الْأَبْيَاتِ مَعْنَى يَقْرُبُ مِنْ أَنْ يَكُونَ صُوفِيًّا. رَاجِعْ فِي رُؤْيَا النَّارِ عِنْدَ الطُّورِ سُورَةُ الْقَصَصِ (٢٨: ٢٩): ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً. قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا، إِنِّي آنَسْتُ نَاراً، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

- قال ابن السَّمَطِ الْمَهْدِيُّ من بديعة (في مدح الرسول):

لعلَّ نُسَيَاتِ الضُّحَى والأصائلِ	تُؤَدِّي إلى مَغْنَى الحبيبِ رسائلي <sup>(١)</sup> ،
وتُهدِي، إذا مرَّتْ سَحِيرًا بِرَبْعِهِ،	سلامي إلى بَذْرِ بَطْيَبَةٍ آفِلِ <sup>(٢)</sup> .
وكلُّ الأُماني في غُدُوِّ رواسِمِ	إلى رَسْمِهِ أو في رَوَاحِ رِواحلِ <sup>(٣)</sup> .
وما سَوْفُهَابِلِ شَوْقُهَا يَسْتَحِثُّهَا	حُثِثَ أَخِي الإِملاقِ يُدْعَى لِنائِلِ <sup>(٤)</sup> .
وكم آيَةٍ دَلَّتْ على صِدْقِهِ، فإِ	أَلَبَّ لها الإِنْكارِ في لُبِّ عاقلِ <sup>(٥)</sup> .
رَسُولٌ أَتَى والنَّيْ وَارْتِ غَيُومُهُ	نَجُومَ الْهُدَى والرَّشْدِ عن كُلِّ غافلِ <sup>(٦)</sup> .
ووافى ودينُ الكُفْرِ قامتْ دُعَاةُ	بِإِبْطالِ تَحْقِيقِي وتَحْقِيقِ باطلِ.
فَلَمَّا بَدَتْ آيَاتُهُ وَهَيَاتُهُ	بدا النَّقْضُ فيما أُنْبرِموا في الحافِلِ <sup>(٧)</sup> .
وفي كُلِّ ما يَتْلُو الرُّسُولُ دَلالَةً	على صِدْقِهِ من واضحاتِ الدلائلِ.
هو الْمُصْطَفَى من قَبْلِ تَكْوِينِ آدَمِ	على الخَلْقِ من آبائِهِم والحلائلِ <sup>(٨)</sup> .
لَهُ غابَةٌ من صَحْبِهِ هو لَيْثُهَا؛	لَدَيْهِمْ مَرِيرُ المَوْتِ عَذْبُ المَناهِلِ <sup>(٩)</sup> .

- 
- (١) الأصيل: الساعات الثلاث التي تسبق غروب الشمس. مغنى: مسكن. الحبيب (محمد رسول الله).  
 (٢) بدر (كناية عن رسول الله). طيبة: المدينة المنورة. الآفل: الذي غرب وراء الأفق (غاب في قبره).  
 (٣) الرواسم (رسم بضمّتين جمع رسوم بالفتح: الناقة الشديدة الوطء على الأرض). الرسم (مكان السكنى الذي خلا من ساكنه). الراحلة: ما يرحل (يسافر عليه الإنسان). الغدو: السير في الصباح. الرواح: الرجوع في المساء.  
 (٤) الإِملاق: الفقر. النائل: العطاء.  
 (٥) أَلَبَّ: عرض، تعرّض. أَلَبَّ له الإِنْكارِ في لُبِّ عاقلِ (لم يستطع إنسان عاقل أن يعرض لها بإنكار: أن ينكرها).  
 (٦) النَّيْ: الضلال.  
 (٧) النَّقْضُ: الهدم. أُنْبرِموا: اتفقوا عليه.  
 (٨) الخليفة: (الزوجة). يرى الصوفية أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو المخلوق الأول (أي الذي خلق الله العالم من أجله).  
 (٩) غابة (عدد وفير). الليث: الأسد (في هذا إشارة إلى «أسد الغابة في معرفة الصحابة») وهو كتاب في تراجم أصحاب رسول الله لعز الدين بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ).

صدورُهُمْ تَلْقَى صَدُورَ الْعَوَامِلِ<sup>(١)</sup>.  
 ذَوُو رَحْمَةٍ بِالْبَائِسَاتِ الْأَرَامِلِ.  
 وَكَمْ مِنْ غَرِيبٍ صَارَ فِيهِمْ كَأَهْلُ!  
 مَتَى أُمِّلُوا لَمْ يُخْلِفُوا ظَنَّ أَمَلِ.  
 سَلَامٌ كَتُورِ الرُّوضِ بَيْنَ الْخَبَائِلِ<sup>(٢)</sup>.  
 أَمَانٍ وَإِمَهَالٍ كَتُوفٍ بَاطِلِ<sup>(٣)</sup>.  
 مُعَارٌ لِأَوْقَاتٍ تَمُرُّ قَلَائِلِ.  
 دَلِيلٌ عَلَى ظِلٍّ مِنَ الْعُمُرِ زَائِلِ<sup>(٤)</sup>.  
 وَأَصْبَحْتُ مِنْ جَرَائِهَا فِي حَبَائِلِ<sup>(٥)</sup>،  
 عَلَى طَوْلِ تَفْرِيطِي، هَوَامٍ هَوَامِلِ<sup>(٦)</sup>،  
 لِكُلِّ كَرِيمٍ، مِنْ أَجْلِ الْوَسَائِلِ.  
 بِمَعَارٍ مَا يُحْصَى لَهُ مِنْ فُضَائِلِ.  
 وَأَوْصَافِهِ إِلَّا كَتَخْصِيلِ حَاصِلِ؛  
 عَنْ الْفَرَضِ فِي تَعْظِيمِهِ وَالنَّوَافِلِ<sup>(٧)</sup>.  
 وَهَلْ بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ قَوْلٌ لِقَائِلِ<sup>(٨)</sup>!

صَدُورٌ إِذَا حَلَّوْا بِنَادٍ؛ وَفِي الْوَعْيِ  
 أَشِدَاءُ وَالْمُهْجَاءُ حَامٍ وَطَيْسُهَا،  
 فَكَمْ مِنْ عَدِيمٍ صَارَ فِيهِمْ كَمُتَرَفٍ؛  
 كَذَا فَلْيَكُنْ حُسْنُ الثَّنَاءِ لِسَادَةِ  
 عَلَى مِنْ بِهِ سَادُوا الْوَرَى وَعَلَيْهِمْ  
 فَحَتَّى مَتَى أَشْتَأُفُهُمْ وَتَغُرَّنِي  
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا ظَاعِنٌ مُتَرَحِّلٌ  
 وَإِسْفَارُ صُبْحِ الشَّيْبِ عَنْ لَيْلٍ لَمَتِي  
 وَلَمَّا تَقَضَّتْ فِي التَّوَانِي شَبِيبَتِي  
 وَلَمْ يَتَّقَ لِي إِلَّا التَّفَانِي بِأَدْمَعٍ،  
 وَكُلٌّ يَرَى أَنَّ الْمَدِيحَ وَسِيلَةٌ،  
 مَدَحْتُ الشَّفِيعَ الْمُصْطَفَى غَيْرَ قَائِمٍ  
 وَمَا الْمَدْحُ فِيمَنْ يَخْشَنُ الْمَدْحُ بِاسْمِهِ  
 وَلَكِنَّهُ جُهْدُ الْمُقَلِّ لِقَاصِرٍ  
 أَلَمْ (يَأْتِ) قَوْلُ اللَّهِ فِي رَفْعِ ذِكْرِهِ؟

- 
- (١) صدور (الأولى): وجهاء القوم. الوعى: الحرب. صدور (الثالثة): أعالي الرماح. العالية: النصل يكون في رأس الرمح (في الحرب يردون بصدورهم رماح أعدائهم، دفاعاً عن الدين).  
 (٢) النور (بالفتح): الزهر الأبيض. الخميلة: الشجر الكثير الكثيف المتلف (المتشابك).  
 (٣) أمان جمع أمنية: ما يتنى الإنسان أن يحصل عليه. الإمهال: ترك الأمر مهلة (بالضم): مدة، فترة. تسويف: تأخير. تسويف باطل (؟).  
 (٤) اللمة: شعر الرأس المجاور لشحمة الأذن (وهو أول ما يشيب عادة من شعر الإنسان).  
 (٥) التواني: التكاسل (عن عمل الصالحات). في حبائل (من الذنوب).  
 (٦) التفاني بأدمع (ذهاب عمري شيئاً بعد شيء بالبكاء). الهامي والهامل (المنسكب بكثرة).  
 (٧) جهد المقل: الشيء القليل الذي يبذله الفقير أو العاجز. الفرض: ما يجب على الإنسان فعله. النافلة: ما يتطوع الإنسان في فعله.  
 (٨) جاء في سورة الضحى (الثالثة والتسعين في المصحف): ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾.

- وقال من بديعة ثانية:

سَرَيْتُمْ وَطَرَقِي مِنْ كَرَى الْعَزْمِ مَا هَبَّأ،  
وَطَرَفُ انْتِهَاضِي فِي مَدَى الْحَزْمِ مَا خَبَّأ<sup>(١)</sup>

ومنها:

فحسبي رجائي أَنْ يَمْنُوا بِمَظْفِهِمْ. وَأَنْ يُعْقِبُوا لِلْبُعْدِ مِنْ وَصْلِهِمْ قُرْبًا.  
وَلَا غَرَوْ أَنْ يَلْقَى الطُفَيْلِيَّ مَاجِدٌ. بُوْجِهْ بِهِ يَلْقَى الْمَعَارِفَ وَالصَّحْبَا<sup>(٢)</sup>.  
وَأِنْ هُمْ جَفَوْنِي سَوْفَ أَهْدِي إِلَيْهِمْ. سَلَامِي لَعَلِّي بِالرَّضَا مِنْهُمْ أَحْبَى<sup>(٣)</sup>.  
وَمَنْ صَدَّعَنِي الْحَبُّ فَلْيُفْشِرْ مَدَحَهُ، فَإِنَّ امْتِدَاحَ الْحَبِّ يَسْتَنْزِلُ الْحَبَّأ<sup>(٤)</sup>.  
وَمَا الْقَصْدُ وَالْمَعْنَى بِالرَّمْزِ وَالْكُنَى. سَوَى مَنْ عَلَى كُلِّ النَّبِيِّينَ قَدْ أَرْنَى<sup>(٥)</sup>.  
وَمَنْ شَاهَدَتْ عَيْنَاهُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ. وَأَيَّاتِهِ مَا يُعْجِزُ الْكُتُبَ وَالْكِتَابَا<sup>(٦)</sup>.  
أَحَاشِيكَ، يَا كُلَّ الْمُنَى، أَنْ تَذُودَنِي

عَنْ الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَرْضِ أَوْ أُمْنَعَ الشُّرْبَا<sup>(٧)</sup>  
وَرَبِّ كَرِيمٍ غَضَضَ عَنْ وَرْدٍ وَاغْلَلِ  
حَيَاءً إِذَا وَافَاهُ إِذْ يَتَبَعُ السُّرْبَا<sup>(٨)</sup>

(١) سرى: سار في الليل. الطرف (بالفتح): العين، البصر. الكرى: النوم. الطرف (بالكسر) الحصان. خبَّ أسرع.

(٢) الطفيلي: الذي يذهب إلى الولائم من غير دعوة خاصة به. - لا بدَّ من أن يكون هنالك ماجد: شريف خير (بتشديد الياء) يستقبل الطفيلي كما يستقبل أصدقاءه الذين دعاهم إلى وليمته (كناية عن الرسول).

(٣) جفوني: ابتعدوا عني، كرهوا. مجيئي. حبا: أعطى، منح.

(٤) الحبَّ (بالكسر): الحبوب، فليفسر: فليشر. - إذا مدحت الذي لا يحبك فيمكن أن تجعله محباً لك.

(٥) المعنى: المقصود. الكنى: الإشارة إلى الشيء بالتلميح لا بالتصريح. أرنى: زاد.

(٦) الكتب (بالضم) جمع كتاب. الكتب (بالفتح): الكتابة. - ما تضيق عن استيعابه الكتب وما تقصّر الكتابة عن أن تحيط به.

(٧) أحاشيك (أقول: حاشاك): أجلك عن فعل شيء..... زاد: دفع، طرد. الحوض: مجمع ماء يشرب منه المؤمنون يوم تقوم القيامة. يوم العرض: يوم الحشر، يوم القيامة.

(٨) قد يتفق أن يدعو رجل كريم قوماً ثم يرى واغلاً (طفيلياً) يتبع سرهم (جمعهم) فيفيض الطرف عنه (يسمع بحضوره الوليمة).

لئن قَصَرْتُ خَطْوِي إِلَيْكَ خَطِيئَتِي      وَذَبَّنِي الْأَوْزَارُ عَنْ بَابِكُمْ ذَبًّا<sup>(١)</sup>،  
فَمِنْ شِيْمَةِ الْعَبْدِ الْفِرَارُ لِرَبِّهِ؛      وَمِنْ شِيْمِ السَّادَاتِ أَنْ يَغْفِرُوا الذَّنْبَ!

٤- ★★ رحلة التجاني (تونس ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨)، ص ٣٨٠-٣٩٣؛ عنوان الأريب  
٧٧-٧٩؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٣٠٨-٣١٠؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣١٩  
(٢٤٢: ٨).

### ابن عتيق المرسّي

١- هو أبو عليّ الحُسينُ بنُ عتيقِ بنِ الحُسينِ بنِ رُشيقِ التَغْلِبِيّ الأجدادِ المُرْسِيّ  
الأصلِ السَّبْقِيّ الاستيطاني. يبدو أنه انتقل باكراً من مُرْسِيَّة إلى المغرب ونزل بسبْنة  
فَعَمِلَ فيها عَدْلًا من العُدُول (عند أبواب الحاكم) ثم دخل في خِدْمَةِ أمير سبْنة وأصبح  
كاتباً له.

وفي الإحاطة (١: ٤٨٠) أن ابنَ عتيقِ السَّبْقِيّ مُنْتَمِرٌ إلى صاحبِ الثَّوْرَةِ على  
المُعْتَمَد (٩). ولعلّ المقصودُ «المعتضدُ» المُوَحِّدِي (٦٤٠-٦٤٦ هـ)، وكان أنصارُ  
للمرِينِيِّين قد ثاروا عليه ثم قُتِلَ هو غِيلَةً في أثناء محاربتهم.

وبدا لابن عتيقِ السَّبْقِيّ أن يعودَ إلى الأندلس فانتقل إلى المَرِيَّة فوقع عياله في أسرِ  
القَرَّاصِنَةِ (الإسبان أو البُرتغاليّين؟) فنظم قصيدةً في مديحِ والي المَرِيَّة من قِبَلِ سُلْطَانِ  
غَرْنَاطَةِ الغالبِ بالله (٦٢٩-٦٧١ هـ) يتوسَّلُ إليه أن يُسَاعِدَهُ في اسْتِنْقَاذِ عِيَالِهِ. ولا  
شكَّ في أنه أقام في غَرْنَاطَةِ مُدَّةٍ (ذَكَرَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ في «الإحاطة»). وفي آخرِ عُمُرِهِ  
استدعاهُ السُلْطَانُ المَرِينِيّ يوسُفُ الناصرُ لِدِينِ اللَّهِ (٦٨٥-٧٠٦ هـ) واستكَبَهُ. ولعلّ  
وفاته كانت سَنَةَ ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) أو بعدَ ذلك بقليل.

٢- كان ابنُ عتيقِ السَّبْقِيّ مُشاركاً في عددٍ من الفنون: كاللُغَةِ والنحوِ والتاريخِ  
والأدبِ والتعاليمِ (الحسابِ والهندسة والفلك الخ). وكان بارعاً في لِمَبِ الشُّطْرَنْجِ

(١) ذَبَّ: دفع، طرد. الوزر (بالكسر): الذنب.

اخترع سُفرةً (رُقعة) مستديرةً بَدَلَ الرُقعة المربعة. وله تصانيفُ منها الكتاب الكبير (في التاريخ) وله التلخيصُ المسمى «مِيزانُ العمل». وكذلك كان شاعراً مقتدراً وصل إلينا من شعره شيء من النسيب والمديح ثم قصيدةٌ طويلةٌ في الهجاء المُقذع الفاحش في مالك بن المرحّل - وكان بينهما عداوةٌ ومهاجاة.

### ٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ عتيقٍ السبقيُّ يهجو مالكَ بنَ المرحّلِ (ت ٦٩٩ هـ):

لِكِلَابِ سَبْتَةٍ فِي النَّبَاحِ مِدَارُكَ      وَأَشَدُّهَا دَرَكَاً لَدُنْكَ مَالُكَ<sup>(١)</sup>.  
 شَيْخٌ تَفَانَى فِي الْبَطَالَةِ عُمُرُهُ،      وَأَحَالُ فَكَيْهِ الْكَلَامُ الْآفَكُ<sup>(٢)</sup>.  
 كَلْبٌ لَهُ فِي كُلِّ عِرْضٍ عَضَّةٌ      وَبِكُلِّ مُحْصَنَةٍ لِسَانٌ فَاتِكُ<sup>(٣)</sup>.  
 أَحْلَى شَمَائِلِهِ السُّبَابُ الْمُفْتَرَى،      وَأَعَفُّ سِيرَتِهِ الْهَجَاءُ الْمَاعِكُ<sup>(٤)</sup>.  
 يَغْشَى مَخَاطِرَهُ اللَّئِيمُ تَفَكُّهُمَا،      وَيَعَافُ رُؤْيَتَهُ الْحَلِيمُ النَّاسِكُ<sup>(٥)</sup>.  
 فِي شِعْرِهِ مِنْ جَاهِلِيَّةٍ طَبْعِهِ      أَتَقَالُ أَرْضٍ لَمْ يَنْلُهَا فَاتِكُ<sup>(٦)</sup>.  
 إِنَّ سَامَ مَكْرَمَةٍ جَنَّا مُتَنَاقِلَا      يَرِغُو كَمَا يَرِغُو الْبَعِيرُ الْبَارِكُ<sup>(٧)</sup>،  
 وَيَدِبُّ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ إِلَى الْخَنَّا      عَدَوَاً كَمَا يَعْدُو الظَّلِيمُ الرَّاتِكُ<sup>(٨)</sup>.  
 وَالدَّهْرُ بَاكِ لَأَتَقْلَابِ صُرُوفِهِ      ظَهراً لِبَطْنِي، وَهُوَ لِأَيِّ ضَاكِكِ.  
 وَاللَّسْنُ تَنْصَحُهُ بِأَفْصَحِ مَنْطِقِي،      لَوْ كَانَ يَنْجُو بِالنَّصِيحَةِ هَالِكِ.

(١) المدرك والمدرك: الوصول (اعتداء على الناس). مالك (بن المرحّل).

(٢) البطالة: الهزل. وأحال (غير شكل) فكَيْهِ الكلام الآفك (الكذب).

(٣) المحصنة: المرأة العفيفة (ذات الزوج).

(٤) الماعك! يقصد الشاعر «الملع» (بفتح فكسر): الأحق، الشديد الخصومة.

(٥) الرجل اللئيم يدرك أن مجالة ابن المرحّل خطر عليه ومع ذلك فهو يحضر مجالته لأن فيها أسباباً للضحك (عليه: على ابن المرحّل).

(٦) فاتك (٩). الفاتك هو الكثير المرأة على الأمور.

(٧) إن سام (لعلها: إن سيم: إذا طُلب منه). جئا: ركع.

(٨) دب: مشى ببطء واستخفاء. الجنح: الجانب من الليل. الخنا: العمل القبيح. العدو: الركض. الظلم: ذكر النعام. الراتك: الذي يركض بخطى متقاربة.



تُبْ، يَا ابْنَ تَسْعِينَ، فَقَدْ جُرْتَ الْمَدَى      وَأَرْتَاحَ لِقْيَا بَيْنِكَ مَالِكُ<sup>(١)</sup>.  
 يَا ابْنَ الْمَرْحَلِ لَوْ شَهِدْتَ مَرْحَلًا      وَقَدْ أَنْخَى بِالرَّحْلِ مِنْهُ الْحَارِكُ<sup>(٢)</sup>،  
 لَرَأَيْتَ لِلْعَيْنِ اللَّثِيمَةَ لَمَحَةً      وَعَلَا بِصَفْعِ عَرِكَ أُذُنَكَ عَارِكُ<sup>(٣)</sup>،  
 وَشُغِلْتَ عَنْ ذِمِّ الْأَنَامِ بِشَاغِلٍ،      وَثَاكَ خَصَمٌ مِنْ أَيْيِكَ مُهَاحِكُ.

- وله قصيدة يمدح بها والي المريّة وكان قريباً للسلطان الغالب بالله:

مُلِقَى النُّوَى مَلَقَ لِبَعْضِ نَوَالِكَا،      فَاشْفِ الْمَحِبَّ وَلَوْ بِطَيْفِ خَيَالِكَا<sup>(٤)</sup>.  
 لَا تَحْسَبْنِي مِنْ فُلَانٍ أَوْ فُلَا،      أَنَا مِنْ رِجَالِ اللَّهِ ثُمَّ رِجَالِكَا<sup>(٥)</sup>.  
 نَصَبَ الْعَدُوَّ حَبَائِلًا لِحَبَائِثِي،      وَعَلَقْتُ فِي اسْتِخْلَاصِهَا بِجِبَالِكَا<sup>(٦)</sup>.  
 وَكَفَاكَ شَرَّ الْعَيْنِ عَيْبٌ وَاحِدٌ،      لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى فُلُولٍ نِصَالِكَا<sup>(٧)</sup>.

الإحاطة ١ : ٤٨٠ - ٤٨٤ ؛ بغية الوعاة ٣٥٤ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٦٣ (٢٤٣).

## ابن الغمّاز البلسني

١ - هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سعيد بن محمد بن علي بن مكنف المروفي بابن الغمّاز الأنصاري البلسني، من أهل

- (١) سِيرَ مَالِكُ (حَازَنَ النَّارَ) بَلْقِيَاكَ (فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ) لِأَنَّكَ الْآنَ طَاعِنٌ فِي السَّنِّ. تَسْعِينَ (؟).
- (٢) الْمَرْحَلُ : الْجَدُّ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ مَالِكُ هَذَا. يَقُولُ لَهُ : الْمَرْحَلُ لَيْسَ اسْمُ الْجَمَلِ الَّذِي كَانَ يَرْحَلُ عَلَيْهِ جَدُّكَ، بَلْ هُوَ اسْمُ جَدِّكَ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُ عَلَيْهِ النَّاسُ أَشْيَاءَهُمْ فَانْخَى حَارِكَةً (أَعْلَى كَتِفِهِ) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.
- (٣) لَكُنْتُ رَأَيْتُ فِي جَدِّكَ لَوْمًا يَدُو مِنْ عَيْنَيْهِ ثُمَّ (جَاءَ) مِنْ يَمِينِكَ أُذُنَكَ (يَشْدَاهَا : احْتِفَارًا لَكَ) وَيَصْفَعُكَ أَيْضًا (كَرْهًا لَكَ).
- (٤) مَلِقَى النُّوَى (الْآتَى مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) مَلَقَ ..... النَّوَالُ : الْعَطَاءُ ...
- (٥) مِنْ فُلَانٍ أَوْ (فُلَانٍ) فِي « فُلَا » اكْتِفَاءً (ذَكَرَ أَحْرَفَ تَدَلَّى عَلَى الْحَرْفِ الْمَحْذُوفِ).
- (٦) حِبَالَةٌ (بِالضَّمِّ) : الشُّرَكَ (بِمَنْتَحَ فَتَحَ). الْحَبَائِبُ جَمْعُ حَبِيبَةٍ. عَلَقْتُ بِجِبَالِكَ : أَحْبَبْتُكَ (الْمَقْصُودُ : أَصْبَحْتُ أَنَا أَسِيرًا لَكَ).
- (٧) النَّصْلُ : حَدُّ السِّيفِ وَغَيْرِهِ. الْفُلُولُ : الشُّقُوقُ التَّقَطُّيعُ. عَيْبُكَ الْوَحِيدُ أَنْ سِوْفَكَ مَفْلَلَةٌ مِنْ قِتَالِكَ الْأَعْدَاءِ (مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ : بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ).

بَلَنَسِيَّةَ، وَلَدَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنْ سَنَةِ ٦٠٩<sup>(١)</sup> وَتَلَّقَى الْعِلْمَ عَلَى كَثِيرِينَ يُلْفُونَ مِائَةَ عَدًّا. وَقَدْ تَقَلَّ فِي عَدَدٍ مِنْ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ. وَمُدُنِ الْعُدُوةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ، وَكَانَ يَعْمَلُ فِي هَذِهِ الْبُلْدَانِ فِي الْعَدَالَةِ وَالتَّوْثِيقِ أَوْ يَتَوَلَّى فِيهَا الْقَضَاءَ: تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي بَجَايَةِ مَعَ الصَّلَاةِ فِي جَامِعِهَا الْأَعْظَمِ؛ وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ مِرَاراً فِي تُونِسَ وَأَصْبَحَ فِيهَا قَاضِي الْقُضَاةِ. وَيَبْدُو أَنَّهُ تَحَلَّى فِي أَوَاخِرِ عُمُرِهِ عَنِ الْعَمَلِ لِلتَّكْسِبِ وَعَنِ الْمَنَاصِبِ ثُمَّ تَفَرَّغَ لِلرَّوَايَةِ وَالْإِفَادَةِ (التَّدْرِيسِ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي تُونِسَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَيْضاً مِنْ سَنَةِ ٦٩٣ (١٢/١١/١٢٩٣ م).

٢- ابْنُ الْغَمَّازِ الْبَلَنَسِيُّ فِي الْأَصْلِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَمِنَ الْفُقَهَاءِ. وَكَانَ شَاعِراً مُخَصِناً سَهْلَ الْقَوْلِ وَاضِحَ الْمَعَانِي، وَعَلَى شِعْرِهِ نَفْحَةٌ دِينِيَّةٌ وَدَلَائِلُ مِنَ الْإِخْلَاصِ.

### ٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ الْغَمَّازِ الْبَلَنَسِيُّ فِي رَجَاءٍ عَفْوِ اللَّهِ:

وَقَالُوا: أَمَا تَخْشَى ذُنُوباً أُتِيَتْهَا، وَلَمْ تَكُ ذَا جَهْلِ فَتُعَذَّرَ بِالْجَهْلِ؟  
فَقُلْتُ لَهُمْ: هَبْنِي<sup>(٢)</sup> كَمَا قَدْ ذَكَرْتُمْ: تَجَاوَزْتُ فِي قَوْلِي وَأَسْرَفْتُ فِي فِعْلِي؛  
أَمَا فِي رِضَا مَوْلَى الْمَوَالِي وَصَفْنَاهُ رَجَاءً وَمَسَلَّةً لِمُقْتَرِفٍ مِثْلِي<sup>(٣)</sup>!

- وَقَالَ فِي مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ:

أَمَا آنَ لِلنَّفْسِ أَنْ تَحْتَعَا؟ أَمَا آنَ لِلْقَلْبِ أَنْ يُقْلِعَا<sup>(٤)</sup>؟  
أَلَيْسَ الثَّانُونَ قَدْ أَقْبَلْتُ فَلَمْ تُبْقِ فِي لَذَّةٍ مَطْمَعَا؟  
تَقْضَى الزَّمَانُ وَلَا مَطْمَعٌ لِيَا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَنْ يَرْجِعَا.  
تَقْضَى الزَّمَانُ، فَوَاحَسَرْتَا لِيَا فَاتَ مِنْهُ وَمَا ضِيْعَا.

(١) عَاشُورَاءُ: الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنَ الْحَرَمِ (الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ الْأَوَّلِ). هَذَا الْيَوْمُ يَقَعُ (مِنْ سَنَةِ ٦٠٩ هـ) فِي ١٢/٦/١٢٩٣ م.

(٢) هَبْنِي (عَلَى التَّجْرِيدِ: مَخَاطَبَةُ النَّفْسِ): لِأَفْرَضَ أَنَا أُنِي...

(٣) مَوْلَى الْمَوَالِي: اللَّهُ. الْمَسَلَّةُ: الْمَلَى وَالسُّو (الْإِسْيَانُ وَالتَّعْزِي). الْمُقْتَرِفُ: الْمُرْتَكِبُ (لِلذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ).

(٤) آنَ: حَانَ، اقْتَرَبَ (أَلَمْ يَأْتِ الْوَقْتُ بَعْدَ). أَقْلَعُ: رَجَعَ (عَنِ الْعَمَلِ الْقَبِيحِ).

وَيَا وَيْلَتَاهُ لِيَذِي شَيْبَةٍ يُطِيعُ هَوَى النَّفْسِ فِيهَا دَعَا؛  
وَبُعْدًا وَسُخْقًا لَهُ إِذْ غَدَا يُسْمَعُ وَعَظًا وَلَنْ يَسْمَعَ<sup>(١)</sup>!  
- وقال في التسليم لله في كل شيء :

يَا صَاحِبَ الْهَمِّ، إِنَّ الْهَمَّ مُنْفَرَجٌ؛ كَمْ مِنْ أُمُورٍ شِدَادِ فَرَجِ اللَّهِ!  
الْيَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ. لَا تَيَأَسَنَّ فَإِنَّ الْفَاتِحَ اللَّهُ.  
اللَّهُ حَسْبُكَ فِيمَا عُدْتَ مِنْهُ بِهِ، وَأَيْنَ يَأْمَنُهُمْ مَنْ حَسْبَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>.  
إِذَا قَضَى اللَّهُ فَاسْتَسْلِمَ لِقُدْرَتِهِ، مَا لِأَمْرِي حِيلَةٌ فِيمَا قَضَى اللَّهُ.  
سَلَّمَ إِلَى اللَّهِ فِيمَا شَاءَ وَأَرْضَ بِهِ، فَالْخَيْرُ أَجْعُ فِيمَا يَصْنَعُ اللَّهُ.

٤- ★★ عنوان الدراية ١٢٩ - ١٣٠ ؛ الدياج ٧٦ - ٧٩ ؛ نفح الطيب ٣٠٦ : ٤ - ٣١٧ ،  
٣٢١ - ٣٢٢ ، ٣٣٩ - ٣٤٠ ؛ وفيات ابن قنفذ ٣٣٤ ؛ درة الحجال ١ : ٧٩ - ٨٠ ؛  
الأعلام للزركلي ١ : ٢١٢ - ٢١٣ (٢٢١).

## حافي رأسه

١- هو الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن أبي  
محمد الزناتي الكملاني<sup>(٣)</sup> (نسبة إلى قبيلة من البربر) الإسكندراني (نسبة إلى  
إسكندرية مصرية) الملقب « حافي رأسه »<sup>(٤)</sup>.

- (١) الحق: البعد الشديد. بعداً وسحقاً جملة تقال في الدعاء على المذنب.
- (٢) حسبك: يكفيك، كافيك. عذت (التجأت) منه (من الذنب) به (بالله). يأمنهم (كذا في الأصل!).
- (٣) الكملاني (من بغية الوعاة ٥٧).
- (٤) في الوافي بالوفيات (٣ : ٣٦٥) : « لُقِبَ بحافي رأسه لحفرة كانت في دماغه (انخفاض في صدغه). وقيل:  
كان في رأسه شيء يشبه (حرف) ح. وقيل: لأنه كان في أول أمره مكتوف الرأس، فرآه رئيس في الثغر  
(الإسكندرية) فأعطاه ثياباً جُددًا. فقال له: هذا لبدني، ورأسي حاف. فأمر له بعمامة. فلزمه ذلك  
اللقب ». من أجل ذلك يحسن أن يلفظ لقبه: حافٍ (بكسرتين) رأسه (بالرفع: ضم السين) على أن  
« رأسه » فاعل « حاف ».

وُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَافِي رَأْسَهُ فِي تَاهَرْتِ<sup>(١)</sup>، سَنَةَ ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ - ١٢١٠ م).  
ويبدو أَنَّهُ رَحَلَ مِنْذُ مَطْلَعِ شَبَابِهِ حَتَّى يَكُونَ قَدْ أَخَذَ فِعْلًا عَنْ عَبْدِ الْمَنَعْرِ بْنِ صَالِحِ  
الْتَمِيمِيِّ (٥٤٧ - ٦٣٣ هـ) وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبِيدِ الصُّفْرَاوِيِّ (٥٤٤ - ٦٣٦ هـ)،  
وَكِلَاهُمَا حِجَازِيٌّ الْأَصْلُ إِسْكَندَرَانِيٌّ الدَّارِ. وَقَدْ أَخَذَ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ  
مَخْلُوفِ الْإِسْكَندَرِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَاسْتَقَرَّ حَافِي رَأْسَهُ فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ (فُعِرِفَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِالْإِسْكَندَرَانِيِّ) وَتَصَدَّرَ  
لِلتَّدْرِيسِ فِيهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٩٣ هـ<sup>(٢)</sup> (صَيْف ١٢٩٤ م).

٢ - كَانَ حَافِي رَأْسَهُ مِنْ أَتَمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ)، قَالَ الصَّفْدِيُّ<sup>(٣)</sup>:

« هُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الْمُحَمَّدِينَ - مِنْ كِبَارِ النَّحَاةِ - فِي عَصْرِ وَاحِدٍ: حَافِي رَأْسَهُ فِي  
الْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَهَاءُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّحَّاسُ (٦٢٧ - ٦٩٨ هـ) فِي مِصْرَ  
(الْقَدِيمَةِ: مَدِينَةُ عَمْرُو بِالْفُسْطَاطِ) وَابْنُ مَالِكٍ (ت ٦٧٢ هـ) فِي دِمَشْقَ. وَكَانَ لِحَافِي رَأْسَهُ  
شَعْرٌ.

### ٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شَعْرِهِ

- قَالَ حَافِي رَأْسَهُ يَشْكُرُ الْمُحِبَّوبَ الَّذِي عَلَّمَهُ الصَّبَرَ عَلَى الْهَجْرِ:

أُمُعَلِّمِي الصَّبَرَ الْجَمِيلَ بِهِجْرِهِ      فَنَسَى فَوَادَاً عَنْهُ لَمْ يَكُ يَنْشِي.  
لَا بُدَّ مِنْ أَجْرِ لِكُلِّ مُعَلِّمٍ.      وَإِلَى السَّلْوِ ثَوَابُ مَا عَلَّمْتَنِي<sup>(٤)</sup>.

- وَقَالَ يَهْجُو مُتَكَبِّرًا (وَيُجْرِي هَذَا الْهَجَاءُ فِي تَوْرِيَّةٍ نَحْوِيَّةٍ بَيْنَ رُفْعَةِ الْقَدْرِ  
وَالرَّفْعِ فِي النَّحْوِ بَيْنَ جَرٍّ طَرَفِ الثَّوْبِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِلتَّكَبُّرِ وَالْحَيْلَاءِ وَبَيْنَ الْجَرِّ

(١) فِي الْوَاقِي بِالْوَفِيَّاتِ (٣: ٣٦٥، السَّطْرُ الثَّانِي): وَلِدَ بَتْلَسَانَ... بَظَاهِر. فِي بَغِيَّةِ الْوَعَاةِ (ص ٥٧، السَّطْرُ  
الثَّالِثُ مِنْ أَسْفَل): وَلِدَ بَتَاهَرْتِ بَظَاهِر تَلْسَانَ.

(٢) مِنْ بَغِيَّةِ الْوَعَاةِ: سَنَةُ ٦٩٣ أَوْ ٣٩١ (عَنْ أَثِيرِ الدِّينِ أَبِي حَيَّانَ). فِي فَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ: سَنَةُ ٦٨٠.

(٣) الْوَاقِي بِالْوَفِيَّاتِ ٣: ٣٦٥.

(٤) فِي الْأَصُولِ: وَإِلَى السَّلْوِ (وَالْمَعْنَى غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ). اقْرَأْ: وَلِي السَّلْوُ أَوْ وَلَكَ السَّلْوُ (لَكَ مَنَى السَّلْوُ: نَسِيَانُ  
الْحُبِّ) أَجْرًا عَلَى تَعْلِيمِكَ لِإِيَّاي الصَّبَرَ.

في النحو. ثم هنالك طباق بين «الرفع» و«الجر»:

وَمُعْتَقِدٍ أَنَّ الرِّئَاسَةَ فِي الْكِبَرِ، فَأَصْبَحَ مَمْقُوتًا بِهَا وَهُوَ لَا يَذَرِي:  
يَجْرُ ذِيُولَ الْكِبَرِ طَالِبَ رُفْعَةٍ. أَلَا فَاغْجِبُوا مِنْ طَالِبِ الرِّفْعِ بِالْجَرِّ!

- ويبدو أنه افتقر فباع كُتُبَهُ فَكَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ نَوْرِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُودِ الصَّوَايِ  
يَطْلُبُ مِنْهُ عَوْنًا. فِي الْبَيْتَيْنِ تَوْرِيَّتَانِ: الصَّوَابُ (الْحَقُّ، الْإِصَابَةُ) وَالصَّوَايِ (لَقَبُ الْأَمِيرِ  
نَوْرِ الدِّينِ) ثُمَّ «بَلَا كِتَاب» (بَلَا كِتَاب فِي مَكْتَبِي - بَلَا كِتَاب مُنْزَل):

شَكُوتُ إِلَيْكَ، نَوْرَ الدِّينِ، حَالِي، وَحَسَنِي أَنْ أَرَى وَجَهَ الصَّوَابِ.  
وَكُنِّي بِعُتْمَا وَرَهْنَتُ، حَتَّى بَقِيْتُ مِنَ الْمَجُوسِ بَلَا كِتَابِ!

٤- \*\* فوات الوفيات ٢: ٢٨٤-٢٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٦٤-٣٦٦؛ بغية الوعاة  
٥٧-٥٨؛ معجم أعلام الجزائر ١٥٨-١٥٩.

### عبد العزيز الملزوزي

١- هو عبد العزيز بن عبد الوهاب بن محمد الملزوزي النجار المكناسي، كان شاعرَ  
البلّاط المربني أيام المنصور يعقوب بن عبد الحق (٦٦٧-٦٨٤ هـ) وابنه يوسف  
(٦٨٥-٧٠٦ هـ). وقد رافق يعقوب المنصور في معظم حملاته في العدو الإفريقية  
وفي الأندلس. وكان المنصور يُكرمه، أجازته على قصيدته «بمجد الله أفتتح الخطاب»  
بمئة ألف دينار! وأجاز مُشيدَها بين يديه أبا زيد الغرابي بألف دينار!  
وكانت وفاة عبد العزيز الملزوزي سنة ٦٩٧ (١٢٩٧-١٢٩٨ م).

٢- عبد العزيز الملزوزي شاعرٌ كثيرٌ له قصائد طوالٌ ومقطعاتٌ قصارٌ في المدح  
والوصف والنسيب. وقد حاول نظم ملاحم توفّر له فيها عنصرًا الإطالة والسرْدِ  
التاريخي لسير الملوك، ولكن لم يتوفّر له فيها عنصرًا الخيال والقصص المحكم. ثم هو  
مؤلفٌ له كتابٌ في تاريخ المغرب (لم يجعل له عنوانًا). وله أرجوزة «نظم السلوك في من  
نزل المغرب من الملوك».

### ٣- مختارات من شعره

- قال عبد العزيز الملزوزي:

لِمَرَّاكُشٍ فَضْلٌ عَلَى كُلِّ بَلَدَةٍ،      وما أَبْصَرْتُ عَيْنٌ لَهَا مِنْ مُشَابِهِ.  
وما هِيَ إِلَّا جَنَّةٌ قَدْ تَزَخَّرَتْ،      وَلَكِنَّهَا حُفَّتْ لَنَا بِالْمَكَارِهِ<sup>(١)</sup>.

- وقال في النسيب:

أَعْلِمْتَ بَعْدَكَ زَفَرِي وَأَنْيَسِي      وَصَبَابِي يَوْمَ النَّوَى وَشُجُونِي<sup>(٢)</sup>؟  
مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ مَا رَكَنْتُ لِرَاحَةٍ      يَوْمًا، وَلَا غَاضْتُ عَلَيْكَ شُؤُونِي<sup>(٣)</sup>.  
قَدْ كُنْتُ أَبْكِي الدَّمْعَ أَيْضًا نَاصِعًا،      فَالْيَوْمَ تَبْكِي بِالذِّمَاءِ جُفُونِي.  
قُلْ لِلَّذِينَ قَدْ ادَّعَوْا فَرْطَ الْهَوَى:      إِنْ شِئْتُمْ عَلِمَ الْهَوَى فَسَلُونِي.  
إِنِّي أَخَذْتُ كَثِيرَهُ عَنْ عُرْوَةٍ      وَرَوَيْتُ سَائِرَهُ عَنِ الْمَجْنُونِ<sup>(٤)</sup>.

- وقال يرفعُ نَسَبَ بَنِي مَرَيْنٍ - وَهُمْ فَخِذٌ مِنْ زَنَاتَةٍ - إِلَى قَيْسِ عَيْلَانَ مِنْ عَرَبِ الشَّالِ:

قَدْ جَاوَرْتُ زَنَاتَةَ الْبَرَابِرَا      فَصَيَّرُوا كَلَامَهُمْ كَمَا تَرَى<sup>(٥)</sup>.  
مَا بَدَّلَ الدَّهْرُ سِوَى أَقْوَالِهِمْ      وَلَمْ يُيَسِّدْ لِمُنْتَهَى أَحْوَالِهِمْ<sup>(٦)</sup>.  
بَلْ فَعَلَهُمْ أَرْبَى عَلَى فِعْلِ الْعَرَبِ      فِي الْحَالِ وَالْإِثَارِ ثُمَّ فِي الْأَدَبِ<sup>(٧)</sup>.

(١) تزخرفت: تزينت. في الحديث الشريف: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارَةِ» (أي أن استحقاق الدخول إلى الجنة يقتضي القيام بعدد من الأعمال - الواجبات وأوجه الإحسان - . وهذه ثقيلة في العادة على النفس الإنسانية).

(٢) الصبابة: الحب. النوى: البعاد (الفراق). الشجن (بفتح ففتح): الحزن.

(٣) الثأن: مجرى الدمع من العين.

(٤) عروة بن حزام (بكسر الحاء) ومجنون بني عامر (قيس بن الملوّح: بفتح الواو المشددة) من الشعراء الهبّيين القُدرين في العصر الأموي.

(٥) - أصبح كلام بني زناة الآن قريباً من البربرية لا لأنهم بربر، بل لأنهم جاوروا البربر!

(٦) - لغتهم أصبحت بربرية، ولكن أفعالهم لا تزال عربية!

(٧) أربي: زاد. الإيثار: تفضيل الآخرين على النفس. .... حتّى أنّ النتاج الأدبي في زناة (في النثر والشعر) أحسن منه عند العرب الأتجاج.

فَانظُرْ كَلَامَ الْعَرَبِ قَدْ تَبَدَّلَا      وَحَالُهُمْ عَنْ حَالِهِ تَحَوَّلَا<sup>(١)</sup>؛  
لَا يَعْرِفُونَ الْيَوْمَ مَا الْكَلَامُ،      وَمَا لَهُمْ نُطْقٌ وَلَا إِفْهَامٌ<sup>(٢)</sup>.  
كَذَاكَ كَانَتْ قَبْلَهُمْ مَرِينُ      كَلَامُهُمْ كَالدَّرِّ إِذْ يَبِينُ<sup>(٣)</sup>.  
فَاتَّخَذُوا سِوَاهُمْ خَلِيلاً      فَبَدَّلُوا كَلَامَهُمْ تَبْدِيلاً

٤- \*\* الاستقصاء ٢: ٣١؛ الأدب المغربي ٢٢٦ - ٢٣٠؛ النبوغ المغربي ٢٢٦ (ترجمته)، ٩١٢ إلخ.

### بدر الدين بن هود

١- هو بدر الدين أبو علي الحسن بن علي بن يوسف بن هود الجذامي المُرسي، قيل هو أخو المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود المستبد ببقيّة الأندلس في أيامه (٦٢١-٦٣٥ هـ)<sup>(١)</sup>.

وُلِدَ بِدَرُ الدِّينِ بَنُ هُوْدٍ فِي مُرْسِيَّةَ، سَنَةَ ٦٣٣ لِلْهِجْرَةِ (١٢٣٥-١٢٣٦ م). وَأَشْتَغَلَ حِينًا بِالطُّبِّ وَالْحِكْمَةِ ثُمَّ صَحِبَ التَّنصُوفَ آيْنَ سَبْعِينَ (ت ٦٦٩ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ حَجَّ وَدَخَلَ الْيَمْنَ وَقَدِمَ إِلَى الثَّامِ وَأَسْتَقَرَّ فِي دِمَشْقَ حَيْثُ تُوُفِّيَ فِي ٢٦ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٩٩ (١٣٠٠/٦/١٦ م).

٢- يبدو أن بدر الدين بن هود كان ذا اضطراب عصبي فاتّجه منذ مطلع حياته إلى سلوك الأحوال الصوفية عادة أو دعوى ونشأ عنده قلة مُبالاة بالعرف الاجتماعيّ

(١) - حتّى العرب الطارئون على المغرب تبدّلت لمجتهم لأنهم هم أيضاً جاؤوا البربر.

(٢-٣) المعنى المقصود في هذه الأبيات ملموح من استقراء الأبيات السابقة.

(٤) يسوق الصنفدي (الوافي بالوفيات ١٢: ١٥٦) نسب بدر الدين بن هود على الصورة التالية: الحسن بن عليّ أبو عليّ بن عضد الدولة أبي الحسن أخي المتوكل على الله ملك الأندلس (٦٢١-٦٣٥) أبي عبد الله أبي يوسف بن هود. ويؤقده الصلاح الكسي (وفات الوفيات ١: ١٦٣): الحسن بن عضد الدولة أبي الحسن أخي المتوكل على الله ملك الأندلس بن يوسف بن هود الجذامي. والنسبان غير واضحين. غير أن مراجعة تاريخ الوفاة لبدر الدين هذا وملك الأندلس يمكن أن يدلّ على أنّ ابن هود ملك الأندلس عمّ بدر الدين صاحب هذه الترجمة (راجع - مثلاً - زامباور ٩٣).

والدني. حَدَّثَ لَهُ زُهْدٌ مُفْرَطٌ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَصَحِبَ ذَلِكَ غَفْلَةً شَدِيدَةً فَكَانَ يُرَى كَأَنَّهُ غَارِقٌ فِي التَّفَكِيرِ مُتَّصِلُ الْحُزْنِ كَثِيرُ الْأَنْقِبَاضِ عَنِ النَّاسِ، وَشَرِبَ مَرَّةً الْخَمْرَ عَلَنًا وَلَمْ يُبَالِ بِلَوْمِ النَّاسِ فَكَانَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «وَمَا جَرَى؟ أَيْنُ هُوَ شَرِبَ خَمْرًا». وَكَثُرَ الشُّطْحُ<sup>(١)</sup> فِي كَلَامِهِ وَفِي أَعْمَالِهِ، فَكَانَ، مَثَلًا، إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَسْتَقْبَلَهَا وَصَلَّبَ عَلَى وَجْهِهِ. فَعَدَّ نَفَرٌ كَثِيرُونَ ذَلِكَ مِنْهُ خُرُوجًا عَنِ الْإِسْلَامِ. فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ الْقَاضِي بِدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَمَاعَةَ (٦٣٩ - ٧٣٣ هـ).

وبدُرُ الدين بن هودٍ شاعرٌ مُكثِّرٌ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، فِي بَعْضِ شِعْرِهِ تَلْمِيحٌ وَفِي بَعْضِهِ تَصْرِيحٌ. وَبَعْضُ شِعْرِهِ مَتِنٌ السَّبْكِ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ. وَكَانَ يَمِيلُ فِي تَصَوُّفِهِ إِلَى وَحْدَةِ الْوُجُودِ أَوْ الْإِتِّحَادِ<sup>(٢)</sup>، وَهُوَ - فِي ذَلِكَ - كَثِيرُ الشَّبهِ بِعَمْرِ بْنِ الْفَارُضِ.

### ٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ بِدْرُ الدِّينِ بْنُ هُوْدٍ الْمَرْسِيُّ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ:

فَوَادِيٍّ مِنْ مَحْبُوبِ قَلْبِي لَا يَخْلُو،	وَسِرِّي عَلَى فِكْرِي مَحَاسِنِهِ يَخْلُو <sup>(٣)</sup> .
أَلَا يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ: يَا مَنْ بَذَرَهُ	عَلَى ظَاهِرِي مِنْ بَاطِنِي شَاهِدٌ عَدْلُ <sup>(٤)</sup> ،
تَجَلَّيْتُ لِي مَنِّي عَلَيَّ فَأَصْبَحْتُ	صِفَاقِي تُنَادِي: مَا لِمَحْبُوبِنَا مِثْلُ <sup>(٥)</sup> !
أُورِّي بِذِكْرِ الْجُزَعِ عَنِّي وَبَانِهِ؛	وَلَا الْبَانُ مُطْلَوِي وَلَا قَصْدِي الرَّمْلُ <sup>(٦)</sup> .
وَأَذْكُرُ سَعْدِي فِي الْحَدِيثِ مُغَالِطًا	وَلَيْلِي؛ وَلَا لَيْلِي مُرَادِي وَلَا جُمْل.

(١) الشطح: كلام عليه رعونة (خفة وحق وخروج عن المؤلف).

(٢) مذهب الوحدة (وحدة الوجود) أو الإتحاد (في التصوف): أن يفقد التصوف شخصيته ثم تتحقق ذاته في الله فيفقد الإنسان ويبقى الله.

(٣) .... سري يجلو (يظهر) محاسن محبوبي لفكري.

(٤) على ظاهري من باطني (راجع الحاشية السابقة): سلوكي الظاهر المخالف لاعتقاد الناس توّغه (تجيزه) معرفتي الباطنة.

(٥) تجلّيت (ظهرت حقيقتك لي). لي مني علي (راجع الحاشيتين السابقتين): التصوف لا يستدلّ بالمنطق وبالبراهين الخارجية، بل بما يقع في قلبه (في نفسه) من الاقتناع الذاتي (أو الوهم).

(٦) ورى: ذكر شيئاً وهو يريد غيره. الجزع: منطفئ الرمل. البان: شجر أغصانه طوال مستقيمة سماء.



ولم أرَ في المُشَاقِّ مثلي، لأنَّني      تَلَذُّ لِيَّ البَلَوَى ويحلُّو لِيَّ العَذْلُ<sup>(١)</sup>،  
 سِوَى معشِرٍ حَلَّوْا النُّظَامَ ومَرَّقُوا النِّيبَ      يَابَ؛ فلا فَرَضٌ عليهم ولا نَفْلٌ<sup>(٢)</sup>؛  
 مَجَانِسِينَ، إِلَّا أَنَّ ذَلَّ جُنُونَهُم      عَزِيزٌ؛ على أَعْتَابِهِم يسجُدُ العقلُ<sup>(٣)</sup>!

- وله في مثل ذلك (في العزة الإلهية):

خُضْتُ الدُّجَنَةَ حتَّى لَاحَ لِي قَبْسٌ      وبَانَ بَانَ الحِمَى من ذلك القَبَسِ<sup>(٤)</sup>.  
 فَقُلْتُ للِقَوْمِ: هَذَا الرَّبُّعُ رَبُّهُمْ؛      وقلتُ للسمع: لَا تَخْلُو من الحَدَسِ<sup>(٥)</sup>.  
 وَقُلْتُ للعَيْنِ: غُضِّي عَن مَحَاسِنِهِ؛      وقلتُ للنُّطْقِ: هَذَا مَوْضِعُ الحَرَسِ!  
 - وقال بدر الدين بن هود أيضاً:

عَلِمْتُ قَوْمِي بِي جَهْلٌ      إِنَّ شَأْنِي لِأَجَـلٍ<sup>(٦)</sup>.  
 أَنَا عَبْدٌ، أَنَا رَبٌّ؛      أَنَا عِزٌّ، أَنَا ذُلٌّ<sup>(\*)</sup>.  
 أَنَا دُنْيَا، أَنَا أُخْرَى،      أَنَا بَعْضٌ، أَنَا كُلٌّ.  
 أَنَا مَشُوقٌ لِدَاقِي،      لَسْتُ عَنِّي الدَّهْرَ أَسْلُو.  
 فَوْقَ عَشْرِ دُونَ تِسْعٍ      بَيْنَ خَمْسٍ لِي مَحَلٌّ<sup>(٧)</sup>.

٤ - \*\*      الوافي بالوفيات ١٢: ١٥٦ - ١٥٩؛ فوات الوفيات ١: ١٦٢ - ١٦٣؛ العبر للذهبي  
 ٣٩٧: ٥؛ شذرات الذهب ٥: ٤٤٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٢١ (٢٠٣).

- (١) البلوى: المحنة (المصيبة الكبيرة). العذل: اللوم (بلا سوغ).
- (٢) حلَّوْا النظام: تركوا التقيد بالعرف السائد. مرَّقوا الثياب: تركوا مظاهر الأمور وعملوا بحقائقها (في ظنهم أو وهمهم). الفرض (الواجب في الدين). النفل (ما يقوم به الإنسان متطوعاً): صوم رمضان فرض على المسلم البالغ العاقل الصحيح (غير المريض). أمَّا صوم غيره من الأيام فهو نفل.
- (٣) عزيز: قوي (نفس، نادر، مرغوب فيه).
- (٤) الدُّجَنَةُ: الظلام. قبس: (شيء يؤخذ من النار) العزة الإلهية. بان: ظهر. البان: نبات أغصانه مستقيمة. الحمى: المكان الحصين. بان الحمى (مدرَك اللوْهية).
- (٥) الربع: المسكن.. الحدس (يسكون الدال): الظن، التوهم.
- (٦) أجل: أرفع، أعلى قدرًا. \* كلمة «أنا» تُرسم «أنا» ولكن تُلفظ «أَنْ» (بإسقاط «الألف»).
- (٧) البيت غير واضح (لعل المقصود: لي وجود في كل مكان).

## ابن فرح<sup>(١)</sup> الإشبيلي

١- هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح بن أحمد بن محمد بن فرح اللخمي الإشبيلي، وُلِدَ في إشبيلية سنة ٦٢٥ (١٢٢٨ م). وفي سنة ٦٤٦ (١٢٤٨ م) استولى فرديناند الثالث ملك قشتالة على إشبيلية فكان ابن فرح في الدين وقعوا في الأسر (وهو في مطلع شبابه) فاستطاع الهرب. ثم إنه رحل إلى مصر في أوائل عشر الحسين (بعيد ٦٥٠ هـ) وتفقّه فيها على العزّ (عزّ الدين عبد العزيز) بن عبد السلام (٥٧٧-٦٦٠ هـ) وسَمِعَ من شرف الدين الأنصاري الحموي وأحمد بن زين الدين وإسماعيل بن عزّوز والنجيب بن الصيقل وابن علاّق. ثم إنه انتقل (بعد مدّة) إلى دمشق فسمِعَ من ابن عبد الدائم (٥٧٥-٦٦٨ هـ). ثم كانت له في الجامع الأموي حلقة مشهورة.

وكانت وفاة ابن فرح الإشبيلي في دمشق في تاسع جُمادى الثانية من سنة ٦٩٩ (١٣٠٠/٣/٢ م).

٢- كان ابن فرح الإشبيلي من علماء الحديث ورواته ومن الفقهاء. وهو ناظم مقتدر، اشتهر بقصيدته (القصيدة الغرامية) وهي منظومة غزلية (ظاهرها غزل) في ألقاب الحديث. هذه القصيدة عشرون بيتاً جمَعَ فيها ابن فرح عدداً من أسماء الحديث. وقد كان لها شهرة، رواها عنه كثيرون وشرحها كثيرون آخرون<sup>(٢)</sup>. وله أيضاً: شرح الأربعين (حديثاً) للتّوّي.

### ٣- مختارات من شعره

من قصيدة ابن فرح الإشبيلي في ألقاب الحديث<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) فرح بسكون الراء، وقد نصّ المقري على ذلك (نفع الطيب ٢: ٥٣١).  
(٢) في نفع الطيب (٢: ٥٣١): وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب بطول تعدادهم. راجع ما طبع من هذه الشروح (بروكلمن، الملحق ١: ٦٣٥).  
(٣) جعلت كلّ لقب من ألقاب الحديث مطبوعاً بحرف غليظ. ولم أفسّر هذه الألقاب لأنها ترد هنا في =

غرامي صحيح والرجافيك مُفضِّل<sup>(١)</sup>،  
 وصبري عنكم يشهد العقل أنه  
 ولا حنَّ إلا سماعُ حديثكم  
 وأمرِي موقوفٌ عليك، وليس لي  
 ولو كان مرفوعاً إليك لَكُنْتُ لي  
 وعَذْلُ عَذولي مُنكَرٌ لا أَسِغُهُ  
 أَقْصَى زماني فيك مُتَّصِلَ الأسي  
 خُذِ الْوَجْدَ عَنِّي مُسْنِداً وَمُعْنِئاً  
 غريبٌ يُقَاسِي البُعْدَ عَنْكَ، وما له  
 فَرِيقاً بِمَقْطُوعِ الوسائلِ ما له  
 أَوْرِي بَسْغَدِي وَالرَّيَّابِ وَزَيْنَبِ،<sup>(٢)</sup>  
 وحُزْني ودمي مُطْلَقٌ وَمُسْلَلٌ.  
 ضَعِيفٌ وَمَتْرُوكٌ، وَذَلِّي أَجَلٌ.  
 مُشَافَهَةٌ يُمَلِي عَلَيَّ فَأَثْقَلُ.  
 عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ.  
 - عَلَى رُغْمِ عَذَّالِي - تَرَقُّ وَتَعْدِلُ.  
 وَزُورٌ وَتَدْلِيسٌ!! يَرُدُّ وَيَهْمَلُ.  
 وَمَنْقَطِعاً عَمَّا بِهِ أَتَوَصَّلُ.  
 فَغَيْرِي مَوْضِعُ الْهَوَى يَتَحَيَّلُ.  
 وَحَقُّ الْهَوَى عَنْ دَارِهِ مُتَحَوَّلُ.  
 إِلَيْكَ سَبِيلٌ لَا وَلَا عَنْكَ مَعْدِلُ.  
 وَأَنْتَ الَّذِي تُعْنَى وَأَنْتَ الْمُؤَمَّلُ.

٤- \*\* الوافي بالوفيات ٢ : ١٤٢ ؛ دَرَّةُ الْحِجَالِ ١ : ٣٦-٣٧ ؛ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢ :  
 ٥٢٨-٥٣١ ؛ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٥ : ٤٤٣-٤٤٤ ؛ بَرْوَكُلَهَانِ ١ : ٤٥٩ ، الملحق ١ :  
 ٦٣٥ ؛ الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ ١ : ١٨٦ (١٩٤-١٩٥) ؛ نَيْكَل ٣٦٠ .

## مالك بن المرحل

١- هو أَبُو الْحَكَمِ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفَرَجِ  
 الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمُرْحَلِّ، وُلِدَ فِي مَالِقَةَ سَنَةِ ٦٠٤ هـ (١٢٠٧-١٢٠٨ م). أَخَذَ عَنْ أَبِي  
 عَلِيٍّ الشُّلُوبِيِّ (ت ٦٤٥ هـ) وَابْنِ الدَّبَّاجِ وَقَدْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي عَدِيدٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ بَعْضُهَا  
 فِي نَوَاحِي غَرْنَاطَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَاسْكَنَ سَبْتَةَ وَتَعَاطَى فِيهَا صِنَاعَةَ التَّوْثِيقِ،

= «توريات» (المعنى اللفظي اللغوي في مقابل المعنى الفني). يطول شرحها، مع أن المقصود ليس غامضاً.  
 أما ألقاب الحديث: صحيح سلسل موقوف مرفوع ضعيف إلخ فهي موجودة في معظم القواميس.

- (١) العضل: المرض الذي عجز الأطباء عن مداواته.  
 (٢) أوري (أوهم) بعدي إلخ (إن تغزلي بهؤلاء النسوة....).

وقد آجازه في ذلك أبو القاسم بن بقي.

تقرَّب مالك بن المرحَّل من المنصور المُرِّي (٦٥٦-٦٨٥ هـ) وخصَّه بمدايحِهِ.  
وكانت وفاة مالك بن المرحَّل سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩-١٣٠٠ م) في سَنَتِهِ.

٢- كان مالك بن المرحَّل السبتي مُشاركاً في عددٍ من العلوم كاللِّفْق واللُّغة والنَّحو،  
كما كان من مشاهير الأدباء (نفع الطيب ٢: ٥٥١) كاتباً ومُترسِّلاً وشاعراً. وفنَّونُ  
شعره مديحٌ وبديعياتٌ<sup>(١)</sup> ووصفٌ وتحليلٌ مع شيءٍ من المَرَح أحياناً ومن  
التَّهكُّم في نثره وشعره. وكان له عددٌ من الآثار: ديوان شعره - كتاب  
دوبيت<sup>(٢)</sup> - أرجوزة نظَّم بها « فصيح ثعلب »<sup>(٣)</sup> - الواضحة (نظم في الفرائض: تقسيم  
الإرث) - أرجوزة في النحو - الموطَّاة - التَّبَيِّن والتبصير في نظم كتاب التيسير (عارض  
به الشاطبية)<sup>(٤)</sup> - العروض - الرَّمي بالحصى والضرب بالعصا - الوسيلة الكبرى المَرْجُو  
نفعها في الدنيا والأخرى (رتبها على حروف المعجم والتَّرَمَّ افتتاحَ أبياتها بحروف  
الرَّوي)<sup>(٥)</sup> - المُعْشَرَات النبوية (على نسق « الوسيلة الكبرى »، ولكنَّ عددَ الأبيات في  
كلِّ مقطوعة أقلَّ) - العشریات الزهدية (لآثار الثلاثة الأخيرة في مدح الرسول).

### ٣- مختارات من آثاره

- وَقَعَ في كلام ابنِ المَرْحَلِ تعبيرٌ هو « كان ماذا » فخطَّاه ابن أبي الربيع النحويُّ  
وقال: الصوابُ « ماذا كان ». فجَرَّت بين الاثنينِ مُناظراتٌ لم يَصِلْ إلينا ممَّا قاله فيها  
ابنُ أبي الربيع شيءٌ، ولكنَّ وَصَلَ إلينا بعضُ ما قاله ابنُ المرحَّل. من ذلك:  
عابَ قومٌ « كان ماذا » لِيَتَّ شِعْري لِمَ هَذَا.

(١) البديعة: قصيدة في مدح الرسول.

(٢) مثافي (مزدوجات: بيتان بيتان من الشعر) من الوزن الفارسي وعلى تقفية معينة.

(٣) هو أحد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ) من أئمة اللغة والنحو ومن رواة الشعر.

(٤) أرجوزة في القراءات للقاسم بن فيره الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ).

(٥) راجع موشحته في « مختارات من آثاره ». على حروف المعجم (على جميع أحرف الهجاء، من الألف إلى  
الياء. وكلَّ بيت في الموشحة - مجموع أشطر - يبدأ في مطلعته بحرف ثم يكون هذا الحرف قافية ذلك  
البيت في الموشحة).

وإذا عابوه جهلاً دون علمٍ، كان ماذا!

(ثم قال مالك بن المرحّل يُخاطب ابن أبي الرّبيع):

لا بُدَّ لك أن تُصْبِحَ مِنْ تَحْتِ طَبَقٍ عَلَى طَبَقٍ نِيرَانٍ<sup>(١)</sup>: كان ماذا؟ «ونادوا: يا مالِكُ، لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ! قال: إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ. لقد جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ، وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ»<sup>(٢)</sup>.

إلى كَمْ تُعَيِّدُ فِي «كان ماذا» تَعْيِيداً بَعْدَ تَعْيِيدٍ؟ لَقَدْ حَصَلَتْ مِنْهَا فِي أَمْرِ شَدِيدٍ. إلى كَمْ تُعَيِّدُ فِيهَا وَتُبْدِيءُ وَتُنْظِمُ وَتُنْشِئُ؟ غَرَّكَ احْتِمَالِي لِقَدْجِكَ وَمَرْجِكَ وَصَبْرِي عَلَى أَلَمِ جَرْحِكَ، حَتَّى قُلْتَ: «مَا جَرَحَ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ»<sup>(٣)</sup>.

انْتَهَزْتُ الْفُرْصَةَ فِي إِذَايَةِ صَبُورٍ، وَدَلَّكَ جِلْمُهُ فِي غُرُورٍ<sup>(٤)</sup> حَتَّى قُلْتَ: كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ احْتِمَالٍ حُجَّةً لَاجِيءٍ إِلَيْهَا اللَّئَامُ<sup>(٥)</sup>!

تَاللّهِ، لَوْ نُهَيْتِ الْأُولَى لِانْتَهَتْ الْآخِرَةُ<sup>(٦)</sup> وَلَمْ تَكُنِ الْفَاقِرَةُ تَتَّبِعُهَا الْفَاقِرَةُ<sup>(٧)</sup>. وَلَكِنْ أَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى وَصَبَرْتُ عَلَى الْأَذَى حَتَّى قِيلَ: لَوْ قَدَّرَ لَا تَنْصَرَّ! وَاتَّصَلَ الْأَمْرُ فَصَارَ دَيْدَنًا<sup>(٨)</sup>، فَلَا جَرَمَ أَنَّ اتَّعَقَبَ كَلَامَكَ وَأَلْفَتَ عَلَيْكَ لَامَكَ<sup>(٩)</sup> فَأَقُولُ، وَإِنَّا أَخَاطِبُ مِنْ سَمِعَ خَطَابِي وَنَظَرَ فِي كِتَابِي.

(١) الطبق (هنا): الحال. طبقاً عن طبق: حالاً بعد حال، أي إذا أنت ميتٌ (بكسر الميم) فتدخل النار (راجع القرآن الكريم ٨٤: ١٩، سورة الإسحاق).

(٢) مالك: خازن جهنم (راجع القرآن الكريم ٤٣: ٧٧-٧٨ سورة الزخرف). ليقض علينا ربك: يطلبون من الله أن يميّتهم (حتى يتخلصوا من العذاب في جهنم). ماكنون: باقون (إلى الأبد).

(٣) شطر للمتنبي.

(٤) دَلَّى الرجل شيئاً في مكان عميق (أنزله، أغرقه).

(٥) البيت للمتنبي. والرواية: .... بغير اقتدار.

(٦) لو أنك وجدت من نهاك (نصح لك) حيناً أخطأت في المرة الأولى لانتهيت في الآخرة (لما أخطأت مرة ثانية ولما عوقبت مرة بعد مرة).

(٧) الفاقرة (القرآن الكريم ٧٥: ٢٥ سورة القيامة): المصيبة الكبيرة التي تكسر فقار (جمع فقارة، بالفتح فيها): عظام سلسلة الظهر.

(٨) الديدن: العادة.

(٩) اللام: الهول، الأمر الشديد (لا بُدَّ من أن أتابع أقوالك وأردّ عليك الأذى الذي تريد أن تلحقه بي).

- لا يَن الرّحل السَّبقيّ مَوْسَحَةً بديعية (في مدح الرسول) « من غُرِرِ القصائد، وفيها لزومٌ ما لا يلزم من ترتبها على حروف المعجم يجعلها (أي يجعل حروف المعجم) بدأً وروياً على اصطلاح المغرب » (نفع الطيب ٧: ٤٥٣ وما بعد): من هذه البديعية:

أَلِفٌ: أَجَلُ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ

بُضْيَاثُهُ شَمْسُ النَّهَارِ تُضِيُّ

وَبِهِ يُؤَمَّلُ مُخَيَّنٌ وَمُسَيٌّ

فَضْلاً مِنْ اللَّهِ الْعَظِيمِ عَظِيماً. صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيماً

بَاءٌ: بَدَأَ فِي أَفْقِ مَكَّةَ كَوَكَبًا،

ثُمَّ اعْتَلَى فَجَلًّا سَاءَ الْغَيْهَا

حَتَّى أَنْارَ الدَّهْرَ مِنْهُ وَأَخْصَبَا،

إِذْ كَانَ فَيْضُ الْخَيْرِ مِنْهُ عَمِيماً. صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيماً.

ثَاءٌ: ثَوَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ حَدِيثٌ

فِي كُلِّ أَفْقٍ طَيْبُهُ مَبْنُوثٌ.

دَاعٍ بِأَنْوَاعِ الْهُدَى مَبْعُوثٌ

يَتَلَوْ نُجُوماً أَوْ يَهْزُ نُجُوماً. صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيماً.

نُونٌ: نَبِيٌّ جَاءَنَا بَيَّانٍ

وَبِمُعْجَزَاتٍ أُبْرِزَتْ لِعَيَانٍ.

وَبِحَسْبِهِ أَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

يَشْفِي قُلُوباً تَشْتَكِي وَجُوماً. صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيماً.

- وَقَالَ يَصِفُ قِصَرَ اللَّيْلِ:

وَعَشِيَّةٌ سَبَقَ الصَّبَاحُ عِشَاءَهَا قِصَراً، فَمَا أَمْسَيْتُ حَتَّى أُسْفِرَ<sup>(١)</sup>.

مَسْكِيَّةٌ لَبَسَتْ حُلَى ذَهَبِيَّةً، وَجَلَا تَبَسُّمُهَا نِقَاباً أَخْمَرَا<sup>(٢)</sup>؛

(١) أُسْفِرَ (الصباح): بدا، ظهر.

(٢) مَسْكِيَّةٌ: كلون المسك (في الواد). لَبَسَتْ حُلَى ذَهَبِيَّةً (تلمع من كثرة النجوم) وَجَلَا تَبَسُّمُهَا (أول ظهور =

وَكأنَّ شُهَبَ الرَّجَمِ بعضُ حُلِيِّها عَثَرَتْ بِهِ مِنْ سُرْعَةٍ فَتَكَسَّرَا<sup>(١)</sup>.

- وقال في الشعراء الذين يَفْتَتِحُونَ قصائِدَهُم بالغزل (مُسْتَحْصِنًا طَرِيقَتَهُمْ):

ضَلَّ الْمُحِبُّونَ إِلَّا شاعراً غَزَلًا يُطارِحُ المَذْحَ بالتَّشْيِيبِ أوطاراً<sup>(٢)</sup>،

لا يَشْتَكِي الحُبَّ إِلَّا في مَدائِحِهِ - دَعَوَى - لِيُصْنِيَ أَسْماعاً وَأُبصاراً<sup>(٣)</sup>.

كضاربِ العودِ وشيٍّ فيه تَوَشُّيَّةٌ، وبعدَ ذلك غَنَّى فيه أَشعاراً<sup>(٤)</sup>!

- وقال في النسيب (وقد جَانَسَ بين عَيْنِ حُرٍّ وساقِ حُرٍّ - وساقُ حُرٍّ ذَكَرُ القَهَّاري:

الحَمَام، وهو يُحَدِّثُ صوتاً عَذْباً لا يُدْرِي أبْكَاءُ هو أمْ غناء):

رُبَّ رَبْعٍ وَقَفْتُ فِيهِ وَعَهْدٍ لَمْ أَجاوِزُهُ والركائبُ تَسْرِي

أَسْأَلُ الدَّارَ - وهي قَفْرٌ خِلاءٌ - عن حبيبٍ قد حَلَّها مِنْذُ دَهرٍ،

حيثُ لا مُنْعِدٌ على الوَجْدِ إِلَّا عَيْنُ حُرٍّ تَجوَدُ أو ساقُ حُرٍّ<sup>(٥)</sup>!

- ٤ - ★★ بغية الوعاة ٣٨٤؛ نفح الطيب ٤: ١٤٥ (مسألة «كان ماذا») ٧: ٤٥٣ - ٤٥٩؛  
أزهار الرياض، راجع ١: ٣٢؛ الأدب المغربي لتاويت ٢٢١ - ٢٢٥؛ النبوغ المغربي  
لكون ٢٢٥ - ٢٢٦، ٣٩٩ - ٤١٥، ٧٢٥ - ٧٢٧، ٩١٢ - ٩١٧؛ بروكلمن ١:  
٣٢٣ - ٣٢٤، الملحق ١: ٤٨٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٦: ١٣٨ (٥: ٢٦٣، ٧:  
٢٠١ - ٢٠٢).

= (الفجر) نقاباً أحر (اللون الأحمر على الأفق الشرقي قبل طلوع الشمس).

(١) شهب (نجوم الرجم): النيازك: (قطع من الحجارة تنفلت من مدارات الكواكب فتجذب نحو الأرض، فإذا حُرَّتْ في جَوِّ الأرض اشتعلت من احتكاكها بالهواء).

(٢) التشبيب: الغزل. أوطار جمع وطر: غاية، مقصد (بكسر الصاد). - يطارح المدح (يجعل المدح): يبدأ قصائده بالغزل.

(٣) - هو غير محبٍّ، ولكنه يشكو الحبِّ في شعره ليتميل الأسماع لسماع مديحه التالي.

(٤) من عادة العوَاد (ضارب العود) أن يبدأ بتقسيم (عزف يسير، قليل) قبل أن يبدأ هو بالغناء. الركائب جمع ركوبة (بالفتح): دابة معدة للركوب. تسري: تير في الليل.

(٥) المسعد (المعين، المشارك). الوجد (ألم الحب). عين حُرٍّ (رجل حُرٍّ يكيي مذكٍ فيخفف شيئاً من مصيبتك) أو ساق حُرٍّ (طير يغني فينسبك غناؤه العذب بعض أملك).

## يحيى بن عليّ اليفرنيّ

١- هو أبو زكريّا يحيى بنُ عليّ بنِ سُلطانِ اليفرنيّ، يبدو أنّ أصله من المغرب الأقصى<sup>(١)</sup>. وُلِدَ يحيى بنُ عليّ سنّة ٦٤١ للهجرة (١٢٤٣ - ١٢٤٤ م). وكان يُقرئ العربية (النحو) في تُونسَ فَخَرَجَ به نُخْبَةٌ من نُجباءِ تُونسَ حتّى أَصبحَ له فيها صيتٌ عظيم. وكانت وفاته سنّة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ - ١٣٠١ م).

٢- كان يحيى بنُ عليّ اليفرنيّ عالماً بالقراءة والتفسير والفقه والنحو والأدب، ولكنّ براعته كانت في النحو وحده فكان يُلقَّبُ في المشرق «جَبَلَ النَحْوِ». واليفرنيّ هذا يعدُّ نفسه من المجتهدين في الفقه فلا يُجيزُ مثلاً نِكَاحَ الكُتاتِ<sup>(٢)</sup>. وهو أيضاً شاعر رقيقٌ مُحِينٌ.

### ٣- مختارات من شعره

- قال يحيى بن عليّ اليفرنيّ في الغَزَلِ:

ماذا على الغُصْنِ الميَّاسِ لو عَطَفَا	على صُباية صَبٍّ حالفَ الدَّنَفَا <sup>(٣)</sup> ؟
يا رَحمةَ لِفؤادي مِنْ مُعَذِّبِهِ،	كَمْ ذا يُحْمَلُهُ أَنْ يَحْمِلَ الكَلْفَا <sup>(٤)</sup> !
ويا رعى الله داراً ظَلَّ يَجْمَعُنَا	في ظِلِّ عيشٍ صفا مِنْ صَيِّبِهِ وضفاً <sup>(٥)</sup> .
مودَّةً يَبْنِنا في الحُبِّ كاملةٌ	ونحنَ لا نَعْرِفُ الإِعْراضَ والصِّلْفَا <sup>(٦)</sup> .

٤- ★★ بغية الوعاة ٤١٢؛ نفح الطيب ٤: ١٤٦ - ١٤٧.

- 
- (١) يفرن، يفران، ايفران في المغرب الأقصى.  
(٢) الكتاتية: المرأة من أهل الكتاب كاليهود والنصارى: وهذا رأى الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، ولكن معظم فقهاء المسلمين يميزون ذلك.  
(٣) الصباية (بضم الصاد): بقية الحياة. الصبّ: الحبّ. الدنف: اشتداد المرض والإشراف منه على الموت.  
(٤) الكلف: الولوج بالشئ، احتال الأمر بشقة.  
(٥) دار مؤنثة، وقد تذكر (القاموس ٢: ٣١). الصيب: ما يصيب الإنسان من سهم أو نحوه. صفا من صيبه (لم يكن فيه ما يسيء!) ضفا: فاض.  
(٦) الصلف: التكبر. وفي رواية: ضفا من طيبه وصفا (وهو أقرب إلى المعنى المراد).



## ابن عبد النور المالقي

١- هو أبو جعفر أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد المالقي، وُلِدَ في مالقة في رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٣٠ (مطلع الصيف عام ١٢٣٣ م).

يبدو أن ابن عبد النور قد استفاد أكثر علومه من المُطالعة، إذ لم يكن له اعتناء بِلِقَاءِ الشيوخ، ولكن أخذ في بلده القراءة عن الخطيب أبي الحسن الحجاج بن أبي رِيحانة الربلي (ت ٦٧٢ هـ) وقرأ أشياء من الجزولية في النحو<sup>(١)</sup> على محمد بن يحيى بن مُفرج المالقي (ت ٦٥٧ هـ).

وَرَحَلَ ابن عبد النور المالقي إلى المغرب ونَزَلَ في سَبْتَةِ حِيناً. ثم إنه عاد إلى الأندلس وجلس لإِقراء القرآن الكريم في وادي آش والمريّة وبرجة وغرناطة. وقد تولى القضاء حيناً آخر نيابة لا أصالة.

وكانت وفاة ابن عبد النور المالقي في ٢٧ من ربيع الثاني من سَنَةِ ٧٠٢ (١٦/١٢/١٣٠٣ م) في المريّة.

٢- كان ابن عبد النور المالقي قَبِيّاً على العربية (النحو) - إذ كانت العربية جُلّ بضاعته - كما كانت له مُشاركة في المنطق والعروض وقَرَضَ الشعر وفي فروع الفقه. وشِعْرُهُ وَسَطٌ، ولم يكن يَقْصِدُ قولَ الشعر، بل كان يقول ما يخطرُ في بالهِ حيناً بعد حين.

وكان له تصانيف منها كتاب رَصَفَ المعاني ثم كتاب البَسْمَلَة (بسم الله الرحمن الرحيم) والتَّصْلِيَة (الصلاة على الرسول). وله كتاب في شَرْحِ «الكوامل» لأبي موسى الجزولي<sup>(٢)</sup>، وله كتاب شَرَحَ فيه «مُغْرِب» أبي عبد الله بن هشام الفهري الشواش (لم يُتِمَّهُ). ثم له جزء (كتاب صغير) في العروض وجزء في شواذّ العروض. ثم شرح على كتاب الجَمَلِ الكُبرى لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٢٧ هـ) وإملاء على كتاب المُقَرَّبِ

(١) راجع الحاشية التالية.

(٢) هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن بلبلخت الجزولي (ت ٦٠٧ هـ) من علماء العربية (راجع ٥:

٥٩٣-٥٩٤).

لأَبْنِ عُصْفُورٍ، وَسَوَى ذَلِكَ قَلِيلٌ.

وكتابُ «رِصْفِ الْمَبَانِي فِي حُرُوفِ الْمَعَانِي»، وَهِيَ (فِي هَذَا الْكِتَابِ) خَمْسَةٌ وَتِسْعُونَ حَرْفًا مِنْهَا ثَلَاثَةٌ عَشَرَ مُفْرَدَةً (حَرْفٌ وَاحِدٌ، نَحْوُ: الْهَمْزَةُ، الْبَاءُ وَالتَّاءُ وَالْكَافُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ وَالسِّينُ وَالْوَاوُ، الْخ) ثُمَّ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ مَرْكَبَةً (أَكْثَرُ مِنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ، نَحْوُ: كَي، لَا، لَمْ، لَمَّا، لَيْسَ، كَأَنَّ، لَوْ مَا، مِنْذُ، مَعَ، نَعَمْ، عَلَى، فِي، هَلْ، الْخ). ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَحْرَفَ - سِوَاهُ مِنْهَا مَا كَانَ مُفْرَدًا أَوْ كَانَ مَرْكَبًا - تَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: عَامِلَةٌ (تَوْثُرُ فِي الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَيْهَا فَتَجْرُّهَا أَوْ تَنْصِبُهَا إِلَيْهَا) أَوْ غَيْرَ عَامِلَةٍ (لَا تَوْثُرُ فِيهَا يَلِيهَا: لَا تُبَدِّلُ إِعْرَابَهُ).

### ٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ شِعْرِ ابْنِ عَبْدِ النُّورِ أَيْيَاتٌ فِي الْغَزَلِ (لَعَلَّ فِيهَا اتِّجَاهًا صُوفِيًّا):

مَحَاسِنُ مَنْ أَهْوَى يَضِيقُ لَهَا الشَّرْحُ،	لَهُ الْهِمَّةُ الْعَلِيَاءُ وَالْخُلُقُ السَّنَحُ.
لَهُ بَهْجَةٌ يَغْشَى الْبَصَائِرَ نُورُهَا،	وَتَغْشَى بِهَا الْأَبْصَارُ إِنْ غَلَسَ الصُّبْحُ <sup>(١)</sup> .
إِذَا مَا رَنَا فَالْلَحْظُ سَهْمٌ مُفَوَّقٌ،	وَفِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْ إِيصَابِهِ جُرْحُ <sup>(٢)</sup> .
إِذَا مَا آتَنَى زَهْوًا وَوَلَّى تَبَخُّرًا	يَقَارُ لَذَاكَ الْقَدَّ مِنْ لَيْنِهِ الرُّمَحُ <sup>(٣)</sup> .
وَإِنْ تَفَحَّتْ أَزْهَارُهُ عِنْدَ رَوْضَةٍ	فِيُخْجِلُ رِيًّا زَهْرُهَا ذَلِكَ النَّفْعُ <sup>(٤)</sup> .
هُوَ الزَّمَنُ الْمَأْمُولُ عِنْدَ ابْتِهَاجِهِ:	فَلَمَتُّهُ لَيْلٌ وَغُرَّتُهُ صُبْحُ <sup>(٥)</sup> .

- (١) بهجة: حسن ونضارة. يغشى: يغطي. البصائر جمع بصيرة: قوة الإدراك والفتنة. تغشى: تضعف، تعجز (بكسر الجيم) عن النظر. غلس (ليست في القاموس)، المقصود «غبس» (بفتح فكسر): أظلم.
- (٢) رنا: أدام النظر. مفوق: له فوق (بالضم): شبه زاوية حادة في أسفله ليثبت في وتر القوس عند الرمي. والشاعر يقصد «سهماً مدداً» (بصيب الهدف).
- (٣) الزهو: العجب (بالضم) بالنفس. التبختر: المشي بحال حسنة فيها هدوء واختيال (إعجاب بالنفس). - الرمح الجيد يكون فيه لين (ينحني ولا ينكسر).
- (٤) نفع الزهر: انتشرت رائحته.
- (٥) عند ابتهاجه (عند ابتهاج الزمن): أزدهاره وأمنه وصفائه. اللَّمَّة (بالكسر): شعر الرأس الجاور للأذن. لَمَتَهُ لَيْلٌ (شديدة السواد): كناية عن الشباب. وغرته (جبهته، أعلى وجهه) صبح (بيضاء): كناية عن الوجاهة في الناس.

لقد خامرت نفسي مُدَامَةً حُبِّهِ، قَلْبِي من سُكْرِ المَدَامَةِ لا يَضْحُو<sup>(١)</sup>.  
وقد هام قلبي في هواهُ، فَبَرَحْتُ بِأَسْرَارِهِ عَيْنٌ لِمَدَمَعِهَا سَخٌ<sup>(٢)</sup>.

- من مقدّمة كتاب «رصف المباني في حروف المعاني»:

الحمدُ لله مُدَبِّرُ الأشياءِ ومُحْكِمُهَا ومُقَدِّرُ النِّجَحِ ومُصَيِّمُهَا....<sup>(٣)</sup>، ومُعَلِّمُهَا،  
ومُخَصِّصِ عَرَبِيَّتِهَا بأَفْضَلِ الأَمْرِ وأَكْرَمِهَا، الذي جَعَلَ الكلامَ خَصِيصَةً البَشَرِ،  
وأَظْهَرَ بِهَا نَظَرَ الناظِرِ وَعِبْرَةَ الْمُتَعَبِّرِ (ثمَّ) ضَمَّنَهُ من المعاني الجمّةِ وَفَضَائِلِ الحِكْمَةِ ما لا  
يَصِلُ إِلَيْهِ فَهْمُ أُمَّةٍ ولا يُهْتَدَى إلى بعضه إِلَّا بَعْدَ أُمَّةٍ<sup>(٤)</sup>.....

وبعدُ، فَإِنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ لَمَّا كَانَ أَشْرَفَ الأَلْسِنَةِ وَشَتْنَةً<sup>(٥)</sup> اتِّبَاعِ<sup>(٦)</sup> فَهْمُهُ أَحْسَنَ  
شَتْنَةٍ، إِذْ مِنْهُ يُتَوَصَّلُ إِلَى مَقَاصِدِ الشَّرْعِ فِي أَحْكَامِهِ وَأَغْرَاضِ قَوَاعِدِ الْعِلْمِ وَأَعْلَامِهِ،  
وكان مُقَسِّمًا إِلَى تَقْسِيمِهِ المَعْرُوفِ - من الأَسْمَاءِ والأَفْعَالِ والحُرُوفِ - وكانت الحُرُوفُ  
أَكْثَرُ دَوْرًا، ومعاني مُعْظَمِهَا أَشَدَّ غَوْرًا<sup>(٧)</sup>، وتركيبُ أَكْثَرِ الكلامِ عَلَيْهَا وَرُجُوعُهُ فِي  
قَوَاعِدِهِ إِلَيْهَا، أَقْتَضَى ما خَطَرَ من النَظَرِ أَنْ أُنَجِّثَ عَنْ مَعَانِيهَا وَأُطَالَعَ غَرَضَ  
الوَاضِعِينَ فِيهَا. فَوَحَدْتُ مِنْهُمْ مَنْ أَغْفَلَ بَعْضُهَا وَأَهْمَلَ، وَمَنْ تَسَامَحَ فِي الشَّرْحِ وَتَسَهَّلَ،  
وَمَنْ أَخْتَصَرَ مِنْهَا (أو) أَسْهَبَ، وَمَنْ رَكَّبَ البَسيطَ وبَسَطَ المُركَّبَ، وَمَنْ شَتَّتَ أَلْفَاظَهَا  
وَعَدَّدَ، وَأَطَالَ الكلامَ لغير فائِدةٍ وَرَدَّدَ.

فَدَعَانِي الغَرَضُ الخاطِرُ والرَفِيقُ العابرُ<sup>(٧)</sup> (إِلَى) أَنْ أُؤَلِّفَ فِيهَا كِتَابًا يَشْتَمِلُ عَلَى

(١) خامر: خالط. المدامة: الخمر المطبوخة بالنار (وتكون شديدة الإسكار).

(٢) هام: سار على غير هدى. برح به الحب: آذاه وأضر به، وجعله عاجزاً (عن كتمان سره). السخ: الكثير السيلان.

(٣) المحكم: المتقن. المنحة (بالكسر): العطية.

(٤) يصل إليه فهم أُمَّة (عبد كبير من الناس). بعد أُمَّة (بعد مدّة طويلة من الزمن).

(٥) الشتنّة: العادة الغالبة على الإنسان. اللهجة النازلة عن اللغة الفصحى (٤).

(٦) أكثر دوراً (دَوْرَاناً على الألسنة): أكثر استعمالاً في الكلام. أشدّ (أبعد) غوراً (عمقاً): غير واضحة المعاني (في استعمال الناس).

(٧) الخاطر: الذي يبدو فجأة. العابر: المارّ اتِّفَاقاً (هو يقصد أن تأليف كتابه لم يكن عن قصد).

شرحها وإيضاح ما خفي من برحها<sup>(١)</sup> لِيَسْتَفِي صدر الناظر فيه على المأمول ويُفيده - إن شاء الله - إن أخذه بالقبول.

وسميته «رصف المباني في شرح حروف المعاني» ليكون اسمه وفق معناه ولفظه مترجماً عن فحواه. ونظمته على ترتيب حروف المعجم ليكون في التأليف أنبل وعلى قفهمه أسهل. وذكرت..... منها على ما هو عليه في النطق من حرف واحد وأزيد حتى انتهيت إلى آخر حرف فيه. وعلى الترتيب المذكور اتبعت أول حرف منه - إذا كان مركباً - ما يليه من ذلك الترتيب. وما كان ناقصاً (من حروف المعجم وما كان) مركباً.....<sup>(٢)</sup>

وبينت ذلك كله مجملًا ومفصلاً على ما.....<sup>(٣)</sup> الجهد وحل على بسطه وتقصي موارده الجد. وأنهيت في ذلك.....<sup>(٤)</sup> لتكون للكتاب الزينة على ما سواه. وإننا الأعمال بالنيات، ولكل أمرى ما نواه<sup>(٥)</sup>. والله عز وجل أسترشد إلى ما يُرشد، وأستعزِد فيما أقصد. فما المَفْرَعُ<sup>(٦)</sup> إلا إليه، وما التوكّل إلا عليه: إليه أفزع وعليه أتوكّل، هو حسي ونعم الوكيل.

- من متن كتاب «رصف المباني في شرح حروف المعاني» (ص ٣١٠ - ٣١١):  
أعلم أن «ما»، في كلام العرب، لفظٌ مُشْتَرِكٌ يَقَعُ تارةً اسماً وتارةً حرفاً، وذلك بحسبِ عَوْدِ الضمير عليه وعدم عَوْدِهِ (بحسبِ قرينة الكلام. وحظنا من القسمين الحرفية<sup>(٧)</sup>) وهي التي يكون معناها في غيرها. ولها في الكلام ثلاثة مواضع:  
الموضع الأول أن تكون حرف نفي. وتنقسم لهذا المعنى قسمين: قسم<sup>(٨)</sup> يدخل

(١) البرح: التعب والأذى.

(٢) (٤٠٣ و٤٠٤). بياض في الأصل (اقرأ: وسعني - السعي، العمل (أي حاولت الوصول إلى نهايته وقامه).

(٥) تضمن من حديث لرسول الله «إننا الأعمال بالنيات، وإننا لكل أمرى ما نوى. فمن كانت هجرته لله ورسوله (في سبيل الله وطاعة لرسول الله)، فحجرتة لله ورسوله...».

(٦) المَفْرَعُ: اللجأ.

(٧) وقصدنا من البحث في «ما» على أنه حرف (حرف نفي، حرف استفهام) لا على أنها اسم موصول بمعنى الذي.

(٨) الأصح أن يقال «قسماً» (بدل من قسم).

على المبتدأ والخبر، وقسم لا يدخلُ عليهما.

فالقسم الذي يدخل على المبتدأ والخبر للعرب فيه مذهبُ أهل الحجاز ونجد (وذلك) أن يُجروها مجرى «ليس» فيرفعوا بها المبتدأ اسماً لها وَيَنْصِبُوا خَبْرَهُ خبراً لها، فيقولوا: «ما زيدٌ قائماً، وما عبدُ الله راكباً». وذلك تشبيهاً لها بـ«ليس»، إذ «ليس» هي للنفي مثلها، وداخلَةٌ على المبتدأ والخبر مثلها ونفي الحال<sup>(١)</sup>. وزاد بعضهم: وتدخلُ الباءُ في الخبر كما تدخل في خبر «ليس»، فتقول: «ما زيدٌ بقائمٍ» كما تقول: «ليس زيدٌ بقائمٍ».

إلا أنهم لا يُعملونها عملَها إلا بثلاثة شروط: الأول ألا يدخل على الخبر «إلا» فيصيرُ موجباً فيَنْقُضَ النفي من جهة النفي<sup>(٢)</sup> إذا دخلت، فيرتفع ما بعدها على المبتدأ والخبر. والثاني ألا يتقدّم الخبرُ على الاسم، فإن تقدّم ارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر لأنها حرفٌ ضعيف لا يقوى قوّة «ليس»، إذ هي فعلٌ على ما ذكر في بابها. وعمل «ما» بحقّ الشبه، كما ذكر<sup>(٣)</sup>. والثالث ألا تدخلَ عليها «إن» الزائدة لشيئها بالنافية<sup>(٤)</sup>، فكأنه دخل نفيٌّ على نفيٍ فصارَ إيجاباً، فتقول: «ما زيدٌ إلا قائمٌ، وما قائمٌ إلا أنت»، وما إن زيدٌ قائمٌ. قال الله تعالى: ﴿ما هذا بشراً﴾<sup>(٥)</sup>، فهذا اجتمعت فيه الشروط. وقال تعالى: ﴿ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا﴾<sup>(٦)</sup>. وقال الشاعر:

فما إن طِينُنا جُبْنٌ، ولكن منايانا ودَوْلَةُ آخِرِنا<sup>(٧)</sup>.

(١) نفي الحال (إذا قلنا: ليس زيد مريضاً، فمعنى ذلك أنه الآن ليس مريضاً).

(٢) ينتقض (ينطل) النفي من جهة النفي (إنّ النفي الثاني يطل النفي الأول، فتصبح الجملة مثبتة).

(٣) يقال «ما» المشبهة بـ«ليس».

(٤) إنّ «إن» (بـ«كسر فسكون»): حرف نفي يشبه «ما» (إن أنت إلا تلميذ = ما أنت إلا تلميذ = أنت تلميذ).

(٥) القرآن الكريم (١٢: ٣١، سورة يوسف).

(٦) القرآن الكريم (٣٦: ١٥، سورة يس).

(٧) الشعر لفروة بن مسيك، وهو شاعر من الصحابة، توفي ٣٠ هـ. والطبّ (بالكسر): الثأن، العادة المعروفة عنّا. يقول فروة هذا البيت من مقطوعة يمتدح فيها عن انهزام قومه في إحدى المعارك (راجع تاج العروس - الكويت ٣: ٢٥٩، ابن الأثير ٢: ٢٩٥ - ٢٩٧).

- ٤- رصف المباني في شرح حروف المعاني (تحقيق أحمد محمد الخراط)، دمشق (منشورات مجمع اللغة العربي بدمشق) ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م.  
 ★ الإحاطة ١: ٢٠٣ - ٢٠٩؛ بغية الوعاة ١٤٣ - ١٤٤.

## ابن عبد الملك المراكشي

١- هو الشيخ (نفح الطيب ٥: ٦٠٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد (المرقبة العليا ١٣٠) بن عبد الملك الأوسى الأنصارى المراكشي، من أهل مراكش، وُلِدَ في رابع عشر ذي الحجة من سنة ٦٣٤ (١٢٣٧/٧/٩ م) في الأغلب.

روى عن أبي الحسن علي بن محمد الرعيني وأبي عبد الله محمد بن علي بن هشام وأبي الوليد بن عفير. وأجاز له ابن الزبير (ت ٧٠٨ هـ) صاحب صلة الصلة.

وكان في أيام شبابه قد أراد أن يرحل إلى الأندلس فلما وصل إلى جنوبيها تجوّل فيه ثلاثة أيام ثم عاد إلى المغرب. وقد تولى قضاء مراكش مدة ثم أخرج عنه بوشاية من رجل كان ابن عبد الملك عنيفاً في معاملته. أمّا وفاته فكانت في أواخر المحرم من سنة ٧٠٣ (أواسط تموز - يوليو ١٣٠٣ م) في تلمسان.

٢- كان ابن عبد الملك المراكشي عارفاً بعدد من فنون المعرفة: في الحديث والفقه والتاريخ واللغة والنحو والشعر، كما كان ناثراً وناظراً. وشعره عادي جداً. ثم إنه كان مُصنّفاً له: كتاب (في الأحكام)<sup>(١)</sup> جمّع فيه بين كتاب أبي الحسن علي بن محمد بن القطان الفاسي (ت ٦٢٨ هـ) وكتاب ابن المواق المراكشي. أمّا شهرته فترجع إلى كتابه «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة»<sup>(٢)</sup>، وهو (أي الذيل والتكملة) قاموس عام لرجال الأندلس منذ الفتح إلى آخر القرن السابع للهجرة (ولم يُتِمَّه لانتساع نطاقه).

(١) لعبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي المعروف بابن الخراط (٥١٠ - ٥٨١ هـ) كتاب في «الأحكام» (الأحكام الشرعية المستقاة من الحديث) صنع منه ثلاث نسخ: كبرى ووسطى وصغرى. وقد ألف ابن القطان في الرد على عبد الحق كتاباً عنوانه: كتاب الوهم والايهام الواقفين في كتاب الأحكام (لعبد الحق الإشبيلي).

(٢) الموصول في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ). والصلة لابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ).

### ٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة « الذيل والتكملة »:

.... قال عبدُ الله<sup>(١)</sup> المُوَلِّدُ رُحْمَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ أَمَدَهُ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ وجعله من طائفة الحقِّ وفريقه: الحمدُ لله الذي أَعْلَى مَعَالِمَ الْعِلْمِ بِأَعْلَامِهِ، وَأَحْلَى مَوَارِدَ الْفَهْمِ لِأُولَى أَحْلَامِهِ<sup>(٢)</sup>، وَيَسَّرَ كُلًّا مِنْهُمْ بِهِ لَهَا يَسْرَ لَهُ مِنْ أَقْسَامِهِ، وَأَلْهَمَهُ إِلَى التَّمَسُّكِ بِأَسْبَابِ سَعَادَتِهِ فَسَعَدَ بِإِلْهَامِهِ، وَأَتَّسَمَ بِمَا بِهِ ارْتَسَمَ مِنَ الْإِتِّظَامِ فِي سِلْكِ حِزْبِهِ فَأَفْلَحَ بِأَتَّسَامِهِ وَارْتَسَامِهِ وَاتِّظَامِهِ<sup>(٣)</sup>، وَصَرَفَ إِلَيْهِ دَوَاعِيَ شَفَقِهِ بِهِ وَغَرَامِهِ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ مُتَوَالِي أَهْتِبَالِهِ وَأَهْتَامِهِ<sup>(٤)</sup>، فَمِنْهُمْ مَنْ أَلْتَمَسَهُ بِمُسْتَقَرِّهِ مُعْمِلًا صِدْقَ جِدِّهِ وَتَصَمِيمَ اعْتِزَامِهِ<sup>(٥)</sup>.....

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَصَدْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَى تَذْيِيلِ صِلَةٍ لِرَاوِيَةِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بَشْكُوَالٍ تَارِيخِ الْحَافِظِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ الْفَرَضِيِّ<sup>(٦)</sup>، رَحِمَهُمَا اللَّهُ، فِي عِلْمَاءِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالطَّارِئِينَ<sup>(٧)</sup> عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِهِمْ، بِذِكْرِ مَنْ أَتَى بَعْدَهُ مِنْهُمْ، وَتَكْمِيلِهَا بِمَنْ كَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَذْكُرَاهُ فَأَغْفَلَاهُ. وَقَبْلَ الشُّرُوعِ فِي إِيرَادِ مَا قَصَدْتُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ مُقَدِّمَةِ تُطْلِعُ عَلَى وَجْهِ الْعَمَلِ الَّذِي اعْتَمَدْتُهُ، وَتُرْشِدُ إِلَى الْمَسْلَكِ الَّذِي فِيهِ سَلَكَتُهُ سَائِلًا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ (وَتَعَالَى التَّوْفِيقُ) وَالصَّوَابَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَإِنْجَادًا عَلَى مَا يَعْصِمُ مِنْ مُوَاقَعَةِ الْخَطَأِ وَالْخَطَلِ<sup>(٨)</sup> (فَإِنَّهُ لَا) مَأْمُولَ إِلَّا خَيْرُهُ، فَأَقُولُ:

(١) عبد الله، هنا، صفة وليس اسماً، إذ نقول: قال عبد الله محمد بن مالك، أو هذا كتاب من عبد الله عبد الملك بن مروان...

(٢) المراكشي مولع هنا بالجناس: أعلى معالِم العلم بأعلامه - أحلى موارِد.... بأحلامه. المورد: المكان يشرب منه الناس. الأحلام جمع حلم (بالكسر): العقل والتروّي في الأمور.

(٣) الاتِّسَام (الاتِّصاف) والأَرْتَسَام (العمل بمقتضى منهج معين) والائْتِظَام (الانتساب إلى فريق معلوم يعمل بمصلحته).

(٤) الشَّفَق: شدّة الحبّ. متوالٍ: متتابع، مستمرّ. الأَهْتِبَال: أتتاهز الفرصة.

(٥) صَمَمَ: عزم على الأمر ومضى فيه بثبات.

(٦) في ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) وابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) راجع ٥: ٤٥٦ و ٤: ٣٣٧.

(٧) الطارئ: الآتي إلى المكان من خارجه للزيارة أو الاستقرار.

(٨) أُنْجِدَ فُلَانٌ فُلَانًا: ساعده، أعانه. عصم: حمى (أبعد عنه الأخطاء). الخطل: فساد العقل وسوء الحكم على الأمور.

إِنَّ الحَافِظَ أَبَا الوَلِيدِ، رَحِمَهُ اللهُ رَتَّبَ أَبْوَابَ كِتَابِهِ عَلَى تَوَالِي حُرُوفِ الْمُعْجَمِ المعروفِ بِيَلَادِ المَشْرِقِ، فَعَلَّ أَبِي عَبْدِ اللهِ البُخَارِيُّ<sup>(١)</sup>..... (هنا أسماءُ مؤلِّفين) وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ التَّرْتِيبِ أَبُو القَاسِمِ بْنُ بَشْكَوَالٍ فِي صِلَتِهِ تَارِيخَهُ، وَقَدْ فَرَّغَ مِنْ كِتَابَيْهِمَا حَرْفُ الظَّاءِ<sup>(٢)</sup>. وَخَالَفَهُمْ فِي تَرْتِيبِ الحُرُوفِ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ الأَبَّارِ<sup>(٣)</sup> - وَهُوَ أَنْبَلُ تَابِعِيهِ<sup>(٤)</sup> - وَأَبُو العَبَّاسِ بْنُ فَرْتُونَ<sup>(٥)</sup> (الوافي ١٣٥: ٧ - وَكِتَابُهُ الذَّيْلُ عَلَى الصَّلَةِ لِابْنِ بَشْكَوَالٍ مَفْقُودٌ) وَمُصْلِحُ كِتَابِهِ وَمُكَمِّلُهُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ<sup>(٦)</sup> فَرَتَّبُوا أَبْوَابَ كُتُبِهِمْ عَلَى نَسْقِ الحُرُوفِ المعروفِ بِيَلَادِ المَغْرِبِ، وَهُوَ مُتَّفِقٌ (مَعَ) التَّرْتِيبِ المَشْرِقِيِّ إِلَى الزَّايِ، وَبَعْدَهُ عِنْدَ أَهْلِ المَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ طَظْكَ لِمَنْ صَضْعُ غُفَقُ سَشْ هُ وَي.

وَجَعَلَ ابْنُ الفَرَضِيِّ وَأَبْنُ بَشْكَوَالٍ الأَسْمَاءَ فِي الأَبْوَابِ عَلَى طَبَقَاتِ المَذْكُورِينَ فِيهَا فَقَدَّمَا الأَسْبِقَ فِي الوجودِ فَالأَسْبِقَ، وَعَقَّبَا كُلَّ أَسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الأَنْدَلِيسِيِّينَ بَيْنَ وَجْدُوهِ مِنْ مُوَافِقِهِ مِنَ الغُرَبَاءِ - وَهُمْ فِي مُصْطَلَحَيْهِمَا الطَّارِئُونَ عَلَى الأَنْدَلُسِ مِنْ غَيْرِهَا، سِوَاهُ أَكَانَ أَصْلُهُمْ مِنْهَا أَوْ مِنْ غَيْرِهَا - إِنْ وَجَدَا لَهُ فِي الغُرَبَاءِ سَمِيًّا، وَجَعَلَا الأَسْمَاءَ فِي كُلِّ بَابٍ عَلَى حَسَبِ الأَكْثَرِ والأَشْهَرِ فَالأَشْهَرِ<sup>(٧)</sup>، وَخَتَمَا كُلَّ حَرْفٍ بِذِكْرِ مَفَارِيدِهِ (آخِرُ ص ٩)

(١) البخاري (ت ٢٥٦ هـ) له «الجامع الصحيح» في أحاديث رسول الله، وله «التاريخ الصغير» في رجال الحديث ثم «الضعفاء الصغير» في رواية الحديث... فعل... البخاري (أي كما فعل البخاري في ترتيب أسماء الرجال في كتابيه الأخيرين).

(٢) فرغ من كتابيهما حرف الظاء (لم يرد في كتابيهما ذكر رجل يبدأ اسمه بالظاء المعجمة).

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) له كتاب «التكملة لكتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ومشاهيرهم» لابن بشكوال.

(٤) أنبل: أبرز، أشهر (أفضل) تابعيه (الذين فعلوا في التأليف كما فعل ابن بشكوال في سرد تراجم الرجال).

(٥) أحمد بن يوسف بن فرتون (ت ٦٦٠ هـ) من المؤرخين، له كتاب الذيل على الصلة (على كتاب الصلة لابن بشكوال).

(٦) أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ)، له صلة الصلة (... كتاب الصلة لابن بشكوال).

(٧) الأسبق فالأسبق والأشهر فالأشهر (... لا يجعلون ورود الأسماء في كتبهم على ترتيب حروف الهجاء، بل على مقدار الشهرة عند الناس. مثال ذلك: يأتي اسم «حسن ثم حسين» قبل اسم حاتم (يفتح التاء) أو حباب (بالضم)، وإن كانت الألف والباء تأتيان في حروف الهجاء قبل السين. ثم يأتي عندهم مَنْ اسمه =



الأسماء الموجودة فيه<sup>(١)</sup> بتقديم الأندلسيين وتأخير الغرباء إن وجداهم. وكذلك فعل أبو عبد الله بن الأبار وأبو جعفر بن الزبير - فيما وقفت عليه من تاريخها ..  
فأثرت ترتيب كتابي هذا بأن وضعت أبوابه على ترتيب حروف المعجم المشرقي لصحة اعتباره<sup>(٢)</sup>.....

وبدأت في حرف الهمزة بمن أسمه أحد، وفي حرف الميم بمن أسمه محمد، تبركاً بموافقة أسمي النبي صلى الله عليه وسلم. وقد تقدم البخاري إلى تصدير تاريخه بذكر من أسمه محمد، لما ذكر أوله سيد البشر نبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه إذ كان أشهر أسمائه. وجعل - بعد الفراغ من ذكر من أسمه محمد - حرف الهمزة مبتدئاً فيه بمن أسمه أحد، فسد بتوالي الاسمين المباركين في صدر كتابه من غير فصل بينهما، وجعل سائر الاسمين باسم أوله ميم في حرف الميم.... وقدمت في باب العين من أسمه عبد الله وعبد الرحمن لأنها أحب الأسماء إلى الله. ووسطت بينهما من أسمه عبيد الله لشرف الإضافة<sup>(٣)</sup> (آخر ص ١٨) وأتليت<sup>(٤)</sup> من أسمه عبد الرحمن من أسمه عبد الرحيم لأشتراكهما في الاشتقاق من الرحمة ولتلازمهما في تسمية التبرك وأي من كتاب الله العزيز<sup>(٥)</sup>... وأتبع ذلك سائر المعبدن معتبراً<sup>(٦)</sup> في ترتيبهم حروف

= علي من الأندلسيين قبل الذي اسمه علي من الطائفتين على الأندلس. يجب أن يقال: الأشهر فالأقل شهرة... (كلما كان الاسم أشهر عند الناس قدم في السرد على غيره).

(١) المفاريد: الأسماء المفردة النادرة (التي يكون منها في الرجال المذكورين في كتب هؤلاء الواحد أو الاثنان، فتأتي كلها مجموعة بعد استيفاء أسماء المشهورين. فبعد الحسن والحسين... (في باب الحاء المهملة) يأتي حاطب وحجاج وحبيش وحجر (بالكسر) مجموعة على غير ترتيب مخصوص.

(٢) لصحة اعتباره.... لأن ترتيب اللفظ عند المشاركة: (زاي، سين، شين، صاد) أقرب إلى المنطق من ترتيب هذه الحروف عند المغاربة (زاي، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ع.... س، ش، ه).

(٣) لشرف الإضافة إلى اسم الجلالة: عبد الله، عبد الرزاق، عبد السميع، عبد الظاهر.....  
(٤) أتليت: جعلته تالياً (بعد غيره).

(٥) لورود أسمي الجلالة (الرحمن والرحيم) مقرونين في عدد من آيات القرآن الكريم، نحو: «بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله... الرحمن الرحيم (١: ٢-٣، سورة الفاتحة) - وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم (٢: ١٦٣، سورة البقرة)، الخ.

(٦) معتبراً: ناظراً، مقدراً.

أوائل أسماء الله على حسب ما ألفيه منها<sup>(١)</sup>. وما لم ألفه منها تخطيته إلى أول ما ألفيه بعده منها. وذكرت سائر الأسماء في سائر الأبواب والتراجم على ترتيب الحروف المذكورة..... ولكنني لاحظت صورة الحرف في الهجاء لا أصله، كمؤمل أذكره فيمن بعد الميم من اسمه واو، وإن كانت (ألواو) صورة للهمزة<sup>(٢)</sup>..... ولا عبرة بأداة التعريف<sup>(٣)</sup>. وهنا ذكرت الكنى التي هي أسماء لها كنى، وأضفت إليها الكنى التي لعلها أسماء جهلت كُناها<sup>(٤)</sup>، أو كنى جهلت أسماؤها.... (ص ٢٣).

وجمعت هذا الكتاب بما أفرق - فيما لا أحصيه عدداً - من برامج روايات الشيوخ الجليلة<sup>(٥)</sup> أئمة هذا الشأن كلها وافية بالشروط المعتبرة في توثيق النقل منها، إذ معظمها بخط جامعها، وسائرهما<sup>(٦)</sup> بخطوط المعتمد عليهم من رجال هذا الفن ومقابلتهم وتصحيحهم، إلى ما نقلته من مقدمات ذوي العناية بهذه الطريقة من موالد ووفيات ورفع أنساب<sup>(٧)</sup> وتبيين أحوال الرواة وشبه ذلك من الفوائد، مع ما تلقينته من مشايخي الذين أخذت عنهم شفاهاً، وما اتقنطه من طبقات القراءات والأسمعة<sup>(٨)</sup> على الشيوخ أو منهم والتواريخ على تفاريق مقاصدها، وكل ذلك مما أنسجت عليه أروائتي بين سماع

(١) ألفي: وجد.

(٢) يجمع، عند الترتيب، من اسمه شأس قبل مؤمل (وإن كان لفظ الهمزتين بالفتح) لأن صورة الكتابة في الأولى ألف وفي الثانية واو.

(٣) ولا عبرة بأداة التعريف (لا تحسب أداة التعريف عند سرد الأسماء وترتيبها). من أجل ذلك يأتي اسم ثابت قبل اسم الحسن، لأن الثاء (الثلاثة) تأتي قبل الحاء (ولا قيمة في الترتيب للألف في أول اسم الحسن).

(٤) «أبو بكر» (في الأصل) كنية الخليفة الأول في الإسلام، وكان اسمه عبد الله. ثم إن نفراً من المسلمين جعلوا يسمون أبناءهم «أبا بكر» (فأصبحت الكنية اسماً). ثم اتخذ هؤلاء كنى فصاروا يقال فيهم: أبو عبد الله (كنيته) أبو بكر (اسمه) بن سعيد بن علي.....

(٥) الجليلة (بالكسر): العظماء والسادة.

(٦) سائرهما: باقيا (في البستان عشر شجرات، ثلاث منها شجرات تفاح، وسائرهما - أي السبع الباقية - من البرتقال).

(٧) رفع النسب: سرده إلى أقدم ما يمكن.

(٨) الأسمعة (يقصد بها هنا جمع سماع - بالفتح)، وهي المقالات التي يسمعا الطالب من شيوخه (أساتذته).

وقراءة ومُناولة وإجازة<sup>(١)</sup> وغير ذلك من ضروب التحمُّل<sup>(٢)</sup>. وقد جرى عمل  
الأشياخ على تقديم إسنادهم إلى من تقدّمهم من المؤرّخين لينسبوا إليهم ما  
ينقلونه عنهم إلى كتبهم هذه، ثم يُعقبون ذكرَ من يذكرون من الرواة أو بعضهم بتعيين  
من ذكره. وذلك رأيٌ رشيد وعمل صالح سديد أجلُّ مُثمّراته تبرُّؤ الناقل من عهدته ما  
نقل والإحالة<sup>(٣)</sup> به على ذاكره الأوّل تقوية<sup>(٤)</sup> للاحتجاج به وتصحيحاً للاستناد إليه.  
لكنني وجدتهم لا يقومون بمقتضى ذلك العمل على التمام، فإنهم يأتون بمن يريدون  
ذكره فيرفعون في نسبه ويذكرون كُتبه وشهرته إن كانتا له، ويعزونه<sup>(٥)</sup> إلى قبيلته  
وبلده أو إليها ويعرفون من أمره ما يستحسنون إيراده، ثم يُعقبون ذلك بقولهم: كان  
من أمره كيت وكيت. فكلُّ ما بدأوا به ذكره إنّما هو من قبيلهم غير معزّو إلى أحد  
من قدّموا ذكره في صدور كتبهم<sup>(٦)</sup>. وهذا العمل منهم ليس في القليل ممّا يذكرونه،  
ولا في النُدرة، بل يكاد يكون مُعظّم من يذكرون على هذا الأسلوب<sup>(٧)</sup>. فصارت  
العهدّة فيه عليهم فيما لم ينسبوه إلى غيرهم<sup>(٨)</sup>. وأيضاً فإنّ الذي ينقلونه عن غيرهم إنّما  
ينقلونه عن الاختيار والانتخاب لا على التوالي والاستيعاب<sup>(٩)</sup>. فعزّوت تلك الأقوال،

- 
- (١) من طرق تلقّي العلم في الإسلام: السماع (سماع المحاضرات من الأساتذة) والقراءة (تلاوة النصوص بين  
يدي الأستاذ) والمناولة (نقل الرواية من الأستاذ إلى التلميذ؟) والإجازة (الثهادة: كتابة الأستاذ  
للطالب ورقة فيها أن الطالب أصبح قادراً ومأذوناً له بأن يعلم الناس ما تعلّمه).
- (٢) وغير ذلك من ضروب التحمُّل: ما يحمله التلميذ من أستاذه (ما يأخذه التلميذ عن أستاذه).
- (٣) الإحالة: أن يشير المؤلّف للقارىء إلى المكان الذي استقى المؤلّف منه أخباره. العهدّة (بالضم): التبعة
- (بفتح فكسر).
- (٤) تقوية للاحتجاج: تبييناً لصحة النقل عن الآخرين.
- (٥) عزّوت هذا العمل إلى فلان: نسبته إليه.
- (٦) يقول نفر من المؤلّفين إنهم سيأخذون عن فلان وفلان أو من الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني. ولكنهم  
كثيراً ما يذكرون أشياء من عند أنفسهم.
- (٧) وأكثر ما يذكره أولئك المؤلّفين يقولونه هم (ويؤمّم القارىء أحياناً أنّه مروي عن العلماء السابقين).
- (٨) .... فكل قول لا يذكرون أنّه مأخوذ عن عالم ما، فإنّ تبعه ما فيه (من الصواب أو الخطأ) ملقى على  
عاتقهم هم.
- (٩) هم يتخيرون (يذكرون ما يريدون ذكره فقط)... لا على التوالي (لا يذكرون تسلسل الرواية) ولا على  
الاستيعاب (لا يذكرون كلّ شيء).

بعدَ آقتضائها، إلى قائلها مُستوفاةٌ مُسامحةٌ<sup>(١)</sup>. ولو فَرَضْنَا آستيفاءَ تلكَ الأقوالِ كما وَقَعَ في بعضها مِمَّا آخْتَصِرَ - أو لا يَمُكِنُ آخْتِصَارُهُ - لَكَانَتْ عُهُدَةٌ نَقَلَهَا عَلَيْهِمْ. إِذْ لو رَامَ أَحَدٌ مِنْ.....<sup>(٢)</sup>.

- قال ابنُ عبدِ الملكِ المراكشي في مدينة مَرَّاكُش:

لِلَّهِ مَرَّاكُشُ الْغُرَّاءِ مِنْ بَلَدٍ، وَحَبْدَا أَهْلُهَا السَّادَاتُ مِنْ سَكَنٍ.  
إِنْ حَلَّهَا نَازِحُ الْأَوْطَانِ مُغْتَرِبٌ أَسْلَوَهُ بِالْأَنْسِ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ وَطَنِ<sup>(٣)</sup>.

- ومن كتاب التكملة والصلة (بقية السفر الرابع، رقم ١٢٢، ص ٤٩ وما بعد):  
وقد تعاطى جماعة من الشعراء تَذِيلَ بَيْتِي الْحَرِيرِيِّ<sup>(٤)</sup> المذكورين بِمَا كَانَ سُكُونُهُمْ عَنْهُ أَصَوْنَ ولا اقتضاهم أَسْتَرُ، وإِخْلَادُهُمْ إِلَى حَضِيضِ الْعَجْزِ عَنْ مُسَامَاتِهِ فِي أَوْجٍ<sup>(٥)</sup> إِجَادَتِهِ أُولَى بِهِمْ وَأَجْدَرُ. فَمِنْ مُطِيلٍ غَيْرِ مُطِيبٍ وَمُجِيلٍ فِكْرُهُ فِي اسْتِدْعَاءِ مَا لَيْسَ لَهُ بِمُجِيبٍ، وَمِنْ مُقَصِّرٍ لو أَبْصَرَ لِأَقْصَرٍ، وَلَوْ أَنْصَفَ لَهَا تَكَلَّفَ. وَقَدْ أَثْبَتُ هُنَا مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ مَا وَقَعَ إِلَيَّ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ حَقِّهِ الْإِضْرَابُ عَنْهُ. وَاسْتَوْدَعْتُهُ هَذَا الْمَوْضِعَ تَقِيَّةً عَلَيْهِ مِنَ الضِّيَاعِ وَرَجَاءَ إِفَادَةِ مُسْتَشْرِفٍ<sup>(٦)</sup> لِلِاسْتِفَادَةِ بِهِ وَالِاتِّفَاعِ... وَهَذِهِ

(١) مستوفاة: كاملة قدر الإمكان. مسامحة (مع شيء قليل من التجاوز؟).

(٢) هنا ينقطع الكلام في الأصل المطبوع (والخطوط).

(٣) أسلوه: سلوه (بفتح السين وتشديد الدال) أسلوه.

(٤) تذييل: تكميل، زيادة (أبيات على بيتي الحريري). للحريري صاحب المقامات (ت ٥١٦ هـ) بيتان:

سَمِ سَمَةً نَحْنُ آثَارَهَا، وَاشْتَخَرْنَا لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سَمَهُ.  
وَالْمَكْرَ مَهَا أَطْمَعْتُ لَا تَأْتِيهِ لَتَقْنِي السُّودُّ وَالْمَكْرَمَهُ.

لاحظ أَنَّ أَوَّلَ كُلِّ بَيْتٍ مِثْلَ آخَرِهِ: سَمِ سَمَةً، سَمَةً. وَقَدْ اعْتَقَدَ الْحَرِيرِيُّ أَنَّ الْإِتْيَانَ بِأَبْيَاتٍ عَلَى مِثْلِهَا غَيْرُ مُمْكِنٍ. وَقَدْ حَاوَلَ نَفَرٌ ذَلِكَ فَجَاءُوا بِعَدَدٍ مِنَ الْأَبْيَاتِ. وَابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَرَاكَشِيُّ يَرَى أَبْيَاتَ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ نَازِلَةً عَنِ بَيْتِي الْحَرِيرِيِّ.

(٥) الإِخْلَادُ: السُّكُونُ وَالِاطْمِئْنَانُ. الْحَضِيضُ أَدْنَى (أَقْرَبُ) مَا يَصِلُ إِلَيْهِ كَوْكَبٌ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْأَوْجُ أَبْعَدُ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ كَوْكَبٌ عَنِ الْأَرْضِ (وَهِيَ كَنَاءَةٌ عَلَى أَسْفَلِ الْأَشْيَاءِ وَأَعْلَاهَا). الْمَسَامَةُ: مُحَاوَلَةُ السَّمْوِ (الارتقاع) إِلَى مَسْتَوًى شَيْءٍ آخَرَ أَوْ مَكَانَةٍ شَخْصٍ آخَرَ.

(٦) تَقِيَّةٌ: خَوْفًا. الْمُسْتَشْرِفُ: الَّذِي يُحَاوِلُ رُؤْيَا الْأَشْيَاءِ مِنْ بَعِيدٍ.

الْقِطْعَةُ - كما ترى<sup>(١)</sup> - أَسْبَكَ مِنْ غَيْرِهَا وَأَسْلَسَ نَظْمًا، وَأَبَيَّنَ مَعَانِي وَأَمْتَنَ مَبَانِي. غَيْرَ أَنَّهَا مُنْحَطَّةٌ عَنْ بَيْتِي الْحَرِيرِيِّ.... فَقَدْ وَضَعَ بِهَذَا كُلَّهُ أَنَّ الْحَرِيرِيَّ هُوَ الَّذِي دَانَ لَهُ الْإِخْتِرَاعُ لِلْبَدَائِعِ وَالْإِنْشَاءِ، وَأَنَّ بَرَاعَةَ مُعَلِّمِهِ مُعْلَمَةٌ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ<sup>(٢)</sup>. وَلِلَّهِ هُوَ! فَلَقَدْ نَصَحَتْ إِشَارَتُهُ وَزَجَرَتْ مُنَاهِضِيهِ، وَنَصَعَتْ عِبَارَتُهُ فَتَهَرَّتْ - إِذْ بَهَرَتْ - مُعَارِضِيهِ<sup>(٣)</sup>....

٤ - كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (حققه إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م (عدد من أجزاءه).

★★ المرقبة العليا ١٣٠ - ١٣٢؛ النبوغ المغربي ٢٠٦؛ الأدب المغربي ٢٦٢ - ٢٦٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦١ (٣٢)؛ دعوة الحق ٥٩/٣ ص ٢٤.

## الغبريني صاحب الدراية

١ - هو أبو العباس أحمد بن أحمد (وقيل محمد) بن عبد الله بن محمد الغبريني، أصله من قبيلة بني غبرين في بلاد القبائل (المنطقة الجبلية)، ولد في الأغلب في مدينة بجاية (القطر الجزائري) سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦ - ١٢٤٧ م).

درس أبو العباس الغبريني قسطاً صالحاً من علوم الدراية (أصول الدين وأصول الفقه والمنطق والتصوف) وشيئاً كثيراً من علوم الرواية (التفسير والحديث والفقه والنحو) وسمع من نفرٍ كثيرين منهم: أحمد بن خالد المالقي (ت نحو ٦٦٠ هـ) وعبد الله ابن محمد بن عمر القلمي (ت ٦٦٩ هـ) وأحمد بن عثمان بن عجلان القيسي (ت ٦٧٠ هـ).

(١) إشارة إلى أبيات على مثال بيتي الحريري.

(٢) العلم: العلامة الظاهرة تنصب على الطرق السلطانية (الدولية) ليستدل بها الناس على البلدان والمسافات بين البلدان (كتابة عن أن بيتي الحريري شيء بارز في بابه).  
معلمة اسم فاعل من «أعلم»، والجملة بعدها في محلّ مفعول به. «إنّ الفضل الخ» تضمين (٣: ٧٣، سورة آل عمران).

(٣) المناهض: المقاوم. المعارض: المباري، الذي يحاول أن يجري منك أو أن يجاريك في عمل شيء. نهر: زجر. بهر: أدهش.

ومحمد بن الحسين بن ميمون التيمي القلعي (ت ٦٧٣ هـ) ومحمد بن أحمد بن محمد بن مرسى الطيب (ت ٦٧٤ هـ) وأبو العباس أحمد بن محمد الصدي الشاطبي (ت ٦٧٤ هـ) وعبد الحق بن ربيع الأنصاري البجائي (ت ٦٧٥ هـ) وعبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدي الطرابلسي (ت ٦٨٠ هـ) وعبد المنعم بن محمد الصاني الجزائري (ت بعيد ٦٨٠ هـ) وأحمد بن عيسى الفاري (ت ٦٨٢ هـ) وعبد العزيز بن عمر بن مخلوف (ت ٦٨٦ هـ) وأبو القاسم ابن أبي بكر اليمني بن زيتون (ت ٦٩١ هـ) وعبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد الأزدي (ت ٦٩١ هـ) وأحمد بن محمد بن الغمار البلنسي (ت ٦٩٣ هـ) وغيرهم.

واشتغل أبو العباس الغبريني بالتدريس زمناً، درّس في جامع الزيتونة في تونس ثم تولّى القضاء في بلدان عديدة كان آخرها بجاية، من غير أن ينقطع عن التدريس في تونس وبجاية وغيرها. ثم ترقى إلى منصب قاضي القضاة في بجاية وبقي في منصبه حتى وقمت وحشة بينه وبين أمير بجاية أبي البقاء خالد الذي جاء إلى حكم بجاية سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ - ١٣٠١ م).

لما سار أبو البقاء لتأديب واليه على قسنطينة (الجزائر) محمد بن يوسف الهمداني الأندلسي، سنة ٧٠٤ هـ اصطحب أبا العباس الغبريني. ثم إن أبا البقاء أرسل الغبريني في سفارة إلى صاحب تونس محمد الواثق أبي عصيدة. ووشى جماعة إلى أبي البقاء بأن الغبريني قد حرّض أبا عصيدة على الثورة فغضب أبو البقاء ثم ألقى الغبريني في السجن ثم أمر بقتله، سنة ٧٠٤ هـ (١٣٠٥ م).

٢- كان أبو العباس الغبريني رجلاً، قبل أن يلي القضاء، يحب الاختلاط بالناس فيكثر من حضور الولائم ويدخل إلى الحفلات العامة. فلما ولي القضاء ترك ذلك كله ومال إلى الجِدِّ فأصبح مهيباً وقوراً شديداً في أحكامه. وكان للمتصوفين المعتدلين أثر كبير في نفسه يؤمن بكراماتهم.

والغبريني مؤلف له: «عنوان الدراية فيمن عُرِفَ من العلماء في المائة السابعة ببجاية» وقد ذكر له بروكلمن (الملحق ٢: ٣٣٧) مصنفاً هو «البرنامج» (فهرست بأسماء شيوخه).

وكتاب «عنوان الدراية» مجموعُ تراجمٍ لعلماء وأدباء من القرنِ الهجري السابع، سواءً أكانوا من أهلِ بجاية أو من الوافدين عليها والزائرين لها (من أنحاء القطر الجزائري ومن الأندلس ومن المشرق). وترى شيئاً من غاية الكتاب ومنهج تأليفه في النص المختار.

### ٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة عنوان «الدراية»:

.... إنه لما كان طلبُ العلمِ الدُّنْيَِّ<sup>(١)</sup> فرضاً على الكفاية حيناً ومُتَعَيِّناً في الحال<sup>(٢)</sup>، ولم يكنْ بُدَّ - في تحصيله - مِنْ تَلَقِّيهِ عن الرجال... فلذلك اهتمَّ العلماء بِذِكْرِ الرجال واستعملوا في تَمْيِيزِ أحوالهم الفِكرَ والبال.... وقد اختلفت في ذلك مَصَادِرُهُم ومواردُهُم<sup>(٣)</sup>، وإن اتَّفقت في بعض الوجوه مَقاصِدُهُم. فمنهم من ذَكَرَ التجريحَ والتعديلَ في المُحدِّثين<sup>(٤)</sup>، ومنهم من ذكر من يُعْرِفُ بالحِفظ والإتقان من المُتَقَدِّمين، ومنهم مَنْ اقتصَرَ على ذِكْرِ العلماء والمُجْتَهِدين.... (و) كلَّ ذلك يُحَصِّلُ الإفادةَ وَيُسَهِّلُ للطالبِ مُرادَه. وإنَّما يَنْبَغِي أن يُعْرَضَ في هذا على<sup>(٥)</sup> سبيل المُكَاثَرَةِ وطريقِ المُبَاهَاةِ والمفاخرة، كما قَصَدَهُ بعضُ من قَصَرَتْ مَعْرِفَتُهُ ولم تَرُقْ إلى درجة أُولَى النُّهَى درجته، (بل) يكونُ القصدُ في هذا إنَّما هو ما يتعلَّقُ بالأُمُورِ الدينية ويُوَصِّلُ إلى

(١) العلم الدُّنْيَِّ: العلم الذي هو من لدن (بفتح فضم فسكون: عند) الله، من قوله تعالى (١٨: ٦٥، سورة الكهف): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾.

(٢) فرض الكفاية هو العمل الذي إذا قام به بعض المسلمين سقط عن بعضهم الآخر (كشييع الجنابة وتولي القضاء). متعين (فرض عين): واجب على كلِّ مسلم يجد في نفسه القدرة على شيء، كالجهاد إذا خيف على الإيمان). في الحال: الآن (في زمن المؤلف).

(٣) تَلَقِّيهِ عن الرجال: بالرواية (بأن ينقل المتأخِّر الخبر عن متقدِّم عليه بالزمن). مصادره: الأمور التي اعتمدها واستندوا إليها. مواردُهُم: غاياتهم والنتائج التي وصلوا إليها.

(٤) المُحدِّثين (رواة الحديث عن رسول الله). الجرح والتعديل: نقد رجال السند (الذين يروون الحديث سلسلاً واحداً عن واحد) بالهرج (الكشف عن ضعفهم أو جهلهم أو كذبهم أو انقطاعهم بأن يكون بين أحدهم والذي سبقه في سلسلة السند زمن طويل، الخ) والتعديل (معرفة ما في الراوي من العدل أو العدالة: كالعلم والتقوى والأمانة والخلق الكريم، الخ).

(٥) كذا في الأصل (ولعلَّ الصواب: ينبغي أن لا يمرض هذا على...).

السبيل المرصية، وذلك بحيث يعلم طالب العلم (أولئك) الأئمة الذين هم يقتدى  
وبسلوك سننهم السوي يمتدى.

وإني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة  
السابعة<sup>(١)</sup>.... أذكر منهم من اشتهر ذكره ونبل قدره وظهرت جلالته وعرفت مرتبته  
في العلم ومكانته. وقد رأيت أن أصيل بذكر علماء هذه المائة ذكر الشيخ أبي مدين  
والشيخ أبي علي المسيلي والفتية أبي محمد عبد الحق الإشبيلي، رحمهم الله ورضي عنهم،  
لقرب عهدهم بهذه المائة - لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة - للتبرك بذكرهم  
ولا تشار فخرهم. و (أنا) أبداً بهم، رضي الله عنهم، ثم أتلوهم بذكر مشيختي وأعلام  
إفادتي، ثم أتلو<sup>(٢)</sup> (هؤلاء) بمن سواهم إلى أن يقع الإتيان على جميعهم، رحمهم الله.  
وسميت هذا المجموع: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة  
ببجاية.....

- وقال أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (المرتبة العليا ١٣٢):

لا تُنكحَن سِرْكُ المكنونَ خاطِبُهُ وأجعلَ لِمِيتِهِ بينَ الحشا جَدَا.  
ولا تَقُلْ: نَفْثَةُ المصدورِ راحَتُهُ. كم نافثٍ روحَه من صَدْرِهِ نفثا.

٤- عنوان الدراية.... (عني بنشره محمد بن شبيب، الجزائر) ( )

١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ (١٩١٠ م)؛ (نشره عادل نوهض)، بيروت ( ) ١٩٦٩ م؛

(تحقيق رابح بونار)، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٩٧٠ م.

★ الديباج المذهب ٧٩ - ٨٠؛ نيل الابتهاج ٧٣ س؛ تعريف الخلف ١: ٢١ - ٢٧؛ وفيات

ابن قنفذ ٣٣٨ - ٣٣٩؛ درة المجال ١: ١٠ - ١١؛ المرقبة العليا للنباهي ١٣٢؛ شجرة

النور الزكية ٢١٥؛ بروكلمن ٢: ٣١٠ - ٣١١، الملحق ٢: ٣٣٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٨٧

(٩٠)؛ سركيس ١٤٠٧؛ أعلام الجزائر لنوهض ١٥.

(١) المائة السابعة: من ٦٠١ إلى ٧٠٠ للهجرة (بواقيها: ١٢٠٤ - ١٣٠٠ للميلاد).

(٢) أتلو: اتبع.



## ؛ أبو العباس العزفي

١- هو أبو العباس أحمد بن أبي طالب اللخمي العزفي، كان أهله ذوي رئاسة في سبنة، في أواخر أيام الموحدين (نحو ٦٢٥-٦٦٥ هـ)، فنقلهم ابن الأحمر إلى غرناطة.

سمع أبو العباس العزفي من أبي علي بن خيسر: ثم كانت وفاته في ٢٨ من ذي الحجة ٧٠٧ (١٣٠٨/٦/١٨ م). وفي الأدب المغربي (ص ٢٣١) سنة ٧١٧ هـ.

٢- أبو العباس العزفي شاعر حسن السبك على شعره شيء من الرقة والطلاوة، وهو يُقَلَّدُ المشاركة. وفنونه وجدانية من الشكوى والخمر والنسيب في الأكثر.

### ٣- مختارات من شعره

- قال أبو العباس العزفي في الخمر والنسيب:

هذا الصباح، فغادني بصبح؛	وانهض براحك ففهي راحة روعي <sup>(١)</sup> .
لا تكترث بخطوب دهرك واسقني	كأساً تحسن منه كل قبيح.
ما لي وللأطلال أسأل صامتاً	منها وأعول في مهامة فيح <sup>(٢)</sup> !
في الراح والريحان شغل شغل	لي عن عيافة بارح وسنيح <sup>(٣)</sup> .
وأهيم في ورد الحدود وآسيها،	لا في عرار بالفلاة وشيح <sup>(٤)</sup> .
كم عرضوا لي باللام وصرحوا،	فصيت في التعريض والتصريح.

(١) غادني (قدّم لي باكراً) بصبح (بخمر في الصباح). الراح: الخمر.

(٢) الطلل: مكان بناء الخيمة (وهنا): الديار الخربة. أعول: رفع صوته بالبكاء. المهمة: الصحراء الواسعة. الأفيح: الواسع.

(٣) البارح: الطير إذا مرّ من بين الراي إلى يماره (وكان عند العرب دليل شؤم). والسانع أو السنيح ضد البارح. العيافة: الاستدلال بطيران الطيور على المستقبل.

(٤) الآس: نبات أوراقه خضر. آس الحدود (أوائل الشعر التابتة في الوجه). العرار والشيح من نبات البادية.

عَجَباً لَمْ يَلْقَوْنِي بِلَا مِهِم  
 إِنَّ صَوْحَ الرَوْضِ النَّصِيرُ، فَخَذَهُ  
 قَلْبِي بِعَذْلِهِمْ يَزِيدُ تَوَقُّدًا؛  
 - وله في النسيب والعتاب:

مُلَكَّتْ رِقِّي بِالْجَمَالِ فَأَجْمِلِ،  
 أَنْتَ الْمَلِيكُ عَلَى الْمَلَايحِ، (وَمَنْ يَجْزُرُ  
 إِنْ قِيلَ: أَنْتَ الْبَدْرُ، فَالْفَضْلُ الَّذِي  
 لَوْلَا الْحُظُوظُ لَكُنْتَ أَنْتَ مَكَانَهُ،  
 مَا زِلْتُ أُعَذِّلُ فِي هَوَاكَ، وَلَمْ يَزَلْ  
 أَصْبَحْتُ فِي شُغْلٍ بِجَبِّكَ شَاغِلٍ  
 لَمْ أَهْمِلِ الْكِتْمَانَ، لَكِنْ أَدْمِي  
 إِنْ كُنْتَ بَعْدِي حَلْتًا عَمَّا لَمْ أَحُلْ  
 أَوْ حَالَتِ الْأَحْوَالُ فَاسْتَبَدَّلْتَ بِي؛

وَحَكَمْتَ قَلْبِي بِاعْتِدَالِكَ فَاعْدِلِ (٣).  
 فِي حُكْمِهِ، إِلَّا جُفُونَكَ، يُعْزَلِ (٤).  
 لَكَ بِالْكِتْمَانِ؛ وَتَقْضُهُ لَمْ يُجْهَلِ.  
 وَلَكَانَ دُونَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ!  
 سَمِعِي عَنِ الْعُدَالِ فِيكَ بِمَعْزَلِ.  
 عَنْ أَنْ أَصِيحَ إِلَى كَلَامِ الْعُدْلِ (٥).  
 هَمَلْتُ. وَلَوْ لَمْ تَعْصِي لَمْ تَهْمَلِ (٦).  
 عَنْهُ، وَقَدْ أَهْمَلْتَ مَا لَمْ أَهْمِلِ،  
 فَأَنَا بِجَبِّي فِيكَ لَمْ أَسْتَبْدِلِ.

٤ - ★★ نفع الطيب ٢: ٣٦؛ النبوغ المغربي ٢٢٦ - ٢٢٧، ٧٣٢ - ٧٣٥، ٧٦٤ - ٧٦٥؛  
 الأدب المغربي ٢٣١ - ٢٣٥.

## أبو جعفر بن الزبير

١ - هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن

(١) .... إِذَا رَأَوْهُ قَالُوا: «سُبْحَانَ اللَّهِ» (الجماله الخارق).

(٢) صَوْح: يَس.

(٣) أَجَل: عَامِلُنِي بِإِحْسَانٍ وَلُطْفٍ.

(٤) «وَمَنْ يَجْزُرُ .... يَعْزَلُ» رَاجِعٌ مَوْشَعَةُ عِبَادَةِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ (٤: ٤٤٩-٤٥٠) مِنْ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ، ....

(٥) أَصَاخ: اسْتَمَعَ.

(٦) - أَنَا كَمْتُ حَبِّي، وَلَكِنْ دُمُوعِي الَّتِي انْهَمَرَتْ بِكَثْرَةِ دَلَّتِ النَّاسَ عَلَى حَبِّي لَكَ.

عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي الجبائي، وُلِدَ في ذي القعدة من سنة ٦٢٧ (خريف عام ١٢٣٠ م) في أسرة غنيّة معروفة في جَبَّانَ.

تلا أبو جعفر بن الزبير القرآن بالقراءات السبع على أبي الحسن الشاري وغيره. وخرج به أبوه من جَبَّانَ، سنة ٦٤٣ هـ، لما استولى عليها العدو. وفي سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) كان في فاسَ فلقِيَ أبا العباس أحمد بن يوسف بن قرتون (ت ٦٦٠ هـ) مؤرِّخ أهل فاسَ وتعلَّمَ عليه.

وتصدَّر أبو جعفر بن الزبير لإقراء كتاب الله وإسماع الحديث وتدريس الفقه وتعليم العربية (النحو) في جَبَّانَ ثم في مالقة، فيما يبدو. وظهرَ في مالقة مشعوذٌ يدعى إبراهيم الفزاريّ فقاومه ابنُ الزبير. ولكنَّ ذلك المشعوذ استعان عليه بالمتغلب على تلك المدينة - أحد بني أشقيلولة التُجيبين - فأوذِي ثم اضطرَّ إلى مُبارحة مالقة فجاء إلى غرناطة. واتفق أن جاء إبراهيم الفزاريُّ رسولاً من أمير مالقة إلى غرناطة فانتَهز ابنُ الزبير الفرصة وشرحَ للسلطان أمرَ هذا المشعوذ. وثبَّت على المشعوذ شعوذته وأنه ادَّعى النبوة أيضاً فقتلَ.

وكانت وفاة أبي جعفر بن الزبير في غرناطة، من ثامن ربيع الأول من سنة ٧٠٨ (١٣٠٨/٨/٢٦ م).

٢- كان أبو جعفر بن الزبير مُصنِّفاً له من الكتب: مِلَاكُ التَّأْوِيلِ في المُشَابِهَةِ اللَّفْظِيَّةِ في التَّنْزِيلِ (القرآن) - الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام - صِلَةُ الصِّلَةِ (وصل به صِلَةُ ابن بشكوال) - معجم شيوخه - برنامج رواياته (؟).

وأسلوبه في الكتابة موجز واضح ورَبَّيَا تَأْتِقُ في الكتابة حيناً (كما نرى في النَّصِّ - في «مختارات من آثاره»).

### ٣- مختارات من آثاره

- قال أبو جعفر بن الزبير في الانصراف عن أمور الدنيا (بغية الوعاة ١٢٧):

مَا لِي وَلِلتَّالِ؟ لَا أُمَّ لِي، إِنْ سَلْتُ: مَنْ يُعْزَلُ أَوْ مَنْ يَلِي (١)؟  
حَسْبِي ذُنُوبِي أَتَقَلَّتْ كَاهِلِي؛ مَا إِنْ أَرَى غَمَاءَهَا تَنْجَلِي (٢).

- وقال (صلة الصلة، ص ٢٨ - ٣٠، رقم ٤١):

عبد الوهاب بن علي بن محمد القيسي من أهل المنشأة من حصون مالقة بغرّيبها (٣)،  
يكنى أبا محمد..... كان ورعاً زاهداً أديباً حافلاً (٤) بالغ الأدب، لا يُشَقُّ غباره إذا  
نَظَّمَ أو كَتَبَ: رشاقة جُلَّ عليها، وحلاوة أغراضٍ جَرَّتْ طِبَاعُهُ على عِنانِهِ (٥) إليها.  
وأما الورع والزهد فهما لباسه وشعاره (٦)، وإن أُنْهَمَتْ أو أُنْجَدَّتْ فَيُحْكَمُ مَأْذُونِيَّةُ  
الأدب ولودعِيَّتُهُ مَقَامَاتُهُ وأشعارُهُ (٧). كان، رحمه الله، يرى تفضيل سَكْنَى البوادي  
على الأمصار (٨)، وإن أساءَ لِنَفْسِهِ - كما قال بعضهم - الاختيارَ. (ولكنه فعل ذلك)  
إِثَاراً لِلْخُمُولِ ورجاءً لإعداد ذلك في عَمَلِهِ الْمَقْبُولِ (٩).... وقد قَيَّدْتُ من نظمه  
وشعره.... ما يَشْهَدُ بِسَبْقِهِ فِي الْآدَابِ وإحرازه الغاية في ذلك الباب... وكان بينه  
وبين الشيخ الأديب الفاضل الورع الجليل أبي الحجاج بن الشيخ خَلَّة (١٠) متأكدة، وكان  
يتراسلان نظماً ونثراً بما يملأ الأرجاء طيباً ونشراً (١١)، إلى أنبساطٍ ودُعابة ما شان مثله

- 
- (١) لَا أُمَّ لِي، لَا أُمَّ لَكَ تَعْبِيرٌ يَتِمُّ لِلذَّمِّ وَالسَّبِّ، وَقَدْ يَتِمُّ فِي الْمَدْحِ عَلَى سَبِيلِ التَّعَجُّبِ. وَالْأُمُّ، فِي  
الْأَصْلِ، الْوَالِدَةُ، وَهِيَ أَيْضاً الثَّانِ وَالْأَمْرُ وَالْقَصْدُ. لَا أُمَّ لِي (هنا): نَكَلْتَنِي أُمِّي (يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ  
بِالْمَوْتِ) أَوْ لَا شَأْنَ لِي بِمَثَلِ هَذَا الْأَمْرِ (٢). سَلْتُ = سَأَلْتُ. مَنْ يُعْزَلُ (عَنِ الْحُكْمِ) وَمَنْ يَلِي (يَتَوَلَّى الْحُكْمَ).  
(٣) الْكَاهِلُ: مَا بَيْنَ الْكَفَيْنِ. الْغَمَاءُ: الشَّدَّةُ (الْمُصِيبَةُ) الَّتِي تَغْمُ (تَغْطِي عَلَى مَا سِوَاهَا). تَنْجَلِي: تَنْكَشِفُ.  
(٤) الْمُنْشَأَةُ: مَوْضِعُ النُّشْأَةِ (مَكَانٌ فِيهِ أَشْجَارٌ وَأَزْهَارٌ)؟  
(٥) حَافِلٌ: كَثِيرُ لَبِنَةٍ (الْقَامُوسُ ٣: ٣٥٨) - أَدِيبٌ حَافِلٌ: أَدِيبٌ بَارِعٌ فِي عِدَّةٍ مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ (٢).  
(٦) جَرَى عَلَى عِنَانِهِ (رَسَنَهُ، لَجَامَهُ): سَهْلٌ عَلَيْهِ الْجُرْيُ (الْبَرَاعَةُ فِي الْأَعْمَالِ).  
(٧) الثَّعَارُ: ثَوْبٌ يَلْبَسُ تَمَّا يَلِي الْبَدَنَ. هَذَا الْأَمْرُ لِبَاسِي وَشَعَارِي (يَسْتَفْرَقُ كُلَّ اهْتِمَامِي وَجَمِيعَ أَعْمَالِي).  
(٨) اللَّوْذُعِيُّ: الذَّكِيُّ الْفَصِيحُ. فَيُحْكَمُ مَأْذُونِيَّةُ الْأَدَبِ وَلَوْذُعِيَّتُهُ (٢). الْمَقَامَةُ: فَنٌ مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ.  
(٩) الْبَادِيَّةُ: الْمَكَانُ الْبَادِي (الْبَعِيدُ عَنِ الْعِمْرَانِ). الْمَصْرُ (بِالْكَسْرِ): الْمَدِينَةُ الْكَبِيرَةُ.  
(١٠) إِثَاراً (تَفْضِيلاً) لِلْخُمُولِ (قَلَّةُ الثَّمَرَةِ). الْعَمَلُ الْمَقْبُولُ: الْمَسْلُوكُ الدِّينِيُّ الَّذِي يُوَدِّي إِلَى رِضَا اللَّهِ وَاسْتِحْقَاقِ  
الْجَنَّةِ.  
(١١) الْخَلَّةُ (بِالضَّمِّ): الصَّدَاقَةُ.  
النَّشْرُ: الرِّيحُ (أَوْ الرَّاحَةُ) الطَّيِّبَةُ.

أمثالها، ولا غابَه. وكانا في الفضل والدين والأدب المتين كَفَرَسَي رِهان<sup>(١)</sup>. وقد قَلَدَ بعضُ الجِلَّةِ أخبارَها لِيَقْتَنِي من وفق آثارها<sup>(٢)</sup>. وقد تُوَفِّي الشَّيْخُ الفاضلُ أبو مُحَمَّدٍ عبد الوهَّاب سنة ٥٩٨....

٤- صلة الصلة (تحقيق إتيان ليفي بروفنسال) الرباط ١٩٣٧م؛ بيروت (مكتبة خياط - بالتصوير) بلا تاريخ (١٩٦٩م).  
الوافي بالوفيات ٦: ٢٢٢؛ الدياج المذهب ٤٢ (فاس ٥٧)؛ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ١: ٨٤-٨٦؛ الإحاطة ١: ١٩٥-٢٠٠؛ البدر الطالع ١: ٣٣-٣٥؛ بغية الوعاة ١٢٦-١٢٧؛ شذرات الذهب ٦: ١٦؛ نفع الطيب ٢: ٢٩-٣٠، ٦١٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٦؛ نيكل ٣٦٢؛ الاعلام للزركلي ١: ٨٣-٨٤ (٨٦).

### ابن خَميسِ التِّلْسانِيُّ

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَميسِ الحِمَيْرِيِّ الحِجْرِيِّ الرَّعِينِيِّ التِّلْسانِي، نِسْبَةً إِلَى حِجْرِ ذِي رُعَيْنٍ مِنْ حِمِيرٍ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْيَمَنِ.

وُلِدَ ابْنُ خَميسِ التِّلْسانِي سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ م) أَوْ قُبَيْلَ ذَلِكَ، وَلَا نِكَادَ نَعْرِفُ شَيْئاً عَنْ حَيَاتِهِ الْأُولَى سِوَى أَنَّهُ آثَرَ الْحَيَاةَ فِي عَزْلَةٍ عَنِ النَّاسِ. وَقَدْ عَاصَرَ ابْنُ خَميسِ جِلَّةً مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي تِلْسانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ التَّنَيسِيِّ (الجزائري) الْمُطَاطِي التِّلْسانِي (ت ٦٧٠ هـ) وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَرْزُوقِ الْمُجَنِّسِيِّ التِّلْسانِي (٦٢٠-٦٧١ هـ) وَالْأَدِيبُ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُودَ بْنِ خَطَّابِ الْغَافِقِيِّ (ت ٦٧٠ هـ)؛ وَلَكِنَّا لَا نَعْلَمُ إِذَا كَانَ قَدْ أَخَذَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئاً مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ.

(١) ما شان (عاب) مثله (رجلاً مثله) أمثالها (أمثال هذه الدعابة وذلك الانبساط). الانبساط: ترك النفس (أحياناً) على سجيته: ترك الجد (بالكسر) والتقيد بالعرف القاسي. فرسا رهان (قادران على الجري، ولا يكاد أحدهما يسبق الآخر).

(٢) يقتني (يتبع) من وفق (٩). آثاره: خطواته (طريقته في الحياة).

في سَنَةِ ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م) التقي الرَّحَالَةُ الْمَغْرِبِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ ابْنَ مَسْعُودِ الْعَبْدَرِيِّ بِابْنِ خَمِيسٍ فِي تَلَمَّسَانَ، وَكَانَ ابْنُ خَمِيسٍ لَا يَزَالُ يُحِبُّ الْعِزْلَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ عِزْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ وَتَوَلَّى مَنْصَبًا فِي دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ لِلسُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ عُثْمَانَ بْنِ يَغْمَرِاسَنَ بْنِ زِيَّانٍ (٦٨١ - ٧٠٣ هـ) فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ مَدَّتِهِ. وَفِي سَنَةِ ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) لَقِيَ جَفَوَةً فِي بَلَّاطِ تَلَمَّسَانَ فَخَرَجَ غَاضِبًا وَجَاءَ إِلَى سَبْتَةَ وَمَدَحَ أَبَا طَالِبِ الْعَزْفِيِّ الْمُسْتَبْدَ بِمُلْكِ سَبْتَةَ يَوْمَذَاكَ؛ ثُمَّ اسْتَقَرَّ فِي سَبْتَةَ لِلْإِقْرَاءِ. غَيْرَ أَنَّ نَفَرًا مِنَ الطُّلَّابِ أَسَاءُوا إِلَيْهِ فَانْتَقَلَ وَشَيْكَأَ إِلَى مَالِقَةَ ثُمَّ إِلَى غَرْنَاطَةِ، قِيلَ قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ سَنَةُ ٧٠٣ هـ.

وَلَمَّا قُتِلَ الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكِيمِ، فِي أَوَّلِ شَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٠٨ (١٣٠٩/٣/١٣ م)، قُتِلَ ابْنُ خَمِيسٍ مَعَهُ ظُلْمًا.

٢- كَانَ لابْنُ خَمِيسٍ التَّلَمَّسَانِيُّ عَنَایَةً بِفَنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ: بِالْفِقْهِ وَالْمَذَاهِبِ، وَبِاللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ)، وَبِالتَّارِيخِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَحْوَالِهِمْ، مُلِمًّا بِشَيْءٍ مِنَ عُلُومِ الْحِكْمَةِ كَالنَّطْقِ وَالطَّبِّ؛ كَمَا كَانَ أَدِيبًا كَاتِبًا مُتَرَسِّلًا وَشَاعِرًا فَخَلًّا عَلَى الْمَنْهَجِ الْمَشْرِقِيِّ. وَكَانَتْ عَلَى شِعْرِهِ نَفْحَةٌ قَوِيَّةٌ مِنْ نَفْسِ الْمَعَرِيِّ. وَابْنُ خَمِيسٍ شَاعِرٌ مُحْسِنٌ سَرِيعُ الْخَاطِرِ طَوِيلُ النَّفْسِ رَاقٍ الْمَعَانِي وَاضِحُ الْمَقَاصِدِ يَغْلِبُ عَلَى شِعْرِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقَصَصِ الْمَلْحَمِيِّ مِنْ جَاهِلِيَّةِ الْعَرَبِ. وَفِي بَعْضِ شِعْرِهِ فُكَاهَةٌ وَدُعَابَةٌ؛ وَفِي بَعْضِ شِعْرِهِ نَفْحَةٌ دِينِيَّةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ التَّصَوُّفِ.

وَمَعَ أَنَّ ابْنَ خَمِيسٍ التَّلَمَّسَانِي مَيَّالٌ إِلَى اسْتِجَاعِ الْغَرِيبِ فِي شِعْرِهِ وَإِلَى تَصَيُّدِ وَجْهِهِ الْبَلَاغَةِ، وَابْتِدِيعِ مِنْهَا خَاصَّةً، فِي التَّرْكِيبِ الْمُتَيْنِ، فَإِنَّ لَشِعْرِهِ دِيْبَاجَةً رَاقَةً بِاللُّغَةِ فِي الْوُضُوحِ وَالسَّلَاسَةِ وَالْعُدُوبَةِ.

وَمِنْ فَنُونِ شِعْرِ ابْنِ خَمِيسٍ فِي الْقَصَائِدِ الْبَاقِيَةِ لَنَا الْمَدْحُ وَالْفَخْرُ وَالشُّكْوَى وَالْحَنِينُ وَالْفَزَلُ وَالنَّسِيبُ وَالْخَمْرِيَّاتُ (وَهُوَ يَفْضَلُ الْحَشِيشَةَ عَلَى الْخَمْرِ).  
وَلَابْنُ خَمِيسٍ شَيْءٌ مِنَ التَّرَسُّلِ لَا يَلْحَقُ بِشِعْرِهِ.

- قال ابن خيسر التِّلْسانِيّ يفتخرُ ويشكو الشَّيْخوخَةَ بعدَ انقضاءِ الشَّبابِ:  
 إِنَّ كُنْتَ تَجْهَلُ أَنَّنِي لَا أَرْقُدُ، فَاسْأَلْ يُخْبِرُكَ السَّهَاءُ وَالْفَرْقَدُ<sup>(١)</sup>.  
 وَإِنْ اتَّهَمْتَهُمَا لِبَعْضِ تَشَابُهِ وَلَقَدْ أُبَيِّتُ اللَّيْلَ لَا أُدْرِي بِهِ  
 أَرَعَى كَوَاكِبَهُ وَأَرْقُدُ صُبْحَهُ؛ سَهَرًا، كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ الْأَرْمَدُ<sup>(٢)</sup>،  
 بَانَ الْخَلِيطُ، وَبَانَ قَلْبِي لِإِثْرِهِ وَالصُّنْحُ أَنَا لِي مِنْ هَوَايَ وَأَبْعَدُ<sup>(٣)</sup>.  
 وَتَبَايَنْتَ أَغْرَاضُنَا وَجُؤْمُنَا؛ سَحَرًا، كَمَا زَعَمَ الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ؛  
 وَنَهَضْتُ لَوْ وَافَى نُهْوضِي قُوَّةَ فَالْجِسْمُ يُتِمُّمُ وَالْعَزِيمَةُ تُنْجِدُ<sup>(٤)</sup>.  
 لَا تَعْجَبَنَّ لِعَزَمَاتِي وَتَبْطِي؛ مَنِّي وَسَاعَدَنِي الشَّابُّ الْمُسْعِدُ<sup>(٥)</sup>.  
 أُوْدِي صِبَايَ وَغَاضَ مَاءَ مَعِينِهِ؛ فَالشَّوْقُ يَنْهَضُ وَالزَّمَانَةُ تُقْعِدُ<sup>(٦)</sup>.  
 وَذَوَى قَضِيبُ قَوَايميَ الْمُتَأَوَّدُ<sup>(٧)</sup>؛

- (١) السها: نجم خفي في بنات نعر الصغرى. الفرقد أو الفرقدان: نجم القطب الشمالي (لأنه في الحقيقة نجم مزدوج). - السها والفرقد يشهدان أنني لا أرقد (لا أنام) لأنني أراقبها طول الليل (في تذكرك). ثم إن السها والفرقد في كوكبة (أو عنقود نجوم) لا تغيب (فهل كان الشاعر يعرف ذلك؟). راجع البيت التالي.
- (٢) - وإذا لم تقبل شهادتهما لأنني شبههما (في الساء: الرفة) فاسأل طيفك (خيالك) فهو يزورني طوال الليل (لأنني أحلم بك طوال الليل).
- (٣) الأرمد: الذي به مرض في جفونه. السليم: العليل (سمي سليماً تفاؤلاً بسلامته: شفائه).
- (٤) - أساهر الكواكب ثم أقول سأنام إذا جاء الصبح. ولكن الصبح لا يأتي (أأظل يقظان ليل نهار).
- (٥) تباينت اختلفت. أغراضنا: أهدافنا، غاياتنا، أمانينا. يُتِمُّمُ: يأتي تامة (وهي منخفضة). يُنْجِدُ: يأتي نجداً (الأرض المرتفعة). - أهدافنا سامية، ولكن أجسامنا لا تستطيع تحقيق تلك الأهداف.
- (٦) - كنت أنهض (أسو لتحقيق أهدافي) لو أن جسمي وهبي قوة على ذلك ولو كان لا يزال في بقية من شباب تساعد على ذلك.
- (٧) - لا تعجب من رغبتني (في السمو) وتبطني وتباطئي (عجزي عن السير إلى رغبتني). الزمانة: المرض الدائم. يقعد: يجعل الإنسان مقعداً (عاجزاً، لا يستطيع الحركة).
- (٨) أودى: هلك، ذهب. غاض ماء معينه: جف نبع الماء، انقطع عن النبع. ذوى القضيب: يس الفصن، جف ماؤه وذهبت نضارته. المتأوَّد: المتطف، المتأيل (لأنه لين، نضير أخضر).

وأتى المشيب يزورني مُتَفَقِّداً؛      والشيبُ أَبْغَضُ زائرٍ يَتَفَقَّدُ<sup>(١)</sup>.  
ولّى الشبابُ وشرّخه: لم يَتَقَ لي      بَعْدَ الشابِّ وشرّخه ما أَفْقَدُ<sup>(٢)</sup>!

- وقال في النسيب والشكوى والفخر بنفسه وبشعره:

عَجَباً لها! أيدوقُ طَعَمَ وِصَالِها      من ليس يَأْمَلُ أن يَمُرَّ بِبِالِها؟  
وأنا الفقيرُ إلى تَعَلّةٍ سَاعَةٍ      منها؛ وَتَمْنَعُنِي زَكَاةَ جَهْلِها<sup>(٣)</sup>.  
يَعْتَادُنِي في اللَّيْلِ طَيْفُ خَيَالِها      فَتُصَيِّبُنِي أَلْحَاطُها بِبِئَالِها<sup>(٤)</sup>.  
ومن العجائب أن أقيمَ ببلدَةٍ      يوماً، وَأَسْلَمَ مِن أذى جَهْلِها.  
شُغِلُوا بِدُنْيَاهُمْ! أَمَا شَغَلَتْهُمْ      عَنِّي؟ فكم ضَيَّعْتُ من أَشْغَالِها<sup>(٥)</sup>!  
حُجِبُوا بِجَهْلِهِمْ، فَإِنْ لَاحَتْ لَهُم      شَمْسُ الْهُدَى عَبَثُوا بِضَوْءِ ذِبَالِها<sup>(٦)</sup>.  
وَإِنْ انْتَسَبْتُ فَإِنِّي من دَوْحَةٍ      تَتَقَيَّلُ الْأَنْسَابُ بِرَدِّ ظِلَالِها<sup>(٧)</sup>.  
من حِمِيرٍ من ذِي رُعَيْنٍ من ذُرَا      حَجَرٍ من الْعُظَمَاءِ من أَقْيَالِها<sup>(٨)</sup>.  
خُذْهَا، أبا الْفَضْلِ بنَ يَحْيَى، تُحْفَةً      جَاءَتْكَ لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مِئْوَالِها:  
ما جَالَ في مِضَارِها شِعْرٌ، وَلَا      سَمَحَتْ قَرِيحَةُ شَاعِرٍ بِمِثَالِها!

- 
- (١) تَفَقَّدَ الرجل الأمر: بحث عنه أو عن حاله.  
(٢) الشرخ = شرخ الصبا: عنفوانه، ذروته.  
(٢) تَعَلَّةٌ: ما يَتَعَلَّلُ (يلهو) به الإنسان. زكاة جاهلها: ما تتصدَّق به المرأة من التمتع بجاهلها.  
(٤) اعتاد المكان: جاء إليه مرّة بعد مرّة - حتّى في المنام تقتك في لحظاتها.  
(٥) شغلوا بدنياهم (دعوة عليهم بأن تشغلهم الدنيا عن مصالح أنفسهم). - فكم ضيَّعت (مصالح كثيرة لي) من أَشْغَالِها (بسبب الأمور التي شغلتني بها).  
(٦) حجبوا بجهلهم: حجبهم جهلهم عن معرفة حقائق الأمور. فإن لاحت لهم شمس الهدى (الحق، المعرفة الربانية) عبثوا (لعبوا، التهاوا) بضوء ذبَالِها (الذبال جمع ذبالة: القتيلة التي تضيء في السراج) = هم يلتهمون بمظاهر الأشياء وبصغار الأشياء عن حقائقها (المعنى صوفي).  
(٧) انتسبت: ذكرت نسي. من دوحة (شجرة كبيرة): من أسرة عظيمة. تتقَيَّلُ: تام بعد الظهر (تتنعم). برد ظلّالها: في ظلّالها (في ظلّها العليل البارد) = تمنّى الأنساب أن تكون مثل نسي.  
(٨) حير (ابن سبأ بن يشجب - بضمّ الجيم): أبو قبيلة من عرب الجنوب. رعين: حصن في اليمن. ذو حجر رعين: أبو قبيلة في اليمن. - يقصد الشاعر أنّه من نسل ملوك اليمن.



٤- المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خنيس (عمل عبد الوهّاب بن منصور)، فاس (مطبعة ابن خلدون) ١٣٦٥ هـ.

★ تعريف الخلف ٢: ٣٦٦؛ ابن قنفذ ٣٤١؛ أعمال الأعلام ٢٥٤-٢٥٥؛ نفاضة الجراب ٢١؛ الكتيبة الكامنة ٣١؛ بغية الوعاة ٨٦؛ المرقبة العليا للنباهي ١١٤؛ نفح الطيب ٥: ٣٥٦-٣٧٨، ٧: ١٣١-١٣٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣٣-٨٣٤؛ الاعلام للزركلي ٧: ٢٠٤ (٦: ٣١٤)؛ معجم أعلام الجزائر لنويهض ١٧٠-١٧١؛ الطمار ١٢٤-١٤٢؛ مجلّة الأصالة ١٩٧٥/٧، ص ١٢٨ وما بعد، راجع ١٤٩-١٥٠.

## ابن الحكيم الرندي

١- هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى الحكيم. وقد عُرفَ بِحَيٍّ بلقب «الحكيم» لطبّة (لأنّه كان يعمل في الطب). كان أسلاف ابن الحكيم من إشبيلية ثم انتقلوا إلى رُنْدَة في دولة بني عبّاد (القرن الخامس الهجري)، وفي رُنْدَة كانوا يُعرفون ببني فتّوح.

وُلِدَ ابنُ الحكيم الرندي في رُنْدَة في ربيع الأول ٦٦٠ وفيها نشأ وأخذَ قِراءة القرآن بالقراءات السبع وأخذَ العَرَبِيَّةَ عن أبي الحسن علي بن يوسف العبدي السّفاّح النّحويّ وأبي القاسم بن الأيسر وغيرها. ثمّ إنّه رَحَلَ، سَنَةَ ٦٨٣ هـ (١٢٨٤-١٢٨٥ م) - وكان لا يزالُ ذا فتاء - إلى المشرق فزارَ مِصرَ ثمّ حَجَّ، سَنَةَ ٦٨٤ هـ (١٢٨٦ م). وبعدَ انتهاء موسم الحجّ جاء إلى الشام، وزار العراق (نفح الطيب ٢: ٦١٩).

وعادَ أبو عبد الله بن الحكيم إلى رُنْدَة سَنَةَ ٦٨٦ هـ. وفي آخرِ السّنة التالية انتقلَ إلى غرناطة واتّصل بثاني ملوكها أبي عبد الله محمد (الثاني) الفقيه (٦٧١-٧٠١ هـ) فأثبتهُ في خواصّ دولته ثمّ رَقاه إلى كتابة الإنشاء. ولَمَّا جاء ثالثُ ملوك بني نصر أبو عبد الله محمد (الثالث) المعروف بالخلوع ارتقتْ منزلةُ ابن الحكيم الرندي فجُمِعَتْ له الكِتابَةُ والوزارة ولُقِّبَ ذا الوزارتين. وقد كان ابنُ الحكيم مُدَحِّحاً مَدَحَهُ أبو محمد عبدُ المُهَيِّمين الحضرمي (٧٤٩ هـ) وأبو الحسن علي بن محمد بن الجيّاب (ت ٧٤٩ هـ).

ولم يَصِفْ الدهرُ لابنَ الحكيمِ الرُّنْدِيَّ فَقِيلَ يَوْمَ خُلِعَ مُحَمَّدُ الثَّالِثُ النَّصْرِيُّ، فِي أَوَّلِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٠٨ (١٣/٣/١٣٠٩ م) وَمُثِّلَ بِهِ.

٢- كان ابنُ الحكيمِ الرُّنْدِيَّ رجلاً عَالِيَّ الهِمَّةِ كَرِيمَ النفسِ جَمِيلَ الأخلاقِ وكان عالماً ذا عنايةٍ بالروايةِ (للحديث) وأديباً خطيباً وكاتباً بليغاً وعالماً بِنَقْدِ الشعرِ، وكان له نَظْمٌ كثيرٌ. ونثره أعلى رُتَبَةً من شعره (نفع الطيب ٢: ٦٢٤). وفنونه المدح، وله شيء من الغزل الذي يميل إلى المجون. وكان يكتب أنواعاً من الخطِّ الجميل.

### ٣- مختارات من آثاره

- لابن الحكيمِ الرُّنْدِيَّ مَقْطَعَاتٌ قِصَارٌ مِنْهَا:

إِنِّي لِأَعِيرُ أَحْيَاناً فِلَحَقُنِي	يُسِرُّ مِنْ اللَّهِ؛ إِنَّ الْعُسْرَ قَدْ زَالَا <sup>(١)</sup> .
يَقُولُ خَيْرُ الْوَرَى فِي سَنَةٍ ثَبَّتَتْ:	« أَنْفِقْ وَلَا تَخْشَ مِنَ الْعَرْشِ إِقْلَالاً » <sup>(٢)</sup>
★ مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَأَثَارَهُ،	لَوْ لَازَمَ الْإِنْسَانُ إِثَارَهُ <sup>(٣)</sup> :
يَصُونُ بِالْعَقْلِ الْفَقَى نَفْسَهُ	كَمَا يَصُونُ الْحُرُّ أَسْرَارَهُ،
لَا سِيَّاً إِنْ كَانَ فِي غُرْبَةٍ	يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ مِقْدَارَهُ!
★ مَا زِلْتُ أَسْمَعُ عَنْ عَلَيْكَ كُلَّ سَنَاءٍ	أَنْبَهَى مِنَ الشَّمْسِ أَوْ أَجْلَى مِنَ الْقَمَرِ <sup>(٤)</sup> ،
حَتَّى رَأَى بَصْرِي فَوْقَ الَّذِي سَمِعْتُ	أُذْنِي، فُوقَ بَيْنِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ!

- وقال في صباه قصيدةً مَدَحَ بها السُّلْطَانَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدًا (الثَّانِي) الْفَقِيهَ لَمَّا جَاء السُّلْطَانُ إِلَى رُنْدَةَ:

هَلْ إِلَى رَدِّ عَشِيَّاتِ الْوِصَالِ	سَبَبٌ، أَمْ ذَاكَ مِنْ ضَرْبِ الْمَحَالِ؟
وَلَيْالٍ مَا تَبْقَى بَعْدَهَا	غَيْرُ أَشْوَاقِي إِلَى تِلْكَ اللَّيَالِي.

(١) أعسر الرجل: افتقر. اليسر: الغنى.

(٢) خير الورى: محمد رسول الله. في سنة (في حديث عن رسول الله أو في عمل من أعماله).

(٣) إثاره (تفضيل العقل في أعماله على العاطفة).

(٤) السنا (بالقصر، بلا مد): الضوء الصيت الحسن. أبهى: أجمل.

وغزالٍ قد بدا لي وجهه  
 مَنْ تَلَسَّى عن هواه فأنا  
 فَلَئِنْ أَتَعَبَنِي حُبِّي لَهُ،  
 إِذْ لَأَلِي جِيَدِهِ مِنْ قَبْلِي  
 فَتَدَاوَى بِلَمَاهُ ظَمَائِي  
 أَتُهَا المولى السذي نَعَاؤُهُ  
 فرأيتُ البدرَ في حالِ الكمالِ.  
 سِوَاهُ عن هواه غَيْرُ سَالٍ.  
 فَلَكُمْ نِلْتُ بِهِ أَنْعَمَ حَالٍ.  
 وَوِشَاحَاهُ يَمِينِي وَشِمَالِي<sup>(١)</sup>.  
 مَرْجَاكَ الصَّهْبَاءُ بِالماءِ الزُّلَالِ<sup>(٢)</sup>.

- وله من رسالة طويلة كتبها عن السلطان:

..... وقد تَقَرَّرَ عند الخاصِّ والعامِّ من أهل الإسلام، واشتهرَ في آفاق الأقطار  
 اشتَهَارَ الصُّبْحِ في سوادِ الظلام، أَنَا لَمْ نَزَلْ نَبْدُلْ جُهْدَنَا في أَنْ تكونَ كَلِمَةُ الله هي  
 العُلْيَا ونَسَمَحُ في ذلك بالنفوس والأموال رجاء ثوابِ الله لا لِعَرَضِ الدُّنْيَا<sup>(٣)</sup>.

وإِنَّا مَا قَصَرْنَا في الاستِنْفَارِ والاستِنْصَارِ<sup>(٤)</sup>، ولا أَقْصَرْنَا عن الاعتِضَادِ بكلِّ من  
 أَمَلْنَا مُعَامَلَتَهُ والاستِظْهَارَ<sup>(٥)</sup>، ولا اكْتَفَيْنَا بِمُطَوَّلَاتِ الرِّسَالِ وَبَنَاتِ الْفِكَارِ حَتَّى  
 اقْتَحَمْنَا بِأَنْفُسِنَا لُجَجَ الْبَحَارِ فَسَمَحْنَا بِالطَّارِفِ مِنْ أَمْوَالِنَا وَالتَّلَادِ<sup>(٦)</sup> وَأَعْطَيْنَا رَجَاءَ  
 نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ مَوْفُورَ الْأَمْوَالِ وَالبِلَادِ، واشْتَرَيْنَا بِمَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْنَا مَا فَرَضَ اللهُ عَلَى  
 كَافَّةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْجِهَادِ.....

٤- \*\* الإحاطة ٢: ٢٧٨-٣٠٣؛ أزهار الرياض ٢: ٣٤٠-٣٤٧؛ نفع الطيب ٢:

- (١) اللَّالِي (جمع لؤلؤة). الجيد (بالكسر): أعلى الصدر. من قبلي (بكر فتح): في المجاهي. الوشاح: نسج عريض تلف المرأة به أعلى جسمها. يميني وشمالي (يدي اليمنى ويدي اليسرى). يصف الشاعر هنا اعتناق الرجل والمرأة....
- (٢) المي: السرة في الثفتين (كناية عن التقبل). الصهباء: الخمر. الزلال: الماء الصافي البارد.
- (٣) العرض (بفتح فتح): السلة (بالكسر): البضائع المروضة في السوق.
- (٤) الاستنفار: أن يطلب الحاكم أو القائد من الناس أن ينفروا (بكر الفاء) معه لمساعدته ونصرته. الاستنصار: طلب المعونة.
- (٥) أقصر الرجل عن أمر: تأخر عنه وهو قادر عليه. الاعتضاد: الاستعانة (بآخرين) ليزداد هو قوة. الاستظهار: الاستعانة.
- (٦) الطارف والطريف: المال الذي يكتسبه المرء نفسه. التلاد (التالد والتليد): المال الذي يرثه الشخص عمَّن كان قبله.

## أبو عبد الله محمد الغالب بالله

### (ثالث ملوك بني نصر)

١- هو أمير المسلمين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي، وُلِدَ في الثالث من شعبان من سنة ٦٥٥ (١٢٥٧/٨/١٩ م) وجاء إلى الحكم سنة ٧٠١ هـ (١٣٠١-١٣٠٢ م).

استولى أبو عبد الله، في السنة الأولى من حكمه، على مدينة المنظر (وكانت قرب وادي آش أو قرب جيان) وغنم منها غنائم كثيرة وأسر صاحبها الإسباني. وفي سنة ٧٠٣ هـ نَقِمَ على قريبه الرئيس أبي الحجاج بن نصر الوالي بمدينة آش فعزله؛ وكاد هذا العزل يؤدي إلى فتنة وثورة. ولكن أبا عبد الله استطاع أن يقضي على الفتنة في مهدها وأن يدبر اغتيال الوالي أبي الحجاج. وفي شوال من سنة ٧٠٥ هـ غزا سبتة واستطاع أن يستولي عليها في المحرم من سنة ٧٠٦ (صيف ١٣٠٦ م). ولقد أثر عنه في أحوال كثيرة كثير من القوة والفظافة.

وفي عيد الفطر من سنة ٧٠٨ (١٣٠٩/٣/١٣ م) خلع أبو عبد الله، ولكن لم يعيش بعد ذلك طويلاً فقد أصيب بالسُّكْنَة في أواخر جهادى الثانية من سنة ٧١٠ (تشرين الثاني-نوفمبر ١٣١٠ م) ثم توفي في أوائل شوال من تلك السنة (أواخر شباط-فبراير ١٣١١ م). وقيل بل قُتِلَ غيلةً.

٢- كان أبو عبد الله صاحب نادرة ظريفة وشاعراً رقيقاً فوق أنداده من الملوك. وكان له مجموع من الشعر فيه قصائد مطولات ومقطعات قصار. ويبدو أنه كان مكثرأ من الغزل والفخر.

### ٣- المختار من شعره

- قال أبو عبد الله بن نصر ثالث ملوك بني الأحمر:

وَأَعْدَنِي وَغَدَاً وَقَدْ أَخْلَفَا؛  
وَحَالَ عَنْ عَهْدِي وَلَمْ يَرْعَهُ،  
مَا بَالُهَا لَمْ تَتَّعِظْ عَلَى  
يَسْتَلْعُ الْأَنْبَاءُ مِنْ نَحْوِهَا  
مَلَكُوكِ الْقَلْبِ، وَإِنِّي أَمْرُؤُ  
يُرْهَفُ سِيفِي فِي الْوَعَى مُصْلَتَا،  
وَتَرْتَجِي يُنْأَيَ يَوْمَ النَّدَى:  
يَا لَيْتَ شِعْرِي، وَالْمَنَى جَمَّة،  
هَلْ يَرْتَجِي الْعَبْدُ تَدَانِيَكُمْ  
أَقْلُ شَيْءٍ فِي الْمَلِيحِ الْوَفَا.  
مَا ضَرَّهُ لَوْ أَنَّهُ أَنْصَفَا<sup>(١)</sup>.  
صَبَّبَ بِهَا مَا زَالَ مُسْتَعْظِفاً.  
وَيَرْقُبُ الْبَرْقَ إِذَا مَا هَفَا<sup>(٢)</sup>.  
عَلَيَّ مُلْكُ الْأَرْضِ قَدْ وَقَّفا<sup>(٣)</sup>.  
وَيُتَّقَى عَزْمِي إِذَا أُرْهَفَا<sup>(٤)</sup>؛  
تَخَالُهَا الشُّحْبَ غَدَتَ وَكَّفَا<sup>(٥)</sup>.  
وَالدَّهْرُ يَوْمًا هَلْ يُرَى مُنْصِفاً:  
أَوْ يُصْبِحُ الدَّهْرُ لَهُ مُنْعَفَا<sup>(٦)</sup>؟

٤- روضة النسرین (نشرها بوالی ومارسیه)، باریس ١٩١٧ م.

- نثر (نثر) الجمان فی شعر من نظمی وایام الزمان.

★ الإحاطة ١: ٥٥٢-٥٦٤؛ اللوحة البدریة ٤٧-٥٦؛ بروکلن ٢: ٣١٣، الملحق ٢:

٣٤٠، راجع ٣٧٠؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٩ (٣٢٩-٣٣٠).

## ابن منظور

١- هو جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (وقيل: رضوان) بن أحمد بن أبي القاسم.... الأنصاري الرويفعي<sup>(٧)</sup> الخزرجي الإفريقي المصري- المعروف بابن

(١) حال: تغير. لم يرعه: لم يحفظ (عهدي).

(٢) هفا: أسرع. هفا الطائر بجناحيه: حركها. هفا البرق (لمع).

(٣) قد وقَّف: جمل وقفاً علي (لا يجوز لأحد غيري ولا يليق به).

(٤) رهف وأرهف (السيف): شحذه ورققه. مصلت: مشهور (محبوب من غمده).

(٥) الندى: الكرم. تخالها: تظنّها، تحسبها. وكف: كثيرة الوكف (المطول، غزيرة المياه).

(٦) مسعف: ساعد (على نيل الأماني).

(٧) الرويفعي: نسبة إلى رويغ بن ثابت الأنصاري، أمره معاوية على طرابلس الغرب، سنة ٤٦ هـ

(٦٦٦-٦٦٧ م)، فغزا إفريقية وتوفي في برقة وهو أمير عليها. وقبره مشهور في الجبل الأخضر في

برقة.

مكرم - ولد<sup>(١)</sup> في ٢٢ من المحرم من سنة ٦٣٠ (١١/٨/١٢٣٢ م).

قيل إن ابن منظور سمع من ابن المقير (علي بن الحسين البغدادي) المحدث بالديار المصرية (ت ٦٤٣ هـ) وروى عن جماعة منهم: مريض بن حاتم وعبد الرحمن بن الطفيل ويوسف الخليلي ثم حدث هو في مصر ودمشق.

وخدم ابن منظور في ديوان الإنشاء - قيل معظم حياته<sup>(٢)</sup> - ثم إنه تولى القضاء مدة في طرابلس (ليبيا) ثم عاد إلى مصر وبقي فيها إلى أن توفي، في شعبان من سنة ٧١١ (كانون الأول - ديسمبر ١٣١١ م) بعد أن عمي.

٢- كان ابن منظور محدثاً تفرّد بالعوالي<sup>(٣)</sup> ومرتلاً مليح الإنشاء وعارفاً باللغة والنحو والتاريخ، كما كان شاعراً مقلداً محضياً (ينظم المقطعات). ثم كان مغرمًا باختصار الكتب له اختصارات للكتب التالية<sup>(٤)</sup>: الحيوان للجاحظ - درة الغواص للحريزي - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - ذيل ابن التاجر على تاريخ بغداد - تاريخ بغداد للسعدي - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر - الأغاني (ورثه على الحروف) - نوار الحاضرة لأبي عبد الله محمد بن محمد التنوخي - فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب لأحمد بن يوسف التيفاشي - صفوة الصفوة لابن الجوزي

(١) ليس في المصادر التي بين يدي ذكر للبلد الذي ولد فيه ابن منظور. ولكن إذا كان ابن منظور قد ولد سنة ٦٣٠ هـ ثم سمع من ابن المقير الذي توفي في ٦٤٣ هـ، فالمفروض أن يكون قد ولد في مصر. ولكن طاهر الزواوي ينتج من نسبة «الطرابلسي» وهي ترد في المصادر أنه وليد في طرابلس (أعلام ليبيا ٣٠١). ويرى علي الفقيه حسن (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - راجع رقم ٤) أن ابن منظور ليبي بثلاثة أسباب: إن جدّه رويغاً (راجع الحاشية ص ٣٦٩) مدفون في طرابلس، وأن ابن منظور نفسه كان قاضياً في طرابلس، وأن أسلافه وأعقابهم (ويعرفون بأل ابن مكرم) كانوا بطرابلس وبتاجوراء التابعة لها (ص ٣٦١).

(٢) لعل المقصود بمحمد بن مكرم الذي قضى حياته في ديوان الإنشاء في مصر شخص آخر كان من كتاب الإنشاء في أيام قلاوون (٦٧٨-٦٨٩ هـ) في القاهرة (راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٤٦٤- في ترجمة ابن منظور صاحب لسان العرب). وهناك عالم بالحساب هو أيضاً أبو منصور محمد بن مكرم بن شعبان الكرماني (بروكلمن، الملحق ٢: ١٠٢٣).

(٣) الأحاديث العوالي هي الأحاديث التي دوت في زمن متقدم.

(٤) ذكرت فيما يلي الأسماء الأصلية للكتب المختصرة لا العناوين التي جعلها ابن منظور لها.

(ت ٥٩٧ هـ) - العبد لابن عبد ربّه - يتيمة الدهر للشعالبي - زهر الآداب للحُصريّ -  
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسّام - جامع المفردات (الأدوية) لابن البيطار،  
الخ.

ومن تأليفه «لسان العرب» (انتهى من وضعه سنة ٨٦٩ هـ)، وهو قاموسٌ شاملٌ  
للألفاظ اللغوية والأعلام الجغرافية والشخصية ولعددٍ من الحقائق التاريخية، بناه ابن  
منظور على خمسة كتب هي: «الجمهرة» لابن دُرَيْد (ت ٣٢١ هـ) و «تهذيب اللغة»  
للأزهريّ (ت ٣٧٠ هـ) و «الصّاح» <sup>(١)</sup> للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) و «حواشي» عبد  
الله بن بَرِّيّ (ت ٥٨٢ هـ) و «المُحكّم» لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) و «النهاية في غريب  
الحديث والاثار» لمجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ). وله أيضاً: نثار الأزهار في الليل  
والنهار وأطايب أوقات الأصائل والأسحار وسائر ما يشتمل عليه من كواكب الفلك  
الدّوار - أخبار أبي نّواس.

### ٣ - مختارات من آثاره

- من مقطّعات ابن منظور:

☆ ضَعُ كُتَابِي، إِذَا أَتَاكَ، إِلَى الْأَر	ضِمْ قَلْبِي فِي يَدَيْكَ لِمَا <sup>(٢)</sup> ؛
فَمَلَى خَتَمَهُ فِي جَانِبِيهِ	قُبُلٌ قَدْ وَضَعْتَهُنَّ تُؤَامَا <sup>(٣)</sup> .
كَانَ قَصْدِي بِهَا مُبَاشَرَةُ الْأَر	ضِمْ وَكَفَيْكَ بِالتِّشَامِي، إِذَا مَا <sup>(٤)</sup> ...
☆ النَّاسُ قَدْ أَثِمُوا فِينَا بِظَنِّهِمْ	وَصَدَّقُوا بِالَّذِي أَذْرِي وَتَدْرِينَا <sup>(٥)</sup> .
مَاذَا يَضُرُّكَ فِي تَصْدِيقِي قَوْلِهِمْ	بَأَنْ نُحَقِّقَ مَا فِينَا يَظُنُّونَا <sup>(٦)</sup> ؟

(١) العنوان الكامل هو: تاج اللغة وصحاح العربية. والحواشي عليه كثيرة (راجع بروكلمان ١:

١٣٣ - ١٣٤، الملحق ١: ١٩٦ - ١٩٧).

(٢) لأمّا: قليلاً، ولكن مرّة بعد مرّة.

(٣) تؤاما: ثنتين ثنتين (قبلتين قبلتين).

(٤) إذا ما.... (في البلاغة: اكفاء، بمعنى أن الكلمات التي لم تذكر مفهومة: إذا ما وصل إليك كتابي).

(٥) أذنبوا لأنهم اتهمونا بما ليس فينا.

(٦) ماذا يضرنا أن نرتكب الذنب الذي يتهمونا به الآن ظلماً؟

حَمَلِي وَحَمَلُكَ ذَنْبًا وَاحِدًا، ثِقَّةً      بِالْعَفْوِ، أَجَلٌ مِنْ إِثْمِ الْوَرَى فِينَا<sup>(١)</sup>.  
 \* بِاللَّهِ، إِنْ جُزْتَ بِوَادِي الْأَرَاكِ      وَقَبَلْتُ أَغْصَانَهُ الْحَضْرُ فَاكْ<sup>(٢)</sup>،  
 أَبْعَثْ إِلَى الْمَمْلُوكِ مِنْ بَعْضِهِ؛      فَإِنِّي، وَاللَّهِ، مَا لِي سِوَاكَ<sup>(٣)</sup>!

- من مقدّمة «لسان العرب»:

.... أما بعدُ، فإن الله سبحانه قد كرم الإنسان وفضله بالنطق على سائر الحيوان، وشرف هذا اللسان العربيّ بالبيان على كلّ إنسان، وكفاه شرفاً أنه به نزل القرآن وأنه لغة أهل الجنان<sup>(٤)</sup>.... وإني لم أزل مشغولاً بمطالعات كتب اللغات والاطّلاع على تصانيفها وعِللِ تصاريفها. ورأيتُ علماءها بين رجلين: أمّا من أحسن جمعه فإنه لم يُحسن وضعه، وأمّا من أجاد وضعه فإنه لم يُجد جمعه، فلم يُفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع. ولم أجد في كتب اللغة أجل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن عليّ ابن إسماعيل بن سيده الأندلسيّ رحمهما الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق وما عداها بالنسبة إليهما ثبّات للطريق<sup>(٥)</sup>. غير أن كلاًّ منها مطلبٌ عسيرٌ المهلك ومنهّلٌ وعَرُ المسلك.... ووجدتُ أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ قد احسن ترتيباً مختصره وشهره بسهولة وضعه.... غير أنه في جوّ اللغة كالذرة وفي بحرها كالقطرة وإن كان في نحرها كالذرة. وهو مع ذلك قد صحّف وحرّف وجزّف فيما صرف<sup>(٦)</sup>. فأتيح له

(١) لأن يكون لنا معاً ذنب واحد (فيكونوا هم صادقين بتهمتنا) خير (في النظرة الإنسانية) من أن نكون نحن (ونحن اثنان فقط) بريئين ويكون الناس كلّهم مذنبين.

(٢) إن جزت (قطعت، مررت به) وادي الأراك (مكان في الحجاز بنيت فيه شجر الأراك الذي تجعل منه الماويك (أداة لتنظيف الإنسان). قبلت أغصانه فاك (فمك): مررت بالسواك على أسنانك.

(٣) فأرسل إلى المملوك (العبد الرقيق، يكتب الشاعر بذلك عن نفسه) شيئاً منها. فإنني ما لي سواك (تورية: ليس عندي سواك - ليس لي من أطلب منه هذا الطلب سواك (غيرك)).

(٤) المروي أن اللغة العربية هي لغة أهل الجنة.

(٥) ثبات الطريق: الطرق الفرعية الضيقة. الثبّات فكسر ثم ياء مشددة: الطريق في الجبل.

(٦) صحّف: أبدل في الكلمة حرفاً بحرف (فرح تصيح: فرج، فرخ، قرح، قرح الخ). حرّف: صرف الكلام عن المعنى المقصود. قرأ الأب لويس شيخو جملة هي: وكانت الكعبة لا «سقف» عليها، فأثبتها في بعض كتبه: وكانت الكعبة «لأسقف»، عليها. وقرأ أحد تلاميذه جملة البلاذري: وفتح العرب =



الشيخ أبو محمد بن برِّي قَتَبَ ما فيه وأملى عليه أُماليه مُخرجاً لِسَقَطاته مؤرخاً لِعَلَطاته .  
 فاستخرتُ الله سبحانه وتعالى في جمعِ هذا الكتابِ المبارك<sup>(١)</sup> الذي لا يُساهمُ في سَعَةِ  
 فضله ولا يُشاركُ، ولم أخرجُ فيه عما في هذه الأصول . ورتبته ترتيبَ الصَّحاح في  
 الأبواب والفصول<sup>(٢)</sup> . وقصدتُ توشيحَه<sup>(٣)</sup> بجليلِ الأخبارِ وجميلِ الآثارِ مُضافاً إلى ما  
 فيه من آياتِ القرآنِ الكريمِ والكلامِ على مُعْجَزاتِ الذِّكْرِ الحكيمِ<sup>(٤)</sup> لِيَتَحَلَّى بِترصيعِ  
 دُرَرها عِقْدُه ويكونَ على مَدارِ الآياتِ والأخبارِ والآثارِ والأمثالِ والأشعارِ حلُّه  
 وعَقْدُه . فرأيتُ أبا السعاداتِ المباركِ بنَ محمدِ بنِ الأثيرِ الجَزَريِّ قد جاءَ في ذلك  
 بالنهاية<sup>(٥)</sup> وجاوزَ في الجودةِ حدَّ الغاية . غيرَ أنه لم يَضَعْ الكَلِماتِ في مَحَلِّها ولا راعى  
 زائدَ حروفها من أصلها . فوضعتُ كُلَّ ما بكانه ... فجاءَ هذا الكتابُ بحمدِ الله  
 واضحَ المنهجِ سهلَ السُّلوكِ .... وليس لي في هذا الكتابِ فضيلةٌ أُمْتُ بها<sup>(٦)</sup> ولا وسيلةٌ  
 أَتَمَسَّكُ بسببها سوى أُنِي جمعتُ ما تفرَّقَ في تلكِ الكتبِ من العُلومِ وبسطتُ القَوْلَ  
 فيها .... فَلْيَعْتَدْ<sup>(٧)</sup> من ينقلُ عن كتابي هذا أنه ينقلُ عن هذه الأصولِ الخمسة ... فإنني  
 لم أَقْصِدْ سوى حفظِ أصولِ هذه اللغةِ النبويةِ وضَبْطِ فضلها إذ عليها مَدارُ أحكامِ  
 الكتابِ العزيزِ والسُّنةِ النبويةِ .... وذلكَ لِما رأيتهُ قد غَلَبَ في هذا الأوانِ مِن  
 اختلافِ الأَلْسِنَةِ والألوانِ . حتى لقد أَصْبَحَ اللَّحْنُ في الكلامِ يُعَدُّ لَحْنًا مردوداً<sup>(٨)</sup> وصارَ  
 التُّطْقُ بالعربيةِ من المعاييرِ معدوداً . وتنافسَ الناسُ في تصانيفِ التَرْجُماتِ في اللغةِ  
 الأعجميةِ وتفاصحوا في غيرِ اللغةِ العربيةِ . فجمعتُ هذا الكتابَ في زمنِ أَهلِه بغيرِ

= الشام فتحاً يسيراً (أي سهلاً هَيَّأَ) فجعلها « قليلاً » . جَزَفَ (أكثر بلا قاعدة) فيها صَرَفَ (ذكر للجذر صيغاً  
 أكثر مما يحتمل!)

(١) أي كتابه: لسان العرب .

(٢) مثال ذلك: « علم » تبحث عنها في باب الميم فصل الميم كأنها « معل » .

(٣) تزينه .

(٤) الذكر الحكيم: كلام الله تعالى، القرآن الكريم .

(٥) بالنهاية: بأقصى (بأوسع) ما يمكن . وَ «النهاية في غريب الحديث والأثر» كتاب لمجد الدين بن الأثير .

(٦) مَتَّ: انتسب .

(٧) اعتدَّ: حسب (أيقن) .

(٨) اللحن (الأولى): الخطأ في القول . اللحن (الثانية): النغم . مردود (مكرَّر، مألوف) .

لُغْتَهُ يَفْخَرُونَ.. وَسَمَّيْتُهُ «لِسَانَ الْعَرَبِ».....

- ٤- نثار الأزهار.....، الآستانة (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ.
- لسان العرب.....، يولاق ١٢٩٩، ١٣٠٠-١٣٠٨، ١٣٤٨ هـ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٣٢ هـ= ١٩١٣ م.
- أخبار أبي نواس.....، القاهرة ١٩٢٤ م (١٣٤٣ هـ)؛ نشره محمد عبد الرسول وشكري محمود أحمد)، بغداد (المعارف).....
- مختار الأغاني في الأخبار والتهاني (تحقيق حسين نصار)، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر) ١٣٤٥ هـ.
- ★★ تصحيح لسان العرب، تأليف أحمد تيمور، القاهرة ١٣٣٤، ١٣٤٣ هـ.
- فهارس لسان العرب (فهرست الشعراء، صنعه عبد القيوم محمد)، لاهور ١٩٣٨ م (١٣٥٧ هـ).
- فوات الوفيات: ٢ : ٣٣١-٣٣٢؛ الوافي بالوفيات ٥ : ٥٤-٥٧؛ درة المجال ٢ : ٣١٥-٣١٦؛ نكت المهيان ٢٧٥-٢٧٦؛ بغية الوعاة ١٠٦-١٠٧؛ شذرات الذهب ٢٦ : ٢٦٧-٢٧؛ بروكلمن ٢ : ٢٥، الملحق ٢ : ١٤-١٥؛ مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣ : ٣٢ (١٩٥٧/٧/١ م) ص ٤٦٦-٦٦٩ (تحقيق تاريخه، بقلم علي الفقيه حسن)؛ سركيس (معجم المطبوعات العربية) ٢٥٥-٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٣٢٩-٣٣٠ (١٠٨)؛ أعلام ليبيا ٢٩٩-٣٠٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٤٦٤؛ الدرر الكامنة : ٢٦٢-٢٦٤ (رقم ٧٢٥)؛ المنهل العذب ١ : ١٥٧؛ نفحات السرين والريحان ١٤٦-١٤٨.

### أبو العباس الملياني

- هو أبو العباس أحمد بن عليّ المليانيّ، ومن أهل مليانة (جنوب مدينة الجزائر). كان عمّه أبو عليّ أحمد قد ثار على الحفصيين فلم ينجح ففرّ إلى المغرب ولجأ إلى السلطان يعقوب المرينيّ (٦٦٧-٦٨٤ هـ) فأقطعهُ السلطان يعقوب بلدة أغات (قرب مدينة مراكش). وكان أبو العباس أحمد في صحبة عمّه.
- أكمل أبو العباس المليانيّ دراسته في أغات ومراكش. ولما جاء يوسف بن يعقوب إلى عرش المرينيين، سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) جعل أبا عليّ أحمد على جباية الأموال،

ثم بدا من أبي عليٍّ ما حملَ السلطانُ يوسفَ على قتله. ثم علّت منزلة أبي العباس فجعله السلطانُ يوسفُ «كاتبَ العلامة» (صاحب التوقيع على المراسلات والمراسيم السلطانية). ثم استطاع أبو العباس أن يدبرَ مقتلَ الذين كانوا سببَ مقتلِ عمِّه وأن يفرَّ إلى تلمسان (الجزائر اليوم). وفي سنة ٧٠٣ هـ غادرَ تلمسانَ إلى غرناطة واستقرَّ فيها إلى حين وفاته، في تاسع ربيع الثاني من سنة ٧١٥ (١٣١٥/٧/١٣ م).

٢- كان أبو العباس الملبانيُّ كاتباً وشاعراً، وكانت له مشاركةٌ في الطبِّ. وفي المصادر والمراجع مقطوعةٌ واحدةٌ من شعره تُنبئ عن نفسٍ ومقدرةٍ في مُعارضة الشعر المشرقيِّ، في الحماسة خاصة.

### ٣- مختارات من شعره

- قال أبو العباس الملبانيُّ يفتخرُ بفعلته إلى أدّت إلى مقتلِ خصومِ عمِّه وبغيرها:

العزَّ ما ضربتُ عليه قبائي، والفضلُ ما استمكتُ عليه ثيابي<sup>(١)</sup>.  
والزهرُ ما أهداه غصنُ برّاعي، والمسكُ ما أهداه نقشُ كِنّاي<sup>(٢)</sup>.  
والجدُّ ينعُ أن يُزاحمَ مَوردي، والعزُّ يأبى أن يُسامَ جنّاي<sup>(٣)</sup>.  
فإذا بَلَوْتُ صَنِيعَةً جازيئُها، بجميلِ شكري أو جَزِيلِ ثَواي<sup>(٤)</sup>.  
وإذا عَقَدْتُ مودّةً أَجْزَيْئُها، مجرى طعامي في دمي وشرّاي.  
وإذا طلبتُ من الفراقِدِ والسهيّ ثأراً، فأوشكُ أن أنالَ طِلّاي<sup>(٥)</sup>!

٤- ★★ الإحاطة ١: ٢٩٢-٢٩٤؛ نفح الطيب ٦: ٢٦٦-٢٦٨؛ الاستقصا ٢: ٣٧-٣٨؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ١٩٤-١٩٥؛ معجم أعلام الجزائر ٣١؛ الطمار ١٩٦-١٩٧؛ النبوغ المغربي ٦٩٧.

- (١) القبة: خيمة من جلد (تكون للملوك). - العزُّ موجود في بيتي فقط، والفضل من صفاتي وحدي.
- (٢) نقش: تلوين (النقش هنا: الخبر الذي أكتب به رسائلي) أنا وحدي أحسن الكتابة.
- (٣) الناس يرهبون (لسموّ مكانتي) أن يقتربوا من حوض الماء الذي هو لي (وإذا لم يكن عليه أحد). - وعزّمي (شجاعتي، قوّتي) تأبى (ترفض) أن يسام (ينزل ظم) جانبي (في بيتي، بي).
- (٤) إذا صنع أحد بي معروفاً أثبتّه بشكري الجميل أو بعطائي الكثير.
- (٥) الفراقِد والسهيّ: نجوم معروفة (ولكنّ الشعر يأتي بها هنا كناية عن البعد). أوشك: اقترب.

## التجانيّ صاحب الرحلة

١- ينتسب آل التجانيّ في تونسَ إلى قبيلةِ تِجَانٍ من قبائل المغرب (الأقصى)، ولعلّ أحدهم أبا القاسم (ت نحو ٥٥٥ هـ) كان قد جاء في جيش السلطان الموحّدي عبد المؤمن بن علي<sup>(١)</sup>، في أواسط القرن السادس للهجرة. ويبدو أن أبا القاسم هذا دخل في خدمة الدولة ثم خلفه فيها ابنه محمد.

ولما استقلّ بنو أبي حفص الهنتاتي<sup>(٢)</sup> - وأبو حفص في الأصل من رجال عبد المؤمن الموحّدي - دخل إبراهيم وأحمد<sup>(٣)</sup> ابنا محمد بن أبي القاسم التجاني في خدمة الدولة الحفصية الجديدة.

وقد نبغ من أسرة التجاني نَفَرٌ من العلماء والأدباء نعدّ منهم عليّ بن إبراهيم<sup>(٤)</sup> وأخته زينب<sup>(٥)</sup> وأخاه عمر ثم محمد بن علي<sup>(٦)</sup>. وكان منهم أيضاً محمد بن أحمد والد صاحب الرحلة.

وُلِدَ التجانيّ صاحبُ الرحلة - واسمه في الأغلب أبو محمد عبد الله بن محمد في تونسَ بين سنة ٣٧٠ و ٣٧٥ هـ (١٢٧٢ - ١٢٧٦ م) فبدأ تلقّي القراءة والكتابة على أبيه ثم أقبلَ على حضور دروس الشيوخ في التفسير والحديث والفقه والأدب والتاريخ وغيرها. وقد كان من شيوخه أبو بكر عبد الكريم العوفي (ت ٦٩٨ هـ) قرأ عليه الفقه

(١) عبد المؤمن بن عليّ (راجع، فوق، ص ).

(٢) أبو حفص الهنتاتي (راجع، فوق، ص ).

(٣) كان إبراهيم وأحمد هذان في بلاط أبي زكريّا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص مؤسس الدولة الحفصية باستقلاله عن الموحّدين (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ). وكانا من أهل الأدب والبلاغة.

(٤) أبو الحسن عليّ بن إبراهيم التجاني (ت ٧٠٨ هـ) أخذ عن ابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) والشاعر حازم القرطاجنيّ (ت ٦٨٤ هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) والكلّاعي (ت ) وخاصة عن قاضي تونس ومحدثها الكبير أبي العبّاس أحمد بن محمد بن الفمّاز البلنسيّ الأندلسيّ (٦٠٩ - ٦٩٣ هـ)، وكان فقيهاً شاعراً.

(٥) زينب بنت إبراهيم التجانيّ (التجانية) من شهرات الأديبات التونسيّات في العصر الحفصي.

(٦) عمر بن إبراهيم التجاني كان من العلماء والكتاب والنحاة ثم يقولون الشعر. أمّا أبو الفضل محمد بن عليّ ابن إبراهيم التجاني (٧١٨ هـ) فهو من أعلام العلم والأدب في العصر الحفصي، خدم مدّة طويلة في ديوان الرسائل. وكان شاعراً ناثراً محسناً (راجع مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص ٢١٠).

(سنة ٦٩٣ أو ٦٩٤ هـ) وأبو القاسم بن عبد الوهاب بن قائد الكلاعي (ت ) وأبو علي عمر بن محمد بن علوان التونسي (ت ٧١٠ هـ) أخذ عنه سنة ٧٠٢ هـ. ثم إنه كان ينتهز الفرص في أثناء رحلته للقاء الشيوخ والأخذ عنهم.

سلك التجاني سبيل أسلافه في الدخول في خدمة الدولة في ديوان الإنشاء ، ويبدو أنه دخل هذا الديوان في أيام أبي عَصيدة (٦٩٤ - ٧٠٩ هـ) محمد بن يحيى الوائلي.

في هذه الأثناء كان الاضطراب شديداً في السلطنة الحفصية الشرقية (المملكة التونسية) والنزاع بينها وبين السلطنة الحفصية الغربية (مملكة الجزائر) عنيفاً. وكان من شيوخ الموحدين وكبار رجال الدولة الحفصية في تونس الأمير أبو يحيى زكريا بن محمد اللحياني طامعاً في الملك، فعزّم على مُغادرة تونس لترتيب الأمور في خارجها<sup>(١)</sup>، وكان قد اتخذ التجاني كاتباً خاصاً به. فلما غادر تونس (منتصف ٧٠٦ هـ = أواخر ١٣٠٦ م) اصطحب التجاني. ثم إنَّ التجاني عاد إلى تونس في صفر من سنة ٧٠٨ (صيف ١٣٠٨ م)، لأسباب صحيّة.

واستطاع أبو يحيى زكريا اللحياني أن يزحف على العاصمة (حاضرة تونس) وأن يأخذ البيعة<sup>(٢)</sup> لنفسه، سنة ٧١١ هـ، في حديث طويل. ولم ينس أبو يحيى كاتبه القديم فجعله رئيساً لدواوين رسائله - صاحب خُطّة العلامة الكبرى - . ولكن أبا يحيى أدرك وشيكاً - وقد تقدّمت به السن - أنه عاجز عن الكفاح في سبيل استقرار الأمر له فتخلّى عن الملك ثم انسحب، سنة ٧١٧ هـ إلى طرابلس. واجتمع أنصار أبي يحيى وولّوا ابنه محمداً أبا ضربة مكانه.

عند هذا التاريخ انقطعت أخبار التجاني صاحب الرحلة، ولعله قتل بعيد ذلك في من قتل من أنصار أبيه، في النزاع بين أبي ضربة وأبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة (الجزائر اليوم)، سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م).

٢ - اشتهر أبو محمد عبد الله التجاني برحلة قام بها بصحبة الأمير أبي يحيى زكريا

(١) ليعدّ العدة للاستيلاء على الملك.

(٢) أن يحمل الناس على اختياره حاكماً.

أَبْنِ مُحَمَّدٍ اللَّحْيَانِيَّ. وَلَكِنَّ هَذِهِ الرِّحْلَةَ كَانَتْ قَصِيرَةً (٧٠٦ - ٧٠٨ هـ) وَلَمْ يَتَجَاوَزْ بِهَا صَاحِبُهَا الْقَطْرَ التُّونِسِيِّ وَجَانِباً مِنْ غَرْبِي لِبِيَا الْيَوْمِ. وَإِذَا نَحْنُ نَنْظُرُنَا إِلَى هَذِهِ الرِّحْلَةِ مِنْ حَيْثُ وَصَفُ الْمَنَاطِقِ الَّتِي مَرَّ بِهَا التَّجَانِيَّ حَكَمْنَا بِأَنَّهَا رِحْلَةٌ قَاصِرَةٌ جِدًّا لَمْ تَصِفْ مِنْ مَعَالِمِ تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَّا شَيْئاً قَلِيلاً. غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الرِّحْلَةَ غَنِيَّةٌ بِأُوجِهِ الْاِسْتِطْرَادِ إِلَى التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ وَالْعِلْمِ وَإِلَى إِيرَادِ الْمُرَاسَلَاتِ بَيْنَ صَاحِبِهَا وَنَفَرٍ مِنْ رِجَالِ عَصْرِهِ، فَهُوَ يُورِدُ تِلْكَ الْمُرَاسَلَاتِ بَشْيَاءَ كَثِيرٍ مِنَ التَّفْصِيلِ كَمَا يُورِدُ غَاذِجَ كَثِيرَةٍ مِنْ آثَارِ الْأَدْبَاءِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ. وَلَكِنَّ مِنْ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ فِي «الرُّحَلَاتِ» أَنْ يُكْثِرَ صَاحِبُ الرِّحْلَةِ مِنَ الْاِسْتِشْهَادِ بِكُتُبِ الْجُغْرَافِيَةِ وَالتَّارِيخِ كَمَا فَعَلَ التَّجَانِيَّ. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذِهِ الرِّحْلَةَ تَصِفُ جَانِباً كَبِيراً مِنْ حَيَاةِ تُونَسَ فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ لِلْهِجْرَةِ (وَهُوَ جَانِبٌ غَامِضٌ فِي تَارِيخِ تُونَسِ).

وَأَسْلُوبُ التَّجَانِيَّ فِي رِحْلَتِهِ أَسْلُوبٌ سَلِيمٌ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الصَّنَاعَةِ. وَالرِّحْلَةُ تَدُلُّ عَلَى تَقَافَةٍ لُغَوِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ وَاسِعَةٍ. أَمَّا شِعْرُ التَّجَانِيَّ فَهُوَ عَادِيٌّ جِدًّا.

### ٣ - مَخْتَارَاتٍ مِنْ آثَارِهِ

#### - مِنْ مَطْلَعِ الرِّحْلَةِ:

.... هَذَا تَقْيِيدٌ يَشْتَمِلُ عَلَى وَصْفِ مَا شَاهَدْتُهُ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْبِلَادِ مُضْمَنٌ ذِكْرُ<sup>(١)</sup> أَحْوَالِهَا وَصِفَاتِهَا وَبَيَانِ طُرُقِهَا وَمَسَافَاتِهَا، وَالْإِشَارَةُ إِلَى مُفْتَتِحِهَا وَبُنَائِهَا<sup>(٢)</sup>، وَأَحْوَالِ مَنْ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَصْنَافِ الْعَوَالِمِ وَمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ كُلُّ بَلَدٍ مِنَ الْآثَارِ وَالْمَعَالِمِ، وَمَا يُتَشَوَّفُ إِلَيْهِ وَيَتَشَوَّقُ<sup>(٣)</sup> إِلَى الْاطَّلَاعِ عَلَيْهِ. وَقَدْ أَلْبَسَ ذَلِكَ مِنْ حُلَّةِ النِّظْمِ وَالنَّشْرِ تَمَّا وَرَدَ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ إِلَيَّ أَوْ صَدَرَ عَنِّي اسْتِفْتَاخَ خِطَابٍ أَوْ رَدَّ جَوَابٍ تَمَّا تَحَسُّنُ الْمَحَاضِرَةِ<sup>(٤)</sup> بِهِ وَتَحْصُلُ الْإِفَادَةُ...

(١) مُضْمَنٌ نَمَتْ «تَقْيِيدٌ» (تَدْوِينٌ). ذِكْرُ مَفْعُولٍ بِهِ مِنْ «مُضْمَنٌ».

(٢) مُفْتَتِحُهَا: الَّذِي اسْتَوَلَى عَلَيْهَا بِالْقُوَّةِ. بِنَاءُ جَمْعٍ بَانَ (الَّذِي بَنَى الْبَلَدَ).

(٣) تَشَوَّقٌ: تَطَلُّعٌ لِيَرَى شَيْئاً عَنْ بَعْدٍ. تَشَوَّقٌ: مَالٌ بِرَغْبَتِهِ إِلَى شَيْءٍ مَا.

(٤) صَدَرَ عَنِّي: أَرْسَلْتُهُ (أَرْسَلْتُ رِسَالَةً). اسْتِفْتَاخَ (مَطْلَعٌ، مَقْدَمَةٌ) خِطَابٍ (كِتَابٍ، رِسَالَةٍ). الْمَحَاضِرَةُ: (فِي =

فكان خروجي من تونس المحروسة صُحبة الركاب العالي المَخْدومي الليمومي<sup>(١)</sup> أعلى الله مقامه وأطال في العزّ دَوامه، في آخر جَهَادِي الأولى من عام سِتَّةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ. وكان مُرادُه منها إنَّها هو التوجُّهُ لأداء فريضة الحجّ التي لا يَسَعُ تركُها بعد الاستِطاعةِ عليها أحداً من الأنام. بهذا تعلّقتُ آمالُه وعليه كان عن (دار) الخِلافة انفصالُه. إلّا أنَّ أمرَ الحجّ طُوِيَ عن الناس في هذه الحركة ذِكرُه وأُخْفِيَ عنهم أمرُه. وسَبَبُ ذلك أنَّه لِمَا عَلِمَ في تدبير الرعيّة من حُسْنِ غَنائِه<sup>(٢)</sup> وما اجتمعت عليه قلوبُ الجُمهور واستمّت من مَحَبَّتِه وثَنائِه، لو يَبَيّن لهُم انطلاقه لأبدي كلُّ منهم به اعتلاقه فصدّوه عن حَجِّهِ وردّوه عمّا يَمَنّ من نَهجِه<sup>(٣)</sup>. فرأى أنَّ كَنَمَ الحجّ أصلح، وأنَّه الأكْثَرُ في طريقِ السياسةِ والأَرْجَحُ<sup>(٤)</sup>. فجعل أمرَ جَرَبَةِ سَبَباً إلى نَيْلِ ذلك المرام ورجا مع ذلك أن يكونَ على يده استرجاعُها إلى الإسلام.....

- جزيرة جربة (ص ١٢١):

وجزيرة جَرَبَةِ من أعظم الجزائر خطراً وأشهرها في سالف الزمن عِمارةً وذكراً<sup>(٥)</sup>.... وهي أرضُ كريمة المزارع عَذْبَةُ المِشَارِعِ<sup>(٦)</sup>. وأكثرُ شَجَرِها النخيلُ والزيتونُ والعِنَبُ والتين. وبها أصنافٌ كثيرةٌ من سائر الفواكه، إلّا أن هذه أكثرُ ثَمَرِها وعليها مدارُ غَلَّاتِها، وغيرها من كرائم الأرضين لا يُقَارِبُها على الجُملة في ثِمارِها أو يُساوِها. وتُفَاحُها لا يُوجَدُ في جميع بقاع الأرض له نظيرٌ لِمَا يوجَدُ بها منه صفاءً وجفافاً وطيبَ مذاقٍ وعطارة استنشاقٍ<sup>(٧)</sup>، ورائحتُه توجَدُ من المسافةِ المديدةِ والأميالِ

= الأصل) المجادلة (القتال) والركض (السباق) ثم استعملت في تبادل الآراء في موضوع أو إلقاء فصول من العلم على جماعة.

- (١) في رحلة التجاني (ص ٤) يقول حسن حني عبد الوهاب: «هكذا (وردت) في جميع النسخ التي بأيدينا.
- (٢) الغناء (بفتح الغين): النفع والكفاية (حسن تصريف الأمور وحل التبعة).
- (٣) الاعتلاق: التعلّق، التمسك. يَمَنّ: قصد. النهج: الطريق، الخطة.
- (٤) أكد: أكثر تأكيداً وتثبيتاً. الأرجح: الأقل (أقرب إلى العقل وأحسن حجة).
- (٥) الخطر (بفتح فتح): الرفعة والشرف. سالف: ماضي. المارة: العمران، اتّسع البناء. الذكر (بكسر فسكون): الصيت والشهرة (إنّ التحنيس لم يَمَ بين خطراً وذكراً).
- (٦) كريمة المزارع (خصبة تنبت غللاً كثيرة). عذبة: حلوة. الشارع جمع مشرع: مكان استقاء الماء.
- (٧) جفاً (٩). عطارة ليست في القاموس (يقصد: طيب رائحة).

العديدة. وكان من شجره بهذه الجزيرة قبل ذلك كثير ثم قلّ الآن بسبب أن النصارى يتحفون به ملوكهم وكبارهم دون تعويض لأربابهم<sup>(١)</sup> عنه. فرأى أهل الجزيرة أن غيره من الشجر أعود<sup>(٢)</sup> بالفائدة عليهم فقطعوا أكثره.... وأكثر مساكن أهلها أخصاص<sup>(٣)</sup> من النخيل يجعل كل واحد منهم في أرضه واحداً أو اثنين أو أكثر من ذلك ثم يسكنه بعياله. وليس بها بناء قائم إلا دُور قليلة. وهم ينقسمون إلى فرقتين: فرقة تُعرف بالوهبية ورئاستهم في بني سمون، وأرض هذه الفرقة من الجزيرة الجهة الغربية وما والاها من جهة الشمال؛ وفرقة تُعرف بالنكارة ورئاستهم في بني عزون وأرضهم الجهة الشرقية فما والاها من جهة الجنوب. وكانت مدينة جربة فاصلة بين أرضيهم. وكلا<sup>(٤)</sup> الطائفتين خوارج غلاة في مذهبهن مكفرون العصاة على ما هو معروف من مذهب الخوارج..... والمتصلحون<sup>(٥)</sup> منهم لا يُياسحون بشياهم ثياب أحد ممن ليس على مذهبهن ولا يؤاكلونه في آنيته. وإن استسقى عابراً سبيل ماء من بعض أنبارهم استخرجوا ماء البئر كله فاحوه<sup>(٦)</sup>.

- توزر:

وتوزر هي قاعدة بلاد الجريد<sup>(٧)</sup>، وليس في بلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياهاً. وأصل مياهها من عُيون تنبع من الرمل وتجمع خارج البلد في وادٍ مُتسع وتتشعب منه جداول كثيرة. وتتفرغ عن كل جدول مذانب<sup>(٨)</sup> يقسمونها بينهم على أملاك لهم مُقررة مقاسم من المياه معروفة. ولهم على قسمتها أمناء من ذوي الصلاح

- 
- (١) النصارى (الإسبان أو البرتغاليون) الذين كانوا يحتلون جربة، كانوا يهدون من هذا التفاح إلى ملوكهم ورؤسائهم. ولكنهم كانوا يأخذون هذا التفاح من أصحابه بلا ثمن.
  - (٢) أعود: أنفع. أعود فائدة: أكثر جلباً للفائدة (للريح).
  - (٣) بيت (كوخ) من غصون النجر أو من القصب.
  - (٤) يجب أن يقال: وكلنا الطائفتين.
  - (٥) المتصلحون (غير موجودة في القاموس): الصالحون (الذين يسرون في الحياة على النهج القويم ويتشدّدون في السلوك).
  - (٦) الأييار (يقصد الآبار جمع بئر). ماح البئر يمحها: نزع ماءها (أفرغها).
  - (٧) بلاد الجريد: جنوبي تونس حيث يكثر النخيل.
  - (٨) المذنب (بكسر الميم): سيل الماء.



فيهم يَقْسِمُونَهَا عَلَى السَّاعَاتِ مِنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ بِحَسَابٍ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٍ وَأَمْرٍ مُقَرَّرٍ مَأْلُوفٍ. وَعَلَى ذَلِكَ الْمَاءُ أَرْحَاءٌ<sup>(١)</sup> كَثِيرَةٌ مَنْصُوبَةٌ. وَمَنْ الْعَجَبُ أَنْ هَذَا الْوَادِيَّ يَحْتَمِلُ مَا يَحْتَمِلُ مِنْ غُثَاءٍ<sup>(٢)</sup> أَوْ غَيْرِهِ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى الْمَقْسَمِ افْتَرَقَ هُنَاكَ أَجْزَاءٌ بِالسُّوْيَةِ عَلَى عِدَدِ الْمَسَارِبِ<sup>(٣)</sup> فَمَضَى كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا إِلَى مَسْرَبٍ مِنْهَا. وَهَذَا مِمَّا شَاهَدْتُهُ فِيهَا عَيْنَانًا. وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّمَا يَسْكُنُونَ بِغَايَتِهَا، وَلَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ مَبَانِي الْغَابَةِ وَمَبَانِي دَاخِلِ الْبَلَدِ، فَإِنَّ مَبَانِي الْغَابَةِ أَضْحَمُّ وَأَحْسَنُ. وَبِدَاخِلِ الْبَلَدِ جَامِعَانِ لِلْخُطْبَةِ<sup>(٤)</sup> وَحَمَامٌ وَاحِدٌ. وَمُتَفَرِّجُهُمْ<sup>(٥)</sup> بِمَوْضِعٍ يَعْرِفُونَهُ بِيَابِ الْمَنْشَرِ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُتَفَرِّجَاتِ لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ الْمَاءُ هُنَاكَ... وَيَجْتَمِعُ بِهِ الْقَصَّارُونَ فَيَنْشُرُونَ هُنَاكَ مِنَ الثِّيَابِ الْمُلَوَّنَةِ وَالْأَمْتَعَةِ الْمَوْشِيَّةِ<sup>(٦)</sup> مَا يَعُمُّهُ عَلَى كِبَرِهِ فَيُخَيَّلُ لِلنَّازِلِ أَنَّهُ رَوْضٌ تَقْتَحُّتُ أَزْهَارُهُ وَاطَّرَدَتْ أَنْهَارُهُ<sup>(٧)</sup>.....

٤-★★ رحلة التجاني (قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب - نشرتها كتابة الدولة للتربية القومية والرياضة)، تونس (المطبعة الرسمية) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م؛ ونشر منها قطع مختلفة (راجع بروكلمن).

- تحفة العروس ونزهة النفوس، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠١ هـ؛ فاس (طبع حجر) ١٣١٧ هـ؛ الفصول الأول والسابع والثامن نشرها دوزي في باريس والجزائر ١٨٤٨ م (١٢٦٦ هـ).

نفع الطيب ٤: ١٢٠-١٢١، ٥: ١٨٢-١٨٣؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٧٤٥، بروكلمن ٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٨؛ المكتبة العربية الصقلية ٣٧٥-٤٠٣؛ عنوان الأريب ٨٢-٨٤ (راجع ص ٨٠، السطر الأول)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٢-٢١٤؛ سركيس ٦٥٠.

- (١) الرحا والرحى: الطاحون (حجران يدور أحدهما على الآخر).
- (٢) ألوادي: النهر. الغناء: ما يحمله السيل من الوسخ وفتات (بضم الفاء) الأشياء.
- (٣) المسرب: (مخرج الماء).
- (٤) جامع الخطبة: مسجد الجمعة (الجامع الذي يصلّي فيه الإمام أو الحاكم).
- (٥) المتفرّج: المنزّه.
- (٦) القصّار: الذي يبيّض الثياب. يكون الحام أسمر اللون فيقصرونه (بضم الصاد؟ بتشديدها أيضاً): يعالجونه بمواد كيماوية حتّى يبيّض. الموشى: الملون أو ذو النقوش.
- (٧) اطرد النهر: تابع جريان مائه.

## ابن رُشيد السبتيّ

١ - هو محبّ الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن عبد الله بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد الفهريّ، من أهل سبته، ويُعرف بابن رُشيد (تصغير «رُشيد»).

وُلِدَ ابنُ رُشيدٍ في سبته، وفي سنة ٦٥٧ للهجرة، في الأغلب. وجعل المقرئ (أزهار الرياض ٢: ٣٥٦) مولده في رمضان من سنة ٦٥٧ أو ٦٥٩. وفي سبته بدأ ابنُ رُشيد دراسة الحديث والنحو، ثم انتقل إلى فاس فتابع فيها الدراسة. ففي سبته قرأ ابنُ رُشيد القرآن العزيز بالقراءات السبع على أبي الحسن بن أبي الربيع وعلى أبي الحسن علي بن محمد الكمامي المعروف بابن الخضار، كما درس على ابن أبي الربيع أيضاً أشياء من النحو ومن غير النحو.

وفي سنة ٦٨٣ للهجرة (١٢٨٤ م) عزم ابنُ رُشيد على الحجّ. واتفق أنّ مركبه مرّ في طريقه إلى المشرق بغير المريّة (في جنوبي الأندلس)، فلقى هنالك الوزير أبا عبد الله ابن الحكيم الرنديّ متوجّهاً إلى الحجّ أيضاً، فأصطحبا. وآنهز الرفيقان فرصة الرحلة إلى المشرق فلقيا نفراً من الشيوخ وأخذوا عنهم عدداً من فنون المعرفة. وفي أثناء الطريق أخذ ابنُ رُشيد عن نفرٍ كثيرين من الشيوخ في المريّة وفي بجاية (في الجزائر اليوم) وفي تونس ثمّ في الإسكندرية والقاهرة ودمشق وفي مكّة والمدينة (راجع أزهار الرياض ٢: ٤٣٩). وكان ابنُ رُشيد وابنُ الحكيم الرنديّ يتدبجان (يأخذ كلُّ واحدٍ منهما عن الآخر ما عنده من الأحاديث: أحاديث رسول الله).

وبعد ثلاث سنواتٍ من التّطواف في المشرق عاد ابنُ رُشيد إلى سبته. ولكنه عاش فيها بضعة سنواتٍ في عزلة أو في إهمال من الدولة ومن الناس. ولكن في سنة ٦٩٢ للهجرة (١٢٩٣ م) دعاه صديقه ورقيقه في الرحلة ذو الوزارتين ابنُ الحكيم الرنديّ إلى الأندلس، في أيام أبي عبد الله محمد الثاني، ثاني سلاطين بني الأحمر في غرناطة (٦٧١-٧٠١ هـ). وفي غرناطة تولّى ابنُ رُشيد الخطبة والإمامة (يوم الجمعة) في الجامع الأعظم. ولقد أقام ابنُ رُشيد في غرناطة مدّة (٦٩٢-٧٠٨ هـ) يُقرئ فنونا من

العلم، كما كان في أثناء هذه المدة كلها يُدرّس كل يوم صحيح البخاري. ثم لما توفّي أبو جعفر بن الزبير (في ربيع الأول من سنة ٧٠٨ = مطلع الحريف من عام ١٣٠٨م) - وكان على قضاء المناكح (عُقود الزواج) - خلفه ابن رشيد في هذا المنصب.

وفي شوال من سنة ٧٠٨ (آذار - مارس ١٣٠٩م) خلع السلطان أبو عبد الله محمد الثالث بن محمد الثاني، ثالث سلاطين غرناطة، وقيل الوزير ابن الحكيم الرندي، فعاد ابن رشيد إلى المغرب ونزل في فاس. وجعل له السلطان المريني أبو الربيع سليمان بن عامر الحيار في السكنى حيث شاء في المغرب، فأختار أن ينتقل إلى مراكش - لأنه كان قد سكنها مرة واستحسنها - فولاه السلطان الصلاة والخطبة فيها في الجامع العتيق. وقد أقام في مراكش سنتين لا يشغله سوى التدريس والتحقيق (الأنصاف إلى التوسع في فنون المعرفة).

ثم إن السلطان أبا سعيد عثمان بن يعقوب المريني (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) استدعاه، فيما يبدو، إلى فاس (وكانت فاس في ذلك الحين عاصمة المغرب) فجاء ابن رشيد إليها وأستقر فيها يُدرّس الحديث (نفح الطيب ٥ : ٣٨٩) في حلقة له في جامع القرويين (نفح الطيب ٥ : ٢٧٠).

وبقي ابن رشيد في فاس إلى أن أذركته المنون، في الثالث والعشرين من المحرم (في الأغلب) من سنة ٧٢١ (١٣٢١/٢/٢٢م).

٢ - كان ابن رشيد السبتي كريم النفس حسن العشرة براً بأصدقائه. وكانت له معرفة بالقراءات، ولكنّ مُعظَم عنايته كان مُصرفاً إلى علم الحديث، فلقد كان واسع المعرفة بالحديث: بصحة متنه وضبط أسانيده وعدالة رجاله (أي مراتب رواته في الثقة بما يروون). وكان هو في كل ذلك ثقة عدلاً. وكذلك كانت له معرفة باللغة والنحو (نفح الطيب ٥ : ٢٧٤) وبالأدب وتاريخ الأدب. ثم كان له علم بالنقد أيضاً (نفح الطيب ٤ : ١٢٤ و ٤٧٥س). وكذلك كان هو أديباً وخطيباً بليغاً (نفح الطيب ٥ : ٣٣٧ و ٥١٤). وكان في شعره تكلف وميل إلى التجنيس (أزهار الرياض ٢ : ٣٥٣ - ٣٥٤) مع المعرفة بالعروض والقوافي، ولكنّ نثره كان جيداً.

وكان ابن رُشيد السبتي مُصَنِّفاً. وأشهر ما له في هذا الباب «رحلته»: مَلءُ العَيبة<sup>(١)</sup> بطول الغيبة في الوجْهَتَيْنِ الكرِيتَيْنِ مكة وطَبِيبَة<sup>(٢)</sup> (ذكر فيها نفراً كثيرين من العلماء والأدباء الذين لَقِيَهُمْ، كما ذكر فيها أشياء من آرائهم وغازج من أشعارهم، بالإضافة إلى عدد من الملاحظات الجغرافية والتاريخية). وله أيضاً من الكتب<sup>(٣)</sup>: إفادة النصيح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح<sup>(٤)</sup> - السَّنَ الأبين والمورد الأيمن في السند المَعْنُ<sup>(٥)</sup> - ترجمان التراجم (في أشياء تتعلق بتراجم الرواة الواردة أسماؤهم في صحيح البخاري) - المقدمة المَعْرِفة لعلو المسافة والصفة<sup>(٦)</sup> - تقييد على كتاب سيبويه - إحكام التأسيس في أحكام التجنيس - الإضاءات والإشارات في البديع (وهو المسمى: المرتع المريع لرائد التسجيع والترصيع)<sup>(٧)</sup> - وصل القوام بالخوافي<sup>(٨)</sup> (شرح لكتاب القوافي لشيخه حازم القرطاجني) - جزء مختصر في العروض.

### مختارات من آثاره

- قال ابن رُشيد السبتي في الرحلة والأغتراب (النبوغ المغربي ٨٠٩):

- 
- (١) العيبة: زبيل (حقبة أو كيس) من جلد توضع فيه الثياب.
  - (٢) في الوجْهَتَيْنِ (ورد مكانها أيضاً: في الرحلة إلى). طيبة (بالفتح): المدينة المنورة.
  - (٣) راجع أزهار الرياض ٣: ٣٥٠.
  - (٤) الجامع الصحيح للبخاري.
  - (٥) السنن: الطريق. الأبين اسم تفضيل من يَبِّ (بتشديد الباء): واضح. المورد: مكان شرب الماء. الأيمن صيغة تفضيل من «المن» (وهي صفة معناها: الكثير والقليل، والطويل والقصير. المورد الأيمن: المشرب الكثير الماء (٤). المعنن: السند الطويل (روى فلان عن فلان عن فلان.... الخ).
  - (٦) علو- المسافة والصلة.... (٤).
  - (٧) المرتع: المرعى. المريع: الخصب (الكثير العشب والماء). الرائد: الطالب. التسجيع (السجع): تقفية الفواصل (أواخر الجمل) في النثر. الترصيع (من أنواع البديع): أن تكون الألفاظ في الجملة الواحدة متقنة في الوزن وفي الأعجاز (بفتح الهمزة: الأواخر)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا إِنَّا بِإِيَّاهُمْ﴾ ﴿إِنَّا عَلَيْنَا حَاسِبُهُمْ﴾ (المعجم الوسيط ٣٤٩) - لاحظ: إِنَّا وَعَلَيْنَا، إِيَّاهُمْ وَحَاسِبُهُمْ.
  - (٨) القادمة: الريشة الطويلة في مقدمة جناح الطائر، والحافاة: الريشة الصغيرة الناعمة في باطن جناح الطائر.

تَقَرَّبْ وَلَا تَخْفِلْ لِفُرْقَةِ مَوْطِنٍ      تَقَرَّبَ بِالْمُنَى مِنْ كُلِّ مَا سَيِّئَتْ مِنْ حَاجٍ (١).  
 فَلَوْلَا آغْتَرَابُ الْمِسْكِ مَا حَلَّ مَفَرِّقًا،      وَلَوْلَا آغْتَرَابُ الدَّرِّ لَمْ يَخْطُ بِالنَّجِ (٢).

- قام ابن رُشيد للخطبة يوم الجمعة بعد فراغ المؤذن الثاني وكان (ابن رشيد) قد ظنَّه (الأذان) الثالث. فكثُرَ (٣) لفظُ الناس (٤). فقال ابنُ رُشيدٍ بديهية:

إِنَّ الْوَاجِبَ لَا يُبْطِلُهُ الْمُنْدُوبُ (٥)، وَإِنَّ الْأَذَانَ الَّذِي بَعْدَ الْأَوَّلِ غَيْرُ مَشْرُوعِ الْوَجُوبِ. فَتَأَهَّبُوا لَطَلَبِ الْعِلْمِ وَاتَّبِعُوا. وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ. وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٦). وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ مِنْ قَالَ لِأَخِيهِ - وَالْإِمَامُ يُخْطَبُ - : «أَنْصِتْ»، فَقَدْ لَغَا (٧). جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ عَلِمَ فَعَمِلَ، وَعَمِلَ فَقَبِلَ، وَأَخْلَصَ فَتَخَلَّصَ (٨).

- وقال ابن رُشيدٍ يصف سطح البحر وقد أنبسطت عليه أشعة البدر (أزهار الرياض ٢: ٣٥٣):

انْظُرْ إِلَى الْبَدْرِ قَدْ مَدَّتْ أَشِعَّتُهُ      عَلَى خُضَارَةٍ حَتَّى آيِضٌ أَزْرَقُهُ (٩).  
 وَالرِّيحُ قَدْ صَنَعَتْ دِرْعًا مَسَامِيرُهَا      حَبَابَ مَاءٍ يَرُوقُ الْعَيْنَ رَوْنَقُهُ (١٠).

- (١) لا تخفل: لا تهتم، لا تبال: الحاج (جمع حاجة).
- (٢) المفرق: مكان فرق الشعر في الرأس (الرأس). الدرّة. اللؤلؤة. حظي بالأمر: ظفر (بفتح فكسر) به. - لم يحط بالنج (لم ترصع به تيجان الملوك).
- (٣) من عادة المؤذنين أن يؤذّنوا لصلاة الجمعة (صلاة الظهر يوم الجمعة) مرتين أو ثلاثاً (واحدة منها، أو منها، بين يدي الخطيب، حيناً يصعد المنبر). والمشروع في الدين أذان واحد.
- (٤) لفظ الناس: اختلاط أصواتهم فتصبح مبهمه (لا تفهم). - استغرب الناس أن يبدأ ابن رشيد بالخطبة يوم الجمعة قبل الأذان الثالث المألوف عندهم.
- (٥) الواجب: الفرض. المندوب: ما يتحسن فعله في العبادة (ولكنه ليس فرضاً).
- (٦) القرآن الكريم (٥٩: ٧، سورة الحشر).
- (٧) لغا، يلفو: تكلم (فعل فعلاً يطل صلاته). - إذا صعد الخطيب المنبر يوم الجمعة، وجب على جميع المصلّين أن يستمعوا إلى أقوال الخطيب، ولا يجوز لأحد أن يتكلم ولا أن يصلي.
- (٨) وعمل قبل (منه عمله). أخلص الرجل في عمله: ترك فيه الرياء (فعله من أجل الله أو من أجل المبدأ، لا ليراه الناس). تخلص: صفا (قلب الرجل: أصبحت جميع أعماله موضوعة مواضعها).
- (٩) خضارة: اسم للبحر.
- (١٠) سامر: جمع مسامر. الحباب: فقائع من الماء تكون مملوءة هواء. الرونق (الجمال، الحسن الذي =

- وقال ابنُ رُشيدٍ يرثي أبناً له (الأدب المغربي ٢٣٦ - ٢٣٧):

فإن ألتفتَ فالشخصُ للعين مائلٌ، وإن أستمعَ فالصوتُ للأذن طارقٌ<sup>(١)</sup>.  
وإن أذعُ شخصاً بأسمه لضرورة، فإنَّ أسمه المحبوبَ للنطق سابقٌ<sup>(٢)</sup>.  
وإن تفرَّعَ الأبوابَ راحةً قارعٍ، يطرُ عنها قلبٌ لذكره خافقٌ<sup>(٣)</sup>.  
رأتكَ المنايا سابقاً فأغرَّتْها، فجُدَّ طلاباً إنَّهم لواحقٌ<sup>(٤)</sup>.  
لئن سلَّبتُ مِنِّي نفيسَ ذخائري، فإنِّي بمذخورِ الأجورِ لوائقٌ<sup>(٥)</sup>.  
وقد كان ظنِّي أنِّي لك سابقٌ، فقد صار علمي أنِّي بك لاحقٌ<sup>(٦)</sup>.  
غريبتُ كُنّا، فرَّقَ الدهرُ بيننا بأبرحِ ما يلقَى الغريبُ المفارقُ<sup>(٧)</sup>.

- من رحلة ابن رشيد: في رابع (النبوغ المغربي ٦١٧ - ٦١٨):

.... ذكر غريبةٍ عنَّتْ لنا في رابعٍ وما عنَّتْ<sup>(٧)</sup>، بل أغنَّتْ في معنى الآية الكريمة وأقنَّتْ<sup>(٩)</sup>. وهي قوله تعالى<sup>(١٠)</sup>: ﴿يا أيها الذين آمنوا، لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بَشِيءً مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾.

صَحَبَنِي فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْمَدِينَةِ - عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - إِلَى الْبَيْتِ

- 
- = يسرَّ العين). راق المنظر العين: وجدته العين حسناً. الصورة البلاغية هنا خطأ، فالريح لا تجعل على ماء البحر (أو ما النهر) حباباً بل تعاريج.
- (١) كيفما التفتَ أتخيل أنه واقف أمام عيني. وكلَّ صوت أسمعُه يخيل إليَّ أنه صوته.
- (٢) وإذا أنا احتجت إلى أن أنادي أحداً بأسمه، يسبق إلى لساني أسم ابني الميت. اقرأ: في النطق.
- (٣) طار القلب يطير (من الفرح أو من الخوف).
- (٤) رآك الموت سابقاً (للمناس في معالي الأمور). فأركض ما شئتَ فإنَّ الموت يلحق بك.
- (٥) بمذخور الأجر (بالأجر المذخور - المحبَّب لي ليوم القيامة).
- (٦) كنت أظنُّ أنِّي سابق لك (سأموت قبلك، لأنني أكبر منك سناً).
- (٧) أبرح: أشد، أكثر شدة، أكثر ألماً. - كل فراق بأمر من أمور الدنيا أهون على النفس من الفراق بالموت.
- (٨) عنَّت (من «عن»: ظهر). رابع (هنا): وادٍ بين مكَّة والمدينة قريب من البحر. عنَّت (من «عن»: أحب، أهم).
- (٩) أقضى فلان فلاناً: أعطاه (مالاً أو شيئاً ثميناً).
- (١٠) القرآن الكريم (٥: ٩٤، سورة المائدة). يخافه بالغيب: يتقيد بأمر الله، ولو لم يكن أحد من أولي الأمر (رجال الدولة) يراقبه. يبلو: يختبر. تناله أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ: يسهل صيده.

الحرام<sup>(١)</sup> أحدُ الشيوخ من شُرفاء المدينة. فلما وافقنا<sup>(٢)</sup> رابعَ رأيتُ أمراً عجَباً من تَخَلُّلِ الوحشِ (من) الغزال والأرنب، بينَ الجبال والرحال<sup>(٣)</sup>، بحيث يناله الناس بأيديهم، والناس يُنادون: حَرَامٌ، حَرَامٌ! والجوارحُ قد سُلِّلت خيفةً تَعْدِي جاهل يتصَفَّ المجاهل<sup>(٤)</sup>. فقال لي ذلك الشيخ الشريف: «تأملُ ترَ عَجَباً. هكذا جرت عادتنا في هذه الطريق؛ إذا مرَرنا به ونحن محرمون<sup>(٥)</sup> نَجِدُ به من الوحش ما ترى. فإذا عُدنا مُحَلِّين<sup>(٦)</sup>، لم نَجِدْ به شيئاً». فلما عُدنا كان (الأمر) كما قال. فبان لي من معنى الآية ما لم يكن عِندي بالمُشاهدة<sup>(٧)</sup>.

٤- رحلة ابن رشيد إلى الحرمين الشريفين (تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه)\*.

★ الوافي بالوفيات ٤: ٢٨٤-٢٨٦ (رقم ١٨٠٥)؛ أوصاف الناس ١٠٠-١٠٢؛ الديباج المذهب ٣١٠-٣١١؛ الدرر الكامنة حيدر آباد ٤: ١١١-١١٣ (رقم ٣٠٨)، مصر ٤: ٢٢٩-٢٣١ (رقم ٤١٧٢)؛ بغية الوعاة ٨٥-٨٦؛ درة المجال ٢: ٩٦-١٠٠؛ شذرات الذهب ٦: ٥٦؛ أزهار الرياض ٢: ٣٤٧-٣٥٦؛ نفح الطيب ١: ٦٠٦-٦١٥، ٢: ١٩٥-١٩٦، ٥٨٢-٥٨٣، ٥٨٩، ٦٢٣-٦٢٤، ٣: ٥٢٣، ٤: ١٢١، ١٢٢، ٣١١-٣١٣، ٤٩٦، ٥: ٢٧٤، ٤٨٠-٤٨١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٩، بروكلمن ٢: ٣١٧، الملحق ٢: ٣٤٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠٥ (٦: ٣١٤)؛ معجم المؤلفين ١١: ٩٣-٩٤؛ الأدب المغربي ٢٣٦-٢٣٨؛ النبوغ المغربي ٢٠٦، ٣٨١ (في الترقيم الأول)، ٦١٧-٦١٨، ٨٠٩.

(١) البيت الحرام: الكعبة (مكة).

(٢) وافقنا: وصلنا إلى...

(٣) تَخَلَّلُ الوحش بين الجبال والرحال: مرور الوحش (الحيوانات غير الأليفة) بين الجبال والرحال (الأحمال) - سواء أكان المسافرون سائرين (يتابعون سفرهم) أو كانوا نازلين (مستريحين، وقت التوقف عن متابعة السفر).

(٤) الجوارح: الطيور الكاسرة كالنسر وغيره. سللت: رُبِطت بالسلاسل - كأن الجوارح قد ربطت فلا تنقُص على أحد أو على شاة مع أحد لئلا يضطر محرم (حاج) إلى قتلها (إلى سفك دم لا يجوز سفكه في أثناء الإحرام بالحج). تصَفَّ: سلك الطريق على غير علم بها (هجم على أمر لا يعرف عواقبه). المجهل: الأرض لا علامات فيها (جبال أو أشجار الخ).

(٥) المحرم: الذي نوى الحجَّ وجعل يقوم بالناسك (بأعمال الحج).

(٦) المحلَّ (بتشديد اللام): الذي انتهى من القيام بناسك الحجَّ ثم نوى الخروج من الإحرام.

(٧) بان: ظهر. بالمُشاهدة (بالملاحظة الشخصية).

(\*) راجع مجلة «قافلة الزيت» (جادی الأولى من سنة ١٣٩٢).

## ابن البناء العددي

١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء (لأن والده كان بناءً) العددي (لبراعته في علم العدد: العلم الرياضي) المراكشي.

وُلِدَ آبنُ البناءِ العدديُّ في مَرَّاكُشَ، سَنَةَ ٦٤٧ للهجرة على الأصح (نيل الابتهاج ٦٧)، وتلقَى علومَه في مَرَّاكُشَ وفي فاس. وقد كان له شيوخٌ (أساتذة) كثيرون (نيل الابتهاج ٦٦) مِنْهُمْ القاضي الشريفُ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ بنِ يحيى قرأ عليه كثيراً من الكتب وذاكَرَهُ في كتاب «الأصول» أو «الأركان» لأقليدس (في الهندسة المستوية). ومنهم آبنُ حجلةَ الرياضيُّ قرأ عليه أشياء من الطَّبِّ والفَلَكِ، كما قرأ الفَلَكَ على أبي عبدِ اللهِ آبنِ مخلوفِ السَّلْجَماسي. ومن شيوخه أيضاً أبو عبدِ اللهِ بنِ يسر قرأ عليه القرآن في مَرَّاكُشَ. ومنهم قاضي الجماعة أبو الحجاج يوسفُ التَّجِيبِيُّ المِكناسيُّ ثم أبو الوليد بنُ الحجاج قرأ عليه كتاب المِيعار وكتاب المُستَصْفَى (وكلاهما لأبي حامد الغزالي). ومن شيوخه أبو عمران موسى الزَّناطِيُّ قرأ عليه شرحه على كتاب الموطأ (للملك بن أنس) وتَفَقَّه عليه. وكذلك قرأ كتاب سِيبَوَيْهٍ (في النحو) على أبي إسحاق الصَّنْهَاجيَّ العطار.

وتصدَّر آبنُ البناءِ المَرَّاكُشيُّ في مَرَّاكُشَ للتدريس، ويبدو أَنَّهُ كان يُدَرِّسُ مَوْضوعاتٍ مختلفةٍ كاختلاف الموضوعات التي تَلَقَّاهَا عَنْ شُيُوخِهِ.

وكانت وفاةُ أبي العباسِ بنِ البناءِ في سادسِ رَجَبٍ من سَنَةِ ٧٢١ (١٣٢٢/٨/٢ م) في مَرَّاكُشَ.

٢- كان أبو العباس بن البناء رجلاً وقوراً فاضلاً حسنَ السيرة وافرَ العقلِ مُهَذَّباً حَسَنَ التحديث، ولكن قليلَ الكلام، لا يكاد يتكلَّم إلا في العلم الذي يُريدُ أن يُفيدَ به الطُّلابَ. وكذلك كان إماماً مُعظِّماً عند الملوك، وَبَلَغَ عِنْدَهُمْ مَكَانَةً أَجتماعية سامية. وكان له ميل إلى التصوُّف.

ومَعَ أَنَّ آبنَ البناءِ كان مشهوراً بالرياضيات، فَإِنَّهُ بَرَعَ أيضاً في فنون كثيرة. فبالإضافة إلى الحساب والهندسة والفلك، وإلى جانب معرفته بأشياء من التنجيم والسحر وما يتعلَّقُ بها، فَإِنَّهُ قد بَرَعَ في قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وبِمعْرِفَةِ الحديث والفقه والنحو



والمنطق والأدب والبلاغة والشعر .

ولأي العباس بن البناء تصانيف كثيرة العدد متنوعة الموضوعات، منها: تلخيص أعمال الحساب. هذا الكتاب موجز جداً. من أجل ذلك شرحه علماء كثيرون. وفي كتاب «التلخيص» هذا أشياء من علم العدد (خواص الأعداد، من تقسيمها أفراداً وأزواجاً وجعلها متواليات حسابية وهندسية) ومن الحساب (الأرقام ثم تدوين الأعداد في مراتب) ثم أشياء من الجبر ومن الأعمال الأربعة فيما يتعلق بالأعداد الصحيحة والكسور (راجع الحواشي على النص المختار لابن البناء). ويقول قذري طوقان (تراث العرب العلمي ٧٤-٧٥، ٤٣٠): بحث ابن البناء في «قاعدة الخطأين لحل المعادلات ذات الدرجة الأولى... وأدخل بعض التعديل على الطريقة المعروفة بطريق الخطأ الواحد، ووضع ذلك بشكل قانون....»

ولابن البناء أيضاً كتاب اسمه «رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب» شرح فيه ابن البناء نفسه كتابه «تلخيص أعمال الحساب». يقول ابن خلدون (المقدمة- دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٨٩٧): وهو مستغل على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المباني. (ثم) هو كتاب جليل أدركنا المشيخة ( كبار الأساتذة) تعظمه .

وله أيضاً: مقالات في الحساب (فيه كلام على الأعداد الصحيحة والكسور والجذور والتناسب)- كتاب الأصول والمقدمات (في الجبر والمقابلة)- تنبيه الألباب على مسائل الحساب- مسائل في العدد التام والناقص- جزء في العمل بالرومي (بتدوين مسائل الحساب بالأحرف لا بالأرقام)- التمهيد والتيسير في قواعد التكسير- رسالة في علم المساحة (الهندسة المستوية)- مقدمة في أقليدس والمقالات الأربع- منهاج الطالب في تعديل الكواكب- اليسارة في تعديل الكواكب السيارة- تسهيل العبارة في تكميل ما نقض من اليسارة (وهو ملحق متمم للكتاب السابق) قانون لترحيل الشمس والقمر في المنازل ومعرفة أوقات الليل والنهار- كتاب تحديد القبلة<sup>(١)</sup>- رسالة في الأنواء

(١) يتجه المسلمون في صلاتهم- حيث كانوا من الأرض- نحو الكعبة المشرفة في مكة المكرمة. ومعرفة القبلة (الاتجاه نحو الكعبة) يحتاج إلى دقة في حساب الجهات.

(أحوال الجوّ) - (رسالته) في المناخ - كتاب في التنجيم والأنواء .

ولاين البناء كُتِبَ في تفسير القرآن وفي الفقه منها: عنوان الدليل مرسوم خطّ التأويل - منحه ملاك التأويل - حاشية على الكشاف (للزمخشري؟) - جزء صغير على سورة «إنا أعطيناك»، و«العصر»<sup>(١)</sup> - تفسير الباء في البسملة<sup>(٢)</sup> - بداية التعريف (في الاعتقاد) - الأقتضاب والتقريب للطالب اللبيب في أصول الدين - منتهى السؤل في علم الأصول - رسالة الفرق بين الخوارق الثلاث: المعجزة والكرامة والسحر - مراسم الطريقة في علم (فنّ) الحقيقة (في التصوّف).

ثمّ له في الأدب: الرّوضُ المريعُ في صناعة البديع<sup>(٣)</sup> - قانون في معرفة الشعر - مقالة في عُيوب الشعر - قانون في الفرق بين الحكمة والشعر - شرح الأرجوزة<sup>(٤)</sup> - موشّح كافل للمطلّب<sup>(٥)</sup>.

### ٣ - مختارات من آثاره:

- مختارات من «تلخيص أعمال الحساب» لابن البناء:

الغرض من هذا الكتاب تلخيص أعمال الحساب وتقريب أبوابه ومبانيه. وهو يشتمل على جزءين: الأول (منها) في أعمال العدّد المعلوم<sup>(٦)</sup> والثاني في القوانين التي يمكنُ بها الوصولُ إلى معرفة «المجهول المطلوب» من «المعلوم المفروض»، إذا كان بينهما صلة تقتضي ذلك<sup>(٧)</sup>. ومن الله أسأل العون والتوفيق والإرشاد إلى سواء السبيل. .... العدّد ما تألّف من الآحاد<sup>(٨)</sup>. وهو ينقسمُ بحسب ما أخذه قسمين: صحيحاً

(١) سورة الكوثر وسورة العصر (السورتان ١٠٨ ثم ١٠٣ في المصحف).

(٢) البسملة: بسم الله الرحمن الرحيم.

(٣) المريع: الخصب. البديع (الجناس والطباق) من المحسّنات اللفظية في البلاغة.

(٤) العدد المعلوم: المقدار المعروف (٥، ١٧، ٢٣، ١٠٨، إلخ) - إن كلّ عدد من هذه يدلّ على مقدار معيّن.

(٥) هذا تعريف علم الجبر، فإذا نحن قلنا في المتطابقة: س + ٤ = ١١، قلنا: س (المجهول المطلوب) إذا جمع إلى ٤، يكون المجموع ١١. إذن ١١ - ٤ = ٧ (وهو المجهول المطلوب).

(٦) كلّ عدد يتألّف من آحاد، ٥ = ١ + ١ + ١ + ١ + ١، إلخ.

وَكَسْرًا. والصحيحُ على ضربَيْنِ (نوعين): زوجٌ وفَرْدٌ<sup>(١)</sup>. والزوجُ على ثلاثة أنواع: زوجُ الزوج، وزوجُ الفرد، وزوجُ الزوج والفرد<sup>(٢)</sup>. والفردُ على نوعين: أولٌ وفردُ الفرد<sup>(٣)</sup>. ولَمَّا كان العدْدُ يَتَزَايَدُ إلى غيرِ نهايةٍ<sup>(٤)</sup>، جُعِلَ له ثلاثُ مَرَاتِبَ<sup>(٥)</sup>، وتُسمَّى أيضاً منازلَ - وتَدُورُ عليها منازلُ العددي - في كُلِّ مرتبةٍ منها تسعةُ أعدادٍ.

فالمرتبةُ الأولى من واحدٍ إلى تسعةٍ، وتُسمَّى مرتبةَ الآحاد. والثانيةُ من عشرةٍ إلى تسعين، وتُسمَّى مرتبةَ العشرات. والثالثةُ من مائةٍ إلى تسعمائةٍ، وتُسمَّى مرتبةَ المِئتين.

وللعددِ اثنا عشرَ اسماً بسيطاً يتركَّبُ منها جميعُ أسمائه. فالتسعةُ الأولى منها هي الآحاد، والعاشرُ للعشرات، والحادي عشرُ للمِئتين، والثاني عشرُ للآلاف - وهي بمنزلةِ الآحاد<sup>(٥)</sup> - ومن هنا يعودُ الدور<sup>(٦)</sup>.

الجبرُ هو الإصلاح<sup>(٧)</sup>. والمقابلة طَرَحُ كُلِّ نوعٍ من نظيره حتى لا يكونَ في الجهتينِ

(١) شفع ووتر، أو مجوز (٢، ٤، ٦، ٨، إلخ) ومُفَرَّد (٣، ٥، ٧، ٩، إلخ).

(٢) زوج الزوج، زوج الفرد، زوج الزوج والفرد: اصطلاحات تطلق على المتوالية الهندسية (حينما يكون كلُّ حد في المتوالية يساوي نصف الحد الذي يليه. فزوج الزوج هو المتوالية التي تبدأ بعدد شفع: ٢، ٤، ٨، ١٦، إلخ. وزوج الفرد هو المتوالية التي تبدأ بعدد فرد: ٣، ٦، ١٢، ٢٤، إلخ. وزوج الزوج والفرد يجب أن يكون «زوج زوج الفرد» أو هو تجريد الحدود المفردة، نحو ٣، ٥، ٧، ٩، ١١ (وهذه سلسلة حاسوبية: يزيد كلُّ حد فيها على الحد الذي قبله بفرق معلوم، بعد أن تبدأ السلسلة بعدد مفرد). وإذا قبلنا التسمية «زوج الزوج والفرد»، فيكون معنى ذلك  $2 + 3 = 5$ ، ثم نستمرُّ في التضعيف: ٥، ١٠، ٢٠، ٤٠، إلخ.

(٣) فرد أول هو العدد الذي لا يقسم إلا على نفسه (وعلى واحد): ١، ١٧، ٥٩، إلخ. وفرد الفرد.....

(٤) الواضح هنا أن الأعداد لا تنتهي: لا تقف عند عدد معين.

(٥) الأعداد التسعة الأولى هي آحاد: العشرة تمثل مرتبة العشرات (لأنها في الترتيب تمثل مرتبة زائدة إلى اليسار: «١٠»، والأحد عشر «١١٠» تمثل (في الترتيب) مرتبة ثالثة. والاثنا عشر (في الترتيب) تمثل مرتبة ثالثة إلى اليسار «١١١٠» (بحسن إذا نحن أردنا أن ندرك هذا التنظيم أن نعلم أن الفيشاغورثيين لمَّا تكلموا في علم العدد - أو خواصَّ الأعداد - لم يكن عندهم أرقام، بل كانوا يمدِّون بمجموعات من الحصى يرتَّبون بعضها خلف بعض).

(٦) ومن هنا يعود الدور: بعد أن تنتهي من المراتب: آحاد، عشرات، مِئتين (مئات) نصل إلى الألوف (آحاد الألوف) ثم نستمرُّ على النمط السابق فنقول: عشرات الألوف، مِئتين الألوف، ألوف الألوف. ثم نقول: آحاد ألوف الألوف، عشرات ألوف الألوف، مِئتين ألوف الألوف، ألوف ألوف الألوف، إلخ.

(٧) الجبر (بالمعنى اللغوي): الإصلاح (إذا كسر عظم في إنسان، فإنه يُجبر). (والجبر هنا) جعل الكسور =

نوعان من جنس واحد. والمعادلة هي أن يُجَبَّرَ الناقصُ إلى الزائدِ وَيُطَرَحَ الزائدُ من الزائدِ و(يطرح) الناقصُ من الناقصِ من الأشياء المتجانسة<sup>(١)</sup>.

ومدارُ (علم) الجبر على ثلاثة أنواع: العدد والأشياء والأموال. فالأشياء هي الجذور، والمال ما يَجْتَمِعُ من ضَرْبِ الجذرِ في نفسه. والعدد ما لم يُنسَبْ إلى جذرٍ ولا مال<sup>(٢)</sup>...

واعلم أنَّ أسَّ الأشياءِ واحدٌ<sup>(٣)</sup>، وأسَّ الأموالِ آثان، وأسَّ الكُعُوبِ ثلاثة<sup>(٤)</sup>.... فإذا ضَرَبْتَ هذه الأنواعَ فَاجْمَعِ (أسَّ المضروبِ إلى) أسَّ المضروبِ فيه فيكونَ مجموعُ الأسِّينَ أسًّا للخارج<sup>(٥)</sup>. وإذا ضَرَبْتَ عدداً في أحدِ هذه الأنواعِ، فالخارجُ ذلك النوعُ بعينه<sup>(٥)</sup>.

- وقال ابن البناء العددي في الحكمة (النبوغ المغربي ٨٠٧):

قَصَدْتُ إلى الوَجَازَةِ في كلامي      لِعَلِمِي بالصوابِ في الاختصارِ<sup>(٦)</sup>  
ولم أَخْذَرْ فُهوْماً دونَ فُهْمِي      ولكن خِفْتُ إِزْراءَ الكِبَارِ<sup>(٧)</sup>.  
فشانُ فُحوْلَةِ العُلَماءِ شأني،      وشأنُ البسطِ تَعْلِيمُ الصِّغارِ<sup>(٨)</sup>.

= أعداداً صحيحة:  $\frac{1}{2}$  ب + ٣ ح - س = ١٠٠، تجعل الجبر: ب + ١٢ ح - ٤ س = ٤٠٠ (بأن نضرب المعادلة كلها بأربعة لتتخلص من الربع، فيصبح حلّ المسألة أهون). المقابلة أن تجمع الحدود المتجانسة وأن تفرّق الحدود المختلفة في طرفي المعادلة: ٣ س + ١٢ = س + ٢٢ فتصبح ٣ س - س = ٢٢ - ١٢، تساوي ٢ س = ١٠، أو س = ٥.

(١) الشيء أو الجذر: س، ص، ب إلخ (عدد مجهول). المال: الشيء المضروب بنفسه: س × س = س².

العدد (المفوظ، المعلوم) ١٨، ٥٢، ٢١٨ إلخ (ليس معه جذر ولا مال).

(٢) هنالك أساس وأس. في ب² (ب = أساس، والعدد ٢ فوقها هو الأس). ومعنى ذلك أن «ب» مضروبة بنفسها (ب × ب). وب² تعني أن «ب» مضروبة بنفسها مرتين (ب × ب × ب) إلخ. وحينما يكون الأس واحداً فنحن لا نكتبه: نحن لا نكتب ب¹، بل «ب» فقط.

(٣) س² تدعى مالاً (أو س تربيعاً)، س³ تدعى كعباً (أو س مكعبة).

(٤) حينما نضرب س² في س³ يصبح لدينا س⁵ (تجمع الأساس - بالكسر جمع أس بالضم - فقط).

(٥) إذا ضربنا س في س في س³، يبقى الأساس كما هو (س)، ثم نجمع الأساس (بالكسر: جمع أس).

(٦) الوجازة: الإيجاز، الاختصار. - الكلام الكثير المفصل يكون أكثر مدعاة إلى الخطأ.

(٧) أَرَى الجهل بالإنسان: عابه، جعله محتقراً.

(٨) الإيجاز شأن العلماء في مخاطبة بعضهم بعضاً. أمّا البسط (الشرح والتفصيل) فيكون في تعليم الصغار (الجهال).

- ٤- منهاج الطلب في تعديل الكواكب (.....)، ..... (الطبعة المغربية) ١٩٥٢ م.  
 - تلخيص أعمال الحساب (حقّقه محمود سويبي)، تونس (منشورات الجامعة التونسية) ١٩٦٩ م.  
 \* نيل الابتهاج ٦٥-٦٨؛ البدر الطالع ١: ١٠٨؛ الإعلام بن حلّ مرّاكش من الأعلام ١: ٣٧٥-٣٨٤؛ ابن قنفذ ٣٤٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣١؛ بروكلمن ٢: ٣٣٠-٣٣١، الملحق ٢: ٣٦٣-٣٦٤؛ تراث العرب العلمي لطوقان ٤٢٩-٤٣٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٢١٣-٢١٤ (٢٢٢)؛ النبوغ المغربي ٢١٣، ٨٠٧.

## ابن آجروم

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي المعروف بأبن آجروم (ومعنى آجروم أو أكروم - بالكاف المعقودة، بلغة البربر - «الفقير الصوفي»). وُلِدَ في فاس، في سنة ٦٧٢ للهجرة (١٢٧٣-١٢٧٤).

تلقّى أبو عبد الله بن آجروم علومه في فاس ثم ذهب إلى الحجّ - وقد استوفى علمه، فيما يبدو - فقد ألف «مقدمته» الجرومية (أو «الأجرومية») تجاه الكعبة. و«المقدمة» هذه هي أشهر كتب ابن آجروم وأبعدها أثراً. وجلس ابن آجروم للتدريس في فاس يعلم النحو والقراءات.

وكانت وفاة ابن آجروم في فاس في صفر من سنة ٧٢٣ (شباط - فبراير ١٣٢٣ م).

٢- كان أبو عبد الله بن آجروم بارعاً في النحو وفي القراءات وعارفاً بفنون أخرى من العلم كالفرائض والحساب والأدب. وكانت له أراجيز ومصنّفات، له: فرائد المعاني في شرح حرز الأمان<sup>(١)</sup> - المقدمة الأجرومية.

ومع أن السيوطي قد قال (بغية الوعاة ١٠٢، السطر ٤ من أسفل): وله معلومات

(١) للإمام الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) - راجع الجزء الخامس.

من فرائضَ (تقسيم الإرث) وحسابٍ وأدبٍ بارع»، فليس من الواضح أن البيتين اللذين نسبهما المقرئ (نفع الطيب ٥: ٩٥-٩٦) إلى ابن أجروم، وهما:

يا غائباً كان أنسي رهنَ طلعتِه، كيف أصطباري، وقد كابذتُ بينهما  
دعوايَ أنك في قلبي يُعارضُها شوقي إليك، فكيف الجمعُ بينهما؟

أنهما لأبي عبد الله بن أجروم، كما توهم الحاشية التي علّقها إحسان عباس (ص ٩٥) وقال فيها: «المشهور بهذا الاسم هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ت ٧٢٣)، وهو نحوي، وله في النحو مؤلف سمي الأجرومية». ولعل هذين البيتين لمندبل بن أجروم ابن صاحب الأجرومية، فهو شاعرٌ غيرٌ مُقلِّ. ولقد روى له المقرئ بيتين آخرين أكثر طلاوة (نفع الطيب ٥: ٤١٨) ثم أورد له أيضاً قصيدة (نفع الطيب ٧: ١٢٣-١٢٥). ولمندبل هذا (ت ٧٧٣هـ) ترجمة في هذا الجزء.

أمّا في النحو خاصّة، فإنّ أبا عبد الله محمد بن أجروم من أتباع المذهب الكوفي، فقد قال السيوطي (بغية الوعاة ١٠٢): «..... إنّنا استفدنا من مُقدّمته أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو، لأنّه عبّر بالحفّض<sup>(٢)</sup> - وهو عبارتهم. وقال الأمر مجزوم<sup>(٣)</sup>، وهو ظاهر في أنّه مُعرب<sup>(٤)</sup>، وهو رأيهم. وذكر في الجوازم «كيفها»، والجزم بها رأيهم: وأنكره البصريون».

وقد كان للأجرومية على إيجازها، شهرةٌ كبيرةٌ في المشرق والمغرب، فقد صنّع النحاة عليها نحو ستين شرحاً، كما أنّها قد عُرِفَت في الغرب (في أوروبا) منذ القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) وتقلّت إلى مُعظم اللغات الأوروبية، ولها في اللاتينية وحدها ثلاثة نقول<sup>(٥)</sup>.

(١) بينهما = منى «بين» (فراق، بعد). ها (في «بينها») ضمير يرجع إلى «طلعتِه» وإلى «اصطباري».

(٢) عبّر بالحفّض (كما يقول الكوفيون) بدل الجرّ.

(٣) وقال في فعل الأمر إنّهُ مجزوم (وهو قول الكوفيين)، بينما هو عند غيرهم «مبني على السكون».

(٤) ... ولأنّ ابن أجروم قال في فعل الأمر إنّهُ «مجزوم»، فقد دلّ ذلك على أن ابن أجروم يقول في فعل الأمر إنّهُ معرب (كما يقول الكوفيون).

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٧، أعلى العمود الأيمن.

### ٣- مختارات من آثاره

- من متن الأجروميّة:

★ الكلام ★ الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع<sup>(١)</sup>، وأقسامه ثلاثة: أسم وفعل وحرف جاء لمعنى<sup>(٢)</sup>. فالأسم يُعرف بالحفّض والتنوين ودخول الألف واللام وحروف الحفّض، وهي: مِنْ وإلى وعن وعلى وفي وربّ والباء والكاف واللام، وحروف القسم، وهي: الواو والباء والتاء. والفعل يُعرف بقَدْ والسين وسوف وتاء التأنيث الساكنة. والحرف ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل<sup>(٣)</sup>.

★ الأعراب ★ هو تغيير أو آخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه لفظاً أو تقديراً<sup>(٤)</sup>. وأقسامه أربعة: رفع ونصب وخفض وجزم. فلأسماء من ذلك الرفع والنصب والخفض، ولا جزم فيها. وللأفعال من ذلك الرفع والنصب والجزم، ولا خفض فيها.....

(١) اللفظ هو الصوت المشتمل على عدد من الحروف. المركب (المؤلف، المجموع إلى غيره) فلا يكون اللفظ كلاماً (جمله تامة) إلا إذا كان مؤلفاً من كلمتين فأكثر (إلا إذا كان في الفعل ضمير مستتر وجوباً، نحو «قم»). ويجب أن يكون الكلام مفيداً (يؤدي معنى مألوفاً) بالوضع (بحسب ما تواضع - أي اتفق - عليه العرب: يجب أن تكون الجملة التامة مركبة من ألفاظ معروفة في اللغة العربية).

(٢) ... وحرف جاء لمعنى. الاسم والفعل يدلان على معاني في نفسيهما (بيت، شجرة، اجتماع)، والحرف يدل على معنى في غيره (لا يثبت معناه إلا إذا قرّن بغيره: هذان سعيد وسليم - جاء سعيد والسماء تمطر - ما شأنك والآخرين: فالواو في الجملة الأولى للعطف، وفي الجملة الثانية للحال، وفي الجملة الثالثة للمعية).

(٣) قوله: «الاسم يعرف بالخفض والتنوين ودخول اللام... والفعل يعرف بقَدْ... والحرف ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل» إشارات ظاهرة يدركها العربي. أمّا غير العربي فلا ينتفع بها. إنّ كلمة «أحمد» مثلاً هي - في الأصل فعل مضارع للمتكلم المفرد - من أجل ذلك تدخل عليها قد والسين وسوف. ثمّ نقلت كلمة «أحمد» إلى اسم العلم فأصبح يدخل عليها الحفّض، وتقبل التنوين (في ضرورة الشعر)، إلخ.

(٤) - إذا قلنا: لن يذهب سعيد إلى المدرسة، فإنّ «يذهب» و«سعيد» و«المدرسة» معربة لفظاً بالفتحة والضمة والكسرة على التوالي. أمّا إذا قلنا: يرجى من القاضي أن ينهى عن الظلم، فإنّ الفعل «يرجى» والاسم «القاضي» والفعل «ينهى» معربة تقديراً بالضمة المقدرة على الألف في «يرجى» (منع من ظهورها التعذر: لفظ فتحتين في وقت واحد). والاسم «القاضي» معرب بالضمة تقديراً (منع من ظهورها الثقل: لاستثقال لفظ الضمة الطارئة على الياء المسبوقة بكسرة أصلية).

المُعْرَبَاتُ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يُعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ، وقِسْمٌ يُعْرَبُ بِالْحُرُوفِ. فالذي يُعْرَبُ  
 بالحركات أربعة أنواع: الأسمُ المفردُ وجعُ التكسير وجعُ المؤنثِ السالمِ والفعلُ المضارعُ  
 الذي لم يتصل بآخره شيءٌ؛ وكلُّها تُرْفَعُ بالضمة وتُنْصَبُ بالفتحة وتُخَفَّضُ بالكسرة  
 وتُجْزَمُ بالسكون. وخرَجَ عن ذلك ثلاثة أشياء: جمعُ المؤنثِ السالمِ يُنْصَبُ بالكسرة  
 والأسمُ الذي لا يَنْصَرَفُ يُخَفَّضُ بالفتحة، والفعلُ المضارعُ المعتلُّ الآخرُ يُجْزَمُ بِحَذْفِ  
 آخره. والذي يُعْرَبُ بالحروف أربعة أنواع: التثنيةُ وجعُ المذكرِ السالمِ والأسماءُ  
 الخمسةُ والأفعالُ الخمسةُ وهي يَفْعَلانِ وتَفْعَلونَ ويفْعَلونَ وتَفْعَلينَ. فأما التثنيةُ  
 فترْفَعُ بالألف وتُنْصَبُ وتُخَفَّضُ بالياء. وأما جمعُ المذكرِ السالمِ فيُرفَعُ بالواو ويُنْصَبُ  
 ويُخَفَّضُ بالياء. وأما الأسماءُ الخمسةُ فترْفَعُ بالواو وتُنْصَبُ بالألفِ وتُخَفَّضُ بالياء.  
 وأما الأفعالُ الخمسةُ فترْفَعُ بالنونِ وتُنْصَبُ وتُجْزَمُ بِحَذْفِها.

★ باب لا ★ اعلم أن «لا» تُنْصَبُ النِّكَرَاتِ بغيرِ تنوينٍ، إذا باشرتِ النِّكَرَةَ ولم  
 تَتَكَرَّرْ «لا»، نحو: «لا رَجُلَ في الدار»<sup>(١)</sup>. فإن لم تُبَاشِرْها، وَجَبَ الرِّفْعُ وَوَجَبَ  
 تَكَرُّارُ «لا»، نحو: «لا في الدار رجلٌ ولا امرأةٌ». فإذا تَكَرَّرَتْ جازَ إعمالُها  
 وإلغاؤها. فإن شِئْتَ قُلْتَ: «لا رجلَ في الدارِ ولا امرأةٌ»، وإن شِئْتَ قُلْتَ: «لا  
 رجلَ في الدارِ ولا امرأةٌ»<sup>(٢)</sup>.

#### ٤ - المقدمة (الأجرومية):

إنَّ قَصَرَ هذه الرسالة (المقدمة الأجرومية) قد سهَّلَ شرحَها وطبعَها. فالطَّبَعَاتُ التالية هي  
 أمثلة من الطَّبَعَاتِ الكثيرة المختلفة الأماكن والسنين:

(١) لا: نافية للجنس. رجلٌ: اسم «لا النافية للجنس» مبني على ما يُنْصَبُ به (هنا، على الفتحة). ومعنى  
 الجملة: لا يوجد في الدار رجلٌ ولا أكثر من رجلٍ (لكن يمكن أن يوجد فيها نساء أو أطفال أو  
 حجارة). أمَّا إذا قلنا: لا رجلٌ (بضمّين) في الدار، تكون لا هنا نافية للوحدة، فيكون المعنى هنا،  
 إذن: ليس في الدار رجلٌ واحدٌ، بل فيها رجلان أو ثلاثة رجال أو أكثر (و«لا»، هنا، تعمل عمل  
 «ليس»: لا كاذبٌ محموداً عند الله ولا عند الناس).

(٢) في الجملة: «لا رجلَ في الدار ولا امرأةٌ» (الواو: حرف عطف، امرأةٌ: معطوفة على رجل، فهي أيضاً  
 اسم للحرف «لا» النافية للجنس). أمَّا إذا قلنا: «لا رجلَ في الدار ولا امرأةٌ» (بضمّين على  
 «امرأةٌ»، كانت الواو حرف عطف، وكانت «لا» حرف نفي عادي، وكانت «امرأةٌ» مبتدأ، وكان  
 خبر امرأةٍ مقدراً يضره ما قبله: لا رجلَ في الدار، ولا امرأةٌ في الدار).



- ليدن ١٦١٧ م (١٠٢٦ هـ)؛ روما ١٥٩٢ م (١١٠٢ هـ)، ١٦٣١ م؛ بولاق ١٢٣٩، ١٢٥٢، ١٢٩٣ هـ؛ كامبردج (بريطانية) ١٨٣٢ م (١٢٤٨ هـ)، ١٨٥٢ م؛ بيروت ١٨٤١ م (١٢٥٧ هـ)، ١٨٥٧، ١٨٧٤، ١٨٨٦ م؛ باريس ١٨٤٤ م (١٢٦٠ هـ)؛ الجزائر ١٨٤٦ م (١٢٦٤ هـ)، ١٨٦٠؛ الجزائر ١٢٨٣ هـ؛ القاهرة (حجر) مراراً؛ القاهرة ١٢٧٣، ١٢٩٣، ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة (في مجموع) ١٢٧٦، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦ هـ؛ جونبة (لبنان) ١٨٦٦ م (١٢٨٣ هـ)؛ الهند ١٨٥٣ م (١٢٧٠ هـ)؛ منش (ألمانية) ١٨٧٦ م (١٢٩٣ هـ)؛ القدس ١٨٧٦ م (١٢٩٣ هـ)؛ دمشق ١٣٠١ هـ؛ في مجموع: الرسائل العلمية التسع، دمشق (مطابع الفكر الإسلامي) ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م؛ مكة المكرمة ١٣١٤ هـ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٣٣ هـ؛ فاس (طبع حجر) ١٣٤٥ هـ؛ مختارات برونو وفيشر (بألمانية) (ص ١٧١ - ١٨٣)؛ متن الأجرومية في علم العربية، القاهرة (المكتبة التجارية) بلا تاريخ.

#### ★★ شروح وحواش على متن الأجرومية:

- شرح الأجرومية، لشارح مجهول، بولاق ١٢٤٢ هـ.
- شرح المكدوي، أبو زيد عبد الرحمن بن صالح (ت ٨٠١ هـ)، تونس ١٢٩٢؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٤٥ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرازق) ١٣٠٩ هـ.
- شرح الأزهرى، خالد بن عبد الله (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٥١، ١٢٥٩، ١٢٧٤، ١٢٨٠، ١٢٨٤، ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٢٦٢، ١٢٦٥، ١٢٨١ هـ؛ بهامش حاشية أبي النجا، ١٣٠٤ هـ؛ ثم ١٣١٢، ١٣١٩ هـ. فاس ١٣١٥ هـ.
- شرح الخطّاب الرعيني، جمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٥٤ هـ)، بولاق ١٢٩٥ هـ؛ القاهرة ١٢٩٨، ١٣٠٢ هـ.
- شرح ابن جبريل، زين الدين (ت نحو ١٠٥٤ هـ)، (تحرير دلفين)، باريس ١٨٨٥ م (١٣٠٢ هـ)، الطبعة الثانية ١٨٨٦ م.
- شرح الكفراوي، حسن بن عليّ (ت ١٢٠٢ هـ)، بولاق ١٢٤٢، ١٢٤٨، ١٢٤٩ (٢)، ١٢٥٢، ١٢٥٧، ١٢٦٢، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (المطبعة الكاستيلية) ١٢٨٠، ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة المعارف المصرية) ١٢٨٦ هـ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٢٩٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥، ١٣١١ هـ؛ القاهرة ١٢٩٢، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٣٠٦، ١٣١٤ هـ.
- حاشية أبي النجا الطننداعي، محمد مجاهد (ألفَتْ نحو ١٢٣٣ هـ)، القاهرة ١٢٨٤، ١٢٩٩، ١٣٠١، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٤٢، ١٢٤٤ هـ؛ تونس ١٢٨٤ هـ.
- شرح الباجي (البيجي) المسعودي، أبو عبد الله محمد (ت ١٢٩٧ هـ)، راجع سرّكيس (معجم =

- = المطبوعات العربية) ص ١٧٤٤ .
- شرح أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٢٩٧، ١٣١١؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥، ١٣٠٦ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٤٤ هـ، مكة ١٣١٤ هـ .
  - شرح العجيمي، عبد الله بن عثمان (أتمها سنة ١٣٠٧ هـ)، مكة ١٣١٣ هـ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ .
  - عوائد الصلة الربانية لعبد الرحيم السيوطي (ت ١٣٤٢ هـ)، القاهرة ١٣٣٥ هـ .
  - شرح (متن) الأجرومية لهاشم بن الشحات الشرقاوي، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٦ هـ .
  - شرح العشماوي، عبد الله بن فاضل، بولاق ١٢٨٧ هـ؛ القاهرة ١٢٩١، ١٢٩٨، ١٣٠٢، ١٣٠٤؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٠؛ ١٣٤٤ هـ؛ راجع أيضاً سركيس (معجم المطبوعات العربية)، ص ١٣٢٩ .
  - شرح النووي: «كشف المروطية عن ستار الأجرومية»، لمحمد عمر النووي، القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة ١٣٢٦، ١٣٤٢ هـ .
  - شرح القادر (؟) الفاسي علي مقدمة الأجرومية....
  - ★★ شروحٌ وحواشٍ على شروحٍ وحواشٍ :
  - (أ) على شرح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ):
  - حاشية أبي النجا محمد الطنتداعي (فرغ من تأليفها سنة ١٢٢٣ هـ)، بولاق ١٢٨٤ هـ؛ (تحرير كارلتي)، تونس ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣١٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٧ هـ؛ القاهرة ١٣٢٠ هـ، ثم طبعات أخرى .
  - حاشية حسن المطار (ت ١٢٥٠ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ أيضاً؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ .
  - (ب) على شرح حسن بن علي الكفراوي (ت ١٢٠٢ هـ):
  - حاشية إسماعيل بن موسى الحمادي (ت ١٣١٦ هـ)، بولاق ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الكاستيلية) ١٢٨٠، ١٢٨٣ (؟)، ١٢٩٨ هـ؛ مصر ١٣٠٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١١ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ .
  - فوائد الطريف والتائد، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن الجرجاوي (ت ١٣٤٢ هـ)، القاهرة ١٣١٨ هـ .
  - حاشية أحمد بن محمد الحاج، فاس ١٣١٥ هـ (؟) .
  - منحة الكريم الوهاب وفتح باب النحو للطلاب = حاشية لأحمد بن أحمد النجاري الديماطي (ت بعد ١٣٠٩ هـ)، بولاق (بهاشم شرح الكفراوي) ١٢٤٨ هـ؛ ١٢٨٢، ١٢٩١، ١٢٩٢ هـ (؟) .
  - (ج) متفرقات:

- الكواكب الدرية في شرح منمنمة الأجرومية للخطّاب (؟)، تأليف محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (ت ١٢٩٨ هـ)، بولاق ١٣١٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣١٢.
- حاشية على شرح النووي (؟) للأجرومية، لمحمد معصوم بن سليم السمراني، القاهرة ١٣٢٦ هـ، ١٣٤٢ هـ.
- شرح (متن) الأجرومية، لهاشم بن الشّحات الشراقي، وعليه تقييدات وجيزة وشروح لما يجب التنبيه عليه عزيزة، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٦ هـ.
- حاشية على شرح أبي العباس أحمد بن محمد السوداني على مقدّمة ابن آجروم، تأليف محمد المهدي بن محمد الوزّاني، فاس ١٢٩٨ هـ.
- تقريرات على حاشية أبي النجا على شرح الأزهرى على الأجرومية، تأليف محمد بن محمد الأنباري (ت ١٣١٣ هـ)، القاهرة ١٢٨١، ١٣٠٢، ١٣١٩ هـ.
- الدرّة البهية في نظم الأجرومية ليحيى بن نور الدين العمريطي (ت بعد ٩٨٩ هـ)، لكنهو (الهند) ١٢٦٠ هـ؛ كاونبور (الهند، «في مجموع» طبع حجر) ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٢٨٧ هـ، ١٣٠٢، ١٣٠٩، ١٣٤٤ هـ؛ مع حاشية الباجوري ١٢٩٧ هـ.
- المنظومة السّنية لمّا يُسمّى متن الأجرومية، لعلي بن عبد الله المسراقى الطرابلسي (الليبي)، مصر (مطبعة شرف - طبع حجر) ١٣٠٧ هـ.

بغية الوعاة ١٠٢-١٠٣؛ شذرات الذهب ٢٦:٦؛ نفح الطيب ١٢٧:٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:٦٩٧؛ بروكلمن ٢:٣٠٨-٣١٠، الملحق ٢:٣٣٢-٣٣٥؛ الأعلام للزركلي ٧:٢٦٣ (٣٢)؛ سركيس ٢٥-٢٦؛ النبوغ المغربي ٢١٠.

## ابن الفخّار الجذامي النحوي

١- هو أبو بكر (أو أبو عبد الله) محمد بن علي بن محمد البيريّ (الإلبيريّ) النحويّ الجذاميّ المالقيّ الشريشيّ، وُلِدَ في أركُشَ (بليدة قُربَ شَريشَ على وادي لكّه)، نحو سنّة ٦٣٠ (١٢٣٢-١٢٣٣ م) وفيها نشأ. وقد تَطَوّفَ في بُلدانٍ كثيرة وتلقّى العلمَ عن رجالها<sup>(١)</sup>: استولى الإسبانُ على أركُشَ سنّة ٦٤٨ (١٢٥٠ م) فانتقل إلى شَريشَ.

(١) لم أذكر الأشخاص الذين أخذ عنهم ابن الفخّار لأنّ السيوطي (ت ٩١١) ذكر في بغية الوعاة أن من شيوخ ابن الفخّار (ت ٧٢٣) عليّ بن إبراهيم السكوني وأبا عبد الله بن خيس (٦٢٥-٧٠٨ هـ) وأبا الحسين بن أبي الربيع (ت ٦٨٨) والأبدي وابن الصائغ (٧١٠-٧٦٦ هـ) وأبا عمر بن حوط الله أو حوطه (٥٤٣-٦١٢ هـ). وعدد من هؤلاء، كما يتضح من تاريخ وفياتهم لا يمكن أن تتحق حياتهم مع حياة ابن الفخّار.

واستولى الإسبان على شريش، سنة ٦٦٣ (١٢٦٤ م) فانتقل إلى الجزيرة الخضراء .  
وحُصِرَت الجزيرة الخضراء ، سنة ٦٧٧ (١٢٧٨ م)، ولكنَّ الأندلسيين وأحلافهم  
المُرينيين استطاعوا إبادة الأسطول الإسباني. وزارَ سِنَّة في العُدوة الإفريقية، ثمَّ  
استوطن مالقة وتصدَّر فيها للإقراء ، وظلَّ يُقرئ فيها إلى وفاته، سنة ٧٢٣  
(١٣٢٣ م).

٢- كان ابنُ الفَخَّارِ الجُذاميُّ عالماً بالقراءات والتفسير وبالفقه والحديث والأدب ،  
وكان الآية الكبرى والإمام المُجمَع على إمامته في فنِّ العربية (النحو) المفتوح عليه من  
الله حِفْظاً وإطلاعاً ونَقْلاً وتَوْجِيهاً بما لا مطمَع فيه لِسِوَاه (نفع الطيب ٥ : ٦٠٤ ، ٧ :  
١٦٥) ، وكان شيخَ النَحْوِيِّينَ لعهده وسيبويه زمانه (نفع الطيب ٥ : ٧٥ ، ٣٨٣) . وله  
شِعْرٌ عليه جفافٌ شِعْرِ العُلَمَاء . وله من التَّأليف : تفسير (سورة) الفاتحة - شرح الرسالة (في  
الفقه المالكي) - شرح مشكلات سيبويه - الردُّ على مَنْ نسب رفع الخبر بـ « لا » إلى  
سيبويه - تحريم الشُّطرنج ، وغيرها .

### ٣- مختارات من آثاره

- قال ابن الفَخَّارِ الجُذامي النحوي في الوصف :

انظُرْ إلى وَرْدِ الرِّياضِ كأنه دِياجُ خَدٍّ في بَنانِ زَبَرَجَدٍ<sup>(١)</sup> .  
قد فَتَحَتْهُ نَضارَةٌ فبدا له في القلبِ رَوْنُقُ صُفْرَةٍ كالصَّنجد .  
حَكَتِ الجِوانِبُ خَدَّ حَبٍّ ناعم ، والقلبُ يَحْكِي قلبَ صَبٍّ مُكَمَدٍ<sup>(٢)</sup> .

- ولابن الفَخَّارِ نص نحوي (نفع الطيب ٥ : ٣٥٥ - ٣٥٦) :

وَزَنُّ « إجازة » في الأصل إجازة فَأَعْلَتْ بِنَقْلِ حَرَكَةِ الواوِ إلى الجيم حَمَلًا على  
الفعل الماضي أَسْتَقَالَ<sup>(٣)</sup> . فتحرَّكَتِ الواوُ في الأصل وانفتح ما في اللفظ فصارت

(١) البنان جمع بنانة : إصبع (او عقدة الإصبع) . زبرجد : حجر كريم أخضر . بنان زبرجد : أطراف

الكأس (في الزهرة) الغلاف الأخضر الذي يلف الزهرة قبل تفتحها .

(٢) الحب (بالكسر) : المحبوب . الصب : الحب .

(٣) جذر هذا الفعل « جوز » ، استقل العرب لفظه فقالوا : جاز . وكذلك صيغة إفعالة يجب أن تكون : =

« إجازة - بِالْفَيْن - فَحُذِفَتِ الْأَلْفُ الثَّانِيَّةُ عِنْدَ سَيِّبَوَيْهِ لِأَنَّهَا زَائِدَةٌ، وَالزَّائِدُ أَوَّلَى بِالْحَذْفِ مِنَ الْأَصْلِيِّ <sup>(١)</sup>. وَحُذِفَتِ (الْأَلْفُ) الْأَوَّلَى عِنْدَ الْأَخْفَشِ لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى، وَهُوَ الْمَدَّ. وَقَوْلُ سَيِّبَوَيْهِ أَوَّلَى لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِيْضُ التَّاءِ مِنَ الْمَحذُوفِ فِي نَحْوِ « زَنَادِقَةُ » <sup>(٢)</sup>، وَتَعْوِضُ الزَّائِدِ مِنَ الزَّائِدِ أَوَّلَى مِنْ تَعْوِضِ الزَّائِدِ مِنَ الْأَصْلِيِّ لِلتَّنَاسُبِ. وَوَزَنُهَا فِي اللَّفْظِ عِنْدَ سَيِّبَوَيْهِ إِفْعَلَةٌ، وَعِنْدَ الْأَخْفَشِ إِفَالَةٌ، لِأَنَّ الْعَيْنَ مَحذُوفَةٌ <sup>(٣)</sup>.

٤-★★ الكتيبة الكامنة ٧٠-٧١؛ بغية الوعاة ٨٠؛ درة المجال ٢: ٨٣-٨٦؛ نفح الطيب ٥: ٧٥، ٣٥٥-٣٥٦، ٣٧٨-٣٨١، ٦٠٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٧٥ (٢٨٤: ٦).

### العبدري صاحب الرحلة

١- هو أبو محمد محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود (أو سعود) البلسني الشهير بابن المعلم؛ لا نعرف من أحداث حياته إلا ما أشار إليه هو في ثنايا « رحلته » التي كان قد بدأها من بلاد قبيلة حاحّة (في المغرب) في الخامس والعشرين من ذي القعدة من سنة ٦٦٨ (١٢٨٩/١٢/١١ م). وقد سمع في أثناء رحلته من نفر من العلماء منهم في تونس الحاضرة عبد الله بن هرون الطائي، كما تسلّم فيها الخريقة من الشيخ أبي محمد عبد

= « إجازة »، وقد وجدها العرب ثقيلة على اللفظ أيضاً فعاملوها معاملة الفعل الماضي وقالوا « إجازة ». (١) في فقه اللغة (فلسفة النحو): إجازة تصبح بقلب الواو ألفاً (لمناسبة حركة الجيم في الفعل جوز): « إجازة (الألف الأولى مقلوبة عن واو إجازة، والألف الثانية من أصل الصيغة أفعالة). وكان سيبويه (ت ١٨٠ هـ) يرى أننا حذفنا الألف الأولى المقلوبة عن الواو (لأنّ هذه الألف زائدة: ليست من أصل الصيغة). أمّا الأخفش (الأصغر ٩: أبو الحسن المتوفى ٣١٥ هـ) فيرى أن الحذف يجب أن يتناول الألف الثانية (وإن كانت أصلية في بناء صيغة إفعالة) لا الألف الأولى (وإن كانت غير أصلية) ذلك لأنّ هذه الألف الأولى الزائدة ضرورية لأنها تقرّر حركة الجيم.

(٢) زنديق تجمع على زناديق (مثل: تلميذ: تلاميذ، وأستاذ: أساتيد) وقد تحذف الياء الزائدة في المفرد « زنديق »، ويُجعل مكانها تاء زائدة (في الجمع) فتصبح زنادقة مثل تلامذة وأساتذة ومقاتلة إلخ.

(٣) عين الفعل هي الحرف الثاني في جذر الفعل الثلاثي: فعل. ففي جاز (وأصلها جوز) تكون عين الفعل هي الواو.

الله بن يوسف الأندلسي. وسمع في القيروان من أبي زيد عبد الرحمن بن ..... الأشدي. ثم سمع (في مصر) من شرف الدين الدُمياطي وابن دقيق العيد وزين الدين بن المنير. ولا ينعُد أن تكون وفاته نحو سنة ٧٢٥ (١٣٢٥ م). ويبدو أنه قد قضى جانباً كبيراً من حياته في المغرب حتى عُرف أيضاً باسم «الحيجي» (نسبة إلى حاحة) وحتى كان ميله إلى المرينيين أصحاب المغرب الأقصى أكثر منه إلى بني عبد الواد أصحاب المغرب الأوسط.

٢ - للعبدري «رحلة» عنوانها «ملء العينة فيما آتجمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة «أو» ما سما إليه الناظر المطرق إلى بلاد المشرق. وتُعرف عادةً باسم «الرحلة المغربية».

هذه «الرحلة» قليلة الابتكار قليلة الفوائد الجغرافية فقد أخذ العبدري كثيراً من أوصاف البلدان عن الجغرافيين المتقدمين، إلا أنه يصف البلدان التي مرّ بها من النواحي العمرانية والاقتصادية والعلمية ثم يعرف عندها من علماء القرن السابع ومن أدبائه ويورد أشياء من نتاجهم مع شيء من النقد. وكان جُلُّ اهتمامه بحال الثقافة والتدريس وخصوصاً في المغرب.

### ٣ - مختارات من آثاره

- من مطلع الرحلة:

..... وبعد: فإنني قاصدٌ، بعد استخارة الله سبحانه، تقييداً ما أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده ممّا سَمَا إليه الناظر المطرق في خبر (٢) الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان وأحوال من بها من القطان حسباً أدركه الحس والعيان وقام عليه بالمُشاهدة شاهدُ البرهان من غير تورية ولا تلويح، ولا تقييد حسنٍ ولا تحسين قبيح، بلفظٍ قاصدٍ لا يُجْجِمُ مفرداً ولا يَجْمَعُ فيتعدى المدى، مُسطراً لها رأيته بالعيان ومُقرراً له بأوضح بيان حتى يكون السامع لذلك كالمبصر وتلحق فيه السبابة بالختصر فتشفي به نفس المتطلع المتشوّف ويَقِفَ منه على بُغيته السائل المتعرف. وأذكر مع ذلك ما استفدته من خبرٍ وأُشِدته من دررٍ ..... وأُثبت في خلال ذلك من نظمي

ما يُفْلَغُ إليه الكلامُ..... وأضيف إلى ذلك ما يَضْطَرُّ إليه التبيانُ فيما قَصَرَ فيه العيانُ من بُدَيِّ مذكورة وتَفَ مشهورة ونُكَّتْ مرسومة في الكُتُبِ مسطورة تَتِمُّ لِعَرَضِ التَّقْيِيدِ وتَعَمُّ لأَرْبِ المُستفيدِ حتَّى يكونَ التَّأليفُ في بابِه مُغْنِيًا وعنِ الاقتدارِ إلى غيرِه مُستغْنِيًا، مُتَبَيَّنًا في كُلِّ رَسْمٍ بعضَ الأحاديثِ التي رَوَيْتُهَا والآثَارِ التي وَعَيْتُهَا....

كَانَ سَفَرُنَا - تَقَبَّلَهُ اللهُ - في الخامسِ والعشرينَ من ذي القَعْدَةِ عامَ ثمانيةِ وثمانينَ وَسِتِّمِائَةٍ، ومَبْدَأُهُ من حَاجَةِ صَانِهَا اللهُ....

- من طرابلس إلى تونس (ص ٦٩):

ثُمَّ وَصَلْنَا إلى مَدِينَةِ إِطْرَابُلُسَ، وهي لِلْجَهْلِ مَاتَمٌ وما فيها لِلْعِلْمِ غَرَسٌ: أَقْفَرَتْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَذَمَّتْهَا الْخَبِيرُ بِهَا سَائِرًا وَقَاطِنًا<sup>(١)</sup>. تَلَمَّعَ لِقَاصِدِهَا لَمَعَانُ الْبَرَقِ الْخَلْبِ وَثَرِيهِ ظَاهِرًا مُشْرِقًا وَالبَاطِنُ قَدْ قَطَبَ، اكْتَنَفَهَا الْبَحْرُ وَالْفَقْرُ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهَا - مِنْ عُرْبَانِ<sup>(٢)</sup> الْبَرِّ وَنَصَارَى الْبَحْرِ - النِّفَاقُ وَالْكَفْرُ..... لَا تَرَى فِيهَا شَجَرًا وَلَا ثَمَرًا، وَلَا تَخْوِضُ فِي أَرْجَائِهَا حَوْضًا وَلَا نَهْرًا. لَيْسَ عَلَى نَاشِئٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ لَدَى شَيْبَةٍ وَلَا لَدَى الْفَضْلِ بَيْنَهُمْ هَيْبَةٌ: تَرَى أَجْسَامًا حَاضِرَةً وَالْعَقْلُ فِي عَقْلِ<sup>(٣)</sup>.. غِيَابَاتِ الْغَيْبَةِ..... وَأَهْلُ تُونُسَ فِي طَرَفِي نَقِيضٍ: أُولَئِكَ فِي الْأَوْجِ وَأُولَءِ فِي الْحَضِيضِ. وَلَمْ أَرِ بِهَا مَا يَرُوقُ الْعَيُونَ وَسَمَاعُ أَنْ يُقَوِّمَ بِالْدُونِ، سَوَى جَامِعِهَا وَمَدْرَسَتِهَا، فَإِنَّ لَهَا مِنْ حُسْنِ الصُّورَةِ نَصِيبًا وَمِنْ إِتْقَانِ الصَّنِئَةِ سَهْمًا مُصِيبًا. وَمَا رَأَيْتُ فِي الْغَرْبِ مِثْلَ مَدْرَسَتِهَا الْمَذْكُورَةِ لَوْلَا أَنَّ مُحَاسِنَهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الصُّورَةِ، فَمَا يَشِبُّ بِهَا لِلْعِلْمِ طِفْلٌ وَلَا يَحِجُّ صَرُورَةٌ<sup>(٤)</sup>..... وَقَدْ حَضَرْتُ بِهَا تَدْرِيسَ الشَّيْخِ الْمُسْنِّ الْقَاضِي الْخَطِيبِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّيِّدِ<sup>(٥)</sup> - وَهُوَ بَيْتُ قَصِيدِهِمْ وَكَبْشُ كَتِيبَتِهِمْ<sup>(٦)</sup> وَوَاسِطَةُ قِلَادَتِهِمْ

(١) سَائِرًا (مَارًّا، مَافَرًا) وَقَاطِنًا (سَاكِنًا فِي الْبَلَدِ).

(٢) الْعُرْبَانُ: الْعُرَبُومَن (مَا يَدْفَعُهُ الْمُشْتَرِي مَقَدِّمًا لِحِفْظِ حَقِّهِ فِي السَّلْعَةِ الْمَطْلُوبَةِ) - رَاجِعِ تَاجِ الْعُرُوسِ (الْكُوَيْتِ) ٣: ٣٢٧، الْعُمُودُ الثَّانِي، السَّطْرُ الثَّامِنُ ثُمَّ ٣٥٠ فِي أَصْفَلِ الْعُمُودِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ ٣٥١، الْعُمُودُ الْأَوَّلُ، السَّطْرُ ١٣. وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: عُرْبَانُ (بِمَعْنَى الْأَعْرَابِ، الْبَدُو).

(٣) الْعَقْلُ: الْقَيْدُ، الرِّبَاطُ. الْغِيَابَةُ (بِالْفَتْحِ): الْقَعْرُ.

(٤) الصَّرُورَةُ: الَّذِي لَمْ يَنْزَوِجْ وَلَمْ يَحْجْ.

(٥) ابْنُ عَبْدِ السَّيِّدِ.....

(٦) كَبْشُ الْكُتَيْبَةِ الْخ: أَكْبَرُ الرِّجَالِ فِي قَوْمِهِ وَأَشْهَرُهُمْ وَأَقْوَاهُمْ الْخ.

وَأَنْفُ سَيَادَتِهِمْ، ذُو سَمْتٍ وَوَقَارٍ، وَقَدْ أَثَّرَ الْكِبَرُ فِي جِسْمِهِ، كَثِيرُ الْمَوَاطِبَةِ لِلْمَسْجِدِ وَالذِّكْرِ، خَيْرٌ فِي دِينِهِ - وَمَا كُنْتُ آتِيهِ بَعْدَ مَا رَأَيْتُهُ إِلَّا بِقَصْدِ الدُّعَاءِ لِأَنَّهُ ضَيِّقُ الْخَلْقِ لَيِّنُ النَّظَرِ وَفِي لِسَانِهِ حَبْسَةٌ لَا يَكَادُ يُفْهَمُ مَعَهَا. وَقَدْ اسْتَفْرَغْتُ جُهْدِي وَقْتُ إِقْرَائِهِ وَفِي تَفْهَمٍ مَا يَقُولُ فَمَا فَهِمْتُهُ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ. وَأَظُنُّهُ لَا رِوَايَةَ لَهُ. فَإِنِّي سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَبْنَاهُ جَوَابَهُ وَتَنَمَّرَ. وَحَاوَلْتُ مُدَاخَلَتَهُ فَصَدَّنِي عَنْ ذَلِكَ بِشَكَاسَتِهِ وَجَهَامَةِ لِقَائِهِ....

٤- الرحلة المغربية (حققها محمد الفاسي)؛ الناشر: جامعة محمد الخامس (الرباط)

١٩٦٤ م؛ (حققها ..... ابن جدو.....)....

★ جذوة الاقتباس (فاس) ١٩٩؛ درة المجال ١: ١٢٤؛ تاج العروس (الكويت) ٣: ٣٧٩؛

نفع الطيب ٢: ٤٨٣، ٥٨٩؛ العربي (أكتوبر ٦٩) ص ١٤٢؛ نيل الابتهاج ٦٨؛ بروكلين

١: ٦٣٤، الملحق ١: ٨٨٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٦.

## ابن عذاري المراكشي

١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري، أصله من الأندلس وسكن مراكش وكان قائد فاس (حاكمها)، تُوْفِيَ نَحْوَ ٧٢٠ هـ (١٣٢٥ م).

٢- ابن عذاري المراكشي مؤرخ حكيم دقيق مُحِبٌّ للإيجاز والتنسيق المنطقي مع تقييد كاملٍ للحوادث في كتابه بتواريخها. له البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب<sup>(١)</sup>، كان لا يزال يعمل فيه في سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م). وله تاريخ المشرق، ولكن لم يصل إلينا.

## ٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة «البيان المغرب»:

..... وبعد - جعلنا الله ممن نظر فاعتبر ووعظ فازدجر<sup>(٢)</sup> - فإن خير ما شغلت

(١) هذا هو العنوان المذكور في مقدمة الكتاب.

(٢) ازدجر: رجع عن اقتراف الذنب.



به الأذكارُ والأفكارُ وتحدثتُ مَعَهُ بالليلِ والنهار<sup>(١)</sup> حَفِظْتُ ما أَفَادَ من العلوم والأخبار . وإنَّ خَيْرَ ما رَیْضُنَا<sup>(٢)</sup> به النفوسُ البَشْرِیَّةُ مُجالسةُ العلماء والأخبارِ ومذاكرةُ الأدباءِ ذَوِي الهِمَمِ وَعُلُوُّ المِقْدَارِ ، ففي مُجالستهم ومُذاكرتهم ما یَسْحَرُ الذَّهْنَ ویُنَوِّرُ الأفكارَ . فإن قُدِّرَتْ مُجالستهم فلا عِوَضَ منها غیرُ کتابٍ یَتَّخِذه (الإنسان) جلیسَه ویَجِدُه في كُلِّ وقتٍ أَنیسَه .... وطلب بعضهم إِلَیَّ - مَن یَجِبُ إِكرامُه عَلَیَّ - أن أَجْعَلَ لَهُ کتاباً مُفَرِّداً في أخبارِ البلادِ الفَرِیْقِیَّةِ على سبیلِ الإيجازِ والاختصارِ ... فلم یُمْكِنَی التَّوَقُّفُ في ذلك ولا الاعتذارُ ... فجمعتُ لَهُ في هذا الكتابِ بُدْأاً ولَمَعاً من عیونِ التَّواریخِ والأخبارِ ممَّا أَجْرَى اللهُ بِهِ تصاریفَ الأقدارِ فیما مرَّ من الأزمنة والأعصارِ ، في بِلادِ المَغْرِبِ وما والاها من الأقطارِ : جمعتُ ذلك من الكتبِ الجلیلةِ مُقتَضِياً من غیرِ إِسهابٍ ولا إِكثارٍ<sup>(٣)</sup> . فاقْتَضَفْتُ عیونَهَا واقْتَضَبْتُ فنونها . ووصلتُ الحَدِیثَ بِالْقَدِیمِ ، والقَدِیمَ بالحَدِیثِ ، لأنَّه إِذا اتَّصَلَ یُسْتَرْفُ وَیُسْتَحْلَى ، كما قال بعضهم :

وَسَمِيتُ كُلَّ مَآرِبِي فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَبِيرْتُ ،  
إِلَّا الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ عِنْدَ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثٌ<sup>(٤)</sup>

.... ولَمَّا كَمُلَ ما قَدِّدْتُهُ وَجَرَّدْتُهُ جَزَّيْتُهُ على ثَلَاثَةِ أَجْزَاءَ ، كُلُّ جُزْءٍ منها قائمٌ بِنَفْسِهِ لِيَكُونَ لِمِطَالَعِهِ أَوْضَحُ بَيَانٍ وَأَسْهَلُ مَرَامٍ لَدَى الْعِيَانِ . وَسَمَّيْتُهُ بِالْبَيَانِ المَغْرِبِ في اختصارِ أخبارِ ملوكِ الأَنْدَلُسِ والمَغْرِبِ . أمَّا الجُزْءُ الأوَّلُ فاختصرتُ فِيهِ أخبارَ إِفْرِيقِيَّةٍ من حِينَ الفَتْحِ الأوَّلِ إلى خِلَافَةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ثُمَّ أخبارَ أُمَرائِها من وُلاَةِ الخُلَفَاءِ الأُمَوِيِّينَ وَمَن دَخَلَ القَرْبَ مِنْهُمْ وَمَن قامَ بِإِفْرِيقِيَّةٍ .... إلى حِينَ ابتداءِ الدَّولَةِ اللَّمْتُونِيَّةِ المُرَابِطِيَّةِ<sup>(٥)</sup> . والجُزْءُ الثَّانِي اختصرتُ فِيهِ أخبارَ جُزَيْرَةِ

(١) «تحدثت معه» قلقة هنا .

(٢) كذا في الأصل ، والصواب : رَوْضُنَا (بالواو) ، أي ذَلَّلْنَاهَا ، عَوَّدْنَاهَا ، مَرَّنَاهَا على ...

(٣) البلاد الفريجية : المغربية (بالإضافة إلى المشرقية) .

(٤) اقتضب الكلام : قطعه . والمقصود هنا : اختصره . الإسهاب : الزيادة في الألفاظ من غير زيادة في المعاني .

(٥)

(٦) الغرب (إفريقية والأندلس) . قام بإفريقية (حكمها) . الدولة المرابطية (من بني لتونة) قامت نحو سنة

٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) .

الأندلس وأملاكها الغابرين الدُّرسَ من حينِ الفتحِ الأوَّلِ ثُمَّ مَنْ وَلِيَهَا مِنَ الْأُمَرَاءِ لِلخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ مَنْ قَامَ بِهَا مِنَ الْعَرَبِ الْفَهْرِيِّينَ إِلَى حِينَ دُخُولِ الْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ<sup>(١)</sup> وَمَنْ قَامَ عَلَيْهِمْ مِنَ الثُّوَارِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ... وَذَكَرْتُ فِيهِ أَخْبَارَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بَعْدَ انْقِضَاءِ دُولِ الْخِلَافَةِ... وَغَيْرَهُمْ مِنَ الرُّؤَسَاءِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَكُلُّ ذَلِكَ إِلَى حِينَ دُخُولِ لَمْتُونَةَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٤٧٨. وَالْجُزْءُ الثَّالِثُ اخْتَصَرْتُ فِيهِ أَخْبَارَ (مُلُوكِ) الدَّوْلَةِ الْمُوحَّدَةِ... وَاسْتِيلَاءِهِمْ عَلَى (مَمْلُوكِ) أُمَرَاءِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ... وَذَلِكَ إِلَى حِينَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْمُرَابِطِيَّةِ وَابْتِدَاءِ الدَّوْلَةِ الْمُوحَّدَةِ ثُمَّ مَا تَخَلَّلَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمُوحَّدِينَ... وَذَكَرْتُ الدَّوْلَةَ الْحَفْصِيَّةَ... فِي الْبِلَادِ الْإِفْرِيقِيَّةِ وَالدَّوْلَةَ الْهُودِيَّةِ (وَالدَّوْلَةَ) النَّصْرِيَّةِ فِي الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ، وَالدَّوْلَةَ السَّعِيدِيَّةَ الْمَرِينِيَّةَ فِي الْبِلَادِ الْغَرْبِيَّةِ، اخْتَصَرْتُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَأَمَكَّنَنِي ذِكْرُهُ... وَذَلِكَ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّوْلَةِ الْمُوحَّدَةِ وَاسْتِيلَاءِ الْإِمَارَةِ الْيُوسُفِيَّةِ الْمَرِينِيَّةِ عَلَى حَضَرَتِهِمُ الْمَرَّاكُشِيِّةِ، وَذَلِكَ عَلَى مُرُورِ السَّنِينَ إِلَى عَامِ ٦٦٧....

٤- البيان المغرب: الجزء الأوَّل والجزء الثاني (دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٨-١٨٥١ م؛ (كولان وليفي بروفنسال)، ليدن (بريل) ١٩٤٨-١٩٥١ م؛ بيروت الجزء الثالث<sup>(٢)</sup> (أ. ليفي بروفنسال)، باريز (بولس كننرالكتي) ١٩٣٠ م؛ القسم الخاص بتاريخ الموحدين (تحقيق أمبروسي هويسبي ميراندا ومساهمة محمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكتاني)، تطوان ١٩٦٠ م؛ قطعة من تاريخ المرابطين ١٩٦٧ م.

★ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٥-٨٠٦ بروكلمن ١: ٤١١-٤١٢، الملحق ١: ٥٧٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣١٤ (٩٥)؛ سركيس ١٧٢.

### ابن أبي زرع

١- هو، في الأغلب، أبو الحسن عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُمَرَ بنِ أَبِي زَرْعٍ، كَانَ مِنْ أَهْلِ فَاسَ يَحْتَرِفُ التَّوْثِيقَ فِيهَا، وَفِيهَا تُوفِّيَ بَعْدَ ٧٢٦ (١٣٢٦ م).

(١) الْفَهْرِيُّونَ: الْقَرْشِيُّونَ. يَشِيرُ إِلَى النِّزَاعِ فِي أَيَّامِ يُوْسُفَ الْفَهْرِيِّ (رَاجِعِ فَوْقَ ٤٤-٤٥، ٤٨-٤٩) دُخُولِ الْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ، ابْتِدَاءً مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ، سَنَةِ ١٣٨ هـ (٧٥٦ م).  
(٢) حَوَادِثُ هَذَا الْجُزْءِ الْمَطْبُوعِ تَمْتَدُّ مِنْ سَنَةِ ٣٩٢ إِلَى سَنَةِ ٤٥٧ هـ (١٠٠٢-١٠٦٥ م).

٢- كان ابنُ أبي زرعٍ عدلاً في التوثيق كما كان مؤرخاً نزيهاً وصلَّ إلينا منه « الأنيسُ المطربُ بروضِ القرطاسِ في أخبارِ ملوكِ المغربِ وتاريخِ مدينةِ فاسِ »، وهو يتناولُ تاريخَ المغربِ من قيامِ الدولةِ الإدريسيةِ (سنة ١٧٢ هـ) إلى سنة ٧٢٦ هـ، وقد ألفه للسلطانِ أبي سعيدٍ عثمانَ المرينيِّ (٧١٠ - ٧٣١ هـ)، وكان أبو سعيدٍ هذا من أهلِ العلمِ والمعرفة. ويبدو أنَّ ابنَ أبي زرعٍ قد غرَّفَ كثيراً من « البيانِ المغربِ » لابنِ عذاري<sup>(١)</sup>. وكذلك وصلَّ إلينا اسمُ كتابِ آخرَ لابنِ أبي زرعٍ هو « زهرةُ البستانِ في أخبارِ الزمانِ ».

### ٣- مختارات من آثاره

الحمدُ لله مُصرِّفِ الأمورِ بمشيئتهِ وتديبره ومُسهِّلِ الصيرِ بتوفيقه وتيسيره، ومُبدِعِ الأشياءِ بحكمته وتصويره<sup>(٢)</sup>، خالقِ الخلقِ بقدرته وباسِطِ الرِّزْقِ بتقديره<sup>(٣)</sup>...

أما بعدُ- أطالَ الله بقاءَ مولانا الخليفةِ الإمامِ مُعلي الإسلامِ ورافعهِ ومُذللِ الكُفرِ وقامعه<sup>(٤)</sup>... أبي سعيدٍ عثمانَ بنِ مولانا... أميرِ المسلمين أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقِ<sup>(٥)</sup>... إني لما رأيتُ مكارمَ دولتهِ السعيدةِ مقامَ سعادةِ<sup>(٦)</sup> أطالها الله وخلدَها وأعلى كلمتها وأَيَّدَها تُنظِّمُ نَظْمَ الجُهانِ<sup>(٧)</sup> وصوَرَ إحسانها تُتلى بكلِّ لسان... أردتُ خدمةَ جَهاها والتقربَ إلى كِهاها والتَّنْفِيقَ بِظلالها والورودَ مِنْ عَذَبِ زُلالها<sup>(٨)</sup> بتأليفِ كتابِ

(١) راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٣٩، السطر السادس من أسفل.- ليس بين يديّ « روض القرطاس » لأقارن مادته بمادة « البيان المغرب ».

(٢) مبدع الأشياء: خالقها (من العدم). تصويره: اعطائه لها شكلاً مخصوصاً.

(٣) بسط الرزق (وسَّعه) بتقديره (على ما أراد مما يجب).

(٤) قمع: ضرب بالمقعدة (بكسر أوله): عصا من خشب أو حديدة رأسها موج يضرب بها الحيوان ليسرع أو ليهُدأ.

(٥) أبو عثمان سعيد بن يغمراش بن زيان سلطان من سلاطين بني عبد الواد في تلمسان (٦٨١-٧٠٣ هـ) وأبو يوسف يعقوب المنصور سلطان الموحدين (٥٥٨-٥٨٠ هـ).

(٦) مقام سعادة (مكان يسعد من يكون فيه أو يأتي إليه).

(٧) أَيْدَها: ساعدها وجعلها قويّة. الجانة (بالضمّ) اللؤلؤة الكبيرة.

(٨) الورد (الجمي إلى الماء): الشرب. العذب: الحلو. الزلال: الصافي العذب.

جامع لطيف الأخبار<sup>(١)</sup> وملح الآداب يحتوي على غرر من التاريخ وعجائبه ونوادر الآثار وغرائبه يُخبرُ بِبُذُرٍ من أخبار ملوك المغرب المتقدمين وأمرائه الماضين وأممهم السالفين وتاريخ أيامهم وذكر أنسابهم وأعمارهم وسيَرِهِمْ وغزواتهم وأحوالهم في دولتهم وما رَسَموه بالمغرب من المراسم وصنَّعوه من المصانع والمعالِم وفتحوه من البلاد والأقالِم<sup>(٢)</sup> وبَنَوْه من الحصون والمدُن والمكارم... مِنْ أَوَّلِ دَوْلَةِ الْأَمِيرِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ إِلَى هَذَا الْأَوَانِ<sup>(٣)</sup>....

قَالَتْ هَذَا الْمَجْمُوعُ الْمُتَّصِبُ أَنْتَقَيْتُ جَوَاهِرَهُ مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ الْمُعْتَمَدِ عَلَيْهَا وَجَمَعْتُ شَوَارِدَهَا عَنْ مَهَادِ الْمَوَلِّ عَلَى مُحْتَمَا<sup>(٤)</sup> وَالْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا سِوَى مَا رَوَيْتُهُ عَنْ أَشْيَاخِ الْحِفَاطِ وَالْكُتَّابِ وَقَيَّدْتُهُ عَنِ الرِّوَاةِ الثَّقَاتِ الْأَنْجَابِ. وَحَذَفْتُ فِيهِ الْأَسَانِيدَ خِيفَةَ الْإِكْثَارِ وَالْإِمْتِدَادِ<sup>(٥)</sup>. وَتَرَكْتُ التَّسْهِيْبَ<sup>(٦)</sup> وَالتَّطْوِيلَ، وَتَجَنَّبْتُ الْإِخْتِصَارَ وَالتَّقْلِيلَ.

٤- الأنيس المطرب بروض القرطاس.... (تورنبرغ)، أبسالاً ١٨٤٣-١٨٤٦ م؛ فاس (طبع حجر) مراراً؛ فاس ١٣٠٣، ١٣٠٥، ١٣٠٧، ١٣١٣ هـ؛ (نشره محمد الهاشمي الفيلاي)، الرباط ١٣٥٥ هـ=١٩٣٦ م.

★ ابن أبي زرع، تأليف عبد الله كنون، بيروت (دار الكتاب اللبناني)....  
المكتبة العربية الصقلية ٤٠٣-٤٠٤؛ النبوغ المغربي ٢١٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٤-٦٩٥؛ بروكلمن ٢: ٣١٢، الملحق ٢: ٣٣٩؛ الأعلام للزركلي ١٢١: ٥ (٤: ٣٠٥)؛ سركيس ٣٢.

- 
- (١) لطيف مفعول به من «جامع».
  - (٢) المراسم: المراسم (جمع مرسوم: طريقة الإدارة أو الحياة، المخططة). المصنع: المكان ينشأ لجمع الماء. المعلم: العلامة الواضحة (إشارة على الطريق والأبنية المشهورة). الأقالِم: الأقاليم (مناطق الأرض).
  - (٣) إدريس بن عبد الله (الأول) أول ملوك الدولة الإدريسية في وُلِّي في المغرب الأقصى (١٧٢-١٧٧ هـ). الأوان: الزمان، الوقت.
  - (٤) مهَادِ الْمَوَلِّ عَلَى مُحْتَمَا (كذا في الأصل). المحّ: خاص كل شيء (النفيس منه): المادّة الصفراء في البيضة.
  - (٥) الأسانيد..... الامتداد (كذا في الأصل). اقرأ: الإسناد... الامتداد أو: الأسانيد والتمديد.
  - (٦) التسهيب: التطويل فيما لا حاجة إليه.

## ابن الزيات الكلاعي

١- هو أبو جعفر أحمد بن الحسن بن علي الكلاعي المعروف بأبن الزيات، وُلِدَ في بَلَش مَالَقَة، في حدود سَنَةِ ٦٤٩ للهجرة (١٢٥١ م).

تلقَى ابنُ الزيات الكلاعيُّ العلمَ على نفرٍ كثيرين منهم خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر أحمد بن علي المذحجي، ومنهم عياض بن محمد بن عياض بن موسى، قرأ عليه ببَلَش وأجازَ عياضُ له. وكذلك كان منهم أبو جعفر بن الزبير وأبو الحسن الصائغ النحوي وأبو الحسن بن أبي الربيع. وأخذَ ابنُ الزيات طريقةَ التصوف عن أبي الحسن فضل بن فضيلة وتأدَّبَ به.

ودخل ابنُ الزيات الكلاعيُّ غرناطةَ مراراً لطلب العلم في أوَّل أمره ثم للقيام بأُمورٍ مختلفة عامَّةٍ وخاصَّةٍ، فقد استدعاه السلطان مرَّةً<sup>(١)</sup>.

وكانت وفاةُ ابنِ الزيات الكلاعيِّ في بَلَدِهِ بَلَش سَحَرَ يومِ الأربعاء في السابعِ عَشَرَ من شَوَّالٍ من سَنَةِ ٧٢٨ (١٣٢٨/٨/٢٥ م).

٢- كان ابنُ الزيات الكلاعيُّ كريمَ الأخلاق مَعَ مُروءةٍ وتواضعٍ، كما كان كثيرَ العبادة مُتصوِّفاً. وقد كان أيضاً خطيباً وبارعاً في عددٍ من فنون المعرفة كال تفسير والحديث واللغة والنحو والشعر. وكان له كتبٌ كثيرةٌ منها: لَذَّةُ (لذات) السَّمْعِ من (في) القراءات السَّبْع - قُرَّةُ عين السائل وبُغية نفس الآمل (أرجوزة في اختصار السيرة النبويّة) - رَصَفُ نفائس اللَّآلِي في وصفِ عرائسِ المعالي (في النحو) - قاعدةُ البيان وضابطةُ اللِّسان (في النحو) - شرف المهارق في اختصار المَشارِق<sup>(٢)</sup> - المقام الحزون في الكلام الموزون.

(١) كان في وفد حل رسالة من سلطان غرناطة إلى ملك الإسبان (راجع فتح الطيب ٤: ٥١١، السطر الأوَّل).

(٢) المهارق جمع مهرق (بضم فسكون ففتح) صحيفة بيضاء. المَشارِق: كتاب المَشارِق أو مشارق الأنوار للقاضي عياض بن موسى المتوفى سنة ٥٤٤ هـ (راجع فتح الطيب ٢: ٢٣٢، ٦٦٥ على الأخص)، ٥: ٥٣٥، ٥٣٧. ثم ارجع إلى بروكلمان ١: ٤٥٧، الملحق ١: ٦٣٢)، وفيه: المَشارِق أو مطالع الأنوار على صحيح =

### ٣- مختارات من آثاره

- لأبي جعفر ابن الزيات الكلاعي في مذهب أهل التصوف (الإحاطة ١: ٣٠٢،  
الكتيبة الكامنة ٣٦):

دَعْنِي عَلَى حُكْمِ الْهَوَى أَتَضَرَّعُ،      فَعَسَى يَلِينُ لِيَ الْحَبِيبُ وَيَحْتَضُّ<sup>(١)</sup>.  
إِنِّي وَجَدْتُ أَخَا التَضَرُّعِ فَائِزاً      بُرَادِهِ، وَمِنَ الدُّعَا مَا يُسْمَعُ.  
فَأَمَحُ أَسْمَ نَفْسِكَ طَالِباً إِثْبَاتِهِ،      وَأَقْنَعُ بِتَفْرِيقِي لَعَلَّكَ تُجْمَعُ<sup>(٢)</sup>.  
وَأَخْضَعُ، فَمِنْ أَدَبِ الْمُحِبِّ خُضُوعُهُ.      وَلَرُبَّمَا نَالَ الْمُنَى مَنْ يَخْضَعُ.

- وقال في توحيد الله، يجمع بين أشياء من علم الكلام وأشياء من التصوف، ثم جعل ذلك في خطبة ألقى منها حرف الألف، على كثرة دوران حرف الألف في الكلام (الإحاطة ١: ٢٩٨-٢٩٢):

حَمِدْتُ رَبِّي جَلًّا مِنْ كَرِيمٍ مُحَمَّدٍ، وَشَكَرْتُهُ عَزًّا مِنْ عَظِيمٍ مُوجُودٍ... كَرِيمٌ لَوْ تَقَوَّمَ  
فِي فَهْمٍ لَحَدًّا<sup>(٣)</sup>،... لَوْ فَهِمْتُ لَهُ كَيْفِيَّةً لَبَطَلَ قِدَمُهُ<sup>(٤)</sup>، وَلَوْ عَلِمْتُ لَهُ كَيْفِيَّةً لَحَصَلَ  
عَدَمُهُ<sup>(٥)</sup>. وَلَوْ حَصَرَهُ طَرْفٌ لَقُطِعَ بِتَجَسُّمِهِ<sup>(٦)</sup>... عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكُوبٍ قُطْرٍ<sup>(٧)</sup>، عَلِيمٌ  
مِنْ غَيْرِ تَرْكُوبٍ فِكْرٍ<sup>(٨)</sup>. مُوجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يُنْسِكُهُ، مُعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وَهْمٍ يُذَرِكُهُ....

= (صحاح) الآثار (وهو كتاب للقاضي عياض في الألفاظ الغريبة في الحديث مما جاء في الموطأ ل مالك بن أنس وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم).

- (١) الحبيب (هنا) هو الله تعالى (في المدرك الصوفي)، ويمكن أن تعني عندهم «الرسول».
- (٢) في التصوف: امح اسمك (شخصيتك في العالم البشري) طالباً إثباته (تحقيق نفسك في ذات الله). ثم اقنع بأن تدرك أنك مفترق (لست إياه) لعلك تجمع معه (تصبح أنت وإياه واحداً: بزوال شخصيتك الإنسانية وبقاء الله وحده في الوجود).
- (٣) لو استطاع الإنسان أن يفهم الله لكان الله محدوداً (يحيط به فهم الإنسان).
- (٤) لو عرفنا كيف وجد الله لكان قديماً (بل لكان حادثاً مثل جميع الأشياء في الدنيا المادية).
- (٥) ولو علم الناس الله كيفية (شكلاً) لأنعدم (كما تنعدم جميع الأشياء التي لها أشكال - لأنّ عدم في الفلسفة هو تبدل الصور المختلفة على المادة الواحدة).
- (٦) طرف: بصر، عين. (لو كان الله يرى لكان جسماً، بلا شك).
- (٧) أنّ الله عظيم، كبير ولكن ليس له قطر (حدود: طول وعرض وعمق).
- (٨) الله عليم بكل شيء (ولكن من غير منهج فكري، كما يعرف الناس الأشياء).

## القَيْجَاطِيّ

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ عُمَرَ بنِ إِبْرَاهِيمَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ الكِنَانِيّ القَيْجَاطِيّ، نِسْبَةً إلى بلدةٍ قَيْجَاطَة (أو قِشَاطَة) من أعمالِ جَيَّانَ (إلى الشرق من قُرْبَة).

وُلِدَ القَيْجَاطِيّ سَنَةَ ٦٥٠ للهجرة (١٢٥٢ م) وتلقّى العلمَ على أبيه وعلى نَفَرٍ منهم: عَبْدُ اللَّهِ بنُ مُسَاعِدِ الضَّائِيّ وأبو جَعْفَرِ بنِ الصَّبَّاحِ وابن الصَّائِغِ<sup>(١)</sup> والأُبْدِيّ وأبو عليٍّ ابنُ الأَحْوَصِ.

وفي سَنَةِ ٧١٢ للهجرة (١٣١٢ م) دُعِيَ القَيْجَاطِيّ إلى غَرْنَاطَة فأقرَأَ بالجامعِ الأعظمِ فيها القِرَاءَاتِ والنحوَ والأدبَ، وَوَلِيَ فيها الخُطَابَةَ أيضاً. وقد نابَ عن بعضِ القُضَاةِ مُدَّةً وأذركه الوفاةُ، في ٢٧ من ذي الحِجَّةِ من سَنَةِ ٧٣٠ (١١/١٠/١٣٣٠ م)، وهو على القضاء.

٢- كان أبو الحسن القَيْجَاطِيّ مُتَوَاضِعاً حَسَنَ الخُلُقِ فَكِهًا حُلُوَ الحديث. وكذلك كان ذَكِيًّا بارعاً في عددٍ من العلوم كالقِرَاءَاتِ والنحوِ والأدبِ، وكان خَطِيْباً وشاعراً وناثراً وأستاذاً تَكَثَّرَ الاستِفادةُ منه. وقد كانت له تصانيفٌ، كما كان له شعرٌ ونثرٌ.

### مختارات من شعره

- قال أبو الحسن القَيْجَاطِيّ في تَذَكُّرِ الشَّبابِ:

والعُمُرُ مِثْلَ البَدْرِ يَدُو حُسْنُهُ حِيناً، وَيَعْقُبُ بَعْدَ ذَاكَ سِرَارُهُ<sup>(٢)</sup>.

(١) لم اُتد إلى شيء من تراجم الأشخاص المذكورين في هذه الجملة. ولعلَّ «ابن الصائغ» هو الذي ستأتي ترجمته (ص ٤٥٢).

(٢) السرار (بالفتح أو بالكسر): آخر ليلة من الشهر القمري (فيها يستسر القمر: لا يظهر في سماء البلد ليلاً). يعقب: يتبع.

ما للإخاء تَقَلَّصَتْ أفيأؤه! ما للصفاء تكدَّرت آثاره!  
ولأنت تعلمُ أنِّي - زَمَنَ الصِّبَا - ما زِلْتُ مِمَّنْ عَفَّ فيه إزاره<sup>(١)</sup>.

- وله من قصيدة في الرثاء :

أرى أَرَجَلَ الأرزاء تَشْتَدُّ نَحُونًا      وأُيْدِيهَا تسعى إلَيْنَا فتمْتَدُّ<sup>(٢)</sup>.  
ونحنُ أُولو سَهْوٍ عن الأمر، ما لَنَا      سوى أَمَلٍ إِيْجَابُنَا عنْدَه جَحْدُ<sup>(٣)</sup>.  
فإنْ خَطَرَتْ للمرء ذِكْرَى بِخَاطِرٍ،      فتَسْبِيحُه الساهي إذا سُمِعَ الرعدُ<sup>(٤)</sup>.  
مُصَابٌ به قُدَّتْ قلوبٌ وأنفُسُ      لَدَيْنَا، إذا في غَيْرِه قُطِعَتْ بُرْدُ<sup>(٥)</sup>.  
تَلِينُ له الصَّمُ الصَّلَابُ، وتَنْهَمِي      عيونٌ، ويكي عنْدَه الحَجَرُ الصَّلْدُ<sup>(٦)</sup>.  
وقد كان يبدو الصبرُ مَنَّا تَجَلْدًا،      وهذا مُصَابٌ صَبْرُنَا فيه ما يبدو<sup>(٧)</sup>.

٤-★★ أعمال الأعلام ٢٩٩س؛ الديباج المذهب ٢٠٧؛ بغية الوعاة ٣٤٤؛ نفح الطيب ٥؛  
٣٨٤، ٧٥، ٥٠٧-٥٠٩، ٦٠٣-٦٠٤؛ الأعلام للزركلي ١٣٢:٥ (٤:٣١٦).

## ابن هاني السبتي

١- هو أبو عبد الله محمد بن علي بن هاني اللخمي السبتي<sup>(٨)</sup>، أصله من إشبيلية.

- (١) الإزار: ثوب يلف على القسم الأدنى من الجسم. عَفَّ إزاره (لم يقرب امرأة ليست زوجاً له).
- (٢) اشتدَّ: ركض، أسرع. الرزء: المصيبة.
- (٣) الجحد: النكران. - نحن لا نلقي بالاً إلى الأحداث التي تمرُّ بنا إلّا بعد أن تقع (راجع البيت التالي).
- (٤) يسهو (يفعل - بضم الفاء -) الإنسان عن تسبيح الله، فإذا سمع رعداً خاف من انقضاء الصواعق عليه، فسبح الله.
- (٥) المصاب (هنا) موت الرجل الذي يرثيه القبيحاطي. قُدَّتْ (شَقَّتْ) قلوب وأنفس (حزنت حزناً شديداً) لدينا (لأنَّ الميت مَنَّا). إذا في غيره (اقرأ: في غيرنا) قُطِعَتْ برد (البرد: ثوب من حرير) كناية على الفرح. - يتفق أحياناً، إذا مات رجل أن يحزن لموته قوم ويفرح بموته قوم آخرون.
- (٦) هذا المصاب تلين له الصَّمُ الصَّلَاب (الحجارة القاسية). أنهى ينهمي (ليست في القاموس). همى المطر يهيم: سال بكثرة. الصلد: القاسي، اليابس.
- (٧) في أحوال سابقة من المصائب، كما تتجلَّد: تتظاهر بأننا لسنا محزونين أو حزناء (جمع حزين). أما في هذا المصاب فلا يبدو مَنَّا صبر، بل يظهر حزننا واضحاً شديداً.
- (٨) في بروكلمن محمد بن عبد الله (!) بن خاتمة السبتي.



قرأ على أبي إسحاق الفافقي وأبي بكر بن عبيد النحوي وأبي عبد الله بن حريث. وقد استشهد في حصار جبل طارق، أصابه حجر منجنيق، في أواخر ذي القعدة من سنة ٧٣٣ (١١/٨/١٣٣٣ م).

٢- كان ابن هاني السبتي من كبار علماء العربية (النحو)، أديباً ناظماً وناثراً مترسلاً، وله مشاركة في التاريخ. شعره عادي قليل الطلاوة. ونثره أكثر براعة. وكان مُصنِّفاً له: شرح التسهيل (لابن مالك النحوي) - الغرّة الطالعة في شعراء المائة السابعة - انشاد<sup>(١)</sup> الضوَالِّ وإرشاد السُّوال (في لحن العامة) - قوت المقيم. وقد دوّن ترسل أبي المطرف بن عميرة (ت ٦٥٨ هـ).

### ٣- مختارات من آثاره

- قال ابن هاني السبتي:

لولا مشيبٌ بقودي للفؤادِ عصي      أنضيتُ في مهمّة التشيبِ لي قُلُصاً<sup>(٢)</sup>،  
وكنتُ جاريتُ فيه مَنْ جَرَى طَلَقاً      مِنَ الإِجَادَةِ لَمْ يَجْمَحْ وَلَا نَكْصاً<sup>(٣)</sup>.  
وَمَنْ أَعَدَّ مَكَانَ النَّبْلِ نَبْلَ حِجَى      لَمْ يَرْضَ إِلَّا بِأَبْكَارِ النَّهْيِ قَنْصاً<sup>(٤)</sup>.

- وله في الجوابِ على رسالة وردت إليه من أبي القاسم الشريف (وكان شاعراً أديباً):

---

(١) أنشد الضائلة (البيهية الناثية من صاحبها): عرّفها ودلّ عليها. - يبدو أن هذا الكتاب قد عرف بعنوانين مختلفة: لحن العامة - تثفيف اللسان وتلقيح (الأذهان) - المدخل إلى تقويم اللسان (وهذا العنوان نشره كولان في مجلة «هيسبريس»، المجلد ١٢، ص ١-٣٢). راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧١.

(٢) الفؤاد: شعر الرأس السائل على جانب الأذن. عصي الفؤاد (لم يستطع أن يلهو كما يلهو الشبان). أنضى: أتعب وأتلف. المهمه: الغلاة الواسعة. القلوص (بالفتح): الناقة. لولا أنني كبرت في السن جداً للأت الدنيا بالفرز!

(٣) جرى الفرس طلقاً: خارجاً من قيده (سريعاً). لم يجمع (يشرد) ولا نكص (جبن، رجع) - أي لقلت غزلاً عفيفاً جيّداً!

(٤) النبل جمع نبلة (بالفتح): السهم. الحجى: العقل. القنص: الصيد.

هذا، بُني، ما سَنَحَ بِهِ الذَّهْنُ الْكَلِيلُ وَاللِّسَانُ الْقَلِيلُ<sup>(١)</sup> فِي مُرَاجَعَةِ قَصِيدَتِكَ الْفَرَاءِ الْجَالِبَةِ السَّرَّاءِ، الْآخِذَةِ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ الْمُؤَفِّةِ بِمَجَامِعِ الْمَطْلُوبِ الْحَسَنَةِ الْمُهَيَّعِ وَالْأُسْلُوبِ<sup>(٢)</sup>.... أَتِنَزَعُ غَيْرِي هَذَا الْمُنَزَّعَ أَوْ الْمَرْءَ بِنَفْسِهِ وَابْنَهُ مُؤَلَّغٌ؟ حَيَّا اللَّهَ الْأَدَبَ وَبَنِيهِ وَأَعَادَ عَلَيْنَا أَيَّامَهُ وَسِنِيهِ.... غَيْرَ أَنَّ الْإِحْسَانَ فِيهِ قَلِيلٌ، وَلَطَرِيقِي الْإِصَابَةَ فِيهِ عَلَّمَ وَدَلِيلٌ... فَلْيَهْنِكْ، أَيُّهَا الْإِبْنُ الذَّكِيُّ، الْبَرُّ الرَّكِيُّ، الْحَبِيبُ الْحَفِيُّ<sup>(٣)</sup>. الصَّفِيُّ الْوَقِيُّ، أَنْتَكَ حَامِلٌ رَايَتَهُ وَوَاصِلٌ غَايَتَهُ<sup>(٤)</sup>، لَيْسَ أَوْلَوُهُ وَآخِرُوهُ لَكَ بُنْكَرِينَ (لَكِنْ) لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ<sup>(٥)</sup>. وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ الْكِتَابُ وَيَنْحَرِفَ الشُّعْرَاءُ وَالْكِتَابُ<sup>(٦)</sup> لَفَاضَتْ يَتَابِيعُ هَذَا الْفَضْلِ فَيَضًا، وَخَرَجَتْ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنَ الْبَلَاغَةِ أَيْضًا. قَرَّتْ عَيُونُ أَوْدَاءِكَ، وَمِلَّتْ غِيظًا صُدُورُ أَعْدَائِكَ، وَرَقِيتَ دَرَجَ الْأَمَالِ وَوُقِيتَ عَيْنَ الْكَمَالِ<sup>(٧)</sup>....

٤-★★ أوصاف الناس ١٠٣-١٠٤؛ بغية الوعاة ٨٢؛ نفع الطيب ٦: ٢٤٥-٢٥٣؛ النبوغ المغربي ٢١٠-٢١١، ٣٨٧-٣٩١ (الترقيم الثاني)، ٧٣٥-٧٣٦، ٨٧١-٨٧٢؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧١؛ الأعلام للزركلي ١٧٦: ٧ (٦: ٢٨٤).

### ابن القويح<sup>(٨)</sup> التونسي

١- هو ركنُ الدين أبو عبد الله محمد بنُ محمد بن عبد الرحمن بن يوسف<sup>(٩)</sup> الجعفري المالكِي التونسي، ويُعرفُ بابنِ القويح. وُلِدَ فِي تُونِسَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٦٦٤ (١٢٦٦ م).

- (١) الكليل: الضعيف، الكال (اليف الذي لا يقطع). القليل (يقصد: الأقل) اليف الذي تَلَمَّ (تقطع) حذو.
- (٢) المهيح: الطريق الواضح.
- (٣) الذكي: ذو الفهم والحدق (يكسر الحاء). البر: المطيع لقومه. الزكي: الطاهر. الحفي: العارف (الرفيق في معاملة الآخرين).
- (٤) الذي تَمَّ الكمال فيه.
- (٥) «ولا تجد أكثرهم شاكرين» تضمين من القرآن الكريم (٧: ١٧ سورة الأعراف).
- (٦) وينحرف.... يستطردون إلى موضوعات متشعبة.
- (٧) الأوداء: الأصدقاء المحبون. وقيت عين الكمال: حفظك الله من الحسد (لأن الكامل في صفاته محمود).
- (٨) القويح (بفتح القاف كجوهري): طائر صغير أحر الرجلين... (راجع القاموس ٣: ٦٤).
- (٩) في بغية الوعاة (ص ٩٧):.... يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل.

وقرأ النَّحْوَ على يحيى بن الفرّج بن زيتون<sup>(١)</sup>، وقرأ الأصول على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس. ثم إنّه رحل فجاء إلى مصر سنة ٦٩٠. ويبدو أنّه تنقل بين القاهرة ودمشق مراراً. وقد سمع في دمشق من تقي الدين بن الواسطي وابن القوّاس وأبي الفضل بن عساكر، كما سمع في حاة من ابن المزنّر المحدث.

وكان ابن القوّع يتصدّر للتدريس في فنون مختلفة ويقوم بتدريس الطبّ في المارستان المنصوري في القاهرة والإعادة<sup>(٢)</sup> في المدرسة الناصرية. وتولّى نيابة الحكم (القضاء) للقاضي المالكي في القاهرة مدة ثم تركها تدنيّاً لأنّه لم يضمن أن يتجنّب فيها مجاراة الحكّام. وكانت وفاته في تاسع<sup>(٣)</sup> ذي الحجة من سنة ٧٣٨ (١٣٣٨/٦/٢٨ م)، في القاهرة.

٢- كان ابن القوّع التونسي رجلاً ذكياً واسع المعرفة كثير الحفظ لعدد من فنون العلم. وقد كان ضيق الصدر كثير الملل من كلّ شيء إلى جانب أنّه كان حسن الصّحبة حسن المعاملة للناس، وعلى شيء من اليسار أغناه عن التملّق. وله نثر سائغ وشعر جيّد في الغزل والأدب خاصة. ومن فنونه الحديث والأصول والفقه والتاريخ والبراعة في معرفة الخطوط (والخطوط بالقلم المغربي خاصّة)، مع أنّه لم يكن حسن الخطّ. وكانت له معرفة بالأدب والنقد<sup>(٤)</sup> وباللغة والنحو والطبّ يُكثر من مطالعة كتاب القانون لابن سينا، كما كان كثير الاهتمام بالحكمة (الفلسفة) مُكبّاً على مطالعة كتاب الشفاء لابن سينا

(١) هنالك في عنوان الدراية (ص ١١٤): الفقيه القاضي أبو القاسم بن أبي بكر اليميني الشهير بابن زيتون من أهل تونس (ت ٦٩١ هـ).

(٢) المارستان: المستشفى (وكان فيه في العادة مدرسة لتعليم الطبّ). المعيد (من الإعادة) مدرّس «يعيد» شرح ما غرض من دروس الأستاذ (نائب أستاذ).. المدرسة الصلاحية (نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي) كانت في القدس (راجع وفيات الأعيان ٣: ٢٤٤).

(٣) في بنية الوعاة (ص ٩٨): في سابع عشري الحجة (٢٧).

(٤) كان ابن القوّع يقرأ مطلع قصيدة ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ):

فتكات لحظك أم سيف أيبك

بالنصب (في فتكات، سيف الخ) على أنّها مفعول به لفعل تقديره أعاني. وكان ذلك عنده أبلغ من القراءة المشهورة بالرفع.

وكتاب المباحث المشرقية لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ). ثم هو مُصنّف له تفسيرُ سورة ق (السورة الخمسين في المصحف) وتعليق (أو شرح، راجع بغية الوعاة ٩٨) على ديوان المتنبي.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال ابن القويّح التونسي في النسيب:

جَوَى يَتَلَطَّى فِي الْفُؤَادِ اسْتِعَارُهُ،      وَدَمَعٌ هَتُونٌ لَا يَكِفُّ انْهَارُهُ<sup>(١)</sup>،  
وُلُوعاً بِمَنْ حَازَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ      فَحَازَ الْفُؤَادَ الْمُسْتَهَامَ إِسَارُهُ<sup>(٢)</sup>.  
غَزَالٌ لَهُ صَدْرِي كِنَاسٌ وَمَرْتَعٌ،      وَمِنْ حَبِّ قَلْبِي شَيْحُهُ وَعَرَارُهُ<sup>(٣)</sup>.  
جَرَى سَاجِجاً مَاءَ الشَّبَابِ بَرُوضِهِ      فَأَزْهَرَ فِيهِ وَرْدُهُ وَبَهَارُهُ<sup>(٤)</sup>.  
يَعْلُ بِمَذْبٍ مِنْ بَرُودِ رُضَابِهِ      تَفَاحَ فِيهِ مِسْكُهُ وَعُقَارُهُ<sup>(٥)</sup>.  
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ حُسْنٍ مُفَرَّقٍ      فَصَارَ لَهُ قُطْباً عَلَيْهِ مَدَارُهُ.  
زُلَالٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنِيٍّ وَرُودُهُ،      وَلَذَنْ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنِيٍّ اهْتِصَارُهُ<sup>(٦)</sup>..  
وَسَلْسَالٌ رَاحَ صَدَّ عَنِّي كَأْسُهُ،      وَغُودِرَ عِنْدِي سُكْرُهُ وَخُبَارُهُ<sup>(٧)</sup>.

- (١) الجوى اشتداد المرض والحزن من أثر المشق. تلطّط النار: تلبّث (ارتفع لميها واشتد). الاستمرار: توقّد النار (اشتداد حرارتها). الهتون: الكثير القطر (سيلان الماء والدمع الخ).
- (٢) جماله استولى على فؤاد المحبّ جملة.
- (٣) الكناس: البيت (المكان) الذي يأوي إليه الغزال. المرتع: المكان الذي ترعى (ترعى فيه) الماشية. حبّ القلب (بفتح الحاء) جمع حبة القلب: مهجته وسويداؤه (داخله ودمه). الشيح نبت طيّب الرائحة ترعاه الماشية. العرار: نبات له زهر طيّب الرائحة. - هذا الغزال (المحبوب) يسكن في قلبي ويتغذّى من دم قلبي (ولذلك نزل بي القام والهمال).
- (٤) ورده كناية عن خديه الأحمرين. وبهارة (كناية عن وجهه الأبيض).
- (٥) علّ الرجل يعلى (بكسر العين): شرب شيئاً فشيئاً ومرة بعد مرة. العذب: الحلو. البرود: البارد. الرضاب: الريق ما دام في الفم. تفاح = فاح (انتشرت منه رائحة طيبة). القمار: الخمر.
- (٦) ريقه حلو سائغ في الحلق ولكن لا أستطيع وروده (الشرب منه). وقوامه لدن (طري، ناعم) ولكن لا أستطيع هصره (ضمّه إليّ).
- (٧) السلال: العذب الصافي الذي يجري بسهولة في الحلق. الراح: الخمر. صدّ عني كأسه (منعت من شربه اللذيذ). غودر: ترك (بالبناء للمجهول)، بقي. السكر والخمار: الصداق والألم من أثر شرب الخمر.

دنا ونأى فالدارُ غيرُ بعيدة، ولكنَّ بُعْداً صَدَّهُ ونِفاره<sup>(١)</sup>.  
 كُتِمْتُ الهوى لكنَّ بَدَمْعِي وَزَفَرْتِي؛ وَسُقْمِي تَسَاوَى سِرَّهُ وَجِهَارُهُ<sup>(٢)</sup>.  
 أَرَا حَةَ نَفْسِي، كَيْفَ صِرَتْ عَذَابُهَا؟ وَجَنَّةَ قَلْبِي، كَيْفَ مِنْكَ اسْتِعَارُهُ<sup>(٣)</sup>؟

- وكتبَ إجازةً لِصَلَحِ الدِّينِ خَلِيلِ بْنِ أَبِيكَ الصَّفَدِيِّ<sup>(٤)</sup> جاءَ فيها:

يقولُ العبدُ الفقيرُ إلى رَحْمَةِ رَبِّهِ وَعَفْوِهِ عَمَّا تَعَاظَمَ مِنْ ذَنْبِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ  
 الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ الْجَفَرِيِّ المعروف بابنِ الْقَوْبَعِ: بعدَ حَمْدِ اللَّهِ ذِي الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، وَالْعَظَمَةِ  
 وَالْكِبَرِيَاءِ، الْأَوَّلِ بِلَا ابْتِدَاءٍ وَالْآخِرِ بِلَا انْتِهَاءٍ، خَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَجَاعِلِ  
 الْإِصْبَاحِ وَالْإِمْسَاءِ؛ وَالشُّكْرِ<sup>(٥)</sup> لَهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ تَعَاظُمِ الْآلَاءِ وَتَرَادُفِ النِّعَمَاءِ<sup>(٦)</sup>.  
 نَحْمَدُهُ وَنَذْكُرُهُ وَنُعْبُدُهُ وَنُشْكِرُهُ لِتَفَرُّدِهِ بِاسْتِحْقَاقِ ذَلِكَ وَتَوْفُّرِهِ مَا خَصَّنَا بِهِ مِنَ الْعِلْمِ  
 هُنَالِكَ وَأُضَاءَ بِهِ بَضِيائِهَا مِنْ نُورِ الْفَهْمِ. وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعُجَمِ<sup>(٧)</sup>  
 وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَازُوا مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بِعِظَمِ الْحَظِّ وَوُفُورِ الْقَسَمِ. أَجَزْتُ  
 لِفُلَانٍ<sup>(٨)</sup>.... جَمِيعَ مَا يَجُوزُ لِي أَنْ أَرْوِيَهُ تَمَّا رَوَيْتُهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَرْوِيَّاتِ أَوْ قُلْتُهُ نَظْماً أَوْ  
 ثَرَاءً أَوْ اخْتَرَعْتُهُ مِنْ مَسْأَلَةِ عِلْمِيَّةٍ مُفْتَتِحاً، أَوْ اخْتَرَعْتُهُ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَاسْتَنْبَطْتُ  
 الدَّلِيلَ عَلَيْهِ مُرَجَّحاً تَمَّا لَمْ أَصْنَعُهُ فِي تَصْنِيفٍ وَلَا أَجْمَعُهُ فِي تَأْلِيفٍ، عَلَى شَرْطِ ذَلِكَ عِنْدِ  
 أَهْلِ الْأَثَرِ<sup>(٩)</sup>.

وَقَّعَهُ اللَّهُ لِمَا يَرْضَى فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَا يَدْرِي\*.

- (١) ... نفرتُه مِنِّي فجعله بعيداً عَنِّي (وإن كان ساكناً بقري).
- (٢) أنا لا أبكي ولا أتهدُّ (من أثر تعذيبه لي بحبه)، ولكنَّ سقْمِي (نحولي) يدلُّ على ذلك.
- (٣) أَرَا حَةَ نَفْسِي (المعزة للنداء).
- (٤) خليل بن أبيك الصفدي (٦٩٦-٧٦٤ هـ) اشتهر بكتب التراجم، له الوافي بالوفيات كبير جداً، قد طبع منه إلى الآن خمسة عشر جزءاً (عام ١٩٧٩ م) فاستوفى أسماء الحمدنين ووصل إلى حرف السين.
- (٥) والشكر (وبعد الشكر). \* أدري فلان فلاناً (داراه).
- (٦) ترادف: تابع، توالي. النماء: الحفض والدعة (المعيش في رفاهية وأمن).
- (٧) كذا في الأصل. (بضياؤها).
- (٨) العرب والعجم (غير العرب) كلتا الكلمتين بضم فسكون. القسم (بفتح فسكون): النصيب، الحصة.
- (٩) لصلاح الدين خليل بن أبيك (راجع الحاشية ٤).
- (٩) بحسب القواعد التي أقرها علماء الحديث للتثبت من أمانة الراوي ومن صحة الحديث الروي.

وزادَه فضلاً إلى فضله  
فهذه الدار بما تحتوي  
دَلَّتْ بَنِيهَا في غرورٍ، فهم  
تُرِيهِمْ بِشَرًّا. وَيَا وَيَحْهُمْ!  
يَنَّا تُرى مُبْتَهَجاً ناعماً  
آمنَ ما كان وأقصى مُنى-  
فَعَدَّ عنها واشتغلَ بالذي  
فإنَّها الخيرُ خَصىصٌ بما  
- وله (بغية الوعاة ٩٨):

تأملْ صَحِيفَاتِ الوجودِ فإنَّها  
وقد خُطَّ فيها - إن تأملتَ خطَّها:  
من الجانبِ السامي إليك رسائلُ<sup>(٧)</sup>  
« أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ <sup>(٨)</sup> ».

٤-★★ الوافي بالوفيات ١: ٢٣٨-٢٤٧؛ الدياج المذهب ٣٢٩، بغية الوعاة ٩٧-٩٨؛  
درة الحجال ٢: ٣٠٠ وما بعد؛ نفح الطيب ٢: ٢٢٥-٢٢٦؛ الأعلام للزركلي ٧:  
٢٦٤ (٣٥).

- 
- (١) الحشر: يوم القيامة.  
(٢) دَلَّى الرجل الحبل في البئر: مدّه نزولاً. بني الدنيا: الناس. العمى: منذ الولادة.  
(٣) البشر: طلائع الوجه، إظهار السرور.  
(٤) في اطمئنان تامٍّ محققاً جميع آمانيه. فاجأه: أتاه بغتة. قاصمة الظهر: المصيبة العظيمة التي تشلّ المصاب بها عن التفكير والتصرّف.  
(٥) آخر الدهر (منذ ساعتك هذه إلى آخر حياتك).  
(٦) النشر والنشور: القيامة في الآخرة.  
(٧) من الجانب السامي (الإلهي).  
(٨) هذا من قول لبيد بن ربيعة الجاهلي:  
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خلا الله باطل. «وكلّ نعيم - لا محالة - زائل!

## ابن عمر الملكيشي

١- هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي بن محمد بن إبراهيم الملكيشي البجائي (نسبة إلى بجاية في الجزائر) الجزائري التونسي. نشأ في بلاد الجزائر وبدأ تلقى علومه فيها. وقد رحل إلى المشرق وحج وتلقى أشياء من العلم في الحجاز والقاهرة والإسكندرية.

ويبدو أن شيئاً من الاضطراب وقع في الجزائر - مقتل أبي حنّو الأول موسى بن عثمان (٧١٨ هـ) - فأثر الملكيشي الانتقال إلى الأندلس، في السنة نفسها، ومدح نقرأ من الكبراء، وقد أقام حيناً في مالقة. ثم إنه عاد إلى المدونة الإفريقية وتقلد في تونس خطة الكتابة. وفي تونس كانت وفاته في غرة المحرم من سنة ٧٤٠ (١٣٣٩/٧/٩ م).

٢- كان ابن عمر الملكيشي فقيهاً وذا ميل إلى التصوف، كما كان أديباً كاتباً مترسلاً وشاعراً ينظم رويةً وارتجالاً. وفي شعره سهولةً وشيء من الرقة. وفنه الغزل والنسيب.

### ٣- مختارات من شعره

قال ابن عمر الملكيشي في النسيب:

★★ رضا! نلت ما ترَضين من كل ما يُهوى  
وصفحاً عن الجاني المسيء لنفسه؛  
بما بيننا من خلوة معنوية  
قفي أتسكى لوعة البين ساعة،  
فلا توقيني مَوْفَ الذَّلِّ والشَّكوى  
ولا يكُ هذا آخر العهد بالنجوى.  
أرق من النجوى وأحلى من السلوى<sup>(١)</sup>.  
إلى عاشقي ما يستفيق من البلوى<sup>(٢)</sup>.

(١) بما بيننا: استحلفك بالذي بيننا. خلوة معنوية: عفيفة (بالفكر لا بالاجتماع). السلوى (في القاموس) طائر لذيذ اللحم. و (في العرف) المن والسلوى: نوع من الصمغ الحلو يتكوّن على نوع من الأشجار في فارس والعراق.

(٢) العرصة: أرض خلاء أمام البيت. البلوى (مكررة).

وكم قد سألتُ الريحَ شوقاً إليكمُ  
 فها حنّ مسراها عليّ ولا أُلوى<sup>(١)</sup>.  
 فيا ريحُ، حتّى أنتِ ممّن يَفَارُ بي؟  
 ويا نجدُ، حتّى أنتِ تَهْوِي كما أهوى.  
 خلقتُ وليّ قلبٌ جليدٌ على النوى،  
 ولكنّ على قَدْرِ الأحيّة لا يَفْوَى<sup>(٢)</sup>.  
 \*\* أرى لك، يا قلبي، بقلبي محبةً  
 بعثتُ بها سِرِّي إليك رسولا.  
 فقابلهُ بالبُشرى وأقبل عشيّةً،  
 فقد هبّ مسكِيّ النسيمِ عليلاً.  
 ولا تَعْتَذِرْ بالقَطَرِ أو بَلَلِ الندى،  
 فأحسنْ ما يأتي النسيمُ بليلاً!

٤- \*\* نيل الابتهاج ٢٣٩-٢٤٠؛ تعريف الخلف ١: ١٧٣-١٧٦؛ نفع الطيب ٦:  
 ٢٤٠-٢٤٢؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ١١١-١١٢؛ معجم أعلام الجزائر  
 ١٧١-١٧٢؛ الطمار ١٩١-١٩٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠٥ (٦: ٣١٤).

### محمد بن أحمد بن جُزَيّ

١- هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد  
 الرحمن بن يوسف بن جُزَيّ الكلبيّ الأندلسي، وُلِدَ في تاسع ربيع الثاني من سنة ٦٩٣  
 (١٠/٣/١٢٦٤ م) في غرناطة.

قرأ أبو القاسم بن جُزَيّ القرآن والحديث والفقه والنحو على أبي جعفر بن الزبير  
 الغرناطي (٦٢٧-٧٠٨ هـ)؛ ثم كان من شيوخه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن داوود  
 آبن الكمّاد اللّخمي (ت ٧١٢ هـ) وأبو علي بن برطال وأبو عامر بن ربيع الأشعري  
 والشيخ البركة الولي الخطيب أبو عبد الله الطنجالي الهاشمي وقاسم بن عبد الله بن  
 الشاط.

تصدّر ابن جُزَيّ للتدريس ثم أصبح منذ مطلع حياته خطيباً في الجامع الأعظم في  
 غرناطة. وكانت وفاته يوم الاثنين شهيداً في وقعة طريف (معركة نهر سالادو) - وهو

(١) أُلوى (مال وعطف).

(٢) النوى: البعاد.



يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى جِهَادِ الْمُعْتَدِينَ الْإِسْبَانِ، فِي سَابِعِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٧٤١ (٣٠/١٠/٧٤١ م).

٢- كان أبو القاسم بن جُزَيٍّ مُشَارِكًا فِي عَدَدٍ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ: فِي الْقِرَاءَاتِ وَالتَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ، وَفِي الْفِقْهِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ، وَفِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ. وَلَهُ شَعْرٌ يَدُورُ عَلَى الْمَعَانِي الدِّينِيَّةِ مِنَ التَّقْوَى وَمَدْحِ الرُّسُولِ وَالتَّصَوُّفِ. وَشَعْرُهُ هَذَا قَرِيبُ الْمَعَانِي سَهْلُ التَّرْكِيبِ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ الصَّنَاعَةِ وَمِنَ التَّكَلُّفِ أَيْضًا. وَكَانَ لَهُ فِي فنِّ الْبَدِيعِ نَوْعٌ أَسَمُهُ «التَّخْيِيرُ» (وذلك أَن يَكُونَ لِلبَيْتِ قَافِيَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَلَكِنْ عَلَى رَوِيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ). رَاجِعْ مِثْلًا نَفَحَ الطَّيِّبِ (٥: ٥١٧):

أَيَا مَنْ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ تَعَفُّفًا،      وَفِي النَّفْسِ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ لَهَيْبٌ (غَرَامٌ)،  
أَلَا إِنَّا صَبْرِي كَصَبْرِي، وَإِنَّا  
عَلَى النَّفْسِ مِنْ تَقْوَى الْإِلَهِ رَقِيبٌ (لِجَامٌ)<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ بنُ جُزَيٍّ مُؤَلِّفًا، لَهُ: التَّسْهِيلُ فِي عُلُومِ التَّنْزِيلِ (فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ النِّقْدِ) - الْمُخْتَصَرُ الْبَارِعُ فِي قِرَاءَةِ نَافِعٍ - وَسِيلَةُ الْمُسْلِمِ فِي تَهْذِيبِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ - الدَّعَوَاتُ وَالْأَذْكَارُ الْمُخْرَجَةُ مِنْ صَحِيحِ الْأَخْبَارِ (أَسْتَعْرِضَ فِيهِ مَا وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالدَّعَوَاتِ فِي الْكُتُبِ الْخَمْسَةِ)<sup>(٢)</sup> - تَقْرِيبُ الْوُصُولِ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ (أُصُولُ الْفِقْهِ) - النُّورُ الْمُبِينُ فِي شَرْحِ عَقَائِدِ الدِّينِ - الْأَنْوَارُ السَّنِّيَّةُ فِي الْأَلْفَاظِ السَّنِّيَّةِ (وَيُقَالُ: الْأَقْوَالُ السَّنِّيَّةُ) فِي الْمَذَاهِبِ السَّنِّيَّةِ (أَلْفٌ لَابِنُهُ أَحْمَدٌ) - الْقَوَانِينُ الْفَقْهِيَّةُ فِي تَلْخِصِ مَذْهَبِ الْمَالِكِيَّةِ - قَوَانِينُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي مَسَائِلِ الْفُرُوعِ الْفَقْهِيَّةِ (انْتَهَى مِنْ تَأْلِيفِهِ فِي الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ، سَنَةِ ٧٣٥ ١٠/٩/١٣٣٤ م) - الْفَوَائِدُ الْعَامَّةُ فِي لَحْنِ الْعَامَّةِ - فَهْرَسٌ أَشْتَمَلُ عَلَى عَدَدٍ كَبِيرٍ (مِنْ شِيُوخِهِ؟) مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

(١) الصَّبْرُ (بِفَتْحِ فَكْسِرٍ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ): عَصَاةٌ (بِالضَّمِّ) شَجَرٌ مَرَّ (الْقَامُوسُ ٢: ٦٧).

(٢) الْمَشْهُورُ أَنَّهُ يُقَالُ كُتِبَ الْحَدِيثُ الْبَيْتَ، وَهِيَ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ ثُمَّ كُتِبَ السَّنَنُ الْأَرْبَعَةُ لِأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِي (بِالْفَتْحِ) وَالتِّرْمِذِي (بِالْكَسْرِ) وَابْنُ مَاجَةَ.

- من مقدمة «قوانين الأحكام الشرعية»:

الحمد لله ذي الجلال الذي عَجَزَتْ عن إدراك كُنْهِه عقولُ العارفين<sup>(١)</sup>، وَ (ذي) الكمال الذي قَصَرَتْ عن إحصاء ثَنائه أَلْسِنَةُ الواصفين.... وَ (ذي) العظمة الذي عَسَتْ لِعِزَّتِها وجوه الطائفين والعاكفين<sup>(٢)</sup>..... سُبْحَانَهُ من مَلِكٍ لم يَخْلُقْ عِبَادَهُ عَبَثاً ولم يَتْرُكْهُمْ سُدًى، بل أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَدَاعِينَ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى. ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحبِ الدعوةِ التَّامَّةِ والرَّسالةِ العامَّةِ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَ (صاحب) الْمِلَّةِ النَّاسِخَةِ لْجَمِيعِ الْأَدْيَانِ<sup>(٣)</sup> وَالشَّرِيعَةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى آخِرِ الْأَزْمَانِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَةِ وَالْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ السَّاطِعَةِ الْبُرْهَانِ<sup>(٤)</sup>. وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(٥)</sup>، وَجَعَلَهُ مُعْجِزَةً ظَاهِرَةً لِلْبَيَانِ مُتَجَدِّدَةً مَا اخْتَلَفَ الْمَلَوَانِ<sup>(٦)</sup> وَتَعَاقَبَتِ الْأَزْمَانُ.....

أَمَّا بَعْدُ، فَهَذَا كِتَابٌ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَسَائِلِ الْفُرُوعِ الْفَقْهِيَّةِ عَلَى مَذْهَبِ إِمَامِ الْمَدِينَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذْ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ أَهْلُ بَلَدِنَا بِالْأَنْدَلُسِ وَسَائِرِ الْمَغْرِبِ اقْتِدَاءً بِدَارِ الْهِجْرَةِ<sup>(٧)</sup> وَتَوْفِيقاً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَتَصَدِيقاً لِقَوْلِ

(١) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته. العارف (في التصوف): الذي يعرف الأمور بما منحه الله من الكشف عن بعض أمور الغيب.

(٢) عنى: خضع، ذلّ. العزّة: القوّة. الطائف (في الأصل): الذي يقوم بالطواف (الدوران) حول الكعبة (ويكون ذلك في وقت معلوم). العاكف: المنقطع للعبادة في مسجد لمدة هو يميّنها ثم لا يخرج عن اعتكافه في أثناء تلك المدة (وليس للاعتكاف وقت معيّن). للطائفين والعاكفين (في كلّ وقت وزمن).

(٣) المِلَّة (بالكسر): الدين. نسخ: أبطل. الأديان (المقصود: الشرائع). الأديان السماوية لا تُنسخ لأنّها كلّها من عند الله. ولكن الشرائع (القواعد التي يسيّر عليها الناس في شكل عباداتهم وفي سلوكهم الاجتماعيّ) تتبدّل بتبدّل الأزمان).

(٤) الآية: الحقيقة الغالبة، المعجزة. البيّنة: الظاهرة، الواضحة. القاطعة: الباتّة، الجازمة (التي تقطع الخصم عن مواصلة الجدل). الساطع: النير (الظاهر لكل إنسان). البرهان: الدليل الحاسم (من «برهانا» - في الحبشيّة -: النور).

(٥) ﴿هُدًى لِلنَّاسِ.....﴾ (٢: ١٨٥، سورة البقرة).

(٦) الملوان (مثنى): الليل والنهار.

(٧) دار الهجرة: المدينة المنورة.

الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا يزال أهلُ المغرب ظاهرين على الحقِّ حتى تقوم الساعةُ ». ثم زدنا إلى ذلك التنبيه على كثير من (وجوه) الاتفاق والاختلاف الذي بين الإمام المسمّى<sup>(٢)</sup> وبين الإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إدريس الشافعي والإمام أبي حنيفة النُّعْمَان بن ثَابِت والإمام أبي عبد الله أَحْمَد بن حَنْبَلٍ لِتَكْمُلَ الفائدة ويعظمُ الانتفاع، فإن هؤلاء هم قُدوة المسلمين في أقطار الأرض وأولو الأتباع والأشباع<sup>(٤)</sup>.

وربما نبهتُ على مذهب غيرهم من أئمة المسلمين كُفَيَّانَ الثَّوْرِيِّ والحسن البَصْرِيِّ وعبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وأبي ثورٍ والنَّخَعِيِّ وداوود بن عليٍّ إمام الظاهرية<sup>(٥)</sup> - وقد أكثرنا من نقل مذهب<sup>(٦)</sup> - والليث بن سعدٍ وسعيد بن المسيَّب والأوزاعي<sup>(٧)</sup> وغيرهم، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فإنَّ كُلَّ واحدٍ منهم مُجتهدٌ في دين الله، ومذاهبهم طُرُقٌ مُوصِلَةٌ إلى الله.

(١) كذا في الأصل. يجب أن تكون «تأ».

(٢) المسمّى (أي مالك بن أنس).

(٣) مالك والشافعي وأبو حنيفة (وكان في فقهه واجتهاده يأخذ بالرأي) وأحمد بن حنبل (كان يعتمد النصوص في الأكثر - حتى عدّه نفر من المؤرخين في المحدثين لا في الفقهاء) هم أصحاب المذاهب الأربعة المفعول بها إلى الآن عند أهل السنة والجماعة.

(٤) الأتباع (الذين يتبعون المذهب الذي ولدوا عليه) والأشباع (الذين يتبعون مذهباً ثم يخالفون من ليس على مذهبهم).

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٦١ هـ) من كبار زمانه في رواية الحديث وعلوم الدين والتقوى. الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) زعيم علم الكلام والاعتزال وتحكيم العقل في الأمور. وكان صالحاً تقياً. عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) من حفاظ الحديث. إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ) من كبار حفاظ الحديث. أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي (ت ٢٤٠ هـ) من الفقهاء الكبار الذين كانوا يتكلمون بالرأي. النخعي: إبراهيم بن يزيد (ت ٩٦ هـ) من أكابر التابعين ومن كبار الحفاظ ورواة الحديث - ثم حفص بن غياث (ت ١٩٤ هـ) من حفاظ الحديث. وداوود بن عليٍّ الأصفهاني (ت ٢٧٠ هـ) صاحب المذهب الظاهري (وهو مذهب بأئد: بطل العمل به) يعتمد النصَّ الوارد في القرآن وفي الحديث ولا يأخذ بشيء آخر إلا عند الضرورة القصوى (إذا سمحت قواعد اللغة والبلاغة بذلك).

(٦) اقرأ: من النقل من مذهبه.

(٧) الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) إمام أهل مصر - في زمانه - في الحديث والفقه. سعيد بن المسيَّب =

واعلم أن هذا الكتاب يُنِيف<sup>(١)</sup> على سائر الكتب بثلاثِ فوائد.

★ الفائدة الأولى: أنه جَمَعَ بين تمهيد المذهب وذكر الخلافِ العالي<sup>(٢)</sup>، بخلاف غيره من الكتب فإنّها في المذهب خاصة أو في الخلافِ العالي خاصة.

★ الفائدة الثانية: أي جَمَعته بحسن التقسيم والترتيب وسهّلته بالتهذيب والتقريب. فكم فيه من تقسيم قسيم<sup>(٣)</sup> وتفصيل أصيل يُقَرِّبُ البعيدَ ويُلَيِّنُ الشريد<sup>(٤)</sup>.

★ الفائدة الثالثة: أننا قَصَدْنَا الجمعَ فيه بين الإيجاز والبيان، على أنّها قلما يجتمعان.

فجاء - بحمدِ الله - سَهْلَ العبارة لطيفَ الإشارة تامَّ المعاني مُختَصَرَ الألفاظ. وإلى الله نرغبُ (في) أن يجعله مُوجِباً لغفرانه ومُوصِلاً لِرِضوانه وفاقحاً لِحِزائِهِ إحصانه وأَمْتِنَانِهِ، إنه ذو فضل عظيم.....

- قال محمد بنُ أحمدَ بنِ جُزَيٍّ من بَدِيعَةِ (في مَدَحِ الرسول):

أرومُ امتداحِ المُصطفى فيردُّني قُصوريَ عن إدراكِ تلكِ المناقبِ<sup>(٥)</sup>  
ومن لي بحضُرِ البحرِ، والبحرُ زَاخرٌ؛ ومن لي بإحصاءِ الحصى والكواكبِ!<sup>(٦)</sup>

= (ت ٩٤ هـ) أحد الفقهاء السبعة في المدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. والمسيب اسم (بضم الميم وفتح السين ثم ياء مشددة مكسورة: اسم فاعل). ويجوز أن يكون بفتح الياء (ولكن الكسر أفصح). أما المسيب بن حزن بن أبي وهب الخزومي (والد سعيد بن المسيب) فهو بالكسر. جاء في تاج العروس (الكويت ٣: ٩٠) أن سعيد بن المسيب هذا كان يقول (وقد سمع أناشأ يلقظون اسم المسيب بالفتح): «لعن الله من سيب أبي» (أي لفظ اسمه بالياء المشددة المفتوحة). أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧ هـ) فقيه أهل الشام، كان له مذهب في الفقه قائم على الحديث، انتشر مدة في الأندلس - في الغالب - ثم باد.

(١) أناف العدد على كذا: ارتفع، زاد.

(٢) العالي: المتقدم في الزمن (التقريب من زمن الرسول).

(٣) قسيم: جميل.

(٤) أصيل: جيد (واضح). لَيْن الماءِ النسيجَ (جعله مطاوعاً للعمل به). الشريد: النافر، الذي يصعب إمساكه.

(٥) المصطفى = محمد رسول الله. قصوري = قصيري. المناقب جمع منقبة: الفعل الكريم.

(٦) المحصر: الإحاطة بالشيء. زَاخر: ممتلئ (كثير المياه).

ولو أنَّ كلَّ العالمين تآلفوا  
فأمسكتُ عنه هيبةً وتأهباً  
ورُبَّ سُكوتٍ كان فيه بلاغةٌ،  
على مدحه لم يبلغوا بعضَ واجب. <sup>(١)</sup>  
وخوفاً وإعظاماً لأرفع جانب <sup>(٢)</sup>.  
ورُبَّ كلامٍ فيه عتبٌ لعاتب.

- وقال في الابتهاال إلى الله:

يا رَبِّ، إنَّ ذُنوبي اليوم قد كُثرتُ  
وليس لي بعذابِ النارِ مِنْ قَبْلِ،  
فانظر، آلهي، إلى ضَعفي ومسكنتي،  
فما أُطيقُ لها حَصراً ولا عَدَداً <sup>(٣)</sup>.  
ولا أُطيقُ لها صبراً ولا جَلَداً <sup>(٤)</sup>.  
ولا تَذيقَنني حرَّ الجحيمِ غداً.

- وقال في مُرادِه من الحياة الدنيا (وهو من لزوم ما لا يلزم):

لَكلِّ بَني الدُّنيا مُرادٌ ومَقْصِدٌ؛  
لأبْلُغَ من علمِ الشريعةِ مبلغاً  
وفي مثل هذا قَلِيلانِفسٌ أولو النُهي.  
وإنَّ مُرادِي صِحَّةٌ وبَلاغٌ <sup>(٥)</sup>  
يكون به لي في الجِنانِ بلاغٌ <sup>(٦)</sup>.  
وحَسْبِي من دارِ الفناء بلاغٌ <sup>(٧)</sup>.

- وقال يفتخرُ بالَعِفَّةِ والتقوى:

وكم من صفحة كالشمس تبدو  
غضضتُ الطرفَ عن نظري إليها  
فيسلي حُسْنُها قلبَ الحزين <sup>(٨)</sup>!  
مُحافظةً على عِرْضي وديني <sup>(٩)</sup>.

(١) تآلفوا: استآل بعضهم بعضاً (اجتمعوا وتعاونوا).

(٢) أمسك عن الأمر: كفَّ وتوقَّف. الهيبة: الخوف (من ألاَّ ينجح الإنسان في محاولة أمر). التأهب (في القاموس) الاستعداد.

(٣) أطاق: استطاع.

(٤) قبل (بكسر ففتح) الطاقة، الاستطاعة (الاحتال). الجلد: تكلف الأمر ومحاولة (القيام) به.

(٥) بلاغ: ما يرجو الإنسان أن يصل إليه في الحياة، الغاية من الحياة.

(٦) بلاغ: وصول، نيل (الدخول إلى الجنة).

(٧) أولي (أصحاب) النهي (العقل). بلاغ: الضروري من أسباب المعاش (ما يتبَلَّغ الإنسان به: ما يكتفي به)

(٨) صفحة: خد، وجه. كالشمس: مشرقة (جيلة). يسلي من أسلى (أدخل السلو أو التسلي أو السيان على النفوس).

(٩) غَضَّ الرجل طرفه (بصره): كَفَّه، خَفَضَه (منعه من أن يرى ما لا تجوز رؤيته).

- ٤- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تونس ١٣٤١ - ١٣٤٤ هـ = قوانين الأحكام الشرعية ومساائل الفروع الفقهية، بيروت (دار العلم للملايين) بلا تاريخ<sup>(١)</sup>.
- التسهيل لعلوم التنزيل، مصر (مصطفى محمد) ١٣٥٥ هـ؛ بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.
- ★ الدباج المذهب ٢٩٥ - ٢٩٦ (٢٦٤)؛ نيل الابتهاج ٢٣٨ - ٢٣٩؛ الدرر الكامنة ٣ : ٣٠٣، درة المجال ٢ : ١١٧ - ١١٨؛ الكنية الكامنة ٤٦؛ نفح الطيب ٥ : ٥١٤ - ٥١٧؛ أزهار الرياض ٣ : ١٨٤ وما بعد؛ الداية ٥٢٩ - ٥٣٣ (أوجز محمد رضوان الداية رؤوس موضوعات البلاغة في كتاب «التسهيل»)؛ بروكلمن ٢ : ٣٤٢، الملحق ٢ : ٣٧٧؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٣٢٥ (٦ : ٢٢١).

## أبو حيَّانَ الغرناطي

١- هو أثير الدين أبو حيَّانَ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّانَ النَّفْزِيُّ الجيَّانيّ الغرناطي، أصلُ أهلِهِ من قبيلة نَفْزَة البربرية من المغرب الأقصى جاءوا إلى الأندلس وسكنوا جَيَّانَ.

وُلِدَ أبو حيَّانَ في قرية قُرْبَ غرناطة في أواخر شَوال من سَنَةِ ٦٥٤ (أواسط تشرين الثاني - نوفمبر ١٢٥٧ م). وقد تلقَّى في غرناطة شيئاً من علوم القرآن والحديث واللغة على عدد من الأئمة القليلين الذين كانوا آنذاك في غرناطة. كان من هؤلاء ابن الطَّبَّاع فلم يُسرَّ منه أبو حيَّانَ فكشف عن عيوبه في كتاب له سمَّاه «الإلماع في فساد إجازة ابن الطَّبَّاع»<sup>(٢)</sup>. ويبدو أن سلطان غرناطة - أبا عبد الله محمد بن محمد المعروف بالفقيه (٦٧١ - ٧٠١ هـ) - غضب من أجل ذلك على أبي حيَّانَ فانتقل أبو حيَّانَ إلى مالقة (وكانت مالقة آنذاك تحت حكم المرينيين) وسمع شيئاً من علوم القرآن واللغة من أبي جعفر بن الزبير<sup>(٣)</sup>. ثم إنَّه غادر الأندلس إلى سبتة (المغرب الأقصى) سنة ٦٧٩ هـ.

(١) كتب عبد العزيز سيّد الأهل (توفي نحو ١٩٨٠ م) تعريفاً قصيراً لهذا الكتاب (ص ٥ - ١١).

(٢) الإجازة: شهادة من عالم في فنٍّ من الفنون بأنَّ الذي يحمل منه هذه الإجازة قد سمع منه الفنَّ الذي يلقبه.

(٣) يذكر بروكلمن (٢ : ١٣٣) أن أبا حيَّانَ الغرناطي كان يدرس في مالقة منذ سنة ٦٧٠ هـ. وهذا يعني أنه غادر غرناطة قبل أن يحجَّه محمد بن محمد الفقيه إلى عرش غرناطة.

وسمع من أبي الحكم مالك بن المرحّل (ت ٦٩٩ هـ) ومن أبي القاسم العزّفي (٧١٧ هـ).  
وتطوّف مدة في المغرب.

ولا نعلم متى بارح أبو حيّان سبتة إلى المشرق، ولكننا نعلم أنه تطوّف كثيراً في مصر والسودان والحبشة والحجاز والعراق والشام. وقد أخذ أبو حيّان في أثناء ذلك كلّهُ أوجهاً من فنون العلم عن أئمة البلدان التي زارها. وقد سمع في القاهرة من بهاء الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحلبي المعروف بابن النّحاس (ت ٦٩٨ هـ = ١٢٩٩ م).

ودرّس أبو حيّان الغرناطي التفسير والحديث والنحو في الجامع الأحمر في القاهرة وخلفه أستاذه ابن النّحاس في تدريس هذه الفنون في المدرسة المنصورية في القاهرة. وكذلك درّس في المدرسة الصالحية في دمشق (٧٣٥ هـ = ١٣٣٥ م).

في أول الأمر كان أبو حيّان على المذهب الظاهري، وكان في الوقت نفسه مائلاً إلى التشيع. في هذه الأثناء كان مُعجباً بابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ). ثم إن أبا حيّان انتقل إلى مذهب الشافعي فجعل يحمل على ابن تيمية ويتهمه بالقول بالتجسيم. وكفّ بصراً أبي حيّان في أواخر أيامه. وكانت وفاته في ٢٨ صفر ٧٤٥ (١٣٤٤/٧/١١ م).

٢- كان أبو حيّان الغرناطي عارفاً باللغة وإماماً في الصرف والنحو وبارعاً في التفسير والحديث والفقه. وكان شاعراً أكثراً وفي ديوانه قصائد ومقطعات وموشحات، وفنون شعره كثيرة منها المدح والوصف والخمر والغزل والمجون. وكان يقول الشعر رويةً وآرجالاً. وعلى شعره شيء من الضعف وفيه كثير من الصناعة وشيء من الفكاهة. وله أيضاً رسائل أدبية.

وعرّف من اللغات الأجنبية الفارسية والتركية والحبشية. وكانت مؤلفاته نحو خمسين منها: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم - إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب - التذيل والتكميل في شرح التسهيل (في اللغة) - منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك - نهاية الاعراب في علم التصريف والاعراب - رجز مجاني القصر في

شعراء العصر - نوافث السّحر في دماثة الشعر - تحفة النّدس في نحاة الأندلس -  
الإدراك للسان الأتراك - الأفعال في لسان الترك - منطق الخرس في لسان الفرس -  
نور الغبش في لسان الحبش - المخبور في لسان اليعمور .

### ٣ - المختار من آثاره

- لأبي حيّان الغرناطيّ أبياتٌ مشهورة من الحكمة البارعة في الأصدقاء والأعداء :

عِدّاتي لهم فضلٌ عليّ ومِنَّةٌ ،      فلا أذهبَ الرحمنُ عني الأعدايا .  
هُمُ يَحْثُوا عَن زَلَّتِي فَأَجْتَنِبُهَا ،      وهم ناصوني فأكسبتُ المعاليا .  
- وله في التهكم بالمتصوّفين :

أيا كاسياً من جيّد الصوف نفسه      ويا عارياً من كلّ فضل ومن كَيْس<sup>(١)</sup> .  
أترزى بصوفٍ ، وهو بالأمس مُصبحٌ      على نعمةٍ واليومَ أمسى على تَيْس !

- وله في الوداع ، وفيه توريةٌ بين ابنِ مُقلّة (خطّاط عبّاسي بارع مجيد) وبين ابنِ  
مُقلّة (ابن العين : الدمع) :

سَبَقَ الدمعُ بالمسِيلِ المطايا      إذ نوى مَنْ أَحْبَبُ عَنِّي نُقْلَهُ ؛  
وأجادَ السُّطورَ في صفحة الـ      خدّ ؛ وَلَمْ لَا يُجِيدُ وهو ابنِ مُقلّة ؟

- وقال في الدفاع عن البخل :

رجاؤك فلّسا قد غدا في حباتي      قَنِيصاً ، رجاءُ للنتاجِ مِنَ العُقْمِ .  
أَتَعَبُ في تحصيله وأُضِيعه ؟      إذا كنتُ معْتاضاً عن البرءِ بالسُّقْمِ !

- وقال في فضل المال :

أتى بشفيعٍ ليس يُمكن رُدُّهُ ؛      دراهمٌ يبسُ للجروحِ مراهمُ ؛  
تُصِيرُ صعبَ الأمرِ أهونَ ما يُرى ،      وتَقْضي لُباناتِ الفتى وهو نائمُ .

(١) الكيس (بالفتح) : العقل ، الفطنة (بالفتح) : حسن الإدراك للأمور ، الذكاء .



- وقال في إباء النفس وعزتها:

وَقَصَّرَ آمَالِي مَالِي إِلَى الرَّدَى وَأَنِّي، وَإِنْ طَالَ الْمَدَى، سَوْفَ أَهْلِكُ  
فَضَنْتُ بِمَاءِ الْوَجْهِ نَفْسُ أَيَّتُ، وَجَادَتْ يَمِينِي بِالَّذِي كُنْتُ أَمْلِكُ.

- من موشحه لأبي حيَّان الغرناطي في الخمر):

إِنْ كَانَ لَيْلٌ دَاخٍ. وَخَانَتَا الْإِصْبَاحُ فَنُورَهَا الْوَهَّاجُ يُغْنِي عَنِ الْمِصْبَاحِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

سُلَافَةٌ تَبْدُو كَالْكُوكَبِ الْأَزْهَرِ؛

مِزَاجُهَا شَهْدٌ وَرِيحُهَا عَنَبٌ،

يَا حَبْدَا الْوَرْدُ مِنْهُ وَإِنْ أَسْكُرُ<sup>(٢)</sup>.

قَلْبِي بِهَا قَدْ هَاجَ، فَمَا يَرَانِي صَاحٍ عَنِ ذَلِكَ الْمِنْهَاجِ وَعَنْ هَوًى، يَا صَاحُ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

وَبِي رَشَا أَهِيْفُ قَدْ لَجَّ فِي بُعْدِي<sup>(٤)</sup>؛

بَدْرٌ فَلَا يُخَفُّ مِنْهُ سَنَا الْخَدِّ؛

بِلَحْظِهِ الْمُرْهَفُ يَسْطُو عَلَى الْأَسَدِ

كَسْطُوهُ الْحِجَاجُ فِي النَّاسِ وَالسَّفَاحِ. فَمَا تَرَى مِنْ نَاجٍ مِنْ لَحْظَةِ السَّفَاحِ<sup>(٥)</sup>.

٤- البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، القاهرة ١٣٢٨ هـ.

- هداية النحو (بلا تاريخ).

(١) داج: مظلم. خانتا الإصباح: لم يطلع الصباح في مياعده.

(٢) السلافة: الخمر. الشهد (بفتح الشين وكسرهما وضمتها): الصل. فَمَا يَرَانِي صَاحٍ: فَمَا يَرَانِي قَلْبِي صَاحِيًا مَفِيحًا (من الحب والسكر). الْوَرْدُ (بكسر الواو): الشرب.

(٣) يَا صَاحُ: يَا صَاحِي.

(٤) وَبِي (أحب) رَشَا (غزال) أَهِيْفُ (نحيل القد). قَدْ لَجَّ فِي بُعْدِي (أصر على الابتعاد عني). الْمُرْهَفُ: الْقَاطِعُ.

(٥) الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسُفَ وَالِي الْمِرَاقِ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كَانَ مَشْهُورًا بِالقُوَّةِ وَالْبَطْشِ. السَّفَاحُ (الأول): أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِي الْأَوَّلُ (قتل خلقاً كثيراً من أهل البيت الأموي بقسوة وغدر. السَّفَاحُ (الثانية): الذي يصفح (يسفك) الدم. مَا تَرَى مِنْ نَاجٍ: لَا يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ.

- الإدراك للسان الأتراك، استانبول ١٣٠٩ هـ؛ (جعفر أوغلو)، استانبول ١٩٣١ هـ.
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، حاة (مطبعة الإخلاص) ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م؛ دمشق ١٩٣٢ م.
- الارتضاء في الفرق بين الضاد والطاء (بتحقيق محمد حسن آل ياسين)، - مطبوع مع « الفرق بين الضاد والطاء) لمحمد بن ثوان الحميري، بغداد (مطبعة المعارف) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.
- ديوان أبي حيّان الأندلسي (تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي)، بغداد (مطبعة العاني) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م.
- ★★ أبو حيّان النحوي، تأليف خديجة الحديثي، بغداد (مطبعة النهضة)، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.
- فوات الوفيات ٢: ٣٥٢-٣٥٦؛ الوافي بالوفيات ٥: ٢٦٧-٢٨٣؛ ابن قنفذ ٣٤٩؛ نكت الحميان ٢٨٠-٢٨٦؛ بغية الوعاة ١٢١-١٢٣؛ البدر الطالع ٢: ٢٨٨-٢٩١؛ شذرات الذهب ٦: ١٤٥-١٤٧؛ نفح الطيب ٢: ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩-٢٣٠، ٥٣٥-٥٨٤، ٦٥٥-٦٥٦، ٥: ١٩٢، ٢٦٢، ٢٦٦، ٣٥٢، ٤٧٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢٦؛ بروكلمن ٢: ١٣٣-١٣٤، الملحق ٢: ١٣٥-١٣٦؛ الأعلام للزركلي ٢٦: (٧: ١٥٢)؛ البحث العلمي-، سننبر-دجنبر (أيلول-كانون الأول) ١٩٦٤، ص ٢٤١-٢٤٧ (يقلم سعيد غراب)؛ سركيس ٣٠٦-٣٠٧.

## الطويجين الساحلي

١- هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي (نسبة إلى جدّه لأُمّه) المشهور بطويجين من أهل غرناطة. كان أبوه أمين الطّارين في غرناطة وعالماً فقيهاً قديراً في حساب الفرائض (تقسيم الإرث)، وكان ربّ أسرة معروفة بالصلاح والتقوى وعلى قدرٍ من الثروة.

نشأ إبراهيم في غرناطة وتلقّى العلم فيها ثم أصبح مؤثّقاً (كاتباً عدلاً) بسيّاط شهود غرناطة.

وكان إبراهيم كثير الرحلة جاء إلى الشرق فزار مصر والشام والعراق واليمن والحجاز فحجّ وزار المدينة. ويبدو أنّه، بعد ذلك، في سنة ٧٢٤ هـ، دخل بلاد السودان (الغربي) ثم عاد وشيكاً في العام نفسه. ولكن يبدو أنه تردّد إلى السودان مراراً

وَاتَّصَلَ بِمُلْكِهِ ثُمَّ عَادَ مَرَّةً وَأَهْدَى إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ هَدِيَّةً طَرِيفَةً فَأَثَابَهُ مَلِكُ الْمَغْرِبِ عَلَيْهَا مَالًا كَثِيرًا.

وعاد في اواخر أيامه إلى السودانِ وَنَزَلَ فِي تَبَّكَتُو (مالي اليوم) فَأَدْرَكَتْهُ فِيهَا الْوَفَاةُ، يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ٧٤٧ (١٦/١٠/١٣٤٦ م).

٢- كان الطويجِيُّ السَّاحِلِيَّ نَازِلًا وَنَازِلًا قَدِيرًا يَجْمَعُ الْجَزَالَ وَالْمَنَانَةَ وَرَبِّمَا رَأَيْتَ عَلَى شَعْرِهِ شَيْئًا مِنَ الرَّقَّةِ. ثُمَّ هُوَ كَثِيرُ الْغَرِيبِ يَتَكَلَّفُ الصَّنَاعَةَ وَيُكْثِرُ فِي نَثْرِهِ خَاصَّةً مِنَ الْإِشَارَاتِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْأَدْبِيَّةِ حَتَّى لَيَقْرُبُ أَنْ يُصْبِحَ شِعْرُهُ وَنَثْرُهُ أَلْفَاذًا. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ كَانَ مُلَمًّا بِعَدِيدٍ مِنَ الْعُلُومِ. وَالْمَادَّةِ فِي أَدَبِهِ تَغْلِبُ عَلَى الْأُسْلُوبِ. وَشِعْرُهُ مُقَسَّمٌ بَيْنَ الْمَدْحِ وَالرَّثَاءِ وَالنَّسِيبِ وَالْخَمْرِ، وَلَهُ أَشْيَاءٌ عَلَى طَرِيقَةِ الْقَوْمِ (الصُّوفِيَّةِ).

### ٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لَمَّا وَصَلَ الطَّوْجِيَّ السَّاحِلِيَّ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِلَى مَدِينَةِ مَرَّاكُشَ خَاطَبَ أَهْلَ غَرْنَاطَةِ بِرِسَالَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْهَا:

سَلَامٌ لَيْسَ دَارِينُ شِعَارَهُ وَحَلَقَ الرُّوضِ وَالنُّضِيرِ بِهِ صِدَارُهُ<sup>(١)</sup>، وَأَنْسَى نَجْدًا شَمَّهُ الزَّكِّيَّ وَعَرَارَهُ<sup>(٢)</sup>. جَرَّ ذَيْلَهُ عَلَى الشَّجَرِ قَتَمَطَّرَ وَنَاجَى غُصْنِ الْبَانِ فَاهْتَزَّ لِحْدَيْتِهِ وَتَأَطَّرَ<sup>(٣)</sup>. وَارْتَشَفَ النَّدَى مِنْ ثُغُورِ الشَّقَائِقِ وَحَيًّا خُدُودِ الْوَرْدِ تَحْتَ أُرْدِيَةِ الْحَدَائِقِ. طَرَبَتْ لَهُ النُّجْدِيَّةُ الْمُسْتَهَامَةُ فَهَجَرَتْ صَبَاهَا بِيْطُنَ تِهَامَةٍ<sup>(٤)</sup>. وَحَنَّ ابْنُ دَهَانَ لَصَبَاهِ

(١) دارين: مكان مشهور (في الشام وفي البحرين) بنباتاته ذات الرائحة الطيبة. الشعار: الطراز، العلامة. الصدر ثوب نصفي يغطي الصدر. والجملة: «سلام.... صدره» غير مفهومة. أقرأ: «سلام لبست دارين شعاره، وحلّى الروض النضير به صدره» (سلام أخذت دارين منه عطرها، واتخذ الروض النضير - الزاهر - منه صدره، أي ثوبه الجميل الألوان).

(٢) شمه (أقرأ: شيمه). العرار نبات زكي الرائحة (إشارة إلى قول الشاعر: تمتع من شيم عرار نجد).

(٣) سلام جرّ ذيله (مع).... تأطّر: تتنّى، قاتل (من السرور والطرب).

(٤) النجدية (؟) المستهامة، الهامة: المشغوفة، الماشقة (الهامة ؟). هجرت صباها (بالفتح: ؟ بالفتح: الريح الباردة). تامة: ساحل الحجاز (المنخفض عند شاطئ البحر).

وسلا به التميمي عن رياه<sup>(١)</sup> وأنسي النُميري<sup>(٢)</sup> ما تَصَوَّعَ بَزَيْنَبَ من بطن نعمانه<sup>(٣)</sup>...  
 حتَّى إذا راقَتْ أنفاسُ حَيَّاتِهِ ورَقَّتْ ومَلَكَتْ نفائسُ النفوسِ واستشرقت<sup>(٤)</sup>. ولَبَسَتْ  
 دارينَ في مِلانِها ونظمتِ الجُوزاءُ في عِقْدِ ثِنائِها<sup>(٥)</sup> واشتغل بها الأعشى عن رَوْضِهِ  
 ولَهَى ، وشَهِدَ آبنُ بُرْدٍ شَهادَةَ أطرافِ المساويك لها<sup>(٦)</sup> خَيَّمَتْ في رَبْعِ الجودِ  
 بفرناطة ورَقَّتْ ومَلَأَتْ دَلُوها إلى عَقْدِ ركبهِ<sup>(٧)</sup>، وأقبلتُ منابتُ شرقِها عن غَرْبِهِ لا عن  
 عَرَفِهِ<sup>(٨)</sup>. هنالك تُثْري لها صدورَ المجالسِ تَحْمِلُ صُدُوراً<sup>(٩)</sup> وترايبُ المعالي تُحَلِّي  
 عقوداً نَفسَةً وجذورا<sup>(١٠)</sup>، ومحاسنُ الشرفِ تُحاسِنُ البُروجَ في زُهرِها<sup>(١١)</sup> والأفنيَّةُ في  
 إيوانِها والأُنْدِيَّةُ في شُعبِ بَوَّانِها<sup>(١٢)</sup>. لو رآها النُعمانُ لَهَجَرَ سَديرُهُ<sup>(١٣)</sup> أو كَسَرى لَنَبَذَ

(١) «وحن ابن دهمان لصباه (٩). سلا: نسي. التميمي (٩) رياه (اقرأ: رياه، لموازنة نعمانه الآتية).

(٢) النُميري هو محمد بن عبد الله بن نمير (ت نحو ٩٠ هـ) شاعر أموي له قصيدة مظلما:

تَصَوَّعَ مَكْسا بطنَ نَعمانٍ إذ مَثَتْ      بـه زَيْنَبُ في نِوَةِ عَظِيرات.

نعمان: وادٍ في الحجاز (نَعمان الإِراك).

(٣) اقرأ: واسترقت.

(٤) الجوزاء مجموع من النجوم.

(٥) اقرأ: ولها (من لها يلهو) يشير إلى الأعشى ميمون بن قيس الذي يقول في معلقته اللامية: ما روضة من

الحزن (بفتح الحاء) مشبهة....

(٦) يقول بن بشر بن يرد:

يا أَطيبَ الناسِ ريقاً غيرَ مختبرٍ      إلّا بَقِيَّةُ أطرافِ المساويك!

(٧) اقرأ: إلى عقد كربه. الكرب (يفتح ففتح): الحبل يَشُدُّ فوق خَشْبَةِ الدلو.... خَيَّمَتْ في ربع الجود

(يقصد وصلت رسالتي إلى قومي الكرام). رَقَّتْ (٩). ملأت دلوها إلى عقد كربه (ملأته تماماً). (المقصود

غير واضح لي).

(٨) الغرب: ماء ييل أو ينقط من الدلو عند نقله الماء به. العرف: الرائحة الطيبة. (المعنى العام غير

واضح).

(٩) اقرأ: الترائب (عظام في أعالي الصدر).... واقرأ: شذوراً (قطع صغيرة من ذهب توضع بين حَبَّات

اللؤلؤ في العقد).

(١٠) تحاسن: تباهي غيرها بمحسنها هي. الزهر: الكواكب. البروج: مناطق في السماء تنتقل الكواكب فيها

(بحسب المدرك القديم في الفلك).

(١١) الأفنية جمع فناء (يكسر الفاء): باحة فسيحة أمام الدار. الإيوان: القاعة العظيمة الواسعة تحاسن

الأفنية في إيوانها (٩).

الأندية جمع ندى: نقاط الماء التي تَجَمَّع في أثناء الليل على الأغصان والعشب إلخ. شعب بَوَّان: تمر =

إيوانه وسريه<sup>(١)</sup> أو سيف<sup>(٢)</sup> لَقَصَرَ عَنْ غَمْدَانِهِ أَوْ حَسَانٌ لَتَرَكَ جَلَّقَ لِسَانَهُ<sup>(٣)</sup>....  
 لك إبليس! أفلا أشققت من عذابي وسمحت ولو بسلام من أحبابي<sup>(٤)</sup>: أسلمتني إلى  
 ذرع البيد ومحافة الذميل<sup>(٥)</sup> والوخيد<sup>(٦)</sup>، والتنقل في المشرق والمغرب، والتمطي في  
 الصهوات والفوارب<sup>(٧)</sup>.....

### - وقال في النسيب والخمر:

زارت وفي كلِّ لحظٍ طرفٌ مُحْتَرَسٍ      وحولَ كلِّ كِنَاسٍ كَفٌّ مُفْتَرَسٍ<sup>(٧)</sup>  
 يشكو لها الجيدُ ما بالحلي من هَدَرٍ      ويشتكى الزُّند ما بالقلب من خرس<sup>(٨)</sup>  
 في لحظها سِخْرُ فِرْعَوْنَ، وِرْقَتُهَا      آياتُ موسى، وقلبي موضعُ القبس<sup>(٩)</sup>

= مشهور في غربي بلاد فارس فيه خصب كثير وفواكه متنوعة.  
 هذا من قول المتنبي

يقول شعب إيوان حصاني:      أعن هذا يُمار إلى الطمان؟  
 أيومك آدم سن المعاصي      علمكم مفارقة الجنان.

(١٢) النعمان بن المنذر ملك الحيرة. المدير: قصر للنعمان.

(١) إيوان كسرى: بناء فخم عظيم على نحو عشرين ميلاً شرق بغداد كان العاصمة الصيفية للفرس.

(٢) سيف بن ذي يزن: ملك في اليمن. غمدان قصر.

(٣) حسان بن ثابت. غسان: بنو غسان ملوك الشام في جلق قرب بصرى في سهل حوران (وربما أطلقها  
 بعضهم على دمشق). إشارة إلى قول حسان:

لله درَّ عصابة نادمتهم      يوماً بجلق في الزمان الأول.

(٤) لك إبليس: لا بارك الله فيك. أشفق: خاف، هاب.

(٥) ذرع: قياس. البيد جمع بيداء: الأرض الواسعة (السفر الكثير). الذميل: سير سريع لين: الوخيد: سير  
 سريع بخطى واسعة. محافة الذميل والوخيد: الاستمرار في الأسفار.

(٦) الصهوة: ظهر الحصان. الغارب: كف البعير. التمطي: طول السفر.

(٧) الطرف: العين. الكناس: مأوى الظلي. زارت وهي خائفة من الذين وجدتهم حولها، وكل من كان  
 حولها كان يريد الوصول إليها (١).

(٨) الجيد: العنق. الحلي ما تزين به المرأة. الهدر: صوت البعير والغلام (عليها حلي كثير يسمع له صوت  
 عند تحركها ومشيا). القلب (بضم القاف): سوار من قطعة واحدة. والشاعر يقصد بالقلب (الجمع: عدد  
 من الأسورة أو الأساور) وهذه الأساور خرساء لأن زند الفتاة تمتلئ (كثير اللحم)، فالأساور لا تتحرك  
 في زندها.

(٩) القبس: النار (قلبي مشتعل بحبها).

## أشكو إليهما فؤاداً واجلاً، أبداً

في « النازعات » ، وما تنفك في « عبس » .<sup>(١)</sup>  
يا شقة النفس ، إن النفس قد تلفت  
إلا بقيّة رجع الصوت والنفس<sup>(٢)</sup> .  
هذا فؤادي وجفني فيك قد جمعا  
ضدين فاعتبري إن شئت واقبسي<sup>(٣)</sup> !  
وليلة جثتها سحراً أجوسُ بها  
شبا العوالي وخيف الأخنف الشرس<sup>(٤)</sup> ،  
بتنا نعطى بها ممزوجة مزجت  
حلو الفكاهة بين اللين والشرس<sup>(٥)</sup> .  
أنكحتها من أيها وهي آية  
فشار أبنائها في ساعة العرس<sup>(٦)</sup> .  
نور ونار أضاء في زواجيتها:  
فذاك خذك ، يا ليلي ، وذا نفسي!  
حتى إذا آب نور الفجر في وضح  
من معرك جال بين الفجر والغلس<sup>(٧)</sup> ،  
قامت تجر فضول الريط آنة  
كريمة الذيل لم تجنح إلى دنس<sup>(٨)</sup> .  
تلوث فوق كتيب الرمل مطرفها  
وتسح النوم عن أجفانها النّس<sup>(٩)</sup> .  
فطل قلبي يقفوها بملتهب  
طوراً ، ودمني يتلوها بمنجس<sup>(١٠)</sup> :

- (١) واجلاً: خائفاً (من أن تهجره). النازعات وعبس: الورقان ٧٩ و ٨٠ في المصحف. من معاني الزروع: الحنين والاشتياق. العبس (يفتح فكون والمبوس): تجمع جلدة الوجه دلالة على النفور والزرجر.
- (٢) الشقة: (يفتح الثين): الجزء من الشيء و(بضم الثين): نفسه.
- (٣) الضدان: الماء (البكاء) في عيني، والنار في قلبي: اعتبري: تعجبي. وإن لم تصدقي فاقبسي (قرني شيئاً من قلبي فإنه يحترق).
- (٤) الحر (يفتح ففتح أو يفتح فكون): الزمن عند الفجر. أجوس: أدور، أتجول. الشبا: حدّ السيف أو السكين. العوالي جمع عالية: أعلى الرمح. الخيف جمع خيفة (يفتح الحاء): عرين الأسد. الأخنف (٩).
- (٥) بتنا (قضيئنا الليل) نعطى: نلقى مرة بعد مرة. بها (في تلك الليلة). ممزوجة (خراً ممزوجة بماء) لعلها يقصد: مشولة (خراً مرّت عليها ريح الشمال - يفتح الثين - فأصبحت باردة).
- (٦) أنكحتها: زوّجتها من أيها (الماء): مزجتها بماء. وهي آية (امرأة فارقتها الحيض) كناية عن قدمها. فشار (تطأ). أبنائها: فقايع الماء التي تحول على وجه الخمر عند مزجها بالماء. في ساعة العرس (عند امتزاج الخمر بالماء).
- (٧) آب: رجع. الوضح: الوضوح، البياض. الغلس: الظلام. « من معرك جال » (٩).
- (٨) الربطة: قطعة واحدة من نسيج نفيس تلبس فوق الرداء، فضول الريط: أطراف الربطة القريبة من الأرض (قامت تجر إلخ: انصرفت بأمان). آنة: فتاة صغيرة السن. كريمة الذيل طاهرة، نقيّة (محفوظة كرامتها). جنح: مال.
- (٩) تلوث: تلف. كتيب: الرمل: تلة (كناية عن امتلاء جسمها في وسطه). المطرف: ثوب ثمين.
- (١٠) قفا: تبع. يتلوها: يرافقها، يتبعها. منجس: سائل فائض (من الدمع).

دهرٌ يَكُونُ لَوْنَيْهِ كَمَادَتِهِ: فالصبحُ في مَآثِمِ وَاللَّيْلُ فِي عُرْسٍ !

- وقال وفي قوله لَمَحَاتٌ مِنَ التَّصَوُّفِ:

دَعِ الْعَيْنَ تُذْهِبِ الدَّمْعَ فِي طَلَلِ الرَّبْعِ  
وَحَدَّثَ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ:  
وإن لم يكن قد فاز طَرْفِي بِنَظَرَةٍ  
ذَكَرْتُكَ، يَا نَجْدٌ، ففَاضَتْ مَدَامِعِي.  
وإن تَقِنَ، يَا نَفْسُ، الْعِزَاءَ تَجْمُلًا،  
أَحِنُّ، كَمَا حَنَنْتُ رِكَابِي، إِلَى مَنِي؛  
وَقَالُوا: غَدًا تُقْضَى بِجَمْعِ دِيُونِنَا.  
لَعَيْنِكَ قَلْبِي، يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ، طَائِعٌ  
تَجَلَّى لَطْرَفِي فِي مُحْيَاكِ رَوْضَةٍ  
وَتَفَرُّكَ مِنْ دَمْعِي وَخَدَّكَ مِنْ دَمِي،

وخصرك من فِكْرِي وَحَلْيِكَ مِنْ سَجَمِي (٧).

قَصَرْتُ قُوَادِي فِي رِضَاكِ عَلَى الْجَوَى وَحَرَمْتُ عَذْلِي فِي هَوَاكِ عَلَى سَمْعِي (٨).

(١) أَدْرَى: فَرَّقَ، أَسَال. الرَّبْع: الْمَسْكَنُ. أَرَاق: سَكَبَ عَلَى الْأَرْضِ.

(٢) الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ: الَّذِينَ أَعْرَضَهُمْ. أَحَلُّوا.... إلخ: أَيْنَ هُمْ الْيَوْمَ؟

(٣) أَنْ تَقِنَ الْعِزَاءَ: (أَنْ تَحْفَظِيهِ): تَصْبِرِي. التَّجْمَلُ: التَّشَدُّدُ وَاحْتِمَالُ الْمَصِيبَةِ (خَوْفًا مِنْ شِمَاتِ الْعَدُوِّ). مَكْلُومٌ: مَجْرُوحٌ. الْحَا: دَاخِلُ الْجِسْمِ (الْقَلْبِ). الصَّدْعُ: الْإِنْكَارُ. كَانَ يُخَاطَبُ النَّفْسَ، ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى مُخَاطَبَةِ نَفْسِهِ: فَإِنَّكَ (بِفَتْحِ الْكَافِ).

(٤) الرِّكَابُ: مَا يَرْكَبُهُ الْمَسَافِرُ (النَّاقَةُ). مَنِي: مَكَانٌ قَرِبَ مَكَّةَ فِيهِ مِنْسَكٌ لِلْحَجَّاجِ (كِتَابَةٌ عَنِ التَّوَقُّعِ إِلَى اللَّهِ).

(٥) جَمْعٌ: مَزْدَلِفَةٌ، قَرِبَ مَنِي حَيْثُ بَيْتُ الْحَجَّاجِ بَعْدَ نَزْوَلِهِمْ مِنْ عَرَافَاتٍ. تَقْضَى جَمِيعُ دِيُونِنَا: تَتَحَقَّقُ جَمِيعُ أَمَالِي. أَنْ أَرَى لَيْلَةَ الْجَمْعِ: أَنْ أَكُونَ وَإِيَّاهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ (كِتَابَةٌ عَنِ الْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ).

(٦) - أَحَرَّ خَدَّاهَا لَمَّا نَظَرَتْ أَنَا إِلَيْهَا فَاسْتَحْيَتْ.

(٧) - رَيْقُكَ الصَّافِي مِنْ دَمْعِي، وَلَوْنُ خَدِّكَ مِنْ دَمِي، وَخَصْرُكَ نَاحِلُ كُنْهٍ فِكْرِي مِنْ كَثْرَةِ التَّفَكُّيرِ فِيكَ (٢) وَنَعَمْ مَا تَتَرَتَّبُنِي بِهِ مِنَ الْحُلَى جَبِلَ كَشْعْرِي فِيكَ (١).

(٨) قَصَرْتُ قُوَادِي: جَعَلْتُهُ يَكْتَفِي. الْجَوَى: أَلَمُ الْحُبِّ. الْعَذْلُ: اللُّومُ. رَضِيتُ أَنْ أَتَأَلَّمَ لَصُدُودِكَ عَنِّي وَلَمْ أَرْضَ أَنْ أَلُومَكَ أَوْ أَنْ أَسْمَعَ لَوْمًا فِيكَ.

## أبو بكر بن شبرين

١- هو الشيخ الكاتب القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شبرين الجذامي، أصله من إشبيلية، من حصن شلب<sup>(١)</sup>، انتقل أبوه - سنة ٦٤٦ هـ - من إشبيلية إلى رُنْدَة ثم سَكَنَ غَرْنَاطَةَ ثم انتقل إلى سَبْتَةَ (في المغرب).

وُلِدَ أبو بكر بن شبرين في سَبْتَةَ، في أواخر سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م). بدأ تعلّمه بالقراءة على جدّه لأُمّه أبي بكر بن عُبَيْدَةَ الإشبيليّ وعلى الأستاذ أبي إسحاق الفاققيّ. ثم إنّه رَحَلَ إلى تُونِسَ وَلَقِيَ نفراً من علمائها.

وفي أواخر سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥-١٣٠٦ م) جاء إلى غَرْنَاطَةَ وتولّى الكتابة للسلطان أبي عبد الله محمد بن محمد المخلوع (٧٠١-٧٠٨ هـ). وتولّى القضاء أيضاً. وقد رَثَى الوزير ابن الحكيم الرُنْدِيّ (قُتِلَ ٧٠٨ هـ) ثم رَثَى السلطان مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ (٧٢٥-٧٣٣ هـ) المقتول.

وكانت وفاة أبي بكر بن شبرين في ثالث شعبان من سنة ٧٤٧ هـ (١٣٤٦/١١/١٩ م).

٢- كان أبو بكر بن شبرين من أهل الدين والفضل والعدالة ومن شيوخ الكتاب حسن الخط. وكان فصيحاً مُتَدَرِّباً في نظم الشعر بارعاً في النثر. وفنّون شعره الرثاء والفخر. وقصائده طوّالٌ وعليها شيء من الرّوْنَقِ والنّصِ الصوفي. غير أنّه أحياناً كثيرُ التكلّف.

(١) حصن شلب (٢). هنالك بلدة معروفة باسم « شلب » تبعد مائتي كيلومتر إلى الغرب من إشبيلية، وتقع قرب الساحل الجنوبي في البرتغال اليوم.



### ٣- مختارات من آثاره

- قال ابن شبرين الجذامي في القائد بكرون بن الأشقر الحضرمي (ت ٧١٤ هـ):  
« كان له في الخدمة مكان كبير وجاه عريض. ثم صرّفه الأمر عن اسمه \* وأنزله الدهر  
على حكمه. تغمّده الله برحمته (الإحاطة ١: ٤٥١ - ٤٥٢).

- وقال في التذكّر والاعتبار والابتهاال:

ظَنَ الصَّبَا، وَمِنْ مُحَالِ قُفُولِهِ.      إِنْ كُنْتَ بَاكِئَهُ قَتْلَكَ طُلُوبُهُ<sup>(١)</sup>.  
رَعِيّاً لَجِيرَانِي وَلِلظِّلِ الَّذِي      قَدْ كَانَ يَجْمَعُنَا هُنَاكَ ظِلُّهُ.  
هَذَا دِيَارُهُمْ فَمَثَلُهُمْ بِهَا،      إِنْ التَّمِيمَ شَأْنُهُ تَمَثِيلُهُ<sup>(٢)</sup>.  
عَهْدٌ أُحِيلَتْ حَالُهُ، فَالْيَوْمَ لَا      مَعْقُولَهُ مِنَّا وَلَا مَنَقُولُهُ<sup>(٣)</sup>.  
أَشْجَاكَ مَجْتَمَعٌ عَقَتْ آيَاتُهُ      وَتَعَاوَرَتْهُ شَالُهُ وَقَبُولُهُ<sup>(٤)</sup>؟  
قَدْ كُنْتَ تَصْغُرُ عَنْ سِنِي قِتْيَانِهِ،      فَالْيَوْمَ تَصْغُرُ عَنْ سِنِيكَ كَهُولُهُ<sup>(٥)</sup>.  
مَا كَانَ مَاضِي الْعَيْشِ إِلَّا خَطَرُهُ      خَطَرْتُ، وَوَقْتُ قَدْ تَتَابَعَ جِيلُهُ<sup>(٦)</sup>.  
ضَيَّعْتَ فِي طَلَبِ الْفُضُولِ بُكُورَهُ،      لَكِنْ نَدِمْتَ وَقَدْ أَتَاكَ أَصِيلُهُ<sup>(٧)</sup>.  
دَغَّ عَنْكَ تَذْكَارُ الصَّبَا، إِنْ الصَّبَا      رَسْمٌ يَهِيْجُ لَكَ الْغَرَامَ مَحِيلُهُ<sup>(٨)</sup>.

- (١) ظعن الصبا (رحل الشاب). القفول: الرجوع. الطلل: مكان البيت بعد أن يتهدّم. (يشبه الجسم بعد أن يفارقه الشاب بالطلل). \* رسمه (٩).
- (٢) التميم: الذي أمرضه الحبّ (لأنّه لا يستطيع أن يصل إلى محبوبه) يتخيّل محبوبه تخيلاً.
- (٣) أُحِيلَتْ: تبدّلت. في ألفاظ الفلاسفة: المعقول (المعروف بالبرهان) والمنقول (المروي، الواصل إلينا عن أسلافنا). لم يبق من شبابي حقيقة ولا مظهر.
- (٤) شجا، يشجو: حزن (فعل متعدّ) وأحزن. عفا يغفو: أمحى. الآية: العلامة (مظاهر العمران)؟. تعاوَرَتْ (الرياح) تداوَرَتْ: تهبّ عليه من جهة مرّة ثم من جهة ثانية مرّة أخرى. الشمال: الريح الشمالية والقبول: ريح الصبا (القاموس ٤: ٣٤) وتهبّ من المغرب.
- (٥) الكهل من جاوز الأربعين. كنت أصغر أصحابي (في أيامهم) فصرت أكبرهم سناً (في أيامي).
- (٦) خطرة: مدّة يسيره. تتابع جيله: ماتوا واحداً بعد واحد.
- (٧) بكوره: أوّلُه (زمن الشباب). أصيله (الأصيل: ما بين الظهر والعصر): آخره (عصر الشيخوخة).
- (٨) المحيل: التغيّر المحو.

يا مَفْرَقًا نَزَلَ المَشِيبُ به، اتَّيَدُ؛  
 لم يَعمُدْ شَيْبٌ مَحَلَّةَ لَمَّةٍ  
 قد كان أنسي في الشاب فَصَدَّني  
 حسي إذا رُمْتُ الأنيسَ مُؤَنِّسُ  
 يَبْلَى الزمانُ ولا يزال مُجَدِّدًا،  
 يا حاضراً عِندي، وليس بجائزِ  
 يا غائِباً عَن ناظريٍّ ولم يَغِبْ  
 يا واحداً حَقًّا، وليس بِمُكِنِ  
 أنا ذلك العبدُ الظَّلومُ لِنَفْسِهِ  
 فالْحُرُّ لا يُؤَدِّي لَدَيْهِ نَزِيلُهُ<sup>(١)</sup>.  
 سوداء إِلَّا والحِيامَ زَمِيلُهُ<sup>(٢)</sup>.  
 وأبى عليَّ وَصالُهُ ووُصُولُهُ<sup>(٣)</sup>.  
 - من رَبُّنا سُبْحانَهُ - تَنزِيلُهُ<sup>(٤)</sup>.  
 لا نَصَّهُ يَبْلَى ولا تَأويلُهُ<sup>(٥)</sup>.  
 إدراكُهُ؛ إِنَّ العُقُولَ تُحِيلُهُ<sup>(٦)</sup>.  
 إحسانُهُ عَنِّي ولا تَنوِيلُهُ<sup>(٧)</sup>،  
 تَشْبِيهُهُ - كَلَّا - ولا تَخْيِيلُهُ،  
 زَلْتُ به قَدَمٌ وَأنتَ مُقِيلُهُ.

٤-★★ الإحاطة ١: ١٠٤، ٤٥١-٤٥٢، ٥٥١-٥٥٢، ٥٥٧، ٢: ١٧٤-١٨٢؛  
 الكتيبة الكامنة ١٦٦-١٧٢؛ اللوحة البدرية ٩٨-١٠٢؛ أوصاف الناس ٣٧-  
 ٣٩؛ أعمال الأعلام ٢٩٨، ٣٠١-٣٠٤؛ الرقبة العليا ١٥٣؛ نفع الطيب ١؛  
 ١٧٧-١٧٨؛ ٥: ٥٤١-٥٤٣، ٦: ٢٥١-٢٥٣؛ النبوغ المغربي ٤١٣-٤١٥،  
 ٧٣٧-٧٣٨، ٩٣٣-٩٣٦.

### ابن الجيّاب الغرناطيّ

١- هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ مُحَمَّد بنِ سُلَيْمان بنِ عليٍّ بنِ سُلَيْمان بنِ حَسَنِ الأنصاريّ  
 المعروفُ بِأَبْنِ الجِيّاب، وُلِدَ في غَرناطَة في جُبادى الأولى من سَنَةِ ٦٧٣ (خريف  
 ١٢٧٤ م).

- (١) المَفْرَق: نصف الرأس أو جانبيه (مكان فرق الشعر) اتَّيَد: سر على مهل. التزيل: الضيف (كتابة عن الشيب).
- (٢) اللَّمَّة: شعر مقدَّم الرأس. الحيام: الموت.
- (٣) قد كان (الصبا: هو الشاب) أنسي... وأبى عليَّ وصاله ووُصُولُهُ (لا أنا الآن أصِلح له ولا هو يصلح لي).
- (٤) الآن تَبَدَّلَت باللّهُو قراءة القرآن (تنزيله).
- (٥) النَصَّ (ظاهر اللفظ) وتأويله (النظر في باطن المعنى).
- (٦) يا حاضراً (خطاب لله تعالى).. العقل يمنع أن يدرك الإنسان حقيقة الله.
- (٧) ياغائِباً (لأنَّ الله لا يُرى). التَّوِيل: العطاء.

أخذ أبو الحسن بن الجيَّاب أشياء من العلم عن ابن الزُّبير الثَّقَفِيِّ (ت ٧٠٨ هـ) صاحب «صِلَةِ الصِّلَةِ» وعن ابنِ رُشيدِ السَّبْكِ (ت ٧٢١ هـ) صاحب الرُّحْلَةِ. دَخَلَ ابنُ الجيَّابِ إلى الدِيوانِ السُّلْطَانِي كاتِباً سَنَةَ ٧٠٨. ثمَّ إِنَّهُ وَزَرَ لأبي الحَجَّاجِ يوسُفَ النِّيَّارِ سابعِ سَلْطِينِ بني نصرٍ في غَرْناطَةِ (٧٣٧ - ٧٥٥ هـ). ويبدو أَنَّهُ آسَتمَرَّ في خِدْمَةِ الدَّولَةِ النَّصْرِيَّةِ مُنْذُ تَوَلَّى الكُتَابَةَ إلى حينِ وفاتِهِ بالطاعونِ، في ٢٣ شَوَّالِ ٧٤٩ (١٣٤٩/١/١٥ م).

٢- كان أبو الحسن بن الجيَّاب مُتَفَنِّناً في العلومِ مُقَدِّماً فيها: في القراءات والحديث والفقه والفرائض وفي اللُّغة والنحو والبلاغة والأدب وفي الحساب والتاريخ، كما كان مشاركاً في علمِ التَّصَوُّفِ. ثمَّ إِنَّهُ كان ناثراً وشاعراً مُكثِّراً في عِدَدٍ من فنونِ الشعر: في الغَزَلِ (الصوفي على الأرجح) والمدح والثناء والادب (الحكمة) وفي الألغاز. ومَعَ أَنَّ شعره سهلٌ واضحٌ صحيحُ المباني، فَإِنَّ رَوْنَقَهُ قَلِيلٌ. وله مُعَشَّرات في الشعر.

### ٣- مختارات من آثاره

- من رسالة لابن الجيَّابِ الغرناطي على لسانِ سُلْطانِ غَرْناطَةِ<sup>(١)</sup> إلى السُلْطانِ أبي سعيدٍ المرينيِّ صاحبِ فاسٍ (٧١٠ - ٧٣٢ هـ):

المَقَامُ - لدى المَلِكِ المنصورِ الأعلامِ والفضلِ الثابتِ الأحكامِ، والمجدِ الذي أشرقت به وجوهُ الأيامِ والفخرُ الذي تُتَدَارَسُ أخبارُهُ بينَ الرُّكنِ والمَقَامِ<sup>(٢)</sup> والعِزِّ الذي تملو به كَلِمَةُ الإسلامِ - مَقَامُ<sup>(٣)</sup> مَحَلُّ الأَبِ الواجبِ الإكبارِ والإِعْظَامِ..... أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الذي أَوْلَاكُمْ مُلْكاً منصوراً وفخراً مشهوراً، وأَحْيَا بَدَوْلَكُمْ العَلِيَّةَ لمكارمِ الأخلاقِ ذِكْراً منشوراً، والصلاة والسلامُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رسولِ اللَّهِ الذي اختاره (اللَّهُ)

(١) في هذه المَدَّةِ (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) كان في غرناطة ثلاثة سلاطين: أبو الجيوش نصر بن محمد

(٧٠٨ - ٧١٣ هـ) وأبو الوليد إسماعيل بن فرج ومحمد بن إسماعيل (٧٢٥ - ٧٣٣ هـ).

(٢) الركن الثاني ومقام إبراهيم عند الكعبة المشرفة.

(٣) مقام: خير «المقام» (في أوَّلِ الرسالة).

بشيراً ونذيراً<sup>(١)</sup>، وشرح بهدايته صُوراً..... وأمّا الذي عند مُعظمٍ أمرِك من الإِعظام لِمَقامِك والإِكبار<sup>(٢)</sup>، والثناء المُردّد المُجدّد على توالي الأعصار<sup>(٣)</sup>.... والعِلْم بما لَك من المكارم التي سار ذِكْرُها في الأقطار أشهرَ من المثل السيار، والاعتداد<sup>(٤)</sup> بِسُلطانِك العَلِيّ في الإعلان والإِسرار، والاستنادِ إلى جَنابِك الكَرِيم في الأقوال والأفعال والأخبار... وإلى هذا - أيدَ اللهُ تعالى سُلطانَك ومَهَّدَ<sup>(٥)</sup> أوطانَك - فَقَدْ تَقَدَّمتُ مُطالعةً مَقامِك، أسأهُ اللهُ، أن مَلِكَ قِشالَةَ دَسَ مَنْ يَتَحَدَّثُ في عَقْدٍ صلحٍ يعودُ بالهُدنة على البلاد ويرتفع به عنها مُكابِدته من جِهَةِ الأَعادِ<sup>(٦)</sup>. وقدَرنا أولاً أن ذلك ليس على ظاهرِ الحالِ فيه وأنّه يُبدي فيه غيرَ ما يخفيه. ولكن جَرَيْنا مَعَهُ في ذلك المِضمارِ قَصْداً للتشوّفِ على الأخبار<sup>(٧)</sup>. فلَمّا دار الحديثُ في هذا الحُكْمِ ظَهَرَ مِنْهُ أَنَّهُ قد جَنَحَ لِلسَّلَمِ. وكان خَدِيمُنَا نَقَرُوزُ<sup>(٨)</sup>، مُحْكَمِ الاتِّفاقِ، قد وَرَدَ إِشْبِيلِيَّةَ لِبعضِ أَشْغالِهِ، فاستحضَرَهُ وأخَذَ مَعَهُ في أمرِ الصلحِ وشرحَ أحوالِهِ.... فأَعِيدَ إِلَيْهِ بأنّه إن أرادَ المُصالحةَ على صلحِ والدِهِ مَعَ هذه الديارِ النُصْرِيّةِ من غيرِ زيادةٍ على شروطِ تلكِ القُضِيّةِ، ولا يَعرِضُ لاسترجاعِ مَعْقِلٍ من المَعاقِلِ التي أُخْلِصَتْ من يدِ النُصْرانيّةِ، وأن يكونَ عَقْدُهُ على الجزيرةِ الخضراءِ ورَنَدَةِ وغيرِها من البلادِ الأندلسيّةِ، فلا بدَّ من مُطالعةِ مَحَلٍّ والدِنا السُلطانِ أميرِ المؤمنينِ أبي سَعِيدٍ - أيدَهُ اللهُ - واستطلاعِ ما يراه.....

- 
- (١) البشير: الآتي بالخبر المفرح (للطائمين) والنذير: الآتي بالخبر السيئ (للعاصين).  
(٢) وأمّا الذي عند معظم (بضمّ ففتح فطاء مشدّدة مكسورة) أمرِك... أي سلطان غرناطة.  
(٣) الأعصار جمع عصر (بالفتح): الدهر، المدة من الدهر.  
(٤) لم أهدت إلى «أعتداد» في القاموس. المقصود: الأعتاد والأتكال وانتظار المساعدة عند الحاجة إلى المساعدة.  
(٥) مهّد الأوطان: سكّنها، جعلتها مطمئنة آمنة هادئة.  
(٦) كابد الرجل الأمر مكابدة: عاناه، قاسى في عمله. الأعداء = الأعداء، الأعداء.  
(٧) المِضمار (الشوط الذي تركضه الخيل): السبيل. التشوّف: محاولة الإنسان أن يرى الأشياء البعيدة.  
(٨) الخديم: الخادم، الذي نهض إليه بتصرف الأمور، الذي نجمه وسيطاً بيننا وبين غيرنا. نقروز<sup>(٩)</sup>: اسم الخديم.

- وقال ابنُ الجيّاب في الدَّهرِ:

أرى الدَّهْرَ في أطواره مُتقلِّباً،      فلا تَأَمَّنَنَّ الدهرَ يوماً فتُخدعاً.  
فما هوَ إلَّا مثل ما قالَ قائلٌ:      (مِكرٌ مِفرٌ مُقْبِلٌ مُذِيرٌ معاً) (١)

- وقال في الهمِّ والهمِّم:

وقائلة: لِمَ عراكَ المشيبِ؟      وما إنْ بعهدِ الصِّبا من قِدَمٍ (٢)؟  
فقلتُ لها: لم أشِبْ كِبَرَةً،      ولكنَّه الهمُّ نِصفُ الهمِّم.

- وقال في مطلع قصيدة (وهو غَزَلٌ صوفيٌّ في الأكثر):

زارتُ تجرُّرُ نخوةً أذْيالها      هيفاءُ تَخْلِطُ بالنِّفَارِ دَلالها (٣).  
واقْتَكِ تَمزُجُ لِنِها بَقَاوةً      قد أذْرَجَتْ طَيَّ العِتَابِ نَوالها (٤).  
كَمْ رُمْتَ كَتَمَ مَزارِها، لكنَّه      صَحَّتْ دَلالٌ لم تُطَقْ إِعْلالها (٥).  
ترَكْتُ على الأَرْجاءِ عِنْدَ سَيرِها      أَرْجاءاً كَأَنَّ المِسْكَ قُتَّ خِلالها (٦).  
يا حُسنَ ليلَةٍ وَصلِها، ما ضَرَّها      لو أَتَبَعْتُ من بَعْدِها أُمثالها؟  
هذا الرِّيعُ أَتاكَ يَنْشُرُ حُسنه      فافْشَحْ لِنَفيكِ في مَداهِ مِجالها.  
واخْلَعْ عِذارَكَ في البِطالَةِ جامِهاً      وأَقْرُنْ بِأَسْجارِ الهِنا أَصالها (٧).

٤-★★      الديباج المذهب ٢٠٧-٢٠٨؛ الكتيبة الكامنة ١٨٣-١٩٢؛ اللوحة البديرية

(١) هذا الشطر من معلقة امرئ القيس. المكر: الهاجم. المفر: الهارب (الراجع). - هذا الحصان يُرى لسرعته وكأنه يروح ويحيى في وقت واحد: لا تكاد تراه ذاهباً حتى تراه عائداً. و (هنا) هو كناية عن خداع الدهر لنا.

(٢) عرا الدهر الناس: أصابهم بأحداثه. «إن» زائدة.

(٣) النخوة: الحفاة، التكبر.

(٤) وافى: جاء، وصل. أدرج فلان شيئاً في شيء: أدخله. النوال: العطاء (الوصال).

(٥) رام يروم: طلب. إعلاها (كذا في الأصل). ولعل المقصود «كتابها».

(٦) أرجاء جمع رجا: ناحية. الأرج: الرائحة الطيبة. فت الرجل المسك: طعنه (وإذا طُحن المسك زادت رائحته، إذ تكثر سطوحه التي تلامس الهواء، ثم يخفّ حمل دقائقه على الهواء).

(٧) العذار (بالكسر): الشعر النابت على جانبي الوجه. والعذار: القسم من رسن الدابة والذي يوضع في رأسها. خلع الرجل عذاره: انغمس في الشهوات وترك الحياء ولم يبال بما يقول الناس فيه.

٥٨-٦٠: الإحاطة ١: ١٢٤، ١٩٩، ٣٩٧، ٤٠٣-٤٠٤، ٥٤٥، ٥٥٠-٥٥١، ٥٧٠، ٢ (القاهرة ١٣١٩ هـ) راجع ٢٨٥-٢٨٧: درّة الحجال ٢: ٤٣٥، بغية الوعاة ٣٤٨: ثمر فرائد الجبان ٢٣٩-٢٤٢: نفع الطيب ٤: ٣٢٦، ٥: ٢٢، ٤٣٤-٤٦٤، ٤٩٩-٥٠١، ٦٠٤، ٦: ٦٠، ١٢٤-١٢٨، ٢٦٠-٢٦١، ٧: ١٠١: أزهار الرياض ١: ١١٥، ٢: ٣٤٢-٣٤٤، ٣: ١٩٦: بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٩: الأعلام للزركلي (٦: ٥).

## ابن جابر الوادي آشي

١- هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي الوادي آشي<sup>(١)</sup>، وُلِدَ في تُونِسَ سَنَةَ ٦٧٣ (١٢٧٤ م) ونشأ فيها أيضاً.

قرأ ابن جابر الوادي آشي هذا على شيوخ كثيرين في الأندلس وإفريقية ومصر والشام والحجاز، رجالاً ونساءً، ثم خصّهم ببرنامج ذكّرهم فيه فكانوا نحو ثلاثمائة. وكان ابن جابر قد رحل إلى المشرق مرتين (نحو سَنَةَ ٧٢٠ ونحو سنة ٧٣٤) - وقد كان في أثناء ذلك كلّه يسمّع من الشيوخ ويُقرئ الذين يجتمعون إليه.

وكانت وفاة ابن جابر في تُونِسَ، في الطاعون العامّ، سَنَةَ ٧٤٩ (١٣٣٨ م).

٢- كان ابن جابر الوادي آشي قارئاً ضابطاً للقراءة<sup>(٢)</sup> ومُحدّثاً واسع الرواية ثقة مقصوداً يرحل إليه الطُّلابُ. ثم كان أيضاً لُغَوِيّاً ونَحْوِيّاً وأديباً يزوي الشعر، وربّما نظّم شيئاً منه بين الحين والحين، كما كان مُشاركاً في الفقه. وكان وقوراً دِيناً حسن الخلق عفيفاً لطيف المعشر ظريفاً. ثم إنه كان يُقرئ الطُّلابَ ويُسمّعهم احتساباً (بلا أجر)، أما عيشه فكان يكتسبه من العمل في التجارة.

ولابن جابر الوادي آشي تصانيف: الأربعون البلدانية (في الحديث) - أسانيدُ

(١) هو غير شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠) - راجع ترجمته، تحت.

(٢) لقراءة القرآن الكريم.

كُتِبَ المالكية - الإشارات البلدانية - ترجمة القاضي عياض (لعله أول تأليفه) - تقييد القصيدة العروضية المسماة المقصيدة الجليل إلى علم الخليل (للإمام أبي عمرو بن الحاجب) - زاد المسافر وأنس الماسر (رحلة تكلم فيها على بلدان زارها وعلى شيوخ أخذ عنهم) - مسلمات (من مرويات شيخه قاضي مضر عبد الغفار بن عبد الكافي السعدي، قرأها عليه) مع أناشيد - برنامج.

### ٣- مختارات من آثاره:

- من مقدمة برنامج الوادي آشي (ص ٣٧ - ٣٨):

.... أما بعدُ فإنَّ بعضَ أربابِ الرواية<sup>(١)</sup> ذا الشَّغَفِ بها والعِنايةِ أحبَّ أنْ أُقَيِّدَ له أسماءَ مَنْ لَقِيْتُهُ من شيوخِي الجِلَّةِ<sup>(٢)</sup>، زَمَنَ مُقامِي بَتُونِسَ وفي زَمَنِي الرِّحْلَةِ، وأنَّ أَسَمِيَّ له ما أَخَذْتُهُ عَنْهُمْ كائناً ما كانَ على حَسَبِ الوُسْعِ والإمكانِ، ومن أَجَازَنِي مِمَّنْ لَقِيْتُهُ وَأَخَذْتُ عَنْهُ أو مِمَّنْ لم أَخُذْ عَنْهُ سِوَاهُ<sup>(٣)</sup> أو كَتَبَ لي بها من المشرق والمغرب، وَأَفْصَحَ له عن جُمْلَةِ ذلكِ وَأَعْرَبَ<sup>(٤)</sup>. فَأَجَبْتُهُ لَهَا سألَ وجعلته في جُزءَيْنِ كما أَمَلْتُ: في أَحَدِهَا أَسْمَاءُ الشُّيُوخِ وَأَسَانِيهِمْ وَكُنَاهُمْ وما أَمَكَنَ من ذِكْرِ مَوَالِيدِهِمْ وَوَفَيَاتِهِمْ وَأَنَاشِيدِهِمْ<sup>(٥)</sup>؛ وفي الآخَرِ ذِكْرُ المَأْخُوذِ عَنْهُمْ مُضَافاً لَهُمْ ما فيه من عُلُوِّ سَنَدٍ<sup>(٦)</sup> لكنَّ بالإِجازَةِ، مُعْتَمِداً في ذلكِ طَرِيقَ ذَوِي الاستِجَازَةِ إذْ \* فَاتَ الحِصُولُ المامُولُ مِنْهُمْ في ذلكِ اللَّاتِقِ<sup>(٧)</sup>، لَتَعَرَّضَ الشَّوَاغِلُ عن «السَّنَنِ» المِطَابِقِ، راجِعاً في ذلكِ عُلُوَّ السَّنَدِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الهَادِي للرُّشْدِ، وأنَّ يَجْعَلَهُ ذُخْراً بَقَدِيمَةً \* \* بين يَدَيُنَا ولا يَجْعَلَهُ وَبَالاً<sup>(٨)</sup>

(١) الراوية: رواية (نقل) العلم عن شيوخ متقدمين.

(٢) رجل جليل من جلة (بكسر الجيم): عظيم (القاموس ٣: ٣٤٩).

(٣) سواء (كذا في الأصل): لعلها «سواء» (بالهمزة: سواء أكتُ قد أخذتُ عنهم أو لم أَخُذْ عَنْهُمْ).

(٤) أفصح (أكشف) له عن جلة (مجموع) ذلك وأعرب (ابن).

(٥) وأناشيدهم (٢). لعلها «وأسانيدهم» (ما يروونه عن شيوخهم).

(٦) السند العالي (في الحديث) ما كان رواه قريين من عصر رسول الله.

\* لعلها «إن».

(٧) أطلبُ الإِجازَةَ مِنْهُمْ عن بُدٍ إذا لم أَسْتَطِعْ الأخْذَ عَنْهُمْ شَخْصِيّاً. اللَّاتِقُ (٢).

\* \* لعلها «نقد».

(٨) الوبال: الهلاك.

وَحَسْرَةً عَلَيْنَا . إِنَّهُ تَعَالَى مَوْلَى التَّوْفِيقِ الْهَادِي لِأَحْسَنِ طَرِيقٍ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

- ترجمة لأحد شيوخه (رقم ١٣ ، ص ٥١ - ٥٢):

أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ إسماعيلَ الطَّائِي الْقُرْطُبِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . مَوْلَدُهُ بِهَا (١) عَامَ ثَلَاثَةِ وَسِتِّمِائَةٍ . أَخَذَ عَنْ جَدِّهِ لِلْأُمِّ الْمُقْرِي الْقَيْمِ (٢) بِجَامِعِ قُرْطُبَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ قَادِمِ الْمُعَافِرِيِّ وَ (عَنْ) وَالِدِهِ (٣) . وَمِنْ جِلَّةِ أَشْيَاخِهِ: الْقَاضِي بِحْضَرَةِ مَرَّاكُشَ (٤) أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ يُزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَقِيٍّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ حَوْطِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ الْحَارِثِيِّ، وَأَخُوهُ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُودَ، وَأَبُو الْحَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ، وَجَمَاعَةٌ ذَكَرَهُمْ فِي بَرْنَامَجِ شَيْخِهِ . قَرَأَتْ عَلَيْهِ وَسَمِعَتْ (مِنْهُ) وَأَجَازَنِي إِجَازَةً عَامَةً وَكَتَبَ خَطَّهُ بِهَا . وَعُمُرٌ حَتَّى أَلْحَقَ الْأَصَاغِرَ بِالْأَكَابِرِ (٥) . وَاخْتَلَطَ عَلَيْهِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ (٦) . وَكَانَ مَشْكُورَ الْقَلَمِ نَظْمًا وَنَثْرًا . وَمِمَّا وَجَّهَ لِي - بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَيَّانَ - مَرْثِيَّةٌ فِي وَالِدِي، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، يَعْتَذِرُ فِيهَا عَنْ عَدَمِ حُضُورِهِ الْجَنَازَةَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ (بِهَا) حَتَّى سَمِعَ . وَهِيَ:

عَزَاؤُكَ فِي أَبٍ لَكَ أَوْ أَخٍ لِي عَزَاءٌ مُحَبَّبٌ مَحْبُوبٌ وَخِلٌ .

..... (٦)

وَتُوفِّيَ - عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الْحَادِي عَشَرَ لِدُنْيَا قَعْدَةِ عَامِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَدُفِنَ بِالزَّلَاجِ (٧) .

٤- بَرْنَامَجُ الْوَادِي آشِي (تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ مَحْفُوظٌ)، أَثِينَا - بَيْرُوتَ (دَارُ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ) ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

(١) بِهَا (فِي قُرْطُبَةَ) .

(٢) الْقَيْمُ: الْمَشْرِفُ (عَلَى الْجَامِعِ) ؟ .

(٣) حَضَرَةُ مَرَّاكُشَ (الْعَاصِمَةُ) .

(٤) عَمِرَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ مَعَ تَشْدِيدِ الْمِيمِ): طَالَ عَمْرُهُ . أَلْحَقَ الْأَصَاغِرَ بِالْأَكَابِرِ (رَوَى عَنْهُ الْأَبْنَاءُ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ رَوَى عَنْهُ آبَاؤُهُمْ) .

(٥) أَقْرَأَ: وَاخْتَلَطَ عَقْلُهُ ....

(٦) بَعْدَ الْبَيْتِ السَّابِقِ ثَلَاثَةُ آيَاتٍ عَادِيَةٍ وَمُضْطَرِبَةٍ .

(٧) الزَّلَاجُ: مَقْبَرَةٌ كَبِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي مَدِينَةِ تُونِسَ الْعَاصِمَةِ .



★ ★ الوافي بالوفيات ٢: ١٨٣؛ الديباج المذهب ٣١١-٣١٣؛ نفح الطيب (يبدو أن هنالك شيئاً من الخلط بين ابن جابر هذا المتوفى سنة ٧٤٩ وابن جابر الضرير المتوفى سنة ٧٠٨ - راجع فهرس «نفح الطيب»؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٣ (٦٨)؛ ثم راجع المصادر والمراجع في ترجمته التي صنعها محمد محفوظ في التوطئة لبرنامج الوادي آشي.

### عبد المهيمن الحضرمي السبقى

١- هو أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي، وُلِدَ سَنَةَ ٦٧٦ هـ (١٢٧٧-١٢٧٨ م) في سَبْتَةٍ ونشأ فيها. قالوا إن من أشياخه عبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع الأشبيلي (٥٩٩-٦٨٨ هـ) وأحمد بن محمد بن الغمّاز (ت ٦٩٣ هـ) وأبا القاسم بن الشاطِ الأشبيلي (ت ٧٢٥ هـ) وغيرهم. ولكن من الصعب أن نعدّ ابن أبي الربيع وابن الغمّاز من شيوخه للفرق في الزمن. كان عبد المهيمن الحضرمي صاحبَ القلمِ الأعلى في المغرب كَتَبَ لِلسُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ عَثْمَانَ المُرِينِيَّ (٧١٠-٧٣١) ولابنهِ وخَلَفِهِ عليّ (٧٣١-٧٥٢ هـ). وكانت وفاته في تُونِسَ بالطاعون في ١٢ شَوَّالٍ من سَنَةِ ٧٤٩ (١٣٤٩/٢/٣ م).

٢- كان عبد المهيمن الحضرمي إمامَ الحديث والنحو في المغرب في عصره، وكان كاتباً مترسلاً وصاحبَ مقاماتٍ وشاعراً من فنونه المدحُ والغزل والوصف والحماسة. وعلى لُفَتِهِ عُموماً، في النثر خاصّة وفي الشعر، شيءٌ كثيرٌ أو قليلٌ من الضعف. وقد يَحْتَدِي في شعره أغراضَ نَفَرٍ من شعراء المشرق المشهورين ومن أسلوبهم فيأتي ببالشعر المتين الجيد.

### ٣- مختارات من آثاره

- من مقامة الاقتحار لعبد المهيمن الحضرمي:

بَرَزْتُ يوماً لخارجِ بلدٍ فاسَ الأشهر<sup>(١)</sup> وَاَتَهَيْتُ إِلَى وادِيهَا المعروفِ بوادي

(١) الأشهر (نعت « بلد »).

الجوهر. فلم يكن غير بعيد وإذا أنا بمَحْفَلٍ بالغيد<sup>(١)</sup>، وقد دار بينهما عتابٌ بألفاظٍ  
تَعَجَّرُ عنها ألسنةُ الكتَّاب: بيضاء وسراء في مُفَاتِنِ كبرى، وكاملة وقصيرة في مُعَاطَاةٍ  
كثيرة، وسَمِينَةٌ ورقِيقة في مُعَاتِبَةِ حَقِيقَةٍ، وعَرِيَّةٌ وحَضْرِيَّة<sup>(٢)</sup> في مُجَادَلَةِ قُوَّةٍ، وعَجُوزٌ  
وصَبِيَّةٌ في مُخَاصَمَةِ بَذِيَّة<sup>(٣)</sup>. فَبَيْنَمَا أَنَا أَنْظُرُ فِي تِلْكَ الْوُجُوهِ الْمُرَوَّنَةِ<sup>(٤)</sup>، إِذَا بِمَجَارِيَةِ  
يَغْلِبُ ضِيَاءُ وَجْهِهَا عَلَى ضِيَاءِ الشَّمْسِ؛ فَوَقَّفْتُ بَيْنَ الصَّفُوفِ وَسَلَّمْتُ بَيْنَانِهَا الْخَمْسَ. ثُمَّ  
تَقَدَّمْتُ وَقَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيَاضَ طِرَازَ كُلِّ جَبَالِ، وَشَرَّفَ أَهْلَهُ بِالْحَيَاءِ  
وَالْكِوَالِ، وَأَعْطَاهُمْ عِزَّةً لَا تَبِيدُ وَصِيرَ السُّمَرِ لَهُمْ عَبِيدَ<sup>(٥)</sup>. أَلَا وَإِنَّ عَلَى قَلْبِي جَمْرَةً مِنْ  
مُعَاتِبَتِكَ، يَا ذَاتَ السُّمَرَةِ. أَعِنْدَكَ، يَا سَمْرَاءُ، مَا عِنْدِي؛ وَلَيْسَ قَدْكَ كَقَدِّي وَلَا خَدُّكَ  
كَخَدِّي: جَبِينِي ذُو ابْتِهَاجٍ، وَذَوَائِي كَقَطْعِ الزَّاجِ<sup>(٦)</sup>. ..... وَتُفْرِي أَفْحُونَ، وَدِيْبَاجُ  
وَجْهِهِ أَرْجُونَ<sup>(٧)</sup>. وَإِنْ أُرْسَلْتُ شَعْرِي الْمَضْفُورُ فظلامٌ لَيْلٍ عَلَى بَيَاضٍ كَافُورٍ....  
قال الكاتبُ: وَكَانَتْ الْعَجُوزُ مَخْضُوبَةً الْبَنَانِ، مَسْوَكَةً<sup>(٨)</sup> الْقَمَمِ وَلَيْسَ لَهَا أَسْنَانُ،  
مَصْبُوغَةً الْحَاجِبِ وَالسَّالِفِ تَدْبُ مَا فَاتَهَا فِي الزَّمَنِ السَّالِفِ<sup>(٩)</sup>. ثُمَّ أَشَدَّتْ وَأَجَادَتْ فِيهَا  
قَصَدَتْ:

إِذَا جَفَّ لَيْنُ التِّينِ يَحْلُو مَذَاقُهُ؛ وَأَحْلَى مَذَاقًا فِي الثَّهَارِ الْعَجَائِزُ.

- (١) اقرأ: فلم يكن غير قليل فإذا. محفل: اجتماع (عمل الاجتماع)، جماعة. يرتج: يضطرب، يوج (يكثر فيه).
- النغيلة.
- (٢) عربية (بدوية).
- (٣) بذية = بذية: فاحشة الكلام.
- (٤) الرونق (جمال الوجه ونضارته).
- (٥) اختار عبد الميمون الحضرمي أن يقف على «عبيد» بالكون. وهذا خطأ. يجب أن تلحق بكلمة  
«عبيد» ألف الإطلاق «عبيدا» فإن الكلمة منصوبة (مفعول به ثان من «صير»).
- (٦) الذؤابة: الشعر المضفور (المجدول كالحبال). الزاج: من الأملاح (في تصنيف المواد في الكيمياء). وفي  
«المعجم الوسيط» (ص ٤٠٧): الزاج الأبيض، والأزرق والأخضر. والمقصود هنا «الواد».
- (٧) الأفحوان: زهر برّي قلبه أصفر، وبتلاته بيضاء منتظمة تُشَبُّ الْأَسْنَانَ بِهَا. الديباج: نسيج كلّه من  
الحرير، ويكون ملوّناً ألواناً (يظهر له إذا تحرك في الشمس ألوان مختلفة؟). الأرجوان: لون أحمر فيه  
شيء من الزرقة (يسمى «لون الملوك»).
- (٨) سوك الرجل أسنانه: دلّكها، مسحها بالمواك. والمقصود هنا أن تلك المعجوز كانت بلا أسنان.
- (٩) السالف الأولى (الشعر في جانب الرأس متديلاً أمام الأذن)، والسالف الثانية: الماضي.

فَطَمَنِي ذِكْرِي طَيْبُ النَّشْرِ عَاطِرٌ      وإنسان عَيْنِي لِلْمُحِبِّينَ غَامِزٌ  
 ثُمَّ قَالَتْ: وَإِنْ أَرَدْتَ- يا هذه- الْمُجُونَ وَالرَّقَاعَةَ (١)، فَأَنَا- وَاللَّهِ- رَبَّةُ الصَّنَاعَةِ  
 وَأَسْتَاذَةُ الْجَمَاعَةِ.

وَإِذَا بِالصَّيِّئَةِ قَدْ أَتَتْ تَذَرُجُ دَرْجِ الْقَطَا (٢) عَلَى الْأَقْدَامِ، وَتَبَدَّتْ فَأَقْبَلْتُ إِقْبَالَ  
 الْعَامِ وَوَرَدَتْ وَرُودَ الْغِنَى عَلَى أَهْلِ الْإِعْدَامِ (٣).... تَرْمُقُ بِلَحْظٍ نَائِمٍ وَتَفْعَلُ بِأَشْفَارِهَا  
 فِي قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ مَا تَفْعَلُ الصَّوَارِمُ (٤). ثُمَّ نَادَتْ: أَيُّهَا الْعَجُوزُ الشَّمْطَاءُ يَا مَنْ كَشَفَتْ  
 بَعِيْثَهَا عَنْ نَفْسِهَا الْفِطَاءَ. هِيَهَاتِ، يَا عَجُوزٌ،.... أَنْ يَكُونَ لَكَ بَعْدَ الْهَرَمِ طَلْقٌ، أَوْ  
 يَكُونَ الْجَدِيدُ مِثْلَ الْخَلْقِ (٥)! أَمَا رَأَيْتِ شَعْرِي الْفَاحِمَ وَثَغْرِي الْبَاسِمَ وَغُصْنِي  
 النَّاعِمَ؟.....

- وَلَعَبْدُ الْمُهَيْمَنِ الْحُزْرَمِيِّ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى:

يُجْنَفِي الْفَقِيرُ، وَيَنْشَى النَّاسُ قَاطِبَةً      بَيْتَ الْغِنَى. كَذَا حُكْمُ الْمَقَادِيرِ (٦).  
 وَإِنَّمَا النَّاسُ أَمْثَالُ الْفَرَاشِ، فَهُمْ      يُلْفُونَ حَيْثُ مَصَائِيحُ الدَّنَائِيرِ.

- وَقَالَ يَمْدَحُ ذَا الْوِزَارَتَيْنِ ابْنُ الْحَكِيمِ الرُّنْدِيِّ (٦٦٠-٧٠٨ هـ):

وَإِذَا بَاتَتْ تَلُومٌ عَلَى السُّرَى      وَتُكْثِرُ مِنْ تَغْذَالِهَا وَتُطِيلُ (٧).  
 ذَرِينِي أَسْعَى لِلَّتِي تُكْسِبُ الْعَلَا      سَنَاءً، وَتُبْقِي الذِّكْرَ وَهُوَ جَمِيلٌ (٨).

(١) الرقاعة: الحماقة، والوقاحة أيضاً.

(٢) درج (مشى) وهو ينقل رجلاً بمد رجل على مهل). القطاة: طائر (يمشي بخطوات قصيرة متقاربة).

(٣) إقبال العام (٤). الإعدام: الفقر.

(٤) الأشعار جمع شعر «بالفتح»: طرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر. الصارم: السيف.

(٥) الطلق: الشوط «بالفتح»: المسافة التي يركضها الإنسان (سريعاً) في مدة محدودة. الخلق (بفتح ففتح):  
 المتهرئ من الثياب.

(٦) جفا فلان فلاناً: جانبه، ابتعد عنه. غشي (بفتح فكسر ففتح) الرجل مكاناً يشاء: جاء إليه. المقادير  
 جمع مقدار (ما حكم به على الإنسان أن يفعله).

(٧) العاذلة: التي تلوم الناس بلا سبب (أو بلا معرفة للسبب الصحيح في أعمال الناس). السرى: السير في  
 الليل (للذهاب إلى المدوح).

(٨) السناء: باللو، الرفعة.

فإِذَا تَرَبَّنِي مِنْ مُهَارَسَةِ الْهَوَى  
ولولا اغترابُ المرءِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ  
ولولا نَوَالُ ابْنِ الْحَكِيمِ مُحَمَّدٍ  
وزيراً سَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ جَلَالَةً،  
مِنَ الْقَوْمِ: أَمَّا فِي النَّدَى فَإِنَّهُمْ  
وَأَبْلَجُ وَقَادُ الْجَبِينِ كَأَنَّمَا  
تَهَيَّأُ بِهِ الْعَلِيَاءُ حَتَّى كَأَنَّهَا  
سَرَى ذِكْرُهُ فِي الْخَافِقِينَ فَأَصْبَحْتُ  
فَلَيْتُ إِلَى لُقْيَاكَ نَاصِيَةَ الْفَلَائِ  
وَقَدْ كُنْتُ ذَا نَفْسٍ عَزُوفٍ وَهَمَّةٍ  
وَتَأْبَى لِي الْأَيَّامُ إِلَّا إِدَالَةً.

نَحِيلًا، فَحَدُّ الْمَشْرِقِيِّ نَحِيلٌ<sup>(١)</sup>.  
لَمَّا كَانَ نَحْوُ الْجَدِّ مِنْهُ وَصُولُ  
لَأَصْبَحَ رَنْجُ الْجَدِّ وَهُوَ مَحِيلٌ<sup>(٢)</sup>.  
وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا النُّجُومُ قَبِيلٌ<sup>(٣)</sup>؛  
هَضَابٌ، وَأَمَّا فِي النَّدَى فَيُؤَلِّقُ<sup>(٤)</sup>.  
عَلَى وَجْتَيْنِهِ لِلنُّضَارِ مَسِيلٌ<sup>(٥)</sup>.  
بُيِّنَتْهُ فِي الْحُبِّ وَهُوَ جَمِيلٌ<sup>(٦)</sup>.  
إِلَيْهِ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَمِيلُ<sup>(٧)</sup>.  
بِأَيْدِي زِكَاكِ سَيْرُهُنَّ ذَمِيلٌ<sup>(٨)</sup>.  
عَلَيْهَا لِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ دُحُولٌ<sup>(٩)</sup>.  
فَصَوْنَكَ لِي! إِنَّ الزَّمَانَ مُدِيلٌ<sup>(١٠)</sup>.

٤- \*\* أوصاف الناس ٩٩؛ بغية الوعاة ٣١٥؛ نفح الطيب ٥: ٢٤٠، ٤٦٤-٤٧١،  
٥٣٧؛ النبوغ المغربي ٤١٩ (التسلسل الثاني)- ٤٣١، ٧٢٨-٧٢٩، ٧٦٧؛ الأدب  
المغربي ٤٣٥-٤٣٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٨ (١٦٩).

- (١) المشرقى السيف المصنوع في «شرف» (بفتح ففتح)، وهو مكان في الشام: سورية.
- (٢) النوال: العطاء. الربع: المكان المسكون. محيل (بالفتح): ما تحول وتبدل. الربع المحيل: الذي تركه سكَّانه (فخرب).
- (٣) السماء: أحد نجمين أحدهما السماء الرامح وثانيهما السماء الأعزل. القليل: القوم، الأهل.
- (٤) الندى (بشديد الياء): مجلس القوم. الندى (بفتح ففتح): الكرم.
- (٥) الأبلج: الواضح، الأبيض (البشوش الوجه). النضار: الذهب.
- (٦) هام (تمشّق، أحب). جميل بن معمر وبشينة بنت حبا عاشقان من العصر الأموي.
- (٧) الجافق: الأقق. الخافقان: المشرق والمغرب (في جميع البلاد).
- (٨) فلا الرجل شيئاً عن شيء: عزله ومنعه. وأقلى الرجل: الفلاة (الأرض الواسعة، البدياء): دخلها، سار فيها. ناصية الفلا (جمع فلاة): رأس الفلاة: المكان الصعب منها. الذميل: السير السريع. ركاب جمع ركوبة (الدابة) التي يركبها الإنسان للسر.
- (٩) عزوف: مائلة (عن أعراض الدنيا وكارهاها). دحول جمع ذحل (بالضم): تأر.
- (١٠) أدال فلان فلاناً (من خصمه): أنصفه، أخذ له بحقه. التركيب في النطر الثاني غير واضح.

## الجزنائي الفاسي الكرياني

١- هو أبو العبّاس أحمد بن (محمد بن) شبيب الجزنائي الكرياني<sup>(١)</sup> التازي الدار ونزيل فاس.

قرأ الجزنائي في بلدِه فاس على شيوخ منهم أبو عبد الله بن آجروم (ت ٧٢٣ هـ) وأبو عبد الله بن رُشيد (ت ٧٢١ هـ)، وقرأ في تونس على يعقوب بن الدارس، أخذ عنه علم الطبّ والهيئة (الفلك).

ورأس الجزنائي ديوانَ الكتابة في فاس في عهدِ عثمان المريني (٧١٠ - ٧٣١ هـ) ثمّ بضعَ سنواتٍ من عهدِ ابنه عليّ (٧٣١ - ٧٥٢ هـ). وقد دخلَ غرناطةَ على عهدِ السابع من ملوكها الأمير محمد<sup>(٢)</sup> لقرب من ولايته، وأشتغل هنالك في الكيمياء وفي أمرِ الأدوية المفردة (راجع الإحاطة، ص ٢٨٥). ولا نعرفُ شيئاً من أحداثِ حياته التالية إلّا أنّ وفاته كانت في تونس بالطاعون يومَ عيدِ الأضحى من سنة ٧٤٩ م<sup>(١)</sup>.

٢- كان الجزنائي الفاسي فقيهاً وحاسباً وطبيباً وأديباً ناثراً مترسلاً وشاعراً. وهو يجيد تقليدَ المشاركة في الشعر والنثر، وفي نثره تكلفٌ أكثرُ ممّا في شعره. وشعره الآخرُ

(١) «ابن محمد» زيادة من الإحاطة (١: ٢٨٠).

(٢) في النبوغ المغربي (الجزنائي) «بشدة على النون (ص ٢٢٧) ولا حركة أخرى على الكلمة. ومثل ذلك فعل محمد بن تاويت الطنجي (التعريف بابن خلدون، ص ٤٨، الحاشية ١). أما محمد رضوان الداية فلم يحرّكها (تثير فرائد الجمان، ص ٣٣٥). وأمّا يروكلمن (الملحق ٢: ٣٣٩) فاختر أن يجعلها «الجزنائي» (يفتح فسكون). - والكرياني (الإحاطة ١: ٢٨٠)، نسبة إلى قبيلة من قبائل الريف العربي (كذا). وفي الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ، الجزء الأول، ص ١٣٩): الغربي (بالعين المعجمة).

(٣) في الإحاطة (١: ٢٨٥): «دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها الأمير محمد». ولكن السابع من ملوك غرناطة، عند لسان الدين بن الخطيب نفسه (اللمحة البدرية ١٠٢) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج (مولده سنة ٧١٨ للهجرة، وجاء إلى العرش ٧٣٣ هـ، وتوفي ٧٥٥ هـ). أمّا السلطان محمد ملك غرناطة فيجب أن يكون السادس من ملوكها: محمد بن إسماعيل بن فرج، (٧٢٥ - ٧٣٣ هـ). كما في اللمحة البدرية (ص ٩٠) لسان الدين بن الخطيب نفسه. وقد ذكر عبد الله كُتُون (النبوغ المغربي ٢٢٧) أن الجزنائي «كان كاتباً في ديوان الإنشاء عند أبي الحسن المريني»، وأبو الحسن هذا هو علي بن عثمان سلطان فاس (٧٣٢ - ٧٤٩ هـ). فليوفق القارىء بين هذه التواريخ.

عاديٌّ. غير أن أسلوبه متينٌ ومعانيه جَزَلَةٌ.

وكان للجزنائيّ الفاسيّ عناية بالعلوم الفلسفية والرياضية والطبيعية والصنعة (الكيمياء القديمة: الخرافية)، له في الصنعة: كتاب الأصداف المنفضة عن أحكام علم صناعة دينار الذهب من الفضة.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال أحمد بن شعيب الجزنائيّ يرثي جارية له روميةً أسماها صُبْحُ (الإحاطة ١:

:٢٨٥)

يا مُحشي، والبُعد دونَ لقائه،  
يُدينِكَ مِنِّي الشوقُ حتّى إنّني  
وأحنُّ شوقاً للنسيم إذا سرى  
كان اللقاء فكانَ حظّي ناظري،  
فأبعثُ خيالك تُهدِه نارَ الحشا  
إن كان مجهلٌ من مُقامي مَوْضِعي<sup>(١)</sup>  
أدعوك عن شَحَطٍ وإن لم تسمع<sup>(٢)</sup>  
لأراكَ رَأْيَ العين لولا أدمعي<sup>(٣)</sup>  
بجدّشكم وأصيحُ كالمستطلع:  
وسَطَ الفِراقُ فصار حظّي مَسْمَعي<sup>(٤)</sup>  
إن كان مجهلٌ من مُقامي مَوْضِعي<sup>(٥)</sup>

- قال الجزنائيّ الفاسيّ في الحماسة وحال الدنيا والناس:

عَجِبْتُ من الأيامِ أَنّي أَلْفَتْها!  
عَجِبْتُ حاليها من الكُرْهِ والرُّضا،  
ومارَسْتُ أبناءَ الزمانِ فلم أجدْ  
مُسالمةَ الأيامِ إحدى المعائبِ<sup>(٦)</sup>  
وقد شابَ رأسي وهي سَوْدُ الدوائِبِ.  
أخا ثِقَةٍ، يا حارِ، غيرَ التجاربِ<sup>(٧)</sup>

(١) الشحط: البعد.

(٢) كثرة أدمعي تحول بيني وبين رؤيتك (لو كنتَ حاضراً أمامي).

(٣) كان لقاءنا حينما كنتَ أنتَ حيّاً. سطا يسطو: بطش أعتدى، ظلم. صار حظّي ما أسمعُه عنك.

(٤) أرمِلُ خيالك (في المنام) لتهدأ لوعتي قليلاً. وإذا كان خيالك لا يعرف مُقامي (بضمّ الميم: مكان وجودي) فيكفي أن تتمرّ نفسي به.

(٥) - عَجِبْتُ (من نفسي) أَنّي (كيف) آستطعت أن أَلْفَ الأيامَ، فإنّ مسالمة الأيام (العيش معها بأمان) أمر عجيب في ذاته.

(٦) يا حار= يا حارث (أَيُّها الإنسان). لا أتق إلا بما عرفته عن تجربة.

مَلِيُونَ بِالْبَغْضَاءِ إِلَّا تَمَلُّقًا،  
وَسِعَتْ اللَّيَالِي عِفَّةً وَقِنَاعَةً،  
وَقَضَيْتُهَا خَسًا وَعِشْرِينَ حِجَّةً  
فَمَا لِي لِلْأُوطَانِ! هَلْ يُطَلَّبُ الْجَدَا  
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ أَقِيمَ بِذِلَّةٍ،  
سَتَأْلَفُ مِنِّي الْبَيْدُ طَلَّاعَ أَنْجَدٍ  
حَلِيفَ سُرَى لَا يَسَامُ الْبَيْدَ وَالسُّرَى،  
أَرْجِي بِهَا مِنْ عَزَمَتِي مُتَوَقِّدًا  
وما هو إِلَّا مثْلُ إِبَاسٍ حَالِبٍ<sup>(١)</sup>.  
وقد ضَمِنَ ذَرْعًا عَنْ تَسْنِي مَارِي<sup>(٢)</sup>.  
أُصَدِّقُ ظَنِّي بِالْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ.  
مِنَ الْقَطْرِ إِلَّا كَائِنًا فِي السَّحَابِ<sup>(٣)</sup>؟  
فَكَيْفَ وَمَا سُدَّتْ عَلَيَّ مَزَاهِي؟  
قَلِيلَ هُمُومِ النَّفْسِ جَمَّ الْمَطَالِبِ<sup>(٤)</sup>،  
طَوَالَ اللَّيَالِي فِي عِرَاضِ السَّبَاسِ<sup>(٥)</sup>؛  
فَأَحْسَبُنِي بَعْضَ النُّجُومِ الثَّوَابِقِ<sup>(٦)</sup>.  
- وله من رسالة:

قد كان حنيني إلى سيدي - أطلَّ الله بقاءه وسنَّى لقاءه - مَوْصُولًا مَعَ الْإِتِّصَالِ،  
ودائمًا مَعَ الْبُكْرِ وَالْأَصَالِ<sup>(٧)</sup>. لا تَلَحُّهُ فِتْرَةٌ فَأُضِلَّ فِيهَا عَنْ هَذِهِ الْوَاضِحِ الْأَمَمِ<sup>(٨)</sup>،  
وَأُظَلَّ فِيهَا مِنْ سِوَاهُ عَاكِفًا بِأَعْلَى صَمٍّ<sup>(٩)</sup>؛ وَمَنْظَرُ الْعَيْشِ أَنْيَقُ، وَغُصْنُ الشَّيْبَةِ  
وَرَيْقُ<sup>(١٠)</sup>، وَالدهرُ جَمَعَ وَلَمْ يُحْسِنِ التَّفْرِيقَ.... وَالِدَارُ حَرِيَّةٌ بَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ، وَالْيَدُ

- 
- (١) مَلِيٌّ = مملوء . الإِبَاسُ: التَّلَطُّفُ والمَدَاراةُ. وَلَمَلَهَا هُنَا: الرَّمْيُ (بفتح فسكون): ذَلِكَ ضَرَعَ الْبَقْرَةَ بِشَيْءٍ قَلِيلٍ مِنْ حَلِيبِهَا لِتُدْرِكَ.  
(٢) تَسْنَى: سَانَى (أَحْسَنَ الْمَعَاشِرَةَ). وَالشَّاعِرُ يَقْصِدُ: حَصُولَ، تَحْقِيقَ.  
(٣) الْجَدَا: الْعَطَاءُ. الْقَطْرُ: الْمَطَرُ.  
(٤) أَنْجَدُ جَمَعَ نَجَدَ (أَرْضٌ عَالِيَةٌ، صَعْبَةٌ الْمَرْتَفَى).  
(٥) الْبَيْدُ جَمَعَ بَيْدَاءَ (الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ). السُّرَى: السَّيْرُ لَيْلًا. السَّبَبُ: الْمَفَازَةُ (الصَّحْرَاءُ الْوَاسِعَةُ الَّتِي يَتِيهِ فِيهَا السَّائِرُ).  
(٦) أَرْجِي: أُرْسِلُ، أُبْعَثُ. مُتَوَقِّدًا: مُشْتَعَلًا (رَجُلًا نَشِيطًا). ثَاقِبٌ: شَدِيدُ اللَّعْمَانِ (كَأَنَّهُ يَنْقُبُ اللَّيْلَ).  
(٧) سَنَى لِقَاءَهُ: أَحْسَنَ مَعَامَلَتَهُ (٩) (يَقْصِدُ: قَرَبَ). الْبِكْرَةُ (بِالضَّمِّ): وَقْتُ الصَّبَاحِ. الْأَصَالُ جَمِيعُ أَصِيلٍ: الْوَقْتُ عِنْدَ الْعَصْرِ (مُنْتَصَفُ الزَّمَنِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْمَغْرَبِ).  
(٨) فِتْرَةٌ: هُدُوءٌ، كَسَلٌ. أَمَمٌ: قَرِيبٌ.  
(٩) بِأَعْلَى (يَجِبُ أَنْ تَكُونَ «عَلَى»). عَاكِفٌ عَلَى صَمٍّ: جَامِدٌ لَا يَتَصَرَّفُ فِي أَمْرٍ.  
(١٠) أَنْيَقُ: جَمِيلٌ، يَحْسَنُ فِي الْعَيْنِ. الْغَضُّ: الْجَدِيدُ، الطَّرِيقُ. وَرَيْقٌ: عَلَيْهِ وَرَقُهُ (الْأَخْضَرُ)، فِي مَطْلَعِ الشَّبَابِ.

مليئةً بنضار العُقار تَصْرِفُه في لجين الأكوُس<sup>(١)</sup>، وشَمَلْنَا المُنْتَظِمَ عِقْدٌ على لَبَّةِ<sup>(٢)</sup> الزمان، وليالينا في مُقلته كُحْل وفي وَجَنَتِهِ خِيْلَانٌ<sup>(٣)</sup>. فكيف وقد عادَ الدهر بِجَوْرِهِ وَسَطَاهُ، فَنُتَّ عِقْدٌ شَمَلْنَا وأذهبَ وَسَطًا<sup>(٤)</sup>، وأرانا من حَدَثَانِهِ عَجَبًا؟....

٤- \*\* شير فرائد الجمان ٣٣٥-٣٤٣؛ الإحاطة ١: ٢٨٠-٢٨٥؛ أوصاف الناس ١٠٦-١٠٧؛ نيل الابتهاج ٦٨؛ النبوغ المغربي ٢٢٧، ٧٣٠-٧٣٢، ٩٣٣؛ الأدب المغربي ٢٤٣-٢٤٩.

## ابن الصائغ المغربي

١- هو مُحِبُّ الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن لبّ بن الصائغ الأمويُّ القُرَشِيُّ المَغْرِبِيُّ، قرأ على أبي الحسن بن أبي العيش وعلي الخطيب بن علي الغنجاوي (بغية الوعاة ٦٠).

جاء ابن الصائغ المَغْرِبِيُّ إلى مِصْرَ فَلَقِيَ فيها، سَنَةَ ٧٢٨ هـ (١٣٢٧-١٣٢٨ م) ابنَ أَيْتِكَ الصَّفْدِيِّ صاحبَ كتاب الوافي بالوَفَيَاتِ وقرأَ مَعَهُ صحيحَ البخاري على شهاب الدين أحمد بن المُرَحَّلِ النُّعَوِيِّ وعلى فتح الله بن سيّد الناسِ وعلى أبي القاسم أخي أبي الفتح. وكان في مِصْرَ مُلَازِمًا لأثير الدين أبي حَيَّانَ الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ). وحجَّ ابنُ الصائغِ المغربيِّ ومدَحَ قاضي مَكَّةَ نجمَ الدين محمد بن محمد الطبري (ت ٧٣١ هـ).

عاش ابنُ الصائغِ المغربيِّ في فقرٍ شديدٍ، ثم كانت وفاته في مِصْرَ بالطاعون، سَنَةَ ٧٤٩ هـ، (١٣٤٨ م).

- 
- (١) الدار: المسكن، البلد، الوطن. حَرِيَّة: مستحقة. النضار: الذهب. العقار: الخمر. الأكوُس جمع كأس.  
في لجين (فضة) الأكوُس: في كووس من الزجاج الأبيض كالفضة.  
(٢) اللَّبَّة: الصدر.  
(٣) خيلان: تكبر.  
(٤) الجور: الظلم. سَطا (يقصد سطوته وبطشه). سَطا (؟) - يستقيم المعنى إذا حذفنا الماء من الكلمتين.  
سَطا (فعل ماضٍ): بطش. وسط (بفتح ففتح): الاعتدال.



٢- كان ابنُ الصائغِ المغربيُّ عارفاً بالنحوِ والعروضِ واسعَ المعرفةِ باللغةِ. وكان يَنْظِمُ الشعرَ ويأتي أحياناً بالقوافي النادرةِ مع لزومٍ ما لا يلزم. وكان بارعاً في الضربِ على العود.

### ٣- مختارات من شعره

- لما كان ابنُ الصائغِ المغربيُّ في مكَّةَ أُنشدَهُ قاضياها نجمُ الدين الطبريُّ قصيدةً كافيةً من لزومٍ ما لا يلزمُ مَطْلَعُهَا (راجع الوافي بالوفيات ١ : ٢٢٩):

أَشْبَهَةَ البدرِ الثَّامِ إِذَا بدا حُسنًا، وليس البدرُ من أشباهِك!  
فَأَسْتَهَوْتُ هذه القصيدةُ ابنَ الصائغِ فعَارَضَهَا بقصيدةٍ مَدَحَ بها نجمَ الدين. من هذه القصيدة:

رَقِي لِحْجِمِ رَقٍّ مِنْ دَنَفِ الْهوى؛	وَشِفَاهِ مَا تَحْوِيهِ حَوْ شِفَاهِك <sup>(١)</sup> .
وَسَنْ نَفَى وَسَنِي فَنَمْتُ وَلَمْ أَنْمِ،	مَا لَيْلَةُ السَّاهِي كَلِيلِ السَّاهِكِ <sup>(٢)</sup> !
إِنِّي شِمَمْتُ الزَّهْرَ بَلَّ عَيُونَهُ	طُلُّ فَأَنْبَهُهُ لَدَى إِنْبَاهِكِ <sup>(٣)</sup> ،
زَمَنًا أُرَدَّدُ أَهَةً الْمَشْغُوفِ مِنْ	حُرْقِي، فَتَحْكِينِي تَرْجُعُ آهِكِ <sup>(٤)</sup> .
أَنْضَارِي، أَشْتَعَلَ الْمَشِيبُ فَأَنْضَبْتُ	شُعْلَ الْحَسَا مَا رَاقَ مِنْ أَمْوَاهِكِ <sup>(٥)</sup> .
حَلَكُ الْمَفَارِقِ قَدْ تَنْفَسَ صُبْحُهُ؛	يَا نَفْسُ، هُبِّي مِنْ كَرَى اسْتِعْمَاهِكِ <sup>(٦)</sup> ،

(١) رَقِي (من الرِّقَّة: الحنوّ، العطف). رق: أصبح رقيقاً (نحيل الجسم). الدنف: الهلاك (الموت). شفاء = شفاؤه. الحوة (بالضم): السرة (في الثفاء).

(٢) الوسن: النوم. وسن (وسنك = نومك مطمئنة غافلة عني) نفى (منع) وسني (نومي) أنا، لأنني معذب بمحبك الساهي (الغافل) كليل (مثل ليل) الساهك: الرمد (يفتح فكسر)، الذي أصابه مرض في عينيه.

(٣) الطل: المطر الخفيف، قطرات من الماء تتجمع في الليل على ورق النجر. - لما انتبهت أنت من النوم، تفتحت الأزهار.

(٤) المشغوف: المحب الذي وصل الحب إلى شغاف (غلاف) قلبه فأمرضه. أردد التأوه من هجرك منذ زمن طويل. تحكيني (تشبيني، تقلدني) ترجع (ترديد، تكرار) آهك (قولك: آه). - ؟.

(٥) أنضاري = يا أنضاري (زهر شباني) التي كانت لي قديماً. أنضب: جفف. اشتعل المشيب: عم المشيب رأسي. - راق: صفا. أمواه جمع ماء. - ؟.

(٦) حلك (ظلام). المفارق جمع مفرق: مكان فرق الشعر في الرأس. قد تنفس صبحه (ظهر فيه الشيب). الكرى: النوم. استعماه = العمه (يفتح ففتح): العمى: الغفلة.

يستبد هونك للنسيب، فشرقي  
 قاضي الشريعة والمقيم منارها  
 يا نفس، إني قد نَقَهْتُ من الغنى،  
 هذا الجواد بما حوى أمناءه في  
 يسخو بما يُوعى، ويظني ما يعي،  
 دارت رَحَى الأزمات تبغي جاره  
 أم القرى، قد جارَ مَنْ أم القرى  
 ناسبت غُرَّتَه وبيت نسيبه  
 يا فكرة بدَّهت بأبدع ملحمة،  
 بشريف مكة مُنتَج استبداهك<sup>(١)</sup>،  
 حيث المَقامُ وحيثُ بَيَتْ إلهك<sup>(٢)</sup>.  
 ولقد غَنَيْتُ اليومَ باستِنَاقِهاك<sup>(٣)</sup>.  
 إفقارِ كيسِ المالِ أو إرْهافِك<sup>(٤)</sup>.  
 كم بينَ كَنزِ نَفْسِه ونِفاهِك<sup>(٥)</sup>.  
 فأجارُهُ مِنْ كُلِّ داءٍ داهِك<sup>(٦)</sup>.  
 بِنِفاءِ بُذْنِك كُلِّها وبِشاهِك<sup>(٧)</sup>.  
 فأعدَّتْ «ليس البدرُ من أشباهك»<sup>(٨)</sup>.  
 ما أقربَ الإبداعَ من إبداهك<sup>(٩)</sup>!

- (١) يستبد هونك للنسيب (يطلبون منك أن تقولي بديهة - بغير استعداد - نسيباً)، فلا تضعي وقتك وجهودك بقول النسيب، بل امدحي بهذه البديهة شريف مكة.... شريف مكة: حاكمها، الوالي عليها. المنتج (مبنياً للمفعول: المنتج، المولود).
- (٢) منارها: مفعول به من «المقيم». المقام: مقام إبراهيم (قرب الكعبة). بيت الله: الكعبة.
- (٣) نقه الرجل من المرض (شفي منه). نقه من الغنى (اقتقر). استنقاهك، يا نفسي أنا.... (.... الذي يريد أن يشفيني من الفقر).
- (٤) أمناءه (يقصد: أمنيته، مراده) أرفاهك (أن يجعل لك، يا نفسي، رفاهية: سعة من العيش الناعم).
- (٥) يسخو: يجود. أوعى الشيء يوعيه (وضعه في وعاء، حفظه) - يجود بكل ما يملك. يظني (؟). يعي: يحفظ، يجمع (من المال). - يرى أن جمع المال من غير اتقافه على المستحقين ظلم (؟). كم بين كنز نفيسة ونفاهاك: كل مال (مها يقل) يحطك، يا نفسي، ناقهه من فقرك (غنية).
- (٦) الأزمة: الشدة، الضيقة (الفقر). الرحى (بالألف الطويلة أو بالألف المقصورة): الطاحون. دارت الرحا (اشتدت الحال على الإنسان).
- الدهاك: الطاحن (الغني، الشديد).
- (٧) أم القرى (منادى): يا أم القرى (مكة). جار: استجار. من «أم» (قصد) القرى (بالكسر): الضيافة. القناء (بالكسر): الباحة. البدن (بالضم) جمع بدنة (بفتح ففتح): الحيوان الذي يساق لبذبح في موسم الحج في مكة. الشاه = الشاء جمع شاة. - من استجار بك (يا مكة) استحق كل عطية (؟).
- (٨) أردت أن أمدح وضاعة وجهه في شعر. فأعدت: رجعت، عجزت (؟) فرددت الكلام الذي قلته أنت في مطلع قصيدتك: «ليس البدر من أشباهك». - لم أقبل أن أشبهه بالبدر، لأن البدر لا يشبهه (؟).
- (٩) فاجأتني فكرة معارضة قصيدة نجم الدين الطبري، بأبدع ملحمة (تطرفاً). في الأصل: الإبداع بعد «ما» المتعجبية. لعلّ جمل «ما» حرف نفي والإبداع فاعلاً أصح. لم يصل إبداعي (مقدرتي في الشعر) إلى مستوى الفكرة التي خطرت لي (وهذا ملموح في البيت التالي).

عَرَضَتْهَا لِمَعَارِضٍ لَمْ يَحْكُمَهَا. أَنَّى، وَقَدْ لَزِمَتْ قَوَائِمَهَا « هك » (١).

٤-★★ الوافي بالوفيات ٣: ٣٧٥-٣٧٨، راجع ١: ٢٢٩؛ الكنية. الكامنة ٨٨-٩٠؛ بغية الوعاة ٦٠، شذرات ٦: ٢٦٥؛ درة الحجال ٢: ٣٠٣-٣٠٥؛ نفح الطيب ٤: ٣٣٧-٣٣٦.

## أبو العلاء بن سماك (٢)

١- هو أبو العلاء محمد بن محمد بن سماك بن عبد الحق بن سماك العامليُّ الغرناطيُّ، سَمِعَ من أبي الحسن بن أبي العيش وأبي عبد الله بن الفَخَّار وأبي عبد الله بن بكرٍ وأبي القاسم بن جُزَيٍّ، وكتب في الدار السلطانية (في غرناطة). ثم كانت وفاته في المحرم من سنة ٧٥٠ (مطلع الربيع من عام ١٣٤٩ م).

٢- كان أبو العلاء بن سماكٍ بارعاً في الأدب شاعراً مُكثراً، فيما يبدو، يَغلبُ على شعره المدحُ ووصفُ الحربِ وأشياء من التأمل والحكمة مع نفحة صوفية. وبرع في علم العروض. ثم كانت له مشاركة في علم السياسة. وكذلك كان مُصنفاً له: الزَّهَرَاتُ المنشورة في نُكْتِ الأخبارِ المأثورة - الدرُّ الثمين في مناهج الملوك والسلاطين - رونق التعبير في حُكْمِ السياسة والتدبير.

## ٣- مختارات من شعره

- قال أبو العلاء بن سماكٍ في الوحدة والأنصافِ إلى العلم والإفادة بالعلم:

مُنَايَ من الدُّنْيَا كِتَابٌ وَخُلُوعٌ أَكُونُ بِهَا بِاللهِ ثُمَّ مَعَ اللهِ (٣)؛

(١) لم يحكمها: لم يستطع أن يأتي بما يحاكمها (يشبهها). أنَّى؟ كيف؟ إنَّ القافية « هك » أمر صعب.

(٢) سماك (غير محلاة باللام وغير مضبوطة بالشكل فيما لدي من الكتب). وأبو العلاء بن سماك هذا هو غير أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الجياني المعروف بابن السماك (ت ٦٤٠ هـ) وكان أيضاً شاعراً (القدح المملئ ١٣٤؛ نفح الطيب ٣: ٣١٤-٣١٥).

(٣) الخلوة (بالنفس): الوحدة (بالكسر). بالله ومع الله (هنا) من تعابير الصوفية: في حال أسبغها الله عليّ ثم متصلاً بالله (شيئاً واحداً مع الله).

وأشُرُّ من ذاك الكتابِ معارفاً لِكُلِّ مُنِيبٍ لِلْمُهَيِّمِينَ أَوَّاهٍ<sup>(١)</sup>.  
- وقال أبو العلاء بن سماك يدحُ السلطان ويذكرُ استردادَ حصنِ كان الإسبانُ قدِ  
أَسْتَوَلُوا عليه (الكتيبة الكامنة ١٩٩):

فَتَحْ تَلْقَى النَّصْرُ مِنْهُ تَحِيَّةً      مِنْ لَفْظِهَا مَاءُ الْبِشَاشَةِ يَقْطُرُ  
فَتَحَتْ سُيُوفُكَ كَرِّيْكَوْلَ، وَإِنَّهُ      فِي الْفَتْحِ عُنْوَانٌ لِمَا هُوَ أَكْبَرُ  
ثَغْرٌ عَلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ طَلِيعَةٌ،      فَلَهُ عَلَى كُلِّ الْبَسِيطَةِ مَظْهَرٌ<sup>(٢)</sup>.  
يَرْنُو إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ كَأَنَّهُ      لِحَظٍّ يُضْمُّ عَلَيْهِ مِنْهَا مَخْجَرٌ<sup>(٣)</sup>.  
مَا أَنْ يَشُنَّ الْكُفْرُ يَوْمًا غَارَةً      إِلَّا وَبِالْمَغْوَارِ مِنْهُ مَنَذَرٌ<sup>(٤)</sup>.  
صَعِدَ الْعُدَاةُ عَلَيْهِ أَمْنَعَ مَعْقِلٍ      مُتَمَثِّلِينَ بِأَنَّهُ لَا يُحْصَرُ<sup>(٥)</sup>.  
فَسَمَتْ جُيُوشُكَ مِنْهُ أَعْلَى شَاهِقٍ      يَرْتَدُّ عَنْهُ الطَّرْفُ وَهُوَ مُحَيَّرٌ<sup>(٦)</sup>.  
فِي رَأْسِ سَنْ لَا تُغَامُ سَمَاوُهُ،      مِنْ دُونِهِ قَطْرُ الْغَمَامِ الْمُمْطَرُ<sup>(٧)</sup>.  
فَكَأَنَّ هَرْمِسَ بَثَّ حِكْمَتَهُ بِهِ،      وَأَدَقَّ فِيهِ فِكْرُهُ الْإِسْكَندَرُ<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) أَوَّاه: كثير التضرُّع والدعاء. المنيب (الراجع إلى الله: التائب). المهيم من أسماء الله الحسنى.  
(٢) الثغر: المكان يخشى منه عجز العدو. الأرض الفضاء: الواسعة. طليعة: مقدمة من الجيش ترأب  
تحرك العدو. البسيطة: الأرض (الكرة الأرضية). مظهر: إشراف أو نظر من مكان مرتفع (ظهر فلان  
البيت: صعد إلى ظهره أو سطحه).  
(٣) يرنو: ينظر. الحجر: التجويف الذي تستقر فيه العين.  
(٤) المغوار: المقاتل الكثير الغارات على أعدائه. منذر (بالبناء للمجهول؟): يأتي العدو بالنبأ السيئ. كلبا  
شَنَّ الإسبان غارة وقعت عليهم (من هذا المغوار) هزيمة.  
(٥) المعقل (الحصن) النبع (الذي ينجز المهاجم عن الوصول إليه). متمثلين (أو متخيلين). يحصر (يمكن  
إقامة طوق من الحصار حوله).  
(٦) الطرف: البصر.  
(٧) السن: المكان المرتفع (؟) كَسَّ الرمح (؟). في الحاشية (شق). لا تغام سماؤه: لا يصل الغيم إلى أعلاه.  
المطر (بالبناء للمعلوم؟) - الغيوم التي تمطر تكون تحته.  
(٨) هرمس اسم لعدد من الأشخاص الخرافيين. هرمس هنا هو هرمس الأول الذي استخرج بفكره جميع  
علوم الأقدمين. بَثَّ: نشر. به (؟). الإسكندر (الافروديسي) فيلسوف قديم كان بارعاً في العلوم  
الحكيمة، وقد فسّر (شرح) أكثر كتب أرسطوطاليس

فَضَفَا مِنَ النَّقْعِ الْمَثَارَ عَلَيْهِمْ بُرْدٌ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ مُجَبَّرٌ<sup>(١)</sup>.  
 فَاسْتَنْزَلُوا مُسْتَسْلِمِينَ، وَرَبَّيَا أَعْيَا الْحِمَاةَ حُلُولٌ مَا لَا يُقَدَّرُ<sup>(٢)</sup>.  
 أَلْقُوا يَدَ الْإِذْعَانِ خِيفَةً هَلِكِهِمْ، وَضُلُوعُهُمْ تَنْدَقُ أَوْ تَنْفَطِرُ<sup>(٣)</sup>.

٤-★★ الكتيبة الكامنة ١٩٨-٢٠٠؛ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ١٧٨ (رقم ٤٨٢)- (القاهرة) ٤: ٤٩٥-٢٩٦ (رقم ٤٣٤)؛ الأعلام للزركلي (٧: ٣٦).

### ابن ليون التجيبي

١- هو أبو عثمان سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبي<sup>(٤)</sup> أصله من لورقة ومولده سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) في المريّة، وفيها قضى حياته كلها لم يُغادرها قط. وتصدّر فيها للتدريس. وكانت وفاته بالطاعون، في رابع عشر جُمادى الآخرة من سنة ٧٥٠ (١٣٤٦/٨/٤١ م).

٢- كان ابن ليون التجيبي مشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة: في الطبّ (وكان طبيباً ماهراً) وفي الحكمة (الفلسفة) والفقه والفرائض (تقسيم الإرث) والمساحة (الهندسة المستوية) والعروض. وقد كانت له قدرة على النظم يتناول الآراء المختلفة فينظمها في مقطّعات (من البيتين والثلاثة): يقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن شعر الشعراء ومن الأقوال الشائعة. وشعره واضح المعاني سهل التركيب ينوء أحياناً كثيرة

(١) ضفا: امتدّ (فوق رؤوس الأعداء). النقع (بالفتح): غبار الحرب. بُرد: ثوب من حرير. مجبر: مزين، منمّق.

(٢) استنزل الخصم خصمه من الحصن (أجبره على النزول). أعياء الحماة (مفعول به مقدّم) ما لا يقدر (بالبناء للمجهول) المعنى الملموح: إن حاة الحصن (من الإيبان) قد أعياهم (أنعمهم، أعجزهم) حلول (البقاء في الحصن) لأن الله لم يقدر (لم يشأ) لهم ذلك.

(٣) الإذعان: الخضوع. ألقوا (بفتح القاف) يد الإذعان: استسلموا وخضعوا. الهلك (بالضم): الهلاك. اندقّ (أصبح دقيقاً أو طحيناً). تنفطر: تشقّق، تقطّع (من الخوف؟).

(٤) هو غير سعد بن أحمد التجيبي الجونديّ الجبّاني (لمحو ٦٦٢- رابع شعبان ٧٢٢) أحد شيوخ الشورى والفتيا (نيل الابتهاج ١٢٤-١٢٥).

بأشياء من الضَّعْف (في النَّحْو وفي الوزن)، ولا تكادُ تَلَمَحُ له ابتكاراً، وكثيرٌ من معانيه مُكرَّرٌ في مقطَّعاتٍ عديدةٍ. ثمَّ هو مُكثِّرٌ اختارَ له المقرئُ ما ملأ به أكثرَ من خمسين صفحةً من «نفع الطيب».

وابنُ ليونَ التَّجِييُّ مُصَنِّفٌ مُكثِّرٌ له ثلاثون كتاباً (وقيل: مائة كتاب)، منها: أُنْدَاءُ الدَّيْمِ في الوصايا والمواعظ والحكم (انتهى من تأليفه في منتصف شعبان من سنة ٧٣١) - الأبياتُ المهذبة في المعاني المقرَّبة - نُصح (نصائح؟) الأحباب وصحاح الآداب - العُمدة في علوم الإسناد (الحديث الشريف) - إبداء الملاحاة وإنهاء الرَّجَاحَة في أصولِ صِناعة الفِلاحة (رجز) - كتابٌ في الهندسة - كتابٌ في الفِلاحة - كمالُ الحافظ وجمالُ الالفاظ في الحكم والوصايا والمواعظ.

واختصرَ ابنُ ليونَ التَّجِييُّ عدداً من الكتب منها: لَمَحُ السَّحَرِ في رُوحِ الشَّعْرِ (لحمَدِ بنِ أحمدَ بنِ الجَلَّابِ الفِهْرِيِّ - أتمَّ اختصارَه سنة ٧٣٩ هـ) - بُغْيَةُ المَوَاسِ من «هَجَّةِ المَجالسِ وأنسِ المَجالسِ» (لابنِ عبدِ البرِّ) - المَرتبَةُ العُلَيَّا (لابنِ رشادٍ القَفْصِيِّ) - النُّخبَةُ العُلَيَّا من «أدبِ الدين والدنيا» (لأبي الحسن الماوردي) - الإِنالَةُ العِلْمِيَّةُ «من رسالة في أحوال فقراء الصوفية المتجرِّدين» (لعليِّ بن عبد الله الششتري).

### ٣ - مختارات من شعره

- من مقطَّعاته في الأدب (الحكمة):

★ شرُّ إخوانك من لا	تهتدي فيسه سبيلا:
يُظهِرُ الودَّ ويُخفي	مكرُّه داءٌ دَخِيلاً؛
يَتَّقِي مِنْكَ اتِّقَاءً	وهو يُؤَلِّيكَ الجميلاً!
★ لَنْ لِمَنْ تَخْشَى أَذَاهُ	وَالْقَهْ فِي بَابِ دَارِهِ.
إِذَا الدُّنْيَا مُدارا	عُ؛ فَمَنْ تَخْشَاهُ دَارِهِ!
★ إِذَا كَانَتْ عُيُوبُكَ عِنْدَ نَقْدٍ	تُعَسِّدُ، فَأَنْتَ أَجْدَرُ بِالْكَمَالِ.
مَتَى سَلِمْتَ مِنَ النَّقْدِ الْبَرَايَا؟	وَحَسْبُكَ مَا تُشَاهِدُ فِي الْهِلَالِ!

★ سَكْرُ الْوَلَايَةِ مَا لَهُ صَخَوٌ،  
 يَهْذِي الْفَقِي أَيَّامَ عِزَّتِهَا،  
 فَحَذَارٍ، لَا تَفْرُزْكَ صَوْلَتُهَا  
 ★ خَلَّ رَأْيَ الْجَهَالِ مَا اسْتَطَعَتْ وَاتَّبَعَ  
 رَأْيَ أَهْلِ الصَّلَاحِ نَوْرٌ يُجَلِّي  
 ★ زَمَنُ الْفَضَائِلِ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ،  
 رَكَدَتْ رِيَّاحُ الْجِدِّ بَعْدَ هُبُوبِهَا،  
 هَيْهَاتَ، مَا زَمَنُ الْكِرَامِ وَمَا هُمْ؟  
 ★ لَا تَقْبَلِ الْحُكْمَ عَلَى بَلَدَةٍ  
 رِيَاسَةُ الْمَرْءِ عَلَى الْأَهْلِ وَالِ  
 ★ تَغَافَلَ فِي الْأُمُورِ وَلَا تُنَاقِشْ  
 مُنَاقِشَةُ الْفَقِي تَجْنِي عَلَيْهِ  
 ★ جَرَّبَ النَّاسَ مَا اسْتَطَعَتْ تَجِدُهُمْ  
 فَالسَّعِيدُ السَّعِيدُ مِنْ أَخَذَ الْعَفْ  
 ★ أَرْحَ النَّفْسَ تَتَنَفَّعَ بِحَيَاتِكَ  
 وَأَطْرَحَ عَيْنَ مَنْ سِوَاكَ، وَسَالِمٌ  
 وَاعْتَبِرَ بِالَّذِينَ بَادَوْا، وَبَادِرْ

وَكَلَامُهَا وَحِرَاكُهَا زَهُوٌ.  
 فَإِذَا تَقَضَّتْ نَابَهُ شَجَوٌ<sup>(١)</sup>.  
 وَزَمَانُهَا، فَثُبُوتُهَا مَخَوٌ<sup>(٢)</sup>!  
 رَأْيَ أَهْلِ الْحُلُومِ وَالتَّجْرِبِ.  
 ظُلْمَةُ الْكَرْبِ فِي لِيَالِي الْخُطُوبِ.  
 وَلَوَى بِطَيْبِ الْعَيْشِ وَشَكُّ رَحِيلِهِ<sup>(٣)</sup>.  
 وَعَلَا قَرِيقُ الْهَزْلِ بَعْدَ خُمُولِهِ<sup>(٤)</sup>.  
 ذَهَبُوا؛ وَجَدَّ الدَّهْرُ فِي تَحْوِيلِهِ.  
 نَشَأَتْ فِيهَا؛ إِنَّهُ يُحَقِّدُ!  
 جَيْرَانَ وَالْخِلَانَ لَا تُحَمِّدُ.  
 فَيَقْطَعُكَ الْقَرِيبُ وَذُو الْمَوَدَّةِ.  
 وَتُبْدِلُهُ مِنَ الرَّاحَاتِ شِدَّةَ.  
 لَا يَرَى الشَّخْصُ مِنْهُمْ غَيْرَ نَفْسِهِ.  
 وَوَدَّارَى جَمِيعَ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ<sup>(٥)</sup>.  
 وَأَغْنَمَ الْعَيْشَ قَبْلَ يَوْمِ وَفَاتِكَ.  
 جُمْلَةُ النَّاسِ يَغْفُلُوا عَنْ أَذَاتِكَ<sup>(٦)</sup>.  
 مَا يُدَانِيكَ مِنْ سَبِيلِ نَجَاتِكَ

(١) نابه: أصابه. شجوا: حزن.

(٢) ... لَا يَفْرُكُ (بفتح الراء) مَا تَعْطِيهِ الدُّنْيَا مِنْ صَوْلَةٍ (سلطة). الثبوت والهو (من اصطلاحات الصوفية). الثبوت (هنا - في المعنى اللغوي): وجود السلطة في يدك (في الدنيا). مخو: ذهاب لشخصيتك (الهو - عند الصوفية - أَنْ يَتَلَاشَى وَجُودَ الْإِنْسَانِ وَيَبْقَى وَجُودُ اللَّهِ).

(٣) وشك: قرب.

(٤) ركد: هدا، سكن.

(٥) العفو (هنا): مَا يَفْضُلُ عَنِ الْبَاسِ (لَا تَزَاحِمُ أَحَدًا عَلَى مَغْنَمٍ مِنْ مَغَانِمِ الدُّنْيَا، وَاقْنَعْ بِمَا يَتَرَكُونَهُ تَمَّا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ).

(٦) «من» (زائدة، زادها الشاعر لإقامة الوزن). أطرح: ترك، أزاح عن عاتقه.

- ٤-★★ الكتيبة الكامنة ٨٦-٨٧؛ نيل الابتهاج ١٢٣-١٢٤؛ درة المجال ٢؛  
 ٤٦٧-٤٧٠؛ نفع الطيب ٥: ٥٤٣-٦٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة  
 الأولى) ٤: ٨٥٥؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٨٠، الأعلام للزركلي ٣: ١٣٢  
 (٨٣-٨٤).

## محمد البدري

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد البدري الأندلسي، قرأ على أبي جعفر بن الزيات  
 وعلى آبن الكماد، وأخذ أصول الدين وأصول الفقه (؟) والنحو عن أبي عمر بن منظور  
 ولازمه. وقد حج، ويبدو أنه - وهو في طريق ذهابه أو إياه - قد أخذ الفقه عن أبي  
 عبد الله بن عبد السلام في تونس. ثم إنه عاد إلى الأندلس وأقرأ في بلده بلش. وكانت  
 وفاته سنة ٧٥٠ للهجرة (١٣٤٩ م).

٢- كان أبو عبد الله محمد البدري حسن التلاوة للقرآن الكريم، جيد المعرفة بالفقه  
 وبأصول الدين وخطيباً بليغاً حسن الوعظ. وكذلك كان شاعراً مجيداً رقيقاً غزلاً.

## ٣- مختارات من شعره

- قال أبو عبد الله محمد البدري في النسيب (نيل الابتهاج ٢٤٩):

خالٌ . على خدك أم عنبرٌ      ولؤلؤ ثغرُك أم جوهرٌ<sup>(١)</sup> ؟  
 أوريت نار الحبّ (بي) في الحشا،      فصارت النارُ به تُسعرُ<sup>(٢)</sup> .  
 لو جُدت لي منك برشفِ اللّمي،      لقلّستُ: خمرٌ عسلٌ سُكّرُ<sup>(٣)</sup> .  
 دغنيَ في الحبّ أذبٌ لوعةً،      سفكُ دمِ العاشقِ لا يُنكرُ .

- ٤-★★ نيل الابتهاج ٢٤٨-٢٤٩؛ عنوان الأريب ١: ١٠٢-١٠٣ .

(١) العنبر: طيب أسود اللون. الجوهر (هنا): اللؤلؤ أيضاً.

(٢) البيت في الأصل: نار الحبّ في الحشا فصارت الناس.... تُسعر (بالبناء للمجهول): تُوقد، تُشعل.

(٣) اللّمي: سُرّة التفاه (كناية عن الريق).



## ابن المربع

١- هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزديّ الغرناطيّ، وُلد في بَلَشَ قرب مَالَقَة، قضى حياته يتطوّف في الأندلس وفي المغرب يتقرّب من الحكام بُنية التكبّب منهم. ولكنه لم ينل حظوة ولا شهرة - لا في المغرب ولا في الأندلس نفسها. وكانت وفاته في بَلَشَ بالطاعون، سنة ٧٥٠ (١٣٥٠ م).

٢- كان ابن المربع من طبقة متوسطة في النثرين والشعراء كثير الهجاء، وهو يمثل الطريقة الساسانية في الأندلس (الاستجداء بالأدب). وليس في شعره براعة خاصة إلا في رثائه لديك. وقد رثى والدَ ابن الخطيب وأخاه بعد استشادهما في وقعة طريف (سنة ٧٤١) ثم مدح ابن الخطيب نفسه (سنة ٧٤٩). وأبرز آثاره «مقامة العيد» (عبد الأضحى).

### ٣- مختارات من آثاره

- من مقامة العيد لأبي محمد الأزديّ بن المربع:  
يقولُ شاكِرُ الأيادي وذاكِرُ فخرِ كل ناد وناثر غررِ الفررِ للعاكفِ والبادي والرائحِ والغادي<sup>(١)</sup>: اسمعوا مِنِّي حديثاً تَلَذُّهُ الأسماعُ ويستطرفه الاستماعُ ويشهدُ بحُسْنِهِ الإجماعُ، وهو من الأحاديث التي لم تتفق إلا لمثلي ولا ذُكِرت عن أحدٍ قبلي. وذلك - يا معشرَ الألفاء والخُلصاء والأحياء - أُنِي دخلت في هذه الأيام داري في بعض أدواري لأقضي من أخذ الغداء أو طاري على حسب أطواري. فقالت لي رَبَّة البيت: لِمَ جِئْتَ وَلِمَ أَتَيْتَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ لكذا وكذا، فما الغداء؟ قالت: لا غذا عندي اليومَ ولو أودى بِكَ<sup>(٢)</sup> الصومُ، حتى تسَل الاستخارة وتفعلُ كما فعلَ زوجُ الجارة طيّبَ الله نجاره

(١) شاكِر الأيادي (الْمُثْنِي على الذين أنعموا عليه)، والمقصود به هنا «الراوي» الذي يروي المقامة عن المجلس الذي يرد ذكرها فيه. الغرة: البياض في الجبهة، العمل الجميل. ناثر غرر الفرر: ناشر ذكر الأعمال الجميلة. العاكف: القائم في بلده (المدينة). البادي (الساكن في البادية). الرائح: الراجع في المساء. الغادي: المذهب (المبكر) في الصباح.

(٢) أودى بك: أهلكك. الصوم: (هنا) الجوع. الاستخارة: طلب خير ما في الأشياء. تسَل الاستخاره (٢).

وملاً بالأرزاق وجاره<sup>(١)</sup>. قلت: وما فعل؟... قالت: إنه قد فكّر في العيد ونظر في أسباب التعييد وفعل في ذلك ما يَسْتَحْسِنُه القريب والبعيد. وأنت قد نَسِيتَ ذِكْرَه ومَحْوَتَه من بالك ولم تنظرْ إليه نظرةً بعينِ اهتبالك. وعيد الأضحى في اليد<sup>(٢)</sup> والنظر في شراء الأضحى (اليوم) أوفق من الغد.....

فلم يَسْعَني إلّا أن عَدَوْتُ أطوفُ السُّكَّكَ والشوارع وأبادرَ لِمَا عَدَوْتُ بسيله وأسارع، وأجوب الآفاق وأسأل الرفاق، واخترق الأسواق واقتحم زريبةً بعد زريبة واختبر منها البعيدة والقريبة. فما استرخصته استنقصته، وما استغليته استغليته<sup>(٣)</sup>..... حتى انقضى ثلثا يومي وقد عَيَّيتُ بدوراني وصومي.... فأومأت<sup>(٤)</sup> للإياب وأنا أجدُ من خوفها<sup>(٥)</sup> ما يجد صغار الغنم من الذئب، إلى أن مررتُ بقصّاب في مَجْزَرَةٍ وقد شدَّ في وسطه مِئْزَرَه..... وبين يديه عِزٌّ قد شدَّ يَدَيْهِ في رَوْقِهِ<sup>(٦)</sup>، وهو يَجْذِبُه فيبرِّك، ويجرّه فلا يتحرّك، ويرومُ سِيره فيَرْجِعُ القَهْقَرَى ويمود إلى ورا، وهو يقول: آه له من جانِ باغٍ وشيطان طاغٍ<sup>(٧)</sup>.....

فقلت للقصّاب: كم طلبك فيه على أن تُمَهِّلَ الثمن حتى أُوفِّيه. قال: ابغني أجيراً وكُنْ له الآن من الذبح مُجِيراً<sup>(٨)</sup>. وخذه بما يُرضى لأولي التقضي.... ابتغته مني نسيّةً وخذه هديةً<sup>(٩)</sup>.... وقال: تضمن لي فيه عشرين كباراً أقبضها منك لانقضاء الحَوْل

(١) النَجَّار: الأصل. الوجار: بيت الثعلب، (هنا) البيت عموماً.

(٢) الاهتبال: أنتهاز الفرصة، التمسك بالشئ. في اليد: قريب.

(٣) ما وجدته رخيص الثمن كان ناقصاً في عيني (لا يليق، لا يكفي) وما كان غالي الثمن كان عالياً (جيداً أو فوق طاقتي).

(٤) عي: تعب. أوماً: أشار.

(٥) الإياب: الرجوع (إلى البيت). من خوفها (من الخوف من ربة الدار: من امرأة).

(٦) المَجْزَرَة: مكان المَجْزَر (ذبح الغنم الخ). المِئْزَرَة - والمِئْزَرَة: ثوب قصير يشدُّ على وسط البدن. العِز: الأُشْي من المِز (المقصود هنا: تيس) ذكر المِز، أو الماعز (وتقال للذكر وللأنثى). الروق: القرن. شد يديه إلى روقه: قيده ليمنعه من الهرب.

(٧) الجاني: المذنب. الباغي: الظالم. الطاغى: الذي جاوز الحدَّ في كل شيء.

(٨) (المللوح): استأجر رجلاً يذبحه الآن.

(٩) التقضي: الفناء والاقطاع - المقصود: أُولي التفاضي: أصحاب الديون، الدائون. خذ بما يرضى أُولي =

ديناراً ديناراً<sup>(١)</sup>.....

فجلبني للابتياح منه الإنشاء في الأمد<sup>(٢)</sup>.... فقال: قد بعتك لك فاقبض متاعك  
وها هو في قبضك فاشدّد وثاقه وهلمّ لنعقد عليه الوثاقة<sup>(٣)</sup>. فاحدثت معه إلى دكان  
التوثيق وابتدرت من السعة إلى الضيق<sup>(٤)</sup>. وأوثقتني بالشهادة تحت عقد وثيق وحلني  
من ركوب الدين ولحاق الشين في أوعر طريق. ثم قال لي: هذا تيسك فشأنك وإيّاها وما  
أظنك إلا تنهّاه<sup>(٥)</sup>. وآت بحمالين أربعة فإنك لا تقدّر أن ترفعه، ولا يتأتى لك أن  
يتبعك ولا أن تتبعه.....

[وأفلت التيس من الحمال وغاب عن النظر فجعل شاكر الأيادي يطلبه فلقيه  
رجل غاضب يقول]:

إن عَزَّكَ حين شرد خرج مثل الأسد وأوقع الرَّهَج<sup>(٦)</sup> في البلد، وأضرَّ بكل  
أحد. ودخل دهليزَ الفخّارة فقام فيه وقعد. وكان العمل فيه مطبوخاً ونيئاً<sup>(٧)</sup> فلم  
يترك منه شيئاً. ومنه كانت معيشتي، وبه استقامت عيشتي، فأنت ضامنٌ مالي، فارتفع  
معي للوالي.... ورجلٌ (آخر) يقول (هلمّ إلى) المحتسب<sup>(٨)</sup>، و (أنا) أعرف ما نكسبُ

- 
- = التناضي (بشن أعلى من الثمن المدفوع تقدماً). نسيّة (بشن مؤجلاً). خذه هدية (خذه الآن من غير أن  
تدفع مالاً فكانه هدية) - هذا التعبير موجود بشقيه في المقامة المصيرية لبديع الزمان الهمذاني.
- (١) كباراً: (دنانير) كبيرة، وافية، راجحة. الحول: العام. لانقضاء الحول (بعد عام واحد).
- (٢) الإنشاء: التأجيل. الأمد: مدة الدفع.
- (٣) الوثاق: الرباط. الوثاقة: التسجيل عند الكاتب العدل.
- (٤) آبتدرت من السعة إلى الضيق: أسرع من السعة (أخذ عز بلا مال) إلى الضيق (كثرة التضيق علي  
بالمشروط).
- (٥) الشين: العيب = اللجوء إلى الدين (يفتح الدال). الوعر: المكان الصلب الخيف (الطريق التي يصعب  
سلوكها). تنهّاه = تنهّأ له: تستطيع السيطرة عليه.
- (٦) الرهج (بفتح الهاء أو بسكونها): الثقب.
- (٧) العمل: (يقصد) المصنوعات (من الفخار) - ما طبخ طينه فأصبح فخّاراً قاسياً، وما زال نيئاً لم يطبخ  
بعد.
- (٨) ارتفع معي للوالي: أذهب معي إلى الحاكم. المحتسب: مفتش متبرع أو موظف ينظر في أحوال السوق وما  
يقع فيها من الضرر أو الإساءة الخ.

وإلى مَنْ تَتَسَبُّ وقد كَثُرَ عِنْدَهُ <sup>(١)</sup> بِكَ التَّشْكِي، وصاحب الدَّهْلِيزِ قَبالته يَبْكِي. وقد أمر بِإِحْضَارِكَ، وهو بِانتِظَارِكَ.... ثم أَمْسَكْنِي بِالْيَمِينِ حَتَّى أَوْصِلَنِي إِلَى الْأَمِينِ. وقال لي: أَرْسَلْتَ التَّيْسَ لِلْفَسَادِ كَأَنَّكَ فِي نِعْمِ اللَّهِ مِنَ الْحَسَادِ <sup>(٢)</sup>. قُلْتُ: إِنَّهُ شَرْدٌ، وَلَمْ أُذِرْ حَيْثُ وَرَدَ <sup>(٣)</sup>. قَالَ: قَدْ أُمِنْتَ إِنْ ضَمِنْتَ، وَعَلَيْكَ الثَّقَافُ.... حَتَّى يَقَعَ الْإِنْصَافُ أَوْ ضَامِنٌ كَافٍ <sup>(٤)</sup>. فَابْتَدَرَ أَحَدُ إِخْوَانِي وَبَعْضِ جِيرَانِي فَأَدَّى عَنِّي مَا ظَهَرَ بِالتَّقْدِيرِ، وَأَلَتْ الْحَالُ لِلتَّكْدِيرِ <sup>(٥)</sup>.....

وَتَوَجَّهْتُ لِدَارِي وَقَدْ تَقَدَّمْتُ أَخْبَارِي. وَقَدِمْتُ بُغْبَارِي وَتَغِيرٍ <sup>(٦)</sup> صَغَارِي وَكِبَارِي. وَالتَّيْسُ عَلَى كَاهِلِ الْحِمَالِ يَرْغُو كَالْبَعِيرِ وَيَزَارُ كَأَسَدٍ إِذَا فَصَلَتْ الْعِيرُ <sup>(٧)</sup>. فَقُلْتُ لِلْحِمَالِ: أَنْزِلْهُ عَلَى مَهْلٍ فَالتَّعْيِيدُ قَدْ اسْتَهْلَ. فَحِينَ طَرَحَهُ فِي الْأُسْطُوَانِ <sup>(٨)</sup> كَرَّ إِلَى الْعِدْوَانِ وَصَرَخَ كَالشَّيْطَانِ. وَهَمَّ أَنْ يَقْفِرَ الْحَيْطَانِ. وَعَلَا فَوْقَ الْجِدَارِ وَأَقَامَ الرَّهْجَةَ فِي الدَّارِ. وَلَمْ تَبْقَ فِي الزَّقَاقِ عَجُوزٌ إِلَّا وَصَلَتْ لَتْرَاهُ وَتَسْأَلُ عَمَّا اعْتَرَاهُ وَتَقُولُ بِكُمْ اشْتَرَاهُ. وَالْأَوْلَادُ قَدْ أَرْهَقَهُمْ لَهْفُهُ <sup>(٩)</sup> وَدَخَلَ قُلُوبَهُمْ خَوْفُهُ.

فَابْتَدَرْتُ رَبَّةَ الدَّارِ وَقَالَتْ: كَيْتَ وَكِتَ، لَا خَلَّ وَلَا زَيْتَ، وَلَا حَيٍّ وَلَا مَيِّتَ. وَلَا مَوْسَمَ وَلَا عَيْدَ، وَلَا قَرِيبَ وَلَا بَعِيدَ. سُقَّتِ الْعِيرُ إِلَى الْمَنْزِلِ.... وَمَتَى تَفْرَحَ

- 
- (١) اعرف ما تكسب (اعرف مقدار دخلك) وإلى من تتسب (ومكانتك في البلد) - أي أنت قادر على الدفع وتحاف أن يشيع عنك التمتع عن الدفع. عنده (عند الوالي).
- (٢) كانت في نعم الله من الحساد: كأنك تحسد أصحاب الأموال فتريد إتلاف ما يملكون.
- (٣) ورد: (هنا) ذهب.
- (٤) عليك الثقاف إلى أن يقع الإنصاف: ستقيد يداك بالحديد حتى تدفع ما يرضي الخصم. أو ضامن كاف: أو تأتي بضامن قادر على الدفع الآن.
- (٥) آل: رجع. التكدير: الكدر والحزن.
- (٦) تعير (كذا بالأصل).
- (٧) العير: القافلة فيها الجمال والحمل والحمير الخ. فصلت: خرجت من البلد (داخل السور) وأصبحت في الطريق (في البادية - قرية من الوحوش الضارية المفترسة).
- (٨) العيد قد استهل: ثبتت رؤية هلاله (هنا: أعلن وقته). الأسطوان: دهليز قائم سقفه على أعمدة (٤).
- (٩) الرهجة (٤): الصياح والفتنة.
- (١٠) أرهقهم: (حملهم فوق ما يطيقون) لهفه: الخوف منه - كثر خوفهم منه.

زوجتك والعزُّ أضحيتك. ومتى تطبخ القدور وولَّدك مغدور<sup>(١)</sup>؟ ... والله، لو كان العزُّ يُخرجُ الكنز، ما عمَّرَ لي داراً ولا قرَّبَ لي جواراً. أخرجُ عني، يا لكُعُ: فعل الله بك وضع! وما حبَّسك عن الكِباش السَّان والضَّان<sup>(٢)</sup> الرقيقة الأثمان؟ يا قليلَ التحصيل، يا مَنْ لا يعرف الخياطةَ ولا التفصيل.....

٤- \*\* ..... (ذهبت مِنِّي المصادر التي أخذت منها هذه الترجمة). دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٩١.

## ابن هذيل الغرناطيّ

١- هو أبو زكريّا يحيى بنُ أحمد بن إبراهيم بن هُذيل التُّجيبِيّ الغرناطيّ، كان كثيرَ الابتعاد عن الناس، لا اشتغاله بعلوم الأوائل<sup>(٣)</sup> ولميله إلى الاعتزال<sup>(٤)</sup>، ممّا كان مكروهاً جدّاً في المغرب والأندلس. ولعلّه اعتُقلَ مُدَّةً من أجل ذلك (راجع نفح الطيب ٥: ٤٩٣). وفي أواخر أيامه خدَمَ السلطان<sup>(٥)</sup> بطبّه وقام بإقراء الأصول والفرائض والطّب. وفي آخر عمره فُلجَ ثم تُوُفِّيَ في ٢٥ من ذي القعدة من سنة ٧٥٣ (١٣٥٣/١/٢ م).

٢- كان ابنُ هُذيل الغرناطيّ عارفاً بعلومِ التعاليم<sup>(٦)</sup> وبعلومِ القدماء كما كان

(١) العزُّ أضحيتك!: تضحي عنزاً والأفضل أن تضحي ضاناً (خروفاً). ولدك مغدور: مصاب بأذى من التيس (١).

(٢) اللكع: اللثيم، الأحق. الكبش: الذكر من الضأن.

(٣) علوم الأوائل أو علوم القدماء هي العلوم الفلسفية كالمنطق وعلم ما وراء الطبيعة (البحث في الأسباب والوجود والنفس والآخرّة).

(٤) الاعتزال، في تاريخ الفكر الإسلامي، حركة ترمي إلى تفسير مظاهر الوجود المادّيّة والمدارك الروحية تفسيراً عقلياً وإلى تحكيم العقل حتّى في ما لم يجز تحكيم العقل فيه (كالمقائد الدينية مثلاً).

(٥) المفروض أنّه سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل (٧٣٣-٧٥٥ هـ).

(٦) علوم التعاليم هي العلوم التي تجري في الأعداد: الحساب والجبر والهندسة والفلك والموسيقى ثمّ الطبيعيات (الفيزياء) والكيمياء.

مُتَزَلِّيًا يَقُولُ بَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْدِرُ عَلَى غَيْرِ الْمُمْكِنَاتِ وَلَا يَعْلَمُ الْجُزْئِيَّاتِ<sup>(١)</sup>. وَكَانَ فَقِيهًا كَبِيرًا وَطَبِيبًا مَشْهُورًا وَأَدِيبًا شَاعِرًا لَهُ مَدْحٌ وَغَزَلٌ وَشُكُوى وَعِتَابٌ، وَقَدْ جَمَعَ جَانِبًا مِنْ شِعْرِهِ فِي دِيْوَانٍ وَسَمَّاهُ «السُّلَيْمَانِيَّاتِ وَالْعَزْفِيَّاتِ»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ ابْنُ هَذِيلِ الْغُرْنَاطِيُّ فِي النَّسِيبِ:

نَامَ طِفْلُ النَّبْتِ فِي حِجْرِ النَّعَامِي	لَا هَتَازَ الظِّلِّ فِي مَهْدِ الْخُزَامِي <sup>(٣)</sup> .
وَسَقَى الْوَسْمِيَّ أَغْصَانَ النَّقَا	فَهَوَتْ تَلْتُمُ أَفْوَاهَ النَّدَامِي <sup>(٤)</sup> .
كَحَلَ الْفَجْرُ لَهَا جَفْنَ الدُّجَى	وَعَدَا فِي وَجْنَةِ الصُّبْحِ لِنَامَا <sup>(٥)</sup> .
تَحَسَّبُ الْبَدْرَ مُحْيَا ثَمَلٍ	قَدْ سَقَتْهُ رَاحَةُ الصُّبْحِ مُدَامَا <sup>(٦)</sup> .
يَا عَلِيلَ الرُّوحِ، رِفْقًا: عَلَنِي	أَشْفٍ، بِالسُّقْمِ الَّذِي حُزْتُ، سَقَامَا <sup>(٧)</sup> .
أُبْلِغَنَّ عَنِّي عُرْيَا بِالْحِمَى	هِنْتُ فِي أَرْضٍ بِهَا حَلَوَا غَرَامَا <sup>(٨)</sup> .
كَتُّ أَشْفِي غَلَّةً مِنْ طَيْفِكُمْ	لَوْ أَذِتُّمْ لِحُفُونِي أَنْ تَنَامَا <sup>(٩)</sup> .

- وَقَالَ يَمْدَحُ السُّلْطَانَ أَبَا الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ فَرَجٍ لَمَّا هَاجَمَ حُصْنَ أَشْكَرَ، سَنَةِ

- (١) فِي الْمَتَزَلَّةِ نَفَرٌ يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمُسْتَحِيلَاتِ (عَلَى مَخَالِفَةِ الْقَوَانِينِ الَّتِي وَضَعَهَا هُوَ فِي الْوُجُودِ: لَا يَسْتَطِيعُ عَمَلُ الشَّرِّ، وَلَا جَعْلُ الصَّخْرِ يَطْفُو عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، أَيْ أَنَّهُمْ يَنْكُرُونَ الْمَعْجَزَاتِ). وَكَذَلِكَ هُنَالِكَ نَفَرٌ مِنْهُمْ (وَمِنْ الْفَلَاسِفَةِ) يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْكَلْبَاتِ (أَيَ قَوَانِينِ الْوُجُودِ وَمَا يَحْدُثُ مِنْ جُرْيَانِ تِلْكَ الْقَوَانِينِ)، وَلَكِنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْحَوَادِثَ الْجُزْئِيَّةَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْعَالَمِ.
- (٢) السُّلَيْمَانِيَّاتِ: نِسْبَةٌ إِلَى سُلَيْمَانَ (غُلَامٌ كَانَ الشَّاعِرُ يُشَبِّبُ بِهِ). وَالْعَزْفِيَّاتِ (نَفْحُ الطَّيْبِ ٥: ٤٨٨) أَوْ الْعَرِيَّاتِ (الْكُتَيْبَةُ الْكَامِنَةُ ٧٤) وَالْعَرْفِيَّاتِ (الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَلِيِّ ٩: ١٦٣) - لَمْ أُعْثَرْ عَلَى تَفْسِيرِهَا.
- (٣) الْحَجَرُ (بِالْكَسْرِ): الْقَرَابَةُ، الْكَفَّةُ، الْوَقَايَةُ. النَّعَامِي: رِيحُ الْجَنُوبِ. الْخُزَامِي: نَبْتُ طَيْبِ الرَّائِحَةِ.
- (٤) الْوَسْمِي: مَطَرُ الرَّيْبِ. النَّقَا: الرَّمْلُ الْأَبْيَضُ.
- (٥) .....
- (٦) مُحْيَا: وَجْهٌ. ثَمَلٌ: شَوَانٌ سَكْرَانٌ. الْمَدَامُ: الْخَمْرُ. تَحَسَّبُ الْبَدْرُ إِلَخَ (تَشَبَّعَ فِيهِ حَمْرَةٌ مِنْ فَعْلِ الْخَمْرِ!).
- (٧) عَلَنِي: اسْقَنِي (مَنْ رَيْبُكَ) قَلِيلًا بَعْدَ قَلِيلٍ. السُّقْمُ الطَّبِيعِيُّ (فِي الْحُبُوبِ): الرِّقَّةُ وَالنَّحُولُ مِنْ عِلَامَاتِ الْجَهْلِ. - سَقَامُكَ يَشْفِي مَرْضِيَّ مِنْ حَبِّكَ<sup>(٥)</sup>.
- (٨) الْعَرِيبُ: تَصْغِيرُ لِلتَّحَبُّبِ. الْحِمَى: مَسْكَنُ الْعَرَبِ (الْأَصْلِي).
- (٩) الْغَلَّةُ: الْعَطَشُ. الطَّيْفُ: النَّامُ.

٧٢٤ هـ، ورماء بالنفطِ فَنَزَلَ أَهْلُ ذَلِكَ الْحِصْنِ عَلَى حُكْمِهِ (أطاعوه):

بَحِثْتُ الْبُنُودَ الْحُمْرُ وَالْأَسَدُ الْوَرْدُ      كَتَابْتُ سُكَّانَ السَّمَاءِ لَهَا جُنْدُ<sup>(١)</sup>.  
عَسَاكِرُ مَلِكٍ شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَهُ،      فَيَّانَ فِي إِقْدَامِهَا السَّهْلُ وَالنَّجْدُ<sup>(٢)</sup>.  
وَتَحَسَّبُ نَوْرَ الصَّدَقِ وَالْعَزَمِ دَائِمًا      سِرَاجًا مِنَ التَّقْوَى بِأُزْرِهِمْ يِيدُو<sup>(٣)</sup>.  
هَمُّ الْقَوْمِ رُهْبَانٌ إِذَا لَبَسُوا الدُّجَى؛      وَإِنْ لَبَسُوا حَرًّا الْهِيَاجِ فَهُمْ أَسَدُ<sup>(٤)</sup>.  
حَذُوا حَذَّ سُلْطَانٍ عَلَى الشَّرْعِ عَاطِفٍ      رَفِيقِي بِهِمْ حَانٍ، إِذَا عَظُمَ الْجَهْدُ<sup>(٥)</sup>.  
وَتَحْتَ لَوَاءِ الشَّرْعِ مَلِكٌ هُوَ الْهُدَى      تَضَيَّقُ بِهِ الدُّنْيَا إِذَا رَاحَ أَوْ يَغْدُو.  
فَلَوْ رَأَى إِدْرَاكَ النُّجُومِ لَنَالَهَا      لَوْ هُمْ لَأَنْقَادَتْ لَهُ السُّنْدُ وَالْهِنْدُ.

ومنها يصف فعل آلة النفط ويتكلم على أهل الحصن:

وظَنُّوا بِأَنَّ الرَّعْدَ وَالصَّعْقَ فِي السَّمَاءِ      فَحَاقَ بِهِمْ مِنْ دُونِهَا الصَّعْقُ وَالرَّعْدُ<sup>(٦)</sup>.  
عَجَائِبُ أَشْكَالٍ سَمَا هَرَمِسٌ بِهَا      مُهَنْدَسَةٌ تَأْتِي الْجِبَالَ فَتَنْهَدُ<sup>(٧)</sup>.  
أَلَا إِنَّهَا الدُّنْيَا تُرِيكَ عَجَائِبًا؛      وَمَا فِي الْقُوَى مِنْهَا فَلَا بُدَّ أَنْ يِيدُو<sup>(٨)</sup>.

- حَدَّثَ الشَّيْخُ أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ هُدَيْلٍ فَقَالَ (الإحاطة ١: ٢٨٦):

- (١) سُكَّانُ السَّمَاءِ: الملائكة. جند (هنا): مساعدون.
- (٢) النجد: المرتفع من الأرض (يقصد: الصعبة المرتقى).
- (٣) الأزر جمع إزار: ثوب للقسم الأسفل من الجسم (هم أتقياء بطبيعتهم).
- (٤) فِي اللَّيْلِ يَصْلَوْنَ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ فِي حَرِّ الْهِيَاجِ (الحرب) يحاربون بشجاعة.
- (٥) حَذَا حَذْوَهُ: صنع مثل صنيعه. حان: ذو حنو. الجهد: التعب، المشقة، شدة الزمان.
- (٦) الصعق: نزول الصواعق. حاق: أحاط. من دونها (من تحت السماء: من الأرض).
- (٧) هَرَمِسٌ (في الخرافات اليونانية): رسول الآلهة (في الفلك): عطارد (أقرب الكواكب إلى الشمس) وهَرَمِسُ الثَّلَاثِ الْعَظْمَةِ أَوْ الثَّلَاثِ بِالْحِكْمَةِ ابْنُ زُفْسٍ (زوس أو جوبيتر أو المشتري) كبير آلهة اليونان. وكان هَرَمِسٌ هذا حَكِيمًا فِي بَابِلَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ وَعَرَفَ صِنْعَةَ الْكِيمْيَاءِ وَغَيْرَهَا.
- (٨) «وما في القوى إلخ» مدرك فلسفي: كل شاط يكون أولًا بالقوة (كامنًا) ثم يصير بالفعل (ظاهرًا): النار في الحطب والفحم وعود الثقاب (الكبريت) موجودة في هذه الأشياء بالقوة، فإذا نحن أوقدنا هذه الأشياء صارت النار التي كانت كامنة من قبل في هذه الأشياء ظاهرة فعلًا.

حَضَرَتْ بِمَجْلِسِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ <sup>(١)</sup> - وَأَبُو الْعَبَّاسِ بَدْرُ هَالَتِهِ <sup>(٢)</sup> وَقُطِبُ جَلَالَتِهِ <sup>(٣)</sup> - فَلَمْ يُجَزَّ بِشَيْءٍ إِلَّا رَكُضَ فِيهِ وَتَكَلَّمَ بِمَلَأَةٍ فِيهِ <sup>(٤)</sup>. ثُمَّ قُمْنَا إِلَى زَبَّارَيْنِ <sup>(٥)</sup> يُصْلِحُونَ شَجَرَةَ عِنَبٍ، فَقَالَ لِمَرِيْفِهِمْ: حَقٌّ هَذَا أَنْ يُقَصَّرَ (ثُمَّ) يُطَالَ هَذَا، وَيُعْمَلَ كَذَا. فَقَالَ الْوَزِيرُ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، مَا تَرَكْتَ لِهَؤُلَاءِ أَيْضاً حِطّاً مِنْ صِنَاعَتِهِمْ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ أَجْراً. فَعَجِبْنَا مِنْ آسِخْصَارِهِ وَوَسَاعَةِ ذَرْعِهِ وَامْتِدَادِ حِطِّ كِفَايَتِهِ.

٤-★★ الدرر الكامنة ٤: ٤١٢؛ الكتيبة الكامنة ٧٣-٨٠؛ ثبیر فرائد الجمان ٣٢٠-٣٢٣؛ الإحاطة، راجع ١: ٣٥، ٥٣، ٢١٢-٢١٣، ٢٨٦، ٣٩٩؛ نفح الطيب ٣: ٥٣٥٧، ٩٧، ١٢٧، ٤٨٧-٤٩٧، ٦٠٥، الأعلام للزركلي ٩: ١٦٣ (٨: ١٣٦)؛ معجم المؤلفين للكحالة ١٣: ١٨٢-١٨٣.

### أبو عبد الله بن جُزَيِّ الكلبي

١- آل جُزَيِّ بَيْتٌ شَهُورٌ فِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ بَرَزَ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ. مِنْ هَؤُلَاءِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْكَلْبِيِّ الْغَرْنَاطِي، وُلِدَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٢١ (خريف ١٣٢١ م) فِي غَرْنَاطَةِ. نَبَغَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جُزَيِّ بَاكراً وَبَرَعَ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فَاتَّخَذَهُ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةِ أَبُو الْحَجَّاجِ يَوْسُفُ بْنُ الْأَحْمَرِ (٧٣٣-٧٥٥ هـ) كَاتِباً ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ فَرَحَلَ، نَحْوَ سَنَةِ

- (١) أبو عبد الله بن الحكيم الرندي (ت ٧٠٨ هـ)، راجع ترجمته في هذا الجزء.
- (٢) هو أبو العباس أحمد بن عرفة اللخمي (ت ٧٠٧ هـ). الحالة دائرة منيرة تحيط بالقمر (وبغيره). بدر هالته: أعظم أهل دولته المحيطين به. القطب: محور تدور عليه الأشياء (كالأرض والرحا: الطاحون، الخ).
- (٣) لم يمر (يبحث) في شيء إلا ركض فيه (بحث فيه أحسن من جميع الحاضرين) وتكلم بملء فيه (بملء فمه، وبالتفصيل وبثقة بالنفس).
- (٤) الزَّبارون: جماعة من المعتنقين بأمر البساتين يأتون إليها في أواخر الشتاء فيزبرون (بضم الباء) أطراف الأغصان (أي يقطعون أشياء من رؤوس الأغصان) مما يكون قد يسس في أثناء الشتاء.
- (٥) الذرع (هنا): القدرة (في المعرفة بالأمور المختلفة).



٧٥٣ هـ (١٣٥٢ م)، إلى المغرب وسكن فاس<sup>(١)</sup> ونال حظوة عند السلطان أبي عنان فارس. وكانت وفاته في الأغلب في ٢٩ من شوال سنة ٧٥٧ (١٣٥٦/١٠/٢٥ م) شاباً بعد مَرَضٍ، في فاس.

٢- كان أبو عبد الله بن جزيّ مُلماً بفنون كثيرة من الحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ والحساب، كما كان كاتباً مجيداً وشاعراً بارعاً مولعاً بالصناعة وخصوصاً التورية. وأكثر شعره المديح والغزل على الأسلوب القديم في المعاني العذرية خاصة. ثم هو مُصنّف كُتُب تَرْجَمَة لنفسه، وله كتاب «الأنوار في نسب النبي المختار». وعليه أملى ابن بطوطة رحلته (تحفة النظار). ومن المقول أن يكون قد أَسْبَغَ على هذا «الإملاء» شيئاً من أسلوبه وبراعته. وله باعٌ طويلة في الصناعة، كتب رسالة سينية (في كل كلمة من كلماتها سين).

### ٣- مختارات من آثاره

- قال أبو عبد الله بن جزيّ في النسيب:

مَتَى يَتَلَقَى شَائِقٌ وَمَشُوقٌ وَيُصْبِحُ عَانِي الْحُبِّ وَهُوَ طَلِيقٌ<sup>(٢)</sup>  
أَمَّا إِنَّهَا أُمْنِيَّةٌ عَزَّ نَيْلُهَا

وَمَرَمَى - لَعَمْرِي - فِي الرَّجَالِ سَحِيقٌ<sup>(٣)</sup>!

وقد يُرْزَقُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِ بَأْسِهِ؛ وَرَوْضُ الرُّمَى بَعْدَ الذُّبُولِ يَرُوقُ<sup>(٤)</sup>.

تَبَاعَدْتُ لَمَّا زَادَنِي الْقُرْبُ لَوْعَةً، لَعَلَّ فُؤَادِي مِنْ جَوَاهُ يُفِيقُ<sup>(٥)</sup>،

وَرُمْتُ شِفَاءَ الدَّاءِ بِالدَّاءِ مِثْلَهُ؛ فَإِنِّي بَالَا أَسْتَفِي لَحَقِيقُ !

(١) في الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ، ص ١٩٤-١٩٥): «اتصل بنا خبر وفاته بفاس مبطوناً في أوائل

(سنة) ثمان وخسين وسبعائة، ثم تحققت أن ذلك في أوائل ربيع الأول من ذلك العام».

(٢) الشائق: الذي يدعو الآخرين إلى حبه. المشوق: الحب. العاني: الأسير.

(٣) عزّ نيلها: صعب الحصول عليها. مرمى: هدف. سحيق: بعيد.

(٤) يروق: يصبح منظره جميلاً.

(٥) اللوعة: حرقه في القلب من حبٍّ أو مرض. الجوى: شدة الحب وحرقة.

- وقال في التورية:

يقولون لي: أصبحت بالآس مولعاً! فقلتُ: وهل في حُبِّي الآس من بأسٍ (١)  
ألم تعلموا أنّ الهوى قد أعلّني؛ وكيف ترى شوقَ العليلِ إلى الآسي (٢)؟  
★ وغزالٍ له جفونٌ مراضٌ تَبَعْتُ الوجدَ في قلوبِ الصّحاحِ (٣).  
غرّني لحظُهُ، وقد قيل: شاكٍ! فإذا هم يَغنون شاكِي السّلاحِ

- وكتب أبو عبد الله بن جُزَيّ إلى أمير المؤمنين المتوكّل على الله أبي عِنانٍ فارسٍ يُهْنئُهُ بشفاء ولده أبي زَبَّانَ مُحَمَّدٍ وَضَمَّنَ هذه التهنئةَ عدداً كبيراً من أسماء الكتب (أسماء الكتب محصورة بين أهلة):

ماذا عسى (أدبُ الكتاب) يُوَضِّح من (١)

خِصَالٍ مَجْدُك وهي (الزاهر) (الزاهي).

وما الفصيح بـ (كليات) (موعب)ها (كاف) فيأتي بـ (أنباء) و (إنباه).

أبقى الله تعالى مولانا الخليفةَ ولِسعادته (القُدح المَعْلَى)، و (لِزاهر) (كمال)ه (التاج

(١) المولع: المغمم. الآس نبات مستقيم العروق قاسي الورق طيب الرائحة.

(٢) أعلّني: أمرضني. الآسي: الطبيب.

(٣) الوجد: الحب. شاكٍ: مريض. شاكِي السلاح: متقلّد جميع سلاحه (استعداداً للقتال).

(٤) هنالك عدد من هذه الكتب لم أهتمد إليها (الزاهي، الموعب، الميقات)؛ ثم هنالك كتب في أسائها

«أشترك» والإشارة إليها في هذا النص تدلّ على عدد من الكتب (الزاهر، الأنباء، الكمال، نزّه الناطر، القصد والأمم، الايضاح، الإرشاد، شفاء الصدور، الملخص). أمّا سائر هذه الكتب فمعروف:

أدب الكتاب (لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى نحو ٣٣٦ هـ)، فصيح اللغة (لتعجب المتوفى سنة

٢٩٩ هـ)، إنباه الرواة على أنباء النحاة (لمعلّي بن يوسف القفطي المتوفى ٦٤٦ هـ)، التاج المَعْلَى في

مساجلة القُدح المَعْلَى (لسان الدين بن الخطيب المتوفى ٧٧٦ هـ)، المثل السائر في أدب الكتاب

والشاعر لأبي الفتح بن الأثير المتوفى ٦٣٧ هـ)، العقد المنظّم للحكّام فيما يجري بين أيديهم من العقود

والأحكام (لأبي محمد عبد الله بن عبد الله بن سلمون الكتّاني المتوفى ٧٦٧ هـ)، إحياء علوم الدين لأبي

حامد الغزاليّ المتوفى ٥٠٥ هـ)، منهاج العابدين (للغزاليّ أيضاً)، تنبيه الغافلين (لأبي الليث السمرقندي

المتوفى ٣٧٥ هـ)، مطمح الأنفس ومسرح التآس في ملح أهل الأندلس (للفتح بن خاقان الأندلسي

المتوفى ٥٢٩ هـ)، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الاندلس (لان عميرة الضبيّ المتوفى ٥٩٩ هـ)،

أدب الدنيا والدين (لأبي الحسن المارودي المتوفى ٤٥٠ هـ)، سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي المتوفى

٥٢٠ هـ). والكتب التي لم تذكر هنا معروفة لمؤلفين متأخرين في الزمن.

المحلّي). تجلّى من حلاه (نزهة الناظر) ويسير بعلاه (المثل السائر)، ويتّسق من سناه (العقد المنظّم) ويتّضح بها (القصد الأمّ)<sup>(١)</sup>. ولا زالت (هدايت) ه مُتَكَفِّلَةً بـ (إحياء علوم الدين) و (إيضاح) (منهاج العابدين) و (إرشاد) ه يتولّى (تنبيه الغافلين) ويأتي من (شفاء الصدور) بـ (النور المبين) و (ميقات) الخدمة ببابه (مطمح الأنفس) و (ملخص) الجود من كفه (بغية الملتمس). قد حكم (أدب الدنيا والدين) بأنك (سراج الملوك).....

٤-★★ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ١٦٥، الكتيبة الكامنة ٢٢٣-٢٢٨؛ الإحاطة ٢: ١٨٦-١٩٥؛ أزهار الرياض ٣: ١٨٩-٢٠٤؛ نفح الطيب ٢: ١٧٠-١٧١، ٥: ٥٢٦-٥٣٦، ٥٣٩-٥٣٨، ٧: ١٠٧-١٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٥٦؛ بروكلمن (في ترجمة ابن بطّوطة) ٢: ٣٣٣، الملحق ٢: ٣٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٦ (٣٧).

### المَقَرِّي الجَدّ\*

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي الأصل التلمساني المولد، ثم اشتهر فيما بعد بالمَقَرِّي، نسبةً إلى مَقَرَّة، بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة (نفح الطيب ٥: ٢٠٥، السطر الثالث)، إحدى قرى زاب بإفريقية أو الزاب (وفيات الأعيان ١: ٣٦٠)- مزاب أو ميزاب، في جنوبي القطر الجزائري.

وُلِدَ المَقَرِّي الجَدُّ في أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان (٧٠٧-٧١٨ هـ)، ولم يشأ أن يُعَيِّن السَّنة التي وُلِدَ فيها (نفح الطيب ٥: ٢٠٦-٢٠٧).

عدّ المَقَرِّي الحفيد لجَدِّه خلقاً كثيراً من الشيوخ منهم أبو زيد عبد الرحمن

(١) ليس في بروكلمن (راجع فهرست الكتب) كتاب باسم «القصد الأمّ» (بفتح الهمزة والميم)، بل فيه: القصد والأمم - القصد الجليل... - القصد إلى الله إلخ - الأمم في آلتيات الظلم - الأمم لإيقاظ المهم.

(\*) جدّ المَقَرِّي أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ) صاحب «نفح الطيب».

(ت ٧٤١ هـ) بن محمد بن عبد الله بن الإمام وأخوه أبو موسى عيسى (ت نحو ٧٥٠ هـ) وأبو موسى عمران بن يوسف المشدالي ثم أبو إسحاق إبراهيم بن حكيم السلوي (قتل ٧٣٧ هـ) وأبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الجاصي (ت ٧٤١ هـ).

عَمِلَ المَقْرِيُّ فِي التِّجَارَةِ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالصَّحْرَاءِ وَالسُّودَانِ الْغَرْبِيِّ (جَنُوبَ المَغْرِبِ) يُتَاجَرُ بِالْبَضَائِعِ الثَّمِينَةِ، وَقَدْ وَرِثَ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ حَجَّ فِي سَنَةِ ٧٤٤ هـ (١٣٤٤ م) وَزَارَ الْقُدْسَ.

وَلَمَّا عَادَ المَقْرِيُّ إِلَى المَغْرِبِ اتَّصَلَ بِأَبِي عِنَانٍ فَارِسٍ بْنِ عَلِيٍّ فِي أَوَّلِ سَنَةِ مِنْ حُكْمِهِ، سَنَةِ ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) فَوَلَّاهُ أَبُو عِنَانٍ قَضَاءَ فَاسَ ثُمَّ أَصْبَحَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ (قَاضِي الْقَضَاءِ) فِيهَا وَخَطِيبَ جَامِعِهَا (جَامِعَ الْقُرَوَيْنِ). وَلَكِنْ يَدُو أَنَّ شَيْئًا مِنَ الْقُتُورِ نَشَأَ بَيْنَ أَبِي عِنَانٍ وَالمَقْرِيِّ فَعُزِلَ المَقْرِيُّ عَنِ الْقَضَاءِ وَبَقِيَ مَدَّةً بَعِيدًا عَنْ مَنَاصِبِ الدَّوْلَةِ.

وَفِي أَوَائِلِ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ٧٥٧ (حَزِيرَانَ - يُونِيهِ ١٣٥٦ م) كَانَ أَبُو عِنَانٍ قَدْ رَضِيَ عَنِ المَقْرِيِّ فَأَرْسَلَهُ فِي سِفَارَةٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ (لِإِزَالَةِ شَيْءٍ مِنَ الْخِلَافِ بَيْنَ بَنِي مَرْوَانَ فِي المَغْرِبِ وَبَنِي الْأَحْمَرِ فِي غَرْنَاطَةِ). وَلَكِنَّ المَقْرِيَّ - وَيَدُو أَنَّهُ كَانَ قَدْ بَدَأَ يَهْرُمُ فِي نَفْسِهِ وَفِي جِسْمِهِ - أَهْمَلَ السَّفَارَةَ وَمَكَثَ فِي مَالِقَةَ مُنْقَطِعًا إِلَى التَّأَمُّلِ وَالْعِبَادَةِ. وَبَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى أَبِي عِنَانٍ فَغَضِبَ وَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ جَمَاعَةً لِيَتَبَيَّنُوا مِنْ حَالِ المَقْرِيِّ. وَأَنْتَقَلَ المَقْرِيُّ إِلَى غَرْنَاطَةِ وَعَادَ بِجَامِعِهَا. ثُمَّ صَلَّحَ مَا بَيْنَ أَبِي عِنَانٍ وَالمَقْرِيِّ قَلِيلًا. وَفِي السَّنَةِ التَّالِيَةِ عَادَ المَقْرِيُّ إِلَى فَاسَ، وَلَكِنْ لَمْ يُعَمَّرْ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلًا، فَقَدْ تُوُفِّيَ سَنَةَ ٧٥٩ لِلْهِجْرَةِ (١٣٥٨ م)، كَمَا جَاءَ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٥ : ٢٨٠)، فِي فَاسَ، وَنُقِلَتْ جُثَّتُهُ إِلَى تِلْمَسَانَ.

٢- المَقْرِيُّ الْجَدُّ فَقِيهٌ عَالِمٌ وَأَدِيبٌ وَمُتَصَوِّفٌ. وَأَسْلُوبُهُ مُرْسَلٌ لَا تَكَلَّفَ فِيهِ قَائِمٌ عَلَى التَّفَكِيرِ وَالْمُنَاطِقِ. وَلِلْمَقْرِيِّ الْجَدُّ نَثْرٌ صَوْفِيٌّ وَشِعْرٌ صَوْفِيٌّ كَثِيرَانِ. غَيْرَ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى شِعْرِهِ جَفَافُ شِعْرِ الْعُلَمَاءِ وَقِلَّةُ الرُّوْنِقِ. وَلَهُ قَصِيدَةٌ تَائِيَّةٌ جَعَلَهَا تَبَعَةً، فِي زَعَمِهِ

لتائية ابن الفارض<sup>(١)</sup>. والواقع أنها محاكاة قاصرة لتائية ابن الفارض وترديدٌ لعددٍ من المدارك البسيطة في ألفاظٍ مختلفة. وليس فيها من عمقٍ مقاصد ابن الفارض شيء. والمقريّ الجدُّ مُصنّفٌ له من الكتب:

الحقائق والرقائق (أقوالٌ جامعة في التصوّف؛ راجع المختارات) - القواعد (وهو كتاب يشتمل على ألفٍ ومائتي قاعدةٍ فقهية) - كتاب يشتمل على أكثر من مائة مسألةٍ فقهية (وهو غير الكتاب السابق) - عملٌ من طبٍّ لمن حبّ<sup>(٢)</sup> (وهو كتاب مختلف الموضوعات فيه أحاديث حكمية ثم كليات، أي قواعد عامة، من الفقه) ثم قواعد وأصول (في الاعتقاد) ثم اصطلاحات وألفاظ - الطُرفُ والتَّحَفُ (أو التحف والطرف) - المحاضرات (وفيه فوائد وحكايات وإشارات تتعلّق بالتصوّف وبالتصوّفين) - اختصارُ المُحصِّل<sup>(٣)</sup> - شرح الجمل للخونجي<sup>(٤)</sup>.

### ٣ - مختارات من آثاره

- في نفع الطيب (٥ : ٣٢٨) عن المقريّ الجدُّ أنّه قال في وصفٍ تائية له : « هذه لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض<sup>(٥)</sup>، سلب الدهر من فرائدها مائة وسبعة وسبعين، فاستمّنت على ردّها بحول الله المعين ». من هذه الأبيات:

وشأنُ الهوى ما قد علمتُ، ولا تسَلْ؛ وحسبك - إن لم يُخبرِ الحبُّ - رُؤيتي :  
سقامٌ بلا بُرءٍ ، ضلالٌ بلا هدى ، أوامٌ بلا رِيٍّ، دَمٌ لا بِيْقِمة<sup>(٦)</sup>.  
ألا أيُّها اللّوامُ عني قوّضوا رِكابَ ملامي فهو أوّلُ مِخْنَتِي<sup>(٧)</sup>،

(١) راجع ٣ : ٥٢٠ من هذه السلسلة.

(٢) طبّ: داوى، وتأتي أيضاً بمعنى الرق (بالكسر) والحر.

(٣) « المحصل » لفخر الدين الرازي (٤).

(٤) محمد بن أناماور الخونجي (ت ٦٤٦ هـ)، له كتاب « الجمل » ( في ) .

(٥) العارض: المقبل على الشيء، التصدّي له. التائية الكبرى لابن الفارض (راجع ٣ : ٥٢٠).

(٦) أوام: عطش. دم لا بقيمة (إذا قتل، فليس لدمه قيمة: لا يطالب أحد بديته - بكسر الدال وفتح الياء بلا تشديد).

(٧) قوّض الرِكاب (٤) - يقصد ارتحل (اتركوا لومي).

ولا تَغْدِلُونِي فِي الْبُكَاءِ وَلَا الْبُكَى ،  
وَكَمْ مَوْقِفٍ لِي فِي الْهَوَى خُضْتُ دُونَهُ  
سَلِ السَّائِسِيلَ الْعَذْبَ عَنْ طَعْمِ رَيْقِهِ  
لَقَدْ عَزَّ عَنْكَ الصَّبْرُ حَتَّى كَأَنَّهُ  
وَأَنْتَ - وَإِنْ لَمْ تُبْقِ مِنِّي صُبَابَةً -  
وَكُلُّ فَصِيحٍ مِنْكَ يَسْرِي لِمَسْمَعِي ،  
تَهَوُّنٌ عَلَيَّ النَّفْسُ فِيكَ ، وَإِنَّهَا  
وَتُخَيِّرُ أَصْوَاتُ الْبَلَابِلِ أَنَّهَا  
وَفِي كُلِّ خَلْقٍ مِنْهُ كُلُّ عَجِيبَةٍ ،  
- وَلِلْمَقْرِيِّ الْجَدِّ آيَاتٌ فِي الْفَخْرِ  
الْغُمُوضُ - لَغَلَبَةِ الْخَيَالِ الصَّوْفِيِّ عِنْدَهُ) :

نَحْنُ - إِنْ تَسْأَلُنْ بِنَاسٍ - مَعْشَرٌ  
عَرَبٌ مِنْ بِيضِهِمْ أَرْزَاقُهُمْ ،  
عَرَضَتْ أَحْسَابُهُمْ أَرْوَاحُهُمْ  
أَوْرَثُونَا الْمَجْدَ حَتَّى إِنَّنَا  
أَهْلُ مَاءٍ فَجَرَّتْهُ الْهِمَمُ .  
وَمِنَ السُّمْرِ الطُّوَالِ الْخِيَمُ (٧) .  
دُونَ نَيْلِ الْعِرْضِ ، وَهُوَ الْكَرَمُ (٨) .  
نَرْتَضِي الْمَوْتَ وَلَا نَزْدَحِمُ (٩) .

- (١) العذل: اللوم. البكاء معروف. والبكى: البكاء والغناء (من الأضداد).
- (٢) الطبقى جمع طلبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف. السنان (بالكسر): نصل الرمح.
- (٣) - الماء العذب السائغ في الحلق أخذ عذوبته وحلاوته من ريق الحبوب.
- (٤) السراقة (٩). سارقة النظر: النظرة الحاطفة، السريمة.
- (٥) الصبابة: بقية الشيء (بقية الروح).
- (٦) أنا أكرم نفسي (أرفع مقامها) عن أن تنظر إلى غيرك. سواك (سوى الله).
- (٧) البيض: السيوف. السمر: الرماح. الخيم: الصفات، الأخلاق. - يحصلون عيشهم بجدّهم (بالكسر) وكذّهم وأخلاقتهم مستقيمة كالرماح.
- (٨) الحسب: العمل الكريم. نيل العرض: اعتداء أحد على أعراضهم. - نسبهم الشريف يحملهم على أن يدافعوا عنه (عن عرضهم)، ولو أن ذلك أدّى إلى موتهم (وهذا هو الكرم الصحيح).
- (٩) - تفضل أن نموت على أن نزاحم الناس على أعراض الدنيا (راجع البيت التالي).

ما لنا في الناس من ذنبٍ سوى أننا نلوي إذا ما اقتحموا<sup>(١)</sup>!

- للمقريّ الجدّ أقوالٌ صوفية في كتابه «الحقائق والرقائق» منها:

حقيقة: عَمِلَ قَوْمٌ عَلَى السَّوَابِقِ، وَعَمِلَ قَوْمٌ عَلَى اللَّوَاخِقِ<sup>(٢)</sup>. والصوفيُّ من لا ماضِي له ولا مُسْتَقْبَل؛ فَإِنْ كَانَ زُجَاجِيًّا فَبَخِرْ بَخْرَ رَقِيقَةٍ: من لم يَجِدْ أَلَمَ الْبُعْدِ لم يَجِدْ لَذَّةَ الْقُرْبِ. فَإِنَّ اللَّذَّةَ هِيَ التَّخَلُّصُ مِنَ الْأَلَمِ - حقيقة: العمل دواء القلب. وإذا كان الدواء لا يَصْلُحُ إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَى حِمِيَةِ الْبَدَنِ، فَكَذَلِكَ الْعَمَلُ لَا يَنْجَحُ إِلَّا بَعْدَ صَوْمِ النَّفْسِ: فَارِقْ نَفْسَكَ وَتَعَالَ - رقيقة: الزائد لك، وهو مكتوبٌ. والزائدُ عليك، وهو مسلوب<sup>(٣)</sup>. فَأَجْمِلْ فِي طَلَبِ الْمَضْمُونِ، وَلَا تُلْزِمْ نَفْسَكَ صَفَقَةَ الْمَغْبُونِ<sup>(٤)</sup> - رقيقة: قُمْتُ ببعضِ الْأَسْحَارِ عَلَى قَدَمٍ لِلِاسْتِغْفَارِ، وَقَدْ اسْتَشَعَرْتُ الصَّبَابَةَ وَاسْتَدَثَرْتُ بِالْكَأَبَةِ<sup>(٥)</sup>. فأملِ الْجَنَانَ عَلَى اللِّسَانِ بِمَا نَفَثَ فِي رُوعِهِ رُوحَ الْإِحْسَانِ:

مُنْكَسِرُ الْقَلْبِ بِالْجَنَائِيَا يدعوك، يَا مَانِحَ الْعَطَايَا<sup>(٦)</sup>.

أَقْعَدُهُ الذَّنْبُ عَنْ (رِفَاقٍ) حَثُوا لِرِضْوَانِكَ الْمَطَايَا<sup>(٧)</sup>.

ومنه، أَثَرُ حَقِيقَةٍ فِي شَأْنِ الْحَلَّاجِ، ثُمَّ قُلْتُ:

وَلَرَبِّ دَاعٍ لِلْجَمَالِ أَطَقْتُسُهُ وَأَبَى الْجَلَالَ عَلَيَّ أَنْ أَتَقَدَّمَا<sup>(٨)</sup>.

فَأَطَقْتُ بِالْعِصْيَانِ أَمْرَهَا مَعَا وَجَنَحْتُ لِلتَّسْلِيمِ (حَقِي) أَسْلَمَا<sup>(٩)</sup>.

(١) - إذا اقتحم الناس: هجموا (على غرض من أغراض الدنيا) فنحن نلوي (نلتفت، تنصرف) عنه. وهذا ذنبنا عند الناس (أنا جبناء).

(٢) - نصف الناس يفتخرون بأعمالهم الماضية، ونصفهم الآخر يعدون بأن يعملوا في المستقبل أعمالاً عظيمة.

(٣) الزائد عما تحتاج إليه من الطعام أو من غير الطعام «مسلوب» (ماخوذ منك)، ما دمت لا تستخدمه (تستهلكه)، فهو لم يترك.

(٤) حينما يتم البيع بين اثنين يقومان بصفقة (يضرب أحدهما بكفه كف الآخر). المغبون: الذي يدفع في سلعة أكثر من ثمنها (أو يأخذ أقل من ثمنها).

(٥) استشر: لبس الثمار (ثوباً يلبس ملاصقاً للبدن). استدثر: لبس الدثار (ثوباً يلبس فوق سائر الثياب).

(٦) الجنايا جمع جناية. مانح العطايا هو الله.

(٧) رفاقي الطامعون يطلبون رضاك. وأنا مذنب أخجل من أن أطلب رضاك.

(٨) - جماله يغريني بحبه، وجلاله (عظمته وهيبته) يمنني من أن أصرّح بحبي إياه.

(٩) فأطعت بالعصيان أمرها (لم أطع داعي الجمال): لم أحبه، ولم أطع هيبته: لم أدع (بفتح) ودال شديدة =

- إِنَّ عَمَلَ أَهْلِ قَرْطُبَةَ لَيْسَ حُجَّةً فِي الْقَضَاءِ وَالْقُتْيَا<sup>(١)</sup>:

جاء في نفع الطبيب (١: ٥٥٦-٥٥٧): واعلم أنه، لعظم أمر قَرْطُبَةَ، كان عملها حُجَّةً بِالْمَغْرِبِ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي الْأَحْكَامِ: «هَذَا مِمَّا جَرَى بِهِ عَمَلُ قَرْطُبَةَ». وكان المقرئُ الجَدُّ لَا يَرَى صِحَّةَ ذَلِكَ، فقال في كتابه «القواعد»:

وعلى هذا الشرطِ تَرْتَبُ إِجْبَابُ عَمَلِ الْقَضَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ، ثُمَّ آتَقْتَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ. فَبَيْنَا نَحْنُ نُنَازِعُ النَّاسَ فِي عَمَلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَنُصِيحِ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ<sup>(٢)</sup>، مَعَ كَثْرَةِ مَا نَزَلَ بِهَا مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ كَعَلِيِّ وَابْنِ مَسْعُودٍ<sup>(٣)</sup> وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا: «لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ»<sup>(٤)</sup>، سَنَحَ لَنَا (بغضُ المجهودِ ومودةُ التقليدِ):

اللَّهُ أَخَّرَ مُسَدِّقِي فَتَاخَرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِبًا!  
يَا لِلَّهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ. ذَهَبَتْ قَرْطُبَةُ وَأَهْلُهَا، وَلَمْ يَبْرَحْ مِنَ النَّاسِ جَهْلُهَا. مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَسْمَى فِي مَحْوِ الْحَقِّ فَيُنْسِيهِ، وَالباطلُ لَا زَالَ يُلْقِنُهُ وَيُلْقِيهِ<sup>(٥)</sup>. أَلَا نَرَى

---

= (مفتوحة) أَنِّي أَحَبُّهُ، وَسَلَّمْتُ أَمْرِي إِلَيْهِ (يفعل بي ما يشاء) حَتَّى أَسْلَمَ أَنَا: حَتَّى أُنْجُو (فَرَبِّهَا أَدْعَيْتُ حُبَّهُ فَلَمْ أَسْتَطِعِ الْوُصُولَ فَأَنْدَمُ أَنَا أَوْ أَكُونُ عِنْدَهُ عَاجِزاً أَوْ مُلَوِّماً).  
(١) كَانَ الْفُقَهَاءُ يَعُدُّونَ أَعْمَالَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَوَاعِدَ فِقْهِيَّةٍ، لِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشَ فِي الْمَدِينَةِ، وَلِأَنَّ كِبَارَ الصَّحَابَةِ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَلِأَنَّ الْمَدِينَةَ كَانَتْ عَاصِمَةَ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَبِمَا أَنَّ قَرْطُبَةَ كَانَتْ عَظِيمَةً الثَّانِ فِي السِّيَاسَةِ وَالْحَضَارَةِ، فَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَغْرِبِ يَعُدُّونَ مَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِهِ فِي قَرْطُبَةَ قَاعِدَةً صَحِيحَةً فِي فِقْهِ (المعاملات: البيع والشراء إلخ). وَكَانَ الْمَقْرِئُ الْجَدُّ لَا يَرَى هَذَا الرَّأْيَ.

- (٢) عَلَى هَذَا الشَّرْطِ: صِحَّةُ اتِّخَاذِ عَمَلِ أَهْلِ قَرْطُبَةَ حُجَّةً فِي الْفَقْهِ (في المعاملات).  
(٣) نَحْنُ نُنَازِعُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فِي ذَلِكَ (المَقْرِئُ الْجَدُّ لَا يَرِيدُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُصَدِّراً مِنْ مَصَادِرِ التَّشْرِيعِ). نُصِيحُ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ (نُعْتَفُ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَكُونَ عَمَلُ أَهْلِ بِلَدِهِمْ مُصَدِّراً لِلتَّشْرِيعِ) مَعَ كَثْرَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ فِيهَا، مِنْ أَمْثَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (ت ٣٢ هـ): مِنْ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمِنْ أَكْبَارِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، كَانَ خَادِماً لِلرَّسُولِ وَرَفِيقاً لَهُ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ.  
(٤) ائْطَرُ مِنْ بَيْتِ اللَّمْتَنِ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي مَطْلَعُهَا: أَجَابَ دَمْعِي، وَمَا الدَّاعِي سِوَى طُلُلٍ. التَّكْحُلُ: وَضْعُ الْكَحْلِ فِي جَفَوْنَ الْعَيْنَيْنِ. الْكَحْلُ: الْجَهَالُ الطَّبِيعِيُّ فِي الْعَيْنَيْنِ.  
(٥) يُلْقِنُ: يَعْطَمُ. يُلْقِي: يُعْمَلِي، يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى قَبُولِ الْآرَاءِ.



خِصَالَ الجَاهِلِيَّةِ كَالنِّيَاحَةِ وَالتَّفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ<sup>(١)</sup> وَالطَّعْنِ وَالتَّفْضِيلِ وَالكِهَانَةِ وَالنَّجْمِ  
وَالحِطِّ وَالتَّشَاوُمِ<sup>(٢)</sup> وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَأَسْمَاءُهَا كَالْعَتَمَةِ وَيَثْرِبُ<sup>(٣)</sup>. وَكَذَلِكَ التَّنَابُزُ  
بِالألقابِ<sup>(٤)</sup> وَغَيْرُهُ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ وَحُدِّرَ مِنْهُ؛ كَيْفَ لَمْ تَزَلْ مِنْ أَهْلِهَا وَآتَنَقَلْتُ إِلَى  
غَيْرِهِمْ<sup>(٥)</sup> مَعَ أَيْسَرِ أَمْرِهَا، حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يَرْفَعُونَ بِالدِّينِ رَأْسًا بَلْ يَجْعَلُونَ الْعَادَاتِ الْقَدِيمَةَ  
أُسًّا<sup>(٦)</sup>. وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ الشَّعْرِ وَالتَّلْحِينِ وَالنَّسَبِ \* وَمَا أَخْطَرَتْ فِي هَذَا السَّلَكِ ثَابِتَةُ الْمَوْعِ  
فِي الْقُلُوبِ<sup>(٧)</sup>. وَالشَّرْعُ فِينَا مُنْذُ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ وَسَبْعِ وَسْتِينَ سَنَةً لَا نَحْفَظُهُ إِلَّا قَوْلًا وَلَا  
نَحْمِلُهُ إِلَّا كَلًّا<sup>(٨)</sup>!

٤-★★ الإحاطة ٢: ١٣٦-١٦٥؛ المرقبة العليا ١٦٩-١٧٠؛ نيل الابتهاج ٢٤٩-٢٥٤؛  
شذرات الذهب ١٩٦: ٦ (في وفیات سنة ٧٦١ هـ)؛ نفح الطيب ١: ٥٥٦-٥٥٨،  
٥: ٢٠٣-٢٣٤، ٢٥٤-٣٥٠؛ م ع د ٤١: ٣١٣ (١٩٦٦ م) ثم (كانون  
الثاني - يناير ١٩٧١ م)، ص ٩٩-١٠٤ (مقالان بقلم عبد القادر زمامة)؛ الأعلام  
للزركلي ٧: ٢٦٦، ٢٧٠ (٣٧)؛ مجلة الأصالة (الجزائر) ٤: ٢٦، ص ١٤١، ١٨٧.

## أبو القاسم السبي الغرناطي

١- هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المعروف  
بالشريف الحسيني السبي مولداً ونشأة الغرناطي داراً (لطول سكناه في غرناطة).  
وُلِدَ أبو القاسم السبي في سَبْتَةِ في سَادِسِ ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٦٩٧

- 
- (١) التكاثر: الفخر بكثرة الأولاد أو بكثرة الأموال.
  - (٢) الحِطُّ (في الرمل ؟): التنجيم (٢).
  - (٣) العتمة (٢) ويثرب من أسماء المدينة المنورة في الجاهلية.
  - (٤) التنايز بالألقاب: دعوة الإنسان خصومه بالألقاب قبيحة.
  - (٥) تلك العادات السيئة لم تزل (بضم الزاي: تذهب) عن العرب، بل آتنتقلت منهم إلى غيرهم (البربر).
  - (٦) الأس: الأساس. \* لعلها «النسيب».
  - (٧) ثابتة الموقع في القلوب (محبوبة).
  - (٨) منذ سبعمائة سنة وسبع وستين سنة.... (يبدو أن المقرئ المجد قد قال هذه الجملة في أواخر حياته) سنة ٧٥٤ للهجرة: ٧٦٧-١٣ قضاها الرسول في مكة قبل الهجرة = ٧٥٤ (تاريخ وفاة المقرئ المجد) الكل (بافتح) الثقل (هو يلوم المسلمين في الأندلس في زمانه).

(٢٢/١/١٢٩٨ م). بدأ أخذ العلم عن أبيه وعن نفرٍ منهم: أبو إسحاق إبراهيم الغافقي (ت ٧١٦ هـ) وأبو عبد الله محمد بن رشيد السبتي (ت ٧٢١ هـ) وأبو عبد الله محمد بن هاني السبتي (ت ٧٣٣ هـ) وغيرهم.

رحل أبو القاسم السبتي إلى الأندلس في مطلع حياته وتصدّر للإقراء في مالقة واتّصل، في أثناء ذلك، برئيس الكتاب أبي الحسن الجيّاب<sup>(١)</sup> فكانت بينهما مراسلات ومخاطبات فداقة. ويبدو أنّ ابن الجيّاب أشار بانتقاله من مالقة إلى غرناطة وأنه أدخله في ديوان الإيثار. ثم إنّ أبا العباس السبتي تولّى الخطابة والقضاء في غرناطة. غير أنّه صُرف عن قضاء غرناطة، في شعبان من سنة ٧٤٧ لغير زلة. وقد تولّى القضاء في وادي آش<sup>(٢)</sup> ثم أُعيدَ وشيكاً إلى قضاء غرناطة وظلّ في هذا المنصب إلى حين وفاته، في ٢١ شعبان من سنة ٧٦٠<sup>(٣)</sup> (١٨/٦/١٣٥٩ م).

٢- كان أبو القاسم السبتي مُقدِّماً في عددٍ من فنون العلم والأدب: في التفسير والحديث والفقه والأحكام واللغة والنحو والبلاغة والعروض والتاريخ. وهو مُصنّفٌ له: رفع الحُجُب المستورة عن محاسن المقصورة (شرح مقصورة ابن حازم القرطاجني) - رياضة الأبي في شرح قصيدة الخزرجي (أرجوزة: الرامزة الشافية في علم العروض والقافية أو القصيدة الخزرجية لأبي عبد الله محمد بن عثمان الخزرجي من أحياء النصف الأوّل من القرن السابع للهجرة) - شرح تسهيل الفوائد (لابن مالك الطائي الجيّاني المتوفى سنة ٦٧٢ هـ) - جُهدُ المُقلّ (ديوان شعره) - وغير ذلك من الشروح. ثمّ هو ناثر مترسلٌ شاعرٌ من فنونه الوصف والغزل خاصّة والمدح.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال أبو القاسم السبتي الغرناطي يَصِفُ ساقيةً (ناعورة):

(١) انظر فوق، ص ٤٣٨.

(٢) وادي آش قرب غرناطة.

(٣) في نفع الطيب (٥: ١٩٧): وفاته سنة ٧٦١ هـ.

وَذَاتِ حَينٍ تَسْتَهْلُ دُمُوعُهَا      سِجَاماً إِذَا يَحْدُو رَكَائِبُهَا الْحَادِي<sup>(١)</sup>.  
تَعَجَّبْتُ أَنْ لَيْسَتْ تَرِيْمُ مَكَانَهَا،      وَلَمْ تَحُلْ مِنْ تَأْوِيْبِ سَيْرٍ وَإِسَادِ<sup>(٢)</sup>.  
وَأَرْصَدْتُهَا فِي الرَّوْضِ أَيْةَ عُدَّةٍ،      فَكَانَتْ لَدَفْعِ الْمَحَلِّ عَنْهُ بِمِرْصَادِ<sup>(٣)</sup>.  
تَخَالَفَ مَاءُ الْمُزْنِ حُكْماً وَمَاؤُهَا؛      وَكَلَّ عَلَى رَوْضِ الرَّهْمِيِّ رَائِحُ غَادِي<sup>(٤)</sup>.  
فَيُنْجِدُ هَذَا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتْهَماً،      وَذَلِكَ تَرَاهُ مُتْهَماً بَعْدَ إِنْجَادِ<sup>(٥)</sup>.  
لَنْ قَدَفَتْ ذَوْبَ اللُّجَيْنِ عَلَى الثَّرَى      لَقَدْ خَلَصَتْهُ الْقُضْبُ حَلِيّاً لِأَجْيَادِ<sup>(٦)</sup>!

- وأهدى نسخة من ديوان شعره لتلميذه لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) وكتب عليه: هذه أوراق ضمنتها جملة من بنات فكري وقطعاً مما يجيش به في بعض الأحيان صدري. ولو حَزَمْتُ لأضْرَبْتُ عَنْ كَتْبِهَا كُلَّ الإِضْرَابِ وَلَزِمْتُ فِي دَفْنِهَا وَإِخْفَائِهَا دِينَ الْأَعْرَابِ<sup>(٧)</sup>. ولكني آثرتُ على المَحْوِ الإِثْبَاتِ<sup>(٨)</sup> وتمثلتُ بقولهم: إِنَّ أَحْسَنَ مَا أُوتِيَهُ الْعَرَبُ الْأَيَّاتُ<sup>(٩)</sup>. وإذا هي عُرِضَتْ عَلَى ذَلِكَ الْمَجْدِ وَسَأَلَهَا كَيْفَ نَجَتْ مِنَ الْوَادِ<sup>(١٠)</sup>، فَقَدْ آوَيْتُهَا مِنْ حَرَمِكُمْ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَأَحْلَلْتُهَا مِنْ فِنَائِكُمْ فِي

(١) دولا ب الناعورة يحدث صوتاً وهو يدور. تستهل: تسكب. سجاماً: بكثرة ودوام. يحدو: يسوق. الركائب: الحيوانات المعدة للركوب (يشبه القواديس الصناديق المركبة على محيط دولا ب الناعورة بالركائب).

(٢) تريم: ترح، ترك. التأويب: سير النهار كله. الإسَاد: المشي في الليل.

(٣) أَرَصَدْتُهَا: أعددتها. أَيْةٌ عُدَّةٌ: وسيلة. المحل: القحط، قلة نتاج الأرض.

(٤) المزن: المطر. رائح وغاد (يأتي في الماء وفي الصباح).

(٥) أنجد (ارتفع). أنهم (انخفض). ذوب اللجين (الفضة): الماء الناصع البياض الصافي.

(٦) لقد خلصته... إلخ: أخرجت منه قضبان النبات أزهاراً تضعها النساء الجميلات في أجياهن (أعناقهن، أعلى صدورهن).

(٧) الكتب (بفتح فسكون): الكتابة، التدوين. أضرب: أمتنع. الأعراب (البدو). دينهم (عادتهم) دفن النبات.

(٨) المحو والإثبات من ألفاظ الصوفية. الموحيا ب شخصية المتصوف في الله (بقاء شعره في صدره). الإثبات ثبوت شخصية المتصوف في الله (درجة فوق المحو)، ظهور شعره الذي يمثله.

(٩) الأبيات: أبيات الشعر، الشعر.

(١٠) ذلك المجد، كناية عن مكانه لسان الدين بن الخطيب الذي أهدى الشاعر إليه ديوانه. الواد: دفن الإنسان حياً.

مُعَرَّسٍ وَمَقِيلٍ<sup>(١)</sup>. وَأَهْدَيْتَهَا عَلِمًا بَأَن كَرَمَكُمْ بِالْإِغْضَاءِ عَنْ عُيُوبِهَا كَفِيلٍ. فَاعْتَمَمَ قَلِيلَ  
الْهَدْيَةِ مِنِّي: إِنَّ جُهْدَ الْمُقْلِّ غَيْرُ قَلِيلٍ<sup>(٢)</sup>.....

- ومن قوله في الغزل:

ظَفِرْتُ بِلَثْمِهَا فَبَدَا اخْمَرَارُ      بَوَجَّتْهَا يَزِيدُ الْقَلْبَ وَجْدًا<sup>(٣)</sup>.  
فَأَغْرَاهَا بِي الْوَاشِي، فَظَلَلْتُ      تَلُومُ. وَلَمْ أَكُنْ مِمَّنْ تَعَدَّى.  
وَمَا كَانَتْ سِوَى قَبْلٍ، فَفِيهَا      جَنِينَ أَقَاحِيَا وَغَرَسَنَ وَرْدًا<sup>(٤)</sup>!

٤- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة (راجع، فوق، ص ٤٧٨): فيها ترجمة  
لحازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ).

★★ قضاة الأندلس ١٧١-١٧٧؛ الديباج المذهب ٢٩٠-٢٩١؛ بغية الوعاة ١٦؛ نفع  
الطيب ٥: ١٨٩-١٩٩، ٦: ٣٤٨-٣٥١؛ النبوغ المغربي ٢١١-٢١٢، ٧٣٦،  
٧٦٥-٧٦٨؛ الأدب المغربي ٢٣٩-٢٤٢؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٤ (٥: ٣٢٧):  
معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٢٥٢ و ٣١٧ (مكررة).

## أبو جعفر بن صفوان

١- هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان القيسي، وُلِدَ فِي مَالِقَةَ، سَنَةَ  
٦٧٥ هـ<sup>(٥)</sup>. أَخَذَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِيِّ، وَ(فِي مَرَاكِش) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ  
الْمُؤَرَّخِ وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْبَنَاءِ<sup>(٦)</sup>. وَتَوَلَّى أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ صَفْوَانَ الْكِتَابَةَ فِي غَرْنَاطَةِ

(١) آوَيْتَهَا (أُسْكَنْتَهَا) مِنْ حَرَمِكُمْ (فِي جَنِبِكُمْ الَّذِي لَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى ارْتِكَابِ ظُلْمٍ فِيهِ). الْفَنَاءُ (بِكسر الفاء):  
بَاحَةُ الدَّارِ. الْمَعْرَسُ: مَكَانُ التَّوَمِّ لَيْلًا. الْمُقِيلُ: مَكَانُ التَّوَمِّ نَهَارًا.

(٢) جَهْدُ الْمُقْلِّ: مَا يَبْذُلُهُ الْفَقِيرُ أَوْ الضَّعِيفُ مِنْ مَالِهِمَا أَوْ طَاقَتِهِمَا. وَ«جَهْدُ الْمُقْلِّ» عُنْوَانُ دِيْوَانِ أَبِي الْقَاسِمِ  
السَّبْقِيِّ.

(٣) الْوَجْدُ: الشَّوْقُ وَالْحُبُّ.

(٤) الْأَقَاحِي جَمْعُ أَقْحَوَانٍ (بِضْمِّ الْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ): أَزْهَارُ بَيْضِ ذَاتِ أَوْسَاطٍ صَفْرِ. - قَبِلْتُ خَدَّهَا الْأَبْيَضَ  
فَاحْمَرَّ خَجَلًا (كَأَنَّهُ نَبَتَ فِيهِ وَرْدٌ= زَادَ جَالَهُ).

(٥) مِنَ الدِّيْبَاجِ الْمَذْهَبِ ص ٤٣: ٧٦٣ هـ= ١٢٧٦-١٢٧٧ م.

(٦) كَذَا فِي الدِّيْبَاجِ الْمَذْهَبِ. وَالْمُلَمَّوحُ أَنَّ ابْنَ الْبَنَاءِ هَذَا هُوَ ابْنُ الْبَنَاءِ الْمَرَاكِشِيِّ (ت ٧٢١ هـ) الْعَالِمُ  
بِالْحِسَابِ.

في زمن السلطان أبي عبد الله محمد بن يوسف المعروف بالفقيه (٦٧١-٧٠١ هـ) ثم  
استعفى من منصبه وعاد إلى مألقة وفيها تُوِّفِيَ في آخر جُهادي الآخرة من سنة  
٧٦٣ (٢٥ / ٤ / ١٣٦٢ م).

٢- كان أبو جعفر بن صفوان صدرًا من صدور الكتاب وشاعراً أكثر شعره في  
الشكوى، وبعضه في التصوف. وكان أيضاً بارعاً في عددٍ من فنون المعرفة كاللغة  
والأدب والتاريخ والحساب والفرائض والتوثيق والفلسفة والتصوف. وكان مصنفًا له:  
مطلع هلال الأنوار الإلهية - بغية المستفيد - شرح كتاب القرشي في الفرائض، وغيرها.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال أبو جعفر بن صفوان في عددٍ من المعاني الصوفية<sup>(١)</sup>:

بَانَ الحَمِيمُ، فَمَا الحِمَى والبَانُ	بشفاء مَنْ عنه الأحبَّة بانوا <sup>(٢)</sup> ؟
لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدًا بَيْنَهُمْ، وَلَا	أَنسَاهُمْ مِيثَاقَكَ الحَدَثَانُ <sup>(٣)</sup> .
لَكِنْ جَنَحْتَ لِغَيْرِهِمْ، فَأَزَالَهُمْ	عَنْ أَنسِهِمْ بِكَ مَوْحِشٌ غَيْرَانُ <sup>(٤)</sup> .
لَوْ صَحَّ حُبُّكَ مَا فَقَدْتَهُمْ، وَلَا	سَارَتْ بِهِمْ عَنْ حَيْكَ الأَطْعَانُ <sup>(٥)</sup> .
لَا يَشْتَكِي أَلَمَ البُعَادِ مُتِمِّمٌ	أَحْبَابُهُ فِي قَلْبِهِ سُكَّانُ.
شَغَلْتِكَ بِالْأَغْيَارِ عَنْهُمْ مُقْلَةٌ	إِنْسَانُهَا عَنْ لَمَحِهِمْ وَسَنَانُ <sup>(٦)</sup> .
غَمَضَ جُفُونَكَ عَنْ سَوَاهُمْ مُعْرِضًا؛	إِنَّ الصَّوَارِمَ حُجْبُهَا الأَجْفَانُ <sup>(٧)</sup> .

- (١) سأشرح هذه الآيات شرحاً لغوياً أدبياً وسأترك الصور الصوفية بلا شرح.
- (٢) بان: ابتعد، سافر. الحميم: الصديق المخلص - فما أثر الحمى (المسكن) والبان (نوع من الشجر) في شفاء (تعزية) من آبتعد عنه أحبته ؟
- (٣) البين: البعد. الميثاق: العهد. الحدثان: أحداث الزمان (المصائب).
- (٤) جنح: مال، انصرف.
- (٥) الظمن (بالفتح): الراحلة عليها هودج للنساء.
- (٦) الأغيار (في التصوف): الموجوات في عالم المشاهدة، الأشياء الموجودة في علمنا: البحر، الشجرة، البيت، الإنسان (كل ما هو غير الله في الأمور المشاهدة). وسنان: نسان.
- (٧) الصارم: السيف. الجفن (الأولى): جفن العين، (والثانية): جفن السيف، قرابه، بيته. - ما دام السيف في قرابه فليس سيفاً (لأنه في هذه الحال لا يفعل فعل السيوف).

واضرف إِلَيْهِمْ لَحْظَ فِكْرِكَ شَاخِصاً  
يا لاهِماً سِرَّ الوجود بَعَيْنِهِ،  
أَنْتَ الْحِجَابُ لَهَا تُؤَمِّلُ مِنْهُمْ؛  
- وقال في الموت وهلاك الأعداء :

وقالوا: قضاء الموتِ حَتْمٌ عَلَى الْوَرَى  
فلا تَنْتَسِمَ رِيحَ ارْتِياحٍ لَفَقْدِهِ،  
فقلتُ: بلى، حُكْمُ الْمَنِيَّةِ شَامِلٌ؛  
ولكن لِتَقْدِيمِ الْأَعَادِي إِلَى الرَّدَى  
وَأَمَّنْ يَنَامُ الْمَرْءُ فِي بَرْدِ ظِلِّهِ،  
وَحَسْبِي بَيْتٌ قَالَهُ شَاعِرٌ مَضَى  
وإنْ بَقِيَ الْمَرْءُ بَعْدَ عَدُوِّهِ  
يُدِيرُ صَغِيرٌ كَأَسَهِ وَكَبِيرٌ<sup>(٢)</sup>،  
فإنَّكَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ تَحْوِرُ<sup>(٣)</sup>.  
وكلُّ إِلَى رَبِّ الْعِبَادِ يَصِيرُ.  
نَشَاطٌ يَمُودُ الْقَلْبَ مِنْهُ سُرُورُ<sup>(٤)</sup>  
ولا حَيَّةٌ لِلْحَقْدِ ثُمَّ تَتَوَرُّ.  
غداً مثلاً فِي الْعَالَمِينَ يَسِيرُ:  
- ولو سَاعَةً مِنْ عُمرِهِ - لَكثيراً!

- كان سُلْطَانُ غرناطة أَبُو الْحَجَّاجِ يَوْسُفُ الرَّابِعُ متوجّهاً إِلَى الجزيرة الخضراء  
لنَجْدَتِهَا عَلَى الْإِسْبَانِ، سنة ٧٤٤هـ (١٣٤٣م). وكان فِي صُحْبَتِهِ لِسَانُ الدِّينِ بْنِ  
الخطيب. فتمهَّلَ السُّلْطَانُ قَلِيلاً فِي مَالَقَةٍ، فانتَهَزَ لِسَانُ الدِّينِ الْفُرْصَةَ وَجَمَعَ شِعْرَ ابْنِ  
صَفْوَانَ وَسَمَّاهُ «الدُّرَرُ الْفَاخِرَةُ وَاللُّجَجُ الزَّاخِرَةُ» وَطَلَبَ مِنْ ابْنِ صَفْوَانَ أَنْ يُجِيزَ لَهُ  
وَلابَنِهِ عَبْدِ اللَّهِ رِوَايَةَ هَذَا الدِّيوَانِ، فَكُتِبَ ابْنُ صَفْوَانَ فِي الْإِجَازَةِ مَا يَلِي:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُسْتَحَقُّ الْحَمْدِ. أَجَبْتُ سُؤَالَ الْفَقِيهِ الْأَجَلِّ الْأَفْضَلِ السَّرِيِّ الْمَاجِدِ  
الْأَوْحِدِ.... الْحَائِزِ فِي فَنِّي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ وَأُسْلُوبِي الْمَكَاتِبِ وَالشَّعْرِ رُتْبَةَ الرِّئَاسَةِ...  
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ - وَصَلَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ وَمَجَادَتَهُ، وَأَسْنَى<sup>(٥)</sup> مِنْ الْخَيْرِ الْأَوْفَرِ  
وَالصَّنْعِ الْجَمِيلِ الْأَبْرَ مَقْصِدَهُ وَإِرَادَتَهُ، وَبَلَغَهُ فِي نَجْلِهِ الْأَسْعَدِ وَابْنِهِ الرَّاقِي بِمَحْنَدِهِ

(١) - ما دمت تدرك نفسك مستقلاً متحيزاً في مكانك فإدراك العزّة الإلهية محبوب بك (مستحيل عليك).

(٢) يدير كَأَسَهِ: يشرب منه (يموت).

(٣) آتسم صيغة غير قاموسية. المقصود تنسم: تنفّس. الارتياح: السرور. تحوير: تميل، تضلّ.

(٤) - لموت أحد الخصمين سرور يدخل على قلب الخصم الآخر مرّة بعد مرّة.

(٥) أسنى: رفع (زاد).

الفاضل ومنشأه الأطهر محلّ الفرقد، أفضل ما يؤمل نخلته إياه<sup>(١)</sup> في المكرمات وإفادته؛ وأجزت له ولابنه عبد الله المذكور - أبقاها الله تعالى في عزّة سنيّة الخلال وعاقبة مُمتدّة الأفياء وارفية الظلال<sup>(٢)</sup> - رواية جميع ما تقيّد في الأوراق المكتتب على ظهر أول ورقة منها من نظمي ونثري وما تولّيت إنشاء واعتمدت بالارتجال والرواية اختياره وانتقاءه، أيام عمري، وجميع ما لي من تصنيف وتقييد ومقطوعة وقصيد، وجميع ما أحمله عن أشياخي - رضي الله عنهم - من العلوم وفنون المنثور والمنظوم، بأي وجه تأتي ذلك وصحّ حملي له وثبت إسناده لي، إجازة تامّة في ذلك كلّ عامّة على سني الإجازات الشرعية وشرطها المأثور عند أهل الحديث المرعي<sup>(٣)</sup>. والله ينفعني وإياها بالعلم وحمله وينظّمنا في سلك حزيه المفلحين وأهله ويفيض علينا من أنوار بركه وفضله. قال ذلك وكتبه بخطّ يده الفانية العبد الفقير إلى الغني به أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان - ختم الله له بخير - حامداً الله تعالى ومصلّياً ومسلماً على محدّد نبيّه المصطفى الكريم وعلى آله الطاهرين ذوي المنصب العظيم وصحبه البرّة أولى المنصب والأثرة<sup>(٤)</sup> والتقديم، في سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وسبعمائة<sup>(٥)</sup>. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٤-★★ الدياج المذهب ٤٤٣؛ نيل الابتهاج ٧٢؛ الإحاطة ١: ٢٢٩-٢٤٠؛ الكنية الكامنة ٢١٦-٢٢٣؛ درة الحجال ١: ٧٨-٧٩؛ معجم المؤلفين لكحالة ١: ١٣٣-١٣٤.

## ابن الحاجّ النميري الغرناطيّ

١- هو الشيخ برهان الدين أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن

(١) المحدث: كرم الأصل والشرف. الفرقد (النجم القطبي، وغيره)، المقصود: المكان العالي. النحلة (بالكسر): ما ينتحله (يمتّنه) الإنسان أو يمتقده.

(٢) الوارف: المتمد.

(٣) المرعي: المعمول به (نعت لكلمة شرطها «).

(٤) الأثرة: المنزلة، وتقدم الإنسان في المنزلة على غيره.

(٥) ١٣٤٣/٨/٢٨ م.

موسى النُميريُّ الغرناطيُّ، وُلِدَ في غرناطة سَنَةَ ٧١٣ هـ (١٣١٣ - ١٣١٤ م).

دَخَلَ ابنُ الحاجِّ ديوانَ الإنشاء سَنَةَ ٧٣٤ هـ. وفي مطلعِ سَنَةِ ٧٣٧ هـ (آخرُ صيفِ ١٣٣٦ م) تَطَوَّفَ قليلاً بِشَرْقِ الأندلسِ ثُمَّ رَحَلَ إلى المشرقِ وَحَجَّ. وَكَثُرَ ذَهَابُهُ إلى المشرقِ وَحَجَّه، وكان في كُلِّ مَرَّةٍ يَعودُ إلى إفريقية ويَعودُ أحياناً إلى الأندلسِ. وفي نفعِ الطيب (٧: ١٠٧) أَنَّ رِحْلَتَهُ وَصَلَتْ إلى ما وراءَ الشامِ والعِراقِ. وقد لَقِيَ في الشامِ نَفَرًا من كبارِ علَماءِ الحديثِ وأخذَ عنهم. من هؤلاء: عَلَمُ الدينِ البِرْزاليِّ (ت ٧٣٩ هـ) والحافظُ المِزِّيُّ (ت ٧٤٢ هـ) والحافظُ الذَّهَبِيُّ (ت ٧٤٨ هـ).

وملَّ ابنُ الحاجِّ الخِدْمَةَ في دواوينِ الدَّوَلِ (في الأندلسِ وفي المغرب) فَاتَرَ الانسحابَ من الحِياةِ العامَّةِ واعتزلَ (رَمَضانَ ٧٥٧ = مطلعَ الحَريفِ من عامِ ١٣٥٦ م). ولكنَّ السُّلطانَ أبا عِنانِ المَرْينيِّ أَجْبَرَهُ على الرجوعِ إلى الخِدْمَةِ. فلَمَّا تَوَفَّى أبو عِنانِ (٧٥٩ هـ) عادَ ابنُ الحاجِّ إلى الأندلسِ. ولعلَّه في هذه الحِقْبَةِ تَوَلَّى القِضاءَ حيناً في غرناطة.

ثمَّ إِنَّ ابنَ الحاجِّ توجَّهَ رسولاً من قِبَلِ السُّلطانِ مُحَمَّدِ الخامسِ صاحبِ غرناطة إلى السُّلطانِ أَحْمَدَ بنِ موسى الزَّيَّاتِيِّ صاحبِ تِلْمَسَانَ. فلَمَّا وَصَلَتْ سَفِينَتُهُ إلى مَقْرِبَةٍ من وَهْرَانَ (شاطِئِ الجزائرِ) تعرَّضَ لها أسطولٌ للعدوِّ<sup>(١)</sup>، وذلك في سادسِ ربيعِ الآخرِ من سَنَةِ ٧٦٨ (١١/١/١٣٣٧ م). ولكنَّ السُّلطانَ مُحَمَّدًا الخامسَ أَقْنَذَهُ<sup>(٢)</sup> بعدَ أَنْ لَبِثَ في الأسْرِ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْماً. وعادَ ابنُ الحاجِّ إلى الأندلسِ<sup>(٣)</sup>.

٢- كانَ ابنُ الحاجِّ النُميريُّ الغرناطيُّ مُحَدِّثاً وَفقيهاً، كما كانَ ناثراً وشاعراً. قالَ فيه المَقْرِي «الشاعرُ المُفْلِقُ له النظمُ الرائِقُ العَذْبُ الجامِعُ بينَ جَزَالَةِ المِغَارِبَةِ وَرِقَّةِ

(١) كانَ ذلك في عصرِ القرصنة حينما كانَ الأوروبيُّونَ من إسبانيا وبرتغاليِّين وهولنديِّين وانكليز وفرنسيِّين يَقطعونَ البحرَ على مراكبِ المسلمين.

(٢) قيلَ أَقْنَذَهُ بِمِبلغِ جِسمٍ، وقيلَ أرسلَ أسطولاً كبيراً حاربَ القراصنة.

(٣) لم يردَ ذِكرُ وفاةِ ابنِ الحاجِّ النُميريِّ في نفعِ الطيبِ ولا في نيلِ الابتهاجِ. ولكنَّه كانَ بلا ريبَ حيًّا في ٧٦٤ هـ (لَمَّا كُتِبَ رسالتهُ إلى لسانِ الدينِ بنِ الخطيبِ). ولكنَّ خيرَ الدينِ الزركلي (الأعلام ١: ٤٢) ذَكَرَ أَنَّ وفاتهَ كانت سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م). وفي المنهلِ الصافي (١: ٦٦-٦٨) وذاتُرةِ المعارفِ الإسلامية: نحو ٧٨٥ هـ.



المشاركة<sup>(١)</sup>. ويبدو أن مُعْظَمَ شِعْرِهِ مُقْطَعَاتٌ قِصَارٌ تَغْلِبُ فِيهَا التَّوْرِيَات. وأبرزُ فُنُونِهِ المَذْح والغَزَل. ولابن الحاجَّ تَأْلِيفٌ كَثِيرٌ مِنْهَا: رحلة - فيض العُباب وإِجَالَة قِدَاح الآدَاب في الحَرَكَة إلى قُسْطَيْنَة والزَاب<sup>(٢)</sup> - المِساهلة والمِساهة في تَبْيِين طَرُق المِداعِبة والمِمازِحة - إِيْقَاط الكِرَام بِأَخْبَار المِنام - تَعْيِم الأَشْبَاح بِمِحادِثَة الأرواح - كِتاب الوِساوِل ونُزْهَة النِواظِر والخِمايِل - الزَّهْرَات وإِجَالَة النَظَرَات - كِتاب في التَّوْرِيَة (عَلَى حُرُوف المُعْجَم) - مِثَالِيَة القِوانين في التَّوْرِيَة والاستِخدام والتَّضْمِين<sup>(٣)</sup> (وَهُوَ كَلٌّ مِنْ نِظْمِهِ) - بَيَان الاسْم الأَعْظَم<sup>(٤)</sup> - اللِّباس والصُّحْبَة (جَمع فِيهِ طَرُق المِتَّصِفَة) - نُزْهَة الحَدَق في ذِكْر الفِرَق - الفِصول المُقْتَضِبَة في الأحْكام المُنتَخِبَة (رَجَزٌ فِي الأحْكام الشَّرْعِيَة) - رَجَزٌ فِي الجَدَل.

### ٣ - مِختارات مِنْ آثارِهِ

- قال ابنُ الحاجِّ النُّمَيْرِيُّ لَمَّا نَوَى (قَصْد) عِلْمَ الدِّينِ البِرْزَالِيَّ مُغَادِرَةَ دِمَشْقَ:  
نَوَى النُّوَى عِلْمَ الدِّينِ الرِّضَا فَأَنَا مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ بِالشَّامِ ذُو أَلَمٍ<sup>(٥)</sup>.  
فَلَا تَلْمَنِي عَلَى حُبِّي دِمَشْقَ فَقَدْ أَصْبَحْتُ فِيهَا زَمَانًا صَاحِبَ الْعِلْمِ<sup>(٦)</sup>.
- وَقَالَ يَذْكُرُ الْآثَارَ (آثَارُ الْبِلَاد - الْأَحَادِيث) وَكَيْفَ تُرَوَّى (تُسَمَّى - يَنْقَلُهَا وَاحِدٌ عَنْ وَاحِدٍ) بِسِلْسِلَة (حُلُقَات مَجْمُوع بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ تُدَارُ بِهَا النَّاعُورَة) - نَسَقٌ مِنْ

(١) نَفْح الطَّيْب ٧: ١٠٧. لَوْ قَالَ: جِزَالَة المِشارِقَة وَرَقَّة المِغارِبَة لَكَانَ أَوَّلَى!

(٢) ارْتِفَاع المَوْج، وَكَثْرَة المَاءِ فِي السَّيْلِ. الإِجَالَة: المِزْج والخِلْط. القِدَاح جَمع قَدَح (بِالْكَسْرِ): سِهام تُسْتخدَم فِي المِيسَر أَوْ لَعِب القِمار. (يَبْدُو أَنَّهُ قَامَ بِرِحْلَة لِلتَّكْسَب: يَرى فِيهَا حِظَّهُ فِي النِّجَاح، كَأَنَّا كَانَ يَقامِر). الحَرَكَة: الفِر. قُسْطَيْنَة (كَذا تَلْفِظُ اليَوْم) هِيَ قُسْطَيْنِيَة، نَسَبَة إِلَى مَلِكِ الرُّوم (الأَمْبَرطُور البِيزَنْطِي) قُسْطَنْطِينَ الكَبِير الَّذِي بَنَاهَا فِي مِشْهَد مَدِينَة سَابِقَة كَانَتْ قَدْ خَرِبَتْ فِي أَشْأاء ثَوْرَة عَام ٣١١ م. بِلاد الزَّاب تَقع فِي جَنُوب الجِزاير قَرِيبَة مِنَ الصَّحراء الكَبيرى (مِزاب، مِيزاب).

(٣) التَّوْرِيَة وَالاسْتِخدام والتَّضْمِين مِنْ أَبْوابِ البِلاغَة.

(٤) الاسْم الأَعْظَم: الاسْم المِتمِّمُ لِلْمائَة مِنْ أَسْماءِ اللَّهِ الحَسَنِ (والمَعروفُ مِنْهَا تِسْمَة وَتَسْمَعُونَ أَسْمًا)، وَيَرى المِتَّصِفَة أَنَّ مِنْ عَرَفَ هَذَا الاسْمِ ثُمَّ دَعَا بِهِ اسْتِجَابَ اللَّهِ لَهُ كَلَّ دَعْوَة.

(٥) النُّوَى: البِعاد، القُرْبَة.

(٦) صَاحِبُ العِلْم: الرَّجُلُ المِشْهُور ذُو النِّفوذ - وَصَاحِبُ العِلْم: صَدِيقُ عِلْمِ الدِّينِ البِرْزَالِي.

الرجال الذين يَرُوْنَ الحديث) من الذهب (المَعْدِنِ المعروف - الحافظُ شمسُ الدين الذهبي):

رَحَلْتُ نَحْوَ دِمَشْقِ الشَّامِ مُبْتَغِيًا رِوَايَةً عَنْ ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالْأَدَبِ<sup>(١)</sup>.  
فَفَزْتُ فِي كُتُبِ الْأَثَارِ حِينَ غَدَتِ تُرَوَّى بِسِلْسِلَةٍ عَظُمَى مِنَ الذَّهَبِيِّ!  
- وقال لَمَّا مَاتَ أَبُو يَحْيَى أَبُو بَكْرٍ سُلْطَانُ تُونِسَ فَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ  
(٧٤٨ هـ) بَعْدَ أَنْ قَتَلَ إِخْوَتَهُ (أَبُو بَكْرٍ سُلْطَانُ تُونِسَ - أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ثُمَّ عَمَرُ  
سُلْطَانُ تُونِسَ بَعْدَ أَبِيهِ أَبِي بَكْرٍ - عَمَرُ الْفَارُوقِ الْخَلِيفَةُ الثَّانِي):

وَقَالُوا: أَبُو حَفْصٍ حَوَى الْمُلُوكَ غَاصِبًا، وَإِخْوَتَهُ أَوَّلَى، وَقَدْ جَاءَ بِالنُّكْرِ.  
فَقُلْتُ لَهُمْ: كَفُّوا، فَمَا رَضِيَ الْوَرَى سِوَى عُمَرَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ<sup>(٢)</sup>!  
- وقال فِي النِّسَبِ (خَفِيفٌ: مُحْتَمَلٌ، مَرْغُوبٌ فِيهِ):

أَتَوْنِي فَعَابُوا مِنْ أَحَبِّ جَمَالِهِ. وَذَاكَ عَلَى سَمْعِ الْمُحِبِّ خَفِيفٌ<sup>(٣)</sup>.  
فَمَا فِيهِ عَيْبٌ، غَيْرَ أَنْ جُفُونَهُ مِرَاضٌ وَأَنْ الْخَضِرَ مِنْهُ ضَعِيفٌ<sup>(٤)</sup>!  
- وقال أَيْضًا (الهِجَاءُ: ضِدُّ الْمَدْحِ، تَهْجئةُ الْكَلِمَاتِ):

لِي الْمَدْحُ يُرَوَّى مُنْذُ كُنْتُ كَأَنَّا تَصَوَّرْتُ مَدْحًا لِلْوَرَى وَتَنَاءً<sup>(٥)</sup>.  
وَمَا لِي هِجَاءٌ. فَاعْجَبَنَّ لِشَاعِرٍ وَكَاتِبٍ سِرٌّ لَا يُقِيمُ هِجَاءً.  
وقال فِي الْغَزْلِ الصَّرِيحِ وَفِيهِ تَوْرِيَّاتٌ بِكُنَايَاتٍ قَبِيحَةٍ وَلَكِنْ بَارِعَةٌ:

وَمَهَاةٌ تَقُولُ، إِنَّ هِيَ كَلَّتْ وَدَعَا لِلْمُزَاحِ خِلٌّ مُهَازِجٌ<sup>(٦)</sup>.  
وَإِزِيرُ الرَّدْفِ، إِنَّ فِي الْأُزْرِ مِنِّي رَمْلٌ يَبْرِينُ، يَا طَبِيبُ، وَعَالِجٌ<sup>(٧)</sup>!

(١) الْأَحْلَامُ جَمْعُ حِلْمٍ (بِالْكَسْرِ) الْعَقْلُ. (٢) الْوَرَى: النَّاسُ.

(٣) الْأَشْيَاءُ الَّتِي ظَنُّوْهَا عَيُوبًا فِي مَحْبُوبٍ هِيَ حَسَنَاتُ فِي الْمَحْبُوبِ.

(٤) مِرَاضٌ: نَاعَسَاتُ (وَهُمْ يَنْعَوْنَ أَنَّهَا مَرِيضَةٌ، سَقِيمَةٌ). ضَعِيفٌ: نَخِيفُ (وَهُمْ يَنْعَوْنَ أَنَّهُ نَاقِصُ التَّكْوِينِ).

(٥) تَصَوَّرْتُ (كَأَنِّي كَتَبْتُ - كُلُّ عَمَلِي - مَدْحَ جَمِيعِ النَّاسِ وَالتَّنَاءَ عَلَيْهِم).

(٦) الْمَهَاةُ: الْغَزَالَةُ (الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ). كَلَّتْ: تَعَبَتْ (مِنْ الْغَزْلِ...).

(٧) الْمَزَاحُ: الْمَدَاعِبَةُ (دَعَبٌ: جَامِعٌ). خِلٌّ: صَدِيقٌ. مُهَازِجٌ: مُفَاخِرٌ (بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْمَدَاعِبَةِ). الرَّدْفُ: مُؤَخَّرٌ =

- وقال :

هذه الشمس بالحجاب توارت      بعد نور لها ورخب وبشر<sup>(١)</sup>.  
وأتى الليل بالنسيم عيلاً      فهو يمشي من أفقه لابن زهر!

(عليلاً: لطيفاً، بارداً- عيلاً: مريضاً ثم ابن زهر: النجوم؟ - ابن زهر: طبيب أندلسي مشهور كان قبل عصر ابن الحاج).

- وردت رسالة من لسان الدين بن الخطيب إلى الحاج التميمي (جواب رسالة سابقة لابن الحاج) فردّ ابن الحاج برسالة جاء فيها:

..... قَسَمًا بِبِرَاعَتِكَ الَّتِي هِيَ الْوَاسِي الْمَطَاعُ وَطِرْسِيك<sup>(٢)</sup> الَّذِي أَنْهَجْتَ بِهِ الْأَبْصَارُ  
وَالْأَسْمَاعُ، لَقَدْ عَادَ لِي بِكِتَابِكَ عِيدُ الشُّوقِ وَجَادَ لِي بِخَطَابِكَ جِدُّ التَّوَقُّ<sup>(٣)</sup>. وَلَمَهْدِي  
بِنَفْسِي - رَهْنُ أَشْجَانِي غَيْرَ مَحْلُولَةٍ عُقْدَةٌ لِسَانِي - أَشَدُّ مِنْ الصَّخْرَةِ جَلْدًا وَأَغْلَظُ مِنْ  
الْإِبِلِ كِبْدًا<sup>(٤)</sup>. حَتَّى إِذَا بَدَتْ حَرِيقَةُ الْقَلْبِ وَهَبَ نَسِيمُهُ الرُّطْبَ وَأَفْيَحَ مَوْرَدَهُ  
الْعَذْبُ<sup>(٥)</sup> وَأَضَاءَ بَنُورِهِ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ وَلَمْ يَتَّقِ لِي بَثٌّ وَلَا شَجَنٌ<sup>(٦)</sup> وَلَا شَاقِنِي أَهْلُ

= البدن. وازر الردف (ساعدي على حمله). الأزرق جمع إزار (ثوب للنصف الأسفل من الجسم). يبرين  
وعالج مكانان في بادية العرب كثيرا الرمال. في الأزرق مني رمل يبرين وعالج (أشياء كثيرة، طاقة  
كبيرة). عالج (فعل أمر من عالجه يعالجه: داواه). عالج الشيء: مارسه. وفي حديث: «عالجت امرأة  
فأصبت منها» (تاج العروس - الكويت ٦: ١٠٩).

(١) توارت الشمس بالحجاب: غابت. رجب: مكان واسع (في السماء الظاهرة لأعيننا). البشر: طلاقة الوجه  
والباشاة. الفرح.

(٢) الواسي (كذا في الأصل) لعلها الواشي. الطرس: الورقة. (سأكتفي هنا بشرح الألفاظ المفردة لأن القطعة  
المذكورة قائمة على التلاعب بالألفاظ مما يطول أمر الكشف عن مقاصد ذلك التلاعب).

(٣) عيد: عودة (في موشحة لسان الدين بن الخطيب: عادته عيد من الشوق جديد). جد التوق (التزوع،  
الميل، الشوق) الجدي، الحقيقي.

(٤) المجلد: الاحتمال (في موشحة لسان الدين أيضاً: ليس لي صبر ولا لي جلد). أغلظ من الإبل كبدًا: أقدر  
على الاحتمال، وأشدّ بمدًا في السفر وأكثر صبراً على البعد عن الوطن.

(٥) أفيح؟ (يقصد فاح من «فيح» آتبع، كثر) مورده (مكان الاستقاء منه). العذب: الحلو.

(٦) البث والشجن: الحزن.

ولا وطنٌ ومضى سيفُ اللسان بعد النبؤ ونَهَضَ طِرْفُ الفِكر بعد الكُبو<sup>(١)</sup> وهَزَّنِي  
الطربُ المثيرُ للأفراحِ ومشى الجَذَلُ في أطرافي وأعطاني<sup>(٢)</sup> مَشْيَ الراح<sup>(٣)</sup>.... قُلْتُ:  
من لي<sup>(٤)</sup> بشرية من كأسِ بَيَانِهِ وقَطْرَةٍ من بُحورِ إِحْسَانِهِ حَتَّى أُوَدِّي ولو بعضَ  
حقِّه.... فَأَمَّا وقد تَفَقَّتْ عندك بضاعتي المَرْجَاةُ<sup>(٥)</sup> وَشَمِلَنِي من لَدُنْكَ الحِلْمُ والأَنَاةُ  
وَشَرَّقْتَنِي بِالْحِطَابِ الكَرِيمِ والرسالة التي عَرَفْتُ في وَجْهِها نُصْرَةَ النعيم<sup>(٦)</sup>، فما أَبْغِي إِلَّا  
إِيرَادَهَا عَلَيْكَ وَكُلَّهَا خُرَاجٌ وَلِبَرْدُهَا في الإِجَادَةِ إِنْهَاجٌ<sup>(٧)</sup>. وَلعلَّكَ تَرْضَى التَخْرِيجَ من  
مُدَوَّنَةِ الْأَخْبَارِ والمبسوطة والواضحة، لكن من الأعذار<sup>(٨)</sup>.....

وَإِذَا كَانَ المرءُ على دينِ خَلِيلِهِ، وَمِنْ شَأْنِهِ سُلُوكُ نَهْجِهِ وَسَبِيلِهِ، فَالْأَلْيَقُ أَنْ أَرْهَدَ  
فِي الصَفراءِ والبِيضاءِ وَأَقَابِلَ زُخْرَفِ الدُّنْيَا<sup>(٩)</sup> بِالْبَغْضَاءِ، وَأَرْجُو عَلَى يَدِكَ حُسْنَ  
التَّخْلِيِ وَالإِطْلَاعَ عَلَى أَسْرَارِ التَّجَلِّيِ<sup>(١٠)</sup> حَتَّى أَسْعَدَ بِكَ في آخِرَتِي وَدُنْيَايَ وَأَجِدَ بَرَكَهَ  
خَاطِرِكَ في مَآتِي وَمَحْيَايَ. أَبْقَاكَ اللهُ بَقَاءً يُسِّرُ وَأَمْتَعَ بِمَنَاقِبِكَ الَّتِي يَحْصُدهَا الْيَاقُوتُ

(١) مضى السيف: قطع، مرّ في الشيء الذي ضرب به. النبؤ: رجوع السيف عن الضربة. - في الأصل:  
ونَهَضَ طرف (بفتح فسكون) الفكر بعد البكر (بضمّ الباء) - والصواب ما أثبتّه في المتن. الطرف  
(يكسر الطاء) الحصان. والكُبو: العثرة. (في أصل هذا النص قراءات خاطئة).

(٢) الجَذَل: الفرح.

(٣) الراح: الخمر.

(٤) في الأصل: مالي. الصواب من لي: من يعطيني.

(٥) المَرْجَاة (من «أزجى»): المَشْوِشَة، الرديئة.

(٦) نُصْرَةُ النعيم: وِضَاءٌ وَلَمَاعٌ في الوجه من الرفاهية والنعمة. في القرآن الكريم (٨٣: ٢٤)، سورة  
المطففين: ﴿تَرَفُّ فِي وُجُوهِهم نُصْرَةُ النعيم﴾.

(٧) إِيرَادَهَا (٢). الخراج بضمّ الحاء أو بفتحها دَمَلٌ يَخْرُجُ في البدن (شيء رديء). البرد: الثوب (من  
الحريز). نهج الثوب وأنهج: بلي ونهراً.

(٨) التَخْرِيجُ (هنا): التعليل. المدوّنَة كتاب في الفقه، والواضحة كتاب في التجويد (تجويد القرآن - مقصور  
على الفاتحة). ولم أعرف المبسوطة (وناشر الكتاب لم يذكرها في فهرست الكتب التي ورد ذكرها في  
الكتاب). من المعروف أنّ المبسوط كتاب في الفقه. - يقصد يريد أن يدوّن عذره مبسوطاً (بتفصيل)  
وواضحاً.

(٩) الصَفراء (العملة من الذهب) والبِيضاء (العملة من الفضة). الزخرف: الزينة.

(١٠) التَّخْلِيِ: ترك الاختلاط بالناس. وترك الزواج أيضاً. التَّجَلِّيِ: وضوح الأشياء للإنسان، عطف الله  
عليه بإفادته علوماً من عنده (من عند الله).

والدَّرُّ. ولا زِلَتْ في سِيَادَةِ تَرَوْقُ نَعْنَأَ وسَعَادَةِ لا تَرَى فيها عَوَجاً ولا أُمْتاً<sup>(١)</sup>. وأقرأ عليك سلاماً عاطر العَرَفِ<sup>(٢)</sup> كَرِيمِ التَّأَكِيدِ والعطف..... كَتَبَهُ أَخوكَ وَمَمْلُوكُكَ وشِيعَةُ مَجْدِكَ في الرَّابِعِ والعشرين من جُمَادَى الأولى عامَ أَرْبَعَةِ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

٤-★★ نيل الابتهاج ٤٤-٤٦؛ الوافي بالوفيات ٦: ٤٠؛ الإحاطة ١: ٣٥٠، ٣٧١؛  
الكنية الكامنة ٢٦٠-٢٦٩؛ نثر فرائد الجمان ٣٠٣-٣١٨؛ نفع الطيب ٢:  
٥٣٤-٥٣٥، ٥٣١: ٧، ١٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٠؛ بروكلمن،  
الملحق ٢: ٣٦٩؛ الأعلام للزركلي ١: ٤٢-٤٣ (٤٩)؛ مجلة «البحث  
العلمي» ١/ ١٩٦٥ م، ص ٧١؛ معجم المؤلفين لكحالة ١: ٥١.

## ابن خاتمة الأنصاري

١- هو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري<sup>(٣)</sup>، وُلِدَ في الْمَرْيَةِ، في مطلع القرن الثامن للهجرة فيما يبدو<sup>(٤)</sup>. وتلقى ابن خاتمة العلم على نفر<sup>(٥)</sup> منهم أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش المُرِّي قرأ عليه ابن خاتمة ولازمه، وأبو إسحاق إبراهيم بن العاصي التَّنُوخِيُّ ومُحَمَّدُ بْنُ جَابِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانِ الوادي آشي، وهو راوية مُحَدَّثٌ (بأحاديث رسول الله) رَحَّالٌ (صاحب رحلات)، وأبو البركات ابن الحاج وأبو القاسم عبد الرحمن بن شُعَيْبِ القيسي من أهل المَرْيَةِ، وأبو جعفر القرشي المعروف بابن فركون وأبو القاسم محمد بن سهل بن مالك وأبو جعفر بن الأغَرُّ

(١) الأمت: الاختلاف في الأرض ارتفاعاً وانخفاضاً. «لا ترى فيها الخ» تضمين من القرآن الكريم (٢٠: ١٠٧، سورة طه).

(٢) العرف: الرائحة الطيبة.

(٣) الأنصاري: نسبة إلى «الأنصار» الذين نصرُوا رسول الله لما هاجر إلى المدينة (أهل المدينة). ويزيد محمد رضوان الداية (محقق ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص ٩ م، السطر الأخير) «المريني» (نسبة إلى بني مرين حكام المغرب)!

(٤) في مقدمة الديوان (ص ١٧ م) ترجيح أنه عاش نحو سبعين سنة.

(٥) راجع في ذيل وفيات الأعيان (ص ٨٦) أسلف نفر آخرين من شيوخه. وفي مجلة «دعوة الحق» (الرباط، صفر ١٣٩٢ هـ = إبريل - نيسان ١٩٧٢ م، ص ١٤٦) أن مولده كان سنة ٧٣٤ هـ.

(الإحاطة ٢٤٩، وقد صُعبَ عليَّ تَبَيُّعُ أنسابهم وأحوالهم).

وقَعَدَ ابنُ خاتمةَ للإقراء في الجامعِ الأعظمِ في المَرِيَّةِ فأقرأ اللغة والنحو والبلاغة والأدب، وكان في الوقتِ نفسه يقومُ بعقدِ الشروط. ثم دَرَسَ في المدرسةِ اليوسفيةِ التي أنشأها في غرناطةَ أبو الحجاجِ يوسفُ الأوَّلُ بنُ الأحرارِ (٧٣٣-٧٥٥ هـ)<sup>(١)</sup>.

وكانتِ صِلَةُ ابنِ خاتمةَ ببني الأحرارِ حَسَنَةً، زارَ غرناطةَ مراراً إحداها في شَعبانَ مِن سَنَةِ ٧٥١ (خريف ١٣٥٠ م). وكان لا يزالُ حيًّا في ثاني عَشَرَ شَعبانَ من سَنَةِ ٧٧٠<sup>(٢)</sup> (٢١ / ٣ / ١٣٦٩ م)، كما في الإحاطة (١ : ٢٦٧). وَلَعَلَّ وفاته كانت بُعيدَ ذلك بقليلٍ.

٢- ابنُ خاتمةَ الأنصاريُّ ناثِرٌ له رسائلُ إخوانيَّةٌ ودِيوانيَّةٌ، وَهُوَ ناظِمٌ مُكثِرٌ مُتَعَدِّدُ الفنونِ والأغراضِ له مديحٌ دينيٌّ في اللهِ وَنِعمَةٍ وَنَسِيبٌ وَغَزَلٌ مُؤنَّثٌ ومَذَكَّرٌ ومُجَوَّنٌ ثمَّ له أوصافٌ في الطبيعةِ والخنمرِ وله حِكَمٌ ومُلَحٌ وفُكاهاتٌ. وشِعْرُهُ عاديٌّ في الأكثرِ تَغْلِبُ عليه الصَّناعةُ اللَّفْظِيَّةُ والصَّناعةُ المعنويَّةُ. وله مُوشَّحاتٌ كثيرة. وَيَغْلِبُ على شعرِ ابنِ خاتمةَ التقليدُ، فترى فيه آثارَ الشعراءِ ظاهرةً مِنْ مِثْلِ أبي نَواسٍ وأبي تَمَّامٍ والبُحْترِيِّ والمُتَنَبِّيِّ وابنِ هاني الأندلسيِّ وابنِ الفارِضِ وسِواهُم. غيرَ أَنَّهُ سَلِمَ العبارةُ متينُ السَّبْكِ.

وابنُ خاتمةَ الأنصاريُّ مؤلِّفٌ له: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (في وصف الطاعون الجارف الذي اجتاحت العالم في آسية وأوربة وإفريقية، سنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - مَزِيَّةُ المَرِيَّةِ على غيرها من البلاد الأندلسية (فيه شيء من جُغرافيَّةِ تلك المدينة وتاريخيَّها وتراجُمِ رجالِها وزُوارِها) - إلحاقُ العقل بالحسِّ في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس (٢) - إيرادُ اللَّالِ من إنشاد الضَّوالِّ (وهو استدراك على «إنشاد الضَّوالِّ وإرشاد السُّوالِّ» لمحمَّد بنِ هاني اللخمي السَّبْتي المتوفى سنة ٧٣٣ في لَحْنِ العامَّة) - رائقُ التحلية في فائق التورية (مجموع شعر).

(١) يقوم بعقد الشروط (بتنظيم عقود البيع والزواج وغيرها، ولعله يشبه الكاتب العدل في أيامنا)!

(٢) راجع التعليق على دَقَّةِ هذا التاريخ (الديوان، ص ١٦ م - ١٧ م).

- من مقدّمة ديوانه:

وبعدُ، فإنّ بعضَ خُلصائي<sup>(١)</sup> - وهو من لا يَسَعُ، الجميلِ ودّه، غيرُ تكميلِ قصده - قد خطّبَ إليّ بُنيّاتٍ فكري وأبياتٍ شعري جُملةً يسهلُ استظهارها ويَجْمَلُ في مِنصّةِ المحاضرةِ استحضارها<sup>(٢)</sup>، تأخذُ من الآدابِ بأطوارها وفنونها وتُشتملُ من المعاني على أبكارها وعونها<sup>(٣)</sup>..... وعِنْدَمَا كَمَلَ إبدارُها وتمَّ اغتيامُها واختيارُها رَفَقْتُهَا إليه سادِلةً<sup>(٤)</sup> ثوبَ الحياءِ تُقدِّمُ رجلاً وتؤخِّرُ أخرى من الاستحياء، رِيحانةً من أدواحٍ ونَسَمَةٍ من أرواحٍ<sup>(٥)</sup>. وقد قَسَمْتُهَا أربعةَ أقسامٍ قَصَدَ التنشيطِ والإِجامُ<sup>(٦)</sup>: القسمَ الأوَّلَ في المدحِ والثناء - القسمَ الثاني في النسيبِ والغزل - القسمَ الثالثَ في المُلحِ والفكاهات - القسمَ الرابعَ في الوصايا والحِكَم. وخَتَمْتُهَا بِنُبْدَةٍ من التَّوْشِيحِ الذي له في مِضمارِ<sup>(٧)</sup> الأدبِ الجالِ الفسيح.....

- قال ابن خاتمة في ذكر لُطْفِ الله ونعمه:

أما أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ لِلْحَقِّ مُرْشِداً؟ أما سَمِعْتَ أذْناكَ لِلَّهِ دَاعِياً؟  
أبعدَ مَشِيبٍ تَسْتَجِدُّ شَيْبَةً؟ وبعدَ هَوًى تَبْنِي عَمَى أَوْ تَعَامِيَا<sup>(٨)</sup>؟

- (١) الخُلصاء جمع خلص (بكسر الخاء): الخدن (بكسر الخاء): الصديق المخلص.
- (٢) بُنيّات جمع بنية (مؤنث بتي بضمّ الباء تصغير « ابن »). بنات الأفكار: الآراء، الأقوال. جملة: مقداراً يسيراً. استظهارها: حفظها غيباً. منصّة: منبر. المحاضرة: السابقة، المناظرة. استحضارها: تذكّرها عند الحاجة.
- (٣) البكر: (الأشياء) التي لم يعرفها أحد من قبل. الثُّون جمع عوان: المرأة التي كان لها زوج، والحرب التي قوتل فيها مرّة بعد مرّة، الشيء الذي عرف من قبل.
- (٤) الإبدار: الاكتمال (أصبحت كالبدن تامّة). الاعتِيام: أخذ الشيء. زفّها: أهداها، أرسلها. سادلة: مرخية.
- (٥) ريحانة (نبته لها رائحة طيبة) من أدواح: أشجار كبيرة (يقصد: شيئاً مختصراً من شيء مفصل، واسع). نسمة من أرواح: هواء قليل من رياح كثيرة.
- (٦) الإِجام: ردّ الجسم المتعب إلى الراحة.
- (٧) المِضمار: الثَّوْب، الجال الذي يركض فيه المتسابقون.
- (٨) تَسْتَجِدُّ شَيْبَةً: تطلب العودة إلى أفعال الثبّان.

وما بالُ صُدغِ الآسِ أخضرَ ناصعاً؟  
 فما خطباءُ العُربِ أفصحُ واعظاً  
 ولا صفحاتُ الهندِ أزدعُ زاجراً  
 وسائلة: ما بالُ جَفْنِكَ والبُكا؟  
 إليك، فما في خاطري فضلٌ وسعة  
 وما بالُ خدِّ الوردِ أحمرَ قانيا<sup>(١)</sup>؟  
 مِنَ الطيرِ يشدو لو فهِمْتَ المعانيا،  
 مِنَ البرقِ يبدو لو عَلِمْتَ النواهيا<sup>(٢)</sup>.  
 وما عَرَقْتَنِي عن هَوَى قَطُّ ساليا<sup>(٣)</sup>.  
 لِسَمْعِكَ فَضْلاً عن حديثِ غراميا<sup>(٤)</sup>.  
 - وله من موشحه:

يا مصباح  
 هل تلتاح،  
 قد أخجلَ الإصباح؛  
 يا بدرُ، أو ترتاح  
 لذي وُدٍّ<sup>(٥)</sup>؟

★ ★ ★

مرآكا  
 لَهَا  
 رِيَاكا  
 لا تُفَاخ  
 الفَوَاخ  
 البدرُ بالسَّعدِ.  
 الخمرُ بالشَّهدِ.  
 القَطْرُ بالنَّدِّ.  
 كَرِيْقِكَ النَّفَاخُ  
 يروُّحُ الأرواحُ  
 مِنَ الوَجْدِ<sup>(٦)</sup>.

★ ★ ★

- (١) الصدغ: جانب الرأس. الآس: نبات له أوراق تشبه بأذان الخيل شديدة الخضرة. ما الذي جعل لون الآس أخضر وجعل لون الورد أحمر. قان أو خان (من الفارسية: دم): شديد الحمرة.  
 (٢) صفحات الهند: السيوف من صنع الهند: أزدع زاجراً: أقوى أثراً في المنع (عن عمل الشر والأذى). من البرق (لأن البرق يدل على الزاجر الآلهي).  
 (٣) لماذا يكون البكاء ملازماً لجفنك (لعينك، لك)؟ ساليا: ناسياً، متسلياً عن، غافلاً عن.  
 (٤) إليك: اتركيني، أذهبي عني. - أنا مشغول (بحبي) عن أن أذكر لك خاطراً (فكرة في خاطري) فكيف يكون عندي وسعة من وقت لأسرد على سمعك حديث حبي (الطويل).  
 (٥) الإصباح: طلوع الصبح. - هل تلتاح (تتغير) يا (شبيه) البدر (عن عهدك في المحبة) أو ترتاح (تسكن تطمئن، تستقر على حب) ذي وُدٍّ (ذي محبة لك).  
 (٦) في السمد: في أعلى مكان من فلك البروج (في أتم أحواله). اللهي: سمة الثفتين (كناية عن التقبيل).  
 الشهد (بفتح الشين وكسرهما وضماً) المل قبل أن يؤخذ من أقراص شمعته. الريا: طيب الرائحة. =



يا جَنَّةَ                      قد ذَلَّ جانِبُها ،  
 وَفَنَّةَ                      قد ضَلَّ رائيها  
 بوجَنَّةَ                      قد جَلَّ بارِها  
 كَمَ أمداخ                      يَحْكُومُها المَدَاخُ  
 في إيضاح                      جَمالِكَ الوضاحِ

ولا تُجدي<sup>(١)</sup>!

- وقال في الغزل العفيف:

زارتُ على حَذَرٍ مِنَ الرُّقْباءِ                      والليلُ مَلْتَفٌ بِفَضْلِ رِداءِ<sup>(٢)</sup>.  
 تَصِلُ الدُّجاءُ بِسَوادِ قَرعٍ فَاحِمٍ                      لِتَزِيدَ ظِلْماءَ إِلَى ظِلْماءِ<sup>(٣)</sup>.  
 فَوَشَى بها مِنْ وَجْهِها وَحَلِيَّها                      بَذَرُ الدُّجى وَكواكِبُ الجُوزاءِ<sup>(٤)</sup>.  
 أَهْلاً بِزائِرَةٍ على خَطَرِ السُّرى                      ما كُنْتُ أَرْجُوها لِيَوْمِ لِقاءِ<sup>(٥)</sup>.  
 أَقْسَمْتُ لولا عِفَّةُ عُدْرِيَّةٍ                      وَتَقَى عَلَيَّ لَه رَقِيبٌ رائي<sup>(٦)</sup>،  
 لَنَقَعْتُ غَلَّةَ لَوْعَتِي بِرُضابِها                      وَنَضَعْتُ وَرَدَ خُدودِها بِبُكاكِي<sup>(٧)</sup>!

= القطر: ماء المطر (النقي، الصافي، الطاهر) الند: نبات له رائحة زكية. التفاح: الذي ينفتح (يبعث، يرسل، يفوح منه) رائحة طيبة. يروح (يسكن، يهدى، يدخل الاطمئنان على الإنسان). الوجد: الحب وألم الحب.

(١) المجاني (هنا): المذنب: ذلَّ جانبها: خسر من لم يتمتع بما فيها بالحق. الوجنة: صفحة الخد. بارها: خالفها. حاك: نسخ. إيضاح: تبيان، توضيح. الوضاح: المشرق، اللامع. تجدي: تنفع (مها يكثر الكلام لا يفيد بوصف جمالك).

(٢) الرقيب: الجاسوس على المحبين. ملتف بفضل (ببقية) رداء: لم يبق منه إلا قليل.

(٣) الفرع: الشعر. الفاحم: الشديد السواد (كالفحم). - إنَّ شمرها جعل سواد الليل (الذي كان قد بدأ يخفّ بأقتراب الصبح) أشدَّ سواداً.

(٤) الذي أعلمني أنها قادمة لزيارتي (في ذلك الليل) أن ضاء الليل (بنور وجهها) وسمعت صوت الحلى التي كانت تزين بها. (بدر: فاعل وشي). وجهها كاليد (بظهور نوره) وحليها تشبه كواكب الجوزاء (عنقود نجوم) لضعف نورها في رأي العين بالإضافة إلى البدر في رأي العين.

(٥) السرى: السير في الليل. اقتحمت سواد الليل (على ما في ذلك من الخوف والخطر) في وقت ما كنت أظن أنها تجيء إلى زيارتي.

(٦) عذرية: نسبة إلى بني عذرة (كان عشاقها مشهورين بعفتهم في الحب). الرقيب: الجاسوس على المحبين. رائي = راء (ناظر)!

(٧) الرضاب: الريق ما دام في الفم. نقعت: بللت، رويت وأرويت. الغلة: العطش. نضح: رش.

- وقال يَصِفُ الربيعَ وَيَدُلُّ في أَثناء ذلك على نِعَمِ الله :

أَهْلًا بِأَيَّامِ الرِّبْعِ وَطَيْبَهَا: أَنَسَ الْخَلِيعِ وَنَزْهَةَ الْمُتَبَتَّلِ<sup>(١)</sup>.  
زَمَنَ أَرْقُ مِنْ الْوِدَادِ شَائِلًا وَأَلَدُ مِنْ عَصْرِ الشَّبَابِ الْأَوَّلِ<sup>(٢)</sup>.  
أَعْجَبَ بِهِ مِنْ مِهْرَجَانٍ قَائِمٍ بَيْنَ الْبَسِيطَةِ وَالْحَيَا الْمُتَهَلِّلِ<sup>(٣)</sup>؛  
فَالطَّيْرُ تَشْدُو وَالْغَدِيرُ مُصَفَّقٌ وَالْقَضْبُ تَرْقُصُ وَالْأَزَاهِرُ تَنْجَلِي<sup>(٤)</sup>.  
فَاعْطِيفٌ عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ وَحَيَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حُسْنِ الرِّبْعِ الْمُقْبَلِ<sup>(٥)</sup>.  
وَأَجِلْ لِحَاطَتِكَ فِي صِفَاحِ كِتَابِهِ حَتَّى تَبَيَّنَ وَاضِحًا مِنْ مُشْكِ<sup>(٦)</sup>.  
مَا فَتَحَ الزَّهْرُ الْجَنِّيُّ ثُغُورَهُ إِلَّا لِيَرَشُفَ طَيْبَ ذَاكَ السَّلْسِلِ<sup>(٧)</sup>!

- وقال في الوصف والخمر :

إِلَى كَمْ يُنَادِيكَ دَاعِي الْوَتَرِ؟ فَلَبَّ الْبِدَاءِ وَدِنْ بِالسَّهْرِ<sup>(٨)</sup>!  
وَنَبَّهَ جَفُونِكَ مِنْ غَمَضِهَا، فَقَدْ نَبَّهَ الرَّوْضَ قَطْرُ الْمَطَرِ<sup>(٩)</sup>.  
أَمَا تُبْصِرُ الشُّهْبَ مِثْلَ الْعُقُودِ قَدْ نَهَبَ الصَّبْحُ مِنْهَا دُرَرَ<sup>(١٠)</sup>؛

- 
- (١) يَسِرُّهَا الْخَلِيعُ (الذي لا يبالي بقانون الأخلاق) والمتبتل (الزاهد).  
(٢) الشَّامِلُ جَمْعُ شَامِلٍ (يكسر التين): الخلق (بضمّ فضم)، الخصلة.  
(٣) المِهْرَجَانُ: العيد العظيم (يكون للملوك). البسيطة: وجه الأرض. الحيا: المطر. تهلل المطر: انسكب وسال. - أزهار الربيع بألوانها وروائها ثم الزكية الرائحة فلا ما بين الأرض والسحاب.  
(٤) القَضْبُ جَمْعُ قَضْبٍ: غصن. الأزاهر (الأزهار) تنجلي: تظهر وتفتتح!  
(٥) وجه الزمان (٩). حَيَّهْ: ألقِ عليه التحية.  
(٦) صِفَاحٌ تَقَالُ لَوُجُوهُ نَصَالِ السُّيُوفِ، وَهِيَ هُنَا: صَفَحَاتُ أَوْ صِفَاحٌ. - إِذَا جَلَّتْ بِنَظَرِكَ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ الْمَمْلُوءِ بِالنَّبَاتِ وَالْأَزْهَارِ اسْتَطَمَعْتَ أَنْ تَعْرِفَ كَثِيرًا مِنْ أَسْرَارِ الْوُجُودِ (١).  
(٧) الْجَنِّيُّ: الطَّرِيقُ. السَّلْسِلُ: الْمَاءُ الْعَذْبُ الصَّافِي (الذي يسهل مرووره في الخلق).  
(٨) دَاعِي الْوَتَرِ: صَوْتُ الْمَوْسِيقَى. لَبَّ: أَجَبَ. دِنْ (فعل أمر من دان) خَضَعَ، جَعَلَ الْأَمْرَ لَهُ عَادَةً.  
(٩) قَطَرَاتُ الْمَطَرِ جَمَلَتْ الْأَزْهَارُ تَفْتَحُ (فَكَأَنَّ الرُّوْضَ كُلَّهُ يَسْتَفِيقُ مِنْ نَوْمِهِ بَعْدَ لَيْلِ الشِّتَاءِ).  
(١٠) الشُّهْبُ جَمْعُ شَهَابٍ: الْحَجَرُ الصَّغِيرُ الْمُنْفَلَتُ مِنْ مَدَارِهِ حَوْلَ الْأَرْضِ وَالْقَاطِطُ إِلَى الْأَرْضِ يَشْتَعِلُ فَيُضِيءُ، حِينَمَا يَدْخُلُ جَوْ الْأَرْضِ. وَالشَّاعِرُ يَقْصِدُ بِالشُّهْبِ النُّجُومَ. مِثْلَ الْعُقُودِ: تَبْدُو لِلْعَيْنِ كَأَنَّهَا مَجَامِيعٌ يَرْتَبِطُ بَعْضُ نُجُومٍ كُلُّ مَجْمُوعٍ مِنْهَا بَعْضُهَا الْآخَرُ. قَدْ نَهَبَ الصَّبْحُ مِنْهَا دُرَرَ: لَمَّا اقْتَرَبَ الصَّبَاحُ خَفِيَ عِدَدٌ مِنَ النُّجُومِ الضَّئِيلَةِ النُّورِ (فَكَأَنَّ الصَّبْحَ قَدْ نَهَبَهَا أَوْ سَرَقَهَا).

وَضَمَّ الدُّجَا ذَيْلَهُ خَيْفَةً      عَلَيْهِ مِنَ الْبَحْرِ لَمَّا انْفَجَرَ<sup>(١)</sup>.  
 وَرَوَضُنَا تُجْتَسَلَى كَالْعُرُوسِ      كَسَاهَا سَنَا الصُّبْحِ مِثْلَ الْخَفَرِ<sup>(٢)</sup>.  
 وَقَدْ نَظَمْتُ مَائِلَاتُ الْفُصُوفِ      لَأَلْسِيءٍ طَلَّ عَلَيْهَا انْتَشَرَ<sup>(٣)</sup>!  
 وَقَامَتْ سَمَاءٌ لَنَا دَوْحَةٌ      تَطْلُعُ كَالزُّهْرِ فِيهَا الزَّهَرُ<sup>(٤)</sup>.  
 فَحُتَّ الْمُدَامَ وَسَقَّ النَّدَامَى      وَسَلَّ الْغَرَامَ وَخَلَّ الْفِكْرَ<sup>(٥)</sup>.  
 وَخَالِسَ زَمَانِكَ غَفْلَاتِهِ،      فَقَدْ فَازَ بِالْمَيْشِ مَنْ قَدْ جَسَرَ<sup>(٦)</sup>.

- ٤- ديوان ابن خاتمة الأنصاري.... (حقّقه الدكتور محمد رضوان الداية) دمشق (منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الجمهورية العربية السورية) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.  
 - أيراد (؟) اللآل من انشاد الضوالم<sup>(١)</sup> (طبع في أوروپة ثم صوّر في بغداد).  
 ★ تشير فرائد الجبان ٣٣١-٣٣٢؛ الإحاطة ١: ٢٤٧-٢٦٧؛ الكيبة الكامنة ٢٣٩-٢٤٥؛ نيل الابتهاج ٧٢؛ نفح الطيب ١: ٢٤، ١٧٥ (نصّ من مزّية المريّة)، ٤: ٣٤٦-٣٤٨، ٥: ٣٦٠-٣٦١ (نصّ من مزّية المريّة)، ٦: ٢٨-٣٨ (رسائل منه وإليه)، راجع ٢٣٠-٢٣١؛ أزهار الرياض ١: ٢٦٥-٢٦٧، ٣: ٥٤-٥٥، ٢٠٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣٧؛ بروكلمن ٢: ٣٣٥-٣٣٦، الملحق ٢: ٣٦٩؛ م ع م ع د ١٧: ٣٥٨ الأعلام للزركلي ١: ١: ١٧١-١٧٢ (١٧٦)؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٩: ٢.

- (١) ضمّ الدجا ذيله: تقلّص من جوانب السمل. - خاف الليل من هياج البحر فأراد أن يهرب!!  
 (٢) يجتلي الناس الشيء: لينظروا إليه (لجماله). الحفر: الحياء. - الروضة لم تبرز بكلّ ما فيها من جمال (لاستمرار الليل) فكأنّها خجلة لا تبدي كلّ ما فيها من جمال.  
 (٣) المائل ضدّ المستقيم (لعلّها: مائعات: المتحرّكة يميناً وشمالاً). الطلّ: المطر الخفيف. إنّ حبات ماء المطر الجامدة على الأغصان (من أثر الليل البارد) تشبه اللؤلؤ.  
 (٤) كان فوقنا دوحة (شجرة كبيرة) وكانت الزهر (بضمّ الزاي: النجوم) تبدو من خلال أغصانها وأوراقها كالأزهار.  
 (٥) حثّ المدام (الخمر) أسرع في شرب الخمر. سقّ (أكثر من إسقاء) الندامى (الذين يشتركون في شرب الخمر). سلّ: فعل أمر من «سلى» (طلب الترويع عن النفس). خلّ الفكر: دع التفكير في هموم الحياة.  
 (٦) خالس: خذ خلسة (على غفلة من غيرك). خالس زمانك غفلاته (إنّك لن تستطيع أن تنال سروراً من دهرك إلّا إذا كان غافلاً عنك). قد فاز بالعيش (الطيب) من جسر (من كان جريئاً).

## منديل بن أجروم

١- هو أبو المكارم منديل، واسمه محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي، وهو ابن النحوي المشهور أبي عبد الله محمد بن محمد بن أجروم (ت ٧٢٣ هـ).

تلقى منديل بن أجروم العلم على نفرٍ كثيرين منهم أثير الدين أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) والشيخ الخطيب أبو عبد الله القطان الأسفر (ت ٧٤٣ هـ) وقاضي الجماعة في تونس أبو عبد الله محمد بن عبد السلام المنستيري (ت ٧٥٠ هـ)، كما كان قد أخذ قراءة القرآن عن المكتب بن برال التونسي.

وحجّ منديل بن أجروم سنة ٧٤١ للهجرة ثم كانت وفاته في ربيع جمادى الأولى من سنة ٧٧٣ (١٣٧١/١١/١٤ م).

٢- كان منديل بن أجروم مُقرئاً للقرآن الكريم ولغوياً ونحوياً وفقهياً، كما كان أديباً وشاعراً مجيداً مُكثرأً، وكانت له براعة خاصة في اللغة والأدب، فكان يُقرئ مقامات الحريري كاحسن ما يكون إقراؤها.

### ٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو المكارم منديل بن أجروم في مدينة فاس (نفع الطيب ٧: ١٢٣-١٢٥):

أُثِّمُهَا العارِفون قَدَرَ الصُّبُوحِ ،	جَدَّدُوا أُنْسَنَا بِبَابِ الْفُتُوحِ <sup>(١)</sup> .
حَيْثُ شَابَتْ مَفَارِقُ اللَّوْزِ نَوْرًا	وَتَسَاقَطْنَ كَاللُّجَيْنِ الصَّرِيحِ <sup>(٢)</sup> .
وَكَأَنَّ الَّذِي تَسَاقَطَ مِنْهُ	شَفَقًا مَرَّقَنَّهُ أَيْدِي الرِّيحِ .
ثُمَّ حُطُّوا رِحَالَهُمْ فَوْقَ نَهْرٍ	كُلٌّ فِي وَصْفِهِ لِسَانُ الْفَصِيحِ <sup>(٣)</sup> ؛

(١) الصُّبُوح: شرب الخمر صباحاً. باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس، ويبدو أنه قد كان عنده جنائن يقصدها الناس للزَّهْة واللَّهْوِ.

(٢) النور: الزهر الأبيض. اللجين: الفضَّة.

(٣) كل: تعب، عجز.

فوق حافاتِه حدائقُ خُضْرٍ      ليس عنها لعاشقٍ مِنْ نِزوح.  
وكانَ الطيورَ فيها قِيانٌ      هتفتُ بين أعجمٍ وفصيح<sup>(١)</sup>،  
وهي تدعوكمُ إلى قُبَّةِ الجوّ      ز: هَلَمُوا إلى مكانٍ مليح<sup>(٢)</sup>.  
فيه ما تشتهون من كلِّ نورٍ      مُغَلِّقٍ في الكِيامِ أو مفتوح<sup>(٣)</sup>،  
وغصونٍ تهبّج رقصاً إذا ما      سَمِعَت صوتَ كلِّ طيرٍ صدوح<sup>(٤)</sup>.  
فأجيبوا دُعاءها، أئِها السّر      ب:، واخلّوا مَقالَ كلِّ نصيح<sup>(٥)</sup>.  
واجنحوا للمُجونِ فهو جديرٌ      وخليقٌ مِنْ مِثْلِكُمْ بالجنوح<sup>(٦)</sup>.  
واخلعوا ثمَّ للتصايي عِذاراً،      إنّ خلَعَ العِذار غير قبيح<sup>(٧)</sup>.  
تَنيرُ الشمسُ ثمَّ كُلَّ غُدُوٍّ      زعفراناً مُبَلَّلاً بنُضوح<sup>(٨)</sup>.  
فانهضوا، أئِها المُجُون، مثلي      لَنرى ذاتَ حُسنِها الملموح.  
هكذا يُرَبِّحُ الزمانُ، وإلاَّ      كُلُّ عيشٍ سواه غيرُ ربيع<sup>(٩)</sup>.

- قال أبو المكارم مَندِيلُ بْنُ آجروم (نفع الطيب (٢: ١٩٤ - ١٩٥):

حدّثني مَنْ يُوثَقُ بقوله أَنَّ أبا اسحاقَ الطُّويجِيْنَ كانت وفاته يومَ الاثنين ٢٧ جُمادى  
الأخيرة سَنَةَ ٧٤٧ بَتَنَبُّكُتو موضعٍ بالصحراءِ من عُمالَةِ مالي، رَحِمَهُ اللهُ. ثمَّ ضَبَطَ  
الطُّويجِيْنَ بكسر الجيم. قال: وبذلك ضَبَطَهُ بِحَظِّ يَدِهِ، رَحِمَهُ اللهُ. قال: وَمَنْ نَسَبَهُ  
لِلساحِلِيِّ، فَإِنَّهُ نَسَبَهُ لِجَدِّهِ لِلأَمِّ. انتهى.

٤-★★ نيل الابتهاج ٣٤٧؛ نفع الطيب ٢: ١٩٤ - ١٩٥، ٥: ٤١٨، ٧: ١٢٣ - ١٢٥.

- (١) القينة (بالفتح): المرأة الجميلة المغنية. هتف: رفع صوته. الأعجم الذي لا يفهم العرب كلامه.
- (٢) قبة الجوز...
- (٣) الكيام: الكأس (الأوراق الخضراء) التي تحيط بالزهرة قبل أن تتفتح الزهرة.
- (٤) الصدوح: ذو الصوت المطرب.
- (٥) السرب: الجماعة السائرون معاً.
- (٦) المجون: قلة المبالاة بالعرف الاجتماعي مع الانغماس في اللهو أحياناً. جنح: مال.
- (٧) الغدو: التبكير في السعي (في الصباح). النضوح: رش الماء على الأشياء.
- (٨) العذار: الرسن، اللجام. خلغ العذار كناية عن ترك الحياة في آتياں المحارم.
- (٩) يربح الزمان: تحصل منه استفادة للإنسان. الريح: ما فيه ربح (يقال: تجارة ريحة).

## أبو البركات بن الحاجّ البليقي\*

١- هو أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن الشيخ الولي أبي إسحاق<sup>(١)</sup> بن الحاجّ السلمي<sup>(٢)</sup> البليقي<sup>(٣)</sup>، وُلِدَ في المَرِيَّة سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ - ١٢٨٢ م)، وبدأ تعلّمه فيها وفي إشبيلية. ثمّ إنّه انتقل إلى المغرب وقرأ في بجاية على قاضي الجماعة أبي منصور أحمد بن عبد الحقّ المشدّالي (ت ٧٣١ هـ) ثمّ ذهب إلى مرّاكش وبعدئذٍ استقرّ في سبتة. ثمّ إنّه عاد إلى الأندلس ونزل في مالقة وأخذ عن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد الطنجاليّ.

وفي سنة ٧٣٥ هـ تولى أبو البركات البليقيّ القضاء في مالقة، ثمّ تولى القضاء والخطبة في المَرِيَّة ثمّ قضاء الجماعة في غرناطة ثمّ في المَرِيَّة ثانية. ثمّ أعيّد إلى قضاء غرناطة. وفي هذه الأثناء كان يقوم بالسّفارة بين الملوك (في الأندلس والمغرب). وفي أواخر أيامه استعفى من جميع المناصب. وكانت وفاته في المَرِيَّة، في رمضان<sup>(٤)</sup> من سنة ٧٧٣ (صيف ١٣٧٢ م).

٢- كان أبو البركات بن الحاجّ البليقيّ رجلاً صالحاً بُرّاعى الخلق الكريم في أقواله وأفعاله (كما سترى في قصيدته الحائية). وقد عمِلَ في بناء الآبار وبنى فيها بنفسه وبماله، وكان يقول (في شعره) إنّ الناس لا يعرفون ما في ذلك من اللذة الصحيحة ومن الشعور بالخير في النفس. وكان له شعرٌ ونثرٌ، وأغراضه وجدانية أبرزها العنصر الصوفي. غير أنّه كان لا يقبلُ الخرافات التي تُروى عن نفرٍ من رجال التصوّف (خرقَ القوانين الطبيعية والتوسّطَ بين الله وعباده). وكان مُصنّفاً له من الكتب: أسماء

(\*) هو غير أبي عبد الله محمد بن محمد بن الحاجّ المبدري الفاسي الفقيه المتصوّف المتوفى سنة ٧٣٧ للهجرة (الدياج المذهب ٣٢٧-٣٢٨).

(١) كان أبو إسحاق هذا من كبار المتصوّفة، وكان قبره في مرّاكش مشهوراً بزار (نفع الطيب ٥: ٤٧٤).

(٢) نسبة إلى بني سليم (بضمّ السين). وقيل إنّ من نسل العباس بن مرداس الصحابي الشاعر (ت ١٨ هـ).

(٣) بليقي حصن قرب المَرِيَّة. وهي بفتح الباء وسكون اللام (المرقبة العليا ٢٣٦).

(٤) في المرقبة العليا، رمضان سنة ٧٧٣ (ص ١٦٦). وفي نفع الطيب (٥: ٤٨٧) أنّ وفاته كانت في شوال، سنة ٧٧١.

الكتب والتعريفُ بمؤلفيها (على حروف المُعْجَم) - الإفصاح فيمن عُرِفَ بالأندلس بالصِّلَاح (في عدد من رجال التصوِّف) - مُشْتَبِهَاتُ مُصْطَلَحَاتِ الْعُلُوم - الْمُؤْتَمَنُ فِي أَنْبَاءِ مَنْ لَقِيَتْهُ مِنْ أَنْبَاءِ الزَّمَن - الْعَذْبُ وَالْأَجَاجُ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ الْحَاجِّ (ديوان شعره) - وَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ فِي غُلْطَةِ أَرْبَعِينَ مِنَ النَّقَادِ<sup>(٥)</sup> - تَارِيخُ الْمَرِيَّة - الْعَلَنُ فِي أَنْبَاءِ أَنْبَاءِ الزَّمَن - سُلُوكُ الْخَاطِر - شِعْرٌ مَنْ لَا شِعْرَ لَهُ (أَيُّ مَنْ لَمْ يَشْتَهَرْ بِالشَّعْرِ) الْخ.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال أبو البركات بن الحاج البليقي:

يَأْسَى شُجُونٌ حَدِيثِي الْإِفْصَاحُ	إِذْ لَا تَقُومُ بِشَرْحِهِ الْأُلُوحُ <sup>(١)</sup> .
قَالَتْ صَفِيَّةٌ، عِنْدَمَا مَرَّتْ بِهَا	إِبْلِي: أَتَنْزِلُ سَاعَةً تَرْتَاحُ <sup>(٢)</sup> ؟
فَأَجَبْتُهَا: لَوْلَا الرَّقِيبُ لَكَانَ لِي	مَا تَبْتَغِي بَعْدَ الْغَدَوِّ رَوَاحُ <sup>(٣)</sup> !
قَالَتْ: وَهَلْ فِي الْحَيِّ حَيٌّ غَيْرُنَا؟	فَاسْمَحْ - قَدَيْتُكَ - فَالْسَّاحُ رِبَاحُ.
فَأَجَبْتُهَا: إِنَّ الرَّقِيبَ هُوَ الْكَ	يَيْدِيهِ - مِنَّا - هَذِهِ الْأُرُوحُ <sup>(٤)</sup> ؛
وَهُوَ الشَّهِيدُ عَلَى مَوَارِدِ عَبْدِهِ،	سَيَّانٍ مَا الْإِخْفَاءُ وَالْإِفْصَاحُ <sup>(٥)</sup> .
قَالَتْ: وَأَيْنَ يَكُونُ جُودُ اللَّهِ إِذْ	يُخْشَى؟ وَمَنْ هَذِهِ الْأَفْرَاحُ.
فَافْرَحْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ،	وَاشْطَحْ فَتَشَوَّانُ الْهُوَى شَطَّاحُ <sup>(٥)</sup> .
وَارْهَجْ عَلَى ذِمِّ الرِّجَالِ وَلَا تَخَفْ،	فَالْحِلْمُ رَحْبٌ وَالنَّوَالُ مُبَاحُ <sup>(٦)</sup> .

(١) الشجن (يفتح ففتح): الفصن. الحديث شجون (متشعب، وله أصول غامضة).

(١ب) صَفِيَّةُ أَسْمُ فَتَاةٍ، كِتَابَةٌ عَنْ مَحَبَّةٍ مِثَالِيَّةٍ (فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ قِرَائَتَانِ صُوفِيَّةٌ).

(٢) تَبْتَغِي (خَطَأً) صَوَابُهُ: تَبْتَغِينَ. بَعْدَ الْغَدَوِّ (الْجِيءُ فِي الصَّبَاحِ) رَوَاحُ (رَجُوعٌ فِي الْمَاءِ).

(٣) الرَّقِيبُ (رَاجِعُ الْبَيْتِ الثَّلَاثِ أَيْضاً هُوَ (هَذَا) اللَّهُ!

(٤) الشَّهِيدُ: الشَّاهِدُ، الْحَاضِرُ. الْمَوْرِدُ: مَكَانُ الشَّرْبِ (كِتَابَةٌ عَمَّا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ).

(٥) الشَّطْحُ كَلِمَةٌ عَلَيْهَا رَعُونَةُ (لَفْظٌ قَبِيحٌ وَمَعْنَى سَلِيمٍ). قَتَلَ مَحْيِي الدِّينَ بْنَ عَرَبِيٍّ لِأَنَّهُ شَطَحَ أَمَامَ النَّاسِ

فَقَالَ: أَنْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ تَحْتَ قَدَمِي (يَقْصِدُ أَنَّكُمْ تَعْبُدُونَ «الْمَالَ»).

(٦) فِي الْقَامُوسِ: أَرْهَجَ (مَزِيدٌ بِالْمُهْزَةِ): أَثَارَ غُبَارَ الْحَرْبِ، طَرَبَ لِلْحَرْبِ، أَثَارَ الْفِتْنَةِ. الذِّمَّةُ: الْعَهْدُ....

(٤). النِّوَالُ: الْعَطَاءُ.

وانزل على حكم السرور ولا تبذل،  
واخلع عذارك في الخلاعة، يا أخي،  
وانظر إلى هذا النهار، فإنه  
لا تغذل الدنيا على تلويها،  
فأجبتها: لو كنت عالمة الذي  
من كل معنى غامض من أجله  
حتى لقد سكرت من الأمر الذي  
لعدرتني وعلمت أنني طالب  
فاترك صفيك قارعاً باب الرضا،  
يا أخت، حي على الفلاح وخلي،

فالوقت صاف ما عليك جناح<sup>(١)</sup>.  
باسم الذي دارت به الأقداح<sup>(٢)</sup>.  
ضحكت ونور جبينه وضاح.  
فليلها بعد المساء صباح.  
يبدو لتاركها وما يلتاح<sup>(٣)</sup>  
قد ساح قوم في الجبال وناحوا<sup>(٤)</sup>،  
هاموا به عند العيان فباحوا  
ما الزهد في الدنيا له مفتح<sup>(٥)</sup>.  
والله جلّ جلاله الفتاح \*  
فجاءتني حثوا المطي وراحوا \*

- وللبلقيتي مقطعات في الشكوى من كل شيء. من هذه المقطعات:

★ ★ قالوا: تغربت عن أهل وعن وطن.  
مضى الأحبّة والأهلون كلهم،  
أفرغت حزني ودمعي بعدهم، فأنا  
★ ★ قد كنت مغروراً بوعظي وما  
من حيث قد أملت إصلاحهم  
فلم أجذ للناس أوعظ من

فقلت: لم يبق لي أهل ولا وطن؛  
وليس بعدهم سكنى ولا سكن<sup>(٦)</sup>.  
من بعد ذلك لا دمع ولا حزن!  
أبث من علمي بين البشر،  
بالوعظ والعلم، فخان النظر.  
أصوات وعظا جلود البقر<sup>(٧)</sup>!

(١) لا تبذل (غلطة مشهورة في «لا تبال»): لا تهتم. الجناح: الذنب.

(٢) باسم الذي..... باسم الله (٩).

(٣) يلتاح: يعطش، يتغير (٩).

(٤) ناح: بكى (٩).

(٥) ما: ذلك الذي (مفعول به من «طالب»).

(\*) «فاترك» (في البيت الأول) ثم «حي» و«خلي» (في البيت الثاني) أفعال أمر للمفرد المذكّر على

التجريد (غائبة الشاعر نفسه)، برغم وجود «يا أخت» (في البيت الثاني).

(٦) السكى: المسكن (المنزل). السكن: الزوجة.

(٧) وعظا جلود البقر (٩).



★★ يا مَنْ إِذَا مَا رُمْتُ تَوَدِّعُهُ ، وَدَّعْتُ قَلْبِي قَبْلَ ذَاكَ الْوَدَاعِ .  
فَأَتَرَكُ التَّوَدِّيعَ عَمْدًا لِكَيْ أَعْلَلَ النِّفْسَ بِيَعُضِ الْخَدَاعِ<sup>(١)</sup> .  
يا مِحْنَةَ النِّفْسِ بِأَلُوفِهَا ، مِنْ أَجْلِهَا قَدْ جَاءَ هَذَا الصَّرَاعُ<sup>(٢)</sup> .  
★★ رَعَى اللَّهُ إِخْوَانَ الْحَيَانَةِ إِنَّهُمْ كَفَوْنَا مَوَوْنَاتِ الْبَقَاءِ عَلَى الْعَهْدِ .  
وَلَوْ قَدْ وَقَوْا كُنَّا أَسَارَى حُقُوقِهِمْ نُرَاوِحُ مَا بَيْنَ النَّسِئَةِ وَالْحِقْدِ<sup>(٣)</sup> .

- وفي سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) اتَّفَقَ أَنَّ أَبَا الْبَرَكَاتِ بْنَ الْحَاجِّ الْبَلْفَيْيَّ رَأَى تَطْلِيقَ امْرَأَتِهِ - لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ<sup>(٤)</sup> - فَأَوْقَعَ عَلَيْهَا طَلَقَةً وَاحِدَةً<sup>(٥)</sup> وَكُتِبَ ذَلِكَ فِي نُسْخَةٍ<sup>(٦)</sup> نَصُّهَا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ . يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ<sup>(٧)</sup> الرَّاجِي رَحْمَتَهُ مُحَمَّدٌ الْمَدْعُوُّ بِأَبِي الْبَرَكَاتِ ابْنِ الْحَاجِّ خَارَ اللَّهُ لَهُ<sup>(٨)</sup> وَلَطَفَ بِهِ :  
إِنَّ اللَّهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ لَمَّا أَنْشَأَ خَلْقَهُ عَلَى طِبَائِعٍ مُخْتَلِفَةٍ وَغَرَائِزَ شَتَّى - فَفِيهِمُ السَّخِيُّ وَالْبَخِيلُ ، وَالشُّجَاعُ وَالْجَبَانُ ، وَالْقَبِيّ وَالْفَطِنُ ، وَالْكَيْسُ وَالْعَاجِزُ ، وَالْمُسَامِحُ وَالْمُنَاقِشُ ، وَالتَّكَبُّرُ وَالتَّوَاضُعُ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَعْرُوفَةِ مِنَ الْخَلْقِ - كَانَتْ الْعُشْرَةُ لَا

- (١) .... بيعض الخداع: بأنهم لم ينفروا، لم يرحلوا.
- (٢) الصراع في نفس الإنسان قائم لأنه لا يستطيع تغيير شيء قد ألفه. النسبئة: الدين لأجل (تستدين مبلغاً وتعد وفائه بعد مدة).
- (٣) لو وفوا (بفتح الفاء) لوجب علينا لهم حق بأن نجازيهم على وفائهم في المستقبل. فإذا لم نفعل حققوا (بفتح القاف) علينا.
- (٤) لا بدّ في الطلاق في الإسلام من سبب شرعي. وقد ذكر أبو البركات هذا السبب في الصك الذي سجله على نفسه ونسب العيب في ذلك إلى نفسه لا إلى امرأته.
- (٥) في الإسلام يحقّ للمسلم أن يطلق امرأته ثلاث مرّات وأن يتردّها مرّتين، ولا يجوز استردادها بعد الطلقة الثالثة (بعد المرّة الثالثة). قال الله تعالى (٢: ٢٢٩ سورة البقرة): ﴿الطلاق مرّتان، فإصاك (بعدها) بمعروف أو تسريح بإحسان﴾.
- (٦) الطلاق يجب أن يكون بصكّ مكتوب (أو يشهد من القاضي). ويحسن الإشهاد على هذا الصكّ عند أهل السنة، ويجب الإشهاد عليه عند الشيعة والدروز.
- (٧) كلّ مسلم هو عبد الله. قال عبد الله الحجاج بن يوسف... قال عبد الله عبد الملك بن مروان... قال عبد الله عبيد الله بن الزبير..... الخ.
- (٨) أراد له الخير.

هَمَّ إِلَّا بِأَحَدٍ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِالْإِشْتِرَاكِ بِالصِّفَاتِ أَوْ فِي بَعْضِهَا وَإِمَّا بِصَبْرِ أَحَدِهَا  
 بِهِ إِذَا عُدِمَ الْإِشْتِرَاكُ. وَلَمَّا عَلِمَ الشَّارِعُ<sup>(١)</sup> أَنَّ بَنِي آدَمَ عَلَى هَذَا الْوَضْعِ شَرَعُ  
 لَهُمُ الطَّلَاقَ لِيَسْتَرِيحَ إِلَيْهِ مِنْ عَيْلٍ صَبْرُهُ<sup>(٢)</sup> عَلَى صَاحِبِهِ تَوْسِعَةً وَإِحْسَانًا مِنْهُ إِلَيْهِمْ<sup>(٣)</sup>.  
 فَلَأَجَلَ الْعَمَلِ عَلَى هَذَا طَلَّقَ كَاتِبُ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْمَذْكُورُ زَوْجَهُ الْحَرَّةَ الْعَرَبِيَّةَ  
 الْمَصُونَةَ عَائِشَةَ ابْنَةَ الشَّيْخِ الْوَزِيرِ الْحَسِبِ النَّزِيهِ الْأَصِيلِ الصَّالِحِ الْفَاضِلِ الطَّاهِرِ  
 الْمُقَدَّسِ الْمَرْحُومِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ الْمُغِيلِيِّ طَلَّقَةً وَاحِدَةً - مَلَكَتْ بِهَا أَمْرَهَا  
 دُونَهُ<sup>(٤)</sup> - عَارِفًا قَدْرَهُ. قَصَدَ بِذَلِكَ إِرَاحَتَهَا مِنْ عُسْرَتِهِ<sup>(٥)</sup>، طَالِبًا مِنَ اللَّهِ أَنْ يُغْنِيَ كُلًّا  
 مِنْ سَعَتِهِ<sup>(٦)</sup>، مُشْهِدًا بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ<sup>(٧)</sup> فِي صَحَّتِهِ وَجَوَازِ أَمْرِهِ<sup>(٨)</sup>، يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ أَوَّلِ  
 يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ الثَّانِي عَامٍ أَحَدٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ<sup>(٩)</sup>.

- وَقَالَ يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ الرِّجَالُ الصَّالِحُونَ تَمَّنُّ بِأَوْيِ إِلَى الْجِبَالِ هَرَبًا مِنَ النَّاسِ  
 (زَعَمًا بِأَنَّهُمْ مُتَصَوِّفُونَ):

زَعَمُوا أَنْ فِي الْجِبَالِ رِجَالًا صَالِحِينَ - قَالُوا - مِنَ الْأَبْدَالِ<sup>(١٠)</sup>.  
 وَأَدَّعَوْا أَنْ كُلًّا مِنْ سَاحٍ فِيهَا فَسَيَلْقَاهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

(١) الشَّارِعُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

(٢) يَبَاحُ الطَّلَاقُ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا اسْتَحَالَ عَلَى الزَّوْجَيْنِ أَنْ يَسْتَمِرَّا فِي بِنَاءِ أَسْرَةٍ سَعِيدَةٍ ثُمَّ خِيفَ  
 اسْتِمْرَارُ شِقَاقِهَا وَنَزَاعِهَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (٤: ٣٤ سُورَةُ النِّسَاءِ): ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَثَا حُكْمًا  
 مِنْ أَهْلِهِ وَحُكْمًا مِنْ أَهْلِهَا، إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (وَالْإِصْلَاحُ الْفَتْحُ وَفَتْحُ الْبَاءِ مَبَاحٌ).

(٣) تَوْسِعَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ (حَتَّى لَا يَمِيشَ الزَّوْجَانِ وَالْأُسْرَةُ مَعَهَا فِي نَكْدٍ مَسْتَمِرٍّ).

(٤) أَيُّ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ زَوَاجُهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا بِرِضَاهَا.

(٥) نَسَبَ هُنَا سُوءَ الْعُسْرَةِ إِلَى نَفْسِهِ هُوَ (وَهَذَا غَايَةٌ فِي الْإِحْسَانِ وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ).

(٦) هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (٤: ١٢٩ سُورَةُ النِّسَاءِ): ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ فَضْلِهِ﴾.

(٧) الْإِشْهَادُ عَلَى صَكِّ الطَّلَاقِ (الْحَاشِيَةُ ٦، ص ٥٠١).

(٨) لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ تَطْلِيقَ امْرَأَتِهِ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ أَوْ فِي مَرَضٍ يَضِيقُ مِنْهُ الْخُلُقُ أَوْ فِي ثَوْرَةٍ مِنَ الْغَضَبِ أَوْ فِي  
 حَالِ الْبُكَرِ (وَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَا يَقَعُ طَلَاقُهُ: لَا يَصَحُّ).

(٩) ١٣٥٠/٦/٨ م.

(١٠) الْأَبْدَالُ جَمْعُ بَدَلٍ (بِفَتْحٍ فَتَحَتْهُ أَوْ بِكَسْرِ فَكُونَتْ) وَبَدِيلٌ: وَالْأَبْدَالُ (فِي الصُّوفِيَّةِ) طَبَقَةٌ تَلِي طَبَقَةَ  
 الْأَطْطَابِ الْأَرْبَعَةِ، وَلَا يَحْتَظِرُ الْعَالَمُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ فِي زَمَنِ الْأَزْمَانِ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ (لَأَنَّهَا الصَّلَةُ بَيْنَ  
 اللَّهِ وَخَلْقِهِ).

فاخترَقْنَا تلكَ الجبالَ مراراً  
ما رأينا بها خلافَ الأفاعي  
وسباعٌ يَجْرُونَ بالليلِ عَدَواً  
ولو أنَّا كُنَّا لَدَى العُدُوِّ الأخ  
وإذا أَظْلَمَ الدُّجَى جاءَ إبلد  
هو كان الأُنيسَ فيها، ولولا  
خلَّ عَنكَ المحالَ، يا مَنْ تَعَنَّى.  
يَنعَالِ طَوْرًا ودُونَ نَعَالِ،  
وَشَبَا عَقْرِبَ كِمِثْلِ النَّبَالِ<sup>(١)</sup>،  
لا تَسْلُنِي عَنْهُمْ بَتْلَكَ اللَّيَالِي<sup>(٢)</sup>.  
رَى رَأَيْنَا نَوَاجِذَ الرُّبَالِ<sup>(٣)</sup>.  
حَسُّ إِلَيْنَا يَزُورُ طَيْفَ خَيَالِ<sup>(٤)</sup>.  
هُ أَصِيبَتْ عُقُولُنَا بِالْحَبَالِ<sup>(٥)</sup>.  
ليسَ يَلْقَى الرجالُ غيرَ الرجالِ<sup>(٦)</sup>!

٤-★★ المرقبة العليا ١٦٤-١٦٧؛ الإحاطة ٢: ١٠١-١٢١؛ الكتيبة الكامنة ١٢٧-١٣٤؛ الدياج المذهب ٢٩١-٢٩٥. (٣٢٣-٣٢٨)؛ نفح الطيب ٤: ١٥٣، ٥: ٤٧١-٤٨٧، ٦: ٣٨، ٨٨، ٢٦٦، ٤٨٢؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٩. (٣٩).

## لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ

١- هُوَ لِسَانُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ السَّلْمَانِيِّ، نِسْبَةً إِلَى سَلْمَانَ وَهُوَ مَوْضِعٌ فِي الْيَمَنِ؛ وَقَدْ جَاءَ أَهْلُهُ عَقِبَ الْفَتْحِ وَاسْتَقَرُوا فِي قُرْطَبَةَ ثُمَّ انْتَقَلُوا، بَعْدَ وَقْعَةِ الرَّبَضِ (رَاجِعَ فَوْقَ، ص ٨٩: ٤) إِلَى طَلَيْطَلَةَ. وَلَمَّا اشْتَدَّ خَطَرُ النَّصَارَى عَلَى طَلَيْطَلَةَ، فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ

(١) الشبا جمع شباة: إبرة القرب التي تلصق القرب بها.

(٢) السبع (بفتح ضم): كل حيوان يأكل اللحم.

(٣) العدو: أرض إفريقية. النواجد جمع ناجذ: الضرس. الرئبال: الأسد.

(٤) .... كأنه طيف خيال (منام).

(٥) الخبال: الجنون.

(٦) المحال: المستحيل (الذي لا يتفق في الواقع). تمنى: أتعجب نفسه (بطلب المستحيلات). ليس يلقى

الرجال...: إن الرجال من الناس لا يرون إلا رجالاً آخرين من الناس (ولا يصرون الملائكة والشياطين).

المُجَرِّي الخامس ، انتقلوا (في أيام جَدَّة سعيد) إلى لُوشة ، وكانت مدينةً كبيرة على نحو سبعين كيلومتراً غربَ غرناطة. وكان سعيدٌ هذا عالماً ورِعاً فجعل يُلقِي دُروسَه ومواعظه في لُوشة عند بُرجٍ لهم على مَقَرَّةٍ من أُملاكِهِم فَعَرِفَتِ الأُسرةُ باسمِ آلِ الخطيب بعد أن كانت تُعرَفُ بِآلِ الوزير. وكان والدُ ابنِ الخطيبِ في خِدْمَةِ بني نُصْرٍ في ديوان الإِشاء .

وُلِدَ لِسانُ الدين بنُ الخطيبِ في ٢٥ من رَجَبٍ من سَنَةِ ٧١٣ (١٣١٣/١١/١٦ م) في مدينة لُوشة ونشأ فيها وفي غرناطة. ولقد تَلَقَّى علومَه في غرناطة على نَقَرٍ منهم: الوزيرُ أبو الحسن عليُّ بن الجِيَّاب (ت ٧٤٩ هـ)، وأبو عبد الله محمدُ بنُ الفَخَّارِ الإليبريُّ النحوي (ت ٧٥٤ هـ)، والمحدِّثُ أبو القاسم محمدُ بنُ أحمد الحسنيُّ السبتي التلمساني (ت ٧٦٠ هـ)، والقاضي أبو البركاتِ محمدُ بن محمد بن الحاجِّ البَلْفَقي (ت ٧٧١ هـ)، والمحدِّثُ الفقيه أبو عبد الله محمدُ بن محمد بن مرزوقِ التلمساني (ت ٧٨١ هـ) وكان قد وَفَدَ على غرناطة، سنة ٧٥٣ هـ، وعُيِّنَ خُطيباً لمسجِدِ الحمراء فتصدَّر فيه للتدريس. وكان من شيوخه أيضاً شمسُ الدين بنُ جابرِ الوادي آشي والطبيبُ الفيلسوفُ أبو زكريَّا يحيى بن هذيل.

وفي سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ - ١٣٤١ م) تُوُفِّيَ والدُ ابنِ الخطيبِ فحلَّ هو مكانَه في ديوان الإِشاء كاتباً لأستاذه أبي الحسن بن الجِيَّاب وزيرِ السلطان أبي الحَجَّاج يوسفَ الأولِ النِّيارِ (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ). وفي سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٩ م) تُوُفِّيَ ابنُ الجِيَّابِ في الطاعونِ الجارِفِ فَخَلَفَهُ لِسانُ الدين في الوزارة ورئاسة ديوان الإِشاء (وكان رئيسُ الوزارة أو الحاجبُ أبو نعيمِ رِضوانُ). ولما قُتِلَ أبو الحَجَّاج وخَلَفَهُ ابنُه محمدٌ (الخامس) الغنيُّ بالله، سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) استمرَّ رِضوانُ في الحِجَابَةِ وَلِسانُ الدين في الوزارة.

وسَفَرَ لِسانُ الدين للغنيِّ بالله إلى السلطان المريني أبي عِنانِ فارسِ المتوكِّلِ على الله (٧٤٩ - ٧٥٩ هـ) تأكيداً للوَدَّةِ واستنجاداً على الطاغية مَلِكِ قُشتالة. وعَظُمَتِ ثَقَّةُ الغنيِّ بالله في لِسانِ الدين فَلَقَبَهُ «ذا الوزارتين».

وفي ٢٨ من رَمَضانَ من سنة ٧٦٠ خَلَعَ الغنيُّ بالله وَقُتِلَ الحاجبُ رِضوانُ ففَرَّ

الغني بالله إلى فاس ونَزَلَ على السلطان أبي سالم إبراهيم بن علي. ومع أن لسان الدين جعل يُصانع السلطان الجديد إسماعيل (الثاني) بن يوسف (٧٦٠-٧٦١ هـ) فإن السلطان الجديد لم يطمئن إليه فما عتَمَ، بتحريض من حوله، أن نكبه وصادر أمواله وأملاكه. غير أن لسان الدين استطاع الهرب فلبأ إلى فاس أيضاً والتقى في بلاط فاس المريني بـابن خلدون.

وفي منتصف سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦١ م) استطاع الغني بالله أن يعود إلى غرناطة ويسترد ملكه فاستدعى لسان الدين من فاس وردّه إلى الوزارة فعَلَتْ مكاتته من جديد وعظّم نفوذه.

وغاظ ذلك الخصوم والحساد كالوزير الشاعر ابن زمرك تلميذ لسان الدين وكقاضي الجماعة في غرناطة أبي الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي (٧١٣- نحو ٧٩٨ هـ) فجعلوا يُحرّضون الغني بالله عليه يتهمونه بالانحراف في ولائه وبالإلحاد. وأدرك لسان الدين أن من الأسلم مبارحة الأندلس قبل قوات الأوان فاستأذن بالذهاب إلى الحج ثم ذهب إلى فاس.

وزاد الخصوم والحساد في تحريض الغني بالله على لسان الدين فأحرقت كتب لسان الدين في غرناطة، في منتصف سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧٢ م) ثم كتب الغني بالله إلى السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز المستنصر بن علي بأن يقبض على لسان الدين ويعدمه. فلم يلتفت عبد العزيز لهذا الطلب.

وفي ربيع الثاني من سنة ٧٧٤ (١٣٧٣ م) توفي عبد العزيز وخلفه ابنه أبو زيان محمد السعيد، وكان طفلاً صغيراً. فساءت الأحوال بين بني الأحمر وبين بني مرين فقام بنو الأحمر بقتنة في المغرب ذهبت بحمد السعيد وجاءت بأبي العباس أحمد المستنصر بن إبراهيم، في السادس من المحرم من ٧٧٦ (١٣٧٤/٦/١٧ م). وعلى الأثر جاء ابن زمرك \* إلى فاس يُطالب أبا العباس أحمد بضمن الوصول إلى العرش على ما كان قد جرى الاتفاق بشأن لسان الدين. فحوكم لسان الدين محاكمة صورية وأُلقي في السجن. ودخل عليه قوم من الرُعاة قتلوه في سجنه، (أوائل ٧٧٦ هـ = أواسط ١٣٧٤ م).

\* زمرك (بفتح الزاي والميم أو بضمها).

٢- كان لسان الدين ابن الخطيب رجلاً مُتعدّد نواحي الشخصية واسع الثقافة مُحيطاً بوجوه كثيرة من فنون عصره بارع التعبير عن كلّ موضوع يتناوله حتّى إنّه كَتَفَ أنوارَ كثيرين من الذين عاصروه. وبرّع في الفلسفة والسياسة والطب، وأمّا في التاريخ فكان مؤرّخ عصره بلا منازع.

ثمّ هو أديبٌ ناثِرٌ ومُترسِّلٌ وشاعرٌ مقتدرٌ، وهو مُكثِّرٌ مِنَ النّـتـاجِ في النثر وفي الشعر. غير أنّه كثيرُ التكلّفِ في النثر والشعر معاً ممّا يدلّ على مقدرة في الفنّين تجعل أسلوبه فيها قوياً مُرصّعاً فخماً، ولكنّ سَلْبُهُ كثيراً من الطَّلَاوة. وعلى كلّ فإنّ أدبه أعظمُ قيمةً في مادّته وفي خصائصه المعنوية. وسنستطيع أن نرفع شأن النّـتـاجِ الأدبيّ لسان الدين إذا نحن نظرنا إليه على أنّه صورةٌ صحيحةٌ أُمينةٌ للعصر الذي عاش فيه. فَمِنْ شعره الجميل ذي العاطفة والأثر في النفوس قوله لما جاء سفيراً إلى أبي عَـنـانٍ يستنجده على الطاغية ملك قِـسْطالَة (نفع الطيب ٥ : ٩٨-٩٩):

خليفة الله، ساعد القدر	علاك ما لاح في الدجى قمر؛
ودافعت عنك كف قدرته	ما ليس يستطيع دفعه البشر.
وجّهك في النائبات بدر دجى	لنا، وفي المحل كُفك المطر <sup>(١)</sup> .
والناس طراً بأرض أندلس	لولاك ما أوطنوا ولا عمروا <sup>(٢)</sup> .
وجُملة الأمر أنه وطن	في غير عليك ما له وطر.
ومن به - مذ وصلت جبلهم -	ما جحدوا نعمة ولا كفروا.
وقد أهتمهم بأنفسهم	فوجهوني إليك وانتظروا!

ولسان الدين بن الخطيب مُصنّفٌ خِصْبٌ له كُتُبٌ قيّمة منها: الحُلل المرقومة (= رقم الحلل في نظم الدول): تاريخ منظوم شعراً لملوك المشرق والمغرب والأندلس يتخلّله

(١) المحل: القحط، الجفاف (حين لا تنبت الأرض شيئاً).

(٢) طراً: جميعاً. أوطن الرجل المكان: اتّخذهُ وطناً. عمر الرجل الأرض: سكنها، وعمر الرجل الدار: بناها.

شروحٌ نثراً - اللوحة البدرية في الدولة النصرية (مختصر لتاريخ بني نصرٍ في غرناطة حتى سنة ٧٦٥ هـ) - الإحاطة في أخبار غرناطة - أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام - التاج المحلى في مساجلة القذح الملعلى (تاريخ مملكة بني نصر) - نفاضة الجراب في علالة الاغتراب (أخباره ووصف أحواله في أثناء منفيه بالمغرب) - خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف (رحلة في مدن الأندلس) - مقنعة السائل عن المرض الهائل (وصف الطاعون الجارف الذي كان سنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - ربحانة الكتاب ونجعة الكتاب (ملخصات من عدد من كتبه ثم من عدد من الرسائل) - معيار الاختيار في ذكر المشاهد والديار (.... المعاهد والآثار) - السحر والشعر (مختارات من شعر شعراء المشرق وشعراء الأندلس) - الكتيبة الكامنة في من لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة - كناسة الدكان بعد انتقال السكان (رسائل متبادلة بين السلطان أبي الحجاج يوسف ملك غرناطة والسلطان أبي عنان المريني) - مفاضلة (مفاخرة) بين مالقة وسلّا - طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر (مختصر للوحة البدرية) - الإكليل الزاهر في من فصل (٩) عند نظم التاج والجواهر (وهو تكملة لكتاب المحلى) - كتاب عمل من طب لمن حبّ (في الطب) - الوصول لحفظ الصحة في الفصول (في الطب والحمية، إلخ) - بستان الدول (كتاب في السياسة والحرب والقضاء وطبقات المجتمع، لم يتم) - درة التنزيل وغرة التأويل - المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية (ترجمة حياته) - الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة (مجموع شعر أستاذه أبي جعفر بن صفوان) - مجموع من شعر ابن الجيّاب - مجموعة من موشحات أئمة التوشيح بالأندلس - عائد الصلة (تنمة لكتاب الصلة لابن الزبير) - ديوان شعره .

### ٣ - مختارات من آثاره:

- موشحة لسان الدين بن الخطيب المشهورة، وهي معارضة لموشحة ابن سهل الأندلسي راجع ص ١٧٤؛ ثم راجع آخر هذه الموشحة):

جادك الغيثُ، إذا الغيثُ همى، يا زمان الوصلِ بالأندلس .

لم يكن وصلوك إلا حُلماً في الكرى أو خلسة المختلس!

إذ يقود الدهرُ أشتاتَ النسي زُمراً بين فرادى وثُنا،  
والحيا قد جَلَلِ الروض سناً، وروى النُعمانُ عن ماء السماء.  
فكساه الحُسنُ ثوباً معلماً يزدهي منه بأهوى ملبسٍ (٥).

في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى مال نجم الكأس فيها وهوى  
وطرٌّ ما فيه من عيب سوى حين لَذَّ الأنسُ فيه، أو كما  
غارتِ الشهبُ بنا، أو ربّما أثرت في الدجى لولا شمسُ الغررِ (٦).  
مُستقيم السيرِ سَعَدَ الأثرُ (٧). أنه مرَّ كلمح البصرِ.  
هجم الصبحُ هجوماً الحرسِ. أثرت فينا عيونُ الترجسِ (٨).

أيُّ شيءٍ لا مرىء قد خلّصا أيكون الروضُ قد مكنَ فيه (٩)؟  
تَنَهَّبُ الأزهارُ فيه الفُرصا أمنت من مكرِهِ ما تَتَّقِيهِ (١٠).

(١) يفعل ما تشتهي نحن.

(٢) الموسم: العيد، المناسبة التي يجتمع فيها الناس.

(٣) الحيا: المطر. سنا: ضياء، بهاء، جمال.

(٤) النعمان: شقائق النعمان (زهر يري أحر). النعمان: أحد ملوك الحيرة. ماء السماء: المطر. ماء السماء: ماوية أم المنذر الثالث ملك الحيرة أحد أسلاف النعمان المذكور. مالك فقيه عظيم مشهور هو صاحب المذهب المالكي. أنس: والد مالك، وكان خادماً لرسول الله ولم يكن له شيء من علم ابنه مالك.

(٥) مزين، مزخرف.

(٦) الغرر جمع غرة بضم الغين: القصة (بضم القاف): الشعر في مقدمة الجبهة.

(٧) نجم الكأس: الحبيب الذي يطفو على كأس الخمر. مال نجم الكأس: انحدرت الخمر في حلوقنا، شربناها.

(٨) غارت الشهب بنا: انحدر حباب الخمر (أو الخمر) في حلوقنا. عيون الترجس (زهر أبيض وفي وسطه شيء أصفر): عيون النساء الحسنات. - سكرنا من الخمر ومن عيون الحسنات.

(٩) أي الناس صَفَتْ له الحياة وعاش مطمئناً حتى يكون الروض دائماً أخضرَ مزدهراً؟

(١٠) - من أجل ذلك تتفتح الأزهار ثم تذبل من تلقاء نفسها حتى تأمن أن يندثر بها الزمن ويقضي عليها وهي =



وَإِذَا الْمَاءُ تَنَاجَى وَالْحصى،  
تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيُوراً بَرَمَا  
وَتَرَى الْآسَ لَيِّباً فِيهَا

يَا أَهْلَ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْفَضَا،  
ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْفَضَا؛  
فَاعِيدُوا عَهْدَ أَنَسٍ قَدْ مَضَى  
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمَا  
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمَا،

وَبَقْلِي مِنْكُمْ مُقْتَرِبُ  
قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ  
قَدْ تَسَاوَى مُحْضِنٌ أَوْ مُذْنِبُ  
أَحْوَرُ الْمُقْلَةِ مَعْسُولُ اللَّمَى  
سَدَّدَ السَّهْمَ فَأَضْمَى إِذْ رَمَى

إِنْ يَكُنْ جَارَ، وَخَابَ الْأَمْلُ  
فَهَوَّ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ؛

وَحَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيَّةٍ (١).  
يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِي (٢).  
يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأُذُنِي فَرَسٍ (٣).

وَبَقْلِي مَسْكَنٌ أَنْتُمْ بِهِ (٤)،  
لَسْتُ أَدْرِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ.  
تُنْقِذُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ (٥).  
يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسٍ؛  
أَفْتَرَضُونَ خَرَابَ الْحَبْسِ؟

بِأَحَادِيثِ الْمُنَى وَهُوَ بَعِيدُ:  
شَقْوَةُ الْمُضْنَى وَهُوَ سَعِيدُ.  
فِي هَوَاةٍ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدُ.  
جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالُ النَّفْسِ (٦)؛  
بِفَوَادِي تَبْلَاةِ الْمُفْتَرَسِ.

- وفؤاد الصَّبِّ بالشوقِ يَذُوبُ -  
ليس في الحبِّ لِحَبُوبٍ ذُنُوبُ.

= غافلةً (للأزهار مُدَّةً معينة قصيرة تستوفى فيها الأزهار كل عام، بخلاف الإنسان الذي لا يعلم متى يدركه الموت، وقد يدركه الموت قبل أن يحقق شيئاً من الغاية من الوجود).

(١) الماء يناجي الحصى (٢): يكلمه سراً، يوسوس له (كناية عن الصوت الذي يحدثه ماء النهر عند مروره على الحجارة).

(٢) ورقة الآس تشبه أذن الحصان الفقيّ. - كأن الآس بانتصاب أوراقه يحاول أن يحتس السمع ويعرف ما تحدث به.

(٣) وادي النضا قرب مكة.

(٤) العاني: الأسير، أسير حبيكم.

(٥) الحبس (في المشرق): الحبوس، (في المغرب): الوقف (الأوقاف)، الموقف (قلبي الموقف على حبيكم).

(٦) الحور: شدة بياض العين وشدة سوادها. اللوى: السمرة في الشفة.

أمره مُعْتَمَلٌ مُتَثَلٌ      في ضلوعٍ قد بَرَّاهَا وقلوبُ<sup>(١)</sup>.  
حَكَمَ اللَّحْظَ بِهَا فَاحْتَكَمَا،      لم يراقبَ في ضِعَافِ الأنفُسِ.  
يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَا،      ويُجَازِي الْبَرَّ مِنْهَا وَالْمُسِي.

مَا لِقَلْبِي كَلِمًا هَبَّتْ صَبَا      عَادَةُ عَيْدٍ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ<sup>(٢)</sup>!  
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبًا      قَوْلُهُ: إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدُ<sup>(٣)</sup>؟  
جَلَبَ الِهْمَّ لَهُ وَالْوَصْبَا      فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جُهْدٍ جَهِيدُ<sup>(٤)</sup>  
لَاعَجٌ فِي أَضْلَمِي قَدْ أَضْرِمَا،      فَهَوَّ نَارٌ فِي هَشِيمِ الْيَبَسِ<sup>(٥)</sup>  
لَمْ يَبْدَعْ مِنْ مُهْجَتِي إِلَّا ذَمَا      كِبَاءُ الصُّبْحِ بَعْدَ الْغَلَسِ<sup>(٦)</sup>.

سَلَمِي، يَا نَفْسُ، فِي حُكْمِ الْقَضَا      وَاعْمُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعِي وَمَتَابُ<sup>(٧)</sup>.  
دَعَاكَ مِنْ ذِكْرِ زَمَانٍ قَدْ مَضَى      بَيْنَ عُتْبِي قَدْ تَقَضَّتْ وَعِتَابُ<sup>(٨)</sup>  
وَاصْرِفِي الْقَوْلَ إِلَى الْمَوْلَى الرِّضَا      مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ<sup>(٩)</sup>.  
الْكَرِيمِ الْمُتَهَيِّى وَالْمُنْتَمَى      أَسَدِ السَّرَجِ وَبَدْرِ الْمَجْلِسِ<sup>(١٠)</sup>.

- (١) أمره (أمر المحبوب): حكمه، إرادته. معتمَل (معناها في هذا النص): يجب العمل به. مثَل: تجب طاعته. ولكنَّ أمر المحبوب صعب التنفيذ يبري الحبَّ: يجعله نحيلًا، هزيلًا، مريضًا.
- (٢) الصبا، ريح الشرق. عيد، الأمر الذي يعود مرة بعد أخرى.
- (٣) اللوح المحفوظ: المقضي به في علم الله على البشر، المكتوب عليهم منذ الأزل. ﴿إن عذابي لشديد﴾ تضمين من سورة إبراهيم (١٤: ٧).
- (٤) الوصب: التعب. الأشجان (جمع شجن بفتح ففتح): الأحزان. للأشجان: من الأشجان. جهد جهيد: تعب شديد جداً.
- (٥) اللعاج: العاطفة المتقدمة، الهوى الشديد المحرق.
- (٦) الذماء: بقية الروح في الجسد. الغلس: الظلام في آخر الليل. كبقاء الصبح بعد الغلس (الملوح أن الشاعر يقصد أن يقول: «شيئاً قليلاً»، ولكن التشبيه لا يؤدي هذا المعنى).
- (٧) - أقبلني بقضاء الله. أعمري (أقضي) الوقت برجمي (بالرجوع إلى الله).
- (٨) العتاب: اللوم على ما فات. العتي: الرضا (بعد العتاب).
- (٩) أم الكتاب: سورة الفاتحة (الأولى في المصحف).
- (١٠) المنتهى: النهاية (أي ذاته، ذات المدوح وشخصه). المنتمى (أسلافه). أسد السرج (البطل إذا ركب الخيل، في الحرب). بدر المجلس (السيد الذي تتجه إليه الأنظار في كل اجتماع).

يَنْزِلُ النُّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلًا      يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدُسِ (١)

مُصْطَفَى اللَّهِ سَمِيَّ الْمُصْطَفَى      الْغَنِيِّ بِاللَّهِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ (٢).  
مَنْ إِذَا مَا عَقَدَ الْعَهْدَ وَفَى      وَإِذَا مَا قُبِحَ الْخُطْبُ عَقْدٌ (٣)  
مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، وَكَفَى،      حَيْثُ بَيْتُ النُّصْرِ مَرْفُوعُ الْعَمَدِ (٤):  
حَيْثُ بَيْتُ النُّصْرِ مَحْمِيُّ الْحِمَى      وَجَنَى الْفَضْلِ زَكِيُّ الْمَغْرَسِ.  
وَالْهَوَى ظِلُّ ظَلِيلٍ خَيْمًا،      وَالنَّدَى هَبَّ إِلَى الْمَغْرَسِ (٥)

هَا كَمَا يَا سَبْطَ أَنْصَارِ الْعَلَا      وَالَّذِي إِنْ عَثَرَ الدَّهْرُ أَقَالَ (٦):  
غَادَةً أَلْبَسَهَا الْحُسْنَ مُلَا      تَبَهَّرُ الْعَيْنَ جَلَاءً وَصِقَالَ (٧)  
عَارَضَتْ لَفْظًا وَمَعْنَى وَحُلَى      قَوْلَ مَنْ أَنْطَقَهُ الْحُبُّ فَقَالَ  
(هَلْ دَرَى ظَنِّي الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى      قَلْبَ صَبِّ حَلَّةٍ عَنْ مَكْنَسِ (٨).  
فَهَوًى فِي حَرٍّ وَخَفَقٍ مِثْلًا      لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ).

- وقال لما زار قبر المعتمد بن عباد في أغاث بإفريقية:

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوْعٍ بِأَغَاثٍ:      رَأَيْتُ ذَلِكَ مَنْ أَوْلَى الْمَهْمَاتِ.

(١) روح القدس: جبريل.

(٢) مصطفى الله (الذي اختاره الله) سمي (المشابه بالاسم) المصطفى (محمد رسول الله). الغني بالله (محمد الخامس الغني بالله من ملوك بني نصر في غرناطة).

(٣) إذا قبح الخطب (إذا اشتدت الأمور) عقد (العزم وكان حازماً في معالجتها) في نفح الطيب (٧: ١٤): فتح (بالبناء للمجهول).

(٤) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري من دهاة العرب (راجع المهر لآين حبيب، ص ١٥٥، و ١٨٤). وبنو نصر أصحاب غرناطة كانوا يردون نسبهم إلى قيس بن سعد.

(٥) الندى: بخار الماء المعلق في الهواء (في الليل). - من يزرع جنيئة يتمتع بالجو الجميل الذي ينشأ منها!

(٦) السبط (حفيد الرجل من أبنته).... إن عثر الدهر بأحد أقاله (أنهضه من غثرته) أو إذا عثر الدهر نفسه، فإنَّ محمدًا الخامس الغني بالله يمكن أن يساعد الدهر على النهوض!

(٧) الغادة: المرأة الجميلة (القصيد). الملاءة: ثوب ينشر على الفراش (وثوب سايف تلبه المرأة) جمعها ملاء (بضم الميم أيضاً).

(٨) الصب: الحب. حلّة: نزل فيه، سكنه. المكنس والكناس (بالكسر): بيت الغزال.

لَمْ لَا أَزُورُكَ، يَا أُنْدَى الْمُلُوكِ يَدَا  
وَأَنْتَ مَنْ لَوْ تَخَطَّى الدَّهْرُ مَصْرَعَهُ  
أَنَافَ قَبْرِكَ فِي هَضْبٍ يُمَيِّزُهُ  
كُرِّمْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَأَشْهَرْتَ عَلَا،  
مَارِيءَ مِثْلِكَ فِي مَاضٍ، وَمُعْتَقَدِي  
وَيَا سِرَاجَ اللَّيَالِي الْمَذْلَمَاتِ<sup>(١)</sup>.  
إِلَى حَيَاتِي، لَجَادَتْ فِيهِ أُيَاقِي.  
فَتَنْتَحِيهِ حَفِيَّاتُ التَّحِيَّاتِ<sup>(٢)</sup>.  
فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ.  
الْأَيُّرَى - الدَّهْرَ - فِي حَالٍ وَلَا آتِي<sup>(٣)</sup>.

- التاريخ (من مقدّمة «الإحاطة»)

.... ولَمَّا كَانَ الْفَنُّ التَّارِيخِيُّ مَأْرَبَ الْبَشَرِ وَوَسِيلَةً إِلَى ضَمِّ النُّشْرِ<sup>(٤)</sup> يَعْرِفُونَ بِهِ  
أَنَسَابَهُمْ فِي ذَلِكَ شَرْعًا وَطَبْعًا وَمَافِيهِ، وَيَكْتَسِبُونَ بِهِ عَقْلَ التَّجَرُّبَةِ فِي حَالِ السَّكُونِ  
وَالرَّفِيهِ<sup>(٥)</sup>، وَيَسْتَدَلُّونَ بِبَعْضِ مَا يُبْدِي بِهِ الدَّهْرُ وَيَسْفِيهِ، وَيَرَى الْعَاقِلُ مِنْ تَصْرِيفِ  
قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَشْرَحُ صَدْرَهُ بِالْإِسْلَامِ وَيُخْفِيهِ، وَيَمُرُّ عَلَى مَصَارِعِ الْجَبَابِرَةِ فَيَحْسِبُهُ  
بِذَلِكَ وَاعِظًا وَيَكْفِيهِ. وَكُنَّا اللَّهُ يَتَخَلَّلُهُ مِنَ الْقَصَصِ مَا يُتِمُّ هَذَا الشَّاهِدَ لِهَذَا الْفَنِّ  
وَيُؤَيِّدُهُ. قَالَ تَعَالَى<sup>(٦)</sup>: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾. وَقَالَ  
عَزَّ مِنْ قَائِلٍ<sup>(٧)</sup>: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَإِنْ  
كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾.

فَوَضَّحَ سَبِيلَ مُبِينٍ، وَظَهَرَ أَنَّ الْقَوْلَ بِفَضْلِهِ يَقْتَضِيهِ عَقْلٌ وَدِينٌ<sup>(٨)</sup>. وَإِنَّ بَعْضَ  
الْمُصَنِّفِينَ مِمَّنْ تَرَكَ نَوْمَهُ لِمَنْ دُونَهُ، وَأَنْزَفَ مَاءَ شَبَابِهِ مُودِعًا إِيَّاهُ بَطْنِ كِتَابِهِ يَقْصِدُهُ

(١) الليل المذلم: الشديد الظلام (المصائب الكبيرة).

(٢) أناف: علا، ارتفع. انتحى: مال إلى ناحية. الحفي: الذي يهتم بالأمر (تأتيه التحيات المخلصة من كل جانب).

(٣) رميء (رؤي). الدهر (بالنصب): طول الدهر.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) لعلماء: السكون الرفيع (بلا واو العطف): السكون في سعة من العيش.

(٦) القرآن الكريم ١١: ١٢٠، هود.

(٧) القرآن الكريم ١٢: ٣، يوسف.

(٨) فضله = بفضل التاريخ.

الناسُ وَيَرِدُونَهُ <sup>(١)</sup> اخْتَلَفَتْ فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ أَغْرَاضُهُمْ. فَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَنَى بِإِثْبَاتِ حَوَادِثِ الزَّمَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَنَى بِرِجَالِهِ بَعْدَ اخْتِيَارِ الْأَعْيَانِ عَجْزاً عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهَذَا الشَّانِ، عَمُوماً فِي أَكْثَرِ الْأَقْطَارِ وَخُصُوصاً فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ (ثُمَّ يَعِدُّ لِسَانِ الدِّينِ أَسْمَاءَ نَفَرٍ كَثِيرِينَ أَلْفَوْا كِتَاباً فِي تَارِيخِ مَدِينِهِمْ).

فَدَاخَلْتَنِي عَصِيَّةٌ لَا تَقْدَحُ فِي دِينٍ وَلَا مَنَصِبٍ <sup>(٢)</sup>، وَحَيَّةٌ لَا يُدْمُ فِي مِثْلِهَا مُتَعَصِّبٌ، .... وَرَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ الْحَضْرَةَ <sup>(٣)</sup> الَّتِي لَا خَفَاءَ بِهَا وَفَرَ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابِ إِثَارِهَا وَأَرَادَهُ مِنْ جَلَالِ مِقْدَارِهَا، جَعَلَهَا تَفَرُّ <sup>(٤)</sup> الْإِسْلَامِ وَمُتَبَوِّأَ الْعَرَبِ الْأَعْلَامِ قَبِيلٍ <sup>(٥)</sup> رَسُولُهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ وَمَا خَصَّهَا مِنْ اعْتِدَالِ الْأَقْطَارِ وَجَرَيَانِ الْأَنْهَارِ وَانْفِصَاحِ الْإِعْتَارِ وَالتَّفَافِ الْأَشْجَارِ.. نَزَلَهَا الْعَرَبُ الْكِرَامُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ مُخْتَطِبِينَ فَعَمَرُوا وَأَوْلَدُوا <sup>(٦)</sup> وَأَثْبَتُوا الْمَفَاخِرَ وَخَلَدُوا.....

وَقَدْ كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَاقِي <sup>(٧)</sup>، مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ، قَدْ قَامَ مِنْ هَذَا الْفَرَضِ بِفَرَضٍ وَأَتَى مِنْ كُلِّ بَيْضٍ. فَلَمْ يَشَفْ مِنْ غَلَّةٍ، وَلَا سَدِّ خَلَّةٍ، وَلَا كَثَرِ قَلَّةٍ <sup>(٨)</sup>. فَقَمِنَتْ بِهَذَا الْوُظُفِيفِ وَاتْتَدَبَتِ لِلتَّأْلِيفِ. وَرَجَوْتُ عَلَى نِزَارَةِ حَظِّ الصَّحَّةِ وَازْدِحَامِ الشُّوَاغِلِ الْمُلْحَةِ أَنَّ أَضْطَلَعَ مِنْ هَذَا الْقَصْدِ بِالْعِبَاءِ الَّذِي طَالَمَا طَاطَأَتْ لَهُ الْأَكْثَادُ <sup>(٩)</sup>.....

- (١) مَنْ هُوَ دُونَهُ (أَقْلَ مِنْهُ، لَمْ لَا تَسُوْ نَفْسَهُ إِلَى جَلِيلِ الْأُمُورِ) وَمَنْ قَضَى أَيَّامَ شِبَابِهِ (نَشَاطُهُ) يَدُوْنَ التَّارِيخَ (بِإِخْلَاصٍ) يَفْقِدُهُ النَّاسُ لِيَرِدُوا مِنْ مَوْرَدِهِ (يَشْرِبُوا مِنْ نَبْعِهِ: لِيَسْتَفِيدُوا مِنْهُ).
- (٢) الْعَصِيَّةُ: شِدَّةُ الْإِهْتِمَامِ بِأَهْلِ الرَّجُلِ (وَلَوْ أَسَاءَ ذَلِكَ إِلَى قَوْمٍ آخَرِينَ). لَا يَقْدَحُ: لَا يَعْيِبُ. الْمَنَصِبُ: الْمَكَانَةُ.
- (٣) الْحَضْرَةُ: الْعَاصِمَةُ (غَرْنَاطَةُ).
- (٤) التَّفَرُّ: الْمَكَانُ الَّذِي يَخْشَى مِنْهُ عِجْيَاءُ الْعَدُوِّ (حُدُودُ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى بِلَادِ الْأَعْدَاءِ الْحَارِبِينَ).
- (٥) الْمُتَبَوِّأُ: الْمَسْكَنُ وَالْمُسْتَقَرُّ. الْقَبِيلُ: الْقَوْمُ، الْأَهْلُ.
- (٦) اخْتَلَفَتْ: أُنْشِئَتْ خُطَّةً (بِكِسْرِ الْحَاءِ): مَكَانُ السَّكَنِ (الْبَلَدُ، الْمَدِينَةُ). عَمَرُ الْأَرْضِ: سَكْنُهَا وَأُنْشَأَ فِيهَا حَيَاةٌ عِمْرَانِيَّةٌ (اِقْتِسَادِيَّةٌ وَاجْتِمَاعِيَّةٌ). أَوْلَدُوا: جَاءَهُمْ أَوْلَادٌ (نَسْلٌ)، أَيْ عَاشُوا فِيهَا مَدَّةً طَوِيلَةً.
- (٧) لَعَلَّهُ أَبُو عِيْسَى الْيَسَعُ بْنُ عِيْسَى بْنِ الْيَسَعِ الْفَاقِي الْجَبَّارِيُّ (ت ٥٧٥ هـ)، كَانَ لَهُ اشْتِغَالٌ بِثَلِّ ذَلِكَ (رَاجِعُ نَفْحِ الطَّيِّبِ ١: ١٢٧، ١٦٤، ٢٠٨ وَسَائِرُ الْمَطَائِرِ الْوَارِدِ ذِكْرُهَا فِي فِهْرَتِهِ).
- (٨) الْغَلَّةُ: الْعَطَشُ. الْخَلَّةُ: الْفُرْجَةُ، الثَّقْبُ الصَّغِيرُ، الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ. الْوُظُفِيفُ: عَظَمُ دَقِيقٍ فِي السَّاقِ (وَهُوَ يَقْصِدُ الْوُظُفِيَّةَ: الْعَمَلَ الَّذِي يَقْدَرُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ). وَاتْتَدَبَتِ (نَفْسِي) لِلتَّأْلِيفِ.
- (٩) الشُّوَاغِلُ لَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ. الْمَقْصُودُ الْأَشَاغِيلُ جَمْعُ أَشْغُولَةٍ (بِالضَّمِّ): مَا يَشْغُلُ (بِفَتْحِ الْغَيْنِ) الْإِنْسَانَ وَيُلْهِيه. الْكُتْدُ (بِفَتْحٍ): الْكَاهِلُ (يَجْتَمِعُ الْكَتْفَيْنِ).

والترتيبُ الذي انتهتُ إليه حيلتي وصرفتُ في اختياره مُحْيَلَتِي هو أَنِّي ذَكَرْتُ  
البلدة<sup>(١)</sup>، حاطها الله، مُنْبَهًا منها على قديمها وطيبِ هوائها وأديمها، وإشراقِ علّائها  
ومَحاسنِ حُلّائها، ومن سكّنها وتولّأها، وأحوالِ أناسِها ومن دال<sup>(٢)</sup> بها من ضُرُوبِ  
القبائلِ وأجناسِها، وأعطيتُ صورتها وأرّختُ في الفخرِ ضرورتها. وذكرتُ الأسماءَ على  
الحروفِ المُبَوَّبَةِ<sup>(٣)</sup> وفَصَلْتُ أجناسَهُم بالتراجُمِ المُرتَبَةِ: فذكرتُ الملوكَ والأمراءَ ثم  
الأعيانَ والكُبراءَ ثم الفضلاءَ ثم القضاةَ ثم المُقرئين والعلماءَ ثم المُحدثين والفُهاءَ وسائرَ  
الطَلَبَةِ النُجَباءِ ثم الكُتّابَ والشُعراءَ ثم العَمّالَ والأثرياءَ<sup>(٤)</sup> ثم الزُهّادَ والصُلّحاءَ  
والصُوفيّةَ والفُقراءَ لِيَكُونَ الابتداءُ بِالْمَلِكِ والاختتامُ بِالْمِسْكِ وَلِيُنْتَظَمَ الجَمِيعُ انتظامَ  
السُّلُكِ<sup>(٥)</sup>. وكلُّ طَبَقَةٍ تنقسمُ إلى من سكَنَ المدينةَ مُحْكَمِ الأصالةِ والاستقرارِ أو طَرَأَ  
عليها مِمَّا يُجاورها مِنِ الأقطارِ أو خاضَ إليها - وَهُوَ الغريبُ - أَنباجَ<sup>(٦)</sup> البحارِ أو  
أَلَمَ بها ولو ساعةً من نهارٍ. فَإِنْ كَثُرَتِ الأسماءُ نَوَعْتُ وَتَوَسَّعْتُ، وَإِنْ قَلَّتِ اختصرتُ  
وجمعتُ. وآثرتُ ترتيبَ الحُرُوفِ في الأسماءِ ثم في الأجدادِ والآباءِ لِشُرُودِ الوَفَيَاتِ  
والمواليدِ التي رَتَّبها الزمانُ عَنِ الاستقصاءِ<sup>(٧)</sup>. وَذَهَبْتُ إلى أَنْ أَذْكَرَ الرجلَ وَنَسَبَهُ  
وأصالته وَحَسَبَهُ ومولده وبلده ومذاهبه وأنحاله<sup>(٨)</sup> والفنَّ الذي دعا إلى ذِكْرِهِ،  
وَحِلْيَتَهُ وَمَشِيخَتَهُ<sup>(٩)</sup> - إِنْ كَانَ مِمَّنْ قَيَّدَ عِلْمًا أو كَتَبَهُ - وَمآثِرَهُ إِنْ كَانَ مِمَّنْ وَصَلَ الْفَضْلَ

(١) البلدة (غرناطة).

(٢) دال فلان دالة ودولة: صارت له دالة (نصيب ودور في الحكم).

(٣) على الحروف (كما ترتب في القاموس).

(٤) العمّال: الولاة على المدن. الأثرياء ليست في القاموس (لعله يقصد الفضلاء، ذوي الفضل والمكانة الاجتماعية في بلدانهم).

(٥) بالملك (أهل القوة). الاختتام بالمسك (بأهل الصلاح). انتظام السلك (ليكون الكتاب بمنزلة لجميع طبقات المجتمع على الترتيب المخصوص).

(٦) التبع: وسط الشيء (ووسط البحر أيضاً).

(٧) - يقصد أن الحصول على تاريخ مولد الأشخاص ووفاتهم ليس سهلاً في كلّ حين.

(٨) الأنحال ليست في القاموس (لعله يقصد جمع نحلة - بكر النون - الطريقة التي يحصل الإنسان بها معاشه).

(٩) حليته (صفاته وأحواله). مشيخته (أساتذته).

بِسَبَبِهِ<sup>(١)</sup> وَشِعْرَهُ إِنْ كَانَ شَاعِراً، وَأَدَبَهُ وَتَصَانِيفَهُ إِنْ كَانَ مِمَّنْ أَلَّفَ فِي فَنٍّ وَهَذَّبَهُ، وَمِخْنَتَهُ إِنْ كَانَ مِمَّنْ بَزَّ الدَّهْرُ وَسَلَبَهُ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ وَفَاتَهُ وَمُنْقَلَبُهُ إِذَا اسْتَرْجَعَ اللَّهُ مِنْ مَنْحِهِ حَيَاتَهُ مَا وَهَبَهُ<sup>(٣)</sup>.

وجعلتُ هذا الكتاب قِسْمَيْنِ وَمُسْتَمِلاً عَلَى فَنَيْنِ: الْقِسْمَ الْأَوَّلَ فِي حُلَى الْمَعَاهِدِ وَالْأَمَاكِنِ وَالْمَنَازِلِ وَالْمَسَاكِنِ، وَالْقِسْمَ الثَّانِي فِي حُلَى الزَّائِرِ وَالْقَاطِنِ وَالْمَتَحَرِّكِ وَالسَّاكِنِ.

- ٤ - الإحاطة في أخبار غرناطة، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣١٩ هـ؛ الجزء الأول (حققه عبد الله ع inan)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- الإشارة في أدب الوزارة في السياسة (تحقيق عبد القادر زمامة)، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٧٢ م.
- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام: قسم المغرب (أو إفريقية: تونس) (نشره حسن حسني عبد الوهاب)، بلرم في جزيرة صقلية ١٩١٠ م؛ الكتاب كلّهُ (تحقيق ليفي برونفصال)، الرباط ١٩٣٤ م، بيروت (دار المكشف) ١٩٥٦ م؛ الجزء الثالث (بعنوان: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) (تحقيق أحمد مختار العبّادي ومحمد إبراهيم الكتّاني)، الدار البيضاء (دار الكتاب) ١٩٦٤ م؛ موجز تاريخ إسبانية (ملثور أنطونيا)، مدريد ١٩٣٣ م؛
- أوصاف الناس (٩)
- جيش التوشيح (حقّقه هلال ناجي)، تونس (مطبعة المنار) ١٩٦٧ م.
- الحُلل المَرْقُومَة أو رقم الحُلل في نَظَم الدُّوَل، تونس (المطبعة العمومية) ١٣١٦ هـ؛ (قسم صقلية) ١٧٩٠ م.
- الحُلل المَوْشِيَة في (ذكر) الأخبار المراكشِيَة (★) (تحقيق بشير الفورقي)، تونس ١٩١١ م = ١٣٢٩؛ (تحقيق علّوش)، الرباط ١٩٣٦ م.
- ديوان الصيّب والجّهام والماضي والكّهام (دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر) الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.

(١) ... وصل إلى مكانته في قومه بسبب علمه (١).  
 (٢) الهنة: المصيبة والثقاء يصيب الإنسان. بَزَّ: غلب وسلب.  
 (٣) .... أذكر وفاته، إذا كان قد توفي في أيامي.  
 (★) في نسبة هذا الكتاب «الحلل الموشية» إلى لسان الدين بن الخطيب شكّ. ذكر علّوش أن الكتاب لمؤلف مجهول. راجع أيضاً الأعلام للزركلي ١١٣: ٧ (٦: ٢٣٥).

- روضة التعريف بالحُجُب الشريف (تحقيق عبد القادر أحد عطار عبد الستار)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٨ م.
- ربحانة الكتاب ونجمة الكتاب (قطع منه) ١٩١٦ م.
- المكتبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، فاس (تحقيق إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.
- كناسة الدكان بعد رحيل السكان (تحقيق محمد كمال شبانة)، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٦ م.
- اللوحة البدرية في الدولة النصرية (صححه محب الدين الخطيب)، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٧ هـ؛ بيروت (دار الآفاق) ١٩٧٨ م.
- مجموع رسائل (★).
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (نشره أحمد مختار العبادي)، الاسكندرية (مطبعة جامعة الاسكندرية) ١٩٥٨ م.
- معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار (موللر)، منشئ: ميونيخ ١٨٦٦ م؛ فاس ١٣٢٥ هـ.
- مفاخرة مالقة وسلا (موللر)، منشئ: ميونيخ ١٨٦٦ م.
- مُنقعة السائل في المرض الهائل (موللر) منشئ ١٨٦٣ م.
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب (تقديم أحمد مختار العبادي)، القاهرة (دار الكاتب العربي للتوزيع والنشر) ١٩٦٣ م.
- ★★- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (نشره دوزي-دوغات-كرايل-رايت)، ليدن (بريل) ١٨٥٥-١٨٦١ م؛ مصر (بولاقي) ١٢٧٩ هـ؛ مصر (المطبعة الأزهرية) (١٣٠٤ هـ)؛ (حققه محمد محي الدين عبد الحميد)، بر بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٦٩ هـ؛ (حققه إحسان عباس)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٨ هـ=١٩٦٨ م.
- ابن الخطيب: حياته وكتبه، تأليف محمد بن أبي بكر التطواني وعبد العزيز بن عبد الله (معهد مولاي الحسن)، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٤ م.
- ابن الخطيب وزير غرناطة، تأليف عبد الهادي أبي طالب، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٥٠ م؛ الدار البيضاء ١٩٦٠ م.
- الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، بقلم عبد العزيز بن عبد الله، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٣ م.
- نيل الابتهاج ٢٦٤-٢٦٥؛ الدرر الكامنة ٣: ٢٤٤-٢٤٧ (رقم ١٢٦١)، ٣: ٤٦٩-٤٧٤؛ نشر فرائد الجمان ٢٩٢-٢٩٣؛ وفيات ابن قنفذ ٣٧٠-٣٧٢؛ درة

(★) مجموع رسائل، لعلّه «مشاهدات لسان الدين.....».



الحجال ٢: ٢٧١-٢٧٤؛ شذرات الذهب ٦: ٢٤٤-٢٤٧؛ نفع الطيب ١: ٧٠-٠.  
 ١٠٥-١١٢، ١١٥-١١٧، ١٢٥-١٢٦، ١٨٦-١٩٠، ٣٢١-٣٢٦، ٤٥٣-٤٥٤، ٥٠٥-٥١٩، ٤٠٤-٤٤٦ (رسائل من إنشائه)، ٥: ٧ إلى آخر الجزء، ٥-٧،  
 ١٣-٤٥، ٦٠-١٣٨، ١٦٢-٢١٣، ٢١٩-٢٢٧، ٢٣٠ وما بعد، ٢٦٨-٣٨٠،  
 ٣٨٥-٤٤٦، ٤٤٧-٥١٥ (في الصفحات السابقة ثغرات قصيرة)، ٧: ٦٥-٦٨،  
 ٩٧-١٠٨، ١٤٥ وما بعد (تلاميذه)؛ أزهار الرياض ١: ٣٠-٣٤، ٦٢-٦٣،  
 ٦٤-٦٥، ١٧٩، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٠٤-٢٣١، ٢٤٩-٢٩١، ٢٩٤-٣٣٦، ٥: ٢-٦،  
 ٧-١١، ١٦٤-١٦٦، ٢١٣-٢١٥، ٢١٨، ٣٠١-٣٠٢، ٣٧٦؛ الاستقصا ٢:  
 ١٠٥-١١٩، ١٢٥-١٢٨، ١٣٢، ١٣٤-١٣٥؛ دائرة المصارف الإسلامية ٣:  
 ٣٨٥-٣٨٧؛ بروكلمن ٢: ٣٣٧-٣٤٠، الملحق ٢: ٣٧٢-٣٧٣؛ نيكل ٣٦٣-٣٦٦؛  
 مختارات نيكل ٢٠٧، ٢١٢-٢١٥؛ سركيس ١٥٨٨-١٥٩١؛ الأعلام للزركلي ٧:  
 ١١٢-١١٤ (٢٣٥: ٦)؛ بالنشأ ١٣٨-١٣٩، ٢٥١-٢٥٩، ٣٠٢ وما بعد؛ مجلة الجمع  
 العلمي العربي ٢٣: ٤ (١٩٤٨/١٠)، ص ٥٢٤، ثم المجلد ٤٧، ص ٧٠؛ البحث العلمي  
 ٥/١٩٦٨، ص ١٢٣؛ العربي ٦/١٩٦٧، ص ٤٧، ١٢/١٩٦٥، ص ٢٠-٢٥؛ الأصالة  
 ٤: ٢٦، ص ٣٣١؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٠: ٢١٦-٢١٧.

## ابن أبي حجلة

١- هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد  
 التلمساني المعروف بابن أبي حجلة<sup>(١)</sup>، وُلِدَ في تِلْمَسَانَ، سَنَةَ ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م). رَحَلَ  
 وَحَجَّ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَدَرَسَ الْأَدَبَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَتَوَلَّى مَشِيخَةَ الصُّوفِيَّةِ  
 بِصَهْرِيحٍ مَنَجَكَ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْقَاهِرَةِ بِالطَّاعُونَ فِي سَلَخِ ذِي الْقَعْدَةِ  
 مِنْ سَنَةِ ٧٧٦ (١٣٧٥/٥/٢ م) أَوْ فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْحِجَّةِ.

٢- كَانَ ابْنُ أَبِي حَجَلَةَ ذَا اتِّجَاهٍ دِينِيٍّ وَمِيلٍ إِلَى التَّصَوُّفِ الْمُعْتَدِلِ حَمَلَ عَلَى

(١) الحجلة طائر مكثور الحجم أصفر من الدجاجة أحر المنقار والباقيين، برّي يصاد للحمه الطيب. قيل إن  
 عبد الواحد الجد الأعلى لصاحب هذه الترجمة كان من المتصوفة ذوي الكرامات، وقد باضت حجلة  
 على كفه!

القائلين بوحدة الوجود وعلى عمر بن الفارض خاصة<sup>(١)</sup>. وكان أديباً ناثراً شاعراً له قصائد ومقطعات وبديعيات ومقامات. وقد عارض جميع قصائد عمر بن الفارض ببديعيات (بمدائح في رسول الله) وهو مؤلفٌ كثيرٌ ذكروا أن له أكثر من ثمانين كتاباً منها: ديوان الصبابة (تراجمٌ لنفرٍ من الشعراء المحبين ومختارات لهم) - سكردان<sup>(٢)</sup> السلطان (الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون؛ وهو مجموع في معنى العدد «سبعة» في أرض مصر وتاريخها وسكانها وحكامها) - الطاريء على السكردان (نقل الكرام في مدح الكرام: الملك الناصر حسن) - سلوة الحزين في موت البنين - جوار الأخيار في دار القرار - الطب المسنون في دفع الطاعون - التذكير بالموت وسكنى القبور والخروج منها والشور - دفع النقمة في الصلاة على نبي الرحمة - أنموذج القتال في نقل العوال<sup>(٣)</sup> (في الشطرنج) - مغناطيس الدرّ النفيس (مختصر في أنواع من الأدب) - منطلق الطير - الأدب الغضّ - حاطب ليل - عنوان السعادة - نحر أعداء البحر - أطيب الطيب - النعمة الشاملة في العشرة الكاملة - السجع الجليل فيما جرى من النيل، الخ.

### ٣ - مختارات من آثاره

الحمد لله الذي جعل «للعاشقين بأحكام الغرام رضا»<sup>(٤)</sup>، وحَبَّ إِلَيْهِمُ الْمَوْتَ فِي حُبٍّ مَنْ يَهْوُونَهُ «فَلَا تَكُنْ، يَا قَتِي، بِالْحُبِّ مُعْتَرِضاً»<sup>(٥)</sup>. فكم فيهم من عاشقٍ ومُحِبٍّ صادق:

رَأَى فَحَبَّ فَرَامَ الْوَصْلَ فَأَمْتَنَعُوا      فَسَامَ صَبْرًا فَأَعْيَى نَيْلَهُ فَقَضَى!

(١) وحدة الوجود أو الاتحاد مذهب متطرف في الصوفية يرى أن مجموع الوجود هو الله، وأن كل جزء منه يمثل قوة من قوى الله (وقال بعضهم: كل جزء من العالم يمثل الله!). عمر بن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) متصوف متطرف، ولكنه أشعر شعراء الصوفية من العرب، وثاني شعراء الصوفية في العالم بعد جلال الدين الرومي (ت ٥٧٢ هـ).

(٢) السكردان....

(٣) «الحديث العالي» ما استوفت روايته شروط الصّحة وكان الذين رَوَوْهُ قريبين من زمن رسول الله - وفي هذا التعريف شيء من الغموض - (راجع «قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد بهجة البيطار، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ص ١٢٧).

(٤ إلى ٥) من أبيات للشاب الظريف (ت ٦٨٨ هـ).

أَحْمَدُهُ جَمَدَ « من خافَ مقامَ رَبِّهِ ونَهى النفسَ عنِ الهوى <sup>(١)</sup> » ، وشَبَّ بِذِكْرِ محبوبه  
إن كان تَهَامِيًّا في حجازٍ أو شاميًّا في نوى <sup>(٢)</sup> :

طَوْرًا يَمَانٍ إِذَا لَقِيتُ ذَا يَمَنِ ، وَإِنْ لَقِيتُ مَعَدِّيَا فَعَدْنَانِي <sup>(٣)</sup> !  
وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له الحميدُ المجيدُ : شهادةً مَنْ أصبحَ موتهُ  
لُبْعُهُ أَقْرَبَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ <sup>(٤)</sup> ، وقالَ لَعَاذِلِهِ : « لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ،  
وإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ » <sup>(٥)</sup> .

ولو أنَّ ما بي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنِّعٍ عَذَرْتُ ، وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمِّمٍ <sup>(٦)</sup> .  
وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شهادةً مِنْ أَخْلَصَ فِي مُوالاتِهِ وَتَبَرَّأَ مِنَ الْإِثْمِ حِينَ  
تَوَلَّى عَنْهُ محبوبه بِجَنَاتِهِ رَبِّهِ وَبِرَايَةِ <sup>(٧)</sup> . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ  
وَهَامَ عَاشِقٌ <sup>(٨)</sup> . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ كِتَابَنَا هَذَا كَمَا قِيلَ : .....

على أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعَصْرِيِّينَ غَلَبُوا عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ بِالتَّأْلِيفِ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَلَمْ يُفَرِّقْ  
بَعْضُهُمْ فِي التَّشْيِيبِ بَيْنَ زَيْنَبَ وَالرَّبَّابِ <sup>(٩)</sup> :

وَكُلٌّ يَدْعِي وَصْلًا بَلِيلِي ، وَلَيْلِي لَا تَقْرُ لَهُ بِذَاكَ <sup>(١٠)</sup> .

(١) القرآن الكريم ٧٩ : ٤٠ ، النزاعات .

(٢) تهامة : ساحل الحجاز . (الأرض المنخفضة بالإضافة إلى نجد) . شامياً (شامياً) من بلاد الشام (سورية) .  
نوى قرية بالشام .

(٣) - حيناً انتسب إلى اليمن (عرب الجنوب) .... معدَّ وعدنان (جدَّان لعرب الشمال) . البيت لعمران  
ابن حطَّان .

(٤) حبل الوريد : تمر للدم في جانب العنق (في العنق وريدان) .

(٥) القرآن الكريم ١١ : ٧٩ هود . العاذل : اللاتم .

(٦) - لو كنت أشكو من حبيب مقنَّع (امرأة محبوبة) هان عليَّ الأمر . معمم : يلبس عمامة (رجل) . والبيت  
للمتنبي .

(٧) الإثم : الذنب . براءته (براءته!) .

(٨) ذرَّ (ظهر من وراء الأفق) شارق (طالع من شمس أو قمر أو نجم ما) . هام : حار من شدة الحب .

(٩) زينب والرباب : اسمان للنساء (لم يفرق بين محبوب ومحبوب) .

(١٠) البيت ....

فَرَبِّعْ كِتَابَنَا هَذَا بِذِكْرِ العَامِرِيَّةِ مَعْمُورٍ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا أَلَّفَهُ الشَّهَابُ مَحْمُودٌ  
مَشْكُورٌ<sup>(٢)</sup>. وَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ عَلِمَ صِحَّةَ هَذَا الْكَلَامِ وَأَشَدَّ فِي تَصْدِيقِ هَذِهِ الدَّعْوَى  
« إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ »<sup>(٣)</sup>. مُؤَلَّفُ طَوْقِ الْحَمَامَةِ « بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَجَلْتِهِ يَحْجَلُ<sup>(٤)</sup>،  
وَصَاحِبُ « مَنَازِلِ الْأَحْبَابِ » مِمَّنْ عَرَفَ الْمَحَلَّ فَبَاتَ دُونَ الْمَنْزِلِ<sup>(٥)</sup>:

★ وَعَذَرْتُ طَيْفَكَ فِي الْجَفَاءِ لِأَنَّهُ يَسْرِي فَيُصْبِحُ دُونَنَا بِمَرَاكِلِ<sup>(٦)</sup>.

★ فَيَا دَارَهَا بِالْخَيْفِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ، وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ<sup>(٧)</sup>!

فَإِنْ قُلْتَ « الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ »<sup>(٨)</sup>، وَ« هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ »<sup>(٩)</sup>! قُلْتُ:  
نَعَمْ، فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ<sup>(١٠)</sup>....

وَلَمْ يَزَلْ كِتَابُنَا هَذَا فِي مُسَوِّدَاتِهِ مُنْذُ حِجَجٍ، وَيُؤْتُهُ مِنْ بُخُورِهَا فِي لُجَجٍ<sup>(١١)</sup>: لَا  
أُبَيِّحُ مَا فِي مَنَازِلِ الْأَحْبَابِ لِسَاكِنِي وَلَا أُمَكِّنُ عَاشِقًا مِنَ الْمُرُورِ بِتِلْكَ الْأَمَاكِنِ.....  
حَتَّى بَرَزَ لَطْلَبُهُ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ الْمَلَكِيُّ النَّاصِرِيُّ<sup>(١٢)</sup>... فَبَادَرْتُ إِلَى تَجْهِيزِهِ وَسَبَّكَ

(١) الربع: المسكن. العامرية: ليلي (محبوبة قيس بن اللّوح). معمور: مسكون، عامر (يكثّر في كتابنا ذكر ليلي، وذكر الحبّ).

(٢) الشهاب: محمود بن فهد الحلبي (انظر بعد بضعة أسطر).

(٣) إذا قالت حذام فصدّقوها فإن القول ما قالت حذام

(٤) طوق الحمامة كتاب لابن حزم (ت ٤٥٦). الحجلة: ستر للمرأة. حجل: مشى على رجل واحدة، أو مشى يتمشّر كأنه مقيّد.

(٥) منازل الأحباب ومنازل الألباب (حكايات في الحبّ وأشعار في الغزل)، تأليف شهاب الدين محمود بن فهد الحلبي (ت ٧٢٥). بات دون المنزل (المكان الأمين لنزول القوافل، إذا جاء الليل ولم تكن قد وصلت إلى بلد له سور)، قصرّ فيها أراد.

(٦) يبدو أن البيت قديم، وقد ضمّه ابن عَنِين (ت ٦٣٠ هـ) في بعض قصائده (راجع وفيات الأعيان، بيروت ٥: ١٥).

(٧) البيت لأبي العلاء المعرّي.

(٨)....

(٩) مطلع معلقة عنتره.

(١٠) من بيت المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة:

فإن تكن تغلب الغلباء نسبتها، فإن في الخمر معنى ليس في العنب.

(١١) الحجة (بكسر الحاء) السنة، العام. بيوته.... في لُجج (اللّجة: معظم الماء، الموجة الكبيرة): غير منظّم!

(١٢) الأشرف ناصر الدين شعبان (٧٦٤-٧٧٨ هـ)!!

إبريزه<sup>(١)</sup> حَسَبَ المرسوم الشريف، بلا تَسْوِيف ولا تَكْلِيف.....

وَسَلَكْتُ فِي تَأْلِيفِهِ الْاِخْتِصَارَ وَالْاِقْتِصَارَ عَلَى النُّوَادِرِ الْقِصَارِ..... وَسَمَّيْتُهُ «دِيَوَانَ الصَّبَابَةِ» لِیُصْنِحَ الْوَاقِفُ عَلَيْهِ مُوَلَّاهًا وَيَعْلَمَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَنَا لِلصَّبَابَةِ، فَمَنْ هَا (٢)؟..... وَرَتَّبْتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَثَلَاثِينَ بَابًا وَخَاتِمَةً. أَمَّا الْمُقَدِّمَةُ فَفِي ذِكْرِ حَدِّ الْعِشْقِ وَاشْتِقَاقِهِ وَمَا قِيلَ فِيهِ... وَأَمَّا الْأَبْوَابُ (فَهِیْ): ذِكْرُ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ - ذِكْرُ الْمُحِبِّينَ وَالظُّرَفَاءِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ - ذِكْرُ مَنْ عَشِقَ عَلَى السَّاعِ -..... ذِكْرُ الْغَيْرَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْحَيَرَةِ - ذِكْرُ إِقْنَاءِ السَّرِّ وَالْكَتْمَانِ - ذِكْرُ الْاِحْتِيَالِ عَلَى طَيْفِ الْخَيَالِ - ذِكْرُ الْعِتَابِ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الْأَحْبَابِ..... إلخ. وَأَمَّا الْخَاتِمَةُ فَفِي ذِكْرِ مَنْ مَاتَ مِنْ حُبِّهِ.....

- ٤- دِيَوَانَ الصَّبَابَةِ، الْقَاهِرَةُ (طَبْعُ حَجَر) ١٢٧٩ هـ، ١٢٩١ هـ، ١٣٠٥ هـ؛ (بَهْمَشُ «تَزْيِينِ الْأَسْوَاقِ»، لِدَاوُدِ الْأَنْطَاكِيِّ التَّوْفِيُّ ١٠٠٨ هـ)، مِصْرَ ١٢٩١ هـ، الْقَاهِرَةُ (الْمَطْبَعَةُ الْأَزْهَرِيَّةُ) ١٣٠٢، ١٣٠٨ هـ.
- سَكْرَدَانَ السُّلْطَانَ، يُولَايَ ١٢٨٨ هـ؛ (بَهْمَشُ «الْخَلَاةُ» لِبَهَاءِ الدِّينِ الْعَامِلِيِّ التَّوْفِيِّ ٩٥٣ هـ)، الْقَاهِرَةُ (الْبَابِي) ١٣١٤، ١٣١٧ هـ.
- مِجْتَبَى الْأَدْبَاءِ، مِصْرَ.
- مِغْنَاطِيسُ الدَّرِّ النَّفِيسِ، مِصْرَ ١٣٠٥ هـ.

★ الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ (الْقَاهِرَةُ) ١ : ٣٥٠ - ٣٥٢، (حِيدَرِ آبَاد) ١ : ٣٢٩ - ٣١١ (رَقْمُ ٨٢٦)؛  
تَعْرِيفُ الْخُلْفِ ٢ : ٤٢ - ٥٣؛ نَشِيرُ الْجَمَانِ ٢٢٨ - ٢٢٩؛ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٦ :  
٢٤٠ - ٢٤١؛ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٣ : ٦٨٦؛ بَرُوكْلَمَنْ ٢ : ١٣ - ١٤، الْمُلْحَقُ ٢ :  
٥ - ٦، رَاجِعُ ٢ : ٣٠٩، الْمُلْحَقُ ٢ : ٤٦٧؛ الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ ١ : ٢٥٥ (٢٦٨ - ٢٦٩)؛  
مَعْجَمُ الْمُؤَلَّفِينَ لِكَحَّالَةٍ ٢ : ٢٠١؛ مَعْجَمُ أَعْلَامِ الْجَزَائِرِ ٤٧ - ٤٨؛ سَرْكِيْسُ ٢٨ - ٢٩.

## ابن بطّوطة

١- هُوَ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللُّوَاتِي الطَّنْجِيّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ بَطُّوطة، وُلِدَ فِي ١٧ رَجَبَ ٧٠٣ (١٠٣٤/٢/٢٤ م) فِي طَنْجَةَ.

(١) الْإِبْرِيْزُ: الذَّهَبُ الْخَالِصُ.

(٢) مُوَلَّهٌ: شَدِيدُ الْحُبِّ لِلشَّيْءِ. فَمَنْ هَا؟: مَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ غَيْرِي؟

في سَنَةِ ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) خَرَجَ ابْنُ بَطُّوطَةَ مِنْ طَنْجَةَ بَنِيَّةِ الْحَجِّ، وَلَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى تَوْفِيرِ وَسَائِلِ السَّفَرِ بِنَفْسِهِ فَاضْطُرَّ إِلَى أَنْ يِرَافِقَ الْقَوَافِلَ الَّتِي قَبِلَتْ أَنْ تَحْمِلَهُ مَجَانًّا، فَطَالَتْ رِحْلَتُهُ وَتَعَرَّجَتْ طَرِيقُهُ: جَاَزَ الْبَحْرَ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْحِجَازِ فَلَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ الْوُصُولُ إِلَى مَكَّةَ فَعَادَ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ سَارَ إِلَى الْقُدْسِ فَبِירוَتَ فَحَلَبَ فَالَلَاذِقِيَّةَ فَحَلَبَ فِدِمَشْقَ. وَبَعْدَ الْحَجِّ تَطَوَّفَ فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَفَارَسَ وَبِلَادِ الرُّومِ (آسِيَةَ الصَّغْرَى) وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَشِبْهَ جَزِيرَةِ الْقُرْمِ، ثُمَّ قَطَعَ نَهْرَ الْفُولْغَا إِلَى الْأَفْغَانَ وَالتُّرْكِسْتَانَ وَالْهِندَ فَتَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي دَهْلِي (عَاصِمَةِ الْهِنْدِ) عَامَيْنِ. وَبَعْدَ أَنْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ عَامًا وَنِصْفَ عَامٍ فِي ذِيَةِ الْمَهْلِ<sup>(١)</sup> زَارَ الصِّينَ وَسِيلَانَ وَسُومَطْرَةَ. ثُمَّ عَادَ إِلَى فَاسَ (الْمَغْرِبِ) فِي شَبَّانَ مِنْ سَنَةِ ٧٥٠ هـ (أَوَاخِرَ ١٣٤٩ م). وَفِي الْعَامِ التَّالِيِ زَارَ غَرْنَاطَةَ (الْأَنْدَلُسَ) وَمَلْيَ<sup>(٢)</sup> وَتَبَكَنُو فِي السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ (غَرْبِيَّ إِفْرِيْقِيَّةَ).

وكانت وفاة ابن بطوطَةَ في مدينة مَرَّاكُشَ سَنَةَ ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م).

٢- رِحْلَةُ ابْنِ بَطُّوطَةَ مِنْ أَعْجَبِ الرُّحَلَاتِ امْتَدَّتْ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَكَانَ ابْنُ بَطُّوطَةَ يَسْتَقِرُّ فِي عَدَدٍ مِنَ الْمُدُنِ وَيَتَزَوَّجُ وَيَتَوَلَّى عِدَدًا مِنَ الْمَنَاصِبِ وَالْأَعْمَالِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ فِي رِحْلَتِهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ مُوثِقَةٌ بِرُغْمِ غَرَابَتِهَا. وَكَانَ ابْنُ بَطُّوطَةَ يَكْتُبُ مَذَكِّرَاتٍ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِهِ. وَلَكِنْ مَذَكِّرَاتِهِ هَذِهِ ضَاعَتْ فِي بَحْرِ الزَّيْتِجِ. فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي مَدِينَةِ مَرَّاكُشَ أَمْلَى مَا كَانَ يَتَذَكَّرُ مِنْهَا عَلَى ابْنِ جَزْيٍ<sup>(٣)</sup> وَسَمَّاها «تُخْفَةُ النُّظَّارِ فِي غَرَائِبِ الْأُمُصَارِ وَعَجَائِبِ الْأَسْفَارِ»، وَهِيَ تُعْرَفُ عَادَةً بِعُنْوَانِ رِحْلَةِ ابْنِ بَطُّوطَةَ.

(١) ذِيَةُ الْمَهْلِ جَزَائِرُ جَنُوبِ شَرْقِ الْهِنْدِ تُعْرَفُ فِي الْكُتُبِ الْأُورُوبِيَّةِ الْمَعَاوِرَةِ لَنَا بِاسْمِ مَالْدِيْفَ، وَتُسَمَّى الْيَوْمَ رَسْمِيًّا مَحَلْدِيبَ.

(٢) مَلْيَ = مَالِي فِي السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ. وَمَالِي تَطْلُقُ الْيَوْمَ عَلَى جُمْهُورِيَّةٍ فِي غَرْبِيَّ إِفْرِيْقِيَّةٍ عَاصِمَتُهَا بَامَاكُو.

(٣) ابْنُ جَزْيٍ هَذَا: مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَزْيٍ الْكَلْبِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٥٧ هـ لِلْهَجْرَةِ (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ). وَقَدْ أَمْلَى ابْنُ بَطُّوطَةَ رِحْلَتَهُ عَلَى ابْنِ جَزْيٍ هَذَا تَلْبِيَةً لِرُغْبَةِ أَبِي عَنَانَ فَارَسَ بْنِ عَلِيٍّ سُلْطَانِ بَنِي مَرْوَانَ (٧٢٩ - ٧٥٩ هـ).

- من « رحلة ابن بطوطة »:

(أ) ذَكَرْتُ إِحْرَاقَ أَهْلِ الْهِنْدِ أَنْفُسَهُمْ:

ثُمَّ اتَّفَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ أَنْ كُنْتُ بِمَدِينَةِ أَكْثَرِ أَهْلِهَا مِنَ الْكُفَّارِ تُعْرَفُ بِأَبْحَرَى، وَأَمِيرُهَا مُسْلِمٌ مِنْ سَامِرَةِ السُّنْدِ<sup>(١)</sup>، وَعَلَى مَقَرَّبَةٍ مِنْهُ الْكُفَّارُ الْعُصَاةُ، فَقَطَعُوا الطَّرِيقَ يَوْمًا. فَخَرَجَ الْأَمِيرُ لِقِتَالِهِمْ وَمَعَهُ رَعِيَّتُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ، وَوَقَعَ قِتَالٌ شَدِيدٌ مَاتَ فِيهِ مِنْ رَعِيَّتِهِ الْكُفَّارِ سَبْعَةٌ نَفَرًا. وَكَانَ لثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ ثَلَاثُ زَوَاجَاتٍ فَاتَّفَقْنَ عَلَى إِحْرَاقِ أَنْفُسِهِنَّ.

وإِحْرَاقُ الْمَرْأَةِ بَعْدَ زَوْجِهَا عِنْدَهُمْ أَمْرٌ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ غَيْرُ وَاجِبٍ. لَكِنْ مَنْ أَحْرَقَتْ نَفْسَهَا بَعْدَ زَوْجِهَا أَحْرَزَ أَهْلُ بَيْتِهَا شَرَفًا بِذَلِكَ وَنُسِبُوا إِلَى الْوَفَاءِ. وَمَنْ لَمْ تُحْرِقْ نَفْسَهَا لَيْسَتْ خَشِنَ الثِّيَابِ وَأَقَامَتْ عِنْدَ أَهْلِهَا بِأَسَةِ مُمْتَهَنَةً لَعَدَمِ وَفَائِهَا. وَلَكِنَّهَا لَا تُكْرَهُ عَلَى إِحْرَاقِ نَفْسِهَا.

وَلَمَّا تَعَاهَدَتِ النِّسْوَةُ الثَّلَاثُ اللَّاتِي ذَكَرْنَاهُنَّ عَلَى إِحْرَاقِ أَنْفُسِهِنَّ أَقَمْنَ قَبْلَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي غِنَاءٍ وَطَرَبٍ وَأَكْلِ وَشُرْبٍ كَأَنَّهُنَّ يُودَّعْنَ الدُّنْيَا، وَ (كَانَتْ) تَأْتِي إِلَيْهِنَّ النِّسَاءُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الرَّابِعِ أُتِيَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِفَرَسٍ فَرَكِبَتْهُ وَهِيَ مُتَزَيِّنَةٌ مُتَعَطِّرَةٌ، وَفِي يَمَانِهَا جَوْزَةٌ نَارِجِيلٍ تَلْعَبُ بِهَا وَفِي سُورَاهَا مِرَاةٌ تَنْظُرُ فِيهَا وَجْهَهَا، وَالْبَرَاهِمَةُ يَحْفَوْنَ بِهَا وَأَقَارِبُهَا مَعَهَا، وَبَيْنَ يَدَيْهَا الْأَطْبَالُ وَالْأَبْوَاقُ وَالْأَنْفَارُ<sup>(٢)</sup>، وَكُلُّ إِنْسَانٍ مِنَ الْكُفَّارِ يَقُولُ لَهَا: « أَتُبْلَغُنِي السَّلَامَ إِلَى أَبِي أَوْ أَخِي أَوْ أُمِّي أَوْ صَاحِبِي ». وَهِيَ تَقُولُ: « نَعَمْ! » وَتَبْتَسِمُ لَهُمْ.

وَرَكِبَتْ مَعَهُنَّ لِأَرَى كَيْفِيَّةَ صُنْعِهِنَّ فِي الْإِحْتِرَاقِ. فَبَرْنَا مَعَهُنَّ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ. وَانْتَهَيْنَا إِلَى مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ كَثِيرِ الْمِيَاهِ وَالْأَشْجَارِ مُتَكَاثِفِ الظُّلَالِ، وَبَيْنَ أَشْجَارِهِ أَرْبَعُ قِبَابٍ فِي

(١) من سامرة السند: من مجوس الهند الذين دخلوا في الإسلام (٢). السند: المناطق الغربية الشمالية من الهند (باكستان الغربية اليوم).

(٢) الأطبال والطبول جمع طبل: آلة موسيقية من ذوات القرع (الضرب) كبيرة وبوجهين. البوق: آلة موسيقية من ذوات النفخ وجمعها بوق (بضم ففتح). الأنفار جمع نفر (بفتح فسكون) ونفير: الجماعة من الناس (وابن بطوطة يقصد بكلمة أنفار: مزامير).

كُلُّ قَبَّةٍ صَنَمٌ مِنَ الْحِجَارَةِ. وَبَيْنَ الْقِبَابِ صِهْرِيحٌ مَاءٌ قَدْ تَكَاثَفَتْ عَلَيْهِ الظَّلَالُ وَتَزَاوَحَتْ الْأَشْجَارُ فَلَا تَتَخَلَّلُهَا الشَّمْسُ. فَكَأَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْ جَهَنَّمَ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا! وَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى تِلْكَ الْقِبَابِ نَزَلْنَا إِلَى الصَّهْرِيحِ وَانْفَعَسْنَا فِيهِ وَجَرَدْنَا مَا عَلَيْنَا مِنْ ثِيَابٍ وَحُلَى فَتَصَدَّقْنَا بِهِ. وَأُتِيَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِثَوْبٍ قُطُنٍ خَشِيٍّ غَيْرٍ مَخِيطٍ، فَرُبِطَ بَعْضُهُ عَلَى وَسْطِهَا وَبَعْضُهُ عَلَى رَأْسِهَا وَكَتِفَيْهَا، وَالنِّيرَانُ قَدْ أُضْرِمَتْ عَلَى قُرْبٍ مِنْ ذَلِكَ الصَّهْرِيحِ فِي مَوْضِعٍ مَنخَفِضٍ وَصُبَّ عَلَيْهَا رَوْغُنٌ كُنْتُجَتْ - وَهُوَ زَيْتُ الْجُلْجُلَانِ<sup>(١)</sup> - فَزَادَ فِي اشْتِعَالِهَا. وَ(كَانَ) هُنَاكَ نَحْوُ خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا بِأَيْدِيهِمْ خَشَبٌ كِبَارٌ، وَأَهْلُ الْأَطْبَالِ وَالْأَبْوَابِ وَقُوفٌ يَنْتَظِرُونَ مَجِيءَ الْمَرْأَةِ - وَقَدْ حُجِبَتِ النَّارُ بِمُلْحِفَةٍ لَثَلَا يُذْهِشُهَا النَّظَرُ إِلَيْهَا. فَرَأَيْتُ إِحْدَاهُنَّ لَمَّا وَصَلَتْ إِلَى تِلْكَ الْمُلْحِفَةِ نَزَعَتْهَا مِنْ أَيْدِي الرِّجَالِ بَعْنَفٍ وَقَالَتْ لَهُمْ: «مَارَا. مَيْتِرْسَانِي أَزْ أَطُش؟ مِنْ مِيدَانِمِ أَوْ أَطُشِ اسْت. رَهَا كَنِي مَارَا! « وَهِيَ تَضْحَكُ. وَمَعْنَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ: أَبَالنَّارُ تُخَوِّفُونَنِي؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهَا نَارٌ مُحْرِقَةٌ<sup>(٢)</sup>. خَلُّوا عَنِّي<sup>(٣)</sup>. ثُمَّ جَمَعَتْ يَدَيْهَا فَوْقَ رَأْسِهَا خِدْمَةً لِلنَّارِ وَرَمَتْ بِنَفْسِهَا فِيهَا. عِنْدَئِذٍ ضَرَبَتِ الْأَطْبَالُ وَالْأَنْفَارُ وَالْأَبْوَابُ، وَرَمَى الرِّجَالُ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَطَبِ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ الْآخَرُونَ تِلْكَ الْحَشَبَ مِنْ فَوْقِهَا لَثَلَا تَتَحَرَّكُ. وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَكَثُرَ الضَّجِيجُ.

وَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ كِدْتُ أَسْقُطُ عَنْ فَرْسِي لَوْلَا أَنَّ أَصْحَابِي تَدَارَكُونِي بِالْمَاءِ فَصَلُّوا وَجْهِي. وَانْصَرَفْتُ.

(ب) مَدَن الشَّام:

وَمَدِينَةُ صُورَ هِيَ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْحَصَانَةِ وَالْمِنْعَةِ لِأَنَّ الْبَحْرَ مُحِيطٌ بِهَا مِنْ

(١) الْجُلْجُلَان: السَّمَم.

(٢) «مُحْرِقَةٌ» غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْأَصْلِ الْفَارْسِي.

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ «خَلُّوا عَنِّي». هِيَ مَعْنَى «رَهَا كَنِي مَارَا» (حَرْفِيًّا: اْعْمَلُوا لِي طَرِيقًا)، وَهِيَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْأَصْلِ فَأَضْفَعْتُهَا. (هَذِهِ جُمْلَةٌ مَهْمَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَجُوسَ الْهِنْدِ مِنْذُ أَيَّامِ ابْنِ بَطُّوطة كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِاللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ - لُغَةِ الْمُسْلِمِينَ - ثُمَّ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ - ابْنَ بَطُّوطة تَعَلَّمَ عِدَّةً مِنْ لُغَاتِ الْبِلَادِ الَّتِي زَارَهَا وَطَالَ مَكَّتُهُ فِيهَا. وَكَذَلِكَ تَدُلُّ - إِذَا كَانَ هَذَا النِّقْصُ مَوْجُودًا فِي جَمِيعِ النُّسخ - أَنَّ ابْنَ جَزْيٍ لَمْ يَسْتَوْعِبْ كَلَامَ ابْنِ بَطُّوطة كُلَّهُ فَكَانَ يَتَصَرَّفُ بِمَا أَمْلَأَهُ عَلَيْهِ ابْنُ بَطُّوطة كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا).



ثلاث جهاتها. ولها بابان أحدهما للبر والآخر للبحر..... وبناءها ليس في بلاد الدنيا أعجب منه ولا أغرب شأنًا..... ثم سافرت إلى مدينة صيداء وهي على ساحل البحر حسنة كثيرة الفواكه يُحمل منها التين والزبيب والزيت إلى بلاد مصر..... ثم سافرت إلى مدينة طبرية، وكانت فيما مضى مدينة ضخمة ولم يبق منها إلا رسوم تنبئ عن ضخامتها وعظم شأنها. وبها الحمامات العجيبة... وماؤها شديد الحرارة.....

ثم سرنا إلى مدينة بيروت وهي صغيرة حسنة الأسواق وجامعها بديع الحسن، وتُجلب منها إلى مصر الفواكه والحديد... ثم، وصلت إلى مدينة طرابلس وهي إحدى قواعد<sup>(١)</sup> الشام وبلداتها الضخام، تَخترقها الأنهار وتَحفها البساتين والأشجار (وقد تَكُنّفها البحر بمراقبه العميقة والبر بخيراتِهِ المقيمة<sup>(٢)</sup>)، ولها الأسواق العجيبة والمسارح<sup>(٣)</sup> الخصبية. والبحر منها على ميلين، وهي حديثة البناء. وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر وتملكها الروم زمانًا. فلما استرجعها الملك الظاهر خربت وأُخذت هذه الحديثة<sup>(٤)</sup>.

(ج) النارجيل:

وهو جوز الهند. وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنًا وأعجبها أمرًا. وشجره شبه شجر النخل، لا فرق بينها إلا أن هذه تُثمر جوزًا وتلك تُثمر ثمرًا. وجوزها يشبه رأس ابن آدم لأن فيه شبه العينين والفم. وداخلها شبه الدماغ - إذا كانت (لا تزال) خضراء - وعليها ليف شبه الشعر، وهم يصنعون منه حبالاً يخيطنون بها المراكب عوضاً عن مسامير الحديد. ويصنعون منه الحبال للمراكب.

والجوزة منها - وخصوصاً التي بجزائر ذببة المهل<sup>(٥)</sup> - تكون بمقدار رأس

(١) القواعد: المدن الكبيرة المهمة.

(٢) المقيمة: الدائمة.

(٣) المسرح: المرعى، المكان الذي تروح فيه الماشية.

(٤) طرابلس القديمة كانت الجزء المعروف اليوم باسم «الميناء» (طرابلس البحرية). طرابلس الحديثة (الجديدة): طرابلس البلد.

(٥) راجع، فوق ص ٥٢٢، الحاشية الأولى.

الآدمي. ويزعمون أنّ حكماً من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلاً بملك من الملوك ومُعظماً لدنّه، وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم مُعادة. فقال الحكيم للملك: « إنّ رأس هذا الوزير إذا قُطِع ودُفِنَ تخرجُ منه نخلة تُثمرُ بِثمرٍ عظيمٍ يعودُ نفعه على أهل الهند وسواهم من أهل الدنيا ». فقال له الملك: « فإن لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته؟ » قال (الحكيم): « فإن لم يظهر فأصنع برأسي كما صنعت برأسه ».

فأمر الملك برأس الوزير قُطِع. وأخذهُ الحكيمُ وغرسَ نواةَ تمرٍ في دماغه وعالجها حتى صارت شجرةً وأثمرت بهذا الجوز.

وهذه الحكاية من الأكاذيب، ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم.

- شعوذ في الصين:

..... وفي تلك الليلة حضرَ أحدُ المشعوذين<sup>(١)</sup>، فقال له الأمير: أرنا من عجائبك. فأخذَ (المشعوذ) كُرّةَ خشبٍ لها ثقبٌ وفيها سُورٌ<sup>(٢)</sup> طوَالٌ فرمى بها إلى الهواء فأرتفعت حتى غابت عن الأبصار، ونحن في وسطِ المشورِ<sup>(٣)</sup> أيّامَ الحرِّ الشديد. فلما لم يبقَ في يده من السّيرِ إلّا (شيءٌ يسيرٌ)<sup>(٤)</sup>، أمرَ مُتعلِّماً<sup>(٥)</sup> له فتعلّقَ به وصعدَ في الهواء إلى أن غابَ عن أبصارنا. فدعاه فلم يُجِبْهُ ثلاثاً<sup>(٦)</sup>. فأخذَ (المشعوذ) سكيناً بيده كالمُغتَاطِ وتعلّقَ بالسّيرِ (وصعدَ) إلى أن غابَ أيضاً. ثم (إنّه) رمى بيدِ الصّبيِّ إلى الأرض، ثم رمى بيده الأخرى ثم برجله الأخرى ثم بجسده ثم برأسه. ثم هبطَ (المشعوذ) وهو ينفخُ، - وثيابه ملطّخةٌ بالدم - فقبلَ الأرضَ بينَ يدي الأمير، وكلمه بالصّيني، (ف) أمرَ له الأميرُ بشيءٍ.

(١) شعد الرجل وشعوذ: برع في الاحتيال وفي إظهار الأشياء على غير حقيقتها.

(٢) السور جمع سير (بالفتح): قطعة من جلد مقدودة بعرض الإصبع أو نحو ذلك، ولكن طويلة كالجليل.

(٣) المشور ليست في القاموس بمعنى يوافق موقعها في هذا النص. والمقصود مجلس ضاحٍ (في الخلاء) يجلس فيه الأمير.

(٤) يسير: قليل.

(٥) المتعلم: صبي يقوم بين يدي أحد أرباب الصنائع ليتعلم منه صنعة. وكان الكلمة الفرنسية apprenti مأخوذة من معنى هذه الكلمة العربية. والإنكليز قالوا: apprenticed من نظرهم إلى الكلمة الفرنسية.

(٦) اقرأ: فدعاه ثلاثاً فلم يجبه.

ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَ أَعْضَاءَ الصَّبِيِّ فَأَلَصَقَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَرَكَضَهُ<sup>(٧)</sup> بِرِجْلِهِ فَقَامَ سَوِيًّا. فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَأَصَابَنِي خَفَقَانٌ<sup>(٨)</sup>، فَسَقَوْنِي مَا أَذْهَبَ عَنِّي مَا وَجَدْتُ. وكان القاضي فخر الدين إلى جانبي، فقال لي: والله، ما كان من صعود ولا نزول ولا قطع عضو، وإنما ذلك شعوذة.

- ٤- تحفة النظّار.... (رحلة ابن بطّوطة) (تحرير ديمفيري وسانغوينيتسي)، باريس (المطبعة الأهلية) ١٨٥٣-١٨٥٨ م (١٢٧٠ هـ وما بعد)، الطبعة الثانية ١٨٦٩-١٨٧٩ م، الطبعة الثالثة ١٨٩٣-١٨٩٥ م؛ القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٨٧-١٢٨٨ هـ؛ القاهرة (مصطفى فهمي) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة التقدم) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ؛ بيروت (دار بيروت) ١٩٦٠ م.
- ★★ تحفة النظّار (أختصار محمد فتح الله بن محمود البيلوئي العمري الأنصاري)، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٨ هـ، (طبع حروف) ١٢٧٩ هـ.
- مذهب رحلة ابن بطّوطة المسماة «تحفة النظّار» (وقف على تهذيبها أحمد العوامري ومحمد جاد المولى)، (بلا تاريخ)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٣٣-١٩٣٤ م.
- ذيل على فصل الأخية (٩) الفتيان التركية لابن بطّوطة، بقلم جودت محمد، استانبول ١٣٥١ هـ (راجع بروكلن، الملحق ٢: ٣٦٦).
- رحلة ابن بطّوطة، تأليف محمد مصطفى زيادة، القاهرة ( ) ١٩٣٩ م.
- ابن بطّوطة، تأليف فؤاد بدوي، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٦٧ م.
- أدب الرحلة: تاريخه وأعلامه: المسعودي- ابن بطّوطة- الريحاني، تأليف جورج غريب، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.
- ابن بطّوطة، تأليف فؤاد أفرام البستاني، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٧ م.
- الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٣: ٤٨٠-٤٨١؛ نفح الطيب ١: ١٥٢، ١٧٥-١٧٦، ٧؛ ٣٣٧-٣٣٨، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣٥-٧٣٦؛ بروكلن ٢: ٣٣٢-٣٣٣، الملحق ٢: ٣٦٥-٣٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٤ (٦: ٢٣٥-٢٣٦)؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٠: ٢٣٥-٢٣٦؛ سركيس ٤٨-٤٩؛ النبوغ المغربي ٢١٢-٢١٣؛ الأدب المغربي ٤١٢-٤١٧.

(١) ركض الرجل الحجر برجله: ركله، صدمه، دفعه.  
(٢) الخفقتان: شدة النبض (بفتح فسكون): شدة ضربات القلب وسرعتها.

## أبو جعفر الغرناطيّ الرعيني<sup>(١)</sup>

١- هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك بن اسماعيل الغرناطيّ الإلبيريّ الرعينيّ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٠٨ أو ٧٠٩ هـ (١٣٠٨ - ١٣١٠ م). قرأ القرآن بالسَّبعِ على أبي الحسن عليّ بن إبراهيم القيحاويّ، والحديث على أبي عبد الله محمد بن عليّ الخولانيّ الإلبيريّ، والفقه على أبي عبد الله البيّاني. وكانت وفاته في مُنتَصَفِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٧٧٩ (١٣٧٨/١/١٦ م).

٢- أبو جعفر الغرناطيّ الرعينيّ عانى الأدب مُدَّةً حَتَّى بَرَعَ فيه. ولكنّ أدبه ظلّ أدبَ شروحٍ ومعارضاتٍ واقتباسٍ من القرآن ومن الحديث ومن أقوالِ الشعراء ومن موضوعاتِ النحوِ والبلاغة في مقطّعاتٍ من بَيِّنَتَيْنِ وثلاثَةٍ وأربعة. وفي شذرات الذهب أنّه كان كثيرَ التّأليفِ في العريّة (النحو) وغيرها. وكان قد شَرَحَ بديعّة رفيقه ابن جابر الأندلسيّ وسَمّاها « طِرَازَ الحِلَّةِ وشِفاءِ الغلّة » (نفع الطيب ٢: ٦٧٦).

### ٣- مختارات من آثاره

- لأبي جعفر الغرناطيّ الرعينيّ مُقطّعاتٌ منها:

★ ★ أبَدْتُ لِي الصُّدْعَ على خَدِّها، فأطْلَعَ اللَّيْلُ لَنَا صُبْحَهُ<sup>(٢)</sup>.  
فَخَدَّها مَعَ قَدِّها قائلٌ (هذا شُقيقٌ عارضٌ رُمْنُهُ)<sup>(٣)</sup>.  
★ ★ حِمَضٌ لِمَن أَضْحَى بها جَنَّةٌ يدنو لَدَيْها الأملُ القاصي<sup>(٤)</sup>.  
حَلَّ بها العاصي. ألا فاعجَبُوا مِن جَنَّةٍ حَلَّ بها العاصي<sup>(٥)</sup>!

(١) راجع عدداً من تفاصيل حياته في ترجمة رفيقه ابن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠).

(٢) الصّدغ، في الأصل، ما فوق الحَدِّ. و (هنا) الشعر الذي يتدلّى إلى جانب الجبهة. - فظهر بياض خَدِّها من خلال شعرها.

(٣) قَدِّها: قوامها الذي يشبه قوام الرمح. والعجز اقتباس (تضمن ناقص) من قول الشاعر:

جاء شقيق عارضاً رمحهُ إن بي عمك فيهم رماح.

(٤) حص المدينة الثامية على نهر العاصي. جنة: روضة ذات أنهار وأشجار.

(٥) العاصي (الأولى) نهر العاصي. العاصي (الثانية): المذنب. الجنة (الثانية): جنة الخلد في الآخرة.

★ ★ وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ دَبَّ عِذَارُهُ،  
 لَمَّا رَأَيْتُ عِذَارَهُ مُسْتَفْجِلًا  
 نَادَيْتُهُ: قِفْ كَيْ أُوَدِّعَ وَرَدَّهُ؛  
 ★ ★ يَا رَاحِلًا يَنْغِي زِيَارَةَ طَبِيبَةٍ،  
 حَيِّ الْعَقِيقِ إِذَا وَصَلْتَ وَصِفْ لَنَا  
 وَإِذَا وَقَفْتَ لَدَى الْمُرَفِّ دَاعِيًا  
 ★ ★ هَذِهِ رَوْضَةُ الرَّسُولِ، فَدَعْنِي  
 لَا تَلْعَنِي عَلَى انْكَابِ دُمُوعِي؛  
 ★ ★ حَسَنِ النَّبِيِّ مَا اسْطَفَعْتَ وَلَا  
 إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، مَنْ  
 ★ ★ قَالَتْ، وَقَدْ حَاوَلْتُ نَيْلَ وَصَالِهَا:  
 بِاللَّهِ، قُلْ لِي: أَيْنَ نَحْوُكَ، يَا قَتَى؟  
 ★ ★ لَا تُعَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ؛  
 وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ

- (١) العِذار: الشعر النابت في الوجه: كأنه خطٌّ (أسود) على قرطاس (ورق أبيض).
- (٢) الورد: أحمر الخدين. الآس نبت أوراقه شديدة الخضرة. والعرب تسمي الأسود أخضر.
- (٣) المعجز تضمين من مطلع قصيدة لأيي تمام:  
 ما في وقوفك ساعة من باس  
 تقضي ذمام الأربع الأدراس.
- (٤) طيبة: المدينة (مدينة الرسول).
- (٥) العقيق وادٍ قرب المدينة يتنزّه فيه الناس. منى: مكان قرب مكّة يبيت فيه الحجاج بعد النفر (يفتح فسكون: النزول من جبل عرفة).
- (٦) المرَف: عرفة: جبل يقف عليه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة.
- (٧) الروضة: مكان قبر الرسول. الصعيد: الأرض، التراب. الصعيد (لأنه ضمّ جدد الرسول).
- (٨) في الحديث: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ. وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى....
- (٩) أين علمك بالنحو! هل يمكن أن يأتي اسم موصول بغير صلة (جملة تتم معناه: رجع القائد الذي ربح المعركة - «ربح المعركة» صلة لاسم الموصول «الذي») وفي «الموصول» تورية: الهب الذي استجاب له حبيبه ثم الكلمة النحوية (الذي، التي، الخ).
- (١٠) المعجز تضمين.....

- وله في مقدمة شرحه لبديعية رفيقه ابن جابر الأندلسي:  
 .... نادرة في فنّها فريدة في حُسْنِها، يُجْنَى ثَمَرُ البلاغة من غُصْنِها وتَنْهَلُ سواكِبُ  
 الإِجادة من مُزْنِها. لم يُنْسَجْ على منوالِها<sup>(١)</sup> ولا سَمَحَتْ قريحَةُ مِنالِها. رأيتُ أن أضعَ لها  
 شرحاً يَجْلُو عرائِسَ معانيها لمعانيها<sup>(٢)</sup>، ويُبدِي غرائبَ ما فيها لمُوافيها<sup>(٣)</sup>. لا أُمِلُّ  
 الناظرَ فيه بالتطويل ولا أُعَوِّقُه بكثرة الاختصار عن مدارِكِ التحصيل. فخيرُ الأمورِ  
 أَوْسَطُها، والفرَضُ ما يُقَرِّبُ الأمورَ ويَضَيِّطُها. فَأَعْرَبُ من أَلْفاظِها كُلَّ خَفِيٍّ وأَسْكُتُ  
 من لُغائِها عن كُلِّ جَلِيٍّ<sup>(٤)</sup>..

٤-★★ المنهل الصافي ١: ٢٩٩؛ الدرر الكامنة ١: ٣٦١-٣٦٢ (١: ٣٤٠)؛ الوافي  
 بالوفيات ٨: ٣٠٥-٣٠٧، راجع ٦: ٣٠٥-٣٠٧؛ بغية الوعاة ١٧٦ (راجع  
 ١٤)؛ شذرات الذهب ٦: ٢٦٠-٢٦١؛ نفح الطيب ١: ٤٤، ٤٧، ٩٠، ٢؛  
 ٥٦٥، ٦٧٥-٦٧٧، ٦٨٠، ٦٨٤ وما بعد، ٦٨٧ وما بعد، ٢٨٨-٢٨٩،  
 ٣٤٧:٧-٣٤٨، ٣٧٦-٣٧٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٠ (٢٧٤).

## ابن جابر الأندلسي

١- هو شمسُ الدين أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عليّ بنِ جابرِ الهواريّ الأندلسيّ المَرِيّ الضَريرُ، وُلِدَ في المَرِيّة سنة ٦٩٨ (١٢٩٨-١٢٩٩ م).  
 قرأ ابنُ جابرِ القرآنَ على مُحَمَّدِ بنِ أبي العيش<sup>(٥)</sup> والحديثَ على مُحَمَّدِ الزَّواوي والفقهَ  
 على مُحَمَّدِ بنِ سعيدِ الرُّنديّ، ثم رَحَلَ - وهو في مَطْلَعِ حَيَاتِهِ - إلى مِصرَ، ومَعَهُ أبو جَعْفَرِ  
 الغَرناطِيّ (كان ابنُ جابرِ يَنْظِمُ وأبو جَعْفَرِ يُدَوِّنُ له نَظْمَهُ)، وقد عُرِفَا بالأعْمى  
 والبصير. وفي مِصرَ سَمِعَ الرِّفِيقانِ من أبي حَيَّانَ الغَرناطِيّ (ت ٧٤٥).

(١) المزن: المطر. المنوال: آلة لحياكة النسيج. لم ينسج أحد على منوالها: لم يصنع أحد مثلاً.

(٢) المعاني: الذي يجهد نفسه في فهم الشيء أو عمله.

(٣) الموافي: الواصل (الذي يصل إلى هذه البديعية ويقرأها ليفهم ما فيها).

(٤) لغاتها: ألفاظها المختلفة (والدالة على معنى واحد، أو على معانٍ متقاربة). الجليّ: الواضح.

(٥) كذا في الوافي بالوفيات وفي نكت العميان. وفي بغية الوعاة: ابن يعيش.

ثم حجّ الرفيقان واستأنفا الرحلة إلى الشام، سنة ٧٤١هـ، ونزلا دمشق فسمعا فيها جانباً من صحيح البخاري من الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزني (ت ٧٤٢هـ). واتهم الرفيقان فرصة موت المزني فانتقلا إلى حلب، سنة ٧٤٣هـ، وجعلا يُحدّثان بصحيح البخاري. ثم انتقلا إلى البيرة (على الفرات، قرب سُميساط).

ثم اتفق أن تزوج ابن جابر فاختلفت صُحبَتُها وافترقا. وتوفي أبو جعفر سنة ٧٧٩هـ فرثاه ابن جابر. أما ابن جابر فكانت وفاته سنة ٧٨٠هـ (١٣٧٨ - ١٣٧٩ م) في البيرة.

٢- ابن جابر الأندلسي أديبٌ ناثرٌ وشاعرٌ، وله إلمامٌ بالحديث وبراعةٌ في اللغة والنحو والعروض والبلاغة. وهو شاعرٌ مُكثِرٌ له مُقطَّعاتٌ حسانٌ. وقد اشتهر بقصيدته «بديعةُ العُميانِ» أو الحُلةُ السَّيْرا في مدح خير الوري<sup>(١)</sup>، وهي مائةٌ وسبعةٌ وسبعون بيتاً جمَعَ فيها خُسينَ وجهاً من البديع (الصَّنْاعةُ اللفظية). هذه القصيدة نازلةٌ عن مُستوى الشعر الجيّد لأنّ ناظمها تكلف فيها ما من شأنه أن يجعلَ الشعرَ مُتخلِّلاً ضعيفاً. ثم هو مُصنّفٌ شرحَ بديعته وشرحَ ألفية ابن مالك وألفية ابن مُعطّر. وله من الكتب: كتابُ الغِن في مدح سيّد الكونين (مجموعُ مدائح في الرسولِ مرتبةٌ على الحروف) - رسالةٌ في السيرة ومولّد النبي - المِنحة في اختصارِ المُنحة<sup>(٢)</sup>. ثم له قصائدٌ وأراجيزٌ منها: وسيلةُ الآبق في أسماء الصحابة والتابعين على ما ذكّر أبو نعيم<sup>(٣)</sup> - غاية المرام في تثلث الكلام - في العروض - في النحو - في المقصور والمدود - مدح المدينة.

(١) قال ابن حجة الحموي (٧٦٧-٨٣٧هـ) في «بديعة العُميان» ما يلي (خزانة الأدب، مصر ١٣٠٤هـ، ص ١٢): «.... وجدته صرّح في براعتها (في مطلعها الذي تكون فيه براعة الاستهلال، أي الابتداء الجيّد الموافق) بمدح النبي صلى الله عليه وسلّم.... فهذه البراعة ليس فيها إشارةٌ تُشعرُ بغرض الناظم وقصده، بل أطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكلام. فإن قال قائل: إنها براعة استهلال. قلت: إنّ البديعية لا بدّ لها من براعة (استهلال) وحسن مخلص (حسن انتقال من موضوع إلى موضوع) وحسن ختام. فإذا كان مطلع القصيدة مبنياً على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محلٌ ولا موضع. ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة إلى طريق الجماعة (أصحاب البديعات). غير أنّ الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الأندلسي شرحها شرحاً مفيداً».

(٢) ملحّة الاعراب (منظومة في النحو للمبتدئين) للحريري (ت ٥١٦هـ).

(٣) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٣٣٦ - ٤٣٠هـ) من حفاظ الحديث ومن المؤرّخين لرجالِهِ. له كتب منها: كتاب معرفة الصحاب.

### ٣- مختارات من آثاره

- من بديعة العميان:

- كافي الأرامل والأيتام كافلهم،  
دغ عنك سلمى وسل ما بالعقيق جرى  
من لي بدار كرام في البدار لها  
بانوا فهان دمي وجداً فهان دمي،  
وحتهم، ما نسينا عهد حبهم  
من لي بمسليم للبيد معتصم  
ذو مرة فاستوى حتى دنا فرأى  
واسهر إذا نام سار وامض حيث ونى
- وإني الندى لموافي ذلك الحرم<sup>(١)</sup>  
وأتم سلماً وسل عن أهله القدم<sup>(٢)</sup>  
عز، فمن قد لها عن ذاك يهتضم<sup>(٣)</sup>  
فقد أراق دمي فيما ما أرى قدمي<sup>(٤)</sup>  
ولا طلبنا سيواهم. لا، وحتهم<sup>(٥)</sup>  
باليس لا مسنم يوماً ولا سيم<sup>(٦)</sup>  
وقيل: سل قد خيرت فاحتكم<sup>(٧)</sup>  
واسمح إذا شح نفساً واسر إن يقيم<sup>(٨)</sup>

- (١) الوافي: الراجح، الكثير. الوافي: القادم، الواصل إلى. الحرم: المكان المحرم، المقدس (مكة أو المدينة). - جناس ناقص بين: كافي وكافل ثم وافي وموافي.
- (٢) العقيق: مرج في المدينة. بالأحر: (الدمع) المزوج بدم. أم: قصد.
- (٣) سل: اسم مكان في الحجاز. - جناس تام مركب (من كلمتين) بين سلمى وسل ما ثم بين سل عن وسلما.
- (٤) البدار: الإسراع. لها يلهو: غفل، اشتغل عن الأمر، نسي. اهتضم: وقع عليه ظم. - جناس تام: بدار (في دار) وبدار (إسراع). لها (فعل ماضٍ)، لها (جار ومجرور).
- (٥) بانوا: بعدوا، سافروا. هان: رخص، ذل. وجداً: اشتياًقاً. ها: أداة التنبيه من هذا (اسم إشارة). - جناس تام مركب أيضاً: فهان دمي، فهان دمي. ثم أراق دمي، أرى قدمي (أرى قدمي أراق دمي جملة قديمة معروفة، فيما أعتقد).
- (٦) وحتهم (الواو: القسم. حتهم: مجرور بالباء) - رد الإعجاز على الصدور بين «وحتهم ما» و «لا وحتهم».
- (٧) مستلم للبيد (جمع بيداء، أرض واسعة مقفرة): ملق بنفسه غير مهم بالخطر. معتصم باليس (النياق): معتمد على الناقة التي يركبها لتقطع به تلك المسافات الطوال. المسم: الذي يجمل غيره بمل. المسم: الذي مل من طول المير. - سجع (قافية في وسط البيت: مستلم ومعتصم ثم مسم ومسم).
- (٨) مرة: (قوة، أو منظر حسن). ذو قوة: جبريل. استقر: دنا: اقترب. - اقتباس من القرآن ﴿ذو مرة فاستوى، فهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى﴾ (٥٣: ٦-٨، سورة النجم). - في حديث الإسراء والمعراج: وصل محمد رسول الله مع جبريل إلى قرب عرش الرحمن.
- (٩) سار: سائر في الليل. ونى: كل وتمب. أسر: (فعل أمر من أسرى (سار ليلاً). أقام: لبث، بقي في مكانه. - طباق (معان متضادة) بين سهر ونام ثم أمض وونى، ثم اسمح وشح (بجل)، ثم أسر وقيم.



إلى نبيٍّ رأى ما لا رأى ملكٌ      وقام حيث أمينُ الوحي لم يَقم<sup>(١)</sup>.  
فأبيضَ بعدَ سوادٍ قلبٌ مُنتَصِرٌ،      واسودَّ بعدَ بياضٍ وجهٌ مُنْهَزِم<sup>(٢)</sup>.  
يَمُمُ نَبِيًّا تُبارى الرِّيحَ أنملُهُ      والمُزْنَ من كلِّ هامِي الودْقِ مُرتَكِم<sup>(٣)</sup>.  
تَكَادُ شَهِدُ أن الله أَرْسَلَهُ

إلى الوري نُطَفُ الأبناء في الرِّجِمِ<sup>(٤)</sup>.  
تُحِيطُ كَفَاهُ بالبحرِ المُحِيطِ، فلذَّ      به ودَعَ كلَّ طامِ الموجِ مُلتَطِم<sup>(٥)</sup>.  
مِنَ أَعْرَبِ العُربِ، إلَّا أنَّ نِسْبَتَهُ      إلى قُرَيْشٍ حُمَاةَ البيتِ والحَرَمِ<sup>(٦)</sup>،  
لا عِيبَ فِيهِمْ سِوَى أن لا تَرى لَهُمْ      ضِيفاً يَجُوعُ ولا جَاراً يُمْتَضِم<sup>(٧)</sup>.  
عِيبَتِ عِدَاهُمْ فزَانُوهُمْ بأن تَرَكَوا      سِوْفَهُمْ وَهِيَ تِيجَانٌ لِهَامِيهِمْ<sup>(٨)</sup>.  
تَجْرِي دِمَاءُ الأَعَادِي من سِوْفِهِمْ      مِثْلَ المَوَاهِبِ تَجْرِي من أَكْفِهِمْ<sup>(٩)</sup>.  
إذا بدا البدرُ تحتَ الليلِ قُلْتُ له:      أَأَنْتَ يَا بَدْرُ أم مَرَأَى وَجُوهِهِمْ<sup>(١٠)</sup>!

- (١) الملك (يفتح ففتح): واحد الملائكة. أمين الوحي جبريل. - طباق بالنفي: رأى ولا رأى ثم قام ولم يقم.
- (٢) طباق: أبيض واسودَّ، سواد وبياض، منتصر ومنهزم. وعكس (تعبيران أحدهما ضد الآخر).
- (٣) يَمُمُ: اقصد. تبارى: تنافس، سابق. أغله: أصابعه (يده، كناية عن الكرم). المزن: المطر. هامى الودق (البرق): الماء الساقط من السحاب بعد البرق (ويكون عادة غزيراً). مرتكم: السحاب المترام (فيه ماء كثير). - مبالغة (لأنَّ الإنسان لا يمكن أن يكون أكرم من المطر الذي هو من كرم الله).
- (٤) الوري: البشر، مجموع الناس. النطفة: ماء الرجل قبل أن ينمقد في رحم المرأة ليصبح جنيناً. - مبالغة وغلو.....
- (٥) البحر المحيط: الأقيانوس، البحر العظيم. لاذ يلود: لجأ. دع: اترك (الاستقاء) من كل طامي الموج (البحر المملوء بالأعواج). ملتطم: يضرب بعض موجه بعضاً. - مبالغة.
- (٦) من أعرب العرب: من أنقى العرب نسباً. - تأكيد المدح بما يشبه الذم (انتقل هنا من مجموع العرب إلى قبيلة منهم).
- (٧) مهتضم: مظلوم. - تأكيد المدح بما يشبه الذم (لا عيب فيهم: مدح. ضيفهم يجوع: ذم. ضيفهم لا يجوع: يشبه الذم).
- (٨) الهامة: الرأس. المقصود هامهم تيجان لسيوفهم. - تأكيد الذم بما يشبه المدح. تزيين السيوف برؤوس الأعداء ذم للأعداء، ولكنَّ ظاهره (زانونا، زَيْنُوا، تيجان) مديح.
- (٩) المواهب: العطايا. - استتباع: جعل الشاعر جري المواهب من الأكف (وهو مجاز، استمارة) مثل جري الدماء من السيوف (وهو حقيقة).
- (١٠) تجاهل العارف: هو يعرف أن الذي يراه هو بدر السماء، ولكنه يتجاهل ذلك (وهو عارف بالحقيقة) لأنَّ وجوههم أجمل من البدر.

- وقال في الذين يتخذون الحضرة لباساً للدلالة على أنهم من نسل رسول الله: جعلوا لأبناء الرسول علامة. إن العلامة شأن من لم يُشهر. نور النبوة في كريم وجوههم يُغني الشريف عن الطراز الأخضر. - وله مقاطع منها:

★ ★ يا أهل طيبة، في مناكُم قمرٌ يَهْدِي إلى كلِّ محمودٍ من الطرق<sup>(١)</sup> : كالغيث في كرمٍ، والليث في حرمٍ ، والبدر في أفقٍ، والزهر في خلق<sup>(٢)</sup> !  
★ ★ ولما وقفنا كي نودّع من نأى ولم يبقَ إلّا أن نُحَثَّ الركائبُ، بكنينا. وحقّ للمُحبِّ إذا بكى عشيّة سارت عن حياه الحبايب. عَشِيَّة سَارَتْ عن حياه الحبايب. ★ ★ منعّتنا قرى الجبال وقالت: ليس في غير زادنا من مجال<sup>(٣)</sup>. فاقمنا على الرّحال وقلنا: ما لنا حاجةٌ بحطّ الرّحال<sup>(٤)</sup> !  
- وكتب تعليقاً على كتاب نسيم الصبا<sup>(٥)</sup> منه:

لَمَّا وَقَفْتُ عَلَى الْفُصُولِ الْمَوْسُومَةِ بِنَسِيمِ الصَّبَا الْمَرْسُومَةِ فِي صَفَحَاتِ الْحُسْنِ فَإِذَا أَبْصَرَهَا اللَّيْبُ صَبَا<sup>(٦)</sup>، اْتَمَعَشَ بِهَا الْخَاطِرُ اِتْتَعَشَ النَّبْتُ بِالْفَهَامِ وَهَمَّتْ<sup>(٧)</sup> سَحَائِبُ بَيَانِهَا فَأَثْمَرَتْ حَدَاقَتِ الْكَلَامِ. وَأَخْرَجَتْ أَرْضُ الْقَرَائِحِ مَا فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ..... فَصُولٌ هِيَ لِلْحُسْنِ أَصُولٌ، وَشُمُولٌ لَهَا عَلَى كُلِّ قَلْبٍ شُمُولٌ<sup>(٨)</sup>. ليس لقدامة على التقدّم بها حُصُولٌ<sup>(٩)</sup>، وَلَا لَسَحْبَانٍ لِأَن يَسْحَبَ ذَيْلُهَا وَصُولٌ<sup>(١٠)</sup>. وَلَا اِتْنَهَى قَسُّ الْأَيَادِي لِهَذِهِ

- (١) طيبة: مدينة الرسول. قمر (كناية عن الرسول).
- (٢) الليث: الأسد. حرم: المكان الذي يأوي إليه الأسد (لا يجسر أن يقترب أحد منه).
- (٣) رفضت أن تمتعنا بجبالها وسمحت بأن تقدّم لنا الطعام إذا نحن نزلنا بها ضيوفاً.
- (٤) .... عندئذ بقينا على سروج خيلنا وقلنا لها: لا حاجة بنا إلى النزول ضيوفاً عليها.
- (٥) «نسيم الصبا» كتاب في وصف الطبيعة والحياة الإنسانية في أسلوب أنيق سجع لبدر الدين أبي محمد الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي الحلبي (٧١٠ - ٧٧٩ هـ).
- (٦) الليب: العاقل. صبا: مال، اشتاق.
- (٧) همى المطريهمي: انهمر، سقط غزيراً.
- (٨) الشُمُول: الخمر الباردة. الشُمُول (مصدر): عموم، إحاطة.
- (٩) قدامة بن جعفر البغدادي (ت ٣٢٧) كاتب بليغ له كتاب «نقد الشعر».
- (١٠) سحبان وائل (ت ٥٤) خطيب مخضرم (عاش في الجاهلية وفي الإسلام) مشهور بالفصاحة.

الأيادي<sup>(١)</sup>، ولا ظَفِرَ بديعُ الزمانِ<sup>(٢)</sup> بهذه البدائعِ الحِسانِ.....

- لآبِن جَابِرِ الوادي أَشْيُ الضَّرِيرِ مقصورةٌ نَلَمَحُ في نَفْسِهَا شَيْئاً من مقصورةِ آبِنِ دُرَيْدٍ (ت ٣٢١ هـ)، وَلَكِنَّهَا في بَنَائِهَا مُعْشَرَاتٌ (كُلُّ مَقْطَعٍ مِنْهَا عَشْرَةُ أَيْيَاتٍ). وفي قَوَافِيهَا خَاصَّةٌ هِيَ: جَمِيعُ أَيْيَاتِهَا مَخْتُومَةٌ بِأَلْفٍ مقصورةٍ ثُمَّ كُلُّ مَقْطَعٍ مِنْ عَشْرَةِ أَيْيَاتٍ مَبْنِيٌّ عَلَى رَوِيٍّ (قَبْلَ الأَلْفِ المقصورة) هُوَ أَحَدُ أَحْرُفِ الهِجَاءِ عَلَى التَّوَالِي: الهمزة، الباء، التاء، الخ، كما سَنَرَى. وَلَكِنْ المَقْطَعُ الَّذِي عَلَى رَوِيٍّ الْغَيْنِ المَنْقُوطَةُ سَبْعَةُ أَيْيَاتٍ فَقَط. ثُمَّ تَأْتِي ثَلَاثَةُ مَقَاطِعَ، بَعْدَ المَقْطَعِ الَّذِي عَلَى رَوِيٍّ الْيَاءِ، وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ المَقْطَعُ الأَخِيرَ، أَوَّلُهَا أَرْبَعَةُ أَيْيَاتٍ عَلَى رَوِيٍّ اللَّامِ وَثَانِيهَا سَعَةُ أَيْيَاتٍ عَلَى رَوِيٍّ الرَّاءِ ثُمَّ مَقْطَعٌ مِنْ سَبْعَةِ أَيْيَاتٍ عَلَى رَوِيٍّ الدَّالِ. وَمَجْمُوعُ أَيْيَاتِ هَذِهِ المَقْصُورَةِ مِائَتَانِ وَسَبْعَةٌ وَسَبْعُونَ.

والمَوْضُوعُ الغَالِبُ عَلَى هَذِهِ المَقْصُورَةِ «مَدْحُ الرِّسُولِ»، وَإِنْ كَانَ فِيهَا أَشْيَاءٌ مِنَ الْغَزَلِ وَالْأَدَبِ (الحِكْمَةِ) والتَّارِيخِ. رَاجِعُ بِنَاءِ القَوَافِي فِي المَخْتَارَاتِ السَّيْرَةِ التَّالِيَةِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٣٠٦-٣٢٣):

بَادَرَ قَلْبِي لِلْهَوَى وَمَا أَرْتَأَى	لَمَّا رَأَى مِنْ حُسْنِهَا مَا قَدْ رَأَى.
فَقَرَّبَ الْوَجْدُ لِقَلْبِي حُبَّهَا،	وَكَانَ قَلْبِي قَبْلَ هَذَا قَدْ نَأَى....
يَا رَبِّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاظَيْنَا بِهِ	حَدِيثَ أَنْسَرٍ مِثْلَ أَزْهَارِ الرُّبَى
فِي رَوْضَةٍ تَعَانَقْتُ أَغْصَانُهَا،	إِذْ وَاصَلْتُ مَا بَيْنَهَا رِيحُ الصَّبَا؛
أَيَّامَ كَانَ الْعَيْشُ غَضًّا حُسْنُهُ	عَذَبَ الْجَنَى رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الصَّبَا....
تَاللَّهِ، لَا أَعْيَا بِعَيْشٍ قَدْ مَضَى،	وَلَا زَمَانٍ قَدْ تَعَدَّى وَعَتَا <sup>(١)</sup> ،
مُذْ عَلِقْتُ كَفِّي بِالْهَادِي الَّذِي	سَادَ الْوَرَى طِفْلاً وَكُهْلاً وَفَتَى.
إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مِصْبَاحُ هُدًى	يُهْدِي بِهِ مَنْ فِي دُجَى اللَّيْلِ مَتَا <sup>(٢)</sup> ....

(١) قَرَنَ بِنِ سَاعِدَةِ الْإِيَادِي (ت ٢٢ قَبْلَ الْهِجْرَةِ) خَطِيبَ جَاهِلِيٍّ شَهُورٍ. الْإِيَادِي: النِّعَمُ وَالْمُعْطَايَا.

(٢) بَدِيعُ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِي (٣٥٨-٣٩٨ هـ) مَوْسَسُ فَنِّ المَقَامَاتِ.

(٣) عَتَا: ظَلَمَ وَتَجَبَّرَ.

(٤) مَتَا: مَشَى وَأَسْرَعَ.

إِنَّ تَحْسِبِ الرُّسُلَ سَمَاءً قَدْ بَدَتْ،  
 وَاسْطَةُ الْقَوْمِ إِذَا مَا نُظِمُوا،  
 يَا مُجْتَبَى مِنْ خَيْرِ قَوْمٍ حَسَبًا  
 اخْتَارَكَ اللَّهُ رَسُولًا هَادِيًا.  
 عَجِبْتُ لِلْأَيَّامِ: مَنْ عَزَّ بِهَا  
 وَكَمْ صَرِيحٍ غَادَرْتُ لَيْسَ لَهُ  
 عَدْتُ عَلَى نَفْسِ عَدِيٍّ، وَسَقَتْ  
 لَمْ يَأْمَنِ الْمَأْمُونُ مِنْ صَوَلَتِهَا،  
 وَغَالَتْ الزَّبَاءُ فِي مِئْنَتِهَا  
 وَأَهْلَكَتْ عَادًا وَأَقْنَتْ جُرْهُمًا  
 وَالْآنَ قَدْ أَكْمَلْتُهَا فِي مَدْحِهِ  
 ضَمَنْتُهَا مِنْ كُلِّ فَنٍّ دُرَرًا  
 حَلَيْتُهَا جِيدَ مَعَالِيهِ، وَمَا  
 فَاتَّهَ فِي أَفْقِهَا نَجْمٌ هُدَى.  
 وَمَلَجَأَ الْقَوْمِ إِذَا الْخَطْبُ عَدَا.....  
 فِيمَا أَتَى مِنْ زَمَنِ وَمَا مَضَى،  
 أَكْرَمَ بِمَا اخْتَارَ لَنَا وَمَا آرَتَضَى.  
 ذَلَّ، وَمَنْ يَضْحَكُ بِهَا يَوْمًا بَكَى.  
 مِنْ مَلَجَأٍ يَوْمًا وَلَا مِنْ مُشْتَكَى.  
 مِنْهَا آيُنُ حُجْرٍ كَأَسْمُ كَالذِّكَا (١)....  
 وَلَا آيُنُ هَنْدٍ مِنْ عَوَادِيهَا خَلَا (٢).  
 فَأَظْفَرْتُ عَمْرًا بِهَا فَمَا أَلَا (٣).  
 وَزَوَّدْتُ مِنْهَا تَمِيمًا بِالصَّلَى (٤).....  
 مَقْصُورَةً يَقْصُرُ عَنْهَا مَنْ خَلَا (٥).  
 نَظْمًا، فَأَضَحْتُ مِنْ نَفِيسَاتِ الْحُلَى.  
 أَمْلَحَ حَلْيَ الْمَذْحِ فِي جِيدِ الْعُلَا!

٤- بدعيّة العميان أو الحلة السيرا في مدح خير الوري (عني بنشرها عبد الله مخلص) القاهرة  
 (المطبعة السلفية ومكبتها) ١٣٤٧ هـ؛ (طبع مع: سبيل الرشاد إلى نفع العباد لأحمد عبد  
 المنعم الدمنهوري) مصر ١٣٠٥ هـ.

\* خزانة الأدب لابن حجة الحموي (مصر ١٣٠٤ هـ، ص ١٢)؛ نكت العميان  
 ٢٤٤-٢٤٦؛ الوافي بالوفيات ٢: ١٥٧-١٥٨؛ فوات الوفيات ٢: ٦٨-٧٣؛

- 
- (١) عدي بن زيد قتله النعمان بن المنذر في الجاهلية. ابن حجر: امرؤ القيس. الذكا: اتقاد النار واشتداد  
 لهيبها.  
 (٢) المأمون العباسي (٢). ابن هند: معاوية بن أبي سفيان.  
 (٣) الزباء ملكة عربية (في الجاهلية) حاصرها عمرو بن عدي ليقتلها (في حديث طويل) فانتحرت بالسّم  
 مختارة.  
 (٤) عاد وجرهم من القبائل الجاهلية البائدة (التي انقرضت). كان النعمان قد أحرق جماعة من بني تميم  
 بالنار.  
 (٥) في هذا البيت ما يدلّ على أن ابن جابر قد أراد مدح أحد معاصريه بهذه المقصورة.

؛ بغية الوعاة ١٤، راجع ١٧٦؛ نفع الطيب ١: ٣٨، ٢: ٣٨٧،  
 ٦٦٤-٦٧٥ (مع شيء من الاستطراد)، ٦٨٠-٦٩٠، ٤: ٣٢٠-٣٢١، ٥: ٢٠٠،  
 ٢٠٢، ٤٧١، ٦: ٦٠٤، ١٧٢، ٧: ٣٠٢-٣٢٦، ثم معارضات له ٣٣٧-٣٣٩،  
 ٣٤٧، ٣٤٩-٣٧١؛ شذرات الذهب ٦: ٣٦٨؛ دائرة المعارف الإسلامية بروكلمن ٢:  
 ١٤-١٥، الملحق ٢: ٦؛ سركيس ٦٠-٦١؛ الداية ٥٣٧-٥٣٩؛ الأعلام للزركلي ٦:  
 ٢٢٥- (٣٢٨: ٥).

### محمد بن يوسف الثغري التلمساني

١- هو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري، ولد في تلمسان ونشأ فيها. وقد  
 أدرك دولة بني زيان في دورها الأول ودورها الثاني، وكان وثيق الصلة ببلاطها:  
 ألقى قصيدة في المولد النبوي الشريف (٧١٧ هـ = ١٣٦٩/١٠/٩ م)<sup>(١)</sup>، في عهد أبي  
 حمو موسى الأول بن عثمان (من سلاطين الدور الأول) ثم كان من شعراء أبي حمو موسى  
 الثاني بن يوسف (٧٦٠-٧٩١ م) من سلاطين الدور الثاني. فإذا نحن قبلنا هاتين  
 الروايتين، وجب أن يكون محمد الثغري هذا قد عاش مدة طويلة جداً، وأن يكون  
 قد ولد سنة ٦٩٠ هـ. (إذا نحن فرضنا أن يكون قد ألقى قصيدته تلك وعمره خمس  
 وعشرون سنة فقط). ثم لا يجوز أن يكون قد أدرك أحداً بعد أبي حمو الثاني.

وتقع وفاة محمد بن يوسف الثغري في أواخر القرن الثامن، نحو سنة ٧٨٠ للهجرة  
 (١٣٧٨ م) في الأغلب.

٢- كان محمد بن يوسف الثغري أديباً عارفاً بفنون الأدب ناثراً شاعراً. وفنونه  
 المدح والثناء والوصف والشعر الديني. وكانت بينه وبين لسان الدين بن الخطيب  
 (ت ٧٧٦ هـ) مراسلات.

(١) تاريخ الجزائر العام ٢: ١٩٩؛ الطمار ١٧٧. ومن غير المؤلف أن يكون قد أدرك أبا زيان  
 (٧٩٦-٨٠١ هـ) ثم عاش بعده، كما يقول عبد الحميد حاجيات (الأصالة ٤: ٢٦ ص ١٥٠).

### ٣- مختارات من شعره

- قال محمد بن يوسف الثغري في الشيب وحال الدنيا:

أَقْصِرْ فَإِنَّ نَذِيرَ الشَّيْبِ وَافَانِي، وَأُنْكَرْتَنِي الْغَوَانِي بَعْدَ عِرْفَانٍ<sup>(١)</sup>.  
وَقَدْ تَمَادَيْتَ فِي غَيٍّ بِلا رَشْدٍ؛ وَالنَّصْ تَأْمُرُنِي وَالشَّيْبُ يَنْهَانِي.  
كَمْ مِنْ خُطَى، فِي الْخَطَايَا، قَدْ خَطَوْتُ وَلَمْ تَرَاقِبِ اللَّهَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ<sup>(٢)</sup>.  
فَلَا تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيَا بِزُخْرِهَا، فَيَا نَدَامَةً مَنْ يَغْتَرُّ بِالْفَانِي!

- حَفِظَ أَبُو زَيْنَانَ مُحَمَّدٌ (وَلَدُ أَبِي حَمَّوٍ مُوسَى الثَّانِي) سُورَةَ الْبَقَرَةِ<sup>(٣)</sup> فَأَقَامَ أَبُو حَمَّوٍ حَفْلًا لِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ فَأَشَدَّ الثَّغْرِيُّ قَصِيدَةً فِي مَدْحِ آلِ زَيْنَانَ، مِنْهَا:

تَهَلَّلَ وَجْهُ الرُّوضِ وَابْتَسَمَ الزَّهْرُ وَغَارَتْ بِهِ فِي أَفْقِهَا الْأُنْجُمُ الزُّهْرُ<sup>(٤)</sup>.  
وَضَاكَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ مَسْرَةً وَقَابَلَهَا مِنْ كُلِّ رِيحَانَةٍ ثَغْرُ<sup>(٥)</sup>.  
وَمَالَتْ قُدُودُ الْقُضْبِ زَهْوًا كَأَنَّهَا نَشَاوَى تَمَشَّتْ فِي مِعَاطِفِهَا الْخَمْرُ<sup>(٦)</sup>.  
وَغَنَّتْ قِيَانُ الْوُرْقِ خَلْفَ سُتُورِهَا، وَلِلْوُرْقِ أَنْ غَنَّتْ بِأَوْرَاقِهَا سِتْرُ<sup>(٧)</sup>.  
لِمَوْلَايَ مُوسَى أَبَدَتْ الْأَرْضُ زِينَةً فَتَوَجَّهَا زَهْرٌ وَوَشَّحَهَا نَهْرُ<sup>(٨)</sup>.  
وَقَدْ رَفَلَتْ فِي حَلَةٍ سُنْدُوسِيَّةٍ وَشَاهَا الصَّبَا وَشَيْئًا وَدَبَّجَهَا الْقَطْرُ<sup>(٩)</sup>.

(١) في البيت تجريد (بجدة الشاعر من نفسه شخصاً مخاطبه). بعد عرفان (بعد معرفة منها بمكانتي أيام شبابي).

(٢) لم تراقب الله: لم تحف الله (لم تشعر، وأنت ترتكب الذنوب، أن الله يراك).

(٣) السورة الثانية في المصحف وأطول سور القرآن الكريم (مائتان وست وثمانون آية).

(٤) المقصود: غارت منه (من الغيرة والغبطة والحسد). الزهر: اللامعة الشديدة اللعان.

(٥) كل زهرة متفتحة كانت كأنها ثغر يتسم لتلك المناسبة.

(٦) القضب جمع قضيب: الغصن. زهواً: عجباً بالنفس. النشوان: شارب الخمر.

(٧) القينة (بفتح القاف): المرأة الحسناء المغنية. الورق جمع ورقاء: الحماية. (بأوراق الأشجار التي تنقي فيها). - نسع الحمام تنقي على الأغصان ولا نراها (لأن أوراق الأغصان تحجبها).

(٨) .... في أعلاها (على الأشجار) أزهار، وفي أسفلها (على الأرض) نهر جار.

(٩) رفل: لبس ثوباً ضافياً (واسعاً) جيلاً وتبختر به في المشي. سندس: حرير أخضر. وشاها: طرّزها، زينها.

الصبا (بالكسر: الشباب) الربيع الجديد. الصبا (بالفتح: الريح الشرقية): توج فيها فتحدث في نباتها توجات مختلفة. دبجها جعل نباتها كالديباج (النبات الأخضر). القطر: المطر.

وإنَّ أبا زِيَّانَ زَيْنٌ لِذَاتِهِ،      زكا منه نَجَلٌ حينَ طابَ له نَجْرٌ<sup>(١)</sup>.  
وقد حَذَقَ القرآنَ حِذْقَ مَجَوِّدٍ،      فأشرقَ منه القلبُ وانشرحَ الصدرُ<sup>(٢)</sup>.  
فيا مَلِكاً فاظتْ أشعةُ نوره      فأشرقَ منها للعلَى أنجمُ زُهرُ.  
هنيئاً، لكَ البُشرى، بَنَيْتَ بِهِذِيهِمْ      من الدينِ أركاناً يُهدِّ بها الكُفْرُ<sup>(٣)</sup>.  
هم تزدهي الأعلامُ والبيضُ والقنا      كما ازدهتِ الأقلامُ واللُّوحُ والجُبُرُ<sup>(٤)</sup>.  
جَمَعْتُمُ لَدَى الْقَصْرَيْنِ كُلِّ فَضِيلَةٍ      سِما لَكُمُ في الحَاقِقَيْنِ بِها ذِكْرُ:  
مَأْتَرٌ شَقٌّ مِنْ قِرَى وَقِرَاءَةٍ      تَضَمَّنَ مِنْهَا كُلُّ مَأْتَرَةٍ قَصْرُ<sup>(٥)</sup>.  
فمن صَدَقَاتٍ غَارَ مِنْ جُودِهَا الحِيا،

وفيضِ هِباتٍ غاضَ مِنْ جُودِهَا البحرُ<sup>(٦)</sup>.  
دَعَوْتُمُ إِلَيْهَا كُلَّ بَادٍ وَحَاضِرٍ      فَلَبَّوْا كَأَنَّ النَّاسَ صَمَهُمُ الحَشَرُ<sup>(٧)</sup>.  
كَأَنَّ الثَّرِيَّا نَحْوَكُم مَدَّ كَفَّهَا،      فَمِنْ نَيْلِكُمْ فِي كَفِّهَا وَرِقٌّ وَفَرُ<sup>(٨)</sup>.  
مَكَارِمُ لَا تَنفَكُ تَزْدَادُ جِدَّةً      على الدهرِ لَا تَبْلَى وَإِنْ بَلَى الدهرُ.  
فَدَامَتْ بِكَ الْأَيَّامُ تُظْهِرُ حُسْنَهَا      فَيَحْسُنُ فِي أَوْصَافِهَا النِّظْمُ والنِّثْرَا

٤-★★      نفع الطيب ٧: ١٢١ وما بعد، راجع ٦: ٤٢٧ وما بعد؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ١٩٩-٢٠٠؛ الطمار ١٧٧-١٨٥؛ معجم أعلام الجزائر ١٨٨-١٨٩؛ الأصلة ٤: ٢٦، ص ١٥٠.

- 
- (١) زكا: طاب، طهر. نجل: ابن. نجر: أصل.  
(٢) حذق: مهر، برع. التجويد: إعطاء الحروف حقَّها في الخارج ومن المدود.  
(٣) الهدي (بفتح فسكون) والهدى (بالضم) بمعنى.  
(٤) الأعلام والبيض (السيوف) والقتال (الرماح) كناية عن الحرب والشجاعة. والأقلام إلخ كناية عن العلم.  
(٥) المأثرة: العمل النبل الكريم. القرى: الضيافة والكرم.  
(٦) الحيا: المطر. غار من جودها الحيا (نفد المطر). غاض الماء: ذهب في باطن الأرض. - لو كانت عطايكم من ماء المطر ومياه البحار لنفدت (بفتح النون وكسر الفاء) تلك المياه.  
(٧) البادي: الساكن في البادية. الحاضر: الساكن في المدينة (جميع الناس). الحشر: يوم القيامة.  
(٨) النيل: العطاء. الورق (بفتح فسكون): الفضة. وفر: كثير. الثريا مجموع نجوم شبه الكف في رأي العين. - كان الثريا كفَّ تمتدَّ طلباً لمطائكم، فكأنَّ جميع نجومها (البيض الشبيهة بالفضة) من عطايكم.

## يحيى بن خلدون

١- هو أبو زكريّا يحيى بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون الحضرمي، وُلِدَ في تُونِسَ سَنَةَ ٧٣٣ (١١٣٢-١١٣٣ م) أو ٧٣٤. وفيها نشأ وتلقّى العِلْمَ على نَقَرٍ منهم عبدُ المهيمَن الحضرمي (ت ٧٤٩ هـ) وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الألبّي (ت ٧٥٧ هـ) والحافظُ أبو عبد الله السطّي (ت ٧٥٠ هـ) وسواهم من الذين دَرَسَ عليهم أخوه عبدُ الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ).

تقلّبت الأحوال بيحيى بن خلدون كثيراً لأنّه كان مُتقلّبَ الهوى في السياسة تنقله مصلحته الشخصية بين الحفصيّين في تُونِسَ والمُرِينيّين في فاسَ وبني عبد الواد في تِلْمَسَانَ. وكان قد تولّى للحفصيّين في بِجَايَة (وهي اليوم من الجزائر) مناصبَ عاديّة. وحاول أبو حوّ الثاني (من بني عبد الوادِ أصحابِ تلمسان) أن يستوليَ على بِجَايَة- في حديثٍ طويلٍ - فلم يستطع. فلما عاد الحفصيّون إلى بَسْطِ سُلْطَانِهِم على بِجَايَة اعتقلوا يحيى بن خلدون (لشكّهم في ولائه). ولكنه هَرَبَ ووَصَلَ إلى تلمسان سَنَةَ ٧٦٩ (١٣٦٧-١٣٦٨ م) فعيّنه أبو حوّ (٧٦٠-٧٩١ هـ) كاتباً للإِنشاء بعدَ توصيةٍ من أخيه عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ).

ثم إنَّ يحيى انحاز إلى المُرِينيّين وشيكاً (سَنَةَ ٧٧٢)، ومالأهم مُهالّةً استطاعوا أن يهدّدوا بها تلمسان. وبرغم ذلك رَضِيَ أبو حوّ على يحيى وأعاده إلى مَنْصِبِهِ. ولكن ذلك أثارَ غَيْظَ أبي تاشفين (ابن أبي حوّ الثاني) فدبّر مقتل يحيى في رَمَضَانَ من سَنَةِ ٧٨٠ (يبدأ رمضانُ هذا في ٢٢/١٢/١٣٧٨ م).

٢- كان يحيى بن خلدون رجلاً سياسياً ومؤرخاً كما كان ميّالاً إلى الأدب والشعر ينظّم في المديح والوصف، ولم يكن نظمُهُ عالياً. وله ميلاديّات (في مدح الرسول) يَسْتَطِرِدُ فيها أحياناً إلى المدح. وشهرته قائمة على كتابه الذي وصَلَ إلينا وعُنوانه في لفظ يحيى بن خلدون «... وَسَمِيَّتُهُ بَغِيَّةُ الرُّوَادِ في ذِكْرِ الملوك من بني عبد الوادِ وما حازَه مولانا أبو حوّ من الشرف الشاهقي الأطوادِ....»، وقد ألفه بطلبٍ من أبي حوّ نفسه وانتهى في تأليفه إلى سَنَةِ ٧٧٧ (١٣٧٥ م). وقيمة الكتاب تقومُ على تَوْفُرِهِ على



عهد أبي حمو الثاني ثم فيه صورة لبلاط تلمسان في ذلك العهد وقصائد كثيرة تامة لشعراء ذلك العصر. فقيمة الكتاب تاريخية واجتماعية وأدبية معاً.

### ٣- مختارات من آثاره

- نظم يحيى بن خلدون في مَوْلِدِ سَنَةِ ٧٧٨<sup>(١)</sup> قصيدةً حذا فيها حَدَوَ لِسَانِ الدين  
أَبْنِ الخطيب في مَوْلِدِيَّةٍ لَهُ<sup>(٢)</sup> ثم اسْتَطَرَّدَ فيها إلى مدحِ السُّلْطَانِ أَبِي حَمُو. قَالَ يَحْيَى بْنُ  
خَلْدُونٍ (نفع الطيب ٦: ٥١٠-٥١٣):

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُنَاحٍ	أَنْ يُرَى حِلْفَ عِبْرَةٍ وَاقْتِضَاحٍ <sup>(٣)</sup> .
يا رعى الله بِالْمُحْصَبِ رَبْعاً	أَذْنَتْ عِنْدَهُ النَّوَى يَانْتِزَاحٍ <sup>(٤)</sup> .
نَسَأُ الدَّارَ بِالْخَلِيطِ وَنَسْقِي	ذَلِكَ الرَّبْعَ بِالدُّمُوعِ السَّفَاحِ <sup>(٥)</sup> .
يا أَهْمِلَ الحِمَى، نَدَاءً مَشُوقٍ	مَا لَهُ عَنْ هَوَى الدَّمَى مِنْ بَرَاكِ <sup>(٦)</sup> .
طَالَمَا اسْتَعَذَبَ الْمَدَامِيعَ وَرَدّاً	فِي هَوَاكِمْ عَنْ كُلِّ عَذْبٍ قَرَاكِ <sup>(٧)</sup> .
وَاخْشَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ لَمْ	يَغْفِرِ اللَّهُ ذَلَّتِي وَاجْتِرَاحِي <sup>(٨)</sup> .

- 
- (١) يقع مولد محمد رسول الله في الثاني عشر من شهر ربيع الأول (النهر الثالث في التقويم القمري الهجري). وذكرى مولده سنة ٧٧٨ يوافق ١٣٧٦/٧/٣٠ م.
- (٢) للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) مولدية مطلعها (نفع الطيب ٦: ٥٠٩):  
ما على القلب بعدكم من جُنَاحٍ أَنْ يَرَى طَائِراً بَغِيرَ جَنَاحٍ  
الجناح الأولى، (بضم الجيم: الذنب والائتم) والجناح الثانية (بفتح الجيم: أحد جناحي الطائر).
- (٣) الصب: الحب. حلف (حليف) عبرة (دمعة: دائم البكاء).
- (٤) المحصب: مكان رمي الجمرات في الحج (منك من مناسك الحج) الربيع: المنزل المعمور المسكون. آذن: نادى وأعلن عن عزمه، قارب. النوى: البعاد، الفراق. انتزاح: ابتعاد (حيناً وصلنا إلى مكة شعرنا بأننا أصبحنا قرييين من غايتنا).
- (٥) الخليط: الساكن مع آخرين. نأل به: نأل عنه. السفاح ليست في القاموس في المعنى المقصود (المقصود: المسفوح، الهاطلة بكثرة). وفي القاموس: بينهم سفاح (بكسر السين): سفك دماء.
- (٦) أهمل الحمى (كناية عن أهل مكة). الدمى (النساء الجميلات) البراح: المبارحة، الترك، التحلي عن الأشياء.
- (٧) الورد (بكسر الواو): الشرب. القراح: الخالص، الصافي.
- (٨) الاجتراح: ارتكاب الذنوب (العظيمة).

لَمْ أَقْدِمْ وَسِينِلَةً فِيهِ إِلَّا حُبَّ خَيْرِ الْوَرَى الشَّفِيعِ الْمَاحِي<sup>(١)</sup>  
سَيِّدِ الْعَالَمِينَ دُنْيَا وَآخَرَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ فِي الْعُلَا وَالسَّاحِ  
سَيِّدِ الْكَوْنِ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ سِرَّةً بَيْنَ غَايَةٍ وَافْتِتَاحِ<sup>(٢)</sup>  
زَهْرَةِ الْغَيْبِ مَظْهَرُ الْوَحْيِ مَعْنَى الْخَوْرِ كُنْهُ الْمِشْكَاةِ وَالْمِصْبَاحِ<sup>(٣)</sup>  
آيَةُ الْمَكْرُمَاتِ قُطْبُ الْمَالِي مُصْطَفَى اللَّهِ مِنْ قُرَيْشِ الْبَطَاحِ<sup>(٤)</sup>  
أَوَّلِ الْأَنْبِيَاءِ تَخْصِيصَ زُلْفَى آخِرِ الْمُرْسَلِينَ بَعَثَ نَجَاحَ<sup>(٥)</sup>  
مَنْ لِمِيلَادِهِ بِمَكَّةَ ضَاءَتْ مِنْ قُرَى قَيْصِرٍ جَمِيعُ الضَّوَاهِي<sup>(٦)</sup>  
وَحَبَّتْ نَارُ فَارَسٍ وَتَدَاعَتْ مِنْ مَشِيدِ الْإِيْوَانِ كُلِّ النَّوَاحِي<sup>(٧)</sup>  
مَنْ رَقِيَ فِي السَّمَاءِ سَبْعًا طِبَاقًا وَرَأَى آيَ رَبِّهِ فِي اتِّضَاحِ<sup>(٨)</sup>  
وَدَنَا مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ قُرْبًا ظَافِرًا فِي الْعُلَا بِكُلِّ اقْتِرَاحِ<sup>(٩)</sup>

- (١) فيه (في يوم القيامة). خير الورى (عمد رسول الله) ومن أسماؤه الشفيع والماحي.  
(٢) .... كان موجوداً في الافتتاح (عند خلق العالم) وسيظل موجوداً عند فناء العالم. راجع البيت الذي سأتى: أول الأنبياء ...  
(٣) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته والغاية منه. المشكاة: تجويف في الجدار يوضع فيه المصباح. يبدو أن الشاعر يشير هنا إلى الآية الكريمة (٢٤: ٣٥، النور): ﴿اللَّهُ نور السموات والأرض: مثل نوره كمشكاة فيها مصباح...﴾ (....). إن الله اختار محمداً رسولاً ليدل الناس على آيات الله وحكمته وعظمته).  
(٤) المصطفى (المختار) من أسماء الرسول. قريش البطاح (بطحاء مكة: وسطها) كانوا أقوى وأشرف من قريش الظواهر (الذين كانوا يسكنون خارج مكة). وقريش كانوا أشرف العرب.  
(٥) .... أول الأنبياء الذين أراد الله أن يرسلهم إلى خلقه ولكن آخر من بعثه منهم بالرسالة الأخيرة التامة.  
(٦) في الخبر أنه في ليلة ميلاد الرسول أضاءت الأرض ما بين المشرق والمغرب، ورؤي هذا النور في مكة. قيصر: لقب ملك الروم (اليونان).  
(٧) خبا: خد، انطفاً. أهل فارس كانوا يعبدون النار، وكانوا يحرقون على أن تظل تلك النار المعبودة في الهيكل تامة الاتقاد. وقد خبت هذه النار في ليلة مولد الرسول. تداعي: تساقط وتهدم. المشيد: المبني. الإيوان: قصر كسرى. في الخبر وفي التاريخ أن زلزالاً حدث في بلاد فارس، وفي نحو مولد الرسول، وأن عدداً من القصور تهدمت.  
(٨) سبعاً (السموات السبع - مفعول به) طباقاً: بعضها فوق بعض - طباقاً - نعت «سبعاً» أو بدّل منها: أعياق السماء. - رأى عجائب خلق الله بوضوح.  
(٩) قاب قوسين: قاتني قوس (مسافة ما بين طرفي القوس: إلى مقربة شديدة).

مَنْ هَدَى الْخَلْقَ بَيْنَ حُمْرٍ وَسُودٍ  
 مَنْ إِلَى حَوْضِهِ وَظِلِّ لَوَاهُ  
 أَحَدُ الْمُجْتَبَى حَبِيباً ، وَإِنِّي  
 فِي أَنَاجِيلِهِ الْمَسِيحُ تَلَاهُ  
 يَا رُؤَاةَ الْقَصِيدِ وَالشُّعْرِ عَجْزاً ،  
 إِنَّمَا حَسْبُنَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ ،  
 يَا إِلَهِي ، بِحَقِّ أَحَدٍ ، عَفْوَاً  
 وَأَدِمْ دَوْلَةَ الْخَلِيفَةِ مُوسَى  
 نَاصِرِ الْحَقِّ خَاذِلِ الظُّلْمِ عَذْلًا  
 يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِ حَيٍّ  
 يَا إِمَاماً بَدَّ الْمُلُوكَ جَلَالًا  
 أَنْتَ شَسُّ الْكِمَالِ دُمْتَ عَلَيْهَا  
 وَأَبُو تَاشِفِينَ بِدَرٍّ مُنِيرٍ  
 وَبِكُمْ زُيِّنَتْ سَمَاءُ الْعَالِي

وَجَلَا لَيْلَ غَيْثِهِمْ بِالصَّبَاحِ<sup>(١)</sup> .  
 يَلْجَأُ النَّاسُ بَيْنَ ظَامٍ وَضَاحِي<sup>(٢)</sup> :  
 فَوْقَ عِزِّ الْحَبِيبِ مَرْمَى طِهَاحِي<sup>(٣)</sup> .  
 بِأَسْمِهِ ، وَالْكَلِمُ فِي الْأَلْوَا حِ<sup>(٤)</sup> .  
 مَا عَسَى تُذَكِّرُونَ بِالْأَمْدَاحِ<sup>(٥)</sup> ؟  
 وَهِيَ لِلْفَوْزِ آيَةٌ اسْتَفْتَاح .  
 عَنْ ذُنُوبٍ جَنَيْتُهُنَّ قَبَاح .  
 ذِي الْمَعَالِي الْمُبِينَةِ الْأَوْضَاح ،  
 مُلْجَأُ الْخَائِفِينَ بَحْرُ السَّحَاح .  
 وَيُلَاقِي الْعِدَا بِيَّاسٍ صِفَاحِ<sup>(٦)</sup> .  
 وَجَمَالًا ، قُدِّيسَتَ بِالْأَرْوَاحِ<sup>(٧)</sup> .  
 بِأَغْتَبَاقٍ مِنَ الْمُنَى وَأَصْطِبَاحِ<sup>(٨)</sup> .  
 زَانَهُ اللَّهُ بِالْحِلَالِ الصَّبَاحِ<sup>(٩)</sup> .  
 وَأَهْتَدَى النَّاسُ فِي الدُّجَى وَالصَّبَاح .

- 
- (١) الحمر (جمع أحر): العجم. السود: العرب. جلا: كشف. الغي: الضلال.  
 (٢) الحوض (للشفا) واللواء (للظل) يوم القيامة. الظامي: العطشان. الضاحي: الذي أصابه حرّ الشمس.  
 (٣) أحد (من أسماء الرسول) المجتبي: المقرّب. حبيباً (أي حبيباً لله). طهاحي (أُملي) كبير جداً لأنني مذنب كثيراً (فأُملي في شفاعَةِ الرسول لي على مقدار ذنبي وفوق ما أستحق).  
 (٤) الهاء في « أناجيله » راجعة إلى ما بعدها (إلى المسيح). تلاه: قرأه، ذكره. الكلم: موسى. الألواح العشرة (الوصايا العشر) التي أوحى الله بها إلى موسى على جبل الطور. (لقد ذكر في التوراة وفي الإنجيل أن محمداً صلى الله عليه وسلم سيبحث نبياً).  
 (٥) أيها الثمراء الذين تحاولون مدح الرسول بالقصائد قتعجزون.  
 (٦) - أبو حو الثاني يغطي كثيراً، ومع ذلك يستحي من الذين يعطيهم لأنه يود دائماً أن يعطيهم أكثر. البأس: القوة. الصفاح جمع صفيحة: الحجر المريض، السيوف (٢).  
 (٧) بدّ: غلب، سبق، فاق.  
 (٨) الاغتباق والاصطبّاح (في الأصل): شرب الخمر ماءً وصباحاً. (هنا): صباحاً ومساءً (دائماً).  
 (٩) أبو تاشفين: ابن أبي حو الثاني. الحلال: الصفات. الصباح: البيضاء (الجميلة).

- وصف تلمسان من كتاب « بغية الرواد » (نفع الطيب ٧: ١٣٣-١٣٥):

ودارُ مُلكِهِمْ وَسَطٌ بَيْنَ الصَّحراءِ وَالتَّلِّ<sup>(١)</sup>، تُسَمَّى بِلُغَةِ الْبَربرِ تَلْمَسَنَ - كَلِمَةً مَرْكَبَةً مِنْ « تَلَم » وَمَعْنَاهُ تَجَمُّعٌ، وَ« سَن » وَمَعْنَاهُ اثْنان: أَيْ الصَّحراءِ وَالتَّلِّ، فِيمَا ذَكَرَهُ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْآبِلِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ حَافِظاً بِلِسَانِ الْقَوْمِ<sup>(٢)</sup> - وَيُقَالُ « تَلْمَشَان »، وَهُوَ أَيْضاً مَرْكَبٌ مِنْ « تَلَم » وَمَعْنَاهُ لَهَا، وَ« شَان »: أَيْ لَهَا شَأْنٌ. وَهِيَ مَدِينَةٌ عَرِيقَةٌ<sup>(٣)</sup> فِي التَّمَدُّنِ لَذِيذَةُ الْهَوَاءِ عَذْبَةُ الْمَاءِ كَرِيمَةُ الْمَنْسَبِ اقْتَمَدَتْ بِسَفْحِ جَبَلٍ، وَدُوْنَيْنِ رَأْسِهِ بَسِيطٌ أَطْوَلُ مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ<sup>(٤)</sup>، عُرُوساً فَوْقَ مِئْصَةِ، وَالشَّامَارِيخُ مُشْرِفَةٌ<sup>(٥)</sup> عَلَيْهَا إِشْرَافَ التَّاجِ عَلَى الْجَبِينِ. وَيُطْلُ مِنْهَا عَلَى فَحْصٍ أَفِيحٍ<sup>(٦)</sup> مَعْدٌ لِلْفِلَاحَةِ تَشَقُّ ظُهُورُهُ الْأَسْلِحَةَ عَلَى مِثْلِ أَسْنِمَةِ الْمَهَارِيِّ<sup>(٧)</sup>.... وَبِهَا لِلْمَلِكِ قُصُورٌ زَاهِرَاتٌ اشْتَمَلَتْ عَلَى الْمَصَانِعِ الْفَائِقَةِ وَالصُّرُوحِ الشَّاهِقَةِ وَالْبَسَاتِينِ الرَّائِقَةِ تَمَّا زُخْرِفَتْ عُرُوشُهُ وَنُصِّتْ غُرُوسُهُ وَنُوسِبَتْ أَطْوَالُهُ وَعُرُوضُهُ. فَأَزْرَى بِالْخَوْرَنْقِ وَأَخْجَلَ الرُّصَافَةَ وَعَبَثَ بِالسَّدِيرِ<sup>(٨)</sup>. وَتَنْصَبُ إِلَيْهَا مِنْ عَلَيَّ أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ تَتَجَادَبُهُ

(١) دار ملكهم: عاصمتهم (تلمسان): التل: الجبل.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي التلمساني أندلسي الأصل من آيلة (أبيلة: أفيلة، إلى الشمال الغربي من مدريد). كان شيخاً (أستاذاً) كبيراً تلقى العلم عليه يحيى بن خلدون وأخوه عبد الرحمن المشهور وغيرهما كثير. القوم: البربر.

(٣) عريقة: قديمة.

(٤) دوين (تحت ولكن بمسافة قصيرة) بسيط (أرض منبسطة مستوية) أطول من شرق إلى غرب: طولها من الشرق إلى الغرب أكثر من طولها من الشمال إلى الجنوب.

(٥) المئصة: المنضدة (المكان المرتفع). الشمراخ: رأس الجبل.

(٦) الفحص: كل موضع يمكن (سهل). أفيح: واسع.

(٧) الأسلحة جمع سلاح (هنا): مكان مسلح، حصن، السام: كتلة شحم على ظهر الجمل (قبة). المهاري (جمع) الإبل المهرية (من مهرة - بفتح ففتح - في اليمن).

(٨) المصنع: حوض للماء، والمصنع أيضاً القصر والحصن. الصرح: البناء العالي. الائق: الذي يعجب العين.

(٩) زخرف: زين. العرش (هنا): المظلة (السقف من أغصان الشجر). نقى: نقش (بالألوان)، زين. الفرس: الشجر (!).

(١٠) أزرى: عاب، أظهر نقص الأشياء التي تقارن به. عبث (هزيء، استخف). الخورنق والسدير والرصافة: قصور. والرصافة خاصة أسهاء لمدن ثم قلعة للاسماعيليين.

أَيدي المذانبِ والأسرابُ المكفورةُ خلاها<sup>(١)</sup>. ثم تُرْسِلُه بالمساجِدِ والمدارسِ والسقاياتِ بالقصور<sup>(٢)</sup>، وعليه الدورُ والحَمَامَاتُ فيفَعُمُ الصهاريجَ ويفُهِقُ الحياضَ ويسقي رَيَّه<sup>(٣)</sup> خارجها مغارسَ الشجرِ ومنابتَ الحبِّ. فَيَهِىَ التي سَحَرَتِ الألبابَ رُواءً وأصَبَتِ النُّهى<sup>(٤)</sup> جَمالاً ووَجَدَ المادحونَ فيها المَقَالَ فاطالوا وأطابوا... فأنا أَشيدُ ساكنها قولَ ابنِ خَفَاجَةَ<sup>(٥)</sup> لاستحقاقها إياه عِندي:

ما جَنَّةُ الخُلدِ إلَّا في منازلِكُمْ؛ وهذه كُنْتُ، لو خَيْرْتُ، أختارُ.  
لا تَتَّقُوا بعدها أن تَدْخُلُوا سَقَرًا، فليس تُدْخَلُ بعدَ الجَنَّةِ النارُ<sup>(٦)</sup>!

وتوسَّطت قُطْرًا ذا كُورٍ عديدةٍ تعمُّرها أَمْشاجُ<sup>(٧)</sup> البريرِ والعربِ، مَرِيعَةِ الجَنَبَاتِ مُنْجِبَةٍ لِلْحَيَوَانِ والنباتِ<sup>(٨)</sup>، كَرِيمَةِ الفِلاحةِ زَاكِيةِ الإِصابة. فَرَبَّما انتهت في الزوج الواحدِ إلى أربعمائة مدٍّ كبير<sup>(٩)</sup>.....

٤- بغية الرواد (نشرة ألفرد بل)، الجزائر (مطبعة بيار فوتانته) ١٣٢١ هـ وما بعد = ١٩٠٣-١٩١٣ م.

★ نفع الطيب، راجع ٦: ٣٨٩-٣٩٩، ٥١٠-٥١٣، ٥١٥-٥١٧، ٧: ١٣٣-١٣٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣١-٨٣٢ (تحليل جيد للكتاب: بغية الرواد)؛ بروكلمن ٢: ٣١٢-٣١٣، الملحق ٢: ٣٤٠؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢١١ (٨: ١٦٦)؛ الفكر ١٢/٦٠.

- (١) عَلٌ (بفتح العين) تكون معرفة ومبنية على الضمِّ بمعنى: «من المكان العالي». وتكون نكرة ومعربه بمعنى «من مكانٍ عالٍ»، أي مكان كان. آسن: متغيّر الطعم، فاسد.
- المذنب (بكسر فسكون ففتح): سيل الماء من جانب النهر. المسرب (بفتح فسكون ففتح): تمر الماء أو الحية، إلخ. المكفورة (المستورة، المخفاة). خلاها: بينها (المسارب قائمة بين المذانب).
- (٢) بالمساجد: إلى المساجد (١). السقاية: موضع السقيا. بالقصور (في القصور).
- (٣) أفعم وأفهق: ملأ. الصهريج: حوض كبير للماء. الريع (ما يفيض من الشيء أو يبقى بعد أخذ الحاجة منه).
- (٤) اللب: العقل. الرواء: الجبال. النهى: العقل.
- (٥) راجع، فوق ص ٥: ٢١٨.
- (٦) لا تَتَّقُوا: لا تخافوا. سقر: جهنم.
- (٧) الكور جمع كورة: البقعة من الأرض فيها عدد من القرى. تعمرها: تسكنها وتبني فيها. أمشاج: أخلاط.
- (٨) المريع: الخصب (الكثير العشب). المنجب: الذي ينتج (بالبناء للمجهول)، نتاج جيد.
- (٩) زاكية الإصابة.... فربما انتهت في الزوج... (٩).

ص ٣٢-٣٧؛ الأصلة ٣: ١٣ ص ٢١٣-٢٢٢ (المحود بو عياد - وفيه تحليل واف للكتاب وتلخيص لقيمته)، ٤: ٢٦ ص ١٥١-١٥٢؛ معجم المطبوعات العربية ٩٧-٩٨؛ معجم المؤلفين ١٣: ٢٢٨.

## ابن مرزوق الخطيب

١- آل الخطيب في المغرب أسرة مشهورة: كان مرزوق من عجيسة<sup>(١)</sup> ومن أحياء النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة. ثم برزت هذه الأسرة في التاريخ لما أخذ أبو بكر بن مرزوق نفسه بخدمة المتصوف المشهور أبي مدين (ت ٥٩٤ هـ). وبعد أبي بكر توالى آل مرزوق على خدمة مقام أبي مدين في جبل العباد المطل على مدينة تلمسان. وصاحب هذه الترجمة هو شمس الدين أبو عبد الله (أبو بكر) محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي ويُعرف بابن مرزوق الجد، تميزاً له من حفيده محمد<sup>(٢)</sup>. وُلد ابن مرزوق الخطيب الجد سنة ٧١٠ (١٣١٠-١٣١١ م) في تلمسان، وفيها نشأ وتلقى مبادئ علمه. وفي سنة ٧٢٨ رحل بصحبة والده أحمد (٦٦٨-٧٤١ هـ) وحج وطاف في مصر والحجاز والشام ولقي في أثناء هذا التطواف عدداً كبيراً من العلماء - زعموهم ألفين - وأخذ عنهم. وفي سنة ٧٣٣ (١٣٣٣ م) عاد وحده إلى المغرب فجعله السلطان أبو الحسن عليّ المربني (٧٣١-٧٥٢ هـ) صاحب سيره وخطيب منبره وأمين رسالته. وفي سنة ٧٤٨ (١٣٤٧ م) سافر له إلى صاحب قشتالة ألفونس الحادي عشر لعقد الصلح وفك الأسرى.

وفي سنة ٧٥٢ حدث نزاع في البيت المالِك في المغرب فغادر ابن مرزوق المغرب - في حديث طويل - وجاز إلى الأندلس واستقر في غرناطة فجعله السلطان أبو الحجاج يوسف خطيباً في جامع ومقرئاً في مدرسته. ثم إن اضطراب الأحوال في

(١) عجيسة: اسم مكان في الزاب في جنوبي المغرب (راجع تاريخ الجزائر العام ٢: ١٠٤)، قبيلة من البربر (شذرات الذهب ٦: ٢٧١).

(٢) كان ابن مرزوق الحفيد من علماء الحديث (نفع الطيب ٥: ٥٢٠) ثم كان هنالك محمد الكفيف (٨٢٤-٩٠١ هـ) من الخطباء والمحدثين، وهو ابن محمد الحفيد (راجع نفع الطيب ٥: ٤١٩).

المغرب وفي الأندلس حمل ابن مرزوق على التردد بينها مراراً وعرضه للنكبات وللسجن في المغرب ثلاث مرات. وملّ هذا القلق في الحياة فانتقل إلى تونس، سنة ٧٦٤، وتولّى بها الخطبة في جامع الموحدين. ثم إن الأحوال ساءت بين الحفصيين سلاطين تونس والمربنيين سلاطين المغرب، فاختار ابن مرزوق أن يرحل إلى مصر (في ربيع الأول سنة ٧٧٣) فنال فيها حظوة عند الملك الأشرف شعبان وتولّى الخطابة والتدريس في أماكن كثيرة. وكانت وفاته في القاهرة في ربيع الأول من سنة ٧٨١ (مطلع الصيف من عام ١٣٧٩ م).

٢- كان ابن مرزوق الخطيب الجذّ رجلاً وقوراً مع كثير من الظرف وقليل من الدعابة. وكان «عالم الدنيا» في أيامه (كما ذكر المقرئ في أماكن كثيرة من نفع الطيب) مستغلاً بقراءة القرآن وبالحديث والتفسير وأصول الفقه وفروعه؛ ولكن شهرته كانت في الحديث. وله ترسل ونظم ليسا من الطبقة العليا، ولكنها يُمثّلان عصره وينطقان بفضله، إذا نحن قسناها بشعر أمثاله من العلماء وبنثرهم. وكان أيضاً مُصنّفاً، إلا أن كُتبه ضاعت سوى فهرسة شيوخه. فمن كُتبه: شرح الشفا في التعريف بحقوق المصطفى<sup>(١)</sup> (لعياض ت ٥٤٤ هـ) - شرح عمدة الأحكام عن سيّد الأنام<sup>(٢)</sup> - شرح الأحكام الصغرى (لعبد الحق بن الخراط الإشبيلي المتوفى سنة ٥٨١ هـ) - الإمامة<sup>(٣)</sup> - عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات التقليد - إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب<sup>(٤)</sup> - إيضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الفوائد - المفاتيح

(١) المصطفى: محمد رسول الله.

(٢) فيه الأحاديث المنطوية على الأحكام الشرعية، ولذلك يُلفى أيضاً باسم: عمدة الأحكام عن سيّد الأنام من أحاديث النبي عليه السلام (أو: في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام) وهو من تأليف عبد الغني ابن عبد الواحد الجماعلي (ت ٦٠٠) وقد جمع ابن مرزوق في شرحه لهذا الكتاب بين شرح تقي الدين ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢) وشرح عمر بن علي الفاكهاني (ت ٧٣٤) بالإضافة إلى زيادات كثيرة من عنده.

(٣) ضلّ عني العنوان الكامل لهذا الكتاب، وأظنّه في الكلام على البخاري ومسلم.

(٤) هو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦) وهو من النحاة ومن الفقهاء (كتابه المذكور هنا في الفقه).

المرزوقيّة لحلّ الأقفال واستخراج خبايا الخزرجيّة أو <sup>(١)</sup> شرح القصيدة الخزرجية المسماة: الرامزة الشافية في علم العروض والقافية (لأبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاريّ الخزرجيّ الأندلسيّ المتوفى نحو سنة ٢٢٦) - تمهيد السالك إلى شرح ألفيّة ابن مالك - المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن <sup>(٢)</sup> - النور البدريّ في التعريف بالفقيه المقرّي <sup>(٣)</sup>، إلخ.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال ابن مرزوق الخطيب في المقرّي الجد <sup>(٤)</sup>:

كان صاحبنا المقرّي معلوم القدر مشهور الذكر تبعه بعد موته، من حسن الثناء وصالح الدعاء، ما يرجى له النفع به يوم اللقاء <sup>(٥)</sup>. وعوارفه معلومة عند الفقهاء مشهورة عند الدهماء <sup>(٦)</sup>.

- عرف ابن مرزوق الخطيب أن لسان الدين بن الخطيب قادم إلى فاس برسالة إلى السلطان أبي عنان. فأرسل إليه مركوباً (حصاناً لركوبه) ومعه رسالة فيها إشارة إلى فضل أبي عنان. من هذه الرسالة:

مَنْ قَاسَ جُودَ أَبِي عِنَانٍ فِي النَّدى	بِسِوَاهُ، قَاسَ الْبَحْرَ بِالضَّحْضَاحِ <sup>(٧)</sup> :
مَلِكٌ يُفِيضُ عَلَى الْعُفَاةِ نَوَالَهُ	قَبْلَ السُّؤَالِ وَقَبْلَ بَسْطَةِ رَاحِ <sup>(٨)</sup> .
فَلْجُودِ كَعْبٍ وَابْنِ سَعْدَى فِي النَّدى	ذِكْرٌ مَحَاهُ عَنْ نَدَاهُ مَاحِي <sup>(٩)</sup> .

(١) لعلّ العنوانين لكتاب واحد.

(٢) هو السلطان المريني أبو الحسن علي بن سعيد (ت ٧٥٢).

(٣) راجع الحاشية التالية.

(٤) محمد بن محمد المقرّي (ت ٧٥٩ هـ) وهو جد أحمد بن محمد المقرّي (ت ١٠٤١) مؤلف «نفع الطيب».

(٥) يوم اللقاء: يوم القيامة.

(٦) الدهماء: عامة الناس: سوادهم (الجانب الأعظم منهم).

(٧) الضحضاح: الماء القليل العمق، القليل.

(٨) أفاض: سكب. العافي: الذي يطلب العطاء. النوال: العطاء.

(٩) كعب بن مامة من أجداد الجاهلية. وأما ابن سعدى فعرفه إسماعيل بن عباس (نفع الطيب ٦: ٦٤ ح) أنه

أوس بن حارثة الطائي (راجع أيضاً ابن الأثير ١: ٦٢٧). الندى: الكرم.



ما إن سَمِعْتُ - ولا رأيتُ - بمثله: من أُرِيحِيَّ لِلنَّدى مُرْتاح<sup>(١)</sup>.  
 بَسَطَ الأمانَ على الأنامِ ، فأصْبَحُوا قد ألْحِفُوا مِنْهُ بِظِلِّ جَنَاحِ<sup>(٢)</sup>.  
 وَهَمَى على العافِينَ سَيْبُ نَوَالِهِ حتَّى حَكَى سَحَّ الغمامِ السَّاحِي<sup>(٣)</sup>.

فالحمدُ لله، يا سيّدي وأخي، على نِعَمِهِ التي لا تُحصى حَمْدًا يَوْمُ بنا جميعاً المُقْصِدَ  
 الأَسْنَى<sup>(٤)</sup> فيبْلُغُ الأَمَدَ الأَقْصَى. فطالَما كان مُعْظَمُ سيّدي للأُسى في خَبالٍ، وللأسف  
 بينَ اشتغالِ بالٍ واشتعالِ بَلْبالٍ<sup>(٥)</sup>. وَلِقْدُومِكُمْ على هذا المَقامِ المُولَوِيِّ<sup>(٦)</sup> في ارتقابٍ،  
 ولمَواعيدِكُمْ بذلك في تَحَقُّقِ وقوعِهِ من غيرِ شكٍّ ولا ارتياب... وَلِسَيّدي الفُضْلُ في قَبولِ  
 مَرْكوبِهِ الواصلِ إليه بِسَرَجِهِ ولِجامِهِ. فَهُوَ مِنْ بَعْضِ ما لَدَى المُعْظَمِ من إِحسانِ مَولاهُ  
 وإِنعامِهِ<sup>(٧)</sup>. وَلَعَمْرِي، لَقَدْ كانَ واقِداً على سيّدي من مُسْتَقَرِّهِ مَعَ غَيرِهِ. فَالحمدُ لله، يَسِرَّ  
 في إِبْصالِهِ على أَفْضَلِ أحوالِهِ<sup>(٨)</sup>.

- كَتَبَ لِسَانُ الدِّينِ بنِ الخَطِيبِ فَصلاً في «الإِحاطة» عَنِ ابْنِ مَرْزُوقٍ، وَقَالَ فِي  
 هَذَا الْفَصْلِ: «أَحْسَنْتُ مِنْهُ... صَاحِغَةً إِلَى الدُّنْيا وَحَنِيناً لِمَا بَلَّاهُ اللهُ مِنْ غُرُورِها»<sup>(٩)</sup>.  
 واطَّلَعَ ابْنُ مَرْزُوقٍ عَلَى هَذَا الْفَصْلِ (بَعْدَ النِّكْبَةِ الَّتِي حَلَّتْ بِلِسَانِ الدِّينِ)، فَعَلَّقَ عَلَى

- 
- (١) الأُرِيحِيّ: الواسع الخلق المرتاح (الذي يرتاح: يسرّ) بأعمال الكرم.  
 (٢) ألْحَفَ فلان فلاناً: اشترى له لحافاً، ألبسه ثوباً (غطاه، ستره). - ولو قال: قد ألْحِفُوا مِنْ ظِلِّهِ جَنَاحَ لَكَانَ  
 هو أَشْرَ وَلَكَانَ التَّرْكِيبُ أَتَمَّ وَلِظَلِّ الْوِزْنِ صَحيحاً.  
 (٣) هَمَى: سال بكثرة. السيب: الفيض. سَحَّ: سال. السَّاحِي (المطر) الهاطل بكثرة حتَّى أَنَّهُ يَجْرِفُ ما فَوْقَ  
 سَطْحِ الأَرْضِ.  
 (٤) يَوْمٌ: يقصد، يَتَجَهَّ إلى. المقصد: الغاية. الأَسْنَى: الأعلى.  
 (٥) الأُسى: الحزن. الخَبال: ضعف العقل. البَلْبال: شدّة الهَمِّ، الوسواس. «كان مُعْظَمُ سيّدي للأُسى»: أَكْثَرُ  
 أَيَّامِ أَحْزانِ (٤).  
 (٦) المَقامِ المُولَوِيِّ (نسبة إلى مولى): بلاط أبي عَنانٍ في فاس.  
 (٧) المُعْظَمُ (يكسر الظاء المُشَدَّدَةَ): ابن مَرْزُوقِ نَفْسَهُ! مِنْ إِحسانِ مَولاهُ (لسان الدِّينِ بنِ الخَطِيبِ!) عَلَى سيّدي  
 (لسان الدِّينِ بنِ الخَطِيبِ).  
 (٨) كان ابن مَرْزُوقٍ قد تَسَلَّمَ هَدِيَّةً مِنَ الخَيْلِ هَذَا الحِصانِ أَحَدُها (!).  
 (٩) صَاحِغَةُ الرَّجُلِ: خَاصَّتُهُ المِثَالُونَ إِلَى اتِّباعِهِ (المعجم الوسيط ٥١٨) - يقصد: مِثْلاً إِلَى الدُّنْيا. «حَنِيناً لِمَا  
 بَلَّاهُ اللهُ (امْتَحَنَهُ، أَصَابَهُ) مِنْ غُرُورِ (الدُّنْيا): باطلها». إِشارةً إِلَى أَنَّ لِسَانَ الدِّينِ بنِ الخَطِيبِ كانَ (قَبْلَ)  
 نِكْبَتِهِ قد أَحَبَّ الدُّنْيا مَعَ ما كانَ يَعْلَمُ مِنَ باطلِها.

هذا الفصل بما يلي :

تَوَهَّمَ مَا لَا يَقَعُ<sup>(١)</sup> ، بَلْ لَمَّا تَجَلَّتْ عَنِّي سَحْبُ النَكْبَةِ وَالَامْتِحَانِ جَزَمْتُ بِالرَّحْلَةِ وَعَزَمْتُ عَلَى الثَّقَلَةِ<sup>(٢)</sup> . وَتَفَرَّتْ مِنْ خِدْمَةِ السُّلْطَانِ وَمِلَازِمَةِ الْأَوْطَانِ . وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ أَنْ جَمِيعَ مَا خَاطَبَنِي بِهِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - تَحَلَّى بِهِ أَجْمَعَ ، وَابْتُلِيَ بِمَا مِنْهُ حَذَرٌ<sup>(٣)</sup> . فَكَأَنَّهُ خَاطَبَ نَفْسَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ . فَاللَّهُ تَعَالَى يُخَيِّنُ لَهُ الْخَاتَمَةَ وَالْخَلَاصَ<sup>(٤)</sup> .

- فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٥ : ٣٩٧ - ٤٠٢) مَوْلِدِيَّةٌ (قَصِيدَةٌ فِي مَوْلِدِ الرَّسُولِ) طَوِيلَةٌ (١١٧ بَيْتاً) بَارِعَةٌ تَقْلَاهَا الْمُقَرِّيُّ عَنْ « الْإِحَاطَةِ » لِلْسَّانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ ، وَذَكَرَ أَنَّ لِسَانَ الدِّينِ قَدَّمَهَا بِقَوْلِهِ : « وَمِنْ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى مُحَاسِنِهِ مَا أُشِيدَ عَنْهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَيْلَةُ الْمِيلَادِ الْمُعْظَمِ مِنْ عَامِ ٧٦٣<sup>(٥)</sup> . ثُمَّ قَالَ الْمُقَرِّيُّ إِنَّ لِسَانَ الدِّينِ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ إِنَّ الْقَصِيدَةَ لَيْسَتْ لِابْنِ مَرْزُوقٍ<sup>(٦)</sup> بَلْ هِيَ مَقُولَةٌ عَلَى لِسَانِهِ وَمُنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ . وَرَأَى الْمُقَرِّيُّ أَنَّهَا لِابْنِ مَرْزُوقٍ نَفْسِهِ . وَالْوَاقِعُ أَنَّ نَفْسَ الْقَصِيدَةِ مُخْتَلَفٌ مِنَ النَّفْسِ السَّائِدَةِ فِي الشَّعْرِ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ . وَسَاقِفٌ بِجَانِبِ الْمُقَرِّيِّ وَأُورِدَ فِيمَا يَلِي جَانِباً وَافِياً مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَصِيفَ لَجْسِيرَانِ الْحِمَى      وَجُنْدِي يَهْمُ وَسَهْرِي .  
وَحَقِيمٍ ، مَلَا غَيْرَتِ      وَدِّي صُرُوفُ الْغَيْرِ<sup>(٧)</sup> .  
لِلَّهِ عَهْدٌ فِيهِ ، قَضُ      ضَيِّتُ ، حِمْدُ الْأَثَرِ .

- (١) ظَنَّ لِسَانَ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ مَا لَيْسَ صَحِيحاً فِي سُلُوكِ ابْنِ مَرْزُوقٍ .
- (٢) النُّقْلَةُ (بِالْفَتْحِ) : صَوْتُ السَّيْلِ ، (وَبِالْكَسْرِ) : الْمَرْأَةُ الَّتِي لَا تُخْطَبُ لِكِبَرِ سَنَاهَا ، (وَبِالضَّمِّ) : النَّمِيمَةُ . الْمُقْصُودُ : الْإِنْتِقَالُ ، هَجْرُ الْمَكَانِ .
- (٣) حَذَرَنِي مِنْ شَيْءٍ (لَمْ يَكُنْ فِي) ثُمَّ وَقَعَ هُوَ فِيهِ .
- (٤) فَاللَّهُ تَعَالَى يَخْسَنُ لَهُ الْخَاتَمَةَ (خَتَامَ حَيَاتِهِ) وَالْخَلَاصَ فِيهَا . وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ ابْنَ مَرْزُوقٍ كَتَبَ هَذِهِ الْمُلَاحَظَةَ حِينَ كَانَ لِسَانَ الدِّينِ مُنْكَوِباً وَمُسْجُوباً .
- (٥) مَوْلِدُ الرَّسُولِ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ . وَذَكَرَ مَوْلَدَهُ سَنَةَ ٧٦٣ يَقَعُ فِي ٩ / ١ / ١٣٦٢ م .
- (٦) يَقُولُ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٥ : ٣٩٧ ح) : لَمْ تَرُدْ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي « الْإِحَاطَةِ » . وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ يَقْصِدُ فِي « مَخْطُوطَاتِ الْإِحَاطَةِ » لَا فِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ فَقَطْ .
- (٧) صُرُوفُ الْغَيْرِ : تَقَلَّبَ أَحْدَاثُ الدَّهْرِ .

أَيُّمُهُ هِيَ الَّتِي      أَحْبَبْتُهَا مِنْ عُمْرِي.  
وَيَا لِلَّيْلِ فِيهِ، مَا      عِيبَ بِغَيْرِ الْقَصْرِ.  
الْعُمْرُ فَيَنْسَلُ وَوَجَدَ      لَهُ الدَّهْرُ طَلَسْتُ الْغُرَّ (١).  
وَالشَّمْلُ بِالْأَحْبَابِ مِنْ      ظَوْمٍ كَتَمَ السَّيْدَرُ:  
صَفَوْ مِنَ الْعَيْشِ بَلًّا      شَائِبَةً مِنْ كَدَرِ.  
عَهْدِي بِحَادِي الرُّكْبِ كَالِ      وَزَقَاءٍ عِنْدَ السَّحَرِ (٢).  
لَيْتَكَ، لَيْتَكَ، إِنْ      لَمْ يَخْلُقْ بَارِي الصُّورِ (٣).  
وَلَا حَتَّ الْكَعْبَةَ يَدِ      تَ اللَّهُ ذَاتُ الْأَثَرِ (٤).  
ثُمَّ تَوَا نَحْوَ رَسُولِ      لِ اللَّهِ سَيَرِ الضُّمَرِ (٥)،  
فَعَانُوا فِي طَبِيبَةٍ      لِأَلَاءِ نَوْرِ نَيْرِ (٦).  
رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ وَاسْتَفَادُوا      تَشَفَّوْا بَلْثَمِ الْجُنْدَرِ (٧).  
زِيَارَةَ الْهَادِي الشَّفِيعِ      عِ جَنَّةٍ فِي الْحَشْرِ (٨).  
رَبَّعُ بِهِ مُسْتَنْزَلِ الْ      - أَيُّ بِهِ وَالسُّورِ (٩).

- (١) فينان: طويل الشعر (المقصود: لا يزال في العمر متسع). الغرة: شعر مقدم الرأس. طلق: واضح، مشرق، ضاحك. طلق الغرر: سرور.
- (٢) حادي (سائق) الركب (الجماعة المسافرين معاً). إِنَّ صَوْتَ الْهَادِي (مع أَنَّهُ فِي الْعَادَةِ يَكُونُ غَلِيظًا) هُوَ هُنَا مَحَبَّبٌ كَصَوْتِ الْوَرَقَاءِ (الحمائم) فِي الْبَحْرِ (الصباح) لِأَنَّهُ يَسِيرُ نَحْوَ مَكَّةَ لِلْحَجِّ.
- (٣) لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ: دَعَاءٌ يَجْهَرُ بِهِ الْحَاجُّ فِي اتِّجَاهِهِمْ نَحْوَ مَكَّةَ. لَيْتَكَ (اسم فعل): أَنَا مُقِيمٌ عَلَى طَاعَتِكَ وَمُسْتَجِيبٌ لِدَعَائِكَ!
- (٤) الْأَثَرُ: الْوَرَقُ وَالْجِبَالُ.
- (٥) ثَمَى: رَدٌّ، عَطْفٌ (تَابِعِ الْبِيرَ فِي اتِّجَاهِ آخِرٍ) نَحْوَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ (فِي الْمَدِينَةِ). «سِيرَ» مَفْعُولٌ بِهِ مِنْ «تَوَا». الضُّمَرُ (الْخَيْلُ وَالنِّيَاقُ الضَّامِرَةُ، النَحِيلَةُ، وَتَكُونُ سَرِيعَةً).
- (٦) طَبِيبَةٌ: مَدِينَةُ الرَّسُولِ.
- (٧) رَأَوْا قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ.
- (٨) الْهَادِي الشَّفِيعُ (رَسُولُ اللَّهِ) هَدَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَسَيَفْعُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لِإِنْقَادِ الْمَذْنِبِينَ غَيْرِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. الْجَنَّةُ: الْوَقَايَةُ. الْحَشْرُ: يَوْمُ الْحَشْرِ، يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
- (٩) الْمَكَانُ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

وَمُلْتَقَى جَبْرِيلَ بِالْهَادِي الزَّكِيِّ الْعُنْصُرِ<sup>(١)</sup>،  
مُنْتَخَبُ سَبُّ اللَّهِ وَمُذْ تَارُ الْوَرَى مِنْ مُضَرِ<sup>(٢)</sup>  
ذُو الْمُعْجَزَاتِ الْفَرُّ أَمْ ثِيَالُ النُّجُومِ الزُّهْرُ.

★ ★ ★

يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ عَلَى الْإِنْسَانِ وَخَيْرَ الْبَشَرِ،  
يَا مَنْ لَدَى مَوْلِدِهِ الْإِسْلَامُ الْمُطَهَّرِ  
إِيوَانُ كِسْرَى أَرْتَجَّ إِذْ ضَاءَتْ قُصُورُ قَيْصَرَ<sup>(٣)</sup>.

★ ★ ★

يَا وَيْحَ نَفْسِي، كَمْ أَرَى فِي غَفْلَةٍ مِنْ عُمْرِي!  
وَاحْصِرْتَنِي مِنْ قَلْبَةٍ الزُّهْرُ زَادَ وَبُعْثِدَ السَّفَرِ.  
ضَيَّعْتُ فِي الْكِبَرَةِ مَا أَعْدَدْتُ لَهُ فِي صِغَرِي.  
وَلَيْسَ مَا مَرَّ مِنْ أَلَمٍ بِأَيَّامٍ بِالْمُنْتَظَرِ.  
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى تَسْرُقُ طِيْبَ الْعُمْرِ،  
هَلْ أَرْتَجِي مِنْ عَوْدَةٍ أَوْ رَجْعَةٍ أَوْ صَدْرٍ<sup>(٤)</sup>  
فَأُبْرِدَ الْغَلَّةَ مِنْ ذَاكَ الزَّلَالِ الْخَصْرِ<sup>(٥)</sup>.

★ ★ ★

يَا ابْنَ الْإِمَامِ الطَّاهِرِ الْبَرِّ الزَّكِيِّ السَّيْرِ<sup>(٦)</sup>،  
مَذْحُوكٌ قَدْ عَلَّمَ نَظْمَ سَمِ الشَّعْرِ مَنْ لَمْ يَشْعُرِ.

(١) الهادي (الرسول) الزكيّ (الطاهر) العنصر (الأصل).

(٢) مضر: عرب الشمال (المقصود: من العرب).

(٣) أرتج: أهرج، تزلزل. في التاريخ أن إيوان كسرى تهدم قسم منه بزلزال في نحو الوقت الذي ولد فيه الرسول.

(٤) عودة إلى الحجّ وزيارة المدينة. الصدر (بفتح ففتح): الرجوع (من الحجّ وقد تقبل الله حجّي).

(٥) الغلة: العطش (الشوق الشديد إلى زيارة مكة والمدينة). الزلال: الماء الصافي. الخصر: البارد.

(٦) لما قيلت هذه القصيدة، سنة ٧٦٣، كان ابن مرزوق لا يزال في المغرب، وكان السلطان يومذاك محمد بن يعقوب (٧٦٢-٧٦٧ هـ). والأبيات طبعاً مديح. الزكيّ السيرة (نظم الحياة): الطاهر السلوك.

جَهْدُ الْمَقْلِ الْيَوْمَ مِنْ مِثْلِي كَوْسَعِ الْمُكْثِرِ<sup>(١)</sup>.  
فَإِنْ يُقَصِّرَ ظَاهِرِي، فَسَلَمْ يُقَصِّرَ مُضْمَرِي!

- من الْمُسْنَدِ الصَّحِيحِ الْحَسَنِ مِنْ أَحَادِيثِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ<sup>(٢)</sup>:

لَمْ يَزَلْ<sup>(٣)</sup> (هذا)<sup>(٤)</sup> دَابَّةً<sup>(٥)</sup>، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَالِ إِمَارَتِهِ وَخِلَافَتِهِ<sup>(٦)</sup> - فَلَهُ بِمَدِينَةِ فَاسٍ حَرَسَهَا اللَّهُ الْآثَارُ الْجَمِيلَةُ وَالْبَنَاءَاتُ الْحَفِيلَةُ كَمَسْجِدِ الصَّفَّارِينَ وَمَسْجِدِ حَلْقِي النَّعَامِ<sup>(٧)</sup>، وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا غَايَةٌ فِي الْكِبَرِ وَالضَّخَامَةِ. وَصَوْمَعَةٌ<sup>(٨)</sup> كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا غَايَةٌ فِي الْارْتِفَاعِ وَالْحُسْنِ. وَ(لَهُ) مَسَاجِدُ عِدَّةٌ وَصَوَامِعُ. وَبِالْمَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ كَذَلِكَ. وَبِالْمَنْصُورَةِ مِنْ مَدِينَةِ سَبْتَةِ الْجَامِعِ الْمُتَّصِلِ بِالْقَصْرِ السَّعِيدِ، وَهُوَ جَامِعٌ حَافِلٌ وَصَوْمَعَتُهُ حَافِلَةٌ<sup>(٩)</sup>.....

وَأَمَّا الْجَامِعُ الْكَبِيرُ فَقَدْ أَتَقَقَ الرَّحَالُونَ وَأَجْمَعَ الْمُتَجَوِّلُونَ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا لَهُ ثَانِيًا - (وَإِنْ كَانَ) جَامِعُ بَنِي أُمَيَّةَ (قَدْ) تَمَّ حُسْنُهُ لَمَّا كَمَلَ تَرْتِيبُ وَضْعِهِ . وَ(لَوْ) كَمَلْتُ تَبَيَّنَاتُ هَذَا الْجَامِعِ لَمَّا قَصَرَ عَنْهُ .

(١) الجهد: أقصى ما يستطيع الإنسان بذله. جهد المقل (الفقير): الشيء الذي يستطيعه المقل. الوسع: ما يقدر عليه الإنسان - المقدار القليل من الفقير كالمقدار الكبير من الغني.

(٢) أبو الحسن علي بن عثمان عاشر سلاطين بني مرين (٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) في المغرب. وقد جالس ابن مرزوق هنا بين «الحسن» اسم السلطان و«الحسن» من مراتب الأحاديث المروية عن رسول الله. المسند هو الحديث الواصل برواته إلى الرسول. والصحيح: الحديث المرفوع المتصل بنقل عدل ضابط في التحري والأداء سالماً من شذوذ وعلة (المعجم الوسيط ٥١٠) أي هو الحديث الذي رواه ثقات معروفون متصلو الرواية إلى رسول الله. الحسن: هو الحديث الذي عُرف مخرجه واشتهر رجاله (المعجم الوجيز ١٥١). أحاديث (هنا): أخبار.

(٣) لم يزل السلطان أبو الحسن.

(٤) إضافة يقتضيها المعنى.

(٥) الدأب: العادة والشأن.

(٦) في خلافته (أيام ملكه) وإمارته (قبل أن يتولّى الملك).

(٧) الحفيلة: الكثيرة (أو الكثير السكان). الصفارين: سوق الذين يعملون الأدوات النحاسية. خلق النعام: (اسم موضع).

(٨) الصومعة: المئذنة.

(٩) حافل (كثير المصلى). حافلة:.....

وجامع المنصور بِمَرَاكُشَ (وهو) الذي تُضْرَبُ به الأمثال.... أكبرُ مِسَاحَةٍ، إلَّا أن ما كان في هذا (الجامع) من الرُّخام والإحكام<sup>(١)</sup> أغربُ وأعظمُ. ولا شكَّ (في) أن صَوْمَعَتَهُ لا تَلْحَقُ بِهَا صَوْمَعَةٌ في مَشَارِقِ الأَرْضِ ومقارِهَا. صَعِدْتُهَا غَيْرَ مَرَّةٍ مَعَ الأميرِ أَبِي عَلِيٍّ الناصر، وَهُوَ رَحِمَهُ اللهُ على قَرَسِهِ وأنا على بَغْلَتِي<sup>(٢)</sup>، من أسفلِهَا إلى أعلاهَا، وكأَنَّا في وِطَاءٍ<sup>(٣)</sup> من الأَرْضِ. وكانت على البابِ الجَوْفِي<sup>(٤)</sup> منه، وَلَهَا مَجْرَيَانِ يُطْلَعُ فِيهَا إلى أعلاهَا. وكانت مُحْكَمَةَ البناءِ والنَّجَارَةِ في الأحجارِ بِصِنَاعَةٍ مُخْتَلَفَةٍ<sup>(٥)</sup> من الإحكامِ في كُلِّ جَانِبٍ.

..... وهذه الزوايا التي يُطْلَقُ عليها في المشرقِ الرُّبُطُ. والخوانقُ والخاناتُ عُلِمَ على الرُّبُطِ، وهو لَفْظٌ أعجميٌّ<sup>(١)</sup>. والرُّبَاطُ في اصطلاح الفقهاء عبارةٌ عن احتباسِ النَّفْسِ في الجِهَادِ والحِرَاسَةِ<sup>(٢)</sup>، وعند المُتَّصِفَةِ عبارةٌ عن المواضع التي يُلتَزَمُ فيها للعبادة..... قلتُ: والظاهرُ أن الزوايا عِنْدَنَا في المَغْرِبِ هي المواضعُ المُعَدَّةُ لِإِرْفَاقِ الواردين وإطعامِ المُحتَاجِ من القاصدين<sup>(٣)</sup>. وأمَّا الرُّبُطُ على ما هو المُصْطَلَحُ عليه في المَشْرِقِ فلم أرَ في المَغْرِبِ على سبيلِهَا ونَمَطِهَا<sup>(٤)</sup> إلَّا رِبَاطَ سَيِّدِي أَبِي مُحَمَّدٍ (صالح) والزَّائِيَةِ المنسوبةَ لِسَيِّدِنَا أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بنِ عُمَرَ، نَقَعَ اللهُ بِهِ، بِسَلَى، غَرْبِيَّ الجامعِ

(١) الإحكام (بالكسر): الدقة والإتقان.

(٢) الصعود في هذه المثذبة لا يكون على درج بل على سطح مائل (وقد صعدت أنا إلى أعلى صومعة الكتبية في مدينة مراكش، فكان الصعود إليها أسهل وأقلَّ إرهاقاً من الصعود على درج).

(٣) وطاء: الأرض الواطئة المستوية.

(٤) الجوفي: القبلي (المتجه إلى جهة مكة. ويمكن أن يقال على جهة الجنوب).

(٥) النجارة: (العمل في الخشب). بصناعة مختلفة (ذات أشكال مختلفة من التزيين).

(٦) الخوانق والخانات جمع خانكاه (بكاف معقودة) من اللغة الفارسية: بيت الملك (ممكن يأوي إليه الدراويش والصوفية مجاًناً، ويقومون فيه بعبادتهم).

(٧) الفقراء (الصوفية). وليست هنا في مكانها. الرباط يكون فيه محاربون للدفاع عن حدود البلاد الإسلامية.

(٨) لمنفعة المسافرين الواصلين إلى ذلك المكان (شبه الفندق؟).

(٩) النمط: الشكل، المثال.

(١٠) سلى = سلا: بلدة إلى شمال مدينة الرباط. غربي (اقرأ: غرب). الغربي هو الجانب الغربي من المكان

(ويكون داخلياً فيه). و«غرب»: إلى الجهة الغربية من المكان (ولا تكون داخلياً فيه: رأس

بيروت هو غربي مدينة بيروت. وبيروت غرب دمشق: تقع في الغرب من دمشق).

الأعظم منها . ولم أرَ لها ثالثاً على نحوها في ملازمة السَّكَّانِ وصفاتهم وشبههم بمن ذُكِرَ ،  
نفع الله بهم .

٤- المسند الصحيح في أحاديث أبي الحسن (قطعة بتحقيق ليفي بروفنسال)، مع ترجمة لابن  
مرزوق (بالفرنسية) والنصّ (بالعربية والفرنسية)، من مجلّة (المجلد الخامس،  
١٩٢٥ م)، باريس (لاروز).

★ الدرر الكامنة ٣: ٣٦٠-٣٦١؛ الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢: ٢٢٣ وما بعد؛  
الدياج المذهب ٣٠٥-٣٠٩؛ نيل الابتهاج ٢٦٧-٢٧٠؛ بغية الوعاة ١٨-١٩؛  
شذرات الذهب ٦: ٢٧١-٢٧٢؛ نفح الطيب ٥: ١٥٢-١٥٣، ٢٠٠-٢٠١، ٢٢٤،  
٢٧٩، وما بعد ٦: ١١-١٢، ٦٤-٦٥؛ شجرة النور الزكية ٤٣٦؛ الاستقصا ٢:  
٩٤-٩٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٦٦ (راجع عن أسرته ٣: ٨٦٥-٣٦٨)؛ تاريخ  
الجزائر العام ٢: ١٠٢-١٠٥؛ معجم أعلام الجزائر ١٤٠-١٤١؛ بروكلمن ٢: ٣١٠،  
الملحق ٢: ٢٣٥-٢٣٦؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٦ (٥: ٣٢٨)؛ الأصاله (مجلّة) ٤: ٢٦،  
ص ١٤٣ و ١٠٦، دودو (كتب وشخصيات) ٢٩-٤٦؛ معجم المؤلفين لكحالة ٩: ١٦.

## أبو سعيد بن لبّ

١- هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لبّ التَغَلِّي الشاطبيّ الغرناطيّ، وُلِدَ  
سَنَةَ ٧٠١ هـ (١٣٠١-١٣٠٢ م). قرأ القرآن الكريم بالسَّبعِ على أبي الحسن  
القيجاطي<sup>(١)</sup> وروى الحديث عن ابن جابر الوادي أشي وأخذ العربية (النحو) عن ابن  
الفَخَّارِ وأبي حيَّان الغرناطي. ثمّ إنّه أقرأ في المدرسة النُصْرية، ابتداءً من ثامن عشر  
رَجَبٍ من سَنَةِ ٧٥٤ (١٣٥٣/٨/١٨ م). وكانت وفاته في ذي الحِجَّة من سنة ٧٨٢  
(آذار-مارس ١٣٨١ م).

٢- كان أبو سعيد بن لبّ فقيهاً ماهراً في القراءات، عارفاً بالتفسير مُشاركاً في  
أصول الدين وأصول الفقه وفي الفرائض، بارعاً في علوم الأدب جيّد النظم والنثر،  
تغلّب على نظمهِ الصُّبغةُ الدِّينية. وكانت له تآليف منها: شَرْحُ الزَّجَاجي<sup>(٢)</sup> - شرح

(١) أبو الحسن علي بن عمر القيجاطي (٦٥٠-٧٣٠ هـ) من علماء النحو تولّى الخطابة (في صلاة الجمعة) في  
غرناطة ومات فيها.

(٢) لعلّه شرح كتاب «الجمال الكبير» (في النحو) لأبي القاسم الزجّاجي (ت ٣٤٠ هـ).

### ٣ - مختارات من شعره

- قال أبو سعيد بن لبّ قصيدة في مدح رسول الله، منها:

تروم جفوني لنار الهوى	خموداً فتهمي دُموعاً غزاراً <sup>(١)</sup> :
فما جفوني يسحّ انهالاً	ونار فؤادي تهيج استعاراً <sup>(٢)</sup>
أحنّ اشتياقاً لريح سرت	وأبدي هياماً لبرق أنار <sup>(٣)</sup>
فيا فوز من فاز في طيبة	بلثم المغاني جداراً جداراً <sup>(٤)</sup> ؛
وألصق خدّاً على ثربها	وأكمل حجّاً بها واعتباراً <sup>(٥)</sup> !
فيا هادي الخلق دار نعيم	تناهت جلالاً وطابت قراراً <sup>(٦)</sup> ،
لأنت الوسيلة والمرجى	ليوم يرى الناس فيه سكارى
وما هم سكارى، ولكنهم	دهتهم دوايه فهاموا حيارى <sup>(٧)</sup> :
ترى المرء - للهول - من أمه	ومن أقربيه يطيل الفراراً <sup>(٨)</sup> .

- وقال في وداع شهر رمضان:

أزمنت، يا شهر الصيام، رحيلاً؟ وقاربت، يا بذر الزمان، أفولاً<sup>(٩)</sup>؟

- 
- (١) رام: طلب. الخمود: الانطفاء. همى المطر: انسكب وسال.
  - (٢) سحّ: سال من أعلى إلى أسفل. انهملت السماء = هملت: دام مطراً. استعرت النار: اشتد اشتعالها.
  - (٣) الهيام: الجنون من العشق.
  - (٤) طيبة: المدينة (على ساكنها أفضل السلام). المغنى: المكان المسكون.
  - (٥) الحجّ: القيام بالناسك في مكة في موسم الحجّ (٨ - ١٠ من ذي الحجة، آخر أشهر السنة الهجرية).
  - (٦) «دار» مفعول به من «هادي». تناهت: بلغت الحد الأقصى. القرار: الاستقرار: البقاء الدائم.
  - (٧) ليوم يرى الناس فيه سكارى وما هم بسكارى - اقتباس من القرآن الكريم في وصف هول يوم القيامة ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد﴾ (٢٢: ٢، سورة الحج).
  - (٨) في هذا البيت أيضاً اقتباس: ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ (٨٠: ٣٤ - ٣٦، سورة عبس).
  - (٩) أزمع: عزم، أراد. الأفول: الغياب.



أَجْدَكَ! قَدْ جَدَّتْ بِكَ الْآنَ رِخْلَةٌ؟      رُوَيْدَكَ! أُمْسِكْ لِلْوَدَاعِ قَلِيلًا<sup>(١)</sup>.  
 نَزَلْتَ فَأَزْمَعْتَ الرَّحِيلَ كَأَنَّا      نَوَيْتَ رَحِيلًا إِذْ نَوَيْتَ نُزُولًا.  
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ أَهْلَكَ قَدْ مَضَوْا:      تَفَانَوْا فَأَبْصَرْتَ الدَّيَارَ طُلُولًا<sup>(٢)</sup>.

- وقال في النسيب:

خُذُوا لِلْهُوَى مِنْ قَلْبِي الْيَوْمَ مَا أَبْقَى،  
 فَمَا زَالَ قَلْبِي كُلُّهُ لِلْهُوَى رِقًّا.  
 دَعُوا الْقَلْبَ يَصُلِّيَ فِي لَطَى الْوَجْدِ نَارَهُ      فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَوْنَ بَعْضُ الَّذِي أَلْقَى<sup>(٣)</sup>.  
 فَإِنْ كَانَ عَبْدٌ يَسْأَلُ الْعَتَقَ سَيِّدًا،      فَلَا أُبْتَغِي مِنْ مَالِكِي فِي الْهُوَى عَتَقًا.  
 بَدَعُوا الْهُوَى يَدْعُو أَنَاسٌ، وَكُلُّهُمْ      إِذَا سُئِلُوا طُرُقَ الْهُوَى جَهَلُوا الطَّرْقًا<sup>(٤)</sup>.  
 فَطُرُقُ الْهُوَى شَتَّى، وَلَكِنْ أَهْلَهُ      يَحُوزُونَ فِي يَوْمِ السِّبَاقِ بِهِ السَّبْقَا<sup>(٥)</sup>.  
 وَكَمْ جَمَعَتْ طُرُقُ الْهُوَى بَيْنَ أَهْلِهِ،  
 فَيَسْتُ تَرَى سِيَمَا الْهُوَى فَاعْرِفِ الصَّدَقَا<sup>(٦)</sup>:  
 فَمِنْ زَفْرَةٍ تُزْجِي سَحَائِبَ عَبْرَةٍ،      إِذَا زَفَرَتْ تَرْقَى فَلَا عَبْرَةٌ تَرْفَا<sup>(٧)</sup>.  
 إِذَا سَكَنُوا عَنْ وَجْدِهِمْ أَعْرَبَتْ بِهِ      بَوَاطِنُ أَحْوَالٍ وَمَا عَرَفَتْ نُطْقًا<sup>(٨)</sup>.

- (١) أَجْدَكَ: أَسْتَحْلِفُكَ بِحَقِيقَتِكَ! جَدَّتْ: حَدَّثَتْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، وَ(هَنَا): أَسْرَعْتُ (لَأَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ أَصْبَحَ فِي أَوَاخِرِهِ فَبِذَا انْقِضَاؤُهُ أَسْرَعَ تَمَّا كَانَ يَبْدُو فِي أَوَائِلِهِ). رُوَيْدَكَ: تَهْمَلْ!
- (٢) أَهْلَكَ قَدْ مَضَوْا: (سَكَّانَ الْأَنْدَلُسِ الْآنَ قَلُّوا، وَأَصْبَحُوا أَقَلَّ قُوَّةً وَفَخَامَةً مَظْهَرٌ تَمَّا كَانُوا).
- (٣) صَلِّيَ: شَرَعَ بِحَرِّ (النَّارِ). لَطَى: جَهَنَّمَ (شِدَّةُ حَرِّ النَّارِ). الْوَجْدُ: الْحُبُّ الشَّدِيدُ.
- (٤) - صَحَّةُ الْحُبِّ لَا تَكُونُ بِالْدَعْوَى، بَلْ بِالسُّلُوكِ (بِحَالِ الْمَرْءِ تَجَاهَ مَحْبُوبَةٍ).
- (٥) «عِنْدَ السَّرِيِّ» (رَاجِعِ الْكَيْبِيَّةَ الْكَامِنَةَ ٦٩، السُّطْرُ الْأَوَّلُ) - وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٥: ٥١٢، السُّطْرُ السَّادِسُ): «عِنْدَ السَّوِيِّ» (بِضَمِّ السَّيْنِ أَوْ كَسْرِهَا): الْعَدْلُ، الْإِعْتِدَالُ، الْوَسْطُ، النَّاسُ الْآخَرِينَ، الْمَثَلُ، الْبُظَيْرُ، الشَّبِيهُ. السَّرِيُّ: السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ (وَقْتُ الْمَجْدِّ فِي السَّيْرِ - لِأَنَّ الْعَرَبَ الْقَدَمَاءَ كَانُوا يَسَافِرُونَ فِي اللَّيْلِ لِقَلَّةِ الْحَرِّ فِيهِ وَيَسْتَرْجِعُونَ فِي النَّهَارِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ).
- (٦) السِّيَامُ: الْعَلَامَةُ.
- (٧) الزَّفْرَةُ: إِخْرَاجُ نَفْسٍ حَارَّةٍ (لَشِدَّةِ الْحُزَنِ). أَزْجِي: أُرْسِلُ، سَبَّبَ. الْعَبْرَةُ: الدَّمْعَةُ. تَرْقَى: تَصْعَدُ (مِنْ الصَّدْرِ). تَرْفَا: تَجَفَّفَ، (يَنْقَطِعُ صَاحِبُهَا عَنِ الْبِكَاةِ).
- (٨) الْوَجْدُ: الْحُبُّ الشَّدِيدُ. - فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْإِتِّحَاءِ الصَّوْفِيِّ.

٤-★★ الكتيبة الكامنة ٦٧-٧٠؛ الدياج المذهب ٢٢٠-٢٢١؛ نيل الابتهاج ٢١٩-٢٢١؛ بغية الوعاة ٣٧٢؛ شذرات الذهب ٦: ٢٨٠-٢٨١؛ نفح الطيب ٥: ١٠٨-١٠٩، ٢٦٥، ٥٠٩-٥١٤، ٥٢٥؛ بروكلمن ٢: ٣٣٦، الملحق ٢: ٣٧١؛ مختارات نيكل ١٩٦-١٩٧؛ الأعلام للزركلي ٥: ٣٤١ (١٤٠)؛ معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٥٨.

## أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزي

١- هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جزي، من أهل غرناطة، وُلِدَ سَنَةَ ٧١٥ هـ (١٣١٥-١٣١٦ م). تَلَقَّى العِلْمَ على والدِه وعلى نَفَرٍ آخَرِينَ ثُمَّ دَخَلَ في خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ، في خُطَّةِ الكِتَابَةِ، في أوائل أيام أبي الحجاج يوسف الأول سابع ملوك بني نصر (٧٣٣-٧٥٥ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ تَوَلَّى القَضَاءَ في بَرَجَةِ ثُمَّ في أُنْدَرَشَ ثُمَّ في وادي آش<sup>(١)</sup>. ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ قَاضِيًا بِمَدِينَةِ غَرْنَاطَةِ وَخُطِيبًا فِيهَا في مَسْجِدِ السُّلْطَانِ (الجامع الأكبر) في ثامن شَوَّالٍ من سَنَةِ ٧٦٠ (١٣٥٩/٩/٢ م). ثُمَّ صُرِفَ عن الخُطْبَةِ ثُمَّ أُعِيدَ إِلَيْهَا، سَنَةَ ٧٦٣ هـ. وَيَبْدُو أَنَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ في سَنَةِ ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م).

٢- كان أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزي فقيهاً وأديباً شاعراً. وقد كان برُغم اتجاهه الديني - قليل الثقة بالناس. وفي شعره لَفَتَات بارعة.

## ٣- مختارات من شعره

- كُتِبَ لسانُ الدين بن الخطيب إلى أبي جعفر بن جزي يطلبُ شيئاً من شعره،

(١) كَتَبَهُ لسان الدين بن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ١٣٨): أبا جعفر، ولم يكنه في الإحاطة (راجع ١: ١٦٣-١٦٨). والمقري كَتَبَهُ «أبا بكر» (نفح الطيب ٥: ٥١٧، راجع ٢: ٥١٤، ٧: ٢٨٢).

(٢) برجة، ضبطها محمد عبد الله عنان بضم الباء (الإحاطة ١: ١٦٤، ١٧٣، ١٧٤، ٢٠٤، ٥٠٨). وهي مضبوطة بالضم أيضاً في القاموس وفي تاج العروس (مع ملاحظة التاج أن الإطلاق يقتضي الفتح). وفي معجم البلدان مضبوطة بالفتح، وهي في معظم المراجع الحديثة مضبوطة بالفتح أيضاً. تقع برجة غرب المرية (في الجنوب الشرقي من الأندلس) على مقربة من ساحل البحر. وأندرش من أعمال المرية أيضاً، على نهر باسمها، غرب غرناطة. ووادي آش إلى الشمال الشرقي من غرناطة.

فأرسل أبو جعفر إلى لسان الدين ما طلبَ وكتبَ إليه بهذه الأبيات (الكتيبة الكامنة ١٤٢):

فَدَيْتُكَ، يَا سَيِّدِي، مِثْلَمَا      فِدَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي زَيْتُهُ<sup>(١)</sup>.  
جَالُ فَعَالِكَ أَظْهَرَتْهُ،      وَسِرُّ كَمَالِكَ أَخْفَيْتُهُ<sup>(٢)</sup>.  
تَشَوَّفْتُ مِنِّي إِلَى بِنْتِ فِكْرِي      فَشَرَّفَتْ شِعْرِي وَزَيَّنَتْهُ<sup>(٣)</sup>.  
وَقَدْ وَرَدَتْكَ، وَأَنْتَ الَّذِي      أَخَذْتَ قُوَادِي، فَخُذْ بِنْتَهُ<sup>(٤)</sup>.

- وقال في التورية في «معين» (بين أن تكونَ أسماً أو تكونَ علماً):

كَمْ بَكَائِي لِبُعْدِكَ كَمْ أَنِي!      مَنْ أَظْهَرِي عَلَى الْأَسَى؟ مَنْ مُعِينِي<sup>(٥)</sup>؟  
جَرَّحَ الْحَدَّ دَمْعُ عَيْنِي، وَلَكِنْ      لَا عَجِيبٌ إِنْ جَرَّحَ أَبْنُ مُعِينٍ<sup>(٦)</sup>.

- قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزي في سلوك الناس حيال الغني والفقير:

أَرَى النَّاسَ يُوَلُّونَ الْغَنَى كَرَامَةً،      وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرُفْعَةِ مِقْدَارِ.  
وَيَلْوُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ،      وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِأَكْبَارِ.  
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ،

فَمَا صَحَّحُوا مِنْهَا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارٍ<sup>(٧)</sup>!

(١) زان وزين (بالتشديد) بمعنى واحد.

(٢) الفعّال (بالفتح): الفعل الحميد.

(٣) تشوّف: تطلّع، نظر من بعيد. بنت الفكر: نتاج الفكر من شعر ونثر وحكم إلخ.

(٤) وقد وردتك: أرسلتها أنا إليك فوصلت إليك.

(٥) الظهير: المعين، المساعد لك في ما تسعى إليه. الأسى: الحزن.

(٦) جرّح (في الشطر الثاني): جرّحه (عابه وأسقط عدالته: صدقه في الشهادة). والتعديل والتجريح (في علم الحديث): تبیان مراتب رواة الحديث في الصدق وصحة النقل. ابن معين هو مجيب بن معين بن عون بن زياد البغدادي (ت ٢٣٣ هـ = ٨٤٨ م) من أئمة الحديث ومؤرّخي رجال الحديث، وكان إماماً عارفاً بأصول التعديل والتجريح.

(٧) ابن دينار: الرجل الغني (هم يصدقون الرجل الغني فقط). وعيسى بن دينار (ت ٢١٢ هـ) من فقهاء الأندلس ومن رجال الحديث أيضاً.

- وله قصيدة جعلَ كلَّ عَجْزٍ فيها عَجْزاً من قصيدة لامرئ القيس (ما عدا مَطْلَعَهَا، فَإِنَّ عَجْزَهُ صَدْرُ المَطْلَعِ في قصيدة امرئ القيس نفسها)\*. من هذه القصيدة:

أقول لعزمي أو لصالح أعمالي: (ألا عِمَّ صباحاً، أئها الطَّلُّ البالي) (١)  
أما واعِظي شَيْبٌ علا فوق لِمَتي (سُمُو حَبَابِ الماءِ حالاً على حالٍ) (٢)  
أخالِطُ دَهْرِي، وهو يعلمُ أَنِّي (كَبِرْتُ، وَأَنْ لَا يُخَيِّنُ اللهوُ أمثالي).  
وقد عَلِمْتُ مِنِّي مواعِدُ تَوْبَتِي (بأنَّ الفتي يَهْذِي وليس بفَعَّالٍ) (٣)  
ألا لَيْتَ شِعْرِي، هل تقولُ عزائمي (لِخَيْلي: كُرِّي كَرَّةً بعد إقبالٍ) (٤)،  
فأنزِلْ داراً للنَّبِيِّ نزِيلُهُـ (قليلُ همومٍ ما يَيت بأوجالٍ)  
فطوبى لِنَفْسٍ جاورَتْ خَيْرَ مُرْسَلٍ (يَشْرِبَ أدنى دارِها نَظَرُ عالٍ) (٥).  
جوارُ رسولِ اللهِ مَجْدُ مُؤَثَّلٍ (وقد يَذْرِكُ المَجْدُ المَوَثَّلَ أمثالي) (٦).  
وما ذا الذي يثني عِنانَ السُّرى، وقد (كفاني - ولم أطلب - قليلٌ من المال) (٧).

٤-★★ الدرر الكامنة ( ) ١ : ٢٩٣ ( ) ، الكنية الكامنة ١٣٨-١٤٣ ،  
الاحاطة ١ : ١٦٣-١٦٨ ، بغية الوعاة ١٦٢-١٦٣ ، شذرات الذهب ٦ : ٢٨٦ ،  
نفع الطيب ٥ : ٥١٧-٥١٩ ، راجع ٧ : ٢٨٢ ، أزهار الرياض ٣ : ١٨٧-١٨٨ ،  
معجم المؤلفين لكحالة ٢ : ٧٢ .

(\*) لحازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) تصنيف مثل هذا لهذه القصيدة (لامرئ القيس) نفسها .  
(١) عَمَّ بالكسر فعل أمر (أو طلب) من «وعم» (بفتح ففتح أو بفتح فكسر) يعم (بفتح فكسر). عم صباحاً  
أو مساءً (من تحية الجاهلية). أقول لعزمي.... (ليس لي عزيمة ولا أعمال صالحة).  
(٢) اللمة: الشعر المجاور للأذن. الحباب: فقايق الماء. حالاً على حال: مرة بعد مرة (٢).  
(٣) هذى يهذي: خلط في الكلام من أثر مرض أو حزن.. وعدت مراراً أن أتوب ولم أفعل.  
(٤) كَرَّ: هجم. إقبال (كذا في الكنية الكامنة ١٤٠)، وفي «شرح ديوان امرئ القيس للسندوي (الطبعة  
الخامسة: القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ص ١٦٤): إجمال (مضى وأسرع- من الخوف: هرب)  
(٢)-.

(٥) يثرب: المدينة (مدينة الرسول). أدنى دارها نظر عال:  
(٦) مؤثَّل وأثيل: ثابت على الزمن.  
(٧) يثني: يردّ. عناني: لجاني (فرسي) أي يمنعني عن السفر (إلى الحج). وهذه رحلة تقتضي قليلاً من المال  
فقط، وأنا لم أطلب شيئاً كثيراً فوق ذلك.

## محمد الظريف التونسي

١ - هو أبو عبد الله محمد الظريف التونسي، نشأ في تونس وطلب العلم والأدب فيها. وكانت وفاته في الجبل المبارك (جبل المنار) ويُعرف في تونس باسم «سيدي بو سعيد» أو مرسى قرطاجة<sup>(١)</sup>، وذلك يوم الخميس في حادي عشر جمادى الآخرة من سنة ٧٨٧ (١٣٨٥/٧/١٨ م).

٢ - كان محمد الظريف التونسي من علماء تونس وصلحاتها المشهورين متصوفاً منفرداً بنفسه، تُروى له كرامات. وكان بارعاً في فنون عدة منها الموسيقى. وشعره سهل رائق يدور على مدح الرسول وعلى الوعظ وتهذيب الأخلاق.

### ٣ - مختارات من شعره

- قال محمد الظريف يصف روضة:

ورب روضة أنس قد مررتُ بها	مُحضرة ذات أشجار وأغصان <sup>(٢)</sup> .
قطوفها تُنعثُ الأرواح دانية	بجنة ذات روح ذات ريحان <sup>(٣)</sup> .
تخلل الماء في أنهارها فغدت	تزهر بوزد ونسرين ونعمان <sup>(٤)</sup> .
وقام فيها خطيب فوق منبره	يشكو البعاد بتغريد وألحان <sup>(٥)</sup> .
مزوق الصدر مخضوب البنان له	من الزبرجد والياقوت لوان <sup>(٦)</sup> .

(١) «سيدي بو سعيد» (جبل أبي سعيد) منطقة جبلية مشرفة على البحر في الضاحية الشمالية من تونس الحاضرة. والمنطقة هي قرطاجة (أو قرطاج، كما يلفظها التونسيون في الصيغة الفرنسية). وقرطاجة (قرطا حديث: القرية - المدينة - الحديثة)، وهي من بناء الكنتانيين (الفينيقيين).

(٢) الأنس: السرور، الألفة بين الأصحاب.

(٣) قطوف جمع قطف (بكسر القاف): ثمر. دانية: قريبة (من الذي يريد قطفها) روح (راحة) ريحان (رزق حسن) راجع القرآن الكريم (٥٦: ٨٩، سورة الواقعة).

(٤) تزهر: تلمع، تقتخر. نسرين: ورد أبيض اللون. نعمان = شائق النعمان (زهر برّي أحمر اللون).

(٥) خطيب = طائر مفرد (هنا: حامة).

(٦) مزوق الصدر (في صدره ريش مختلف الألوان). مخضوب (مصبوغ) البنان (الأصابع). المقصود هنا

«القوائم»، وقوائم الحمامة تكون عادة حمراء. الزبرجد: حجر كريم أخضر اللون. الياقوت: حجر كريم

أحمر اللون. يبرز في هذه الحمامة لوان: اللون الأسود (والعرب يقولون للأسود أخضر) واللون الأحمر في قوائمها.

بِيضٌ جَوَانِحُهُ سَوْدٌ مَنَاقِبُهُ  
 مُطَوَّقٌ الْجِيدُ، فِي أَطْرَافِ مُقْلَتِهِ  
 وَأَطْرَبَ الطَّيْرِ فِي أَوْكَارِهَا فَفَعَدَتْ  
 نَاشِدُتُكَ اللَّهُ، يَاطِيرَ الْأَرَاكِ، إِذَا  
 وَسَّعَدْتُكَ اللَّيَالِي فِي تَصَرُّفِهَا  
 وَجِئْتَ طَيِّبَةً وَالْوَادِي وَجُزْتَ عَلَى  
 سَلَمٍ عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ  
 الْهَاشِمِيِّ الَّذِي فَاضَتْ فَضَائِلُهُ  
 وَقُلْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا أَمَلِي،  
 جِسْمِي بِتُونَسَ مَوْثُوقٌ بِزَلَّتِيهِ،  
 وَكُلَّ عَامٍ أَرْجِي أَنْ أَزُورَكُمُ،  
 أَمُوتُ وَالْقَلْبُ مُشْتَاقٌ لَزُورَتِكُمْ،  
 فَكُنْ شَفِيعِي فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ إِذَا  
 - وَقَالَ أَيْضاً يُورِّي فِي بَاسِمِهِ:

- (١) المنكب (بالكسر): الكف. المك أسود اللون، والكافور أبيض اللون.
- (٢) مطوق الجيد (العتق). لعدد من أنواع الحمام طوق (شبه العقدة) من ريش لونه مخالف للون الريش في سائر جسمها. البهاء: الجمال. القاني (الشديد الحمرة، من «قان» في الفارسية: دم) هنا: اللون الزاهي البراق.
- (٣) ناشدتك الله: سألتك (طلبت منك) وأنا أقسم بالله. الآراك: شجر يتخذ الناس من أغصانه المساويك (جمع سواك: لجلاء الأسنان)، إشارة إلى الحجاز.
- (٤) طيبة: المدينة المنورة. الوادي (وادي مكة، أو مدينة مكة؟). وادي العقيق (قرب المدينة). العاني: الأسير (الموجود في بلده غير قادر على الذهاب إلى الحج).
- (٥) المصطفى المختار (محمد رسول الله). مضر (مجموع عرب الشمال). عدنان (جدّ عرب الشمال).
- (٦) عند ميزاني (يوم القيامة حين توزن حسنات المرء وسيئاته للفصل في أمره إلى الجنة أو إلى النار).
- (٧) مَوْثُوقٌ، يقصد مَوْثُوقٌ (مربوط). الزَّلَّةُ: الخطأ، العثرة، الذنب. والقلب في الشرق (المشرق): يحن إلى مكة. الرند (شجر طيب الرائحة) والبان (شجر جميل الأغصان) كناية عن المقام المحمود (المقدس).
- (٨) يوم الجزاء: يوم القيامة.

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظَرْفِهِ حتى يكونَ عنِ الحرامِ عفيفاً .  
فإذا تَعَفَّفَ عنِ مَحارِمِ رَبِّهِ ، فهناك يدعوهُ الأناهُ ظريفاً .

٤-★★ عنوان الأريب ١: ١٠٣-١٠٥؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٦-٢١٧ .

### أبو جعفر بن زرقاله

١- كان آل زَرْقَالَهُ أسرةً قديمةً السُّكنى في مدينة المَرْيَةِ، وكان جدُّ صاحب الترجمة (واسمه أيضاً: أحمدٌ وكُنيتُه أبو جعفر) من العُدول<sup>(١)</sup> أديباً ناثراً ناظماً وعالماً فاضلاً ذا مكانة عند أهل الدولة وذا صلةٍ بهم .

أمّا أبو جعفر (الحفيد) صاحبُ هذه الترجمة فالذي نَعْرِفُهُ عنه أَنَّهُ تَلَقَّى شيئاً من العلم على أبي البركات بن الحاجِّ البلفيقي<sup>(٢)</sup>، كما قرأ رِحْلَةَ أبي البقاء البَلَوِيَّ<sup>(٣)</sup> « تاج المَفَرِّق في تَحْلِيَةِ علماء المشرق » على مؤلِّفها مِراراً وقرَّطها شعراً ونثراً .

ولعلَّ وفاةَ ابن زرقاله هذا كانت في أعقاب القرنِ الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) .

٢- أبو جعفر أحمدُ بنُ زَرْقَالَهُ (الحفيد) هو الفقيهُ الوزير الكاتب الماهر والناظم النائر شُفِّفَ بِرِحْلَةِ أبي البقاء البَلَوِيَّ واعتنى بها عنايةً فائقةً ونظَّم في مدحها قصائد ومقطعاتٍ ثمَّ جَمَعَ ما قيل فيها نظماً ونثراً وعَرَّفَ القائلينَ فيها تعريفاً حسناً . ثمَّ هو مؤلِّف له « رائقُ التَحْلِيَةِ في فائِقِ التَّوَرِيَةِ » جمعه من أبياتٍ في التورية لابن خاتمة الأنصاري (ت ٧٧٠ هـ، راجع فوق ص ٣٨٩) أنشدَه إياها ابنُ خاتمةَ نفسه .

---

(١) العدل، والجمع عدول: أشخاص تميّنتهم الدولة فيجلسون مع القاضي في مجلس الحكم ليشهدوا على أحكامه ويصححوها إذا وقع فيها خطأ . وكان نفر من هؤلاء يعملون مستقلين ويرتزقون من الشهادة في المحاكم لمن يطلب منهم ذلك ويدفع لهم مبالغ يتفق عليها .

(٢) أنظر، فوق، ص ٤٩٨ .

(٣) أنظر، فوق، أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي الأندلسي قاض، وله شعر ونثر، توفي في أواخر القرن الهجري الثامن (راجع نفع الطيب ٢: ٥٣٢-٥٣٤؛ نيل الابتهاج ١١٥؛ الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة ٢: ٢٩٧) .

- من مقدمة كتاب «رائق التحلية» لابن زرقالة:

..... الحمد لله الذي خصّ هذه الأمة باللسان العربي المبين و(ب)البيان المتبلّج  
الغرة الوضاح الجبين فهصروا من ثمراته الدانية القطوف بفنّ مائل<sup>(١)</sup>، وتفتّأوا  
ظلالها عن الأنيان (والشائل)<sup>(٢)</sup>.... وبعد، فلما كان الأدب حلية العرب الذي إليه  
انتهت فصاحتها وبه ظهرت رجاحتها<sup>(٣)</sup>، وكان الشعر منه بمنزلة الروح من الجسد....  
فهو طراز بُردِه ووسطى عقده<sup>(٤)</sup>. ولم يزل الناس - خلفاً عن سلف - يتوارثونه  
ويتبعون (فيه) منهج العرب ويقتفونه، هذا وإن كانوا لا ينتجعون إلا من واديههم ولا  
يستمطرون إلا من غواديههم<sup>(٥)</sup>. فلم يخل كل عصر من شاعر يكون شعراء زمانه  
عيالاً<sup>(٦)</sup> عليه ويرجع كل واحد منهم إليه.... وكان شاعر عصرنا ببلدنا  
هذا - عصمه الله - (و) الذي رفع سماء الأدب وبنّاها، ومهد أرض الشعر  
ودحاها<sup>(٧)</sup>.... شيخنا الأستاذ أبو جعفر أحمد بن خاتمة.....

و(قد) كان لي بحاسن الأدب شغف وباقتناء جواهره كلف، أتشبّث به تشبّث  
الولد بالوالد، والموصول بالصلة والعائد<sup>(٨)</sup>، وأقصد غرر عيونه وأعتمد أبكاره دون

(١) هصر الرجل الفصن: جذبه إليه. الدانية (القرية) القطوف (الثمرات التي تجنى من الأغصان). الفن: الفصن.

(٢) الأنيان (جمع بين، الجانب الأيمن) والشائل (جمع شمال بكسر الشين).

(٣) الحلية: الزينة. انتهت (بلغت النهاية: الكمال). الرجاحة (بفتح الراء): الحلم (المعجم الوسيط ١: ٣٣٠) بكسر الحاء: سعة الصدر.

(٤) الطراز: العلامة في الثوب دلالة على صاحبه (إذا كان من الملوك أو من هو في صفهم). والوسطى في العقد: الجوهرة الكبرى تكون في العقد، وتكون في وسطه.

(٥) انتجع: ذهب (إلى المرعى). الغادية: السحابة الممطرة صباحاً.

(٦) عيالاً عليه: يعتمدون عليه في نظم الشعر (يأخذون من معانيه).

(٧) مهد: سوى، جعل الشيء مستويّاً. دحا الشيء: يدحوه: مدّه وبسطه.

(٨) الاسم الموصول: الذي، التي، الخ. ويكون له في الجملة صلة وعائد (مثال ذلك: الرجل الذي جاء من بعيد - الضمير في «جاء» عائد، يعود إلى الرجل. وجملة «جاء من بعيد» صلة الموصول لا محل لها من الإعراب). ولا معنى لاسم الموصول إذا لم يأت بعده صلة وعائد.



عُونِهِ<sup>(١)</sup>. وَأَتَشَوَّفُ لِلْإِسْطِلَاعِ مِنْهُ مِنْ مَا لَمْ<sup>(٢)</sup> تَمَزَّقَ الْأَيَّامُ بُرْدَتَهُ وَتُخْلِقِ الْأَقْلَامُ جِدَّتَهُ<sup>(٣)</sup>..... وَكَانَتْ التَّوْرِيَّةُ<sup>(٤)</sup> مِنْ مَحَاسِنِ الشَّعْرِ تَشْهَدُ لِصَاحِبِهَا بِجَلَالَةِ الْقَدْرِ وَتَحِلُّ مِنَ النَّفْسِ مَحِلَّ النُّورِ مِنَ الرِّيَاضِ، وَالسُّحَرِ مِنَ الْحَدَقِ الْمِرَاضِ<sup>(٥)</sup>، وَتَمْتَزِجُ بِالْأَرْوَاحِ امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ لِلطُّفِّ مَعْنَاهَا وَدِقَّةُ إِشَارَتِهَا وَرِقَّةُ عِبَارَتِهَا، اسْتَشْدَّتْهُ - أَبْقَاهُ اللَّهُ - مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْمَنْظُومَاتِ فِيهَا، وَرَغِبْتُ مِنْهُ أَنْ يُسَعِّفَنِي جَمِيعَهَا وَيَسْتَوْفِيَهَا<sup>(٦)</sup>. فَأُجَابِنِي إِلَى ذَلِكَ عَمَلًا عَلَى شَاكِلَةِ فَضْلِهِ<sup>(٧)</sup> وَمَا يَلِيقُ مِنَ التَّخَلُّقِ بِكَرِيمِ مَحِلِّهِ.

٤- رائق التحلية في فائق التورية (حققه محمد رضوان الداية)، دمشق (منشورات دار الحكمة).

### ابن عبَّاد الرندي

١- هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك النَّفَرِيِّ الحِمَيْرِيِّ المعروف بابن عبَّاد الرندي، أصلُ أهلِهِ مِنْ قَبِيلَةِ نَفَرَةَ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى) وَمَوْلَدُهُ فِي رُنْدَةَ (الْأَنْدَلُسِ)، سَنَةَ ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) وَمِنْشَأُهُ فِيهَا.

حَفِظَ ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي السَّابِعَةِ مِنْ عُمُرِهِ ثُمَّ تَلَقَّى النُّحُوَّ وَالْأَدَبَ وَالْفِقْهَ أَصُولًا وَفُرُوعًا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ أَبُوهُ، وَكَانَ أَبُوهُ وَاعِظًا مَعْرُوفًا.

(١) عيون الشيء: خياره (أحسن ما فيه). البكر: الفتاة التي لم تتزوج بعد. العوان: المرأة المتوسطة في العمر (يقصد المعاني المتكررة والمعاني المألوفة).

(٢) من ما لم (ترسم: تما لم).

(٣) البردة: الثوب الواسع. تُخْلَقُ: تَمَزَّقُ، تُسَلَفُ (تُجْعَلُ الشَّيْءُ قَدِيمًا مَتَهَرًا).

(٤) التورية (في البلاغة): المجيء بلفظ أو تركيب له معنيان قريبٌ وبعيد يفهم السامع عادة معناه القريب بينما يكون القائل قد قصد المعنى البعيد، فإذا قلت لرجل ملأ الله فمك ذهباً، يظنك تدعو له (بأن يعطيه الله ذهباً بمقدار ما يسع فمه) بينما يمكن أن تكون أنت تدعو عليه (بأن تسقط أسنانه ثم يستعويض عنها بأسنان من ذهب).

(٥) النور (بفتح النون): الزهر الأبيض. الحدق: العيون. المِرَاضُ: المريضة (الناعسة).

(٦) اقرأ: يسعني بها جميعها (يساعدني في الحصول عليها).

(٧) الشاكلة: السجّة، الطبع. على شاكلة فضله: على ما تعود من التفضل على الناس.

رَحَلَ ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ عَنِ الْأَنْدَلُسِ بَاكِرًا فَتَنَقَّلَ بَيْنَ فَاسَ وَتِلْغَسَانَ وَمَرَّاكُشَ  
وَسَلَا وَطَنْجَةَ. فَفِي تِلْغَسَانَ دَرَسَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الشَّرِيفِ التِّلْغَسَانِيِّ  
(٧١٠ - ٧٧١ هـ) كَبِيرِ عُلَمَاءِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ فِي أَيَّامِهِ. أَمَّا فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ (التَّصَوُّفِ)  
فَقَدْ لَازَمَ أَحْمَدَ بْنَ عَمَرَ بْنِ عَاشِرٍ (ت ٧٦٥ هـ) وَتَأَثَّرَ بِهِ كَثِيرًا.

وَفِي سَنَةِ ٧٧٧ عَيَّنَ ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ إِمَامًا وَوَاعِظًا فِي جَامِعِ الْقَرَوَيْنِ فِي فَاسَ  
وَوُظِّلَ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ إِلَى وَفَاتِهِ فِي ثَالِثِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٧٩٢ (١٣٩٠/٦/١٧ م).

٢- ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ خُطِيبٌ وَوَاعِظٌ وَصُوفِيٌّ مُصَنِّفٌ لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: الرِّسَالَةُ  
الْكُبْرَى (وَهِيَ مَكَاتِبَاتٌ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّصَوُّفِ وَفِي تَفْسِيرِ مُتَشَابِهٍ<sup>(١)</sup> الْآيَاتِ كُتِبَ بِهَا إِلَى  
أَمْثَالِهِ الْمُتَّصِفِينَ) - الرِّسَالَةُ الصَّغْرَى<sup>(٢)</sup> وَجَهَّاهَا مِنْ سَلَا، قَبْلَ سَنَةِ ٧٧٠ لِلْهَجْرَةِ فِي  
الْأَغْلَبِ: سِتُّ مِنْهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أُدَيْنَةَ<sup>(٣)</sup> وَتَسَعٌ إِلَى تَلْمِيزِهِ الرَّحَّالَةَ الْمُحَدَّثَ يَحْيَى  
السَّرَّاجَ (ت نَحْوَ ٨٠٣ هـ) ثُمَّ وَاحِدَةٌ إِلَى الْإِمَامِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الشَّاطِئِيَّ  
(ت ٧٩٠ هـ) - غَيْثُ الْمَوَاهِبِ الْعَلِيَّةِ فِي شَرْحِ الْحُكْمِ الْعَطَائِيَّةِ<sup>(٤)</sup> (فِي الزُّهْدِ  
وَالتَّصَوُّفِ) - كِفَايَةُ الْمُحْتَاجِ - فَتْحُ الطَّرْفَةِ وَإِيضَاحُ الشَّرْفَةِ - شَرْحُ الْأَسْمَاءِ  
الْحَسَنَى - رِسَالَتَانِ (فِي عِدَدٍ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ «قُوَّةِ الْقُلُوبِ»<sup>(٥)</sup>).

### ٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِابْنِ عَبَّادٍ (مِنَ الرِّسَالَةِ الصَّغْرَى): الرِّسَالَةُ الثَّلَاثَةُ: كِتَابٌ يَتَضَمَّنُ بَيَانَ التَّقْلِيدِ

(١) الْآيَاتُ الْمُتَشَابِهَاتُ الَّتِي تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ (وَقِيلَ هِيَ: الْحُرُوفُ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ، وَلَا نَعْرِفُ نَحْنَ  
دَلَالَتَهَا).

(٢) الرِّسَالَةُ الصَّغْرَى أَوْ الْكُبْرَى لَا تَخْتَلِفُ فِي مَادَّتِهَا وَاتِّجَاهِهَا وَأَسْلُوبِهَا، بَلْ فِي حَجْمِهَا: الرِّسَالَةُ الْكُبْرَى  
٢٦٢ صَفْحَةً وَالرِّسَالَةُ الصَّغْرَى ١٣٨ صَفْحَةً.

(٣) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَطَاءِ اللَّهِ الْإِسْكَدَرِيِّ (ت ٧٠٩ هـ) الْمَالِكِيُّ النَّازِلِيُّ، صَحْبُ أَبِي  
الْحَسَنِ النَّازِلِيِّ. وَكَانَ ابْنُ عَطَاءٍ فِي زَمَانِهِ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ عَلَى لِسَانِ الصُّوفِيَّةِ. وَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الْمَقَاوِمَةِ لِلْإِمَامِ  
ابْنِ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨ هـ) لِأَنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ عَلَى الصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ  
وَالْأَرَاءِ الْخَالِفَةِ لِرَأْيِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَلِابْنِ عَطَاءٍ مُصَنَّفَاتٌ أَشْهَرُهَا الْحُكْمُ الْعَطَائِيَّةُ.

(٤) قُوَّةُ الْقُلُوبِ كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ لِأَبِي طَالِبِ الْمَكِّيِّ (ت ٣٨٦ هـ).

والبدعة وما اشتملا عليه من القبائح والمفاسد:

أُسِّمَ عليكم وأُعرِّفكم بوصول كتابكم إلينا تُعلِّمون فيه بوصول جوابنا إليكم، وأنه وقع منكم موقِعاً اقتضاه حُسْنُ ظَنِّكم وسلامةُ اعتقادكم. وطلبتُم منا بيانَ التقليدِ والبدعة اللذين أُشِرتَ إليهما في الجواب المذكور وأن أُكْتُبَ اليكم بُدْأً في ذلك.

فاعلم أن هذين المَفْنَيْنِ قد ورد الشرعُ بدمِّهما وعيبَ المتَّصِفِ بهما.

أما التقليدُ فهو نوعٌ من أنواع البدعِ التي يأتي ذِكْرُها، وهي عبارةٌ عن اتِّباعِ الغيرِ بلا دليلٍ ولا حُجَّةٍ، كَمَنْ يَقْلُدُ شخصاً لِعَظَمِ محلِّهِ عنده أو (كمن يقلد) أُمَّةً من الناس لكَثَرَتِهِمْ وَقِدَمِ زمانِهِمْ. وقد عاب الحقُّ تعالى ذلك على طوائفٍ مِنَ الكُفَرَةِ في آيٍ كثيرة من القرآن.....

واعلم أن هذه الصِّفَةَ الذميمة قد استطار<sup>(١)</sup> في هذا الزمانِ شرُّها وعمَّ ضرُّها، فترى المتفكِّهَ الغيبيَّ إذا قرَعَ سَمْعَهُ شيءٌ من علوم التحقيق<sup>(٢)</sup> أو علم<sup>(٣)</sup> من أعلامِ أهلِ التصديقِ يُلَوِّي خَدَّهُ وَيُقَطِّبُ وَجْهَهُ ويقول لفرطِ غباوته: لو كان هذا حقًّا لَنَصَّ عليه فلانٌ وَلَتَدَاوَلَتْهُ القُرُونُ والأزمان. وترى المتصوِّفَ الجاهلَ إذا ذُكِرَ عنده مسألةٌ من مسائلِ الأحكامِ ومعالِمِ الحلالِ والحرامِ يتنكَّرُ لجليسه ويفتَرِّ بتزويره وتلبِيسه<sup>(٤)</sup> ويقول لشدة جهالته: هذه ظواهرُ ورسومٌ ومُخاطباتٌ للعموم. وقد كان سيدي<sup>(٥)</sup> فلانٌ لا يقرأ ولا يكتب ولا يَتَنَسَّبُ إلى مذهب. وترى الفاجرَ العيَّارَ<sup>(٦)</sup> من ذوي الكبائرِ والإصرارِ يَقْتُدي بِهَفَوَاتِ القُدَمَاءِ وزَلَّاتِ العُلَمَاءِ وَيَعْتَدُّ<sup>(٧)</sup> ذلك ديناً مَتيناً وحقًّا مُبيناً.

(١) استطار: انتشر.

(٢) علوم التحقيق (علوم التصوِّف).

(٣) أو علم (كذا).

(٤) التزوير: التحين والتزيين (وهنا: إيراد الشيء على خلاف حقيقته). التلبيس: (خلط الشيء بغيره).

(٥) ظواهر (أمر ظاهرة غير حقيقية، غير مقصودة لذاتها) ورسوم (أمر وضعها الناس لأنفسهم يمكن أن يرضوا في وقت آخر غيرها). ومُخاطبات للعموم (للعامة ليس على الخاصة من العلماء أتباعها). سيدي: شيعي (الذي أتبعه وأقتدي به).

(٦) الفاجر: الفاسق الذي يكثر من إتيان المحارم من غير أن يبالى. العيَّار: الكثير التجوال في الأرض، الذي يتبع هواه في كلِّ شيء ولا يبالى.

(٧) اعتدَّ الأمرَ ديناً: عدَّه وأحضره (اتَّخذه).

وقد ينتهي الجهلُ بأقوامٍ إلى ألا يَرَوْا لأحدٍ فضلاً على مَنْ قَلَدوه من أئِمَّتِهِمْ  
ويستحقرون بذلَ مُهَجِهِمْ في مُحاماتهم ونُصْرَتِهِمْ.....

واعلم أن كلَّ مسألةٍ مطلوبٌ فيها إصابةٌ ما في نفسِ الأمرِ<sup>(١)</sup> وله (للإنسان)  
مندوحةٌ عن التقليدِ فيها بأن ينظرَ إلى وجهِ الدليلِ المنصوبِ عليها: إمّا على جهةِ  
الوجوبِ كمسائلِ الاعتقادات، أو على غيرِ جهةِ الوجوبِ كغيرِها من المسائلِ. فالتقليدُ  
في ذلك مذمومٌ سواء اتفقت<sup>(٢)</sup> إصابته أم لم تتفق. (لكن) لا يدخلُ في ذلك تقليدُ  
العامةِ للمجتهدين في المسائلِ الفقهيةِ الفرعية، لأنَّ المطلوبَ فيها إصابةٌ ما غلبَ على ظنِّ  
المجتهد، ولا سبيلَ للعاميِّ إلى هذا إلا بالتقليد. ولا يدخلُ فيه أيضاً تقليدُ مَنْ يحتاج  
إلى فنٍّ من فنونِ العلمِ لأربابه<sup>(٣)</sup>، وإن كان المطلوبُ فيه إصابةٌ ما في نفسِ الأمرِ<sup>(١)</sup> إذ لا  
مندوحةٌ له عن التقليدِ فيه، كعلمِ التفسيرِ والحديثِ والتاريخِ والنحوِ واللغةِ والطبِّ.  
فالتقليدُ في نفسه مذمومٌ لا ينبغي الاعتمادُ عليه إلا عندَ الضرورة.....

وأما البدعةُ فقد وَرَدَ في ذَمِّها آياتٌ كثيرةٌ وأخبارٌ\*.....

إنَّ الله تعالى بعثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولاً إلى جميعِ الأنامِ وهادياً لهم  
إلى دارِ السلام<sup>(٤)</sup>، وكانوا إذ ذاك في جاهليةٍ جهلاء وضلالةٍ ظلماء<sup>(٥)</sup>، مُسْتَتَّةَ آراؤهم  
مُفْتَرِقَةَ أهواؤهم لم تأمُرْ أحلامُهم الفاخرة<sup>(٦)</sup> إلا بإيهالِ النظرِ في مسالكِ العبرِ<sup>(٧)</sup>، ولم  
تَهْدِهِمْ ألبابُهم إلا إلى عبادةِ حَجَرٍ وشمسٍ وقمر. فَمَنَّ اللهُ عليهم بأن بعثَ فيهم رسولاً  
من أنفسهم - و (من) أزكاهم وأنصَحِهِمْ<sup>(٨)</sup> - حَلَاةً بأكملِ الصفاتِ وأحسنِ الأخلاقِ ووفاءً  
من مواهِبِهِ وَمَنَحَهُ نَفَاسَ الأَعْلَاقِ<sup>(٩)</sup>..... (ثم يذكر أحاديثَ وأخباراً من نشأة

(١) إصابة نفس الأمر (المقصود: ما في الأمر نفسه).

(٢) اتفقت = آتفت؟

(٣) من فنون العلم لأربابه (علم موجود عند أناس غير موجود عند آخرين).

(٤) الأخبار (جمع خبر): الأحاديث المروية عن رسول الله.

(٥) دار السلام: الجنة.

(٦) ضلالة ظلماء (عمياء): ضلال (ضياح، تيه) لا يهتدي فيه الضائع إلى سبيله.

(٧) الحلم (بالضم): العقل. الفاخرة (٩).

(٨) العبرة (بالكسر): الدرس، نتيجة الاختبار.

(٩) أنفس الأشياء: أئمتها، أحسنها.

(٩) وفاء: كَمَلْ له، أتمَّ عليه. العلق (بالكسر): الشيء النفيس الذي يضمن (يخَلِّ) الإنسان به.

البدع واتساعها).

وقد بُعدنا عن المقصِدِ فلنرجع إليه. فجميع ما ذكرناه في هذه النُبذة إشارة إلى نوع واحد من أنواع البدع وهو ما يؤدي إلى اختلاف وتنازع وتهاجر وتقاطع من أي وجه أدى إلى ذلك. ويقع ذلك بين مبطلين بسبب شدة التعصب من الجانبين، وبين مبطل ومحق فينقسم الأمر فيكون سببه من جهة المبطل هو مَرَدِيًّا وشيطاناً مُغْوِيًّا<sup>(١)</sup>، ومن جهة المحق قياماً بواجب الدين ونصيحة للمسلمين. ويستحيل وقوعه بين مُحَقِّقَيْنِ.....

٤- غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية (شرح النفزي على متن السكندري) بولاق ١٢٨٥ هـ؛ مصر (مطبعة محمد مصطفى) ١٢٩٩ هـ؛ (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ هـ؛ (المطبعة الميمنية) ١٣٠٤ هـ؛ ١٣٢٠.

- الرسائل الكبرى، فاس (حجر) ١٣٢٠ هـ.

- الرسائل الصغرى (نشرها بولس نويا)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٧ م.

★ شرح الشيخ عبد الله الشرقاوي على غيب المواهب (بهاش طبعة بولاق).

الكتيبة الكامنة ٤٠-٤٤؛ نيل الابتهاج ٢٧٩-٢٨١ (٢٨٧ وما بعد)؛ نفح الطيب ٥:

٣٤١-٣٥٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٢٢٠؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٥٨؛ سركيس

١٥٧-١٥٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٩٠ (٥: ٢٩٩)؛ بالنشأ ٣٩٠؛ معجم المؤلفين لكحالة

٢٠٧-٢٠٨.

## ابن زمرَك

١- هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف

الصُرَيْحِيُّ المعروف باسم ابن زمرَك (بفتح الزاي والراء أو بضمهما)، أصلُ أهله من شرقي الأندلس وقد سكن سلفه غرناطة.

وُلِدَ ابنُ زمرَك في ١٤ من شَوَّالٍ من سنة ٧٣٣ (١٣٣٣/٦/٢٩ م) في غرناطة ونشأ

فيها. وقد تلقى العلم على نفرٍ منهم: أبو عبد الله محمد بن محمد اللّوشي (ت ٧٥٢ هـ)،

(١) المردى: المهلك. المغوي: المضلل، الداعي إلى الخيبد عن الصواب.

وأبو عبد الله محمد بن بيشش العبدري (ت ٧٥٣ هـ)، وابن الفخار الإلبيري وأبو القاسم الحسني التلمساني وأبو البركات البلنقي وأبو فرج بن لب. غير أن أكثر أخذِه كان عن ابن مَرْزُوقِ التِّلْمَسَانِي.

أما الذي تولَّى العنايةَ بابنِ زمركَ فهو لسانُ الدينِ بنُ الخطيب: إنَّه أستاذُه على الحَصْرِ في فنونِ الأدبِ ووليُّ نِعْمَتِه في الترقِّي في مراتبِ الدولة. لَمَّا تولى ابن الخطيب الوزارةَ، سنة ٧٤٩ هـ، لأبي الحجاج يوسف الأول النيار، أدخل ابنُ زمركَ في خِدْمَةِ الدولة كاتباً.

في سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) جاء محمد الخامسُ الغني بالله إلى عرشِ غرناطة فأخذت مكانةَ ابنِ زمركَ ترتفع في دولة بني الأحمر، إذ أصبح ابنُ الخطيب حاجباً للدولة فجعل تلميذه ابنَ زمركَ في حاشية السلطان. وفي سنة ٧٦٠ هـ خلعَ محمد الخامسُ الغني بالله فلجأ إلى أبي سالم إبراهيم بن علي سلطان بني مرين في فاس ولحقَ به ابنُ زمركَ (بينما بقي ابن الخطيب في غرناطة). وبعد عامين (في ٢٠ جُمادى الآخرة ٧٦٣ = ١٣٦٢/٤/١٧ م) عاد محمد الخامسُ الغني بالله إلى غرناطة - وابنُ زمركَ معه - واستعاد عرشَه وردَّ ابنُ الخطيب إلى الوزارة وجعل ابنَ زمركَ كاتباً خاصاً به ولقَّبه بالرئيس. ولَمَّا ابنُ زمركَ قد وَجَدَ في هذه الأثناء فُسْحَةً من الوقت فتصدَّر لتدريسِ الفقه واشتهرَ بذلك في مالقة وفي غرناطة.

كانتِ الأسرةُ المرينية في فاس قد ضَعُفَتْ، وكان بنو الأحمر يتلاعبون بها ويضربون بعضَ أعضائها ببعضٍ ثم ينصرون بعضهم على بعضٍ. ويبدو أن ابن الخطيب مالَ مع بعضِ بني مرين على محمد الغني بالله، أو أنَّ ابنَ زمركَ اتَّهمه بذلك (٧٧٠ هـ) فقرَّ ابنُ الخطيب إلى فاس خوفاً من سوءِ العاقبة في غرناطة. بذلك أصبح ابنُ زمركَ وزيراً مكانَ ابنِ الخطيب.

وداخلَ ابنُ زمركَ المُحِبُّ بما وَصَلَ إليه من الرِّفْعَةِ والنُّفُوذِ فاستبدَّ برأيه في الأمور واستعذبَ التَّأْمَرَ والإيقاعَ بالناس، ولكن لم يَسْتَطِعْ أحداً أن يَصِلَ إليه، فقد كان محمد الغني بالله - وقد كان ابنُ زمركَ شاركة سراءه وضراره - يَحْمِيهِ ولا يَسْمَعُ فيه قولَ سوءٍ.

وفي صَفَر من سنة ٧٩٣ (كانون الثاني - يناير ١٣٩١ م) توفي مُحَمَّد الغني بالله فَخَّلَفَهُ ابنُه أَبُو الحَجَّاج يوسفُ الثاني، ولم يَكُنْ هو ولا حاشيتُه يَعْطِفُونَ على ابنِ زمرك فَسُجِنَ ابنُ زمرك في سِجْنِ الْمَرْيَةِ، في أوَّل ربيعِ الأولِ من سنة ٧٩٤ (١٣٩٢/٧/٢٢ م). ومع أن ابنَ زمرك خرج من السِّجْن بعد ذلك وعاد إلى الوزارة مُدَّةَ سِيرَةٍ ثُمَّ صُرِفَ منها وَشِيكاً فَإِنَّ النِّقْمَةَ ظَلَّتْ عليه شديدةً - ذلك لأنه، فيما يبدو، استأنف شيئاً من الكَيْدِ والتَّأْمُرِ. فاقْتَحَمَ السلطانُ بنفسه على ابنِ زمرك منزله وقتلَه هو وولَدِيهِ وعدداً من خَدَمِهِ وأنصارِهِ في أواخرِ سَنَةِ ٧٩٥ أو أوائل سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م).

٢ - كان ابنُ زُمْرُك شُعْلَةً من شُعْلِ الذِّكَاءِ جَيِّدَ الْفَهْمِ حُلُوَ الْمَجَالِسَةِ عَذْبَ الْفُكَاهَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَيْضاً مَيْلًا إِلَى الْكَيْدِ وَالْدَّسِّ. ولقد شارك في فنونٍ كثيرةٍ منها التفسيرُ والفِقْهُ (في الأصول والفروع) واللُّغَةُ. وكان أيضاً شاعراً وَجُدَانِيًّا مُجِيداً، قيل فيه إِنَّهُ آخِرُ الشُّعْرَاءِ الْفُحُولِ فِي الْأَنْدَلُسِ، كما كان وَشَّاحاً وَخَطِيباً وَمُتَرَسِّلاً وَنَاقِداً. وشعرُهُ قصائدٌ طَوَالٌ ومقطعاتٌ بعضها مُرْتَجَلٌ. ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ كَلِيفاً بِالْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ وَالْأَلْفَاظِ الصَّعِيقَةِ.

أما فنونُ شعرِهِ فَأَكْبَرُهَا المديحُ. ومدائحُه كَثَارَتْ طَوَالَ تَبْدَأُ بِغَزَلٍ، وهي عادةُ سُلْطَانِيَّاتٍ (لأنَّهَا تَقَالُ فِي سُلْطَانِ غَرْنَاطَةِ) وَعِيدِيَّاتٍ (لأنَّ الْقِسْمَ الْأَوْفَرَ مِنْهَا كَانَ يُقَالُ فِي الْأَعْيَادِ تَهْنِئَةً) واعتذاريَّاتٍ. وله ميلاديَّاتٌ كَثَارَتْ أَيْضاً (بَدِيعِيَّاتٍ، في مَدْحِ الرُّسُولِ). ومن قصائده ميلاديَّاتٌ عِيدِيَّاتٌ. ورثاؤُه قَلِيلٌ جَدًّا. وله وَصْفٌ خَفَاجِيّ الزَّعَةِ أَكْثَرُهُ فِي وَصْفِ قُصُورِ الْحَمْرَاءِ وَبَسَاتِينِهَا. وله خَمْرِيَّاتٌ أَيْضاً يَدْعُوْنَهَا صَبُوحِيَّاتٍ (وَالصَّبُوحُ شَرَبُ الْخَمْرِ فِي الصَّبَاحِ). وَغَلَبَ عَلَى شعرِهِ، في بعضِ أدوارِ حَيَاتِهِ، شيءٌ مِنَ التَّصَوُّفِ.

### ٣ - مختارات من آثاره

- مُوشِحَةٌ مَشْهُورَةٌ لابنِ زمرك قالَهَا في أَثْنَاءِ إقامته في فاس (٧٧٦ هـ)، لَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهَا لِطَالِبِ سُلْطَانِ فاس بِقَتْلِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ (راجع ترجمة ابن الخطيب):  
أَبْلَغُ لِعَرْنَاطَةِ السَّلَامِ وَصِفْ لَهَا عَهْدِي السَّلَامِ

فَلَوْ رَعَى طَرْفَهَا ذِمَامَ مَا بَتُّ فِي لَيْلَةِ السَّيِّمِ<sup>(١)</sup>.

★ ★ ★

كَمْ بَتُّ فِيهَا عَلَى اقْتِرَاحٍ      أَعْلُ مِنْ خَمْرَةِ الرُّضَابِ؛  
أَدِيرُ فِيهَا كُؤُوسَ رَاحٍ      قَدْ زَانَهَا الثُّغْرَ بِالْحُبَابِ؛  
أَخْتَالُ كَالْمُهْرِ فِي الْجِمَاحِ      نَشْوَانَ فِي رَوْضَةِ الشَّبَابِ؛  
أَضَاجِكُ الزَّهَرِ فِي الْكِامِ      مُبَاهِيَاً رَوْضَهُ الْوَسِيمِ؛  
وَأَفْضَحُ الْفَضْنَ فِي الْقَوَامِ      إِنَّ هَبَّ مِنْ جَوْهَا النَّسِيمِ<sup>(٢)</sup>.

★ ★ ★

يَنَّا أَنَا وَالشَّبَابُ ضَافٍ      وَظِلُّهُ فَوْقَنَا مَدِيدٌ،  
وَمَوْرِدُ الْأَنْسِ فِيهِ صَافٍ      وَبُرْدُهُ رَائِقٌ جَدِيدٌ،  
إِذْ لَاحَ فِي الْفَوْدِ، غَيْرَ خَافٍ،      صُبْحٌ بِهِ نُبَّةَ الْوَلِيدِ؛  
أَيَقْظَ مَنْ كَانَ ذَا مَنَامٍ      لَمَّا انْجَلَى لَيْلُهُ الْبَهِيمِ،  
وَأَرْسَلَ الدَّمَاعَ كَالْغَمَامِ      فِي كُلِّ وَادٍ بِهِ أَهِيمِ<sup>(٣)</sup>.

★ ★ ★

يَا جَسِيرَةً عَهْدُهُمْ كَرِيمٍ      وَفَعَلَهُمْ كُلُّهُ جَمِيلٌ،

(١) عهدي السليم: عهدي الذي كان سلاماً في ربوعها. لو رعى طرفها ذمامي: لو دام لي صفاؤها. ما بت في ليلة السليم: ما قضيت زماناً (بعد ذلك) أنالَم كَأَنِّي سَلِيمٌ (مُلْدَوِّغٌ).

(٢) على اقتراح: حسب مقترحي، على ما أشتهي. أعل: أسقى مرةً بعد مرة. الرضاب: الرقيق. الراح: الخمر. والحباب الذي يطفو على سطح تلك الخمر من ثغر الحبيب. الجراح: النشاط. الكيام: الورق الأخضر الذي يلف الزهر قبل أن يتفتح. الوسيم: ذو الملامح الجميلة. - وقوامي المتأيل من الشباب أجل من الفصن المتأيل في النسيم.

(٣) ضاف: سابع، يمم كل ما ألقى عليه. المورد: (الشريعة) المكان الذي يستقي الناس منه. البرد: الثوب. برد الشباب جديد (في أول الشباب). الفود: الشعر في طرف الرأس عند الأذن. صبح (شيب). قد نبه الوليد: قد دعا الذي يظن نفسه أنه لا يزال صغيراً إلى التفكير بانقضاء القسم الجميل من عمره. لَمَّا انْجَلَى (انْجَابَ، زال، انقضى) ليله البهيم (الأسود، كناية عن الشباب الذي يكون الشعر فيه أسود). أهيم: أسير على وجهي من غير تفكير (أصبحت نادماً على كل ما كنت قد عملته في إبان جنون الشباب).



لا تَعْدِلُوا الصَّبَّ إِذْ يَهْمُ الْقُرْبُ مِنْ رَبِّكُمْ نَعِيمٌ، كَمْ مِنْ رِيَاضٍ بِهِ وَسَامُ غَدِيرُهَا أَزْرَقُ الْجِهَامِ، فَقَبَلَهُ قَدْ صَبَا جَمِيلٌ. وَبُعْدُكُمْ خَطْبُهُ جَلِيلٌ. يُزْهِى بِهَا الرَّائِضُ الْمُسِيمُ؛ وَنَبَتْهَا كُلُّهُ جَمِيمٌ<sup>(١)</sup>.

★ ★ ★

أَعْنَسِدَكُمْ أَنَّنِي بِفَاسٍ أَذْكُرُ أَهْلِي بِهَا وَنَاسِي، اللَّهُ حَنِي، فَكَمْ أَقَاسِي مُطَارِحاً سَاجِعَ الْحَمَامِ وَالدمْعُ قَدْ لَجَّ فِي انسِجَامِ أكَابِدُ الشَّوْقِ وَالْحَنِينِ<sup>(٢)</sup>؟ وَالْيَوْمُ فِي الطَّوْلِ كَالسَّنِينِ. مِنْ وَخْشَةِ الصَّبِّ وَالْبَنِينِ، شَوْقاً إِلَى الْإِلْفِ وَالْحَمِيمِ؛ وَقَدْ وَهَى عِقْدُهُ النَّظِيمِ.

★ ★ ★

يَا سَاكِنِي جَنَّةِ الْعَرِيفِ، كَمْ تَمَّ مِنْ مَنْظَرٍ شَرِيفٍ وَرَبٌّ طَوْدٍ بِهِ مُنِيفٍ وَالنَّهْرُ قَدْ سَلَ كَالْحُسَامِ وَالزَّهْرُ قَدْ رَاقَ بِابْتِسَامِ أَسْكِنْتُمْ جَنَّةَ الْخُلُودِ. قَدْ حُفَّ بِالْيَمْنِ وَالسُّعُودِ! أَذْوَاحُهُ الْخَضِرُ كَالْبُنُودِ؛ لِرَاحَةِ الشَّرْبِ مُسْتَدِيمِ، مُقَبِّلاً رَاحَةَ النَّدِيمِ<sup>(٣)</sup>.

(١) لا تعدلوا: لا تلوموا. الصب: الحب المشتاق. صبا: مال (إلى النساء)، أحب. جميل = جميل بن معمر الشاعر الأموي العذري. الربع: المسكن، المكان المعمور. الخطب: الشأن، الأمر (المصاب). جليل: عظيم، خطير. وسام جمع وسيم: جميل. يزهى: يتنهر، يمتد بنفسه. الرائض: المتنزه في الرياض. المسم الذي يرسل أنعامه للرعي (كناية عن الشاب الذي يندفع في شبابه بغير رادع ولا قيد). أزرق الجهام (الأطراف): ماؤه صاف. الجميم: النبات الكثير المنتشر (كل هذا كناية عن الشباب).

(٢) أكابد: أقاسي. الصب: الحب (إشارة إلى زوجته). مطارحاً ساجع الحمام: مشاركاً الحمام في نواحه. لجّ في انسجام: تدافع في الهطول والسقوط. وهى (ضُف) عقده النظم: الخطب الذي كان يمسك الدمع من قبل (يشبه دموعه باللؤلؤ الملوك في خيط، فإذا انقطع الخيط تآثر اللؤلؤ وتفرق) وكذلك حيناً فقد هو صبره (الذي كان كالخيط لدموعه) أخذت هذه الدموع تسيل بلا توقف.

(٣) جنة العريف: جنة جميلة جداً في قصر غرناطة. ثم: هنالك (في جنة العريف). حف: أحبط. اليمن: =

- ولاين زمرك من موشحة أخرى:

لَوْ تَرَجِعُ الْأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهَابِ      لَمْ تَقْدَحِ الْأَيَّامُ ذِكْرِي حَبِيبُ<sup>(١)</sup>  
وَكُلُّ مَنْ نَامَ لَيْلِ الشَّبَابِ      يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُبْحِ الْمَشِيبِ<sup>(٢)</sup>

★ ★ ★

يَا رَاكِبَ الْعَجْزِ، أَلَا نَهَضْتُ.      قَدْ ضَيَّقَ الدَّهْرُ عَلَيْكَ الْمَجَالَ.  
لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الصَّبَا رَوْضَةٌ      تَنَامُ فِيهَا تَحْتَ فَيْءِ الظَّلَالِ.  
فَالْعَيْشَ نَوْمٌ وَالرَّدَى يَقْبِظَةٌ<sup>(\*)</sup>،      وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخَيْالِ.  
وَالْعُمْرُ قَدْ مَرَّ كَمَرِّ السَّحَابِ      وَالْمُلْتَقَى بِاللَّهِ عَمَّا قَرِيبِ.  
وَأَنْتَ مَخْدُوعٌ بَلَمْعِ السَّرَابِ      تَحْسُبُهُ مَاءً وَلَا تَسْتَرِيبُ<sup>(٣)</sup>!

★ ★ ★

- وقال ابنُ زمرك من كلامٍ له يمتزجُ فيه الشعرُ بالنثر (الإحاطة ٢: ٢٣٧ وما بعد):

يَا جَانِحَةَ الْأَصِيلِ، أَيْنَ يَذْهَبُ قُرْصُكَ الْمَذْهَبُ وَقَدْ ضَاقَ بِالشُّوقِ الْمَذْهَبُ<sup>(٤)</sup>؟

= البركة. طود: جبل. منيف: عال. الدوح: الشجر الكبير. البنود: الأعلام (يقول: سمو أشجاراً في هذه الجنينة كأنها أعلام مرتفعة). قد سلّ كالحسام (السيف) كناية عن أنه أبيض جار صاف يسر به الشرب (الذين يشربون الخمر معاً). مستديم: دائم، لا ينقطع جريانه في جميع فصول السنة. راق: حسن منظره. بآبتسام: ضحك (كناية عن تفتحه). مقبلاً راحة (باطن الكف) النديم (كل رجل يشرب الخمر مع آخر): يحمل منه النديم في كفه.

(١) - أن مرور الزمن ينسي الإنسان أحياءه.

(٢) وكل من نام (غفل عن الأعمال الصالحة) يوقظه الدهر (يجعله الدهر يندم). ليل الشباب (كناية عن سواد الشعر). صبح المشيب (كناية عن بياض الشعر).

(\*) يقظة (بفتح ففتح)، ثم هي خطأ في التقفية مع «روضة...».

(٣) لمع السراب (انعكاس للضوء يرى من بعيد كأنه ماء): كناية عن الشباب. استراب فلان بفلان: رأى منه ما يريب (ما يدعو إلى الشك والتهمة).

(٤) هذه قطعة من الإنشاء المنمق. من أجل ذلك سأكتفي بالتفسير اللغوي. الجانحة (المائلة). الأصيل: من منتصف الوقت بين الظهر وغروب الشمس حتى غروب الشمس. جانحة الأصيل: الشمس. القرص (قرص الشمس: جرمها - بالكسر). المذهب (بالضم): اللون بلون الذهب. الشوق: الحب. المذهب (بالفتح): الطريق.

أُمسَتْ شَمُوسُ الْأَنْسِ مُحْجُوبَةً عَنْ عَيْنِي، وَقَدْ ضَرَبَ الْبُعْدُ الْحِجَابَ بَيْنَهَا وَبَيْنِي. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ - مِنْ إِقَامَةٍ وَتَرْحَالٍ - فَمَا عَمَلِكَ فِي قَلْبِي مَحَلًّا فِيهَا<sup>(١)</sup>، وَمَا كُنْتُ لِأَقْنَعُ مِنْ وَجْهِكَ تَخْيِيلًا وَتَشْبِيهًا. وَمَنْ أَيْنَ أَنْتَظَمْتَ لَكَ عَقُودُ التَّشْبِيهِ، وَأَنْتَ مُتَجَمِّلٌ بِثَوْبِي زُورٍ، وَجَيْبُ الظَّلَامِ عَلَى جَنْبِكَ حَتَّى الصَّبَاحِ مَزْرُورٌ<sup>(٢)</sup>. وَرَاءَكَ مِنَ الصُّبْحِ غَرِيمٌ مُطَالِبٌ تَتَقَلَّبُ فِي كَفِّهِ الْمَطَالِبُ.

وَيَا بَرَقَ الْغَمَامِ، مِنْ أَيِّ حِجَابٍ تَبْتَسِمُ! وَبِأَيِّ صُبْحٍ تَرْتَسِمُ! وَأَيُّ وَجْهِهِ مِنَ السَّحَابِ تَسِمُ<sup>(٣)</sup>؟ أَلَيْسَتْ مِبَاسِمُ الثُّغُورِ لَا تُنْجِدُ بِأُفْقِي وَلَا تَغُورُ<sup>(٤)</sup>؟ هَذَا، وَإِنْ كَانَتْ مِبَاسِمُكَ مُفْتَرَّةً، فَلَطَالَمَا ضَحِكْتَ فَأَبْكْتَ الْفُؤَادِيَّ وَعَطَلْتَ الرَّائِحَ وَالْغَادِيَّ<sup>(٥)</sup>.....

- وَمِنْ مَقْطَعَاتِ ابْنِ زَمْرَكِ:

فُؤَادِي قَدْ تَمَلَّكَهُ الْغَرَامُ،      وَوَجْدِي لَا يُطَاقُ وَلَا يُرَامُ<sup>(٦)</sup>.  
وَدَمْعِي دُونَهُ صَوْبُ الْفُؤَادِي،      وَشَجْوِي قَوْقَ مَا يَشْدُو الْحَمَامُ<sup>(٧)</sup>.  
إِذَا مَا الْوَجْدُ لَمْ يَبْرَحْ فُؤَادِي،      عَلَى الدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا السَّلَامُ<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) عَمَلُكَ (مكانك). مَحَلًّا (كذا بالأصل. اقرأ: عَلَيَّ: حُلُوءًا، مَحْبُوءًا).
- (٢) ثَوْبًا زُور (باطل): الْأَفُقُ وَالتَّفَقُّعُ عَلَى الْأَفُقِ (٤) - لَوْنُ الْأَفُقِ الْغَرِيبِ بَعْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ يَرَى أَجَلَ مِنْ لَوْنِهِ قَبْلَ غِيَابِ الشَّمْسِ (٤). الْجَيْبُ: مَدْخَلُ الْعُنُقِ مِنَ الثَّوْبِ. حَتَّى الصَّبَاحِ (طُولُ اللَّيْلِ). مَزْرُورٌ (مَعْقُودٌ بِالْأَزْرَارِ): مَغْلُوقٌ.
- (٣) مَا أَجَلَ الْحِجَابِ (السَّتَارِ: صَفْحَةُ الْغَيْمِ) الَّذِي تَبْتَسِمُ (تَلْمَعُ) مِنْ خِلَالِهِ. وَمَا أَجَلَ النُّورِ الَّذِي تَتَمَثَّلُ بِهِ (عِنْدَ الْبَرَقِ). وَمَا أَجَلَ صَفْحَةِ الْغَيْمِ الَّتِي تَضِيئُهَا عِنْدَ لَمَعَانِكَ (يَا بَرَقَ).
- (٤) مِبَاسِمُ الثُّغُورِ (جَمْعُ ثَغْرٍ: فَمُ الْحَبُوبِ). لَا تُنْجِدُ: لَا تَرْتَفِعُ (لَا تَشْرُقُ: لَا تَظْهَرُ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مَخْتَفِيَةً) وَلَا تَغُورُ: تَغِيِبُ (كَالْثَّمَنِ الْعَادِيَّةِ). ضَحْكُ الْغَيْمِ بِأَيْرِقٍ. أَبْكَى الْفُؤَادِي (جَمْعُ غَادِيَةٍ: الْغَمَامُ الْمَقْبَلُ صَبَاحًا) فَأَبْكَيْهَا (جَعَلْتُهَا تَمْطُرُ).
- (٥) الرَّائِحَ: الرَّاجِعَ (فِي الْمَاءِ) إِلَى مَكَانِهِ الْأَصْلِيِّ (بَيْتِهِ). الْغَادِي: الْمُنْطَلِقُ فِي الصَّبَاحِ إِلَى مَا يَقْصِدُ (إِلَى عَمَلِهِ).
- (٦) الْوَجْدُ: أَلَمُ الْحُبِّ. لَا يُطَاقُ (لَا يُطِيقُهُ أَحَدٌ إِذَا فُرِضَ عَلَيْهِ) وَلَا يُرَامُ (لَا يُطْلَبُهُ أَحَدٌ بِاخْتِيَارِهِ).
- (٧) دُونَهُ: أَقْلَ مِنْهُ. صَوْبُ: هَطُولُ، انْسِكَابُ، انْصِبَابُ. الْفُؤَادِي: الْغَيْومُ الْمُمْطِرَةُ فِي الصَّبَاحِ. الشَّجْوُ: الْحُزْنُ. - الْحَمَامُ دَائِمُ التَّصَوُّيْتِ.
- (٨) الْوَجْدُ: الْحُبُّ. بَرَحَ: تَرَكَ.

★ أيا لائمي في الجود، والجود شيمتي، جُلبتُ على إثارها يومَ مَوْلدي <sup>(١)</sup>.  
 ذريني، فلو أني أُخَلدُ بالغنى لَكنتُ ضنيناً بالذي ملكتُ يدي <sup>(٢)</sup>.  
 ★ لقد علم الله أني أمرؤُ وفازتُ قِداحي بوصلِ الحبيب <sup>(٣)</sup>.  
 فكم غمضَ الدهرُ أجفانه وقيل: رَقِيبُكَ في غَفلةٍ؛ وفازتُ قِداحي بوصلِ الحبيب <sup>(٤)</sup>.  
 فقلتُ: أخافُ الإلَهَ الرقيبَ.

★★-٤ الكتيبة الكامنة ٢٨٢-٢٨٨؛ الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢: ٢٢١-٢٢٠؛  
 نثير الجمان ٣٢٧-٣٢٩؛ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ٣١٢-٣١٣؛ نيل  
 الابتهاج ٢٨٢-٢٨٣؛ نفح الطيب ٥: ٤٦-٥٠، ٧٥-٨٠، ١٣٤-١٣٦،  
 ١٦٩-١٨٠، ١٩٤-١٩٧، ١٤٥-١٦٦، ٢٧٩-٢٨١؛ أزهار الرياض ٢:  
 ٧-٢٠٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٢-٩٧٣؛ بروكلمن ٢: ٣٣٦، الملحق  
 ٢: ٣٧٠؛ نيكل ٣٦٦-٣٦٩؛ مختارات نيكل ٢١٦-٢١٨؛ الاستقصا ٢:  
 ١٢١-١٢٢ (وصف الزرافة)؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٨ (٧: ١٥٤)؛ مجلة العربي  
 (الكويت) أيلول-سبتمبر ١٩٦٢ (ص ١٠٨)؛ بالنشيا ١٣٩-١٤٢.

### ابن فرحون

١- هو بُرهانُ الدين إبراهيمُ بنُ عليٍّ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ أبي القاسمِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ فرحونِ  
 اليعمرِّي الأندلسي المالكي الأباي <sup>(٥)</sup> (بضمّ الهمزة) الجَيَّانيُّ نسبةً إلى بَلَدَيْنِ في  
 الأندلس.

وُلِدَ ابنُ فرحون في المدينةِ وَبَدَأَ دِرَاسَتَهُ على أبيهِ وعمِّهِ وعلى جمالِ الدين أبي عبدِ

- 
- (١) الشيمة: الخصلة. الإيثار: التفضيل.  
 (٢) ذريني: اتركني. أخلد: أبقى في الحياة إلى الأبد. ضنين: حريص، بخيل..- لَكنتُ ضنيناً.... (لما  
 أنفقت كلَّ ما كنت أملكه).  
 (٣) ثوب العفاف (كناية عن العفة: ترك إتيان ما هو حرام في الدين وفي الخلق). القشيب: الجديد. ما زال  
 عفاي جديداً (لم أدنسه بشيء حرام).  
 (٤) كثيراً ما سنحت لي فرصة للاتصال بالهبوب، ولم يكن أحد يرانا.  
 (٥) في تطريز الديباج (ص ٣٠): الإباي (بالياء).

الله محمد بن أحمد بن خلف المطري الخزرجي (ت ٧٤١ هـ) وكان خطيب المدينة وكبير المؤذنين فيها. وكان الحديث أكثر دراسته.

ورحل ابن فرحون مراراً إلى مصر. وفي سنة ٧٩٢ زار القدس والشام وحج ولقي (في الحج) أبا عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الوردغامي التونسي (٧١٦-٨٠٣ هـ) فأعجب به ابن عرفة وأجاز له رواية جميع ما سمعه منه ورواية جميع كتبه. وفي ربيع الآخر من سنة ٧٩٣ (١٣٩١ م). عين قاضياً في المدينة.

وكانت وفاة ابن فرحون في العاشر من ذي الحجة من سنة ٧٩٩ (١٣٩٧/٩/٤ م)، بعد أن فُلع شقه الأيسر.

٢- كان ابن فرحون من أهل بيت علم ومن صدور المدرسين واسع المعرفة حسن التحقيق رأساً في أصول الفقه وفروعه وبالفروض والوثائق<sup>(١)</sup> عارفاً بالتاريخ والنحو والطب أيضاً. وقد كان شديد النصرة لمذهب الإمام مالك. ولابن فرحون تأليف منها: تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات (وهو شرح مختصر ابن الحاجب<sup>(٢)</sup>)، وقد جمعه من نفر من الشراح في ثمانية أسفار - تبصرة الحكماء في أصول الأقضية ومناهج الأحكام - درة الفواص في محاضرة الخواص (آله الغازي على أبواب الفقه) - كشف النقاب الحاجب عن مصطلح ابن الحاجب<sup>(٣)</sup> - ارشاد السالك إلى أفعال المناسك (في الحج) - المنتخب في مفردات ابن البيطار<sup>(٤)</sup> (في الطب والأدوية) وغير ذلك مما لم يتم تأليفه. وقد شهر بكتابه: «الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب» انتهى من تأليفه في شعبان من سنة ٧٦١ (١٣٦٠ م). يبدأ هذا الكتاب بمقدمة قصيرة (راجع مختارات من آثاره) يأتي بعدها فهرس موجز (غير الفهرس المقيّد بالصفحات) (والذي ألقه الناشر بالكتاب). ثم تأتي تسع عشرة صفحة

(١) الفروض والفرائض: تقسيم الإرث الوثائق والتوثيق (كتابة العهود والصكوك بين المتخاصمين والمتراضين والتبايعين).

(٢ و٣) راجع ٣: ٥٥٩.

(٤) ابن البيطار: عبد الله بن أحمد الملقب الأندلسي (ت ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م). من علماء النبات والأعشاب التي تدخل في الأدوية. الأدوية المفردة: المواد التي تدخل في تركيب الدواء.

في حياة الإمام مالك وأحواله وتأليفه ثم تأتي بعد ذلك التراجم على الحروف الهجائية.

### ٣ - مختارات من آثاره

- من مقدمة الديباج المذهب:

..... وبعد، فإن أولى ما أُنحِفَ به الطالبُ اللبيب ودُونَ للأديب الأريب<sup>(١)</sup> التعريفُ بحال مَنْ جَعَلَ تَقْلِيدَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حُجَّةً وَاتَّخَذَ اقْتِفَاءَهُ هَدْيَهُ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَحَجَّةً<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ حَالِ الرُّوَاةِ عَنْهُ وَالنَّاقِلِينَ عَنْهُمْ وَالْمُجْتَهِدِينَ فِي مَذْهَبِهِ وَالْقَائِمِينَ عَلَى أُصُولِهِ وَالْمُقْتَنِينَ عَلَى قَوَاعِيدِهِ وَالْمُدَوِّنِينَ لِمَسَائِلِهِ وَتَمْيِيزِ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالدِّينِ وَالْوَرَعِ وَالتَّعْرِيفِ بِثَقَاتِهِمْ وَشَهَادَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيهِمْ وَفِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ. فَشَرَفُ الْعِلْمِ بِهَذَا الْفَنِّ مَعْلُومٌ وَالْجَهْلُ بِهِ مَذْمُومٌ. وَلَيْسَ هُوَ مِمَّا قِيلَ فِيهِ: عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ وَجَهَالَةٌ لَا تَضُرُّ، فَإِنَّ هَذَا مَقُولٌ فِي عِلْمِ الْأَنْسَابِ<sup>(٣)</sup>، وَهُوَ فَنٌّ غَيْرُ هَذَا.

وقد ذَكَرْتُ فِي هَذَا الْمَجْمُوعِ الْوَجِيزِ مَشَاهِيرَ الرُّوَاةِ وَأَعْيَانَ النَّاقِلِينَ لِلْمَذْهَبِ وَالْمُؤَلِّفِينَ فِيهِ وَمَنْ تَخَرَّجَ بِهِ أَحَدٌ<sup>(\*)</sup> مِنَ الْمَشَاهِيرِ وَجَامِعَةٍ مِنْ حِفْظِ الْحَدِيثِ. وَأَضْرَبْتُ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِ الْمَشَاهِيرِ إِثَاراً لِلِاخْتِصَارِ، لِأَنَّ الْإِحَاطَةَ بِهِمْ مُتَعَذِّرَةٌ وَاسْتِيفَاءُ مَنْ يُمَكِّنُ ذِكْرَهُ يَخْرُجُ عَنِ الْمَقْصُودِ. وَذَكَرْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْ دَرَجَةُ الْأُئِمَّةِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ قَصْداً لِلتَّعْرِيفِ بِحَالِهِمْ لِكُونِهِمْ قَصَدُوا التَّأْلِيفَ وَلِأَنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالاً. وَكَذَلِكَ ذَكَرْتُ بَعْضَ الرُّوَاةِ الْحِفَاطِ الْمُتَأَخِّرِينَ لِكُونِهِمْ مِنْ مَشَاهِيرِ أَهْلِ زَمَانِنَا. وَلَمْ يَقَعْ تَرْتِيبُ أَسْمَائِهِمْ فِي هَذَا التَّأْلِيفِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ، بَلْ وَقَعَ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ. وَذَكَرْتُ الْعُذْرَ عَنْ ذَلِكَ فِي آخِرِ الْأَسْمَاءِ.

(١) الاتحاف: إهداء الأشياء الثمينة. الأريب: ذو الذكاء والفطنة (بكسر الفاء).

(٢) تقليده = تقليد المتأخر للمتقدم (تقليد الذين جاءوا بعد الإمام مالك لملك). اقتفاء: اتباع. الهجة: الطريق المستقيم (الواضح).

(٣) علم الأنساب (النسب): قرابة بعض الناس من بعض.

(\*) ... ومن تخرج به أحد من المشاهير (وذكرت أشخاصاً من غير المشاهير إذا كان قد تلقى العلم عليه رجل مشهور).

وبدأتُ بِمُقَدِّمَةٍ تشتملُ على ترجيحِ مذهبِ مالكٍ والحجَّةِ في وجوبِ تقليدهِ مُلَخَّصاً من كلامِ الإمامِ أبي الفضلِ عياضِ بنِ موسى رَحِمَهُ اللهُ في مُقَدِّمَةِ كتابهِ المُسمَّى بالمداركِ \* \*. وأتَّبَعْتُ ذلكَ بِذِكْرِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والتعريفِ بِنبذةٍ يسيرةٍ من أحواله. (ثم يأتِي) ذِكْرُ مَنْ اشتملَ عليهم هذا التَّأليفُ مرتباً على حُرُوفِ المُعْجَمِ ليسهلَ الكَشْفُ عن المطلوب. وَسَمَّيْتُهُ «الدِّيَاجَ المَذْهَبَ في أعيانِ عُلَمَاءِ المَذْهَبِ»....

- ٤- تبصرة الحَكَّام.... (على هامش «فتح العلي» لمحمد بن عليش)، فاس (طبع حجر) ١٣٠١ هـ (راجع سركيس ١٣٧٤)؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (مطبعة مصطفى محمد) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ.
- الديباج المذهب، فاس (طبع حجر) ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٩ هـ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٩ هـ؛ القاهرة ١٣٣٠؛ (طبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون)، القاهرة (مطبعة المعاهد) ١٣٥١ هـ.
- \* \* نيل الابتهاج ٣٠ - ٣٢؛ شذرات الذهب ٦: ٣٥٧؛ الدرر الكامنة ١: ٤٨؛ بروكلمن ٢: ٢٢٦، الملحق ٢: ٢٢٦ (أيضاً)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٣؛ الأعلام للزركلي ١: ٤٧ (٥٢)؛ معجم المؤلفين لكحالة؛ سركيس ٣٠٢ - ٣٠٣.

## أبو زيد المَكُودِيّ

١- هو أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المَكُودِيّ، نسبةً إلى بني مَكُودٍ من قبائل هَوَارةٍ (مَسْكَنُهُم بَيْنَ فاسٍ وتازة) المَطَرَزِيّ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٢٦ للهجرة أو ١٣٢٦ م (راجع سركيس ١٧٨٦).

تصدَّرَ أبو زيد المَكُودِيّ لتدريسِ النَّحْوِ في فاس (راجع نفح الطيب ٥: ٤٢٨)، وكانَ يُدَرِّسُ الكتابَ (كتابُ سيبويه) في مدرسةِ العطارين - وهو آخرُ من درَّسَ هذا الكتابَ في فاس - إذ أصبحَ الأعتمادُ فيما بعدُ على أُلْفِيَّةِ أبْنِ مالِكٍ والتي كانَ المَكُودِيّ قد وضعَ عليها شَرْحاً جيِّداً.

(\*) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك (بروكلمن ١: ٤٥٦).

وكانت وفاة المكوذيّ هذا في فاس في الحادي عشر من شعبان ٨٠٧  
(١٣/٢/١٤٠٥) في الأغلب.

٢- كان أبو زيد المكوذيّ، في زمنه، عالم فاس وأديبها، بارعاً في الفقه وفي العلوم اللسانية من اللغة والنحو والعروض والأدب، كما كان شاعراً راجزاً ومُقَصِّداً. ثمّ إنه كان مُصنِّفاً له: شرح ألفيّة ابن مالك - شرح مقدّمة ابن آجرّوم - شرح المقصور والممدود لابن مالك - البَسْط والتعريف في نظم علم التصريف - نظم المُعَرَّب من الألفاظ - المقصورة (نحو ثلاثمائة بيت، أراد بها مدح الرسول ومُعارضة مقصورة حازم القرطاجنيّ. ولكنها مملوءة بالشكوى أيضاً. وفيها كثير من ترداد المعاني إلى جانب اتّكائه فيها على معاني السابقين، من كعب بن زهير، إلى ابن دريد إلى حازم القرطاجنيّ إلى البوصيريّ. وفي هذه المقصورة براعة وسهولة وإن كان المكوذيّ يتكلّف فيها الغريب من اللفظ أحياناً كما فعل في الأبيات المتعلقة بوصف الجمل).

### ٣- مختارات من آثاره

- من مقصورة المكوذيّ الفاسي:

أرّقني بارقٌ نَجْدٍ إذ سَرَى      يَوْمِضُ ما بين فُرادي وثْنِي<sup>(١)</sup>.  
فِيالهِ من بارقٍ ذَكَرَنِي      من الهوى ما كُنْتُ عنه في غِنَى.

- وبعد أن يصف روضاً بعد ليل من المطر يقول:

وأشْتَكِي دَهراً دَهاني صَرْفَه      لَمّا قَضَى بالْبَيْنِ فيما قد قَضَى<sup>(٢)</sup>.  
مَنازِلٌ كانتْ بنا أَواهِلاً      نَلْنَا بها حيناً أَسالِبَ المُنَى.  
كَمْ بَتُّ في أَفْئاثِها أَجْري إلى      غَايَاتها بِطِرفٍ جِدُّ ما كَبَا<sup>(٣)</sup>.

(١) فرادي وثني (قد يأتي البرق مرّة أو مرّتين مرّتين).

(٢) صرف الدهر وتصاريفه (مصائبه). البين: البعاد.

(٣) الطرف (بكسر الطاء): الفرس السابق. كبا: عثر، وقع.



وكم سَحَبْتُ، إِذْ صَحَبْتُ غَيْدَهَا  
وكم لثَمْتُ زَهْرَ فُغْرِ أَشْنَبِ  
وكم رَشَفْتُ مِنْ رُضَابِ سَلْسَلِ  
أَيَّامُ أَزْهَارِ الْمُنَى مُوْنَقَةُ  
يَا لَيْتَ شِعْرِي، وَالْأَمَانِي خُدَعٌ،  
وَهَلْ لَنَا مِنْ عَوْدَةٍ لِمَعْهَدِ  
وَالدَّهْرُ فِي صُرُوفِهِ ذُو عَجَبِ  
يُبْكِي إِذَا أَضْحَكَ يَوْمًا أَهْلَهُ،  
هَذَا هِيَ الدُّنْيَا فَلَا يَغُرُّكَ مَا  
فَانْفَضَّ يَدَيْكَ مِنْ عُرَاهَا وَارْمِهَا  
وَسِرِّكَ اكْتُمْنَاهُ عَنِ الْخَلْقِ وَلَا  
وَاقِنْعٍ - عَلَى عِزٍّ - بِمَا يَكْفِي، وَلَا  
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ لِدَوْدِهِ  
يَبْشُرُ فِي وَجْهِكَ إِنْ لَاقَيْتَهُ،  
يُذِيعُ مَا يَرَاهُ مِنْ قُبْحٍ، وَإِنْ

بِرَوْضِهَا، ذَيْلَ السُّرُورِ وَالْهَنَاءِ\*.  
مِنْ شَادِنٍ عَذَبِ الثَّنَايَا وَاللَّمَى<sup>(١)</sup>.  
يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ أَفْعَالَ الطَّلَا<sup>(٢)</sup>.  
وَالدَّهْرُ ذُو وَجْهِ مُنِيرٍ مُجْتَلَى<sup>(٣)</sup>.  
هَلْ يَرْجِعُ الدَّهْرُ لَنَا عَهْدًا مَضَى<sup>(٤)</sup>؟  
صَبَوْتُ فِيهِ جُلًّا أَيَّامِ الصَّبَا<sup>(٥)</sup>.  
يُدْنِي بِهَا كُلَّ جَدِيدٍ لِلْبَلَى<sup>(٦)</sup>.  
وَيُغْقِبُ الْكَرْبَ إِذَا الْعَيْشُ صَفَا.  
تَرَاهُ فِيهَا مِنْ سُورٍ وَهَنًا\*،  
وَإِذَا رَأَى بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ التَّهْنَى<sup>(٧)</sup>.  
تُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنَ الْوَرَى<sup>(٨)</sup>.  
تَخْرِصُ؛ فَإِنَّ الْحِرْصَ ذُلٌّ لِلْفَتَى.  
لَكِنْ لَهُ قَلْبٌ عَلَى الْحِقْدِ انْطَوَى:  
وَإِنْ تَغَيَّبَ يَغْتَبِكُ فِي كُلِّ مَلَا<sup>(٩)</sup>؛  
رَأَى جَمِيلًا مِنْكَ أَخْفَى مَا رَأَى.

- (١) الشنب: البياض في الأسنان: الثادن: الغزال الصغير. اللمي: السمرة في الشفاء.  
(٢) الرضاب: الريق ما دام في الفم. السلسل: الذي يجري في الحلق بسهولة. اللب (بالضم): العقل. الطلاء (بالكسر): الخمر. \* الهناء: القَطْرَان (والشاعر يقصد الهناءة: الفرح والسُرور).  
(٣) موقنة: جبلة تعجب العين. مجتلى: يحب الناس أن ينظروا إليه.  
(٤) خدع (بضم ففتح) جمع خدعة (بالكسر). وخدع (بضم وتشديد أو بضم فضم) جمع خادع. رجع يرجع (فعل لازم ومتعد).  
(٥) صبا: مال (سلك فيه مسلك المحبين). جل: معظم، أكثر.  
(٦) صروف الدهر: تقلبه (ومصائبه). البلى: التهرؤ.  
(٧) العروة (بالضم) الحلقة (للزّر وشبهه)، ما يمسك به المتقلقل. ادراً: ادفع (عنك بها مصائب الدهر). النهى: العقل.  
(٨) الورى: الناس، مجموع الخلق.  
(٩) ملا = ملأ: النخبة من القوم، (وهنا): كلّ يجمع من الناس.

كَمْ خُضْتُ فِي بَحْرِ الْمَعَاصِي جَامِحاً      لَا أَرْعُو نُصْحاً لِلْخَيْرِ مَنْ لِحَا<sup>(١)</sup>؟  
وَكَمْ تَعِبْتُ إِذْ تَبِعْتُ أَملاً      قَدْ انْقَضَتْ لَذَاتُهُ وَمَا انْقَضَى.  
وَاحْشَرْتَا، قَدْ مَرَّ عُمْرِي ضَائِعاً      بَيْنَ خُرْعَبَاتٍ لَهْوٍ وَهَوَى.  
هَلَكْتُ فِي الْهَلَاكِ لَوْلَا أَنِّي      ذَخَرْتُ ذُخْراً أَرْتَجِي بِهِ الْهُدَى.  
وَلَيْسَ ذُخْرِي غَيْرَ مَدْحِ أَحَدٍ      سَيِّدِ أَهْلِ الْأَرْضِ طُرّاً وَالسَّمَاءِ<sup>(٢)</sup>:  
مَقْصُورَةً، لَكِنَّهَا مَقْصُورَةٌ      عَلَى امْتِدَاحِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى<sup>(٣)</sup>.

- من شرح المكوّديّ على ألفية ابن مالك:

أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا شَرْحٌ مُخْتَصَرٌّ عَلَى أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ مُهَذَّبُ الْمَقَاصِدِ<sup>(١)</sup> وَاضِحُ الْمَسَالِكِ  
تَفْهَمُ بِهِ أَلْفَظُهَا وَيَحْطَى بِمَعَانِيهَا حِفَاطُهَا، مُعَرِّبٌ عَنْ إِعْرَابِ أُبَيَّاتِهَا<sup>(٢)</sup> وَمُقَرِّبٌ لَهَا  
شَرْدَ مِنْ عِبَارَاتِهَا<sup>(٣)</sup>، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلنَّقْلِ<sup>(٤)</sup> عَلَيْهَا وَلَا إِضَافَةٍ غَيْرِهَا إِلَيْهَا، وَلَا  
إِنْشَادٍ شَوَاهِدَ إِلَّا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَلَا إِيرَادِ مَذَاهِبَ إِلَّا مَا لَا مَدْرُوحَةَ عَنْهُ<sup>(٥)</sup>، يَسْتَفِيدُ  
بِهِ الْبَادِي وَيَسْتَحْسِنُهُ الشَّادِي<sup>(٦)</sup>. وَالبَاعِثُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ بَعْضَ الطَّلِبَةِ الْمُبْتَدِئِينَ  
وَالْفِتَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُتَعَنِّينَ يَحْفَظُهَا الْقَانِعِينَ بِمَعْرِفَةِ لَفْظِهَا طَلَبَ مِنِّْي أَنْ أَضَعَ شَرْحاً  
عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْتُهُ وَ(أَنْ) أَبَيَّنَ أَلْفَظُهَا وَمَعَانِيهَا عَلَى حَسَبِ مَا وَصَفْتُهُ. فَأَجَبْتُهُ إِلَى  
مَا اقْتَرَحَ عَلَيَّ وَأَسَعَفْتُهُ بِمَا أَمَلْتُ لَدَيَّ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْفَعُنَا وَإِيَّاهُ بِالْعِلْمِ.

(١) الجامع: الحصان الثارد: اللحي: اللوم.

(٢) أحد من أسماء محمد رسول الله.

(٣) مقصورة (الأولى): قصيدة مبنية في قافيتها على الألف المقصورة. مقصورة (الثانية): قاصرة على (شيء واحد)، مخصوصة بشيء واحد. المصطفى من أسماء محمد رسول الله.

(٤) مهذب المقاصد: مختصر الأهداف (لم أذكر فيه جميع الوجوه التي تجوز في كل موضوع من مواضع الصرف والنحو).

(٥) معرب: مبين.. وكثيراً ما يعرب المكوّديّ أبيات هذه الألفية.

(٦) ليا شرد من عباراتها (لما كان غير واضح من عباراتها).

(٧) للنقل (؟) = للنقد، للتنقيص (التنبيه على ما فيها من الخطأ أو على خلاف ما « نقله » النحاة الآخرون عن العرب).

(٨) مندوحة: منّع (ما لا مندوحة عنه: ما لا بدّ منه).

(٩) الشادي: الذي حصل طرفاً من العلم (لا يكفي لأن يجعله عالماً).

ويزرُقنا وإِيَّاهُ سَلَامَةٌ الْإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ بِمَنْهِ (١) وَكَرَمِهِ. آمِينَ.

- ما لا ينصرف (٢):

(الصَّرْفُ تَنْوِينٌ أَتَى مُبَيَّنًا مَعْنَى بِهِ يَكُونُ الْأَسْمُ أُمْكَنًا)

يَعْنِي أَنَّ الصَّرْفَ هُوَ التَّنْوِينُ الَّذِي يَتَبَيَّنُ بِهِ أَنَّ الْأَسْمَ الَّذِي يَتَّصِلُ بِهِ (٣) يُسَمَّى أُمْكَنًا (٤). وَمَا صَرَّحَ بِهِ مِنْ أَنَّ الصَّرْفَ هُوَ التَّنْوِينُ هُوَ مَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ. وَيُمنَعُ الْأَسْمُ مِنَ الصَّرْفِ لَوْجُودِ عِلَّتَيْنِ أَوْ عِلَّةٍ (وَاحِدَةٍ) تَقُومُ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ. وَقَصْدُهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ يُبَيِّنَ الْأَسْمَاءَ الَّتِي لَا تَنْصَرِفُ، وَإِنَّا ذَكَرَ الصَّرْفَ وَعَرَّفَهُ لِأَنَّ بِمَعْرِفَتِهِ يُعْرَفُ الْأَسْمُ الَّذِي لَا يَنْصَرِفُ. فَمَا وَجَدَ فِيهِ التَّنْوِينُ الْمَذْكُورُ فَهُوَ مُنْصَرِفٌ، وَمَا لَمْ يُوجَدْ فِيهِ (فَهُوَ) غَيْرُ مُنْصَرِفٍ. ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ جَمِيعَ مَا لَا يَنْصَرِفُ اثْنَا عَشَرَ نَوْعًا: خَمْسَةٌ فِي النِّكَرَةِ وَسَبْعَةٌ فِي الْمَعْرِفَةِ.... قَالَ:

(فَالِافُ التَّأْنِيثُ مُطْلَقًا مَنَعَ صَرْفَ الَّذِي حَوَاهُ كَيْفًا وَقَعَ)

يَعْنِي أَنَّ «الِافَ التَّأْنِيثِ» تَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ مُطْلَقًا - أَيِ مَقْصُورَةً كَانَتْ أَوْ مَمْدُودَةً - كَيْفَمَا كَانَ الْأَسْمُ الَّذِي هِيَ فِيهِ، مِنْ كَوْنِهِ نِكَرَةً أَوْ مَعْرِفَةً، مُفْرَدًا أَوْ جَمْعًا، نَحْوُ: ذِكْرَى وَسَلَمَى وَحُبْلَى وَسُكَارَى وَحِمَارَى وَأَسْمَاءَ وَزَكْرِيَّا. وَإِنَّا مَنَعَتِ الْاِيفُ التَّأْنِيثِ وَخَدَّاهُ (الْأَسْمَ الَّذِي هِيَ فِيهِ مِنَ الصَّرْفِ) لِأَنَّهَا قَامَتْ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ، وَهُمَا التَّأْنِيثُ وَلِزُومُ التَّأْنِيثِ (٥).

فـ «الِافُ التَّأْنِيثِ» مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ «مَنَعَ»، وَ «مُطْلَقًا» حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي «مَنَعَ» الْعَائِدِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ. وَ «حَوَاهُ» صِلَةٌ «الَّذِي». وَالضَّمِيرُ الْعَائِدُ مِنَ الصِّلَةِ إِلَى الْمَوْصُولِ (هُوَ) فِي «حَوَاهُ». وَالْهَاءُ فِي «حَوَاهُ» عَائِدَةٌ عَلَى الْاِيفِ التَّأْنِيثِ. وَكَيْفَمَا

(١) الْمَنَ: النِّعْمَةُ، الْكَرَمُ (بِفَتْحٍ فَتَح).

(٢) فِيمَا يَلِي نُمُودَ مِنْ هَذَا الْبَابِ (مَا لَا يَصْرَفُ: الْمَنْعُ مِنَ الصَّرْفِ)، وَلَمْ أَوْرِدْ فِيمَا يَلِي كُلَّ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْأَلْفِيَّةِ وَشَارَحَ الْأَلْفِيَّةِ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ.

(٣) يَتَّصِلُ بِهِ (التَّنْوِينُ) يَقْبَلُ التَّنْوِينَ (جَرَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ عَلَى تَنْوِينِهِ).

(٤) أُمْكَنُ: مُمْكِنٌ، ثَابِتٌ فِي جَمِيعِ وُجُوهِ الْإِعْرَابِ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْعَامَّةِ الْمَأْلُوفَةِ.

(٥) التَّأْنِيثُ وَلِزُومُ التَّأْنِيثِ: التَّأْنِيثُ بِمَعْنَاهُ (عِلَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ) وَلِهَاقِ عِلَامَةِ التَّأْنِيثِ بِهِ (عِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ).

وَقَعَ شَرْطٌ حُذِفَ جَوَابُهُ، لِدَلَالَةِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>. والتقديرُ: «كَيْفَمَا وَقَعَ مَنَعُ الصَّرْفِ».

ثمَّ أشارَ إلى النوعِ الثاني مِمَّا يَمْنَعُ (الصرفَ) في النِّكَرَةِ فقال:

(وزائداً فَعْلانَ في وَصَفٍ سَلِمَ مِنْ أَنْ يُرَى بَتَاءً تَأْنِيثِ خُتِمَ)

يعني أنَّ «زائدي فَعْلانَ» - وهما الألفُ والنونُ الزائدتان - يَمْنَعانِ الصَّرْفَ، إذا كانت في وَصَفٍ سَلِمَ مِنْ أَنْ يُخْتَمَ بَتَاءً التَّأْنِيثِ. والمانعُ له من الصرفِ الألفُ والنونُ والصفةُ. وفُهِمَ منه أنَّ ذلك مخصوصٌ بهذا الوزنِ الذي هو فَعْلانُ. وفُهِمَ من قوله: «في وَصَفٍ»، أنَّ هاتينِ الزَّيادَتَيْنِ لو كانتا في غيرِ الوَصَفِ لم يَمْنَعَا، نحو سَرَحانٍ<sup>(٢)</sup>. وفُهِمَ منه (أيضاً) أنَّ الوَصَفَ المحتوي على هاتينِ الزَّيادَتَيْنِ إذا أُنتَ بالهاءِ لم يَمْنَعِ، نحو نَدَمانٍ فَإِنَّ مُؤَنَّثَهُ نَدَمانَةٌ. فَمِثَالُ ما تَوَقَّعْتَ فيه شُرُوطُ المانعِ غَضبانُ وسكرانُ، فَإِنَّكَ تقولُ في مُؤَنَّثِها: غَضْبى وسكرى، ولا يجوزُ فيها غَضبانَةٌ وسكرانةٌ.

و «زائداً» معطوفٌ على الضميرِ المُستترِ في «مَنَعَ» العائدِ على أَلِفِ التَّأْنِيثِ. وجازَ العَطْفُ عليه للفَصْلُ بالمفعول<sup>(٣)</sup>. والتقديرُ: (أَنَّ الذي) مَنَعَ الصَّرْفَ أَلِفُ التَّأْنِيثِ و «زائداً فَعْلانَ». ويجوزُ أَنْ يَكُونَ («زائداً فَعْلانَ») مُبْتَدَأً، والخبرُ محذوفٌ لِدَلَالَةِ ما تَقَدَّمَ عليه، أي: و «زائداً فَعْلانَ» كذلك<sup>(٤)</sup>. و «سَلِمَ... إلى آخِرِ البيتِ» في موضعِ الصِّفَةِ لـ «وَصَفٍ». و «خُتِمَ» في موضعِ المفعولِ الثاني لـ «يَرى»<sup>(٥)</sup>، و «بتاءً» (جارٌّ ومجرورٌ) مُتَعَلِّقٌ بـ «خُتِمَ»....

(١) كيفما وقع منع من الصرف (لم يذكر «منع من الصرف» لأنَّ هذا المعنى تقدّم على اسم الشرط وفعله «كيفما وقع»).

(٢) السرحان: الذئب.

(٣) «وزائد فَعْلانَ» معطوف على «ألف التَّأْنِيثِ» (في البيت السابق). والفصل بالمفعول (مجيء «صرف» الذي حواه - وهي مفعول به - معترضة بين الفعل «منع» وفاعله «زائداً فَعْلانَ»).

(٤) «كذلك»: جارٌّ ومجرور (خبر «زائداً فَعْلانَ»، أو في محلِّ خبر).

(٥) «سلم من أن يرى محتوماً بتاء التَّأْنِيثِ» جملة فعلية في محلِّ نعت لكلمة «وصف». و «يرى بتاء تَأْنِيثِ ختم»: يرى فعل مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو (يرجع إلى اسم). و «ختم» جملة فعلية من الفعل «ختم» ونائب الفاعل المستتر فيه في محلِّ مفعول به ثانٍ للفعل المجهول «يرى».

(فَالْأَذْهَمُ الْقَيْدُ لِكَوْنِهِ وَضِعَ فِي الْأَصْلِ وَصْفًا أَنْصَرَفَهُ مُنْعَ)

من أسماء القيد «أذهم»، وهو في الأصل، وصف؛ لكنه استعمل استعمال الأسماء فالقيت فيه الاسمية وبقي غير منصرف على مقتضى الأصل، فتقول: «مررت بأذهم»، أي بقيد. ومثل «أذهم» في ذلك «أزقم» لنوع من الحيات و «أسود» للحية أيضاً.

فـ «أذهم» مبتدأ، و «القيد» بدل منه - بدل الشيء من الشيء<sup>(١)</sup> - .  
و «لكونه» متعلق بـ «منع». و «في الأصل» متعلق بـ «وضع».

ثم إن من الأسماء التي على وزن «أفعل» ما جاء فيه الصرف ومنع الصرف (معاً). وإلى ذلك أشار (ابن مالك) بقوله:

(وَأَجْدَلٌ وَأَخِيلٌ وَأَفْعَى مصروفةٌ. وَقَدْ يَنْلَنَ الْمُنْعَا)

«أجدل» اسم للصفر. و «أخيل» اسم لطائر ذي خيلان<sup>(٢)</sup>. و «أفعى» اسم لضرب<sup>(٣)</sup> من الحيات. وليست هذه الأسماء صفات - لا في الأصل ولا في الاستعمال - فحقها الصرف، ولذلك صرفها أكثر العرب. وبعض العرب يمنعها من الصرف، ووجهه<sup>(٤)</sup> أنه<sup>(٥)</sup> لاحظ فيها معنى الصفة، وهو ظاهر في «أجدل» لأنه من «الجدل» وهو القوة. و «أخيل» (يمكن أن تمنع من الصرف) لأنه من «الخيول»<sup>(٦)</sup>، وهو الكثير الخيلان. وفهم من قوله: «مصروفة»، وقد ينلن (المنعا) أن الصرف هو الكثير<sup>(٦)</sup>.....

٤- شرح ألفية ابن مالك، فاس بلا تاريخ؛ فاس ١٢٩٤ هـ، فاس ١٣١٨ هـ؛ ثم في مصر، (بهاش حاشية أحمد الملوّي) طبع حجر ١٢٧٩ هـ؛ مصر (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ،

(١) أي بدل كل من كل: المبدل منه (البديل) هو المبدل نفسه.

(٢) الخيلان: التكبر والإعجاب بالنفس.

(٣) ضرب: نوع.

(٤) وجهه (وجه منعه من الصرف أو سبب منعه من الصرف).

(٥) أنه (أن بعض العرب).

(٦) الغالب أنه مصروف أكثر منه ممنوعاً من الصرف.

- ١٣٤٥ هـ؛ مصر (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ؛ ثم مصر ١٣٢٠ هـ.
- شرح مقدّمة ابن آجرّوم، تونس ١٢٩٢ هـ؛ مصر ١٣٠٤ هـ؛ مصر (مطبعة عبد الرزّاق) ١٣٠٩ هـ؛ ١٣٤٥ هـ.
- شرح مقصورة ابن حازم القرطاجني (نشرها عبد الله كنّون)، القاهرة ١٣٥٧ هـ.
- البسط والتعريف في نظم العلم الشريف (عليها شرح بعنوان: الفتح اللطيف لمحمد بن أبي بكر الصغير المتوفّي سنة ١٠٨٩ هـ = ١٦٧٨ م)، فاس ١٣١٥ - ١٣١٦ هـ.
- ★ الضوء اللامع ٤: ٩٧؛ نيل الابتهاج (مصر) ١٦٨ - ١٦٩ (١٤٥)؛ بغية الوعاة ٣٠٠؛ شذرات الذهب ٨: ٤؛ النبوغ المغربي ٢١٠، ٨١٠ - ٨١٧، ٩١٧؛ الأدب المغربي ٢٧٨ - ٢٨٠؛ بروكلمان ٢: ٣١٠، ٣٦١، الملحق ٢: ٣٣٦، ٥٢٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٩١ (٣: ٣١٨)؛ معجم المؤلفين لكحالة ٥: ١٥٦؛ سركيس ١٧٨٦ - ١٧٨٧.

## ابنُ خلدون

١- لما فتح المسلمون الأندلس دخلَ مع جيوش الفتح رجلٌ يميُّ من عرب حَضْرَمَوْت<sup>(١)</sup> أسمه خالدُ بنُ الخطّاب. وسكن خالدٌ هذا في قَرْمُونَة ثم انتقل إلى إشبيلية حيث عُرِفَ بأسم خَلْدُون (تصغير خالد: خالد الصغير)<sup>(٢)</sup>. ولما اشتدَّ خطرُ الإسبان على إشبيلية سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٧ م) هَجَرَهَا آلُ الخطّاب إلى ثغر سَبْتَة<sup>(٣)</sup>. ثم انتقل محمدٌ جدُّ فيلسوفنا إلى تُونِسَ وولّيَ الوزارة حيناً. وكذلك مالَ والدُ فيلسوفنا (وأسمه محمدٌ أيضاً) إلى الشؤون العسكرية والإدارية، ولكنه عادَ فَشِفَ بالِعلم وأصبح

(١) حضرموت منطقة في جنوبي شبه جزيرة العرب.

(٢) يرى عبد الله كنّون «مجلة» البحث العلمي، الرباط، جادى الآخرة - رمضان ١٣٨٤ هـ، ص ١٢٧ - ١٣٦ (١٣٦) أن صيغة «خلدون» عربية تفيد التعظيم بدلالاته الجمعية (أي بالواو والنون الملحقين به) وها في رأيه علامة جمع المذكر السالم؛ وعندى أن الواو والنون لاحقة تفيد التصغير والتحبّب، ففي المشرق يقال عند التصغير والتحبّب كليون وسعدون، صغيرون، الخ. وربما استعملت صيغة فعول لهذا الغرض في الأسماء المذكّرة والمؤنّثة نحو: قدّور (تصغير عبد القادر) فطّوم، عيّوش (تصغيراً لفاطمة وعائشة) الخ.

ثِقَّةٌ فِي الْفِقْهِ وَاللُّغَةِ، وَقَدْ تُوفِّيَ بِالطَّاعُونَ الْجَارِفِ<sup>(١)</sup> الَّذِي ذَهَبَ فِيهِ كَثِيرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ سَنَةَ ٧٤٩ هـ (١٣٤٩).

أَمَّا ابْنُ خَلْدُونِ نَفْسُهُ (وَهُوَ وَلِيُّ الدِّينِ أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ... ابْنِ خَالِدِ بْنِ الْخَطَّابِ) فَقَدْ وُلِدَ فِي تُونِسَ غُرَّةَ رَمَضَانَ ٧٣٢ (٢٧ / ٥ / ١٣٣٢ م). وَتَلَقَّى، عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ تُونِسَ وَالْوَارِدِينَ إِلَيْهَا، الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ حِفْظًا وَتَفْسِيرًا ثُمَّ الْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ وَاللُّغَةَ وَالنَّحْوَ وَكَثِيرًا مِنَ الشَّعْرِ.

وَفِي سَنَةِ ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) أَلْتَحَقَ ابْنُ خَلْدُونِ بِحَاشِيَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَنِيِّ سُلْطَانِ مَرَّاكُشٍ<sup>(٢)</sup>. غَيْرَ أَنَّ أَوَّلَ عَهْدِهِ بِمَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ فَعَلًا كَانَ سَنَةَ ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م)، فَقَدْ تَوَلَّى «كِتَابَةَ الْعَلَامَةِ» (دِيْوَانَ الرِّسَالِ) لِأَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ تَافَرَائِكِينَ الْمُسْتَبَدِّ عَلَى الدَّوْلَةِ يَوْمَئِذٍ بَتُونِسَ. ثُمَّ إِنَّهُ وَصَفَ لِأَبِي عَنَانَ صَاحِبِ فَاسٍ<sup>(٣)</sup>، وَكَانَ يَجْمَعُ الْعُلَمَاءَ فِي بَلَاطِهِ، فَاسْتَقْدَمَهُ عَامَ ٧٥٥ هـ ثُمَّ اسْتَعْدَمَهُ فِي آخِرِ سَنَةِ ٧٥٦ هـ (آخِرَ عَامِ ١٣٥٥ م)، ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ فَسَجَنَهُ سَنَةَ ٧٥٨ هـ<sup>(٤)</sup>.

وَتَقَلَّبَ ابْنُ خَلْدُونِ فِي الْبِلَادِ فَكَانَ عِنْدَ بَنِي مَرِينٍ فِي فَاسٍ (٧٦٠ هـ = ١٣٥٩ م)، وَعِنْدَ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ فِي تِلْمُسَانَ (٧٦٣ هـ) ثُمَّ عِنْدَ بَنِي الْأَحْمَرِ فِي غَرْنَاطَةَ (٧٦٤ هـ)؛ فَأَرْسَلَهُ بَنُو الْأَحْمَرِ فِي سِفَارَةٍ إِلَى بَطْرِهِ مَلِكِ قُشْتَالَةَ (بَطْرَسَ الرَّابِعِ الْقَاسِي) لِإِتْمَامِ عَقْدِ الصُّلْحِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ. ثُمَّ أُنْتَقَلَ هُوَ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّهُ سَيَّمِ التَّطَوُّافَ وَالْمُنَاصِبَ وَخَافَ عَوَاقِبَ السِّيَاسَةِ فَأَثَرَ الْأَعْتَزَالَ فِي قَلْعَةِ ابْنِ سَلَامَةَ، شَرْقَ تِلْمُسَانَ، فَمَكَثَ عِنْدَ بَنِي الْعَرِيفِ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ وَبَدَأَ بِتَأْلِيفِ كِتَابِهِ فِي التَّارِيخِ. وَلَكِنَّهُ أَحْتَاجَ إِلَى مَوَادِّ لِكِتَابِهِ لَمْ تَكُنْ مَتَيْسَّرَةً فِي قَلْعَةِ ابْنِ سَلَامَةَ فَذَهَبَ إِلَى تُونِسَ (٧٨٠ هـ = ١٣٧٨ م).

(١) هُوَ الطَّاعُونَ الَّذِي عَمَّ أَوْرُوبَةَ وَعَرَفَ عِنْدَهُمْ بِاسْمِ «الْمُوتِ الْأَسْوَدِ».

(٢) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَنَانَ، تَوَلَّى الْمُلْكَ مِنَ الْحَرَمِ ٧٣٢ إِلَى جَادِي الْآخِرَةِ ٧٤٩.

(٣) الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ أَبُو عَنَانَ فَارِسُ بْنُ عَلِيٍّ، جَاءَ بَعْدَ أَبِيهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ وَبَقِيَ فِي الْمُلْكِ إِلَى الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٧٥٩.

(٤) رَاجِعِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي نَظَّمَهَا ابْنُ خَلْدُونِ فِي مَدِيحِ أَبِي عَنَانَ (فِي الْخِتَارَاتِ مِنْ آثَارِهِ).

وفي سنة ٧٨٤ هـ (١٣٧٢ م) سار ابنُ خلدون إلى الحجّ، ولكنه لما وصل إلى مصرَ عُرِضَ عليه القضاء على المذهب المالكيّ فقَبِلَه، فتأخّر ذهابه إلى الحجّ حتّى سَنَةِ ٧٨٩ هـ. وعاد من الحج إلى القاهرة وأنقطع فيها للتدريس حيناً ثم عاد إلى تولّي القضاء (٨٠١ هـ = ١٣٩٩ م).

ولما غزا تيمورلنكُ سورِيَةَ ذهبَ الملكُ الناصرُ فرجُ<sup>(١)</sup> ابنُ الملكِ الظاهر برقوقَ إلى دِمَشقَ لِيُفَاوِضَ تيمورَ وأصطحب معه العلماء وفيهم ابنُ خلدون. ثم سمع الناصرُ فرجُ بمؤامرةٍ عليه في مصرَ فأضطرَّ إلى العودة. فحملَ ابنُ خلدونِ التَّبِعَةَ كُلَّهَا وذهبَ سِرّاً على رأس وفدٍ لمفاوضة تيمورَ في الصلح وألقى بين يديه خُطبةً نفيسةً، فأكرمه تيمورُ عليها وأعادَه إلى مصرَ. وتولّى ابنُ خلدونِ القضاءَ بِمصرَ بعدَ ذلك مراراً، ثم وافاه اليقينُ بالقاهرة في ٢٥ رَمَضانَ ٨٠٨ هـ (١٥ آذار - مارس ١٤٠٦ م).

٢- ابنُ خلدونِ أديبٌ وشاعرٌ وناقدٌ، ثم هو عالمٌ وفيلسوفٌ. وهو واضحُ عِلْمٍ الأَجتماعِ ومُدوّنُ فلسفَةِ التاريخ. أمّا أعظمُ آثارِه فهو كتابُه المشهورُ في التاريخ «كِتابُ العِبرِ وديوانُ المُبتدأ والخبرِ في أيامِ العربِ والعجمِ والبربرِ ومن عاصرَهُمْ من ذوي السُلطانِ الأكبرِ»<sup>(٢)</sup>. وأهمُ أقسامِ هذا الكتابِ عامّةً وخاصّةً الجزءُ الأوّلُ منه وهو المعروفُ بِاسمِ مُقدِّمة<sup>(٣)</sup> ابنِ خلدونِ أو بِاسمِ «المُقدِّمة» فحسبُ.

ولابنِ خلدونِ في «مُقدِّمَتِه» أسلوبانِ أسلوبٌ أنيقٌ كثيرُ التكلُّفِ والتّصنيعِ

(١) السلطان ناصر الدين فرج بن برقوق من سلاطين المماليك البرجية (في مصر) جاء إلى العرش في شوال من سنة ٨٠١ ثم بقي على العرش (في المرة الأولى) إلى ربيع الأول من سنة ٨٠٨ (قبل وفاة ابن خلدون بستة أشهر).

(٢) تيمورلنك (٤). - تيمورلنك (تيمور الأعرج)، ولد سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م)، تولّى الملك على بلاد ما وراء نهر جيحون (التركستان) من سنة ٧٧٢ إلى سنة ٨٠٨ (١٣٧٠ - ١٤٠٥ م) وكان فاتحاً ظالماً وسفكاً للدماء. ومنذ سنة ٧٨٢ هـ بدأ بجتياح إيران (فارس) وما يجاورها من البلاد. ثم اقتحم الشام (سورية) وخرب حلب ودمشق وبغداد (٨٠٤ - ٨٠٥ هـ) وهزم بايزيد يلديريم (بايزيد الصاعقة) سلطان الدولة العثمانية، قرب أنقرة، سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م). ثم توفي تيمورلنك غنية عزمه على اقتحام الصين، سنة ٨٠٨ للهجرة (في السنة التي توفي فيها ابن خلدون). وتيمورلنك، كان برغم كلّ قسوته ومظالمة سلباً مؤمناً وأديباً محباً للأدب.

(٣) مقدّمة (بكسر الدال المشدّدة أو بفتحها).



تَجِدُهُ فِي دِيبَاجَةِ الْمُقَدِّمَةِ وَفِي عَدَدٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ مِنْ فُصُولِ الْمُقَدِّمَةِ ثُمَّ أُسْلُوبٌ سَهْلٌ مُرْسَلٌ نَجِدُهُ فِي فُصُولِ الْمُقَدِّمَةِ عَامَّةً (ذَلِكَ لِأَنَّ فُصُولَ الْكِتَابِ الْأُخْرَى مِنَ الْأَجْزَاءِ السَّتَةِ الْبَاقِيَةِ أَكْثَرُهَا تُقُولُ عَنْ آخَرِينَ).

وهنا موضع كلامٍ على زمنِ تأليفِ كتابِ «العبر» . يقولُ ابنُ خلدونٍ (في آخرِ الجزءِ الأوَّل: المُقدِّمة):

« أَتَمَمْتُ هَذَا الْجُزْءَ الْأَوَّلَ بِالْوَضْعِ وَالتَّأْلِيفِ ، قَبْلَ التَّنْقِيحِ وَالتَّهْذِيبِ ، فِي مَدَّةِ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ آخِرُهَا مُنْتَصَفُ عَامٍ تِسْعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ <sup>(١)</sup> . ثُمَّ نَقَحْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَهَذَّبْتُهُ وَالْحَقُّتُ بِهِ تَوَارِيخَ الْأُمَمِ . »

تناولَ عبدُ الرحمنِ بدويُّ هذا الموضوعَ (مؤلفاتِ ابنِ خلدون، ص ٣٤ - ٤٠) ومالَ إلى أن يكونَ ابنُ خلدونٍ قد وَضَعَ كِتَابَهُ كُلَّهُ (سبعةُ أجزاء) في نسختهِ الأولى على الأقلِّ، في مَدَى خَمْسِ سَنَوَاتٍ (راجع ص ٣٦). والذي أَمِيلُ إليه أَنَا أَنَّ ابْنَ خَلْدُونٍ قَدْ «دَوَّنَ» فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ مَا كَانَ قَدْ جَمَعَهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ مَوَادِّ كِتَابِهِ. وَعِنْدِي أَيْضاً أَنَّ «المُقَدِّمَةَ» (أو الجزءَ الأوَّلَ) قَدْ كُتِبَتْ بَعْدَ جَمْعِ تِلْكَ الْمَوَادِّ. بِهَذَا وَحْدَهُ نَسْتَطِيعُ فَهْمَ قَوْلِ ابْنِ خَلْدُونٍ (التعريف بمرحلة ابن خلدون، ص ٢٢٩): «وَشَرَعْتُ فِي تَأْلِيفِ هَذَا الْكِتَابِ وَأَنَا مُقِمٌّ (بقلعة ابن سلامة) وَأَكْمَلْتُ الْمُقَدِّمَةَ عَلَى ذَلِكَ النِّحْوِ الْغَرِيبِ الَّذِي أَهْتَدَيْتُ إِلَيْهِ (تعليل التاريخ: فلسفة التاريخ) فِي تِلْكَ الْخَلْوَةِ. فَسَأَلْتُ شَائِبِبُ <sup>(٢)</sup> الْكَلَامِ وَالْمَعَانِي عَلَى الْفِكْرِ حَتَّى امْتُخِصَصْتُ زُبْدَتِهَا <sup>(٣)</sup> وَتَأَلَّفْتُ تَتَائِجَهَا . »

إِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضُوعَ كُلَّهُ كَانَ فِي ذِهْنِ ابْنِ خَلْدُونٍ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ - يَعْمَلُ فِي عَقْلِهِ الْبَاطِنُ - كَمَا يَقُولُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ - وَالْأَفْلَسُ مِنَ الْمَأْلُوفِ أَنَّ يَكْتُبُ إِنْسَانٌ مِثْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْجَدِيدِ الْمُتَشَعَّبِ الْمُزْدَحِمِ بِالْأَقْوَالِ وَبِالْأَحْدَاثِ عَلَى سَبِيلِ الْأَسْتِشْهَادِ وَالتَّمثِيلِ، وَفِي نَحْوِ مِائَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ كَلِمَةٍ (فِي النِّسْخَةِ الْأُولَى مِنْ

(١) عام ١٣٧٧ للميلاد.

(٢) التَّوْبُوبُ (بِالضَّمِّ): الدَّفْعَةُ (بِالضَّمِّ) مِنَ الْمَطَرِ.

(٣) امْتُخِصَّ اللَّبَنُ (الْحَلِيبُ) تَحْرُكٌ فِي وَعَائِهِ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا «مُخَصَّصٌ» (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) زُبْدَتُهَا: انْفَصَلَ السَّمْنُ مِنَ الْخَيْضِ (مَاءِ اللَّبَنِ)، ظَهَرَتْ وَتَكُونَتْ خِلَاصَتُهُ.

المقدمة)، في خمسة أشهر. فلعلَّ ابنَ خلدونِ كان قد جَمَعَ موادَّ كتابه كُلِّها ثمَّ جَلَسَ في تلك المدة يُؤَلِّفُ (يجمَعُ بعضَ موادِّه إلى بعضٍ) فبدأ، بطبيعة الحال، بالجزء الأول ثمَّ انتقل إلى تهذيب الأجزاء الباقية. ومع ذلك فالموضوعُ يحتاجُ إلى دراسةٍ داخليةٍ (مقارنةٍ بنصوصِ المقدمةِ أو الجزء الأولِ بنصوصِ الأجزاء الباقية).



وابنُ خلدونٍ مُحيطٌ بكثيرٍ من علومِ الأقدمين قبلَ الإسلام ومن العلومِ الحادثةِ بعدَ ظهورِ الإسلام، في الفلسفةِ النَّظريَّةِ وفي العِلْمِ العَمَلِيِّ معاً. ومع أنَّ ابنَ خلدونٍ أشعريٌّ في حياته العَمَلِيَّةِ (يُفَضِّلُ الرِّوَايَةَ الدِّينِيَّةَ على الأخذِ بالعقلِ)، فإنَّه عِنْدَ البَحْثِ في كُلِّ شيءٍ من وُجُوهِ الثَّقَافَةِ الإنسانيَّةِ (في الفِلسَفَةِ وفي الدينِ أيضاً) مُعتزليُّ المنهجِ (يأخذُ بقواعدِ المنطقِ وبما يدلُّ عليه العقلُ ثمَّ بما هو مُشاهدٌ في الاجتماعِ الإنساني).

وهو أيضاً عالمٌ حَسَنُ الرِّوَايَةِ للعِلْمِ مُنْصِفٌ لخصومه واضحٌ في بحثه يَعرِضُ رأيَ الخَصْمِ كما يقولُ الخَصْمُ - وإنَّ كان ذلك الرأيُ مُخالفاً لرأيِ ابنِ خلدونٍ نفسه أو لاعتقاده أيضاً، كما نرى عِنْدَ كلامه على اليهود والنصارى، في الفصلِ الثالثِ والثلاثينِ مِنَ الفصلِ الثالثِ (في طبعة دار الكتاب اللبناني: من «الباب» الثالث) من الكتاب الأول<sup>(١)</sup> مثلاً.

وإذا عَرَضَ ابنُ خلدونٍ للعلومِ الطَبِيعِيَّةِ أو الرِّياضيَّةِ - وهيَ ليستُ علوماً داخليةً في اختصاصه - فإنَّه يُحَسِّنُ عَرَضَها وتَفْهيمَها إلى حدٍّ كبيرٍ، كما نرى عِنْدَه في الكلامِ على الحِسابِ والمهندسة أو على الفَلَكِ والجغرافية أو على الكيمياء والطب<sup>(٢)</sup>.

وابنُ خلدونٍ مُؤَلِّفٌ له<sup>(٣)</sup> (غيرُ كتابِ العِبرِ): لُبَّابُ المُحَصَّل<sup>(٤)</sup> في أصولِ

(١) راجع المقدمة (بيروت ١٩٠٠ م)، ص ٢٣٠-٢٣٥؛ بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١ م، ص ٤٠٨-٤١٦.

(٢) مثلها، ص ٤٨٢ وما بعدها ثمَّ ص ٨٩٤-٩١٩.

(٣) مؤلفات ابن خلدون، ص ٩ وما بعد.

(٤) «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين» أو «المحصل من نهاية المقول في علم الأصول»: كتاب في الفلسفة العقلية أو فلسفة ما بعد الطبيعة (بروكلمن ١: ٦٦٨) للفخر الرازي، وهو أبو عبد الله محمد بن عمر، ولد =

الدين - تلخيصُ عددٍ من كتب آبنِ رُشدٍ<sup>(١)</sup> - تَقْيِيدٌ في المنطق - كتابٌ في الحساب - شَرْحُ رَجَزٍ في أصولِ الدينِ لِلسانِ الخطيب<sup>(٢)</sup> - شرحُ البردة<sup>(٣)</sup> - شفاء السائل لتَهذيبِ المسائل<sup>(٤)</sup>.

وَيَنْظِمُ آبنُ خَلْدُونُ الشعرَ فَيُطِيلُ. وَمُعْظَمُ شِعْرِهِ في المديح وفيما يَتَّصِلُ بالمديح. وفي شِعْرِهِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا يَرِدُ عِنْدَ كِبَارِ شُعَرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَمْثَالِ أَبِي تَمَّامٍ وَآبنِ الرُّومِيِّ وَالْمُنْتَبِيِّ. وفي قَوَافِيهِ خَاصَّةٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ عَلَى صَيَغٍ غَيْرِ مألُوفَةٍ، وكَثِيرٌ مِنْ قَوَافِيهِ قَلَقٌ مَجْلُوبٌ (لَا يَنْزِلُ فِي خِتَامِ الْأَبْيَاتِ مَنَزِلَةً مألُوفَةً أَوْ مُسْتَقَرَّةً). وعلى شِعْرِهِ عَامَّةٌ قَدْرٌ كَبِيرٌ مِنَ الْجَفَافِ وَقِلَّةٌ الطَّلَاوَةِ. وَكَانَ آبنُ خَلْدُونٍ يَشْعُرُ بِذَلِكَ كُلَّهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ:

وما كان لي نَظْمُ الْقَرِيضِ بِضَاعَةً، وَلَكِنْ دَعَانِي نَحْوُ مَدْحِكَ جَازِبُ.

### ٣ - مختارات من آثاره

#### - من المقدمة

(أ) من الديباجة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ وَالْجَبْرُوتُ، وَبِيَدِهِ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ<sup>(٥)</sup>، وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

= سنة ٥٤٣ أو ٥٤٤ للهجرة (١١٤٨ - ١١٥٠ م). وهو من المفسرين (لِلقرآن الكريم) ومن الفقهاء والفلاسفة. كانت وفاته سنة ٦٠٦ هـ (١٢١٠ م).

(١) من كتب ابن رشد التي كان ابن رشد قد لخصها من كتب أفلاطون وأرسطو، فيما يبدو، ككتاب السياسة (المعروف باسم «الجمهورية») لأفلاطون، وكتاب السياسة لأرسطو (راجع مؤلفات ابن خلدون، ص ٩ - ١٠).

(٢) لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ).

(٣) البردة: بديعية (قصيدة في مدح محمد رسول الله) لكتب بن زهير التوفقي سنة ٢٦ للهجرة (٦٤٥ م) (راجع الجزء الأول، ص ٢٨٢ وما بعد).

(٤) في مسائل مختلفة، منها التصوف.

(٥) العزّة: القوة والغلبة (المتغلب على كل ما سواه). الجبروت: القهر (حمل الناس على الطاعة). الملك (الحكم في الأرض) والملكوت (الحكم في السماء). الجبروت والملكوت (هما في الأغلب بصيغة الجمع - بالواو والتاء من اللغات الأعرابية (التي يقال لها خطأ سامية - للدلالة على جميع أنواع الملك إلخ).

والنموت؛ العالمُ فلا يَعْرُبُ عنه ما تُظْهِره النَّجْوَى<sup>(١)</sup> أو يُخفيه السَّكُوتُ، القادرُ فلا يَعْجِزه شيءٌ في السموات والأرض ولا يفوت. أنشأنا من الأرض نَسْماً<sup>(٢)</sup>، وأسْتَعْمَرْنَا فيها أَجْيَالاً وأُمَمًا، وسَيَّرْنَا منها أرزاقاً وقِسْماً، تَكْتَفُنَا الأَرْحَامُ والْبَيُوتُ، وَيَكْفُلُنَا الرِّزْقُ والقُوتُ، وَتُبْلِينَا الأَيَّامُ والْوَقُوتُ، وَتَعْتَوِرُنَا الآجَالُ التي خُطَّ عَلَيْنَا كِتَابُهَا المَوْقُوتُ<sup>(٣)</sup>. وله البقاء والثبوت. وهو الحيُّ الذي لا يموت.....

أما بعد، فإنَّ فنَّ التاريخ من الفنون التي تتداولها الأُمَمُ والأجيال وتُسَدِّ إليه الركائبُ والرِّحَالُ<sup>(٤)</sup>، وتسمو إلى معرفته السُّوقَةُ والأَغْفَالُ، وتتنافس فيه الملوك والأقْيَالُ، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال<sup>(٥)</sup>؛ إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدُّوَلِ والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال<sup>(٦)</sup>، وتَضْرَبُ فيها الأمثالُ، وتُطْرَفُ بها الأنديةُ إذا غَصَّها الاحتفال<sup>(٧)</sup>.....

- 
- (١) عزب يعزب: غاب، خفي. النجوى: الكلام سرّاً بين شخصين.
- (٢) أنشأنا (صنعنا، خلقنا) من الأرض (التراب) نَسْماً (حياة) - جعل الحياة من شيء لا حياة فيه.
- (٣) تكتفنا: تحيط بنا. الرحم (بفتح فكسر): كيس في بطن الأنثى يتخلّق فيه المولود. - نحن (وكل شيء آخر) محمّودون بالأمانة، أما هو (الله) فلا يحويه مكان (لعظمته) ولا يحده. يكفلنا الرزق والقوت (الطعام يبقينا أحياء). أما هو فلا يحتاج إلى من يرزقه ولا يحتاج إلى طعام. تبلينا: تهلكنا (تأخذ من قوتنا وحياتنا وعمرنا). تعتورنا الآجال (الأجل: مدى عمر الإنسان): تتداولنا (يموت بعضنا إثر بعض). الكتاب الموقوت: الموت.
- (٤) الركوبة (بالفتح): دابة يافر الناس عليها. الرجل (بالكسر): ما يوضع على ظهر الدابة للركوب عليها. تشدّ إليه.... (يقصده الناس).
- (٥) السوق: الرعية، عامة الناس أو العامة من الناس. الأغفال جمع غُفْل (بالضم): الإنسان العادي، من لا حسب (عمل مجيد) له، الذي لا يعرفه أحد. القيل (بالفتح): ملك اليمن (الملوك من عرب الشمال والأقْيَال من عرب الجنوب: جميع الملوك). يتساوى فيه العلماء (يعرفه العلماء) والجهال (يدّعي معرفته الجهال) أو: يُسَرَّ بِسَمَاعِهِ العلماء والجهال.
- (٦) تنمو (تكثر، تزيد) فيه الأقوال: يضيف إليه الناس أشياء ليست منه.
- (٧) تُطْرَفُ به الأندية (أماكن اجتماع الناس) إذا غَصَّها (ملأها) الاحتفال (اجتماع الناس): يكون التاريخ (القصص - بفتح ففتح - وأخبار الناس) طريفاً (جديداً - ولو أُعيد ذكر الحادثة الواحد، مرّة بعد مرّة، محبوباً).

(ب) في أنَّ من طبيعة الملك الترف:

وذلك أنَّ الأُمَّة إذا تغلَّبت وملكت ما بأيدي أهلِ الملِكِ قبلها كثرَ رِياشُها<sup>(١)</sup> ونِعْمَتُها فتكثرُ عوائدُهم ويتجاوزون ضروراتِ العيشِ وخُشوتَه إلى نوافله<sup>(٢)</sup> ورقته وزينته ويذهبون إلى مَنْ قبلَهُم في عوائدِهم وأحوالهم. وتصير لتلك النوافل عوائدُ ضروريَّة في تحصيلها، وينزعون مع ذلك إلى<sup>(٣)</sup> رِقَّة الأحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية، ويتفاخرون في ذلك ويفاخرون فيه غيرهم من الأمم: في أكل الطيب ولبس الأنيق وركوب الفاره، ويُناغِي<sup>(٤)</sup> خَلْفَهُم في ذلك سَلَفُهُم إلى آخر الدولة. وعلى قَدَرِ مُلكِهِم يكون حظُّهم من ذلك وترَفُّهم فيه إلى أن يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة أن تبُلِّغها بحسبِ قوتها وعوائد مَنْ قبلها. سُنَّةُ اللَّهِ في خلقه، والله تعالى أعلم.

(ج) العباسية أخت الرشيد<sup>(٥)</sup> (المقدمة ١٥ / ٢٢):

وَمِنْ الحِكَايَاتِ المدخولة<sup>(٦)</sup> للمؤرخين ما ينقلونه كافة في سببِ نكبة الرشيد للبرامية من قصة العباسية أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاها<sup>(٧)</sup>، وأنه لِكَلْفِهِ بمكانها من مُعاقرة إياها الخمر<sup>(٨)</sup> أذنَ لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصاً على اجتماعها في مجلسه، وأنَّ العباسية تحيلت عليه في التماس الخلوة به لِمَا شَغَفَهَا من

(١) الرياش (جمع ريش): المال والأثاث - الأدوات التي يضعها الناس في بيوتهم - (تاج العروس - الكويت ١٧ : ٢٣٠).

(٢) العوائد هنا: العادات (أو دخلهم من المال). النافلة: ما يزيد على المطلوب أو الضروري.

(٣) نزع إلى الشيء: مال إليه.

(٤) الأنيق: الجميل المنظر، ما يحسن شكله في العين. الفاره (بالهاء): الدابة الجميلة المنظر والنشطة في سيرها. يناغي: يداغي، ينافس.

(٥) راجع كتاب «تجديد التاريخ» للمؤلف، ص ١٥٢ وما بعد.

(٦) المدخولة: التي فيها خطأ (لا صحة لها).

(٧) مولا: المنتسب بالولاء إليه: كان غير العربي إذا دخل في الإسلام أنتسب إلى أحد رجال العرب (المسلمين) بالولاء أو إلى قبيلته. مثال ذلك أبو تمام الطائي (فهو رومي - يوناني - الأصل، ينتسب إلى بني طيء بالولاء: بالمودة والطاعة).

(٨) الكلف: الشغف، الميل (بافتح) والمحبة.

حُبّه - رَعَمُوا فِي حَالَةِ السُّكْرِ - فَحَمَلَتْ وَوُشِيَ بِذَلِكَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَغْضِبَ<sup>(١)</sup>.

وهيات ذلك<sup>(٢)</sup> من مَنْصِبِ الْعَبَّاسَةِ فِي دِينِهَا وَأَبَوْنَهَا وَجَلَّالَهَا، وَأَنَّهَا بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ هُمْ أَشْرَافُ الدِّينِ وَعُظَمَاءُ الْمِلَّةِ<sup>(٣)</sup> مِنْ بَعْدِهِ. وَالْعَبَّاسَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ الْمُهَدِّيِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّجَّادِ بْنِ عَلِيٍّ أَبِي الْخُلَفَاءِ<sup>(٤)</sup> ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ<sup>(٥)</sup> ابْنِ الْعَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابْنَةُ خَلِيفَةِ أُخْتِ خَلِيفَةٍ<sup>(٦)</sup> مَحْفُوفَةٍ<sup>(٧)</sup> بِالْمُلْكِ الْعَزِيزِ وَالْخِلَافَةِ النَّبَوِيَّةِ وَصُحْبَةِ الرُّسُولِ وَعُمُومَتِهِ وَإِقَامَةِ الْمِلَّةِ<sup>(٨)</sup> وَنُورِ الْوَحْيِ وَمَهَيْطِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا قَرِيبَةِ عَهْدٍ بِبِدَاوَةِ الْعُرُوبِيَّةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ<sup>(٩)</sup> الْبَعِيدَةِ عَنْ عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَمَرَاتِعِ الْفُحْشِ. فَأَيْنَ يُطَلَّبُ الصَّوْنُ وَالْعَفَافُ إِذَا ذَهَبَا عَنْهَا؟ أَوْ أَيْنَ تَوْجِدُ الطَّهَارَةَ وَالذِّكَاءَ<sup>(١٠)</sup> إِذَا قُفِدَا مِنْ بَيْتِهَا؟ أَوْ كَيْفَ تُلْحِمُ نَسَبَهَا بِجَعْفَرٍ بْنِ يَحْيَى وَتُدْنِسُ شَرْفَهَا الْعَرَبِيَّ بِمَوْلَى مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ..... وَكَيْفَ يَسُوغُ مِنَ الرَّشِيدِ أَنْ يُضْهِرَ إِلَى مَوَالِي الْأَعْجَمِ عَلَى بُعْدِ هِمَّتِهِ وَعَظَمِ آبَائِهِ. وَلَوْ نَظَرَ الْمُتَأَمِّلُ فِي ذَلِكَ نَظَرَ الْمُنْصِيفِ وَقَاسَ الْعَبَّاسَةَ بِابْنَةِ مَلِكٍ مِنْ عَظَمَاءِ مُلُوكِ زَمَانِهِ لَاسْتَنْكَفَ<sup>(١١)</sup> لَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَعَ مَوْلَى مِنْ مَوَالِي دَوْلَتِهَا وَفِي سُلْطَانِ قَوْمِهَا وَاسْتَنْكَرَهُ وَلَجَّ<sup>(١٢)</sup> فِي تَكْذِيبِهِ. وَأَيْنَ قَدَّرُ الْعَبَّاسَةَ وَالرَّشِيدَ مِنَ النَّاسِ<sup>(١٣)</sup>!

(١) استغضب، المقصود: «أغضب» بالبناء للمجهول: فُعل به ما يدعو إلى الغضب.

(٢) هيات ذلك: ما أبعد ذلك!

(٣) الملة (هنا): الدين، الإسلام.

(٤) محمد المهدّي (ابن أبي جعفر المنصور): الخليفة العبّاسي الثالث. أبو الخلفاء: الذي كان (جميع) الخلفاء (العبّاسيين) من نسله.

(٥) عبد الله بن عباس ابن عم الرسول، كان موثقاً في تفسير القرآن.

(٦) ابنة خليفة (ابنة محمد المهدّي) أخت خليفة (أخت هرون الرشيد).

(٧) محفوفة: محاطة (من قرب).

(٨) إقامة الملة: المحافظة على عقائد الدين وتعاليمه.

(٩) سداجة الدين: بساطة الدين وصفاءه.

(١٠) الذكاء (كذا في الأصل). اقرأ: الزكاء (بالزاي أخت الراء): الطهارة.

(١١) استنكف: كره، امتنع، رفض.

(١٢) لجّ: استمرّ (أصر).

(١٣) هرون الرشيد وأخته العبّاسة فوق مستوى الناس العاديين.

وإنما نكَبَ البرامكة ما كان من أَسْتِبدادِهِم على الدَّولةِ واحتِجافِهِم أموالَ الجبَايةِ<sup>(١)</sup>.....

(د) تقليد المغلوب للغالب:

يقول ابن خلدون<sup>(٢)</sup>:

في أنَّ المغلوبَ مُولَعٌ أبداً بالآقتداءِ بالغالبِ في شعارِهِ وزِيَّهِ ونِخلَتِهِ<sup>(٣)</sup> وسائرِ أحوالِهِ وعوائِدِهِ<sup>(٤)</sup> - والسَّبَبُ في ذلك أنَّ النَّفسَ أبداً تَمْتَقِدُ الكَمالَ فيمن غلبَها وانْقَادَتْ إِلَيْهِ، إمَّا لِنِظَرَةٍ<sup>(٥)</sup> بِالْكَمالِ بَيَّا وَقَرَّ<sup>(٦)</sup> عِنْدَها من تعظيمِهِ أو لِمَا تُغَالِطُ بِهِ (ذَاتُهَا)<sup>(٧)</sup> مِنْ أنَّ انْقِيادَها (ذلك) ليس لِعَلْبٍ طَبِيعِيٍّ<sup>(٨)</sup>، إِنَّمَا هو لِكَمالِ الغالبِ، فإذا (هي) غالَطَتْ (ذَاتُهَا) بذلك (كان ذلك) لها اعتقاداً فَاتَّحَلَّتْ<sup>(٩)</sup> جَمِيعَ مذاهِبِ الغالبِ وَتَشَبَّهَتْ بِهِ. وذلك هُوَ الآقتداءُ. (وَرُبُّها كان ذلك) لما تَراه - واللهُ أَعْلَمُ - مِنْ أنَّ غَلَبَ الغالبِ لها ليس بِعَصِيَّةٍ ولا قُوَّةٍ بِأسٍ<sup>(١٠)</sup>، وإِنَّمَا هو بما اتَّحَلَّتْهُ من العوائِدِ والمذاهِبِ تُغَالِطُ أَيْضاً بذلك عن الغَلَبِ، وهذا راجعٌ لِلأَوَّلِ. ولذلك ترى المغلوبَ يَتَشَبَّهُ أَبداً بالغالبِ في مَلْبَسِهِ ومَرَكَبِهِ وسِلاحِهِ في اتِّخاذاها وأَشْكالِها<sup>(١١)</sup> بل وفي<sup>(١٢)</sup> سائرِ أحوالِهِ. وَأَنْظُرْ ذلك

(١) احتجف الرجل الشيء: استخلصه (حازه، أخذه بغير حق). الجبَاية: الضرائب الواجبة للدولة على الناس.

(٢) المقدمة ٢٥٨/١٤٧.

(٣) الشعار: العلامة، الثارة الدالة على شرف أو منصب. النحلة (بالكسر): الدين.

(٤) العوائد (العادات).

(٥) النظرة: اللحمة، (رؤية، اعتقاد).

(٦) وقر: ثبت.

(٧) تُخَيِّلُ لِنَفْسِها.

(٨) الغلب الطبيعي (القائم على القُوَّة أو الفضل أو سبق في ميادين الحياة).

(٩) اتَّحَلَّتْ: اتَّخَذَتْ، عملت.

(١٠) الشدة في الحرب، القُوَّة.

(١١) لا يكتفي الضعيف بتقليد القوي في نوع طعامه مثلاً، بل في الشكل (الصورة) الخاص الذي يسلكه القوي في تناول طعامه.

(١٢) «بل وفي» تعبير خاطيء (بزيادة الواو) يرد عند ابن خلدون وعند غيره كابن تيمية (ت ٨٢٧ هـ) مثلاً.

في الأبناء مَعَ آبَائِهِمْ كَيْفَ تَجِدُهُمْ مُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ دَائِماً، وما ذلك إِلَّا لاعتقادِهِمُ الكمالَ فيهِمْ.

وَأَنْظُرْ إِلَى كُلِّ قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ كَيْفَ يَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ زِيُّ الْحَامِيَةِ <sup>(١)</sup> وَجُنْدِ السُّلْطَانِ فِي الْأَكْثَرِ لِأَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ لَهُمْ، حَتَّى إِنَّهُ إِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ تُجَاوِرُ أُخْرَى - وَلَهَا الْقَلْبُ عَلَيْهَا - فَيَسْرِي إِلَيْهِمْ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ وَالْإِقْتِدَاءِ حِظٌّ كَبِيرٌ، كَمَا هُوَ فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْمَهْدِ مَعَ أُمِّهِ الْجَلَالَةِ <sup>(٢)</sup> فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ يَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ فِي مَلَابِسِهِمْ وَشَارَاتِهِمْ وَ (فِي) الْكَثِيرِ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ حَتَّى فِي رَسْمِ التَّائِيلِ <sup>(٣)</sup> فِي الْمَجْدِرَانِ وَالْمَصَانِعِ <sup>(٤)</sup> وَالْبُيُوتِ، حَتَّى لَقَدْ يَسْتَشْعِرُ <sup>(٥)</sup> مِنْ ذَلِكَ النَّاطِرُ بِعَيْنِ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ مِنْ عِلَامَاتِ الْأَسْتِيلَاءِ <sup>(٦)</sup>. وَالْأَمْرُ لِلَّهِ. (ثُمَّ) تَأَمَّلْ فِي ذَلِكَ سِرَّ قَوْلِهِمْ: «الْعَامَّةُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ» <sup>(٧)</sup>، فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ <sup>(٨)</sup>، إِذِ الْمَلِكُ غَالِبٌ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ، وَالرَّعِيَّةُ مُقْتَدُونَ بِهِ لاعتقادِ الكمالِ فِيهِ أَعْتَادَ الْأَبْنَاءِ بِآبَائِهِمْ وَالتَّعَلُّمِينَ بِمُعَلِّمِيهِمْ. وَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، وَبِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّوْفِيقُ.

#### (هـ) العلوم العددية:

وَأَوَّلُهَا الْأَرِثْمَاتِيْقِي <sup>(١)</sup>، وَهُوَ مَعْرِفَةُ خَوَاصِّ الْأَعْدَادِ مِنْ حَيْثُ التَّأْلِيفُ <sup>(٢)</sup>: إِمَّا عَلَى

(١) الحامية: الجنود المكلفون بحفظ الحدود (ويكونون عادة من جنود القوي الذي يحتلّ بلداً ضعيفاً).

(٢) الجلالة: سكان الجانب الشمالي الغربي من شبه جزيرة الأندلس (هنا: نصارى الأندلس).

(٣) التائيل هنا (صور الرجال النصاري ورموزهم).

(٤) المصنع (هنا) حوض الماء أو البناء العظيم (القصر).....

(٥) استشعر الشيء: أحس به.

(٦) ... استيلاء الإسبان على الأندلس. (قال ابن خلدون ذلك قبل خروج العرب من الأندلس بنحو مائة عام).

(٧) في المثل المشهور: الناس على دين ملوكهم.

(٨) من بابه: من نوعه.

(٩) الأريثماتيقي: الحساب، الحساب.

(١٠) نسق الأعداد على نظام معين.



التوالي<sup>(١)</sup> أو بالتضعيف<sup>(٢)</sup>؛ مثل أَنَّ الأعدادَ إذا تَوَالَتْ مُتَفَضِّلَةً بعددٍ واحدٍ، فإنَّ جَمَعَ الطَّرَفَيْنِ منها مُساوٍ لِجَمْعِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدُهَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدُ واحدٍ<sup>(٣)</sup>، ومثلُ ضِعْفِ الواسطة<sup>(٤)</sup>.... ومثلُ أَنَّ الأعدادَ إذا تَوَالَتْ على نِسْبَةٍ واحدةٍ بأنَّ يكونَ أولُها نِصْفَ ثانيها، وثانيها نِصْفَ ثالثها، الخ، أو يكونَ أولُها ثُلثَ ثانيها، وثانيها ثُلثَ ثالثها الخ، فإنَّ ضَرْبَ الطَّرَفَيْنِ أحدهما في الآخرِ (يكونُ حينئذٍ) كَضَرْبِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدُهَا من الطَّرَفَيْنِ بَعْدُ واحدٍ أحدهما في الآخرِ<sup>(٥)</sup>، ومثلُ مُرَبِّعِ الواسطة<sup>(٦)</sup>.....

### (و) لغة القرآن الكريم:

اعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ العربِ وكلامَهُم على فَنَيْنِ: فَنُّ الشعرِ، وهو الكلامُ المنظومُ المُقَفَّى - ومعناه أن تكون أوزانه كُلُّها على رَوِيٍّ واحدٍ وهو القافية ؛ وفنُّ النثر، وهو الكلام غير الموزون. وكلُّ واحدٍ من الفَنَيْنِ يشتمل على فنونٍ ومذاهبٍ في الكلام.....

وأَمَّا الْقُرْآنُ<sup>(٧)</sup> وإن كَانَ من المنشور إِلَّا أَنَّهُ خارجٌ عن الوصفين. وليس يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّمًا<sup>(٨)</sup>، بل تفصيلُ آيَاتٍ ينتهي إلى مقاطعَ يَشْهَدُ الذوقُ بانتهاء الكلام عندها<sup>(٩)</sup>، ثم يُعادُ الكلام في الآية الأخرى بعدها ويُنشئ من غيرِ التَّزامِ حرفٍ

(١) على التوالي بفرق معيَّن: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، الخ أو ١، ٢، ٤، ٨، الخ أو ١، ٥، ١٠، ١٥، الخ.

(٢) التضعيف: ضرب الأعداد في السلسلة المتوالية الأعداد بعدد معيَّن. ضرب الأعداد باثنين، مثلاً، ١، ٢، ٤، ٨، الخ، أو بثلاثة: ١، ٢، ٣، ٤، ٨، ١٦، الخ، أو بخمسة: ١، ٥، ٢٥، ١٢٥، ٦٢٥، الخ.

(٣) في: ١، ٢، ٤، ٨، الخ، ٤ = ٦ + ٢، ١٠ = ٨ + ٢، الخ. أو ٦ مضمَّة (أي ١٢) = ٨ + ٤.

(٤) راجع الحاشية التي قبل السابقة. ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، الخ (كلُّ عدد هنا هو نصف العدد الذي بعده. وفي الحاشية نفسها: ٣ هي ثلث ٩، و ٩ هي ثلث ٢٧، الخ.

(٥) في المتوالية بالتضعيف، ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، الخ مثلاً، ٨ × ٨ = ٤ × ١٦، ثم ٤ × ٤ = ٨ × ٨، الخ. أو ٤ × ٤ = ٨ × ٢، الخ.

(٦) حيناً يأتي في آخر أبيات الشعر ألفاظ مثل: مال، نالوا، أزالوا، حال، فاللام هي الروي، أمَّا القافية فهي مال، نالوا، الخ.

(٧) القرآن (القراءة): كلام الله القديم المدوَّن في المصحف. لا تقل: عندي قرآن. قل: قرأت القرآن - عندي مصحفان - قرأت في المصحف.

(٨ و٩) لا يقال للألفاظ التي في أواخر آيات القرآن: (السورة ١١٣): ﴿قل: أعوذ بربِّ الفلق﴾ من شرِّ ما خلق =

يَكُونُ سَجْعاً وَلَا قَافِيَةً.....

(ن) تعريف الشعر:

الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المُفَصَّلُ بأجزاء متَّفِقَةٍ في الوزن والروِيّ (مستقلاً) كُلُّ جُزْءٍ منها في غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وبعْدَهُ والجاري على أساليب العرب المخصوصة به..... وقلنا الجاري على الأساليب المخصوصة به فَصْلٌ له (أي يفصله، يجعله مفصلاً مختلفاً) عما لم يَجْرِ منه على أساليب الشعر المعروفة؛ فإنه حينئذٍ لا يكونُ شِعْراً، إنَّما هو كلامٌ منظوم، لأنَّ الشعر له أساليبٌ تخصّه لا تكون للمنثور. وكذا أساليبُ المنثور لا تكون للشعر. فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يُسمَّى شعراً. وهذا الاعتبار<sup>(١)</sup> كان الكثيرُ ممن لقيناه من شيوخنا<sup>(٢)</sup> في هذه الصنعة الأدبية يروْنَ أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لأنهما لم يَجْريا على أساليب العرب فيه.....

اعلم أن لِعَمَلِ الشعر وإحكام صناعته شروطاً أوَّلُها الحِفْظُ من جنسه، أي من جنس شعر العرب، حتَّى تنشأ في النفس ملكةٌ يُنسَجُ على مِنوالها. ويُتَخَيَّرُ المحفوظُ من الحرِّ النقيِّ الكثير الأساليب. وهذا المحفوظ المختار أقلُّ ما يكفي فيه شعرُ شاعرٍ من الفحول الإسلاميين<sup>(٣)</sup> مثل ابن أبي ربيعة وكثيرٍ وذو الرُّمَّة وجَرير وأبي نواسٍ وحبيبٍ والبحرِّي والرضي وأبي فراس..... والمختارُ من شعر الجاهلية. ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصرٌ رديٌّ. ولا يُعطيه الرونق والحلاوة إلَّا كَثْرَةُ المحفوظ.

---

= \* ومن شرَّ غاسقٍ إذا وَقَبَ \* ومن شرَّ النَّفَّاثَاتِ في الْعُقَدِ \* ومن شرَّ حاسدٍ إذا حُددَ \* ﴿أسجاع كما في الخطب الجاهلية مثلاً﴾، بل خواصل بين الجمل جاءت فيها هذه الألفاظ في محلِّها (بلا قصد للموافقة بين الأحرف).

(١) الاعتبار: العبرة (بالكسر)، أي الاتِّعاضُ بالحوادث التي تمرُّ بالإنسان، الاستفادة من أخطاء الآخرين ومن مصائبهم. والمقصود هنا: إنعام النظر (تفهم الأمور).

(٢) الشيوخ: الأساتذة الكبار.

(٣) الشعراء الإسلاميون هم الذين كانوا في صدر الإسلام (أيام الخلفاء الراشدين) وفي الدولة الأموية: حسان ابن ثابت وعمر بن أبي ربيعة وجَرير والأخطل النصرائي كانوا شعراء إسلاميين.

(ح) اللفظ والمعنى:

(ويجب على الشاعر أن) يَجْتَنِبَ الْمُعَقَّدَ من التراكيب جُهْدُهُ، وإنَّا يَقْصِدُ منها ما كانت معانيه تُسابق ألفاظه إلى الفهم. وكذلك كَثْرَةُ المعاني في البيت الواحد، فإنَّ فيه نَوْعَ تعقيدٍ على الفهم، وإنَّا الْمُخْتَارُ منه ما كانت ألفاظه طَبَقًا على معانيه أو أَوْفَى<sup>(١)</sup> منها قليلاً. فإن كانت المعاني كثيرةً كانت حَشَوًا، واشتغل الذهنُ بالقُوصِ عليها فَمَنَعَ الذوقَ مِنْ اسْتِيفَاءِ مَذْرِكِهِ من البلاغة. ولا يكونُ الشعرُ سَهْلًا إِلَّا إذا كانت معانيه تُسابق ألفاظه إلى الذهن. ولهذا كان شيوخنا، رَحِمَهُمُ اللهُ، يَمَيِّبون شعرَ أيِّ بكرٍ ابنِ خَفَاجَةَ شاعرٍ شرقِ الأندلسِ لكَثْرَةِ معانيه وازدحامِها في البيت الواحدِ كما كانوا يَمَيِّبون شعرَ المتنبيِّ والمعرِّيِّ بِعَدَمِ<sup>(\*)</sup> النسيجِ على الأساليب العربية، كما مرَّ، فكان شعرُهما كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر؛ والحالُ كذلك هو الذوقُ.

(ط) نشأة الموشح:

(راجع الجزء الرابع، ص ٤٢٢ و ٤٣٥).

- مدح أبي عنان فارس:

كان أبو عنانٍ فارسٌ المتوكِّلُ على الله أَحَدَ سَلَاطِينِ بني مَرَيْنٍ في فاس (٧٤٩-٧٥٩ هـ) قد غَضِبَ على ابنِ خَلْدُونٍ وَحَبَسَهُ. ولَمَّا طَالَ الزَّمَنُ على ابنِ خَلْدُونٍ في السَّجْنِ، نَظَّمَ قصيدةً في مدحِ أبي عنانِ المتوكِّلِ على الله - وكان قد مَضَى عليه في السَّجْنِ ثمانيةَ عَشَرَ شَهْرًا - وأرسلها إليه في الثُّلُثِ الأوَّلِ من شهرِ شَعْبَانَ من سَنَةِ ٧٥٩ هـ (في أواسِطِ تَمُوزَ - يوليو من عام ١٣٥٨ م). من هذه القصيدة:

على أيِّ حالٍ لِلْيَالِيِ أَعَاتِبُ؟      وأيُّ صُرُوفٍ لِلزَّمانِ أَغَالِبُ<sup>(٢)</sup>؟  
كفى حَزَنًا أَنِّي على القُربِ نازِحٌ      وأنِّي على دَعْوَى شُهودِي غَائِبُ<sup>(٣)</sup>؛

(١) أوفى: أكثر.

(\*) عدم النسيج: ترك النسيج (كلمة «عدم» هنا مستعملة على غير الوجه الصحيح).

(٢) صُرُوف الدهر: أحداثه (مصائبه).

(٣) نازح: بعيد. وأني على دعوى شهودي غائب (مع أنني موجود في بلدك، فأنا غائب عن رعايتك).

وَأَتَيْ عَلَى حُكْمِ الْحَوَادِثِ نَازِلٌ  
أَحِنُّ إِلَى الْفَنِيِّ، وَقَدْ حَالَ دُونَهُمْ  
وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ الْوَدَاعَ، وَقَدْ جَرَتْ  
عَشِيَّةً بَانُوا وَالْقُلُوبُ جَوَامِدٌ،  
وَقَفْنَا وَلَا نَجْوِي سِوَى بَيْنِ أَعْيُنٍ  
مَضَوْا يُزِمِعُونَ السَّيْرَ إِلَّا تَلَفُّسًا  
وَأَتْبَعْنَهُمْ طَرَفِي وَقَلْبِي، وَمَا دَرَوْا  
رَعَى اللَّهُ عَهْدًا ضَمَّهُ أَفَقُ تُونِسٍ  
وَجَادَتْ عَلَيْهِ الْغَانِيَاتُ بِهَا حَوَتْ  
بِلَادٌ بِهَا فَضَّ الشَّبَابُ تَائِمِي  
يُذَكِّرُنِي عَهْدَ الرِّضَا فِي جَنَابِهَا  
فَأُصْبُو، وَلَكِنْ أَيْنَ مَيِّ مَزَارُهَا؛

تَسَالِمْنِي طَوْرًا، وَطَوْرًا تُحَارِبُ.  
مَهَامِهِ فَيَحْ دُونَهُنَّ سَبَاسِبُ<sup>(١)</sup>.  
دُمُوعٌ وَزُمْتُ لِلْفِرَاقِ رَكَائِبُ<sup>(٢)</sup>،  
وَكَانَ عَقِيقٌ فِي النَّوَاطِرِ ذَائِبُ<sup>(٣)</sup>.  
وَسَتْ بِالْهَوَى مِنْهَا دُمُوعٌ سَوَاكِبُ<sup>(٤)</sup>.  
كَمَا أَلْتَقَتَتْ بَيْنَ الْأَرَاكِ الرَّبَائِبُ<sup>(٥)</sup>.  
بَأْتِي عَلَى آثَارِ هَذَيْنِ ذَاهِبُ<sup>(٦)</sup>.  
وَمَعْدَ أُنْسٍ لَمْ تَرَعُهُ النَّوَائِبُ<sup>(٧)</sup>.  
مِنَ الظَّلَمِ لَا مَا تَحْتَوِيهِ السَّحَابُ<sup>(٨)</sup>.  
وَلَا مَسَ فِيهَا التَّرْبَ مَنِّي التَّرَائِبُ<sup>(٩)</sup>.  
أَمَانٍ تَقْضَتْ لِي بِهَا وَمَارِبُ.  
وَأُبْكِي وَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَنِّي السَّحَابُ<sup>(١٠)</sup>.

- (١) الإلف: الرفيق، صاحب الذي تعودت صحبته. المهمة: المفازة (الصحراء) البعيدة. الفج (جمع أفيح وفيحاء): الواسعة. السبب: المفازة (الصحراء).
- (٢) زُمْتُ (بالبناء للمجهول) الركوبة (بالفتح): أخرجت الدابة للركوب عليها والسير بها.
- (٣) بانوا: ابتعدوا، رحلوا. القلوب جوامد: صابرة، ساكنة. عقيق: أحر. (دموع حراء كأنها من دم).
- (٤) النجوى: الكلام سرًّا بين شخصين. - الدموع هي التي أعلنت أن بيننا حبًّا.
- (٥) أزمع السير: نوى السير، قصد. الأراك: شجر. الربائب جمع ربيبة: الصغير الذي يربى عند غير أهله، ثم واحدة الغم (من الضأن أو المعزى) التي تربط إلى جانب البيت ولا تسرح في المراعي (وليس في هذه صدقة). والمقصود هنا: الغزلان (النساء الجميلات).
- (٦) طرفي: نظري. ذاهب (ميت).
- (٧) الأفق (هنا): المنطقة، البلد. راع فلان فلانًا: أخافه.
- (٨) الغانية: المرأة الجميلة. الظلم: الرقيق.
- (٩) التيمية: عودة (بالضم) أو حرز يعلق على أجسام الأطفال. فضَّ الشباب تائمي: نشأت فيها حتى بلغت الشباب. التربية: عظمة في الجانب الأعلى من الصدر. ولاس في التربة الخ: ولدت فيها. راجع قول الشاعر الأعراي (نفع الطيب ١: ١٧٣):
- بلاد بها عتق الشباب تائمي  
وأول أرض مسّ جلدي تراها.
- (١٠) أصبو: أشتاق، وإن لم تغن عني السحاب (كان مطر السحاب أقل من دموعي).

وقد أمتطي فكري لدى الليل مركباً  
وأعشو إلى مدح الخليفة فارس  
إمام هدى ضاءت شمس أهدائه  
فعل، إذا ما أظلم الخطب، نير؛  
تراحم تيجان الملوك ببابه  
لك الله من ملك أغر مهذب  
جبرت عباد الدين بعد أنصداعه  
وشيدت فخراً في ذؤابة معشر  
ومهدت ركن الملك منك بعزيمة  
ودوخت أرض الغرب حتى سابقت  
ولما طغى بالشرق كل مكذب

بذكر الذي تحدى إليه الركائب<sup>(١)</sup>.  
فتنجا بعتي للخطوب غياهب<sup>(٢)</sup>.  
فبانت لنا من بينهن المذاهب<sup>(٣)</sup>؛  
وفكر، إذا ما أشكل العلم، ثاقب<sup>(٤)</sup>.  
كما أزدحت بالدارعين المواب<sup>(٥)</sup>.  
ثقل المراقى عنده والمناصب<sup>(٦)</sup>.  
على حين لم يجبر له الصدغ شاعب<sup>(٧)</sup>.  
نمتك إلى العلياء منهم عصائب<sup>(٨)</sup>.  
تذب بها عنه الحماة الضوارب<sup>(٩)</sup>.  
لأمرك طوعاً عجمه والأعارب<sup>(١٠)</sup>.  
عصى تاجيه الأماني الكواذب<sup>(١١)</sup>،

- (١) تحدى إليه: ساق إليه (يزوره الناس ويقصدونه). الركوبة (بالفتح): الدابة التي يسافر الناس عليها.
- (٢) عشا: قصد. فارس: أبو عنان المتوكل على الله (المدوح بهذه القصيدة). انجابه: انجلي، زال. الخطب: المصيبة. الغيب (بفتح فكون): جانب من الليل شديد الظلمة (بالضم) أو شديد السواد.
- (٣) بان: ظهر، وضح. المذهب: الطريق، المنهج (في الحياة) - عرفنا به (بحسن رأيه) الصواب والخطأ.
- (٤) أشكل الأمر: ألتبس، اختلط فيه الصواب والخطأ. الثاقب: الذي يشق (ينفذ، يخرق الأشياء)، النور القوي.
- (٥) الدارع: الذي يلبس درعاً. الجندي. - يقصده ذوو التيجان (الملوك) بعدد كبير كعدد الجنود الذين يسيرون في موكله (في رفقته من الحرس).
- (٦) الأغر: الأبيض (المجيد، العظيم). ثقل (٢) المراقى (الدرجات، المقامات) عنده والمناصب: الوصول إليه صعب، والذين هم عنده هم في أعلى طبقات الناس (٢).
- (٧) جبر الطبيب العظم المكسور: رده إلى حاله الأصلية (الصحيحة)، أصلحه. عباد (عمود) الدين: الأساس الذي يقوم عليه الدين. الصدغ: الشق. شمس الرجل الأمر يشبهه (بفتح العين فيها): جمعة وفرقه أو أصلحه وأفسده (من ألفاظ الأضداد). والشاعب (هنا): الجامع للأمور، المصلح.
- (٨) الذؤابة: طرف الشعر (أعلى الأقدام في الشيء)، الذروة (أعلى الجبل). نمتك: رفعتك، بلغت بك إلى الملك. العصاية (بالكسر): الجماعة من الناس.
- (٩) ذب: دفع، حمى.
- (١٠) دوخ الرجل البلاد: سار فيها حتى عرف جميع طرقها، استولى عليها. أرض الغرب: بلاد المغرب (الجانب الشمالي الغربي من قارة إفريقيا).
- (١١) طغى: ظلم، عصى. تاجيه الأماني الكواذب: توهه أنه إذا حاربك (أو ثار عليك) نجح وانتصر.

بدأتهم بالقول؛ لو أن سعيهم  
 ولكن أبوا إلا جاحاً وما دروا  
 ولجوا على ظن بأن حصونهم  
 فستهم بالرغب قبل نزالهم،  
 وأرسلتهم من آل أمحوج غلباً  
 من القوم ما غير القنا في طريقهم  
 إذا أظلمت - جُنع النهار - دروعهم،  
 ففي الحرب آساد وفي السلم سادة،  
 وسرت، فلولا أن أمرَكَ وازع  
 بجيش يَفْصُ الأفق منه بركب،  
 حيداً لها ساءت لديهم عواقب<sup>(١)</sup>.  
 بأنك حربُ الله، والله غالب<sup>(٢)</sup>.  
 مُنَّعة، لو أن غيركَ طالب<sup>(٣)</sup>.  
 فقلتُ جموعُ منهم ومضارب<sup>(٤)</sup>.  
 عليها من الأبطال شوسُ أغالب<sup>(٥)</sup>،  
 أنيس، ولا غيرُ الهنْد صاحب<sup>(٦)</sup>.  
 أضاءت وجوهُ منهم ومناقب<sup>(٧)</sup>.  
 ويومَ الندى والمكرُمات سحائب<sup>(٨)</sup>.  
 لَسَّارت جبالٌ عندها وأهاضب<sup>(٩)</sup>.  
 ويمعِزُ عن حصْرِ الكتيبة حاسب<sup>(١٠)</sup>.

- (١) - حاولت في أول الأمر أن تخاطب الثائرين عليك بالكلام (بالمعروف). ولو كانوا يريدون الخير لما قهرتهم وقتلتهم.
- (٢) الجاح: العصيان، الرخص على غير هدى. بأنك حرب الله (تحارب في سبيل الله). حزب الله (٢).
- (٣) لج: استمر، تابع (السير)، أصر.
- (٤) حصونهم (قلاعهم) منيعة (لا يستطيع أحد أن يتولى عليها)، ولكنها لم تكن منيعة لما قصدتهم أنت.
- (٥) نزل بهم الرعب (الخوف) قبل نزاهم (قبل أن تحاربهم). قلت (بالبناء للمجهول): انفضت، تفرقت، هربت. جوع (من الجنود المحاربين). المضارب: الخيام (السكان غير المحاربين). - استوليت أنت على جميع أهل البلاد.
- (٦) أمحوج (الملوح هنا أن آل أمحوج إشارة إلى الخيل) وفي تاج العروس (الكويت ٦ : ٢٤٠) محاج (يفتح الميم وبضمها): أسم فرس معروفة من خيل العرب. غلب (بضم فلام مشدودة) لم أجدها في القاموس والمقصود: الغالبون، الأشداء - وهي (أي غلباً) حال صاحبها آل أمحوج. والدليل على أنها إشارة إلى الخيل قوله: «عليها من الأبطال .....». الأشوس: الجريء الشجاع. الأغلب: الغليظ الرقبة من داء أو من غيره (تاج العروس - الكويت ٣ : ٤٩١)، وهي هنا كناية عن الرجل القوي.
- (٧) القنا: الرماح. الهند: السيف (من صنع الهند) الجيد.
- (٨) جنح النهار (ظرف زمان) في النهار. الدرع من حديد (وتكون عادة سوداء). الثقبه: الفعل الكرم.
- (٩) الهضبة (يفتح ففتح): السهل المرتفع، الجبل إذا كان عليه بقعة مستوية. والجمع هضاب (بالكسر)، وجمع الجمع أهاضيب. وتُحذف الياء (فتصبح أهاضب) للضرورة في الشعر (تاج العروس - الكويت ٤ : ٣٩٥).
- (١٠) يَفْصُ الأفق: تضيق الأرض. الركب (يقصد «الركاب»): الفرسان. الكتيبة: القطعة من الجيش.

أبي الله إلا أن يكون لك الملا  
وإن أثبت الأعداء أنني مذنب،  
وهبهم رموني بالتي لست أهلها،  
أبعد أنتزاحي عن بلادتي تحثني  
وغراء من نل الجديل وشدقم  
يجاذب عطفها المراح فتثني  
وتكبر قدرأ أن يميل بثلاثها  
رقت بها في صفحة اليد أسطراً  
وجئت بها غور الفلاة ونجدها،  
كأنني لفظ، والبلاد تجيبي

تنيل الوري عفواً فتعني المعايب<sup>(١)</sup>.  
فصنحك، يا مولاي، للذنب سالب.  
أليس أنتساي واضح متناسب<sup>(٢)</sup>؟  
إلى بابك الأعلى مطي شواذب<sup>(٣)</sup>؟  
لها في الرياح العاصفات مناسب<sup>(٤)</sup>،  
كما التفتت في الروض حسناء كاعب<sup>(٥)</sup>  
لغيرك قصد أو تحن مطالب.  
كما زان رقماً في الصحيفة كاتب<sup>(٦)</sup>.  
وليس سوى من ذنبها ما أصاحب<sup>(٧)</sup>.  
خواطر منها للمعاني حرائب<sup>(٨)</sup>؛

- (١) تنيل (تعطي) الوري (جميع الناس) عفواً (الزيادة من مالك، ما لا تحتاج إليه من المال). المعايب (جمع معاب ومعابة ومعيبة): العيوب، النقص، الخطأ (الفقر). تعني: تفتي، تعطي (تزول).  
(٢) ... لست أهلها (لم أفعلها). أنتساي (صلتي بك). متناسب (متبادل بيني وبينك).  
(٣) انتزاحي: آبتعادي. تحثني، تدفعني. المطية: الدابة يركبها المسافر. الشاذب: الحصان الضامر البطن (ويكون سريعاً).  
(٤) غراء: (فرس) يبيض (أو لها بياض في جبهتها)، كريمة الأصل. الجديل وشدقم حصانان للثمان بن المنذر (القاموس المحيط ٣: ٣٤٧ و ٤: ١٣٥).  
(٥) العطف (بالكسر): الجانب الأعلى من الصدر. المراح: النشاط: يجاذب عطفها المراح (نشاطها يجعلها تميل يميناً ويساراً). تنثني: تميل (تلتفت، تلتفت بدلال وكبرياء. الكاعب: الفتاة إذا تكور ثدياها وتم غوها.  
(٦) رقت بها..... سرت طويلاً في البوادي (كثرت أسفاري). زان: زين، زخرف. الرقم: الكتابة (يقصد سافرت كثيراً في البلاد وإلى كل مكان).  
(٧) جاب محبوب: قطع (سافر): الفلاة: الأرض الواسعة. الغور (المنخفض من الأرض). التجد: ما ارتفع من الأرض. سافرت في كل مكان وإلى كل مكان. من ذنبها (من عذب هذه الناقة بالأسفار الكثيرة؟) يقصد ابن خلدون بذلك نفسه. ما أصاحب (ليس معي رفيق سوي-وحيداً).  
(٨) كأنني لفظ (كلام، أسئلة). والبلاد (في البلاد؟). تجيبي خواطر (فاعل «تجيبي»؟) منها للمعاني حرائب (ملوبة)- كنت، وأنا في كل بلد، تحظر في بالي خواطر لا أستطيع أن أجد معاني يمكن التعبير عنها (كنت أكره كل البلاد حتى وصلت إليك- انظر البيت التالي).

تَظُنُّ بِأَنَّ الشَّرْقَ عَنْ حَمَلِ كَنَمِهِ  
إِلَى أَنْ حَطَطْتُ الرَّحْلَ فِي سَاحَةِ الْعَلَا  
وَأَصْدَرْتَنِي عَنْ وَرْدِ نَعْمَاكَ نَاهِلًا  
فَكَيْفَ أُولَى شَطْرَ غَيْرِكَ وَجَهَةً  
وَمَا خَلَصْتَ إِلَّا لِبَابِكَ هَجْرِي،  
وَإِنِّي عَلَى عِلْمٍ بِأَنْ لَا مُمْلِكُ  
وَلَكِنْ عَوَادٍ إِنْ عَدْتَنِي عَنِ الزَّمَا  
سَأَنْزِعُ عَمَّا أَنْتَ - وَاللَّهِ - سَاخِطٌ،  
وَأَسْطُو عَلَى الْأَيَّامِ مِنْكَ بَنُوْبِيَّةٍ  
وَتَوْسِيعُنِي نَعْمَاكَ أَفْضَلَ نِعْمَةٍ

يَضِيقُ قَتَطُوِي سِرَّهُنَّ الْمَغَارِبُ<sup>(١)</sup>  
لَدَى بَابِكَ الْأَعْلَى كَمَا حَطَّ آيِبُ<sup>(٢)</sup>.  
وَقَدْ أَثْقَلْتُ ظَنِّي إِلَيْكَ الْمَوَاهِبُ<sup>(٣)</sup>.  
أَوْمَلُ مِنْهُ نَجْمَةٌ أَوْ أَرَاقِبُ<sup>(٤)</sup>؟  
وَلَمْ تَصْفُ لِي مِمَّنْ سِوَاكَ الْمَشَارِبُ<sup>(٥)</sup>.  
سِوَاكَ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا عَنْكَ ذَاهِبُ<sup>(٦)</sup>.  
نِ زَمَانًا، فَلَوْنِي الْيَوْمَ مِنْهِنَّ تَائِبُ<sup>(٧)</sup>.  
فَأَمْرُكَ مَحْتَمٌ عَلَى الْخَلْقِ وَاجِبُ<sup>(٨)</sup>.  
كَمَا أَفْتَرَسْتَنِي بَيْنَهُنَّ النَّوَائِبُ<sup>(٩)</sup>.  
يَرِيشُ بِهَا عَظْمِي وَتَرَى الْمَكَاسِبُ<sup>(١٠)</sup>.

(١) لا في الشرق (تونس) ولا في المغرب (الجزائر والمغرب) وجدت من يدرك معاني (يعرف مقداري ومكاني)...

- (٢) حططت الرحل: نزلت، استقررت (سكنت). الآيب: الراجع من سفر إلى بلده (يبقى فيه دائماً).  
(٣) أصدرتني: رددتني. الورد (بالكسر): الجيء إلى الماء للشرب. ناهل: ريان (مكتف من الماء) - لما جئت إليك أعطيتني عطايا كثيرة. وقد أثقلت إلخ (وكنيت أظن أن ما أريد أن أطلبه منك كثير): أعطيتني فوق ما كنت أريد.  
(٤) النجمة: قصد أصحاب الأموال لنيل عطاياهم. أراقب. (أرجو أن يعطيني شيئاً - يقصد أن جميع الناس، غيرك، بخلاء).  
(٥) - هاجرت (قصدت) إلى أبواب ملوك كثيرين. يجئني إليك وحدك كان اعتقاداً مني بكرمك وإخلاصاً في محبتك. لم تصف لي إلخ: لم أكن مسروراً عند أحد (غيرك).  
(٦) - أنا واثق بأنه لا يوجد في هذا العالم ملك (يستحق هذا الاسم) غيرك. وليس هنالك من يستحق أن يذهب الناس إليه (للعطاء) غيرك.  
(٧) ولكن عوادٍ (جمع عادية): نوائب، مصائب. عدتني: جاوزتني، (أبعدتني). عن الزمان (عن السرور في الحياة؟ عنك). زماناً (مدة).  
(٨) نزع عن الشيء: تركه.  
(٩) - سأعدي أنا على حوادث الأيام (على المصائب) بنوبة (بمدة أكون فيها حراً قوياً غنياً)، كما كانت المصائب قد اعتدت عليّ كثيراً من قبل، وسيكون الفضل في ذلك لك.  
(١٠) راش يریش: أصبح غنياً، ذا رياس (أثاث كثير في بيته). يریش عظمي: يكسي عظمي لحماً، بعد أن أفتقرت وجئت حتى برزت عظامي للميون. تَرَى تتوالى، تتصل.



فما في الليالي من ذمير ولو أتى، إذا حُيدت بعد المبادي العواقب<sup>(١)</sup>.  
- مطلع في الغزل:

قال ابن خلدون في صدر قصيدة طويلة في المديح (سنة ٧٦٢ هـ):

أَسْرَفَنَ فِي هَجْرِي وَفِي تَعْذِيبِي وَأَطْلَنَ مَوْقِفَ عَبْرَتِي وَنَحْيِي<sup>(٢)</sup>؛  
وَأَبَيْنَ يَوْمَ الْبَيْنِ وَقْفَةً سَاعَةً لِدَوَاعِ مَشْغُوفِ الْفَوَادِ كَثِيبِ<sup>(٣)</sup>.  
مَا هَاجَنِي طَرْبٌ وَلَا أَعْتَادَ الْجَوَى لَوْلَا تَذَكُّرُ مَنْزِلٍ وَحْيِيبِ<sup>(٤)</sup>.  
وَإِذَا الدِّيارُ تَعَرَّضَتْ لِمُتَيِّمٍ هَزَّتْهُ ذِكْرَاهَا إِلَى التَّشْيِيبِ.  
فِي كُلِّ شَيْعٍ مُنِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا هَجَرُ الْأَمَانِي أَوْ لِقَاءِ شُعُوبِ<sup>(٥)</sup>.  
هَلَّا عَطَفْتَ صُدُورَهُنَّ إِلَى الَّتِي فِيهَا لُبَانَةٌ أَعْيِنِ وَقُلُوبِ<sup>(٦)</sup>.  
فَتَوْمٌ مِنْ أَكْنافٍ يَثْرِبُ مَأْمَنًا يَكْفِيكَ مَا تَخْشَاهُ مِنْ تَثْرِيبِ<sup>(٧)</sup>.

٤- \* كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي

- (١) العاقبة: النهاية، النتيجة. - فما في الليالي.....: إذا صَلَحَتْ حال الإنسان نسي كلَّ شقاء كان قد لقيه من قبل. لشكسبير (ت ١٦١٦ م = ١٠٢٥ هـ، بعد ابن خلدون بأثنتين وسبع عشرة سنة)، رواية تمثيلية عنوانها: All's Well That Ends Well: ما كانت نهايته حسنة فهو حسن.
- (٢) هؤلاء النسوة جعلنني أطيل وقوفي على الأطلال أبكي وأنتخب.
- (٣) أمي: رفض. البين: البعاد، الفراق. المشغوف: الذي بلغ الحب إلى شغاف (بضمّ الثين) قلبه (شغاف القلب: غلافه أو حجاباه أو داخله).
- (٤) الطرب ما يثير الإنسان من فرح أو حزن. أعتاد: عاد مرة بعد مرة. الجوى: شدة الوجد والحنين إلى المحبوب حتّى تشبه حاله حال المريض.
- (٥) الشعب (بكسر الثين) الشعبة، الفرقة، القسم من الطريق أو من الأمة. شعوب (يفتح الثين وبلا لام للتعريف): النية، الموت.
- (٦) صدورهن: صدور النياق (هلا مِلَتْ بالنياق نحو المدينة، مدينة الرسول). اللبانة: الحاجة.
- (٧) أمّ: قصد. أكناف: أطراف. يثرب: المدينة، مدينة الرسول. التثريب: اللوم.
- (\*) اعتمدت في جمع هذه القائمة مراجع مختلفة: تاريخ الأدب العربي (النسخة الألمانية) لبروكلن - بطاقات مكتبة يافت في الجامعة الأميركية في بيروت - مؤلفات ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بدوي (دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م).
- (٨) يُلقب هذا الكتاب باسم «عنوان العبر....» (بروكلن ١: ٣١٦، السطر ٢١) وبأسم «ترجمان العبر.....» (مؤلفات ابن خلدون، ص ٢٩، السطر الأول).

- السلطان الأكبر<sup>(١)</sup>، بولاق<sup>(٢)</sup> ١٢٨٤ هـ؛ بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة، والنشر، بيروت ١٩٥٦ - ١٩٦١ م (١٣٧٤ هـ)، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ - ١٩٦٨ م).
- الجزء الأول من كتاب العبر (ويعرف بمقدمة ابن خلدون):
- ★ (نشرها كاترمير)، باريس ١٨٤٧ - ١٨٥٨ م.
- ★ (بتصحيح نصر المهوريني)، بولاق ١٢٧٤ هـ.
- ★ بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٧٩، ١٨٨٦، ١٩٠٠ م.
- ★ مصر - القاهرة ١٣١١، ١٣٢٠، ١٣٢٢، ١٣٢٧، ١٣٣٦<sup>(٣)</sup>، ١٣٤٩ هـ (٤).
- ★ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م.
- ★ (تحرير عليّ عبد الواحد وافي)، القاهرة (لجنة البيان العربي) ١٣٧٧ هـ وما بعد = ١٩٥٧ - ١٩٦٢ م.
- ★ (لجنة من العلماء)، القاهرة (المكتبة التجارية) بلا تاريخ.
- ★ (اللجنة الدولية لترجمة الروائع)، بيروت ١٩٦٧ م.
- أقام من كتاب العبر:
- أخبار الفرنج فيما ملكوه من سواحل الشام وثغورها وكيف تغلبوا عليها وبداية أمرهم في ذلك ومصابره (نشرها تورنبرغ)، أويسلا ١٨٤٠ م.
- أخبار دولة بني الأغلب في إفريقية وصقلية إلى حين استيلاء الفرنجة على صقلية (نويل دي فيرجيه) باريس ١٨٤١ م.
- تاريخ الدول الإسلامية في المغرب (نشره دي سلان)، الجزائر (دار الطباعة السلطانية) ١٨٤٧ - ١٨٥٦ م.
- تاريخ الأسرة العقيلية (تيزهاوزن)، بطرسبورج ١٨٥٩ م.
- مختارات من ابن خلدون، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٤٩ - ١٩٥٠.
- التعريف<sup>(٤)</sup> بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً (تحقيق محمد بن تاويت الطنجي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م.
- كتب لابن خلدون:
- لباب المحصل<sup>(٥)</sup> في أصول الدين، القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٣ هـ.

(١) ويعرف اختصاراً باسم «تاريخ ابن خلدون».

(٢) بولاق حيّ من أحياء القاهرة كانت فيه المطبعة الأميرية. فإذا قيل بولاق يمكن أن يُعنى بها مكان الطبع (في مقابل القاهرة)، ويمكن أن يُعنى بها المطبعة.

(٣) إن طبعتي ١٣١١ و ١٣٤٩ كانتا في المطبعة الأزهرية. ولم أستطع تحقيق أسماء المطابع للطبعات الباقية.

(٤) ترد هذه الترجمة الذاتية التي صنعها ابن خلدون لنفسه في آخر كتاب «العبر» (في آخر الجزء السابع).

(٥) قال عبد الرحمن بدوي (مؤلفات ابن خلدون، ١٥ - ١٦): «.... وقد نُشر الكتاب في إستانبول سنة ١٩٥٨ (للميلاد). ثم جاء الأب أغناطيوس عبده اليسوعي مدير مجلة «المشرق» التي يصدرها الآباء =

- شفاء السائل لتهديب المسائل (نشره لوثيانو رويو)، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٢ م؛ (عارضه في أصوله محمد بن تاويت الطنجي)، أنقرة (منشورات كلية الآليات)، إستانبول (مطبعة عثمان بلشن) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م؛ (نشره إغناطيوس عبده خليفة اليسوعي- في منشورات معهد الآداب الشرقية) بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٩ م. كتب ودراسات مستقلة في ابن خلدون<sup>(١)</sup>:

★★- إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون أو المرشد المبدئي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي<sup>(٢)</sup>، تأليف أحمد بن الصديق، دمشق ١٣٤٧ هـ = ١٩٣٤ م.

- ابن خلدون، تأليف تيسير شيخ الأرض  
- ابن خلدون، تأليف محمد جعفر وفوزي سليمان، القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) بلا تاريخ.

- ابن خلدون: حياته وتراثه الفكري، تأليف محمد عبد الله عنان، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٣٣ م، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٣ م، ثم ١٩٦٦ م.

- ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية تأليف جوستون بوتول (ترجمة غنيم عبدون)، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ١٩٦٤ م.

- ابن خلدون (في سلسلة الروائع، رقم ١٣-١٥) تأليف فؤاد أفرام البستاني، بيروت المطبعة الكاثوليكية).

- ابن خلدون في المدرسة العادلية (مطبوع مع «محمد والمرأة») تأليف عبد القادر المغربي، دمشق (مطابع قوزما) ١٩٢٨ م.

- ابن خلدون: قائمة بمؤلفاته، انظر، تحت: قائمة بمؤلفاته.

- ابن خلدون: منتخبات، تأليف جميل صليبا وكامل عياد، دمشق (مطبعة ابن زيدون) ١٩٣٣ م.

- ابن خلدون منشئ علم الاجتماع، تأليف علي عبد الواحد وافي، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) بلا تاريخ.

= اليسوعيون في بيروت بلبنان، فنشر كتاب ابن خلدون (شفاء السائل) في نشرة أخرى قرغ من طبعا في ٣٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٥٩، أي بعد نشرة محمد بن تاويت الطنجي بحوالي تسعة أشهر. ومن المؤكد أن الأب أغناطيوس عبده خليفة- برغم ذلك- لم يطلع على نشرة الأستاذ الطنجي، وإلا لتلافى الأخطاء الفاحشة العديدة جداً والتي وقعت في طبعته. وهي على أنواع.....».

(١) هنالك عدد من المقالات والبحوث على مستويات مختلفة من الطول (ومن القيمة أيضاً) نشرت في عدد من المجلات المختلفة لم أر ضرورة لذكرها هنا. فمن شاء الإطلاع على عناوينها ومطابقتها نشرها فليرجع إلى كتاب «مؤلفات ابن خلدون» لعبد الرحمن بدوي (ص ٣١٧-٣٢٣).

(٢) المهدي هو الذي يرجع إلى الدنيا في آخر الزمان ليملا الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً. راجع كلام ابن خلدون في ذلك في مقدمة ابن خلدون: بيروت ١٩٠٠ م (ص ٣١١-٣٣٠)، بيروت- دار الكتاب اللبناني ١٩٦١ م، (ص ٥٥٥-٥٨٦).

- ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، تأليف عبده الحلو، بيروت (بيت الحكمة) ١٩٦٩ م.
- ابن خلدون وعلوم المجتمع، تأليف محمود عبد المولى، ليبيا (الدار العربية للكتاب) ١٩٧٦ م.
- أعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة من ٢ إلى ٦ يناير (كانون الثاني) (مشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنتائية)، القاهرة (الاتحاد القومي - دار ومطابع الشعب) ١٩٦٢ م.
- التفكير العلمي عند ابن خلدون، تأليف ابن عمّار الصغير، الجزائر ١٩٦٩ م.
- حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية، تأليف محمد الحضّر حسين التونسي، القاهرة (المطبعة السلفية ومكتبها)، دمشق ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٤ م.
- دراسات عن ابن خلدون، تأليف ساطع الحصري<sup>(١)</sup>، بيروت (مطبعة الكشاف) ١٩٤٣ - ١٩٤٤ م؛ (نشر على نفقة محمد ناجي الحصري<sup>(٢)</sup>)، بغداد، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣ م؛ طبعة ثالثة، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٩٦٧ م.
- دقائق وحقائق في مقدّمة ابن خلدون، تأليف ، بغداد (مطبعة أسعد) ١٩٥٥ م.
- عبد الرحمن بن خلدون، تأليف محسن الزمرلي، تونس ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- عبد الرحمن بن خلدون، بقلم علي عبد الواحد وافي (أعلام العرب، رقم ٤)، القاهرة وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإدارة العامة للثقافة، قبل (؟) ١٩٦٢ م.
- عبد الرحمن بن خلدون: حياته وآثاره ومظاهر من عبقريته، تأليف علي عبد الواحد وافي، القاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد) بلا تاريخ.
- العرب وابن خلدون، تأليف أبي القاسم محمد كرو، تونس (مطبعة الترقّي) ١٩٥٦ م.

(١) هو ساطع بن محمد هلال الحصري (بضمّ ففتح)، كنيته: أبو خلدون (لأنّه سَمّى ابنه خلدوناً)، حليبي الأصل، ولد سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) في صنعاء اليمن. تعلّم في استانبول فنشأ تركي الثقافة. أنشأ مجلة «التربية» (بالتركية) وآلف عدداً من الكتب (بالتركية أيضاً). وعمل في التعليم والإدارة. وفي عام ١٩١٨ م (بعد الحرب العالمية الأولى)، جاء إلى سورية وأتصل بالملك فيصل وتولّى وزارة المعارف ثم (بعد سقوط الدولة العربية في سورية وانتقال الملك فيصل إلى العراق)، ذهب هو أيضاً إلى العراق وتولّى إدارة دار الآثار ورئاسة كلّية الحقوق. وفي عام ١٩٤١ (بعد خيبة ثورة رشيد عالي الكيلاني) أخرج من العراق فجاء إلى بيروت. ثم انتقل (بعد الحرب العالمية الثانية، عام ١٩٤٦) إلى مصر. ولساطع الحصري عدد كبير من الكتب بالعربية أهمّها «دراسات عن ابن خلدون». وقد كان ساطع الحصري قد جمع موادّ كثيرةً لكتابه هذا. فلما أخرج من العراق بقيت تلك الموادّ في العراق. ودوّن ساطع الحصري هذا الكتاب من ذاكرته، بعد الاستعانة بعدد يسير من الكتب. وكانت وفاته في مصر، سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٣ م).

(٢) بالخاء والضاد المنقطتين من فوقها (وبالتصغير).

- العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، تأليف محمد عابد الجابري، الدار البيضاء (دار الثقافة) ١٩٧١ م.
- علم الاجتماع الخلدوني، تأليف حسن الساعاتي، طبعة ثالثة، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٥ م.
- فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تأليف طه حسين (نقله إلى العربية محمد عبد الله عيّن)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٥ م.
- قائمة بمؤلفاته وبعض المراجع التي كتبت عنه بمناسبة المهرجان العلمي الذي ينظمه المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة (دار الكتب) ١٩٦٢ م (صفحات: ٣٦ و ٢٢).
- كلمة في ابن خلدون، تأليف عمر فروخ، بيروت (منشورات مكتبة منيمنة) ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م، الطبعة الثانية ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م.
- لقاء ابن خلدون وتيمورلنك، (تعليق محمد توفيق)، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦٥ م.
- مجلة « الحديث » (حلب)، عدد خاص (أيلول - سبتمبر ١٩٣٢ م).
- مجلة « الفكر » (تونس)، عدد خاص (آذار - مارس ١٩٦١ م).
- مختارات من ابن خلدون، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٤٩، ١٩٥٠ م.
- مع ابن خلدون، تأليف أحمد محمد الحوفي، مصر ١٩٥٢ م.
- مقدمة ابن خلدون: دراسة - مختارات، تأليف يوحنا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٧ م.
- منتخبات من مقدمة ابن خلدون (مع ملاحظات بقلم دونكان ب. مكدونالد)، لندن (بريل) ١٩٦٢ م.
- منطق ابن خلدون في ضوء حياته وشخصيته، تأليف علي حسين الوردي، القاهرة (معهد الدراسات العربية العالية) ١٩٦٢ م.
- مهرجان ابن خلدون (مايو - أيار ١٩٦٢)، نظّمته كلية الآداب (في جامعة محمد الخامس) بمشاركة اتحاد كتاب المغرب العربي وجمعية قدماء مولاي إدريس، الدار البيضاء (دار الكتاب) بلا تاريخ.
- مؤلفات ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بدوي (منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية)، مصر (دار المعارف) ١٩٦٢ م.
- صفحات من كتب<sup>(١)</sup> (منسوقة على حروف المهجاء):
- أزهار الرياض ٢: ٢٠٦ وما بعد؛ الاستقصا ٢: ١٢٠ - ١٢١؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٠٦ - ١٠٧ (٣: ٣٣٠)؛ بالنشأ (راجع: تاريخ الفكر الأندلسي)؛ البدر الطالع ١:

(١) فيما يلي صفحات من الكتب التي جرت العادة بإيراد بعضها دون بعض في آخر كلّ ترجمة (في هذا الكتاب) ما أمكن. ولكنّ هنالك عدداً أكبر من الكتب التي يرد فيها فصول تتعلّق بابن خلدون لم أر أن أستنفدها هنا. ويأمكن الباحث، إذا أراد، أن يراجع إليها في «مؤلفات ابن خلدون» (لبدو الرحمن بدوي)، ص ٣١٧ - ٣٣٨ (بالعربية وبغير العربية).

٣٣٧-٣٣٩؛ بروكلمن ٢: ٣١٤-٣١٧، الملحق ٢: ٣٤٢-٣٤٤؛ تاريخ العلوم عند العرب (لعمر فروخ) ٤٤٢-٥١٦؛ تاريخ الفكر الأندلسي ١٥٤-١٥٥؛ ٢٥٩-٢٦٦، ٤١٥-٤١٧؛ تاريخ الفكر العربي (لعمر فروخ) ٦٩١-٧٠٩؛ تاريخ النقد الأدبي (لإحسان عباس) ٦١٥-٦٣٠؛ تعريف الخلف ٢: ٢١٣-٢١٥؛ دائرة المعارف الإسلامية (بالانكليزية) ٣: ٨٢٥-٨٣١؛ سارطون (راجع: مقدمة إلى تاريخ العلم)؛ سركيس ٩٥-٩٧؛ شذرات الذهب ٧: ٧٦-٧٧؛ الضوء اللامع ٤: ١٤٥-١٤٩؛ عصر سلاطين المماليك ٦: ٢١١-٢٤٨؛ عنوان الأريب ١: ١٠٧-١١٤؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٨-٢٢٣؛ معجم المطبوعات العربية (راجع: سركيس)؛ معجم المؤلفين ٥: ١٨٨-١٩٠؛ مقدمة إلى تاريخ العلم (لجورج سارطون بالانكليزية) راجع فهارس الأجزاء الثلاثة (خسة مجلدات) والجزء الثالث (مجلدين) منها خاصة: عصر جفري شوسر واين خلدون وحداي كرسكاس<sup>(١)</sup>، ص ١٠١٩-١٨٧١ (مجموع المجلد الثاني من الجزء الثالث)؛ المكتبة العربية الصقلية ٤٦٠-٥٠٨؛ نفح الطيب ١: ١٤٧، ٢٣٢-٢٣٨، ٢٨٢-٢٨٣، ٣٢٧-٣٣٠، ٣٣٢، ٣٤١-٣٤٢، ٣٥٢-٣٥٤، ٣٥٦-٣٥٩، ٣٦٤-٣٦٦، ٣٩٨، ٤٢٤، (٤٤٦-٤٤٩)، ٤٥٢-٤٥٣، ٥٧٧-٥٧٨، (٢): ١٢٥، ٢٠١-٢٠٢، ٥٢١-٥٢٣، (٤): ٣٧٣، (٥): ٨، ٩٥، ١٠٨، ١١٠-١١٢، ٢٥٤-٢٥٦، ٤١٢، (٦): ١٧١-١٩١، ٣٨٩-٣٩٦، (٧): ٥، ١٧؛ نيل الابتهاج (مصر) ١٦٩-١٧٠.

## ابن قنفذ القسطنطيني

١- هو أبو العباس أحمد بن حسن الخطيب (ت ٧٥٠ هـ) بن علي الخطيب (ت ٧٣٣ هـ) بن حسن<sup>(٢)</sup> بن علي بن ميمون القسطنطيني، نسبة إلى قسطنطينة (قسطنطينية)

(١) جفري تشوسر (١٣٤٠-١٤٠٠ م) شاعر وكاتب انكليزي من أهل لندن، أشهر كُتبه «أفاقيص كانتربري». وقد عملت كُتبه على تثبيت عدد من قواعد اللغة الانكليزية. - حدادي (بفتح الحاء المهملة أو بكسرهما) بن إبراهيم كراسكاس (أو قراقاس) من أهل برشلونة (إسبانية)، فيلسوف يهودي حاول أن يخلص الفكر اليهودي من أثر الفلسفة الأرسطوطاليسية. ومع أنه لم يرفض مكانه العقل في الفلسفة، فإنه حاول أن يلتقي عليه عدداً من القيود. ويبدو أنه كان لحجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) أثر بالغ في تفكيره، كما أنه تأثر أيضاً بنفر آخرين من الفلاسفة المسلمين كآين رشد مثلاً (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م).

(٢) لابن قنفذ القسطنطيني في كتاب «الفارسية» ترجمة ودراسة مفصّلتان (ص ٣٩-٩٥)، وهو هنالك ابن «القنفذ» (بالتعريف). وفي بروكلمن: ابن قنفوذ. أمّا سبب التسمية «ابن قنفذ» فلا يعرف الدارسون لها وجهاً. وفي سلسلة نسبه «الحسين» مكان «الحسن» (مرتبن).

في القطر الجزائري، والشهير بابن الخطيب وبابن قنفذ<sup>(١)</sup>. ولعلّ مَوْلَدُهُ كان في سَنَةِ ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ - ١٣٤٠ م).

بدأ ابنُ قُنْفُذٍ طَلَبَ العلمِ على والدهِ حسنٍ وعلى جَدِّهِ لَأَمِّهِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسَفَ بْنِ يَعْقُوبَ الْمَلَّارِيِّ الصَّوْفِيِّ (ت ٧٦٤ هـ) ثمَّ على الحسَنِ بْنِ خَلْفِ اللَّهِ بْنِ بَادِيسَ الْقَنْسَطِينِيِّ (ت ٧٨٤ هـ) والحسَنِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بَادِيسَ الْقَنْسَطِينِيِّ (ت ٧٨٧ هـ) وغيرِهما.

وفي سَنَةِ ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) رَحَلَ ابنُ قُنْفُذٍ إِلَى فَاسَ وتلقَى العلمَ على نفرٍ من عُلَمَائِهَا ومن العُلَمَاءِ الطَّارِئِينَ عَلَيْهَا. مِنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعاً: الشَّرِيفُ الْقَرْنَاطِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ السَّبْقِيُّ (ت ٧٦٠ هـ)، وأبو مُحَمَّدٍ الْمَرْغِيّ الزُّقَنْدَرِيُّ (ت ٧٦٨ هـ)، والشَّرِيفُ التِّلْمَسَانِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ (ت ٧٧١ هـ)، والشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ اللَّجَائِي (ت ٧٧٣ هـ)، وأبو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُعْطِيٍّ الْعَبْدُوسِيِّ (ت ٧٧٦ هـ) وأبو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ الْوَانِغِيْلِيُّ الْفَاسِيُّ (ت ٧٧٩ هـ)، وابنُ مَرْزُوقِ التِّلْمَسَانِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ (ت ٧٨١ هـ)، وأبو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمِ الْقَبَّابِ الْفَاسِيِّ (ت ٧٧٩ هـ).

وقد تَطَوَّفَ ابنُ قُنْفُذٍ فِي عَدِيدٍ مِنْ مَدَنِ الْقَطْرِ الْمَغْرِبِيِّ (٧٥٩ - ٧٧٦ هـ) ثُمَّ عَادَ إِلَى قَنْسَطِينَةَ وتولَّى الحُطْبَةَ والقضاءَ والإفتاءَ فِيهَا وتصدَّرَ حيناً للتدريس.

وكانتْ وِفَاةُ ابنِ قُنْفُذٍ الْقَنْسَطِينِيِّ فِي ثَانِي عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٨٠٩ (١٤٠٦/٨/٢٧ م).

٢- نشأ ابنُ قُنْفُذٍ الْقَنْسَطِينِيِّ فِي أُسْرَةٍ عِلْمٍ وَوَجَاهَةٍ وَثْرَةٍ، فَقَدْ كَانَ جَدُّهُ ثُمَّ وَالِدُهُ مِنْ بَعْدِ جَدِّهِ يَتَوَلَّيَانِ الحُطْبَةَ فِي قَنْسَطِينَةَ مَدَّةً تَزِيدُ عَلَى سِتِّينَ سَنَةً. وَكَانَ مُؤَلِّفًا مُكْثَرًا، وَلَكِنْ أَكْثَرَ مُؤَلَّفَاتِهِ قَدْ ضَاعَ. وَمُنْظَمُ هَذِهِ الْمُؤَلَّفَاتِ كَانَ فِي الْفِقْهِ وَفِي الْفَلَكَ وَالطَّبِّ وَالْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ (تَقْسِيمُ الْمَوَارِيثِ) ثُمَّ فِي الْعَرَبِيَّةِ (النحو). فَمِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ: مَعَاوَنَةُ الرَّائِضِ فِي مَبَادِيءِ الْفَرَائِضِ - هَوَايَةُ السَّالِكِ فِي بَيَانِ أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ - سِرَاجُ

(١) توفِّي سنة ٦٦٤ هـ (وفيات ابن قنفذ ٣٣٠). وأرى أن المدى بين وفاة جده (٧٣٣ هـ) وبين وفاة والد جده (٦٦٤ هـ) واسع جدًا (٦٩ سنة!).

الثقات في علم الأوقات - تيسير (تسهيل) المطالب في تعديل الكواكب - حطّ الثّقاب عن وجوه أعمال الحساب - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية - نُحفة الوارد في اختصاص الشرف من قِبَلِ الوالد - شرف الطالب في أسنى المطالب - تحصيل المناقب وتكميل المآرب - شرح المنظومة الحساوية في القضايا النجومية (لأبي الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني) - طبقاتُ علماء قسنطينة - أنس الفقير وعزّ الحقيّر (في ترجمة أبي مدين شعيب الصوفي) - كتاب الوَفَيَات . وهنالك كتب أخرى له ضاعت .

### ٣ - مختارات من آثاره

- من مقدّمة « الفارسية » وخاتمتها:

.... وبعدُ فهذا مُختَصَرٌ فيه ما تَسَوَّفُ النفوسُ إليه مِن الاطّلاعِ على مبادئ الدَوْلَةِ الحَفْصِيَّةِ وما يتعلّقُ بها من مُهمّاتِ الوقائعِ الجَلِيَّةِ بكلامٍ كُلِّيٍّ تحسّنُ الحاضرةُ به وتحصّلُ الإفادةُ بسببه . ولشرفه برّفه إلى الحضرة العليّة وفخر زمانٍ وضعه بأيامِ الإمارة العزيزية والمُجاهديّة سَمَّيْتُهُ « الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية » . واللهُ المسؤولُ في التوفيقِ والهداية إلى سَوَاءِ السبيل .

... وههنا انتهى الغرض فيما تعلق بالدولة الحفصية العُمريّة من ذِكرٍ بعضِ وقائعها الجليّة ، من مبدئها إلى هذا التاريخ الذي هو من آخرِ سَنَةِ خمسٍ وثَمَانِيَاةٍ - أدامها الله رحمةً للإسلام بمجاهد النبيّ عليه السلام .

- من متن كتاب « الفارسية » في مبادئ الدولة الحفصية:

(٢) وفي السّنة التي بُويِعَ فيها الأميرُ أبو حفص (١) أخذَ النّصارى جزيرةَ جَرَبّةَ وأَسْرَوْا من الشبابِ القويِّ والشابّةِ الحسنةِ (٢) ثَمَانِيَةَ آلاَفٍ وقتلوا الصّغارَ . ونهبوا الأمتعةَ

(١) هو أبو حفص عمر ، جاء إلى العرش سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) ولم تطل مدّته (راجع زامباور ١١٥)، ولم يُمدّه حسن حني عبد الوهاب في سلاطين بني حفص في تونس (راجع خلاصة تاريخ تونس، ص ١٠٧-١٠٨ و ١٢٥).

(٢) جربة جزيرة عند الشاطئ الجنوبي الشرقي من القطر التونسي.

(٣) يقصد: من الثبّان الأقوياء ومن الثّبات (الفتيات) الحسنات.



والأموال والزيت والزبيب ما حملوا (في) سُنْهِمُ التي هي نحو السبعين وفي سُنْ الجزيرة التي هي نحو الثلاثين. وفي مدته أيضاً، في سنة ثلاث وثمانين وستمائة، نزل النصرى المهدية؛ ومات منهم نحو المائة، ومات من أهل المدينة ثلاثة. وأنصرفوا بعد إقامة خمسة أيام.

- وصف «كتاب الوفيات»

قال ابن قنفذ<sup>(١)</sup>:

.... ومما حافظ عليه أهل الحديث كثيراً تاريخ وفيات الصحابة والمحدثين خوفاً من المدلسين<sup>(٢)</sup>، ولذلك قال بعضهم: إذا اتَّهَمْتُمْ أحداً في أخذٍ أو رواية فاحسُّوا سنَّه وسنَّه وفاة من أخذ عنه<sup>(٣)</sup>، فبذلك يتبين هل أدركه أم لا..... ولنذكر في هذا الكتاب ما حضرني من وفيات الصحابة والمحدثين والمؤلفين. و(قد) رتبته على المثين من السنين<sup>(٤)</sup> بوجه لم أسبق إليه.

- من متن «كتاب الوفيات»:

المائة الثامنة<sup>(٥)</sup>: تُوَفِّيَ الفقيه المحدثُ الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني<sup>(\*)</sup> صاحب «عنوان الدرارية» وغيره شهيداً سنة أربع وسبعمائة. وفي هذه السنة تُوَفِّيَ أبو الحسن الغرافي<sup>(٦)</sup>. وفي سنة سبع وسبعمائة تُوَفِّيَ فقيه شيوخ الأولياء أبو زيد الهزميري<sup>(٧)</sup> بمدينة فاس. وتُوَفِّيَ الفقيه الأديب أبو

(١) نص يرد في كتاب لابن قنفذ هو «شرف الطالب في أسنى المطالب» (راجع «كتاب الوفيات» - تحقيق عادل نويهض - ٢١).

(٢) التدليس أن يكتم البائع عيب السلعة عن المشتري. وفي الحديث خاصة: أن يزعم رجل أنه سمع حديثاً من فلان وهو لم يسمعه منه، أو ينسب إلى شيخه أشياء ليست موجودة في شيخه.

(٣) .... فاحسُّوا سنَّ (الراوي) والسنة التي تُوَفِّيَ فيها الرجل الذي قال ذلك الراوي أنه أخذ عنه.

(٤) رتبته على تعاقب سنوات الوفاة (فذكر الذي مات في سنة قبل الذي مات في سنة بعدها).

(٥) المائة الثامنة (أو القرن الثامن) تبدأ سنة ٧٠١ وتنتهي سنة ٨٠٠.

(\*) تجد ترجمته في هذا الجزء.

(٦) هو علي بن أحمد بن عبد الحسن بن أحمد الحسيني الإسكندراني (٦٢٨ - ٧٠٤ هـ) محدث ثقة.

(٧) هو أبو زيد عبد الرحمن الهزميري من أهل مرآكش، كان من الأولياء الصالحين. ويروي الناس عنه عدداً من الكرامات.

عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ خَيْسٍ التُّونِسِيُّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِمِائَةٍ.

... العشرة<sup>(١)</sup> الثالثة من المائة الثامنة. تُوْفِّي الشَّيْخُ الْمُحَقِّقُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ الْبَنَاءِ الْأَزْدِيَّ الْعَدَدِيَّ بِمَدِينَةِ مَرَّاكُشَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ..... العشرة الرابعة من المائة الثامنة..... وفي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.... وفي هذه السَّنَةِ تُوْفِّي الْجَدُّ وَالِدُ الْوَالِدِيِّ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ قُنْفُذٍ، وَكَانَتْ مُدَّةُ خُطْبَتِهِ بِقُسْطَنْطِينَةَ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً. وَتَقَلَّدَ خُطَّةَ الْقَضَاءِ بِهَا مُدَّةً ثُمَّ اسْتَعْفَى فَعُوْفِيَ<sup>(٢)</sup>. وَكَانَتْ بِهِ وَسُوسَةٌ<sup>(٣)</sup> فِي شَأْنِ عِبَادَتِهِ بَلَغَتْ بِهِ إِلَى أَنَّهُ إِذَا قَبَّلَ أَحَدًا طَرَفَ ثَوْبِهِ حَبْسَهُ بِيَدِهِ<sup>(٤)</sup> لِيَفْسِلَهُ. وَأَمَرَ مَرَّةً بِإِخْرَاجِ مَنِيرِ الْجَامِعِ حَتَّى طَهَّرَ لَهُ مِنْ صُغُودٍ غَيْرِهِ عَلَيْهِ. وَلَقِيَ أَعْلَامًا مِنَ النَّاسِ.

- ٤- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية (تحرير هنري بيريس)، الجزائر (المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية) ١٩٣٩ م (طبع في مصر)؛ (تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.
- كتاب الوفيات (نشره هنري بيريس)، الجزائر بلا تاريخ للطبع؛ (حققه عادل نوهض)، بيروت (المكتب التجاري للطبع والنشر والتوزيع) ١٩٧١ م.
- أسن الفقيه وعزّ الحقيق (تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور)، الرباط (جامعة محمد الخامس: المركز الجامعي للبحث العلمي) ١٩٦٥ م.
- ★★ تعريف الخلف ١: ٢٧-٣٢؛ الإعلام بين حل مرّاكش من الأعلام ٢: ١٦؛ درة الحجال ١: ٦٠ (١: ١٢١-١٢٣)؛ جذوة الاقتباس ٧٩؛ نيل الابتهاج ٧٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٤٣-٨٤٤؛ بروكلن ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤١؛ الأعلام للزركلي ١: ١٤٤ (١١٧)؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٠٩.

- 
- (١) (٢) لأصح أن يقال: العشر (أي العشر السنوات أو السنوات العشر) الثالثة (من المائة الثامنة).  
(٣) استعفى فلان من منصبه (طلب التخلّي عنه) فأعفى (المجهول من «أعفى») وعوفي (المجهول من «عافى») بمعنى واحد. والصفة الأولى «أعفى» أفصح وأكثر استعمالاً.  
(٤) الوسوسة والوسواس (والعامة تقول: سراب): وهمّ (يفتح فسكون فضمتين) بأنّ كلّ شيءٍ بمهّ (يفتح الميم) الآخرون نجّس (يفتح فكسر). وهذا مرض نفسي.  
(٥) حبس طرف ثوبه بيده (أسك بطرف ثوبه ليبعده عن باقي ثيابه).

## ابن الأحمر

### صاحب نشير الجمان<sup>(١)</sup>

١- ليس في سلسلة نسب ابن الأحمر هذا من تولّى عرشَ غرناطة. إنه أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج<sup>(٢)</sup> بن إسماعيل بن يوسف المدعو بالأحمر. وُلِدَ أبو الوليد إسماعيل بُعيدَ سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م). ويبدو أنَّ السلطانَ أبا الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج والمعروف بلقب «النَّيَّار» (٧٣٣-٧٥٥ هـ) قد خافَ طمعَ أبناء عمِّه بالملك فأخرجهم من الأندلس: خَرَجَ عُمُه محمد بن فرج ومعه ابنه يوسف<sup>(٣)</sup> وحَفيده إسماعيل (صاحبُ هذه الترجمة) إلى المَغْرِب، وذلك - فيما يبدو - في أيام أبي سعيد عُثْمَانَ بن يَعْقُوبَ (٧١٠-٧٣٢ هـ) تاسع ملوك بني مرين في فاس.

اشتغل أبو الوليد بن الأحمر منذُ مَطْلَعِ حياته بالعلم والأدب فتلقَّى عِلْمَ العربية (النحو) على محمد بن محمد بن داوود الصُّنْهَاجِيّ، والأدب والتاريخ على أحمد بن محمد الصَّبَّاح وعبد الغفار بن موسى البوظفي، وسمع الموطأ من الحسن بن عطية بن موسى الوانشريسي. وهناك نفرٌ من العلماء أجازوا أبا الوليد بن الأحمر إجازةً عامَّةً (في علوم مختلفة) منهم محمد بن أحمد بن عبد الملك بن شُعَيْبِ الفُستالي وأبو عبد الله محمد بن سعيد الرُّعَيْنِي السَّرَّاج.

ثم تصدَّرَ أبو الوليد بن الأحمر للتدريس في جامع القرويين في فاس وأخذ بمخالطة رجال العلم والأدب والسياسة. وقد كان أوَّلَ اتِّصالٍ له بالبلاط المريني في أيام أبي

---

(١) هذه الترجمة مبنية على الدراسة المفصلة القيِّمة التي قدَّم بها محمد رضوان الداية دراسته في كتاب «نشير الجمان». غير أن السلسلة المنطقية لتاريخ بني الأحمر كثيرة التعقيد.

(٢) في زاباؤور (ص ٩٥): إسماعيل بن محمد بن فرج، وفي نشير فرائد الجمان (ص ٦٦): إسماعيل بن يوسف ابن محمد بن فرج. وقد قبلت هنا السلسلة الثانية.

(٣) في فتح الطيب (٥: ٨٤): كانت فتنة أندرش في الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة (١٣٥٩/٨/٢٢ م) والتي جاء بها إلى عرش غرناطة إسماعيل بن محمد بن فرج. عم أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج (صاحب هذه الترجمة)، بعد خمسة وثلاثين عاماً من مولد صاحب هذه الترجمة والذي فرضنا أنه جاء مع أبيه وجده إلى المغرب طفلاً.

عنان فارس المتوكل بن علي (٧٤٩-٧٥٩ هـ) فقال عنده حُطوة كبيرة. ومع أنه أصبح مؤرخ دولة بني مرين وكاتباً عند ملوكهم ووزرائهم، فإن صلته بهم ضعفت بعد أبي عنان ثم اختلفت مكاتته عندهم صعوداً وهبوطاً.

وكانت وفاة أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر في فاس، سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م) في الأغلب.

٢- تقوم شهرة أبي الوليد بن الأحمر على أنه مؤلف خصب ترك لنا في مؤلفاته صورة للعصر الذي عاش فيه من الناحية السياسية ومن الناحية الأدبية. فمن كتبه: عرائس الأمراء ونفائس الوزراء - أعيان مدينة فاس - مستودع العلامة ومستبدع العلامة<sup>(١)</sup> - المنتخب من درر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك - فريد العصر في شعر بني نصر - شرح البردة (للبوصيري) - نثر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان - نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان - حديقة النسرين في أخبار بني مرين - روضة النسرين<sup>(٢)</sup> في أخبار بني عبد الواد وبني مرين (ألفها سنة ٨٠٧ هـ)، - تأنيس النفوس في اكمال نقط العروس (للسان الدين بن الخطيب) - نظم وشرح كتاب رقم الحلال (للسان الدين بن الخطيب)<sup>(٣)</sup> - فهرست ابن الأحمر<sup>(٤)</sup>.

(١) الاسم غريب غامض الدلالة. ويقال إن كلمة العلامة الثانية بتشديد اللام (راجع نثر فرائد الجمان ١٣٢). العلامة (بسهولة اللام، بلا تشديد)، في الأصل: الطراز (رسم اسم الملك على الأوراق والثياب والأسلحة الخ). وصاحب العلامة أصبح يطلق في الأندلس على رئيس ديوان الاتشاء.

(٢) ألف أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر هذا الكتاب أولاً برسم السلطان المريني أبي العباس أحمد المستنصر بالله بن إبراهيم (٧٧٦-٧٨٦ هـ) وبمنوان « النفة النسرينية واللمعة المرينية » ووقف به في تاريخ بني مرين عند سنة ٧٨٩ للهجرة (١٣٨٧ م). ثم جعل له مقدمة جديدة برسم السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن أحمد (٨٠١ وما بعد) وجعل له أيضاً عنواناً جديداً هو « روضة النسرين ... » (راجع بروكلمان، الملحق ٢: ٣٤٠).

(٣) كتاب « رقم الحلال الموشية » لسان الدين بن الخطيب تاريخ موجز لدول الإسلام نظمه ابن الخطيب شعراً ثم جعل عليه ابن الخطيب شرحاً قصيراً. ويبدو أن أبا الوليد بن الأحمر قد وصل هذا الكتاب (أي: زاده واستمر فيه، نظماً وشرحاً، على غرار ما كان لسان الدين قد فعل).

(٤) الفهرست: البرنامج = فهرست ابن الأحمر أو برنامج ابن الأحمر: كتاب تكلم فيه ابن الأحمر على شيوخه (أساتذته).

وأبو الوليد بن الأحمر شاعرٌ وناثر. له في الشعر قصائدٌ ومقطّعاتٌ أكثرُها شعرٌ مناسباتٌ يَغلبُ عليها المديحُ، وفيها شيءٌ من الرثاء والغزل وبعض الأغراض الإخوانية. أما أماديجُه فأكثرُها في بني مرين الذين عاشَ في كنفهم لاجئاً وفي نفرٍ من رجالِ دولتهم، وقد مدَحَ أيضاً الغنيَّ بالله النَّصْرِيَّ - وهو مُحَمَّدُ (الخامس) بنُ يوسفَ بنِ الأحمرِ ثامنُ ملوكِ غرناطة. غيرَ أنَّنا لا ندري متى مدَحَ الغنيَّ بالله هذا: أحينَ كان الغنيَّ بالله ملكاً على عرش غرناطة (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) أم حينَ كان في فاس لاجئاً (٧٦١ - ٧٦٣ هـ)؟

ولأبي الوليد بن الأحمر نسيبٌ وغزلٌ ليس فيها براعةٌ خاصّة. وله أيضاً بديعيّاتٌ أو مولديّاتٌ في مدحِ مُحَمَّدٍ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم. ثمَّ له أيضاً عددٌ من الإخوانيّات لا تخرج عن نطاق المديح كثيرًا.

وفي شعر أبي الوليد بن الأحمر صِناعةٌ وتكلّفٌ يُلقِيانِ على شعره شيئاً من جفافِ شعرِ العلماء والفقهاء. ولأبي الوليد بن الأحمر ثَرٌّ ينقسم ترسلاً يكثرُ فيه التأنق والتكلّف وتدويناً في الكتبِ مُرسلاً فيه محاولةٌ للجري على سجيّة النفس.

### ٣ - المختار من آثاره

- قال أبو الوليد اسماعيلُ بنُ يوسفَ بنِ الأحمرِ في مَوْلِدِيَّةٍ (بديعيّة يمدحُ بها رسولَ الله):

ففي الماءَ لَمَّا مِنْ أَصَابِعِهِ انْهَمَى	لَمُعِجَزَةٌ مَا فِي الْبَرَايَا ضَرِيئُهَا <sup>(١)</sup> .
وفي الماءَ - لَمَّا جَاوَزَهُ - وَمِيَاهُهُ	بِهِ الْأَرْضُ يُرَوَّى حَزْنُهَا وَسُهُوبُهَا <sup>(٢)</sup> ؛
فَلَمْ تَنْدَ أَخْفَافُ الْمَطِيِّ بِمَائِهِ،	وَأَمَوَاهُ مَا خِيفَ مِنْهَا رُسُوبُهَا <sup>(٣)</sup> .

(١) من المعجزات التي تروى للرسول أن الماء سال من بين أصابعه حتى ارتوى الجيش العطشان. الضريب: المثيل، التشبيه.

(٢) الحزن: الأرض السهلة. السهب (بالفتح): الأرض الواسعة.

(٣) الخف: باطن قاذية الجمل. تندى: تبتل المطي: الحيوانات المعدة للركوب. راسب الماء: غار في الأرض (كان الماء كثيراً إلى درجة أن الأرض ما كانت قادرة على امتصاصه).

إليك، رسولَ الله، نيرانَ لَوْعتي؛  
هيَ النفسُ في آمالِ زَوْرِكَ سُوْلها،  
- وقال يمدح الغني بالله:

ألا يا عفاة الأرض، طرّاً تبادروا  
هو الفدّ في الأملاك طرّاً لأنّه  
هُمامٌ إذا ما الرّوعُ عبّ عبابه  
ولاحتْ بروقُ الهندِ وامتلاً الفضا  
أراكَ مُحياً تالياً سورةَ الضحى  
تعرّزَ منه الدينُ لما أقامه،  
أفاضَ على العافين طرّاً مواهباً  
حلّفتْ يميناً برّة، ليس في الدُّنا  
- وقال في النسيب والغزل:

سَهَرْتُ في مَنْ جَفْنُهُ نَسائِمٌ  
وَذُبْتُ في مَنْ جِسْمُهُ ناعِمٌ  
ظَبْيٌ ظَبَى عَيْنَيْهِ فَعَالَةٌ  
بالقلب ما لا يَفْعَلُ الصارمُ<sup>(١)</sup>

- (١) في البيت تورية: الخارجي: الظاهر (وأحد الخوارج). الشيب: رفعَ الفرسِ كلتا يديه، والشاعر يقصد: الشيوب، اشتعال النار. وشيب بن يزيد الثيباني (ت ٧٧ هـ - من رؤساء الخوارج وأبطالهم). يقول: ظاهر شوقي إليك كاشتعال النار أو كبطولة شيب الخارجي، فكيف يباطنه.
- (٢) الزور: الزيارة. السؤل: المطلب. الرغيب: النهم (شدة التوق).
- (٣) العافي: الذي يطلب المعروف.
- (٤) الفدّ: الفرد، الأوحد. الأملاك: الملوك.
- (٥) الروع: الخوف (الحرب). عبّ عبابه (اضطرب موجه). النقع: غبار الحرب.
- (٦) بروق الهند: لمعان (السيوف) الهندية.
- (٧) سورة الضحى هي السورة الثالثة والتسعون في المصحف. الضحى هو الوقت الذي يكون بعد شروق الشمس مباشرة (ويكون لامعاً جداً). أراك محياً... فرحاً، ضاحكاً. البني: الظلم.
- (٨) تعرّز: اشتدّ، اعتزّ، قوى. الوهن: الضعف. الوهي (في الجدار): التهديم (في الثوب): التشقق، التهرؤ.
- (٩) مائتاً: أتياً لا شك فيه. تضمين من القرآن الكريم: ﴿إِنَّهٗ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ (١٩: ٦١، سورة مريم).
- (١٠) الظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. الصارم: السيف.

يَشَأْ عَنْ عَيْنَيْهِ سِكْرُ الْهَوَى      فَكُنَّا مِنْ ثَمَلِ هَائِمٍ<sup>(١)</sup>.  
 شَكَوْتُ مَا بِي مِنْ جَوَى حَبِّهِ      مِنْ وَلَّهِ لَمْلَهُ رَاحِمٍ<sup>(٢)</sup>.  
 يَضْحَكُ فِي الْحَبِّ، وَأَبْكِي أَنَا.      اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَامٍ!

- من مقدّمة نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان:

وبعد؛ فإنّ الأدبَ زَهْرٌ حَوَتْهُ مِنَ الْبِدَائِعِ كِيَامَةٌ، وَرَوْضٌ مُدَبَّجٌ<sup>(٣)</sup> حَاكِهِ مِنَ الْحَامِدِ غَمَامَةٌ. وَهُوَ أَعْذَبُ مَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ الْهِمَمُ.... لَمَّا يَسْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ ضَبْطِ الْقَوَافِي وَالْأَوْزَانِ، وَيَحْتَوِي عَلَيْهِ مَسْرَحُهُ مِنْ بَدِيعِ الْحَلَاوَةِ وَالنَّفَاحَاتِ الْمُذْهِبَةِ لِلْأَحْزَانِ. إِذْ بِهِ تَنَفَّاهُ فِي النَّاسِ الْأَخْطَارُ، وَتَشْرُفُ النُّفُوسُ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ بِهِمُ الْأَقْطَارُ. وَلَمَّا كَانَ (الْأَدَبُ) فِي الرُّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ فِي نَفْسِ أَهْلِ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ.... وَكَانَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي أَنَا فِيهِ مَنْ يَأْتِي فِي نَظْمِهِ بِالْبَدِيعِ وَيُؤَفِّقُهُ، مِنْ كُلِّ أَسَدٍ فَحْلٍ يَسْتَنْزِلُ وَكَافٍ الْإِجَادَةِ فِي مَحَلٍّ، مِمَّنْ يُقَالُ لَهُ فِي الشَّعْرِ حَبِيبُهُ، وَهُوَ لِلْإِدْرَاكِ جَلِيلُهُ<sup>(٤)</sup>.... مِنْ مُجِبِّ مُتَفَرِّجٍ، وَمَادِحٍ لِلرَّفْدِ مُسْتَنْزِلٍ<sup>(٥)</sup>، سَمَحَتْ لِأَهْلِهِ نَصِيحَتِي وَسَمَحَتْ بِعَمَلِهِ قَرِيبَتِي. فَجَمَعْتُ فِي هَذَا التَّأْلِيفِ مَا وَجَدْتُهُ لَهُمْ مُتَمَحِّقًا شُعَاعَهُ<sup>(٦)</sup>، وَمَا أَلْفَيْتُهُ مِنْ نَفَاسٍ جَوَاهِرِهِمْ مُتَفَرِّقًا شُعَاعُهُ؛ مُعَوَّلًا فِي ذَلِكَ عَلَى مَا طَابَ فَضْلُهُ وَفَرَعُ ذُرَى الْإِجَادَةِ فَرَعُهُ وَأَصْلُهُ. وَلَمْ أَعُوّنْ إِلَّا عَلَى مَنْ فِي عَصْرِنَا نَبَغَ وَأَثَابَ التَّخِيلَاتِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْإِحْسَانِ صَبِغَ.... وَلَمْ أَثْبِتْ إِلَّا قَادِرًا لَا يُبَارِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ وَقْتِهِ، إِذْ تَبَرَّأَ مِنَ الْبَيِّ وَمَقْتِهِ. وَضَرَبْتُ عَنْ غَيْرِهِمْ صَفْحًا.

(١) الثمل: السكر. هائم: حائر (لا يدري ما يفعل).

(٢) الجوى: ألم الحب. الوله: ذهاب العقل من الحزن.

(٣) الكيامة: الكأس (الغلاف الأخضر) الذي تكون فيه الزهرة قبل أن تفتتح. مدبج: (ثوب من الحرير) مزين ومنقوش بالأشكال والألوان.

(٤) الوكاف (كذا في الأصل: ص ٢١٦، السطر الخامس عشر): بردعة الحمار. والمقصود: الوكف (بالفتح) أو الوكيف أو الوكفان (يفتح ففتح): هطول المطر. محل (لعلها بفتح ففتح فتشديد) حبيبه: حبيب بن أوس (أبو تمام)، كناية عن البراعة في الشعر.

(٥) الرقد: العطاء. مستنزل: الذي ينجح في استنزال شيء (إقناع الآخرين بفعله).

(٦) الهاق (بالضم): ليلة آخر الشهر (لا ضوء قمر فيها). - من شعر جيد (له شعاع) ولكنه مستور، محبوب (لم ينشر بعد). الشعاع (بالضم): الضوء المنتشر. الشعاع (بالفتح): (الأشياء) المتفرقة.

والشعراء كثيرون، هم لأرياح الكلام مُثيرون... واقتَصَرْتُ فِيهِ عَلَى مَنْ لِنَفْسِهِ  
 أَنْشَدَنِي، وَمَنْ يَنْظُمُهُ الْبَارِعَ اسْتَرْشَدَنِي مِمَّنْ رَأَيْتُهُ بِالْعِيَانِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْأَعْيَانِ، وَمَنْ  
 بِسِنِّي لَحِقْتُهُ وَأَنْشَدْتُ لَهُ فَأَلْحَقْتُهُ وَأَلُمُّ بِهَا أَنْشَدَنِي رِوَايَةً عَنْ قَائِلٍ أَعَيْنَهُ مِمَّا يَسْتَجِيدُهُ قَائِلُهُ  
 وَيَزِينُهُ. وَغَرَضِي أَنْ أَكْتُبَ مَا أَجِدُهُ مِنَ الرِّسَائِلِ لِمَنْ ثَبَتَ اسْمُهُ وَأَضْمَنَهُ أَنْوَاعاً شَتَّى  
 مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ وَأَحْسَنَ رَسْمِهِ؛ إِذْ هَذَا النُّوعُ الْإِنشَائِيُّ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا  
 يُجْهَلُ عُلُوُّهُ وَلَمْ يَقْلَدْ حُلِيَّتُهُ مِنَ الْجِنْسِ الْإِنْسَانِيِّ إِلَّا الْآحَادُ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُهْمَلَ سُمُوهُ.  
 وَجَعَلْتُهُ عَلَى فُصُولٍ أَرْبَعَةٍ: الْفَصْلُ الْأَوَّلُ فِي شُعْرَاءِ الْمَشْرِقِ - الْفَصْلُ الثَّانِي فِي شُعْرَاءِ  
 الْمَغْرِبِ؛ وَهَذَا الْفَصْلُ أَجْعَلُهُ عَلَى تَوْعَيْنِ: النُّوعِ الْأَوَّلِ فِي شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ، وَالنُّوعِ  
 الثَّانِي فِي شُعْرَاءِ بَرِّ الْعُدُوَّةِ.

وَسَمَّيْتُهُ تَثِيرَ فَرَائِدِ الْجُمَانِ فِي نَظْمِ فُحُولِ الزَّمَانِ، مِنْ أَهْلِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ فُرْسَانِ  
 الْكُتَيْبَةِ الْكَامِنَةِ مِنْ أَرْبَابِ الْقَوَافِي مِنْ كُلِّ مَدِيدِ الْخَوَافِي<sup>(١)</sup>، مِمَّنْ تُثْنِي عَلَى مَفَاخِرِهِ  
 أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ وَالْمَحَابِرِ وَتَقُومُ بِأَمْدَاحِ شَرْفِهِ خُطْبَاءُ الْمَنَابِرِ، مِنْ فُقَيْهِ كَاتِبِ مُجَدِّ  
 بِالتَّسْوِيدِ، وَعَالِمٍ كَانَ مِنْهُ لِإِقْرَاءِ الْعُلُومِ مَا حُمِدَ بِالتَّجْوِيدِ؛ وَمَنْ أَدِيبٍ ذِي جَاهٍ  
 عَرِيضٍ سَلَكَ مِنَ الْإِدْرَاكِ بَرُوضٍ أَرِيضٍ<sup>(٢)</sup>. وَعَلَى مَنْ أَدْرَكَتْهُ جَنَّتُ بِالتَّغْوِيلِ، وَغَيْرُ  
 مَا يُؤَمِّلُ الْمَرْءُ فَاثْبَاتَهُ مِنْ أَفْعَالِ التَّهْوِيلِ.

٤- روضة النسرین فی دولة بنی مرین، الرباط (المطبعة الملكية) ١٣٤٤ هـ، ثم  
 ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م.

- مستودع العلامة ومستبدع العلامة (بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي ومحمد التركي التونسي)،  
 منشورات كلية الآداب بجامعة محمد الخامس في الرباط)، تطوان ١٣٨٤ هـ =  
 ١٩٦٤ م.

- تثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، (دراسة وتحقيق «بقلم» محمد رضوان  
 الداية)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٧ م.

★ جذوة الاقتباس ٩٩؛ درة الحجال ١: ١١٦؛ نيل الابتهاج (القاهرة) ٩٨-٩٩؛

(١) الكتيبة الكامنة في من لقيناه في الأندلس في المائة الثامنة (٧٠١-٨٠٠ هـ) كتاب للسان الدين بن  
 الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) الخافية: الريشة الطويلة في مقدمة الجناح (كناية عن القوة على الطيران).

(٢) الأريض: (الكان) الكثير الثبت الحسن المنظر.



تثير الجمان في نظم فحول الزمان، ص ٣٧٧-٤٠٤ (ترجمة له) ثم راجع مقدمة المحقق؛ أزهار الرياض ١: ١٨٦، ٢٩١-٢٩٢، ٣: ١٩٥-١٩٨؛ بروكلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤٠؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٩ (٣٢٩-٣٣٠)؛ مجلة البحث العلمي (ماي-غشت = أيار-آب ١٩٦٤)، ص ٢٥٤-٢٦٧؛ معجم المؤلفين ٢: ٣٠١.

## يوسف بن يوسف بن الأحمر

١- هو الثالث عشر من ملوك غرناطة: أبو الحجاج يوسف الناصر (الثالث) بن يوسف (الثاني) بن محمد (الخامس: الغني بالله) بن أبي الحجاج يوسف (الأول) بن إسماعيل (الأول) بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر.

تلقى يوسف بن يوسف بن الأحمر أشياء من علمه على أبي محمد عبد الله بن جزي وأبي عبد الله الشريشي والقاضي أبي عبد الله محمد بن علاقي والصوفي أبي مهدي بن الزيات. ثم جاء إلى العرش بعد موت أخيه محمد، سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م). وقد كانت أيامه أيام ضعف واضطراب من استمرار تنازع أمراء بني الأحمر على البقعة الصغيرة التي كانوا يحكمونها ومن إلحاق الإشبانيين على أطراف غرناطة بالاستيلاء قدرة أو حيلة. وكانت وفاة يوسف بن يوسف سنة ٨١٩ هـ<sup>(١)</sup> (١٤١٧ م).

٢- كان يوسف بن يوسف بن الأحمر أديباً ناثراً وناظماً ومُصنفاً. وفنون شعره المولديات والرناء والحماة والغزل والشكوى. وشعره عادي ظاهراً الضعف أحياناً تلمح فيه تقليد شعراء المشاركة يسر كقوله، مثلاً (ديوان ١٣٧):

يا آل يوسف، لي في قُطْرِكُمْ قَمَرٌ      قد ظلّ من فلكِ الأزرار<sup>(٢)</sup> مَطْلَعُهُ

من قول ابن زريق البغدادي:

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا      بِالكَرْخِ<sup>(٣)</sup> مِنْ فَلَكَ الْأَنْوَارِ مَطْلَعُهُ.  
وصنّف يوسف بن يوسف ديوان ابن زمرّك (قتل ٧٩٦ م).

(١) في زامباور (ص ٩٤) سنة ٨٢٠ هـ.

(٢) الأزرار: مدخل الثوب في العنق.

(٣) الكرخ: الجانب الغربي من بغداد.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال يوسف بن يوسف بن الأحمر:

خَلِيلِيَّ، مَهْلًا فَالزَّمَانُ كَمَا تَدْرِي.      وَلَا بُدَّ مِنْ يُسْرِ عَلَى أَثَرِ الْعُسْرِ.  
فَمَهْمَا دَهَا صَحْوٌ فَلَا بُدَّ مِنْ قَطَرٍ،      وَمَهْمَا دَجَا خَطْبٌ فَلَا بُدَّ مِنْ فَجَرٍ<sup>(١)</sup>.  
وَالطَّافُ صُنِعَ اللهُ رَائِعَةُ الْبَشَرِ<sup>(٢)</sup>.

عَلَى الْعَدْلِ يَجْرِي حُكْمُهُ وَقَضَاؤُهُ،      وَمِنَّا لَهُ التَّسْلِيمُ فِيمَا يَشَاؤُهُ.  
وَمَنْ كَانَ بِالْحَقِّ الْيَقِينِ اهْتَدَاؤُهُ      رَأَى النِّصْرَ خَفَاقًا عَلَيْهِ لِوَاؤُهُ.  
وَسُخْفًا لِبَاغٍ حَادٍ عَنْ عِلْمِ النِّصْرِ.

رَضِيتُ بِمَا يَرْضَاهُ رَبِّي وَنَاصِرِي:      مُجَاهِدَةً بَيْنَ السِّبْوَغِ الْبَوَاتِرِ؛  
وَبَيْنَ افْتِكَارِي فِي الْعَدُوِّ الْمُحَاصِرِ      أَنْادِي إِلَاهًا عَالِمًا بِالسَّرَائِرِ،  
عَسَى عَظْفَةٌ مِنْ عَالَمِ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ<sup>(٣)</sup>.

إِلَيْهِ اسْتِنَادِي حَيْثُ حَلَّتْ رِكَائِي،      عَلَيْهِ اعْتِمَادِي فِي جَمِيعِ الْمَطَالِبِ  
وَخَيْرِ شَفِيعٍ مِنْ لُؤَيٍّ بِنْ غَالِبٍ      وَأَتْبَاعِهِ مَا بَيْنَ سِنِيطٍ وَصَاحِبٍ  
وَمَا جَاءَ فِي الْفُرْقَانِ وَالشَّعْغِ وَالْوَتْرِ<sup>(٤)</sup>.

- وقال في الشكوى من حال الأندلس والحرب:

وَمِمَّا أَهَاجَ الْوَجْدَ مِنِّْي وَالْبُكَاءَ      وَمِیْضٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ يَلُوحُ<sup>(٥)</sup>.  
تَعَرَّضَ مِنْ دُونِ الْمُصَلَّى، وَدُونَهُ      مَجَالٌ لِأَيْدِي النَّاعِجَاتِ فَسِيحُ<sup>(٦)</sup>.

(١) صحو: انقطاع المطر (لعل المقصود: قحط). القطر: المطر.

(٢) البشر يمكن أن تكون بضم الباء وتسكين التين (بدل فتحها، جوازاً في الشعر) جمع بشري.

(٣) عالم النهي والأمر: الملأ الأعلى (من لدى الله).

(٤) لؤي بن غالب من أجداد رسول الله. السبط: ابن البنت (الحسن والحسين سبطا رسول الله). الصاحب واحد صحابة الرسول. الفرقان: القرآن. الشعغ والوتر إشارة إلى سورة الفجر (٨٩: ١-٣): ﴿وَالْفَجْرِ  
وَلِيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّعْغِ وَالْوَتْرِ﴾.

(٥-٦) الوجد: الشوق. الرقمتين اسم مكان لا يقصد هنا به علماً معيّناً، والمصلّى مثله. الناعجات: النوق السريعة.

يَلِيلٍ كَأَنَّ الثُّهْبَ فِيهِ فَوَارِسٌ  
فَمِنْ بَيْنِ هَاوٍ قَدْ تَكَدَّرَ وَاخْتَفَى،  
فَإِنْ يَكُ لَيْلُ الْهَجْرِ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ  
سِرَضَى بِحُكْمِ السِّيفِ مِنِّي مُسْرِفٌ،  
أَنَا الْيُوسُفِيُّ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي  
يُصْرِّحُ مَلِكُ الرُّومِ جُهْدًا بِصُلْحِهِ،  
وَهَلْ لِي إِلَى غَيْرِ الْحُرُوبِ تَطَلُّعٌ،  
وَأَنْ مُقَامِي لَا مُقَامَ يَرْوِقُهُ،  
يُسَلُّ عَلَيْهَا لِلْبُرُوقِ صَفِيحٌ<sup>(١)</sup>.  
وَأَخَرُ خَفَاقِ الْفَوَادِ جَرِيحٌ<sup>(٢)</sup>.  
فَلِلصَّبْرِ وَجْهٌ بِالصَّبَاحِ صَبِيحٌ.  
وَيَسْمَحُ بِالْمَالِ الْعَرِيضِ شَحِيحٌ<sup>(٣)</sup>.  
أَيُّدُ ذُرَارِيِّ الْعِدَا وَأَيُّحُ.  
وَبُرْهَانٌ مَقْصُودِي لَدَيْهِ صَحِيحٌ<sup>(٤)</sup>.  
وَهَلْ لِي إِلَى غَيْرِ الْجِهَادِ طُمُوحٌ؟  
فَلَيْسَ قُتُورًا أَنْ تَقِلَّ قُتُوحٌ<sup>(٥)</sup>!

٤- ديوان ملك غرناطة: يوسف الثالث (حققه عبدالله كُتُون)، تطوان ١٩٥٨ م؛ الطبعة الثانية، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٦٥ م.  
\* \* \* درة الحجال ٢: ٢٨٣، نفح الطيب ٤: ٣٠٣ (؟)؛ الأعلام للزركلي (٨: ٢٥٩)؛ مجلة «دعوة الحق» (المغرب)، مقال لأحمد العراقي القاسي، في عدد (عدي)؟ رمضان وذي الحجة ١٣٩٢ هـ.

### ابن جابر الغساني المكناسي

١- في «الأعلام» للزركلي (٦: ٢٩٤): مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرِ الْغَسَّائِيِّ الْمِكنَاسِيِّ (ت ٨٢٧ هـ) من أهل مِكنَاسَ، له «نظمُ المَرْقَبَةِ الْعُلْيَا فِي تَعْبِيرِ الرُّوْيَا» ثم (٨: ١٠): مُحَمَّدُ ابْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرِ الْغَسَّائِيِّ (ت ٨٢٧ هـ) من أهل مِكنَاسَةَ، له نظمٌ في عِلْمِ الرُّوْيَا.

وَإِذَا نَحْنُ رَجَعْنَا إِلَى نَيْلِ الْإِبْتِهَاجِ (ص ٢٨٦ - ٢٨٧) وَالنَّبُوغِ الْمَغْرَبِيِّ (ص ٢٢٩)

- (١) الثَّهْبُ: النُّجُوم. الصَّفِيحُ: الصَّفْحَةُ الْمُسَوَّيَّةُ مِنَ الْحَدِيدِ (السِّيفِ).
- (٢) هَاوٍ: غَائِبٌ (يَهْرُبُ وَرَاءَ الْأَقْفِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ). خَفَاقِ الْفَوَادِ: يَزْهَرُ (يَوْمُضُ تَبَاعًا). جَرِيحٌ (لَوْنُهُ أَحْمَرُ).
- (٣) الْعَرِيضُ (الْكَثِيرُ). شَحِيحٌ: مَجْنِيلٌ.
- (٤) الرُّومُ: الْإِفْرَنْجُ، نَصَارَى أَوْ رُومِيَّةٌ. جُهْدًا (؟) لَعَلَّهَا: جَهْرًا.
- (٥) مَوْفَقِي كَمَلِكُ فِي غَرْنَاطَةِ لَا يَرْضَى أَحَدًا (الضَّمْنِي وَلَضَعْفُ دَوْلَتِي). تَوْرُ: هُدُوءٌ، كَسَلٌ. إِنَّ تَرَكَ الْحَرْبَ لَيْسَ عَنْ كَسَلٍ فِي وَلَكِنْ عَنْ عَجْزٍ مِنِّي.

والأدب المغربي (ص ٢٧٤) وَجَدْنَا مُحَمَّدَ بْنَ جَابِرِ النَّصَائِيِّ الْيَمَنِيَّ مِنْ أَهْلِ مَكْنَسَةَ تَلْمِذَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْمَنَانِ الْيَمَنِيَّ (ت ٧٩٢ هـ) وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ اللَّخْمِيَّ مِنْ سُكَّانِ مَكْنَسَةَ. وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ جَابِرِ النَّصَائِيِّ الْيَمَنِيِّ سَنَةَ ٨٢٧ (١٤٢٤ م).

٢- كَانَ ابْنُ جَابِرٍ الْمَقْصُودُ بِهَذِهِ التَّرْجُمَةِ أَدِيباً شَهِيْراً (رَاجِعِ نَفْحَ الطَّيِّبِ ٥ : ١٦٧) وَشَاعِراً مُجِيداً كَمَا كَانَ مُصَنِّفاً بَارِعاً وَعَالِماً بِالْقَرَاءَاتِ لَهُ (رَاجِعِ نِيلَ الْإِبْتِهَاجِ ٢٨٦): نَزْهَةُ النَّاطِرِ لِابْنِ جَابِرٍ (رَجَزٌ فِي التَّعْرِيفِ بِيَلَدِهِ مَكْنَسَةَ) - كِتَابٌ فِي رَسْمِ الْقُرْآنِ - تَسْمِيَةُ الْبُرْدَةِ (لِلْبُوصَيْرِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٩٦) - نَظْمُ الْمَرْقَبَةِ الْعَلِيَا فِي تَعْبِيرِ الرُّوْيَا (لِابْنِ رَاشِدٍ).

### ٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرِ النَّصَائِيِّ الْيَمَنِيِّ مُخَصَّساً بَيْنَتَيْنِ لِلِّسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ فِي رَسُولِ اللَّهِ (نَفْحَ الطَّيِّبِ ٥ : ١٦٧):

يَا سَائِلاً لِضَرْيَحِ خَيْرِ الْعَالَمِ يُنْهِي إِلَيْهِ مَقَامَ صَبٍّ هَائِمٍ<sup>(١)</sup>،  
بِاللَّهِ، نَادٍ وَقُلْ مَقَالَةَ عَالِمٍ: (يَا مُصْطَفَى مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمَ<sup>(٢)</sup>)  
وَالْكُونُ لَمْ تُفْتَحْ لَهُ أَغْلَاقُ<sup>(٣)</sup>.

بِشْنَاكَ قَدْ شَهِدَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، وَاللَّهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمَا<sup>(٤)</sup>.  
يَا مُجْتَنِبِي وَمُعْظَمًا وَمُكْرَمًا، (أَيُّوْمُ مَخْلُوقٍ تَشَاءُكَ بَعْدَمَا<sup>(٥)</sup>).

(١) يَا سَائِلاً (كَذَا فِي الْأَصْلِ). اقْرَأْ: يَا سَائِراً! الضَّرِيحُ: الْقَبْرُ. خَيْرِ الْعَالَمِ (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ). يُنْهِي..... (يَحْمِلُ) إِلَيْهِ وَصفاً لِحَالِ رَجُلٍ مَحَبٍّ لَهُ - هُوَ لَمْ يَسْتَطِعِ الذَّهَابَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَحَمَلَ أَحَدَ الذَّاهِبِينَ إِلَيْهَا رَغْبَتَهُ.

(٢) مُصْطَفَى: مَخْتَارٌ، مَنْتَقَى، مَفْضَلٌ (اخْتَارَ اللَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولاً إِلَى النَّاسِ كَافَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ).

(٣) الْكُونُ (مَصْدَرٌ «كَانَ - يَكُونُ»). وَالنَّاسُ يَلْحَنُونَ فَيَعْنُونَ بِالْكُونِ «مَجْمُوعُ الْوُجُودِ». أَغْلَاقُ (لَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ) وَالْمَمْلُوحُ أَنَّ الْوُجُودَ لَمْ يَظْهَرْ بَعْدَ.

(٤) ثَنَاكَ = ثَنَاؤُكَ (الثَّنَاءُ عَلَيْكَ: بِصِفَاتِكَ الْجَمِيلَةِ).

(٥) مَجْتَنِي: مُقَرَّبٌ، مَخْتَارٌ. أَيُّوْمُ: أَيُّطْلَبُ (أَيُّطْمَعُ فِي مِثْلِ صِفَاتِكَ؟)

أثنى علي أخلاقك الخلاق<sup>(١)</sup>.

وقال مُورِيًّا بِالْبُرُقِ والعُقْبِ (وبالبراقع والعقارب) مُتَفَرِّلاً (النبوغ المغربي ٧٤١،  
الأدب المغربي ٢٧٤):

إِنْ خِفْتَ مِنْ فَتْكِ الْمُهَنْدِ والقَنَا؛      فَإِذَا رَنْتَ وَإِذَا مَشَتْ لَا تَقْرَبِ<sup>(٢)</sup>.  
فِي قَلْبٍ بُرْقِعِهَا مُحَاسِنُ أَنْزَلْتُ      قَمَرَ السَّمَاءِ لَنَا بِقَلْبِ الْعُقْبِ<sup>(٣)</sup>.  
★ حَلَّتْ عِقَارِبُ صِدْغِهِ مِنْ خَدِّهِ      قَمَرًا فَجَلَّ بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ<sup>(٤)</sup>.  
وَلَقَدْ عَهْدَنَاهُ يَحِلُّ بِبُرْجِهَا؛      فَمِنْ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ<sup>(٥)</sup>!  
- وقال فِي جَهَالِ مِكنَاسَةٍ (النبوغ المغربي ٧٦٤، الأدب المغربي ٢٧٦):

لَا تُتَكَبَّرَنَّ الْحُسْنَ مِنْ مِكنَاسَةٍ،      فَالْحُسْنُ لَمْ يَبْرَحْ بِهَا مَعْرُوفًا.  
وَلَيْتَ مَحَتَّ أَيْدِي الزَّمَانِ رُسُومَهَا،      فَلَرُبَّمَا أَبْقَتْ هُنَاكَ حُرُوفًا.

٤- دَرَّةُ الْحِجَالِ ٢: ٢٧٨؛ نِيلُ الْإِبْتِهَاجِ (القاهرة) ٢٨٦-٢٨٧ (٣٢١)؛ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٥:  
١٦٧؛ النُّبُوغُ الْمَغْرِبِيُّ ٢٢٩، ٧٤١، ٧٦٤، ٨٠٩؛ الأدب المغربي ٢٧٤-٢٧٦؛ بروكلمن  
٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٤، راجع ٨: ١٠ (٦: ٦٨ و ٧:  
١٣٩)؛ معجم المؤلفين ٩: ١٤٦.

## أبو بكر بن عاصم

١- هو الرئيسُ أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَاصِمِ الْقَيْسِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْغَرْنَاطِيِّ،

- (١) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (٦٨: ٤ الْقَلَمُ) فِي خُطَابِ الرَّسُولِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. الْخَلَّاقُ: اللَّهُ.
- (٢) الْمُهَنْدُ: السِّيفُ (مِنْ صَنْعِ الْهِنْدِ). الْقَنَاةُ: الْقَصْبَةُ (الرَّمَحُ). رَنَا يَرُونَا (نَظَرٌ، تَطَلُّعٌ). إِنْ كُنْتَ تُخَافُ الْهَلَاكَ فَلَا تَنْظُرْ (إِلَى هَذِهِ الْفَتَاةِ الْجَمِيلَةِ) إِذَا هِيَ نَظَرَتْ إِلَيْكَ أَوْ إِذَا هِيَ مَرَّتْ بِكَ.
- (٣) فِي قَلْبٍ (وَسَطٍ) بِرُقْعِهَا مُحَاسِنُ (وَجْهَهَا). هَذِهِ الْمُحَاسِنُ جَعَلَتْ مِنْ وَجْهَيْهَا قَمَرًا (شَيْئًا جِيلًا) بِقَلْبِ (بِمَكْسِ) الْعُقْبِ = عِزِّ رُبٍّ (بَرْقِ عِ). هُنَا تَوْرِيَّةٌ: الْعُقْبُ: بَرَجٌ (مَجْمُوعُ نُجُومٍ) يَرَّ بِهَا الْقَمَرُ (فِي رَأْيِ قَدَمَاءِ الْفَلَائِكِيِّينَ). - وَالْعُقْبُ (الْحِشْرَةُ السَّامَةُ الْمَعْرُوفَةُ).
- (٤) عِقَارِبُ صِدْغِهِ (كُنَايَةٌ عَنْ خِصْلِ الشَّعْرِ الْمُنْدَلِيَّةِ مِنْ جَوَانِبِ رَأْسِهِ). جَلَّ: فَاقَ، ارْتَفَعَ.
- (٥) الْكَلَامُ عَلَى الْقَمَرِ (الْمُحِبُّوبِ الْجَمِيلِ) وَفِيهِ تَوْرِيَّةٌ: الْقَمَرُ (الْجَرْمُ - بِكَسْرِ الْجِيمِ - السَّمَاءِيُّ يَرِ عَادَةً بِبَرَجِ الْعُقْبِ - وَالْمُعْجِبُ أَنَّ الْعِقَارِبَ (خِصْلَ الشَّعْرِ) قَدْ تَدَلَّتْ مِنْ جَوَانِبِ رَأْسِ الْمُحِبُّوبِ (ثُمَّ هِيَ لَا تَضُرُّهُ).

وُلِدَ فِي غَرْنَاطَةِ فِي ثَانِي عَشَرَ جُمَادِي الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٧٦٠ (١١/٤/١٣٥٩ م).

نشأ أبو بكر بن عاصم في غرناطة وتلقّى فيها علومه على خاليه: قاضي الجماعة أبي بكر بن جزيّ ثم رئيس علماء اللسان أبي إسحاق بن جزيّ<sup>(١)</sup>. ومّن أخذ عنهم أبو بكر ابن عاصم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الحاجّ الثُميريّ (٧١٣ - ٧٦٨ هـ) وأبو سعيد ابن لُبّ (ت ٧٨٢ هـ) وأبو إسحاق الشاطبيّ (ت ٧٦٠ هـ) وأبو محمّد عبد الله بن الشريف التليّسانيّ (ت ٧٩٢ هـ) وأبو عبد الله القيجاتيّ (القيجاطي) وأبو عبد الله بن علّاق وأبو الحسن عليّ ابن منصور الأشهب وأبو عبد الله البَلَنسيّ.

كان أبو بكر بن عاصم قد بدأ حياته العملية بالورقة (تجليد الكتب وبيعها) ثمّ أصبح قاضي الجماعة (قاضي القضاة) في غرناطة<sup>(٢)</sup>، كما كان قد تولّى الكتابة (الوزارة) - في غرناطة أيضاً - مدةً يسيرة<sup>(٣)</sup>. وكانت وفاته يوم الخميس في الحادي

---

(١) لم أهد إلى تفصيل أمرها.

(٢) في نفح الطيب (١٩: ٥) ترجمة لأبي بكر بن عاصم، علّق عليه المحقّق (في الحاشية) أن أبا بكر بن عاصم هذا «كان من أكابر فقهاء غرناطة، تولّى قضاءها سنة ٨٨٨ (للهجرة)؛ وله مؤلّفات منها شرحه على تحفة والده في الأحكام.....». ومع أن رقم الحاشية موضوع على اسم «أبي بكر بن عاصم» لا على اسم ابنه أبي يحيى بن عاصم «(المذكور في السطر السابق)، فإنّ تاريخ الوفاة (أزهار الرياض ١: ١٤٥): «وليّ القضاء عام ثمان وثمانين وثمان مئة» (كذا بالأحرف) خطأ (لأنّ أبا بكر توفيّ سنة ٨٢٩، وتوفيّ ابنه أبو يحيى سنة ٨٦٠ هـ). والصواب ما جاء في «نيل الابتهاج» (ص ٣١٣): «تولّى القضاء عام ثمان وثلاثين وثمانائة» (بالأحرف أيضاً). وقد نبّه على ذلك أيضاً خير الدين الزركلي (الأعلام، طبعة عام ١٩٧٩ م، ٧: ٤٨).

(٣) في «نفح الطيب» (١٦٩: ٧)، راجع «أزهار الرياض ٢: ١٩»: وقُدّم للكتابة الفقيه ابن عاصم (أي أبو بكر) لمُدّة من عام (مدّة يسيرة من عام). وفي «تاريخ الفكر الأندلسي» (ص ٤٢٩): «واستوزره يوسف الثاني الغني بالله صاحب غرناطة» - ويبدو أن تقويم هذه الجملة أن يقال: يوسف الثاني بن محمّد الخامس الغني بالله. أمّا يوسف الثاني فقد جاء إلى عرش غرناطة، سنة ٧٩٣ ثمّ خلع (٢٧٩٤)، وكانت وفاته سنة ٧٩٦ هـ، فيها يدو. وأمّا محمّد (الخامس) الغني بالله فقد تولّى عرش غرناطة في حقيبتين (يكسر الحاء): من ٧٥٥ إلى ٧٦٠ (ولم يكن أبو بكر بن عاصم قد ولد بعد) ثمّ من ٧٩٣ إلى ٧٩٦ للهجرة. وعلى كلّ حال فإنّ أبا بكر بن عاصم لم يكن قد برأ في الإدارة (الوزارة)، فقد جاء في «أزهار الرياض» (٢: ٢٦٤، السطرين ١١ و ١٢): «..... (وعندي) حيلة أقم لك بها في عام واحد عدد ما كان يقوم على يدي..... ابن عاصم (من جمع أموال الجبابة) في عشرين عاماً». أو لعلّ أبا بكر ابن عاصم لم يكن ظالماً في جمع المال من الرعيّة.

عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ، سَنَةَ ٨٢٩ (١٥/٨/١٤٢٦ م).

٢- كان أبو بكر بن عاصم مُتَضَلِّعاً من القِراءات وبارِعاً في النحو يَجْمَعُ بين القِيَّاس والسَّع، وإنَّ كان أَمِيلَ إلى رأيِ البَصْرِيِّينَ في السَّع<sup>(١)</sup>. وكذلك كان أديباً عارفاً بالبلاغة والعروض، كما كان مشاركاً في المنطق وعلم العدَد (الحساب) والفرائض (تقسيم الإرث)، ثمَّ كان أديباً ناثراً وشاعراً ومُصَنِّفاً في عدد من فنون المعرفة. فمن تصانيفه: تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام (١٦١٨ بيتاً من الرِّجَز) - حقائق الأزهار (أو حديقة الأزهار) في مُستَحْصِنِ الأجوبة والمُضْحِكَات والحِكَم والأمثال والحِكَايَات والنوادر (وهذان الكتابان وصلاً إلينا وطبعاً). ثمَّ كانت له كُتُبٌ (لا نعلم أنَّها باقية)، منها (أراجيز): مَهْيَعٌ (في نيل الابتهاج: منبع) الوُصولِ في علم الأصول (أصول الفقه) - مُرتَقَى الوُصولِ للأصول<sup>(٢)</sup> (الأرجوزة الصغرى) - نَيْلُ النُّى في اختصار المواقفات (للشاطبي) - المَوْجِزُ في النحو (حاذى به رَجَزَ ابنِ مالكٍ في عَرْضِ البَسْطِ له والمُحَاذَاة لقصده) - ثمَّ قصائد: إيضاح المعاني في القِراءات الثاني (في نيل الابتهاج: في قراءة أبي عمرو الداني، المتوفى سنة ٤٤٤ هـ) - الأملُ المَرْقُوبُ في قِراءة يَمَقُوب<sup>(٣)</sup> - كَنْزُ المَفَاوِضِ في علم الفرائض.

### ٣- مختارات من آثاره

- من العاصمية (تحفة الأحكام):  
الحمدُ لله الَّذِي يَقْضِي وَلَا  
يُقْضَى عَلَيْهِ، جَلَّ شَأْنًا وَعَلَا<sup>(١)</sup>.  
ثمَّ الصَّلَاةُ بِدَوَامِ الْأَبَدِ  
عَلَى الرُّسُولِ الْمُصْطَفِيِّ مُحَمَّدٍ<sup>(٥)</sup>،  
وَاللهِ وَالْفِتْنَةِ الْمُتَّبِعَةِ  
فِي كُلِّ مَا قَدْ سَنَّهُ وَشَرَعَهُ<sup>(٦)</sup>.

(١) راجع الجزء الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٧.

(٢) بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧٥.

(٣) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري (١١٧ - ٢٠٥ هـ) أحد القراء العشرة.

(٤) يقضي: يحكم (على الناس بما يصبِيهم)، يفصل في خلافاتهم.

(٥) الأبد: الدهر.

(٦) الفتنة (الجماعة) المتبعة (لشريعته): المسلمون. سنَّه: جعله سنَّة (طريقة للحياة يستحسن العمل به). شرعه:

أوجب العمل به (جعله شريعة).

وبعد، فالفَضْدُ بهذا الرَّجَزِ  
 آثَرْتُ فِيهِ الْمَيْلَ لِلتَّبَيِّنِ  
 وَجِئْتُ فِي بَعْضِ مِنَ الْمَسَائِلِ  
 فَضَمُّهُ الْمَفِيدُ وَالْمُقَرَّبُ  
 نَظَمْتُهُ تَذْكِرَةً، وَحِينَ تَمَّ،  
 سَمَّيْتُهُ بـ «تُحْفَةِ الْحُكَّامِ»  
 أَوْذَاكَ لَمَّا أَنْ بُلِيتُ بِالْقَضَا،  
 وَإِنِّي أَسْأَلُ، مِنْ رَبِّ قَضَى  
 وَالْحَمْلَ وَالتَّوْفِيقَ أَنْ أَكُونَ  
 حَتَّى أَرَى مِنْ مُفْرَدِ الثَّلَاثَةِ  
 (باب القضاء وما يتعلّق به):

منفَذٌ بِالْشَّرْعِ لِلْأَحْكَامِ لَهُ نِيَابَةٌ عَنِ الْإِمَامِ (٨).

(١) آثَرْتُ: فضلت. التضمين: تداخل بعضه ببعض (جملة مفصلاً تفصيلاً واضحاً). والتضمين عند العروضيّين (بالفتح: علماء الشرع): أن يكون قام معنى البيت من الشعر في البيت الذي يليه، كقول أبي نواس:

الحمد لله، أني -على حدائنة نبي-  
 فقتت المحبّين طراً ببعض ما شاع عني.

(فإنّ خبر «إنّ»، في البيت الأول، «فقتت» في البيت الثاني).

(٢) بالخلف (باختلاف الأقوال) لاشتغال القائل (إذا كان الذين جاءوا بهذه الأقوال المختلفة من المشهورين بالعلم والصدق).

(٣) تذكرة: تذكيراً (لي). ما تمّ به البلوى (حاجة الناس إليه). ألم بالموضوع: تناوله باختصار.

(٤) التكت (هنا): الأمور التي تبدو غامضة، والأمور الجزئية التي يفعلها الناس أحياناً. العقود (جمع عقد بالفتح): ما يتفق عليه الفريقان كتابة.

(٥) أطلب من الذي قضى عليّ (أي الله) بأن أكون قاضياً أن يرفق بي في القضاء (في حياي يوم القيامة).

(٦) الحمل (القدرة على القيام بما يوجهه عليّ منصب القاضي).

(٧) في الحديث الشريف: القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة: ..... من مفرد الثلاثة (الواحد الذي هو في الجنة).

(٨) القاضي هو المنفذ للأحكام بمقتضى الشرع نيابة عن الإمام (الذي هو الخليفة).



وَأَسْتُخِينَتْ فِي حَقِّهِ الْجَزَالَةَ،  
وَأَنْ يَكُونَ ذَكَرًا حُرًّا سَلِمَ  
وَيُسْتَحَبُّ الْعِلْمُ فِيهِ وَالْوَرَعُ،  
وَحَيْثُ لَاقَ لِلْقَضَاءِ يَقْعُدُ،  
وَشَرْطُهُ التَّكْلِيفُ وَالْعَدَالَةُ<sup>(١)</sup>.  
مَنْ فَقَدَ رُؤْيَا وَسَمْعَ وَكَلِمَ.  
مَعَ كَوْنِهِ الْحَدِيثُ لِلْفَقْهِ جَمَعَ<sup>(٢)</sup>.  
وَفِي الْبِلَادِ يُسْتَحَبُّ الْمَسْجِدُ<sup>(٣)</sup>.

(فصل في مسائل من القضاء):

وليس بالجائز للقاضي - إذا  
والصلح يستدعي له إن أشكلا  
ما لم يخف بنافذ الأحكام  
وفي الشهود يحكم القاضي بما  
لم يند وجه الحكم - أن يُنفذا<sup>(٤)</sup>.  
حكم، وإن تعين الحق فلا<sup>(٥)</sup>،  
فتنة أو شخنا أولي الأرحام<sup>(٦)</sup>.  
يعلم منهم باتفاق العلماء<sup>(٧)</sup>.

(١) لتولي منصب القضاء نوعان من الشروط: العدالة (وهي شروط وجوب، وهي التكليف أو العقل والذكورة والحرية وسلامة الحواس بالآ يكون أعمى أو أخرس، الخ) ثم شروط كمال ومنها الجزالة أو أصالة الرأي (القاموس المحيط ٣: ٣٤٨) وسعة العلم والورع أو التحف عن المغريات ثم المعرفة بالحديث والفقه معاً، الخ).

(٢) الورع: الخوف من الله، الترفع عن الأمور الدنيئة. مع كونه الحديث الخ: مع أن حفظه للحديث يكتفي (لأن الحديث قد جمع أبواب الفقه كلها؟) أو اقرأ: مع كونه الحديث (بالنصب) والفقه (العلم بأمور الدين) جمع (فعل ماضٍ مؤخر نصب ما قبله، أي الحديث والفقه): يجب أن يضيف (القاضي) إلى العلم (العام) والورع معرفة الحديث والفقه.

(٣) والقاضي يجلس للحكم في الأماكن الصغيرة والبعيدة حيث يليق الجلوس للقضاء. أما في البلاد (المدن) فيحسن أن يجلس للحكم في المسجد.

(٤) لا يجوز للقاضي أن يصدر حكمه قبل أن يبدو له وجه الحق في القضايا المعروضة عليه.

(٥) إذا تعذر على القاضي أن يفصل في قضية معروضة عليه (لعموم تلك القضية) فيجب عليه أن يدعو المتخاصمين إلى الصلح (بأن يتنازل كل خصم عن شيء من حقه). أما إذا ظهر للقاضي أن الحق في جانب أحد المتخاصمين فيجب عليه أن يحكم لذلك الخصم.

(٦) ولكن إذا أيقن القاضي أن حكمه لأحد المتخاصمين سيجر إلى فتنة (قتال) أو شخنا (حقد وبغضاء) بين قومي المتخاصمين (لأن الخصم الذي حكم عليه قوي شرير) فيجوز له حينئذ أن يدعو الفريقين إلى المصالحة. أو لو الأرحام: الأقارب.

(٧) ويجوز للقاضي أن يقبل شهادة الشهود الذين يعرفهم (ويعرف أنهم عدول) شخصياً. وأكثر العلماء يميزون ذلك.

وفي سواهم مالكٌ قد شدّدا  
وقولٌ سخّونٌ به اليومَ العملُ  
في منعٍ حُكْمِهِ بغيرِ الشُّهدا<sup>(١)</sup>  
فيما عليه مَجْلِسُ الحُكْمِ أَشْتَمَلُ....<sup>(٢)</sup>  
(باب الشهود وأنواع الشهادات):

وشاهدٌ صِفَتُهُ المَرْعِيَّةُ  
والعَدْلُ من يَجْتَنِبُ الكبائرَ  
وما أُيِّحَ، وهو في العيان،  
فالعَدْلُ في التَّبَرُّيزِ ليس يَقْدَحُ  
وغيرُ ذي التَّبَرُّيزِ قد يُجَرِّحُ  
ومنَ عليه وَسَمٌ خيرٌ قد ظَهَرَ  
عَدَالَةٌ، تَبْقُظُ، حُرِّيَّةُ<sup>(٣)</sup>  
وَيَتَّقِي في الغالبِ الصِّغَارُ<sup>(٤)</sup>  
يَقْدَحُ في مُروءَةِ الإنسانِ<sup>(٥)</sup>  
فيه سِوَى عَدَاوَةٍ تُسْتَوْضَحُ<sup>(٦)</sup>  
بغيرِها من كُلِّ ما يُسْتَقْبَحُ<sup>(٧)</sup>  
زُكِّي، إِلَّا في ضَرُورَةِ السَّفَرِ<sup>(٨)</sup>

- (١) إنَّ الإمامَ مالكا (ت ١٧٩ هـ) فقيه أهل المدينة قد منع أن يحكم القاضي في القضايا بعلمه من غير استماع إلى الشهود وأوجب أن يستمع القاضي إلى الشهود ويحكم بما يتضح له من أقوالهم.
- (٢) سخّون هو عبد السلام بن سعيد من كبار فقهاء المالكية (ت ٢٤٠ هـ) قد قبل أن يحكم القاضي في عدالة الشهود بعلمه (يقبل شهادة من يعلم هو عدالته ويرفض شهادة من كان عنده مجروح العدالة).... وإذا حكم القاضي (في رأي فقهاء آخرين) بعلمه في عدالة الشهود وجرح عدالتهم انقلب شاهداً ولم يبق قاضياً. والشاهد يجب أن يتصف بصفات: العدالة (العدل، الإنصاف، النزاهة) وتيقظ (معرفة الأحوال المحيطة بالقضية، الوعي، العقل) والحريّة (أن يكون حراً لا عبداً رقيقاً).
- (٣) الرجل العدل (المقبول الشهادة في القضاء) هو الذي لا يأتي الكبائر (شرب الخمر، ترك الصلاة.... الخ) ويتقي (يحاف، يبتعد عن) الصغائر (الذنوب الصغيرة: النظر العارض إلى غير محرم، الميل إلى اللهو، سبق اللسان إلى ما لا يقصد الإنسان، ذكر أخيه بما يكره أخوه، الخ).
- (٤) والأمور المباحة (الطعام، تربية الحيوانات الأليفة، التبول، الخ)، إذا فعلها الإنسان علناً (في الأسواق مثلاً) تسقط عدالته فلا تقبل شهادته. قدح: عاب، جرح، قلل من. المروءة: الصفة الأساسية في الإنسان (والتي تجعل منه أمراً لا بهيمة).
- (٥) أمّا الرجال المشهورون بالتمييز (بين قومهم): بالعلم والصدق والمكانة، فلا تبطل عدالتهم (قبول شهادتهم في المحاكم) إلا إذا كان بينهم وبين أحد المتخاصمين عداوة ظاهرة.
- (٦) أمّا غير ذوي التمييز (راجع الحاشية السابقة) فكلّ عمل قبيح (الشرب في المأكول والمشروب والمهزل، مثلاً) يسقط عدالتهم فلا تقبل شهادتهم.
- (٧) وسم: علامة. وسم خير: مظهر يدلّ على النبيل وحنن الحال. إن مثل هذا الشاهد يجب أن يزكّي، في العادة. أمّا إذا اختلف جماعة مسافرون واحتكموا إلى قاضي بلدة يرون بها، فإن القاضي يقبل شهادة بعضهم على بعض (لتمتدّ تركبتهم) إذا هو اقتنع بمدالتهم من مظهرهم الصالح في نظره.

وَمَنْ يَعْكُسْ حَالَهُ فَلَا غِنَى  
بِمَالَةِ الْجَرْحِ، فَلَيْسَ تُقْبَلُ  
عَنْ أَنْ يُزَكَّى. وَالَّذِي قَدْ أَعْلَنَّا<sup>(١)</sup>  
لَهُ شَهَادَةً وَلَا يُعَدِّلُ<sup>(٢)</sup>.....  
(باب اليمين):

فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَأَعْلَى تُقْتَضَى،  
وَمَا لَهُ بِأَلٍ فِيهِ تَخْرُجُ  
وَقَائِمًا مُسْتَقِيمًا لَّا يَكُونُ  
وَهِيَ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ فِي الْأَعْرَفِ،  
وَمَا يَقِلُّ حَيْثُ كَانَ يُخْلَفُ  
وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ لِلْيَهُودِيِّ  
فِي مَسْجِدِ الْجَمْعِ، الْيَمِينَ بِالْقَضَا<sup>(٣)</sup>.  
إِلَيْهِ لَيْلًا غَيْرُ مَنْ تَبَرَّجُ<sup>(٤)</sup>.  
مَنْ اسْتَحَقَّتْ عِنْدَهُ الْيَمِينَ<sup>(٥)</sup>.  
عَلَى وَفَاقِ نِيَّةِ الْمُسْتَخْلَفِ<sup>(٦)</sup>.  
فِيهِ؛ وَبِاللَّهِ يَكُونُ الْحَلْفُ<sup>(٧)</sup>.  
مُنْزَلُ التَّوْرَةِ لِلتَّشْدِيدِ<sup>(٨)</sup>.

- (١) أما الذي لا يدل مظهره على الصلاح (وقد يكون صالحاً) فيجب أن يزكى (أن يُثني عليه رجلان عدلان ويشهدا بصلاحه). وأما الذي يظهر عليه....
- (٢) أنه غير صالح، فلا تقبل شهادته، ولا يطلب القاضي من أحد أن يزكّيه (لأنه لا يعدل: لا يمكن أن يصحح مقبول الشهادة).
- (٣) إذا كان لزيد عند عمرو دين مقداره ربع دينار فما فوق ثبت له ذلك الدين إذا هو حلف مينا في المسجد الجامع (المسجد الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة).
- (٤) أما في الأمور ذات البال (المهمة: القتل، الزنا، الرضاع، النخ) فيمكن (بحسب هذا البيت) أن تدعى المرأة لحلف اليمين في المسجد. المألوف - إذا احتاج القاضي إلى أن تحلف امرأة مينا - أو أن يرسل القاضي إلى بيتها رجلاً موثقاً يسمع ميناها من وراء حجاب.
- (٥) وصورة حلف اليمين أن يقف الحالف مستقبلاً (متجهاً إلى القبلة).
- (٦) واليمين - وإن تعددت في الأعرف (في المألوف النافع)..... تكون على نية المستحلف (الخصم) لا على نية الحالف (إذا أنكر زيد أن لعمرو ديناً عنده، فطلب عمرو من زيد حلف مينا، فتكون هذه اليمين على ما يقصده عمرو. فلا يجوز لزيد أن يقول: أقسم... أنني غير مدين لك (ويضمر أنه غير مدين له بأمر مضموني من ضيافة أو معروف سابق)).
- (٧) وإذا كانت اليمين تتعلق بمبلغ هو أقل من ربع دينار، فيجوز أن يكون حلف اليمين في مكان غير المسجد الجامع. والحلف لا يكون إلا بالله. فلا يجوز أن يحلف المسلم بالنبي أو بالمصحف أو بأبيه أو بشرفه، النخ.
- (٨) ولتأكيد اليمين يطلب من اليهودي أن يقسم بالله منزل التوراة، كما يطلب من النصراني (راجع البيت التالي) أن يقسم بالله منزل الإنجيل. ذلك لأن مدرك الله في الإسلام يخالف مدرك «يهوه» عند اليهود ومدرك «الرب» عند النصارى. فإذا كان الحلف بالله منزل التوراة ومنزل الإنجيل أصبح مدرك الله في الإسلام هو المعتمد في حلف اليمين.

كما يزيّد فيه للتثقيّل على النّصارى مُنزِل الإنجيل  
وجُمْلَةُ الكُفّارِ يَحْلِفُونَ أَمَانَهُمْ حَيْثُ يُعْظَمُونَ<sup>(١)</sup>.

٤- تحفة الحكّام في نكت العقود والأحكام (هوداس ومارتل)، الأجزاء ١ - ٣، الجزائر ١٨٨٣ م، الجزء ٤ و ٥، باريس ١٨٨٨ م، الأجزاء ٦ - ٨، الجزائر ١٨٩٢ - ١٨٩٣ م؛ فاس (طبع حجر) ١٢٨٩ هـ؛ ثم ١٣٠٠، ١٣١٧، ١٣٢٣ هـ؛ القاهرة ١٣٠٩، ١٣٢٢، ١٣٢٧ هـ (في مجموع) مع شرح «البيّة» للتسولي ١٣١٠ هـ؛ ثم ١٣١٧ هـ (في مجموع) الجزائر ١٣٢٣ هـ؛ العاصميّة أو تحفة الحكّام في نكت العقود والأحكام (نشرها وعلّق عليها ليون برشيه)، الجزائر (معهد الدراسات الشرقية - كلّية الآداب بجامعة الجزائر) (١٩٥٨ م).

- شروح على تحفة الحكّام:

★ البيّة لعلّي بن عبد السلام التسولي الشبراوي (بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧٥)، بولاق ١٢٥٦ هـ؛ ١٢٨٩ - ١٢٩٠ هـ؛ فاس ١٢٩٣ - ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٥ هـ؛ بيروت، الطبعة الثالثة (دار المعرفة) ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م.

★ الإيتقان والأحكام في شرح تحفة الحكّام، لمحمد بن أحمد ميارة الفاسي (ت ١٠٧٢ هـ)، فاس ١٢٩٣ - ١٢٩٤، ١٢٩٨ - ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣١٦ هـ.

(٥) حاشية على شرح الإيتقان والأحكام، لمحمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون، فاس ١٢٩٣ هـ؛ حاشية لأبي عليّ الحسن بن الرّحّال المعداني (على هامش «اللاتقان»)، القاهرة ١٣٠١، ١٣٠٥، ١٣٠٦ هـ؛ ثم مع حاشية للمدني ١٣١٥ هـ.

★ شرح لعبد الله بن إبراهيم الشنقيطي (ت ١٢٣٠ هـ) - (مع «نشر البنود على مراقي السعود»، فاس بلا تاريخ).

★ حلّى المعاصم لبنت فكر ابن عاصم، لمحمد بن سودة التاوديّ (ت ١٢٠٧ هـ)، فاس ١٣٠٤ هـ؛ فاس ١٣٠٨ - ١٣١٠ هـ (بهامش «البهجة»).

(٥) حاشية على «حلّى المعاصم» للمهدي بن محمد الوزّانيّ، فاس ١٣٠٨ - ١٣١٠ هـ.

★ توضيح الأحكام لعثمان بن محمد التوزري، تونس ١٣٣٩ هـ (٢).

- حدائق الأزهار، فاس، بلا تاريخ.

- مرتقى الوصول إلى علم الأصول، فاس ١٣٢٧ هـ؛ (على هامش «فتح الودود على مراقي السعود» لعبد الله بن إبراهيم الشنقيطي المتوفّى سنة ١٣٢٠ هـ)، فاس، بلا تاريخ.

★ شرح مرتقى الوصول = نيل السؤل أو بلوغ الوصول وحصول المأمول (لأبي؟) محمد مجيبي بن

(١) وغير المسلم يقسم بينه في مكان عبادته أو في مكان يعظمه هو (ولا يؤتى به إلى المسجد الجامع).

محمد بن المختار بن الطالب عبد الله الساولي الحوضي الوالاتي، فاس ١٣٢٧ هـ؛ (على هامش «فتح الودود...»)، فاس، بلا تاريخ.

★ نيل الابتهاج (القاهرة) ٢٨٩ - ٢٩٠؛ نفع الطيب ٥: ١٩ - ٢٢، ٦: ١٥٥ - ١٦٢؛ ثم قال المقرئ (٥: ٢٢): «ولولا خوف الإطالة لذكرت بعض إنشائه ونظمه، فإنه في الذروة العليا. وقد ذكرت جملة من ذلك في «أزهار الرياض في أخبار عياض» (ولكن لم أهتم إلى ذلك). غير أن في «نفع الطيب» جملة صالحة من أخبار أبي يحيى بن عاصم أخي أبي بكر (ابن عاصم)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٢٠ - ٧٢١؛ بروكلمن ٢: ٣٤١، الملحق ٢: ٣٧٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٧٤ (٤٥)؛ معجم المؤلفين ١١: ٢٩٠؛ سركيس ٥٦؛ بالنبيا ٤٢٩ - ٤٣٠.

### أبو يحيى بن عقبة

١- هو أبو يحيى أبو بكر بن عقبة القفصي (نسبة إلى قفصة في تونس) أخذ عن ابن عرفة (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره وعن ابن مهدي وغيرهما. وكان معاصراً لابن مرزوق الحفيد (٧٦٦ - ٨٤٢ هـ) وللقاضي أحمد القلشاني. ولعل وفاته كانت نحو ٨٦٠ هـ (١٤٥٥ م).

٢- كان أبو يحيى بن عقبة رجلاً صالحاً وعلامة بارعاً وفقهاً معروفاً. له أسئلة كتبت بها إلى الإمام ابن مرزوق الحفيد فأجابه عليها ابن مرزوق بجزء سماه «اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة». وكان له نظم حسن.

### ٣- مختارات من شعره

- كتب أبو يحيى بن عقبة إلى القاضي أحمد القلشاني (وكان القلشاني في قسنطينة) بأبيات منها (ولعل البيتين الأخيرين تضميناً!):

عليك، أخي، بالتقى ولزوميه      ولا تكرث ما فيه زيد ولا عمرو<sup>(١)</sup>.  
وكن مُشدّماً قال بعض أولي النهى؛      فكم حكمة غراء قيدها الشعر:

(١) أكثر: اهتم، بالي (وحقها أن تعدى بالباء). ما فيه زيد وعمرو (من الجدال والنزاع على أعراض الدنيا المادية والمنوية).

إذا المرء جازَ الأربعينَ ولم يكن له دون ما يأتي حياء ولا سترٌ،  
فدَعُهُ ولا تَنفَسْ عليه الذي أتى، وإن مدَّ أسبابَ الحياة له العُمُرُ<sup>(١)</sup>.

٤- نيل الابتهاج ٣٥٧.

### ابن مرزوق الحفيد

١- هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد (الخطيب) بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، وُلِدَ في الرابع عشر من ربيع الأول من سنة ٧٦٦ (١٣٦٥/١٢/٩ م) في تِلْمَسَانَ.

وتلقَى أبْنُ مرزوقِ الحفيدُ أشياء من العلم في تِلْمَسَانَ على والده أحمد وعمه محمد وعلى نفرٍ آخرين منهم سعيد بن محمد العقباني التلمساني (ت ٨١١ هـ) وأبو اسحاق إبراهيم المصودي وأبو الحسن الأشهب الغباري وعبد الله بن الشريف التلمساني (ت ٧٧١ هـ). ثم إنّه ارتحلَ إلى تونسَ وأخذ عن إمام تونس محمد بن عرفة الورغي (ت ٨٠٣ هـ) وأبي العباس القصار.

بعدئذٍ انتقلَ ابنُ مرزوقِ الحفيدُ إلى فاسَ وأخذ عن أبي زيد المكوذي (ت ٨٠٧ هـ) وعن محمد بن مسعود الفيلالي الصنهاجي. ولكن لا يتسقُ في التاريخ أن يكونَ أبْنُ مرزوقِ الحفيدُ المولودُ سنة ٧٦٦ للهجرة قد أخذ عن النحوي أبي حيّان المتوفى سنة ٧٤٥- كما جاء في نفح الطيب (٥: ٤٢٨، السطر السابع).

ثم إنَّ أبْنَ مرزوقِ الحفيدَ رحَلَ إلى المشرق فأخذَ في مِصرَ- في أثناء طريقه إلى الحجّ (وفي حجّته الأولى، سنة ٧٩٠)- عن عُمرَ بنِ عليّ بن المُلقّن (٧٢٣- ٨٠٤ هـ) وعن عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) وعن مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، كما أخذ عن السراج البلقيني<sup>(٢)</sup> وعن النور النويري<sup>(٣)</sup>.

(١) لا تنفس عليه الذي أتى: لا تحسده على ما يفعل من الأمور المحبوبة في الدنيا. وإن مدَّ أسباب الحياة له العمر: وإن مكَّه طول عمره من أن يكون له نشاط يتمتّع به ببلاد الحياة.

(٢) لعل السراج البلقيني هذا هو عمر بن رسلان (٧٢٤- ٨٠٥ هـ) من حفاظ الحديث.

وأخذ ابنُ مرزوقٍ هذا، في مَكَّةَ، في أَثْناءِ حِجَّتِهِ الأولى (٧٩٠ هـ)، عن البهاء الدماينيّ (ت ٨٢٧ هـ) وعن النّور العقيليّ (٢)، كما أخذ في حِجَّتِهِ الثّانية (٨١٩ هـ) عن ابنِ حَجَرٍ المصقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ).

وكانت وفاة ابنِ مرزوقٍ الحفيديّ في تِلْسانَ في رابعَ عَشَرَ شَعبانَ من سَنَةِ ٨٤٢ (١٤٣٩/١/٣٠ م).

٢- إنّ الذين ذكروا ابنَ مرزوقٍ الحفيديّ قد أَطنبوا في مدحِهِ إطناباً عظيماً، ففي «نفع الطيب» (٥: ٤٢٠ وما بعد؛ راجع «نيل الابتهاج» ٢٩٣ وما بعد): «عالمُ الدُّنيا... البحرُ الإمامُ المشهورُ الحُجَّةُ الحافظُ<sup>(١)</sup> العلامةُ المُحقِّقُ الكَبيرُ والنَّظَّارُ<sup>(٢)</sup> المَطَّلَعُ والمُصَنِّفُ المُنصِّفُ... الآخذُ من كُلِّ فنٍّ بأوفَرِ نصيبٍ، الراعي في كُلِّ عِلْمٍ مَرعاهُ الخَصيبَ، حُجَّةُ اللهِ على خَلْقِهِ<sup>(٣)</sup>..... فارسُ الكراسي والمنايرِ<sup>(٤)</sup>، سليلُ الأكابرِ، سيّدُ العُلَماءِ الأخيارِ وإمامُ الأئمّةِ وآخِرُ الشيوخِ ذَوِي الرُّسوخِ، بدرُ التَّهَامِ الجامعُ بينَ المعقولِ والمنقولِ<sup>(٥)</sup> و (بين) الحقيقةِ والشرعيةِ<sup>(٦)</sup> بأجلِّ محصولٍ.....».

وقال فيه المقرّي: «شيخُ شيوخنا المُحقِّقُ النَّظَّارُ أبو عبد الله بن مرزوق الحفيديّ» (نفع الطيب ٥: ٣٤٠)... «وعالمُ الدُّنيا البحرُ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق» (٥: ٤١٨).

كان ابنُ مرزوقٍ الحفيديّ مُلمّاً بفنونٍ كثيرةٍ من قراءةِ القرآنِ والتفسيرِ ومن الحديثِ، وهو حافظٌ ومُسندٌ<sup>(٧)</sup> وفقيهٌ مُجتهدٌ وعارفٌ باللُّغةِ والنَّحوِ والبلاغةِ

- 
- (١) الحافظ (الذي يحفظ أحاديث رسول الله).
  - (٢) النَّظَّارُ (العالم الكبير من علماء الكلام: الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية).
  - (٣) حجة الله على خلقه (المسؤول عن هداية الناس، ويكون الناس مسؤولين عن اتباع هديه).
  - (٤) فارس الكراسي (القدير في التدريس) والمناير (وفي الخطابة).
  - (٥) المعقول (العلوم العقلية: الحساب، النطق، الفلسفة، الخ) والمنقول (العلوم التي تكون بالرواية: الحديث، التاريخ، الخ).
  - (٦) الحقيقة (التصوّف) والشرعية (أمر الدين: العبادات والمعاملات، الخ).
  - (٧) المسند: الحافظ الثقة في علوم الحديث وفي رواية الحديث.

والعروض<sup>(١)</sup>. ويبدو أنه كان حسنَ التصنيفِ للكتبِ حسنَ إلقاءِ الدُّروسِ، وقد قيل فيه (نيل الابتهاج ٢٩٨ س): «أما الفقه فهو فيه مالِك<sup>(٢)</sup>، ولأُرمّة فُروعِهِ حائِزٌ ومالِك<sup>(٣)</sup>». هذا بالإضافة إلى أنه كان حاملَ لواءِ السُّنةِ وداحِضَ شُبهِ البِدعةِ<sup>(٤)</sup>، ومن كبارِ رجالِ التَّصوُّفِ.

كان أبْنُ مرزوقِ الحفيدُ مُصنِّفاً مُكثِراً في عددٍ من فنونِ المعرفة، ويبدو أنه وصَلَ إلينا بضعةُ كتبٍ منها (راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٥). فمن كُتُبِهِ: تفسِيرُ سورة الإخلاص (السورة ١١٢ في المصحف؛ على طريقة الحكماء) - رَجَزٌ «حِرْزُ الأمانِي» (للشاطبي) - أَرْجوزةُ أَلْفِيَةٍ في مُحَاذاةِ الشَّاطِبيَّة - الروضة (رَجَزٌ في علم الحديث جمع فيه بين أَلْفِيَةِ ابنِ لُيُون وأَلْفِيَةِ العراقي)<sup>(٥)</sup> - الحديقة (أختصر فيها أَلْفِيَةَ العراقي) - أنوارُ الدراري في مُكَرَّرَاتِ البُخاري - عقيدةُ أهلِ التوحيد المُخرجةُ من ظُلْمةِ التَّقْلِيد - الآياتُ الواضحات في وجه<sup>(٦)</sup> دَلَالَةِ المُعْجَزَات - المفاتيح (الغاية) القُرْطاسية في شرح (القصيدَة) الشُّقْراطيسية<sup>(٧)</sup> (في مدح الرسول) - آغْتِنَامُ الفُرْصَةِ في مُحَادَثَةِ عَالَمِ قَفْصَةِ (وهو أجوبة على مسائل في التفسير والفقه وغيرها وردت عليه من عالم قَفْصَةِ أَبِي يَحْيَى بنِ عَقِيبة)<sup>(٨)</sup> - شَرْحُ ابنِ الحَاجِبِ<sup>(٩)</sup> (في فروع الفقه) - الدليلُ المُوْمي في

(١) العروض: قواعد نظم الشعر.

(٢) مالِك: مالك بن أنس فقيه أهل المدينة.

(٣) الزمام (بالكسر): القيادة. فروع الفقه (الصلاة، الصوم، الإرث، الخ). الحائِز الذي يجوز (يحصل على الأشياء)، والمالِك (الذي يملك الأشياء).

(٤) حامل لواء السُّنة (المدافع عن الإيمان) وداحِض (مبطل، هازم) شبه (جمع شبهة: الأمر الضائع بين الحقِّ والباطل أو بين الحلال والحرام، الأمر المضلل للناس يثيره أعداء الدين) البدعة (الأمر المخالف لما جاء به الدين).

(٥) ابن ليون هو أبو عثمان سعد بن أحمد التجيبي الأندلسي (ت ٧٥٠ هـ) من العلماء والمكثريين من التأليف. والعراقي هو أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي (ت ٨٠٦ هـ) له أَلْفِيَةُ في مصطلح الحديث.

(٦) في وجه دلالة: فيما يدلّ على.

(٧) الشُّقْراطيسيّ هو أبو محمد عبد الله بن يحيى التوزري (ت ٤٦٦ هـ) له قصيدة في مدح الرسول (راجع ترجمته في الجزء الرابع من هذه السلسلة).

(٨) قفصة بلدة في جنوبي تونس. أبو يحيى بن عقيبة (ص ٦٣٣).

(٩) ابن الحاجب هو أبو عمرو عثمان بن عمر (ت ٦٤٦ هـ) من الفقهاء وعلماء النحو.



ترجيح طهارة الكاغد الرومي<sup>(١)</sup> - مُختَصَرُ الحاوي في الفتاوي لابن عبد النور التونسي<sup>(٢)</sup> - نور (أنوار) اليقين في شرح أولياء الله المتقين - كتاب (في التصوف: في شأن البدلاء، تكلم فيه على حديث وَرَدَ في أول «الحلية» في شأن البدلاء وغيرهم)<sup>(٣)</sup> - النصيح الخالص في الردّ على مدّعي رتبة الكامل<sup>(٤)</sup> للناقص (في الردّ على أي الفضل قاسم العقباتي)<sup>(٥)</sup> في مسألة الفقراء الصوفية في أشياء صوّب العقباتي صنيعهم فيها فخالفه ابن مرزوق) - المُنْعُ الشافي (أرجوزة في الميقات: استخراج ساعات الليل والنهار، فلّك) - أرجوزة في تلخيص (أعمال الحساب) لابن البنّا<sup>(٦)</sup> - إسماع الصمّ في إثبات الشرف من قبل الأم<sup>(٧)</sup> - تأليف في مناقب شيخه إبراهيم المصمودي<sup>(٨)</sup> - النور البدريّ في التعريف بالشيخ المقرّي<sup>(٩)</sup> - نهاية الأمل في شرح «الجمال» للخوجي<sup>(١٠)</sup> (في المنطق) - نظم «الجمال» للخوجي (في المنطق) - الميراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج (أجاب فيه قاضي الجماعة أبا القاسم بن سراج<sup>(١١)</sup> عن مسائل منطقية ونحوية) -

(١) المومي = المومياء (المثير، الدالّ). الكاغد: الورق (ورق الكتابة) الرومي (اليوناني النصراني).

(٢) ابن عبد النور التونسي.....

(٣) الأبدال في اصطلاح الصوفية: طبقة تلي الأقطاب الأربعة، قيل لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد (منهم) أبدل الله مكانه آخر. واحدهم بدل (بفتح ففتح) وبدل (بكسر فكون) وبدل (المعجم الوسيط ٤٣).

(٤) اقرأ: رتبة الشخص الكامل.....

(٥) أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباتي التلمساني (ت ٨٥٤ هـ) فقيه بلغ درجة الاجتهاد. له أرجوزة في التصوف.

(٦) ابن البنّا من علماء الرياضيات (ت ٧٢١ هـ) له ترجمة في هذا الجزء.

(٧) من قبل: من جهة نسبه.....

(٨) إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني المتوفى ٨٠٥ أو ٨٠٤ هـ (نيل الابتهاج ٥١-٥٢).

(٩) الشيخ المقرّي هو محمد بن محمد المقرّي (ت ٧٥٨ هـ) جدّ أحمد بن محمد المقرّي (ت ١٠٤١ هـ) صاحب «نفع الطيب». والسجعة في هذا الكتاب تدلّ على أن «المقرّي» ترسم بفتح فسكون (راجع أيضاً تاج العروس - الكويت ١٤: ١٤٦): «مقرة بالفتح مدينة بالمغرب، بقرب قلعة بني حماد، بالقطر الجزائري اليوم»، وقد تشدّد القاف، وبه اشتهرت (١٤: ١٤٧، راجع أيضاً نفع الطيب ٥: ٣٤٠).

(١٠) محمد بن نامارو (ت ٦٤٦ هـ) فارسي الأصل سكن مصر. وهو عالم بالحكمة والمنطق. وفي بروكلمن (١: ٦٠٧، الملحق ١: ٨٣٨): أفضل الدين أبو الفضائل أبو عبد الله محمد بن ناموار (بسكون الميم أو بفتحها) بن عبد الملك الحناجي (بالضمّ، تقيّداً باللفظ الفارسي).

(١١) ابن سراج.....

أرجوزة في نظم « تلخيص المفتاح (في البلاغة، لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ) - المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز (القصيدة) الخزرجية<sup>(١)</sup> (في العروض) - أرجوزة في اختصار ألفية ابن مالك (في النحو) - إظهار صديق المودة في شرح البردة (وهو شرح كبير لقصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير في مدح الرسول، استوفى فيه الكلام غاية الاستيفاء وضمنه سبعة فنون في كل بيت) - شرح وسط (للبردة أيضاً) - الاستيعاب لما في « البردة » من البيان والإعراب (شرح صغير للبردة) - الروض البهيج في مسألة الخليج (٢) - شرح التسهيل (٣). ولا ين مرزوقي هذا كُتِبَ بدأها ولم يُتَمَّها، منها (نفح الطيب ٥ : ٤٣٠؛ نيل الابتهاج ٢٩٨): المتجر الربيع والسعي (المسمى ٢) الرجيع والرحب (نفح الطيب: المرحب) - الفسيح في شرح الجامع الصحيح<sup>(٢)</sup> - روضة الأريب في شرح التهذيب<sup>(٣)</sup> - المنزع النبيل في شرح مختصر خليل<sup>(٤)</sup> - إيضاح السالك إلى ألفية ابن مالك - شرح شواهد شراح الألفية (لابن مالك) - التحرير والاستيفاء و (النزول) لألفاظ الكتاب والنقول<sup>(٥)</sup>.

### ٣- مختارات من آثاره:

- كلام في إعراب آية.

قال ابن مرزوقي الحفيد في كتابه «أغتنام الفرصة» (نيل الابتهاج ٢٩٨ - ٢٩٩):  
حَضَرْتُ مَجْلِسَ شَيْخِنَا الْعَلَامَةِ نُخْبَةِ الزَّمَانِ ابْنَ عَرَفَةَ<sup>(٦)</sup>، رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَرَأَ: ﴿وَمَنْ

(١) الخزرجي، لعلّه أبو العباس أحمد بن سمود بن محمد القرطبي الخزرجي، كان إماماً في التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب. وله تأليف حسان وشعر رائع، توفي سنة ٦٠١ للهجرة (نفح الطيب ٢ : ٦١٤ - ٦١٥).

(٢) الجامع الصحيح (في الحديث، للإمام البخاري).

(٣) التهذيب.....

(٤) خليل هو ضياء الدين خليل بن اسحاق بن موسى الجندي (كان يلبس لباس الجند) فقيه مالكي (ت ٧٧٦ هـ).

(٥) الكتاب = القرآن الكريم. النقول: الروايات المتعلّقة بالحديث (٢).

(٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالمها في عصره.

يَعْنُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ<sup>(١)</sup>. فَجَرَى بَيْنَنَا مُذَاكِرَةٌ رَائِقَةٌ وَأَبْجَاطٌ حَسَنَةٌ فَائِقَةٌ، مِنْهَا أَنَّهُ قَالَ: قُرِءَ «يَعْشُو» بِالرَّفْعِ وَ «نَقِيضٌ» بِالْجَزْمِ، وَوَجَّهَهَا أَبُو حَيَّانٍ بِكَلَامٍ مَا فَهَمْتُهُ<sup>(٢)</sup>. وَذَكَرَ (أَنْ) فِي النُّسخَةِ خَلَّاءً، وَذَكَرَ بَعْضُ ذَلِكَ الْكَلَامِ<sup>(٣)</sup>. فَأَهْتَدَيْتُ (أَنَا) إِلَى تَمَامِهِ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، مَعْنَى مَا ذَكَرَ أَنَّ جَزَمَ «نَقِيضٌ» بِ «مَنْ» الْمُوصُولِيَةِ<sup>(٤)</sup> لِشُبْهِهَا بِالشَّرْطِيَّةِ، لِمَا تَضَمَّنَتْهَا مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ. وَإِذَا كَانُوا يُعَامِلُونَ (أَسْمَ) الْمُوصُولِ الَّذِي لَا يُشْبِهُ لَفْظُهُ لَفْظَ الشَّرْطِ بِذَلِكَ، فَمَا يُشْبِهُ لَفْظُهُ لَفْظَ الشَّرْطِ أَوْلَى بِتِلْكَ الْمُعَامَلَةِ. فَوَاقَقَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَفَرَحَ كَمَا<sup>(٥)</sup> أَنَّ الْإِنْصَافَ كَانَ طَبَعَهُ.

وَعِنْدَ ذَلِكَ أُنْكَرَ عَلَيَّ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، وَطَالِبُونِي بِإِثْبَاتِ مُعَامَلَةِ (أَسْمِ) الْمُوصُولِ مُعَامَلَةَ (أَسْمِ) الشَّرْطِ. فَقُلْتُ: (مِثَالُ ذَلِكَ) نَصَّهُمْ عَلَى دُخُولِ الْفَاءِ فِي خَبَرِ (أَسْمِ) الْمُوصُولِ فِي نَحْوِ «الَّذِي يَأْتِينِي فَلَهُ دِرْهَمٌ». فَنَازَعُونِي فِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِمُحْفَظِ «التَّسْهِيلِ»<sup>(٦)</sup>. فَقُلْتُ: قَالَ ابْنُ مَالِكٍ فِيمَا يُشْبِهُ (هَذِهِ) الْمَسْأَلَةَ: «وَقَدْ يَجْزِمُهُ مُتَسَبِّبٌ عَنْ صِلَةٍ»، وَأُنْشَدْتُ مِنْ شَوَاهِدِ (هَذِهِ) الْمَسْأَلَةِ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

(١) القرآن الكريم (٤٣: ٣٦)، سورة الزخرف. يعشو: يعرض (عشا فلان عن الأمر: غفل). نقيض (نهيي)، نسب، نجعل). قرين: رفيق ملازم.

(٢ و ٣) الكلام هنا لابن عرفة. ما فهمته (الجملة هنا ترجع إلى ابن مرزوق الحفيد).

(٤) من الموصولية (اسم الموصول) لها «عائد» (ضمير يعود إليها) وصلة (جملة تشرح عملها): «من جاء بالحسنة فله خير منها» (سورة النمل: ٢٧: ٨٩)، الضمير في «جاء» هو العائد (الراجع، الدال على) «من». والجملة «جاء» (هو) بالحسنة «صلة الموصول لا محل لها من الإعراب» (للتقدير: الجائي بالحسنة). والفاء في «فله» زائدة، ولكنها تدل على التوكيد، أي على علاقة التركيب «له خير منها» بالتركيب «من جاء بالحسنة». وهذه الجملة الموصولية شبه الجملة الشرطية: «ومن يكفر به» (بالكتاب: بالقرآن) فأولئك هم الخاسرون» (٢: ١٢١)، سورة البقرة: «من» اسم شرط جازم. «يكفر» فعل الشرط مجزوم باسم الشرط «من». والفاء في «فأولئك»: رابطة جواب الشرط «وأولئك هم الخاسرون» بفعل الشرط «يكفر به».

(٥) كما: مثلاً، إذ أن - «فرح ابن عرفة بالدليل الذي جئت أنا به، كما أن الإنصاف (معرفة الفضل لأهله) كان طبعاً له.

(٦) التسهيل: كتاب «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» لابن مالك النحوي (ت ٦٧٢ هـ).

فَلَا تَخْفِرْنَ بَشْرًا تُرِيدُ بِهَا أَخًا، فَإِنَّكَ فِيهَا أَنْتَ مِنْ دُونِهِ تَقَعُ<sup>(١)</sup>.  
كَذَاكَ الَّذِي يَبْغِي عَلَى النَّاسِ ظُلْمًا «تُصِيبُهُ»، عَلَى رُغْمٍ، عَوَاقِبُ مَا صَنَعَ.  
فَجَاءَ الشَّاهِدُ مُوَافِقًا لِلْحَالِ.

- أَسْمُ أَبِي مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ (نيل الابتهاج ٢٩٨ س):  
حَدَّثَنِي أُمِّي عَائِشَةُ بِنْتُ الْقَاضِي أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْمَذِينِيِّ، وَكَانَتْ  
صَالِحَةً آَلَفَتْ جَمْعًا فِي أَدْعِيَةِ اخْتَارَتْهَا. وَ(كَانَ) لَهَا قُوَّةٌ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا<sup>(٢)</sup> اكْتَسَبَتْهَا مِنْ  
كَثْرَةِ مُطَالَعَةِ كُتُبِ (هَذَا) الْفَنِّ، أَنَّهُ أَصَابَنِي مَرَضٌ شَدِيدٌ أَشْرَفْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ -  
وَ(كَانَ) مِنْ شَأْنِهَا وَ(شَأْنِ) أَبِيهَا أَنَّهُمَا لَا يَعْيشُ لَهَا وَلَدٌ إِلَّا نَادِرًا. وَ(كَانُوا قَدْ) سَمَوْنِي  
أَبَا الْفَضْلِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ. فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُوهَا أَحْمَدُ الْمَذِينِيُّ، فَلَمَّا رَأَى مَرَضِي وَمَا بَلَغَ  
بِي، غَضِبَ وَقَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ: لَا تُسَمِّوْهُ أَبَا الْفَضْلِ؟ مَا الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ  
حَتَّى تُسَمِّوْهُ أَبَا الْفَضْلِ؟ سَمَوْهُ مُحَمَّدًا. (وَإِنِّي) لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يُنَادِيهِ بِغَيْرِهِ إِلَّا فَعَلْتُ  
بِهِ وَفَعَلْتُ، يَتَوَعَّدُ بِالْأَدَبِ. قَالَتْ: فَسَمَيْنَاكَ مُحَمَّدًا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْكَ.

- وَقَالَ أَبُو مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ فِي مَدِينَةِ تِلْمَسَانَ - وَسَمَّاها «بَلَدُ الْجِدَارِ»<sup>(٣)</sup> - (نَفَخَ  
الطَّيْبُ ٥: ٤٣٣):

بَلَدُ الْجِدَارِ مَا أَمَرَّ نَوَاهَا، كَلَفَ الْفَوَادُ بِحُبِّهَا وَهَوَاهَا<sup>(٤)</sup>.  
يَا عَاذِلِي، كُنْ عَاذِرِي فِي حُبِّهَا. يَكْفِيكَ مِنْهَا مَأْوَاهَا وَهَوَاهَا<sup>(٥)</sup>.  
- وَقَالَ يُشِيرُ إِلَى تِلْمَسَانَ فِي رَجَزٍ لَهُ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ (نَفَخَ الطَّيْبُ ٥: ٤٣٣):

وَمَنْ بِهَا أَهْلُ ذِكَاةٍ وَفِطْنٍ فِي رَابِعٍ مِنَ الْأَقَالِمِ قَطَنُ<sup>(٦)</sup>.

(١) هذا البيت إضافة من رواية ثانية للقصة نفسها (راجع نيل الابتهاج ٢٩٩).

(٢) تعبير (تفسير، تأويل) الرؤيا (النام، الأحلام).

(٣) بلد الجدار: البلدة التي لها جدار (سور).

(٤) النوى: البعد، البعاد.

(٥) العاذل: اللائم (بغير حق).

(٦) قطن: سكن. الإقليم الرابع هو المنطقة المعتدلة (منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط).

يكفيكَ أَنَّ الدَّوْدِيَّ بِهَا دُفِنَ مَعَ ضَجِيعِهِ أَبْنِ غَزْلُونَ الْفَطِنِ<sup>(١)</sup>.

٤- مسند ابن مرزوق ( )، باريس (لا روز) ١٩٢٥ م.

★ تعريف الخلف ١٢٤-١٣٦؛ نيل الابتهاج ٢٩٣-٢٩٩ (طبعة فاس ٣٠٤)؛ الضوء  
اللامع ٥٠:٧؛ نفح الطيب ٥: ٤٢٠-٤٣٣؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ١٩٥-١٩٩؛  
بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٨ (٥: ٣٢٨).

## أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم

كان لأبي بكر محمد بن عاصم المتوفى سنة ٨٢٩ للهجرة (راجع ترجمته، فوق،  
ص ٦٢٥) أخ أسمه أبو يحيى محمد بن عاصم (راجع «نفح الطيب» ٥: ٥١٣ س)  
وَأَبْنُ اسْمُهُ أَيْضاً أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ عَاصِمٍ. والترجمة التالية تتعلق بأبنيه لا بأخيه.

١- هو أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد (خمس مرات) بن عاصم  
القيسيّ الغرناطيّ، يبدو أنّ مولده كان (تقديراً) نحو سنة ٧٩٠ للهجرة (١٣٨٨).

أخذ أبو يحيى بن عاصم العلم عن نفرٍ من شيوخ وقته، منهم: أبو الحسن بن سمعت  
(سمعة) الأندلسي وأبو القاسم بن السراج. الغرناطي وأبو عبد الله المنتوري وأبو  
عبد الله البيّاني وأبو جعفر بن أبي القاسم السّبي.

ويبدو أنّه كان كثير النشاط (والمعرفة أيضاً) فقد تولى اثنتي عشرة خُطة (منصباً)  
من خطط الدولة منها الإمامة والخطابة (في المسجد) ومنها الوزارة والكتابة. وقد كان  
قاضي الجماعة (قاضي القضاة) في غرناطة - وكان تولّيه القضاء سنة ٨٣٨ للهجرة  
(١٤٣٤-١٤٣٥ م)، كما جاء في الديباج المذهب (ص ٣١٣).

وكانت وفاة أبي يحيى بن أبي بكر بن عاصم، سنة ٨٦٠ للهجرة (١٤٥٦ م) في  
الأغلب، ذبيحاً من قبل السلطان<sup>(\*)</sup>.

(١) الدوايدي... وابن غزلون....

(\*) كان سلطان غرناطة في ذلك الحين سعد بن علي بن يوسف بن محمد (الخامس) الغني بالله، للمرة الثانية  
(٨٥٧-٨٦٦ هـ) أو ابنه علي بن سعد (٨٦٦-٨٨٧ هـ).

٢- كان أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم الغرناطي من أكابر الفقهاء ومن العلماء الرؤساء حافظاً (للحديث)، بليغاً وخطيباً وشاركاً في عدد من العلوم، كما كان مُصنفاً؛ له: شرح على «تحفة الحكام» (لأبيه أبي بكر محمد بن عاصم المتوفى سنة ٨٢٩ هـ) - جنة الرضا في التسليم لما قَدَّرَ الله وقضى (في الحزن على حال المسلمين في الأندلس وعلى ما كان الإسبان النصارى - في آخر أيام العرب في الأندلس - يفعلونه بالمسلمين. وفي المختارات نص من هذا الكتاب) - الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض (في عدة أجزاء، كأنه ذيل على كتاب «الإحاطة» للسان الدين بن الخطيب). وكان له ترسل (رسائل إخوانية) وشعر.

وأبو يحيى بن عاصم أديب مُنشى كثير التصنيع والتكلف في الشعر والنثر، قريباً نظم القصيدة فناها على نمط يمكن أن يخرج به منها عدد من القصائد والموشحات. وكذلك كانت الأسجاع في نثره تتوالى على سقي وتتردد تردداً يُدكرنا بالموشحات أيضاً (انظر ذلك في النص المأخوذ فيما يلي من كتاب «جنة الرضا»). وأما المثل على توليد بعض قصائده من بعض قتره فيما يلي (أزهار الرياض ١: ١٤٦ وما بعد):

أما، والهوى، «ما كنت» مُذْبانَ عهدُه      أهِمُّ بَلْقِيَا مَنْ (تناثر) وُدُّه<sup>(١)</sup> \*  
رعى الله مَنْ لو أنصفَ الصبَّ في الهوى      لَمَّا فاضَ منه (الدمع) مُذْبانَ صَدِّه<sup>(٢)</sup>.  
ولو جادَ مِنْ (بعدِ المطال) بزورة      لَمَّا شَبَّ أشواقِي وقلبي زَنْدُه<sup>(٣)</sup>.  
كما خانَ صبري يومَ أصبحَ وَ «أصلي      لَطَى «زادَ ماءً (مِنْ جُفُونِي) وَقَدُّه<sup>(٤)</sup>.

(١\*) بما أن الغاية من القطع التالية في الشعر أن نرى طريقة توليد بعض القصائد من بعض، فأجعل الشرح هنا موجزاً. بان (بعد، آتبع) عهده (زمانه): مضى عليه زمن طويل فانقضى شبابه.

(٢) بان (ظهر) صدّه: ميله (عني).

(٣) الزند: قطعة من الحديد تقدح به النار من الحجر. شَبَّ (أشعل) «أشواقِي وقلبي» (مفعول به متعدّد) زنده (فاعل «شَبَّ»).

(٤) «لَطَى»، إذا كانت علّاً على جهنّم، فإنّها تكون ممنوعة من الصرف فلا تُتَوَّن. وأما إذا كانت مصدرأ: لَطَى (يفتح فكسر ففتح) يَلْطِى لَطًى، وكان «اللطي» بمعنى اللهب الذي لا دخان معه (كما هو المقصود هنا)، فإن «لَطَى» حينئذ تكون مصروفة وتُتَوَّن. وأما إذا كانت «لَطَى» (اسماً مؤنثاً) بمعنى «لهيب لا دخان له» فتكون حينئذ ممنوعة من الصرف (فلا تُتَوَّن) لعلّتين (التأنيث ولأنّها محتومة بتاء التأنيث أيضاً). «واصلي» (هنا): يصل إليّ (من الهبوب).

## لِذَاكَ أَسَالَ الدَّمْعَ (كَالدُّرِّ) مَذْمُوعِي

من «الْوَجْدِ» فَاسْتَوَلَى عَلَى الْجَفْنِ سُهُدُهُ (١)  
 حَكِي لَوْلَا (مِنْ سِلْكِهِ) مُتَنَائِرًا وَ «إِلَّا لَيْمٌ» قَدْ تَتَابَعَ مَذَّةُ (٢).  
 ذَخَرْتُ (الثَّمِينَ) الْقَدْرِ مِنْهُ بِمُقْلَتِي وَمَا زِلْتُ مِنْ خَوْفِ «النَّكَالِ» أُعِدَّهُ (٣).  
 وَلَا عَجَبٌ (مُذْ أَعَوَزَ) الْقُرْبُ أَنْ غَدَا وَ «كَالْقَمَرِ الزَّاهِي» سَنَاهُ وَبُعْدَهُ (٤).  
 أَيْلَحِقُ بِاللُّقْيَا أَوْ (الْوَصْلِ) مِنْ يَغُو ر «فِي نَوْرِهِ» بِدْرِ السَّمَاءِ وَجُنْدَهُ (٥).  
 وَصِيرَ جَسْمِي لِلصَّبَابَةِ (وَالْتَّلَا قِي) يُتَيَّمُ قَلْبِي إِذْ تَمَكَّنَ وَجْدُهُ (٦).  
 أَقْطَعُ أَنْفَاسِي «عَلَيْهِ كَ» آبَةً وَلِلَّهِ (مِنْ بَدْرِ) لِغَيْرِي سَعْدُهُ.

(وَاسْتَخْرَجَ أَبُو يَحْيَى بْنُ عَاصِمٍ مِنْ قَصِيدَتِهِ هَذِهِ الطَّوِيلَةَ - وَهِيَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ بَيْتًا - قَصِيدَةً أَصْغَرَ مِنْهَا، عَدَدَ آيَاتٍ وَوَزْنَ، وَهِيَ سَبْعَةٌ عَشَرَ بَيْتًا مِنْ «مَجْزُوءِ الْبَحْرِ الْبَسِيطِ: مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ»). مِنْ الْكَلِمَاتِ الْمَحْصُورَةِ بَيْنَ أَهْلَةِ كِبَارِ ( ) :

تَنَائَرَ الدَّمْعُ مِنْ جُفُونِي كَالدُّرِّ مِنْ سِلْكِهِ الثَّمِينِ.  
 مُذْ أَعَوَزَ الْوَصْلُ وَالتَّلَاقِي مِنْ بَدْرِ حُسْنِي بِلَا قَرِينِ (٧).  
 عَلِقْتُ فِي الْحَبِّ ظَنِّي أَنْسِرَ جَمَالُهُ مَرْتَسِعُ الْعَيُونِ.

(١) الوجد: شدة الحب وشدة الحزن. السهد: امتناع النوم.

(٢) حكي: شابه (الدمع). وإلا ليم - يم: بحر: المد: ارتفاع الموج وكثرة الماء.

(٣) ذخرت = آذخرت: خبأت. القدر (القيمة). والقدر (في الأصل) منصوبة، وحققها الجر على الإضافة: الثمين القدر. النكال: شدة العذاب. أعدده: أحفظ (بدمعي) مهياً (خوف عذابه الشديد المقبل - حينما يظن المحبوب أنه قطعني بته؟).

(٤) أعوز الشيء فلاناً = آحتاج فلان إلى ذلك الشيء. أعوزني قربه: أصبحت محتاجاً إلى أن يكون قريباً مني. أو عز قربه: آبتعد عني. السنا: الضوء.

(٥) أيلحق باللقيا: أيلحقني بلقيا (أينم علي بالوصل أو القرب) من (ذلك المحبوب: محبوبي أنا) الذي يغور في نوره (يحتفي في كثرة نوره) بدر السماء وجنده (أي النجوم أيضاً): نور حبيبي (جماله) أعظم من نور بدر السماء ومن نور النجوم كلها مجتمعة.

(٦) الصبابة: الشوق، حرارة الشوق (شدته). تيم: أمرض، ذلل، أذهب عقل (المحب). الوجد: شدة الحب أو شدة الحزن.

(٧) القرين (هنا): المثل، الشبيه.

تَنَازَرُ الدَّمَغُ كَالسُّدَرِ      مَذْ أَعُوْزِ الْوَصْلُ مِنْ بَدْرِ  
عَلَقَتْ فِي الْحُبِّ      جَمَالَه.....

(ثم عاد فأستخرج منها - من الكَلَبَاتِ المحصورة بين أهْلَةِ صِغَارٍ - قصيدة جديدة):  
مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفَ بَعْدَ الْمِطَالِ      أَصْلَى لَطَى الْوَجْدِ الْأَلِيمِ النَّكَالِ<sup>(١)</sup>.  
(ثم عاد أيضاً فأستخرج منها مُوشَحَّتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ).

وَيَحْسُنُ بِنِ يُرِيدُ تَفْصِيلَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى «أَزْهَارِ الرِّيَاضِ» (١):  
(١٤٥-١٥٨).

## ٢- مختارات من آثاره

- قال أبو يحيى بنُ عَاصِمٍ فِي «جَنَّةِ الرِّضَا» (راجع أَزْهَارِ الرِّيَاضِ ١: ١٥٨ وما بعد):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَوَّضَ مِنَ الْخِلَافِ وَفَاقًا، وَأَعْقَبَ مِنَ الْإِفْتِرَاقِ أَجْتِمَاعًا وَاتِّفَاقًا،  
وَهَيَّا لَأَسْوَاقِ الْأَتْلَافِ بَرَقَ الْخِلَافِ نَفَاقًا<sup>(٢)</sup>، وَيسَّرَ لَوَطْنِ الْجِهَادِ مِنْ تَوْثِيرِ الْمَهَادِ  
أَرْفَاقًا<sup>(٣)</sup>، وَزَيَّنَ بِأَنْجُمِ السُّعُودِ مِنَ النَّصْرِ الْمَوْعُودِ آفَاقًا، وَعَقَدَ عَلَى جَمْعِ الْكَلِمَةِ مِنَ  
الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ إِجْمَاعًا وَإِصْفَاقًا<sup>(٤)</sup>. نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ - وَهُوَ الْحَمُودُ بِجَمِيعِ اللُّغَاتِ،  
وَشَكَرُهُ عَلَى مَا سَنَى<sup>(٥)</sup> مِنْ آمَالٍ عَلَى وَفْقِ الْأُمْنِيَةِ مُبْلَغَاتٍ؛ وَتُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا أَسَدَى مِنْ  
عَوَارِفِ مَخُولَاتٍ وَمَوَاهِبِ مُسَوَّغَاتٍ<sup>(٦)</sup>، حَمْدًا نَسْتَكْبِرُ مِنْ دُرَرِهِ النَّفِيسَةِ إِنْفَاقًا،

(١) انظر، فوق، ص ٦٤٣.

(٢) النِّفَاقُ: الرِّوَاجُ (القبول عند الذين كانوا مختلفين).

(٣) وَطْنِ الْجِهَادِ: الْأَنْدَلُسُ - (لكثرة الحروب في سبيل الدفاع عن النفس). تَوْثِيرِ الْمَهَادِ (جعل البقاء في  
الْأَنْدَلُسِ مَكْنًى وَسَهْلًا). الْمَهَادِ الْوَثِيرُ: الْفَرَّاشُ اللَّيِّنُ النَّاعِمُ. إِرْفَاقُ (في الْأَصْلِ) بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ. لَهَا  
«إِرْفَاقٌ» (يكسر الهمزة): رَقَّةٌ نَافِعَةٌ مَعِينَةٌ عَلَى الْخَيْرِ.

(٤) الْإِصْفَاقُ (الإجماع على أمر ما).

(٥) سَنَى = سَانَى فَلَانٌ فَلَانًا: لَا يَنْهَ وَأَحْسَنَ مَعَاشِرَتَهُ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا (أَكْثَرُ، جَعَلَ الشَّيْءَ كَثِيرًا).

(٦) أَسَدَى فَلَانٌ إِلَى فَلَانٍ مَعْرُوفًا: أَوْلَاهُ إِيَّاهُ، أَعْطَاهُ. الْعَوَارِفُ جَمْعُ عَارِفَةٍ: الْإِحْسَانُ. مَخُولَاتٌ: مَعْطَاةٌ،  
مَنْوُوحَةٌ. مُسَوَّغَاتٌ: مَكْنَى، مَبَاحَةٌ، مَعْطَاةٌ.



وأمانته العظيمة فلا نأبى من حَمَلِها إِشْفاقاً<sup>(١)</sup>. وشَهِدَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا<sup>(٢)</sup> أَحَدٌ: شهادةٌ نَرَفَعُ لِرِوَاءِهَا الْمُرْنَحَ الْعَذَبَاتِ خَفَافًا<sup>(٣)</sup>، فَلَا لَاقِيَ لِمَقَاصِدِ السَّعَادَةِ إِخْفَاقًا<sup>(٤)</sup>. وشَهِدَ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَنَبِيُّهُ الْمُصْطَفَى وَخَلِيلُهُ: نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنُورُ الظُّلْمَةِ وَشَفِيعُ الْأُمَّةِ وَالْمَبْعُوثُ بِالْكِتَابِ<sup>(٥)</sup> وَالْحِكْمَةِ وَالْمَجْمُوعُ لَهُ بَيْنَ مَرْيَةِ السَّبْقِ وَمَرْيَةِ التَّيَمَّةِ<sup>(٦)</sup>: شهادةٌ تَسْتَحْفِظُ بِقَاعَ الْأَرْضِ أَرْفَاقًا<sup>(٧)</sup> فَلَا تَحْشَى مَعَهَا الْقُلُوبُ - وَقَدْ حَصَلَ مِنْهَا الْغَرَضُ الْمَطْلُوبُ - شَكًّا وَلَا نِفَاقًا.....

أما بعدُ..... فَإِنَّ لِأَحْوَالِ الْوَقْتِ الدَّاهِيَةِ<sup>(٨)</sup> ﴿لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾<sup>(٩)</sup>، وَغَيْرَهُ. لِمَنْ تَفَهَّمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾<sup>(١٠)</sup>.

فَبَيْنَمَا الدُّسُوتُ عَامِرَةٌ<sup>(١١)</sup> وَالْوَلَاةُ آمِرَةٌ وَالْفِتْنَةُ مَجْمُوعَةٌ وَالِدَّعْوَةُ مَسْمُوعَةٌ وَالْإِمْرَةُ مُطَاعَةٌ وَالْأَجُوبَةُ سَمْعًا وَطَاعَةً، إِذَا بِالنِّعْمَةِ قَدْ كُفِّرَتْ وَالذِّمَّةُ قَدْ خُفِّرَتْ<sup>(١٢)</sup>...!

- (١) الأمانة العظيمة: النعمة (الواجبات التي يبأل الإنسان عن أدائها والقيام بها والمحافظة عليها، كالعبادات وتولي الإدارة في الدولة والإصلاح في المجتمع، إلخ). الإشفاق: الخوف.
- (٢) الأحد (الوحيد) الفرد (الذي لا شخص آخر يشبهه). الكفو: العدلى، المساوي.
- (٣) المرْنَح (هنا): المتأيل (اعتزازاً وفخراً). العذبة (بفتح ففتح): زيادة تتدلى من جانب العمامة.
- (٤) الإخفاق: الخيبة.
- (٥) الكتاب: الكتاب المنزل (الشريعة). الحكمة (هنا): الأحكام الدينية.
- (٦) محمد رسول الله كان الأول والأسبق (الأعظم) في الأنبياء والتَّمَمَ (الخاتم، الأخير) في الأنبياء (لا نبي بعده).
- (٧) إرفاقاً (في الأصل: بفتح الهمزة)؟.
- (٨) الداهية: الآتية بالمصائب. (هجمات نصارى الأندلس على بلاد المسلمين).
- (٩) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾. (راجع القرآن الكريم ٥٠ سورة ق: ٣٧). ذكرى: عظة، تذكير. قلب: عقل، تفكير في الأمور. ألقى السمع: استمع إلى الوعظ، كان مستعداً لفهم ما يسمع. شهيد = شاهد لما يجري (حاضر العقل في تقلب الأحداث).
- (١٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٢ الحج: ١٨)؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (٥ المائدة: ٢). يحكم ما يريد من التحليل والتحريم (يفعل الأمور بإرادته).
- (١١) الدست: صدر المجلس، المنصب العالي في الدولة، كرسي الحكم. الدسوت عامرة (الملوك كثيرون).
- (١٢) كفر فلان الشيء: غطاه، ستره. كفر فلان النعمة (أنكر فضل الله عليه). الذمة (المهد) خفرت: نقصت.

والسعيد من اتعظ بغيره، ولا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً<sup>(١)</sup>. جعلنا الله ممن قضى (الله) بحيره.

وبينما الفرقة حاصلة والقطيعة فاصلة والمضرة واصلة، والحبلى في أنبات<sup>(٢)</sup> والوطن في شتات والخلاف يمنع رعي مَتَات<sup>(٣)</sup> والقلوب شتى من قوم أشتات، والطاغية يتمطى لقضم الوطن وقضمه<sup>(٤)</sup>.... ويتوقع الحسرة إن يأذن الله بجمع شمله ونظمه<sup>(٥)</sup> على رُغم الشيطان ورُغمه<sup>(٦)</sup>، إذا بالقلوب قد اتلفت، و(النفوس) المتنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت، والأفئدة بالألفة قد اقتربت إلى الله وأزدلفت<sup>(٧)</sup>. و(الأيدي) المتضرعة إلى الله قد ابتهل<sup>(٨)</sup> في إصلاح الحالة التي سلفت، فألقت الحرب أوزارها<sup>(٩)</sup> وأذنت الفرقة النافرة مزارها<sup>(١٠)</sup> وجلت الألفة الدينية أنوارها<sup>(١١)</sup> وأوضحت العصمة الشرعية آثارها<sup>(١٢)</sup> ورفعت الوحشة الناشئة أظفارها أعذارها<sup>(١٣)</sup>، وأرضت الخلافة الفلانية<sup>(١٤)</sup> أنصارها وغضت الفئة المتعرضة أبصارها<sup>(١٥)</sup> وأصلح الله

(١) كلما تقدم المسلم في العمر. زادت قواه وأصبح أكثر ميلاً لعمل الخير.

(٢) انبتات: انقطاع، تقطع.

(٣) المتات: ما يمت (يصل، يتصل) به إنسان لآخر، القرابة.

(٤) الطاغية: لقب ملك الإسبان. يتمطى: يحرك ظهره (يستعد). لقضم (كسر). القضم (أكل الشيء من أطرافه - احتلال بلدان الأندلس).

(٥) يتوقع الحسرة... إلخ: هو (ملك الإسبان) واثق من أنه سيحزن حينما يسهل الله جمع شمل أهل الأندلس (اتفاقهم) ونظمه (واستتاب أمره).

(٦) الرغم: الإذلال، القهر (وجريان الأمور على خلاف ما يريد الخصم). ورغمه (رغم ملك الإسبان).

(٧) ازدلفت: دنا، اقترب، تقدم.

(٨) ابتهل: تضرع (بالغ في الدعاء إلى الله مستعيناً به).

(٩) سلف: مضى. ألقت الحرب أوزارها (أحالتها): انتهت.

(١٠) الفرقة: الفئة المنشقة من الجماعة. النافرة: الفاضية، المبتعدة. أذنت (قربت) مزارها: مالت إلى الوفاق.

(١١) جلّت (بفتح ففتح) وجلّت (بفتح نلام شدة مفتوحة): أظهرت، كشفت.

(١٢) العصمة الشرعية (حضانة المسلمين من أن يحتلوا فيما بينهم). أوضحت آثارها: ظهرت نتائجها.

(١٣) الناشئة أظفارها (في المسلمين: باختلاف فيما بينهم) أعذارها: لم يبق، بعد ذلك، للمسلمين عذر في أن يحتلوا.

(١٤) الخلافة الفلانية (٢). أرضت أنصارها (بمنهم شيئاً من المغام (٢). (٩) وغضت (خففت) الفئة المتعرضة (للزراع على الحكم (٢) أبصارها (تنازلت عن مطالبتها وتساهلت في موقفها).

أسرارها<sup>(١)</sup>. فتجمعت الأوطان بالطاعة والتزمت نصيحة الدين بأقصى الاستطاعة  
وتساقفت إلى لزوم السنة والجماعة وألقت إلى الإمامة الفلانية يد التسليم  
والضراعة<sup>(٢)</sup>.....

- ومن نظم أبي يحيى بن عاصم قوله مخاطباً شيخه قاضي الجماعة أبا قاسم بن  
سراج، وقد طلب الاجتماع به (في) زمن فتنة<sup>(٣)</sup>. فظن أبو يحيى بن عاصم (أن) ابن  
سراج يريد أن يستخبره عن سر من أسرار السلطان فأعده<sup>(٤)</sup> معتذراً، و(لكن) لم  
يصدق ظن أبي يحيى. ومع ذلك فقد قال أبو يحيى مخاطباً شيخه (- نفع الطيب ٦:  
(١٥٠):

فَدَيْتُكَ، لَا تَسْأَلْ عَنِ السَّرِّ كَاتِباً،      فَتَلْقَاهُ فِي حَالٍ مِنَ الرُّشْدِ عَاطِلٍ<sup>(٥)</sup>،  
وَتَضْطَرُّهُ إِمَّا لِحَالَةٍ خَائِنٍ      أَمَاتَّتْهُ أَوْ خَائِضٍ فِي الْأَبَاطِلِ.  
فَلَا فَرْقَ عِنْدِي بَيْنَ قَاضٍ وَكَاتِبٍ:      وَشَى ذَا بَيْرٍ أَوْ قَضَى ذَا بِيَاطِلٍ.

- كتب أبو يحيى ابن عاصم يُخاطبُ الكاتبَ أبا القاسم بن طركاظ<sup>(٥)</sup>:

القضاء - حَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى كِمَالَكَ وَانْجَحَ آمَالُكَ - إِذَا لَمْ يَحْطُهُ الْعَدْلُ مِنْ كَلَا  
جَانِبِيهِ، سَبِيلُ مُعْجَزٍ وَمَذْهَبٌ لَا يُوَافِقُ عَلَيْهِ مُنَاطِرٌ وَلَا يَنْصُرُهُ مُنْتَجٍ. كَمَا أَنَّهُ، إِذَا  
حَاطَهُ الْعَدْلُ، جَادَةٌ لِلنَّجَاةِ وَسَبَبٌ فِي حَصُولِ رَحْمَةِ اللَّهِ الْمُرْتَجَاةِ وَسَوْقٌ لِنَفَاقِ بِضَاعَةِ  
الْعَبْدِ الْمُرْجَاةِ<sup>(٦)</sup>. وَأَجْلُ الْعَدْلِ مَا تَحَلَّى بِهِ فِي نَفْسِهِ الْحَكْمُ وَجَزَى عَلَى مُقْتَضَى مَا  
شَهِدَتْ بِهِ الْأَرَاءُ الْمَشْهُورَةُ وَالْحِكْمُ، حَتَّى يَكُونَ عَنِ الْبَغْيِ رَادِعاً وَبِالْقِسْطِ صَادِعاً

(١) أصلح الله أسرارها (قلوبها).

(٢) الإمامة الفلانية (٤). ألقت يد التسليم (قبلت بالحكم القائم) والضراعة (الخضوع).

(٣) زمن يقتتل فيه المسلمون.

(٤) عاطل من الرشد: قاصر عن التفكير وعن إدراك حقائق الأمور.

(٥) يبدو أن طركاظ هذا كان في أول أمره حاجباً في المحكمة (مباشراً ينادي على المتداعين وعلى الشهود  
ليدخلوا إلى المحكمة بأدوارهم. ويبدو أنه كان دقيقاً شديداً مخلصاً في عمله. ثم إنه تولى القضاء فجرت  
منه هفوات في آداب القضاء. فكتب إليه أبو يحيى بن عاصم هذه الرسالة وطواها على شيء من التوبيخ  
وشيء من النصيح.

(٦) المزجاة: الرديئة (إذا كان القاضي عادلاً في نفسه نجح ولو كان علمه بالقضاء قليلاً).

ولأنف الأنفة من الإذعان للحق جاداً<sup>(١)</sup>. وأنت - أجلك الله تعالى - على سعة علمك وشدة ساعد قيامك بالطريقة واضطلاعك بمن لا يُنبه على ما ينبني ولا يردُّ على طلبته من الإنصاف المُبتغي. فلك في الطريقة القاضية التبريز. وأنت - إذا كان غيرك الشبه - الذهب الإبريز<sup>(٢)</sup> ولعملية عدلك التوشية بالنزاهة والتطريز..... وأنت - حفظك الله تعالى - قد قُمتَ من غلظ الحجاب بالمقام المعصوم ومثلت من سعة المنزل في الفضل والطول كالشهر المصوم<sup>(٣)</sup>، والباب قد سُدَّ وداعي الشفاعة قد رُدَّ والميقات للأذن قد حُدَّ ومطلب الأجرة المتعارفة قد بلغ الأشد<sup>(٤)</sup>. حتى إذا قُضي الواجب وأذن في دخول الخصمين الحاجب، وكبح السابقين إلى الحد الذي لا يعدونه وحفر إيماءه من تعداه أو وقف دونه<sup>(٥)</sup>، وقد حصل باللحظ واللفظ التساوي وأنتج المطالب الأربعة هذا اللازم المساوي<sup>(٦)</sup>..... وهذه - أعانك الله تعالى - مكمّلات من العدل في الحكم..... فهلاً راجعت فيها النظر وأنجزت لها الوعد المنتظر وكففت من دموعها عيوناً مُستهلة.... وقد أدرجت لك في طي هذا ما يصل إلى يدك وتلهج به<sup>(٧)</sup> في يومك وغدك، مُنتظرة منك إطفاء الجوى بالجواب ومحو ما سبق من الخطأ بالخطاب<sup>(٨)</sup>.... في أوائل ذي الحجة عام خمسة وأربعين وثمانمائة<sup>(٩)</sup>.

★★-٤ نيل الابتهاج ٣١٣؛ نفع الطيب ٦: ١٤٦-١٦٢؛ أزهار الرياض ١: ٥٠-٦٠، ١٤٥-١٨٧: ٣: ٣١٠-٣١٢، ٣٢٠-٣٢٣؛ شجرة النور الزكية ٢٤٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٧٧ (٤٨)؛ معجم المؤلفين ١١: ٢٩٣.

- (١) القسط: العدل. صدع بالأمر: أعلنه وجهر به. الأنفة: التكبر، التفرد، التزه، الإذعان: الخضوع للحق. جدع: قطع. قطع أنف الأنفة: حل نفسه على الرضا بالأمور.
- (٢) الشبه: النحاس الأصفر. الإبريز: الخالص، الصافي.
- (٣) غلظ الحجاب: شدة الفاصل بينك وبين العامة. المقام المعصوم: الذي لا يجرؤ أحد على الاقتراب منه. الطول: القدرة، الفنى. الشهر المصوم: رمضان.....
- (٤) مطلب الأجرة قد بلغ الأشد (بضم الشين النضج) نسبة عالية - يبدو أن الموقنين كانوا يتقاضون (بفتح الضاد) أجراً على عملهم (الموقن: الكاتب بالعدل أو كاتب العدل).
- (٥) يعدونه: يتجاوزونه. حفر: حث، دفع. الإيماء: الإشارة الخفيفة.
- (٦) وأنتج..... (٤).
- (٧) لهج (بكسر الهاء) بالأمر: ولع به، ثابر على فعله.
- (٨) الجوى شدة المرض النفسي (من الحب).. الاستعارتان هنا غامضتان.
- (٩) أواسط نيسان - أبريل ١٤٤٢ م.

## إبراهيم التازي

١- هو الشيخ أبو إسحاق أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي التازي - من بني لنت، وهي قبيلة من بربر تازة (نيل الابتهاج ٥٥، السطر السادس) - سكن وهران (في القطر الجزائري اليوم). وقيل شهره بالتازي لأنه ولد في تازة<sup>(١)</sup>.

قرأ إبراهيم التازي على أبي زكريا يحيى الوازعي، وأخذ في تونس عن عبد العزيز العبدوسي، كما أخذ في تلمسان عن محمد بن مرزوق الحفيدة؟ (ت ٨٤٢ هـ).

رحل إبراهيم التازي إلى المشرق وحجّ ولبس الخرقة (أصبح ذا مكانة عالية في التصوف) على يد شرف الدين الداعي. ثم عاد إلى المغرب ولبسها مجدداً على يد الشيخ صالح بن محمد الزواوي، بسنده (أي بلبسه الخرقة على يد) أبي مدين شعيب (ت ٥٩٤ هـ)<sup>(٢)</sup>.

٢- كان إبراهيم التازي مقدماً في علوم القرآن وعلوم اللغة حافظاً للحديث بصيراً بأصول الدين وأصول الفقه ومتصوفاً مشهوراً. له بديعيات (قصائد في مدح الرسول) وقصائد تنطوي على معاني صوفية على بعضها أثر عمر بن الفارض. وله تأليف في الفقه وأصول الدين وعلم الحديث.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال إبراهيم التازي (نيل الابتهاج ٥٦):

أبعد الأربعين تروم هزلاً؟ وهل بعد العشيّة من عرار<sup>(٣)</sup>!

(١) وهران: ثغر في القطر الجزائري. تازة: بلد قرب فاس في المغرب (تاج العروس - الكويت ١٥: ٤٨).

(٢) لا يتسق، في التاريخ، أن يكون إبراهيم التازي (ت نحو ٨٦٦ هـ) قد أخذ التصوف عن صالح بن محمد الزواوي، إذا كان هذا قد أخذ عن أبي مدين (ت ٥٩٤ هـ)، إلا أن يكون بين التازي والزواوي نفر من الشيوخ (إذ بين موت التازي وموت أبي مدين مائتان واثنان وسبعون سنة).

(٣) رام: قصد، أراد. العرار: نبت له زهر طيب الرائحة. في البيت تضمين من بيت قديم:

تمتع من شميم عرار نجد      فما بعد العشيّة من عرار.

إبراهيم التازي يقصد: وهل بعد العشيّة (التقدم في السن وراء الأربعين) عرار (بجال، أو قدرة على الهزل وملأ الحياة!

وَعَدُّ عَنِ الرَّبَابِ وَعَنْ سَعَادٍ      وَزَيْنَبَ وَالْمَعَارِفِ \* وَالْمَعَارِ (١)  
فَمَا الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا بِشَيْءٍ .      وَمَا أَيَّامُهَا إِلَّا عَوَارٍ (٢) .  
فَتُبُّ وَأَخْلَعُ عِذَارَكَ فِي هَوَى مَنْ      لَهُ دَارُ النِّعَمِ وَدَارُ نَارٍ (٣) .  
وَلَا مَوْجُودَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا ،      فَدَعْ عَنْكَ التَّعَلُّقَ بِالسُّفَارِ (٤) .

- وقال إبراهيم التازي أيضاً (٥) (أزهار الرياض ٢ : ٣١٠) :

مَا حَالُ مَنْ فَارَقَ هَذَا الْجَمَالَ      وَذَاقَ طَعْمَ الْمَهْجَرِ بَعْدَ الْوِصَالِ ،  
وَالْعَقْلُ مِنْهُ ذَاهِبٌ ، وَالْحَشَى      مُتَهَبٌ ، وَالْجِسْمُ يَحْكِي الْخَيَالَ ؟  
أَيَسَتْ أَرْضَى النَّجْمَ فِي أَفْقِهَا ،      وَلَيْلُ أَهْلِ الْحُبِّ رَحْبٌ طَوَالٍ (٦) .  
يَا قَبَّحَ اللَّهُ النَّوَى إِنَّهَا (٧)      قَتْلٌ بِلَا سِيفٍ وَدَاءٌ عُضَالٍ (٨) .  
وَيَا رَعَى اللَّهُ زَمَانًا مَضَى      بِالْأَنْسِ فِي وَارِفِ تِلْكَ الظَّلَالِ (٩) :  
ظِلَالِ نِيَاءٍ الَّتِي تَيَمَّسَتْ      قَلْبِي وَخَلَّتْ مُهْجَتِي فِي نِكَالٍ (١٠) .

- (١) الرباب وسعاد وزينب من أسماء النساء اللواتي يكنى بها عن المحبوبات في الدنيا . المعارف : الأصدقاء (٢) ، العلوم الدنيوية (٣) . العمار (بفتح العين) : الأراضي والأبنية ، (بضم العين) : الخمر - عدّ تجاوز ، اترك) كلّ أمور الدنيا المادية والمعنوية . \* اقرأ : المعارف . المِعْرَف من آلات الطرب ، يشبه العود .
- (٢) الزخرف : الذهب ، والزينة . عوار جمع عارة وعارية (الشيء الذي تستعيره من غيرك) من الجندر « عور » (يقال : أعور الرجل : بدا فيه نقص أو خلل أو حاجة) .
- (٣) من له دار النعيم (الجنة) ودار النار (جهنم) هو الله .
- (٤) المتصوفة المتطرفون لا يقولون : لا إله إلا الله « لزعمهم أنّ هذه الصيغة تعني أنّ هنالك في العالم أشياء كثيرة منها الله . إنهم يقولون : لا موجود إلا الله : أي ليس في العالم كائن حقّ إلا كائن واحد هو الله . كان محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ) يقول بذلك أيضاً . السفار (الأشياء المادية الموجودة في الدنيا) .
- (٥) مجردة من تخميس لبعض الأكابر - من الصوفيين - (راجع أزهار الرياض ٢ : ٣٠٩) .
- (٦) رحب : متسع . طوال (بالضم) : طويل (القاموس المحيط : ٤ : ٩) .
- (٧) في الأصل « إنه » . والصواب إنها لأنّ « النوى » مؤنثة .
- (٨) العضال : المرض الذي لا يرجى شفاؤه .
- (٩) الظل الوارف : المتسع (المنتشر على بقعة واسعة) .
- (١٠) نياء مكان قرب المدينة (في شبه جزيرة العرب) . وهي هنا كناية عن العزّة الآلئية . تيمّ : أمرض ، ذلّل . المهجة : دم القلب (القلب) . النكال : العذاب الشديد .

لله، ما أحسنَ خالاً لها      تَقِيلُهُ المحظورُ عينُ الحلال (١).

- صلاة (دعاء) لإبراهيم التازي، وتُعرفُ بالصلاة التازية (النبوغ المغربي ٣٦٧ من الترقيم الأول): اللّهُمَّ، صَلِّ صلاةً كاملةً وسلِّمَ سلاماً تاماً على محمدٍ نبيِّ<sup>(٢)</sup> تتحلُّ به العقْدُ وتنفرجُ به الكربُ<sup>(٣)</sup> وتُقتضى به الحوائجُ<sup>(٤)</sup> وتُنال به الرغائبُ<sup>(٥)</sup> وحُسنُ الخواتِمِ<sup>(٦)</sup>، ويُستسقى الغمامُ بوجهه<sup>(٧)</sup>، وعلى آله وصحبه.

- وقال (ناظراً إلى عددٍ من معاني ابنِ الفارض):

أَبَتْ مُهَجِّي إِلَّا الْوُلُوعَ بَيْنَ تَهْوَى      فَدَعَ عَنْكَ لَوْمِي وَالنَّفُوسَ وَمَاتَقْوَى<sup>(٨)</sup>،  
هَوَانُ الْهَوَى عِزٌّ، وَعَذَبٌ أَجَاغُهُ      وَعَلَقَمُهُ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى<sup>(٩)</sup>.

- 
- (١) الحال: نقطة سوداء على الحدّ (عادة). المحظور: المنوع. - تقبيل وجه الأجنبية حرام. ولكن العزّة الإلهية (وهي أجنبية، أي غير الحبّ، غير الإنسان) تقبيلها (عبادتها طاعتها) عين الحلال (حلال مطلق واجب على كلّ إنسان).
- (٢) اقرأ: على محمد، وهو نبيّ..... أو: على محمد النبي الذي....
- (٣) الكربة: الحزن الشديد والغمّ الثقيل.
- (٤) الحوائج جمع حائجة: المأربة (بضمّ الراء)، أي الرغبة التي يضررها الإنسان في نفسه. وربّما كانت «الحوائج» جمع «حاجة» على غير قياس (وقيل: هي مولدة نشأت في العصر العبّاسي)، وقيل: استمهاها منكر (خطأ، غير مألوف). وصاحب التاج يراها صحيحة ويشهد عليها من الشعر الجاهلي ومن حديث رسول الله (راجع تاج العروس - الكويت ٥: ٤٩٦-٤٩٨).
- (٥) الرغبة: الأمر المرغوب فيه، العطاء الكثير.
- (٦) يقال: كسب الله لنا حسن الخاتمة (الموت على الإيمان - الإسلام).
- (٧) يستسقى الغمام (المطر) بوجهه: مبارك عالي المنزلة عند الله، يستجيب الله دعاءه ودعاء الذين يجعلونه وسيلتهم إلى الله.
- (٨) الولوع: التعلّق، المحبة الشديدة. بين أهوى (أنا) أي بالله وحده. والنفوس (أي دع: اترك) النفوس (بعض النفوس) وما تقوى تلك النفوس عليه. - إذا كنت أنت لا تقوى (تقدر، تحتمل) أن تحب الله وحده فاترك أصحاب النفوس من الذين يقدرّون على ذلك: أن يحبّوا الله (يتصوّفوا).
- (٩) الهوان: الذلّ، أن يصبح الشيء محتقراً لا يخيف فيهمج عليه كلّ إنسان. الأجاج: الشديد الملوحة. المنّ: طلّ (الندى) يتجمّع على الأغصان ويجمد فيتحوّل مادّة حلوة توكّل. السلوى: السمانى (بضمّ السين) طائر مرغوب في لحمه. والشاعر يظنّ أن السلوى مادّة حلوة كالمنّ (كما لا يزال عوامّ الناس يظنون).

وتعذيبه للصب عين نعيمه. وسعي اللواحي في السلو من العدوى<sup>(١)</sup> !  
وليس بحر من تعبده الهوى للهو الدنيا، فاختر لنفسك ما تهوى<sup>(٢)</sup>  
فما الحب إلا حب ذي الطول والغنى وأملاكه والأنبيا وأولي التقوى<sup>(٣)</sup>.

٤-★★ تعريف الخلف ٢: ٧-١٢؛ نيل الابتهاج ٥٤-٥٧؛ أزهار الرياض ٢:  
٣٠٩-٣١٤؛ النبوغ المغربي ٣٦٧ (من الترقيم الأول)، ٨١٧-٨١٨؛ الطمار  
١٤٧-١٥٠.

### ابن عبد المنعم الحميري

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري  
الأندلسي من أهل سبتة لا نعرف من تفاصيل حياته شيئاً، ولعل وفاته كانت بعيدة سنة  
٨٦٦ (١٤٦١-١٤٦٢ م).

٢- كان ابن عبد المنعم الحميري عالماً بالبلدان والسير<sup>(٤)</sup> والأخبار، وقد اشتهر  
بكتاب «الروض الماطر في خبر الأقطار»<sup>(٥)</sup>. ونسخة الكتاب المعروفة اليوم مؤخر  
صنعه أحد أعقابيه في جدة (بالحجاز) نحو سنة ٩٠٠ (١٤٩٤-١٤٩٥ م). وقد كان  
القلشندي (ت ٨٢١ هـ) والمقريزي (ت ٨٤٥ هـ) قد أخذوا من النسخة الأصلية  
للروض الماطر والتي صنعها ابن عبد المنعم الحميري نفسه.

(١) اللواحي جمع لاحية: التي تلوم الآخرين. وسعي اللواحي (طلب الماذلات اللاتعات مني) السلو (نسيان  
محبوبي) من العدوى (من تقليدهم للآخرين الذين يلوموني بلا علم بمحققة حبي لله).

(٢) - الذي يحب إنساناً في هذه الدنيا (مفرد دنا) يكون عبداً لهواه هذا. فاختر لنفسك ما تهوى (تعب):  
من يكون أهلاً للحب (وهو الله وحده).

(٣) الطول (بفتح الطاء): الفضل والغنى. ذو الطول والغنى هو الله. الأملاك: الملائكة.

(٤) السير (جمع سيرة): تراجم الأشخاص، والسير أيضاً: جماعات الناس. ثم هي الصلات بين الدول (السياسة  
الخارجية).

(٥) ذكر محمد الفاسي (البحث العلمي ١: ٦٥-٦٩) ما يلي: «الروض الماطر في أخبار الأقطار لمحمد بن  
محمد الحميري المتوفى سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م)، وهو غير الحميري صاحب كتاب يحمل تقريباً نفس هذا  
العنوان الذي نشر بالفرنسية ما يتعلق منه بجيزة الأندلس ليني بروفنصال.....»



والفصلُ في أمرِ «الروضِ المطار» ليس سهلاً. وفي «دائرة المعارف الإسلامية» (٣: ٦٧٥-٦٧٦) مناقشة مفصلة لتحقيق عنوانِ الكتابِ وزمّنه ونسخه. وقد قام ليفي بروفنسال بنشرِ مختاراتٍ من «الروض المطار» تتعلّق بالأندلس. وجاء في تاريخ الفكر الأندلسي «(ص ٣١١-٣١٢) هذا المقطعُ المفيد:

«وموادُّ هذا الجزء المشوّر عن الأندلس مرتبة ترتيباً أبجدياً. وهو يضمُّ مُعظمَ الأعلامِ الجغرافية الهامة التي يردُّ ذكرها في كتب الأندلسيين. وقد حرصَ الحِميري على أن يوردَ ما أتصل بعلمه من أطرافِ التاريخ عن الموضع الذي يتكلّم عنه. وأكثرُ هذه المادّة التاريخية يتعلّقُ بعصر الموحّدين الذي سقطتْ خلاله مُعظمُ حواضرِ الأندلسِ الكبيرة في أيدي النصارى. والحِميري يُعنى بتفصيل ذلك على نحوٍ فريدٍ وفي أسلوبٍ عربيٍّ رصينٍ ممّا يجعلُ لهذا الكتابِ أهمية كبيرة للمؤرّخ والجغرافي على السواء».

### ٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة كتاب «الروض المطار»:

.... وبعدُ فإنّي قصّدتُ في هذا المجموع ذكرَ المواضع المشهودة عند الناس من العربية والعجمية<sup>(١)</sup>، والأصقاع التي تعلّقت بها قصّة أو كان في ذكرها فائدة، أو كلامٌ فيه حكمة أو خبرٌ لها ظريفٌ أو معنى يُستَمَلَحُ أو يُستغرب ويحسنُ إيراده. أما ما كان غريباً عند الناس - ولم يتعلّق بذكره فائدة، ولا له خبرٌ يحسنُ إيراده - فلا أُلِمُّ<sup>(٢)</sup> بذكره ولا أعرّضُ له غالباً استغناءً عنه وأستثقالاً لذكره. ولو ذهبتُ إلى إيراد المواضع والبقاع على الاستقصاء لَطَالَ الكتابُ وقلَّ إمتاعه<sup>(٣)</sup>. فأقتصرتُ لذلك على المشهور من البقاع وما في ذكره فائدة ونكتفي عمّا سوى ذلك (١).

ورتبته على حروف المُجَمِّمِ لها في ذلك من الإحماض<sup>(٤)</sup> (١) المرغوب فيه ولِمَا فيه

(١) من اللغة العربية واللغة الأعجمية (الأجنبية: الإسبانية).

(٢) لا أُلِمُّ بذكره: لا أذكره. أُلِمُّ بالشيء: مرّ به مرّاً خفيفاً.

(٣) الاستقصاء: الاستنفاد (محاولة ذكر كلّ شيء يتعلّق بموضوع ما). الإمتاع: السرور.

(٤) الإحماض (في الأصل): أن تأكل الإبل نبتاً حامضاً (بعد أن تكون قد آملتْ بطونها من العشب العادي). والإحماض أيضاً: تناول المتحدثين بعض أحاديث الهزل. والمقصود هنا: التنقّل بين أشياء متباعدة (فلا تملّ النفس من مطالعة موضوعات متقاربة المعاني).

من سُرعة هجوم الطالب على أسم الموضوع الخاص من غير تكلفٍ عناءٍ<sup>(١)</sup> ولا تجشُمٍ تعبٍ<sup>(٢)</sup>. فقد صار هذا الكتاب محتوياً على فَنَيْنِ مختلفَيْنِ: أحدهما ذكرُ الأقطار والجهات وما اشتملت عليه من النُوعِ والصفَاتِ؛ وثانيهما الأخبار والوقائع والمعاني المختلفة بها الصادرة عن مجتليها<sup>(٣)</sup>. وأختلستُ (في) ذلك ساعاتٍ زماني وجعلته فُكاهةً نفسي. وأنصبتُ فيه فِكْرِي وبدني ورُضَّتُهُ<sup>(٤)</sup> حتى آنقاد للعمل وجاء حَسَبَ الأصل فأصبح طارداً للهموم مُلقياً للغُوم وشاهداً بقدرة القيوم<sup>(٥)</sup> مُغنياً عن مُوانسة الصخب مُنبهاً على حكمة الربِّ باعثاً على الاعتبار مُستحضراً لخصائص الأقطار، مُشيراً لآثار الأمم وأحداثها مشيراً<sup>(٦)</sup> إلى وقائع الأخبار وأنباتها.....

وجعلتُ الإيجازَ في هذا الكتاب قصديَّ وحرَصْتُ على الاختصار جُهدي حتى جاء نسيجَ وحده مليحاً في فنِّه، غريباً في معناه مُبهجاً للنفوس المشوقة ومُذهباً للأفكار المحرقة<sup>(٧)</sup>، مُوسماً لمن استولى عليه الانفرادُ ورَغِبَ عن مُعاشرة الناسِ. ومعَ هذا فقد لُمْتُ نفسي على التَّشاغل بهذا الوضعِ الصادِّ<sup>(٨)</sup> عن الاشتغال بما لا يُغني عن أمر الآخرة والمُهمِّ عن العلم المُزلفِ<sup>(٩)</sup> عند الله تعالى. وقلتُ: هذا شأنُ البطالين وشُغل من لا يَهْمُه وقته. ثم رأيتُ ذلك من قبيل ما فيه ترويحُ لهذه النفوس ومن حُسِنَ تعليلها بالمُباح لمن ينشطُ إلى ما هيَّ به أغنى<sup>(١٠)</sup>. ثم هو مهَيِّجٌ<sup>(١١)</sup> يسلُكه الناسُ، وأعتنى به طائفة من العلماء وقِيده جماعة من أهل التحصيل، فلا حَرَجَ<sup>(١٢)</sup> من الاقتداء بهم.....

- 
- (١) العناء التعب. تكلف عناء: بذل جهداً (بالضم).
  - (٢) تجشُم الأمر: تكلفه (حاول القيام به). تجشُم تعب: مُعانة مشقة وعُسْر.
  - (٣) مجتلب الشيء: الذي يأتي بالشيء من مصدره.
  - (٤) راض فلان الأمر: مارسه وذلك.
  - (٥) القيوم (من أسماء الله الحسنى).
  - (٦) « مشيراً » وردت مرتين. لعل الأولى « مشيراً » (بالثاء: كاشفاً). مشيراً (الثانية): دالاً.
  - (٧) المحرقة (٩)، لعلها: المُحرقة.
  - (٨) الصاد: الراد، الرادع، المانع.
  - (٩) والمهم (الضروري؟). المزلف: المقرب.
  - (١٠) أغنى: أكثر عناية (آهتماً واشتغلاً) بالشيء.
  - (١١) المهيج: الطريق الواضح.
  - (١٢) لا حرج: لا ضيق، لا ضرر.

قال عبد المنعم الحميري في «الروض الماطر» (نفع الطيب ٤: ٣٦٢):

فلما عَبَرَ يوسفُ وجميعُ جيوشِهِ إلى الجزيرة الخضراء انزعج<sup>(٢)</sup> إلى أشبيلية على أحسنِ الهيئات: جيشاً بعدَ جيشٍ، وأميراً بعدَ أميرٍ، وقبيلاً بعدَ قبيل<sup>(٣)</sup>. وَبَعَثَ الْمُعْتَمِدُ ابنَهُ إلى لِقَاءِ يوسفَ، وأمرَ عُمَالَ البلادِ بِجَلْبِ الأَقْوَاتِ والضَّيَافَاتِ. ورأى يوسفُ من ذلك ما سرَّه ونَشَطَه. وتواردتِ الجيوشُ معَ أمرائِها على إشبيلية. وخرَجَ الْمُعْتَمِدُ إلى لِقَاءِ يوسفَ من إشبيلية في مائةِ فارسٍ ووُجُوهِ أصحابِهِ. فلما أتى مَحَلَّةَ يوسفَ رَكُضَ نحوَ القومِ، وركضوا نحوه. فَبَرَزَ إليه يوسفُ وحده، وألْتَقَيَا مُنْفَرِدَيْنِ وتصافَحا وتعانقا، وأظهرَ كُلُّ منهما لصاحِبِهِ المَوَدَّةَ والخُلُوصَ<sup>(٤)</sup>، وشكراً نِعَمَ اللَّهِ تعالى وتواصيَا بالصَّبْرِ والرحمة وبشراً أَنفُسَهما بما استَقْبَلَا من غَزْوِ أَهْلِ الكُفْرِ، وتضرُّعا إلى اللَّهِ تعالى في أن يجعلَ ذلك خالِصاً لوجهِهِ مُقَرَّباً إليه، واقتربا.....

وكان الأذفونش<sup>(٥)</sup> لما تحقَّقَ الحَرَكَةُ والحَرْبُ استَنَفَرَ جميعَ أَهْلِ بِلَادِهِ وما يَليها وما وراءَها. وَرَفَعَ القَسِيسُونَ والرُّهْبَانُ والأَسَاقِفَةُ صُلبانَهُم ونَشَرُوا أُنَاجيلَهُم. فاجتمعَ إليه من الجَلالَةِ والإِفْرَنْجَةِ<sup>(٦)</sup> ما لا يُحصى، وجوَّاسيسُ كُلِّ فَرِيقٍ تَرَدَّدُ بَيْنَ الجميعِ. وَبَعَثَ الأذفونشُ إلى ابنِ عَبادٍ أَنَّ صاحِبَكُم يوسفُ قد تَعَنَّى<sup>(٧)</sup> من بِلادِهِ وخاضَ البُحُورَ، وأنا أَكفِيكَ العِناءَ فيما بَقِيَ ولا أَكَلِّفُكَ تَعَباً: أَمْضِ وَألقَاكُم في بِلادِكُم رِفْقاً بِكُم وتوفيراً عليكم<sup>(٨)</sup>.

(١) راجع، فوق، ٥: ٣٣.

(٢) الجزيرة الخضراء في جنوبي الأندلس. انزعج: انتقل.

(٣) القبيل: القوم تجمعهم قرابة. (كان كُلُّ جيشٍ من الجيوش - أو كُلُّ قسمٍ من الجيش الواحد - يتألف من جنود ينتمون إلى قبيلة واحدة أو إلى قبائل متقاربة في النسب).

(٤) الخُلُوص: الصفاء.

(٥) الأذفونش لقب ملوك قشتالة. والأذفونش المقصود هنا هو الفونس (ألفونسو) السادس ملك ليونة (١٠٦٥ م) وقشتالة (منذ ١٠٧٢ م) وكانت هزيمته في معركة الزلاقة سنة ١٠٨٦ م (٤٧٩ للهجرة).

(٦) الجلالة أهل جليقية (الشمال الغربي من إسبانية. الإفرنجية (سكان غالية: فرسة اليوم).

(٧) تعني: تعب، تكلف القيام بأمر فيه شقة. العناء: التعب.

(٨) في هذه الجملة تهم.

وقال (الأذفونش) لِخَاصَّتِهِ وَأَهْلِ مَشُورَتِهِ: إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي إِن مَكَّنْتُهُمْ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِي فَتُجَاوِزُونِي فِيهَا وَبَيْنَ جُدُرِهَا - وَرَبِّمَا كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيَّ<sup>(١)</sup> - يَسْتَحْكُمُونَ الْبِلَادَ وَيَخْصُدُونَ مَنْ فِيهَا غَدَاةً وَاحِدَةً<sup>(٢)</sup>. وَلَكِنْ أَجْعَلْ يَوْمَهُمْ مَعِيَ فِي حَوْزِ بِلَادِهِمْ<sup>(٣)</sup>.....

ثُمَّ بَرَزَ بِالْمُخْتَارِ مِنْ جُنُودِهِ وَأُنْجَادِ جُمُوعِهِ عَلَى بَابِ دَرْبِهِ<sup>(٤)</sup>، وَتَرَكَ بَقِيَّةَ جُمُوعِهِ خَلْفَهُ، وَقَالَ - حِينَ نَظَرَ إِلَى مَا اخْتَارَهُ مِنْهُمْ - يَهْؤُلَاءِ أَقَاتِلُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَمَلَائِكَةَ السَّمَاءِ. فَالْقَلِيلُ يَقُولُ: الْمُخْتَارُونَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دَارِعٍ<sup>(٥)</sup>، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ أَتْبَاعٌ. وَأَمَّا النَّصَارَى فَيَعْبَجُونَ مِمَّنْ يَزْعُمُ ذَلِكَ وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. وَاتَّفَقَ الْكُلُّ (عَلَى) أَنَّ عِدَدَ الْمُسْلِمِينَ أَقَلُّ مِنَ الْكُفَرَةِ.....

٤- صفة جزيرة الأندلس (منتخب من كتاب «الروض المطار» - عني بنشرها إ. لافي بروفنصال - وقف على طبعه محمد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م؛ بيروت (الشركة المتحدة للتوزيع) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.  
\* نفع الطبيب ٤: ٣٥٤ وما بعد، ٣٥٧ وما بعد، ٣٦٠، ٣٦٣ وما بعد، ٣٦٨ وما بعد، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٥ - ٦٧٦؛ بروكلمن ٢: ٥٠، الملحق ٢: ٣٨، ٣: ١٢٧٩؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٨١ (٥٣)؛ بالنشأ ٣١١ - ٣١٢.

## الجزولي (\*) السِّلَالِي

١- هو أبو عبد الله محمد بن سليمان (أو ابن عبد الرحمن) بن أبي بكر الجزولي

- (١) ناجزوني: قاتلوني، حاربوني. الجدر (بضم فم) جمع جدر (بالكسر): الحائط. كانت الدائرة علي: انهزمت، هلكت.
- (٢) «استحكم» ليست هنا في مكانها (المقصود: تحكّم في البلاد: سيطر فيها). غداة واحدة = في غداة واحدة (في وقت قصير).
- (٣) الحوز: قطعة من الأرض يحوزها (يملكها ويؤورها) أهل مدينة فتكون خالصة لهم.
- (٤) الأنجاد جمع نجد (بفتح فسكس أو بفتح فم): الرجل الشجاع، والذي يضي في ما لا يستطيعه غيره. الدرب (هنا): كل طريق يؤدي إلى ظاهر (خارج) البلد.
- (٥) الدارع: اللابس الدرع.
- (\*) الجزولي (بفتح الجيم أو بضمها) نسبة إلى قبيلة جزولة (بجيم فارسية).

السَّلَالِيَّ (من قبيلة سِمْلَالَة أحدِ فروعِ جَزُولَة) وهو من أَهْلِ (سِلْسِلَة جِبَالِ) السَّوْسِ الأَقْصَى المَرَّاكُشِيَّة (في جَنُوبِ المَغْرِبِ).

وُلِدَ الجَزُولِيُّ السَّلَالِيُّ سَنَةَ ٨٠٧ للهجرة (١٤٠٤-١٤٠٥ م). ويبدو أَنَّهُ غادر مَوْطِنَهُ في مطلعِ حَيَاتِهِ، بعدَ حادثةٍ مَحَلِّيَّةٍ أَقرَّ فيها على نَفْسِهِ بقتلِ موطنِي حَتَّى يُمَكِّنَ الإِصْلَاحَ بَيْنَ أَهْلِ القَتِيلِ وأَهْلِ القَاتِلِ على عَادَةِ أَهْلِ البَلَدِ (راجع نيل الابتهاج ٣١٧ س). فخرَجَ إلى طَنْجَة. ثُمَّ رَجَعَ إلى فاس وتلقَى فيها شيئاً من العلم، ودَوَّنَ فيها «دَلَائِلُ الخَيْرَاتِ». وفيها أيضاً لَقِيَ الشَيْخُ زُرُوق<sup>(١)</sup>. ثُمَّ إِنَّهُ عادَ إلى السَّاحِلِ (إلى طَنْجَة؟) وَلَقِيَ هُنَاكَ «أَوْحَدَ وَقْتَهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أُمَغارَ الصَّغِيرَ» وأخذَ عنه.

ويُقالُ إِنَّهُ رَحَلَ إلى المَشْرِقِ، بعدَ تَطَوُّفِهِ في المَغْرِبِ، وَقَضَى مُدَّةً في الحِجَازِ. وبعدَ رُجُوعِهِ مِنَ المَشْرِقِ- فِيمَا قِيلَ- دَخَلَ في الطَّرِيقَةَ السَّادِيَّةَ ثُمَّ أَعْتَزَلَ مُعْتَكِفاً وَأَنْقَطَعَ في الحُلُوءِ (في فاس) أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وكانتْ وَفاةُ الجَزُولِيِّ السَّلَالِيِّ- فِيمَا قِيلَ- مَسْمُوماً، في مَكَانٍ أَسَمَهُ آفْغَالُ (أو أفوغال)، في السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ ربيعِ الأوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٨٧٠ للهجرة (١٤٦٤/٨/٩ م). وبعدَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ نُقِلَتْ جُثَّتُهُ إلى مَدِينَةِ مَرَّاكُش<sup>(٢)</sup> في الأَغْلَبِ.

٢- الجَزُولِيُّ السَّلَالِيُّ فقيهٌ صوفيٌّ مشهورٌ ومن ذَوِي المَكَانَةِ الَّذِينَ بَلَّغُوا في التَّصَوُّفِ مَرْتَبَةً عَالِيَةً، جاءَ في «نيل الابتهاج» (ص ٣١٧): «العالمُ العارفُ الوَلِيُّ الصَّالِحُ القُطْبُ... نُخْبَةُ الدَّهْرِ وَوَحِيدُ العَصْرِ، مُحْيِي الطَّرِيقَةِ (الصُّوفِيَّةِ) بِالمَغْرِبِ بعدَ دَرَسِهَا وَ(كَاشَفَ) شَمْسَ الحَقِيقَةِ عِنْدَ طَمَسِهَا». وَهُوَ مُصَنِّفٌ، لَهُ: دَلَائِلُ الخَيْرَاتِ وشَوَارِقُ الأنوارِ في ذِكْرِ الصَّلَاةِ على النَّبِيِّ المُخْتَارِ - حِزْبُ الفَلاحِ<sup>(٣)</sup>- العُجَالَةُ في

(١) هو أَبُو العِباسِ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى البَرْنَسِيِّ الفَاسِيِّ المَعْرُوفُ بِزُرُوقٍ، فقيهٌ ومُحدِّثٌ وصوفيٌّ. سَاحَ في المَغْرِبِ وَرحَلَ إلى المَشْرِقِ وَزارَ مِصرَ والحِجَازَ. لَهُ مُصَنَّفَاتٌ في الفِقهِ وَفي التَّصَوُّفِ. كانَتْ وَفاةُ سَنَةِ ٨٩٩ (١٤٩٣-١٤٩٤ م) في تَكْرِينَ (مِنْ قُرَى مِسرَاتِهِ) مِنْ أَعْمَالِ طَرابُلُسَ (لِيبْيَا).

(٢) نُقِلَتْ جُثَّتُهُ إلى مَرَّاكُشَ بعدَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ مِنْ مَوْتِهِ؛ وَفي نيلِ الابتهاجِ بعدَ سَبْعِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَوُجِدَتْ سَلِيمَةً لَمْ تَتَغَيَّرْ!

(٣) «دَلَائِلُ الخَيْرَاتِ» تَعْبِيرٌ أُطْلِقَ فِيمَا بعدَ على مَجْمُوعِ مَعَيَّنٍ مِنَ الأَدْعِيَةِ تُقالُ في عَقِبِ الصَّلَواتِ أَوْ في فُتُراتٍ مِنَ التَّهَجُّدِ وَالْعِبَادَةِ (أَلْفَهُ في فاس). الحِزْبُ في الأَصْلِ رِيعُ جِزءٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ (والقُرْآنُ =

### ٣- مختارات من آثاره

- من دلائل الخيرات للجزولي السملاني:

.... أفضل صلوات (\*) الله وأحسن صلوات الله وأجل صلوات الله وأكمل صلوات الله وأسبغ<sup>(١)</sup> صلوات الله وأتم صلوات الله وأظهر صلوات الله وأعظم صلوات الله وأزكى<sup>(٢)</sup> صلوات الله وأطيب صلوات الله وأبرك صلوات الله وأوفى صلوات الله وأسنى<sup>(٣)</sup> صلوات الله وأعلى صلوات الله وأكثر صلوات الله وأجمع صلوات الله وأعم صلوات الله وأدوم صلوات الله وأبقى صلوات الله وأعز صلوات الله وأرفع صلوات الله على أفضل خلق الله وأحسن خلق الله وأجل خلق الله وأكرم خلق الله وأجل خلق الله وأكمل خلق الله وأعظم خلق الله عند الله: رسول الله ونبي الله وحبيب الله وصفي الله ونجي<sup>(٥)</sup> الله و خليل الله وولي الله وأمين الله وخيرة<sup>(٦)</sup> الله من خلق الله، ونُخبَة الله من

= الكريم ثلاثون جزءاً)، ويطلق على مقدار من القراءة والأدعية يأخذ المسلم نفسه بقراءته في أوقات معينة.

(\*) يحسن أن ندرك أن في هذا الدعاء أشياء . أولى هذه الأشياء أنَّ الجزولي السملاني يريد أن يجمع في دعائه هذا كل أنواع المديح في رسول الله صلى الله عليه وسلم - ورسول الله أهل لكل هذا المديح ولأكثر منه أيضاً. ثم إنَّ الجزولي هذا لا يلقي بالأكبر للصفات التي يضيفها إلى الأسماء: أفضل صلوات الله وأجل.... وأحسن.... وأعلى.... وأرفع صلوات الله، إلخ. الغاية الأساسية جمع هذه الصفات في سلك طويل من غير تفريق في خصائصها (ظلال معانيها). ثم هنالك شيء أدعى إلى الملاحظة (مع العلم بأن النص هنا مختارات)، هو أن ترتيب الصفات المضافة إلى الصلوات (أفضل صلوات الله وأحسن صلوات الله تجري على ترتيب واحد مع الصفات التي سيخلفها الجزولي السملاني على الرسول (على أفضل خلق الله وأحسن خلق الله، إلخ).

(١) أسبغ: أوسع وأكثر شمولاً.

(٣) أظهر: أبين، أوضح؛ أقوى: أزكى: أظهر.

(٣) أسنى: أعلى؛ أضوأ (أكثر ضوءاً أو نوراً). أوفى: أتم وأكمل.

(٤) أعز: أقوى؛ أندر؛ أحب.

(٥) الصفي: الذي يجعله صديقاً خالصاً لك دون سواه. والنجي: الذي تبارّه (تطلعه على أسرارك دون غيره).

(٦) الخليل: الصديق الخال (الذي يعرف دخائل أمورك). الولي: الذي يتولى أمورك ويكون كل اعتمادك في كل شيء عليه. خيرة الله (الذي اختاره الله).

بَرِيَّةٌ<sup>(١)</sup> الله، وصفوة الله من أنبياء الله، وعُرْوَةٌ<sup>(٢)</sup> الله وعِصْمَةٌ الله ونعمة الله ومِفْتَاح رحمة الله، المختار من رُسُلِ الله، المُنتخب من خلق الله، الفائز بالمُطلب في المَرْهَب والمرْغَب، المُخلَص فيما وَهَب<sup>(٣)</sup>، أكرم مبعوث، أصدق قائل، أنجح شافع، أفضل مُسَقِّع، الأمين فيما آسَدُوْع، الصادق فيما بَلَغ، الصادع بأمر ربّه، المُضطلع بما حُمِّل<sup>(٤)</sup>، أقرب رسلِ الله إلى الله وسيلةً وأعْظَمِهِمْ غَدَاً<sup>(٥)</sup> عند الله مَنزَلَةً وفضيلةً، وأكرم أنبياء الله الكرام الصّفْوَةُ على الله<sup>(٦)</sup>، وأحَبُّهُمْ إلى الله وأقربهم زُلْفَى<sup>(٧)</sup> إلى الله، وأكرم الخلق على الله وأحْظَاهُمْ<sup>(٨)</sup> وأرضاهم لدى الله، وأعلى الناس قَدْرًا وأعْظَمِهِمْ مَحَلًّا وأكرمهم محاسنَ وفضلًا، وأفضل الأنبياء دَرَجَةً وأكملهم شريعةً، وأشرف الأنبياء نصابًا وأَئِنَّهُمْ خِطَابًا<sup>(٩)</sup> وأفضلهم مَوْلَدًا ومُهاجِرًا وَعِترَةً<sup>(١٠)</sup> وأصحابًا، وأكرم الناس أرومةً وأشرفهم جُرْثُومَةً<sup>(١١)</sup>، وخَيْرِهِمْ نَفْسًا وأطهرهم قَلْبًا وأصدقهم قولًا وأزكاهم فِعْلاً وأثبتهم أَصْلًا<sup>(١٢)</sup> وأوفاهم عهدًا وأمكنهم مَجْدًا وأكرمهم طبعًا وأحسنهم صُنْعًا وأطيبهم قَرْعًا<sup>(١٣)</sup> وأكثرهم سَمْعًا وطاعةً<sup>(١٤)</sup> وأعلاهم مقامًا وأحلاههم كلامًا وأزكاهم

- (١) البرية: الخلق (بالفتح)، مجموع البشر.
- (٢) العروة: ما يمسك به الإنسان (ليستعين به على الثبات في موقفه). العصمة: الحماية ما يلجأ إليه الإنسان (ليدفع عنه خطراً ما).
- (٣) المَرْهَب: الأشياء التي يرهَب (يخاف) الإنسان منها. والمرْغَب: المراد (بالضم) أو ما يريد الإنسان أن يحصل عليه. المخلص فيما وهب (أعطى): الذي خصّه الله بما أعطاه دون غيره (من الرسل).
- (٤) الصادع: الذي يطن الأمر ويجهز به (من غير تردد أو خوف). المضطلع (القدير في القيام بالأمر) بما حُمِّل (من الرسالة إلى جميع البشر).
- (٥) غَدَاً (يوم القيامة).
- (٦) وأكرم على الله (أعزّ وأرفع مكانة) عند الله من جميع الأنبياء (الذين هم أيضاً ذوو مكانة عند الله، والذين هم الصفوة المختارون من سائر الناس).
- (٧) أقربهم زلفى إلى الله: أكثرهم أثراً في الزلفى (التقرب) بجاههم إلى الله.
- (٨) أحظاهم: أقربهم منزلة.
- (٩) النصاب: الأصل، قوم الرجل. أئِنَّهُمْ: أوضحهم.
- (١٠) المهاجر: المكان الذي يهاجر الإنسان إليه. العِترَةُ: عشيرة الرجل وقومه.
- (١١) الأرومة والجُرْثُومَةُ: الأصل الذي ينتمي الإنسان إليه من النسب.
- (١٢) أزكاهم (أطهرهم) فعلاً: خيرهم أفعالاً. أثبتهم أَصْلًا (لا اختلاف في سرد نسبه).
- (١٣) أمكنهم: أثبتهم. الفرع: النسب القريب (في مقابل الأرومة والجُرْثُومَةُ: الأصل البعيد).
- (١٤) أكثرهم سَمْعًا (لقول الله) وطاعة (لله).

سَلاماً وأَجْلَهم قَدراً وأَعْظَمَهم فِخْراً وأَسَناهُمْ نوراً<sup>(١)</sup> وأَرْفَعَهم في المَلَأِ الأعلى<sup>(٢)</sup> ذِكْراً وأَصْدَقَهم وعداً وأَكْثَرهم شُكْراً وأَعْلَاهُمْ أَمراً وأَجْلَلِهم صَبْراً وأَحْسَنَهم خَيْراً وأَقْرَبَهم يُسْراً وأَبْعَدَهم مَكَاناً<sup>(٣)</sup> وأَعْظَمَهم شَأْناً وأَثَبَهم بُرْهاناً وأَرْجَحَهم مِيزاناً وأَوَّلَهم إِيْماناً وأَوْضَحَهم بَياناً وأَفْصَحَهم لساناً وأَظْهَرَهم بُرْهاناً<sup>(٤)</sup>...

٤- دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار، بطرسبورج ١٨٤٢ م (١٢٥٢ هـ)؛ فاس بلا تاريخ<sup>(٥)</sup>؛ القاهرة (مطبعة المدارس بالأزبكية) ١٢٥٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة كاستلي) ١٢٧٧ هـ؛ القاهرة ١٢٨١، ١٢٨٧ هـ؛ القاهرة (مطبعة الطوخي) ١٢٨٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة أبي زيد) ١٢٨٩، ١٢٩١، ١٢٩٤، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٣٠٤، ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة ١٣٠٧، ١٣٠٨ هـ، إلخ؛ القاهرة (مطبعة البابي الحلبي) ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م)؛ استانبول ١٢٦٤، ١٢٧٣، ١٢٧٥، ١٢٩٣، ١٣٠١، ١٣١٤ هـ؛ وطبعت في الهند: دهل ١٢٨٩، ١٣٠٢، ١٣١١ هـ؛ بومباي (مع ترجمة بين السطور بالسندية) ١٢٩٤ هـ؛ تلتشري (مع ترجمة بين السطور بالفارسية والهندستانية ومع زيادة في الأدعية لمولانا حفاظت حسين) ١٢٩٦ هـ؛ كاونبور ١٢٩٨، ١٣٠٣، ١٣٠٤ هـ؛ لاهور (مع ترجمة بين السطور بالهندستانية) ١٣٠٢ هـ؛ لاهور (مع ترجمة بين السطور بالهندستانية لفلام أحمد) ١٣١٧ هـ. مدراس (مع ترجمة بين السطور بلغة التاميل: «نوافل البركات» لمحمد عبد الرحمن قادر مرام) ١٩٠٨ م (١٣٢٦ هـ)؛ الجزائر ١٣٢٢ هـ. شروح على «دلائل الخيرات»:

- مطالع السرّات، لأحمد بن عليّ بن محمد المهدي الفاسي (ت ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٣ م)، القاهرة ١٢٧٨، ١٣٠١، ١٣٠٩ هـ. ١٣٢٧ هـ؛
- شرح، للعدويّ الحمزاوي (ت ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩ م)، القاهرة ١٢٨٩ هـ.
- الأنوار اللامعات شرح دلائل الخيرات، لعبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت ١٠٣١ هـ = ١٦٢٢ م)، فاس ١٣١٧ هـ.

★★- تمتع الأسماع في ذكر (او: بمناقب) الشيخ الجزوليّ والتبّاع (بفتح التاء) وما لها من

- 
- (١) أَجْلَهم (أعظمهم) قَدراً (مكانة). أَسَناهُمْ (أضوأهم، أسطهم، أشدهم).
  - (٢) المَلَأُ الأعلى (العالم الروحاني): لدى الله.
  - (٣) أَقْرَبَهم يسراً: أكثرهم تحقيقاً لتيسير الأمور (على الوصول إلى صالح الأعمال وإلى الثواب عليها) وأَبْعَدَهم مكاناً (عن أن يصل إلى مرتبته ومقامه أحد).
  - (٤) البرهان: (النور القويّ الذي يظهر حقائق الأشياء) والدليل (الذي يثبت الأمور على ما يجب أن تثبت الأمور عليه).
  - (٥) يبدو أن جميع هذه الطبعات طبع حجر. ثمّ إنّه طبع بعد ذلك بالحروف وفي أماكن عديدة.



الأتباع، لأبي عبد الله محمد المهدي الفاسي<sup>(١)</sup>، فاس ١٣٠٥، ١٣١٣ هـ.  
- الدلالات الواضحات: حاشية مختصرة على دلائل الخيرات، ليوسف بن إسماعيل النبهاني<sup>(٢)</sup>،  
الطبعة الثانية، القاهرة (الباي) ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م).

نيل الانتهاج ٣١٧ (طبعة فاس ٣٣٩)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٥٢٧-٥٢٨؛  
بروكلمن ٢: ٣٢٧-٣٢٨، الملحق ٢: ٣٥٩-٣٦٠، الأعلام للزركلي ٢١: ٧ (١٥١: ٦)؛  
معجم المؤلفين ١٠: ٥٢؛ (١١: ١١٨، ترجمة مكرورة)؛ النبوغ المغربي ٣٦٥؛ سركيس  
٦٩٧.

## القاضي ابن الأزرق

- هو قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن  
القاسم بن الأزرق الأصبحي الغرناطي من أهل وادي آش، وُلِدَ سَنَةَ ٨٣٢  
(١٤٢٨-١٤٢٩ م). تَلَقَّى ابْنُ الْأَزْرَقِ الْعِلْمَ فِي غَرْنَاطَةِ: لَازَمَ الْأَسْتَاذَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ  
أَحْمَدَ بْنِ قَتَّوحٍ مُقْتِي غَرْنَاطَةَ وَأَخَذَ عَنْهُ أَصُولَ الدِّينِ وَأَصُولَ الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَالْمَنْطِقِ،  
وَحَضَرَ مَجَالِسَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّرْقُسْطِيِّ - مُقْتِي غَرْنَاطَةَ أَيْضاً - فِي الْفِقْهِ  
وَحَضَرَ مَجَالِسَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي يَحْيَى بْنِ شَرَفِ التِّلْمَسَانِيِّ.

وتولَّى ابْنُ الْأَزْرَقِ الْقِضَاءَ فِي غَرْنَاطَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا اشْتَدَّ ضَغْطُ النِّصَارِيِّ الْإِسْبَانِ  
عَلَى غَرْنَاطَةَ غَادَرَهَا إِلَى تِلْمَسَانَ ثُمَّ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ إِلَى الْحِجَازِ فَحَجَّ ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ، كُلُّ  
ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الْإِسْتِجَادِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَبْرَزَهُمْ يَوْمَئِذٍ السُّلْطَانُ قَايْتَبَايَ  
(٨٧٢-٩٠١ هـ) مِنْ أَسْرَةِ الْمَمْلِكِ الْبُرْجِيَّةِ فِي مِصْرَ، وَلَكِنْ دَعَوَتُهُ لَمْ تُثْمَرْ.

وَأَحَبَّ قَايْتَبَايَ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ عِلْمِ ابْنِ الْأَزْرَقِ وَنَزَاهَتِهِ فَعَيَّنَهُ فِي مَنْصِبِ قَاضِي  
الْقُضَاةِ فِي الْقُدْسِ. وَوَصَلَ ابْنُ الْأَزْرَقِ إِلَى الْقُدْسِ فِي سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ

(١) هو أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن يوسف (من أتباع الجزولي السلالي)، ولد سنة ١٠٣٣ هـ  
(١٦٢٤ م) وتوفي ١١٠٩ هـ (١٦٩٨ م) - (بروكلمن، الملحق ٢: ٧٠٣، راجع ٣٥٩؛ سركيس ١٤٢٨).

(٢) يوسف بن إسماعيل النبهاني، ولد سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) وتوفي سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م): أديب  
وشاعر وفقه متشدد، ألف عدداً كبيراً من الكتب أكثرها في الأمور الإسلامية مع حملة شديدة على  
الذين يخالفونه في تشدده (راجع الأعلام للزركلي ٩: ٢٨٩ = ٢١٨).

٨٩٦ (١٤٩١/٨/٢١ م)، ولكنه تُوفيَ وشيكاً في سابعَ عَشَرَ ذي الحجة من سَنَةِ ٨٩٦ (١٤٩١/١٠/٢٠ م).

وفي ثاني ربيعِ الأوَّل من سَنَةِ ٨٩٧ (١٤٩٢/١/٣ م) استولى النصارى على الحمراء (نفتح الطيب ٤: ٥٢٥) وانتهى الحكمُ السياسيُّ للمُسلمين في الأندلس.

٢- كان القاضي ابنُ الأزرقِ فقيهاً وباحثاً مُتَفَنِّناً غَلَّبَ عليه النظرُ في العُمرانِ البشريِّ، فقد تَوَقَّرَ في كِتَابِيهِ: «الإبريزُ المسبوكُ في كيفية آداب الملوك» (نحو ٨٨٣ هـ) و«بدائعُ السُّلُكِ في طبائعِ المُلُكِ (بدائع السلوك في نظام الملوك)» على تلخيصِ عددٍ من الآراءِ في مقدمة ابنِ خلدون أو مُحَاكَاةِها. ولابنُ الأزرقِ من الكتبِ أيضاً: روضةُ الإعلامِ بمنزلةِ اللغةِ العربيةِ من علومِ الإسلامِ - شفاءُ الغليلِ في شرحِ مُختصرِ خليل<sup>(١)</sup> - فتاوى.

وكان لابنُ الأزرقِ نظمٌ من شعرِ العلماءِ أكثره مَقْطَعَاتٌ مَبْنِيَّةٌ على التورية (كلمة لها معنيان أحدهما قريبٌ مألوفٌ وثانيها بعيدٌ ملموح). ويُنسَبُ إليه قصيدةٌ طويلةٌ في سِنَةِ وتسعينَ بيتاً في الهزلِ والسُّخْفِ وبعضُ المُجونِ (نفتح الطيب ٣: ٢٩٨ - ٣٠٣)، ولعلَّها بعيدةٌ عن منهجه. من هذه القصيدة:

لا أُمَّ لي، لا أُمَّ لي	إن لم أُبرِّدْ شَجَـني <sup>(٢)</sup>
وأخلعنَّ في المِجْوِ	نِ والتصـالي رَسَـي <sup>(٣)</sup> .
أفدي صديقاً كان لي	بنفسِه يُسِـدني:
فتارةً أنصحُه،	وتارةً ينصحُني،
وتارةً ألعنُه،	وتارةً يلعنُني.
وربَّما أصفُّه،	وربَّما يصفُّني....

(١) للشيخ خليل: بن إسحاق (ت ٧٧٦) كتاب في الفقه المالكي اسمه «المختصر» مشهور جداً.

(٢) لا أُمَّ لي أو لا أب لي تعبير معناه: لست على حقٍّ، أو لست مستحقاً للكرامة (إن لم أفعل كذا وكذا).

(٣) المجون: الكلام المكتوف والأعمال المحجلة إذا مارسها صاحبها جهاراً. التصابي: فعل أفعال الصبا بعد ذهاب زمنها (بتقدم السن). خلع الرسن: انغمس في الأعمال السيئة بلا مبالاة.

- قال ابن الأزرقي في إيجاز شيء من قول ابن خلدون في أهل العصبية:

.... ولا يصدق ذلك إلا إذا كانوا ذوي عَصِيَّةٍ وأهل تَشْيِعٍ واحد. وحينئذٍ تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم لما جُبِلَ في القلوب من الشفقة والشفقة على ذوي الرحيم والقرابة. ومن ثم قال إخوة يوسف عليه السلام: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَغَضُنْ عَصْبَةً إِنَّا إِذَا لَخَّاسِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>. والمفترقون في النسب قل أن يجد أحد منهم نعمة على صاحبه يوم الكفاح على حد ما هي من ذوي الأرحام، فلا يقدرون لذلك على سكنى القفر<sup>(٢)</sup>، وإلا كانوا قريسة لمن سواهم.....

- ومن آرائه في التربية والتعليم (من كتاب بدائع السلك أيضاً):

ولقد كان شيخنا العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفتح لصاحب البحث مجالاً رَحْباً ويوسع المراجع له قبولاً ورُحْباً<sup>(٣)</sup>، بل يطالب بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم ويرتضيه توقيفاً على ما خلص له تحقيقه ووضح له في معيار<sup>(٤)</sup> الاختبار تدقيقه. وإلا فقد كان ما يلقيه غاية ما يتحصل ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتأصل<sup>(٥)</sup>.....

ومخالفة التلميذ الشيخ في بعض المسائل - إذا كان لها وجه وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء - ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ، ولكن<sup>(٦)</sup> مع ملازمة التوقير الدائم والإجلال الملائم. فقد خالف ابن عباس عمر وعلياً وزيد بن ثابت<sup>(٧)</sup> (٨)

(١) القرآن الكريم ١٢: ١٤ يوسف.

(٢) يرى ابن خلدون أن سكنى القفر (البادية) بعيداً عن سلطة الدولة لا تتم إلا للجبايات القوية التي تستطيع الدفاع عن نفسها.

(٣) الشيخ: الأستاذ الكبير الذي يتولى تخريج الطلاب.

(٤) الرحب (بالفتح): صفة بمعنى المتسع. الرحب (بالضم) مصدر بمعنى السعة.

(٥) التوقيف: النص البات كأنه قاعدة. معيار: مقياس.

(٦) .. ما كان الشيخ يلقيه (من الدروس) غاية (نهاية، أسمى، كل) ما يتحصل (ما يمكن في باب تحصيل العلوم). ويتمهد (يستقر). يتأصل (يرسخ في النفس).

(٧) لكن..... المقصود: إذا كان مع التوقير للأستاذ.

(٨) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ابن عم الرسول) كان يسمى «ترجمان القرآن» لمعرفته بوجوه تفسير =

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان قد أَخَذَ عنهم. وخالفَ كثيرٌ من التابعين بعضَ الصحابة، وإنَّما أخذوا العِلْمَ عنهم. وخالفَ مالكٌ<sup>(١)</sup> كثيراً من أسيّاخِهِ..... وكادَ كُلُّ من أخذَ العِلْمَ أن يُخالِفَهُ بعضُ تلاميذه في عِدَّةِ مسائل، ولم يَزَلْ ذلك دأبَ التلاميذِ مَعَ الأساتِيزِ إلى زماننا هذا. وشاهدنا ذلك في أسيّاخنا مَعَ أسيّاخِهِم رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى. ولا يَنْبَغِي للشيخ أن يَتَبَرَّمَ من هذه المُخالِفَةِ إذا كانت على الوجه الذي وصفناه.

- ولابن الأزرق مقطعات فيها تورية:

★★ وربَّ محبوبٍ تَبَدَّدَتْ كأنَّها الشمسُ في حُلَاهَا<sup>(٢)</sup>.  
 فأعْجَبَ لحالِ الأنامِ: مَنْ قد أَحَبَّهَا فَقَدْ قَلَّهَا<sup>(٣)</sup>!  
 ★★ عُدْرِي في هذا الدُّخانِ الذي جاورَ داري واضحٌ في البيان<sup>(٤)</sup>.  
 قد قَلْتُمُ إِنَّ بها زُخْرُفاً ولا يَلِي الزُّخْرَفَ إِلَّا الدُّخانُ<sup>(٥)</sup>.  
 ★★ تأملتُ من حُسْنِ الربيعِ نضارةً وقد غَرَّدَتْ فوقَ الغُصونِ البلابلُ.  
 حَكَّتْ في غُصونِ الدُّوحِ قَساً فَصاحَةً لَتُعْلِمَ أَنَّ النَّبْتَ في الروضِ باقِلُ<sup>(٦)</sup>.

- وقال عند وفاة والدته:

- = القرآن الكريم. ثم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب. وزيد بن ثابت أخو حسان بن ثابت الشاعر.  
 وزيد بن ثابت كان الذي تولى جمع سور القرآن الكريم بين دفتي كتاب واحد (في مجلد واحد).  
 (١) مالك بن أنس عالم أهل المدينة وأحد الأئمة في الفقه وفي رواية الحديث.  
 (٢) المحبوبة كناية عن القطاتف (نوع من المجنّات تحشى بالجن عادة ثم تقلى بالسنم وتنفس بالقطر أو السكر المغلي بالماء حتى يصبح على شيء من الكثافة).  
 (٣) التورية في كلمة «قلاها» (المعنى القريب: أبغضها لوجود القرينة «أحبها» - والمعنى البعيد المقصود «طبخها بالسنم».)  
 (٤) - يبدو أنّ الناس قد عاتبوا ابن الأزرق لوجود دخان يتصاعد من قرب بيته.  
 (٥) في البيت توريّتان. الزخرف (الذهب، الزينة) - والزخرف السورة الثالثة والأربعون في المصحف. والدخان (السُّخام الأسود المتصاعد من النار) - والدخان السورة الرابعة والأربعون في المصحف.  
 (٦) حكى: ثاب، مائل. الدوحة: الشجرة الكبيرة. قسّ بن ساعدة الأيادي من خطباء العرب في الجاهلية كان مشهوراً بالفصاحة. التورية في «باقل» «باقل: نابت، لقرينة النبت - وباقل كان رجلاً من بني إيراد معروفًا بالعمي (العجز أو الكسل عن الكلام)، لقرينة قسّ (بن ساعدة الأيادي) الذي كان مشهوراً بالفصاحة).

تقول لي، ودموع العين واكفة: ما أقطع البين والترحال، يا ولدي<sup>(١)</sup>!  
فقلت: أين السرى؟ قالت: لرحمة من قد عزّ في الملك لم يؤلّد ولم يلد<sup>(٢)</sup>

٤-★★ نيل الابتهاج؛ شجرة النور الزكية ٢٦١؛ نفع الطيب ٢: ٦٩٩-٧٠٤، ٣: ٢٩٨-٣٠٣، راجع ٦: ١٥١-١٥٣، ٤٤٧؛ أزهار الرياض ٣: ٣١٧-٣٢٣؛ بروكلمن ٢: ٣٤٣؛ الأصالة (السنة الثالثة - العدد ١٣) ص ١٢١-١٢٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٨١ (٦: ٢٨٩)؛ معجم المؤلفين ١: ٤٣.

### القلصادي

١- هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي الأندلسي المغربي الشهير بالقلصادي، أصله من بسطة (على مقربة من غرناطة شرقاً في شمال). وفي بسطة كان مولده سنة ٨١٥ للهجرة (١٤١٢-١٤١٣ م).

انتقل القلصادي إلى غرناطة وأستوطنها لطلب العلم فقرأ فيها على إبراهيم بن أحمد ابن فتوح مفتي غرناطة (وكانت له مشاركة في علم الأصول والنحو والفلك، كما كانت له أرجوزة في النجوم). وكذلك قرأ فيها على أبي عبد الله محمد بن محمد السرقسطي، وكان فقيهاً ومفتياً.

ورحل القلصادي إلى المشرق، فمرّ في طريقه بتلمسان فقرأ على يوسف بن سليمان ومحمد بن النجار والشريف محمد المعروف بلقب حمو. ومن أشهر شيوخه في تلمسان أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد (راجع المختارات).

ثم أرحل من تلمسان إلى حاضرة تونس وأخذ عن قاضي الجماعة أبي الفضل قاسم ابن عقاب والقلشاني وحلولو<sup>(٣)</sup>. ومن تونس تابع سيره إلى المشرق فحجّ وسمع من نفر من

(١) الواكف: السائل، المتحدّر. البين: البعاد والفراق.

(٢) السرى: المسير (ليلاً)، الذهاب. عزّ: قوي. لم يولد ولم يلد: هو الله تعالى (راجع القرآن الكريم ١١٢: ٣ الإخلاص).

(٣) راجع نفع الطيب ٢: ٦٩٢-٦٩٣ ابن عقاب (٤). القلشاني هو قاضي الجماعة في تونس أبو العباس أحمد ابن محمد القلشاني المتوفى سنة ٨٦٣ للهجرة (شجرة النور الزكية، ص ٢٥٨، رقم ٩٤٣). وحلولو هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن اليزلطيني القروي (نسبة إلى القيروان) قاضي طرابلس الغرب، كان لا يزال حياً سنة ٨٧٥ للهجرة (شجرة النور الزكية، ص ٢٥٩، رقم ٩٤٧).

العلماء منهم الحافظُ ابنُ حجرٍ العسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ) وجلالُ الدين المحلّيّ (ت ٨٦٤ هـ) وشمسُ الدين أبي العباس الشمني المصريّ (ت ٨٧٢ هـ) ومن القاريّ محبّ الدين أبي القاسم محمد النويريّ المصريّ (ت ٨٥٧ هـ) وغيرهم.

ثم عاد القلّصاديّ إلى غرناطة. ولما اشتدّت وطأة الإسبان النصارى على غرناطة جدّد القلّصاديّ الرّحلة فجاء إلى إفريقية (القطر التونسيّ). ويبدو أنّه استقرّ في باجة (في الشّمال الغربي من القطر التونسي)، وفيها كانت وفاته في مُنتصفِ ذي الحِجّة من سنة ٨٩١ (١٢/١٢/١٤٨٦ م).

٢- للقلّصاديّ فضلٌ على علم الرياضيات بأنّ توسّع في استخدام الرّموز في بناء المعادلات الجبريّة وفي محاولته لاستخراج القيمة التقريبية للجذر الأصم<sup>(١)</sup>.

والقلّصاديّ مُصنّفٌ مُكثّرٌ في اللغة والنحو والبلاغة والعروض والحديث والفقه، وفي الفرائض (تقسيم الإرث خاصّة) وفي المنطق. ولكن أكثرَ تأليفه في علم الحساب من علم العدد (خواصّ الأعداد) والحسبان والجبر والهندسة والفلك. وأشهرُ كتبه: قانونُ (علم) الحساب وغُنية ذوي الألباب - شرح تلخيص أعمال الحساب لابن البناء - كشف الجلباب عن علم الحساب - كشف الأسرار (الأسرار) عن علم (وضع) حروف الفُبار<sup>(٢)</sup> (وفيه العمل بالأعداد الصحيحة: جميعها وطرحها، إلخ وبالكسور وجذور الأعداد الصحيحة وكسورها وبالجبر والمقابلة وغير ذلك) - بُغية المُبدي وغُنية المُنتهي (في علم الفرائض وتقسيم الارث، على المذاهب الأربعة) - شرحُ فرائض الشيخ خليل

(١) العدد الأصمّ هو العدد الذي لا جذر تامّ له. والجذر عدد إذا ضربته بنفسه نتج (بالبناء للمجهول) منه عدد آخر (هو مربع العدد الذي ضربته بنفسه). إنّ العدد «١٦» له جذر تامّ هو أربعة. ولكن العدد «١٧» ليس له جذر تامّ (إنّ جذره أربعة ثمّ كسر غير متناه: ١٢٣١٠٥٦٢٥) (إلى بين الواحد المتطرف أعداد غير متناهية).

(٢) حروف الفُبار أو الحروف الفبارية هي الأرقام المشتقة من الأصل الهندي إذا كتب كلّ رقم من اليسار إلى اليمين (كالأرقام التي تكتب اليوم في المغرب وفي اللغات الأجنبية). أمّا إذا كتب كلّ رقم من اليمين إلى اليسار فيتكوّن منه ما نسميه بالأرقام الهندية، وهي المستخدمة في المشرق ١، ٢، ٣، ٤، ٥، إلخ. والعمل (حلّ المسائل) بالأرقام يسمّى الحساب الهندي. أمّا العمل بالأحرف (أ=١، ب=٢، ج=٣، د=٤، هـ=٥، و=٦) (إلى آخر حروف الأبجدية) فيسمّى الحساب الرومي.

### ٣ - مختارات من آثاره:

- قال القلصادي في رحلته يذكر بَلَدَهُ بَسْطَةَ (نفح الطيب ٦: ٤٤٦ - ٤٤٧):

سقى الله تعالى أرجاءها المشرقة وأغصانها المورقة شآبيب الإحسان، ومهدّها بالهدنة والأمان. دارٌ تحجّل منها الدُّورُ، وتتقاصر عنها القصور وتُقرُّ لها بالقصور، مع ما حوتّه من المحاسن والفضائل من صحّة أجسام أهلها وما طُبعوا عليه من كرم السمائل. وحسبك فيها عدّم الحرج أن داخلها باب الفرج.....

- من شيوخ القلصادي: من رحلته (نفح الطيب ٥: ٤٢٦ - ٤٢٧؛ راجع نيل الابتهاج ٧٩ - ٨٠، وبين النصّين خلاف في السياق).

أذكرتُ كثيراً من العلماء والمُباد والزّهاد والصّلحاء أوّلاهم في الذّكر والتّقديم الشيخ الفقيه الإمام العلّامة الكبيرُ الشّهيرُ شيخنا بركُنا أبو عبد الله بن مرزوق، حلّ كَفَّ العلم والعُلا، وجلّ قدره في الجِلّة الفضلا. قطع الليالي ساهرا وقطف من العلم أزاهرا، فأنمر وأورق وغرب وشرق حتى توغلّ في فُنون العلم واستغرق، إلى أن طلّع للأبصار هلالاً لأنّ الغرب مطّلع، وسما في النفوس موضِعُه وموقِعُه. فلا ترى أحسن من لقائه ولا أسهل من إلقائه\*. لقي الشيوخ الأكابر، وبقي حمده متعرّفاً من بطون الكتب وألسنة الأقلام وأفواه المهاجر. وكان، رضي الله عنه، من رجال الدنيا والآخرة.

(١) خليل ابن إسحاق (ت ٧٧٦ هـ) فقيه مالكي. وهو غير خليل بن إسحاق (ت ٣٣٢ هـ) الشاعر المذكور في الجزء الرابع من هذا الكتاب (ص ٢٢٤ - ٢٢٦).

(٢) ابن الياسين هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج من أهل فاس، برع في عدد من العلوم والفنون. وشهرته الأولى في الرياضيات، وله مقدرة في نظم الشعر. له أرجوزة في الجبر قرئت عليه في إشبيلية، سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م). وكانت وفاته سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م). ومن أرجوزته:

على ثلاثية يدور الجبر: المال والأعداد ثم الجذر.  
والعدد المطلق ما لم يُنسب للمال أو للجذر، فأفهم تُصيب.  
والجذر والشيء بمعنى واحد، كالقول في لفظ أب والدي.

(راجع النبوغ المغربي ١٥٧؛ مجلّة «العربي» - الكويت ١٩٨٢/٥ م، ص ١٦٤).

\* إلقاء دروسه.

وكانت أوقاته كلها معمورة<sup>(١)</sup> بالطاعات ليلاً ونهاراً، من صلاة وقراءة قرآن وتدريس وعلم وقتياً وتصنيف. وكانت له أوراد<sup>(٢)</sup> معلومة وأوقات<sup>(٣)</sup> مشهورة. وكانت له بالعلم عناية تُكشَفُ بها العماية، ودراية تُعْضِدها الرواية ونباهة تُكسِبُ النزاهة. قرأت عليه - رضي الله عنه - بعض كتابه في الفرائض وأواخر إيضاح الفارسي وشيئاً من شرح التسهيل<sup>(٤)</sup>. وعرضت عليه إعراب القرآن<sup>(٥)</sup> وصحيح البخاري والشاطبيتين<sup>(٦)</sup> وأكثر آين الحاجب الفرعي<sup>(٧)</sup> والتلقين وتسهيل ابن مالك<sup>(٨)</sup> والألفية<sup>(٩)</sup> والكافية<sup>(١٠)</sup> وآين الصلاح في علم الحديث<sup>(١١)</sup> ومنهاج الغزالي<sup>(١٢)</sup> وبعض الرسالة<sup>(١٣)</sup> وغيرها. ثم توفي يوم الخميس بمصر رابع عشر شعبان عام اثنتين وأربعين وثمانمائة. وصلي عليه بالجامع

- (١) معمورة بالطاعات (ملوءة بأنواع العبادات).
- (٢) الورد (بالكسر): جل معينة يرددها نفر من العابدين بعد الصلاة أو في أوقات معلومة (يتخذونها لذلك).
- (٣) أوقات مشهورة (معروفة عند الناس). في الحاشية: مشهودة (بالدال): يحضرها عدد كبير من الناس.
- (٤) لعله: شرح تسهيل الفوائد (في النحو) لأثير الدين أبي حيان الغرناطي المتوفى سنة ٧٤٤ للهجرة (راجع بروكلمن، الملحق ١: ١٣٦).
- (٥) عرضت عليه (قرأت عليه للتأكد من معرفتي السابقة) إعراب القرآن. و«إعراب القرآن» عنوان لعدد من الكتب، ولعل المقصود هنا كتاب أبي حيان أثير الدين (راجع الحاشية السابقة).
- (٦) لأبي محمد القاسم بن فيره الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) أرجوزتان (تعرف كل واحدة منها بالشاطبية): حرز الأمان في القراءات (راجع ترجمة الشاطبي) ثم عقيلة أتراب القاصد في أسنى المقاصد، وهي نظم لكتاب المتع (في رسم: خط المصاحف، أو التهجئة الخاصة بكتابة المصحف) لأبي عثمان الدائي الأندلسي (ت ٤٤٤ هـ).
- (٧) كتاب أبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب المصري (ت ٦٤٦ هـ) في الفقه.
- (٨) التلقين اسم لكتب منها: التلقين في فروع الفقه للإمام المازري الصقلي (ت ٥٣٦ هـ). ومنها التلقين في النحو للعكبري (بالضم) أبي البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ هـ). ثم التسهيل لابن مالك النحوي (ت ٦٧٢ هـ) في النحو.
- (٩) الألفية لابن مالك (٩).
- (١٠) الكافية (في النحو) لأبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ).
- (١١) ابن الصلاح: صلاح الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن من علماء التفسير والحديث والفقه (ت ٦٤٣ هـ) تولى التدريس في «دار الحديث» (في دمشق)، له كتاب «معرفة أنواع علم الحديث» (ويعرف بمقدمة ابن الصلاح).
- (١٢) منهاج العابدين (في التصوف) للغزالي (ت ٥٠٥ هـ).
- (١٣) الرسالة (في الفقه المالكي) لابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦ هـ).



الأعظم. وحَضَرَ جِنَازَتَهُ السُّلْطَانُ<sup>(١)</sup> فَمَنْ دَوَّنَهُ. وَلَمْ أَرِ مِثْلَهَا قَبْلُ. وَأَسِفَ النَّاسُ لِفَقْدِهِ....

- عَلِيٌّ بْنُ مُوسَى الْقِرْبَاقِيِّ<sup>(٢)</sup>: مِنْ رِحْلَةِ الْقَلَّصَادِيِّ (نَصْ ذِكْرُ مُلَخَّصًا فِي نِيلِ الْإِبْتِهَاجِ ٢٠٧):

سَيِّخُنَا وَبَرَكَتُنَا الْفَقِيهُ الْإِمَامُ الصَّدْرُ الْعَلَمُ الْخَطِيبُ الْخَطِيرُ الْكَبِيرُ الشَّهِيرُ أَوْحَدُ الزَّمَانِ وَفَرِيدُ الْبَيَانِ الْعَدِيمُ الْأَقْرَانِ الْمُفْتِي الْمَوْلَفُ الْمُدْرَسُ الْمُصَنَّفُ الذَّاكِرُ لِأَحْوَالِ الْعَرَبِ وَأَنْسَابِهَا حَافِظًا لُغَاتِهَا وَأَدَابِهَا، لَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَوْفَرُ نَصِيبٍ، وَفِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَصُولِ وَالطِّبِّ سَهْمٌ مُصِيبٌ، حَتَّى أَرْتَقَى لِدَرَجَةٍ عَالِيَةٍ وَرُتْبَةٍ سَامِيَةٍ فَشَهِدَ لَهُ بِالْفَضْلِ فِي الْغَيْبَةِ وَالْيَمَانِ، وَأَقَرَّ لَهُ صَدِيقُهُ وَحَاسِدُهُ لِلدَّلِيلِ وَالْبِرْهَانِ. قَرَأْتُ عَلَيْهِ التَّلْقِينَ وَالْإِيضَاحَ لِلْفَاسِيِّ<sup>(٣)</sup> (٤) وَأَبْعَاضًا<sup>(٥)</sup> مِنَ الْجَلَّابِ<sup>(٦)</sup> وَابْنَ الْحَاجِبِ الْفَرَعِيِّ<sup>(٧)</sup> وَتَنْقِيحَ الْقَوَافِي<sup>(٨)</sup> وَفَصِيحَ ثَعْلَبٍ<sup>(٩)</sup> وَأَلْفِيَّةَ أَبِي مَالِكٍ وَأَدَبَ الْكَاتِبِ لَابْنَ قُتَيْبَةَ<sup>(١٠)</sup>، وَتَأْلَفَهُ الْمُسَمَّى بِالتَّبَصُّرَةِ الْكَافِيَةِ فِي عِلْمِي الْعُرُوضِ وَالْقَافِيَةِ<sup>(١١)</sup> عَلَى الْخَزْرَجِيَّةِ<sup>(١٢)</sup>. وَحَضَرْتُ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ التَّفْسِيرِ وَ(مِنْ) كُتُبٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي عُلُومٍ شَتَّى. وَكَانَ كَثِيرًا مَا

(١) كَانَتْ وَفَاةُ الْقَلَّصَادِيِّ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ الْحَفْصِيِّ أَبِي عَمْرٍو عُمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ (٨٣٩-٨٩٣ هـ).

(٢) قِرْبَاقَةُ.

(٣) التَّلْقِينَ (رَاجِعِ النَّصِ السَّابِقَ). الْإِيضَاحُ لِلْفَاسِيِّ (٤).

(٤) أَبْعَاضُ (أَشْيَاءٌ مُتَفَرِّقَةٌ مِنَ الْكُتُبِ).

(٥) فِي بَرْوَكْلَمِنِ (الْمُلْحَقُ ١ : ٥٩٨): أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحَدٍ (بْنِ) الْجَلَّابِ (ت ٦٦٤ هـ) لَهُ كِتَابٌ (مَجْمُوعُ أَشْعَارٍ): رُوحُ الثَّمَرِ وَدُوحُ الشَّجَرِ.

(٦) ابْنُ الْحَاجِبِ (رَاجِعِ النَّصِّ السَّابِقِ).

(٧) تَنْقِيحُ الْقَوَافِي (٤) - لَعَلَّهُ شَرَحَ تَنْقِيحَ الْفُضُولِ لِلْقَرَّافِيِّ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحَدَ بْنِ إِدْرِيسِ الصَّنَهَاجِيِّ الْمِصْرِيِّ (ت ٦٨٤ هـ). وَالْكِتَابُ فِي الْفَقْهِ الْمَالِكِيِّ.

(٨) كِتَابُ «الْفَصِيحِ» لِأَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ (ت ٢٩١ هـ).

(٩) ابْنُ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيُّ (ت ٢٧٦ هـ).

(١٠) التَّبَصُّرَةُ لِخ (٤). تَأْلَفَ الْقِرْبَاقِيُّ (٤).

(١١) عَلَى الْخَزْرَجِيَّةِ (التَّبَصُّرَةُ لِخ) حَاشِيَةٌ أَوْ شَرَحَ عَلَى الْخَزْرَجِيَّةِ أَوْ الْقَصِيدَةِ الْخَزْرَجِيَّةِ، وَعَنْوَانُهَا: الرَّامِزَةُ الشَّافِيَّةُ فِي عِلْمِ الْعُرُوضِ وَالْقَافِيَةِ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت ٦٢٦ هـ).

يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ (١):

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ (٢)      وطولُ اختياري صاحباً بعدَ صاحبٍ .  
فَلَمْ تُرِنِّي الْإِيَّامُ خِلاً تَسْرُنِي      مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْمَوَاقِبِ (٣) .  
وَلَا قُلْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ      من الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ (٤) .

ولذا كان لا يُخالطُ النَّاسَ، مَعَ نِزَاهَةِ نَفْسٍ وَارْتِفَاعِ هِمَّةٍ، كَثِيرَ الصَّنَتِ فَصِيحَ  
اللِّسَانِ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَ خُطْبِهِ وَوَعْظِهِ فِيمَا رَأَيْتُ مِنَ الْبُلْدَانِ. وَغَضِبَ عَلَيْهِ بَعْضُ  
الْجَبَابِرَةِ (٥) فَأَخْرَجَهُ مِنْ بَسْطَةِ الْبِرْشَانَةِ (٦) فَأَقَامَ بِهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ عَادَ لِبَسْطَةِ إِلَى أَنْ  
تُوَفِّيَ بِهَا فِي الْوَبَاءِ (٧)، عَاشِرَ صَفَرٍ، عَامَ أَرْبَعَةِ وَأَرْبَعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ. وَصَلِّيَ عَلَيْهِ خَارِجَ  
الْمَدِينَةِ لِكَثَرَةِ النَّاسِ فِي جِنَازَتِهِ.

٤ - بغية المهدي وغنية المنتهى، فاس - بلا تاريخ .

- شرح الأرجوزة الياسمينية .

- كشف أستار الغبار، فاس ١٣١٥ هـ مع كتاب « بغية المهدي »، مصر ١٣٠٩ هـ .

- شرح فرائض الشيخ خليل المالكي، فاس (طبع حجر) ١٢٩٣ هـ .

★ نيل الابتهاج ٢٠٩ - ٢١٠ هـ؛ الضوء اللامع ١٤ : ١٥ - ١٥ هـ؛ نفح الطيب ٢ : ٦٩٢ - ٦٩٤ هـ،

٥ : ٤٢٦ - ٤٢٧ هـ، ٦ : ٤٤٦ - ٤٤٧ هـ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٤ : ٤٧٦ - ٤٧٧ هـ؛ بروكلمن

٢ : ٣٤٣ - ٣٤٤ هـ، الملحق ٢ : ٣٧٨ - ٣٧٩ هـ؛ تراث العرب العلمي لقنري طوقان (طبعة

ثالثة) ص ٤٦١ - ٤٦٥ هـ؛ شجرة النور الزكية ٢٦١ (رقم ٩٥٩)؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٦٣

(١٠)، معجم المؤلفين ٧ : ٢٣٠ هـ؛ سركيس ٤٥٧ - ٤٥٨ هـ، ١٤٤٤ - ١٤٤٥ هـ .

(١) الشعر للمعتمد بن صراح الأندلسي (راجع وفيات الأعيان ٥ : ٤٠) .

(٢) هذا الشطر من لزومية للمعري: (وزهدني .... وعلمي بأن العالمين هباء) .

(٣) مبادئه (في أول أمره) .

(٤) اللمة: النازلة (المصيبة) الشديدة .

(٥) الجبابة: الولاة الظالمون أو المتسلطون القساء .

(٦) اقرأ: من بسطة إلى البرشانة. بسطة في الجنوب الشرقي من الأندلس (إلى الشمال من المرية). البرشانة

يجب أن تكون قرية من غرناطة .

(٧) (٤) .

## عبد الكريم الغرناطي

١- هو عبدُ الكريم بنُ مُحَمَّدٍ القيسيُّ الغرناطيُّ، وُلِدَ في بَسْطَةَ - على مائةٍ وعشرين كيلومتراً شَمالَ شرقيِّ غرناطة - في أوائلِ القرنِ التاسعِ للهجرة. وَبَرَعَ عبدُ الكريم الغرناطيُّ في الفقه وعَمِلَ في التوثيق (تسجيلُ العقود في المحكمة)، ولكنّه لم يَكُنْ على شيء من بَسْطَةِ العيش. ولكن يبدو أنّه كان على شيء من الشُّهرة في الفقه والدِّين، فقد دعاه أهلُ بَرَجَةَ (من مُلَحَقَاتِ أَلْمَرِيَّةِ) في أحدِ شُهورِ رَمَضَانَ لِيُؤمَّهُمْ في مَسْجِدِهِمْ وَيُعْظَمَهم. ولقد نَعِمَ في أثناء ذلك بشيء من طَيِّبِ العيش.

ثم حدثتُ نَفَرَةً بينه وبين ابنِ الأَحوَلِ قاضي بَسْطَةَ فاضطُرَّ إلى مُغادرتِها وانتقلَ إلى مالقة ثم انتقل، فيما يبدو، إلى غرناطة واستقرَّ فيها. وفي غرناطة اتَّصلَ بشيوخ الغزاة (قادة الحامية التي وَضَعَهَا ملوك المغرب من بني مَرِينٍ في الأندلس للدِّفاع عن أهلها) ومدَحَ منهم الوزيرَ إبراهيمَ بنَ عبدِ البرِّ وأبا الحسنِ الشريف. ثم شأتْ عنده ناشئةُ الجهادِ فخاضَ المَعارك. ولكنّه وَقَعَ في الأسرِ وبقيَ فيه عدداً من السنين. ثم اتَّفَقَ أن أطلقَ سَراحَهُ فعادَ إلى غرناطة.

وطالت حياةُ عبدِ الكريم الغرناطيِّ حَتَّى رَئى أبا عبدِ الله مُحَمَّدَ بنَ الأَزرَقِ، وقد تَوَفَّى في مِصرَ سَنَةَ ٨٩٠ هـ. ويبدو أنّه لم يَعيشَ بعدَ ذلك طويلاً، ولعلَّ وفاته كانت قُبيلَ سُقوطِ الأندلسِ سَنَةَ ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م).

٢- كان عبدُ الكريم الغرناطيُّ فقيهاً عالماً، وكان شاعراً واضحَ التعبيرِ كثيرَ الصِّدقِ والإخلاصِ قليلَ التكلُّفِ ولكنّه كان مُحبّاً للمبالغة. وفنُونُ شعرِهِ الوصفُ والغَزَلُ مَعَ العَفَافِ ثم رثاءُ الأفرادِ والممالكِ ثم الهِجاءُ. ونَجِدُ في شعرِهِ شيئاً من الحُوارِ وقليلًا من الأناقة.

### ٣- مختارات من شعره

- قال عبدُ الكريم الغرناطيُّ يذُكِّرُ طيِّبَ عَيْشِهِ في بَرَجَةَ:

وفي بَرْجَةٍ مَثَوَايَ حَيْثُ تَبَسَّمتُ      تُغَوِّرُ الْأَقَاحِي مِنْ بَكَاءِ الْغَمَائِمِ (١).  
أَرْوَحُ وَأَعْدُو بَيْنَ قَوْمٍ تَوَاطَوا      قَدِيمًا عَلَى إِكْرَامِ كُلِّ إِمَامٍ (٢).  
أُمَثِّلُ شَخْصِي بَيْنَهُمْ فِي حَدِيقَةٍ      سَقَاها سَحَابُ الْجَوِّ صَوَّبَ سِجَامٍ (٣).

- وقال يَصِفُ بُؤْسَ حَيَاتِهِ فِي الْأَسْرِ:

وَاحْشَرْنَا ! بَعْدَ اسْتِغْثَالِي بِالْعُلُو      مِ وَدَرَسِهَا وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ،  
أُنْسِي وَأَصْبِحُ خَادِمًا مُتَصَرِّفًا ..... (٥).  
إِنْ لَمْ أَكُنْ بِالْحَفَرِ مُشْتَغَلًا أَكُنْ      بِالْهَذَمِ مُشْتَغَلًا مَعَ الْبُنْيَانِ (٦).  
وَالْكَسْفُ فِي يَوْمِ الْجُلُوسِ صِنَاعَتِي،      وَالرَّشُّ يَتَّبَعُهُ مَدَى الْأَحْيَانِ (٧).  
وَبَغْلُ أَقْذَارِ الْكِلَابِ تَحْزُمِي      فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ (٨).

- وقال فِي أَسْرِهِ يَتَفَرَّلُ بِصَبِيَّةٍ نَضْرَانِيَّةٍ:

وَأَعْجَبُ عِبَادِ الصَّلِيبِ صَبِيَّةً      سَبَّتْنِي بِوَجْهِهِ مِثْلَ بَذْرِ مُتَمَمِّ (٩).  
فَبِتُّ حَلِيفَ الْمَمِّ مِنْ فَرَطٍ حُبِّهَا      وَبَاتْتُ بِهِجْرِي فِي فِرَاشٍ تَنَمِّ (١٠).

(١) المتوي: المقام والسكنى (بضم الميم الثانية والسين). تبسّمت تغور.....: كثر تفتح زهر الاتحوان من كثرة المطر.

(٢) الإمام: الذي يصلي بالناس (دليل على تقواهم). الإمام: كلّ بارع في علم (دليل على إدراكهم قيمة العلم ومكانة العلماء).

(٣) الصوب: المطر بمقدار ينفع ولا يؤذي. السجام: هطول المطر.

(٤) أمّ الرجل القوم: صلى بهم إماماً وصلّوا هم وراءه مقتدين به. الجماعة: صلاة القوم معاً. مقيمين للخمس الفروض: يصلّون الصلوات الخمس (في اليوم واللييلة) ولا يتهاونون فيها.

(٥) قطع الرقيب اللبناني هذا الشطر (إذ يبدو أنّه كان تعبيراً عن أمر لا يرضاه النصارى) - من أسفل العمود الثاني من الصفحة ٥٧ من مجلّة « العربي » (الكويت) من « عدد » تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٦٧ م.

(٦) يعمل بحفر الأرض أو بالبنيان.

(٧) يوم الجلوس: يوم التعطيل (الأحد).

(٨) لا أعلم إذا كانت كلمة « الكلاب » هنا مستعملة على الحقيقة أو على المجاز. التحزّم: العمل مجدّ (بكسر الجيم).

(٩) سبتني: أسرقني.

(١٠) حليف: شريك، رفيق. الفرط: الكثرة.

وَكَمْ نَعَمْتَنِي مِنْ لَذِيذِ وِصَالِهَا      بِمَا لَمْ تَصِلْ نَفْسِي لَهُ بِتَوَهُّمٍ .  
 قَبَّلْتُ مِنْهَا الْخَدَّ وَهُوَ مُورَدٌّ      وَتَيَّيْتُ بِالثَّغْرِ الْمَلِيحِ التَّبَسُّمِ .  
 وَمَالَتْ بِفَرْطِ الشُّكْرِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ      كَمِيلِ الصَّبَا صُبْحًا بِفُضْنٍ مُنْعَمٍ <sup>(١)</sup> .  
 وَلَوْلَا عَفَافِي وَاتَّقَاءُ عِتَابِهَا      تَمَتَّعْتُ مِنْهَا بِالْمَحَلِّ الْمُحَرَّمِ <sup>(٢)</sup> .

٤-★★ مجلة « العربي » (الكويت، تشرين الأول - أكتوبر ١٩٦٧ م، ص ٥٣ - ٦٤ : عبد الكريم الغرناطي، بقلم محمود علي مكِّي (يبدو أن صاحب المقال قد نشر كتاباً عن عبد الكريم هذا،) أو كتاباً لعبد الكريم هذا)، ولم أستطع أنا أن أرى ذلك الكتاب.

### زُرُوقُ الْبُرْنَسِيّ

١- هو أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى الْبُرْنَسِيّ الشَّهِيرُ بِلِقَبِ زُرُوقٍ <sup>(\*)</sup>، وَلِدَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٨٤٦ (١٤٤٢/٦/٨ م).

حَفِظَ زُرُوقُ الْقُرْآنَ فِي الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمُرِهِ. وَفِي السَّادَةِ عَشْرَةَ بَدَأَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ <sup>(٣)</sup> وَالحديث والفيقه على نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ وَأَخَذَ التَّصَوُّفَ خَاصَّةً عَنْ نَفَرٍ مِنْهُمْ اِبْرَاهِيمُ التَّازِيّ (ت ٨٦٦ هـ). رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَحَجَّ مِرَاراً وَقَرَأَ فِيهِ التَّصَوُّفَ عَلَى جَمَاعَةٍ ثُمَّ عَادَ. وَقَدْ تُوُفِّيَ فِي تَكَرُّورٍ مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ (لِيبياء) \* فِي الثَّانِي مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٨٩٩ (١٢ / ١١ / ١٤٩٣ م).

٢- كَانَ زُرُوقُ الْبُرْنَسِيّ مُتَّصِوفاً تُنْسَبُ إِلَيْهِ كَرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ كَمَا كَانَ وَاسِعَ الْمَعْرِفَةِ

(١) مريضة: مريضة الأجان (ناصة العينين) من صفات النساء الحسان. الصبا: ريح الشرق الخفيفة الباردة. الفصن المنعم (الناعم) لأنه يهتز مع الريح بسهولة.

(٢) المحلّ (الشيء الذي تعدّه هي حلالاً) المحرم (الذي حرّمه الإسلام).

(\*) ولد زُرُوقُ يَوْمَ الْخَمِيسِ. ثُمَّ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ يَوْمَ السَّبْتِ التَّالِي، ثُمَّ تُوُفِيَ أَبُوهُ أَيْضاً يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ السَّبْتِ.

(٣) قراءة القرآن: حفظ القرآن غيباً وتجويده (أحكام قراءته) وتفسيره وقراءاته والناسخ فيه والمنسوخ.

(\*) «تكرور» في السودان الغربي (غربي إفريقيا، جنوب الجزائر). وقوله (هنا): من أعمال طرابلس (على سبيل التقريب).

بَعْدَ من العلوم. وله تَأْلِيفُ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَلَكِنَّ مُعْظَمَهَا شُرُوحٌ مُوجِزَةٌ عَلَى تَأْلِيفٍ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّصَوُّفِ. فَمِنْ كُتُبِهِ: جُزْءٌ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ - تَعْلِيقٌ عَلَى صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ - شَرْحٌ «مُخْتَصَرُ خَلِيلٍ» - الْجَنَّةُ لِلْمُعْتَصِمِ مِنَ الْبِدْعِ بِالسُّنَّةِ - شَرْحُ رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ - شَرْحُ الْمَقْدَمَةِ الْقُرْطُبِيَّةِ - شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْقُدْسِيَّةِ - النَّصِيحَةُ الْكَافِيَّةُ لِمَنْ خَصَّهَ اللَّهُ بِالْعَافِيَةِ - الْقَوَاعِدُ (فِي التَّصَوُّفِ) - تَهْمِيدٌ (فِي تَأْسِيسِ عَقَائِدِ التَّصَوُّفِ وَأَصُولِهِ) - الْبَدْعُ الَّذِي يَفْعَلُهَا الْفُقَرَاءُ (الصُّوفِيُونَ) - دُعَاءُ الصَّبَاحِ - وَدُعَاءُ الْمَسَاءِ - كُنَاشَةٌ - رَحْلَةٌ - الْوُظَيْفَةُ الزَّرَوِّيَّةُ.

### ٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- يُنْسَبُ إِلَى زُرَّوْقِ الْبُرْنُوسِيِّ نَظْمٌ صَرَّحَ فِيهِ بِمَا زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ فِي الْأَصْلِ مِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ تَعَالَى (وَالْتَصْرِيحُ بِذَلِكَ عَيْبٌ عِنْدَ كِبَارِ الصُّوفِيَّةِ):

لَعَلِّي أَرَى مَحْبُوبَ قَلْبِي بِمُقْلَتِي <sup>(١)</sup> .	أَلَا قَدْ هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا بِأَسْرِهِمْ
وَكُوشِفْتُ بِالتَّحْقِيقِ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةٍ <sup>(٢)</sup> .	وَعَلَّقْتُ قَلْبِي بِالْمَالِ تَهْمًا
وَصِيرْتُ لِمَامِ الْوَقْتِ صَاحِبَ رُفْعَةٍ <sup>(٣)</sup> .	وَقُلَّدْتُ سَيْفَ الْعِزِّ فِي مَجْمَعِ الْوَعَى
وَكُلَّ بِلَادِ الشَّرْقِ فِي طَيِّ قَبْضَتِي <sup>(٤)</sup> .	وَمُلَّكَتُ أَرْضَ الْغَرْبِ طَرًّا بِأَسْرِهَا
وَأَعْلَى مَنَارِ الْبَعْضِ فَوْقَ الْمِنْصَةِ <sup>(٥)</sup> .	فَأَعَزَّلْتُ قَوْمًا ثُمَّ أُولَى سِوَاهُمْ،
وَأَرْفَعُ مِقْدَارًا بِأَرْفَعِ هِمَّتِي.	وَأَجْبُرُ مَكْسُورًا وَأُشْهِرُ خَامِلًا

- 
- (١) طَرًّا، بِأَسْرِهِمْ: كُلِّهِمْ. مَحْبُوبُ قَلْبِي: اللَّهُ. أَرَى اللَّهَ بِمُقْلَتِي: أَتَى بِوُجُودِهِ وَبِصْنَعِهِ كَأَنِّي أَرَاهُ بِعَيْنِي.
- (٢) فِي الْقَامُوسِ: تَهَمُّ الرَّجُلُ الشَّيْءَ (تَحْسَهُ). وَالتَّاعَرُ يَقْصِدُ «اهْتِمَامًا شَدِيدًا». كُوشِفَ الصُّوفِي: كَتَفَ اللَّهُ لَهُ عَنْ حَقَائِقِ الْوُجُودِ وَعَنِ الْمُسْتَقْبَلِ. الْمِرْيَةُ: الشَّكُّ.
- (٣) وَقُلَّدْتُ... أَعْطَيْتِ السُّلْطَانَةُ الْعَظِيمَةَ. أَمَامَ الْوَقْتِ: الْإِنْسَانُ الْوَحِيدُ فِي زَمَانِهِ، إِذَا كَانَ يَمْلِكُ السُّلْطَانَةَ الْخَارِجَةَ فِي الْعَادَةِ عَنْ طَاقَةِ الْبَشَرِ.
- (٤) فِي طَيِّ قَبْضَتِي: أَطْوَى عَلَيْهَا يَدِي (أَفْعَلُ بِهَا مَا أَشَاءُ).
- (٥) أُولَى الْحَاكِمِ فَلَانًا أَمْرًا: جَعَلَهُ وَالِيًا (ضَدَّ عَزَلِ). أَعْلَى (أَرْفَعُ) مَنَارَ (قَنْدِيلِ) الْمِنْصَةِ الطَّائِلَةِ. أَعْلَى مَنَار... أَجْمَلَ أَمْرَهُمْ شَهْرًا.

وَأَقْهَرُ جَبَّاراً وَأَذْهَضُ ظَالِماً وَأَنْصُرُ مَظْلُوماً بِسُلْطَانِ سَطَوْتِي<sup>(١)</sup>.  
وَأَلْهِمْتُ أَسْرَاراً وَأَعْطَيْتُ حِكْماً إِذَا مَا سَطَا جَوْرُ الزَّمَانِ بَنَكْبَةِ<sup>(٢)</sup>.  
وَإِنْ كُنْتُ فِي كَرْبٍ وَضِيقٍ وَكُرْبَةٍ، فَدَا: «أَيَا زَرَوْقُ»، آتٍ بِسُرْعَةٍ.  
- ومن كلامه في بعض رسائله:

طُفْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فِي طَلَبِ الْحَقِّ، وَاسْتَعْمَلْتُ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ الْمَذْكُورَةِ فِي مُعَالَجَةِ النَّفْسِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ فِي مَرْضَاةِ الْحَقِّ. فَمَا طَلَبْتُ قُرْبَ الْحَقِّ بِشَيْءٍ إِلَّا كَانَ مُبْعِدِي، وَلَا عَمِلْتُ فِي مُعَالَجَتِهَا بِشَيْءٍ إِلَّا كَانَ لَهَا مُعِيناً<sup>(٣)</sup>. وَلَا تَوَجَّهْتُ لِإِرْضَاءِ الْخَلْقِ إِلَّا كَانَ غَيْرَ مُوفٍ بِالْمَقْصُودِ<sup>(٤)</sup>. فَفَزَعْتُ إِلَى اللَّجَأِ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَمِيعِ فَخَرَجْتُ بِفَضْلِ ذَلِكَ عَلَّةَ رُؤْيَا الْأَسْبَابِ<sup>(٥)</sup>. فَفَزَعْتُ إِلَى الْإِسْتِسْلَامِ فَخَرَجَ لِي مِنْهُ رُؤْيَا وَجُودِي وَهُوَ رَأْسُ الْعِلَالِ. فَطَرَحْتُ نَفْسِي بَيْنَ يَدَيِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ طَرَحاً لَا يَصْحَبُهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةُ<sup>(٦)</sup>، فَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (إِنَّمَا هِيَ) بِالتَّبَرِّيِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَ(أَنَّ) الْغَنِيْمَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (إِنَّمَا هِيَ) بِالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ<sup>(٧)</sup>.

- وقال الشيخ زَرَوْقُ فِي أَصُولِ الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَتَّبِعُهَا (النَّبُوغِ الْمَغْرِبِيِّ، ٦٣٤ وما بعد):

- (١) دَحَضُ وَأَذْهَضُ الْقَدَمَ: أَرْزَلَهَا (جَمَلَهَا تَزَلَقُ) وَأَبْطَلَ الْحِجَّةَ. أَذْهَضَ الظَّالِمَ: أَرْحَزَهُ عَنْ مَوْقِفِهِ (أَمْنَمَهُ عَنِ الظُّلْمِ أَوْ أَهْزَمَهُ وَأَقْهَرَهُ).
- (٢) الْمُرِيدُ (لِلشَّيْخِ الصُّوفِيِّ) كَالْتَلْمِيزِ (لِلأُسْتَاذِ).
- (٣) كَلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَعْرِفَ اللَّهَ بَوَاسِطَةِ شَيْءٍ (مِنَ الْخُلُوقَاتِ) زَادَ جَهْلِي: بِحَقِيقَةِ اللَّهِ. وَكَلَّمَا أَرَدْتُ مَعْرِفَةَ الْأَشْيَاءِ بَوَاسِطَةِ مَا، أَعَانَنِي اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ (!).
- (٤) وَكَلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً لِأَرْضِي بِهِ مَخْلُوقاً لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُوفِياً بِمَقْصُودِي (لَمْ يَتِمَّ مَقْصُودِي، لَمْ أَصِلْ إِلَى نَتِيجَةٍ).
- (٥) اللَّجَأُ كَاللَّجَأِ: الْحَصْنِ. وَاللَّجَأُ (بِفَتْحٍ وَسُكُونٍ) مَصْدَرٌ بِمَعْنَى اللُّجُوءِ وَالِاتِّجَاءِ. فَخَرَجْتُ بِفَضْلِ ذَلِكَ... (يَبْدُو أَنَّ فِي الْجُمْلَةِ تَقْصِياً)، وَالْمَقْصُودُ: السَّبَبُ الْأَقْصَى لِلْوُجُودِ هُوَ اللَّهُ.
- (٦) فَزَعْتُ: لَجَأْتُ. الْإِسْتِسْلَامُ: تَسْلِيمُ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ. فَخَرَجَ لِي.... ظَهَرَ لِي أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَصِلُ بِي إِلَى مَعْرِفَةِ وَجُودِي أَنَا (هَذَا شَطْحٌ: كَلَامٌ ظَاهِرُهُ يَشْبَهُ الْكُفْرَ) مَعْرُوفٌ فِي التَّصَوُّفِ الْمُنْطَرَفِ. الْحَوْلُ: الْقُوَّةُ.
- (٧) التَّبَرِّيُّ - الْمَقْصُودُ: التَّبَرُّيُّ (بِالْهَمْزَةِ: التَّخَلِّيُّ، التَّرْكُ). السَّلَامَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَالْغَنِيْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ تَكُونَانِ بَتَرَكِ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَبِالْإِعْتِدَادِ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ.

أصول طريقتنا التي تنبني<sup>(١)</sup> عليها عشرة أشياء: خمسة ظاهرة وخمسة باطنة. أما الخمسة الظاهرة فأولها ملازمة السمع والطاعة لأمراء المسلمين وعامتهم وخاصتهم من أهل الله<sup>(٢)</sup>، فلا يخالف عليهم بقول ولا بفعل، بل إيمان وتسليم<sup>(٣)</sup>. والثاني لزوم الخمس في الجماعة<sup>(٤)</sup> بحسب الإمكان. فإن كان (ذلك) في الجامع الأعظم<sup>(٥)</sup> فهو أولى. وتكفي المرأة والصبي وأي من كان من المسلمين في تحصيل فضلها<sup>(٦)</sup>. والثالث القناعة بقليل الرزق وكثيره بأي وجه تحصل من الوجوه المباحة. الرابع إقامة الأوراد<sup>(٧)</sup> الشرعية بحسب ما يكون صالحاً للإنسان في دينه ودنياه، وذلك يختلف باختلاف الناس<sup>(٨)</sup>. والخامس إثارة الخمول بترك الفضول<sup>(٩)</sup> وعدم المنازعة والعناد في قول وفعل. وفي ذلك يقول القائل:

وقائلية: ما لي أراك مجانباً أموراً، وفيها للتجارة مَرَبِحُ؟  
فقلت لها: ما لي ببرنجك حاجة، فنحن أناسٌ بالسلامة نَفَرَحُ<sup>(١٠)</sup>.

وأما الخمسة الباطنة فأولها الإعراض عما يُرجى أو يُخشى من قبل الخلق<sup>(١١)</sup> بالآمر يرجى منهم لا دفع ولا جلب<sup>(١٢)</sup>، ولا يتوجه إليهم في طلب ولا هرب<sup>(١٣)</sup>. والثاني

- (١) تنبني عليها طريقتنا: تألف منها طريقتنا.
- (٢) أهل الله: المتصوفون.
- (٣) على المريدين (الداخلين حديثاً في الطريقة) أن يسموا لشيخهم ويطيعوهم بإيمان وتسليم (بثقة واطمئنان).
- (٤) الخمس: الصلوات الخمس.
- (٥) الجامع الأعظم (أكبر جوامع المدينة والذي تقام فيه صلاة الجمعة).
- (٦) المرأة والصبي وأي من كان من المسلمين (هم غير المريدين الداخلين في الطريقة). في تحصيل فضلها (فضل صلاة الجماعة). المقصود من هذه الجملة كلها غير واضح.
- (٧) الورد (بالكسر): سياق من الجمل (في ذكر الله والصلاة على رسول الله) يقرأها الصوفي في أوقات معينة.
- (٨) .... مادة الورد ونسقه لا يكونان واحداً لجميع الناس وعند جميع الناس.
- (٩) إثارة (تفضيل) الخمول (قلة الشهرة). الفضول: دخول الإنسان فيما لا يخصه ولا يعنيه من الأقوال والأفعال.
- (١٠) السلامة (هنا): خلاص الفرد من المشاكل والمصائب التي تحيط بالناس.
- (١١) من قبل (جهة) الخلق (الناس).
- (١٢) دفع مضرة أو جلب منفعة.
- (١٣) في طلب منفعة ولا هرب (لجوء إليهم للحماية).



الإقبال على الله بالآ تَطْلُبَ حَوَائِجَكَ - قَلْتُ أَوْ جَلَّتْ (١) - إِلَّا مِنْهُ.....

وبعد هذه الخمس خمس لا بُدَّ لك منها: مُجَامَلَةُ الْخَلْقِ وَمُحَاسَنَتُهُمْ فِي الْأُمُورِ وَالْحَذَرُ مِنْهُمْ فِي عَيْنِ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ (٢) وَمُوَافَقَتُهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ لَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ وَلَا يَضُرُّ بِالْدُّنْيَا وَلَا يَنْقُصُ الْعَقْلَ (٣)، وَاتِّبَاعُ الْعِلْمِ فِي كُلِّ وَرْدٍ وَصَدْرٍ (٤)، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعِلْمُ إِمَامُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ».

- من كتاب «حكم ابن عطاء: شرح العارف بالله الشيخ زروق» (ص ٢٦) (\*):  
أَمَّا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَمَعَهُ وَبَعْدَهُ، فَلَيْسَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ: مَنْ وَقَفَ بِيَابِهِ الْكَرِيمِ أَنْجَحَ وَمَلَكَ، وَمَنْ أَسْتَنَدَ لِجَنَابِهِ الْعَظِيمِ أَفْلَحَ وَسَلَكَ (٥)، وَمَنْ حَادَّ عَنْ مَنْهَجِهِ الْقَوْمِ خَسِرَ وَهَلَكَ. وَخَيْرُ الْعِبَادِ مَنْ وَقَفَ بِكُنْهِ (٦) هِمَّتِهِ عَلَيْهِ، وَأَفْضَلُهُمْ مَنْ تَوَجَّهَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ إِلَيْهِ فَقَامَ بِالْحَقِّ عَلَى سِاطِ التَّحْقِيقِ، وَجَمَعَ بَيْنَ ظَاهِرِ الشَّرْعِ وَبَاطِنِ الطَّرِيقِ (٧)، وَوَقَفَ لِلْخِدْمَةِ وَغَيْرِهَا مَوْقِفَ أَهْلِ الصَّدْقِ وَالتَّصَدِيقِ، مُقْتَدِيًا بِأَيْمَةِ الْهُدَى وَالتَّوْفِيقِ كَالسَّادَةِ الشَّاذِلِيَّةِ (٨) وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ وَالْجَمَاعَةِ الْوَفَائِيَّةِ (٩) وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ.

(١) جَلَّتْ: عظمت، كثرت.

(٢) فِي عَيْنِ حُسْنِ الظَّنِّ (٩): لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْسَنَ الْإِنْسَانُ الظَّنَّ بِكُلِّ إِنْسَانٍ آخَرَ وَفِي كُلِّ أَمْرٍ.

(٣) وَلَا يَنْقُصُ (يَفْتَحُ فَسْكَوْنُ فَضْمٍ أَوْ بَضْمٌ فَسْكَوْنُ فَكْسَرٍ) الْعَقْلُ: يَضْعَفُ الْعَقْلُ (يَعْلُهُ ضَعِيفًا: يَدَلُّ عَلَى عَجْزٍ فِي الْعَقْلِ عَنِ إِدْرَاكِ الْأُمُورِ).

(٤) الْوَرْدُ: الذَّهَابُ إِلَى الْمَاءِ (لِلشَّرْبِ أَوْ لِلتَّزَوُّدِ بِالْمَاءِ) وَالصَّدْرُ: الرَّجُوعُ عَنِ الْمَاءِ بَعْدَ الرِّيِّ (بِالْكَسْرِ): الْإِمْتِلَاءُ مِنَ الْمَاءِ أَوْ بَعْدَ التَّزَوُّدِ بِالْمَاءِ).

(\*) فِي هَذِهِ النُّصُوصِ الصُّوفِيَّةِ التَّالِيَةِ سَاكُنِي بِالْإِشَارَةِ إِلَى الْمَعَانِي اللَّغَوِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ - عِنْدَ الضَّرُورَةِ - وَلَنْ أَشْرَحَ الْمَعَانِي الصُّوفِيَّةَ الَّتِي تَحْتَمِلُ وَجُوهًا كَثِيرَةً وَفَهْمًا شَخْصِيًّا يَخْتَلِفُ بَيْنَ الْفَرْدِ وَالْفَرْدِ.

(٥) سَلَكَ: سَارَ فِي طَرِيقِ التَّصَوُّفِ (أَصْبَحَ صُوفِيًّا مَقْبُولًا عِنْدَ جَمَاعَةِ الصُّوفِيِّينَ).

(٦) الْكُنْهُ: جَوْهَرُ الشَّيْءِ وَحَقِيقَتُهُ. وَكُنْهُ هِمَّتُهُ (هَذَا): بِجَمِيعِ قَصْدِهِ وَجَهْدِهِ.

(٧) ظَاهِرُ الشَّرْعِ: الْعِبَادَاتُ الظَّاهِرَةُ (كَأَشْكَالِ الصَّلَاةِ وَالْإِتْقَاعِ فِي الصَّوْمِ عَنِ الطَّعَامِ). بَاطِنُ الطَّرِيقِ (طَرِيقُ التَّصَوُّفِ): حَقِيقَةُ الْعِبَادَاتِ (إِدْرَاكِ مَعْنَى الصَّلَاةِ عِنْدَهُمْ بِالإِضَافَةِ إِلَى شَكْلِهَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ: إِنَّ ذَكَرَ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ عِنْدَهُمْ صَلَاةً، وَلَوْ لَمْ يَقُمْ أَحَدُهُمْ بِالشَّكْلِ الْمَطْلُوبِ لِلصَّلَاةِ).

(٨) الشَّاذِلِيَّةُ: طَرِيقَةُ صُوفِيَّةٍ تَرْجِعُ إِلَى مُؤَسَّسِهَا أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ الْمَغْرِبِيِّ (ت ٦٥٦ هـ).

(٩) الْوَفَائِيَّةُ: طَرِيقَةُ صُوفِيَّةٍ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ (رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ السَّابِقَةَ) وَضَمَّهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِسْكَدَرِيُّ الْمَلَقَّبُ بِقَلْبِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ وَفَا الشَّاذِلِيِّ (ت ٧٦٥ هـ = ١٣٦٤ م).

- من كتاب « حكم ابن عطاء ... » (ص ٣٣):

وقد اُخْتَصَّتْ هذه التعاليقُ بثلاثِ خِصَالٍ: إظهارُ المناسبةِ في الكلام والاختصارُ في التقرير والتسهيل في البيان، مع زياداتٍ أُخِرَ تَخُصُّ بعضها وتعمُّ كلها<sup>(١)</sup>. من ذلك أنَّ الكتابَ مُخْتَوٍ على أربعةِ أنواعٍ: التذكيرُ والوعظُ، وهو حظُّ العوامِّ، وللخواصِّ فيه نصيبٌ (ثمَّ) الكلامُ على الأحكام، وهو حقُّ المُتوجِّهين<sup>(٢)</sup> من كلِّ فريقٍ ولكلِّ طريقٍ (ثمَّ) الكلامُ على الأحوال، وهو نصيبُ المريدين<sup>(٣)</sup>، وربَّما كان تنبيهاً وتشويقاً لغيرهم (ثمَّ) الكلامُ على الحقائق، وهو نصيبُ العارفين والمُحقِّقين<sup>(٤)</sup>. وقد عرَّفَ كلُّ أناسٍ شَرِيهَم<sup>(٥)</sup> وما يَجْزِي به حالهم وما يليقُ بهم.

- من متن كتاب « حكم ابن عطاء ... » (ص ٥٩ - ٦٠):

(قال ابن عطاء الاسكندريُّ المتوفى سنة ٧٠٩ للهجرة):

« الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سرِّ الإخلاص فيها ».

(وشرحها الشيخ زروق فقال):

قُلْتُ: ولا عِبْرَةَ بصورةٍ لا روحَ فيها، كما أنَّه لا قيامَ لروحٍ دون صورتيها. وَيَحْتَمِلُ<sup>(٦)</sup> قوله: « سرُّ الإخلاص » أن يكونَ ما هو أخصُّ منه، وهو الصِّدْقُ المُعْبَّرُ عنه بالتَّبَرِّي من الحَوْلِ<sup>(٧)</sup> والقُوَّة. وكلاهما مطلوبٌ: الإخلاص لِنفِي الرِّياء، والصِّدْقُ لِنفِي

(١) هذه « الزيادات » منها ما يتعلَّق بعدد من حكم ابن عطاء الله، ومنها ما يتعلَّق بجميع تلك الحكم.

(٢) العوام (هنا): الذين لم يسلوكوا طريق التَّصَوُّف. والخواصَّ هم السالكون في طريق التَّصَوُّف.

(٣) الأحكام = أحكام الشرع (في المعاملات)، كالبيع والشراء، والزواج والطلاق، وتقسيم الإرث (تأبجتاح إليه جميع الناس).

(٤) المريد: الذي بدأ السير في طريق التَّصَوُّف (بإرشاد أحد الشيوخ).

(٥) الحقائق: ما يعرفه الصوفي من طريق الإلهام (الإلهام للمتصوِّف كالوحي للأنبياء). العارف: الصوفي الذي بدأ يتلقَّى الإلهام. المُحقِّق: الصوفي الذي بلغ مرتبة « المعرفة القصوى » (وأصبحت الأمور تجري - في هذا العالم - بإرادته).

(٦) « قد علم كلُّ أناسٍ شَرِيهَم » (٢: ٦٠، سورة البقرة) - المقصود (هنا): كلَّ فريقٍ يعرف مقداره ومكانته فيقف عند حدِّه منها.

(٧) يحتمل أحد وجهين....

(٨) التَّبَرِّي = التبرُّؤ (التخلِّي عن أمر من الأمور). الحَوْل: القُوَّة.

العُجْبِ<sup>(١)</sup>، وكِلَاهُمَا لَا كِبَالَ لِلْعَمَلِ إِلَّا بِهِ. فَلَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْمَشَايخ، رَحِمَهُ اللَّهُ: صَحَّحْ عَمَلَكَ بِالْإِخْلَاصِ، وَصَحَّحْ إِخْلَاصَكَ بِالتَّبَرُّيِّ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ<sup>(٢)</sup>، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْهُ: وَالْإِخْلَاصُ عِنْدَ الْمُخْلِصِينَ إِخْرَاجُ الْخَلْقِ مِنْ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ. وَأَوَّلُ الْخَلْقِ النَّفْسُ. وَالْإِخْلَاصُ عِنْدَ الْمُحِبِّينَ أَلَّا يَعْمَلَ (الْمُحِبُّ) عَمَلًا لِأَجْلِ النَّفْسِ، وَإِلَّا دَخَلَ عَلَيْهِ مُطَالَعَةُ عِيَوضٍ أَوْ مَيْلٌ إِلَى حِظِّ النَّفْسِ. وَالْإِخْلَاصُ عِنْدَ الْمُوَحِّدِينَ خُرُوجُ الْخَلْقِ مِنْ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ فِي الْأَفْعَالِ وَعَدَمِ السُّكُونِ إِلَيْهِمْ وَالْأَسْتِرَاحَةِ بِهِمْ فِي الْأَحْوَالِ. أَتَمَّهِ (كَلَامُ أَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ). وَكَمَا أَنَّ الْإِخْلَاصَ حِصْنُ الْأَعْمَالِ، فَالْحُمُولُ حُسْنُ الْإِخْلَاصِ، وَهُوَ طَرَحُ النَّفْسِ فِيمَا يَلِيْقُ<sup>(٣)</sup> بِهَا مِنَ النِّقْصِ وَالذَّنَاءَةِ. وَبِحَسَبِ هَذَا فَهُوَ دَقِيقٌ (انْتَهَى شَرْحُ زُرُّوقٍ لِحِكْمَةِ ابْنِ عَطَاءٍ اللَّهُ: « الْأَعْمَالُ صُورٌ قَائِمَةٌ ... »).

- ٤- النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، مصر (طبع حجر) ١٢٨١ هـ.
- قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة (صححه محمد زهري النجار)، القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) بلا تاريخ؛ (ضبط ابراهيم اليعقوبي)، دمشق (مطبعة الملاح) ١٩٦٨ م.
- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصر ١٣٢٢ هـ.
- وظيفة سيدي أحمد زروق (الوظيفة الزروقية)، مطبوع مع «تنوير الأفئدة» لأحمد بن عبد الرحمن الساعاتي، مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٣٣ هـ.
- حكم ابن عطاء الله: شرح العارف بالله الشيخ زروق (تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف)، القاهرة (دار الشعب) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م.
- ★ المنهل العذب ١: ١٨١ (٤)؛ الضوء اللامع ١: ٢٢٢؛ نيل الابتهاج ٨٤-٨٧؛ جذوة الاقتباس ٦٠؛ شجرة النور الزكية ٢٦٧؛ شذرات الذهب ٧: ٣٦٣-٣٦٤؛ بروكلمن ٢: ٣٢٨-٣٣٠، الملحق ٢: ٣٦٠-٣٦٢؛ سر كيس ٩٦٥-٩٦٦؛ الأعلام للزركلي ١: ٨٧-٨٨ (٩١)؛ أعلام ليبيا ٦٥؛ النبوغ المغربي ١٣٨، ٢٠٧-٢٠٨، ٦٣١-٦٣٦؛ مجلة كلية الآداب (ليبيا)، العدد الثاني، ص ١٢٩ (١٩٦٨) (٤).

(١) العجب: الزهو (الفخر بالنفس). الكبير (بالكسر): التكبر، الترفع عن سائر الناس.

(٢) أبو طالب المكي هو محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت ٣٨٦ هـ = ٩٩٦ م) الزاهد الواعظ سكن بغداد، له كتاب «قوت القلوب» في التصوف.

(٣) فيما يليق (كذا في الأصل). اقرأ: «طرح (ترك) النفس ما لا يليق بها».

## ابن عبد الجليل التنسي

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلّساني ثم الأموي (نفع الطيب ٢: ٥٧٤) أصله من تنس (مدينة ساحلية في الجزائر) ونشأ في تلمسان. وقد أخذ عن جماعة منهم (نيل الابتهاج ٣٢٩): أبو الفضل بن مرزوق وقاسم العقباني (٧٦٨-٨٥٤ هـ) والإمام الأصولي محمد النجار وإبراهيم التازي (ت ٨٦٦ هـ). وتصدّر التنسي للتدريس، وكانت وفاته في جهادى الأولى من سنة ٨٩٩ (أوائل ١٤٩٤ م).

٢- كان ابن عبد الجليل التنسي شيخ شيوخ زمنه وحافظ (محدث) عصره إماماً في التفسير والفقه والنحو ومؤرخاً بارعاً له: راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح - نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان. وكان له بصير في الأدب والنقد وشيء من النظم. لما وقف التنسي على قصيدة لسان الدين بن الخطيب «أطلعن في سدف الفروع شمساً» قال إن لسان الدين قد حذا في هذه القصيدة حذو أبي تمام في قصيدته «أقشيب ربهم أراك دريساً» (نفع الطيب ٦: ٢٠١) ولم يقبل أن يكون لسان الدين قد نسج على منوال قصيدة من هذا البحر وهذا الروي لابن عبدون «أذهبن من فرق الفراق نفوساً» (نفع الطيب ٤: ٣٠٥).

في الفقه نص على أن الزرع للزارع (من زرع زرعاً في أرضٍ فله وحده الحق في حصاده). وكان شاعرٌ قد قال إن نظره إلى غلام حمل ذلك الغلام على الخجل فأحمرّ خده (وأصبح كالورد). فلماذا لا يجوز للشاعر أن يقبل ذلك الحدّ ليقطف الورد الذي كان قد زرعه فيه. ويرد التنسي على ذلك بقوله: (نفع الطيب ٣: ١١٣):

في ذا الذي قد قلّتم مبحث، إذ فيه إيهام على السامع.  
سلمتم الحكم له مطلقاً. وغير ذا نص عن الشارع.

يقصد أن العين هي التي زرعت الورد في الحدّ (أحدثت فيه الخجل) فلا يجوز للفم أن يقطف ذلك الورد لأنه ليس للزارع.

### ٣- مختارات من آثاره

- احتفال أبي حمو الثاني بالمولد.

قال ابن عبد الجليل التسي في كتابه «راح الأرواح» (نفع الطيب ٦:

٥١٣-٥١٤):

إنه<sup>(١)</sup> كان يُقيم ليلة الميلاد النبوي، على صاحبه الصلاة والسلام، بمشورة<sup>(٢)</sup> من تِلْسانَ المحروسة مدعاة حَفِيلَة يُحْشَر<sup>(٣)</sup> فيها الناسُ خاصّةً وعامةً. فما شئتَ من نَارِقَ مصفوفةٍ وزرَائي مَبْثُوثَة<sup>(٤)</sup>، وبُسْطٍ مُوشَاةٍ ووسائدٍ بالذهب مُغْشَاة<sup>(٥)</sup> وَشَمْعٍ كالأسطوانات وموائد كالهالات<sup>(٦)</sup>، ومباخرٍ منصوبة كالقباب يحالها المُبْصِرُ تَبْرًا مُذَاب<sup>(٧)</sup>. ويُفاضُ على الجميع أنواعُ الأطعمةِ كأنّها أزهارُ الربيعِ المُنْعَمَةِ<sup>(٨)</sup> تَشْتَهِيها الأنفُسُ وتَلْذُّها النواظرُ، ويُخالطُ حُسْنُ رَيّاها الأرواحَ ويُخامِرُ<sup>(٩)</sup>؛ رُتَبَ الناسِ فيها على مراتبهم ترتيبَ احتفالٍ، وقد علّتِ الجميعُ أُنْهُهُ الوَقَارِ والإجلال. وبَعْقَبَ ذلكَ يَحْتَفِلُ المُسْمِعُونَ<sup>(١٠)</sup> بأمداحِ المُصطفى عليه الصلاة والسلام ومُكْفَرَاتِ تَرْغَبُ في

(١) أي أبا حمو الثاني.

(٢) المشورة (مكان يجتمع فيه السلطان بأصحابه للتشاور - قصر كبير على مقربة من تِلْسانَ؛ أذكرُ أنّنا كنّا مقبلين من نزهة - في أحد ملتقيات الفكر الإسلامي (في الجزائر) - فنزلنا نزور بقايا قصر قيل، فيما أذكر، أنّه مشورة!).

(٣) مدعاة (جمعها مداع): دعوة، مأدبة. الحفيل: الكثير (يقال: جمع حفيل). يحشر الناس (يجمعون من كلّ مكان ومن جميع الطبقات).

(٤) «وتنارق مصفوفة وزرَائي مَبْثُوثَة» من القرآن الكريم (٨٨: ١٥-١٦، الفاشية). النمرقة (بضم فسكون فضم): وسادة يتكأ عليها. الزريّة: الحصير، البساط (ما يسط أو يفرش على الأرض)، وقيل هي النمرقة. مَبْثُوثَة: مفروشة، متفرقة.

(٥) موشاة: مزركشة. مَغْشَاة: مغطاة.

(٦) كالهالات (كناية عن اتساعها). الحالة: ظاهرة ضوئية ترى محيطة بمصدر النور إذا كان ذلك النور محاطاً بجو رطب.

(٧) يحالها: يظنها. التبر: الذهب. مذاب (كذا في الأصل) ويجب أن تكون مذاباً. ويمكن أن تكون: كأنّها التبر المذاب.

(٨) المنعم: مرقش، مزركش (لكثرة أنواعه) بأغاط صغيرة جداً.

(٩) الرَيّا: الرائحة الطيبة. خامر: خالط.

(١٠) بعقب ذلك: بعد ذلك. المُسَمِّع: المنشد (للشعر). وبَعْقَبَ ذلك أيضاً.

الإقلاع عن الآثام<sup>(١)</sup>، يَخْرُجُونَ فِيهَا مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ وَمِنْ أَسْلُوبٍ إِلَى أَسْلُوبٍ وَيَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا تَطَرَّبُ لَهُ النَفُوسُ وَتَرْتَاحُ إِلَى سَمَاعِهِ الْقُلُوبُ. وَبِالْقُرْبِ مِنَ السُّلْطَانِ، رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، خِزَانَةُ الْمُنْجَانَةِ قَدْ زُخِرَتْ كَأَنَّهَا حَلَّةٌ يَمَانِيَّةٌ<sup>(٢)</sup>، لَهَا أَبْوَابٌ مُوجِفَةٌ عَلَى عَدَدِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ الزَّمَانِيَةِ<sup>(٣)</sup>. فَمَهْمَا مَضَتْ مِنْ سَاعَةٍ وَقَعَ النَّقْرُ بِقَدْرِ حِسَابِهَا وَفُتِحَ عِنْدَ ذَلِكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا وَبَرَزَتْ مِنْهُ جَارِيَةٌ صُوِّرَتْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فِي يَدِهَا الْيُمْنَى رُقْعَةً مُشْتَمِلَةً عَلَى نَظْمٍ فِيهِ تِلْكَ السَّاعَةُ بِأَسْمَائِهَا مَسْطُورَةٌ<sup>(٤)</sup>، فَتَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ بِلَطَافَةٍ، وَيُسْرَاهَا عَلَى فَمِهَا كَالْمُؤَدِّيَةِ بِالمُبَايَعَةِ حَقَّ الْخِلَافَةِ. وَهَكَذَا حَالُهُمْ إِلَى أَنْ يَلِجَ عَمُودُ الصَّبَاحِ وَنِدَاءُ الْمُنَادِي: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ<sup>(٥)</sup>!

٤-★★ الضوء اللامع ٨: ١٢٠؛ شجرة النور الزكية ٢٤٨؛ نيل الابتهاج ٣٢٩-٣٣٠؛  
نفح الطيب ١: ٦٨١، ٢: ٥٧٤، ٣: ١١٣، ٤: ٣٠٥، ٦: ١٩٥، ٢٠١،  
٥١٣-٥١٧؛ أزهار الرياض ١: ٢٤٣-٢٤٤؛ معجم أعلام الجزائر  
١٥٩-١٦٠؛ بروكلمان ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤١؛ الطهار ٢٢٦-٢٢٨؛ سركيس  
٦٤٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٦ (٦: ٢٧٨)؛ معجم المؤلفين ١٠: ٢٢٢.

## اللؤلؤي الزركشي

١- هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن لؤلؤ، عُرِفَ باللؤلؤي نسبةً إلى جدِّه الذي

(١) المكفَّرات: أشعار تقال في التزهيد فتكفَّر (تغفر). ما كان من عبث (حاشية في نفح الطيب ٦: ٥١٣).  
الآثام: الذنوب.

(٢) المنجانة: آلة لتقسيم الوقت (ساعة دقاقة). وفي نفح الطيب (٦: ٥١٤-٥١٥) وصف مفصل للمنجانة لابن عبد الجليل التنسي نفسه. زخرفت: زينت. حلَّة: ثوب. يمانية: من سج اليمن (اشتهرت اليمن بالنسيج الجميل). أو هي الساعة الرملية (راجع أزهار الرياض ١: ٣٠٩).  
(٣) موجفة: مفلقة.

(٤) نظم: شعر فيه تعيين الساعة، يخاطب به السلطان، نحو (عند تمام الساعة السادسة):

يا ماجداً وهو فرد      تحالسه في عساكر،  
«ست» من الليل ولئت،      ما إن لها من نظائر.  
دامت لياليك، حتّى      إلى الممهاد، نواضر!

(٥) المنادي: المؤذن. «حيّ على الفلاح» من فقرات (بكسر ففتح) الأذان (أي إلى طلوع الفجر).

كان - فيما يبدو - مملوكاً لا نعرف له سلسلة نسب. ويبدو أن اللؤلؤي الزركشي<sup>(١)</sup> قد وُلِدَ في نحو سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ثم بدأ تعلّمه، بعد سنة ٨٤٠ هـ على نفرٍ منهم: محمدُ ابنُ عمِّ القلشاي (ولعله لازم القلشاي هذا مدّة طويلة) وأحمدُ القسطنيني ومحمدُ البيدموري وأبو البركات محمد بن محمد بن عصفور في الأغلب. غير أن علومه التي حصل عليها كانت - فيما يبدو - تُتَفَّأ، فإن كتابه في التاريخ لا يدلُّ على إحاطة واسعة بفنون المعرفة.

ويبدو أيضاً أنه كان كاتباً في الدولة يعمل في خُطّة العدل، ولكنه لم يكن من الرؤساء. أما وفاته فيمكن أن تكون في السنوات الأولى من القرن العاشر<sup>(٢)</sup>.

٢ - كان اللؤلؤي الزركشي مدوّنًا للأحداث ولم يكن عالماً بالتاريخ ومجرّاه. ولكن أهمية كتاب الزركشي أنه من عصرٍ قلَّ فيه تدوين التاريخ في تونس. ومادة الكتاب أحداثٌ مُفردةٌ يتخلّلها انقطاعٌ في السلسلة التاريخية مرّةً بعد مرّة. وفي لغة المؤلف ضَعْفٌ، مع أنه يحاول التسجيع أحياناً. ويمكن أن نعدّ المؤلفَ شاهدَ عيانٍ للحوادث المتعلقة بالقرن التاسع (ص ١١٤ - ١٥٩). أمّا الملحق (ص ١٦٢ - ١٦٨)، وهو شبه تلخيص للكتاب ثم استئناف للتدوين حتى سنة ٨٣٩ هـ (١٤٣٥ م)، فالأغلب أنه إضافة ليست للمؤلف.

### ٣ - مختارات من آثاره

- مدخل «تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية»:

الحمد لله الذي جعل الأيام دُولاً، وصيّر بعض الناس لبعضٍ خولاً<sup>(٣)</sup>، وجعل لهم في المطامع أملاً، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) لم اُتد إلى وجه لقبه «الزركشي»، إلّا إذا كانت «الزركشة» صنعة لأبيه أو لجده (بعد تحرّره) أو له.

(٢) إذا قبلنا أن يكون مولده سنة ٨٢٠، لم يبق وجه لقول بروكلمن إنه ألف كتابه نحو ٩٣٢ هـ، ولا لتقدير خير الدين الزركلي أنه توفي بعد ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م).

(٣) دولة: كلّ مدّة لقوم. الخول: الخدم.

(٤) آية كريمة (١٨: ١٠٩، سورة الكهف): لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (عن الجنة) حولا (انتقالاً). - ذلك ميل ثابت فيهم.

- حملة صليبية من فرسة وجنوة على المهدية<sup>(١)</sup>:

وفي سنة ثنتين وتسعين نزل النصارى المهدية في مائة قطعة بين مراكب كبيرة وأغربية<sup>(٢)</sup>. فوجه السلطان أحمد محلة<sup>(٣)</sup> نزلت قرب البلد قدم عليها ولده المولى أبا فارس وأصحابه بأخيه أبي زكريا. فاتفق للمولى أبي فارس عبد العزيز مع النصارى وقائع منها في يوم نزولهم وقعت بينهم وبين النصارى حروب كان للمسلمين فيها جولة بحيث أسلموا المحلة، ودخلها العدو ولم يجد فيها عيناً تطرف عدا رجلاً واحداً مشاغباً قتلوه. وبينما هم (النصارى) في جمع الأزواد والأسباب<sup>(٤)</sup> إذا بالمولى أبي فارس نادى في المسلمين وجمع القواد ومن حضرهم من الجند وكرّ راجعاً تجاه العدو حتى أخذ المحلة من أيديهم قهراً. فحميت العرب<sup>(٥)</sup> وانصرف العدو منهزماً. وقُتل منهم نحو خمسة وسبعين رأساً. وواجه العدو<sup>(٦)</sup> بنفسه ودفع في صدورهم دفعة شتت بها شملهم. فلم يلتفت إلا والعدو قد أحاط به من كل جهة. وعلم العدو أنه ابن الخليفة - ومن عادتهم في الحرب أنهم إذا أخذوا ملكاً أو أين ملك فإنهم لا ينزلونه عن فرسه - فأخذوا بعنان فرسه وساروا به. فآلهمة الله سبحانه خلق عنان فرسه من رأسه وألح (على) الفرس وهمزة<sup>(٧)</sup>. فخرج الفرس من بينهم، فرموه بسيهام وأسنة، واتبعوه بحيل وأعنة<sup>(٨)</sup>، وهو لا يلتفت إلى أن وصل إلى المسلمين وسلمه الله عز وجل. ثم إن النصارى اختلفوا فيما بينهم، وأراد الجنوي الغدر بالفرنسي، فارتحل الفرنسي

(١) جنوة (في شمال غربي إيطاليا) كانت في العصور الوسطى جمهورية مستقلة.

(٢) ٧٩٢ هـ = ١٣٩٠ م). المصادر الغربية تعني بالروم وبالنصارى الإفرنج عامة (الأوروبيين). الملموح أن «الغراب» هنا سفينة صغيرة.

(٣) هو أبو العباس أحمد (٧٧٢-٧٩٦ هـ). محلة: (٤)

(٤) الأزواد جمع زاد: الطعام. الأسباب: الوسائل، الآلات (يقصد: الفناهم).

(٥) حيث: أشدّت (في الحرب). العرب: البدو.

(٦) لعل الجملة التامة: وواجه أبو فارس العدو.

(٧) ألح على الفرس (حثه على الركض!). همزة: نخه (بهازين في الحذاء) في بطنه.

(٨) أسنة جمع سنان (الحديدة التي في رأس الرمح - ولا معنى لها هنا، ولعله أتي بها لتكون سجمة مع «أعنة» جمع عنان: لجام، كناية عن الخيل).



بُسْفَنِهِ. وَلَمَّا رَأَى الْجَنَوِيُّ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ وَحْدَهُ رَحَلَ أَيْضاً. وَكَفَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُمْ.  
فَانصَرَفُوا خَائِبِينَ.....

٤- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس (المطبعة الرسمية) ١٢٨٩ هـ؛ (بتحقيق محمد ماضور)، تونس (المكتبة العتيقة) ١٩٦٦ م.  
\*\* شذرات الذهب ٣٦٣:٧ - ٣٦٧؛ بروكلمن ٦٠٦:٢، الملحق ٦٧٧:٢؛ سركيس ١٦٠٠؛  
الأعلام للزركلي ١٩٢:٦ (٣٠٢:٥)؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٢٢ - ٥٢٤؛ مجلة الندوة  
التونسية (مقال بقلم محمد التاذلي النيفر)، مايو - أيار ١٩٥٣ م.

### شهاب الدين (بن) الخلّوف

١- هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن  
الخلّوف الحميريّ القاسيّ التونسيّ، وُلِدَ في ثالثِ المُحرَّم من سَنَةِ ٨٢٩  
(١٤٢٥/١١/١٥ م).

ذهبَ شهابُ الدين بنُ الخلّوفِ في أوائلِ حياته معَ والده إلى الحِجاز. وبعدَ أربعِ  
سَنَواتٍ انتقلَ معَ والده أيضاً إلى القُدس حيثَ حَفِظَ القرآنَ ولازمَ المقرئَ أبا القاسمِ  
محمدَ بنَ محمدِ النُوري (٨٠١ - ٨٥٧ هـ) وأخذَ عن الشَّهابِ بنِ رِسلانَ والعزِّ القُدسي  
وغيرهم.

وفي سَنَةِ ٨٥٩ هـ (١٤٥٥ م) تُوُفِّي والده فعادَ إلى المَغرب ثمَّ استقرَّ في تُونسَ  
وانقطعَ إلى السُّلطانِ الحفصيّ أبي عُمَرَ عُثمانَ (٧٣٩ - ٨٩٣ هـ) وأكثرَ من مَدَحِهِ. وفي  
سَنَةِ ٨٧٧ هـ حجَّ ثانيةً، فلَمَّا مرَّ بالقاهرة لَقِيَ السخاويَّ صاحبَ «الضوء اللامع»  
(ت ٩٠٢ هـ).

وكانت وفاةُ شهابِ الدين بنِ الخلّوفِ في سَنَةِ ٨٩٩ هـ (١٤٩٣ - ١٤٩٤ م) في  
تونس.

٢- كان شهابُ الدين بنُ الخلّوفِ أديباً بارعاً في النثر والنظم ولذلك سُمِّيَ ذا  
الصَّناعتين. كما كانت له مَعْرِفَةٌ بالنحو. وهو شاعرٌ مُكثِّرٌ مُطيلٌ له بديعياتٌ ومُوشحاتٌ.

وفي شعره تقليدٌ للمشاركة. ثم إنَّ أوصافه في الطبيعة جيادٌ في ألفاظها. ولكن استعاراته بعيدةٌ جداً، وكثيرٌ من معانيه - من أجل ذلك - غامضٌ. ثم هو مصنفٌ له: تحرير الميزان لتصحيح الأوزان (عروض) - مواهب البديع .... (ميمية في علم البديع) - شرح مواهب البديع - عمدة الفارض (أرجوزة في الفرائض: تقسيم الإرث) - جامع الأقوال في صيغ الأفعال - أرجوزة في تصريف الأسماء والأفعال - نظم المغني (في النحو). وله ديوان فيه تفسير منامات وأدعية.

ويبدو احتذاءً آبن الخلوف للمشاركة واضحاً جداً - وإن كان بارعاً جداً أيضاً - في المقطوعة الواردة في «مختارات من شعره»، فإنها تقليدٌ لقصيدة البُحترى التي يقول فيها (في وصف الربيع):

أتاك الربيعُ الطَّلُقُ يَحْتَالُ ضاحِكاً      مِنْ الحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ.  
وقد نَبَّهَ النِّيروزُ في غَلَسِ الدُّجَى      أوائلَ ورْدٍ كُنَّ بالأَمْسِ نُومًا.

٣ - مختارات من شعره

- قال شهابُ الدين أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الخلوفِ في وصف الطبيعة:

رأى البرقُ تعيسَ الدُّجَى فتبسَّ      وصافحَ أزهارَ الربى فتَنَسَّ<sup>(١)</sup>.  
ورقٌ لواءُ البرقِ لَمَّا تَلَاعَبَتْ      سوابقُ خيلِ الريحِ في حُبَّةِ السَّمَا<sup>(٢)</sup>.  
وقد بلَّ أردانَ الثرى دمعُ مُزَنَةٍ      تناثرَ في أسلاكِها فتَنظَّمَا<sup>(٣)</sup>.  
وجرَّ على هامِ الربى ذيلَ وبَّله      فدبَّجَ أثوابَ الربوعِ وسَهَّما<sup>(٤)</sup>.

(١) تَسَمَّ (قلقة هنا في المعنى) وفي القاموس: تَسَمَّتِ الريح (هبت رويداً رويداً) وتَسَمَّ فلان (تنفَّس) وتَسَمَّ المكان (أصبحت رائحته طيبة).

(٢) الحلبة: الميدان الذي تجري فيه خيل السباق.

(٣) الرदन (بضم الراء): طرف الثوب. المزنة: المطر. - نقط الماء التي تشبه اللؤلؤ، والتي سقطت متناثرة (متفرقة)، قد ظلَّ بعضها (بعد توقُّف المطر) عالِقاً بالغصون، فكأنَّ الغصون أسلاك وخيوط للعقود، وكأنَّ نقط الماء العالقة بها لآل منتظمة في عقود.

(٤) الويل: المطر. دبَّجَ المطر الأرض: سقاها فاخضرت وأزهرت. سَهَمَ الثوب: صوَّر فيه سهماً (خطوطاً).

تَلَوَّى بِأَكْنَافِ السَّحَابِ فَخِلَّتْهُ      حُبَاباً تَلَوَّى أَوْ حَبَاباً تَلَوَّمَا<sup>(١)</sup>.  
وَحَطَّ بِطِرْسِ الْجَوِّ سَطْرًا مُذَهَّبًا      فَنَقَطَهُ قَطْرُ الْغَمَامِ وَأَعْجَبَا<sup>(٢)</sup>.  
وَشَابَ لُجَيْنَ الطَّلِّ عَسْجِدُ بَارِقِ      فَدَنَّرَ أَزْهَارَ الرِّيعِ وَدَرَّهَمَا<sup>(٣)</sup>.  
وَدَارَ بِسَاقِ الْغُصْنِ خَلْخَالُ جَدُولِ      وَوَشَّحَ أَعْطَافَ الْغُصُونِ وَعَمَّمَا<sup>(٤)</sup>،  
إِلَى أَنْ أَمَاطَ الْفَجْرُ فَضْلَ لِثَامِهِ      وَنَوَّرَ بِالْإِسْفَارِ مَا كَانَ أَظْلَمَا<sup>(٥)</sup>.  
وَنَبَّهَ دَاعِيَ الصُّبْحِ إِذْ هَبَّتِ الصَّبَا      لَوَاحِظَ زَهْرٍ كُنَّ فِي اللَّيْلِ نَوْمَا

- وقال ابن الخَلَوَفِ مُخَمَّسًا بَيْتَيْنِ لِأَبْنِ الْأَحْمَرِ\* :

أَمَاطَ الْهَوَى عَنْ وَاضِحِي بُرْقَعِ النَّسْكِ      فَوَحَّدْتُ مَنْ أَهْوَاهُ عَنْ هَوَا الشَّرِكِ<sup>(١)</sup>.  
فَقُلْتُ، وَقَدْ أَقْتَتَ لِحَاظُكَ بِالْفَتَنِكَ :      (أَفَاتَكَةَ اللَّحْظِ الَّتِي سَلَبْتَ نُسْكَي<sup>(٢)</sup>،  
عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ لَا بُدَّ لِي مِنْكَ).

- (١) يصعب تفسير هذا البيت (إذ يبدو أن بيتاً أو أكثر من بيت سابق عليه قد حذف). الملموح أن البرق يظهر من أطراف السحاب خطوطاً متعرجة (منكسرة) فخلته (ظننته) حباباً (بالضم: ثعباناً) تَلَوَّى: تعرج في زحفه (سيره، جريه) ثم مر (اختفى) أو حباباً (بالفتح: خطوطاً) وحواجز تشكّلها الريح في رمال الصحراء) تَلَوَّمَا (تَلَبَّثَ، بقي، دام).
- (٢) الطرس: الورقة يكتب عليها. مذهّباً (أحمر: لون البرق) فنقطه قطر الغمام (وضع عليه نقطاً) وأعجم اقرأ: فأعجم (ماز بعض الحروف من بعض بوضع النقط عليها). البرق لا يرى واضحاً من خلال المطر المتساقط (٩).
- (٣) وكما أن سقوط المطر قد جعل البرق قليل الوضوح (راجع البيت السابق)، فكذلك: (هذا البرق) شاب (خلط، مزج) لجَيْنِ الطَّلِّ (فضة المطر، المطر الأبيض كالفضة) بمسجد (ذهب) فدَنَّرَ أَزْهَارَ الرِّيعِ (جمل شيئاً منها كاللدنانير الذهب) ودرهم بعضها الآخر (جعلها بيضاء كالدرهم الفضية).
- (٤) ودار النهر بجانب الأشجار كما يحيط الخلخال بأرجل النساء (الجميلات). ووَشَّحَ (النهر؟) أعطاف (جوانب) الغصون (بالورق الأخضر) وعمَّمها (جعل لها عمامة: جعل في أطرافها أزهاراً؟).
- (٥) أَمَاطَ: أزال. الإسفار (بكسر الهمزة) الكشف عن الوجه (أسفر الصبح: بان، ظهر).
- (\*) ابن الأحمر؟
- (٦) أَمَاطَ: أزال، كشف. واضحي (وجهي؟) برقع النسك (النسك المألوف عند الناس: النسك الشكلي). وَحَدَّتْ (في الأصل وجدت- بالجيم). الهوة: الحفرة العميقة أو هوية (بضم فواو فياء: حقيقة). - في الأبيات معان صوفية.
- (٧) الفتك: القتل.

مِينَا، بِنَجْمِ الْقُرْطِ، مِنْكَ إِذَا هَوَى وَخَالَ عَلَى عَرْشِ بَوْجَنْتِكَ أَسْتَوَى<sup>(١)</sup>،  
لَنْ لَمْ تَقَى، لَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مَا نَوَى: (فَإِمَّا بَذَلٌ، وَهُوَ أَلَيُّ بِالْهَوَى؛  
وَإِمَّا بَعِزٌّ، وَهُوَ أَلَيُّ بِالْمَلِكِ).

٤- ديوان (أحمد بن أبي القاسم الخُوف الأندلسي)، بيروت (المطبعة السليمية) ١٨٧٣ م (\*) .  
\* \* \* موشحة (في كتاب «الدراري السبع والموشحات الأندلسية»، بيروت ١٨٧٦ م)، الضوء اللامع  
٢: ١٢٢-١٢٣؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٢٤-٢٣٠؛ تاريخ الجزائر العام  
٦٤-٦٦؛ أعلام الجزائر ٣٩؛ بروكلمن ٢: ٣٠٧، الملحق ٢: ٣٣١؛ الأعلام للزركلي ١:  
٢٢١ (٢٣١)؛ سركيس ٩٩-١٠٠، ٨٣٣؛ الطمار ٩٨-٩٩؛ معجم المؤلفين ٢: ١١٨ .

### أبو العباس الونشريسي

١- هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن عليّ  
الونشريسي - نسبة إلى ونشريس، وهو جبل في القطر الجزائري -، وكان مولده في  
تلمسان، نحو سنة ٨٣٤<sup>(٢)</sup> للهجرة (١٤٣٠ م).

ويبدو أن الونشريسي قد بدأ تلقّي العلم باكراً على نفرٍ منهم: والدّه (وكان والدّه  
من العلماء المدرّسين) ثم أبو الفضل قاسم بن سعيد العبّاني (ت ٨٥٤ هـ) وشيخ الجماعة  
أبو عبد الله محمد بن العباس التلمساني (ت ٨٧١ هـ) وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجلاب  
(ت ٨٧٥ هـ) - وقاضي الجماعة بتلمسان أبو سالم إبراهيم بن قاسم العبّاني (ت  
٨٨٠ هـ) وهو ابن أبي الفضل العبّاني المذكور آنفاً - ومحمد بن محمد بن مرزوق الكفيف  
(ت ٩٠١ هـ).

(١) القرط: حلية تعلق بالأذن. هوى القرط (كان معلقاً بأذن امرأة ذات عنق طويل - والطول المعتدل في  
أعناق النساء من صفات الجمال فيهن).

(\*) راجع ملاحظة في سركيس (معجم المطبوعات العربية): كتب بآخر الديوان أن (؟) قد تم طبعه في  
دمشق سنة ١٢٩١ الموافقة لسنة ١٨٧٤ م.....

(٢) هذا التقدير من كتاب «تاريخ الجزائر العام»، تأليف عبد الرحمن بن محمد الجيلاني (٢: ٣٢٦).

وفي أوائل المحرم من سنة ٨٧٤ (تموز - يوليو ١٤٦٩ م) جرت على الوشريسي كائنة (حادثة) على أثر خلاف مع أحد رجال الدولة عرضته لفضب السلطان أبي عبد الله محمد المتوكل (٨٦٦ - ٨٨١ هـ) فنهبت داره، فقر بنفسي إلى مدينة فاس. إن التاريخ لم يحفظ لنا رواية هذه الحادثة، وإن كنا نعلم أن تلك الحقبة كانت حقبة فتن داخلية كثيرة.

وأخذ أبو العباس الوشريسي، منذ نزوله في مدينة فاس، يحضر مجلس أبي عبد الله محمد بن عبد الله اليفرنسي المعروف بلقب القاضي المكناسي (ت ٩١٧ هـ). ثم إن السلطان المريني محمد بن محمد المعروف بالشيخ البرتقالي (٨٧٥ - ٩٣١ هـ) قدمه للتدريس، فتصدّر حينئذ لتدريس الفقه معتمداً في ذلك « المدونة » للإمام سحنون (ت ٢٤٠ هـ) وفروع<sup>(١)</sup> ابن الحاجب.

وأستمر الوشريسي في التدريس في فاس - لم يغادرها قط - إلى حين وفاته في العشرين من صفر من سنة ٩١٤ (١٥٠٨/٦/٢٠ م).

٢ - كان أبو العباس الوشريسي كثير الاجتهاد والمطالعة. ومع أنه كان مشاركاً في عدد من العلوم، فإنه اقتصر في التدريس على فروع الفقه<sup>(٢)</sup>. وكان واسع المعرفة بهذه الفروع حتى أصبح « حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة »<sup>(٣)</sup> (نيل الابتهاج ٨٧).

وكذلك كانت له براعة في النحو، كما كان فصيح الكلام بليغاً في التعبير. وكان له أيضاً شيء من النظم.

(١) هذا الكتاب « مختصر الفروع » أو « جامع الأمهات » راجع بروكلمن ١: ٣٧٣، الملحق ١: ٥٣٨ س، لابن الحاجب، وهو جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر. والفروع (هنا) هي العبادات (الصوم والصلاة....) والمعاملات (الزواج، البيع، الفرائض أو تقسيم الإرث، الخ). راجع في وصف هذا الكتاب وفي قيمته ومكانته مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٠ م، ص ٤٥٠، الطر الرابع من أسفل؛ بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١، ص ٨٠٨ - ٨٠٩).

(٢) راجع الحاشية السابقة.

(٣) إذا كان رأس القرن أوله (قياساً على المتعارف بقولنا: « رأس ») فيكون الوشريسي « حامل لواء المذهب » على رأس المائة (القرن) العاشرة (راجع أيضاً « تاريخ الجزائر العام » ٢: ٣٢٦).

وكان الونشريسي مُصَنِّفاً وَضَعَ عدداً من الكُتُبِ أَكْثَرُها في الفقه المالكي. من هذه الكُتُبِ: إيضاحُ المسالكِ إلى قواعدِ الإمامِ مالكٍ - الفُروقُ في مسائلِ الفقه: عدةُ البروقِ في تلخيصِ ما في المذهبِ من الجُمُوعِ والفُروقِ - الوِلاياتُ في مناصِبِ الحُكومةِ الإسلاميةِ والحُطَطِ الشَّرعيةِ - القواعدُ في الفقه - المِعارُ المُعَرَّبُ عن فتاوى علماء إفريقيَّةَ والأندلسِ والمَغربِ - غُنيَّةُ المُعاصِرِ والتَّالِي في شرحِ وثائقِ الفِشْتالي<sup>(١)</sup> - المُختَصَرُ من أحكامِ البُرْزلي<sup>(٢)</sup> - القَصْدُ الواجبُ في معرفةِ أَصْطِلَاحِ ابنِ الحاجبِ - حُلُّ الرِّبْقَةِ عن أسيرِ الصَّفْقَةِ<sup>(٣)</sup> - إضاءةُ الحَلَكِ في الرَّدِّ على من أفتى بتَضْمِينِ الراعيِ المُشْتَرَكِ<sup>(٤)</sup> - فِهْرَسَةُ شيوخِه - شرحُ الحَزْرَجِيَّةِ في العَرُوضِ<sup>(٥)</sup> - وَفَايَاتُ الونشريسي - تَرْجَمَةُ مُحَمَّدٍ المَقْرِي (الجَدِّ).

أَمَّا أَهْمُ كُتُبِهِ فَهُوَ كِتَابُ «المِعارُ المُعَرَّبُ ....»، أَتَمَّهُ من تَأْلِيْفِهِ سَنَةَ ٩٠١ للهجرة (١٤٩٦ م)، وَهُوَ كِتَابٌ كَبِيرٌ (مُطْبُوعٌ في اثْنَيْ عَشَرَ جُزْءاً) وشامِلٌ يَكادُ يُحِيطُ بِجَمِيعِ بَحْوثِ مَذْهَبِ الإِمامِ مالِكٍ. والكتابُ مُشْتَمِلٌ على فَتَاوَى الفُقهَاءِ الَّذِينَ كانوا في إفريقيَّةَ (القُطْرُ التُونِسِيّ) وفي الأندلسِ وفي المَغربِ (القُطْرَيْنِ الجَزائِرِيِّ والمَغْرِبِيِّ). ثُمَّ هُوَ، بما فيه من الفَتاوى المُخْتَلَفَةِ المَوْضُوعَاتِ، يُمكنُ أن يَكُونَ صُورَةً لِلْحَيَاةِ في المَغربِ والأندلسِ بما فيها من المِياذِينِ الحَضاريَّةِ في الأَجْتِمَاعِ والسِّيَاسَةِ والاِقْتِصادِ والدِّينِ والعِلْمِ والتَّربِيَةِ. وفيه وَصْفٌ مَبسُوطٌ في المَدارسِ لذلِكَ العَهْدِ<sup>(٦)</sup> من حيثِ الوَصْفُ للأَمَكِيَّةِ ومن حيثِ مَناهِجِ الحَيَاةِ فيها. غَيْرَ أَنَّهُ يَنبُؤُ - بِسَبَبِ اتِّساعِهِ وشُمُولِهِ وتَبَعاً لَطَبِيعَةِ الفَتاوى التي هي نِتاجُ حاجاتٍ طارئةٍ في الأَكْثَرِ - بِشَيءٍ كَبِيرٍ من الصُّعُوبَةِ في الوُصولِ

- 
- (١) الفِشْتالي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٧٧ هـ) قاضي مدينة فاس.
  - (٢) البرزلي أبو القاسم بن أحمد (٧٤١ - ٨٤٤ هـ، عاش مائة وثلاث سنوات) من أئمة المالكية وكان ينمت بشيخ الإسلام، له «جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام».
  - (٣) الرِبْقَةُ: الحبل. حُلُّ الرِبْقَةِ: فك المقيد أو تفريج كربة المكروب. عن أسير الصَّفْقَةِ (عقد البيع؟).
  - (٤) الحَلَك: الظلام. تَضْمِينِ الراعيِ المُشْتَرَكِ (٤).
  - (٥) القَصيدة الحَزْرَجِيَّة (= الرامزة الثافية) لضيء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الحَزْرَجِي الأندلسي (ت ٧٢٦ أو ٧٢٧ هـ).
  - (٦) لذلِكَ العَهْدِ (في زمن الونشريسي).

إلى مفردات حقائقه. إنه محتاج إلى فهارس لأعلام الرجال والموضوعات أيضاً.

### ٣- مختارات من آثاره

- قال الونشريسي في «صفة المدرّس» وفي التّخيس - أي «وَقَفِ المدارس»<sup>(١)</sup> على التعليم (أزهار الرياض ٣: ٣٥):

مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ إِطْلَاقَ اسْمِ الْمُدْرَسِ عَلَى الْمُقْتَصِرِ عَلَى قَلِّ تَقَايِيدِ<sup>(٢)</sup> الرِّسَالَةِ<sup>(٣)</sup> وَالْمُدَوَّنَةِ<sup>(٤)</sup> - مِنْ غَيْرِ فَتْسٍ وَلَا تَنْزِيلٍ وَلَا كَشْفٍ<sup>(٥)</sup> وَاسْتَظْهَارٍ بِغَيْرِهَا<sup>(٦)</sup> - مَجَازٌ لَا حَقِيقَةَ<sup>(٧)</sup>. وَهَذَا الْوَصْفُ<sup>(٨)</sup> كَادَ أَنْ يَعُمَّ أَهْلَ الْوَقْتِ أَوْ عَمَّهُمْ<sup>(٩)</sup>. فَسَأَلَ اللَّهُ الْعَظِيمَ الْمَغْفِرَةَ مِنَ التَّطَفُّلِ<sup>(١٠)</sup> وَتَعَاطَى مَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ

- وقال في حال نفر من طالبي العلم (أزهار الرياض ٣: ٣٥-٣٦):

تَأَمَّلْ هَا هُنَا الثَّنَاءَ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرَفَةَ<sup>(١١)</sup> - أَسْكَنَهُ

- 
- (١) الوقف: التبرّع بمرافق الحياة (من بناء وماء وأرض) يكون ربيعاً لمنفعة المحتاجين.
  - (٢) التقيد: ملاحظات يعلّقها العلماء على الكتب المشهورة.
  - (٣) الرسالة كتاب في الفقه (في تعليم الولدان أصول الدين) لأبي محمّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦ هـ (راجع ترجمته في الجزء الرابع من هذه السلسلة).
  - (٤) المدوّنة (الكبرى): كتاب في الفقه المالكيّ اجتمع من رواية كبار فقهاء المذهب لعبد السلام بن سعيد المعروف بلقب سحنون (ت ٢٤٠ هـ) عن عبد الرحمن بن القاسم (ت ١٩١ هـ) عن أسد بن الفرات (ت ٢١٤ هـ) بالاستناد إلى «الموطأ» لمالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ).
  - (٥) فتس عن الشيء فتشاً (بفتح فسكون): سأل عنه أو بحث عنه. التنزيل: الترتيب، وضع الشيء في منزله (موضعه). الكشف (عن المعنى الغامض).
  - (٦) الاستظهار: إيراد مثل أو قول لآخرين يجمل حجّة الأستاذ (أو المؤلف) أقوى.
  - (٧) اقرأ: يسمّى مدرّساً على المجاز لا على الحقيقة.
  - (٨) هذا الوصف (أي اقتصار نفر من المدرّسين على نقل أقوال غيرهم بلا تفسير ولا تحقيق).
  - (٩) اقرأ: أو هو قد عمّم.
  - (١٠) التطفّل (هنا) جرأة المدرّس على تدريس فنّ لا يتقنه.
  - (١١) هو محمّد بن محمّد بن عرفة الورغمي (٧١٦-٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالمها في عصره، تولى إمامة الجامع الأعظم في تونس والخطابة فيه أيضاً والفتوى، له: المختصر الكبير (في الفقه المالكي) - المختصر الشامل (في التوحيد) - المبسوط، الخ.

الله دَارَ السَّلامِ<sup>(١)</sup> - وعلى تَأْلِيْفِهِ، ولا سِيَّامُ مُخْتَصَرُهُ الْفِقْهِيُّ<sup>(٢)</sup> الذي أَعْجَزَ مَعْقُولُهُ ومنقُولُهُ الْفُحُولَ<sup>(٣)</sup>، خِلَافاً لِبَعْضِ الْقَاصِرِينَ مِنْ طَلَبَةِ فَاسَ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: « ما يَقُولُ (هذا) شَيْئاً »، يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>، وَيَحْتَقِرُونَ<sup>(٥)</sup> ما عَظَّمَ اللَّهُ. وَمُسْتَنْدُهُمْ فِي ذَلِكَ بِزَعْمِهِمْ حِكَايَةُ تَوَثَّرَ عَنِ الشَّيْخِ الْمُحَقِّقِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَبَّابِ<sup>(٦)</sup>، لَا رَأْسَ لَهَا وَلَا ذَنْبٌ<sup>(٧)</sup>. وَحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ. وَمَا أَرَاهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ<sup>(٨)</sup>:  
وَكَمْ مِنْ غَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا، وَأَقْتَه مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ.

وَقَدْ حَسَّنَ مَلُوكُ الْمَغْرِبِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - بِخِزَانَتَيْ الْقَرَوِيِّينَ وَالْأَنْدَلُسِيِّينَ<sup>(٩)</sup> مِنْ هَذَا الدِّيَوَانِ<sup>(١٠)</sup> الْمَمْلُوكِ نُسْخًا عَدِيدَةً؛ ثُمَّ لَا يُعْرَجُ عَلَيْهَا لِلْمُطَالَعَةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَحَدٌ مِنْ طَلَبَةِ الْحَضْرَةِ<sup>(١١)</sup> شِتَاءً وَلَا صَيْفًا. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ<sup>(١٢)</sup>. (وَذَلِكَ) مَا قُبِدَ عَنِ الشَّيْخِ الْجَزُولِيِّ<sup>(١٣)</sup> وَأَبِي الْحَسَنِ الصَّغِيرِ<sup>(١٤)</sup>

(١) دار السلام: الجنة.

(٢) راجع الحاشية التي هي قبل الحاشية السابقة.

(٣) المعقول: العلوم العقلية: (هنا) التوحيد، المنطق، الكلام، الخ. والمنقول: العلوم التي تروى من طريق الرجال (كالحديث والفقه والتاريخ). الفحول (كبار العلماء).

(٤) ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ (٩: ٣٢، التوبة؛ راجع ٦١: ٨، الصف).

(٥) «يَحْتَقِرُونَ» معطوفة على «يُرِيدُونَ».

(٦) هو أبو العباس أحمد بن القاسم الجذامي الفاسي المتوفى سنة ٧٧٨ للهجرة (راجع بروكلمان، الملحق ٢: ٣٤٦، النبوغ المغربي ٢٠٥؛ الدياج ٥٧ ونيل الابتهاج ٥٢، من طبعة (فاس)).

(٧) لا رأس لها ولا ذنب (لا يعرف لها وجه من الصحة).

(٨) البيت للمتنبي.

(٩) الخزانة (المكتبة العامة). القرويين (جامع القرويين في فاس). والأندلسيين (٢) جامع الأندلسيين، في العدو - الجانب - التي سكنها الأندلسيون في فاس بعد خروجهم من الأندلس).

(١٠) من هذا الديوان (المختصر الكبير لابن عرفة).

(١١) الحضرة: العاصمة.

(١٢) في القرآن الكريم (٢: ١٥٦، البقرة): ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

(١٣) الشيخ الجزولي السلافي، هو محمد بن سليمان (ت ٨٧٠ هـ) - راجع ترجمته في هذا الجزء.

(١٤) أبو الحسن الصغير (بصيغة التصغير) هو علي بن عبد الحق الزرويلّي من حفاظ الحديث ومن الفقهاء، كانت وفاته سنة ٧١٩ هـ (راجع النبوغ المغربي ٢٠٤ - ٢٠٥)..... والونشريسي يأسف لأنّ الناس =



(وأما لهما)، فإنك تجدهم يزدحمون عليها في كل مكان، وخصوصاً في فصل الشتاء، لا يلحق الآخر منها ورقة (١) واحدة مع كثرة عددها بحيث ذكر (٢)، بل تجدهم يتنافسون في اقتنائها بالأثمان العظيمة المصحفة (٣). ومن ملك منهم المسبغ (٤) من الجزولي وتقييد اليمامي (٥) عن أبي الحسن (٦)، أو حصلت له عناية بنقلها فهو عالم العالم بأسره وحائز مذهب إمام دار الهجرة (٧) على التمام والقائم بأمره (٨). ولقد كان الحسن المغيلي (٩) عندهم في أعلى طبقة من الفقه والتفقه لقيامه على مسبغ الجزولي بخزانة القرويين، زعموا أنها بخط أبي علي الحسن المذكور (١٠)، وهي مشحونة بالتصنيف (١١) نغمي البصر والبصائر. نور الله قلوبنا وعمّر ألسنتنا بشكره ووفقنا لما فيه رضاه عنا.

- كتب النشرسي تعليقاً على كتاب «مثل الطريقة في ذم الوثيقة» للسان الدين ابن الخطيب (راجع نفح الطيب ٦: ٢٧٣، السطر السادس من أسفل) فقال - والذم في هذا التعليق للمؤقتين (١٢) لا لسان الدين - (نفح الطيب ٦: ٢٧٨):

- 
- = يهتمون بالجزولي المتصوف وبأبي الحسن الصغير (وهو ليس من الفقهاء الكبار) ثم يهلون فقيهاً فذاً مثل ابن عرفة.
- (١) يكثر طلب الناس لكتب الجزولي وكتب أبي الحسن الصغير حتى لا يجد بعض الطلبة ورقة من كتب هذين (مع كثرة كتب هذين) يقرأ فيها.
- (٢) بحيث ذكر (في كل ورقة من كتاب ذكر فيها شيء عن الجزولي وأبي الحسن الصغير).
- (٣) (الثن) المحف (الباهظ، المرتفع والذي يكلف الفرد ما لا يطيق).
- (٤) يبدو أن «المسبغ» هذا كتاب للجزولي أو كتاب فيه؛ ولم أعر عليه فيما لدي من المراجع.
- (٥) اليمامي لقب لنفر معروفين (راجع تاج العروس - الكويت ٨: ٤٥). ولم أعر على هذا المذكور هنا.
- (٦) أبو الحسن (الصغير؟).
- (٧) إمام دار الهجرة (المدنية) هو مالك بن أنس.
- (٨) القائم بأمره: البارع في فهمه وشرحه. - ومن الواضح أن النشرسي يتهم بأولئك الذين يهتمون بكتب الجزولي وكتب أبي الحسن الصغير.
- (٩) الحسن المغيلي (٩).
- (١٠) الحسن المغيلي.
- (١١) التصحيف: تبديل الأحرف في الكلمة الواحدة أو اختلاف النقط في الأحرف.
- (١٢) المؤقت: من يوثق العقود (الاتفاقات) بالطرق الرسمية (الكاتب العدل).

الحمد لله. جامع<sup>(١)</sup> هذا الكتاب المقيّد هذا<sup>(٢)</sup> بأول ورقة منه قد كدّ<sup>(٣)</sup> نفسه في شيء لا يعني الأفاضل<sup>(٤)</sup>، ولا يعود عليه في القيامة ولا في الدنيا بطائل<sup>(٥)</sup>. وأفنى طائفة<sup>(٦)</sup> من نفيس عمره في التماس مساويء طائفة<sup>(٧)</sup> بهم تستباح الفروج<sup>(٨)</sup>، وتُمَلَكُ مُشِيدَاتُ الدُّورِ والبُروج<sup>(٩)</sup>، وجعلهم أضحوكة لذوي الفتنك والمجانة<sup>(١٠)</sup>. وأتزع عنهم جلباب الصدق والديانة. سامحه الله تعالى وغفر له. قال ذلك وخطه يُمْنِي يَدَيْهِ عبيدُ ربّه أحمد بن يحيى بن محمد بن عليّ الوُشَرِيسِيّ، خار الله سبحانه له

- ٤- إضاعة الخلّك في الردّ على من أفنى بتضمين الراعي المشترك، فاس....
- أسنى المتاجر<sup>(١١)</sup> في أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر (نشره م. ي. مولر في «مقالات في تاريخ العرب المغاربة»، ٤١-٤٣)، مُشَن ١٨٦٦ م.
- غنية المعاصر والتالي على وثائق الفتالي (بهمامش «وثائق الفتالي»)، فاس بلا تاريخ (سركيس ١٤٥٣).
- المنهج الفائق والمنهل الوائق<sup>(١٢)</sup> في أحكام الوثائق، فاس ١٢٩٨ هـ.
- المعيار المغرب والجامع المغرب<sup>(١٣)</sup> عن فتاوى أهل إفريقية<sup>(١٤)</sup> والأندلس والمغرب، فاس ١٣١٤-١٣١٥ هـ؛ (نشره برونو ودهمونين)، الرباط (معهد الدراسات العليا المغربية)

- 
- (١) جامع هذا الكتاب (مؤلف كتاب «مثل الطريقة...»): لسان الدين بن الخطيب.
  - (٢) المقيّد هذا بأول ورقة منه (الكتاب الذي دوّنت هذه الملاحظة على الصفحة الأولى منه).
  - (٣) كدّ: أتعب.
  - (٤) شيء لا يعني الأفاضل: لا يهتم به كبار العلماء.
  - (٥) طائل: فائدة.
  - (٦) طائفة (هنا): مدّة.
  - (٧) طائفة (هنا): جماعة.
  - (٨) يَحْلَلُونَ زَوَاجَ اللّوَاقِي لَا يَحِلُّ الزَّوَاجَ بِهِنَّ..
  - (٩) البرج: البناء العظيم، القصر.
  - (١٠) الفتنك (هنا): الاندفاع في الأعمال اندفاعاً لا وازع أخلاقياً أو اجتماعياً فيها، اتباع رغبات النفس بلا مبالاة بآدم أو بحفاظ على الصحة مثلاً. المجانة (المجنون): قلة الحياء في القول والعمل، مزج الجذّ بالهزل.
  - (١١) في بروكلن: «التاجر».
  - (١٢) لعلّها «الرائق».
  - (١٣) لعلّها «المغرب» (بالعين المهملة).
  - (١٤) إفريقية = تونس.

- ١٩٣٧ م؛ (بإشراف محمد حجّبي)، الرباط (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية)، بيروت - أثينا (دار الغرب الإسلامي) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
- نوازل (١) المعيار (مستخرجة من «المعيار»)، فاس (المطبعة الشافعية) ١٣١٥ هـ.
- جامعة المعيار، فاس ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ (٢).
- ★ تعريف الخلف ١: ٥٨ - ٥٩؛ فهرس أحمد المنجور (تحقيق محمد حجّبي - الرباط ١٩٧٦ م)، ص ٥٠؛ البستان لابن مريم ٥٣ - ٥٤؛ نيل الابتهاج ٨٧ - ٨٨ (طبعة فاس ٧٤)؛ جذوة الاقتباس ٨١ (الرباط ١٩٧٣ م، ١: ٥٦ - ٥٧)؛ درّة المجال ١: ٤٣، رقم ١٣٠ (تونس ١٩٧٠ م) ١: ٩١ - ٩٢؛ شجرة النور الزكية ١: ٢٧٤ - ٢٧٥؛ فهرس الفهارس للكتّاني ٢: ٤٣٨ - ٤٣٩؛ الاستقصا (الدار البيضاء) ٤: ١٦٥؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ١١٢١؛ بروكلن ٢: ٣٢٠، الملحق ٢: ٣٤٨؛ سركيس ١٩٢٣ - ١٩٢٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٥٥ - ٢٥٦ (١: ٢٦٩ - ٢٧٠)؛ ولوداد القاضي (الجامعة الأميركية بيروت) دراسة في أربع وأربعين صفحة (على الستائل) لا أعلم إذا كانت قد طبعت بالحروف.

### ابن غازي<sup>(٣)</sup> المكناسي

١- هو شيخُ الجماعة الإمام أبو عبد الله محمد بنُ أحمد بن محمد بن علي بن غازي العُماني المكناسي ثمّ الفاسي، وُلِدَ في مكناسة الزيتون، سَنَةَ ٨٤١ (١٤٣٧ - ١٤٣٨ م) وتلقّى العلم فيها ثمّ انتقلَ إلى فاسَ (سَنَةَ ٨٥٨ هـ = ١٤٥٤ م) فتابعَ فيها تلقّي العلم. ومن شيوخه النيجي والقوري.

وَلِيَ ابنُ غازي الخطابةَ في مكناسة ثمّ في فاسَ الجديدة. ثمّ تولّى الإمامةَ والخطابةَ في جامع القرويين، وتصدّر فيه للتدريس أيضاً. وفي أثناء ذلك كَلَهَ كان يُربط

(١) النوازل.....

(٢) في سركيس: جامعة المعيار - المعيار - نوازل المعيار (أرقامها ٢، ٤، ٦).

(٣) غاز اسم فاعل من غزا، فهو اسم منقوص ترجع إليه الياء إذا حُلِيَ باللام أو أُضيف (الغازي، غازي المدوّ). أما إثبات الياء في أسماء الأعلام المنقوصة، نحو: غازي، سامي، ناجي، ثم شوقي، بدري إلخ، فصفة تركية.

ويُحارب<sup>(١)</sup>. وكانت وفاته في فاس في تاسع جمادى الأولى من سنة ٩١٩  
(١٦/٧/١٥١٣ م).

٢- كان ابن غاز المكناسي مُقرئاً بارعاً في معرفة قراءات القرآن الكريم عارفاً بوجوهها واسع العلم بالتفسير حافظاً للحديث واقفاً على أحوال رجاله (رُواته) وطبقاتهم (مكاتهم وتراجيمهم) عالماً بالفقه مُجيداً للعربية (النحو) حسن المعرفة بالتاريخ والسير (التراجم) والمغازي والأدب والعروض والحساب والفرائض (تقسيم الإرث).

وكان ابن غاز مُصنفاً مُكثرأ له: تفصيل الدرر (في قراءة القرآن) - إنشاد الشريد في ضوَال القصيد (في رسم القرآن؟) - نظم قراءة نافع - حاشية لطيفة (مختصرة) على البخاري - إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب (رسول الله) - الفهرسة المباركة (في المُحدثين ومصنفاتهم) - التعلُّل برسم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد (فهرست شیوخه؟ أتمها في رَجَب ٨٩٦) - الروضُ الهتون في أخبار مكناسة الزيتون (إلى سنة ٩١٩) - منية الحُساب (منظومة في الحساب) - بُنية (غنية) الطلاب في علم الحساب (شرح «منية الحُساب») - ذيل على القصيدة الخزرجية (في العروض) - عروض القصيد والدوييت - نظم مراحل الحجاز - شرح نظم مراحل الحجاز - إمداد بحر القصيد ببحر أهل التوليد وأناس الأفعاد (?) والتجريد بجنسها من الشريد - المجالس المكناسية. ثم له مُصنفات في الفقه، منها: شفاء الغليل في حل مُقفل خليل<sup>(١)</sup> - منظومة في مُشكلات الرسالة (لابن أبي زيد القيرواني؟) - منظومة في نظائر رسالة القيرواني - المسائل الحبان المرفوعة إلى حبر فاس وتلُسان - الجامعُ المستوفي بمداول الحوفي - المطلب الكلبي في محادثة الإمام القلي - كليات فقهية على مذهب المالكية.

### ٣- مختارات من آثاره:

- قال ابن غاز في الشكوى من مكناسة:

★★ طَلَّقْتُ مِكنَاسَةً ثَلَاثاً، وَالشَّرْعُ يَأْبَى الرُّجُوعَ فِيهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) الرابطة: السكى على أطراف البلاد الإسلامية لدفاع الأعداء عنها تطوعاً وتعبداً (للجهاد).

(٢) في الشرع الإسلامي يجوز للزوج أن يطلق امرأته مرتين ثم يستردها مرتين أيضاً. فإذا طلقها مرة ثالثة فلا يجوز له أن يستردها، إلا إذا تزوجها رجل ثم طلقها اختياراً من عند نفسه.

ليست بدارٍ سوى لقاضٍ  
 ★★ أقمتُ بمكناسٍ مُدَّةً  
 أو عاملٍ الجَوْرِ أو سفيه<sup>(١)</sup>!  
 أعلمُ أبناءَها ما الكلامُ  
 فلمَّا تَوَهَّاهُ بعضهم  
 عليَّ بهِ بخلوا، والسلام<sup>(٢)</sup>!  
 - وَيُنَسَّبُ إِلَيْهِ لُغَزٌّ فِي « الْقَلَمِ »:

وَمَيَّتَ قَبْرُ طُعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ،  
 يَقُومُ فَيَمْشِي صَامِتاً مُتَكَلِّماً،  
 إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَاكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَ<sup>(٣)</sup>.  
 وَيَأْوِي إِلَى الرَّمْسِ الَّذِي مِنْهُ قَوْمًا<sup>(٤)</sup>.  
 فَلَا هُوَ حَيٌّ يَسْتَحِقُّ زِيَارَةً  
 وَلَا هُوَ مَيِّتٌ (مِنْكَ) يَرْجُو تَرَاحُماً<sup>(٥)</sup>.  
 - وَقَالَ ابْنُ غَازِي (النَّبُوغُ الْمَغْرِبِي ٨١٨):

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى؛  
 وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ  
 وَلِلْمُسْتَرِي دُنْيَاهُ بِالْدِّينِ أَعْجَبُ.  
 بِدُنْيَا سِوَاهُ، فَهُوَ آخَرَى وَأَخْيَبُ.

٤- الروض المhton، فاس (طبع حجر) ١٣١٦، ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م).

- بغية الطلاب، فاس (طبع حجر) ١٣١٧، ١٣١٩ هـ.

- كليات فقهية، فاس (طبع حجر) بلا تاريخ.

★★ نيل الابتهاج ٣٣٣ - ٣٣٤؛ أزهار الرياض ٣: ٦٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٧٣؛

بروكلمن ٢: ٢١١، الملحق ٢: ٣٣٧ - ٣٣٨، راجع ١: ٥٢٣، السطر الثامن من أسفل؛

النَّبُوغُ الْمَغْرِبِي ٢٠٨ - ٢٠٩؛ الأدب المغربي ٢١٦ - ٢١٧، ٢٨٨ - ٢٨٩، ٢٩١، ٤٠٢؛

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٨: ٤٣٩؛ سركيس ١٩٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٣٢

(٥: ٣٣٦)؛ معجم المؤلفين ٩: ١٦.

(١) تصلح ذاراً لقاضٍ (لكثرة اختلاف الناس فيها فتعلو مكانته وتكثر مفاهاه) عامل الجور (الظلم). العامل

(في المشرق): الذي يجبي أموال الدولة. العامل (في المغرب): الوالي، الحاكم. السفيه (في الأصل):

المسرف في الإنفاق على ما لا حاجة في العادة إليه. والسفيه أيضاً: الذي لا يتأدب مع الناس.

(٢) لَمَّا ظَنَّ نَفَرٌ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ أَصْبَحُوا قَادِرِينَ عَلَى صَوِّغِ الْكَلَامِ تَرَفَّعُوا عَنْ مَحَادَثَتِهِ.

(٣) مَيِّتٌ قَبْرٌ (كَانَ الْقَلَمُ يَوْضَعُ عَادَةً فِي عُلْبَةٍ مَسْطَاطَةٍ تُشَبِّهُ التَّابُوتَ). الطعم (بالضم): الطعام. عند رأسه

(يَوْضَعُ الْقَلَمُ أحياناً، فِي أَثْنَاءِ الْكِتَابَةِ، عَلَى طَرَفِ الْحَبْرَةِ. وَالْحَبْرُ فِي الْحَبْرَةِ طَعَامٌ لِلْقَلَمِ أَوْ شَرَابٌ!). فَإِذَا

أَخَذَ الْقَلَمَ شَيْئاً مِنَ الْحَبْرِ كَسَبَ بِهِ، فَكَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ (يُعَبِّرُ عَنِ الْمَقْصَدِ).

(٤) « قَوْمٌ » لَيْسَ (بِهَذَا الْمَعْنَى) فِي الْقَامُوسِ. يَقْصَدُ: أَقَامَ (أَنْهَضَ).

(٥) فِي الْأَصْلِ « مَيِّتٌ فَيَرْجُو ».

## مُحَمَّدُ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْعُقَيْلِيُّ

١- هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَرَبِيُّ الْعُقَيْلِيُّ، لَا نَعْرِفُ مِنْ أَحْدَاثِ حَيَاتِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ، فِيمَا يَبْدُو، كَاتِبًا لِلْإِنشَاءِ فِي غَرْنَاطَةِ فِي أَيَّامِ آخِرِ سُلَاطِينِهَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ - فِي وِلَايَتِهِ الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٨٩٢ إِلَى سَنَةِ ٨٩٧ لِلْهِجْرَةِ - وَأَنَّهُ كَتَبَ رِسَالَةً عَلَى لِسَانِ سُلْطَانِ غَرْنَاطَةِ يَسْتَجِدُّ فِيهَا بِالسُّلْطَانِ الْمُرَبِّيِّ فِي فَاسَ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِالشَّيْخِ الْوَطَاسِيِّ أَوْ الْبُرْتِغَالِيِّ (٨٧٥-٩٣١ هـ). وَقَدْ كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَرَبِيِّ فِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ، وَلَعَلَّهَا كَانَتْ سَنَةَ ٩٢٨ لِلْهِجْرَةِ (١٥٢٢ م).

٢- مُحَمَّدُ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْعُقَيْلِيُّ هُوَ الْفَقِيهُ وَالْكَاتِبُ الْمَجِيدُ الْبَارِعُ الْبَلِيغُ (نَفَحَ الطَّيِّبُ ٤: ٥٢٩)، بَقِيَ لَنَا مِنْ إِنْشَائِهِ رِسَالَةٌ طَوِيلَةٌ مِنْ نَحْوِ عَشْرِينَ صَفْحَةً يَمْتَزِجُ فِيهَا الشَّعْرُ بِالنَثْرِ، وَقَدْ كَتَبَهَا عَلَى لِسَانِ آخِرِ مُلُوكِ غَرْنَاطَةِ إِلَى سُلْطَانِ بَنِي مُرَيْنٍ فِي فَاسَ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِالشَّيْخِ الْوَطَاسِيِّ. وَالْمَفْرُوضُ أَنَّهُ قَدْ كَتَبَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ فِي سَنَةِ ٨٩٧ لِلْهِجْرَةِ، قُبَيْلَ خُرُوجِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ.

تَبْدَأُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ بِقَصِيدَةٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْعَرَبِيِّ الْعُقَيْلِيِّ نَفْسِهِ يُعَارِضُ فِيهَا مِيمَةً الْبُوصَيْرِيِّ «أَمِنْ تَذَكُّرٍ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ.....؟» وَنَثْرُ مُحَمَّدٍ الْعُقَيْلِيِّ أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِهِ مَعَانِي وَأَمْتَنُ تَرْكِيبًا. وَهُوَ كَثِيرُ الاسْتِشْهَادِ بِآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبِالْأَمْثَالِ. وَفِي شِعْرِهِ نَلْمَحُ مُحَاكَاتَ لَعْدِدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَالنَّابِغَةِ وَكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ وَأَبِي تَمَّامٍ وَالْمُتَنَّبِيِّ وَابْنِ عَبْدِوَيْنٍ وَغَيْرِهِمْ. وَالسَّجْعُ فِي نَثْرِهِ كَثِيرٌ، وَكَذَلِكَ الصَّنَاعَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ وَالصَّنَاعَةُ اللَّفْظِيَّةُ.

### ٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَرَبِيِّ الْعُقَيْلِيِّ مَوْشَعَةٌ مِنْهَا:

هَلْ يَصِيحُ الْأَمَانُ	مِنْ شَيْبِهِ الْبَذَرُ،
وَهُوَ مِثْلُ الزَّمَانِ	مُنْتَمٍ لِلْفَلَاكِ ذُرًّا <sup>(١)</sup>

★ ★ ★

(١) مُنْتَمٍ: مُنْسُوبٌ، قَرِيبٌ (لِلْفَدْرِ).

لَمْ يَغُرَّ الْأَغَرَّ      غَمِيرَ غَمِرٍ جَاهِلٍ،  
عَيْشُهُ الْحَلُوءُ مَرَّ      وَهُوَ فِيهِ نَاهِلٌ.  
وَالصُّبَا الْغَضُّ مَرَّ      وَهُوَ عَنْهُ ذَاهِلٌ.  
مَرَشَفُ الْبَهْرَمِسَانِ      فَوْقَ ثَغْرِ السُّدْرِ  
مُطْمِعٌ لِلْأُمَانِ      بَاقِ تَرَابِ الدَّرِّ (١).

- لَمَّا شَدَّ الْإِسْبَانُ الْحَصَارَ عَلَى غَرْنَاطَةَ وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَقْرَعُونَ الطُّبُولَ وَيَنْفُخُونَ  
بِالنَّفِيرِ إِرْهَابًا لِلْمُسْلِمِينَ وَإِضْعَافًا لِنَفْسِهِمْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَرَبِيُّ الْعَقِيلِيُّ:

بِالطُّبُولِ فِي كُلِّ يَوْمٍ      وَبِالنَّفِيرِ نُرَاعُ.  
وَلَيْسَ مِنْ بَعْدِ هَذَا      وَذَاكَ إِلَّا الْقِرَاعُ (٢).  
يَا رَبِّ، جَبْرَكَ يَرْجُو      مِنْ هَيْضَ مِنْهُ الذَّرَاعُ (٣)،  
لَا تَسْلُبْنِي صَبْرًا      مِنْهُ لِقْلِي أَدْرَاعُ (٤)!

- وَلَأَيُّ عَبْدِ اللَّهِ الْعَرَبِيِّ الْعَقِيلِيِّ قَصِيدَةٌ فِي اللَّهِوَ تَخْتَارُ مِنْهَا هُنَا عِدَدًا مِنَ الْآيَاتِ  
الَّتِي تَسْتَقِيمُ عَلَى السَّرْدِ:

وَالْعَوْدُ ذُو دَبْدَبَةٍ يَطِّي      آثَارَهَا لِلطَّارِ دَبْدَابُ (٥).  
وَفُضَّ لِلَّهِو خِتَامٌ، وَلَمْ      يُسَدَّ فِي وَجْهِ الْهُوَى بَابُ.

(١) الأغر: الشخص الأقوى على التغرير بالناس. الغمر: القليل التجربة والعلم. ناهل: شارب. ذاهل: غافل. البهرمان: اللون الأصفر (ولا معنى لها هنا). الدرّ (بالضم): اللؤلؤ (ثغر الدرّ: الفم الذي فيه أسنان كاللؤلؤ، كناية عن الشباب والجمال). الدرّ (بالفتح): اللبن ساعة يجلب. اقتراب الدرّ: بلوغ الأماني.

(٢) القراع: القتال.

(٣) يا رب، إن الذي كسرت ذراعه (أصيب بمصيبة) لا يرجو جبرها (إصلاحها) إلا منك.

(٤) - لا يدفع عني هذا العدو إلا الصبر (فالصبر وحده هو درعي في هذه الحرب).

(٥) الدبدة: كل صوت (على نسق معين) كوقع الحافر على الأرض الصلبة (القاموس ١: ٦٥). أطى القوم فلاناً: قرّبوا إليه ثم اغتالوه (قتلوه). والشاعر يقصد: طباه وأطباه (من طبي يطى) دعا الشيء إليه أو صرفه عن نفسه. الطار: الدفّ (بضم الفاء). الدبداب: الطبل. (يصف الشاعر هنا تجاوب الآلات الموسيقية).

وكلّ إنسانٍ وما يشتهي، ليسَ على مناهُ حُجّاب  
مُسْتَرَسِلًا ليس له عُدْلٌ، كلاً ولا عليه رِقَابٌ.

- ولما اشتدّ الحصارُ على غرناطةَ للغاية طَلَبَ سُلطانُ غرناطةَ أبو عبدِ الله محمدُ (٨٨٧-٨٩٠ ثم ٨٩٢-٨٩٧ هـ) من كاتبه أبي عبدِ الله محمدِ بنِ العربيِّ العقيلي أن يكتبَ إلى سُلطانِ فاسَ محمدَ بنِ محمدَ بنِ عليٍّ المعروفِ بالشيخِ الوطّاسي (٨٧٦-٩٣١) من آلِ مرينٍ رسالةً يستنجدُ به فيها. فكتبَ أبو عبدِ الله العقيلي رسالةً طويلةً بدأها بقصيدةٍ طويلةٍ (مائة وثلاثين بيتاً) عارضَ بها قصيدةَ البُوصيريِّ «أينَ تذكُرُ جيرانَ بذي سَلَمٍ». ولكن هذه القصيدةَ ضعيفةٌ جداً. ثم تلي الرسالةُ، وفي ثناياها هنا وهنا أبياتٌ من الشُّعرِ لنفرٍ من الشعراءِ تناسبُ معاني الرسالة. والرسالةُ في مجموعها مديحٌ لسُلطانِ فاسَ واستعطافٌ وطلبٌ بأن يسمَحَ سُلطانُ فاسَ لسُلطانِ غرناطةَ بأن يأتيَ إلى المغربِ لاجئاً. وفي ما يلي أبياتٌ من القصيدةِ ومقاطعٌ من الرسالة:

مَوَلَى الملوِكِ ملوكِ العُربِ والعَجَمِ،	رعيّاً لِمَا مِثْلُهُ يُرعى من الذَّمَمِ.
بِكَ اسْتَجَرْنَا- ونِعْمَ الجارُ أَنْتَ لِمَنْ	جارَ الزمانُ عليه جَوْرٌ مُنْتَقِمِ
حَتَّى غدا مَلِكُهُ بالرُّغْمِ مُسْتَلْبَأ؛	وأفطعُ الخُطْبِ ما يَأْتِي على الرِغْمِ-
حُكْمٌ من الله حَتْمٌ لا مَرَدٌّ لَهُ،	وهل مرَدُّ لِحُكْمٍ منه مُنْحَتِمِ.
وَهِيَ اللَّيالي- وقاكِ اللهُ صَوْلَتَهَا-	تَصُولُ حَتَّى على الآسَادِ في الأَجَمِ <sup>(١)</sup> .
كُنَّا ملوكاً لنا في أرضنا دُولٌ	نَمُنّا بها تحت أفياءٍ من النعمِ
فَأَيَّقَتُنَا سِهَامٌ للردى صُيْبٌ	يُرْمِي بِأَفْجَعِ حَتْفٍ مَنْ بَيْنَ رُمي!
فَصِيلٌ أواصرَ قد كانت لنا اسْتَبَكَّتْ،	فالْمَلِكُ بين ملوكِ الأرض كالرَّحِمِ <sup>(٢)</sup> .
وَابْسَطْ لنا الخُلُقَ المَرْجُوَ باسطُهُ،	واعْطِفْ ولا تَنْحَرِفْ، واعدِزْ ولا تَلَم.
ولا تُعَاتِبْ على أشياءٍ قد قُدِرَتْ	وخطَّ مسطورُها في اللوحِ بالقلمِ <sup>(٣)</sup>

(١) تصول: تهجم، تشتدّ، تغلب. الأجمة: المكان المملوء بالشجر. الآساد في الأجم: في أماكنها (وتكون هنالك قوّة).

(٢) الأواصر: الصلات. الرحم: القربة.

(٣) - قد قضاها الله علينا منذ الأزل (لما كتبها عنده في اللوح المحفوظ).



بنو مَرِينِ لِيُوْثُ فِي الْعَرِينِ أَبَوَا      رُؤْيَا قَرِينِ لَهْم فِي الْبَأْسِ وَالْكَرَمِ <sup>(١)</sup>،  
النَّازِلِينَ مِنَ الْبَيْضَاءِ وَسَطَ حِمَى      أَحْمَى مِنَ الْأَبْلَقِ السَّامِيِّ وَمِنْ إِرَمٍ <sup>(٢)</sup>.  
تُضِيءُ آرَاؤُهُمْ فِي كُلِّ مُغْضِلَةٍ      إِضَاءَةَ الشَّرَجِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلُمِ  
يَرَوْنَ حَقًّا عَلَيْهِمْ حِفْظَ جَارِهِمْ،      فَلَمْ يُضِرَّ نَازِلٌ فِيهِمْ وَلَمْ يُضْمِرْ <sup>(٣)</sup>.....

.... فِيا مَوْلَانَا الَّذِي أَوْلَانَا مِنَ النَّعْمِ مَا أَوْلَانَا، لَا حَطَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مِنَ الْعِزِّ رِوَاقًا وَلَا أَذْوَى لِدَوْحَةِ دَوْلَتِكُمْ أَغْصَانًا وَلَا أُرَاقًا <sup>(٤)</sup>، وَلَا زَالَتْ مُخْضَرَّةُ الْعُودِ مَبْسَمَةً عَنْ زَهْرَاتِ الْبَشَائِرِ مُتَحَفَّةً بِشَمَرَاتِ السُّعُودِ مَمْطُورَةً بِسَحَابِ الْبَرَكَاتِ الْمُتَدَارِكَاتِ دُونَ بَرَقٍ وَلَا رُعُودٍ. هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِمَقَامِكُمْ الْمُتَعَلِّقِ بِأَسْبَابِ زِمَامِكُمْ <sup>(٥)</sup> الْمُرْتَجِي لِعَوَاطِفِ قُلُوبِكُمْ الْقَبْلَ الْأَرْضَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ الْمُتَلَجِّجِ الْلسَانَ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ مِفْتَاحَةِ كَلَامِكُمْ. وَمَا الَّذِي يَقُولُ مَنْ وَجْهُهُ خَجَلٌ وَفَوَادُهُ وَجَلٌ وَقَضِيَّتُهُ الْمَقْضِيَّةُ عَنِ التَّنَصُّلِ تَجَلٍ <sup>(٦)</sup>. يَبْدُو أَنِّي أَقُولُ لَكُمْ مَا أَقُولُهُ لِرَبِّي - وَاجْتِرَائِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ وَاحْتِرَامِي لَهُ أَكْبَرُ - اللَّهُمَّ، لَا بُرِيءُ فَأَعْتَذِرُ، وَلَا قَوِيٌّ فَأَتَّصِرُ، وَلَكِنِّي مُسْتَقِيلٌ مُسْتَنْبِلٌ مُسْتَعْتَبٌ مُسْتَغْفِرٌ <sup>(٧)</sup>؛ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسَّوْءِ <sup>(٨)</sup>.....

وَمَا لِي وَالتَّكَلُّفُ لَهَا لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ.... وَالْمَوْلَى يَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا تَلْعَبُ

- (١) بنو مَرِين: سلاطين المغرب. أبَوَا: رفضوا. قَرِين: مثيل، نظير. الْبَأْس: القوة.
- (٢) الْبَيْضَاء: مدينة فاس (المجديدة) عاصمة المرينيين. الْحِمَى: ما تحب حمايته. أَحْمَى (صيغة خطأ): أكثر منعة. الْأَبْلَق: حصن كان للسؤال. إِرَم: مدينة قيل كانت قائمة في صحراء اليمن ومبنية بالحديد والنحاس.
- (٣) لَمْ يُضِرَّ نَازِلٌ (لَمْ يَصِبْ سَاكِنٌ عِنْدَهُمْ بِضَرَرٍ) وَلَمْ يُضْمِرْ (لَمْ يَلْحَقْهُ ضَيْمٌ: ظَلَمٌ).
- (٤) الرِّوَاق: مقدّم البيت. لَا حَطَّ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْعِزِّ رِوَاقًا: لَا زَالَ بَيْتُكُمْ عَالِيًا عَزِيزًا شَرِيفًا قَوِيًّا. الدَّوْحَةُ: الشجرة الكبيرة.
- (٥) الْعَائِدُ: الراجِع. الزِمَام: الرباط.
- (٦) وَجَلٌ: خائف. تَجَلَّى (فعل مضارع): تعظم، تكبر.
- (٧) لَا بُرِيءُ فَأَعْتَذِرُ: لست بريئاً (من أقوال السيئة فيك والتي نقلت إليك) حتّى أعتذر منها (أنفها عن نفسي). وَلَا أَنَا قَوِيٌّ فَأَتَّصِرُ (أدفع عن نفسي بنفسي في وجه خصمي). مُسْتَقِيلٌ (تائب عما قلته) مُسْتَنْبِلٌ (طالب نوالك: عطائك، إحسانك) مُسْتَعْتَبٌ (طالب العتي: الرضا، رضاك) مُسْتَغْفِرٌ (طالب الصفح عن ذنبي).
- (٨) القرآن الكريم ١٢: ٥٣، سورة يوسف.

باللاعب وتجرُّ براجتها إلى المتاعب. وقدماً للأكياس من الناس خَدَعَتْ، وانحرفت  
عن وصالهم أعقل ما كانوا وقَطَعَتْ<sup>(١)</sup>....

وأبيها، لقد أرهَقَتْنا إرهاباً وجَرَّعَتْنا من صاب الأوصاب كاساً دِهاقاً<sup>(٢)</sup>، ولم نَفْزَغْ  
إلى غير بابكم المنيع الجنب المتفتح حين سُدَّتِ الأبواب. ولم نَلْبَسْ غير نَعَائِكُمْ حين  
خَلَعْنَا ما أَلْبَسَنَا الْمَلِكُ من الأثواب...

ولقد عَرَضَ علينا صاحبُ قُتَالَةٍ مواضعٌ مُعْتَبَرَةٌ خَيْرٌ فيها<sup>(٣)</sup> وأعطى من أمانة  
المؤكِّدِ فيه خطَّهُ بأنيانهِ ما يُقْنِعُ النفوسَ وَيَكْفِيها<sup>(٤)</sup>. فلم نَرَّ- ونحن من سُلَالَةِ  
الأحمر- مجاورةَ الصُّفْرِ<sup>(٥)</sup>، ولا سَوَّغَ لنا الإيمانُ الإقامةَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الكُفْرِ.....  
ووصلت أيضاً من الشرق إلينا كُتُبٌ كريمةُ المقصدِ لدينا تستدعي الانخيازَ إلى تلك  
الجنباتِ وتَضَمِّنُ ما لا مزيدَ عليه من الرِّغَبات. فلن نَخْتَرُ إلَّا دارنا التي كانت دارَ  
آبائنا من قبلنا، ولم نَرْتَضِ الانضواءَ إلَّا لِمَنْ بَجَلَهُ وَصَلَّنَا حَبْلَنَا... امتثالاً لوَصَاةِ  
أجدادٍ لأنظارِهِم وأقدارِهِم أصالةً وِجَلالةً<sup>(٦)</sup>، إذ قد رَوَيْنَا عَمَّنْ سَلَفٍ من أسلافنا في  
الإيضاء لمن يَخْلُفُ بعدهم من أخلافنا ألا يَتَنَفَّوْا إِذَا دَهَمَهُمْ دَاهِمٌ بالحضرةِ المرينيةِ بدلاً  
ولا يَجِدُوا عن طريقها في التوجُّهِ إلى فريقها مَعْدِلاً<sup>(٧)</sup>. فاختَرَفْنَا إلى الرياضِ الأريضةِ

(١) براحتها (تورية): بيدها أو بالراحة (ضدَّ التعب) التي يجدها الإنسان فيها (في الدنيا) أحياناً. الأكياس جمع كيس (بالكسر: الوعاء الذي توضع فيه الأشياء). والكيس (بتشديد الياء المكسورة: العاقل والجمع كيس بفتح الكاف وسكون الياء (القاموس ٢: ٢٤٨). أعقل ما كانوا (في تمام عقلم)= راحة العقل وطول التفكير لا يمكن أن يتغلَّتا على مصائب الدنيا.

(٢) وأبيها: أقسم بأبي الدنيا، أقسم بالدنيا. الرهق: تحميل الإنسان ما يطيق. الصاب: المر (بضم الميم). الوصب (بفتح ففتح وجمعها أوصاب): الألم، المرض. دهاق: ملوء.

(٣) صاحب (ملك) قُتَالَةٍ: الملك فرديناند.

(٤) بخطِّه (بخطِّ يده): كتابة. الأنيان جمع بين: القسم.

(٥) من سُلَالَةِ (نسل) الأحمر (جدُّ بني الأحمر ملوك غرناطة) مجاورة (جوار) الصفر الإفرنج (بنو الأصفري: الروم، اليونان).

(٦) نرتضي=رضى. الانضواء: الانضمام، الالتجاء. وصلنا بجله حبلاً: عقدنا معه صلات وعلاقات بإرادتنا. الوصاة (بفتح الواو): الوصية، النصيحة، الأمر. الأنظار جمع نظر: رأي. القدر: المكانة والمقام. أصالة: جودة رأي.

(٧) دهمهم داهم: نزل بهم أمر مفاجئ. الحضرة المرينية=عاصمة بني مرين، أرض بني مرين. الفريق: الحزب، الجماعة (بالإضافة إلى كلِّ فريق آخر). المعدل: الميل عن الشيء... يجب أن يتوجَّهوا إلى =

الفِجَاجَ، وركبنا إلى البحرِ الْفُراتِ ظَهَرَ الْبَحْرُ الْأَجَاجُ<sup>(١)</sup>، فَلَا غَرَوَ أَنْ نَرَدَ مِنْهُ عَلَى مَا يُقَرُّ الْعَيْنَ وَيُسْفَى النَّفْسَ الشَّاكِيَةَ مِنْ أَلَمِ الْبَيْنِ<sup>(٢)</sup>. وَمَنْ تَوَصَّلَ هَذَا التَّوَصُّلَ وَتَوَسَّلَ هَذَا التَّوَسُّلَ تَطَارَحًا عَلَى سُدَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحَارِبِ لِلْمُحَارِبِينَ وَالْمُؤْمِنِ لِلْمُسْتَأْمِنِينَ فَهُوَ الْخَلِيقُ الْحَقِيقُ بَأَن يُسَوِّغَ أَصْفَى مَشَارِيهِ وَيُلْغَ أَوْفَى مَآرِيهِ عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسَّنِينَ.....

٤-★★ نفع الطيب ٤: ٤٢٩-٥٥٣؛ أزهار الرياض ١: ٧٢-١٠٣؛ الأدب المغربي ٢٩٤-٢٩٥.

### إبراهيم الفجيجي

١- هو إبراهيم بن عبد الجبار بن أحمد الشريف الفجيجي (بكسر فكسر- كما ضُبِّطَتْ فِي « النُّبُوغِ الْمَغْرِبِيِّ » ٧٧٥)، نِسْبَةً إِلَى فَجِيجٍ أَوْ فَيْقٍ، وَهِيَ بَلَدَةٌ فِي جَنُوبِي الْجَزَائِرِ.

جاء إبراهيم الفجيجي إلى فاس وأخذ العلم عن نفرٍ منهم أبو العبَّاس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت ٩١٤ هـ) وأبو عبد الله محمد بن أحمد المكناسي (ت ٩١٩ هـ) والأستاذ الصغير (؟) ثم انتقل إلى تِلْمَسَانَ وأخذ عن نفرٍ آخرين منهم أبو عبد الله محمد ابن يوسف السنوسي (٨٣٢-٨٩٥ هـ) وأبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي (ت ٨٩٩ هـ).

وفي أواخر القرنِ الْمُهْجَرِيِّ التَّاسِعِ رَحَلَ الْفَجِيجِيُّ إِلَى الْمَشْرِقِ فَأَخَذَ الْعِلْمَ فِي مِصْرَ عَنْ جَلَالِ الدِّينِ السُّيُوطِيِّ (ت ٩١١ هـ) ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَفِيهَا الْأَشْمُونِيُّ (ت نَحْوَ ٩٠٠ هـ) وَالسَّخَاوِيُّ (ت ٩٠٢ هـ) فَأَخَذَ عَنْهَا.

ثُمَّ إِنَّ الْفَجِيجِيَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ فَاسْتَغْلَ بِالتَّعْلِيمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرَكَ الْإِسْتِزَادَةَ مِنْ

= بلاد بني مرين رأساً وألاً يبدلوا اتجاههم (أو رأيهم) في أثناء الطريق.

(١) الرياض (الجنائن) الأريضة (الخصبة المزدهرة) الفجاج (جمع فج: الأرض الواسعة القاحلة). الفرات: الحلو. الأجاج: المالح.

(٢) ما يقرّ العين: ما يسرّ. البين: الفراق.

العلم. ولكن اضطراب الأحوال حمله على أن يرحل إلى السودان (غربي إفريقيا) حيث بقي مدة عاد بعدها إلى فجيح حيث توفي نحو سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م).

٢- ترك لنا إبراهيم الفجيحي عدداً من المنظومات أشهرها منظومة ذكرها بروكلمن بلفظ: «الفارد في تقييد الشارد وترصيد الوالد» (!) أو روضة السلوان (وهي طردية: في وصف الصيد، صيد الصقور للطيور والغزلان وغيرها)، وهي قصيدة في مائتين وثلاثة عشر بيتاً من البحر الطويل فيها وصف للبادية ولجالس البدو وللطبيعة الصحراوية وذكر لأحكام الصيد من الناحية الفقهية (الدينية). غير أن على هذه القصيدة شيئاً من الجفاف لكثرة الألفاظ الفقهية فيها. وللفجيحي أيضاً منظومة سماها «المفيدة» فيها كلام على الديانات وعدد من مسائل الفقه. وله أيضاً عدد من المقطعات الشعرية.

### ٣- مختارات من شعره

- من الطردية «روضة السلوان»:

يلوموني في الصيد، والصيد جامع	لأشياء للإنسان فيها منافع.
فأولها كسب الحلال أتت به	نصوص كتاب الله وهي قواطع <sup>(١)</sup> .
وصحة جسم ثم صحة ناظر،	وإحكام إجراء السوابق رابع <sup>(٢)</sup> ...
وينفي الهوم المهرمات عن الفقى،	ويقمع وقد الشيب كيلا يسارع <sup>(٣)</sup> .
ويورث عند الالتحام شجاعة،	وفيه من السر الحفي بدائع:
كندبير أمر الحرب والفتك بالعدا	وصيد أسود الإنس، والوحش تابع <sup>(٤)</sup> .

(١) - في القرآن الكريم (٩: ٢، ٩٩، سورة المائدة) ذكر التحليل. للصيد، إلا إذا كان الإنسان مُحرماً في الحج، فإذا انتهى من أداء شعائر الحج حل له الصيد (في خارج الحرمين: نطاق مكة والمدينة).

(٢) أحكام.... المعرفة بإقامة السباق بين الخيل.....

(٣) المهرم: التي تسرع بالإنسان إلى الهرم. ويقمع (يطلق، يؤخر) مجيء الشيب (يحفظ على الإنسان صحته وشبابه). يسارع (حقها النصب).

(٤) صيد أسود الإنس: التغلب على الشجعان الأقوياء من الأعداء.

بنفسي عفيفاً مُتَرَفّاً ذا نزاهة  
على هَيْكَلٍ نَهْدٍ وفوقَ شِالِهِ  
أخي، هل ترى الأَيَّامَ تَجْمَعُ شَمَلَنَا  
لدى كُلِّ رَبْوَةٍ وأَجْرَاسُ طَيْرِنَا  
فَنَقْضِي مِنَ السُّلُوانِ بعضَ غَرَامِنَا  
عَظِيمٍ ثَلَاثٍ: رَأْسِهِ ثُمَّ فَخْذِهِ  
عليه سِهَاتُ الفَتَكِ، إِمَّا نَظَرَتُهُ  
طَمُوحٌ كَثِيرُ الِاتِّفَاتِ مُسَلِّطٌ  
له في سماءِ المجدِ والسُّعْدِ طَالِعٌ<sup>(١)</sup>،  
وَقُورٌ مِنَ الصُّقُورِ أبيضُ ناصعٌ<sup>(٢)</sup>.  
ونحنَ على جُرْدٍ سِرَاعٍ نُطَالِعُ<sup>(٣)</sup>،  
لَهَا زَجَلٌ مِنْ فَوْقِنَا وَقَعَاقِعُ<sup>(٤)</sup>؛  
وَنَجْنِي جَنَى اللِّذَاتِ والِدَهرِ خَاضِعُ؟  
وَمِنْسِرِهِ لِحَزَرٍ مَا هُوَ صَادِعٌ<sup>(٥)</sup>.  
أَطَلَّتْ حَوَاجِبٌ وَغَارَتْ مَدَامِعُ<sup>(٦)</sup>.  
لَأُمِّ السُّلَاحِ الدَّهْرُ مِنْهُ فَجَائِعُ<sup>(٧)</sup>.

٤-★★ تعريف الخلف ٢: ٣-٤؛ النبوغ المغربي ٧٧٥-٧٨٤؛ بروكلمن ٢: ١٧٠، الملحق ٢: ١٦٨؛ الأعلام للزركلي (١: ٤٥)؛ الأصالة (مجلة)، الجزائر (السنة الثانية، العدد ١١) شوال-ذو القعدة ١٣٩٢ (نوفمبر-ديسمبر ١٩٧٢)، ص ١٣٩-١٤٤

## محمود بن عمر أقيت التنبكتي

١- هو أبو الثناء وأبو المحاسن محمود بن عمر بن محمد أقيت<sup>(٨)</sup> بن عمر بن علي بن

- (١) في هذا البيت يصف الشاعر صياداً. له في سماء..... ذو حظٍّ سعيد (موقن).
- (٢) هيكل (حصان عظيم الجسم) نهدي (عالي الكفين). وقور: هادي، رصين.
- (٣) المجد (جمع أجرد). حصان قصير الشعر (دلالة على كرم أصله). نطالع: نبحت عن الطرائد.
- (٤) زجل: صوت.
- (٥) هذا البيت وصف للصقر الأصيل. المنسر: الظفر. جزر: ذبح. صادع (ربما: صارع).
- (٦) سمة: علامة. من محاسن الصقر أن يكون حاجباه بارزين وعينه غائرتين.
- (٧) أمّ السلاح (بضم السين) لعله يقصد «الحباري» (وهي كثيرة الذرق: القدر يخرج من مؤخرة الطيور). وصيد الحباري بالصقور مرغوب فيه لأن طير الحباري كبير الحجم طيب اللحم. الدهر = طول الدهر، دائماً. - هو يصطاد عدداً كبيراً من الحباري (والحباري تصلل الصيادين لأن لون ريشها يكون التراب).
- (٨) على صفحة الغلاف: تاريخ الفتاش.... للقاضي محمود كمت بن الحاج المتوكل كمت الكرمني التنبكتي الوعكري، ومثل ذلك على الصفحة التاسعة. وفي «نيل الابتهاج» (ص ٣٤٣-٣٤٤): محمود بن عمر أقيت..... وليس للكتاب «تاريخ الفتاش» ذكر. وفي بروكلمن، الملحق ٢: ٧١٦-٧١٧): القاضي =

يحيى الكرمي<sup>(١)</sup> الصنهاجي الموفي<sup>(٢)</sup>، وُلِدَ سَنَةَ ٨٦٨ للهجرة (١٤٦٣ - ١٤٦٤ م) في تَنْبُكْت. ولنا نعلم شيئاً من حياته الأولى قبل أن يتولّى القضاء في بلده، سَنَةَ ٩٠٤ للهجرة (١٤٩٨ - ١٤٩٩ م) فَيَتَشَدَّدَ في الأمور وَيَتَوَخَّى العدلَ في الأحكام فيَقْمَعَ أهلَ الفساد. ومعَ ذلك، فقد كان، في الوقتِ نفسه، يقومُ بالتدريس، وكان في الغالب يُقَرِّئُ المَدُونَةَ<sup>(٣)</sup> والرسالة (لابن أبي زيد) ومختصر خليل.

وفي سَنَةِ ٩١٥ للهجرة (١٥١٠ م) كانَ في الحج<sup>(٤)</sup>، وقد لَمِيَ في مصر (في أثناء طريقه) بِنَفَرٍ من العلماء. ثم إنَّه عاد إلى بلاده واستأنفَ التدريسَ والقضاءَ والإصلاح. وطال عُمُرُهُ كثيراً حتَّى ألْحَقَ الأبناءَ بالآباء (علم أناساً ثم علَّم أبناءهم). وكانت وفاته في سادسَ عَشَرَ رَمَضانَ من سَنَةِ ٩٥٥ (١٥٤٨/١٠/١٩ م). وخلفه في القضاء أولاده الثلاثة: مُحَمَّدٌ والعاقِبُ وعُمَرُ.

٢- كان محمود بنُ عُمَرَ أقيتَ التَّنْبُكِّي هادىء الطبع قويَّ الحافظة ومن فقهاء المالكية عالمِ بلادِ التَّنُكُّورِ وصالحها ومُدْرَسُها وفقِيها وإمامها بلا مُدافع. وهو الذي أدخلَ مُختَصَرَ خليلٍ والمَدُونَةَ إلى بلاد السودان. وكذلك كان مُصَنِّفاً، له: تَقْيِيدٌ على مختصر خليل. وهو الذي بدأ تأليفَ كتابِ «الفتَّاش» (أو الفتَّاس)<sup>(٥)</sup> وعُنوانه على النسخة المطبوعة: «تاريخ الفتَّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس». أمّا على الصفحة الحادية عَشْرَةَ فيبدو هذا العُنوانُ أكثرَ تفصيلاً: «تاريخُ الفتَّاش في أخبارِ

= محمود كعت... الكرمي التنبكي، وله «تاريخ الفتَّاش». ويذكر هوار (تاريخ الأدب العربي، النسخة الانكليزية، ص ٣٩٣) محمود بن عمر هذا ولا يذكر له «تاريخ الفتَّاش». غير أن خير الدين الزركلي (الأعلام، الطبعة الثالثة ٥٦: ٨، الطبعة الرابعة ١٧٩: ٧) يذكر محمود بن عمر التنبكي ويذكر له كتاب تاريخ الفتَّاش.

- (١) الكرمي نسبة إلى كرم (بالضمّ أو بالفتح): مقاطعة قرية من تنبكت.
- (٢) صنهاجة (بالكسر) وصوفة (بالفتح) من قبائل البربر.
- (٣) المقصود هنا: المدونة الكبرى لعبد السلام بن سعيد المعروف بحنون (ت ٢٤٠ هـ) في الفقه المالكي.
- (٤) كان محمود بن عمر في الحج مع الأسكيا (الملك، الشيخ؟) محمد بن أبي بكر (راجع مطلع «تاريخ الفتَّاش» في المختارات من آثاره).
- (٥) الفتَّاس (مكان «الفتَّاش») راجع ص ١١ و ١٦ (من المقدمة الفرنسية)، وهذا يوافق الجمع: تاريخ الفتَّاس..... وأكابر الناس.

البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفرقي أنساب العبيد من الأحرار». والمؤلف قد بدأ هذا الكتاب سنة ٩٢٥ للهجرة (١٥١٩ م). ثم إن حفيده ابن المختار أتمه إلى سنة ١٠٧٦ للهجرة (١٦٦٥ م). - ولعل أحد أولاد المؤلف كان قد وهّل بالأحداث إلى سنة ١٠٠٧ للهجرة (١٥٩٩ م) (١).

وفي كتاب «الفتاش» يختلط التاريخ بالقصص الشعبي وبالخرافات أيضاً. والمؤلف نفسه يقول إنه كان في هذه الروايات أشياء لا يصدقها العقل (ص ٣٤)، مثل صنع بحر في الصحراء (ص ٣٥)، ومن أن كنت موسى لما خرج إلى الحج ما مرّ ببلد (بين السودان ومصر)، وكان يوم الجمعة، إلاّ بني في ذلك اليوم مسجداً في يومه (٢) (ص ٣٤). ومثل ذلك قصة خراب تبتكت وإعادة بنائها (ص ١٥٦).

### ٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة كتاب الفتاش:

الحمد لله المنفرد بالملك والملكوت (٣) والعزة والجبروت والقهر والغلبوت والرافة والرحموت، الملك الديان القادر التّان (٤) الذي خلق الأرض والسماء وعلم آدم الأسماء (٥) وأخرج من صلبه الملوك والرّعاء (٦)، فمنهم متكبرون قاسطون ومنهم مقتصدون

(١) تاريخ الفتاش، ص ١٨٤. راجع أيضاً المقدمة الفرنسية، ص ١٨.

(٢) بيني المجد في يوم واحد!

(٣) فعلوت (بفتح فتح) وفعلوتا (من الصيغ النادرة في اللغة العربية) يأتي عليها ست كلمات: جيروت، رحوت، رغبوت، رهوت، قهروت، ملكوت (راجع تاج العروس - الكويت ١٠: ٣٥٦). والمؤلف (هنا) استعمل «غلبوت» أيضاً. هذه الصيغ تستعمل في اللغة العربية مصادر. ولكن ما الفائدة من استعمالها مكان المصادر العادية: جير، رحمة، قهر، ملك، الخ؟ - في القاموس السرياني (الليباب لجبرائيل القرداحي، ١: ١٥٨): جيروتا (بجيم معقودة، قرية من القاف، مفتوحة وبسورها ساكنة): الرجولة. وترد هذه الصيغة السريانية (بفتح فتح فكون وواو مضمونة): المعجزة أو الآية. وأغلب الظن أن العرب أخذوا هذه الصيغ لما في لفظها من الفخامة والتأثير الغريب.

(٤) الديان: الذي يحكم بين الناس (يوم القيامة). التّان: المانع (المعطي، الواهب) الكريم.

(٥) «وعلم آدم الأسماء كلها» (القرآن الكريم ٢: ٣١، سورة البقرة).

(٦) الرعاء (بالضّم وآخرها همزة): الرعاة (جمع راع) - راجع القاموس ٤: ٣٣٥.

صالحون<sup>(١)</sup>. فَأَبْتَلَاهُمْ (جميعاً) بِظُهُورِ الْأَنْبَاءِ وَالْأَخْبَارِ<sup>(٢)</sup> فَأَهْلَكَ مِنْ أَبَاهُمْ<sup>(٣)</sup> وَصَيَّرَهُمْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. ثُمَّ أَوْرَثَ الْعُلَمَاءَ عِلْمَهُمْ وَأَخْلَفَ الْخُلَفَاءَ عَلَى أَمْرِهِمْ<sup>(٤)</sup>..... وَشَهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مَنْ أَفْرَغَ قَلْبُهُ وَهَوَاهُ لِأَمْثَالِ أَمْرِ مَوْلَاهُ<sup>(٥)</sup>..... وَشَهِدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ الْكَرِيمُ وَرَسُولُهُ الرَّحِيمُ وَصَفِيُّهُ الْحَلِيمُ وَنَجِيِّهِ الْأَمِينُ ذُو الْآيَاتِ الصَّادِقَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَاتِ، أَرْسَلَهُ مُوَطِّدًا لِلْإِسْلَامِ وَمُسَدِّدًا لِلْأَنَامِ وَمُبَيِّنًا لِلشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ.

وبعد، فلَمَّا كَانَ ذِكْرُ قِصَصِ الْأَنْبَاءِ<sup>(٦)</sup> وَالسَّلَاطِينِ وَالْمُلُوكِ وَأَكَابِرِ الْبُلْدَانِ مِنْ عَادَةِ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَعْيَانِ، اتَّخَذْنَا<sup>(٧)</sup> بَسْنَةَ الرَّسُولِ وَتَذْكِيرًا لِمَا غَبَرَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَدًّا لِلغَيْبِ عَنِ الْحَيْفِ وَالْهَوَانِ<sup>(٨)</sup> وَعَوْنًا لِلتَّقِيِّ عَلَى مُسَاعَدَةِ الْإِخْوَانِ. وَ(قَدْ) مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا بِأَنْ أَظْهَرَ لَنَا فِي زَمَانِنَا هَذَا الْإِمَامَ الصَّالِحَ وَالْخَلِيفَةَ الْعَادِلَ وَالسُّلْطَانَ الْغَالِبَ وَالْمَنْصُورَ الْقَائِمَ أَسْكِيَا الْحَاجَّ مُحَمَّدَ<sup>(٩)</sup> بْنِ أَبِي بَكْرٍ التَّوْرِدِيَّ أَصْلًا الْكُوكُوبِيَّ دَارًا وَمَسْكَنًا فَأَنَارَ لَنَا الْهُدَى بَعْدَ ظُلْمِ الدُّجَى وَأَمَاطَ عَنَّا الْهُدَى<sup>(١٠)</sup>؟ بَعْدَ الْجُبْنِ وَالرَّدَى<sup>(١١)</sup>. فَانْفَسَحَ<sup>(١٢)</sup>، بِحَمْدِ اللَّهِ، الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَتَدَاعَتْ<sup>(١٣)</sup> لَهُ الْوُفُودُ فَرَدًّا

- 
- (١) قاسط: ظالم (تأتي أيضاً بمعنى: عادل). مقتصد: معتدل.  
(٢) ابتلاهم: اختبرهم (أي اختبر الناس) بظهور الأنبياء (جمع نبي- تاج المروس- الكويت ٤: ٤٤٥).  
(٣) أباهم: رفضهم (عصى الأنبياء).  
(٤) أخلف (استخلف) الأنبياء (الأنبياء) على (تنفيذ) أمرهم (ما أمر به الأنبياء).  
(٥) هواه (ميله، رغبته): جعل رغبته قاصرة على طاعة أوامر الله. لأمثال (اقرأ: لأمثال: تقيّد، طاعة) موله (زبه).  
(٦) الأنبياء جمع نبي.  
(٧) اتخذنا لسنة الرسول أو انقياداً لسنة الرسول أو اقتداء بسنة الرسول.  
(٨) غير: مضى. الحيف: الظلم.  
(٩) الأسكيا محمد الأول: ملك امبرطورية سنغي، وكانت تضمّ جميع الحوض الأوسط لنهر النيجر وقسمًا من الصحراء الكبرى بما في ذلك المدن: ولاتن وتبكت وكاو (بكاف معقودة، تلفظ كالكاف).  
(١٠) أَمَاط: أبعد، أزال. الهدى (؟) اقرأ: الهدى. ويقال «أماط الأذى».  
(١١) الردى: الموت، الهلاك (على يد الأعداء). الجبن: الخوف، الإحجام عن العمل (قتال العدو).  
(١٢) انفسح البلدان (اتسع ملكه).- لعلها: أفتح البلدان (؟).  
(١٣) تداعت له الوفود (اجتمعت عنده الوفود من الشرق والغرب).



وَجَمْعًا. وَأَذْعَنْتْ لَهُ الْمُلُوكُ كَرْهًا وَطَوْعًا. فَصَيَّرْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ فِي خَيْرٍ وَنُعْمَى بَعْدَمَا كُنَّا فِي ضَيْقٍ وَبُؤْسٍ<sup>(١)</sup>. فَبَدَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِفَضْلِهِ، كَمَا قَالَ لِأَكْرَمِ خَلْقِهِ: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

أَرَدْتُ أَنْ نَجْمَعَ مِنْ أَحْوَالِ الْحُلُوانِ<sup>(٣)</sup>، مَعَ ذِكْرِ شَيْءٍ عَالِ الْمَلْعُونِ<sup>(٤)</sup> (؟) مَا سَهَّلَ عَلَى الْيَدِ وَاللِّسَانِ. وَإِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ التَّكْلَانُ<sup>(٥)</sup>. وَسَمَّيْتُهُ «تَارِيخَ الْفَتَّاشِ فِي أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ وَالْجُيُوشِ وَأَكَابِرِ النَّاسِ وَذِكْرِ وَقَائِعِ التَّكْرُورِ وَعِظَائِمِ الْأُمُورِ وَتَفْرِيقِ أَنْسَابِ الْعَبِيدِ مِنَ الْأَحْرَارِ».

أَعْلَمُ، رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ، أَنَّ الْإِمَامَ الْعَادِلَ وَالسُّلْطَانَ الْفَاضِلَ أَسْكِيَا الْحَاجَّ مُحَمَّدًا لَمَّا تَوَلَّى السُّلْطَنَةَ أَقَامَ<sup>(٦)</sup> طَرِيقَةً سُنْفِيًّا وَجَعَلَ فِيهَا قَوَاعِدَ<sup>(٧)</sup>: ..... وَلَا يَقُومُ<sup>(٨)</sup> لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْعَالِمِ وَالْحُجَّاجِ<sup>(٩)</sup> إِذَا قَدِمُوا مِنْ مَكَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ مَعَهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ وَالشُّرَفَاءُ وَأَوْلَادُهُمْ وَسَنَ<sup>(١٠)</sup>، وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا، رَحِمَهُ اللَّهُ. وَهَذَا كُلُّهُ (كَانَ) فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ لِتَأْلِيفِ قُلُوبِ قَوْمِهِ. فَلَمَّا ثَبَّتَتْ لَهُ السُّلْطَنَةُ وَاسْتَقَامَتِ الْمَمْلَكَةُ خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَجَعَلَ يَسْأَلُ الْعُلَمَاءَ الْعَامِلِينَ عَنْ سُنَّةِ<sup>(١١)</sup> رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَمْتَشِي عَلَى أَقْوَالِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ،

(١) البؤس: البؤس (المشقة، الفقر، الشقاء).

(٢) كما قال (الله تعالى) لأكرم خلقه (محمد رسول الله): ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (القرآن الكريم ٩٤: ٦٠٥، سورة الانشراح).

(٣) من أحواله: من أحوال الأسكيا الحاج محمد. الحلوان (؟).

(٤) شي عال (في التعليق على النص بالفرنسية، ص ١٠): أمير حكم بلاد سنفي من ١٤٦٥ إلى ١٤٩٢ للميلاد (٨٧٠-٨٩٨ هـ) وكان الملك الذي سبق آخر ملوك أسرة شي التي جاءت قبل الأسرة التي عرفت باسم الأسكيا (أسرة الحاج محمد).

(٥) إلى (اقرأ: على). التكلان (بالضم): الاتكال، الاعتماد.

(٦) أقام سنفي: عمل بها، على نط ما كانت تلك الأسرة تعمله.

(٧) سنفي (بضم فسكون ففتح فسكون) أو سني (بضم ففتح فسكون) تلك المملكة التي كانت عاصمتها كاو (بكاف معقودة - بين الفين والقاف)، وخصوصاً في الحوض الأوسط للنيجر.

(٨) قواعد - بعد هذه الكلمة عادات شخصية للذين يخدمون الملك.

(٩) يقوم: ينهض، يقف للتحية.

(١٠) اقرأ: أو للحجاج.

(١١) سن معناها: الرئيس، الأمير (ولعلها تشير إلى الفرد من أعضاء الأسرة الحاكمة).

(١٢) سنّة رسول الله = طريقته.

حَتَّى اتَّفَقَ عَلَيْهِمْ. عَصْرَهُ عَلَى أَنَّهُ خَلِيفَةُ<sup>(١)</sup>. وَمِمَّنْ صَرَّحَ لَهُ بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيُّ<sup>(٢)</sup> وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَغِيلِيِّ<sup>(٣)</sup> وَالشَّيْخُ شَمْرُوشُ الْجِنِّيُّ<sup>(٤)</sup> وَالشَّرِيفُ الْحَسَنِيُّ مَوْلَايَ الْعَبَّاسُ أَمِيرُ مَكَّةَ<sup>(٥)</sup>، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ.

- عدد من أسماء أعلامهم مضبوطاً (الفتاش ٢٥):

....وكانَ اسْمُ كَبِيرِ الرِّجَالِ الْمَذْكُورِينَ وَعَنْكُرِيُّ بْنُ بَرَّاسٍ وَاسْمُ زَوْجَتِهِ آمَنَةُ بِنْتُ بَحْتٍ، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ وَعَنْكُرِيِّ بَوَاوٍ مَفْتُوحَةٍ وَعَيْنٍ سَاكِئَةٍ وَكَافٍ وَرَاءَ مَضْمُومَةٍ<sup>(١)</sup> مُمَالَتَيْنِ فَيَاءً سَاكِئَةٍ. وَاسْمُ ثَانِي الرِّجَالِ سُفْيُ بْنُ بَرَّاسٍ، وَاسْمُ زَوْجَتِهِ سَارَةُ بِنْتُ وَهَبٍ، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ سُفْيِ بْنِ يَسِينَ وَعَيْنٍ مَضْمُومَتَيْنِ مُمَالَتَيْنِ بَعْدَهَا يَاءً سَاكِئَةٍ. وَثَالِثُ الرِّجَالِ اسْمُهُ وَنَكَرٌ، وَهُوَ أَصْفَرُهُمْ، وَلَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ، وَإِنَّمَا كَانَ لَهُ أَمْتَانِ<sup>(٢)</sup> اسْمُ إِحْدَاهُمَا سَكْرَى وَاسْمُ الْآخَرِ كَسْرَى. فَاتَّخَذَ وَنَكَرَ سَكْرَى سَرِيَّةً لَهُ.

وكانَ جَدُّ قَبِيلَةِ وَنَكَرَ بَوَاوٍ مَفْتُوحَةٍ وَنُونٍ مَدْغَمَةٍ وَكَافٍ مَفْتُوحَةٍ فَرَاءً مَفْتُوحَةٍ. وَكَانَ لَهُمْ عَبْدٌ يُسَمَّى بَيْنَكَ فَرْوَجُوهَ بِأَمْتِهِمْ كَسْرَى، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ بَيْنَكَ يَمِ مَكْسُورَةٍ مَمَالَةٍ فَيَاءً مَدْغَمَةٍ وَنُونٍ مَدْغَمَةٍ وَكَافٍ مَفْتُوحَةٍ. وَإِلَى آبَائِهِمْ نُسِبُوا. ثُمَّ تَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ. وَكَانَ كَبِيرُهُمْ وَعَنْكُرِيُّ سُلْطَانُهُمْ، وَسَمَوُهُ كَيْمَغٌ، وَمَعْنَى ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ: طَالَ الْإِرْثُ، يَرِيدُونَ بِذَلِكَ «أَطَالَ اللَّهُ وَرَثَتَنَا الْمُلْكَ».

٤- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيش وأكابر الناس (تحرير هوداس وديلافوس)، باريس (مطبعة مدرسة اللغات الشرقية، القسم الخامس، المجلد ١٩، العدد الأول) ١٩١٣؛

(١) خليفة = مستحق لقب خليفة.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المصري (ت ٩١١ هـ) من العلماء الذين برعوا في فنون كثيرة من المعرفة الإنسانية.

(٣) المغيلي (ت ٩٠٩ هـ) هذا عالم مغربي عاش جانباً كبيراً من حياته في السودان الغربي.

(٤) شمرُوش (يبدو أنه شخص خيالي) الجنِّي (نسبة إلى الجن، خلاف الإنس - بكسر الهمزة).

(٥) أمير مكة: (لم يذكر زامباور (ص ٣٢ - ٣٣) أحداً من أشراف مكة في القرنين التاسع والعاشر والحادي عشر للهجرة (الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر للميلاد) باسم العباس.

(٦) اقرأ: مضمومتين (أي الكاف والراء).

(٧) الأمة (بفتح ففتح): المجارية المملوكة.

طبعة بالتصوير: المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس (مكتبة أميركة والشرق: أدريان ميزوتوف) ١٩٦٤ م.

★★ نيل الابتهاج ٣٤٣ - ٣٤٤؛ بروكلن، الملحق ٢: ٧١٦ - ٧١٧؛ هوار (النسخة الانكليزية ٣٨٦)؛ الأعلام للزركلي ٨: ٥٦ (٧: ١٧٩)؛ مركيس ٤٦٤؛ شجرة النور الزكية ٢٧٨ (رقم ١٠٤٣).

ثالث صفر ١٤٠٣ = ١٩ / ١١ / ١٩٨٢ م.



## فهرس أعلام الأشخاص

[أ-آ]

- ابن آجرؤم = مندیل  
ابن الأبار القضاعي (٢١٠-٢١٧)، ٦،  
١٦، ١٧، ٨٠، ٩٩م، ١١٠، ١٥٩،  
٣٤٨-٣٤٩، ٣٧٦ ح.  
ابن أبي البقاء البلنسي-محمد بن-محمد  
(١٣٤-١٣٥).  
ابن أبي بكر = أسكيا الحاج محمد  
ابن أبي بكر التطواني-محمد ٥١٦.  
ابن أبي بكر الصغير-محمد ٥٨٦.  
ابن أبي بكر-محمد بن يحيى ٨١.  
ابن أبي جعفر = أحمد  
ابن أبي جرة الأندلسي-عبد الله ٥٦، ٥٩.  
ابن أبي حجلة (٥١٧-٥٢١).  
ابن أبي الحسين-محمد (٢٥٣-٢٥٥).  
ابن أبي حمزة = ابن أبي جرة  
ابن أبي خرص = أبو محمد ١٤٠ ح، ١٤١.  
ابن أبي الحصال ٢١٥ ح.  
ابن أبي الربيع القرشي-عبيد الله بن أحمد  
(٣١٧-٣١٦)، ٣٣٦-٣٣٧، ٣٨٢م،  
٣٩٩، ٤٠٩، ٤٤٥م.  
ابن أبي الرجال القيرواني-علي ٦١٢.  
ابن أبي ربحانة الربلي-الحجاج ٣٤١.  
ابن أبي زرع-علي (٤٠٦-٤٠٨).  
ابن أبي زيد القيرواني ٦٠، ٦١م، ٦٥،  
٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٦٩١ ح، ٦٦٨ ح،  
٦٧٤، ٦٧٩، ٦٩٦، ٧٠٦.  
الآبلي-محمد بن إبراهيم ٥٤٠، ٥٤٤م.  
الآبي-صالح ٢٠٩.  
آدم ١٩٩ حم، ٢٣٩ ح، ٣٠٧، ٣٢٠،  
٤٣٣ ح، ٥٠٢.  
آل ياسين-محمد حسن ٤٣٠.  
آمنة بنت وهب ١٨٠ حم.  
الأبدي ٣٩٩، ٤١١\*.  
إبراهيم ١٧٨ ح.  
إبراهيم بن أبي بكر التلمساني (٣٠٧-  
٣١٩).  
إبراهيم بن علي-أبو سالم (السلطان المربني)  
٥٠٥م، ٥٠٧.  
إبراهيم الفيجي (٧٠٣-٧٠٥)، ٧٠.  
إبراهيم بن محمد = الطويجن  
إبراهيم بن محمد المرسى ٧٢.  
إبراهيم بن يحيى الفرناطي ٦١.  
إبراهيم بن مخلف المطاطي التلمساني ٣٦١.  
إبراهيم بن يزيد = النخعي.  
إبركان-الحسن ٨٠.  
أبرهة الحبشي ٣٠٦ ح.  
إبليس ٩٦م، ٤٣٣م.  
ابن آجرؤم-أبو عبد الله محمد (٣٩٣-  
٣٩٩)، ٥٣، ٤٤٩، ٤٩٦، ٥٨٠،  
٥٨٦.

(٣٦٨ - ٣٦٩)، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٦٥ م،  
٤٣٦، ٣٨٣.

ابن الأحمر - محمد بن يوسف بن اسماعيل (٨)  
٤٨٤ م، ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥١١، ٥٧٠،  
٦١٧ م، ٦١٨، ٦٢٦ ح م.

ابن الأحمر - محمد بن يوسف بن نصر (١)  
٢٦٦ م، ٢٨٧.

ابن الأحمر - محمد بن محمد بن يوسف بن نصر  
(٢) ٣٦٥، ٣٦٦ - ٣٦٧، ٣٨٢،  
٤٢٦ م، ٤٨١.

ابن الأحمر - نصر بن محمد (٤) ٩٢، ٤٣٩.  
ابن الأحمر - يوسف بن اسماعيل بن فرج (٧)  
١٠٤ - ١٠٦، ٤٣٩، ٤٤٩ ح،  
٤٦٥ ح، ٤٦٨، ٤٩٠، ٥٠٤ م، ٥٠٧،  
٥٤٦، ٥٥٨، ٥٧٠، ٦١٥.

ابن الأحمر - يوسف بن محمد بن اسماعيل (١٦)  
٤٨٢.

ابن الأحمر - يوسف بن محمد بن فرج (١٠)  
٦١٥.

ابن الأحمر - أبو الحجاج بن نصر (والي  
مدينة وادي آش) ٣٦٨ م.

ابن الأحمر - يوسف بن يوسف (١٣)  
(٦٢٣ - ٦٢١).

ابن الأحوص - أبو علي ٤١١.  
ابن أدبية (٩) - محمد ٥٦٦.  
ابن الأزرق - محمد بن علي (٦٦١ - ٦٦٥)،  
٦٨، ٨٥ م، ٦٧١.

ابن اسماعيل الطائي - محمد بن عبد الله ٤٤٤.

ابن أبي الشكر (شكر) - يحيى بن محمد ٨٨ م،  
٨٩ ح.

ابن أبي صالح - عبد الله ١٦٢ ح.  
ابن أبي العيش - علي بن محمد ٤٥٢، ٤٥٥،  
٤٨٩.

ابن أبي العيش - محمد ٥٣٠.  
ابن الأثير - ضياء الدين ٤٧٠ ح.

ابن الأثير - مجد الدين ٣٧٣.  
ابن أحمد الكناسي - محمد ٧٠٥.  
ابن الأحمر (؟) ٢١ م، ٦٨٥ م.

ابن الأحمر (لقب كل سلطان في غرناطة)  
١٠١، راجع ٣٥٧.

ابن الأحمر (\*) - اسماعيل بن فرج (٥) ٤٣٩،  
٤٦٦ - ٤٦٧.

ابن الأحمر - اسماعيل بن محمد بن فرج (٩)  
٦١٥ ح.

ابن الأحمر - اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل  
(٩) ٥٠٥.

ابن الأحمر - اسماعيل بن يوسف بن محمد (١٠)  
(٦١٥ - ٦٢١)، ٨١.

ابن الأحمر - سعد بن علي (١٨) ٦٤١.

ابن الأحمر - علي بن سعد (١٩) ٦٤١ ح.

ابن الأحمر - محمد بن اسماعيل بن محمد (٦)  
٤٣٦، ٤٣٩.

ابن الأحمر - أبو عبد الله محمد بن علي (آخر  
ملوك غرناطة) ٦٩٨، ٧٠٠ - ٧٠٣.

ابن الأحمر - محمد بن فرج (١٠) ٦١٥.

ابن الأحمر - محمد بن محمد بن محمد (٣)

(\*) إن الرقم المحصور بين هلالين كبيرين يدل على مرتبة صاحبه في سلسلة ملوك بني الأحمر في غرناطة.

أبو بكر - أبو عبد الله ٤٥٥ .  
 ابن البناء الإشبيلي - محمد بن أحمد (١٦٧) -  
 (١٦٩) .  
 ابن البناء العددي - أحمد بن محمد (٣٨٨) -  
 (٣٩٣) ، ٦ ، ٥٣ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٤٨٠ م .  
 ٦١٤ ، ٦٣٧ م ، ٦٦٦ .  
 ابن البناء السرقطي - أحمد بن يوسف ٧٥ .  
 ابن بيش العبدري ٥٧٠ .  
 ابن البيطار - عبد الله بن أحمد ٣٧١ ،  
 ٥٧٧ م .  
 ابن تافراكين - أبو محمد ٥٨٧ .  
 ابن تاويت الطنجي - محمد ٤٠٦ ، ٤٤٩ ح ،  
 ٦٠٦ ، ٦٠٧ م ، ٦٣٠ .  
 ابن تيفاوت = محمد بن تيفاوت  
 ابن تميم الحراfi - أحمد ١١٠ - ١١١ ،  
 ٢١٧ ، ٤٢٧ م ، ٥٦٦ ح م ، ٥٩٥ ح .  
 ابن جابر الأندلسي - شمس الدين محمد بن  
 علي (٥٣٠ - ٥٣٧) ، ١١٤ ح م ، ٥٠٤ ،  
 ٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٥٥ .  
 ابن جابر الوادي آشي - شمس الدين محمد  
 (٤٤٣ - ٤٤٥) ، ٤٤٢ ح ، ٥٠٤ .  
 ابن جابر = عنان  
 ابن جابر الغساني - محمد بن يحيى (٦٢٣) -  
 (٦٢٥) ، ٥٤ .  
 ابن جامع = عنان ابن جابر  
 ابن جامعة - عمر ٧٣ .  
 ابن جبريل - زين الدين ٣٩٧ .  
 ابن جبير - محمد بن أحمد ١١٢ ، ١١٤ -  
 ١١٥ ، ٢٣٠ .  
 ابن الجد التونسي - أبو القاسم ٢٨٦ .  
 ابن جدو ٤٠٤ .

ابن الأشقر الحضرمي = بكرون  
 ابن الأغبر - أبو جعفر ٤٨٩ .  
 ابن أقيت - أبو بكر بن أحمد التنبكي  
 ١٣٣ .  
 ابن أقيت = بابا التنبكي  
 ابن الإمام - عبد الرحمن ٤٧٢ .  
 ابن الإمام - عيسى ٤٧٢ .  
 ابن أبيك الصفدي - خليل ٤١٧ - ٤١٨ ،  
 ٤٥٢ .  
 ابن بابشاذ المصري ٢٥٠ .  
 ابن باجه ١٨٥ م .  
 ابن باديس - الحسن ٦١١ .  
 ابن بجرق = بجرق  
 ابن بدرون - عبد الملك ١٩٠ .  
 ابن البراء - أبو القاسم ٢٠٥ .  
 ابن برآجان - عبد الحكيم ٧٢ .  
 ابن برال التونسي ٤٩٦ .  
 ابن البرذعي = البرذعي  
 ابن برطال - أبو علي ٤٢٠ .  
 ابن برّي - عبد الله ٥٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ .  
 ابن برّي - علي بن محمد ٥٣ م ، ٥٤ م .  
 ابن برز = مؤيد الدين القمي  
 ابن بسم السنتري - علي ٣٧١ .  
 ابن بشكوال - خلف بن عبد الملك ١٥٥ ،  
 ٣١١ ، ٣٤٧ م ، ٣٤٨ م ، ٣٥٩ .  
 ابن بشير (?) ٦٣ م .  
 ابن بطوطة (٥٢١ - ٥٢٧) ، ٦ ، ٥٤ ، ٥٧ ،  
 ٨١ ، ٤٦٩ .  
 ابن البقال - محمد ٥٣ ، ٧٢ .  
 ابن بقي - أحمد بن يزيد ٢٣٥ ، ٣١٧ ،  
 ٣٣٦ ، ٤٤٤ .

- ابن الجزولي = الجزولي  
ابن جزّي - أبو إسحاق ٦٢٦ .  
ابن جزّي - أبو بكر ٦٢٦ .  
ابن جزّي - أحمد بن محمد (٥٥٨ - ٥٦٠) .  
ابن جزّي - أبو محمد عبد الله ٦٢١ .  
ابن جزّي - أبو القاسم محمد بن أحمد (٤٢٠ - ٤٢٦) ، ٦٠ ، ٤٢١ ، ٤٥٥ (؟) .  
ابن جزّي - محمد بن محمد (٤٦٨ - ٤٧١) ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٢٢ م .  
ابن الجلاب الفهري - محمد بن أحمد ٤٥٨ ، ٦٦٩ ، ٦٨٨ .  
ابن جلال الدين - محمد ٧٨ .  
ابن جماعة - محمد بن إبراهيم ٦٢ ، ٣٣٢ (؟) .  
ابن الجنان ٦٧ .  
ابن الجنان - محمد بن سعيد (٢٧٣ - ٢٧٥) .  
ابن الجنان - محمد بن محمد (١٩٦ - ٢٠٤) ، ١١٧ - ١١٩ ، ٢٢١ .  
ابن جني - عثمان ٢٧١ م .  
ابن الجواليقي - أبو علي ٢٣٥ .  
ابن جودي ١٨٥ م .  
ابن الجوزي - أبو الفرج ١١٣ ، ٣٧٠ - ٣٧١ .  
ابن الجياب - علي بن محمد (٤٣٨ - ٤٤٢) ، ٣٦٥ ، ٤٧٨ م ، ٥٠٤ م ، ٥٠٧ .  
ابن الجيان = ابن الجنان - محمد بن محمد  
ابن الحاج - أبو سعيد ١٥٥ .  
ابن الحاج السلمي - أحمد بن محمد بن حمدون ٢٧٠ .  
ابن الحاج - الطالب بن محمد بن حمدون ٢٦٩ م ، ٢٧٠ ، ٦٣٢ .  
ابن الحاج البليقي - أبو البركات محمد بن محمد
- (٤٩٨ - ٥٠٣) ، ٤٨٩ ، ٥٠٤ ، ٥٦٣ ، ٥٧٠ .  
ابن الحاج البصري - محمد بن محمد ٧٤ ، ٤٩٨ .  
ابن الحاج النيري - إبراهيم بن عبد الله (٤٨٣ - ٤٨٩) ، ٤٩٨ م ، ٦٢٦ .  
ابن الحاجب - أبو عمرو عثمان بن عمر ٦٠ م ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ م ، ٦٨ م ، ٢٦٠ ، ٤٤٣ ، ٥٤٧ م ، ٥٧٧ م ، ٦٣٦ م ، ٦٦٨ م ، ٦٦٩ م ، ٦٨٩ م .  
ابن الحباك - محمد بن أحمد ٩٠ .  
ابن حبيب الدمشقي - الحسن بن عمر ٥٣٤ ح .  
ابن الحجاج - أبو الوليد ٣٨٨ .  
ابن حجر = عمرو القيس  
ابن حجر الصقلاني ٦٣٥ ، ٦٦٦ .  
ابن حجر الهيثمي ١١٣ .  
ابن حجة الحموي ٥٣١ ح ، ٥٣٦ .  
ابن حرازم (حرزم) - محمد ٢٠٤ .  
ابن حريث - أبو عبد الله ٤١٣ .  
ابن حزام ٣٠٩ م .  
ابن حزم - أبو بكر بن طلحة ١٥٤ .  
ابن حزم - أبو العباس بن طلحة ١٥٤ .  
ابن حزم = طلحة .  
ابن حزم الكبير - علي بن محمد ٥٢٠ ح .  
ابن حسان الوادي آشي - محمد بن جابر ٤٨٩ .  
ابن الحسين = المتنبي  
ابن الحصار - أبو جعفر ١٣٨ م ، ٢١٠ .  
ابن حفص اليحصي ٢٥٥ .  
ابن حكم السوي - إبراهيم ٤٧٢ .



ابن الخطيب - عبد الله بن سعيد (والد لسان الدين) ٤٦١، ٥٠٤.

ابن الخطيب - ؟ بن عبد الله (أخو لسان الدين) ٤٦١.

ابن الخطيب = عبد الله بن لسان الدين

ابن الخطيب = لسان الدين

ابن الخطيب = ابن قنفذ

ابن خفاجة ٩٧، ٥٩٩.

ابن خلاص - أبو علي ١٧٤.

ابن خلاص (صاحب سبته) ١٩٦.

ابن خلدون - محمد (جد عبد الرحمن) ٥٨٦.

ابن خلدون - محمد (والد عبد الرحمن) ٥٨٦.

ابن خلدون - عبد الرحمن (٥٨٦ - ٦١٠)،

٦، ١٩، ٢٠، ٣٣، ٥٧، ٥٨، ٦٣،

٦٣، ٨١، ٩٣، ١٢٧، ٢٧٢، ح،

٣٨٩، ٤٤٩، ح، ٥٠٥، ٥٤٠، ٥٤٤، ح،

٦٣٤، ٦٦٣، ٦٦٤.

ابن خلدون - يحيى (٥٤٠ - ٥٤٦).

ابن خلّكان ١٦٢ ح.

ابن الخلوف = شهاب الدين

ابن خيس - أبو بكر محمد ١٤١ ح.

ابن خيس التلمساني - محمد بن عمر (٣٦١ -

٣٦٥)، ٣٩٩، ٦١٣ - ٦١٤.

ابن خيس - أبو علي ٣٥٧.

ابن الخوجة - محمد الحبيب ٣١٢، ٣٨٧.

ابن خيار - ثابت ٢٦٠.

ابن الدارس - يعقوب ٤٤٩.

ابن داوود الصنهاجي - علي بن محمد ٦١٥.

ابن الدبّاج (الديبج) الإشبيلي - علي بن جابر

(١٧٠ - ١٧١)، ١٦٧، ١٧٤، ٢٣٧،

ابن حكم القرشي = سعيد بن حكم

ابن الحكيم الرندي (٣٦٥ - ٣٦٧)، ٣٦٢،

٣٨٢ م، ٣٨٣، ٤٤٧ - ٤٤٨، ٤٦٨ م.

ابن الحمارة - علي ١٨٥ م.

ابن حمدون = ابن الحاجّ السلمي

ابن حمدون = ابن الحاجّ (محمد الطالب)

ابن حوط الله (حوطله):

ابن حوط الله - أبو سليمان داوود ٢١٠،

٤٤٤.

ابن حوط الله - أبو عمر ٣٩٩ م.

ابن حوط الله - أبو محمد عبد الله ١٤٤،

١٤٧ م، ١٩٠، ٢١٨، ٤٤٤.

ابن حيّان - خلف بن حسين ١٩٢ م.

ابن حيّان - محمد ٤٤٤.

ابن حيدور (هيدور) - علي بن موسى؟؟

ابن خاتمة - أحمد بن علي (٤٨٨ - ٤٩٤)،

٥٦٤، ٥٦٣، ٦.

ابن خاتمة السبي = ابن هاني السبي

ابن الخاسر المريني = أبو الحسن ١٨٥ م.

ابن الخراط - عبد الحق ٤٣٦ ح، ٥٤٧.

ابن خروف - أبو الحسن ١٧٠، ١٩٠،

٢٣٠، ٢٤٠.

ابن الخضر - علي بن محمد ٣٨٢.

ابن خضر الشاطبي - أحمد بن محمد ٥٣.

ابن خطّاب النحوي - عزيز بن عبد الملك

١٩٦.

ابن خطّاب النافقي - محمد بن عبد الله

٣٦١.

ابن الخطيب (؟) ٦٠.

ابن الخطيب - سعيد = الخطيب (جد لسان

الدين)

ابن زرقون- أبو الحسين (الحسن) ٢٧٧،  
٢٨٦.

ابن زرقون- أبو عبد الله ١٩٠.

ابن زرقون- محمد بن محمد ٢٤٠.

ابن زريق البغدادي ٦٢١.

ابن زكري التلمساني- أحمد ٦٨، ٧٤ م.

ابن زمرك- محمد بن يوسف (٥٦٩-٥٧٦)،

١٢٧-١٣١، ٥٠٥ م، ٦٢١.

ابن زهر- أبو بكر ١٥٤، ١٦٤ م، ٤٨٧.

ابن الزيات الصوفي- أبو مهدي ٦٢١.

ابن الزيات الكلاعي- أحمد بن الحسن

(٤٠٩-٤١١)، ٥٣، ٤٦٠.

ابن زيتون- أبو القاسم بن أبي بكر ٣٥٤،

٤١٥ ح.

ابن زيتون- يحيى بن الفرج ٤١٥.

ابن زين الدين= أحمد

ابن زين الدين الحمصي ٢٦٨ م.

ابن زيني دحلان= دحلان

ابن سالم= أبو الربيع

ابن سبعين- عبد الحق ٢٤٦ م، ٣٣٠.

ابن السداد- أبو عيسى ١٩٦.

ابن السراج الرعيني- محمد بن سعيد ٥٧-

٥٨، ٦٢، ٧٢، ٦١٥.

ابن سراج الفرناطي- أبو القاسم ٦٣٧ م،

٦٤١ م، ٦٤٣ م، ٦٤٧ م

ابن سراقه الشاطبي- محمد بن أحمد (٢٣٥-

٢٤٦)، ٢٣٧.

ابن سعدى (= أوس بن حارثة).

ابن سعيد التونسي ٢٦٨، ٢٦٩.

ابن سعيد الغنسي- أحمد بن عبد الملك

٣١٤-٣١٣

٢٤٨، ٢٧٥، ٢٨٦، ٣١٢، ٣١٧،  
راجع ٣٣٥.

ابن دريد ٢٩٨-٢٩٩، ٣٧١، ٥٣٥،  
٥٨٠.

ابن دقيق العيد- تقي الدين ٤٠٢ م،  
٥٤٧ ح.

ابن دهان ٤٣١، ٤٣٢ ح.

ابن الديع الشيباني ١١٣.

ابن دينار- عيسى ٥٥٩ م.

ابن ذي يزن ٢٧٢ م، ٢٨٨ م.

ابن راهويه= إسحاق

ابن ربيع الأشعري- أبو عامر ٤٢٠.

ابن ربيع الأنصاري- عبد الحق ٣٥٤.

ابن الرّحال المعداني- الحسن ٦٣٢.

ابن رشاد القفصي ٤٥٨.

ابن رشد الفقيه (الجّد) ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٢.

ابن رشد الفيلسوف (الحفيد) ١٤٨، ٥٩١ م،

٦١٠ ح.

ابن رشيد السبتي (٣٨٢-٣٨٧)، ٥٦،

٤٣٩، ٤٤٩، ٤٧٨.

ابن رشيّق القيرواني ٢٨٦.

ابن الرّصاع التلمساني- محمد بن القاسم ٥٩.

ابن الرعيني= ابن السراج

ابن الرقام السبتي- القاسم بن سعد ٧٤.

ابن الرقام المرسى- محمد بن إبراهيم ٨٧.

ابن الرومي ٢٩٧ ح، ٥٩١.

ابن الزبير= أبو جعفر بن الزبير

ابن الزبير- الزبير بن أحمد ٧٩.

ابن زرقاله- أبو جعفر أحمد (الجّد) ٥٦٣.

ابن زرقاله- أبو جعفر أحمد (الحفيد)

(٥٦٣-٥٦٥).

ابن سعيد العنسي - عبد الرحمن بن عبد الملك ٣١٤ .

ابن سعيد العنسي - علي بن الحسن (٣١٢ - ٣١٧)، ٨٠، ١٥١، ح ١٨٣ .

ابن سعيد العنسي - محمد بن سعيد (١٤٨ - ١٥٢) .

ابن سعيد العنسي - موسى بن محمد بن عبد الملك ١٤١ م، ٣١٤ .

ابن سفر المرتبي - محمد بن عبد الله (١٥٩ - ١٦١) .

ابن السكّك المكناسي - محمد بن محمد ٧٩ .

ابن سلامة البكري - علي بن عيسى ٧٦ .

ابن سلمون البياسي - أبو القاسم بن علي ٦١ .

ابن سلمون الكنائي - عبد الله بن عبد الله ٤٧٠ ح .

ابن سلمون الكنائي - عبد الله بن علي ٦٠، ٦١ .

ابن سليمان - يوسف ٦٦٥ .

ابن السّمّاط المهدوي - يوسف بن علي (٣١٩ - ٣٢٣) .

ابن السّمّك - محمد بن إبراهيم ٤٥٥ ح .

ابن سّمّك - محمد بن محمد (٤٥٥ - ٤٥٧) .

ابن سّمّك - يعيش بن إبراهيم ٨٧ .

ابن سمعت (سمعة) - أبو الحسن ٦٤١ .

ابن سهل الإشبيلي (١٧٤ - ١٨٣)، ١١٧ م، ١٢٠ ح، ١٢٢ م، ٥٠٧ .

ابن سودة = التاودي

ابن سيّد الناس - أبو القاسم ٤٥٢ .

ابن سيّد الناس - عبد الله ٢٣٢، راجع ٢٢٩ .

ابن سيّد الناس - قنح الله ٤٥٢ .

ابن سيّد الناس - محمد بن أحمد (٢٢٩ - ٢٣٣) .

ابن سيّد الناس - محمد بن محمد ٥٦ .

ابن سيده - أبو الحسن ٢٥٣، ٣٧١ .

ابن سيدي - أبو علي ١٤٥ .

ابن سينا ٢٩٢، ٢٩٧ م، ٤١٥ م .

ابن شاس - محمد ٦١، ٦٣ م، ٦٨ .

ابن الشاط - القاسم بن عبيد الله ٥٦، ٦٠، ٧٢، ٤٢٠، ٤٤٥ .

ابن شبرين (٤٣٦ - ٤٣٨) .

ابن الشّحات الشرقاوي - هاشم ٢٣٥ م .

ابن شدّاد - أبو الحسن ٢٣٥ م .

ابن الشّرّان الغرناطي - محمد بن إبراهيم ٦٥ - ٦٦ .

ابن شرف التلمساني ٦٦١ . ؟؟؟؟

ابن شريح الإشبيلي - محمد بن أحمد ٢٤٠ - ٢٤١ .

ابن الشريف = الشريف التلمساني، الشريف الحني

ابن شريفة - محمد ٢٢٤ .

ابن شريك الداني - علي بن يوسف ١٩٤ .

ابن شعيب القاسي - محمد بن أحمد ٦١ .

ابن شعيب القتالي - محمد بن أحمد ٦١٥ .

ابن شعيب القيسي ٤٨٩ .

ابن شعيب الكرياني = الجزنائي الكرياني

ابن الثلويين = أبو علي

ابن شنب - محمد ٢١٦، ٣٥٦ .

ابن الشيخ - أبو الحجّاج ٣٦٠ .

ابن الصائع (?)

ابن الصائع - (؟) ٣٩٩ ح، ٤١١ م .

ابن الصائع المغربي - محمد بن عبد الله

- ابن عاصم - أبو يحيى (أخو أبي بكر) ٦٤١ .  
 ابن العاصي التنوخي - إبراهيم ٤٨٩ .  
 ابن عاند - يحيى ١٥٥ .  
 ابن عبّاد الرندي (٥٦٥ - ٥٦٩) ، ٧٥ .  
 ابن العباس التلمساني - محمد ٦٨٨ .  
 ابن عبدالله - عبد العزيز ٥١٦ م .  
 ابن عبد الله - محمد بن محمد ٢٦٦ .  
 ابن عبد البر - إبراهيم ٦٧١ .  
 ابن عبد البر - يوسف بن عبد الله ٤٥٨ .  
 ابن عبد الجليل = محمد بن عبد الجليل .  
 ابن عبد الجليل التنسي - محمد بن عبد الله  
 (٦٨٠ - ٦٨٢) ، ٨٢ .  
 ابن عبد الحق المشدّال = المشدّالي  
 ابن عبد الدايم ٣٣٤ .  
 ابن عبد ربّه (صاحب «العقد» ) ٨٣ ،  
 ٣٧١ .  
 ابن عبد السلام = العزّ  
 ابن عبد السلام - (?) ٦٧ .  
 ابن عبد السلام المستيري - محمد ٤٦٠ ،  
 ٤٩٦ .  
 ابن عبد السيّد - أبو محمد ٤٠٣ م .  
 ابن عبد الصنوع ٢٧٠ .  
 ابن عبد العزيز الأنصاري = محمد بن محمد  
 ابن عبد الكافي السعدي - عبد الغفار ٤٤٣ .  
 ابن عبد الملك المراكشي - محمد بن محمد  
 (٣٤٦ - ٣٥٣) ، ٦٠ ، ٦٠ ، ٢٣٠ ، ٤٨٠ .  
 ابن عبد الملك = ابن خطّاب النحوي  
 ابن عبد المنان المكناسي - أحمد بن يحيى  
 ٦٢٤ .  
 ابن عبد المنعم الحميري - محمد بن عبد الله  
 (٦٥٢ - ٦٥٦) .  
 (٤٥٢ - ٤٥٥) ، ٤١١ م  
 ابن الصباح - أبو صادق ٢٦٠ .  
 ابن الصبّاغ - (?) ٤١١ .  
 ابن الصبّاغ الحميري - محمد بن أبي القاسم  
 ٧٥ .  
 ابن الصديق - أحمد ٦٠٧ .  
 ابن الصغير الزرويلي - عليّ بن عبد الحقّ  
 ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٦٩٢ - ٦٩٣ .  
 ابن صفر = ابن سفر المرّبي  
 ابن صفوان - أحمد بن إبراهيم (٤٨٠ -  
 ٤٨٣) ، ٥٠٧ .  
 ابن الصلاح - عثمان بن عبد الرحمن ٦٦٨ م .  
 ابن الصقيل = النجيب .  
 ابن الطّبّاع ٤٢٦ م .  
 الطبري = نجم الدين .  
 ابن طركاظ - أبو القاسم ٦٤٣ - ٦٤٤ .  
 ابن الطفيل (?) - ٢٨٥ .  
 ابن الطفيل = عبد الرحمن .  
 ابن طلحة الإشبيلي - أبو بكر ١٦٧ ، ١٧٠ ،  
 ١٩٠ .  
 ابن الطيّب - الطيّب بن محمد ١٩٤ .  
 ابن الطيلسان - أبو القاسم ٢٧٦ .  
 ابن الطيلسان - القاسم بن محمد ٥٥ .  
 ابن ظفر المالكي - محمد بن عبد الله ٨٣ .  
 ابن عابد الفاسي - محمد بن عليّ ٥٤ .  
 ابن عات - أبو عمر ١٩٠ ، ٢٠٨ (٢١٨؟) .  
 ابن عاشر - أحمد بن عمر ٥٦٦ .  
 ابن عاصم - أبو بكر (٦٢٥ - ٦٣٣) ، ١٧ ،  
 ٦٤٢ ، ٩٦٥ .  
 ابن عاصم - أبو يحيى بن أبي بكر (٦٤١ -  
 ٦٤٨) ، ١٧ ، ٢١ ، ٦٢٦ ح م .

ابن عبد المؤمن - أبو إسحاق (حاكم إشبيلية)  
١٦٤.

ابن عبد المؤمن - إسماعيل ١٣٥

ابن عبد المؤمن - عثمان (والي غرناطة) ٣١٤ م.

ابن عبد المؤمن - محمد بن عمر (والي بلنسية)  
١٦٨.

ابن عبد المؤمن = المنصور الموحد

ابن عبد المؤمن = (الناصر الموحد) - محمد  
٢٩، ١٦٤.

ابن عبد المؤمن - يوسف ٩٨ م.

ابن عبد النور التونسي ٦٣٧ م.

ابن عبد النور السبي - محمد ٢٤٠.

ابن عبد النور المالقي - أحمد (٣٤١ -  
٣٤٦).

ابن عبد الواحد المجاصي - عبد الله ٤٧٢.

ابن عبدون - عبد المجيد ٩٦، ٢٧٢، ٦٨٠،  
٦٩٨.

ابن عبدون المكناسي - محمد (٢٣٣ - ٢٣٥)،  
٥٢.

ابن عبيد الحجري = الحجري

ابن عبيد (؟) الإشبيلي النحوي - أبو بكر  
٤١٣، ٤٣٦.

ابن عتيق = ابن عربية

ابن عتيق اللاردي - محمد ٥٥.

ابن عتيق المرسي - الحسين (٣٢٢ - ٣٢٥).

ابن عجلان القيسي - أحمد بن عثمان ٣٥٣.

ابن عجية = مرزوق.

ابن العديم - كمال الدين ٢٧٣، ٣١٢ -  
٣١٣.

ابن العديم - مجد الدين ٢٧٣.

ابن عذارى المراكشي - أحمد (٤٠٤ -

٤٠٦)، ٨٠، ٤٠٧.

ابن عربي - محيي الدين ١١٦ - ١١٧،  
٦٥٠ ح.

ابن العربي - أبو بكر ٩٧ - ٩٨.

ابن العربي العقيلي = محمد بن العربي  
ابن عربية - عثمان (٢٢٤ - ٢٢٧).

ابن عرفة - أحمد ٤٦٨ م.

ابن عرفة الورغمي التونسي - محمد ٦٤، ٦٧،  
٦٨ م، ٥٧٧، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٨،

٦٣٩، ٦٩١ - ٦٩٢.

ابن عروس - أحمد ٧٥.

ابن عريية = ابن عريية

ابن العريف - أبو العباس ١١٣ - ١١٤

ابن عزّوز = إسماعيل

ابن عزّوز - محمد المفضل ٧٦.

ابن عساكر - أبو الفضل ٤١٥، راجع ٣٧٠.

ابن عسكر - محمد بن علي (١٤٠ - ١٤٤).

ابن عصفور الإشبيلي - أبو الحسن عليّ  
(٢٤٨ - ٢٥٢)، ٦، ١٦٢ ح م، ٣١٢،

٣٤٢، ٣٧٦ ح.

ابن عصفور - أبو العباس علي ٣١٧.

ابن عصفور - أبو البركات محمد ٦٨٣.

ابن عطاء الإسكندري - أحمد بن محمد

٧٦ ح، ٢٠٩، ٥٦٦ ح، ٥٦٧،

٦٧٧ - ٦٧٩.

ابن عطية - أبو الحسن ١٦٧.

ابن عطية - أبو محمد ٢٧٦.

ابن غفير - أبو الوليد ٣٤٦.

ابن عقاب - قاسم ٦٦٥.

ابن عقبة القفصي - أبو بكر (٦٣٣ -

٦٦٤)، ٦٦.

- ابن عقيل - عبد الله بن عبد الرحمن ٢٦٦ ،  
٢٦٨ م ، ٢٦٩ م ، ٢٧٠ .  
ابن علاق - محمد ٣٣٤ ، ٦٢١ ، ٦٢٦ .  
ابن علوان التونسي - عمر ٣٧٧ .  
ابن عمار = ثابت  
ابن عمار الصغير ٦٠٨ .  
ابن عمر الملكيشي = الملكيشي  
ابن عمران العبدوسي = العبدوسي  
ابن عمرو ٢٦٠ .  
ابن عميرة الضيّ - أحمد بن يحيى ٢١٧ ح ،  
٤٧٠ ح .  
ابن عميرة الضيّ اللورقي - أحمد بن عبد  
الملك ٢١٧ ح .  
ابن عميرة = أبو المطرف  
ابن عنين - محمد بن نصر الله ٥٢٠ ح .  
ابن عيَّاش - أبو العباس ٢٧٦ .  
ابن عياض - أبو محمد (متبدّ بشرق  
الأندلس) ١٥٠ م .  
ابن غاز المكناسيّ (٦٩٥ - ٦٩٧) ، ٥٥ ،  
٥٩ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ١٣٢ م .  
ابن غالب الأنصاري محمد ١٤٧ م .  
ابن غانية الميورقي ١٧٢ م .  
ابن غلاب المِراقّي - عبد السلام ٥٩ .  
ابن غلبون المرسي - محمد ١٩٤ .  
ابن الغمّاز البلسيّ (٣٢٥ - ٣٢٧) ،  
٣٧٦ ح .  
ابن غياث الشريشي (١٣٤ - ١٣٧) .  
ابن الفارض = عمر  
ابن قنّوح - إبراهيم بن أحمد ٦٦١ ، ٦٦٣ ،  
٦٦٥ .  
ابن الفخّار الإلبيري - (؟) ٥٥٥ ، ٥٧٠ .
- ابن الفخّار الجذامي - محمد بن علي (٣٩٩ -  
٤٠١) ، ٦٠ ، ٤٥٥ ، ٥٠٤ (؟) .  
ابن الفخّار الرعيّني - علي بن محمد (٢٤٠ -  
٢٤٥) ، ٢٢١ .  
ابن الفخّار الشريشي - (؟) ٢٨٦ .  
ابن فرتون - أحمد بن يوسف ٣٤٨ م ، ٣٥٩ .  
ابن فَرّج الإشبيلي (٣٣٤ - ٣٣٥) .  
ابن فرحون - إبراهيم بن عليّ (٥٧٦ -  
٥٧٩) ، ٤٥ .  
ابن فرحون - عبد الله بن محمد ٥٧ .  
ابن فرحون - علي بن محمد ٧٢ .  
ابن الفرضي - عبد الله بن محمد ٣٤٦ ح ،  
٣٤٧ - ٣٤٨ .  
ابن فضيلة - فضل ٤٠٩ .  
ابن قادم العافري - محمد ٤٤٤ .  
ابن القاسم - عبد الرحمن ٦٩١ ح .  
ابن قتيبة الدينوري ٦٦٩ م .  
ابن القبطرنة - (؟) ١٥٤ .  
ابن قسّوم - أبو بكر ١٥٤ .  
ابن القطّاع - علي بن جعفر ٢٥٦ .  
ابن القطّان القاسي - علي بن محمد ٦٠ ، ٦٢ ،  
(؟) ، ٣٤٦ م .  
ابن القطّان المِفرّ - أبو عبد الله ٤٩٦ .  
ابن قطرال - عبد الله بن عبد الحقّ ١٩٦ ،  
٢٨٦ .  
ابن قنّذ - أحمد بن حسن (٦١٠ - ٦١٤) ،  
٨١ .  
ابن القوّاس (دمشقي) ٤١٥ .  
ابن القوبع التونسي (٤١٤ - ٤١٨) ، ٥٤ .  
ابن قيس الرقيّات - عبيد الله ٩٣ - ٩٤ .  
ابن القين = الفرزدق .

ابن مرزوق - أبو بكر (خدم أبا مدين المتوفى ٥٩٤ هـ) ٥٤٦ م.  
 ابن مرزوق - أبو الفضل ٦٨٠.  
 ابن مرزوق العجيسي - محمد بن محمد (ت ٦٧١ هـ) ٣٦١.  
 ابن مرزوق - أحمد (والد ابن مرزوق الجد) (ت ٧٤١ هـ) ٥٤٦.  
 ابن مرزوق التلمساني (ت ٧٧٦ هـ) ٦١١.  
 ابن مرزوق الحفيد - محمد بن أحمد بن محمد (ت ٨٤١ هـ) (٦٣٤ - ٦٤١)، ٥٩، ٦٦، ٥٤٦ م، ٦٣٣ م، ٦٤٩، ٦٦٥.  
 ابن مرزوق - أحمد بن محمد (والد ابن مرزوق الحفيد) ٦٣٤.  
 ابن مرزوق الخطيب - محمد بن أحمد بن محمد (ت ٧٨١ هـ) (٥٤٦ - ٥٥٥)، ٥٨، ٦٢، ٥٠٤.  
 ابن مرزوق - أبو عبد الله (ت ٨٩١ هـ) ٦٦٧ - ٦٦٩.  
 ابن مرزوق الكفيف - محمد بن محمد (ت ٩٠١ هـ) ٦٨٨.  
 ابن مرسي الطبيب ٣٥٤.  
 ابن المنزلر (الحموي) ٤١٥.  
 ابن مساعد الغساني - عبد الله ٤١١.  
 ابن سدي - الفرناطي - محمد بن يوسف ٥٥.  
 ابن مسعود الخزرجي السبي ٨٩.  
 ابن مسعود الزواوي - عيسى ٦٠، ٧٥.  
 ابن مسعود الصواي - علي ٣٢٩ م.  
 ابن مسيك = فروة.  
 ابن مشيش - عبد السلام ٢٠٤، ٢٠٥.  
 ابن معط - يحيى ٢٦٢ م، ٥٣١.  
 ابن معط العبدوسي - موسى ٦١١.

ابن الكمّاد - محمد بن أحمد ٤٢٠، ٤٦٠.  
 ابن كيداد = أبو يزيد  
 ابن لبّ - فرج بن قاسم (٥٥٥ - ٥٥٨)، ٦٢٦.  
 ابن ليون التجيبي - سعد بن أحمد (٤٥٧ - ٤٦٠)، ٦٣٦ م.  
 ابن ماجة ٥٥ ح، ٤٢١ ح.  
 ابن مالك - سهل ١٩٦، ٤٤٤، ٤٨٩.  
 ابن مالك المرشاني - محمد ٢٦٠.  
 ابن مالك النحوي - جمال الدين محمد بن عبد الله (٢٦٠ - ٢٧٠)، ٦، ٦٤، ٣٢٨، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٧٨، ٥٣١، ٥٤٨، ٥٧٩، ٥٧٩ م، ٥٨٠ م، ٥٨٢ - ٥٨٦، ٦٢٧، ٦٣٨ م، ٦٣٩ م، ٦٦٨، ٦٦٩.  
 ابن ماهلا (?) ٢٠٩.  
 ابن محمد = أحمد بن أحمد.  
 ابن محرز - أبو بكر ٣١٧.  
 ابن المختار (حفيد محمود بن عمر بن أقيت) ٧٠٧.  
 ابن مخلوف الثعالبي - عبد الرحمن ٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٧.  
 ابن مخلوف - عبد العزيز ٣٢٨، ٣٥٤.  
 ابن مخلوف السجلهاسي - أبو عبد الله ٣٨٨.  
 ابن المراجع (٤٦١ - ٤٦٥).  
 ابن مرج الكحل ١٣٦ م، ٢٤٠.  
 ابن الرّحل - أحمد ٤٥٢.  
 ابن الرّحل - مالك (٣٣٥ - ٣٣٩)، ٤٢٧.  
 ابن مردانيش (مردنیش: ملك شرقيّ الأندلس) ٣١٤.  
 ابن مردانيش = زيان  
 ابن مرزوق ٢١ م.

ابن معمر الهواري-الحسن بن موسى  
(٢٨٣-٢٨٤).

ابن معين البغدادي-يحيى ٥٥٩ م.

ابن المغربي-الحسين بن علي ١١٣.

ابن مفرج المالقي-محمد بن يحيى ٣٤١.

ابن مفوز-يوسف ٢٧٨ م.

ابن مفرغ-عبد الحق بن علي البطوي

ابن مقله-محمد بن علي ٤٢٨.

ابن المقير-علي بن الحسين ٣٧٠ م.

ابن مكرم=ابن منظور

ابن مكرم-محمد بن شعبان الكرمانى  
٣٧٠ ح.

ابن المكرم-محمد (غير ابن منظور) ٣٧٠ ح.

ابن مكّي=أحمد بن مكّي

ابن الملقن-عمر بن علي ٥٨، ٦٤، ٦٣٤.

ابن منظور-جمال الدين محمد بن مكرم  
(٣٦٩-٣٧٤)، ٦، ١٨٧ م، ١٨٤ ح.

ابن منظور-مكرم ١٨٣.

ابن منظور-أبو عمر ٤٦٠.

ابن المنير ٤٠٢.

ابن المواق ٦٠، ٦٨، راجع ٣٤٦.

ابن ميمون الإدريسي ٧٠.

ابن ميمون التميمي القلمي-محمد ٣٥٤.

ابن الناجي-القاسم بن عيسى ٨١-٨٢.

ابن ناد-محيي الدين ١٨٣.

ابن الناظر القرشي-الحسين بن عبد العزيز  
(٢٧٥-٢٧٧).

ابن النجار (محمد) ٦٦٥، راجع ٣٧٠.

ابن مهدي ٦٣٢.

ابن ميارة=ميارة

ابن نامارو (ناموار)=الخونجي

ابن النحاس-محمد بن إبراهيم ٣٢٨،  
٤٢٧ م.

ابن ندي=ابن ناد (؟)

ابن النشار-عمر بن القاسم ٣٤١.

ابن ثوان الحميري-محمد ٤٣٠.

ابن نصر=ابن الأحمر

ابن نوار-أحمد ٢٦٠.

ابن نوح الفافقي-عبد الله بن أيوب ٢١٠.

ابن نور الدين الأنصاري-عمر بن علي=ابن

الملقن (؟)-ابن الملّقن (٧٢٣-٨٠٣ هـ)

ابن نور الدين (٧٢٣-٨٠٤ هـ) كلاهما

سراج الدين عمر بن علي.

ابن هارون (؟) ٦٧.

ابن هرون التيمي-محمد ٣١٧.

ابن هرون الطائي-عبد الله ٤٠١.

ابن هاني الأندلسي ١٨٤، ٤١٥ ح، ٤٩٠.

ابن هاني البتي-محمد بن علي

(٤١٢-٤١٤)، ٤٧٨، ٤٩٠.

ابن هذيل الغرناطي-يحيى بن أحمد

(٤٦٥-٤٦٨)، ٥٠٤.

ابن هشام الأزدي القرطبي-عامر ٢٤٠.

ابن هشام الأنصاري ٢٦٤ م، ٢٦٦.

ابن هشام (النورقي)-محمد بن أحمد ٢٧٨.

ابن هشام=محمد بن علي.

ابن هلال-إبراهيم ٦٨-٦٩.

ابن هلال-أبو عبدالله ٨٨؟؟

ابن هند=معاوية.

ابن هود-محمد بن يوسف=الموكل بن هود.

ابن هيدور=ابن حيدور.

ابن واجب القيسي-أحمد بن محمد ٢١٠،

٢١٨ م.



ابن الواسطي - تقي الدين ٤١٥ .

ابن الياسمين - عبدالله بن محمد ٦٦٧ ح .

ابن ياسين = الجزولي .

ابن يسر - أبو عبدالله ٣٨٨ .

ابن يعيش = ابن أبي العيش .

ابن يعيش (آخر) ٢٦٠ .

ابن يوسف = سليمان بن داوود .

أبو اسحاق البليقي = البليقي .

أبو أمية (بن الحاج؟) ١٥٥ .

أبو البقاء خالد (أمير بجاية) ٣٥٤ م .

أبو البقاء صالح بن شريف الرندي

(٢٨٦ - ٢٩١) - ، ٩٩ - ١٠٠ .

أبو بكر أحمد بن عمر التنبكتي = ابن أقيت .

أبو بكر داؤد = بارو .

أبو بكر بن زهر = ابن زهر .

أبو بكر الصديق ٤٨٦ م .

أبو بكر بن طلحة = ابن طلحة .

أبو بكر بن عبد العزيز بن أبي عامر ١٥٠ م .

أبو بكر بن عمر اللمتوني ٣٩ - ٤٠ ، ٤٤ م .

أبو تاشفين بن أبي حمو ٥٤٠ ، ٥٤٣ م .

أبو تمام ١٩٣ ، ٢٢٣ م ، ٢٤٢ م ، ٢٥٠ ،

٢٩٦ ، ٤٩٠ ، ٥٢٩ ح ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ح ،

٥٩٨ ح ، ٦٩٨ .

أبو ثابت - الزعيم بن عبد الرحمن ٣٢ .

أبو ثور النخعي - ابراهيم بن خالد ٤٢٣ م .

أبو جعفر بن الزبير - أحمد بن ابراهيم

(٣٥٨ - ٣٦١) ، ٥٣ ، ١٦٢ ، ٣٤٦ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٨٣ ، ٤٠٩ ، ٤٢٠ ،

٤٢٦ ، ٤٣٩ ، ٥٠٧ .

أبو جعفر الفرناطي الرعييني (٥٢٨ -

٥٣٠) ، ١١٤ م ، ٥٣١ .

أبو الجيوش نصر بن محمد = ابن الأحمر .

أبو الحجّاج البيّاسي - يوسف بن محمد

(١٩٢ - ١٩٤) .

أبو الحاج التجيبي المكناسي - يوسف ٣٨٨ .

أبو الحسن (ذكره ابن مرزوق) ٥٨ .

أبو الحسن الثاذلي - علي (٢٠٤ - ٢١٠) ،

٧٤ ، ٧٥ ح ، ٥٦٦ ح ، ٦٧٧ ح م .

أبو الحسن الصغير الزرويلي - علي بن عبد

الحق = ابن الصغير الزرويلي

أبو الحسن بن عطية = ابن عطية

أبو الحسن المريني - (السلطان) علي بن عثمان

٢٧ ، ٣٢ ، ٩١ م ، ١٠١ - ١٠٤ ،

١٠٨ ح ، ٤٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٨ م ، ٤٤٩ ،

٥٥٥ ، ٥٨٧ م ، ٦١٥ .

أبو حفص يحيى بن عمر الهنتاتي ٢٩٠ م ،

٣٠٠ ح ، ٣٧٦ ح ، ٥٥٤ .

أبو حو (الأول) - موسى بن عثمان ٤٢٠ ،

٤٧١ .

أبو حو (الثاني) موسى بن يوسف ٦ ،

٨٢ - ٨٥ ، ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٢٧ ،

٥٣٧ م ، ٥٣٨ - ٥٣٩ ، ٥٤٠ - ٥٤١ ،

٥٤٣ م ، ٦٨٠ ، ٦٨١ - ٦٨٢ .

أبو حنيفة النعمان ٦٣ ، ٤٢٣ م .

أبو حيّان الفرناطي - أثير الدين (٤٢٦ -

٤٣٠) ، ٢٦٦ ، ٣٢٨ ح ، ٤٥٢ ، ٤٩٦ ،

٥٣٠ ، ٥٥٥ ، ٦٣٤ ، ٦٦٨ ح م .

أبو الخطّاب السكوني - محمد بن أحمد (١٨٩ -

١٩٢) .

أبو الخطّاب = ابن واجب القيسي .

أبو خلدون = الحصري - ساطع .

- أبو داوود السجستاني ٥٥ ح، ٤٢١ ح.  
أبو ذرّ الخثني - مصعب ١٧٠، ٢٣٠.  
أبو الربيع بن سالم الكلاعي - سليمان بن موسى  
(؟) ١٩٦، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤ وما  
بعد، ٢١٨، ٢٧٦.  
أبو الربيع المري - سليمان بن عامر ٣٨٣.  
أبو زيان (؟) ٥٣٧.  
أبو زيان المري - محمد (السعيد) بن عبد  
العزیز ٥٥٥ م.  
أبو زيان - محمد بن موسى (أبي حو الثاني)  
٥٣٨ - ٥٣٩.  
أبو زيد اللجائي = اللجائي.  
أبو زيد الموحدي - محمد بن حفص ٢١٠.  
أبو سعيد الثغري - محمد بن يوسف ٩٧ ح.  
أبو سعيد الزناقي = عثمان بن يغمراسن.  
أبو سعيد المري - عثمان بن أحمد ٦١٦ ح.  
أبو سعيد المري - عثمان بن يعقوب ٩١،  
٣٨٣، ٤٠٧ - ٤٠٨، ٤٣٩ - ٤٤٠،  
٤٤٥، ٤٤٩.  
ابن ضربة اللحياني - محمد بن زكريا ٣٧٧ م.  
أبو طالب - عبد الهادي ٥١٦.  
أبو طالب المكي ١٢٩ ح، ٥٦٦ ح، ٦٧٩ م.  
أبو عامر = تاشفين بن علي.  
أبو العباس المري - أحمد بن ابراهيم ٥٠٥.  
أبو العباس العزفي - أحمد بن أبي طالب  
(٣٥٨ - ٣٥٧).  
أبو العباس المرسى - أحمد بن عمر ٢٠٥ م.  
أبو العباس الملياني - أحمد بن علي (٣٧٤ -  
٣٧٥).  
أبو العباس الوثرسي - أحمد بن يحيى  
(٦٨٨ - ٦٩٥)، ٧٠٥.  
أبو عبد الآله ١٥٨.  
أبو عصيد - محمد الواثق بن يحيى ٣٥٢ م،  
٣٧٧.  
أبو العلاء = ابن سماك.  
أبو العلاء = المعري.  
أبو علي الثلوبين (الثلوبيني) (١٦١ - ١٦٤)،  
١٤٥، ١٥٤، ١٦٧، ١٧٤، ١٩٤،  
١٩٦، ٢١٨، ٢٣٧، ٢٤٨ م، ٢٧٠،  
٢٩٢، ٣١٢، ٣١٧ م، ٣٣٥.  
أبو علي الصدي ٢١١، ٢١٦.  
أبو علي الفارسي ١٤٧ ح، ٢٤٨، ٢٤٩ ح م،  
٢٥٠ ح، ٢٧١، ٣١٧.  
أبو عمران المارتي الزاهد ١٩٠.  
أبو عمران موسى = ابن سعيد العنسي.  
أبو عمران = موسى بن عيسى الففجومي.  
أبو عمران الداني = الداني.  
أبو عنان المري - المتوكل ٣٢ - ٣٣، ٣٥،  
١٠٨ ح، ٤٦٩، ٤٧٠ - ٤٧١، ٤٨٤ م،  
٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٤٨ -  
٥٤٩، ٥٥٣ م، ٥٨٧ م، ٥٩٩ - ٦٠٥،  
٦١٥ - ٦١٦.  
أبو عوانة الزواوي ٨٦ ح.  
أبو فارس عبد العزيز = عبد العزيز  
الحفصي.  
أبو الفتح الواسطي ٢٠٥.  
أبو فراس الحمداني ٥٩٨.  
أبو الفرج غريغوريوس الملطي ٨٨.  
أبو قابوس ١٥١ ح.  
أبو القاسم = محمد رسول الله  
أبو القاسم بن سراج = ابن سراج الغرناطي.  
أبو القاسم (الشيخ؟) ٥٨.

أبو القاسم السبتي = الشريف الحسني .

أبولونيوس ٨٨ .

أبو الليث السمرقندي ٤٧٠ ح .

أبو مدين ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٣٥٦ ، ٥٤٦ م ،

٦١٢ ، ٦٤٩ م .

أبو المطرف بن عميرة الخزومي - أحد

(٢١٧ - ٢٢٤) ، ٦ ، ١٠٠ - ١٠١ ،

٢٤٢ م ، ٣١٧ ، ٤١٣ .

أبو مقرة = ابن مفرع البطوي

أبو النجا الطنتداعي - محمد ٣٩٧ ، ٣٩٨ ،

٣٩٩ .

أبو نعيم = رضوان

أبو نعيم الاصفهاني ٥٣١ م .

أبو نواس ٣٧١ ، ٤٩٠ ، ٥٩٨ ، ٦٢٨ م .

أبو يزيد - مخلد بن كيداد ٤٨ .

الأبي - محمد بن خليفة ٥٩ م .

الأبياري - ابراهيم ٢١٦ ، ٣١٦ م .

أثير الدين = أبو حيّان الفرناطي

الأجهوري - أحد ٧٨ .

أحد = محمد رسول الله

أحد (اسم ١٥٤) ، ٢٦٣ ، ٣٤٩ م ، ٣٩٥ ح .

أحد بن أبي بكر بن جعفر ١٨٣ .

أحد بن أحد بن محمد ٢٦٠ .

أحد بن أحد ... بن عيسى

البرنسي = زروق

أحد الحفصي ٧٣ ح .

أحد بن حنبل ٥٧ ، ٣٤٠ ح ، ٣٥٣ ، ٤٢٣ .

أحد بن زكريا المغربي ٥٩ .

أحد بن زين الدين ٣٣٤ .

أحد - شكري محمود ٣٧٤ .

أحد بن عيسى الفهري ٣٥٤ .

أحد بن محمد السقطي = السقطي

أحد بن عبدالله الزواوي ٧٣ .

أحد اللياني - أبو العباس بن ابراهيم

(٢٢٧ - ٢٢٩) .

أحد الحفصي = المستنصر الحفصي .

أحد بن محمد الفاسي (?) ٧٣ - ٧٤ .

أحد بن المستنصر الريني = أبو العباس .

أحد بن مكّي - أبو العباس (صاحب قابس)

٣٥ .

أحد بن يحيى الحميري القرطبي ١٤٤ .

أحد بن موسى الزناتي (صاحب تلمسان)

٤٨٤ .

الأحر (جدّ بني الأحمر: بني نصر) ٧٠٢ م .

الأخطل ٥٩٨ ح .

الأخفش (الأصفر؟) - أبو الحسن ٤٠١ .

إدريس (الأول) بن عبدالله ٤٠٨ م .

إدريس كنع كرمي ٤٧ - ٤٨ .

إدريس بن محمد بن محمد بن موسى الأنصاري

القرطبي ١١٧ .

أذفش ٣٠٨ م .

أرسطو (أرسطوطاليس) ٢٩٢ ، ٢٩٦ م ،

٤٥٦ ح ، ٥٩١ ح .

الأزهري - خالد بن عبدالله ٢٦٧ م ، ٢٦٨ ،

٢٦٩ م ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

الأزهري - محمد بن أحد ٣٧١ .

الأزهري الرفاعي = الرفاعي الأزهري - أحد

الاستحي = محمد بن أحد

اسحاق الثاني (ملك كاغو) ٥٠ م .

اسحاق الموصلي ١٨٥ م .

اسحاق بن راهويه ٤٢٣ م .

أسد بن الفرات ٦٩١ ح .

الأسد = تقي الدين الأسد

الاسكندر الأفروديسي ٤٥٦ م.

الاسكندر المقدوني ٢٨٨ ح.

أسكي الحاج محمد ١٣٣.

أسكيا الحاج محمد (الأول) التوردي

٧٠٨ - ٧٠٩.

أسكيا = اسحاق الثاني.

أسكيا اسحاق الأول ٤٩ م.

أسماء (اسم) ٥٨٣.

اسماعيل = ابن عبد المؤمن

اسماعيل بن عزّوز ٣٣٤.

الأشتر - صالح ٢١٦.

الاشثري - عبد الرحمن ٤٠٢.

الأشرف شعبان ناصر الدين ٥٢٠ ح، ٥٤٧.

الأشونقي - علي بن محمد ٢٦٦ م، ٢٦٨،

٢٦٩ م، ٧٠٣.

الأشهب - أبو الحسن علي بن منصور ٦٢٦،

٦٣٤ (؟).

الأصيلي - عبدالله بن ابراهيم ٨١.

الأعشى ٤٣٢ ح.

الأعلم البطليوسي - ابراهيم بن قاسم

(١٥٢ - ١٥٤).

الأعلم الشتمري - يوسف بن سليمان ١٥٢ ح.

الأفراغي - محمد ١٨٢.

أفضل المخلوقين = محمد رسول الله

أفلاطون ٨٤، ٢٩٦ ح، ٥٩١ ح.

الأفقهسي = الصلاح الأفقهسي

أقليدس ٨٨، ١٩٤ ح، ٣٨٨، ٣٨٩.

أقيت = عبد الله بن عمر

أقيت = محمود بن عمر

ألاركون ٢١٦.

ألفونسو السادس ٩٥، ٦٥٥ م.

ألفونسو الحادي عشر ٢٧، ١٠٥ ح، ١٠٦ ح،

٥٤٦.

أم العفاف = نزهة بنت سليمان اللخمي

أمحوج = محاج

امرؤ القيس ٢٢١، ٢٢٢ ح، ٢٥٠،

٢٩٧ ح، ٣٠٩ وما بعد، ٤٤١ ح،

٥٣٦ م، ٥٦٠ م.

أمغار الصغير - أبو عبدالله ٦٥٧.

أمين الوحي = جبريل

الأمي الشريشي - علي بن ابراهيم ٥٥.

الانباي - محمد بن محمد ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٩٩.

أنس الأصبحي ٥٠٨ م.

أنسلمو تورميدا ٧٢ - ٧٣.

الأنصاري الحموي = شرف الدين

الأنصمتي = العاقب

أنطونيا - ماشور ٥١٥.

الأنفاسي - يوسف بن عمر ٦١.

أنو شروان = كسرى أنو شروان

الأهمل - محمد بن أحمد بن عبد الباري

٣٩٩.

الأوزاعي - عبد الرحمن بن عمرو ٤٢٣،

٤٢٤ ح.

أوس بن حارثة = ابن سعدى

أومي = حومي

ايت = ايد

أيد أحد التازخي - محمد بن أحمد (؟) ١٣٢.

ايسابل (ملكة قتالة) ٢٧ م.

أيوب ١١١ ح.

## حرف الباء :

بابا التنبكي - أحمد بن أحمد بن أقيت ٤٥ .  
٨٥ .

الباجوري - ابراهيم ٧٨ ، ٧٩ ، ٣٩٩ .

الباجي - أبو سعيد ٦٢٨ .

الباجي السعدي - محمد ٣٩٧ .

الباجي (نائر في اشيلية) ١٦٩ .

باراماندانا ٤١ م .

بارو - أبو بكر دأو ٤٩ .

باسه - رنيه ٧٩ .

بالنشا = غزالث بالنشا ٢١٦ .

الباهلي - أبو محمد ٤٨٠ .

بايزيد يلدنيرم ٥٨٨ م .

بتاني - زين العابدين محمد ٧٨ .

البجائي = محمد بن عمر الزواوي

البحري ٩٤ م ، ٢٤٢ م ، ٤٩٠ .

بحرق ٢٦٧ م ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

البخاري ٥٥ م ، ٥٦ م ، ٥٨ م ، ٥٩ م ، ٦٣ ،

٧٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ح ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ،

٣٤٨ م ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ م ،

٤١٠ ح ، ٤٢١ ، ٤٥٢ ، ٥٤٧ ح ، ٦٦٨ ،

٦٩٦ ،

البخاري الديماطي - أحمد ٣٥٨ .

بدر الدين بن هود - الحسن بن عليّ (٣٣١ -

٣٣٣) .

بدري (اسم) ٦٩٥ ح .

البدري - محمد بن محمد (٤٦٠) .

بدوي - عبد الرحمن ٢٠ ، ٦٠٥ ح ،

٦٠٧ م ، ٦٠٩ .

بديع الزمان الهمداني ١٠٥ ح ، ٢٤٢ م ،

٥٣٥ م .

البرادي الدماري - ابراهيم ٧١ م ، ٨١ م ،

٢٨٢ .

بربروسا = خير الدين

البرذعي ٦٥ .

البرزالي الاشيلي - محمد ٥٧ ، ٤٨٤ ،

٤٨٥ م .

البرزلي (؟) ٦٦ - ٦٧ ، ٦٩٠ م .

برشيه - ليون ٦٣٢ .

البرعي - عبد الرحيم ١١٣ .

البرغماوي = يوسف دليلي

برقوق - الظاهر ٤٦ ، ١١٢ .

البرقي - يحيى ٢٢٧ ، ٢٨٣ .

بركات بن أحمد = النجار العروسي

بركات - محمد كامل ٢٦٥

بروفنسال (بروفنسال) - اتيان ليفي ٣٦١ ،

٤٠٦ ، ٥١٥ ، ٥٥٥ ، ٦٥٢ ح .

بروكلن ٦٧ - ٦٨ ، ٧٥ ح - ٧٦ ، ٢٦٤ ،

٣٥٤ ، ٤٢٦ ح ، ٤٤٩ ح ، ٦٠٥ ح .

برونو ٣٩٧ ، ٦٩٤ .

البتاني - ألفرد ٢١٦ .

البتاني - فؤاد أفرام ٥٢٧ ، ٦٠٧ .

بسيوني - محمود ١٧٨ .

بشار بن برد ٤٣٢ م .

بطرس (الرابع) القاسي ٥٨٧ .

بطليموس ٨٨ .

البطوي = ابن مفرع

البغدادى - عبد اللطيف ١٨٣ .

بكرون بن الأشقر الحضرمي ٤٣٧ .

البكري - حسن بن محمد ٢٥٥ .

بل - ألفرد ٢١٦ ، ٥٤٥ .

البلاذري ٣٧٢ ح .

تاسرت = محمد بن تيفاوت .  
 تاشفين بن علي - أبو عامر (؟)  
 تالوكيت ٣١٦ .  
 تامر - عارف ١٨٢ .  
 التاودي = محمد بن سودة  
 التجاني - ابراهيم بن محمد ٣٧٦ م .  
 التجاني - أبو القاسم ٣٧٦ .  
 التجاني (التجانية): زينب ٣٧٦ م .  
 التجاني - عمر بن ابراهيم ٣٧٦ م .  
 التجاني - محمد بن (أحمد) محمد (٣٧٦ -  
 ٣٨١)، ٨٦ .  
 التجاني - محمد بن أبي القاسم ٣٧٦ .  
 التجاني - محمد بن علي ٣٧٦ .  
 التجانية = التجاني (زينب) .  
 التجيبي السبي - أبو القاسم ٥٦ .  
 الترجمان الميورقي = أنسلمو .  
 التركي - عبد المجيد ٦١٤ .  
 التركي التونسي - محمد ٦٢٠ .  
 الترمذي ٥٥ ح، ٥٦، ٤٢١ ح .  
 التسولي - ابن أبي يحيى ٦١ .  
 التسولي - علي بن عبد السلام ٦٥ .  
 التسولي الشراوي - عبد السلام ٦٣٢ م .  
 تسوسر - جفري ٦١٠ ح .  
 تقي الدين الأسد (ولد ابن مالك النحوي)  
 ٣٦١ .

التكروري = عبد العزيز

التميمي (؟) ٤٣٢ م .

التنسي - محمد ١٢٢ - ١٢٤، ٧٠٣ (؟) .

التنسي - محمد بن عبد الجليل ٨٢ .

التنوخى - محمد بن محمد ٣٧٠ .

التوردي = أسكيا الحاج محمد

تورميديا = أنسلمو

البلبالي = مخلوف بن علي  
 بلج بن بشر ١٦٥ ح ٢٣٢٠ م .  
 بلثن - عثمان ٧٠٦ .  
 البلقيتي - ابراهيم بن محمد ٢١١، ٢١٦ .  
 البلقيتي = ابن الحاج - أبو البركات .  
 بلقيس ٣٠٦ م .  
 البلنسي - أبو عبد الله ٦٢٦ .  
 البلوى - خالد بن عيسى ٥٦٣، ٨١ م .  
 البلوى - علي بن محمد ٢٤٠ .  
 البنائي - ابراهيم بن الحسن ٧٨، ٧٩ .  
 بيه الدين العالمي ٥٢١ .  
 بوالي ٣٦٩ .  
 بوتول - جوستون ٦٠٧ .  
 البوصيرى ٥٨٠، ٦٢٤، ٦٩٨، ٧٠٠ .  
 البوظفي - عبد الفقار ٦١٥ .  
 بونار - رابح ٣٥٦ .  
 البياسي - يوسف بن محمد ٨٠ .  
 البياني - أبو عبد الله ٥٢٨، ٦٤١ (؟) .  
 البيجي = الباجي  
 البيدمورى ٦٨٣ .  
 بيريس - هنري ٦١٤ م .  
 بيثا ١٨٧ .  
 البيطار - محمد بيجة ٥١٨ ح .  
 البيلوني العمري - محمد فتح الله بن محمود  
 ٥٢٧ .

حرفا التاء والتاء:

تاج الدين الكندي ١٨٣، ١٩٤ .

التادلي - أحمد ٧٥ .

التازخي - محمد بن أحمد ١٣٢ .

التازي - ابراهيم (٦٤٩ - ٦٥٢)، ٧٦، ٨٠ .

٦٨٠ .

الجزنائي - علي ٨١ .  
الجزنائي الكرياني - أحمد بن شعيب (٤٤٩) -  
(٤٥٢). ٩١، ١٦ .  
الجزولي - عبد الله بن ياسين ٣٩ - ٤٠ .  
الجزولي - عبد الرحمن ٦١ .  
الجزولي - عيسى بن عبد العزيز ١٦٣ . ٢٤٨ ،  
٢٤٩ م ، ٢٥٠ م (؟) ، ٣٤١ .  
الجزولي - محمد ٨٩ .  
الجزولي السملالي - محمد بن سليمان (٦٥٦) -  
(٦٦١) ، ٧٦ ، ٦٩٢ - ٦٩٣ .  
جعفر أوغلو ٤٣٠ .  
جعفر - محمد ٦٠٧ .  
جعفر بن يحيى بن خالد ٥٩٣ - ٥٩٤ .  
الجلاب = ابن الجلاب  
جلال الدين الرومي ٥١٨ ح .  
الجماعيلي - عبد الغني بن عبد الواحد  
٥٤٧ ح .  
جمال الدين - محسن ١١٠ ح م .  
جل (بالضم: في شعر) ٣٣٢ .  
جيل بن معمر ٥٧٣ م .  
الجفاني (قي؟) - أبو موسى ٦٥ .  
جندح ، جندحان = امرؤ القيس  
الجنيدي البغدادي ٢٠٤ .  
الجواري - عبد الستار ٢٥١ .  
الجواليقي = ابن الجواليقي  
جويتر (زفس) ٤٦٧ ح .  
جودت - محمد ٥٢٧ .  
جوذر (المغربي) ٥٥٠ .  
الجوندي = سعد بن أحمد التجيبي  
الجوهري - اسماعيل بن حماد ١٥٣ ، ٢٥٦ ،  
٣٧١ .

تورنبرغ ٤٠٨ ، ٦٠٦ .  
التوزري - عثمان بن محمد ٦٣٢ .  
توفيق - محمد ٦٠٩ .  
تيزهاوزن ٦٠٦ .  
التيفاشي القفصي - أحمد بن يوسف (١٨٣) -  
(١٨٨) ، ٩٠ ، ٣٧٠ .  
تيفاوت = محمد بن تيفاوت  
تيمور - أحمد ٣٧٤ .  
تيمورلنك ٥٨٨ م . ٦٠٩ .  
التينملي - قاسم بن علي ٥٨ .  
ثابت بن عمار ٣٥ م .  
الثعالي = ابن مخلوف  
الثعالي - عبد الملك بن محمد ٣٧١ .  
ثعلب - أحمد بن يحيى ٣٣٦ م ، ٤٧٠ ح ،  
٦٦٩ م (؟) .  
الثغري = محمد بن يوسف  
ثيودوسيوس ٨٨ .

### حرف الجيم:

الجاحظ ٣٧٠ .  
الجابري - محمد عابد ٦٠٩ .  
جاد المولى ٥٢٧ .  
الجادري (الجاديري) ٥٤ ، ٩٠ م .  
جبريل ٢٠٠ م ، ٢٥٨ ح ، ٥١١ م ، ٥٣٢ ح ،  
٥٣٣ م .  
الجبوري - عبد الله ٢٥١ .  
الجديل (حصان) ٦٠٣ م .  
الجرجاي - عبد الرحيم ٣٩٨ .  
الجرجاي - عبد المنعم ٢٦٨ ، ٢٦٩ .  
جرير ٢٢٢ ح ، ٥٩٨ م .  
الجزائري = محمد الطيب

الجِيَاب = ابن الجِيَاب

الجِيَانِي - عَلِيّ بن مُحَمَّد (٢٣٧ - ٢٣٩).

الجِيْطَانِي - اسماعيل بن موسى ٧١.

حرف الحاء :

حاتم (اسم)

الحاجّ - أحمد بن مُحَمَّد ٣٩٨.

حاجب بن زرارة ٢٢٥ م.

حاجِيَات - عبد الحميد ٥٣٧ ح.

حار = حارث (في شعر) ٤٥٠ م

حازم القرطاجنيّ (٢٩١ - ٣١٢)، ٦،

٣٧٦ ح، ٣٨٣، ٤٧٨، ٤٨٠، ٥٦٠ ح،

٥٨٠ م، ٥٨٦.

الحافظ الذهبي = الذهبي

الحافظ المزيّ = المزيّ

حافي رأسه - محمد بن عبد الله (٣٢٧ -

٣٢٩).

الحاكم النيابوري - أبو عبد الله ٥٨.

الحامدي - اسماعيل بن موسى ٣٩٨.

حباب (اسم) ٣٤٨ ح.

حبيب، حبيب بن أوس = أبو تمام.

الحبيب = مُحَمَّد رسول الله ٥٦ م، ٥٩.

الحجاج بن يوسف ٤٢٩ م، ٥٠١.

حجر بن ذي رعين ٣٦١.

الحجري - عبد الله بن مُحَمَّد...

حجّي - مُحَمَّد ٦٩٥ م.

الحديثي - خديجة ٤٣٠ م.

حذام ٥٢٠ م.

الحَرَانيّ - أبو عبد الله ٢٨٤.

الحريري - القاسم بن علي ٣٥٢ - ٣٥٣،

٣٧٠، ٤٩٦، ٥٣١ ح.

الحريري - أبو مُحَمَّد بن قاسم ١٥٥.

حَسَّان بن ثابت ٢٩٣ م، ٤٣٣ م، ٥٩٨ ح،

٦٦٤ ح.

الحَسَّانيّ = الحاسني

حسن (اسم) ٣٤٨ ح.

الحسن بن أحمد الأنصاري ١٨٨.

الحسن البصري ٤٢٣ م.

حسن - زكي مُحَمَّد ٣١٦.

الحسن بن علي بن أبي طالب ١١٥ ح.

حسن = علي الفقيه

الحسن بن عمر = الفودوديّ

الحسن بن عمر المراكشي ٨٨.

حسن = مُحَمَّد عبد الغني

الحسن بن مُحَمَّد = البكري

حسن - يوسف ١٨٧.

الحسين (اسم) ٣٤٨ ح.

حسين = الخضر حسين

حسين - طه ٦٠٩.

الحسين بن عليّ بن أبي طالب ١١٥ م،

١٣٠ - ١٣١ (؟)، ٢١١.

الحصّار = ابن الحصّار

الحصري - ابراهيم بن علي ٣٧١.

الحصري - خلدون ٦٠٨ ح

الحصري - ساطع ٦٠٨ م.

الحضرمي - عبد المهيمن.

الحضرمي السبتي - عمران ٥٧٠.

الحضرمي = يعقوب.

الحطّاب الصغير الرعيني - محمد ٧٠ - ٧١.

حفاظت حسين ٦٦٠.

حفص بن غياث ٤٢٣ ح (راجع ابن غياث

الشريشي).



حومي = محمد بن عبد الجليل

حرف الحاء :

خاتم الأنبياء = محمد رسول الله  
خالد بن الخطاب (رأس أسرة ابن خلدون)  
٥٨٦ م .

الخراط - أحمد ٣٤٦ .

الخروبي - محمد بن أحمد ٧٥ .

الخزاز الشريشي - محمد بن محمد ٥٣ .

الخرزجي - أحمد بن مسعود ٦٣٨ ح .

الخرزجي - أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد

٥٤٨ ، ٦٦٩ ح (٩) .

الخرزجي - عبد الله بن محمد بن أحمد

٥٧٦ - ٥٧٧ .

الخرزجي - عبد الله بن محمد الأنصاري

٦٩٠ ح .

الخرزجي - محمد بن عثمان ٤٧٨ .

الحثني = أبو ذر

الحضر حين - محمد ٦٠٨ .

الحضري الدماطي - محمد ٣٦٩ .

الحضيري - محمد ناجي ٦٠٨ م .

الخطاب (٩) ٣٩٩ .

الخطاب الرعيني - محمد بن محمد ٣٩٧ .

الخطيب = ابن الخطيب .

الخطيب البغدادي ٣٧٠ .

الخطيب - سعيد (جد لسان الدين) ٥٠٤ م .

الخطيب - محب الدين ٥١٦ .

الخطيب المغربي - أبو النجم ٧٧ .

خلدون = خالد بن الخطاب

الخلوف = شهاب الدين

الخليل بن أحمد ٤٤٣ .

حفصة الشاعرة ٣١٤ .

الحفصي - أبو بكر (صاحب قسنطينة)

٣٧٧ .

الحفصي - أبو زكريا يحيى = أبو حفص

الحفصي - أبو يحيى أبو بكر (سلطان تونس)

٤٨٦ م .

الحفصي = أحمد الحفصي

الحفصي - عمر ٤٨٦ .

الحفصي - محمد = المنتصر

الحكم الربضي بن هشام ١٨٤ م .

الحكيم - توفيق ٢٦٠ .

الحكيم المغربي = ابن أبي الشكر

الحكيم = يحيى الرندي

الجلّاح ٤٧٥ .

الجلو - عبده ٦٠٨ .

جلولو - أحمد ٦٦٥ م .

حليمة السعدية ١٩٩ .

الجمار (كناية عن خصم) = راجع أنسلمو ٧٢ .

الجمزاوي = العدوي

حمو الشريف - محمد ٦٦٥ .

حميد الأنصاري أحمد (١٨٨ - ١٨٩) .

الحميري = ابن عبد المنعم

الحميري (آخر) ٦٥٢ .

الحميري = ابن الصباغ

حوتللو = حوط الله .

الحوضي = الساوي .

حوط الله (حوتللو) = ابن حوط الله ١٢٠ .

الحوفي - أحمد بن محمد ٦٤ ح ، ٦٠٩ ، ٦٩٦ .

(٩) .

الحوفي - علي بن ابراهيم ٦١ ، ٧٧ .

حومي (أول ملوك كانم) ٤٦ م .

الدرجيني - أحمد بن سعيد (٢٥٢)، ٧١ م،  
٨١، ٨٢ م.

الدسوقي - محمد بن أحمد ٧٨.  
الدماري = البرادي

الدمامي - البهاء ٦٣٥.  
الدمياطي - شرف الدين ٤٠٢.  
الدمياطي = نور الدين  
ده ساسي ٢٦٤.

ده فيرجيه - نويل ٦٠٦.  
ده مونين ٦٩٤.

دوزي ٢١٦، ٤٠٦، ٥١٦.  
دوغات ٥١٦.

دوغا بن حومي ٤٦.  
دوغا بن محمد بن عبد الجليل ٤٦ م.  
دي سلان ٦٠٦.

ديارا كتي ٤٧ م.  
ديمفيري ٥٢٧.  
الديري (?) ٧٩.  
الدينوري - أبو حفص ٢٣٥.  
الذهبي - الحافظ ٤٨٤، ٤٨٦ م.  
ذو الرمة - غيلان ٢٢٩ م، ٥٩٨.

حرف الرء:

الرازي = فخر الدين الرازي  
راشد بن الوليد الفاسي ٥٩.  
الرافعي (?) ٥٨.  
رايت ٥١٦.  
الرباب (اسم) ٣٣٥، ٥١٩ م، ٦٥٠ م.  
الرباج = الدباج  
الربيعي التونسي - محمد بن محمد ٦١.  
الرجيم = الشيطان

خليل بن اسحاق (الجندي المالكي) ٦٦،  
٦٧ م، ٦٨ م، ٦٩، ٧٠، ٧١ م، ٧٣ م،  
١٣٣ م، ٦٣٨ م، ٦٦٣، ٦٦٦ - ٦٦٧،  
٦٧٠، ٦٧٤، ٦٩٦، ٧٠٦.

خليل بن اسحاق (الشاعر) ٦٦٧ ح.  
الختانجي = الخونجي  
الختولاني الإلبيري - محمد بن علي ٥٢٨.  
الخونجي - محمد بن نامارو (ناموار) ٦٥، ٦٦،  
٤٧٣ م، ٦٣٧ م،

خير الأنام = محمد رسول الله ١١٤.  
خير البرية = محمد رسول الله ٧٩.  
خير الدين ببروسا ٣٠، ٣١ ح، ٣٤.  
خير الوري = محمد رسول الله ٣٦٦ م، ٥٣١.

حرفا الدال والذال:

دارا (الأول والثالث) ٢٨٨ م.  
الدارجيني = الدرغيني  
الداعي - شرف الدين ٦٤٩.  
داغر - يوسف أسعد ٢٠.  
داريوس = دارا  
الداني - أبو عمرو ٥٣، ٦٢٧، ٦٦٨ ح.  
دأو = بارو  
داوود (أخو أسكيا اسحاق) ٩٤ - ٩٥.  
داوود الأنطاكي ٥٢١.  
داوود بن علي الأصفهاني ٤٢٣ م.  
الداية - محمد رضوان ٢٨٦ ح، ٢٨٧ ح،  
٢٩٠ ح، ٤٤٩ ح، ٤٨٩ ح، ٤٩٥،  
٥٦٥، ٦١٥ ح، ٦٢٠.  
الدباج = ابن الدباج  
الدباج - أبو الحسن بن طاهر (?) ٣١٧.  
دحلان - أحمد (بن) زيني ٢٦٧، ٣٩٨.

الرشيد = هرون  
الرشيد الموحدي ٢١٨ م (؟)، ٢٣٧، ٢٩٢.  
الرشيدي - أحمد بن يوسف ٧٩.  
رضوان (خازن الجنة) ٢٨٢.  
رضوان - أبو نعيم ٥٠٤ م.  
الرضي - الشريف الرضي.  
الرعيي = ابن السراج.  
الرعيي - أبو الحسن علي بن محمد ٣٤٦.  
الرعيي = أبو جعفر الغرناطي.  
الرفاء المرسى - الحسن بن عبد الرحمن  
(١٣٨ - ١٣٩).  
الرفاعي الأزهري - أحمد ٢٦٧، ٢٦٩.  
الرقبلي - يحيى بن ابراهيم ٧٣.  
الرندي = أبو البقاء الرندي  
الرندي - محمد سعيد ٥٣٠.  
الرندي = يحيى  
الرندي = يحيى بن أحمد النفزي  
روين (النبي) ١١١ ح.  
رويو - لوثيانو ٦٠٧.  
الروح، روح القدس = جبريل  
رويفع بن ثابت الأنصاري ٣٦٩ ح.  
الريحاني - أمين ٥٢٧.

### حرف الزاي:

الرشيد = هرون  
الرشيد الموحدي ٢١٨ م (؟)، ٢٣٧، ٢٩٢.  
الرشيدي - أحمد بن يوسف ٧٩.  
رضوان (خازن الجنة) ٢٨٢.  
رضوان - أبو نعيم ٥٠٤ م.  
الرضي - الشريف الرضي.  
الرعيي = ابن السراج.  
الرعيي - أبو الحسن علي بن محمد ٣٤٦.  
الرعيي = أبو جعفر الغرناطي.  
الرفاء المرسى - الحسن بن عبد الرحمن  
(١٣٨ - ١٣٩).  
الرفاعي الأزهري - أحمد ٢٦٧، ٢٦٩.  
الرقبلي - يحيى بن ابراهيم ٧٣.  
الرندي = أبو البقاء الرندي  
الرندي - محمد سعيد ٥٣٠.  
الرندي = يحيى  
الرندي = يحيى بن أحمد النفزي  
روين (النبي) ١١١ ح.  
رويو - لوثيانو ٦٠٧.  
الروح، روح القدس = جبريل  
رويفع بن ثابت الأنصاري ٣٦٩ ح.  
الريحاني - أمين ٥٢٧.  
حرف الزاي:  
زامباور ٧١٠ ح.  
الزباء ٥٣٦ م.  
الزجاجي - عبد الرحمن بن اسحاق ١٤٧ ح،  
١٤٨ ح، ٢٤٨، ٢٤٩ م، ٢٧٦، ٣١٧،  
٣٤١، ٥٥٥ م.  
الزركشي = اللؤلؤي  
الزركلي - خير الدين ١٧، ٥٤ ح، ٦٧، ٨٥ ح،  
٦٣٣.

زيد بن ثابت ٦٦٣ - ٦٦٤ .

زيد بن = كوديرا

زين = محمد ٧٨ .

زينب (اسم) ٣٣٥ ، ٤٣٢ م ، ٥١٩ ، ٦٥٠ م ،

زيني (بن) دحلان = دحلان .

### حرف السين:

الساحلي = الطويحين

ساسان - ٢٨٨ م

ساسكي = محمد الحاج

الساعاقي - أحمد بن عبد الرحمن ٦٧٩ .

الساعاقي - حسن ٦٠٩ .

سالم = محمد بن عبد الجليل

سامي (اسم) ٦٩٥ ح .

سانفونيتي ٥٢٧ .

الساوي الحوضي الوالاقي (الأبي) - يحيى بن

مختار ٦٣٢ - ٦٣٣ .

السبق - أبو القاسم محمد بن أحمد ٥٠٤ .

السبق - أبو جعفر بن أبي القاسم ٦٤١ .

سبكورا ٤٢ .

الجباعي ٢٦٨ م ، ٢٦٩ .

سحيان وائل ٥٣٤ م .

سحنون ٦٣٠ م ، ٦٩١ ح ، ٧٠٦ ح .

الشاوي - أبو الحسن ٢٦٠ .

الشاوي - محمد بن عبد الرحمن ١١٢ ،

١١٣ ، ٦٨٥ ، ٧٠٣ .

السراج - يحيى ٥٦٦ . (?)

السراج = يحيى بن أحمد النفزي

السراج البلقيني - عمر ٦٣٤ م .

السرقيطي - محمد بن محمد ٦٦١ ، ٦٦٥ .

سركيس - يوسف اليان ٨٣ ح ، ٢٦٤ .

السطي - أبو عبد الله ٥٤٠ .

سعاد (اسم) ٥٦ ، ٦٣٨ ، ٦٥٠ م .

سعد التجيبي = ابن ليون

سعد بن أحمد التجيبي الجوندي الجياني

٤٥٧ م ح .

سعدون (اسم) ٥٨٦ .

سعدى (اسم) ٣٣٢ ، ٣٣٥ م .

السعدي - عبد الرحمن بن محمد ٢٥ ح .

سعيد (اسم) ٢٦٣ ح ، ٣٩٥ م ح .

سعيد بن حكم القرشي (٢٧٧ - ٢٨٣) .

سعيد الخطيب (جد لسان الدين) ٥٠٤ .

سعيد بن المسيب ٤٢٣ - ٤٢٤ .

السفاح - أبو العباس ٤٢٩ م .

سفيان الثوري ٤٢٣ م .

السطي - أحمد بن محمد المالقي ٦٨ .

سقين = القصري الفاسي .

السكاكي - يوسف ٢٥٠ م ح .

سكورا = سبكورا .

السكوي - أبو بكر ١٩٠ .

السكوي - أبو الحكم ١٨٩ ح .

السكوي - أبو الحكم ١٨٩ ح .

السكوي = أبو الخطاب .

السكوي - أبو الفضل ١٨٩ ح .

السكوي - علي بن ابراهيم ٣٩٩ ح .

السكوي - محمد ١٨٩ ح .

السكوي التونسي - محمد بن خليل ٧٢ .

سلمى (اسم) ٥٣٢ ، ٥٨٣ .

سلمى = محمد بن عبد الجليل .

اللولي - أبو القاسم ٥٤ ، ٥٩ .

سلم (اسم) ٣٩٥ ح .

سليمان (?) ٢٨٩ م .

سليمان بن داوود بن يوسف ٣٢ ح.

سليمان - فوزي ٦٠٧ .

السمبائي - محمد زين ٧٨ .

السمرائي - محمد معصوم ٣٩٩ .

السمعاني ٣٧٠ .

السموأل ٢٥٥ م .

سن أياتا = صندياتا .

السندوي ٥٦٠ ح .

النوسي - محمد بن يوسف ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٧

٧٨ م ، ٧٠٣ .

الهروردي - عمر ٢٣٥ .

الهيلي - عبد الرحمن ٥٩ ، ١٤٨ م .

الهوداني - أحمد بن محمد ٣٩٩ .

سومان غورو (هورو) ٤١ - ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٨ م .

السوسي - محمد ٨٧ م .

السويسي - محمود ٣٩٣ .

سيبويه ١٤٧ ، ١٦٣ م ، ١٧٠ ، ٢٤٨ ، ٢٧٦ ،

٣١٧ ، ٣٨٨ ، ٤٠٠ م ، ٤٠١ م ، ٥٧٩ .

سيد الأنام = محمد رسول الله ٥٨ .

سيد الأهل - عبد العزيز ٤٢٦ ح .

سيد ريبة ومضر = محمد رسول الله ٥٦ .

سيد المرسلين = محمد رسول الله ٥٩ .

السيد القمبيطور ٩٧ .

سيد الكونين = محمد رسول الله ٥٣١ م .

سيف الدولة ٢٢٢ ح ، ٥٢٠ ح .

سيف بن ذي يزن ٤٣٣ ح (راجع: ابن ذي

يزن) .

السيوطي - عبد الرحمن ٦٠ ، ٦٩ ، ١٣٣ ،

١٥٣ ح ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٣٩٣ - ٣٩٤ ،

٧٠٣ ، ٧١٠ .

السيوطي - عبد الرحيم ٣٩٨ .

## حرف الثين:

الثابّ الظريف ١٥٨ ح .

الثاذلي = أبو الحسن الثاذلي

الثارقى ، الثاري - أبو الحسن بن محمد

١٨٨ م ، ٣٥٩ .

الثاطي = ابن خضر الثاطي

الثاطي - ابراهيم بن موسى ٦٢ - ٦٤ ،

٥٦٦ ، ٦٢٦ .

الثاطي - القاسم بن فيره ٢٦١ م ، ٣٣٦ ح ،

٣٩٣ ، ٦٢٧ ، ٦٣٦ م ، ٦٦٨ ح م .

الثاطي = محمد بن علي

الثافعي ٤٢٣ م ، ٤٢٧ .

ثاكر الأيادي (اسم مرتجل) ٤٦١ م .

ثانجة (الرايع) ملك قتالة ٢٦ - ٢٧ .

ثبانة - محمد كمال ٥١٦ .

ثبوح - ابراهيم ٢٤٥ .

ثبيب بن يزيد الثيباني ٦١٨ ح م .

ثداد بن عاد ٢٨٨ م .

ثدقم (اسم حصان) ٦٠٣ م .

ثرف الدين الأنصاري الحموي ٣٣٤

الشرقاوي - عبد الله بن حجازي ٧٨ .

الشرمبائي - محمد بن مسعود ٢٧٠ .

الشرنوبي - عبد الحميد ٢٧ .

الشرشي - الأمي

الشرشي - أبو عبد الله ٦٢١ .

الشرشي = محمد بن أحمد

الشريف الحني - العباس ٧١٠ م .

الشريف الحسني البقي - محمد بن أحمد

(٤٧٧ - ٤٨٠) ، ٤١٣ وما بعد ، ٥٧٠ ،

٥٦٦ ، ٦١١ .

الشریف التلمساني - عبد الله ٦٢٦ ، ٦٣٤ .  
الشریف الفرناطي = الشریف الحسني  
السبي  
الشریف - أبو الحسن ٦٧١ .  
الشریف الرضي ٥٩٨ .  
الشریف الصقلي التونسي - أحمد بن عبد  
السلام ٩٢ .  
الشریف محمد = حو  
الشترى - علي بن عبد الله (٢٤٦ - ٢٤٧) .  
٧٦ ح ، ٤٥٨ .  
شعبان = الأشرف شعبان  
الشعراني - عبد الوهاب ٢٦٠ .  
الشقراطسي - عبد الله بن يحيى ٢٢٥ ،  
٦٣٦ ح .  
الثقوري = محمد بن علي اللخمي  
شقيق (اسم) ٥٢٨ م .  
شكري محمود = أحمد  
شكبير ٦٠٥ ح .  
الثلوييني ، الثلوييني = أبو علي  
الثلوييني الصغير - محمد بن علي ١٦١ ح -  
١٦٢ ، ٢٦٠ .  
الشمّاخي - أحمد بن سعيد ٧١ .  
الشمّاخي - عامر ٧١ م ، ٨١ .  
الشمّاخي - سعيد (؟) بن عبد الواحد ٨٢ .  
الشمّي المصري - أبو العبّاس ٦٦٦ .  
شهورش ٧١٠ م .  
الشنقيطي - عبد الله بن ابراهيم ٦٣٢ م .  
الشنقيطي - عبد الودود بن علي ٢٦٧ -  
٢٦٨ .  
الشنقيطي - محمد الأمين ٢٦٥ م .

الشهاب بن رسلان ٦٨٥ .  
الشهاب محمود بن فهد ٥٢٠ م .  
شهاب الدين بن الخلّوف - أحمد بن محمد  
(٦٨٥ - ٦٨٨) .  
الشوّاش الفهري - أبو عبد الله ٣٤١ .  
الثناوي السملالي - الحسن (الحسين) بن علي  
٥٥ .  
شوقي (اسم) ٦٩٥ ح .  
شيخ الأرض - تيسير ٦٠٧ .  
الشيخ البرتغالي الوطاسي - محمد بن محمد  
٦٨٩ ، ٦٩٨ م ، ٧٠٠ - ٧٠٣ .  
شيخ الغزاة ١٠١ .  
شيخو - الأب لويس ٣٧٢ ح .  
الثيرازي (؟) ٦٤ ، ٧٢ .  
الثيريزي = عبد الرحمن بن نصر .  
الشیطان ٢٠٧ م ، ٤٧٦ .

#### حرفا الصاد والضاد:

الصابوني - أبو الحسن ٢٨٤ - ٢٨٥ .  
صاحب الحمار = أبو زيد كيداد  
صالح (النبي) ٢٢٤ ح .  
صالح الرندي = أبو البقاء  
صالح - أبو محمد ٥٥٤ .  
صالح (قنب) ٤٣ م .  
صالح (أدخل الإسلام إلى ودّاي) ٥٠ - ٥١ .  
الصانع النحوي - أبو الحسن ٤٠٩ .  
الصائفي - سالم بن سعيد ٧١ .  
الصباح - أحمد بن محمد ٦١٥ .  
الصباغ - محمد بن محمد ٧٩ .  
الصباغ الحميري - محمد ٢٠٩ .  
الصبان - محمد علي ٢٦٩ م ، ٢٧٠ .

## حرفا الطاء والظاء:

الطائي = عبد الله بن هرون  
الطاغية = ملك الإسبان (اطلبُ أسماء ملوكهم).  
طالب - ميرزا أحمد ٢٧٠.  
طاهر الزواوي = الزواوي.  
الطبّاع - عبد الله ٢١٧.  
الطبري = نجم الدين  
الطرطوشي - أبو بكر ٨٢، ٨٣، ٤٧٠ ح.  
طرفة بن العبد ٢٥٠.  
طلحة بن حزم الأندلسي - محمد (١٥٤) -  
(١٥٦).  
الطنجالي - محمد بن أحمد ٤٢٠، ٤٩٨.  
طوقان - قدرى ٣٨٩.  
الطويحين الساحلي - ابراهيم بن محمد (٤٣٠) -  
(٤٣٦)، ٤٢، ٤٩٧ م.  
الطيب بن عبد المجيد الكراfi (؟) ٢٦٩.  
الطيب = ابن الطيب  
الطيب = محمد الطيب  
الظاهر برقوق = برقوق  
الظريف = محمد الظريف

## حرف العين:

عائشة (اسم) ٥٨٦.  
عائشة بنت أحمد المديوني ٦٤٠.  
عائشة الباعونية ١١٣.  
عائشة بنت الجيار المحتسب ٩٢.  
عائشة بنت علي الصنهاجية ٥٧.  
عائشة بنت عمران المنوفي ٧٥.  
عائشة بنت محمد المغيلي ٥٠٢.

الصبان - محمد علي ٢٦٩ م، ٢٧٠.  
صبح (جارية الجزنائي) ٤٥٠.  
الصدقي = أبو علي  
الصدقي الشاطبي - أحمد بن محمد ٥٣٤.  
الصدقي الطرابلسي - عبد المجيد ٣٥٤.  
الصعدي - عبد المتعال ٢٧٠.  
الصغير (الأستاذ؟) ٧٠٣.  
الصغير = ابن الصغير.  
الصغير = ابن عمار.  
الصفاقسي - ابراهيم بن محمد ٥٤.  
الصفاقسي - محمد بن محمد ٥٤.  
الصدقي - خليل بن أليك ١٩٤ ح، ٣٢٨،  
٣٣١.  
الصفاوي - عبد الرحمن بن عبد المجيد  
٢٨٤، ٣٢٨.  
صفوة الخلق = محمد رسول الله ١٢١.  
الصفوي - عبد الرحيم ٢٦٦ (٦٦ م؟).  
صفية (اسم) ٤٩٩ - ٥٠٠.  
صلاح الدين الأيوبي ٨٣ ح م، ١١١ - ١١٢،  
٤١٥ ح.  
الصلاح الأقفسي ٥٨.  
الصلاح - محمد بن ابراهيم ٩٠.  
صليبا - جيل ٦٠٧.  
صندياتا ٤١ م، ٤٨ م.  
صني علي ٤٩ م.  
الصواي = ابن سعود.  
الصولي - أبو بكر بن يحيى ٤٧٠ ح.  
صوماغورو = صوماغورو.  
الضائي = الضائي.  
ضيف - شوقي ١٨٥ ح، ٣١٦ م.

عاد (جدّ عربي) ٢٨٨ .  
 العاقب بن عبد الله الأنصمي ١٣٢ ،  
 م ١٣٣ .  
 العاقب بن محمد بن عمر التنبكي ١٣٣ م  
 (راجع نيل الإبتهاج ٢١٨ - ٢١٩) .  
 عالم قفصة = ابن عقيبة .  
 العامريّة = ليلي  
 العاملي = بهاء الدين  
 عبادة القراز ١٤٥ .  
 عبادة بن ماء السماء ٣٥٨ ح .  
 العبّادي - أحمد مختار ٥١٥ ، ٥١٦ م .  
 عبّاس - احسان ٨٣ ح ، ١٧٩ ح ، ١٨٢ ،  
 ١٨٧ ، ٣٥٣ ، ٣٩٤ ، ٥١٦ م ، ٥٤٨ ح ،  
 ٥٥٠ ح .  
 العبّاس بن مرداس ٤٩٨ ح .  
 العباسة أخت الرشيد ٥٩٣ - ٥٩٤ .  
 عبد الله (اسم) ٣٤٥ ، ٣٤٩ م .  
 عبد الله بن الحسن اللخمي ٦٢٤ .  
 عبد الله بن الزبير ٤٢٩ ح .  
 عبد الله بن سعيد الخطيب (والد لسان  
 الدين) = ابن الخطيب  
 عبد الله بن عبّاس ٥٩٤ م ، ٦٦٣ م .  
 عبد الله بن عبد الله = أنسلمو  
 عبد الله بن عبد المطلب (والد الرسول)  
 ١٨٠ م ح .  
 عبد الله بن عمر بن محمد أقيت ١٣٢ .  
 عبد الله بن غانية ١٥٠ ، ١٥١ .  
 عبد الله بن لسان الدين بن الخطيب ٤٣٢ -  
 ٤٨٣ .  
 عبد الله بن المبارك ٤٢٣ م .  
 عبد الله بن مسعود ٤٧٦ م .

عبد الله بن هرون الطائي ٤٠١ .  
 عبد الله بن ياسين الجزولي ٣٩ - ٤٠ .  
 عبد الله بن يوسف الأندلسي - أبو محمد  
 ٤٠١ - ٤٠٢ .  
 عبد الباقي - محمد فؤاد ٢٦٥ ، ٦٥٦ .  
 عبد الحق الإشبيلي - أبو محمد ٦٠ .  
 عبد الحق البطوي :  
 عبد الحميد - محمد محيي الدين ٢٦٦ ، ٢٧٠ ،  
 ٥١٦ .  
 عبد الرحمن (اسم) ٣٤٩ م .  
 عبد الرحمن الأوسط ١٨٥ م .  
 عبد الرحمن الداخل ٤٠٦ ح .  
 عبد الرحمن (بن) أي حمو موسى الثاني (٢)  
 ٨٣ .  
 عبد الرحمن بن الطفيل ٣٧٠ .  
 عبد الرحمن بن نصر (الله) الثيزري النبراوي  
 ٨٣ م .  
 عبد الرحيم (اسم) ٣٤٩ م .  
 عبد الرسول - محمد ٣٧٤ .  
 عبد السّار - أحمد عطار (عبد القادر) (٢)  
 ٥١٦ .  
 عبد السلام بن علي الزواوي ٥٣ .  
 عبد العزيز التكروري ١٣١ .  
 عبد العزيز الحفصي = المتوكل .  
 عبد العزيز بن عبد العزيز اللمطي ٧٣ ،  
 ٦٨٠ .  
 عبد العزيز بن علي = المستنصر المريني  
 عبد العزيز الملوذي (٣٢٩ - ٣٣١) .  
 عبد القادر (اسم) ٥٨٦ .  
 عبد القاهر بن محمد التونسي ٩٢ - ٩٣ .  
 عبد القيام - محمد ٢٠٨ .



- عبد القيوم - محمد  
عبد الكريم الغرناطي (٦٧١ - ٦٧٣).  
عبد المنعم الدمنهوري ٥٣٦.  
عبد المنعم بن محمد الغساني ٣٥٤.  
عبد المنعم بن صالح التميمي ٣٢٨.  
عبد الملك بن مروان ٤٢٩ ح، ٥٠١.  
عبد المهيمن الحصري (٤٤٥ - ٤٤٨)، ٥٧، ٥٤٠، ٣٦٥.  
عبد المولى - محمود ٦٠٨.  
عبد المؤمن بن علي ٣٧٦ م.  
عبد النور العمراني ٧٠.  
عبد الواحد الحفصي ٦٩، ٣٠١ م.  
عبد الواحد بن محمد المالقي ٥٣.  
عبد الواحد المواكشي (١٦٤ - ١٦٧)، ٦٠.  
عبد الواحد الهندي ٢٦٤.  
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن  
١٤٨ م، ١٤٩.  
عبد الواد = (عبد الواحد) ٣٢ ح.  
عبد الوهاب - حسن حني ١٨٣ ح، ١٨٥،  
٢٥٣ ح، ٣٧٩ ح، ٣٨١، ٥١٥.  
٦١٢ ح.  
عبد الوهاب بن علي بن محمد القيسي  
٣٦٠ - ٣٦١.  
العبدري = ابن الحاج القاسي - محمد  
العبدري (صاحب الرحلة) - محمد بن محمد  
البلنسي (٤٠١ - ٤٠٤)، ٨٠، ٣٦٢.  
العبدري - علي بن يوسف ٣٦٥.  
العبدوسي - أبو عمران ٦٢.  
العبدوسي - عبد العزيز ٦٣٩.  
العبدوسي = ابن معط العبدوسي  
عبد - اغناطيوس ٦٠٦ ح - ٦٠٧.
- عبدون - غنيم ٦٠٧.  
عبيد الله (اسم) ٣٤٩.  
عبيد الله بن أحمد الأزدي ٣٥٤.  
عثمان بن أدريس (سلطان كانم) ٤٦.  
عثمان بن سعيد = ورش  
عثمان (أبو عمر) الحفصي ٦٨٥.  
عثمان بن عفان ٨١، ٤٠٥.  
عثمان بن يغمراسن ٣٢، ٣٦٢.  
العجيزي = يوسف دليلي.  
عدنان (جدّ عرب الشمال) ٥١٩، ٥٦٢.  
العدوي - حسن ٢٠٩.  
العدوي = عبد الرحمن بن نصر  
العدوي = قطة العدوي  
العدوي الحمزاوي ٦٦٠.  
عدّي بن زيد ٥٣٦ م.  
العراقي - عبد الرحيم بن الحسن ٦٣٦ م.  
العربي - اسماعيل ٣١٦.  
عروج ٣٠، ٣١ ح، ٣٤.  
العروسي = التجار العروسي  
عروة بن حزام ٣٣٠ م.  
العرف - عبد الرحمن ٧٨.  
العز بن عبد السلام ٣٣٤.  
العزّ القدسي ٦٨٥.  
العزّي - أبو طالب ٣٦٢.  
العزّي - أبو القاسم ٤٢٧.  
العزّي - أحمد بن محمد ٥٦.  
العزّي السبي - محمد بن أحمد ٥٦، ١١٦.  
عزّوز الحفصي = المتوكل الحفصي  
العشّاب القرطي - أحمد بن محمد ٥٤.  
العشاوي - عبد الله بن فاضل ٣٩٨.  
العطار - أبو اسحاق الصنهاجي ٣٨٨.

- الطار - عزّت ٢١٦ .  
الطار - حسن بن محمد ٣٦٩ ، ٣٩٨ .  
العقابي - ابراهيم بن قاسم ٦٨٨ .  
العقابي - سعيد بن محمد ٦٤ - ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٣٤ ، ٦٣٧ م ، ٦٨٠ ، ٦٨٨ .  
العقابي - محمد بن أحمد ....  
العقابي - محمد بن العباس ٦٧ م .  
العقيلي = محمد بن العربي .  
علاكي = كنع - موسى .  
علام - مهدي ٢٩٨ ح .  
علقمة الفحل ٢٥٠ .  
العلمي = يحيى بن عبد السلام .  
علوش (محقق «الحلل الموشة» ) ٥١٥ م .  
عليّ (اسم) ٣٤٩ ح م .  
عليّ بن أبي طالب ١١١ ح ، ١١٥ م ، ٤٧٦ م ٦٦٣ - ٦٦٤ .  
عليّ بن حزام الدين الهندي ٢٧٦ .  
عليّ دوغان (ملك برنو) ٤٧ .  
عليّ = صنيّ عليّ .  
عليّ بن عبد الله (محمد) الفاسي ٨٠ - ٨١ .  
عليّ بن عثمان المريني = أبو الحسن - علي بن عثمان .  
علي بن عمر الهواريّ ٧٤ - ٧٥ .  
علي الفقيه حسن ٣٧٠ .  
عليّ كولون ٤٨ .  
عليّ بن محمد بن عليّ = ابن حفص اليحصي .  
عليّ = محمد بن سالم .  
عليّ بن موسى = ابن سعيد العنسي .  
عليّ بن نافع = زرياب .  
عليش - محمد ٥٧٩ .  
عماد الدين الأصفهاني ٢٤٢ م .  
عمار - عليّ بن سالم ٢٠٩ .  
عمار بن ياسر ١٤٠ م .  
عمر (عمرو) بن ادريس بن ابراهيم ٤٦ .  
عمر بن أبي ربيعة ٥٩٨ م .  
عمر بن الخطاب ١٨٠ ح ، ٢٠٠ ح ، ٢٢٠ ح ، ٣٠٠ م ، ٤٨٦ م ، ٦٦٣ ح - ٦٦٤ .  
عمر بن رسلان (راجع السراج البلقيني) .  
عمر بن عبد الله السلمي ٢٣٠ .  
عمر بن الفارض ٣٣٢ ، ٤٧٣ م ، ٤٩٠ ، ٥١٨ م ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ .  
عمر بن محمد النفاوي ٨٦ م .  
عمر الهنتاقي - أبو حفص ٢٥٠ (راجع أبو حفص) .  
عمران بن حطّان ٥١٩ م .  
العمراني = عبد الله .  
عمرو (اسم) ٦٣١ ح م ، ٦٣٣ .  
عمرو = عمر بن ادريس .  
عمرو بن عدوى ٥٣٦ م .  
العمريطي - يحيى ٣٩٩ .  
عنان بن جابر (١٥٧ - ١٥٩) ، ٢٥٣ - ٢٥٤ .  
عنان - محمد عبد الله ١٦ ، ٢٨٦ ح ، ٥١٥ ، ٥٥٨ ح ، ٦٠٧ ، ٦١٩ .  
عنّرة ٢٥٠ ، ٥٢٠ ح .  
العنجاطي - الخطيب (؟) ٤٥٢ .  
العنسي = ابن سعيد العنسي .  
العنسي البلنسي - محمد بن سعيد ٥٤ .  
العنسي المراكشي - علي ٩١ .  
العوامري - أحمد ٥٢٧ .  
عيّاد - كامل ٦٠٧ .

الفجومي - أبو عمران موسى بن عيسى

٣٩ م .

غلام أحمد ٦٦٠ .

غلام عبد الرحمن = قادر مرام

غليزر - سدي ٢٦٦ .

الغماري - أحمد بن الحسن ٨٠ .

الغماري - أحمد بن عيسى ٣٥٤ .

الغماري - البلنسي - أحمد بن محمد ٢٦٠ ،

٣٥٤ .

الغماري المراكشي - محمد بن عبد الرحمن

٦٤ .

الغماز - أحمد بن محمد ٤٤٥ م .

غوثالث = بالنشيا

غوغيه ٢٦٥ م .

غومذ = غارثيا

غيلان مية = ذو الرمة

### حرف الفاء :

فارس بن الحسن = أبو عنان

الفاروق = عمر بن الخطاب

الفارسي - الحسن بن علي ٦٦٨ .

الفازاري - أبو زيد ١١٦ .

الفاسي - (الفارسي ؟) ٦٦٩ م .

الفاسي - عبد الرحمن بن محمد ٢٠٩ ، ٦٦٠ .

الفاسي = علي بن عبد الله

الفاسي - محمد ٤٠٤ ، ٤١٤ ، ٦٥٢ ح .

الفاسي = محمد بن أحمد

الفاسي = محمد بن حسن

الفاسي = يحيى بن أحمد النفزي

فاطمة (اسم) ٥٨٦ .

عياد - محمد بن محمد ٢٠٩ .

عياض (القاضي) بن موسى ٤٠٩ (راجع

٤٠٠ ، ٤١٠ ، ٤٤٥) .

عياض بن موسى بن عياض القاضي ٥٦ ،

٦٢ ، ١١٤ م ، ٤٠٩ ح ، (راجع ٤٠٠ ،

٤١٠ ، ٤٤٥) .

عيسى ١٢٠ ح ، ٢٧٥ ح .

العيني ١٢٠ ح ، ٢٧٥ ح .

العيني - محمود بن أحمد ٢٦٦ .

غيوش (اسم) ٥٨٦ .

### حرف الغين :

غابريلي ٧٨ .

غارثيا غومذ - أميليو ٣٢٦ .

غازي (اسم) ٦٩٥ ح .

الغافقي - ابراهيم ٤١٣ ، ٤٣٦ ، ٤٧٨ .

الغافقي - ابراهيم ٥١٣ .

الغافقي - اليسع بن عيسى ٥١٣ ح .

الغبريني - أحمد (٣٥٣ - ٣٥٦) ، ٦١٣ .

الغرابلي - أبو زيد ٣٣٩ .

الغرافي - علي بن أحمد ٦١٣ .

الغرناطي = عبد الكريم

الغرناطي = محمد بن محمد

الغرور = أبلبس

غريب - جورج ٥٢٧ .

غريغوريوس = أبو الفرج

الغزالي - أبو حامد ١٢٩ ح ، ٢٠٦ ، ٢٧٦ ،

٣٨٨ ، ٤٧٠ ، ٦١٠ ح ، ٦٦٨ م .

الغزالي (؟) ٧٦ .

الغساني = عبد المنعم بن محمد .

- فاطمة (بنت رسول الله) ١١٥ م .  
 الفاكهاني - عمر بن علي ٥٤٧ هـ .  
 الفتح بن خاقان الأندلسي ٤٧٠ هـ .  
 الفجيجي = ابراهيم  
 الفخار = ميمون  
 فخر الدين القاضي (ذكره ابن بطوطة) ٥٣ م .  
 (٤)، ٥٢٧ .  
 فخر الدين الرازي ٤٧٣ هـ ، ٥٩٠ هـ - ٥٩١ .  
 فرج بن برقوق = الناصر فرج  
 فرديناند الثالث (ملك قشتالة) ٢٦ م ، ٣٣٤ .  
 فرديناند الخامس (ملك أرغون وقشتالة) ٢٧ ،  
 ٧٠٢ هـ .  
 الفرزدق ٢٢٢ م .  
 فرعون ٤٣٣ .  
 فروخ - عمر ٦٠٩ .  
 فروة بن مسيك ٣٤٥ هـ .  
 الفزاري - إبراهيم (ثائر اندلسي) ٣٧٩ م .  
 الفتالي = ابن شبيب .  
 الفتالي - محمد بن أحمد ٦١ ، ٦٩٠ م ، ٦٩٤ .  
 الفضيلي - محمد بن يحيى ٢٨٤ م .  
 فطوم (اسم) ٥٨٦ .  
 فند زمان ٢٢١ م ، ٢٢٢ هـ .  
 الفودودي - الحسن بن عمر ٣٣ .  
 فور - أدولف ٦١٤ .  
 الفورقي - بشير ٥١٥ .  
 فولك ٢٦٧ .  
 فيتو - أنريكو ٢٦٥ م .  
 الفيروزآبادي - مجد الدين ٢٣ ، ٦٣٤ .  
 فيصل الأول (ملك العراق) ٦٠٨ هـ .  
 فيرنيه ٣١٦ .  
 فيشر ٣٩٧ .
- الفيلاي الهاشمي - محمد ٤٠٨ .  
 الفيلاي الصنهاجي - محمد ٦٣٤ .
- حرف القاف:
- القادر بن ذي النون ٩٥ .  
 القادر القاسي (٤) ٣٩٨ .  
 قادر مرام = غلام عبد الرحمن ٦٦٠ .  
 القادري - نوح بن علي ٢٠٩ .  
 قارون ٢٨٨ م .  
 قاسم (ذكره الثلوبين) ١٦٣ م .  
 قاسم بن عيسى القيرواني ٦٥ .  
 القاسمي - محمد جمال الدين ٥١٨ هـ .  
 القاضي - محمد بن محمود ١٣٣ .  
 القاضي المكتاسي = اليفرني  
 القاضي - وداد ٨٣ هـ ، ٨٤ - ٨٥ .  
 القالي - أبو علي ١٧٠ .  
 قاهر - محمد الشريف ٥١٥ .  
 القاووجي - محمد خليل ٢٠٩ م .  
 قايتباي ٦٦١ م .  
 القباب - أحمد بن قاسم ٦٢ ، ٦١١ ، ٦٩٢ م .  
 قباوي - فخر الدين ٢٤٩ هـ ، ٢٥١ م .  
 قحطان ٢٨٨ .  
 قدار (من ثمود) ٢٢٤ هـ .  
 قداره = كوديرا  
 قدامة بن جعفر ٥٣٤ م .  
 قدور (اسم) ٥٨٦ .  
 قراقس ٦١٠ هـ .  
 القرباقي - علي بن موسى ٦٦٩ - ٦٧٠ .  
 القربلياني - محمد بن علي ٩١ - ٩٢ .  
 القرداحي - جبرائيل ٧٠٧ هـ .  
 القرشي - أبو جعفر = ابن فركون .

القيجائي (القيجاطي) - علي بن عمر  
(٤١١ - ٤١٢)، ٥٢٨، ٥٥٥ م.  
القيجائي - أبو عبد الله ٦٢٦.  
قيس بن سعد ٥١١ م.  
قيس بن سعد بن عبادة الصحابي ٥١١ م.  
قيصر ٥٤٢، ٥٥٢.

#### حرف الكاف:

كاترمير ٦٠٦.  
كارلتي ٣٩٨.  
كاشف - سيّدة (?) ٣١٦.  
الكتاني - أبو بكر ٥٧.  
الكتّاني - محمد بن إبراهيم ٤٠٦، ٥١٥.  
كع = ادريس كع  
كع = موسى  
كثير عزة ٥٩٨.  
الكدالي = يحيى بن إبراهيم  
كرا سكاس = قراسقاس  
الكراني (?) - الطيّب بن عبد المجيد  
كرايل ٥١٦.  
الكرودي - محمد ٢٦٦.  
(الكرسوطي) (الكرسوطي) الفاسي -  
عبد الله ٥٧.

كرمي = ادريس كع  
كرو - أبو القاسم محمد ٦٠٨.  
الكراني = الجزنائي الكرياني.  
الکسي - عبد الله بن محمد ٧١.  
كسرى أنوشروان ٢٥٥ ح م، ٢٨٨ م،  
٤٣٢ - ٤٣٣. راجع ٥٤٢ ح، ٥٥٢.  
الكّمّاك - عثمان ٣١٢.  
كعب بن زهير ٥٦، ١١٢، ٥٨٠، ٥٩١ ح،  
٦٣٨، ٦٩٨.

القرشي (?) (صاحب كتاب الفرائض) ٤٨١.  
القرشي - المهدي بن مصطفى ٢٧٠.  
القرطبي (ت ٥٩٠ هـ) ١٤٧ ح.  
القرطبي - أحمد بن عمر ٢٥٥.  
القرطبي - محمد بن أحمد (٢٥٥ - ٢٦٠)، ٦٠،  
٥٢.

القرني - أبو حنين ١٨١.  
القزويني - محمد بن عبد الرحمن ٦٧٨.  
قسّ بن ساعدة ٥٣٤ - ٥٣٥.  
قطنطين الأول (ملك الروم) ٤٨٥ ح.  
القنطيني - أحمد ٦٨٣.  
القنطيني = يحيى بن عبد اللّام  
القشيري - أبو القاسم ٢٠٦.  
القصار - أبو العباس ٦٣٢.  
القصري - عبد الرحمن بن عليّ ١٣٢.  
قطّة العدويّ - محمد بن عبد الرحمن ٢٦٩.  
قلاوون (الملك المنصور) ١٠١ م، ٣٧٠ ح.  
القلثاني - أحمد ٦٣٢ - ٦٣٣، ٦٦٥ م (?)  
القلثاني - محمد بن عمر ٦٨٣ م.  
القلصاديّ - عليّ بن محمد (٦٦٥ - ٦٧٠)، ٦٠،  
٦٦.

القلعي - عبد الله بن محمد .....  
القلعي = محمد بن الحسن  
القلقشندي ٦٥٢.  
القلّي ٦٩٦.  
قمير - يوحنا ٦٠٩.  
القَمّيّ = مؤيد الدين القمّيّ  
قنب صالح = صالح  
القوري - ٦٧.  
القوري - محمد بن محمد ١٣٣ (?)  
القوري (شيخ ابن غاز) ٦٩٥ (راجع).

٤٨٧ - ٤٨٩ . ٥٣٧ . ٥٤١ - ٥٤٣ .  
 ٥٤٨ - ٥٥٠ . ٥٥٨ - ٥٥٩ . ٥٧٠ م .  
 ٥٩١ م . ٦١٦ م . ٦٢٠ ح . ٦٢٤ -  
 ٦٢٥ . ٦٤٢ . ٦٨٠ م . ٦٩٣ - ٦٩٤ .

اللياني = أحمد اللياني  
 اللمتوني = محمد بن تيفاوت  
 اللمتوني = يحيى بن عمر  
 اللمطي = عبد العزيز بن عبيد العزيز  
 لوشيانو (لوشيانو) ٧٨ م .  
 اللوشي - محمد بن محمد ٥٦٧ .  
 اللؤلؤي الزركشي - محمد بن ابراهيم  
 (٦٨٢ - ٦٨٥) .

لويس التاسع ٣٠ م . ٣٤٠ م . ٢٠٥ م . ٢٩٣ ح .  
 الليث بن سعد ٤٢٣ م .  
 ليفي بروفنصال = لافي  
 ليلي (في شعر) ٢٨٥ م . ٣٣٢ . ٤٣٤ .  
 ليلبي العامرية ٥٢٠ م .  
 الليمومي ٣٧٧ .

#### حرف الميم:

ماء السماء = ماوية  
 مارتل ٦٣٢ .  
 مارتل - الأسقف نقولا ٧٣ م .  
 المارتلي = أبو عمران  
 مارسيه ٣٦٩ .  
 ماسينيون - لويس ٤٤ .  
 ماضور - محمد ٦٨٥ .  
 ماكدونالد - دوفكان ٦٠٩ .  
 مالك (خازن النار) ٢٨٢ م . ٣٢٥ م .  
 ٣٣٧ م .  
 مالك بن أنس ٦٠ . ٦٣ . ٦٧ . ٧٠ . ٢٠٦ .

كعب بن مامة ٥٤٨ م .  
 كمت - محمود بن المتوكل كمت التنبكي  
 ٢٥ ح . ٧٠ .  
 كلفرن ٢٦٧ م .

الكفراوي - حسن بن علي ٣٩٧ . ٣٩٨ .  
 الكلاعي - أحمد بن الحسن = ابن الريات  
 الكلاعي - (?) ٣٧٦ ح .  
 الكلبي = موسى .  
 كليمنت السادس (بابا) ١٠٢ ح .  
 الكتافي الوقشي - أحمد بن عبد الرحمن ٩٨ .  
 كتي = ديارا كتي  
 الكندي - تاج الدين  
 كنك موسى ٧٠٧ .  
 كنون - عبد الله ٥٣ . ٥٧ . ٦٨ . ٨٨ .  
 ٤٤٩ . ٤٨٠ ح . ٥٨٦ م . ٦٢٣ .  
 كوديرا أي زبدن - فرنسيسكو ٢١٦ م .  
 كوكبوري = مظفر الدين  
 كولان ٤٠٦ م .  
 كولون = علي كولون

#### حرف اللام:

لافي بروفنصال ٦٥٦ .  
 لبيد بن ربيعة ٤١٨ ح .  
 اللجائي - أبو عبد الرحمن ٨٩ . ٦١١ .  
 اللحياني ٣٠ .  
 اللخمي = محمد بن علي  
 لسان الدين بن الخطيب - محمد بن عبد الله  
 (٥٠٣ - ٥١٧) ، ٦ ، ١٦ ، ٨١ ، ١٠٤ -  
 ١٠٩ . ١١٩ ح . ١٢٤ - ١٢٧ . ١٤٥ .  
 ٤٣٩ . ٤٤٠ - ٤٤٩ ح . ٤٧٠ .  
 ٤٧٩ - ٤٨٠ . ٤٨٢ - ٤٨٣ . ٤٨٤ ح .

- ٢٠٨ م، ٥٠٨ م، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩ م.  
٦٣٠ م، ٦٣٦ م، ٦٦٤ م، ٦٩٠ م.  
٦٩١ ح، ٦٩٣ ح.  
مالك بن المرحّل (٣٣٥-٣٣٩)، ٥٣.  
١٢٢ م، ٣٢٤-٣٢٥.  
المأمون (العباسي؟) ٥٤٦ م.  
المأمون الموحدي ٣٥٦ م.  
الماوردي - أبو الحسن ٤٥٨، ٤٧٠ ح.  
ماوية (ماء السماء) ٥٠٨ م.  
المبرد ١٧٠.  
المتقي = علي بن حزام الدين  
المتنبي ١٩، ١٣٧ ح، ١٤٥، ٢٢١، ٢٢٢ ح،  
٢٥٠، ٣٠٩ م، ٣٣٧ ح م، ٤١٦.  
٤٣٣ ح، ٤٧٦ ح، ٤٩٠، ٥١٩ ح،  
٥٩١، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٩٢ ح، ٦٩٨.  
المتوكل الحفصي - أبو فارس عبد العزيز بن  
أحمد ٣٠ م، ٣٥، ٧٣ ح، ٨٦ ح، ٩٢،  
٦٨٤ م.  
المتوكل الربيعي - أبو عنان فارس ٣٥،  
١٠٨ ح،  
المتوكل الربيعي الزياتي ٦٨٩.  
المتوكل بن هود - محمد بن يوسف ٢٦ م،  
١٤٠ ح، ١٤١ ح، ١٤٩، ١٤٩، ١٦٩،  
١٧٤، ١٩٦، ٢٠٢، وما بعد، ٣٣١ م.  
المجاصي = ابن عبد الواحد  
مجنون ليلي ٣٣٠ م.  
مجاج (اسم فرس) ٦٠٢.  
المحاسني - يوسف بن موسى ٣١٧.
- محداد - عبد القادر ٣١٦.  
محفوظ - محمد ٤٤٤.  
محفوظ الحق - محمد ٢٠٨.  
المحلي - جلال الدين ٦٦٦.  
محمد (اسم) ٣٤٩ م.  
محمد رسول الله \* ٥٥٠، ٤٣ إلى ٥٩، ٦٩ م.  
٧٣ ح، ٧٦ إلى ٨١، ١١٠ إلى ١٣٠.  
٥٦ ح م، ١٧٤ إلى ١٧٧، ١٨٢.  
١٩١ ح، ١٩٥ إلى ٢٠١، ٢٢٥.  
٢٣٠ م، ٢٣٢ م، ٢٣٧ - ٢٣٩.  
٢٤٣ - ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩.  
٢٦٢، ٢٧١ - ٢٧٢، ٢٧٥ ح م.  
٣٠٠ م، ٣٠٧ ح، ٣٠٩، ٣١٨ م.  
٣٢٠ - ٣٢٣، ٣٠٩، ٣١٨ م، ٣٢٠ -  
٣٢٣، ٣٣٦ - ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٤ ح م.  
٣٤٨ ح، ٣٤٩ م، ٣٥٥، ٣٦٦ م،  
٣٨٢، ٣٨٥، ٤١٠ ح، ٤١٧، ٤٢١ م.  
٤٢٢ إلى ٤٢٥، ٤٣٩، ٤٤٣ م، ٤٦٩.  
٤٧٦ ح م، ٤٧٧ ح، ٤٨٣، ٤٨٩ م.  
٥٠١، ٥٠٨ ح، ٥١١ م، ٥١٩.  
٥٢٩ م، ٥٣٢ إلى ٥٣٦، ٥٤١ ح،  
٥٤٧ م، ٥٥٠ - ٥٥٣، ٥٥٦ - ٥٥٧،  
٥٦٠ م، ٥٦٢ م، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٨٢ م،  
٥٩١ ح، ٥٩٤ م، ٦٠٧، ٦١٢،  
٦١٧ - ٦١٨، ٦٢٤ - ٦٢٥، ٦٢٧،  
٦٣٦، ٦٣٨، ٦٤٣ م، ٦٤٩، ٦٥١ م،  
٦٥٧ إلى ٦٦٠، ٦٦٣، ٦٧٧،  
٦٨١ - ٦٨٢، ٦٩٦، ٧٠٨ م، ٧٠٩ م.

(\*) محمد رسول الله أساء كثيرة منها: سيد العالمين - التفيح - الماحي وغيرها، تجد الإشارة إليها كلها تحت «محمد رسول، الله».

محمد بن علي بن موسى (أمير جزيرة ميورقة)  
٢٢٣ - ٢٢٤ .

محمد بن علي بن هشام ٤٦ .

محمد بن محمد بن يحيى ٣٨٨ .

محمد بن عمر الزواوي النجار البجائي ٩١ .

محمد بن محمد بن عبد الله = ابن عبد الله

محمد بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري ٢١٠ .

محمد بن محمد الفرناطي ٦٧ م .

محمد بن محمد بن منصور القيسي الأندلسي  
٦٧ .

محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت...  
الصنهاجي ١٣٢ - ١٣٣ .

محمد المفضل الهادي = ابن عزور

محمد بن موسى المزالي (٢٨٤ - ٢٨٥) .

محمد بن محمد بن يعقوب الكومي ٧٥، ٧٦ .

محمد المهدي الفاسي - أحمد بن علي ٦٦٠ ،  
٦٦١ .

محمد الناصر الموحي = الناصر الموحي

محمد بن يحيى = ابن أبي بكر

محمد بن يحيى الحفصي = المستنصر الحفصي

محمد بن يحيى المريني ٥٥٣ م .

محمد بن يعقوب الموحي = الناصر الموحي

محمد بن يوسف = ابن نصر .

محمد (الخامس الغني الله) ابن الأحمر = محمد بن  
يوسف بن إسماعيل

محمد بن يوسف التلصاني (٥٣٦ - ٥٣٩) .  
راجع أبو سعيد .

محمد بن يوسف الهمداني ٣٥٤ .

محمد بن يوسف بن هود = ابن هود

محمود - عبد الحليم ٢٠٩ ، ٦٧٩ .

محمد بن أحمد الاستجي (١٤٤ - ١٤٨) .

محمد بن أحمد الثريشي ٦٢ .

محمد بن أحمد الفاسي - تقي الدين ٦٥ .

محمد البديري = البديري

محمد (راجع أيضاً «حو»).

محمد بن أبي القاسم الحميري = ابن الصبّاغ

محمد بن تيفاتو للمتوني = (تاسرت) ٣٨ م .

محمد الحاج (ساسكي) ٦٩ .

محمد حسن (الهندي) ٢٦٥ .

محمد بن حسن الفاسي ٥٢ .

محمد بن الحسن القلعي (٢٧١ - ٢٧٣) .

محمد بن الحسن الملقبي ٦١ - ٦٢ .

محمد بن حفص الموحي (والي بلنسة) ٢١٠ .

محمد بن خلدون (جدّ عبد الرحمن) = ابن  
خلدون

محمد (الثالث) بن داوود ٥٠ .

محمد سالم علي ٢٧٠ .

محمد سعيد الصنهاجي ٧٤ .

محمد بن سعيد الغنسي ١٤٩

محمد الطيّب الجزائري ٢٠٩ .

محمد الظريف التونسي (٥٦١ - ٥٦٣) .

محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي =  
ابن عبد الجليل

محمد بن عبد الله المرسي (١٩٤ - ١٩٦) .  
٥٢ .

محمد بن عبد الجليل = سلمى . سالم

محمد - عبد القيوم ٣٧٤ .

محمد العربي العقيلي (٦٩٨ - ٧٠٣) .

محمد بن علي الشاطبي المغربي ٨٢ .

محمد بن علي اللخمي الشقوري ٩١ .



محمود بن عمر أقيت التنبكي (٧٠٥-٧١١).

محمود بن عمر بن محمد أقيت... الصنهاجي ١٣٢.

محمود بن فهد = الثهاب محمود

محمود كمت = محمود بن عمر أقيت

المختار (محمد رسول الله) ١٩٧ م.

مخلد بن كيداد = أبو يزيد

مخلص - عبد الله ٥٣٦.

مخلوف بن علي بن صالح البلبالي ١٣٢.

المخيلي - يوسف ٣٧٠.

المدني - (٩) ٦٣٢.

المدبوني - أحمد بن الحسن ٦٤٠ م.

المدبوني الحكيم - يوسف ٩٠.

المدبوني - عائشة بنت أحمد

المدحجي - أحمد بن علي ٥٠٩ (؟) ٤٠٥.

المراغبي - أحمد مصطفى ٢٧٠.

المراكشي = عبد الواحد

المراكشي = ابن عبد الملك

المربلي = ابن أبي رجانة

مرتضى بن حاتم ٣٧٠.

المرتضى - محمد ١٢٧.

المرتضي الزبيدي ٢٠٩ م.

مرحل (المرحل: والد مالك بن المرحل)

٣٢٥ م.

مرزوق بن عجيبة ٥٤٦.

مرسي - أحمد محمد ٢٥٩.

المرسي = محمد بن عبد الله

المريني = أبو الحسن. أبو سعيد

المريني - أبو يعقوب بن يحيى بن عبد الحق

٩٠ ح.

المرالي = محمد بن موسى

المرزي - يوسف بن عبد الرحمن ٤٨٤.

٥٣١ م.

المنتصر - أبو العباس أحمد ٦٨٤.

المنتصر الحفصي (النتصر) ٣٠ م. ٤٦.

١٧٢ - ١٧٣. ١٩٥. ٢١١. ٢١٨.

٢٢٧. ٢٣٠ م. ٢٤٨. ٢٤٩. ٢٥٣.

٢٨٣ م. ٢٩٣ - ٢٩٤. ٢٩٩ وما بعد.

٣١٣ م.

المنتصر المريني - أبو فارس عبد العزيز

٥٠٥ م.

المنتصر (الثاني) المريني - أحمد بن ابراهيم

٥٠٥. ٦١٦ ح.

المنتصر الموحي - أبو يعقوب يوسف

١٤٨ م.

المسراقي = ابن غلاب

المسراقي - علي بن عبد الله ٣٩٩.

المسعودي = الباجي

المسعودي - علي بن الحسين ٥٢٧.

المسفر = ابن القطان

٥٥ ح. ٥٦. ٥٧. ٥٨. ٥٩. ٧٧.

١٩٥. ٤١٠ ح. ٤٢١. ٥٤٧ ح.

المسيب بن حزن (أبو سعيد) ٤٢٤ ح. م.

المسيح ٥٤٣ م.

المسيلي - أحمد بن علي ٥٤.

المسيلي - أبو علي ٣٥٦.

المشتري (زفس) ٤٦٧ ح.

المثدالي - أحمد بن عبد الحق ٤٩٨.

المثدالي - عمران بن يوسف

المثدالي - محمد بن محمد ٦٨.

المشيبي = القاوقجي

٥٥ ، ٦٩ ، ٨٥ م ، ١٣٢ ، ١٣٣ م .  
٧١٠ م .

المفيلي - موسى بن عيسى ٦١ ، ٦٧ .

المقدسي - محمود ٧٧ .

المقرئ (الجذ) - محمد بن محمد (٤٧١ -

٤٧٧) ، ٤٥٨ م ، ٦٣٧ م ، ٦٩٠ م .

المقرئ - أحمد بن محمد (صاحب نفع الطيب)

١١٤ ، ١١٩ ح ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،

١٥٣ ح ، ١٧٩ ح ، ٣٨٢ ، ٣٩٤ م ،

٤٧١ ح ، ٤٨٤ - ٤٨٥ ، ٥٤٨ ح .

٥٥٠ م ، ٦٣٥ ، ٦٣٧ ح .

المقريزي ٦٥٢ .

مكرم بن محمد - أبو الفضل ٢٦٠ .

المكتاسي = ابن غاز ابن أحمد

المكودي - أبو عبد الرحمن (٥٧٩ - ٥٨٦) .

٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ م ، ٣٩٧ ، ٦٣٤ .

مكي - محمود علي ٦٧٢ .

الملاحى - محمد بن عبد الواحد ٢٣٠ .

الملاري - يوسف بن يعقوب ٦١١ .

الملوزي - عبد العزيز بن محمد ٨٠ .

الملك الصالح بن الملك الناصر بن قلاوون

١٠١ - ١٠٤ .

الملك الصالح - نجم الدين أيوب ١٠١ ح .

الملكيشي - محمد بن عمر (٤١٩ - ٤٢٠) .

الملوي - أحمد ٥٨٥ .

الملياني = أبو العبّاس

الملياني - أبو علي أحمد ٣٧٤ - ٣٧٥ .

منالوس ٨٨ .

المنجور - أحمد ٦٩٥ .

المنتشاقري - يوسف بن موسى ١١٩ - ١٢٢ .

المصطفى (محمد رسول الله) ١١٥ ، ١٢٣ .

١٢٧ إلى ١٣٠ ، ١٥٦ م ، ٥٢٧ ،

المصمودي - ابراهيم بن موسى ٦٣٤ ، ٦٣٧ .

المصمودي - محمد بن أحمد ٩٢ .

المطرزي ٢٤٩ ح .

المطرزي ٢٤٩ ح .

المطرزي = المكودي

المطري = الخزرجي

مطلوب - أحمد ٤٣٠ .

المطماطي = ابراهيم بن يخلف

المظفر بن عبد الملك العامري ١٤٩ - ١٥٠ .

مظفر الدين كوكبوري ١١٢ .

معاوية ٣٦٩ ح ، ٥٣٦ م .

المعتصم بن صامح ٦٧٠ ح .

المعتمد بن عباد ٥١١ - ٥١٢ ، ٦٥٥ .

المعتمد (?) ٣٢٣ م .

معدّ ٥١٩ ح .

المعداني = ابن الرّحال

المعري - أبو العلاء ١٩ ، ٢٠ م ، ٢١٧ ،

٣٦٢ ، ٥٢٠ ح ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٧٠ ح .

معن بن زائدة ٢٢٢ م .

المعراوي الجلسي - أبو منصور ٧٠ .

المعري = أحمد بن زكريّا

المعري - عبد القادر ٦٠٧ .

المعري = محمد بن علي الثاظمي

المفيلي - الحسن (?) ٦٩٣ .

المفيلي - زكريّا بن موسى بن عيسى (?) ٦٨ .

المفيلي = عائشة بنت محمد المفيلي

المفيلي - عبد الرحمن بن يحيى ٦٥ .

المفيلي التلمساني - محمد بن عبد الكريم (?)

المنتصر الحفصي - أبو عبد الله محمد =  
المنتصر الحفصي .  
المنتقي - محمد ١٢٧ .  
المتوري - أبو عبد الله (؟) ٦٤١ .  
المتوري - محمد بن عبد الملك ٥٨ .  
منديل بن آجروم - محمد بن محمد الصنهاجي  
(٤٩٦ - ٤٩٧) ، ٣٩٤ م .  
المنذر الثالث (ملك الحيرة) ٥٠٨ ح .  
منسا موسى ٤٢ - ٤٣ .  
المستيري - محمد بن عبد السلام ٦٠ .  
المنصفي - يوسف ١٢٩ ح .  
المنصور بن أبي عامر ١٥٠ ح .  
المنصور الذهبي - أحمد بن محمد ٥٠ م .  
المنصور المريني يعقوب بن عبد الحق ٦ ،  
٣٢٩ م ، ٣٣٦ ، ٣٧٤ ، ٤٠٧ م ، ٥٥٤ .  
المنصور الموحدى - يعقوب بن يوسف ٨٧ ،  
١٤٨ م ، ١٦٢ ، ١٦٥ - ١٦٦ .  
المهدي بن تومرت ٢١٣ م .  
المهدي (صاحب الزمان) ٦٠٧ م .  
المهدي العباسي ٥٩٤ م .  
المهدي الفاسي = محمد المهدي  
المواق = ابن المواق .  
موسى ١١١ ح ، ١٢٠ ح ، ١٨٤ ح ، ١٩٩ ح ،  
٢٧٥ ح ، ٣١٩ ح ، ٣٢٠ وما بعد ،  
٥٤٣ م .  
موسى (في شعر) ١٧٤ .  
موسى كتع ٤١ .  
موسى بن عثمان = أبو حمز الأول  
موسى بن عيسى = الففجومى ،  
موسى = كتك موسى  
موسى (صاحب مالي) ٤٩ .

موسى بن أسكيا محمد الأول ٤٩ .  
موسى بن محمد بن سعيد العنسي = ابن سعيد  
العنسي  
موسى = منسا موسى  
مولر (محقق كتاب للان الدين بن الخطيب)  
٥١٦ م .  
مولر (آخر؟) ٢١٦ م .  
مؤنس - حسين ٢١٦ ، ٢٧٧ .  
مؤيد الدين القسّمى - محمد بن محمد ١٦٥ .  
ميارة - محمد بن أحمد ٦٥ ، ٦٣٢ .  
ميراندا - أمروسي هويسي ٤٠٦ .  
ميمون الفخار ٥٣ .  
ميمون القلعي ٢٧١ .  
ميمة (محبوبة غيلان) ٢٩٥ ح .  
الميورقي = ابن غانية .

#### حرف النون:

النايفة الذيباني ١٥١ ح ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ح ،  
٢٥٠ ، ٦٩٨ .  
ناجي (اسم) ٦٩٥ ح .  
ناجي - هلال ٥١٥ .  
ناصر الدين = الأشرف شعبان  
الناصر المريني - يوسف بن يعقوب ٣٢ م ،  
٩٠ ، ٣٢٣ ، ٣٧٥ .  
الناصر حسن بن قلاوون ٥١٨ م .  
الناصر الموحدى = ابن عبد المؤمن  
الناصر فرج بن برقوق = فرج بن برقوق  
نافع (المقري) ٥٣ م ، ٥٤ م ، ٥٥ م ، ١٤٧ ح ،  
٤٢١ ، ٦٩٦ .  
البأهي المالقي - أبو الحسن عليّ ١٤٠ ،  
٥٠٥ م ، (م؟) .

- البراوي = عبد الله بن نصر (الله)  
 النباهي - اسماعيل بن يوسف ٦٦١ م.  
 النبي = محمد رسول الله  
 النجار - محمد ٦٨٠.  
 النجار البجائي - محمد بن عمر الزواوي ٩١.  
 النجار العروسي = بركات بن أحمد ٧٩.  
 النجار - محمد زهري ٦٧٩.  
 نجم الدين الطبري = الطبري  
 النجيب بن الصقيل ٣٣٤.  
 النخعي - ابراهيم بن زيد ٤٢٣ م.  
 النذرومي التلساني - محمد بن محمد ٥٧.  
 النذرومي - يوسف بن علي ٧٥.  
 نزهة بن سليمان اللخمي - أم العفاف ٢٣٠.  
 السائي ٥٥ ح، ٤٢١ ح،  
 الشار - سامي ٢٤٧.  
 نصار - حين ٣١٦، ٣٧٤.  
 نصر بن محمد النصري = أبو الجيوش  
 نصيب بن رباح ١٤٢ ح.  
 نصير الدين الطوسي ٨٨.  
 النعمان بن المنذر ٤٣٢، ٥٠٨ م، ٦٠٣ ح،  
 راجع ٥٣٦ ح.  
 النفري - محمد بن عبد الجبار ٢٠٦.  
 النفري = يحيى بن أحمد السراج  
 القرشي (؟) = القرشي.  
 قروز ٤٤٠ م.  
 النمروذ ٣٠٦ م.  
 النميري - محمد بن عبد الله ٤٣٢ م.  
 النور العقيلي (؟) ٦٣٥.  
 النور النويري (؟) ٦٣٤.  
 نور الدين الديماطي (؟) ٧٦.  
 النويري - محمد بن عمر ٥٨، ٦٢، ٦٤ م،  
 ٧٨، ٣٣٤، ٣٩٨، ٣٩٩.  
 النويري - محمد بن محمد ٦٦٦، ٦٨٥.  
 نويا - بولس ٢٠٩، ٥٦٧.  
 نومض - عادل ٣٥٦، ٦١٣، ٦١٤.  
 النيار = يوسف بن اسماعيل  
 النيجي (شيخ ابن غاز) ٦٩٥.  
 النيفر - محمد الشاذلي ٦١٤.  
 حرف الهاء:  
 الهادي - محمد ١١٣، ١١٧، ١٢٠، ١٢٩.  
 الهاشمي - محمد ١١٩.  
 هدهاد بن شرحبيل ٣٠٦ م.  
 هذيل (الأستاذ؟) ١٥٣ م.  
 الهراس - عبد السلام ٢١٧.  
 الهرغي الزقندري - أبو محمد ٦١١.  
 هرقل ٢٧٢ م.  
 هرمس (اسم لعدد من الأشخاص الخرافيين)  
 ٤٥٦ ح.  
 هرمس المثلث بالحكمة ٤٥٦ م، ٤٦٧ ح م.  
 هرون الرشيد ٥٩٣ - ٥٩٤.  
 الهروي - أحمد بن محمد ١٤٠ م.  
 الهزميري - أبو زيد عبد الرحمن ٦١٣.  
 هشام بن الحكم بن عبد الرحمن ١٥٠ ح.  
 الهمداني الأندلسي = محمد بن يوسف  
 الهنتاتي = أبو حفص يحيى  
 الهندي = علي بن حمام الدين  
 هوداس ٦٣٢.  
 هورتن ٧٨.  
 الهوريني - نصر ٢٦٩، ٦٠٦.  
 هولكو ٣١٣ م.  
 هوميروس ٣١ ح.

## حرف الواو:

الواثق بن يحيى = أبو عصيدة

واجاج بن زلو اللمطي ٣٩ م.

الوادي آشي = ابن جابر

الوازعي - يحيى ٦٤٩.

الواسطي = أبو الفتح

وافي - علي عبد الواحد ٦٠٦، ٦٠٧.

٦٠٨ م.

الوالاتي = الولي

الوانشريسي - الحسن بن عطية ٦١٥.

الوانشريسي = الونشريسي.

الوانفيلي - عبد الله ٦١١.

الوانوغي - أبو مهدي (٩) ٦٨.

الوانوغي - محمد بن أحمد ٦٥.

الوانوغي - يوسف بن ابراهيم ٦٥.

الورجلاني الاباضي - يحيى بن أبي بكر ٨٢،

٢٥٢.

الوردي - علي حسن ٦٠٩.

ورش - عثمان بن سعيد ٥٣ م، ١٤٧ ح.

الوزاني - محمد المهدي ٢٧٠، راجع ٣٩٩

(ابن الوزاني).

الوزاني - المهدي بن محمد ٦٣٢.

الوغييسي - عبد الرحمن بن أحمد ٧٢،

٧٦ ح.

الوقشي = الكناني الوقشي

الوليد = البحري

الونشريسي - أبو العباس أحمد بن يحيى ٦،

٧٠، ٦١.

## حرف الياء:

اليازجي - ابراهيم ٢٦٥.

اليحصي = ابن حفص

اليحمدي - (٩) ٦٩٣.

يحيى بن خلدون = ابن خلدون

يحيى بن ابراهيم الكدالي ٣٨ - ٣٩.

يحيى بن أحمد النفري السراج الرندي

الفاسي ٥٨.

يحيى الرندي الحكيم ٣٦٥.

يحيى بن عبد السلام العلمي القسنطيني ٦٨.

يحيى بن عبد الواحد الحفصي (١٧١ - ١٧٤)

٢٩ - ٣٠، ٩٩ م، ١٥٧ م، ١٨٣،

١٩٢، ٢٠٥، ٢١٠ وما بعد ٢٢٠ وما

بعد، ٢٢٥، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٧٨ ح،

٢٩٢، ٣٠١ م، ٣٧٦ ح.

يحيى بن علي اليفري (٣٤٠).

يحيى بن عمر اللمتوني ٤٠.

يحيى بن عمر = المهناتي - أبو حفص

يحيى بن غانية الميورقي = ابن غانية

البع بن عيسى = الغافقي

يعقوب الحضرمي (المقرئ) - أبو محمد

٦٢٧ م.

يعقوب بن عبد الحق = المنصور المريني

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن = المنصور

الموحدي.

اليقوي - ابراهيم ٦٧٩.

اليعمري = ابن فرحون (صاحب الدياج)

اليعمري = ابن سيد الناس - أبو بكر

يعوق (صم) ١٢٠ م.

يفمراسن بن زيان ٨٢.

يفوث (صم) ١٢٠ م.

اليفري = يحيى بن علي

اليفري - محمد بن عبد الله ٧٠، ٦٨٩.

اليقوري الأندلسي - محمد بن ابراهيم ٥٦ ،  
 يوسف بن اسماعيل (النيار) = ابن الأحمر -  
 يوسف بن اسماعيل بن فرج  
 يوسف بن أيوب بن يحيى ٨٤ ح .  
 يوسف بن تاشفين ٤٠ م ، ٦٥٥ م .  
 يوسف دليلى البرغماوي بن محمد العجيزي  
 ٦٩ - ٧٠ .

يوسف الصديق ٧٢ ، ١٤٧ ح ، ٦٦٣ .  
 يوسف بن عبد المؤمن = ابن عبد المؤمن  
 يوسف الفهري ٤٠٦ ح .  
 يوسف بن يعقوب المريني = الناصر المريني

